المجلد الاول من كتاب ... ابن ميثم رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك فحسر عن ادراكك انسان كل عارف وتفردت في صفاتك فقصر عن شرح كنهها لسان كل واصف ظهرت في بديع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجة كل قائل وبهرت بقهر جلالك فالكل في نور جمالك مضمحل باطل احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وتعددت آلاؤك فتقدست انواعها عن التحديد والاحصاء خلقت الدنيا مضمارا استبق فيه خلقك للسباق الى حضرة قدسك وايدتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل السبل الى بساط انسك ويسرت كلا لما خلق له فبعض لنعمائك شاكرون ومن عبادتك مستكبرون وبعض لقرب جنابك معترفون وعلى بابك يتشكون سبحانك انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون تعاليت عما يصفون اسبحك سبحان الآل والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال آناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت حاذفا كل ما سواك عن جهة الاعتبار لجلال وجهك في طوري الاعلان والاسرار واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة عبادك الاطهار الذي بعثته بالانوار الساطعة وايدته بالبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك وسراجا منيرا اللهم فصل عليه صلوة دائمة مترادفة كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات وعلى آله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمة وحاملي الدين وعلى صحابته الاكرمين **اما بعد** فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء وارسال الكتب الالهية والنواميس الشرعية انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل وعشق هذه الدار والفاتها الى حظائر القدس ومنازل الابرار وتنبيهها ان ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتنبيهها من نوم الطبيعة ونوم الغافلين بتذكيرها ما اخذ عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش الدنيوي بارسال اسباب البقاء للنوع الانساني وكان امامنا سيد الوصيين وامير المؤمنين ذو الآيات الباهرة والانوار الزاهرة علي بن ابي طالب عليه السلام في جميع ما ورد عنه من الكلام وصدر عنه من الافعال والاحكام قاصدا لجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد مطابقا لما اشتمل عليه القرآن الحكيم من القوانين والقواعد حتى لن توجد له في هذه السبيل كالسنن ذلك عن فعل وجه التفصيل فلا جرم كان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي

ولم يزل

ولم يزل كلامه عليه السلام منذ وقت صدوره في صدور الرواة منتشرا في ايدي المهتدين والغواة تحاول اعداؤه ان يطفئوا نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره الى ان عضد الله الاسلام بوجود السيد الامام الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره ونور ضريحه فاجتنى من كلامه ثمرات الرغائب وجمع منه ما كان متفرقا في الشتات وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه نهج البلاغة فهو الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء وحباه من لطائف الفضل اجزل الحباء ثم اني لما كنت عبدا من عباد الله آتاه رحمة من عنده وملكني قوة اسلك بها سبيل قصده وكنت قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما اعرج به الى طباق السموات كنت في اثناء ذلك متشوقا الى التطلع على اسراره والتحلي بسواطع انواره آنا بعد آن حتى عرض عارض جليل واتفق لواجد لي [illegible] الى ان قضت صروف الزمن بمفارقة الاهل والوطن واوجبت تقلبات الايام دخول دار السلام فوجدتها نزهة للناظر وآية للحكيم القادر باتقان احوال تدبيرها والقاء مقاليد امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وملكه ملكات الفضائل النفسانية وهو امرء نشأت طينته من طينة الفضل حتى [illegible] فالعلم والجود والبشر منه والعفة والعدل منه تكتسب ثم هو من رشحه الله لسياسة امور عباده وبلاده وجعلها مطاوعة لازمة قياده فاوامره العالية تسري فيها مسرى الارواح في الاجسام وآراؤه الصائبة تجري فيها مجرى الصحة بعد السقام الذي حاز اعلى المناقب ففاز باسنى المطالب وسما بهمته الثواقب فامن غوائل العواقب الذي بدرت اقمار العلوم بدولته السعيدة بعد الافول في غيابات الجهالة وسطع صبح الحق بطلعته المجيدة من افق الضلالة ورفع ذيول اعلام العلم في عدله وازهرت روض الرغائب بفيض سحائب فضله المشيد اركان الاسلام بعد التداعي للانهدام المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان صاحب ديوان الممالك السالك الى الله افضل المسالك علاء الحق والدين عطا ملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفائز بمقاربة العالمين ومجاورة الملائكة المقربين بهاء الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وابد فضله وافضاله وفسح في مدة عمره وايده بتوفيقه وشد ازره بدوام عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك الآفاق بعلو القدر وكمال العز والفخر ورصانة العلم والادب ورزانة العقل واللب الذي [illegible] باوصافه وافاض اودية الاطماع بجزيل الطافه واثنى بها طل ووابل بذله ما قيل من قبله في الكرم واهله هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله ثم هو من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشان ذو النفس القدسية والخلافة الانسية والاعراق الزكية والاخلاق الرضية والهمم الابية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين غياث الاسلام والمسلمين محمد بلغه الله اقصى مراتب الكمال ورزقه بلوغ الآمال في الحال والمآل فانهما لهذه الامة بدران مشرقان يستضاء بانوارهما وبحران زاخران يغترف من تيارهما وطودان شامخان يستعاذ باقطارهما وعمادان يقوم بهما في الوجود اركان الايمان وصارمان يصول بهما الدين القيم على سائر الاديان فجزاهما الله عن الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين وخصهما من لطائف فضله باكمل ما اعده لعباده الصالحين وقرن سعادتهما بالدوام والاستمرار وعضد آراءهما بالعلو على النقيصة والاقتدار وصانهما وذويهما من حوادث الايام وآفاتها وجعل نتائج افعال اعدائهما

ما بعدها خشن مقدماتها هذا ولما اتفق اتصالي بخدمته وانتسبت الى شريف حضرته احلني من انسه محلا الهى النفس عن اشهى
مآربها وامطرني من سحايب جوده نعما تشبه الصور الخافية من ... فاجرى في بعض محاوراته الكريمة من مدح هذا الكتاب
وتعظيمه وتفضيله وتفخيمه ما علمت معه انه الطلب الذي كنت اطلبه والعلم بقدره ومحله من بين الكتب وتوسمت في فضايل
ذلك تشوق خاطره المحروس الى كشف حقايقه والوقوف على اسراره ودقايقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض
نعمه السابقة ومننه المتوالية المتلاحقة ان اخدم سامي مجلسه بتهذيب شرح مرتب على القواعد مختصر مشحون بالمباحث
اليقينية ابينه فيه على ما لاح لي من رموزه والكشف ما ظهر لي من دفاينه وكنوزه وقد سبقني الى شرح هذا الكتاب جماعة
من اولي الالباب واتوا فيه المسدد بالصواب بميز القشر من اللباب والشراب من السراب وشرعت في ذلك بعد ان
عاهدت الله سبحانه ان لا انصر فيه مذهبا غير الحق ولا ارتكب هوى لمراعاة احد من الخلق فان وافق الرأي الاعلى
فذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر ملتمس مسؤول والعفو مرجو مأمول والرغبة الى اهل الفضل في سد ما يجدونه من خلل
وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف جناحي عن سلوك هذا المطار الذي هو مسرح نفوس الاولين الابرار
ومجال انظار الحكماء الكبار مقتحم الاخطار وراكب لمطايا الاسفار وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل وقبل الخوض
في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة ليستعان بها على ما عسى ان اذكره من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى
اما المقدمة فاعلم ان كلامه عليه السلم يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما
يشتمل عليه بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ولما ابرز عليه السلم مقاصده
في الفاظ عربية اما منطوق بها او مكتوبة تعين ان اذكر من مباحث الالفاظ قدر ما تمس الحاجة اليه ثم اشير الى بيان
بعض الكتابة وما يتعلق بها ليكون ذلك معينا للناظر في كلامه على ملاحظة دقايقه ومطالعة اسراره وحقايقه ثم الحق ذلك
بابحاث تؤدي الى ما يتعلق به عليه السلم من الفضايل فلا جرم رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد **القاعدة الاولى** في مباحث
الالفاظ وهي مرتبة على قسمين **القسم الاول** في دلالة الالفاظ واقسامها واحكامها وفيه فصول **الفصل الاول**
الموضوع له
في دلالة اللفظ على المعنى وفيه ابحاث **البحث الاول** دلالة اللفظ اما على تمام مسماه او على جزء مسماه من حيث هو جزؤه
او على الامر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له والدلالة الاولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ الانسان
على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده او على الناطق وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته
على الضاحك واعتبرنا في الدلالتين الاخيرتين قولنا من حيث هو جزؤه ومن حيث هو لازمه عن دلالة اللفظ بالمطابقة
على جزء المسمى او على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي فانه اذا جاز ان يوضع اللفظ الواحد للمجموع ولجزئه كلفظ الممكن مثلا
للممكن الخاص والعام وللملزوم ولازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس والنور اللازم عنه فلو اقتصرنا في تعريف دلالتي التضمن
والالتزام على تعريفهما المذكورين دون هذين القيدين يشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ للجزء او
اللازم كما هو موضوع له اذ كانت ايضا دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه **البحث الثاني** الدلالة الاولى
هي التي بحسب الوضع الصرف والاخريان فزعم الامام فخر الدين وجماعة من الفضلاء انهما عقليتان وفيه نظر لانهم
ان ارادوا انهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ
لما حصلت في الذهن الدلالتان واليقين فانهم صرحوا بانهما من دلالات الالفاظ فلا يمكن ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل

وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من لفظ ينتقل منه الى جزئه او الى لازمه فهو حق ولا يكون في ذلك الا ان
يشترك من الوضع والعقل ثم انهما يستلزمان المطابقة من غير عكس لجواز خلو المعنى عن التركيب وعن اللازم البين
ولا يجب ايضا ان تلزم احديهما الاخرى وهو ظاهر مما مر **البحث الثالث** ظهر مما ذكرنا انه يعتبر في الدلالة التضمنية
كون المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركبا واما في الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوما في الذهن لامر بين الثبوت له اذ لولا
اللزوم الذهني لم يفد اطلاق اللفظ فهم المعنى الخارج عن المعنى لعدم الوضع بازائه وعدم انتقال الذهن من موضوعه
اليه فلم يكن دالا عليه اذ المراد بدلالة اللفظ على المعنى فهمه عند اطلاقه بالنسبة الى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي
لجواز دلالة اللفظ على ما يلزم مسماه في الخارج اذا لزم من تصوره تصور مسماه كدلالة لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى
على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى لازمه اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة
الالتزامية بل لا بد من تصورنا اللزوم اولا وذلك يتوقف على وضع اللفظ بازائه والعلم بالوضع وسماع اللفظ او
خطوره بالبال فهو اذن احد الشروط المعدة لتصور اللازم **البحث الرابع** دلالة الحقيقة هي الدلالة الوضعية
الصرفة واما الباقيتان فليستا بحقيقتين وهو ظاهر ولا مجازيتين ايضا لان من شرط المجاز استعمال اللفظ في
غير ما وضع له استعمالا مقصودا بالذات وفيما ان الدلالتان قد يحصلان من استعمال اللفظ في مسماه حصولا عرضيا
لان الذهن قد ينتقل عند اطلاق اللفظ لارادة مسماه الى جزئه او الى لازمه انتقالا عرضيا وكذلك الى جزء جزئه
والى لازم لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم ان اللفظ اطلق لارادة مسماه واستعمل فيه بالذات لا فيما انتقل
الذهن اليه من الاجزاء واللوازم وان كانت له سببية في ذلك الانتقال فلم يكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة
في الحقيقة والمجازية نعم استعمال اللفظ الموضوع واطلاقه بالذات لارادة المعنى لا يخلو من ان يكون حقيقيا او مجازيا
الفصل الثاني في تقسيم الالفاظ وفيه ابحاث **البحث الاول** اللفظ اما ان لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا
على شيء وهو المفرد او يراد بالجزء منه دلالة على شيء وهو المركب لا يقال هذا منقوض بعبد الله وما يجري مجراه
فانه مفرد مع ان كل واحد من اجزائه دال لانا نقول قد يراد بالجزء من عبد الله واشباهه دلالة ولا نم انه بذلك
يصير بالكل لفظ بالنسبة الى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزئه الدلالة كان مفردا وهذا هو الرسم القديم للمفرد
والمركب وقد تبين انه لا حاجة فيه الى القيد الذي زاده المتأخرون وهو قولهم من حيث هو جزؤه فان الرسمين
متساويان **البحث الثاني** اللفظ المفرد اما ان يكون نفس تصور معناه مانعا من وقوع الشركة فيه وهو الجزئي
او غير مانع وهو الكلي اما الجزئي فيقال بمعنيين احدهما ما ذكرناه ويخص باسم الجزئي الحقيقي والثاني انه كل اخص
تحت اعم والفرق بينهما ان الاول غير مضاف والثاني مضاف الى ما فوقه وقد يكون كليا فاما الكلي
فاما ان يعني به نفس الحقيقة التي لا تمنع تصورها وقوع الشركة فيها ويسمى كليا طبيعيا او النسبة التي تعقل لها بالقياس
الى جزئياتها المتصورة ويسمى تلك النسبة كليا منطقيا او المجموع المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة لها ويسمى كليا عقليا
ثم للكلي اعتبارات ستة وذلك لانه اما ان يكون ممتنع الوجود او ممكنه والاول كشريك الاله والثاني اما ان
لا يعرف وجوده او يعرف والاول كجبل من ياقوت وبحر من زيبق والثاني اما ان يمتنع ان يكون في الوجود
اكثر من واحد او يمكن والاول كالاله تعالى والثاني اما ان يكون في الوجود واحد منه فقط وان جاز وجود مثله

او اكثر من واحد والاول كالشمس عند من يجوز وجود مثلها والثاني اما ان يكون الموجود منه اشخاصا كثيرة متناهية او غير
متناهية والاول كالكواكب والثاني كاشخاص الانسان **البحث الثالث** الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما
يكون داخلا فيها او على ما يكون خارجا عنها اما الدال على الماهية فاما على ماهية شيء واحد او على ماهية اشياء كثيرة والاول اما
ان يكون كليا او جزئيا والثاني اما ان يكون تلك الاشياء مختلفة الحقائق او متفقة الحقائق فهذه اقسام اربعة والاول
هو المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب بالحد والثاني المقول في جواب ما هو بحسب الشركة المطلقة
والثالث والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معا مثال الاول قولنا في جواب من يسال
فيقول ما الانسان انه حيوان ناطق فخصوصية هذا الجواب ليست بغير الانسان اذ لا يشركه فيه غيره والثاني
كقولنا في جواب من يسال عن جماعة هم انسان وفرس وثور ما هم انها حيوانات اذ كان هذا الجواب هو كمال الجزء
المشترك بينها فهو اذن مقول بالشركة المطلقة والثالث والرابع كقولنا في جواب من يسال عن زيد وحده ما هو انه
انسان او عن جماعة هم زيد وعمرو وخالد ما هم انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية
والشركة معا اذ كل ما لكل واحد منها من الاجزاء حاصل للآخر وان خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسؤل عنه
واما الدال على جزء الماهية فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس القريب او على كمال الجزء
المميز لها وهو الفصل القريب او على ما تركب منهما وهو النوع او لا على واحد من هذه فيكون ذلك جزء الجزء وهو اما
جنس الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس او فصل الفصل كما هو مذكور في مظانه واما الدال على الخارج عن الماهية فيخص
باسم العرضي واعتباره من وجهين احدهما انه اما ان يكون لازما او لا يكون والثاني هو العارض والاول اما ان
يكون لازما للماهية او للوجود والاول اما ان يكون بينا للماهية كالفردية للثلثة او غير بين كالتناهي للجسم والثاني
كالسواد للغراب واما العارض فاما سريع الزوال كالقيام والقعود او بطيئه كالشباب والوجه الثاني ان العرضي
اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عم افراده او لم يعم ويسمى خاصة كالضاحك للانسان بالقوة والفعل
او لا يختص به بل يعمه وغيره ويسمى عرضا عاما كالماشي للانسان **البحث الرابع** اللفظ والمعنى اما ان يتحدا
او يتكثرا او يتكثر اللفظ ويتحد المعنى او بالعكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا او جزئيا فان كان الاول
فاما ان يكون نسبته الى افراده المعقولة بالسوية وهو المتواطي كالانسان بالنسبة الى اشخاصه او لا
بالسوية بل في بعضها اول واولى واشد واضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم كزيد
والثاني هو الاسماء المتباينة سواء تفاصلت مفهوماتها كالانسان والفرس او تواصلت بان كان بعضها اسم
للذات والآخر اسم للصفة كالسيف والصارم او على ان بعضها اسم للصفة والآخر لصفة الصفة كالناطق
والفصيح والثالث الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد او من لغتين كالماء وآب
واما الرابع فاما ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم نقل منه الى الآخر او وضع لهما معا اما الاول
فذلك النقل ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على
المنقول اليه بعد النقل اقوى من دلالته على المنقول عنه او لا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول
اليه منقولا فان كان الناقل هو الشارع سمي لفظا شرعيا كالصلوة والزكوة او اهل العرف ويسمى عرفيا

سواء كان العرف العام كالدابة للفرس بعد وضعها لكل ما يدب وكالغائط للفضلة الخارجة من الانسان
عن وضعها للمكان المطمئن او الخاص كالاصطلاحات الخاصة بطائفة من اهل العلم مثلا كالرفع والنصب والجر
عند النحاة وكالجمع والقلب والفرق عند الفقهاء وكالموضوع والمحمول والجنس والفصل عند المنطقيين والثاني
واما ان لم يكن دلالته على الثاني اقوى واما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان
كان الاول كان ذلك لفظا مشتركا وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا
اما اذا كان اللفظ موضوعا لمعان فاما ان يتساوى دلالته عليها عند الفهم او يترجح احدها فان كان الاول
سمي اللفظ بالنسبة اليها مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منها مجملا لان كون اللفظ موضوعا لكل واحد منها هو
الاشتراك وكونها بحيث لا يدري منه المراد منها هو الاجمال **تذنيب** ظهر من هذا التقسيم ان الاقسام الثلثة
الاول مشتركة في انها ليست بمشتركة فكانت نصوصا والرابع فله اعتبارات ثلثة احدها اعتبار كون افادته
الراجح في بعض مفهوماته وبذلك يسمى ظاهرا والثاني اعتبار كونها مرجوحة في المفهوم المقابل للراجح وبذلك يسمى
مأولا والثالث كونها متساوية بالنسبة الى المفهومين بحيث لا يدري المراد منهما وبذلك يسمى مجملا فالرجحان اذن
قدر مشترك بين الظاهر والنص وعدم الرجحان قدر مشترك بين المجمل والمأول فيسمى المشترك الاول محكما والثاني
متشابها **البحث الخامس** اللفظ المفرد اما ان لا يستقل معناه بالمفهومية او يستقل والاول هو الحرف والثاني
فاما ان يستلزم معناه الوقوع في احد الازمنة الثلثة المعينة وهو الفعل او لا يستلزم وهو الاسم وهو اما ان يدل
على معنى هو نفس الزمان كالزمان او على جزء الزمان كاليوم والغد او على معنى جزؤه الزمان كالصبوح والغبوق
او على واحد منها وهو اما ان يكون اسما جزئيا حقيقيا فان كان مضمرا فهو المضمرات او مظهرا فهو العلم كعمرو وان كان
اسما كليا فاما ان يكون اسما لنفس الماهية كلفظ السواد وهو المسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة او لامر ما يصف كذا
وهو الاسم المشتق كلفظ الضارب فان مفهومه انه امر له الضرب **البحث السادس** اللفظ المركب اما
ان يكون قابلا للتصديق والتكذيب لذاته وهو الخبر او لا لذاته وهو اما ان يكون مفيدا لطلب شيء افادة اولية
او ليس والاول ان كان على طريقة الاستعلاء فهو الامر وان كان على طريق التساوي فهو الالتماس وان كان
على طريق الخشوع والتضرع فهو السؤال والثاني هو التنبيه ويدخل فيه التمني والترجي والقسم والنداء **البحث السابع**
اللفظ قد يكون مدلوله لفظا فاما لفظا مفردا او مركبا وعلى التقديرين فاما ان يدل على معنى او لا يدل فهذه اقسام
اربعة الاول لفظ مفرد دال على لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظ الكلمة والاسم والفعل والحرف الثاني لفظ مفرد
دال على لفظ مركب دال على معنى مركب كلفظ الخبر والكلام والقول الدال على قولنا زيد كاتب الدال على معناه
الثالث لفظ مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى كقولنا آب وسائر حروف الهجاء الرابع لفظ مفرد دال على لفظ
مركب غير دال كلفظ الهذيان والهذر **البحث الثامن** اللفظ المفرد اذا دل بالالتزام على معنى فذلك المعنى
اما ان يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقة او تابعا له والاول يسمى دلالة الاقتضاء وتلك الشرطية اما عقلية كشرطية
نصب السلم لصعود السطح عند الامر به او شرعية كشرطية الوضوء للصلوة عند الامر بها واما التابع فكنفي الحكم المذكور
لشيء عند تخصيصه بذكره عن غيره عند من يقول به فان معنى التخصيص يستلزم نفي المذكور ولك اللفظ المركب

اذا استلزم تركيبه معنى فاما ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من توابعها والاول كدلالة التحريم الثابت في
على تحريم الضرب واما الثاني فكالاستلزام في قوله تعالى فالآن باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر لصحة صوم من اصبح جنبا لان الجماع الوطي في آخر جزء من الليل يتبع الغسل وبالله التوفيق

الفصل الثالث في الاشتقاق وفيه ابحاث **البحث الاول** في حقيقة الاشتقاق الاشتقاق اخذ
احد اللفظين من الآخر لمشاركة بينهما في الاشتمال على الحروف الاصلية واركان الاشتقاق اربعة الاول اسم
موضوع لمعنى الثاني مسمى آخر له نسبة الى ذلك المعنى الثالث مشاركة بين الاسمين في الحروف الاصلية الرابع تغيير
يلحق الاسم الثاني اما في حرف فقط او في حركة فقط او فيهما معا وكل واحد من هذه الاقسام فاما بزيادة وحدها
او بنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة تسعة اقسام فقط وهو سهو يحقق عند الاعتبار
بل الحاصل منها خمسة عشر قسما ا زيادة الحرف ب زيادة الحركة ج زيادتهما معا د نقصان الحرف ه نقصان
الحركة و نقصانهما معا ز زيادة الحرف مع نقصانه ح زيادة الحرف مع نقصان الحركة ط زيادة الحرف
مع نقصانهما ي زيادة الحركة مع نقصانها يا زيادة الحركة مع نقصان الحرف يب زيادة الحركة مع نقصانهما
يج زيادتهما معا مع نقصان الحرف يد زيادتهما مع نقصان الحركة يه زيادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه
هي الاقسام الممكنة وعلى اللغوي طلب الامثلة **البحث الثاني** اختلف الناس في انه هل يجوز صدق المشتق
منفكا عن صدق المشتق منه ام لا والحق انه يجوز لنا ان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة بين المشتق والمشتق منه
فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك والمميت والضار والمذل مما يصدق على ذات الله تعالى
مع ان الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت والضرر والذل غير صادقة ولا جائزة عليه لا يقال
المشتق مركب من المشتق منه ومن شيء آخر ومتى صدق المركب صدق كل واحد من اجزائه لانا نقول لا نم ان المشتق منه
من حيث هو مشتق منه جزء من المشتق وحاصل فيه بل الحاصل فيه شيء من اجزائه وهي الحروف الاصلية وبعض
الحركات فانا بينا ان المشتق لا بد وان يلحقه تغيير باحد الوجوه المذكورة والقدر المتغير منه لا شك انه
كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير لم يبق تلك الحقيقة فلم يلزم صدقها حال صدق المشتق له

البحث الثالث اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق المشتق بقاء صدق المعنى المشتق منه
ام لا والحق انه لا يشترط لوجوه احدها انا نعلم بالضرورة اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق على الشيء حال لا يكون
وجه الاشتقاق حاصلا كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال على من حصل القتل فيما قبل الثاني ان الضارب مثلا هو من
حصل منه الضرب وله به ملابسة فيه وهو اعم من حصوله في الحال او في الماضي لامكان تقسيمه اليهما
ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتق
بقاء وجه الاشتقاق الثالث ان المشتقات من المصادر السيالة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق
فيها فان الانسان حال ما يتكلم بالحرف الثاني فات الحرف الاول فلا يمكن تحقق جميع الكلمة في الخارج فضلا
ان يقال انها تبقى مع انها صادقة بالاتفاق لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه
انه ليس بضارب في الحال وقولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحال ومتى صدق المركب

خمسة عشرة مما لاحدهما مع الزيادة والنقصان معا لاحدهما او نقصان احدهما مع الزيادة والنقصان لاحدهما في هذه الحركة

باقيا ه

صدق كل واحد من اجزائه فاذن صدق عليه انه ليس بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما
في العرف لانا نقول ان كانت القضيتان عندكم موقتتين فممنوع التناقض في العرف والحقيقة لان المكذب لقولنا
انه ليس بضارب في الحال قولنا انه ضارب في الحال ونحن ما ادعينا صدق قولنا انه ضارب في الحال بل انه
في الحال يصدق عليه انه ضارب ولا تناقض لعدم اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى التناقض اما حقيقة
وهو ظاهر الفساد لان المطلقتين لا تتناقضان او عرفا وهو ايضا ممنوع وبتقدير تسليمه نمنع صدق قولنا بعد
انقضاء الضرب انه ليس بضارب لصدق قولنا في تلك الحال انه ضارب وتناقضهما عرفا وبالله التوفيق

١٤ المعاني

البحث الرابع اختلفوا ايضا في ان المعنى القائم بالمحل هل يجب ان يشتق له منه اسم ام لا والحق ان يقال
المعنى ان لم يكن له اسم كانواع الروائح لم يجب ذلك فيها وان كان له اسم لم يجب ايضا ان يشتق لمحاله منها
اسما وهل يجوز ان يشتق لغير محاله منها اسم ام لا والحق جوازه في الموضعين خلافا لقوم من الاشعرية فانهم
قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالها ولا يجوز لغيرها لنا ان الجواز متفق عليه واما الوجوب وتخصيصه بالمحل
فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جوازه لغيره فلان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة فان المشتق هو شيء ما ذو المشتق منه
ولفظة ذو لا تقتضي الحلول ومن الامثلة المشهورة اللابن والتامر فانهما مشتقان من اللبن والتمر وهما غير قائمين
بذات المشتق له **البحث الخامس** مفهوم المشتق كالماشي مثلا انه شيء ما ذو مشي فاما ذلك الشيء فغير داخل
في مفهومه وان علم فانما يعلم بطريق الالتزام برهانه انك تقول الماشي حيوان فلو كان مفهوم الماشي انه حيوان
ذو مشي لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر بل انما يعلم كونه حيوانا بدليل من خارج
وبالله التوفيق

الفصل الرابع في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث **البحث الاول** في ماهيتهما اما الترادف
فهو كون لفظين مفردين او ما زاد دالين بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد وبالافراد احترز عن الاسم
والحد وباعتبار واحد عن اللفظين الدالين على شيء واحد باعتبارين كالصارم والسيف وباعتبار الصفة
وصفة الصفة كالناطق والفصيح فان تلك متباينة واما التأكيد فهو تقوية ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر وللامام
فخر الدين رحمة الله عليه تساهل في هذا المقام اذ يحد التأكيد بانه اللفظ الموضوع لتقوية ما يفهم من لفظ آخر ولم
يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو ظاهر **البحث الثاني** في اسباب الترادف انه يجوز
وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها من واضعين ويشبه ان يكون الاول اقل وجودا
وسببا الاول التسهيل والاقدار على الفصاحة لانه ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء
الشيء دون اسمه الآخر وربما حصلت رعاية السجع والمقلوب والمجنس وسائر اصناف البديع مع بعض
اسماء الشيء ولا يحصل مع الآخر الثاني التمكن من تأدية المقصود باحدى العبارتين عند الغفلة عن الاخرى
واما الثاني فهو السبب الاكثر فيجوز ان يصطلح احدى القبيلتين على اسم للشيء غير الاسم الذي اصطلحت عليه
القبيلة الاخرى ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك **البحث الثالث** انه هل يصح اقامة كل واحد من المترادفين
مقام الآخر دائما ام لا الظاهر في بادي الرأي ذلك لان المترادفين هما اللذان يفيد كل واحد منهما عين فائدة
الآخر فاذا صح ان يضم المعنى المدلول عليه باحد اللفظين الى معنى آخر فلا بد ان تبقى الصحة حال ما يدل عليه باللفظ

١ الوضع

الثاني لان صحة الاقتران من عوارض المعاني وفيه نظر لان صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني كذلك يكون من عوارض
الالفاظ فانك لو ابدلت لفظة من بالاوخ من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبيل الالفاظ ايضا قال الامام
فخر الدين اذا عقل ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة والحق انه يصح اقامة احد المترادفين مقام الاخر بشرط
ان يكونا من لغة واحدة والثاني انه ان يتساويا في الخفا والجلا بحسب حال المتخاطب بهما او يقربا من التساوي
تذنيب اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان اجلى بالنسبة الى الخفي شرحا له وربما
انعكس الامر بالنسبة الى قوم اخرين **البحث الخامس** في اقسام التوكيد المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد او
متاخرا عنه والاول كصيغة ان وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني فاما ان يؤكد الشيء بنفسه او بغيره والاول
كقوله عليه السلام والله لاغزون قريشا ثلثا والثاني اما ان يختص بالمفرد كلفظ النفس والعين او المثنى ككلا
وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون ابتعون ابصعون وكل هي ام الباب **البحث الرابع** في حسن استعماله
والخلاف فيه مع الملحدة الطاعنين في الوحي والنزاع انما هو في الجواز وهو معلوم بالضرورة لان شدة اهتمام
القائل بالكلام يدعوه الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا معلوم من اللغات بعد تصفحها وهو وان كان حسنا
الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد او على فائدة زائدة وجب صرفه الى الفائدة الزائدة **الفصل الخامس**
في المشترك وفيه ابحاث **البحث الاول** في حقيقته وامكانه ووجوده اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين
مختلفتين او اكثر وضعا اولا من حيث هو كذلك وقولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن الاسماء المفردة وقولنا (بما هو)
وضعا اولا احتراز عما يدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالمجاز وقولنا من حيث هو كذلك احتراز عن اللفظ المتواطي
فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من حيث هي مختلفة بل من حيث انها مشتركة في معنى واحد واما امكانه
فمن وجوه احدها ان الوضع تابع لغرض المتكلم وقد يكون للانسان غرض في تعريف غيره شيئا على التفصيل
وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا لمفسدة الثاني انه ربما لا يكون
المتكلم واثقا بصحة الشيء على التعيين الا انه يكون واثقا بصحة احد المعنيين لا محالة فيطلق اللفظ المشترك لئلا يعد
بتصريحه باحد المعنيين كاذبا وبسكوته جاهلا الثالث انه يجوز ان يضع احد قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم يضعه
قبيلة اخرى لمعنى آخر ثم يشيع الوضعان ويخفى كونه موضوعا منهما واما وجوده فهو معلوم بالضرورة من خواص
اللفظ المشترك انه اذا اطلق لم يتبادر الذهن الى احد مفهوميه دون الاخر بل يبقى الذهن عند سماعه
مترددا في تعيين المراد منه الى ظهور القرينة المعينة له وذلك ظاهر الوجود كلفظ القرء للحيض والطهر وان
كان ذلك ايضا قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في احد المعنيين وقلته الا انه يكفينا في ذلك تردد البعض
الاذهان فيه **البحث الثاني** في اقسامه مفهوما اللفظ المشترك اما ان يكونا متباينين او متواصلين والاول
كالطهر والحيض والثاني اما ان يكون احدهما جزءا من الاخر او لا يكون والاول كالممكن لغير الممتنع ولغير
الضروري والثاني اما ان يكون احدهما علة للاخر او صفة له والاول كلفظ الواجب للواجب بالذات
والواجب بالغير والثاني كلفظ الاسود للذي السواد والمسمى اسود **تنبيهان** احدهما اذا ثبت في السواد
المسمى اسود الى ما شاركه في لونه كالقار كان اطلاق لفظ الاسود عليهما من تلك الجهة بالتشكيك وان اقترنه

من جهة انه كان مقولا عليهما بالاشتراك **الثاني** قال فخر الدين رحمه الله النقيضان لا يجوز ان يوضع لهما لفظ واحد لان
المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات امر حاصل معلوم لكل احد وفيه نظر لان الاسباب التي (وهو)
ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك عامة لا تخص بعض المعاني دون البعض ولانه اذا جاز
وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي هو في قوة نقيضه كالقرء للحيض والطهر اذ كان الخالي عن احدهما والتردد
بينهما معلوم لكل احد فلم لا يجوز مثله في النقيضين والله اعلم **البحث الثالث** في اسبابه اما اسباب وجوده فيشبه
ان يكون السبب الاكثري فيه هو ان يضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى ثم يشيع الوضعان ولا يتميزان واما
السبب الاقلي فان يضعه واحد لمعنيين لغرض المتكلم بالمجمل وقد مر ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء
واما السبب الذي يعرف به وجوده فاما تصريح اهل اللغة بذلك او تساوي المفهومين بالنسبة الى السامع
عند اطلاق اللفظ وتردد ذهنه في ايهما المراد بعد العلم بالوضع لهما **البحث الرابع** في انه هل يجوز استعمال
اللفظ المشترك في معانيه على الجمع ام لا جوز ذلك الشافعي وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار
ومنع منه ابو هاشم وابو الحسين البصري والكرخي ثم منهم من منع منه لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر
يرجع الى الوضع وهو اختيار الامام فخر الدين حجة المجوزين من وجهين احدهما ان الصلوة من الله رحمة ومن
الملائكة استغفار ثم ان الله تعالى اراد بهذه اللفظة كل معنيها في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي
الثاني في قوله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم الاية والسجود هاهنا
مشترك بين الخشوع لانه هو المقصود من الملائكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس وبين شهادة
الحال بالحاجة الى الصانع لانه هو المقصود من الجمادات ثم ان الله تعالى اراد به كل معانيه في هذه الاية حجة المانعين
ان المجموع غير كل واحد واحد فالواضع اذا وضع لفظا لمعنيين على الانفراد فاما ان يضعه مع ذلك للمجموع او لا
فان لم يضعه له كان استعماله فيه استعمالا للفظ في غير ما وضع له وانه غير جائز وان وضعه له فاذا استعمله
فيه فاما ان يستعمله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمال اللفظ في احد مفهوماته لا في كلها وان استعمله
لافادته مع افادة الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع يستلزم عدم الاكتفاء بكل واحد من الافراد واستعماله
لافادة الافراد يستلزم الاكتفاء بكل واحد منها والاكتفاء بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها مما
لا يجتمعان واقول ان محل النزاع في هذا البحث غير ملخص فانه ان اريد انه يجوز استعماله في مدلولاته على الجمع مطابقة
فليس يخفى انه يلزم المستعمل لذلك من التناقض في القصد الى المجموع والى الافراد وان اريد انه يجوز استعماله
فيها على الجمع لافادتها كيف اتفق فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مع دلالته على الافراد تضمنا و
قول المانع انه اذا لم يكن الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله فيه ان اراد به حقيقة فهو حق
وان اراد انه يمتنع استعماله فيه مجازا فهذا مما يقتضيه حجة واما حجج المجوزين ضعيفة اما الاولى وما فان الضمير في
في قوله تعالى يصلون بمنزلة الضماير المتعددة المقتضية للافعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها غير ما يراد
بالاخر والتقدير ان الله يصلي وملائكته تصلي واما الثانية فلان العطوف المتعددة تستدعي تعدد الافعال
فتقدير قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض اي ويسجد من في الارض وكذا الباقية والمراد بكل منها المعنى الذي

بتخصيص القرينة ثم لو سلم انما استعملت في كل مفهوماتها لكنه يكون مجازا والا لزم التناقض كما هو مذكور في حجة المانعين
وبالله التوفيق **البحث الخامس** فيما يتعين به مراد اللافظ باللفظ المشترك اللفظ المشترك ان لم يقترن به قرينة
تخصص احد معنييه بالمراد بقي مجملا وان وجدت قرينة كذلك فاما ان تقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى التقديرين فاما
لكل المسميات او لبعضها فهذه اقسام اربعة الاول ان يوجد اعتبار كل واحد فتلك المسميات اما ان يكون تنافيها
بحيث لا يمكن الجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا الى ظهور المرجح وان لم يكن تنافيه حمل اللفظ على مجموعها مجازا الثاني ان يوجد
الغاء كل واحد فحينئذ يجب حمل اللفظ على مجازات تلك الحقائق الملغاة ثم اما ان يكون بعض تلك الحقائق ارجح من بعض
ولم يقم الدليل على عدم ارادتها او لا يكون فان كان الاول فمجازاتها اما ان يتساوى في القرب من الحقائق فيتعين
حمل اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة او يتفاوت المجازات فان كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليه
او مجاز الحقيقة المرجوحة فيقع التعارض بينه وبين مجاز الحقيقة الراجحة لاختصاص كل منهما بمرجح الى ان يظهر
مرجح آخر واما ان تساوت الحقائق فان اختلفت مجازاتها بالقرب والبعد منها حمل اللفظ على المجاز الاقرب
وان لم يختلف بقي التعارض بين مجازات تلك الحقائق لتساويها وتساوي حقائقها الى ان يظهر الترجيح الثالث
ان يوجد الغاء البعض فان كانت اللفظ مشتركا بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وان كان الاكثر من معنيين
فحينئذ الغاء بعضها ان كان الثاني واحدا تعين الحمل عليه او اكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها الرابع ان يوجد اعتبار
البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظ لمعنيين او اكثر **القسم الثاني** في كيفيات تلحق الالفاظ
بالنسبة الى معانيها فتوجب لها الحسن والمزية وتعدها اتم الاعداد لاداء المعاني وتهيئ الذهن لقبول ذلك وهو
مرتب على مقدمة وجملتين **اما المقدمة** ففيها بحثان **البحث الاول** في حد البلاغة والفصاحة اما البلاغة فهي مصدر
قولك بلغ الرجل بالضم اذا صار بليغا وهو ان يبلغ بعبارته اقصى مراده بالفاظ من غير ايجاز مخل ولا تطويل
ممل واما الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد واصلها من الفصيح وهو اللبن اذا اخذت رغوته وذهب لباؤه
وقد فصح وافصح اذا صار كذلك وافصحت الشاة فصح لبنها ثم قالوا افصح العجمي فصاحة فهو فصيح اذا خلصت لغته عن
اللكنة واللحن ثم ان الفصاحة عند ارباب البلاغة ليست باستعمال الشوارد التي لا تفهم وانما هي باستعمال ما يقرب
فهمه ويعذب استماعه ويعجب ابتداعه ويدل مطالعه على مقاطعه ويتم بادية على تاليه ثم ان اكثر البلغاء لا يكادون
يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة
في المعاني والفصاحة في الالفاظ والاقرب ان الفصاحة سبب للبلاغة والبلاغة اعم منها اذ قد يبلغ غير الفصيح
بعبارته اقصى مراده ومساويته لها في عرف العلماء ونخص منهما ان الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على
معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه ولذاذة استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا لمتكلم الى اقصى
مراده وبالله التوفيق **البحث الثاني** في موضوع علم الفصاحة والبلاغة لما كان المقصود من الكلام هو افادة
المعنى وكانت هذه الافادة كما علمت قد تكون وضعية صرفة وقد تكون بمشاركة من الوضع والعقل فنقول موضوع
علم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه احدى الدلالات الثلاث من حيث هو على حالة موجبة لقرب فهمه ولذاذة استماعه
وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح وقال الامام ان الفصاحة والبلاغة انما يكون موضوعهما الكلام من جهة دلالته

بالالتزام

بالالتزام وذلك ان الافادة الوضعية يستحيل تطرق الزيادة والنقصان اليها فان السامع للفظ الموضوع ان كان
عالما بكونه موضوعا لمعناه علم مفهومه بتمامه وان لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا اما انك اذا اردت تشبيه
زيد بالاسد في الشجاعة وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الاسد في شجاعته فالزيادة
والنقصان في هذه الافادة بما يعود الى مفردات هذه الالفاظ غير متصورين ولو اقمت مقام هذه الالفاظ ما يرادفها
فالحال كذلك بالدليل المذكور وتبين من هذا ان الايجاز والاختصار والحذف والاضمار يستحيل تطرقها الى الدلالات
الوضعية ولهذا كان اكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم احتمالها الزيادة والنقصان الموجبين
للغلط والشبهة واما الافادة الاخرى فلاجل ان حاصلها يعود الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه
ثم ان اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وتارة تكون بعيدة فلاجرم صح تادية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح
في تلك الطرق ان يكون بعضها اكمل في افادة ذلك المعنى وبعضها انقص فهذا ما يتعلق بالفصاحة من جهة المفردات
واقول ان التحقيق يقتضي ان الزيادة والنقصان مما يتطرقان الى الافادة الوضعية ايضا فان الامام سلم ان
بعض الحروف افصح جرسا والذ سماعا كالعين وبعضها اسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل ولا شك
ان الكلام المركب من اسهل الحروف والذها سماعا افصح والذ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم ايضا ان
الافصح ادل على المعنى واسرع الى قبول النفس له مما لا يكون كذلك وليس يبقى العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لانا
الا ان قد يبقى علمه بوضع اللفظ ثم يذهل عنه فعند سماعه يجد نفسه مسارعة الى قبول المعنى من الافصح دون غيره
ومتلذذة بسماعه بسبب فصاحته ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها الا ما يحصل للنفس من اللذة بالمعنى والمسارعة
الى قبوله تماما من اللفظ الاسهل والله اعلم واما البلاغة العائدة الى النظم والتركيب فتحقيق القول فيها ان الكلام
المنظوم لانه مركب من المفردات والمفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده
ثم للتركيب المفيد مراتب كثيرة ولها طرفان ووسط فالطرف الاعلى هو ان يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع ان يوجد
ما هو اشد تناسبا واعتدالا منه في افادة ذلك المعنى والطرف الادنى هو ان يقع على وجه لو صار اخل تناسبا
منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى وبين هذين الطرفين مراتب واعتبار حسنها يقتضي الفصاحة في النظم وهذا
معنى قول عبد القاهر الجرجاني ان النظم عبارة عن توخي معاني النحو فيما بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما الطرف
الاعلى وما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات **الجملة الاولى** في المفردات
وفيها مقدمة وابواب **اما المقدمة** فاعلم ان للشيء في الوجود اربع مراتب الاول وجوده في الاعيان
الثاني وجوده في الذهن الثالث وجوده في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجوده في الكتابة الدالة على
ما في اللفظ ومزية الكلام في الحسن تارة يكون بسبب الكتابة وتارة يكون بسبب اللفظ من حيث هو لفظ وتارة
بسبب اللفظ من حيث دلالاته الوضعية وتارة بسببه من حيث دلالاته الالتزامية ولما كانت المحاسن
العائدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريا عن التكلف خاليا عن جهات
التعسف لاجرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه **الباب الاول** في المحاسن العائدة الى اللفظ
من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العائدة الى اللفظ اما ان يعود الى آحاد الحروف او الى حال تركيبها او الى الكلم

الادنى فليس من البلاغة في شيء واما
سائر المراتب فان كل واحد منها
اذا اعتبرت بالنسبة الى ما تحته يكون
مستلزما البلاغة والفصاحة
واما الطرف صح

الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين **الفصل الاول** فيما يتعلق بآحاد الحروف
وتركيبها وحال الكلمة وفيه ابحاث **البحث الاول** في مخارج الحروف وهي ستة عشر ا اقصى الحلق وهو مخرج
حروف الهمزة والالف والهاء ب وسط الحلق وهو مخرج لحرفين العين والحاء ج ادناه الى الفم وهو مخرج الغين
والخاء د اللسان فما فوقه من الحنك وهو مخرج القاف ه اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك
وهو مخرج الكاف و من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك وهو مخرج الجيم والشين والياء ز اول حافة
اللسان وما يليها من الاضراس وهو مخرج الضاد ح حافة اللسان من ادناها الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين
ما يليها من الحنك الاعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية وهو مخرج اللام ط من طرف اللسان
بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ى مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام هو مخرج
الرا يا فيما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الطاء والتاء والدال يب فيما بين طرف اللسان واطراف
الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد يج فيما بين طرف اللسان والطرف الادنى من الثنايا مخرج الظاء والثاء
والذال يد من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العلى مخرج الفاء يه ما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو
يو من الخياشيم مخرج النون الخفيفة قال الخليل الذلاقة في المنطق انما هي بطرف اسلة اللسان وذلق اللسان
تحديد طرفه كذلق السنان قال ولا ينطلق طرف شباة اللسان الا بثلثة احرف وهي الراء واللام والنون
فلذلك تسمى هذه حروف الذلاقة ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلثة الفاء والباء والميم قال ولما ذلقت هذه الحروف
وسهلت على اللسان في المنطق كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى عنها فان وردت
عليك كلمة خماسية او رباعية معراة عن حروف الذلاقة او عن الحروف الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة
ليست من كلام العرب وقال ايضا العين والقاف لا يدخلان في بناء الا حسناه لانهما اطلق الحروف اما العين
فانصع الحروف جرسا والذها سماعا واما القاف فامتن الحروف واصحها جرسا فاذا كانتا او احدهما في بناء
حسن البناء ولكن السين والدال في البناء اذا كان اسما فان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت
عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك قال وانما يحمل في البناء للينها وهشاشتها
ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان وهي كالشروط للفصاحة والبلاغة **البحث
الثاني** في المحاسن بسبب آحاد الحروف وشروط تركيبها اما الاول فمنها الحذف وهو ان يحترز عن حرف او
حرفين في الكلام اظهارا للمهارة في تلك اللغة كان واصل الثغ وكان يحترز عن الراء فجرب فيه انه كيف يعبر
عن قولنا اركب فرسك واطرح رمحك فقال في الحال الق قناتك واعل جوادك والحريري بلغ الغاية
حيث ذكر اشعارا حذف فيها الحروف المنقوطة واشعارا حذف فيها غير المنقوطة ومنها الاعنات وهو التزام
حرف قبل حرف الروي او الردف من غير ان يجب ذلك في السجع كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما
السائل فلا تنهر وقوله عليه السلم في مدح النبي يبلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا واما الثاني فشرط
ان يكون التركيب معتدلا فان من التركيب ما يكون متنافرا كقوله * وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب
قبر حرب قبر * وان يكون خفيفا فان منها ما يكون ثقيلا وان كان دون الاول كقول ابي تمام * كريم متى

امدحه والورى معي * واذا ما لمته لمته وحدي * ومنها ما يكون فيه بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ان يعاب والسبب
في ذلك قرب مخارج الحروف فيحتاج فيها الى حبس الصوت في زمانين متلاصقين فلا يظهر الحرف الاول
واما وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم العجمع وهذه الدرجات كالمترتب في جانب الثقل فهي موجودة في جانب
السلاسة حتى ان الكلمة تكون في غاية السلاسة **البحث الثالث** فيما يتعلق بالكلمة الواحدة وهو من وجوه الاول
ان يكون متوسطة في قلة الحروف وكثرتها فاما الحرف الواحد فلا يفيد واما المركبة من الحرفين فليس في غاية العذوبة
بل البالغ في ذلك الثلاثيات لاشتمالها على المبدأ والوسط والنهاية وعلته ان الصوت من عوارض الحركة والحركة
لا بد لها من هذه الثلثة فمتى ظهرت هذه الثلثة فيها كان الكلام اسهل جريانا على اللسان واما الرباعيات والخماسيات
فلا يخفى ثقلها الثاني رعاية الدرجات الثلث التي تتعلق بها كمال الصوت الثالث الاعتدال في حركات الكلمة فاذا
توالت خمس حركات كان ذلك في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا يحتملها الشعر واما اربع حركات فهي في غاية
الثقل ايضا بل المعتدل توالي حركتين بعدهما سكون وان كان ولا بد فالى ثلث حركات **الفصل الثاني** فيما يتعلق
بالكلمات المركبة وفيه نوعان **النوع الاول** ما يكون فيه اعتبار حال كلمتين وفيه اربعة ابحاث **البحث الاول**
في التجنيس المتجانسان ان كانا مفردين فان تساويا في نوع الحروف والحركات وعددها وهيأتها فهو التجنيس التام
كقولهم حديث حديث وكقول الحريري ولا ملا الراحة من استوطأ الراحة وان اختلفا في هيئة الحركة كقولهم جبة
البرد جنة البرد او في الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك او في التخفيف كقولهم الجاهل اما مفرط
واما مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص او في اعداد الحروف بان يتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيأتها
ثم تزيد في احدهما حرف ليس في الاخرى ويسمى المذيل فاما في اول الكلمة كقوله تعالى والتفت الساق بالساق
الى ربك يومئذ المساق او في وسطها كقولهم جبه كبه او في آخرها كقول بعضهم فلان سال من احزانه سالم من
زمانه وقول ابي تمام * يمدون من ايد عواص عواصم * تصول باسياف قواض قواضب * واما ان يختلفا
في انواع الحروف وقد يكون بحرف واحد وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمطرف وما به الاختلاف فقد
يكون في اول الكلمة كقولهم بيني وبينهم ليل دامس وطريق طامس او في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصني
ولكن خستني او في آخرها كقول النبي صلى الله عليه وآله الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين غير
متقاربين معا اما في اخر الكلمة كقوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او في وسطها كقوله تعالى وانه على ذلك
لشهيد وانه لحب الخير لشديد او فيهما كقول الحريري * لا اعطي زمامي من يخفر ذمامي * ثم المتجانسات اما
ان يكون بعضها في مقابلة البعض حال التسجيع وهو ظاهر او يضم بعضها الى بعض في اواخر الاسجاع ويسمى مزدوجا
ومكررا كقولهم النبيذ بغير نغم غم وبغير دسم سم وكقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج ومن التجنيس
ما يكون بالاشارة دون التصريح كقولهم حلقت لحية موسى باسمه * وهرون اذا ما قلبا * وقد يكون التجنيس
بحيث تجاذبه اصلان ويسمى المشوش كقولهم فلان مليح البلاغة كامل البراعة فلو اهملت عين الكلمتين كان
مصحفا ولو اعجمت لاما كان مضارعا واما ان كان المتجانسان مركبين فاما ان يكونا متشابهين خطا فقط
دون اللفظ ويسمى المصحف كقول الشاعر قصر ثيابك فانه ابقى واتقى وكقولهم غرك عزك فصار قصار

ذلك ذلك في خشن فاحش خشن خلك تهدا ابدا او لفظا فقط ويسمى المفروق كقوله * كلكم قد اخذ الجام ولا
جام لنا * ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا * او خطا فقط ويسمى المفروق كقوله * اذا لم يكن ملك ذاهبه * فدعه
فدولته ذاهبه البحث الثاني في الاشتقاق واما الاشتقاق فهو ان ياتي بالفاظ تجمعها اصل واحد في
اللغة كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وقول النبي عم الظلم ظلمات يوم القيمة وقول الشاعر جاهل خياط
جلات عاشق ركاب عشوات واما ما يشبه المشتق كقوله تعالى وجنا الجنتين دان قال اني لعملكم من
القالين البحث الثالث في رد العجز على الصدر ورسمه انه كل كلام وجد في نصفه الاخير لفظ يشبه لفظا موجودا
في نصفه الاول وله عدة اقسام الاول ان يتفق لفظا الصدر والعجز صورة ومعنى ويكونان طرفين الاول
في اول الكلام والثاني في آخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم القتل انفى للقتل وكقول القائل * سكران
سكر هوى وسكر مدامة * انى يفيق فتى به سكران الثاني ان يتفقا صورة لا معنى وهما طرفان كقوله *
يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار الثالث بالعكس ويكونان طرفين ايضا كقول عمرو بن ابي
ربيعه * واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد الرابع ان يتقاربا في الاشتقاق لا في الصورة
وهما طرفان ايضا كقول السري * ضرائب ابدعتها في السماح * فلسنا نرى لك فيها ضريبا الخامس ان
يتفقا صورة ومعنى ويكون احدهما حشوا في صدر البيت والآخر طرفا في عجزه كقول ابي تمام * ولم يحفظ
مضاع المجد شيء * من الاشياء كالمال المضاع السادس ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول بعضهم *
لا كان انسان تيمم صائدا * صيد المها فصطاده انسانها السابع ان يتفقا كذلك ويتقاربا معنى لا صورة
كقول امرئ القيس * اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شيء سواه بخزان الثامن ان يتفقا طرفين في
آخر الصدر والعجز ويتفقا صورة ومعنى كقول ابي تمام * ومن كان بالبيض الكواعب مغرما * فما زلت
بالبيض القواضب مغرما التاسع ان يتفقا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري * فمشغوف بآيات
المثاني * ومفتون برنات المثاني العاشر ان يتفقا كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة
كقول البحتري * فعلك ان سئلت لنا مطيع * وقولك ان سالت لنا مطاع الحادي عشر ان يتفقا في شبه
الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى كقول الحريري * ومضطلع بتلخيص المعاني * ومطلع الى تلخيص عاني
الثاني عشر ان يقع احدهما في اول العجز والثاني في آخره كقول الحماسي * وان لم يكن الا معرج ساعة * قليلا
فاني نافع لي قليلها الثالث عشر ان يتفقا ويتقاربا في الاشتقاق دون الصورة كقول ابي تمام * ثوى
بالثرى من كان يحيى به الورى * ويغمر صرف الدهر نائله الغمر * ووراء هذه اقسام اخر لهذا النوع
وفيما ذكرناه كفاية البحث الرابع في القلب وهو اما في كلمة او كلمات والاول فاما ان يتقدم كل واحد
من حروفها عما كان متاخرا عنه ويسمى مقلوب الكل كالفتح والحتف في قوله * حسامك فيه للاحباب فتح
ورمحك فيه للاعداء حتف * ثم ان وقع مثل هذا بين الكلمتين في طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقوله * ساق
هذا الشاعر الحين الي من قبله قاسي * ساقي القوم فاتهم علينا جل رايي * او يكون بعض حروفها كذلك فيسمى
مقلوب البعض كقوله عليه السلام اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واما في الكلمات بحيث يكون قرائتها اولها

كقراتها

كقراتها من آخرها كقول الحريري * اس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرء اسا النوع الثاني ما يحتاج الى ازيد من
كلمتين وفيه ابحاث البحث الثاني في السجع وهو ثلثة اقسام احدها يسمى المتوازي وهو ان يتساوى الكلمتان في عدد
الحروف ونوع الحرف الاخير كقول بعضهم كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق وكقولهم في اهل البصرة عندكم
شقاق وعندكم نفاق وما فيكم رفاق الثاني المطرف وهو ان يختلفا في العدد ويتفقا في الحرف الاخير كقوله عم
لا صدع الله اجماعها ولا رم صدعها وبين ازواجها الثالث المتوازن وهو ان يتفقا في عدد الحروف ولا
يتفقا في الحرف الاخير كقول بعضهم الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافئ الافضال ويعرف المتكلف من السجع بامرين
احدهما ان يكون الحرف الاخير انما يحتاج اليه لتقفيته لا لمعنى والثاني ان يترك معناه الاول لاجل التقفية البحث الثاني
في تضمين المزدوج وهو ان يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في اثناء القرائن بين لفظين متشابهين في الوزن والروي
كقوله تعالى وجئتك من سبا بنبا يقين وقوله صلى الله عليه وآله المؤمنون هينون لينون وكقول بعضهم كثرة الوفاق
نفاق البحث الثالث في الترصيع وهو ان يتساوى اوزان الالفاظ ويتفق اعجازها كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم وقول بعضهم علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل وقوله
في صفة الدنيا اولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب وقد يجيء مع التجنيس كقوله في كتب الله
حتى لا تهدم اركانه وعز لا تهرم اعوانه الباب الثالث فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية واعلم
ان البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع الى اشتراط اربعة امور الاول ان يكون الكلمة عربية غير مولدة
ولا صادرة عن خطأ العامة الثاني ان يكون اجرى على مقاييس العرب وقوانينها الثالث [illegible]
الرابع الاحتراز عن الالفاظ الغريبة الوحشية ولذلك كانت في الكتاب العزيز نادرة واما الكلام
في الدلالة المعنوية فاعلم انه لما كانت الالفاظ المفردة لا تستعمل لافادة مدلولاتها الا عند التركيب
وكان الاصل في اصناف التراكيب هو الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة ويظهر فيه الاسرار العجيبة من
علم المعاني والبيان رأينا ان نشير الى قدر من مباحثه قبل الخوض في ساير الاقسام وقد رتبنا هذا الباب على
فصول الفصل الاول في احكام الخبر وفيه ابحاث البحث الاول في رسم الخبر وقد رسم بانه القول الذي يقال لقائله
انه صادق فيما قاله او كاذب واورد الامام فخر الدين عليه شكا فقال الصدق والكذب لا يمكن تعريفهما الا بالخبر
اذ يقال في الصدق انه الخبر المطابق وفي الكذب انه الخبر الغير المطابق فتعريف الخبر بهما دور واجاب افضل
المتاخرين نصير الدين الطوسي اثابه الله عنه فقال الحق ان الصدق والكذب من الاعراض الذاتية للخبر فتعريفه بهما
رسمي او رد تعريف الاسم وتعيينا لمعناه من بين ساير المركبات ولا يكون ذلك دورا لان الشيء الواضح بحسب
ماهيته ربما يكون ملتبسا في بعض المواضع بغيره ويكون ما يشتمل عليه من اعراضه الذاتية الغنية عن التعريف
او غيرها مما يجري مجراها عاريا عن الالتباس فايراده في الاشارة الى تعيين ذلك الشيء انما يخصصه ويجرده
عن الالتباس وانما يكون دورا لو كانت تلك الاعراض ايضا مفتقرة الى البيان بذلك الشيء وههنا انما يحتاج
الى تعيين صنف واحد من اصناف المركبات فيه اشتباه ثم لم يتعين بعد وليس في الصدق والكذب
اشتباه فيمكننا ان نقول انا نعني بالخبر التركيب الذي يشتمل حد الصدق والكذب عليه كالموضوع اشتباه

في معنى الحيوان فيمكننا ان نقول انا نعني به ما يقع في تعريف الانسان موقع الجنس ولا يكون دورا وقيل في تعريفها ايضا انه
القول المقتضي بصريحه اسناد امر الى امر بالنفي او الاثبات واما تسمية النحاة احد جزئي الخبر خبرا فمجاز **البحث الثاني**
انه ليس الغرض الاول من وضع الالفاظ المفردة ان تفيد مسمياتها المفردة وبيان ذلك ان افادتها اما موقوفة
على العلم بكونها موضوعة لها وهو مستلزم العلم بها قبل الوضع فلو توقف افادتها لها على الوضع لزم الدور وانه محال
بل الغرض الاول منها تمكن الانسان من تفهيم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة
لا يقال ما ذكرتموه قائم بعينه في المركبات لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك الالفاظ موضوعة
لتلك المعاني فلو استفدنا العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نسلم ان الالفاظ المركبة
لا يفيد مدلولها الا عند العلم بكون الالفاظ المركبة موضوعة له وبيان ذلك انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ
المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة فاذا توالت الالفاظ المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت
المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها الى بعض استلزاما عقليا وذلك هو التركيب فظهر ان
استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون الالفاظ المركبة موضوعة لها وبالله التوفيق **البحث الثالث**
في الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار بالفعل قد عرفت ان الفعل مشعر بالزمان المعين دون الاسم
فلذلك ظهر الفرق بين الاخبار به والاخبار بالاسم فانك اذا قصدت بالاخبار الاثبات المطلق غير المشعر
بالزمان وجب ان تخبر بالاسم كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات البسط
لذراعي الكلب فاما تعريف زمان ذلك فغير مقصود فاما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح
له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض فان تمام المقصود انما يحصل بكونه
معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه معطيا **البحث الرابع** في حكم المبتدأ والخبر متى اجتمعت الذات والصفة
فالذات اولى بالمبتدائية والصفة اولى بالخبرية ثم اما ان يكون الامر في اللفظ كذلك او بالعكس والاول
اما ان لا يدخل لام التعريف في الخبر كقولك زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير
ان يفيد دوام ذلك الثبوت او انقطاعه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق او زيد هو المنطلق
فاللام في الخبر يفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق
معين ولكن لا تعلم ان المنطلق زيد او عمرو فاذا قلت زيد المنطلق عينت ان صاحب ذلك الانطلاق
هو زيد فقد انحصر ذلك الانطلاق في زيد واما لتعريف الطبيعة فيفهم منه وصف الحصر ثم هو الحصر ان لم يمكن
ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تقطع باهدار غيره والا حمل الكلام على المبالغة كقولك
زيد هو العالم وهو الشجاع لا تدع حصر الحقيقة فيه واما اذا عكس واخرت الذات عن الصفة كقولك المنطلق
زيد فذلك انما يقال اذا اعتقد معتقد ان انسانا انطلق ولكن لا يعلم شخصه فيقال له المنطلق زيد اي الذي
تعتقد انطلاقه هو زيد ثم الضابط ان الاخبار يجب ان يكون عما يعرف بما لا يعرف له **الفصل الثاني**
في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث **البحث الاول** في معنى الحقيقة والمجاز وحدهما الحقيقة فعيلة بمعنى مفعول من الحق
وهو الثابت وسمي ما خالف المجاز حقيقة لانه ثبت معلوم الدلالة والمجاز مفعل من جازه يجوزه اذا تعداه

واذا

واذا عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز بمعنى ان الذهن انتقل من لفظه الى معنى غير معناه فصار موضع
الانتقال والمجاوزة واما حد الحقيقة فاما في المفردات فهي كل كلمة افيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي
وقع التخاطب به ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية واما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم
المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقة كقولك خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفرد فهو
ما افيد به معنى غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل
في ذلك المجاز اللغوي والعرفي والشرعي واما في الجمل فكل جملة خرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب
من التأويل فهو مجاز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **البحث الثاني** فيما به يتحقق المجاز لا بد فيه من امرين
احدهما ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا لبقي حقيقة الثاني ان يكون ذلك النقل لمناسبة
بين المعنيين والا لكان في الثاني مرتجلا وبهذا يظهر الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك
لان المبطل اذا اخرج الحكم عن موضعه واعطاه غير المستحق لم يعرف انه انما اعطاه لكونه فرعا لاصل بل يجزم بان
ثبوت الحكم في ذلك الموضع ثبوت اصلي وكذلك الكاذب يدعي ان الامر على ما وضعه وليس هو من التأويل في
شيء والمجاز لم يكن مجازا الا لانه اثبات الحكم لما لا يستحقه لمناسبة بينه وبين المستحق **البحث الثالث** في
اقسام المجاز اما ان يقع في اللفظ المفرد فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال الاول اطلاق لفظ
الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني فهو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضوعه
الاصلي لكن التركيب لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وقول الشاعر
اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي وهذا المجاز عقلي لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة
الى كر الغداة ومر العشي حكم عقلي حصل بعد الفاعل الحقيقي وهو الله سبحانه الى غير من هو له وهو الارض وكر الغداة
ومر العشي مثال الثالث كقولك احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي الاحياء والاكتحال مفردان استعملا
في غير موضوعيهما الاصلي ثم نسب الاحياء الى الاكتحال مع عدم المطابقة لما في نفس الامر وهذا التلخيص
لعبد القاهر النحوي رحمه الله **البحث الرابع** في اصناف المجاز والذي ذكره الامام فخر الدين منها اثنا عشر صنفا
ا اطلاق اسم السبب على المسبب والاسباب اربعة احدها الفاعلي كاطلاق اسم النظر الذي هو تقليب
الحدقة نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رايته الثاني الغائي كتسميتهم العنب بالخمر الثالث الصوري
كتسميتهم القدرة يدا الرابع القابلي كقولهم سال الوادي **ب** اطلاق اسم المسبب على السبب كتسميتهم المرض
الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين المسبب المعين من غير عكس واولى الاسباب
بذلك هو السبب الغائي لحصول علاقتي العلية والمعلولية بين كل واحد منهما علة لحسن المجاز فيه دون باقي
الاسباب **ج** اطلاق اسم الشيء على ما يشابهه كاطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجيء
بيانها **د** تسمية الشيء باسم ضده كتسمية العقاب بسبب الجرم بالجزاء المختص بمقابلة الاحسان بمثله **ه** تسمية الجزء
باسم الكل كاطلاق لفظ العام على الخاص **و** العكس كاطلاق لفظ الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى
لاستلزام الكل الجزء من غير عكس **ز** اطلاق ما بالفعل على ما بالقوة كتسمية الخمر في الدن مسكرا وهو قريب من

السبب الفاعلي على سببه ح اطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه كاطلاق لفظ ضارب على من فرغ من
الضرب وقد عرفت ان ذلك هل هو مجاز ام حقيقة ط اطلاق اسم المجاور على مجاوره كاطلاق لفظ الراوية
وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة ى اطلاق اسم الحقيقة العرفية كالدابة للفرس على الحمار وغيره مجازا
عرفيا يا المجاز بسبب النقصان والزيادة قال الامام والحق ان الكلمة كما انها توصف بالمجاز لنقلها عن معناها
فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هي بحقيقة فيه كقوله تعالى واسئل القرية والتقدير واسئل
اهل القرية والذي يستحقه في الاصل الجر والنصب فيها مجاز وفيه نظر لان الاعراب لا يراعى فيه صدق
النسبة وكذبها والمطابقة وعدمها فانك لو قلت لمست السماء كان السماء مفعولا به للفعل المتقدم ويستحق
النصب حقيقة فكذلك القرية هنا تستحق النصب حقيقة بالمفعولية اما ان النسبة في نفسها صادقة ام لا فذلك
بحث آخر بل الحق انه مجاز في التركيب والنسبة فان نسبة السؤال الى اهل القرية حقيقة فيكون اليها مجازا
وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق ما قاله الامام واما المجاز بسبب الزيادة فالحق
ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي يتم بدونها ولا يحتاج فيه اليها كقوله تعالى ليس كمثله شيء فالمجاز
حاصل في النسبة اذ كانت نسبة النفي الى من ليس له وان لم تغير كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لم يتصور
المجاز فيها يب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور قدرة البحث الخامس المجاز بالذات
لا يدخل الا على اسماء الاجناس وبيانه اما الحرف فلان معناه في غيره فان ضم الى حقيقة فهو حقيقة او الى مجاز
كان مجازا في التركيب فلم يدخله بالذات واما الفعل فلان معناه مركب من المصدر وغيره فما لم يكن المصدر
متجوزا به لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيه بالعرض واما الاسم فاما علم ولا يدخله المجاز لانه مشروط
بالعلاقة بين الاصل والفرع وليست موجودة في الاعلام او مشتق ومعلوم انه لولا تطرق المجاز الى
المشتق منه لم يتطرق الى المشتق فلم يبق الا اسماء الاجناس البحث السادس في الداعي الى التكلم بالمجاز العدول
الى المجاز اما لاجل اللفظ او المعنى او لهما اما الاول فاما لاجل جوهر اللفظ او لاحوال عارضة له اما الاول
فان يكون اللفظ الدال بالحقيقة ثقيلا على اللسان اما لثقل اجزائه او تنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون
المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا للشعر او السجع واصناف البديع دون الحقيقة واما الذي
لاجل المعنى فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس في الحقيقة كما يقال سلام على المجلس السامي او التحقير كيكون فيها
كما يعبر بالغائط عن قضاء الحاجة او لزيادة بيان اما تقوية لحال المذكور كقولك رايت اسدا لا انسانا
الشجاع فانه اتم من قولك رايت انسانا يشبه الاسد في الشجاعة او تقوية لحال الذكر وهو المجاز الذي
يذكر للتاكيد او لتلطيف الكلام قال الامام وتقريره ان النفس اذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام
المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل الحاصل محال وان لم تقف على شيء منه اصلا لم يحصل لها ايضا
اليه شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون البعض فان القدر المعلوم يشوقها الى غير المعلوم
فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي الم فيحصل هناك تعاقب الالام واللذات
واللذة اذا حصلت عقيب الالم كانت اقوى وشعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن

الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة حصل تمام العلم به فلا تحصل اللذة القوية اما اذا عبر عنه بلوازمه الخارجة
عرفت لا على سبيل الكمال فتحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية مثال هذا انك اذا قلت رايت
انسانا يشبه الاسد في الشجاعة فقد حصلت المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم يحصل من اللذة ما يحصل من
قولك رايت اسدا في يده سيف فان الذهن هنا يتصور من لفظ الاسد معناه ولوازمه التي كالشجاعة
ثم يشتغل بسبب القرينة الى ملاحظة وجه الشبه في الانسان الذي هو الشجاعة فذلك الاشتغال هو محل اللذة والدغدغة
النفسانية البحث السابع فيما ينفصل به الحقيقة عن المجاز انه اما ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص
فمن وجوه احدها ان يقول الواضع هذا حقيقة وذاك مجاز وثانيها ان يذكر واحدا منهما وثالثها ان يذكر
خواصهما واما الاستدلال فالحقيقة تعرف من وجوه احدها ان يسبق المعنى من ذلك اللفظ الى فهم بعض السامعين
من اهل تلك اللغة فيحكم بانه حقيقة فيه اذ لولا اضطراره الى فهم ذلك المعنى من قصد الواضعين لما فهمه دون غيره
وثانيها ان اهل اللغة اذا ارادوا افهام غيرهم معنى اقتصروا على عبارات مخصوصة واذا قصدوا بالتعبير
الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات اخرى وقرنوا بها قرائن فيعلم ان الاول حقيقة اذ لولا انه استقر في
قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا عليه واما المجاز فيعرف اما اولا فمن عكوس
ما ذكرنا في تعريف الحقيقة واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت بما يستحيل تعلقها به علم انها في اصل اللغة غير
موضوعة له فيعلم انها مجاز فيه كقوله تعالى واسئل القرية واما ثالثا فان يعلم ان الواضع وضع لفظا لمعنى
ثم استعمل في بعض موارده ثم استعمل بعد ذلك في غير ذلك الشيء كلفظ الدابة الذي وضع لكل
ما يدب ثم خص بالفرس فصار حقيقة عرفية ثم استعمل بعد ذلك في الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان
يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقة عرفية ايضا الفصل الثالث في التشبيه وفيه اربعة اركان الركن الاول
في المشبه والمشبه به اعلم انهما اما محسوسان او معقولان او المشبه به محسوس والمشبه معقول او بالعكس اما الاول
فكقوله عليه السلام لاهل البصرة كانه بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينة وقوله عليه السلام في وصف الاتراك كاني اراهم قوما
كان وجوههم المجان المطرقة واما الثاني فكقوله عليه السلام كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب
المتداعية فان المشبه هنا هو مداراته ومداراة اهل البكار لها والمداراة معنى اضافي معقول
وما به المشابهة هو الصعوبة هنا كالصعوبة هناك واما الثالث فكقوله عليه السلام في حق مروان اما ان له
امرة كلعقة الكلب انفه فان الامرة حالة معقولة شبهت بلعقة الكلب انفه في السرعة وهي المحسوس
وقوله عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وكقوله كانك يا كوفة تمدين مد الاديم
العكاظي واما الرابع فكقول الشاعر كان انتضاض البدر من تحت غيمه نجاة من الباس بعد وعيد وكقول
الصاحب بن عباد وقد اهدى عطرا الى القاضي ابي الحسن اهديت عطرا مثل ثنائه فكانما اهدي
له اخلاقه وقد منع الامام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على ان العلوم العقلية مستفادة
من الحواس فكان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وهو محال
وهذا سهو فان الحواس وان كانت طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق له سلمناه لكن الممتنع انما هو جعل

الفرع اصلا من جهة ما هو فرع لذلك الاصل لا مطلقا وهنا ليس كذلك فان المعقول فرع المحسوس من جهة انه
مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة لكنه لا يمتنع ان يكون فرعا من تلك الجهة ومع ذلك يكون
اصلا له في التشبيه والملاحظات الذهنية **الركن الثالث** فيما به التشبيه وفيه ابحاث **البحث الاول**
في اقسامه انه اما ان يكون صفة حقيقية او اضافية والاول اما كيفية جسمانية او نفسانية والاول اما كيفية محسوسة
احساسا اوليا او ثانيا والاول اما ان يحس بالبصر كتشبيه الخد بالورد في الحمرة وتشبيه الوجه بالنهار
والشعر بالليل او يحس بالسمع كتشبيه اطيط الرحل باصوات الفراريج وكتشبيه الصوت المنكر بصوت
الحمار او يحس بالذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر او يحس بالشم كتشبيه بعض الرياحين
بالمسك والكافور او يحس باللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوسة ثانيا فهي الاشكال
والمقادير والحركات والاشكال اما مستقيمة او مستديرة مثال التشبيه في الاستقامة تشبيه الرجل المعتدل
القامة بالرمح ومثال التشبيه في الاستدارة تشبيه المستدير بالكرة تارة وبالحلقة اخرى ومثال التشبيه
في المقادير تشبيه عظيم الجثة بالجبل والفيل ومثاله في الحركة تشبيه السريع بالسهم واما الاشتراك في كيفية
جسمانية غير محسوسة فكما يقال فلان كالحمار اي في بلادته او شبقه وهو كالنمر اي في غضبه واما في الكيفية
النفسانية فكالاشتراك في الغرائز والاخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء والفطنة والعلم والزهد
كقولك هو كحاتم اي في جوده وكعمرو بن معدي كرب في شجاعته واما الاشتراك في الحالة الاضافية فكقولهم
هذه الحجة كالشمس فالاشتراك هنا في الجلاء بالنسبة الى البصر والفهم وهي حالة اضافية وقد يكون جلية كما ذكرنا
وكقولهم الفاظ فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة وذلك انه اذا لم تتنافر حروفه بل خفت
على اللسان ولم يكن غريبا وحشيا ارتاح له القلب فلرقته وصوله الى النفس صار كالماء الذي يسرع نفوذه
الى الحلق والنسيم الذي يسري في البدن وقد يكون خفية كقول من ذكر بني المهلب هم كالحلقة المفرغة
لا يدرى اين طرفاها الا ترى انه لا يفهم المقصود من ذلك الا من كان له ذهن يرتفع عن درجة العامة **البحث الثاني**
في تقسيم بوجه آخر انه قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا فالاول كما اذا خطرت ببالك استدارة الشمس
واستنارتها فانه يخطر ببالك المرآة المجلوة وتلاحظ الشبه بينهما وكذلك اذا نظرت الى الوشي المنشور
لاح لك في تشبيه الروض الممطور المنفطر عن ازهاره واما الغريب البعيد فهو الذي يحتاج في ادراكه الى
دقة نظر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق كقول كشاجم * ارقت
ام نمت لضوء بارق * مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق * كانه اصبع كف السارق * ثم السبب في القرب والبعد
امران احدهما ان الحس لا يعطي التمييز بين جهتي الاشتراك والاختلاف وانما يدرك المركب من حيث هو شيء
واحد واما التفصيل والتمييز فذاك حظ العقل وايضا فشعور الحس بالاجمال اقدم من شعوره بالتفصيل
فان المرئي في اول النظر اليه لا يدرك البصر تفاصيله حتى يتكرر وكذلك المسموع فانك تفتقر في اعادة الصوت
على ما لم تقف عليه بالسماع الاول وبادراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع وسامع واذا كان ادراك
الجملة قبل ادراك التفصيل وكان ادراك التفصيل محتاجا الى الكد والطلب كان ادراك الجملة اسهل واقرب

من ادراك

من ادراك التفصيل **البحث الثالث** في بيان ان التشبيه بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي اما تشبيه
المحسوس بالمحسوس فيمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن ان يكون لاجل الاشتراك
في وجه معقول ويمكن ان يكون لاجلهما جميعا مثال الاول تشبيه الخد بالورد مثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم اياكم
وخضراء الدمن فالتشبيه ماخوذ للمرأة من النبات وهما محسوسان ولكن وجه المشابهة هو مقارنة الحسن
الظاهر للقبح الباطن وهو امر عقلي ومثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما
في النباهة التي هي امر عقلي وفي الضياء الذي هو امر حسي واما تشبيه المعقول بالمعقول والمعقول بالمحسوس
والمحسوس بالمعقول فيمتنع ان يكون وجه المشابهة غير عقلي لان وجه المشابهة مشترك بين الشيئين فلو كان
محسوسا لم يصح وصف المعقول به واما العقلي فيصح لصحة ان يصدر عما لا يكون محسوسا عن محسوس فثبت ان التشبيه
بالوجه المعقول اعم **البحث الرابع** التشبيه بالوصف المحسوس اتم من التشبيه بالوصف المعقول لوجوه
احدها ان اكثر الغرض في التشبيه التخييل الذي يقوم مقام التصديق في الترغيب والترهيب والخيال اقوى
على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الامور الاضافية الثاني ان الاشتراك في نفس الصفة اسبق من الاشتراك
في مقتضاها لان الصفة في نفسها متقدمة في التصور على مقتضاها فكانت الصفة المحسوسة اتم في التشبيه من الامر
المعقول **البحث الخامس** في تقسيم ما به المشابهة الى المفرد والمركب المشابهة اما ان يكون في امر واحد او
في امور كثيرة والاول اما ان لا يكون مقيدا بالنسبة الى شيء او يكون فالاول كتشبيه الكلام بالعسل في ان
كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة واما الثاني فما اليه الانتساب اربعة امور اما المفعول به
كقولهم اخذ القوس باريها لان المقصود وقوع الاخذ في موضعه ووجوده من اهله وهذا لا يحصل من الاخذ
المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من باري القوس عليه واما الى ما يجري مجرى المفعول به وهو
الجار والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه ليس بمنتزع من الرقم المطلق بل منه
على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي ليس له بعير اي الحادي حال ما لا يكون له بعير واما الى المفعول به والجار
والمجرور معا كقولهم هو كمن يجمع السيفين في غمد وهو كمن يبتغي الجوز على القبة فالجمع المعدى الى السيفين
يكفي في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما في الغمد ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا فانه تضمن التشبيه
من اليهود لا مرجع الى حقيقة الحمل المطلق بل لامرين آخرين احدهما تعديته الى الاسفار والآخر اقتران
الجهل بها فبان ان الغرض توجيه الذم الى من اتعب نفسه بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لم ينتفع به لجهله وهذا المعنى
لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الآخرين ثم اذا كان ما به المشابهة وصفا مقيدا فقد يمكن افراد
احد جزئيه بالذكر وقد لا يمكن اما الاول فكقوله * وكان اجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط ازرق
فانك لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا وان تغير الحسن المراد للقائل
اذ مقصوده من التشبيه هنا ذكر الامور العجيبة من طلوع النجوم مؤتلفة مفترقة في اديم السماء وهي زرقاء
زرقتها الصافية والنجوم تتلألأ في تلك الزرقة ومعلوم ان هذا المقصود لا يبقى اذا فرق التشبيه واما الثاني
فكقوله * كانما المريخ والمشتري * قدامه في شامخ الرفعة * منصرف بالليل عن دعوة * قد اسرجت قدامه الشمعة

فلو قلت كان المريخ منصرف عنه دعوة وترك حديث المشتري والشمس كان خلفا من القول اذ التشبيه بالمريخ
حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشتري له فاذن لا يكفي افراده بالذكر البحث السادس في التشبيهات المتعددة
المجتمعة انما يكون الامر كذلك اذا كان التشبيه من امور كثيرة لا تتقيد بعضها ببعض وقد يكون تشبيهات ضم
بعضها الى بعض لاغراض كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه ولهذا النوع خاصيتان الاولى انه لا يجب فيها الترتيب
فانك لو قلت زيد كالاسد باسا والبحر جودا والسيف مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك ان تحفظ في هذه
التشبيهات نظاما مخصوصا الثانية اذا اسقط البعض فانه لا يتغير حال الباقي كقولهم هو يصفو ويكدر ويحلو
ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لكان المعنى في تشبيه بالماء الصافي والعسل في الحلاوة باقيا
البحث السابع يجب مراعاة جهة التشبيه ولا يجوز تعديها والا وقع الخطأ مثاله ما قيل النحو في الكلام كالملح
في الطعام فان جهة التشبيه هنا هي الاصلاح والمقصود ان الطعام كما لا يصلح الا بالملح كذلك الكلام لا يصلح
الا بالنحو فاما ما ظنه بعضهم ان المقصود هو ان القليل من النحو مغن والكثير مفسد كما ان القليل من الملح مغن
والكثير مفسد فهو ظن فاسد لان النحو علم بمجموع قوانين مضبوطة يمتنع تطرق الزيادة والنقصان اليها فانها
في الكلام كقولك كان زيد قايما فانه لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر فان وجد او جد النحو من غير زيادة ولا
نقصان وان لم يحصل عدم النحو فلا زيادة ولا نقصان اذن البحث الثامن في اكتساب وجه الشبه
الطريق اليه يتميز ما به المشابهة عما به الافتراق مثلا من اراد تشبيه شي بشي في هيئة الحركة وجب ان يطلب الوفاق
بين الهيئة والهيئة مجردة عن الجسم وساير ما فيه من الاعراض كما فعل ابن المعتز في قوله وكأن البرق مصحف قار
فانطباقا مرة وانفتاحا فلم ينظر في جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي تجدها العين من انبساط
يعقبه انقباض ثم طلب من اصناف الحركات لينظر اينها اشبه بها فاصاب ذلك فيما يفعله القاري باوراق
المصحف من فتحها مرة وطبقها اخرى ولم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك
الوجه ولاجل اجتماع الامرين اعني الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسنا ومما يناسب ذلك في كونه جامعا
بين المختلفين محاولات عن جعل الشي سببا لضده كقوله اعتقني سوء ما صنعت من الرق فيا بردها على كبدي
فصرت عبدا للسوء فيك وما احسن سوء قبلي الى احد الركن الثالث في غرض التشبيه انه اما ان يكون عائدا
الى المشبه او الى المشبه به اما الاول فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول وقد لا يكون اما الاول فاما ان يقصد
بيان امكانه عند ما لا يكون بينا فيحتاج الى التشبيه لبيانه كقوله فان تفق الانام وانت منهم فان المسك
بعض دم الغزال فان مقصوده ان يقول ان الممدوح فاق الانام حتى لم يبق بينهم وبينه مشابهة بل صار اصلا
بنفسه ولما كان هذا في الظاهر كالممتنع اذ يبعد ان يتناهى انسان في الفضايل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه
بان المسك وان كان بعض دم الغزال في اصله فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى صار لا يعد دما واما ان يقصد
بيان مقداره كقولك للشي الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار السواد
في الحلوكة لا امكان وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين احدها
نقل النفس من الغريب الى القريب لان الف النفس مع الحسيات اتم من الفها مع العقليات فتاخر كثير

من العلوم

من العلوم العقلية عن الحسية فاذا ذكرت المعنى العقلي الخفي ثم عقبته بالتمثيل الحسي فقد نقلت النفس من الغريب
الى القريب الثاني ان يقصد المبالغة بين الشيئين لان الشي كلما يكون اغرب فيكون اعجاب النفس في ذلك
التشبيه اكثر لان شغف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر من المالوف المعتاد واما الاغراض العايدة الى المشبه به
فقد يقصد المادح بطريق التخييل ان توهم في الشي القاصر عن نظيره انه زايد عليه ويشبه الزايد بذلك الناقص
ويقصد به اعلاء شان ذلك الناقص اي هو بالغ الى حيث صار اصلا للشي الكامل في ذلك الامر كقوله
وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح الا ترى انه جعل وجه الخليفة اعرف واتم واشهر في النور
والضياء من الصباح حتى شبه الصباح وقد يقصد الذام عكس ذلك الركن الرابع في التشبيه نفسه وفيه ابحاث
البحث الاول التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ مخصوصة كالكاف وكأن
ونحو ومثل يدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة عليه كان حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد لم يكن
نقلا للفظ عن موضوعه الاصلي فلا يكون مجازا البحث الثاني في التشبيه الذي يصح عكسه والذي لا يصح قد
يكون الغرض من التشبيه الحاق الناقص بالزايد مبالغة في اثبات الحكم للناقص كما اذا شبهت شيئا اسود
بخافية الغراب او وجها حسن البياض والصورة بالبدر والشمس ومثل هذا يمتنع العكس فيه لان تنزيل
الزايد منزلة الناقص ينافي المبالغة الاولى وقد يكون المقصود الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة او الشكل
او اللون كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل ظهور بياض في سواد مع كون البياض
قليلا بالاضافة الى السواد والعكس ح جايز كما لو شبهت غرة الفرس بالصبح البحث الثالث في التشبيه
الواقع في الهيئات انه قد يقع في الهيئات التي تقع عليها الحركات وقد يقع في الهيئات التي تقع عليها السكنات
اما الاول فعلى وجهين احدهما ان يقرن الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز
والشمس كالمرآة في كف الاشل اراد ان لها مع الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها اذا امعنت التامل
وذلك ان للشمس حركة دايمة متصلة ولنورها بسبب ذلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان يكون المرآة
في كف الاشل لدوام حركته فيتموج بسببه نور المرآة وتلك حال الشمس وثانيهما ان يكون التشبيه في هيئة
الحركة مجردة من كل وصف يقارنها مثاله قول الاعشى يصف السفينة وتلعب الامواج بها تقص السفين بجانبيه كما
ينزو الرباح خلاله الكرع والرباح القرد في لغة اهل اليمن واصله تشديد الباء فخففه وقيل اراد الرباح
وهو الفصيل فاشبع فتحة الباء فحدثت الالف والكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها
بحركات القرد اذا نزا في الماء فانه يكون له حركات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب بحيث
اشبه شي بحركات السفينة حين يتداولها الموج واما التشبيه الواقع في الهيئات التي تقع عليها السكنات
فكقول الاخطل في صفة المصلوب كأنه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل او قائم من نعاس
فيه لوثته مواصل لتمطيه من الكسل فلطف بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه متمط من نعاس واقتصر
عليه لكان قريب التناول لان هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الرائي للمصلوب لكونه من باب الجملة
واما التفصيل الذي قيده باستدامة تلك الهيئة فلا يحصل الا مع التامل لحاجته الى ان ينظر الى احوال المتمطي

من ترطبه ويده ويزيد على ذلك النظر الى استدامته لذلك والى علته وهي قيام الروية والكسل في القيام من النعاس
وفي الاصل فيجاريا والتفصيل وهو ان يثبت في الوصف امر زايد على المعلوم المتعارف ثم يطلب علته **البحث الرابع**
في مراتب التشبيه في الخفاء والظهور التشبيه قد يكون بالمتخيل الذي لا وجود له في الاعيان كتشبيه الشقائق باعلام
ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وقد يكون بما له وجود في الاعيان ثم فالهيئة المعتبرة في ذلك اما ان توجد
قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قابلت بين قوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق
وبين قول ذي الرمة كانها فضة قد مسها ذهب عرفت ان الاول اغرب من الثاني لان الهيئة الاولى وهي
وجود درر منثور على بساط ازرق اقل وقوعا من فضة اجري عليها الذهب وكلما كان الشي عن الوقوع ابعد كان
اغرب فكان التشبيه به الذ واعجب **البحث الخامس** في التمثيل والمثل هو ضرب من التشبيه المنتزع من اجتماع امور
يتقيد بعضها ببعض باسم التمثيل وقد يكون ذلك على وجه الاستعارة كقولك لمتردد في الامر اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى تريد انك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى وقد لا يكون كما اذا ابرزت
الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الآية واما المثل فهو تشبيه سائر اي يكثر استعماله
على معنى ان الثاني بمنزلة الاول والامثال حكايات لا تغير لان ذكرها على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة
انها بمنزلة ما يقال فيه هذا القول كقولك لمن لم يسمع رايك لا يطاع لقصير امر الا ترى انك تقول ذلك
بهذه الالفاظ التي قالها ضبي هذا المثل ولو غيرت هذه الالفاظ لم يسم مثلا **الفصل الرابع** في الاستعارة
وفيه ثلثة اركان **الركن الاول** في حقيقتها واحكامها وفيه ابحاث **البحث الاول** اجود ما قيل في حد الاستعارة انها
استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب لاجل المبالغة في التشبيه وبالقيد
الاول احترزنا عن الحقايق الثلث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا لاجل المبالغة في التشبيه عن سائر وجوه
المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة للفظ الا انه صفة لمعنى اولا فان المعنى اولا يعار ثم بواسطته
يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك
استعارة كالاعلام المنقولة فانك اذا سميت انسانا بزيد او يشكر فانه لا يقال لهذه الالفاظ مستعارة
اذ لم يكن نقلها تبعا لنقل معانيها تقديرا الثاني ان العقلاء يجزمون بان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فان
لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغة اذ لا مبالغة في اطلاق اسم المجرد عاريا عن معناه **البحث الثاني**
الفرق بين الاستعارة والتشبيه ان التشبيه حكم اضافي يستدعي مضافين وليس الاستعارة كذلك فانك
اذا قلت رايت اسدا لم تذكر شيئا اخر حتى تشبهه بالاسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطاء المعنى لفظا ليس
له لاجل المشابهة بينه وبين معناه الاصلي وما هو لاجل شيء آخر لا يكون الا في ذلك الشيء واعلم انه متى قويت
المشابهة بين الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحا وذلك لقرب الشبه من حقيقة المشبه به مثاله اطلاق لفظ
النور على العلم والايمان والظلمة على الكفر والجهل فلا يحسن هنا لقوة المشابهة ان تقول العلم كالنور وبالجملة
فالاستعارة انما تحسن حيث يكون التشبيه متقررا بين الناس ظاهرا فاما اذا خفي واحتاج الى الكلفة فلا بد
من التصريح فانك لو قلت في قوله عليه السلم مثل المؤمن كمثل النخلة رايت نخلة واردت المؤمن كنت كما قال سيبويه

ملوا ناركا لكلام العرب **البحث الثالث** في ترشيح الاستعارة وتجريدها اما ترشيح الاستعارة فان تراعي
جانب المستعار وتوليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر فاستعار
الرمي للنظر وراعى ما يستدعيه فاردفه بلفظ السهم وقول امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف
اعجازا وناء بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يقتضيه من الاعجاز والكلكل واما تجريدها فان
تراعي جانب المستعار له كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف لو نظر الى المستعار هنا لقيل فكساهم لباس الجوع ولقال زهير لدى اسد وافي المخالب
او البراثن **البحث الرابع** في الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة واما الاستعارة بالكناية فهو ان يذكر
بعض لوازم المستعار للمشبه عليه دون التصريح بذكره كقول ابي ذويب واذا المنية انشبت اظفارها
فكانه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم يصرح بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها
منزلة الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون الوصف للشيء المعقول ويجعلون ذلك كالثابت لذلك في الحقيقة
الشيء في الحقيقة وكان الحقيقة لم يوجد وذلك كاستعارة العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل ثم وضعهم
الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقول ابي تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء فقصد
هنا ان ينسى التشبيه ويرفعه راسا ويجعل الممدوح صاعدا في السماء صعودا مكانيا وكذا اذا استعاروا
اسم الشيء لغيره من نحو بدر او اسد فانهم يبلغون الى حيث يعتقدون ان ليس هناك استعارة كقوله
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس فلولا انه انسى نفسه ان هنا استعارة لما كان لهذا
التعجب معنى ومدار اكثر هذا النوع على التعجب وقد يجيء على عكس مذهب التعجب كقوله لا تعجبوا من بلى غلالته
قد زر ازراره على القمر فقد ذكر ما ترى شيئا هو من خاصة القمر فهو نهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة
ويقول انه قد زر على القمر ومن شان القمر ذلك وهذا انما يتم بالجزم بكونه قمرا لانه لو اعترف بانه ليس
بقمر لبطل كلامه **البحث الخامس** في شرط حسن الاستعارة واعلم ان الاستعارة انما تحسن بالمبالغة
في التشبيه مع الايجاز كقوله يا من رمى قلبي بسهم فانفذه لا كقول ابي تمام لا تسقني ماء الملام فانني
صب قد استعذبت ماء بكائي فان قوله ماء الملام ليس فيه لذاذة ولا تنبه بالحقيقة فكان الا تمثيل لكان
اوجز وقد تكون الاستعارة عامية كقولك رايت اسدا او وردت بحرا وقد تكون خاصية كقوله
وسالت باعناق المطي الاباطح شبه سير الحثيث وغاية سرعته في لين وسلاسة بسيل وقع في
الاباطح فجرت **الركن الثاني** في اقسام الاستعارة وفيه ابحاث **البحث الاول** الاستعارة قد تعتمد
نفس التشبيه كما اذا اشترك شيئان في وصف وهو في احدهما ازيد فتعطي الناقص اسم الزائد كقولك
رايت اسدا وتريد رجلا شجاعا وعنت لنا ظبية وتريد امراة وقد تعتمد لوازم التشبيه وهو اذا كان
جهة الاشتراك انما ثبت كمالها في المستعار منه بواسطة امر آخر فتثبت ذلك الامر للمستعار له مبالغة
في اثبات المشترك كقوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فالشمال في تصريف الغداة على حكم طبعها
كالحيوان المتصرف الا ان تصرف الحيوان لما كان في اكثر الاحوال باليد كانت اليد كالآلة التي يكمل بها التصرف

ولما كان الغرض هنا اثبات الشرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لا جرم اثبت للسيح يدا تحقيقا للغرض وكذلك قوله ﴿ اذا هزه في عظم قرن تهللت ﴾ نواجذ افواه المنايا الضواحك ﴿ لما شبه المنايا عند هزه السيف بالمسرور وكمال الفرح انما يظهر بالضحك الذي تتهلل فيه النواجذ اثبت الضحك مع تهلل النواجذ تحقيقا للوصف المقصود **البحث الثالث** واعلم ان القسم الاول على اربعة اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس لمحسوس وقع فيه اشتراك بينهما اما في الذوات دون الصفات او بالعكس فالاول كحقيقة تفاوتت احادها في الفضيلة والنقص والقوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل في ذلك النوع للانقص كاستعارة الطيران للعدو بسرعة فيقال للعدو السريع طيران اذ الطيران والعدو يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية ويختلفان في القوة والضعف واما الثاني فكقولهم رايت شمسا وتريد انسانا تتهلل وجهه فهنا الانسان مخالف للشمس في الحقيقة مشارك لها في الوصف وكقوله عليه السلم في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء فان الشجرة واصل النبوة يختلفان بالحقيقة لكنهما يشتركان في ان كل واحد منهما اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول وهو ايضا انما يكون في امرين يشتركان في وصف احدهما به اولى وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متعاندين اما تعاند التنقيض وهو كاستعارة المعدوم للموجود عندما لا يكون في ذلك الموجود فايدة فيشارك المعدوم في عدم الفايدة فيستعار لفظه له او كاستعارة الموجود للمعدوم عندما يكون للمعدوم آثار باقية يشارك بها الموجود الا ان الموجود بتلك الآثار اولى فيستعار لفظه له واما تعاند الضدين فكان يستعار لفظ الميت للجاهل بالميت لان الموت والجهل يشتركان في عدم الفايدة المطلوبة منه وهي الادراك والعقل الا ان الموت بها اولى فيستعار لفظه لها ومنه قوله عليه السلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقد لا يكونان متعاندين وهو كالمشترك موجودان في وصف معقول الا ان احدهما اولى به فينزل الناقص منزلة الزايد كقولهم فلان لقي الموت اذا لقي شيئا من الشدايد لاشتراك الموت والشدايد في المكروه لكن الموت اولى بها فتنزل الشدايد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ المحسوس للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجة الواضحة واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل ومنه قوله عليه السلم في مدح القرآن وانه حبل الله المتين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القرآن ورابعها استعارة لفظ المعقول للمحسوس وهو ان يجعل المعقول اصلا في التشبيه ويبالغ في تشبيه المحسوس به كقوله ﴿ فنظرت شفافهن سقام ﴾ وتحير جوه من حمام فان الموضع المنظور اليه منها لما شارك السقم في الالتذاذ الحاصل عنهما وكان السقم اولى بذلك بالغ في تشبيه المنظر به فاعاره اسمه وكذلك الخمر وهو محل الاختبار وهو اما اقوالها او افعالها المحسوسة او شيء آخر لما شارك الحبوة في الالتذاذ الحاصل عنهما وكانت الحبوة اولى به من الخمر بالغ في تشبيه الخمر بها فاستعار لفظها **الفصل الخامس** في الكناية وفيه بحثان **البحث الاول** في حقيقتها اعلم ان اللفظ اذا اطلقت واريد بها غير معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية كقولك

فلان طويل النجاد وكثير رماد القدر فقولنا طويل ليس الغرض الاصلي معناه بل ما يلزم من طول القامة وكذلك المثال الآخر فان المقصود منه ما يلزم من اطعام الخلق والكرم عليهم فهذه هي الكناية في المفرد واما في المركب فهي ان يحاول اثبات معنى من المعاني لشيء فيترك التصريح باثباته له ويثبته لمتعلقه كقوله ﴿ ان المروة والسماحة والندى ﴿ في قبة ضربت على ابن الحشرج ﴿ لما اراد اثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرح بها بل عدل الى ما ترى من الكناية فجعلها في قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ﴿ ومثاله في جانب النفي قول من يصف امراة بالعفة ﴿ يبيت بمنجاة من اللوم بيتها ﴿ اذا ما بيوت بالملامة حلت فتوصل الى نفي اللوم عنها بان نفاه عن بيتها **البحث الثاني** في الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة عن ان يذكر لفظ ويفيد بمعناه معنى ثانيا هو المقصود واذا افادت المقصود بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناه معتبرا فلم يكن قد نقلت اللفظ عن موضوعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانت تريد ان تجعل كثرة الرماد دليلا على جوده فقد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية وقصدت بكونه كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الاول وهو الجواد بخلاف المجاز فانك تنقل اللفظ عن معناه الاصلي وبالله التوفيق **الجملة الثانية** في النظم وفيها فصول **الفصل الاول** في حقيقته انه وضع الكلام على الذي يقتضيه علم النحو والعمل فيه بقوانينه واصوله بان ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر مثلا الى الفرق بين ما اذا كان خبر المبتدا اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام عليه او عدمها والفصل بالضمير وعدمه وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليتين او احدهما فعلية والاخرى اسمية وان كانا فعليتين فينظر الفرق بين ما اذا كان الفعلان ماضيين او مستقبلين او احدهما ماضيا والآخر مستقبلا وفي الحال اذا كان اسما او فعلا وفي الحروف المشتركة في معنى اين يكون موضعها اللائق كان تجيء بما في نفي الحال او الماضي وبلا في نفي الاستقبال وبان فيما تردد بينهما وباذا فيما علم انه كاين وان يعرف مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف والتنكير والتقديم والتاخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فيضع كل شيء مكانه واعلم انه ليس اذا حسن التنكير مثلا او التعريف او احد هذه الامور في موضع حسن في كل موضع بل انما يحسن بحسب الموضع الذي يقصد وحاصل هذا التقرير ان النظم انما يحصل في كلمات ضم بعضها الى البعض وذلك النظم يعتبر فيه احوال المفردات واحوال انضمام بعضها الى بعض فاما احوال المفردات فاما ان يعتبر حال دلالة الالفاظ وحال دلالة احوالها وحركاتها وسكناتها فهذه هي اقسام الاعتبار والنظم الكامل انما يحصل اذا اختير من هذه الامور الثلثة في كل موضع ما هو اللايق به **الفصل الثالث** في اقسام النظم ان الجمل الكثيرة اذا نظمت نظما واحدا فاما ان يتعلق بعضها بالبعض او ليس فان كان الثاني لم يحتج ذلك النظم الى فكر في استخراجه مثاله قول علي عليه السلام لا مال اعود من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى وان كان الثاني فكلما كانت اجزاء الكلام اشد ارتباطا كان ادخل في الفصاحة وليس له قانون يحفظ لمجيئه على وجوه شتى فلنذكر بعض ما يعتبر منها وهو عشرون وجها **الوجه الاول** المطابقة وهي الجمع بين المتضادين في الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يضم الاسم الى الفعل كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به

ومنهم مستخف بالليل وسارب بالنهار وقوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء الوجه الثاني المقابلة وهو ان تجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط وجب ان تشرط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد تلك الامور وهي المنع والاستغناء والتكذيب الثالث المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري اذا ما نهى الناهي فلج به الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر الرابع الاعتراض وهو ان يدرج في الكلام ما يتم به الغرض دونه كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقول علي عليه السلم فان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم الخامس الالتفات وهو العدول عن سياق الكلام الى سياق آخر غير مناف للاول في المعنى بل متمم له لحاجة الميل او غيره كالعدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين او بالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقول علي عليه السلم دنا النجوم من السرار وقرب مع لم يفعل الواجبة السادس الاقتباس وهو ان تدرج كلمة من القرآن او آية في الكلام ترتيبا لنظامه كقول ابن شمعون في وعظه اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا بالمراقبات واتقوا الله في الخلوات يرفع لكم الدرجات السابع التمليح وهو ان يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر وشعر نادر كقول علي عليه السلم في خطبته الشقشقية شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر الثامن ارسال المثلين وهو الجمع بين المثلين كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل التاسع اللف والنشر وهو ان تلف شيئين ثم تورد تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل منهما ما له كقوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقريب منه ان تذكر لفظا ثم توهم انه يحتاج الى البيان فتقصه مع تفسيره كقوله تعالى يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الآية واما الذين سعدوا ففي الجنة الآية العاشر التعديد وهو ايقاع الاعداد من الاسماء المفردة في النظم والنثر على سياق واحد فان روعي فيه ازدواج او تجنيس او مطابقة او مقابلة حسن جدا مثاله من النثر قوله فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي والاثبات والنفي ومن النظم قول المتنبي الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم الحادي عشر تنسيق الصفات كقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام الآية وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية وقوله ولا تطع كل حلاف مهين الآية ويستحسن في ابيات الخطب كثيرا الثاني عشر الايهام وهو ان يكون للفظ ظاهر وتاويل فيسبق الى فهم السامع الظاهر مع ان المراد هو التاويل كقوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه الثالث عشر مراعاة النظير وهو جمع الامور المتناسبة المتوازنة كقول علي عليه السلم الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مأيوس من مغفرته الرابع عشر المدح الموجه وهو ان يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر كقول المتنبي نهبت

من الاشعار

من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد فانه مدح بالشجاعة وآخره مدح بعلو الدرجة الخامس عشر المحتمل للضدين وهو ان يكون الكلام محتملا للمدح والذم على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه سوا السادس عشر تجاهل العارف كقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول المتنبي اريقك ام ماء الغمامة ام خمر السابع عشر السؤال والجواب كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما قال ربكم ورب آبائكم الاولين الثامن عشر الحذف وهو ان يتكلف حذف حرف من حروف المعجم كما حذف علي عليه السلم في خطبته المسماة بالموقصة التاسع عشر التعجب كقوله فيا عجبا للمعصرين من التوجع في محفل القيمة ويا حسرة الظالمين اذا عاينوا اهل السلامة العشرون الاغراق في الصفة كقول امرئ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا وقول المتنبي كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني الحادي والعشرون حسن التعليل وهو ان يذكر وصفان احدهما علة للآخر والغرض ذكرهما جميعا كقول علي عليه السلم في ذم الدنيا انت غارتها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله فان غادر العذران في صحن وجنتي فلا غرو منه لم يزل كان غادرا واعلم ان وجوه النظم كثيرة وما كان كثيرا منها قلما يوجد في كلام المطبوعين من المتقدمين وانما هي صناعات تكلفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا في القرآن الكريم والكلمات النبوية وكلام علي عليه السلم والمطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء وما احدثه المتاخرون وان كان لا يخرج في سلك الاولين الا انه يدل على ذكاء مبتدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق الفصل الثالث في التقديم والتاخير وفيه ابحاث البحث الاول في فايدتهما اذا قدم اللفظ على غيره فاما ان يكون في النية مؤخرا كخبر المبتدأ اذا قدم عليه او المفعول اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التاخير ولكن على ان ينقل الشيء من حكم الى حكم آخر مثاله ان تذكر اسمين واحد منهما يصلح ان يكون مبتدأ والآخر خبرا فتقدم هذا تارة وذاك اخرى كقولك زيد المنطلق وعكسه قال سيبويه عند ما يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم وهم ببيانه اعنى وان كانا معا يهمانهم مثاله اذا ارادوا الاخبار عن قتل شخص خارجي لا من حيث هو شخص معين قالوا قتل الخارجي زيد واذا صدر عن بعض الفضلاء قبيح وارادوا الاخبار عن ذلك قدموا اسمه على فعله لان ذكره اولا ثم نسبة الفعل اليه اوقع في النفوس من العكس فكان عند المخبر اهم ولنذكر ما يتم تقديمه وما لا يتم في الاستفهام والنفي والخبر البحث الثاني في التقديم والتاخير في الاستفهام المذكور عقيب حرف الاستفهام اما الفعل او الاسم فان كان الاول كان هو المشكوك في وجوده والمسئول عن معرفته مثاله قولك ابني زيد داره فان السؤال واقع عن وجود البناء والشك في وجوده وان كان الثاني فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل كقولك ءانت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجيء للانكار تارة وللتقرير اخرى والحال فيهما ما ذكرناه اما الانكار فكقوله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين اصطفى البنات على البنين والانكار هنا للفعل فاذا قدم الاسم كان الانكار للفاعل كقولك انت قلت هذا الشعر واما التقرير فكقوله تعالى اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية بغير نفس فان المقصود تقرير الخرق والقتل عليه تمهيدا لتوجه اللوم اليه فاما تقديم الاسم فكقولك ءانت الذي قتلت زيدا فانه سؤال على سبيل التقرير لتعيينه للقتل واعلم ان حال المفعول

فيما ذكرنا كحال الفاعل فاذا قدمت المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة ان يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم
في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون وقوله ابشرا منا واحدا نتبعه **البحث الثالث**
في التقديم والتاخير في حرف النفي اذا دخلته على الفعل كقولك ما ضربت زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت
انه فعل لان نفيك لضرب زيد عن نفسك لا يقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه لان نفي الخاص لا يدل على
نفي العام ولا على ثبوته واذا ادخلته على الاسم كقولك ما انا ضربت زيدا فهم من ذلك انه وقع به الضرب وكان
القصد نفي كونك انت الضارب والشاهد بهذه الفروق هو الذوق السليم **البحث الرابع** في التقديم والتاخير
في الخبر المثبت والمنفي هو كالتقديم والتاخير في الاستفهام فانك اذا قدمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضى ان
يكون القصد الى الفاعل اما تخصيص الفعل به كقولك انا كتبت في معنى هذا الامر تريد انك اختصصت بذلك
دون غيرك واما لاجل ان تقديم ذكر المحدث عنه الذكر لاثبات ذلك الفعل له كقولهم فلان يعطي الجزيل
فلا تقصد الحصر بل ان تحقق عند السامع ان اعطاء الجزيل دابه وبيان ذلك انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه
والاسم لا يعرى عن العوامل الا لحديث قد نوى اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت بانك تريد
الحديث عنه فيحصل شوق الى معرفة ذلك فاذا اوردته ذلك قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون
ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة وان قدمت الفعل اقتضى ان يكون القصد الى ذكر الفعل كقوله تعالى
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فان القصد هنا الى ذكر القضاء ونسبته الى الله تعالى ويقرب من ذلك
حكم المنفي كقولك انت لا تحسن هذا الفعل او لا تحسن انت هذا الفعل **البحث الخامس** في تقديم حرف
السلب على العموم وتاخره عنه اما الاول فاذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم فقلت ما افعل كل كذا
كان سلبا للعموم وذلك لا يناقضه الاثبات الخاص حتى لو قلت وافعل بعضه لم يكن تناقضا اما اذا قدمت
صيغة العموم على السلب فقلت كل كذا ما افعل فهم منه عموم السلب وح يناقضه قولك وافعل بعضه وفي الفرق
وعلى هذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في قول ابي النجم ⁂ قد اصبحت ام الخيار تدعي ⁂ على ذنبا كله لم اصنع
فان النصب كل يقتضي سلب العموم ورفعه يقتضي عموم السلب **البحث السادس** في استيفاء اقسام التقديم
والتاخير واعلم انه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتاخير اختلافا كثيرا وقد يدق الفرق بين تقديم
الكلمة وتاخيرها كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فبتقديم شركاء يفهم انه ما كان ينبغي ان يكون له شريك
لا من الجن ولا من غيرهم والذم انما توجه اليهم لاثباتهم شركاء اما لو قدم الجن لم يفهم الا انهم عبدوا الجن واما
انكار المعبود الاخر فغير مفهوم منه ويكون الذم انما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم فينبغي ان نمعن الوقف
في تقديم بعض الكلام على بعض وتاخيره ولنذكر مواضع حسن التقديم والتاخير اما التقديم ففي مواضع عشرة
الاول ان يكون الحاجة الى ذكره اتم والعلم به اهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم الشركاء اولى
لاجل ان المقصود التوبيخ على جعل مطلق الشريك بخلاف ما لو اخر **الثاني** ان يكون التاخير اليق باتصال الكلام
كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار فهذا اليق بما قبله وبما بعده من تاخير المفعول **الثالث** ان يكون الاول
اعرف من الثاني كتقديم المبتدا على الخبر والموصوف على الصفة فينبغي ان يبتدى في قولك زيد قائم بزيد لتتوصل

المنشى

المنشى بذكرها تعرف الى الاخبار عنه بما لا يعرف فيقع الفايدة في ضمه الى ما يعرف قال الامام ومما يحقق
هذا تقديم الفعل لان الفعل لفظ دال على ثبوت معنى لموضوع غير معين في زمان معين من الثلثة والاسناد
كالجزء الذاتي لمفهوم الفعل ومن الاسناد الامر الاضافي والعقل اذا حصل له الشعور بالاضافة ظهر توقف ذلك
ولم ينتقل الى ما اليه الاسناد كانت الاضافة مستقلة بالمفهومية وهو محال وان اشتغل الى ما اسند اليه الفعل
فذلك الشيء هو الفاعل فاذن من ضرورة الاسناد فهم المسند اليه واذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب
ايضا في الالفاظ لمطابقة ما في الذهن لما في الخارج واقول قد سبق ان الفعل اذا قدم في الاخبار كان لاجل
ان ذكره اهم لان المقصود من ذكر الجملة الفعلية لا ذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعين
ونسبته الى الفاعل واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف يكون واجبا اذا كانت الكلمتان
متساويتين في الاهتمام بذكرهما واما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمها اولى **الرابع** تقديم الحروف
التي لها صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي قال الامام تحقيقه ان الاستفهام طلب فهم الشيء
وهو حالة اضافية اذا ادركها العقل اشتغل منها الى معروضها واذا وجب ان يشتغل منها الى معروضها وجب
ان يكون في اللفظ كذلك فيقدم ما يدل على الاضافة ويلحق بما يدل على معروضها واقول يمكن ايضا ان يكون
تقديم هذه الحروف من باب ما كان اهم وذلك ان الاستفهام والنفي والنهي معان معقولة وهي المطلوبة
من الجمل الداخلة عليها بالذات فكانت اهم فكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على احوال
النسب بين اجزاء الكلام كان واخواتها وكان واخواتها وعسى وبابها ونعم وبئس فانها تقدم لان
معانيها هي المقصودة بالقصد الاول من الجمل الداخلة عليها **الخامس** تقديم الكلي على جزئياته لان الكلي
اعرف عند العقل وتقديم الاعرف اولى **السادس** تقديم الدليل على المدلول **السابع** تقديم الناقص على
تمامه كتقديم الموصول على الصلة والمضاف على المضاف اليه لان تمام الشيء لا يتقدم عليه **الثامن** تقديم الاسما
المتبوعة على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه **التاسع** تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة الى الضمير انما هو
لالحاق امر من الامور بذي الضمير وذلك متاخر عن تحقق ذي الضمير في العقل فيجب كذلك في الوضع كقولك
ضرب زيد غلامه وقضى زيد حاجته **العاشر** تقديم الفاعل على المفعولات وما في حكمها لانها امور تلحق الفاعل
بالنسبة الى فعله فكانت متاخرة عنه واذا علمت ما يجب تقديمه علمت من ذلك ما يجب تاخيره **الفصل الرابع**
في الفصل والوصل حاصل معرفة الفصل والوصل يعود الى معرفة مواضع العطف والاستيناف والتهدي
الى كيفية ايقاع حروف العطف مواقعها وهو باب عظيم عند البلغاء ولذلك جعله بعضهم حد البلاغة فقال
اذ اسئل عن معناها انها معرفة الفصل والوصل وما ذاك الا لغموضه وكون معرفته مودية للمعاند كما هي
وذلك هو المقصود من علم البلاغة وتحقيق الكلام فيه في بحثين **البحث الاول** فايدة العطف التشريك
في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه فمن ادواته ما لا يفيد الا هذا القدر كالواو ومنها ما يدل على زيادة
عليه كالفاء وثم فانهما يدلان على التعقيب وان كانت ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها تدل على الترديد فيجب
عن مطلق الاشتراك فيقول العطف اما ان يكون في المفردات وهو يقتضي التشريك في الاعراب واما

في الجمل وقع فالجملة ان كانت في قوة المفرد كقولك مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كانت الشركة في الاعراب
ايضا حاصلة لكون الجملتين وصفين للنكرة وان لم يكن فاما ان يكون احدى الجملتين متعلقة لذاتها بالاخرى
او لا يكون فان لم يكن فاما ان يكون بينهما مناسبة او لا يكون فهذه اقسام ثلثة اما الاول فان يكون احدى الجملتين
تاكيد الاخرى كقوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى فقوله لا ريب تاكيد للاول ولا يجوز ادخال
العاطف عليه لان التاكيد يتعلق بالمؤكد لذاته فيستغني عن لفظ يدل على التعلق الثاني ان لا يكون بينهما مناسبة
اصلا وهنا ايضا يجب ترك العاطف لان العطف يستلزم المناسبة فيلزم من عدمها عدمه الثالث ان
يصدق المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي فهنا يجب ذكر العاطف ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين
شيئين او شيئا واحدا اما الاول فالمناسبة اما بين المخبر بهما فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما معا والاول
والثاني يختل معهما النظم لانك اذا قلت زيد طويل والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة
اختل وكذلك لو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل ايضا لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر فتعين
ان الواجب حصول المناسبتين فاما ان كان المخبر عنه فيهما شيئا واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويامر
وينهى ونحوه تعين دخول العاطف لانك اذا قلت هو يضر وينفع فالعاطف انه هو الجامع لهما بخلاف
ما لو حذفته البحث الثاني في عطف الجمل على الجمل انه كما يجوز ان يعطف جملة على جملة كذلك يجوز ان يعطف مجموع
جمل على مجموع جمل آخر وبيان ذلك ظاهر في صورة الشرط والجزاء فانه قد يجعل مجموع جملتين شرطا ومجموع اخرى
جزاء كقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما
تولى ونصله جهنم واذا ظهر ذلك في الشرط والجزاء ظهر مثله في العطف كقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت
ثاويا في اهل مدين الآية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين مع ما يتعلق
بها اذ لو عطفتها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فصار التقدير ولكنك ما كنت ثاويا وهو باطل ولو عطفتها
على وما كنت من الشاهدين دون ولكنا انشانا لكان في ذلك ازالة لكن عن موضعها وهو غير جائز
الفصل الخامس في الحذف والاضمار وفيه بحثان البحث الاول في حذف المفعول والمبتدا والخبر اما
الاول فلان الفعل المتعدي قد يكون المقصود من ذكره مجرد نسبته الى الفاعل على وجه يكون حاله كحال غير المتعدي
في عدم الحاجة الى المفعول والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويامر وينهى ويضر وينفع وقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد يلاحظ مع ذلك في ذكره النسبة الى المفعول الا ان
المفعول يحذف لغرض من اغراض منها ان يكون المقصود ذكره لكن يحذف لايهام التعظيم والتفخيم كقول
البحتري ۞ شجو حساده وغيظ عداه ۞ ان يرى مبصر ويسمع واع ۞ فان المرئي والمسموع ههنا لا بد وان
يكون شيئا معينا فحذفه واوهم بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع عظيم وانه فضيلة يشجو حساده ويغيظ عداه
ومن هنا يحصل البلاغة ولو ابرز ذلك المفعول المعين لما حصل ذلك التعظيم الوهمي لتخصيص الذهن
للتعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه وقد يكون ذكر المفعول اوسط وابلغ وذلك اذا كان امرا عظيما

ربما

ربما كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته لما كان بكاء الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى الثاني ان يحذف
للعلم به كقوله عليه السلام ان استحيى ما حرم اي افنيها وان اسلس لما اي جبادها تقوى اي المهالك الثالث
ان يضمر على شريطة التفسير كقولك اكرمني واكرمت عبد الله واما المبتدا والخبر فقد ورد حذف كل واحد منهما
تارة اما المبتدا فكقوله تعالى سورة انزلناها واما الخبر فقوله تعالى طاعة وقول معروف والاكثر
ونحكم بحسن ذلك البلغا قال عبد القاهر ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وحذفه
احسن من ذكره وحسنها في المواضع التي يفهم عنها البلاغة البحث الثاني في الايجاز وحده التعبير عن
الغرض باقل ما يمكن من الحروف من غير اخلال مثاله قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقد كان اقبل خبر
بقولهم القتل انفى للقتل الا ان ما وردت هذه الآية ما ترجح عليه ظاهر من وجوه احدها انها اوجز فان
حروفها عشرة وحروف المثل اربعة عشر الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من
حيث انه قصاص وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ولها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك قول علي عليه السلام
قيمة كل امرئ ما يحسنه وقوله المرء عدو ما جهله وقوله الجزع اتعب من الصبر وقوله تخففوا تلحقوا
الفصل الثالث في احكام ان وانما وما في حكمها وفيه ابحاث البحث الاول في فوايد ان وهي اربع
الاولى انها قد تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل النظم كقوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله
حق وقوله تعالى اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني الرجل
وان كان ذا مال عن عشيرته وقوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فلو اسقطت
ان في هذه المواضع زالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها واعلم انك متى اسقطت ان من الجملة
الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الجملة الاولى فلا بد ان يعوض منها الفا كقوله فزلزلة الساعة
شيء عظيم الفايدة الثانية انك تجد لدخولها على ضمير الشان المعقب بالجملة الشرطية وغيرها من الحسن والمزية
ما لا تجده عند عدمها كقوله تعالى انه من يتق ويصبر وقوله عليه السلام ايها الناس انه لا يستغني الرجل كما
ذكرناه الفايدة الثالثة انها تهيئ النكرة لان يحدث عنها كقوله عليه السلام ان من احب عباد الله الى الله
عبدا كما مر ولو اسقطتها لسقطت الحسن والبلاغة وقد يسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها من قول الشاعر
ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون الفايدة الرابعة اذا دخلت على الجملة فقد يغني عن الخبر كقولك
ان مالا وان ولدا على تقدير ان لهم مالا وكقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا
والحق انها لتاكيد النسبة واذا كان الخبر بما ليس للمخاطب ظن او وهم في خلافه فلا حاجة الى ان هناك
ولذلك يزداد حسنا اذا كان الخبر امرا يبعد مثله وقد يجمع مع اللام للتاكيد في خبرها اذا كانت جواب
المنكر لشدة الحاجة هناك الى التاكيد البحث الثاني في فايدة انما اتفق جمهور النحاة على انها للحصر والمفهوم
منها اثباتا كقوله عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق وكقوله عليه السلام انا لم نحكم الرجال وانما
حكمنا القران وهذا القران انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان وانما ينطق عنه الرجال و
مراده بالحصر في هذه الصور ظاهر وقال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله تعالى انما المؤمنون الذين

اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبقوله انما المؤمنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل من ذكر الله
قد يكون مؤمنا وان الاخوة غير منحصرة في المؤمنين والجواب ان منشأ الشك هو الغفلة عن ضابط الحصر و
ضابطه ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك
انما قام زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تعالى انما انا بشر مثلكم فان المقصود
حصر النبي في البشرية في كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انه في الصورتين المذكورتين يفيد الحصر اما في
الاول فلانه يجوز ان يكون المقصود من الايمان هناك اقوى مراتبه وهو الاخلاص فيصح ان يبين ان المؤمنين
منحصرون في الوجلين من ذكر الله واما في الثانية فلان المؤمنين منحصرون في صفة الاخوة في الدين
كما هو المقصود من الاخوة ههنا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارتان احديهما اخص كقولك جائني
زيد لا عمرو وهو اضعف منه لانه انما يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة الى من اخرجه حرف النفي الثانية
ما جائني الا زيد ومفهومها مفهوم انما في الحصر والتخصيص كقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به وفرق
الامام بينهما فقال ان دلالة انما على نفي المذكور بالالتزام ودلالة ما والا على نفي الغير بالمطابقة فكانت اقوى
في ذلك من دلالة انما ولذلك يصح ان يقال انما زيد قائم لا قاعد ولا يصح ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد
واقول ان صح ما ادعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية كان للمانع ان يمنع تعليل ذلك المنع بكون
ما والا دالا على نفي الغير بالمطابقة ويصرف ذلك المنع الى قرب لا المقتضية لنفي الغير الى الا المقتضية
للحصر وبعده عن انما فكان التاكيد عقيب انما حسنا لطول الزمان بينهما على انا لا نسلم عدم الصحة ههنا
بل قد يورد للتاكيد وان كان عقيب انما احسن وقد يقام في غير مقام الاخير الحصر وقد لا يكون لك
كقولك ما جائني غير زيد تريد نفي مجيء الغير فقط دون اثبات زيد **البحث الثالث** ان ما والا اذا دخلت
على الجملة كان المقصود بالحصر فيها ما يلي الا بعدها سواء كان مرفوعا كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو او
منصوبا كقولك ما ضرب زيد الا عمرا وكذا ان كان المنصوب حالا او ظرفا فان اخرت الفاعل
والمفعول معا عن الا فالمقصود هو ما يليها ايضا كقولك ما ضرب الا زيد عمرا وكذا لو قدمت المفعول
على الفاعل فهو المقصود وهكذا حكم المفعولين كقولك لم اكس الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصود
بالتخصيص وهكذا المبتدأ والخبر ايهما اخرته عن الا فهو المراد بالتخصيص كقولك ما زيد الا قائم فالمراد تخصيص
هيئة القيام دون ساير الاحوال او ما القائم الا زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره واما تحقيق ذلك
في انما ففي الفاعل والمفعول فايهما اخرته عن صاحبه فهو المقصود ايضا كقولك انما ضرب عمرا زيد
فالمقصود تخصيص زيد ومنه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولو قدم العلماء لكان المقصود
تخصيص خشية الله وكذا الحال في المبتدأ ان تركته على حاله فالاختصاص للخبر كقوله تعالى انما السبيل على
الذين يستأذنونك وان اخرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا
الحساب فان التخصيص في الاول للخبر وفي الثاني للمبتدأ في الجنب المبادر الى المفهوم من ذوق العربية
وبالله التوفيق **القاعدة الثانية** في الخطابة وفيه ابحاث وخاتمة **البحث الاول** في حقيقة الخطابة وفايدتها

الخطابة

الخطابة صناعة يتكلف فيها الاقناع الممكن للجمهور فيما يراد ان يصدقوا به وقولنا يتكلف فيها الاقناع اردنا انه
يتعاطى فيها الفعل المخصوص بها بلغ قصده ام لم والاقناع الممكن هو الفعل الذي يتكلف واردنا به ما يمكن من
الاقناع والخطابة في الاقناع ابلغ من غيرها وفايدتها في تقرير المصالح الجزئية وقد يبنى ايضا تقرير القوانين
الكلية لتلك المصالح كالعقائد الالهية والقوانين العملية وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة
فيما هو عدل وحسن اتم نفعا واعود على الناس فايدة واعم جدوى من اصنافها لان نوع الانسان
انما هو مستبقى بالمشاركة والمشاركة محوج الى التعامل والتحاور وهما محوجان الى احكام صادقة
في الامور العملية يثق كل بصاحبه وينتظم شمل المصلحة بينهم وباضداد الاحكام الصادقة تشتت فيحتاج
ان يكون هذه الاحكام مقررة في النفوس متمكنة من العقايد والخطابة هي المتكفلة بحمل الجمهور على التصديق
بها فان البرهان والجدل وان حصل بهما التصديق الا ان الجمهور قاصرون عن درجة البرهان والجدل
وان كان صناعة شريفة بالقياس الى البرهان فهو ايضا بعيد الفايدة للعامة صعب بالقياس الى فهمهم
وهم عاجزون عن قبوله والمخاطبة التي يجب ان يتلقاها العامي بعاجلته ينبغي ان يكون من الجنس الذي لا
يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا بل يكون بالفاظ عذبة غير ركيكة عامية ولا متينة ينبو فهمهم عن قبولها كما
سنذكره ان شاء الله وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعة في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فسبيل ربك هو الديانة الحنيفية والحكمة هي البرهان
وذلك لمن يحتمله والموعظة الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر عن درجة البرهان وجادلهم بالتي هي احسن اي
بالمشهورات المحمودة واخر الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفتان الى الفايدة والمجادلة مصروفة الى المعاندة
والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني هو مجاهدة من ينتصب للمعاندة فاذن
الخطابة صناعة وافرة النفع في مصالح المدن وسياسة العامة وتنظيم احوالهم **البحث الثاني** في موضوع الخطابة
واجزائها وليس الخطابة تنظر في موضوع معين وذلك لان العامة لا يهتدون الى تميز بعض الموضوعات
عن بعض اذ كان تخصيص الكلام في موضوع معين مبني على مبادي تليق بذلك الموضوع وحده لا يعرفها
العامي ونظر الخطابة بالذات في الجزئيات من اي مقولة اتفقت ولا يخص جزئيا دون آخر بل يقصد بها الاقناع
من اي جزئي اتفق على ان لها ان تنظر بالعرض في الامور الكلية من الالهيات والطبيعيات والخلقيات
والسياسيات والخطابة لها اصل ومتممات يتممها وتعين عليها اما الاصل فهو القول الذي يظن انه لذاته
يفيد اقناعا واما المتممات فجملتها يرجع الى حرف واحد وهو انه لما كان الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع
كان كل ما ينفع في باب الغرض منها في متمماتها والامور المقنعة اما قولية يراد بها صحة قول آخر كالقول الذي
يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين او القول الذي يروم به اثبات ان الشهادة مقنعة او كون
المعجزة حجة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما حالية اما القولية فكالاستشهاد بقول
نبي او امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة ماثورة او الاستشهاد باقوال قوم يحضرون فيصدقون قول
القايل ان الامر كذا او الاستشهاد بشهادة الحاكم والسامعين بان القول مقنع وتسمى شهادة محضورة اما الحالية

الفلاني كذا

فاما ان يدرك بالعقل او بالحس والاول ما يشمل فضيلة القايل واشتهاره بالصدق والتميز واما الحال التي يدرك
بالحس فاما بواسطة القول او بدونه اما الاول فكالاستشهاد بالمعجز عقيب التحدي على صدق قول المدعي وكشهادة
حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله وكشهادة حال المتعاهدين على قبول اقوالهما بعد وضع العهود التي هي اقوال
مدونة مكتوبة واما الحال المدرك بالحس من غير القول فاما احوال تتبع انفعالات نفسانية كشهادة سحنة وجه المخبر
ببشارة على قبول قوله او شهادة سحنة المذعور الخايف المخبر عن نزول عذاب او حلول آفة على قبول قوله او يكون
طارية من خارج كشهادة جراح القايل او غيره على قدوم العدو للحرب واما الحيلة فعند الاعداد والاعداد
اما للقايل بحيث يكون اقبل فاما القايل فان يتكلف الاستشهاد على فضيلة نفسه والدلالة عليها او تهيأ
بهيئة وتزيا بصورة تجعل شيء مقبول القول واما القول فان يحسن فيه تصرفه فتارة يرفع به صوته
وتارة يخفضه وتارة يغلظه وتارة يلينه ويحزنه ويلاحظ في ذلك حال من يقصد اسماعهم كما يأتي في الترتيبات
واما السامعون فاما المخاطب بالقصد الاول واما حاكم يحكم بين المتخاطبين واما نظارة اما المخاطب فيحتاج
ان يستعطف ويستمال ليميل الى تصديق القايل وكذلك الحاكم واما النظار فيكفي فيه ان يهيأ بالحيلة بحيث يجعل
مصدق وان لم تقع له التصديق واثار الانفعال في المستمع اما انفعال كالرقة والرحمة في الاستعطاف
والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام خلق كايهام الشجاعة والسخاوة او غيرهما فعاد الامر الى ان
الاقوال الخطابية التي يقصد بها التصديق ثلثة اصناف اصل ويسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق
نفسه والثاني في النصرة وهي القول الذي ينصره ما له تصديق كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يفاد
به انفعال الشيء او ايهام لخلق وهما متممان للاصل فهذه اجزاؤها البحث الثالث في مبادي الخطابة
واعلم ان مبادي الاقوال الخطابية ثلثة احدها المشهورات المحمودة وهي ما حيثيته اتفق عليها الجمهور وطابقت
عليها الشرايع والسنن وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن الصدق
وقبح الكذب والظلم وغيرها واما المحمودة ظاهرة في بادي الراي وهي التي تعارض الذهن فيحكم بصدقها قبل
التعقب بها فاذا تعقبت زال حمدها لظهور كذبها وشنعتها كقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما وهذه اعم
من التي قبلها اذ كل محمود حقيقي محمود في الظاهر ولا ينعكس واستعمال الخطاب لها وسلا من جهة كونها حقيقة
بل لكونها ظاهرة واما المحمودة بحسب قوم او شخص وينتفع بها في مخاطبتهم ومثل هذه وان نفعت في الخطابة
الا انها لا تكون عمدة في صناعة الخطابة لكونها غير شاملة او غير مضبوطة فان كل شخص يرى ما يهوى و
يختلف الارا بحسب الاهواء وثانيها المقبولات اما من جماعة او من نفر او عن نبي او عن امام كالشرايع والسنن
او حكيم كالطب المقبول عن جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات تورد شواهد او يكون مقبولا لخطر
بغير ان ينسب الى مقبول منه كالامثال المضروبة وثالثها المظنونات وهي الاحكام التي يتبع الانسان فيها
غالب الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد يساير العدو وساير العدو عدو وربما يكون مقابلها
مظنونا كقولك زيد يساير العدو وساير العدو حبيب فهو صديق واما باعتبار هذه ففي ما ينظم منتجا وغير منتج
بحسب المواد والصور معا ويستعمل القياس والتمثيل والاستقراء وما يشبه الخلف فيها اما القياس

جمي

فيسمى ضميرا لحذف كبراه وتفكيرا لاشتماله على اوسط يستخرج بالفكر وهو اما على هيئة الشكل الاول كقولك هذا
معشوقة ما على الطريقة واوجهوا على المحجة فطفوا بالعينين الدايمة والكراة البارزة فان تقدير الكبرى وكل من
كان كذلك طفوا بالعينين الدايمة ويسمى هذا ايضا واما على هيئة الشكل الثاني كقولك فلان لم ايمان في يقين فليس
من المشتاق فان تقدير الكبرى ولا واحد من المشتاق كذلك او على هيئة الشكل الثالث كقول العارف الشجاع جواد
فالشجاع جواد لان تقدير الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة غير الشكلين علامة والقياس الظني قد
يكون منتجا في نفس الامر اذ ليس من شرط الخطابة ان يكون على هيئة منتجة كما على هيئة الشكل الثاني في هذه
مشتوه البطن في اذن جلى وتقدير الصدق والحبلى مشتوه البطن ويسمى هذه روايم لرسمها في الذهن ظنا ما
واما التمثيل فيسمى اعتبارا لعبور الذهن من المشبه به الى المشبه ويسمى المنتج منه برهانا واستعمال التمثيل
والقياس يسمى تثبيتا والتمثيل اما ان يكون باصول متفق على القياس عليها سواء كانت امورا موجودة او حوادث
ماضية او امثالا مضروبة سايرة واما ان لا يكون كذلك بل امور يخترعها الخطيب كمثل وحكاية اما ممكنة او غير
ممكنة والاول كاستشهاده عليه السلم في تحذير اصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فالممكن
كما يقول المشير على صديقه لا يعاشر الجهال فاني عاشرتهم فندمت وقد لا يكون عاشرهم واما غير الممكن فكالاستشهاد
باقوال الحيوانات الموضوعة في كتاب كليلة ودمنة وامثاله واما الاستقراء فينتفع فيه بجزويات كثيرة كقولك
لمن يشير عليه بحصول السيادة بتحصيل الفضيلة ان فلانا وفلانا فضلوا فسادوا ويستعمل في كلام علي عليه السلم
كثيرا واما ما يشبه الخلف فكقصده عليه السلم من دوم حرب بقوله لو امرت به لكنت قاتلا فانه اراد تقرير عدم الامر
بابطال لازم الامر وهو كونه قاتلا المستلزم لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر و
كذلك التوبيخ كقوله عليه السلم في توبيخ العلماء في اختلاف الفتيا افامرهم الله تعالى بالاختلاف فاطاعوه فانه اراد بيان
عدم صحة اختلافهم بابطال امر الله تعالى اياهم المستلزم لابطال نقيض المطلوب وهو صحة الاختلاف والمقدمة التي من
شانها ان تصير جزء تثبيت يسمى موضعا وحيث ان لا يكون وضعه علمية ولا واضحة يستغني عن ذكرها كالضروريات
والقوانين التي يستنبط منها المواضع المسمى انواعا والبحث في الخطابة عن الضروريات اقلي بل انما يبحث
عنها في الاكثر عن الاكثريات والاراء قضية كلية ينتفع بها في امور عملية فيختار او يجتنب وتسمى الاراء مثلها
الا انها غير مقنعة ما لم يقترن اليها العلة كقولك لصديقك مثلا لا تحرص في جمع المال فانه لا يقبل ما لم تقل مع ذلك
لانك تشقى بجمعه في الاخرة خصوصا اذا كان الراي شنيعا كقولك لا تحصل الفضايل فانه ما لم تقرن به العلة
كقولك كيلا تحسد لا يقبل ذلك والراي اما ان لا يحتاج الى كلام يقترن به لظهوره في نفسه او عند اهل العقل
او عند المخاطب او يحتاج الى ما يقترن به ليودي الى المطلوب وحينئذ فالقرينة اما نتيجة الراي او ما ينتجه الضمير
فان كانت نتيجة الراي كقولك لا تحسد فانما الحسود ضد تعبك زيدنا مع فالضمير المقنع هنا ليس الراي وحده بل
مع نتيجته وهو جزء من الضمير وان كان ما ضم اليه هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضايل فتحسد كان الراي هو الضمير
القريب فانه المنتج لذاته وبالله التوفيق البحث الرابع في اقسام الخطابة بحسب اغراضها واعلم ان جميع
المفاوضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة ولكل واحد من هذه الاقسام غرض خاص اما المشورة

فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في ان الامر الفلاني ينبغي ان يفعل لنفعه وان الامر الفلاني لا ينبغي ان يفعل لضرره واما المنافرة

فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في مدح شيء بفضيلة او ذمه بنقيصة واما المشاجرة فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في شكاية
ظلم او اعتذار بانه لا ظلم وربما لم يقع الاعتذار في وقوع الامر نفسه ولكن في كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم
كاعتذار الظالم او من يشيره بان الذي يعمله ليس بظلم او اعتذار المذموم بان الذي فعله ليس بنقيصة او انه فضيلة
اما المشورة فليس المشورة انما هي مشورة بسبب انها عما في الامر هو نافع بالحقيقة فانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة
ولا عند المشير لكن ان تبين انه نافع رام الاقناع به فيكون المخاطبة مع ذلك مشورة وقد لا يكون المشورة
بالنافع بل بالجميل الذي ربما كان في العاجل ضارا ولا نفع من جهة اخرى وكذلك المدح والذم لا يلاحظ فيهما
النافع والضار حتى يكون المدح بالنافع والذم بالضار بل ربما كان المدح بالضار كاقتحام الاذى والضرر
وركوب الاهوال للذكر الجميل فان يثب ربه ويمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و
ويقتلون وكثيرا ما يحمد العاقل بايثار الموت في الحرب والامور المشورية عظيمة تبتنى عليها الشرائع والسنن
والسياسات واقسام الامور المشورية العظيمة القائمة النفع دون الجزئيات الداخلة بحسب احوال الاشخاص
خمسة العدة والحرب والسلم وحماية المدينة ومراعاة امر الدخل والخرج وتفريع الشرائع ووضع المصالح
والخطيب المشير في امر العدة ينبغي ان يكون بصير الجنس ارتفاع المدينة وكميته وكمية النفقات اذا جرت
على القسط ليوازي الدخل الخرج وليشير بنفي البطالة من حرفة تعود بنفع المدينة وبالحجر على المسرف
وتوقيفه على القدر العادل وتحفظ بجزئيات الاخبار وبالعوائد التجريبية لانها تذاكير وامثال وعلى المشير
في امر الحرب بعد ان يكون له بصيرة بانواع الحروب وسماع اخبار المتقدمين من المقاتلة في حروبهم وطبقاتها
ورسومهم ومذاهبهم ان يحيط علما بجرائد جنده ومحاربيها وعددهم وعدتهم ودربتهم بالحرب وعاداتهم
ونفاقهم وخلقهم وقوتهم وضعفهم او ضد ذلك وتوقع نظيره عليهم في كل وقت وبقيتهم الى مقابليهم وان يعتبر
الجزئيات السالفة فان الامور في اشباهها ويحتذي حذو امثالها فانه يستنبط من هذه الاحوال مقدمات
ينتفع بها في المشورة واما المشير في حفظ المدينة فينبغي ان يعلم انواع الحفظ لانواع البلاد المختلفة سهلها
وجبليها وبريها وبحريها وما يحيط بها ومواضع المسالح قربا وبعدا والمدارج المخوفة والتي يرتادها
المقاتلون فيشير فيها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينة وان يعلم عدد الحفظة
والرصدة وثباتهم لتجدد قلتهم ويبدل خائنهم بالناصح وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده
من خارج المدينة فان القوت وما يجري مجراه اذا انحسمت مادته لم يمكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغي ان يكون
المشير عارفا بمقدار حاجة كل الى كل وباحوال اهل الفضائل والثروة منهم فيشير بما ينبغي ان يستعان
فيه من اهل الفضائل وما ينبغي ان يستعان به فيه باهل الثروة فيما يتعلق به امر المصلحة واما الخامس في المشورة
في امر السنن وهو من اعظم الابواب خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى السان الا يخفى انواع الاشتراكات
المدنية وما يتولد من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل امة من الاشتراك بحسب عاداتها والاسباب الحافظة
لذلك الاشتراك والقاسمة له وفساد المدينة التي لم يحكم تدبيرها يقع من اضداد هذه الاسباب اما عنف المدبرين لهم في
الحمل على الواجبات او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغي ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يوضع

لكل

لكل واحد منها من العوارض وما يؤول اليه كل واحد منها فيوضع كل واحد منها في موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة
في موضع الرفق ومراعاة مصلحة المرؤوسين لاكرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد
عرفت بما ذكرنا المواضع التي منها تنتزع المقدمات المشورية في الامور العظام ومما يعين على وضع السنن
وتفريعها تامل قصص الماضين واحوالهم واما الامور المشورية الداخلة بحسب احوال شخص شخص فهي وان كانت
غير مضبوطة الا ان جميعها تشترك في انها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ونعني بصلاح الحال هو الفعل
الممكن عن فضيلة النفس وامتداد العمر مشفوعا بمحبة القلوب وتوفر الكرامة من الناس وندور فاقته وطيب
عيش ورفاهيته وسعة ذات اليد في المال والعقد وتمكن من استدامة هذه الاحوال واستزادة منها واما
اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الخير ومنها ما ينسب الى الشر اما الخيرية فاما بدنية كزكاء الاصل وكثرة الاخوان والاولاد
وصلاحهم واليسار والانعام والقوة والصحة والجمال والفصاحة وجميل الاحدوثة والجاه والبخت واما نفسانية
كالعلم والذكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق المرضية وحصول التجارات والصناعات
فعلى الخطيب ان يشير باعداد هذه الانواع وكذلك ما ينسب الى النافع وهو كل ما يوصل الى شيء من الخيرات
كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسائل وانتهاز الفرص ومواتاة الحظ واما الامور الشرية فهي
ما يقابل هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة والكسل واللهو والبطالة
وفوات الاسباب وضياع الفرص وسوء التوفيق وكذلك قد يحتاج الخطيب الى اعداد مقدمات في ان
هذا الخير افضل وان هذا النافع انفع كالحكم بان افضل الخيرات اعمها وجودا واكثرها نفعا واولاها بان يقصد
لنفسه واخرها واعظمها واشهرها واكثرها استتباعا للخيرات واكثرها استلزاما للحاجة اليه واكثرها استلزاما
لرغبة الجمهور والاكابر فيه وكذلك يحتاج الى مقدمات بها في ان هذا الشر اضر كالحكم بان اشر الشرور اعمها
وجودا واولاها بالهرب منه واكثرها استتباعا للشرور ويجب ان يستكثر من ضروب الامثال وايراد
التذاكير واقتصاص احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب تحصيل الانواع
النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة والرذيلة واجزاء الفضيلة هي البر والشجاعة والعفة والمروة وكبر الهمة
والسخاوة والحلم والثبات واللب والحكمة وقد يلزم بعض هذه خيرات متعدية الى غير الفاضل كالخير المتعدي
من البر والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبر والجبن للشجاعة والفجور
للعفة والدناءة للسخاء والسفالة لكبر الهمة والنذالة للمروة والطيش للثبات والبلاهة للب فهذه هي الفضائل
والرذائل وما عداها فاسباب لها وعلامات عليها مثلا كالكتاب الذي في الخشية من الله تعالى والعلم وطلب الذكر
الجميل للعدل واكتساب الاحتياج والوثوق بان لا مقاوم له وعدم المبالاة بالعاقبة واشباهها للجور وكذلك
في سائر الاسباب وكالانفعالات اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يخجل شدة العذاب مثلا في اثر
ما نحيده من الامانة ولا يسلمها الى غير ربها ومن المدائح الفة مقاومة الاعداء والانتقام منهم والجزاء على الحسنة
والسيئة ومن مدائح الشجاع الغلبة والكرامة وان يفعل افعالا تذكر وتنشر ويسهل تخليدها لتعظيمها في نفسها الاعقاب
ومن المدائح الفة علامات تخص الاشراف بها كارسال شعر العلوي وطرحا العامل فان ذلك من علامات شرفهم ونحو

المعروفات ايضا الاستغناء عن الناس في اي باب كان وقد يذكر المدح على سبيل الترويج والمغالطة فيعبر عن الرذايل
بعبارة تنظمها في سلك الفضايل اذا كانت قريبة من الفضيلة او كانت في حكم يجمعهما وهذا كما يحتاج الخطيب المادح الى ان يصف
فيجعل القدر المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح المتهور بانه حسن المشورة والفاسق بانه لطيف
العشرة والغبي بانه حليم والغضوب بانه نبيل والابله الغافل عن اللذات بانه عفيف والمتهور بانه شجاع والماجن
بانه ظريف والمبذر في الشهوات بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة في موضع الرذيلة
فيذم لطيف العشرة بالفسق والحليم بالغباوة والنبيل بالغضوب والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف
بالماجن وكذلك في سايرها واما الامور المشاجرية فعلى الخطيب اعداد انواع اسباب الجور والجور هو الاضرار
الواقع بالقصد والمشية ولم ترخص الشريعة فيه بوجه واما الاسباب المحركة اليه فكالكسل من الكسلان فانه عند
ما يتحمل الدعة التي يهواها يكون سببا لخذلان صديقه وكالجبن الذي يكون سببا لاضاعة الحريم وجلا لهم
وكايثار الراحة من التعب وحب البطالة واللهو المؤدي الى ترك اكتساب الفضايل وكالغضب المؤدي الى
العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلبة والاقتحام وكاستباحة التصرف في مال الغير وعرضه ودمه
والاستهزاء بالخلق والحرص والوقاحة واسباب العدل هو ما يقابل هذه الاسباب فهذه امور
اذا علمها الخطيب اخذها مقدمات في انه لما كان الجاير كذا اقدم على الجور وللجور اسباب كثيرة مذكورة
في الكتب المبسوطة **البحث الخامس** في انواع مشتركة للامور الخطابية الثلثة وهنا انواع مشتركة لاصناف الخطابة
يجب على الخطيب اعدادها ليشتغل بها فيما يعده استدراجات عن مبادي الانفعالات والاخلاق مثلا ما يعد
للغضب كالاستهانة والعنت والشتيمة وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعم بالسيئة او بالكفران
والقعود عن جزاء الجميل بمثله او يعد لضده وهو فتور الغضب كالاعتذار بعدم معرفة من قصده بالاستهانة
او بعدم قصد الاستهانة وكالاعتراف بالذنب والاستغفار بالتوبة والتذلل والتلقي بالبشاشة
وكذا هيبة الجيب والاستحياء من المستحي منه فان الغضب لا يكاد يهيجهما او يعد للحزن كالانواع التي توجب
تصور فوت المرغوب فيه او حصول المحذور ورسه او عدم الانتفاع بالحيلة والتدبير او لضده وهو التسلية
كالتي يوجب الانتفاع في ان هذا الامر يمكن ان يرتفع او يرجى التلافي في التدارك او باعتبار حال الغير
فان المصيبة اذا عمت هانت او بالارث والى الجميل فحصل الامر الذي لاجله الحزن او يعد للخجل والاستحياء
كالفرار من الزحف وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في مواضع الريبة
والحرص على المحقرات ومقارفة الدنايا كسلب المسكين ونبش القبور والتعيير مع اليسار ومعارضة
اللئام بالاستماحة وكاستشعار الشماتة من الاعداء او يعد لابطال الخجل وهو اضداد هذه الاسباب
او للاهتمام بالغير والشفقة عليه او الاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب المهلك والاوجاع والجهد
والكبر والسقم والخصاصة وسوء البخت وعدم الانصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم له على النفس
والاحسان اليه بغير منة وستر عيوبه ونصرته في غيبته والوفاء او لضده وهو الحسد كوصول خير الى غير
يرى الحاسد انه اولى به منه او الى من لا يحبه او للغيرة كتخيل مشاركة من لا حق له في حق من غير ان يدخل صاحبه

فزاد

فيه او لشكر النعم وهو ان يقول الخطيب انما اعطى فلان لنفس النفع لا للجزاء بتوقعه او يقول انه نفع
وقت الحاجة او في وقت عسر المعونة من الناس او انه نفع بما لم يسمح بمثله غيره به او انه اول من انعم
فحرك غيره للانعام او انه لم يرد بالصنيعة ذكرا او انه ستر الصنيعة سترا او للكفران وتحقير النعم كان
يقول لم ترد بعطائك الا غرضا وانك لم تتم النعم وانك قصرت عن الواجب عليك مثله او انك لم تصطنع
بقصد بل لضرورة او اتفاق او رغبة في مجازاة فان ذلك كله مما يبطل المنة او لشجاعة كان تقول المكروه
منك بعيد او لا وجود له عندك ولا محل عندك للاقران والمبارزين وكقولنا انت كثير الانصار قويهم
وانك بري عن الظلم قليل الاحتمال له او لضدها وهو الجبن كقولنا ان في المقاومات حصول المكاره لوان
خصمك في غاية القوة فلا طاقة لك به او ان انصارك قليلون او ضعفاء وامثال ذلك وكذلك يجب على
الخطيب ان يحصل انواعا تعين على كل خلق حتى يخص بصنف صنف من الناس اما باعتبار الاسنان كان يقول
للشاب الذي يغلب عليه طلب اللذة ان هذا وقت السرور والزمان المساعد والشباب بعد فنائه غير عائد
وهذا الربيع قد اشرف نواره وتضعفت ازهاره وكذا في الماكل والمشارب والملابس والمراكب ويقول
للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع والحرص على الدنيا ينبغي ان تقتصر على تحصيل منافعك واللهو غير
لايق بك وينبغي ان تقلل البذل لئلا يستضر عيالك وينبغي ان لا تنخدع لفلان ولا تغلط معه لانك جربت
الخداع او باعتبار اخلاقهم في البلدان كان تقول للعربي الذي طبعه الفصاحة انك لذو فضيلة عظيمة ولو
لم يكن من فضل الفصاحة الا انها وجه اعجاز القران لكفى وامثاله وكان تقول للعرب من جهة ما هم غلاظ
الطباع كثر ان بني فلان اعداؤكم ولا ناصر لهم او هم قليلون او نعمهم كثيرة او ان القبيل الفلاني كثير النعم
ولا حارس له فيغريهم بذلك وكما يحرك طباع الفرس الى حسن التدبير الذي هو عادتهم بما يناسبه
او الى الملال الذي هو طباعهم بما يناسبه او باعتبار الهمم كما يحرك ما في طباع الملوك من الكبر وعدم
الالتفات الى الغير بما يناسبه وما في طباع الساقطين من الدناءة بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة
ما يتعلق بالممكن من الامور وغير الممكن كان يقول الخطيب اذا اراد ان يقنع بان الامر الفلاني ممكن فيقول
هذا الامر مما يستطاع فهو ممكن او نقيضه ممكن فهو ممكن او شبيهه ممكن فهو ممكن او الاصعب منه ممكن فهو ممكن
او اراد ان يقنع بانه مترجح كونه فيقول الامر الفلاني مقدور عليه ومراد فلا بد ان يكون والنادر يكون
فالاكثري يكون وكذلك ان تعم انواع ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من انواع ما يكون وانواع ما يمكن
فهذه جملة من الامثلة تهدي الخطيب الى امثالها وليس يجب عليه ان يضبط ما لا يتناهى من الامور بل يجب تفحص
تفحص في كل واحد من اموره الجزئية فان ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلية المتعلقة بالاجناس الثلثة
الخطابية ويجتهد في ان يخصصها على الممكن فانه كلما كان الحكم بالجزئي المتكلم فيه اخص كان انفع واقنع مثاله
اذا اردت ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه مستكمل الفضايل باسرها فهذا وان كان مقنعا الا انك
لو خصصت فقلت لانه هزم جيش العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني يوم كذا لكان ذلك اقنع
والبق بالممدوح وقد يقع في الخطابة القضايا المتقابلة والمغالطة بها للاقناع فيستعمل الضدان في الجاب

كل واحد من النقيضين كقولك اسكت في المحافل لانك ان صدقت ابغضك الناس وان كذبت ابغضك الله
ثم تقول تكلم في المحافل لانك ان صدقت احبك الله وان كذبت احبك الناس والمقابلة هنا ان افادت
اقناعا كانت من صناعة الخطابة مثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الانسان لانه عين او من
باب تركيب المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة والتقدير وفلان جيد
او من باب وضع ما ليس بعلة علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه تيسر كذا او من باب المصادرة
على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فيقال لان اباه يشرب الخمر واما ان لم يوقع اقناعا كما يقال فلان
لم يذنب باختياره لانه زنا وهو سكران لم يكن من صناعة الخطابة وبالله التوفيق **البحث السادس**
في تحسينات الخطابة الامور المحسنة للخطابة اما ان يتعلق بالالفاظ واما ان يتعلق بالترتيب واما ان يتعلق بهيئة
الخطيب اما الاول فاعلم ان تحسين الالفاظ في الخطابة عظيم النفع فان جزالة اللفظ يوهم جزالة المعنى وركاكة
اللفظ تذهب ذوق المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العامة
ولا مبني مرتفع عن ان يصلح لمخاطبة الجمهور لان الطباع العامية تنفر عن العبارة العلمية ولا يلحنون لان اللحن يهجن
الكلام ويرذله وهذه الاعتبارات موجودة في كلامه عليه السلم كثيرا الثاني ان يراعي اتمام الرباطات وهي
الحروف التي يقتضي ذكرها ان لم نذكر كقوله عليه السلم في صفة الملائكة منهم سجود لا يركعون ومنهم ركوع لا يسجدون
ذلك باقي الاقسام فلولا تحصل التكرار هنا لنقص الكلام وكذلك قوله عليه السلم المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر
احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال اللهم الا ان يكون مكررا
معلوما كقوله عليه السلم في كثير من خطبه اما بعد فان هذا الجزء مسبوق بما قبل وان لم يذكر لوضوحه الثالث
ان لا يباعد ما بين الرباطين بحشو وخلل ينسي الوصلة بينهما الرابع ان يراعي حقه من التقديم والتاخير فان
تاخير الشرط عن المشروط وتقديم لا على الدعوى قبيح جدا وبعض هذه الاحكام قد يختص ببعض اللغات
الخامس ان يزين بالتشبيه والاستعارة ويكون تلك الالفاظ المستعارة خاصة غير مشتركة ولا مغلطة
فقد يورد اللفظ موهما للشيء وضده كقول المنجم اذا دخلت سنة كذا يجدد للاسلام امر عظيم فذلك
محتمل للخير والشر موهم لهما وفائدة التشبيه والاستعارة هنا الاستعانة بالتخييل الحاصل منهما على ترويج
المعنى فانه يحصل له رونق لا يحصل بدونه والالفاظ المستعارة والمخيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد
يستعملها الخطيب بالعرض فيكون في الخطابة كالابازير السادس ان يراعي لفظ الواحد والتثنية والجمع
وما يخصها من التصاريف وكذلك التذكير والتانيث وذي العلاقة وغيره رفعا للغلط السابع قد يزين اللفظ
بالايجاز اذا اعتمد على فهم السامع من تعب الاقناع فيرد الحدود والرسوم مكان اللفظ المفرد وقد يزين
بالبسط فيعكس ذلك وقد يبدل اللفظ المفرد العلم لشناعته كما يقال عورة المراة ووطيها ودهما
عوض اسمائها الصريحة واكثر ما يستعمل امثال هذه في الاقرارات في المراء فيكره التصريح بالاسماء الصريحة
احتشاما وتنزيها للمجالس عن ذكرها وكذلك يستعمل في الاعتذار كثيرا وحيث يراد التهويل للتخويف في المشوريات
الثامن ان يزين بالمفاصل اي يكون ذا مصاريع وتسجيع ووزن ما لا الوزن الحقيقي وذلك كقوله عليه السلم

اما بعد

اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وقد عرفت الموازن
فان ذلك اقرب الى ثبات اللفظ في الخيال ثم تلك المفاصل ينبغي ان لا يطول ليلا ينسى الاول ولا يقصر جدا فلا
يحصل به النفس فيعجل الانقطاع عن استثبات النفس له ثم المفاصل قد يكون اقساما ويسمى المقسم كما مر في الفصل
في صفة الملائكة وقد يكون تلك الاقسام متقابلة كقوله عليه السلم اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة
فيتمتع فيها الشقي ولكل واحدة من الخطابة المسموعة والمكتوبة اسلوب خاص وكذلك اصنافها واما الثاني وهو
الترتيب واعلم ان للاقاويل الخطابية صدرا ووسطا وخاتمة فالصدر كالرسم الذي ينتقش عليه ويعرف السامع
منه الغرض اجمالا واما الوسط فقد يكون اقتصاصا لامر واقع فيحكم بانه حسن او قبيح كما في المنافرة وعدل او
جور كما في المشاجرة وقد تقدم على الصدر اقتصاص لامور يستلزم الشكر والمدح من القائل ويهيء السامع
لذلك كما جرت العادة بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسله عليهم السلم وقد يكون الوسط
غير اقتصاص بل دلالة على مصلحة وحث عليها كما في المشورة اذ ليس فيها ما يحكى ويشكى ويحمد ويذم وليس فيها
منازعة ومواثبة والصدر فيها حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة
قبيح واما الخاتمة فهي حسنة في المشورة ايضا والذي يليق بها ان يكون اجزاؤها منفصلة غير مخلوطة باجلها وخصوصا
في المشوريات وهو ان يقول المشير قد قلت ما عندي من النصيحة والرأي ما ترون وكما يقول الخطيب
اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم انه هو الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهي الامور
التي يتعلق بهيئة الخطيب فيتحمل معاندا او تخيل اخلاق واستعدادات لافعال وانفعالات ويسمى ذلك
نفاقا والاخذ بالوجوه فهي اما ان يتعلق بصوته كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع الخفض او بتركيبه
نفسه او بكونه على زي وهيئة وسمت حسن يصيد به القلوب وهذا القسم انما يكثر الانتفاع باستعماله
مع ضعفاء العقول اذا كانوا للاستدراجات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك يكبر في اعينهم من كان
بزي النساك والمكثرين من العبادة والخشوع الظاهر وان كان جاهلا مرائيا ولما لم يكن غرضنا من الغرض
بذكر الخطابة هنا الا الاشارة الى اقسامها الكلية ليتبين منفعة الخطابة وما عسى ان نذكره من الخطابة التي
نحن شارعون في بيانها من اي اقسام الخطابة هي وليتفطن المطلع على ما ذكرناه هنا لما لم نبينه من ذلك
لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الايراد واما البسط ففي الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلامه عليه السلم
هو المشوريات واما المنافرات والمشاجرات فهما اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء الله تعالى
وبالله التوفيق **خاتمة** لهذه القاعدة واما الخاتمة ففي بيان غايته عليه السلم من الخطابة واعلم انه لما كان
الغرض من وضع الشرايع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب المقدس عن دار الغرور وتذكيرهم
لمعبودهم الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اومانا اليه وعلم مع ذلك ان عليا عليه السلم كان
مقررا للشريعة ومثبتا لها وموضحا لمقاصد سنن الرسول عليه السلم ومفرعا لاحكامها اذ كان هو الممنوح بجوامع
العلم والمطلع على الاسرار الالهية لم يكن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الا الغرض الاول من وضع الشرايع
والسنن بيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية تنقسم بحسب اغراضها ثلثة اقسام مشاورة ومنافرة

ومشاجرة فاما المشورة فانها الجزء الاكبر في كلامه عليه السلم وانت تعلم من تصفح كلامه ان كل ما يشير به فالقصد
الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها والاشتغال في الفضايل وترك الرذايل
والمنقصات الجاذبة الى الجنبة السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه فان عرض في كلامه امر جزئي او نهي
عن امر جزئي لا يلوح للغافلين منه هذا السر كمصالح الحرب والعدة والمدينة وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع
اليه لان كل ذلك يرجع الى نصرة الدين وتقويته ونظام امر العالم وترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفت
ان جميع ما ورد في كلامه عليه السلم انما هو للدنيا واتباع الهوى وارتكاب الرذايل الموبقة ومن ارتكبها وانشاء
ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد من المدح فانما هو لله سبحانه والملائكة ورسله والصالحين من عباده
وما هم عليه من الفضايل وترك الهوى والاعراض عن الدنيا وما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك
ان الاول جذب للخلق بتحقير ما يميل طباعهم اليه من الامور الفانية وتصغيره وذمه والتنفير عنه وذمهم
على ارتكابه ليتنفروا عنه الى ما وراءهم من النعيم الابدي والخير السرمدي وليتذكروا معبودهم الحق سبحانه
ولا يكونوا من المعرضين الهالكين والثاني ايضا جذب لهم بتعظيم ما ينبغي ان يلتفتوا اليه وتكبيره ومدحه
والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة اليه من الفضايل والاعراض عن الدنيا وغير ذلك واما الامور المشاجرية
فما كان في كلامه عليه السلم منها فاما بيان للظلم والجور واسبابهما وما يؤدي اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة
عند الله تعالى او بيان للعدل او اسبابه وما يؤول اليه من حسن العاقبة وحميد المنقلب الى الله كما يشتمل
عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه ولا شك ان كل ذلك جذب الى الله تعالى بالتصريح والاشارة واما
تظلم عن ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وشكاية من افعاله الخارجة عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد
مقاصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده من ذلك التظلم والشكاية اقناع الخلق بان فلانا ظالم اخذ ما لا يستحقه
ليثبتوا على الحق ويغضبوا اليه وينكروا وهم من عساه يتوهم ان خصمه على الحق فربما كان تقاذف الوهم سببا
للحوق به وذلك بالحقيقة تثبيت على الحق وجذب عن الباطل وهو في نفس الامر مقصود الشارع
وغايته واما اعتذار مما تخيله الجاهلون في حقه ظلما وجورا كاعتذاره عليه السلم عما تخيله جماعة في حقه ظلما
من القعود عن نصرة عثمن حتى نسبوه الى انه قاتله وتنصله من ذلك وكاعتذاره فيما تخيله الخوارج
ذنبا له من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار في هذه المواضع وامثالها جذب الى الحق وصرف
عن الباطل اذ كان الاعتذار منه طلبا لاقناع من تخيل فيه ظلما بانه ليس كما تخيل اليهم وان ما صدر ليس
بظلم ولا جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء به فيما هو عليه من اتباع الحق والنصرة للدين والذب عنه
ومعلوم ان ذلك كله جذب الى الله سبحانه والى اسباب ما يوصل اليه فقد علمت من هذا البيان
ان غايته عليه السلم من جميع اقواله انما هو توجيه الخلق الى جناب الله والفاتهم الى حضرته القدسية وهذه هي
الغاية التي اتفق عليها الانبياء والرسل وتطابقت عليها الشرايع والسنن ومن تامل ما قلناه وترك متابعة
هواه وطبق ما اوردناه من القانون الكلي على كلامه علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق

القاعدة الثالثة

في بيان ان عليا عليه السلم كان مستجمعا للفضايل الانسانية وفيها فصول

الفصل الاول

في فضايله الاختصاصية

من خصائصه

من خصائصه ولنذكر منها وجوها **الاول** نسبه من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية
ولدت هاشميا وكان علي عليه السلم اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن من عقيل بعشر سنين
وهي اول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله من النساء وكان صلى الله عليه وآله يكرمها ويدعوها امي واوصت
اليه حين حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ويروى انه نزل لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه
فقال له اصحابه في تخصيصها بذلك فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى من
حلل الجنة وانما اضطجعت معها لتأمن ضغطة القبر **الثاني** سبقه الى الاسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة **الثالث**
مجاهدته اعداء الله ونصرته الدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهورة ماثورة تكاد لا تحصى لكثرة **الرابع** تخصيص
الرسول صلى الله عليه وآله بتزويجه فاطمة دون من خطبها من اكابر المهاجرين والانصار **الخامس** كون الحسن
والحسين اللذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم **السادس** قوله تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قيل انها نزلت في علي عليه السلم وفيه جعل عيسى عليه السلم مثلا له فضل عظيم
ويؤيد ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله لولا ان يقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت
اليوم فيك مقالا لا تمر بعده بملأ منهم الا اخذوا التراب من تحت قدميك وهذا الكلام يقتضي انه لو وصفه
بشيء لما وصفه الا باوصاف عيسى عليه السلم التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا **السابع** قوله تعالى ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله الآية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي عليه السلم
واهل بيته وسبب نزولها مشهور في كتب التفسير وغيرها وكفى بذلك شرفا **الثامن** روي انه لما نزلت في
تعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه وآله اللهم اجعلها اذن علي ولا شك ان الرسول عليه السلم كان مجاب
الدعوة ولذلك قال علي عليه السلم فما نسيت شيئا سمعته بعد ذلك وذلك من اعظم الفضايل **التاسع** من طرق
الكل قول النبي صلى الله عليه وآله في حقه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه ومن كان
الحق مع اقواله وافعاله فلا مزيد على فضله **العاشر** من طرق الكل قوله عليه السلم انت مني بمنزلة هرون من موسى
الا انه لا نبي بعدي والاستثناء هنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى الا النبوة وما علم
نفيه من الاخوة فبقي كونه وزيرا وناصرا وقائما بناموس الشريعة وحفظ احكامها الكلية وخليفة له كما
كان هرون كذلك ومن هنا تمسك الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه للخلافة وكفى بهذه فضيلة **الحادي عشر** من طرق
الكل قوله عليه السلم من كنت مولاه فعلي مولاه وسواء كان المراد بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر فان الفضل
حاصل **الثاني عشر** قوله عليه السلم في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضاء يحتاج الى انواع العلوم وكفى بشهادة
الرسول عليه السلم له بذلك فضلا **الثالث عشر** قوله عليه السلم اعطيت جوامع العلم واعطي علي جوامع العلم وكفى
بهذه الشهادة فضلا **الرابع عشر** من طرق الشيعة انه خوطب بامرة المؤمنين في حيوة الرسول عليه السلم وانكره
المحدثون من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتابه في فضايل الصحابة وكذلك ابو نعيم الحافظ الاصفهاني
في كتاب حلية الاولياء ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي يعسوب المؤمنين واليعسوب امير النحل وكل ذلك

اشارة الى فضله الخامس عشر تربية رسول الله صلى الله عليه وآله له من اول عمره الى ان اعده لاشرف مراتب الكمالات
النفسانية قال عليه السلام في تربية النبي صلى الله عليه وآله له واثبات آثاره في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم
موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني
الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة
في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك
به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل
يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع
بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة
واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ص فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة
فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير
وانك لعلى خير الى آخر الكلام حتى صار بهذه التربية استاذ العالمين بعده ص في جميع العلوم وبيان ذلك
اما جملة فلقول النبي ص انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود انه ص هو المنبع الذي يفيض منه
العلوم الاسلامية والاسرار الحكمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم والسنة الكريمة وهو مصدرها والمحيط بها
لان شأن المدينة بما يحتوي عليه كذلك وان عليا عليه السلام هو المفرغ لتلك الاسرار والمستعد لتفاصيل
جملها واحكام الحكمة بحسب ما له من كمال الحدس وقوة الاستعداد بحيث يصير تلك الاسرار سهلة التناول
قريبة المأخذ لساير الخلق لان الباب هو الجهة التي منها ينتفع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول ما ارادوه منها
واما تفصيلا فلانا تتبعنا العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو العلم الالهي وقد ورد في خطبه عليه السلام
من اسرار التوحيد والنبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد كما ستقف عليه ما لم يأت بكلام احد من اكابر
العلماء واساطين الحكمة ثم وجدنا جميع فرق الاسلام ينتهي في علومهم اليه اما المتكلمون فاما معتزلة
وانتسابهم اليه ظاهر فلان اكثر اصولهم مأخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل وايضا فانهم
ينتسبون الى اشياخهم كالحسن البصري وواصل بن عطا وكانوا منتسبين الى علي عليه السلام ومتلقفين منه العلوم
واما الاشعرية فمعلوم ان استاذهم ابو الحسن الاشعري وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من
مشايخ المعتزلة الا انه تنبه لما اوردناه ان المعتزلة في الاستفادة في مواضع نقلها من مذهبه واما
الشيعة فانتسابهم اليه ظاهر فانهم يتلقفون العلوم عن ائمتهم وائمتهم يأخذ بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه
وهو امامهم الاول واما الخوارج فهم وان كانوا في غاية من البعد عنه الا انهم ينتسبون الى اشياخهم وقد
كانوا تلامذة علي عليه السلام واما المفسرون فرئيسهم ابن عباس رض وقد كان تلميذ علي واما الفقهاء فمذاهبهم
المشهورة اربعة احدها مذهب ابي حنيفة ومن المشهور ان ابا حنيفة قرأ على الصادق ع واخذ منه الاحكام
وانتهاء الصادق ع الى علي ع ظاهر الثاني مذهب مالك وقد كان مالك تلميذ ربيعة الرأي وربيعة تلميذ
عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس وكان تلميذ علي ع الثالث مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا

لمالك

لمالك الرابع مذهب احمد بن حنبل وقد كان احمد تلميذ الشافعي فرجع انتساب فقه الجميع الى علي ع ومما يؤيد
كماله في الفقه قول الرسول ص اقضاكم علي والاقضى لا بد وان يكون افقه واعلم بقواعد الفقه واصوله واما
الفصحاء فمعلوم ان من ينتسب الى الفصاحة بعده يملؤن اوعيتهم من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم
فيكون منها بمنزلة درر العقود كابن نباتة وغيره والامر في ذلك ظاهر واما النحويون فاول واضع للنحو
هو ابو الاسود الدؤلي وكان ذلك بارشاده ع له الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود سمع رجلا يقرأ ان الله
بريء من المشركين ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من نقصان الايمان
بعد زيادته وراجع عليا ع في ذلك فقال له نحوت ان اضع للناس ميزانا يقومون به السنتهم فقال له ع
انح نحوه وارشده الى كيفية ذلك الوضع وعلمه اياه واما علماء الصوفية وارباب العرفان فنسبتهم اليه في
تصفية الباطن وكيفية السلوك الى الله تعالى ظاهرة لا شبهة واما علماء الشجاعة والممارسون للاسلحة والحروب
فهم ايضا ينتسبون اليه في علم ذلك فثبت بذلك انه كان استاذ الخلق وهاديهم الى الطريق الحق بعد رسول الله ص
ومناقبه وفضائله اكثر من ان تحصى وبالله التوفيق الفصل الثاني في بيان فضائله النفسانية وهي اما ان
يعتبر بالنسبة الى قوته النظرية او الى قوته العملية فاذن ههنا بحثان البحث الاول في انه ع كان مستجمعا
لكمال قوته النظرية قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية وهي استكمال النفس الانسانية
بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية ولا شك ان هذه الدرجة
كانت ثابتة له ع وبيان ذلك ببيان انه ع كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين ص وانه كان مستجمعا
لدرجة الوصول وتحقيق ذلك انه قد ثبت في علم كيفية السلوك ان وصول العارف انما يحق اذا غاب
عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة
بزينة الحق ثم انه قد وجد في كلامه واشاراته حصول هذه المرتبة له ولنذكر منها مواضع ثلثة الاول قوله ع
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد عرفت ان ذلك اشارة الى ان الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة
النظرية قد حصلت له بالفعل وذلك يستلزم تحقق الوصول التام الذي ليس في قوة الاولياء بلوغه الثاني
قوله ع حكاية عن رسول الله ص في حقه انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولا اشكال
ان النبي ص كان له الاتصال التام بالحق تعالى فكان هذا الاتصال والوصول حاصلا لعلي ع بمقتضى شهادة
الرسول وان كان التفاوت بين المرتبتين قائما لان للاتصال بالجناب المقدس درجات لا تتناهى
ولذلك قال الا انك لست بنبي وستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء اليه تحقق هذه المرتبة له الثالث
قوله ع الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا رغبة في ثوابك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك
وجه الاستدلال انه حذف كل حظ دنياوي واخروي عن درجة الاعتبار سوى الحق تعالى وذلك هو محقق
الوصول ومما يؤيد ذلك انا سنبين ان شاء الله تعالى تمكنه ع من الكرامات وصدورها عنه وذلك من
خواص الواصلين البحث الثاني في بيان كماله في قوته العملية وكما علمت ان كمال القوة النظرية انما هو
باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال القوة العملية انما هو باستكمال الحكمة العملية وهي استكمال النفس بكمال

الملكة اتت بهذه الافعال الفاضلة حتى يكون الانسان ثابتا على الصراط المستقيم متجنبا طرفي الافراط والتفريط
في جميع افعاله ثم قد ثبت في علم الاخلاق ان اصول الفضائل الخلقية ثلثة احدها الحكمة الخلقية وهي الملكة
التي تصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجربزة والغباوة اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وان من علم
من تتبع افعاله واقواله وتدابيره في امور الحرب ونظام امور العالم ما يضطر معه الى الحكم بانه كان
متصفا بهذه الفضيلة وغير واقف دونها في حد الغباوة ولا متجاوز لها الى طرف الجربزة لان خبث
الجربزة يمنعه عن الترقي الى درجة الكمال ويابى طبعه الاشرف وثانيها العفة وهي الملكة الصادرة عن اعتدال
حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل وبها تصدر الافعال المتوسطة
بين الخمود والفجور اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وتبين ان هذه الملكة كانت ثابتة له عم من وجهين
الاول انه كان ازهد الخلق في الدنيا بعد الرسول صلعم وفيما عدا القدر الحقيقة واقدرها حذف الشواغل
الملفتة عن لقاء الله وكل من كان كك كان مالكا لهواه منصرفا عن الشهوة بعيد عنها اما المقدمة الاولى فمعلومة
بالتواتر واما الثانية فضرورية ايضا الثاني قول النبي صلعم اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ودعوته لا شك
في استجابة دعائه عم ومن كان الحق لازما لحركاته وتصرفاته استحال ان يلزمها باطل لان الامر الواحد لا يلزمه
لازمان مختلفان فيستحيل ان يكون متبعا للهوى ابدا وهو معنى العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة
له ما روي انه عم ما شبع من طعام قط وانه كان من اخشن الناس ملبسا وما كان يقنع بقرص الشعير
ولا ياكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقبرة للحيوان ويقصد بذلك التنفير عنه وكان
ذلك زهادة في الدنيا ولذاتها وثالثها الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية
بحسب تصريف العقل فيما يضبط لها وبها تصدر الافعال المتوسطة بين افعال الجبن والتهور وثبوت
هذه الفضيلة له عم معلوم بالتواتر حتى صارت شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في الرجل الشجاع
واذا عرفت ان هذه الملكات الثلث ثابتة له كاتم ما يمكن وثبت انها مستلزمة لفضيلة العدالة
ثبت ان فضيلة العدالة ثابتة له واما باقي اقسام الحكمة العملية كالحكمة السياسية والمنزلية فقد علمت
ان فايدتهما ان يعلم الانسان وجه المشاركة التي ينبغي ان يكون بين اشخاص الناس ليتعاونوا
على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة وقد كان عم في ذلك سباق غايات وصاحب
ايات ويكفيك في معرفة ذلك مشاهدة سبيل الحجة فان الشريعة المصطفوية سلام الله عليه وعلى
وارده بمقاصدهما بين الحكمتين على اتم الوجوه والطفها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في تعلمها ومعلوم ان
عليا عم كان متمسكا بها ومقررا لها وباسطا لاحكامها الكلية ومفصلا لاشاراتها المجملة لم يغير منها
حرفا ولم يقف فيها دون غاية وذلك يستلزم ثبوتهما له على اكمل وجه واتمه واما على سبيل التفصيل
فيكفيك في معرفة انه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلعم في هذا العلم مطالعة كتبه وعهوده الى عماله وولاته
وامرائه وقضاته خصوصا العهد الذي كتبه للاشتر النخعي فان فيه من لطايف تدبير امر المدينة ونظام
احوال الخلق ما لا يهتدي لحسنه ولا يوجد عليه مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر الصحابة

المعترف

المعترف بحسن تدبيرهم واماثلهم الى استشارته في امورهم وتعرف كيفية تدبير العساكر والحروب والمصالح
الكلية والجزئية منه في مواضع كثيرة نقلها في هذا الكتاب وفي غيره كرجوع عمر الى رايه في الخروج مع المسلمين
الى غزو الروم وغير ذلك مما هو مشهور ماثور وما اشار عليهم به من الاراء الكاملة بحسن التدبير والايالة
الراجحة بنظام الحركات المدنية كاستعلامات الله تعالى وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في صدور الكرامات
عنه وفيه بحثان **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان ذلك او في سببه
او في وقوعه منه فهنا اذن ثلث مقامات **المقام الاول** في امكانه يجب عليك ايها الاخ الملتفت لنفحات الله
اذا ذكر ان خليفة من خلفاء الله ووليا من اوليائه اخبر عن امر سيكون مبشرا به او منذرا مما لا ينبغي ان يدركه
قوتك وانت انت فاياك ان لا تبادر الى التكذيب بامثال ذلك وتنكره فانك متى راجعت
عقلك وتصفحت لاحوال نفسك تجد كل ذلك ممكنا واليه سبيلا وبيان ذلك ان معرفة الامور الغيبية في
النوم ممكنة فوجب ان يكون في اليقظة كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا ويقع بعده
كما صرح تلك الرؤيا او تعبيرها وذلك يوضح ما قلناه اما في حق الرائي فقط واما من لم يرزق ذلك في
حال النوم فانه يعلمه بالتواتر من اكثر الخلق واما الثاني فلان ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه
حال اليقظة فان الناس لو لم يجربوا ذلك في حال النوم لكان استبعادهم له في تلك الحال اشد من استبعادهم
لوقوعه في حال اليقظة فانه عند عدم التجربة لو قيل لانسان ان جماعة من الادنيا اجتهدوا واخذ منهم مفكرا انهم
الصافية حال ما هم ايقاظ في تحصيل حكم غيبي فعجزوا ثم ان واحدا من الكفار لما نام وصار كالميت حصل
له ذلك الحكم فلا بد وان يكذب بذلك ويستنكر لعدم حصوله مع كمال الحركة وسلامة الحواس عن العطلة
وكمال العبادة وحصوله مع اضداد ذلك فقد بان بذلك انه لما كان في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة
كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور الغيبية فاما في حال النوم فلانه قد ثبت في العلم
الالهي ان جميع الامور التي تصدق عليها انها كانت او ستكون معلومة لله تعالى وثبت ان النفس الانسانية
من شانها الاتصال بجناب الله تعالى وانما يعوقها عن ذلك استغراقها في تدبير البدن فاذا حصل لها
ادنى فراغ من ذلك كما في حال النوم وانغلقت عنها ابواب الحواس الظاهرة ورجعت بطبعها الى
الاتصال بالجناب المقدس فينطبع فيها من الصور الحاصلة هناك ما هو اليق بها من احوالها واحوال ما يقرب
منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طبعها المحاكاة تحاكي تلك المعاني الكلية الحاصلة
للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحطها الى لوح الخيال الحافظ للصور فتبقى تلك الصور مشاهدة في الحس المشترك
ثم ان كانت تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينهما الا في الكلية والجزئية
كانت الرؤيا غنية عن التعبير وان كانت المناسبة حاصلة بوجه ما كما اذا تصور المعنى بصورة ضده
او لازم من لوازمه احتيج الى التعبير وفايدة التعبير التحليل ورجوع الفكر بالعكس من الصورة الخيالية
الى المعنى النفسي وان لم يكن هناك مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة
فالسبب في ذلك هو ان النفس الناطقة متى قويت وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها

تدبير البدن عائقا لها عن ملاحظتها وبها والاتصال بالحضرة الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص
الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت الى الجناب المقدس لاستعلام ما كان
او ما سيكون انتقشت عليها الصور الكلية لتلك الامور ثم ان النفس تستعين في ضبط تلك الامور الكلية
بالقوة المتخيلة فتحكي تلك المعاني بما يشبهها من الامور المحسوسة ثم تحطها الى خزانة الخيال فيصير مشاهد الحس
فربما سمع الانسان كلاما منظوما وشاهد منظرا بهيا يخاطبه بكلام فيما يجبه من احواله فان كان لا تفاوت
بين تلك المعاني والصور الاخذ الكلية والجزئية كان ذلك وحيا صريحا والهاما والا احتاج الى التاويل
واما المقام الثالث وهو صدور الاخبار بالامور الغيبية عنه فسنتكلم في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ان شاء الله تع
لا يقال لا نم ان ذلك علم الهمه الله اياه وافاضه عليه بل الرسول عم اخبره بوقائع جزئية من ذلك ومع
لا يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا العلم فان الواحد منا لو اخبره الرسول عم بشيء من ذلك لكان له ان يحكي
ما قال الرسول وان وقع المخبر به على وفق قوله ويدل على ذلك قوله بعد وصفه ما تراك وقد قال له
بعض اصحابه في ذلك المقام لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبيا يا
اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه
من قوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح
وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد
الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلعم فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي
وهذا التصريح بانه تعلم من رسول الله صلعم لانا نقول انا لم ندع انه عم كان يعلم الغيب بل المدعى انه
كان لنفسه القدسية استعداد ان تنتقش بالامور الغيبية عن افاضة جود الله تعالى وفرق بين علم الغيب
الذي لا يعلمه الا الله وبين ما ادعيناه فان المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا من سبب
يفيده وذلك انما يصدق في حق الله تعالى اذ كل علم لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة او
بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي لا يتاهل للاطلاع عليه كل الناس بل
يختص بنفوس خصت بعناية الهية كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
واذا عرفت ذلك ظهر ان كلامه عم صادق مطابق لما اوردناه فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب لانه
مستفاد من جود الله تعالى وقوله وانما هو تعلم من ذي علم اشارة الى وساطة تعليم الرسول له وهو اعداد
نفسه على طول الصحبة بتعليمه وارشاده له الى كيفية السلوك واسباب التطويع والرياضة حتى استعدت
للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم وان كان امرا قد يلزمه الايجاد
العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلعم له لم يكن مجرد توقيفه على الصور الجزئية بل اعداد نفسه بالقواعد
الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول عم صورا جزئية لم يحتج الى مثل دعائه في فهمها فان فهم
الصور الجزئية امر ممكن سهل في حق من له ادنى فهم وانما يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان لها بانواع الاعدادات
هو الامور الكلية العامة للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة

لادراكها

لادراكها ومما يؤيد ذلك قوله عم علمني رسول الله صلعم الف باب من العلم فانفتح لي من كل باب الف باب
وقول الرسول صلعم اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم والمراد بانفتاح الباب ليس الا التفريع وانشعاب
القوانين الكلية عما هو اعم منها وبجوامع العلم ليس الا ضوابطه وقوانينه وفي قوله واعطي بالبناء للمفعول دليل
ظاهر على ان المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطى النبي صلعم جوامع
الكلم وهو الحق سبحانه وتعالى واما الامور التي عدها عم انه سبحانه في من الامور الغيبية وقوله لا يعلمها احد الا الله
كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ومحل التخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفة وسيجيء في اثناء الشرح
ما يزيد ذلك وضوحا ان شاء الله تعالى البحث الثاني في بيان صدور الافعال الخارقة للعادة عنه والنظر
ايضا اما في امكان ذلك وفي سببه او في نفس وقوعه منه المقام الاول في امكانه واسبابه واجب [..]
من اطلعه الله سبحانه لاشراق انواره اذا سمع ان وليا من الاولياء الله فعل ليس في وسع غيره من ابناء
نوعه الاتيان بمثله كالامساك عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحريك الى حركة
خارجة عن وسع مثله وكالاشارة من طوفانات تقع باستدعائهم وزلازل واستنزال عقوبات
وخسف لقوم حق عليهم القول واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها
ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار يجد تلك الامور ممكنة في الطبيعة اما الامساك عن القوت
فتامل امكانه فيقابل وجوده عند عروض عوارض غريبة لنا اما بدنية كالامراض الحادة واما نفسانية
كالخوف والغم وسبب الامساك في حال المرض اما في الامراض البدنية فان القوى الطبيعية تشتغل
بهضم المواد الردية عن تحريك المواد المحمودة فتجد المواد المحمودة محفوظة قليلة التحلل غنية عن طلب
البدل لما يتحلل فربما انقطع الغذاء عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير حالة تلك عشر تلك المدة
هلك وهو مع ذلك محفوظ الحيوة واما في الخوف لوقوف القوى الطبيعية عن افعالها بسبب اشتغال
النفس بما اهمها عن الالتفات الى تدبير البدن واذا عرفت امكان ذلك بسبب العوارض الغريبة فاعلم
ان سبب تحققه في حق العارف هو توجه نفسه بالكلية الى عالم القدس المستلزم لتشيع القوى البدنية
لها وذلك ان النفس المطمئنة اذا راضت القوى البدنية انجذبت القوى خلفها في مهماتها التي تنزع
اليها واشتداد ذلك الانجذاب بشدة الجذب فاذا اشتد الاشتغال عن الجهة السافلة وقفت افعال
الطبيعة المتعلقة بالقوة النباتية فلم يكن من التحليل الا دون ما يكون في حال المرض لاختصاص المرض
في بعض بما يقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات البدن بسبب عروض الحرارة الغريبة المسماة بسوء
المزاج الحار لان الغذاء انما يكون لسد بدل ما يتحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة الى الغذاء انما يكون
بحسب كثرة التحليل وكقصور القوى البدنية بسبب المرض المضاد له وانما الحاجة الى حفظ تلك الرطوبات
لحفظ تلك القوى اذ كانت مادة الحرارة الغريزية المقتضية لتعادل الاركان الذي لا تقوم تلك القوى
الا معه وشدة الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما هي بحسب شدة فتورها واما العرفان فانه مختص بامر يوجب

الاستغناء عن الغذاء هو سكون البدن عند اعراض القوى البدنية عن افعالها حال متابعتها النفس واجتذابها
حلولها حال توجهها الى الجناب القدسي وقطعها لمدة معارضة الحق واليه الاشارة بقوله عليه السلام ابيت عند
ربي يطعمني ويسقيني واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان
بذلك الاقتضاء اولى **واما القدرة** على الحركة التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانه انك علمت ان مبدأ
القوى البدنية هو الروح الحيواني فالعوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة تقتضي انقباض الروح بحركة
الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها وتارة يقتضي حركة الى خارج كالغضب
وانبساطا معتدلا كالفرح المطرب والانتشار المعتدل وذلك يقتضي ازدياد العرض ونشاطها واذا عرفت
ذلك فاعلم انه لما كان فرح العارف ببهجة الحق اتم واعظم من فرح من عداه بما عداه وكانت الغواشي التي
تغشاه وتحركه اغترارا بالحق وحمية ربانية اعظم مما يعرض لغيره لا جرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة
لغيره ممكن **واما السبب** في الامور الباقية فهو انه قد ثبت في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن ليس الا
تعلق انطباع فيه انما هو على وجه انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيئات النفسانية قد تكون مبادي لحدوث
الحوادث وبيانه اما اولا فلانك تشاهد ان الانسان يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرف عليه كيف شاء
ولو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشي عليه راجفا متزلزلا يرتعد ويهم بالسقوط
مرة بعد اخرى لتصوره وانفعال بدنه عن وهمه حتى ربما سقط واما ثانيا فلان الامزجة تتغير عن العوارض
النفسانية كثيرا كالغضب والخوف والحزن والفرح وغير ذلك وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم
المرض او الصحة قد يوجب ذلك وهو ايضا ضروري اذا عرفت ذلك فنقول انه لما كانت الامزجة قابلة
لهذه الانفعالات عن هذه الاحوال النفسانية فلا مانع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها تتمكن
من التصرف في عنصر هذا العالم بحيث يكون نسبتها الى كلية العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا فيكون لها
تأثير في اعداد المواد العنصرية لان يفاض عليها صور الامور الغريبة التي تخرج عن وسع مثلها فاذا
انضمت الى ذلك الرياضات فانكسرت سورة الشهوة والغضب وبقيتا اسيرتين في يد القوة العاقلة
فلا شك انها حينئذ تكون اقوى على تلك الافعال وتلك الخاصية اما بحسب المزاج الاصلي او بحسب مزاج طار
غير مكتسب او بحسب المكتسب بالاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس والذي يكون بحسب المزاج الاصلي
فهو المعجزات من الانبياء والكرامات من الاولياء فان انضم اليها الاجتهاد في الرياضة بلغت الغاية القصوى
في ذلك الكمال وقد يغلب على مزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرف الشر وفي الامور الخسيسة الزكية
نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول للنبوة ان يكون الشخص مامورا
من السماء باصلاح النوع ثم من لواحق مرتبة الاولياء في الامور الاول ان يستغنوا في اكثر علومهم عن معلم بشري
بل يحصل لهم بحسب قواهم الحدسية القدسية الشريفة البالغة وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه
الثاني ان يكون هيولى العالم طوعا لما ارادوا من الامور الغريبة الخارقة للعادة كالخسف والتحريكات
والتسكينات الثالث ان يتمكنوا من الاخبار عن المغيبات والامور الجزئية الواقعة اما في الماضي او في

المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تمييز درجة الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم به انما هو لشدة اتصالهم
فان من هم اشد اتصالا بالمبدأ الاول والكل قوة من غيرهم ولكن اختلاف مراتبهم عائد الى تفاوت نفوسهم
في قربها من المبدأ واتصالها به واما باقي الخصال فقد يشاركهم فيها الاولياء ويجمع بينهم والى هذا الحرف اشار النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وكان التفاوت بين المعجزة والكرامة انما يرجع الى الخصال المذكورة ان صدرت
ممن له الشرط الاول سميناها معجزا وان صدرت عن غيرهم كانت في حد الكرامة وتحقيق هذه الابحاث مبني على مقدمات
واصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانها وبالله التوفيق **المقام الثالث** في وقوع النقل الخارق عنه
واعلم ان الطريق الى ذلك هو النقل وقد نقل عنه ذلك في صور بعضها بحسب التواتر وبعضها بخبر الآحاد
فمن الامور الخارقة المنقولة عنه بحسب التواتر قلعه باب خيبر لما انتهى وكان من صخرة واحدة يعجز عن تحريكه
وروى في كيفية ذلك انه لما انتهى دحاه وجعله جسرا ووضعه واجتمع عليه سبعون رجلا وكان اجهدهم ان اعادوه الى
مكانه وروي انه قال عالجت باب خيبر وجعلته مجنا لي وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت الباب على خندقهم
طريقا ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل جنتي التي في يدي
في غير ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر على ذلك من هو اقوى صورة منه ولذلك
قال ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية وللشعراء في هذه الاثار اشعار كثيرة والقصة
مشهورة فهذا القدر يكفينا في بيان فضائله ومن احب ذلك في باقي الامور المنقولة عنه في ذلك فالكتب المصنفة في بيان
معجزات الانبياء وكرامات الاولياء ولقد اجتهد بنو امية في اخفاء فضائله واطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب
والمثالب حتى سبوه على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة وان يسمى باسمه احد فلم يزدد
بذلك الا خفاء الا ظهورا ولم يثمر ذلك الطفاء الا نورا ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
وكان مولده عليه السلام قبل ظهور دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بثلث عشرة سنة وقيل اثنتي عشرة سنة وقيل عشر سنين وقتل
ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة اربعين من هجرة الرسول بجامع الكوفة وهو ابن ثلث
وستين سنة فهذا ما اردناه من هذه المقدمة ولنشرع في بعدها في تقرير المطالب وقبله نذكر نسب السيد
رضي الدين رضي الله عنه وتبيين ما عساه ان يشكل من لفظه في خطبة الكتاب اما نسبه فهو السيد الشريف رضي الدين
ذو الحسبين محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن
ابي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام ووصف بذي الحسبين لاجتماع اصناف الفخر الذي
هو منبع الحسب مع فضيلة نفسه وكان اماما في العلم والادب وكان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي
في المحرم سنة ست واربعمائة بالكرخ من بغداد ودفن مع اخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلام
خطبة الكتاب قال رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا
لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا الى زيادة احسانه والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة
وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق
وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين

ووسيلة

أثناء

صلوة تكون إزاء لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم ما أنار فجر ساطع وخوى نجم طالع فإني كنت في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة عليهم السلم يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته أمام الكلام وعاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك أبوابا وفصلته فصولا فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه وسألوني عند ذلك أن أبتدئ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب علما أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه عليه السلام ظهر مكنونها وعنه أخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتأخروا لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الأجر واعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة وأنه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الأولين الذين إنما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فأما كلامه فهو البحر الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل وأردت أن يسوغ لي التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة أولها الخطب والأوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفردا لكل صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه أوراقا لتكون لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع إلي آجلا وإذا جاءني شيء من كلامه الخارج في أثناء حوار أو جواب كتاب أو غرض آخر في غير الأنحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الأبواب به وأشده ملامحة لغرضه وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير منتظمة لأني أورد النكت واللمع ولا أقصد التتالي والنسق ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في كسر بيت أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الأبطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد وألف بين الأشتات وكثيرا ما أذاكر الإخوان بها وأستخرج عجبهم منها وهو موضع للعبرة بها والفكرة فيها وربما

منه

من الأغراض

جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعا غير موضعه الأول إما بزيادة مختارة أو لفظ أحسن عبارة فيقتضي الحال أن يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقائل الكلام وربما بعد العهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا واعتمادا ولا أدعي مع ذلك أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند ناد بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلي والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي إلا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل وإرشاد الدليل إن شاء الله ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في أثنائه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة وأتنجز التسديد والمعونة وأستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل

هذا

أقول أما حرف يبتدأ به الكلام المقسم إلى قسمين أو أكثر ويتصدر به الجمل فيخصص معه كل واحدة بحكم ليس للأخرى فقوله أما بعد حمد الله هو الجزء الثاني من الكلام وتقدير الكلام مع الجزء الأول أما قبل الشروع في المطلوب فالحمد لله وأما بعد حمد الله فإني كنت في عنفوان السن وإنما حذف الجزء الأول اختصارا للكلام وإيجازا له ثم استمر ذلك الحذف وحسن استعماله في الكلمات الخطابية وغيرها حتى صار إظهار المحذوف فيها مستهجنا بعد ما يستحسن الحذف وقال سيبويه إنه مع الجملة التي يدخل عليها في قوة شرط متصل فقال إذا قلت أما زيد فمنطلق فكأنك قلت مهما يكن من شيء فزيد منطلق وبنى على ذلك لزوم الفاء لجوابها وجعل هذا الكلام مشتملا على جملتين شرط وجزاء والمذكور منها ليس إلا الجملة الجزائية وأما الشرط فمحذوف للاختصار وبهذا الحذف نيب عنه كما ناب يا النداء مقام أدعو ونعم مناب الجواب وإنما زحلقت الفاء عن موضعها وهو المبتدأ إلى الخبر لئلا تقع في صدر الكلام مع أن حقها التوسط إما بين مفردين أو جملتين وقوله بعد ظرف فيستدعي متعلقا وتقديره وأما قوله بعد حمد الله فهو كذا وكذا والحمد لفظ مشترك يصدق على معنى الشكر الذي هو الاعتراف بالنعم المتقدمة والثناء والتعظيم لرجحان الشكر وعلى الثناء المطلق ابتداء والتعظيم لنفس المحسن إلى الحامد إذا رأى منه فعلا جميلا دون أن يكون في حقه فهو إذن أعم من الشكر وهو أخص من المدح لاختصاص الحمد في حق العقلاء دون غيرهم إذ يقال مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاذ الملجأ والوسيلة جمع وسيلة وهي كل ما تقرب به إلى الله تعالى أو إلى غيره والصلوة لفظ مشترك بين معان وهي من الله تعالى رحمة والنبي مأخوذ إما من النبوة وهي النباوة وهو الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون أصله غير الهمز وإما من الإنباء وهو الخبر لأنه يخبر عن الله تعالى والأمة الجماعة والمنتجب المستخلص المصطفى وسلالة الشيء ما استل منه واستخرج والنطفة سلالة الإنسان ومنه السليل وهو الولد والمجد في الأصل الكرم والمجيد الكريم وكذلك الماجد فأعرق الرجل إذا صار عريقا وهو الذي عرق في الكرم والأصل والعصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق إذا منع الأذى عنهم وحامى منه والمنار علم الطريق وهو لفظ مفرد وأصل الفاء الواو وقد يستعمل جمعا لمنارة كما أراده الرضي هنا ولذلك أنث صفته

دلي

ه

وهذا الجمع على غير قياس فان وزن شارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل وذلك كان الجمع الاصلي لشارة
شاور قال الجوهري ومن قال مشاير فهو قد شبه الاصلي بالزايد واراد في حذفه في الجمع والمثاقيل جمع مثقال
وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون حداه الا انه كثر استعماله حتى عدي الى الموزون ايضا فيقال مثقال
مسك ونحوه ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها فقيل مثقال فضل ومنه الشي اذا الذلك عداه له
ومقابل وذلك المكافاة والكفاء يقال كافات فلانا بالشي اذا قابلته به وجزيته عليه وكفا الشي بالمد والقصر
مثله ونظيره من جزاء ونحوه ومنه كفات الاناء اذا ملأته وخوى النجم بالتخفيف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب
وعنفوان الشباب والسن اوله والغض الطري وغضاضة الغصن طراوته ولينه وحداه على كذا اي بعثني
وحثني عليه وهو ماخوذ من حداء الابل وهو زجرها والغناء لها الباعث لها على السير والحامل لها على السرعة فيه
والخصايص جمع خصيصة فعيلة بمعنى فاعلة وهي ما يختص الانسان من كمال وغيره والمحاجرات جمع محاجرة وهي
الممانعة من الطرفين كان الايام تمانعه عن العمل وهو يمانعها منها له والمماطلات جمع مماطلة مفاعلة ايضا
من الطرفين كان الزمان لاغتراره بطوله يعده بانجاز العمل فيخلف وكانه هو لطول امله يعد الزمان
بوقوع العمل فيه فيخلف واعجب فلان بكذا على البناء للمفعول فهو معجب اذا احبه ومال اليه وصار عنده في محل
ان يتعجب منه ومنه قولهم اعجب فلان برايه وعقله والبدايع جمع بديعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي الفعل على غير
مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مبالغة في حسنه كانه لكمال حسنه لم يسبق اليه والتعجب
قولك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة والناصع من كل شي خالصه ونصع الامر وضح
وبان ومعجبين ومتعجبين منصوبان على الحال والعجب بالشي سبب التعجب منه وفنون الكلام انواعه واساليبه
المختلفة وعلما منصوب على المفعول له او على انه مصدر سد مسد الحال اي عالمين والعامل فيه قوله سالوني
والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف منها احكام جزئياتها المطابقة لها ولفظه معرب …
وقيل انه عربي ماخوذ لكونه ثابتا باقيا اما من القين وهو العبد الذي ملك هو وابواه …
او من القنقن وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني وذلك القاف بضم القاف لكون القانون دليلا
في تعرف جزئياته ويقال على فلان مسحة من جمال اي اثر وعلامة وهو خاص بالمدح قال رسول الله صلعم في
جرير بن عبد الله البجلي عليه مسحة من ملك اي اثر ذلك وقال ذو الرمة * على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت
الثياب الشين لو كان باديا * وعبق به الطيب اي لزق به وانتشرت عنه رائحته والعبق واحدة العبق [?]
واحتفرت اي قصدت والدثرة الكثيرة وذلك الجم والاثر ما بقي من رسم الشي وسنن رسول الله صلعم
ويؤثر عنهم ينقل عنهم من الاثار … المنفرد الذي لا يصحب … وشرد البعير نفر من الابل وخرج عن
نظامها والمساجلة المغالبة والمفاخرة في سقي او جري واصله من السجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها
ما قال الفضل بن عباس * من يساجلني يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب * وحفل القوم واحتفلوا
اي اجتمعوا والمحافلة مفاعلة من الطرفين وقوله لا يحافل اي ليس في كلام غيره مجمع للفضايل يقابل كلامه
وقطب الرحى المسمار الذي عليه يدور ثم استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع فقيل قطب القوم سيدهم

لكونه

لكونه مدار امورهم وقطبا الفلك نهايتي محوره وهو الخط الذي يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا في الجنبين الى طرفيه
وعليه يدور والخطب اقسام الكلام التي يدخل اجزاؤه تحتها ويدور عليه والخطبة اسم من الوعظ والوعظ التخويف و
تخصيص في العرف بالتذكير بايام الله وامر الاخرة وعذاب النار ونحوه والرسالة اسم الكتاب لجواز ان يكون
بالقول دون كونها مكتوبة والصنف في اللغة والنوع واحد وان كان بينهما في عرف اخر فرق والاجماع تصميم
العزم على الامر وخلوصه من التردد واثناء الشي تضاعيفه وهو جمع ثني بكسر الثاء وسكون النون تقول انفذت
كذا ثني كتابي اي في طيه والحوار الخطاب والجواب والمحاورة المجاوبة والتراوة في الكلام يقال كلمته فلم يحر جوابا
والانحا جمع نحو وهو القصد وقواعد البيت الاحجار التي يوسس عليها بناوه قال تعالى واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت وقواعد الهودج خشب اربع المعترضات في اسفله ثم عدي الى كل اصل يبنى عليه
من كلام او غيره والملامح المشابهة من قولهم في فلان ملامح من ابيه اي شبه واصله من لمح البصر وهو النظر
الخفيف السريع الزوال وذلك ان الملمح مفعل وهو موضع اللمح والمشابه محال اللمح فلذلك اشتق منها الملامح
وروى ملاحم وهي الملاءمة وروى ملايمة ايضا والمتسق المنتظم يتلو بعضه بعضا واصله المتسق فادغمت التاء
في التاء والنكت جمع نكتة وهي الاثر في الشي يتميز به بعض اجزائه عن بعض ويوجب له افتقارا والتفات الذهن
اليه كالنقط في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بدا ارطابها ثم عدي الى
الكلام والامور المعقولة التي يختص بعضها بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فيها فيسمى ذلك البعض نكتة
واللمع جمع لمعة وهي البقعة من الكلا وذلك لجامع من الحسن واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان
البقعة من الارض ذات الكلا كانها تضيء لخضرتها دون سائر البقاع وعدي الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة
الاذهان به وتميزه عن سائر الكلام فكانه في نفسه ذو حسن ونور واعراض الشك خطوره بالبال المانع
من الجزم باحد طرفي المشكوك فيه وقبع القنفذ قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك الرجل اذا دخل
راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ وكرابيت [?] اسفل شقة البيت التي تلي الارض من حيث تكسر جانبا
من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل سطوحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد
يقال بالصاد ايضا وهو قرع يعلم يقينا وانما صارت الياء التي هي الاصل واوا للضمة قبلها وانغمس في الامر
دخل فيه بكليته واصله من الدخول في الماء ونحوه من المايعات واصلت سيفه جردته من غمده وقط الشي قطعه
عرضا وقده وشقه قطعه طولا والبطل الشجاع وجدله اي القاه على الجدالة وهي الارض ونطف ينطف
بضم الطاء في المستقبل نطفانا اي سال والمهج جمع مهجة وهي الدم ويقال هي دم القلب خاصة والمهجة الروح
ايضا ودما ومهجا منصوبان على التمييز والابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم اذا مات واحد بدل الله
مكانه باخر قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل ايضا والعبرة الاسم من الاعتبار وهو انتقال الذهن من
امر الى امر والظهير المعين والاستظهار بالشي الاستعانة بغيره لحفظه وبالشي الاستعانة به على الشي الاستعانة
بغيره لدفعه والغيرة بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامرأة
غيور ايضا اذا كانا كثيري الغيرة والغيرة الم نفساني يعرض للذي الحق من تخيل مشارك غير المستحق لذلك المحل

فيه والعقابيل جمع عقبلة وعقبيلة كل شيء آخره وحسنة والاقطار جمع قطر وهي الناحية والجانب وقد يعبر به عن
ثغر وشرد والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة تشد بها البهم الواحدة من العرى ربقة ومنه الحديث من فارق
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد والبلاغ الاسم من التبليغ والبلاغ اقيم مقام
المصدر والنهج الطريق الواضح والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشيء والبلال بكسر الباء القدر الذي يبل
به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء السيف وغيره صقاله وازالة ما يعرض له من الكدر
وجلاء القلب والنفس ازالة ما يعرض لهما من كدر الشبهة والجهل وتنجزت الامر سالت انجازه وقضاه والاستعاذة
طلب العوذ وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان الخطأ في القول وزلة
القدم خطأ الطريق والانحراف عنه وعدم التثبت على الصراط المستقيم اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المعنى
فقوله اما بعد حمد الله الى قوله وزيادة احسانه اقول ان حمد الله تعالى سواء كان عبارة عن الثناء والتعظيم
المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس الا الله سبحانه
ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل محسن من الخلق انما يحسن لطلب جلب منفعة او دفع
مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة وان عد في العرف احسانا اما الحق سبحانه فلما كان منزها عن طلب المنفعة
ودفع المضرة لم يكن احسانه استيفاء فائدة ما فكان المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق للكل فاقام الحمد
ليس الا هو واما الثاني فبيانه اما في الثناء المطلق له تعالى وتعظيمه فلاستلزامه ملاحظة جلال الله وكبريائه
وتصور الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه
ومنزها عن كل نقص مبرأ عن كل عيب وهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب الله سبحانه من جميع العبادات
وهو جار منها مجرى الروح للجسد وكذلك الشكر لله سبحانه فانه مستلزم لمعرفته ومحبته والالتفات اليه
وملاحظة الجهة التي بها كان مستحق الشكر وهي افاضة النعم التي لا تحصى على العبد ولا يقدر غيره على مثلها
وهذه الملاحظات هي الاسرار المطلوبة من العبادات وبها تكون نافعة واذا علمت ان الحمد من اكمل العبادات
واتمها ثم علمت ان عبادته سبحانه هي المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب لله فالاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله
وما يستلزمه الرضوان من الخيرات الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضي الدين
رحمه الله اشار بهذه الفصول الاربعة الى اربعة انواع من تلك الخيرات الاول قبول الحمد ورضاه من العبد
مع كونه ايسر شيء مؤنة واخفه على الانسان كلفة ثمنا مقابلا لكافة نعم الله في حقه وذلك في الحقيقة نعمة
اخرى وهي هبة كبرى يستدعي حمدا آخر وهلم جرا فسبحان الذي لا يحصى نعماؤه ولا يستقصى آلاؤه
وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه المشابهة ان الثمن لما كان مستلزما لرضا البائع به عوضا عن مبيعه
وكان الحمد مستلزما لرضا الحق سبحانه مقابلة نعمه لا جرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وهذا الخبر
تعالى اوحى الى ايوب عم اني رضيت الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني جعله الحمد معاذا
من بلائه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فانه تعالى لما توعد بالعذاب من كفر نعمته

مع ارادة الحمد والشكر وامره بهما في غير موضع علمنا ان الشكر والحمد من اسباب الخلاص من العذاب
الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الآتي بالحمد يستحق
رضوان الله تعالى من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله فكان الحمد محلا للعوذ به من بلائه
وسخطه الثالث جعله الحمد وسيلا الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون العبادة وسيلة
الى الجنة ظاهر واما ثانيا فما روي ان النبي صلعم قال ينادي يوم القيمة ليقم الحامدون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء
فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على كل حال فظهر بان الحامدين يدخلون الجنة
بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزيادة احسانه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم
فعلق زيادة النعمة بوجود الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع وانما النقصان من جهة العبد
لعدم الاستحقاق واذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله تعالى عليه نعمه ثم لا يزال يستعد بالحمد والشكر
على النعم السابقة لمزيد النعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة الى الفعل فيلحق بدرجة الكروبيين و
مجاورة الملائكة المقربين المعتكفين في حظيرة الجبروت وقد عرفت من هذا البيان ان كون هذه الامور
لازمة للحمد انما هو بجعل الله تعالى لملاحظة عباده بعين عنايته وشموله لهم بسعة رحمته قوله والصلوة على رسوله
نبي الرحمة الى قوله وخوى نجم طالع اقول اردف حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله محمد صلعم وذلك من الآداب
الدينية التي استمرت عليها العادة في الخطب وذكر له اوصافا سبعة الاول كونه نبي الرحمة لملاحظة
قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه احدها انه الهادي الى
سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد العالية
ودخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة الثاني ان التكاليف الواردة على يديه صلعم اسهل التكاليف
واخفها على الخلق بالنسبة الى سائر التكاليف الواردة على ايدي الانبياء السابقين لانه صلعم قال بعثت
بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله ورحمة اختص بها امته على يديه الثالث انه ثبت ان الله
يعفو عن عصاة امته ويرحمهم بسبب شفاعته الرابع انه صلعم رحم كثيرا من اعدائه كاليهود والنصارى
والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال صلعم من آذى ذميا فقد آذاني ولم يقبل احد من الانبياء
الجزية قبله الخامس انه سال الله تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال ورفع العذاب رحمة
السادس ان الله تعالى وضع في شرعه الرخص تخفيفا ورحمة لامته الثاني كونه امام الائمة اما صدق
كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الرئيس المقتدى به في اقواله وافعاله والانبياء احق الخلق
بهذه الصفة اذ هم الاصل في ذلك الثاني قوله تعالى لابراهيم عم اني جاعلك للناس اماما واما كونه امام الائمة
فلقوله عم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة الثالث كونه سراج الامة وبيانه قوله تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهذه استعارة لطيفة له عم فان السراج لما كان
من خاصيته اضاءة ما حوله واهتداء الخلق في الظلمة وكان النبي عم قد اضاء قلوب العالم بانوار الوحي والكلم
حتى اهتدى الخلق به من ظلمة الجهالة لا جرم حسنت استعارة لفظ السراج له وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول

على سبيل الكناية عن كونه هاديا للخلق ومرشدا لهم الى الطريق الحق الرابع كونه منتجبا ومختارا من طينة الكرم
وطينة الكرم كناية عن اصله والكرم حقيقة في السخى ومجاز في مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه اصطفاه
من اصل هو محل الكرم والشرف الخامس كونه سلالة المجد الاقدم واضافة سلالة الى المجد اما على تقدير
حذف المضاف الاصلى حتى يكون التقدير سلالة اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ
المجد لاصله عم فكانه جعل ان الاصل كله مجد فاعطاه لفظ المجد واضاف اليه بعد الاستعارة ثم
وصف المجد بكونه اقدم لزيادته في الفضل على المحدث بل على القديم السادس كونه مغرس الفخار
المعرق وقد استعار لفظ المغرس الذى هو حقيقة في الارض لطينته وجبلته استعارة على وجه الكناية
عن شرفه وكماله ووجه المشابهة ان طينته عم محل لظهور الفخار عنها كما ان الارض الحرة محل لظهور النبات
الطيب الحسن عنها ووصفه بكونه معرقا لزيادته على ما ليس كذلك وهذا من قبيل ترشيح الاستعارة
فانه لما جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا السابع كونه فرع العلاء المثمر المورق لما استعار لفظ الفرع الذى
هو حقيقة في اغصان الشجرة المتفرعة عن اصلها له عم من جهة ما هو فرع في الوجود عن اباء هم اهل العلو
والشرف اتى بما هو من كمال الفروع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان الغصن
الخالى عن الثمر والورق او عن واحد منهما ناقص الكمال والحسن وهى استعارة على سبيل الكناية عن شرفه
بالنظر الى شرف اصوله واضاف الفرع هنا الى العلاء كاضافة لفظ السلالة الى المجد فالكلام فيهما واحد
واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة ففى وجوه الاول ما روى عنه عم انه قال لم يزل الله ينقلنى
من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسنى بدنس الجاهلية وكفى بذلك شرفا و
كرما الثانى انه صم من ولد اسمعيل وابرهيم عم وكرمهما مشهور قال وهب وكان ابرهيم عم اول من
اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث انه عم من قريش وشرف قريش
في العرب ظاهر فمنهم قصى الذى جمع قبايل قريش وانزلها مكة وبنى دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة
من خزاعة ومنهم هاشم بن عبد مناف الذى هشم الثريد لقومه في عام المحل ومنه سمى هاشما واصل
اسمه عمرو قال الشاعر فيه * عمرو العلى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف * ومنهم عبد المطلب
ابن هاشم وكان من حكماء العرب ومحصليها وهو سيد الوادى وشيبة الحمد سجد له الفيل الاعظم وببركة
النور الذى كان في صلبه دفع الله عن حرمه كيد اصحاب الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من
سجيل وببركة ذلك النور راى الرؤيا في تعريف موضع زمزم وهو الذى الهم النذر على نذر ان
يذبح العاشر من اولاده وكفيته الفداء له حتى افتخر رسول الله صم بذلك وقال انا ابن الذبيحين وكان
يامر اولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان
لشرفه وفضل عقله قد سلم اليه النظر في حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم وكان يوضع له
وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة وله اشعار
كثيرة واخبار تدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم موحدا له معترفا بامر المعاد من راهما على كتب

التاريخ

التاريخ قوله وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة اقول اختلف الناس في المراد باهل البيت
في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبى صم مرادون بهذه
الآية ومن الناس من خصصها بمن سوى نسائه لسياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها
خاصة بعلى وفاطمة والحسن والحسين عم وهو قول ابى سعيد الخدرى وهو مراد الرضى هنا مع من بعدهم
من الائمة الاثنى عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم مصابيح وهى استعارة لهم يكنى بها عن
كونهم مهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح في الظلمة وثانيها كونهم عصمة للامم اى مانعين
لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في احد طرفى الافراط والتفريط وثالثها
كونهم منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هى محال الانوار وهى ايضا استعارة حسنة كما مر
ورابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحة وهذه الاضافة اما بمعنى اللام اى مثاقيل للفضل اى اذا اعتبر
فضل غيرهم ونسب بعضه الى بعض كانوا مثاقيل راجحة لذلك الفضل يعتبر رجحان بعضه على بعض
بالنسبة اليها او بمعنى من اى مثاقيل من الفضل مطبوعة ترجح على غيرها ولفظ المثاقيل هنا مستعار
لهم ايضا ووجه المشابهة كونهم معيارا للخلق وموازين لهم كما ان المثقال كذلك قوله صلى الله عليهم اجمعين
الى قوله نجم طالع اقول لما دعى الله سبحانه لهم بالصلوة نبه على استحقاقهم لها باعتبار ثلثة امور احدها
اعتبار فضائلهم النفسانية كالعلوم والملكات الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة
كالعبادات البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزاكية المطهرة وتفرعهم عنها بان هذه الامور
هى جهات استحقاق الرحمة قوله فانى كنت في عنفوان شبابى الى اخر الكلام اقول لما صدر الخطبة
بذكر الله تعالى والثناء عليه والصلوة على رسوله واهل بيته صلى الله عليهم شرع في اقتصاص حاله في جمع هذا
الكتاب وذكر الاسباب الحاملة على ذلك وفي مدح كلام على عليه السلم ثم ذكر في ذلك الاقتصاص امورا
يحتاج الى الشرح الاول ان هذا المجموع من الكلام جزء من كل من كلامه عليه السلم وذلك في قوله ان ابتدى
تاليف كلام يحتوى على مختار كلام امير المؤمنين وذلك امر ظاهر قال قطب الدين الراوندى ره
سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول انه وجدت بمصر مجموعا من كلام على عليه السلم في نيف وعشرين مجلدا
الثانى في قوله جواهر العربية ويواقيت الحكم الدينية والدنياوية استعارتان لطيفتان للفظين
من الجوهر المخصوصين للمعنيين اللذين هما فصاحة الالفاظ العربية والحكمة الفاضلة التى يشتمل عليها
كلامه عليه السلم ووجه المشابهة هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه فغرة الجوهر
بالنسبة الى مطلق الاحجار وغرة الالفاظ الفصيحة والحكمة البالغة بالنسبة الى ساير الالفاظ والمعانى
المعقولة الثالث كونه عم مشرع الفصاحة وموردها وهى ايضا استعارة للفظين اللذين
هما حقيقة في النهر والعين ونحوهما له عم ووجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما ترده العطشى للتروى
والاستقاء كذلك هو عم مرجع للخلق في استفادة الفصاحة لو قال مصدرها وموردها لكان ابلغ اذا كان
المشرع والمورد مترادفين او قريبين من الترادف وكذلك قوله منشأ البلاغة ومولدها استعارة ايضا

تشبيها لذهنه عليه السلم بالام وتشبيها للفصاحة بالولد في الصدر وعنه الرابع قوله ان كلامه عليه السلم الكلام الذي
عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فذر العلم الالهي كلم حسنا وجمالا حتى جعل في كلامه عليه السلم اثرا منه
وقدر الكلام النبوي طيب كالمسك الاذفر حتى جعل في كلامه ع عبقة منه واستلزم ذلك تخيل ما يستحق البصر
والشم للعقل ليدرك بالاوسط المسحة من العلم الالهي وبالشبه العبقة من الكلام النبوي وهي استعارة على طريق
الكناية كنى بالمسحة عما ادركه العقل في كلامه من الحكم التي رآها في القران الكريم والفصاحة وكنى عما ادركه
من الاسلوب والطريقة الموجودة فيه مع الفصاحة والحكم في الكلام النبوي فكان العقل يبصر ويشم بقوته
اثر العلم الالهي فيه ويشم رائحة الكلام النبوي منه قال ابو الحسن الكيدري ره انما خص الكلام الالهي بالمسحة
والكلام النبوي بالعبقة لان كلامه ع شديد الشبه بكلام الرسول ص فهو كالجزء منه لانهما غصنا دوحة
وفرعا ارومة ولما كان معنى عبوق الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به صار لشدة اتصاله به كالجزء
منه فلذلك قال عبقة من الكلام النبوي ولما كان معنى المسحة الاثر من الجمال ولم يكن مجرد الاثر من الشيء في الشيء
يوجب لزومه له وشدة المشابهة به وكان كلام الباري سبحانه بعيد الشبه بكلام الخلق لاجرم خصه
بالمسحة دون العبقة وهذا الفرق مع تمحيصنا له فيه تكلف ويمكن ان يقرر على وجه آخر فيقال ان العبقة
ادل على وجود العابق من المسحة على وجود ما هي منه فان العبقة تدل على وجود العابق في المحل في الظاهر وفي
نفس الامر واما المسحة من الشيء وهي الاثر منه فانما يدل على وجوده في المحل في الظاهر فقط الا ترى الى قوله
على وجهه مسحة من ملاحة ∴ وتحت الثياب الشين لو كان باديا ∴ وايضا فان اثر الجمال او الثروة او الملك
قد يدل عند بعض الاذهان ولا يدل عند بعض آخر واذا عرفت ذلك فنقول لما كان كلام علي عليه السلم
شديد المناسبة لكلام النبوة في الاسلوب الظاهر وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت استعارة
لفظ العبقة لكلام النبوة اولى لانه ادل على شدة تمثل وجود ما هي منه وهو كلام النبوة في كلام علي حتى
كانه جزء منه ولما كان الكلام الالهي بعيد المناسبة لكلام الخلق وكانت تشبه كلام علي عليه السلم في بعض
الجهات اما في اشتماله على بعض الحكم او على الفصاحة دون الاسلوب وكانت المسحة من الشيء انما
تدل على وجوده من بعض الجهات وهي الظاهر فقط كانت استعارة لفظ المسحة للكلام الالهي اولى
والله اعلم الخامس قوله فهو البحر الذي لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه ع واشار الى وجه المشابهة
بقوله لا يساجل فان المساجلة لما كانت هي المغالبة في السقي والجري وكان كلامه ع اكثر جريانا في كلام
البلغاء من غيره وكانت اوعية اذهانهم قد امتلأت من فيضه لاجرم اشبه البحر الذي لا يغلبه بحر آخر في
سقي ولا جري اي لا يقاوم في فصاحة ولا حكمة وكذلك قوله لا يحافل استعارة للفظ المحافلة التي هي وصف
من اوصاف الانسان للكلام تشبيها له بالرجل ذي المحفل الجم والجماعة الكثيرة التي لا يمكن ان يكاثر
بمثلها السادس قوله يسيغ لي التمثل مجاز في الاسناد فان السوغ حقيقة في الشراب فاسناده
الى التمثل مجاز ووجه العلاقة ان التمثل بما يريد اذا حسن بين الناس وسار كان ذلك لذيذا عنده
فاشبه في لذاذته وجريانه بين الناس الماء الزلال في لذاذته وسهولة جريانه في الحلق فحسن اسناد

لفظ

لفظ السوغ اليه السابع قوله وخلع من قلبه انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك الضمير في مثله راجع الى
علي ع ومن في قوله ممن يسان الجيش ومعنى الكلام ان المفكر في كلامه اذا فرضنا انه لم يعرف انه من كلامه ع
او كلام شخص آخر مثله في كونه عظيم القدر نافذ الامر خائضا في غمرات الحروب مشتغلا بتدبير
امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل لو فرض انه وجد هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف
الحال فانه في الحال بدوه لا يعترضه شك في انه كلام مخلص معرض عن غير الله بقلبه غير مشغول بغيره لعدم
فيه اذ الشك الذي عساه يعترض لبعض الاذهان الضعيفة في انه ليس لكلامه انما نشأ من معرفته
بانه كلام شخص خائض في تدبير الدنيا واحوالها فيكون تلك المعرفة منشأ لعروض الشك في ان هذا الكلام
ليس لكلام رجل بهذه الحال وانما قال قد قبع في كسر بيت وانقطع الى سفح جبل لان ذلك من شعار الزهاد
المعرضين عن الدنيا والضمير في قوله يسمع وحده عائد الى من اي لا يسمع هو الا حس نفسه الثامن قوله
ينغمس في الحرب مصلتا استعارة حسنة في النسبة اي في نسبة الانغماس الى الحرب فان الانغماس حقيقة
في الدخول في الماء وما في معناه الا ان الحرب لما كانت في غمراتها واختلاط التجارب تشبه الماء المتراكم
الجم صحت نسبة الانغماس اليها كما صحت اليه فيقال انغمس في الحرب وخاض فيها ونحوه وقوله يقطر مهجا
ان فسرنا المهجة بالدم كانت نسبة القطر اليها حقيقة وان فسرناها بالروح كانت مجازا تشبيها للروح
بالمائعات الخارجة من الانسان كالدم ونحوه التاسع قوله وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الابدال
الواو للحال وثبوت هذين الوصفين له ع معلوم من ارباب الصوفية واهل التجريد اليه وقد بينا في مقدمة
الكتاب انه ع كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين ص وبينا ايضا ان نفسه القدسية كانت وافية
بضبط الجوانب المتجاذبة قوته عليها فلذلك لم يمنع اشتغاله بتدبير امر الدنيا ومعالجات الحروب ونظام
شمل المصلحة ما نعاله عن الاشتغال بالعبادة التامة والاقبال بوجه نفسه القدسية على الانتعاش بانوار الله
والاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وهذه من فضائل نفوس الانبياء وكمالات نفوس
الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله وقد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا الا ان المنتفع به هو الباطن
قال ص لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وان كان لا بد من الزهد الظاهري
اولا اذ الزهد الحقيقي في مبدأ السلوك لا يتحقق والسبب فيه ان اللذات البدنية حاضرة والغاية العقلية
التي لطلبها الزاهد الحقيقي غير متصورة له في مبدأ الامر واما الظاهري فهو ممكن متيسر لمن قصده لغير غاية
هي الرياء والسمعة ولذلك قال ص الرياء قنطرة الاخلاص ولما بينا ان عليا ع كان سيد العارفين بعد
رسول الله ص فلابد وان يكون زهده حقيقيا وستعرف في اثناء كلامه بلوغه في درجة الزهد الغاية واما
كونه مع ذلك بالشجاعة المشهورة عنه فهو انك علمت ان نفس العارف يجب ان يكون مستلزمة للملكات
الخلقية وقد عرفت ان الشجاعة احد مبادئها وان المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره انما هو خوف الموت
وحب البقاء والعارف بمعزل عن تقية الموت اذ كانت محبة الله تعالى شاغلة له عن الالتفات الى
كل شيء بل ربما يكون الموت مشتهى له لكونه وسيلة الى لقاء محبوبه الاعظم وغاية العشق وقد بينا ذلك

في تفضيل اخلاق العارفين من كتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون رجلا منهم اربعون
بالشام وثلثون في ساير البلاد وفي الحديث عن علي عليه السلام الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصاب بالعراق
يجتمعون فيكون بينهم حرب الثاني عشر قوله واستخرج مجبهم اي نجيبهم منها من القوة الى الفعل ومن روى نحيهم
بضم النون فالمراد اي اذا اكرم بهذه الفضيلة ليظهر مجبهم لها ويعلم ابيها قال ابو الحسن الكندري واستخرج
مجبهم اي اعرفهم انهم عاجزون عن اداء شكرها فلا يبقى لهم حجب بانفسهم منها اي من اجل معرفتها وظاهر ان هذا
اللفظ لا يعطي هذا المعنى الحادي عشر قوله والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا
اقول سبب الاختلاف يحتمل وجهين احدهما انه عليه السلام ربما تكلم بالخطبة الواحدة مرتين او اكثر بالفاظ مختلفة كما هو
شان البلغاء واهل الفصاحة فينقلها السامعون باللفظ الاول والثاني فتختلف الرواية الثاني ان الناس
في الصدر الاول كانوا يتلقفون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونها ثم الولاة فربما لا يتمكن السامع من حفظ
كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف في الترتيب او نقصان في الرواية وربما راعى بعضهم
حفظ المعنى من دون ضبط الالفاظ فاورد في اللفظ زيادة ونقصانا الثاني عشر قوله نهج البلاغة استعارة
لطيفة لهذا الكتاب لان النهج حقيقة في الطريق الواضح المحسوسة ووجه المشابهة ان الطريق لما كانت
محل الانتقال بالمشي وقطع الاجزاء المحسوسة من واحد الى آخر كذلك الذهن ينتقل في هذا الكتاب من بعض
لطايف البلاغة وشعب الفصاحة الى بعض انتقالا سهلا فلذلك صح نقل لفظ النهج اليه واستعارته له
وبالله التوفيق فهذا اوان ما عساه يشكل في هذه الخطبة وباقي كلامه ظاهر ولنشرع في شرح كلامه عليه السلام

باب المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام

واوامره وكلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات
المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها ابتداء خلق السماء
والارض وخلق آدم عليه السلام **اقول له** الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون
ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود
ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد
بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده
وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف و
شهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه
فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد اشار اليه ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن
قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة
وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن
يستانس به ولا يستوحش لفقده **اقول** اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على مباحث عظيمة ولنتكلم على ترتيب
طبيعي فلنعقد فيها خمسة فصول **الفصل الاول** في تصديره بذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو اهله
وهو قوله الحمد لله الى قوله ولا يستوحش لفقده **اقول** المدح والمديح الثناء الحسن والمدحة خلاف الذم المدح

وهي الهيئة والحالة التي ينبغي ان يكون الممدوح عليها والاحصاء انهاء العدد والاحاطة بالمعدود يقال احصيت
الشيء اي انهيت عده وهو من لواحق العدد ولذلك نسبه الى العادين والنعماء النعم وهو اسم يقام مقام المصدر
وادّيت حق فلان اذا قابلت احسانه باحسان مثله والادراك اللحوق والنيل والاصابة والوصول والوجدان
والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان بعيد الهمة اذا كانت ارادته تتعلق بعليات الامور دون
محقراتها والغوص الحركة في عمق الشيء من قولهم غاص في الماء اذا ذهب في عمقه والفطن جمع فطنة وهي في اللغة
الفهم وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه وحد الشيء منتهاه والحد المنع
ومنه سمي العلماء تعريف الشيء باجزائه حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه
والنعت الصفة والاجل المدة المضروبة للشيء والفطر الشق والابتداع قال ابن عباس ما كنت ادري
ما معنى قوله تعالى فاطر السموات والارض حتى جاءني اعرابيان يختصمان على بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدعتها
والخلايق جمع خليقة وهي اما بمعنى المخلوق يقال هم خليقة الله وخلق الله اي مخلوقه او بمعنى الطبيعة لان الخليقة
هي الطبيعة ايضا والنشر البسط ووتد بالفتح اي ضرب الوتد في حايط او في غيره والصخور الحجارة العظام
والميدان الحركة بتمايل وهو الاسم من ماد يميد ميدا ومنه غصن مياد متمايل والدين في اصل اللغة يطلق
على معان منها العادة ومنها الاذلال يقال دانه اي اذله وملكه ومنه قيل الحماسة دناهم كما دانوا ومنها الجزاء
كقوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاعه
كقول عمرو بن كلثوم : عصينا الملك فينا ان ندينا : ويطلق في العرف الشرعي على الشرايع الصادرة بواسطة
الرسل عليهم السلام وقرنه اي جعل له قرينا والمقارنة الاجتماع ماخوذ من قرن الثور وغيره ومنه القرن للمثل
في السن وكذلك القرن من الناس اهل الزمان الواحد قال اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت
في قرن فانت غريب والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والمتوحد بالامر المنفرد به ممن يشاركه
فيه والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه والاستيناس بالشيء ميل الطبع اليه وسكونه وكذلك الانس
ومنه الانيس وهو المونس والاستيحاش ضد الاستيناس وهو نفرة الطبع بسبب فقد المونس واعلم
انا نفتقر في بيان نظام كلامه عليه السلام في هذا الفصل الى تقديم مقدمة فنقول الصفة امر يعتبره العقل لامر آخر
ولا يمكن ان يعقل الا باعتباره معه ولا يلزم من تصور العقل شيئا لشيء ان يكون ذلك المتصور موجودا
لذلك الشيء في نفس الامر بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف انه الامر الذي يعقل ماهيته بالقياس الى
غيره وليس له وجود سوى معقوليته بالقياس الى ذلك الغير والصفة تنقسم باعتبار العقل الى حقيقية و
اضافية وسلبية وذلك لان نسبة العقل الصفة الى غيره اما ان يعقل معها نسبة من المنسوب اليه
او لا يعقل فان كان الاول فهو المضاف الحقيقي وحقيقته انه المعقول بالقياس الى غير يكون بازائه يعقل
له اليه نسبة ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه ككونه تعالى خالقا ورازقا وربا فان حقيقة
هذه الصفات هي كونها معقولة بالقياس الى المخلوقية والمرزوقية والمربوبية الموازية وان كان الثاني
فالمنسوب اليه اما ان يكون موجودا للمضاف او ليس بموجود له والاول هو الصفات الحقيقية ككونه تعالى

جبا فانه امر يعقل بالقياس الى الجميع العلم والقدرة له وليس بازاء امر يعقل من نسبة اليه وانما هو الصفات السلبية
كقولنا ليس بجسم ولا بعرض وغيرهما فان هنا امور تعقل له بالقياس الى امور غير موجودة له تعالى ثم نقول انه لا يلزم
من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلثة من الصفات تركيب وكثرة في ذاته لانها اعتبارات عقلية
تحدثها عقولنا عند المقايسة الى الغير ولم يلزم من ذلك ان تكون موجودة في نفس الامر وان لم تعقل ولما كان
دأب العقلاء ان يصفوا العظيم سبحانه بما هو اشرف طرفي النقيض لما تقرر في عقولهم من عظمته ومناسبة
اشرف الطرفين للاعظمية كان ما وصف به تعالى من الصفات الحقيقية والاضافية والسلبية كلها كذلك اذا عرفت
ما قلناه فاعلم انه عليه السلم شرع اولا في ذكر اعتبارات السلبية وقدمها على الثبوتية لدقيقة وهي انه قد ثبت
في علم السلوك الى الله ان التوحيد المحقق والاخلاص المطلق لا يتم الا بنفي كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل
لاحق له وطرحه عن درجة الاعتبار وهو المسمى في عرف المجردين واهل العرفان بمقام التخلية والنفي والتفريق
وبه يتحقق الشيء الا به كان اعتباره مقدما على اعتباره وهذا الترتيب كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد
قول لا اله الا الله اذ كان الجزء الاول منها مشتملا على سلب كل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن
كل شبهة في طرف سواه وهو مقام التنزيه والتخلية حتى اذا انزاح كل شيء عن محل عرفانه استعد بجوده
للتحلية بنور وجوده وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة وعلما بانه عليه السلم كان لسان العارفين
والفاتح لاغلاق الطريق الى الواحد الحق تعالى والمعلم المرشد لكيفية السلوك وكانت الاوهام البشرية حاكمة
بتشبيهه تعالى لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته والوصول الى ساحل عزته والمنزه له عما لا يجوز عليه
اذا الكمل وجوده نادرا لم يكن للاوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه معارض في اكثر الخلق بل كانت جارية
على حكمها قائدة لعقولها الى تلك الاحكام الباطلة كالمشبهة ونحوهم لا جرم بدأ عليه السلم بذكر السلب اذ كان
تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهمي في حقه تعالى عن لوح الخيال والذكر حتى اذا اورد عقيب ذلك ذكره تعالى
بما هو اهله ورد على الواح صافية من كدر الباطل فانتقشت بالحق كما قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا ثم انه
بدأ بتقديم حمد الله على الكل هنا وفي ساير خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب وتصديرها وتاديبا لك
تاديب الخلق بلزوم الثناء على الله تعالى والاعتراف بنعمته عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة
حضرة الجلال والالتفات اليها على الاحوال وقد بان ان الحمد يفيد معنى الشكر ويفيد ما هو اعم من ذلك وهو
التعظيم المطلق وهو يجمع اقسامه مراد هنا لكون الكلام في معرض التمجيد المطلق قوله الذي لا يبلغ مدحته
القائلون اقول اراد تنزيهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كيفية مدحه سبحانه كما هي وبيان هذا الحكم
ان الثناء الحسن على الشيء انما يكون كما هو اذا كان ثناء عليه بما هو له في نفس الامر وذلك غير ممكن في حق الواجب
الوجود سبحانه اذ لا تعقل حقيقته وما له من صفات الجلال ونعوت الكمال كما هي وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام
فالقول وان صدر عن المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو وابهم من وصفه تعالى بما هو اشرف
طرفي النقيض فليس بكمال مدحه في نفس الامر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه تعالى وان تصور
بصورة المدح الحق وانما هو تاديب الخلق وتنبيههم على تطلعات ما يحكم به اوهامهم في حقه تعالى عن الصفات وانه ليس الا

كما

كما حكت به واشار عليه السلم في موضع اخر وقد سأله بعضهم عن التوحيد فقال التوحيد ان لا تتوهمه فجعل التوحيد عبارة
عن سلب الحكم الوهمي في حقه تعالى فاستلزم ذلك ان من اجرى عليه حكما وهميا فليس بموحد له على الحقيقة والى هذا
اشار الباقر محمد بن علي عليهما السلم مخاطبا هل يسمى عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين
فكلما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحيوة ومقدر
الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيتين كما لها فانها تتصور ان عدمهما نقصان لمن لا يكونان له فكذا
شأن الخلق فيما يصفون به باريهم فان اوهامهم حاكمة له بكل ما يعدونه كمالا في حقهم ما لم يقو عقولهم على رد بعض
تلك الاحكام الوهمية ولولا رادع الشرع لقوله صلى الله عليه تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق لصرحوا بكثير
من تلك الاحكام في حقه سبحانه وتعالى عما يصفون ويحتمل ان يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول والاوهام
تمام الثناء الحسن عليه واحصائه اي ان العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء كان وراءها اطوار من استحقاق
الثناء والتعظيم اعلى كما اشار اليه سيد المرسلين صلعم بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفي تخصيص
القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فان القائل لما كان اعم من المادح وكان سلب العام مستلزما
لسلب الخاص من غير عكس كان ذكر القائلين ابلغ في التنزيه اذ التقدير لا واحد من القائلين ببالغ مدحته سبحانه
قوله ولا يحصي نعماءه العادون اقول المراد ان جزئيات نعم الله وافرادها لا يحيط بها حصر الانسان وعده
لكثرتها وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه الآية
هي منشأ هذا الحكم ومصدره واما العقل فلان نعم الله تعالى على العبد منها ظاهرة ومنها باطنة كما قال تعالى واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويكفي في صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات نعم الله تعالى على العبد فنقول ان
من جملة نعمه تعالى على الانسان ان اكرمه بملائكته وجعلهم سجودا له ومخدوما وجعلهم في ذلك على مراتب فمنهم اقربهم اليه
واخصهم به وهم الملائكة الذين يتولون اصلاح بدنه والقيام بمهماته وحوائجه وان كانوا في ذلك ايضا على مراتب
فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير الناصح المشفق من شأنه تمييز الاصلح والانفع له والامر به وجعل بين
يدي ذلك الوزير ملكا آخر هو كالحاجب له والمتصرف بين يديه من شأنه تمييز صديقه الاصدق الملك من
عداوته له وجعل لذلك الحاجب ملكا خازنا يضبط عنه ما يتعرفه من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجة ثم جعل
بين يديه ملكين اخرين احدهما ملك الغضب وهو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام
والثاني ملك اللذة والمتوسل للمشتهيات الانسان بالطلب والامر بالاستحضار وبين يديه ملائكة اخرى
تسعى في تحصيل ما يأمر به ويطلبه ثم جعل سبحانه وراء هؤلاء سبعة اخرى من الملائكة وابهم اصلاح غذاء الانسان
فالاول موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء لا يدخل بنفسه فان الانسان لو وضع اللقمة في فيه ولم يكن
لها جاذب لم يدخل والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض منه والثالث موكل بطبخه و
نضجه والرابع موكل بتفريق صفوته وخلاصته في البدن سد البدل ما يتحلل منه والخامس موكل بالزيادة في اقطار
الجسم على التناسب الطبيعي بما يوصله اليه الرابع فيها كما ينبغي والسادس موكل بفصل صورة الدم من
الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضل الغير المنتفع بها عن المعدة ثم وكل تعالى خدمة اخرى في خدمة هذه ان يورد دوا

عليه الاخبار من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا وعملا خاصا به وجعل لهم رئيسا يبعثهم ويرجعون اليه
بما عملوه وجعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه ما يصل اليه من تلك الاخبار ثم جعل بين هذا الخازن و
بين خازن الاول ملكا قويا شاء التصرف والحركة سريع الانتقال بحيث يشتغل في اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب
ومن تخوم الارض الى السماء العليا فاودعه التصرفات العجيبة وجعله موتمرا للوزير تارة وللحاجب اخرى و
موكلا بتفتيش الخزانتين ومراجعة الخازنين باذن الوزير وواسطة الحاجب اذا اراد استعلام امر من تلك الامور
فهذه هي الملائكة الارضية كالملائكة الموكلين بانواع الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وبما يكون مسخرة له وانواع
النبات والمعادن والعناصر الاربعة والملائكة السماوية التي لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى كما قال وما يعلم
جنود ربك الا هو فان كان كل واحد منها موكل بمصالح الانسان ومنافعه من اول حيوته الى حين وفاته باذن
المدبر الحكيم ودع ما سوى الملائكة من ساير الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه من القوة
العقلية التي هي سبب الخيرات الباقية والنعم الدائمة التي لا تنقطع موادها ولا تتناهى تعدادها فان كل ذلك
في الحقيقة نعم الهية ومواهب ربانية للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم انه
لو قطع وتفحص واستقرأ وانظر الى آثار رحمة الله تعالى في نوع من هذه النعم لانتهى دونها فكره وقصر عنها احصاؤه وحصره
ومع ذلك كله غافل عن شكر الله جاهل بمعرفة الله مقصر في معصية الله حتى ان القول سبحانه وتعالى بعد تنبيهه
له على ضروب نعمه الامتنان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ظلوم لنفسه
بمعصية الله معاند لكفر بآيات الله قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لكفور جحود فسبحان الذي
لا يحصى نعماؤه ولا يستقصى آلاؤه وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه
والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام اخطاره بالبال قوله ولا يؤدي حقه المجتهدون اقول هذا الحكم ظاهر
الصدق من وجهين احدهما انه لما كان اداء حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء مثله وثبت في الكلام السابق ان
نعم الله سبحانه لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل ما نتعاطاه من افعالنا الاختيارية
مستندة الى جوارحنا وقدرنا وارادتنا وساير اسباب حركاتنا وهي بأسرها مستندة الى جوده ومستفادة
من نعمته وكذلك ما يصدر عنا من الشكر والحمد وساير العبادات نعمة منه اقتضاها نعم سابقة وروي ان هذا
الخاطر خطر لداود وكذلك لموسى عليهما السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة
ثانية من نعمك وفي رواية اخرى وشكري لك نعمة اخرى يوجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا
عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فاما ما يقال في العرف
من ان فلانا مؤد لحق الله تعالى فليس المراد منه جزاء النعم بل لما كانت المطلوبات لله تعالى من التكاليف الشرعية
والعقلية تسمى حقوقا لا جرم سمي المجتهد في الامتثال مؤديا لحق الله وذلك الاداء في الحقيقة من اعظم نعم الله تعالى
على عبده اذ كان الامتثال وساير اسباب السلوك الموصل الى الله تعالى كلها مستندة الى جوده وعنايته
واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان
هديكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في الحقيقة نعمة منه لم يكن اداء لنعمة الله وجزاءها وان اطلق ذلك

في العرف

في العرف اذ كان من شان الحق المفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء واداؤه ليسارعوا الى الاتيان
به رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكليف حتى لو لم يعتقدوا انه حق عليهم بل هو مجرد تبرع لم يهتموا به غاية الاهتمام
اذ كانت غايته غير متصورة لهم كما هي وقلما يهتم النفوس بامر بتصور غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة
في تحمله الا باعث قاهر من خارج قوله الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن اقول اسناد الغوص
الى الفطن على سبيل الاستعارة اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء
ووجه الاستعارة هنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها والوقوف على حقايقها واغوارها
تشبه البحر الخضم الذي لا يصل السابح الى ساحله ولا ينتهي الغايص فيه الى قراره وكان السابح في ذلك البحر والخايض
في تياره هي الفطن الثاقبة لا جرم كانت الفطنة شبيهة بالغايص في البحر فاسند الغوص اليها وفي معناه الغوص
في الفكر والغوص في النوم ويقرب منه اسناد الادراك الى بعد الهمم اذ كان الادراك حقيقة في لحوق جسم لجسم اخر
واضافة غوص الى الفطن وبعد الى الهمم اضافة لفظ الصفة بلفظ المصدر الى الموصوف والتقدير لا تناله الفطن
الغايصة ولا تدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن في هذه الاضافة وتقديم الصفات ان المقصود لما كان هو المبالغة
في عدم اصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمم من حيث هي بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة
بالقصد الاول وقد بينا ان البلاغة تقتضي تقديم الاهم والمقصود الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا المطلوب
ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت بريئة عن جهات التركيبات عرية عن اختلاف الجهات منزهة عن الكثرات
وكانت الاشياء انما تعلم بما هي من جهة حدودها المؤلفة من اجزائها فاذا صدق ان واجب الوجود ليس بمركب
فليس بمدرك الحقيقة صدق ان واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقة فلا تدركه الهمم وان بعدت ولا تناله الفطنة
وان اشتدت فكل سابح في بحار جلاله غريق وكل مرتق للوصول الى انوار كبريائه حريق تعالى الله سبحانه وتعالى
عما يقولون علوا كبيرا قوله الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود اقول المراد ليس لمطلق ما تعتبره
عقولنا له من الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدا له وليس لمطلق ما يوصف به
ايضا وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له وحصرا فيه قال ابو الحسن الكندري ره ويمكن ان يأول حد محدود على
ما دل به كلام العرب وهو ان العرب تقول لما ليس له ضب ينجحر حتى يكون المراد انه ليس لصفته تحدد اذ هو تعالى
واحد من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه ما فيمتنع ان يكون له صفة تزيد على ذاته قال ومما يؤكد هذا التاويل قوله
بعد ذلك فمن وصف الله تعالى فقد قرنه وهذا التاويل حسن وهو راجع الى ما ذكرناه في الحد واما وصف الحد
بكونه محدودا فعلى المبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التاويل يكون قوله ولا نعت موجود سلبا للنعت عن
ذاته سبحانه اذ التقدير ليس لصفته حد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس لصفته حد اي ليس لها غاية بالنسبة
الى متعلقاتها كالعلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات قوله ولا وقت معدود ولا اجل ممدود
اقول وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى في ايام معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود
وهما المعلوم الداخل في الاحصاء والعدد وذلك ان العدد انما يتعلق بالوقت الواحد من حيث هو واحد فانه من
تلك الحيثية ليس معدودا بل مبدأ للعدد وانما يتعلق به من حيث انه داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة في الزمان

خل

اما بالعرض او بالعقل التي تلحق جهتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة اذ يقال هذا الفرد معدود في هذه الاجزاء اي
نوعها ومراده في هذين الحكمين نفي نسبة ذاته وما يلحقها الى الكون في الزمان وان يكون ذات اجل ينتهي اليه
فينقطع وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الزمان من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فلما كان
الباري سبحانه منزها عن الجسمية استحال ان يكون في زمان الثاني انه تعالى ان اوجد الزمان وهو في الزمان
لزم كون الزمان متقدما على نفسه وان اوجده بدون ان يكون فيه كان غنيا في وجوده عنه فهو المطلوب
فاذن صدق هذين السلبين في حقه معلوم وقد حصل في هذه القراين الاربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس
قوله الذي فطر الخلايق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول لما قدم الصفات
السلبية شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات الثلثة موجودة في القران الكريم اما الاول فقوله تعالى
الذي فطركم اول مرة واما الثاني ففي قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته واما الثالث
فقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله وجعل الجبال اوتادا والمراد بقوله فطر الخلايق
بقدرته اعتباره من حيث استناد المخلوقات الى قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق
في الاجسام كانت نسبته هنا الى الخلق استعارة وللامام فخر الدين في بيان وجه الاستعارة في امثال
هذا الموضع بحث لطيف قال هو ذلك ان المخلوق قبل دخوله في الوجود كان معدوما محضا والعقل يتصور
من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجد المبدع من العدم الى الوجود فكانه بحسب التخيل
والتوهم شق ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود منه قلت الا ان ذلك الشق والفطر على هذا التقدير
لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الذي خرج هذا الموجود منه اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه حتى يكون التقدير الذي فطر عدم الخلايق وهو استعمال شايع في العرف واللغة كثيرا
وحسنه بين الناس ظاهر وشبه فالق الحب والنوى على قول بعض المفسرين كما سنبينه وقال ابن الانباري
لما كان اصل الفطر شق الشيء عند ابتدائه فقوله فطر الخلايق اي خلقهم وانشاهم بالتركيب والتاليف
الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشيا الى بعض ثم ان الفطر كما يكون شق اصلاح
كقوله تعالى فاطر السموات والارض كذلك يكون شق افساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى
من فطور واما قوله ونشر الرياح برحمته فاعلم ان نشر الرياح وبعثها لما كان سببا عظيما من اسباب
بقا انواع الحيوان والنبات واستعدادات الامزجة للصحة والنمو وغيرها حتى قال كثير من الاطبا انها
تستحيل روحا حيوانيا وكانت عناية الله سبحانه وعموم رحمته شاملة لهذا العالم وهي مستند كل موجود
لا جرم كان نشرها برحمته ومن اظهر اثار الرحمة الالهية نشر الرياح حملها السحاب المثقل بالماء واثارتها له على
وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت بها الزرع ويملا الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال ويرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وقال وارسلنا
الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم الله بذكر هذه النعم
الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وقوله ولتذكروا

نعم

نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض الفضلاء
ان العرب تستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة وكذلك نزل القران الكريم قال تعالى ريح صرصر وقال
الريح العقيم وقال يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح وامثاله قوله ووتد بالصخور ميدان ارضه
اقول المراد نسبة نظام الارض الى قدرته سبحانه وههنا بحثان البحث الاول ان قول القائل وتدت
كذا بكذا معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود ههنا هو ميدان الارض
وهو عرض من الاعراض لا يتصور جعل الجبل وتدا له الا انا نقول لما كان الميدان علة لمشاكلة ايجاد الجبال
اوتادا للارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك قدمه واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان كان
التقدير ووتد بالصخور ارضه المايدة البحث الثاني ان تعليل وجود الجبال بميدان الارض ورد ههنا
وفي القران الكريم في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا
ولا بد من البحث عن وجه هذا التعليل وفيه ثلثة اوجه الوجه الاول قال المفسرون في معنى هذه الآيات ان
السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتتحرك فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها
استقرت على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت
فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الامام فخر الدين
ويتوجه على هذا الكلام ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل من الماء يغوص فيه ولا يبقى
طافيا عليه واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتميل بخلاف السفينة اذ كانت مركبة من الاخشاب وداخلها
مجوف مملو من الهوا فلذلك بقي طافية على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن
الفرق ظاهر الوجه الثاني في ما ذكره هو قال انه قد ثبت بالدلايل اليقينية ان الارض كرة وثبت ايضا ان
هذه الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه الكرة فاذا ثبت هذا فلو
فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات
لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه
وان لم يجب ذلك عقلا الا انه يصير بادنى سبب يتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه
الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه الى مركز العالم
وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض
من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المعدودة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة
الوجه الثالث ان نقول لما كانت فايدة الوتد ان يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى
يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الاشيا صحة الاستقرار على ذلك الشيء والتصرف
عليه وكان من فايدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الارض ان لا يكون مغمورة بالماء فتحصل
للحيوان الاستقرار والتصرف عليها لا جرم كان بين الاوتاد والجبال الخارجة من الماء في الارض اشتراك
في كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار مانعين من عدمه لا جرم حسنت استعارة نسبة الايتاد الى الصخور والجبال

واما استعارته بالميدان فلان الحيوان كما يكون هادئا وقاطبه انه غير مستقر على الارض بسبب انقلابها فلذلك لو لم يوجد
الجبال لكن يصدق على الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة اليه فيصح انه لولا وجود الجبال في سطح
الارض لكانت مضطربة ومائدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها الوجه الرابع قال بعض
العلماء انه يحتمل ان يكون الاشارة بالصخور الى الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز
بالصخور عن الانبياء والعلماء فلان الصخور والجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها
من حركة والاضطراب عاصمة لما يلتجي اليها من الحيوان عما يوجب له الهرب حتى يسكن بذلك اضطرابه وقلقه اشبهت
الاوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال
اهلها كما ان الاوتاد للارض فلا جرم صحت استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك يحسن في العرف ان يقال فلان
جبل منيع يأوي اليه كل ملهوف اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوائج والعلماء اوتاد الله في الارض الوجه الخامس
ان المقصود من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدي بها على طرقها والمقاصد فيها فلا يتيه بها تهالمشتبهة
بابهامه تميل بهم فيهتدون بها من طرقهم ومقاصدهم والله التوفيق قوله اول الدين معرفته اقول
لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلم
وكان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله
فيه صار حقيقة دون ساير المسميات لانه المتبادر الى الفهم حال اطلاق لفظ الدين واعلم ان معرفة الصانع
سبحانه على مراتب فاولها وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق بوجوده الثالثة
ان يترقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة نفي الصفات
التي تعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل مرتبة من المراتب الاربع الاول
مبدأ لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين مركوزتان في الفطر
الانسانية بل فيما هو اعم منها وهي الفطر الحيوانية ولذلك فان الانبياء عليهم السلم لم يدعوا الخلق الى تحصيل
هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفة متوقفا على دعوة الانبياء وصدقهم مع ان
صدقهم مبني على معرفة ان هناك صانعا للخلق ارسلهم لزم الدور وانما كانت اول مرتبة دعوا اليها من
المعرفة هي توحيد الصانع ونفي الكثرة عنه المشتمل عليها اول كلمة نطق بها الداعي الى الله وهي قوله لا اله
الا الله فقال صلعم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت اذهان الخلق بما نطقت به من التوحيد الظاهر
بينهم على ان هناك اعداء التوحيد ما هو اخفى من الاول فقال من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة
وذلك اشارة الى حذف كل قيد من درجة الاعتبار مع الوحدة المطلقة اذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل
ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب المعرفة وح يكون معنى قوله اول الدين معرفته ظاهرا ان
ذلك القدر اول متحصل في النفس من الدين الحق ويحتمل ان يكون مراده المعرفة التامة التي هي غاية العارف
ونهاية مراتب السلوك وح يكون المراد من كونها اول الدين هو اولويتها في العقل وهو اشارة الى كونها علة
غائية اذ العلة الغائية متقدمة في العقل على ما هي علة له وان تاخرت في الوجود وبيان ذلك ان المعرفة التامة

التي

التي هي غاية سعي العارف غير حاصلة له في مبدأ الامر بل يحتاج في كمال ما حصل له من مراتب المعرفة وتحصيل الغرض
التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة وتمثل الاوامر الالهية بالقبول التي هي سبب تمام الدين حتى يستعد اولا
للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوحيده ثم للاخلاص له ثم لنفي كل ما عداه عنه حتى يغرق في تيار بحار العظمة وكل
مرتبة ادركها فهي كمال لما قبلها الى ان تتم المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين وينتهي
السفر الى الله قوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفي الصفات عنه اقول ترتيب هذه المقدمات
على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا وهو القياس المركب الذي يطوى فيه النتايج وعند ذكرها يتبين ان المقصود
منها بيان ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وهذا القياس ينحل الى قياسات تشبه قياس المساواة لعدم الشركة
بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج في انتاج كل منها الى قياس اخر والمطلوب من التركيب الاول
وهو قوله وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب
بقياس اخر صورته ان معرفته كمال كمالها توحيده وكلما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده فينتج ان
كمال معرفته توحيده اما المقدمة الاولى فلان التوحيد كمال التصديق وهو كمال المعرفة واما الثانية فلان كمال كمال
الشيء كمال للشيء وهكذا في باقي التراكيب والمطلوب من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الثالثة وهي قوله وكمال
توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له ومن تركيب هذه النتيجة مع المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال
الاخلاص له نفي الصفات عنه يحصل المطلوب واعلم ان في اطلاق الكمال هنا تنبيها على ان معرفة الله تعالى
مقول بحسب التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله تعالى لما كانت بريئة عن
انحاء التركيب لم تكن معرفته ممكنة الا بحسب رسوم ناقصة تتركب من سلوب واضافات تلزم ذاته المقدسة
لزوما عقليا فتلك السلوب والاضافات لما لم تكن متناهية لم يمكن ان يقف المعرفة بحسبها عند حد واحد
بل تكون متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها وخفائها وجلائها وكذلك كمال التصديق والتوحيد والاخلاص
واذا تقرر ذلك فلنشرع في تقرير المقدمات اما المقدمة الاولى وهي ان كمال معرفته التصديق به وبيان
ذلك ان المتصور لمعنى اله العالم عارف به من تلك الجهة معرفة ناقصة تمامها الحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة
كونه موجدا للعالم كونه موجودا فان ما لم يكن موجودا استحال بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا
الحكم اللاحق هو كمال معرفته واما الثانية وهي قوله وكمال التصديق به توحيده فبيانها ان من صدق بوجود الواجب
ثم جهل مع ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا ناقصا تمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجود
الواجب فان طبيعة واجب الوجود بتقدير ان تكون مشتركة بين اثنين فلا بد لكل واحد منهما من مميز وراء
ما به الاشتراك فيلزم التركيب في ذاتيهما وكل مركب ممكن فيلزمه الجهل بكونه واجب الوجود وان تصور معناه
وحكم بوجوده واما الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ففيها اشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف
انما يتم بالاخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايثار
وبيان ذلك انه ثبت في علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء
سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيرا حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركا

خفيا كما قال بعضهم: من كان في قلبه مثقال خردلة ⁂ سوى جلالك فاعلم انه مرض ⁂ وانهم يعتبرون في تحقق الاخلاص
ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله وان لحظها فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي ملاحظة لا من
حيث هي متزينة بزينة الحق فاذن التوحيد المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد بقوله وكمال
توحيده الاخلاص له واما المقدمة الرابعة وهي ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين عليه السلام صدقها
بقياس برهاني مطوي النتائج ايضا استنتج منه ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله وذلك قوله عليه السلام
لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة الى قوله ومن جزاه فقد جهله وبيان
صحة هذه المقدمات اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبالعكس فهو توطئة للاستدلال ببيان
المغايرة بين الصفة والموصوف والمراد بالشهادة هنا شهادة الحال فان حال الصفة تشهد بحاجتها الى
الموصوف وعدم قيامها بدونه وحال الموصوف تشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات بدونها
فلا يكون الصفة نفس الموصوف واما قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه فهو ظاهر لانه لما قرر كون
الصفة مغايرة للموصوف لزم ان تكون زائدة على الذات غير منفكة عنها فلزم من وصفه بها ان يكون مقارنا
لها وان كانت تلك المقارنة على وجه لا تستدعي زمانا ولا مكانا واما قوله ومن قرنه فقد ثناه فلان من
قرنه بشيء من الصفات فقد اعتبر في مفهومه امرين احدهما الذات والآخر الصفة فكان واجب الوجود عبارة
عن شيئين او اشياء فكانت فيه كثرة وقد ينتج هذا التركيب ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه واما قوله
ومن ثناه فقد جزاه فظاهر انه اذا كانت الذات عبارة عن مجموع امور كانت تلك الامور اجزاء لتلك
الكثرة من حيث انها تلك الكثرة وهي مبادي لها وضم هذه المقدمة الى نتيجة التركيب الاول ينتج ان من وصف
الله سبحانه فقد جزاه واما قوله ومن جزاه فقد جهله فلان كل ذي جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزؤه غيره فكل
ذي جزء فهو مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فالمتصور له جزءا متصور لغير الحقيقة لامر هو ممكن الوجود
لا لواجب الوجود وبذاته فيكون اذن جاهلا به وضم هذه المقدمة الى نتيجة ما قبلها ينتج ان من وصف الله سبحانه
فقد جهله وقد ينتج المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به مما لا يجتمعان
واذا كان الاخلاص منافيا للجهل به الذي هو لازم لاثبات الصفة له كان اذن منافيا لاثبات الصفة
له لان معاندة اللازم تستلزم معاندة الملزوم واذا بطل ان يكون الاخلاص في اثبات الصفة له
ثبت انه في نفي الصفة عنه وعند هذا يظهر المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وذلك
هو التوحيد المطلق والاخلاص المحقق الذي هو نهاية العرفان وغاية سعي العارف من كل حركة حسية
وعقلية وما يكون في نفس الامر من غير تعقل نقص كل ما عداه عنه معه فهو الوحدة المطلقة المبراة عن
كل لاحق وهذا مقام حسرت عنه نواظر الابصار وكلت في تحقيقه صوارم الافكار واكثر الناس فيه
الاقوال فانتهت بهم الحال الى اثبات المعاني وارتكاب الاحوال فلزمهم في ذلك الضلال ما لزمهم من
المحال فان قلت هذا يشكل من وجهين احدهما ان الكتب الالهية والسنن النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف
المشهورة كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر وغيرها وعلى ما قلتم يلزم ان لا يوصف سبحانه بشيء منها

الثاني

الثاني انه عليه السلام صرح باثبات الصفة له في قوله ليس لصفته حد محدود ولو كان مقصوده بنفي الصفات
ما ذكرتم لزم التناقض في كلامه عليه السلام فالاولى اذن ان يخص قوله نفي الصفات عنه بنفي المعاني كما ذهب اليه
الاشعري ونفي الاحوال كما يذهب اليه المثبتون من المعتزلة وبعض الاشعرية ليبقى للصفات المشهورة
الجارية عليه تعالى ولاثباته عليه السلام الصفة له في موضع آخر محمل او يخص بنفي صفات المخلوقين كما اشار اليه عليه السلام
في آخر الخطبة لا يجرون عليه صفات المصنوعين وكما ذكره الشيخ المفيد من الشيعة في كتاب الارشاد عنه
جل ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حلته الصفات مصنوع قلت قد سبق منا بيان ان كل
ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة
ذاته سبحانه الى غيرها ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه تعالى بها امرا معلوما من الدين ليعم
التوحيد والتنزيه كل طبقة من الناس ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الاخلاص
الذي ذكره عليه السلام اقصى ما ينتهي اليه القوى البشرية عند غرقها في انوار كبرياء الله وهو ان يعتبره فقط من
غير ملاحظة شيء آخر وكان اثباته عليه السلام الصفة في موضع آخر ووصفه في الكتاب العزيز والسنن النبوية
اشارة الى الاعتبارات التي ذكرناها اذ كان من هو دون درجة الاخلاص لا يمكن ان يعرف الله سبحانه
بدونها وبالله التوفيق **قوله** ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده **اقول** يشير الى البرهان على
امرين احدهما انه يحتمل ان يكون مراده امتناع الاشارة العقلية اليه وتعلقها به فعلى هذا يكون تقرير
المقدمة الاولى من هذا البرهان ان من وجه ذهنه طالبا لكنه ذاته المقدسة وزعم انه وجده واحاط بها
واشار اليها من جهة ما هي فقد اوجب لها حدا يقف ذهنه عنده اذ الحقيقة انما تعلم من جهة ما هي ويشير
العقل الى كنهها اذا كانت مركبة وقد علمت ان كل مركب محدود في المعنى ولان الاشارة العقلية ملوثة
بالاشارة الوهمية والخيالية مشوبة بهما وهما مستلزمتان لاثبات الحد كما سيأتي واما تقرير المقدمة
الثانية فظاهر اذ كان حد الشيء انما يتألف من كثرة معتبرة فيه وكل ذي كثرة معدود في نفسه ونتيجة
هذا البرهان ان من اشار اليه فقد عده واما استحالة ان يكون معدودا فلما علمت فيما سبق ان الكثرة
مستلزمة للامكان الثاني انه يحتمل ان يكون مراده ايضا نفي الاشارة الحسية الظاهرة والباطنة
وبيان تنزيهه عن الوحدة العددية ويكون تقرير المقدمة الاولى ان من اشار اليه باحد الحواس فقد جعل
له حدا وحدودا اي نهايات يحيط به وذلك ان كل ما يشار اليه بالحس الظاهر او الباطن فلا بد
وان يشار اليه في حيز مخصوص وعلى وضع مخصوص وما كان كذلك فلا بد وان يكون له حد وحدود
فاذن لو كان مشارا اليه باحدها لكان محدودا واما تقرير المقدمة الثانية فالمراد بالعد هنا
جعله مبدأ لكثرة يصح ان يكون عادا لها وذلك ان كل ما ادرك على وضع مخصوص وفي جهة فالعقل
حاكم بامكان وجود امثاله فمن حده بالاشارة الحسية فقد جعله مبدأ كثرة يصح ان يعد بها ويكون
معدودا بالنسبة اليها واما كونه في نفسه معدودا وذلك كونه مركبا من امور لان الواحد بهذا المعنى
ليس مجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به بل لابد معها من الوضع كما علمت وفي الوضع

يكون مجتمعاً من امرين او امور فيكون مركباً وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال ان يكون واحداً بهذا المعنى
كانت الاشارة اليه مطلقاً يستلزم الجهل به من حيث هو واحد واجب الوجود واعلم انه ليس اذا بطل ان
يكون واحداً فان للواحد معنويات اخر بها يقال له واحد فانه يقال واحد على ما لا شريك له في حقيقته الخاصة به
غيره ويقال واحد على ما لا يتركب حقيقته ولا يتألف من معان متعددة لا اجزاء قوام ولا اجزاء حد ويقال واحد
على تميته من كماله شيء بل كل كمال ينبغي ان يكون له فهو حاصل له بالفعل والباري سبحانه واحد بهذه الاعتبارات
الثلثة قوله ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه اقول اصل فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان دخلا
على ما الاستفهامية فحذف الفها لاتصالها بها تخفيفاً اذ الاستفهام خاصة وهاتان القضيتان في تقدير شرطيتين
متصلتين يراد منهما تاديب الخلق ان يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين وبيان المراد منهما باستثناء
نقيضي تاليهما وحذف الاستثناء هنا الذي هو كبرى القياس على ما هو المعتاد في قياس الضمير واعلم
ان تقرير المتصلة الاولى انه لو صح السؤال عنه بفيم لكان له محل يتضمنه ويصدق عليه انه فيه صدق العرض
في المحل لكنه يمتنع كونه في محل فيمتنع السؤال عنه بفيم بيان الملازمة ان مفهوم في لما كان موجوداً في ما
كان الاستفهام بفيم استفهاماً عن مطلق المحل والظرف ولا يصح الاستفهام عن المحل لشيء الا اذا صح
كونه فيه بيان بطلان التالي انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون محتاجاً الى
ذلك المحل والمحتاج الى الغير ممكن بالذات وان لم يجب حلوله فيه جاز ان يستغني عنه والغني في وجوده
عن المحل يستحيل ان يعرض له فاذن استحال ان يكون في محل كان السؤال عنه بفيم جهلاً واما تقرير
المتصلة الثانية فهو انه لو جاز السؤال عنه بعلام لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز خلو
مكان عنه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمة هو ان مفهوم على هو العلو والفوقية لما كان
موجوداً في ما كانت ما استفهاماً عن شيء هو فوقه وعال عليه وذلك يستلزم امرين احدهما بواسطة
الآخر وهو لازم له فالذي هو بواسطة ولازم لما هو اخلاء ساير الجهات عنه وهو ما ذكره عم واما الواسطة
واللازم منه ففي اثبات الجهة المعينة وهي جهة فوق اذ كان اختصاصه بجهة معينة يستلزم نفي كونه في ساير
الجهات وانما جعل عم لازم هذه المتصلة كونه قد اخلى منه ليستلزم من ابطال اللازم وهو الخلو عنه بطلان
اختصاصه بالجهة المعينة ليلزم منه بطلان المقدم وهو صحة السؤال عنه بعلام فاما بطلان التالي فلقوله
وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما كنتم فان قلت ان
مثبت الجهة لا يجعل هذه الآيات بل له ان يقول لا تنافي بين اثبات الجهة المعينة وبين مقتضى هذه الآيات
لان المقصود من كونه في السماء والارض اي بعلمه وكذلك من معية الخلق وكونه في جهة فوق انما هو بذاته
فح لا يكون هذه الآيات منافية لغرضه قلت انما جعل عم قوله فقد اخلى منه لازماً في هذه القضية لان
نفي هذا اللازم بهذه الآيات ظاهر وذلك ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها على ظواهر الآيات الدالة
على ذلك كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وكانت معارضته متضادة بظواهر هذه الآيات انفع في
الخطابة وانجع في قلوب العامة من الدلايل العقلية على نفي الجهة ودلالة هذه الآيات على عدم خلو مكان منه

منها

منه تعالى يستلزم ولانها على عدم اختصاصه بجهة فوق والمعارضة كما يكون بما يقتضي ابطال مقتضى الدليل
كذلك يكون بما يقتضي ابطال لازم مقتضاه وكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال
ومن قال علام فقد اثبت له جهة لم يمكن ابطال هذا اللازم الا بالدليل العقلي لكون الظواهر النقلية مشعرة
باثبات الجهة له فلذلك عدل عم الى هذا اللازم كما بيناه لوجود ما يبطله في القرآن الكريم وهي الآيات المذكورة
حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الآيات الى التاويل باحاطة العلم مثلاً الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن
على العرش استوى فقلنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو مذكور في الكتب الكلامية
وانما خص جهة العلو بالانكار اعني ههنا والتحذير منه لكون كل معتقد للجهة يخصصها بها لما يتوهم من كونها
اشرف الجهات ولانها نطق بها القرآن الكريم كانت الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك خصها بالذكر قوله
كاين لا عن حدث موجود لا عن عدم اقول الكاين اسم الفاعل من كان وهو يستعمل في اللغة على ثلثة اوجه
احدها ان يكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان ويسمى في عرف النحاة كان التامة كقوله اذا كان الشتاء
فادفئوني اي اذا حدث ووجد الثاني ان يدل على الزمان وحده ويحتاج في الدلالة على الحدث الى خبر
يتم به وهي الناقصة واستعمالها هو الاكثر كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتاً لله الثالث ان يكون
زايدة خالية عن الدلالة على حدث او زمان كقوله على كان المسومة العراب اي على المسومة اذا عرفت
ذلك فاعلم ان مفهوم كاين انه شيء ما له كون ولما كان ذلك الشيء هو ذات الله تعالى وكانت ذاته
مقدسة عن الزمان استحال ان يقصد وصفها بالكون الدال على الزمان ولما احترز بقوله لا عن حدث
استحال ان يدل كونه على الحدث وهو المسبوقية بالعدم ايضاً واذا بطل ان يكون كونه مستلزماً للزمان
ومسبوقية العدم لم يبق له دلالة الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل قوله تعالى وكان الله
غفوراً رحيماً وامثاله وقول الرسول صلعم كان الله ولم يكن معه شيء واما قوله موجود لا عن عدم فالمراد ايضاً ان وجوده
ليس بحادث وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقاً بالعدم وحاصلاً عنه
وهو المحدث او لا يكون وهو القديم فاما بيان هذا الحكم فلانه لو كان محدثاً لكان ممكناً ولو كان ممكناً لما كان
واجب الوجود فينتج انه لو كان محدثاً لما كان واجب الوجود لكنه واجب الوجود فينتج انه ليس بمحدث
اما المقدمتان فجليتان واما بطلان تالي النتيجة فمقتضى البراهين الالهية واعلم ان هذه القضية هو كذا
لمقتضى القضية الاولى وليس مقتضاها عين ما افادته الاولى اذ كان في الكلام الاولى مقصود اخر وهو
تعليم الخلق كيفية اطلاق لفظ الكون على الله تعالى واشعارهم ان المراد منها ليس ما يتبادر اليه الذهن
من مفهومها حال اطلاقها وهو الحدوث ويحتمل ان يكون مراده في الاولى نفي الحدوث الذاتي اذ هو
اعم منه ومن الزماني وفي الثانية نفي الحدوث الزماني والله اعلم قوله مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء
لا بمزايلة اقول ان كونه تعالى مع غيره وغير غيره اضافتان عارضتان له بالنسبة الى جميع الموجودات
اذ كلها منه ويصدق عليه ان يقال انه معها وانه متقدم عليها ولكن باعتبارين مختلفين فان المعية
نفس اضافة تحدثها العقول بنسبته الى آثاره ومساوقة وجوده لوجوداتها واحاطة علمه بكليها وجزئيها

كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير والتقدم نسبة تحدث له باعتبار كونه علة لها ثم لما كانت
المعية اعم من المقارنة باعتبار الزمان والمكان في مفهومها المتعارف لم يكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة
لبراءة ذاته المقدسة عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمقارنة واما انه غيرها لا بمزايلة فيحتمل وجهين
احدهما وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة لدخول الزمان والمكان في مفهومها ايضا كانت
مغايرته للاشياء غير معتبر فيها المزايلة لتقدس ذاته عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمزايلة الثاني
ان يقال ان كونه تعالى غير كل شيء معناه انه متميز بذاته عن كل شيء اذ لا يشارك شيئا من الاشياء في جنس
ولا نوع فلا يحتاج ان ينفصل عنها بفصل ذاتي او عرضي بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة ويكون معنى المزايلة
المفارقة باحد الامور المذكورة بعد الاشتراك في احد الامور المذكورة واعلم ان هذين القيدين كاسران
للاحكام الوهمية باعتبار الزمان والمكان والاوصاف المخلوقية المتعارفة بين الخلق المعتبرة بينهم في
مفهوم المعية والغيرية مبينان للعقول علوا وراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتقدس ذاته عن صفات
الممكنات وكذلك قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه رد لوهم الحاكم بمماثلته تعالى للممكنات
قوله فاعل لا بمعنى الحركات والآلة اقول الحركة عبارة عن حصول المتحيز في حيز بعد ان كان في حيز آخر
ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى حيز آخر او غيره من التعريفات
والآلة هي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطته والمراد بيان انه فاعل لا ان ما صدر عنه
تعالى من الآثار ... بسبب حركة ولا بتوسط آلة كما يفتقر غيره في نسبة صدور الفعل عنه اليه اما انه لا يفتقر
الى الحركة فلان الحركة انما يعرض للجسم والباري تعالى منزه عن الجسمية فيستحيل صدق اسم الحركة في حقه
... بتوسط آلة ... لو كان كذلك لكانت تلك الآلة ان كانت من فعله
فاما بتوسط آلة اخرى او بدونها فان كان بدونها فقد صدق انه فاعل لا بمعنى الآلة وان كان فعله
لها بتوسط آلة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل واما ان لم يكن تلك الآلة من فعله
ولم يمكن الفعل بدونها كان الباري تعالى مفتقرا في تحقق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير ممكن بالذات
فالواجب بالذات ممكن بالذات هذا خلف ... انه تعالى لو فعل بالآلة لكان بدونها غير مستقل بايجاد الفعل
فكان ناقصا بذاته مستكملا بالآلة والنقص على الله تعالى محال فتوقف فعله على الآلة محال فاذن هو الفاعل
المطلق بالابداع ومحض الاختراع المبرا عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات والآلات
قوله بصيرا اذ لا منظور اليه من خلقه اقول البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة في حاسة العين
مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه هو المشاهد بتقليب الحدقة نحوه والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا
حال ما لا يتحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا بمعنى ان له آلة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول
الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى انه عالم وقرينة ذلك قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصير امر
اضافي يلحق ذاته بالنسبة الى مبصر وهو امر يلحق ذاته ازلا وابدا ولا شيء من المبصرات بالحس موجود
ازلا لقيام البراهين العقلية على حدوث العالم حتى يمكن ان يلحقه نسبة بالقياس اليه فوجب ان لا يكون

من حيث

من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان الاشارة باذ في قوله اذ لا منظور اليه الى اعتبار كونه متقدما
على آثاره من جهة ما هو متقدم فانه بالنظر الى تلك الجهة لا منظور اليه من خلقه معه وهو عالم لذاته وبذاته مطلقا
واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو اذن بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات وبها تظهر
الاسرار والخفيات فهو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم
السر واخفى وهذه الآلة وان عدت كمالا فانما هي كمال خاص بالحيوان وكماله بها وان كان ظاهرا الا
انه ضعيف قاصر اذ لا يمتد الى ما بعد ولا يتغلغل في باطن وان قرب بل يتناول الظواهر ويقصر
عن البواطن وقد قيل ان الحظ الديني للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات
وعجائب ملكوت السموات فلا يكون نظره الا اعتبارا حكي انه قيل لعيسى عم هل احد من الخلق مثلك فقال
من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني ان يعلم انه من الله بمرأى ومسمع فلا يستهين
بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله تعالى فقد استهان بنظر الله تعالى اليه
والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجرأه
وما اخسره ومن ظن ان الله تعالى لا يراه فما اكفره قوله متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش
لفقده اقول المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية واشار بقوله اذ لا سكن الى اعتبار ان تفرده
بالوحدانية لذاته فهو من تلك الحيثية متفرد بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن شيء له كما هو المفهوم المتعارف
من انفراد بعض الناس عن بعض ممن عادته مشاركته في ... بمجانسته والانفراد احد
المتالفين من الحيوانات عن الآخر وهو الانيس الذي يستانس بوجوده معه ويستوحش لفقده وغيبته
عنه اذ كان الاستيناس والاستيحاش متعلقين بميل الطبع الى الشيء او نفرته عنه وهما من توابع المزاج
ولما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون منزها عن الاستيناس والتوحش
فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة اليه واعلم ان القيود
الثلثة الزائدة على قوله فاعل وبصير ومتوحد في الفصول الثلثة مستلزمة للتنبيه على عظمة الله تعالى
كما نبه في قوله لا بمقارنة ولا بمزايلة وذلك لان الاوهام البشرية حاكمة بحاجة الفاعل الى الآلة والبصير
الى وجود المبصر والمتوحد الى ان يكون في مقابلة انيس مثله انفرد عنه ولما كانت ذات الله سبحانه
منزهة عن جميع ذلك اراد كسر الوهم ومعارضة احكامه تنبيه العقول عليها فذكر هذه القيود
الثلثة وبالله التوفيق الفصل الثاني في نسبة ايجاد العالم الى قدرة الله تعالى جملة وتفصيلا وفي
كيفية ذلك وهو اقتصاص في معرض المدح قوله أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً بلا رويةٍ
أجالها ولا تجربةٍ استفادها ولا حركةٍ أحدثها ولا همامة نفسٍ اضطرب فيها أجال الأشياء لأوقاتها
ولأم بين مختلفاتها وغرّز غرائزها وألزمها أشباحها عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها
عارفاً بقرائنها وأحنائها ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الأرجاء وسكائك الهواء فأجرى فيها
ماءً متلاطماً تيّاره متراكماً زخّاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فأمرها بردّه وسلّطها

على شده وقرنها الى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها
واعصف مجراها وابعد منشاها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به
عصفها بالفضاء ترد اوله على آخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق
وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد
يدعمها ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا
في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا
يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا
سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه
وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة
من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم
متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم
بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر **اقول**
لم اجد لاهل اللغة فرقا بين الانشاء والابتداء وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا انه يمكن ان يفرق ههنا
بينهما صونا للكلام عن عيب التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق بغير الموجد اليه
والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يقع من الموجد قبل والروية الفكر وهمامة النفس اهتمامها بالامور
ومن روى همامة نفس فالمراد ترديد العزوم ماخوذ من الهمهمة وهي ترديد الصوت الخفي وروى
الضميمة نفسي والاحالة التحويل والنقل هو التغيير والانقلاب من حال الى آخر وروى اجال بالجيم
وروي ايضا اجل اي وقت والملائمة الجمع والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان
كانها غرزت فيه والسنخ الاصل وروى اشباحها جمع شبح وهو الشخص والقرائن جمع قرينة وهي
ما يقترن بالشيء والاحناء جمع حنو وهي الناحية والاجواء جمع جو وهو الفضاء الواسع وفتقها شقها
والارجاء جمع رجا مقصور وهو الناحية والسكائك جمع سكاكة كذوابة وذوائب وهي الفضاء
ما بين السماء والارض وكل مكان خال فهو هواء واجار اي اجرى ومن روى احار اي ادار وجمع
متلاطم اي متراد امواجه وضرب بعضها بعضا والزخار بالغة في الزاخر وهو الممتلئ ومتن كل شيء
ما صلب منه واشتد وعصف الريح شدة جريانها وريح زعزع تحرك الاشياء بقوة وتزعزعها
والريح القاصفة الشديدة كانها لشدتها تكسر الاشياء وتقصفها وسلطها اي جعل لها سلطة وهي
القهر والفتيق المنفتق والدفيق المندفق والاعتقام الشد والعقد واعتقم الله مهبها اي جعل هبوبها عقيما
لا سبب به من قولهم عقمت الرحم اذا لم تقدر بها ولد وروي بغير تاء اي جعلها عقيما لا تلقح شجرا ولا سحابا
والمرب المجمع والعصف الجري بشدة وقوة والصفق والتصفيق الضرب المراد المصوت واثارة
الموج رفعه وهيجه واصل البحر الماء المنبع الغزير بما خصص في العرف بالمالح وتموج البحر اضطرابه

وموجه

وموجه ما ارتفع منه حال هيجانه وحركته والمخض التحريك والسقاء وعاء اللبن والماء والمائر المتحرك
والعباب بالضم معظم الماء وعب اي علا وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل
والمكفوف الممنوع من السقوط الجوهري السقف اسم للسماء وسمكت البيت سقفه والسمك الارتفاع والعمد
جمع كثرة لعمود البيت ودعامة البيت عموده وما يمنعه من السقوط والدسار كل شيء او خلته في شيء لشده
كمسمار وحبل ونحوهما والمستطير المنتشر والفلك من اسماء السماء قيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة
والرقيم اسم للفلك ايضا واشتقاقه من الرقم وهو الكتابة والنقش لان الكواكب به يشبه الرقوم والاطوار
الحالات المختلفة والانواع المتباينة قال الكسائي اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة
ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملاك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه
فقالوا ملائكة وملائك والسأم الملال والسدنة جمع سادن وهو خازن ومرق السهم من الرمية اذا خرج
من الجانب الآخر والقطر الناحية والركن الجانب وتلفع بثوبه التحف به والنظائر الامثال ولنرجع الى
المعنى فنقول انشأ الخلق انشاء وابتداه ابتداء اشير الى كيفية ايجاد الخلق على الجملة من قدرته تعالى بعد ان
نبه على اصل الايجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته واتى بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى
وصدق كل من القضيتين ظاهر فان الباري تعالى لما لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الانشاء منه ولما
لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لا جرم صدق ابتداؤه له **قوله** بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها
ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها **اقول** لما كانت هذه الكيفيات الاربع من شرائط علوم
الناس وافعالهم التي لا يمكن حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده للعالم موقوفا
على شيء منها اما الروية والفكر فلما كانت عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل مبادي المطالب
والانتقال منها اليها او عن تلك القوة ايضا نفسها كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة
المفكرة من خواص نوع الانسان الثاني ان فائدتها تحصيل المطالب المجهولة والجهل على الله تعالى محال واما التجربة
فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر على امر بواسطة مشاهدات متكررة معدة لليقين بسبب انضمام قياس
خفي اليها وهو انه لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دائما او اكثريا كان توقف فعل الله تعالى على استفادة
الاحكام منها محالا لوجهين احدهما انها مركبة من مقتضى الحس والعقل وذلك ان الحس بعد مشاهدته
وقوع الاسهال مثلا عقيب شرب الدواء مرة ومرة ينتزع العقل منها حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل
ومعلوم ان اجتماع الحس والعقل من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة انما يفيد علما لم يكن فالمحتاج
الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ما مر
وذلك على الله محال واما الحركة فقد عرفت انها من خواص الاجسام والباري سبحانه منزه عن الجسمية فيمتنع
صدق المتحرك عليه وان صدق انه محرك الكل لان المتحرك ما قامت به الحركة والمحرك اعم من ذلك
واما الهمامة او الهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته الميل النفساني الجازم الى فعل الشيء مع التألم
والغم بسبب فقده كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان الميل النفساني من خواص الانسان

طلب بجلب المنفعة والباري سبحانه منزه عن الميول النفسانية وجلب المنافع الى ذاته مستلزم للتألم بفقدانها واتى لم على الله تعالى واذ ليس ايجاده تعالى للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن بمحض الاختراع والابداع البرئ عن الحاجة الى امر خارج ذاته المقدسة بجميع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واعلم انه عليه السلم اردف الكلام عن هذه الصور بما هو كيفية خلق وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة بالاستفادة والحركة بالاحداث والهامة بالاضطراب لينتفي الكيفية باشغالها هي لا عن ذاته المقدسة وبالله التوفيق

قوله اجال الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها **اقول** لما نسب عليه السلام الايجاد والعالم الى الله تعالى جملة اشار بعده الى ان ترتيبه وما هو عليه من بديع الصنع والحكمة كان منفصلا عن علمه وعلى وفق حكمته الباطن قبل ايجاده والمراد بقوله اجال الاشياء لاوقاتها الاشارة الى ربط كل ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتأخر متقدم منها ولا يتقدم متأخر ومعنى الاجالة نقل كل منها الى وقته وتحويلها من العدم والامكان الصرف الى مدته المضروبة لوجوده واللام في لاوقاتها لام التعليل اي لاجل اوقاتها اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره وفي النسخ الاخرى فمعنى تاجيلها جعل اوقاتها آجالا لها لا يتقدم عليها ولا يتأخر عنها كما قال فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله ولائم بين مختلفاتها على كمال قدرة الله تعالى وبيان ذلك في صور تبين احدها ان العناصر الاربع متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى وعن وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالآخر هو المسمى بالتفاعل حدثت كيفية متوسطة بين الاضداد متشابهة وهي المزاج فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات وغاية البعد بقدرته التامة من اعظم الدلائل الدالة على كمالها الثاني ان الملائمة بين الارواح اللطيفة والنفوس المجردة التي لا حاجة بها في ذواتها في الوجود الى مادة اصلا وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيره واستعماله فيما يعود اليها من المصالح على النظام الاحسن والطريق الارشد مما يشهد بكمال قدرته ولطيف حكمته وقوله وغرز غرائزها اشارة الى ركز القوى الجسمانية والنفسانية فيما هو قوي له وخلق كل ذي طبيعة على خلقه ومقتضى قوة التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان وكقوة الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وغير ذلك وعبر عن ايجاده فيها بالغرز وهو البرز استعارة لما يعقل من المشابهة بينه وبين العود الذي يركز في الارض من جهة المبدأ او من جهة الغاية وذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرائز في محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من آثار الموافقة لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض لغاية ان يثمر ثم استعمل لها قوله والزمها اسناخها اشارة الى انها لا تفارق اصولها ولا يمكن زوالها عنها لان الالزام هذا شانه ومن روى اشباحها بالشين المعجمة فالمراد ان ما غرز في الاشخاص من اللوازم والغرائز لا تفارقها سواء كانت تلك الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة لاخرين من لوازم الماهيات وطباعها لوجود الماهيات في اشخاصها

هو الركز لغة
الركز بالمكرة والغرائز في العزرة

هذا ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عايد الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما اجال الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها في علمه وقضائه الزمها بعد كونها كلية اشخاصها الجزئية التي وجدت فيها لا يقال ان لوازم الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تعالى لانا نقول المستند الى جهة اللزوم ليس الا جهة لازمه واما وجوده فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزامها لاصولها ايجادها في اصولها تبعا لايجاد اصولها على تقدير وجودها **قوله** عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها **اقول** المنصوبات الثلثة وهي قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة على الحال والعامل فيها الزمها اعمالا للاقرب والاحوال الثلثة منزهة لما عقيب الافعال الثلثة الاول اذ كانت صالحة لان تكون احوالا عنها والمراد في القضية الاولى اثبات الافعال الاربعة حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها حاضرة في علمه بالفعل كلها وجزئيها وفي القضية الثانية نسبة تلك الافعال اليه حال احاطة علمه بحدودها وحقايقها المميزة لبعضها عن بعض وان كل منته بحده واقف عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل في سلسلة الحاجة الى الله وفي القضية الثالثة نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بما يقترن بالاشياء من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل شيء يقترن بالشيء الآخر على وجه التركيب او المجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في احيازها الطبيعية على الترتيب الطبيعي وعلمه باحنائها وجوانبها التي بها ينتهي ويقارن غيرها وبيان هذه الاحكام له تعالى بيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك مما علم في العلم الالهي فان قلت اطلاق اسم العارف على الله تعالى لا يجوز لقول النبي صلى الله عليه وآله ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة واجماع علماء النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت لا نسلم ان اسماء الله تعالى تزيد على التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبي صلى الله عليه وآله اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك فان هذا صريح في انه استأثر ببعض الاسماء الثاني انه صلى الله عليه وآله قال في رمضان انه اسم من اسماء الله تعالى وكذلك كان الصحابة يقولون فلان اوتي الاسم الاعظم وكان ذلك ينسب الى بعض الانبياء والاولياء وذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين فاذا كان كذلك كان كل الكلام في قوله عليه السلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة قضية واحدة معناها الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصاها يدخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون لباقي الاسماء وهي كونها مثلا جامعة لانواع من المعاني المشتملة على الكمال بحيث لا يكون لغيرها لا ينفي ان يكون لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العارف من تلك الاسماء لا يقال ان الاسم الاعظم غير داخل فيها لاشتهاره واختصاص معرفته بالانبياء والاولياء واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون خارجا منها ويكون شرفها حاصلا بالنسبة الى باقي الاسماء التي هي غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرفه بعينه ويكون ما يختص به النبي او الولي انما هو تعيينه منها **قوله** ثم انشأ سبحانه فتق الاجواء الى قوله فسوى منه سبع سموات **اقول** لما اشار عليه السلم في الفصل المتقدم الى نسبة خلق العالم الى قدرة الله تعالى على سبيل الاجمال

مستندة الى ملزوماتها

شرح بعده في تفصيل الخلق وكيفية الجادة والاشارة الى مباديه ولذلك حسن ايراده هنا وفي هذا الفصل ابحاث
البحث الاول اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله سبحانه قدر احجارا والكنه اجرى فيها الماء الموصوف
وخلق رياحا قوية على ضبطه وحفظه وحملها عليها وامرها بضبطه ويفهم من قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق
ان تلك الاحجار والاكنة تحتها وانها امرت بحفظه وضبطه لتوصله الى تلك الاحجار ويفهم منه ان تلك
الاحجار هي سطح الريح الحاوي له وان تحت تلك الريح فضاء اخر واسعا وهي محفوظة بقدرة الله تعالى كما ورد
في الخبر ثم خلق سبحانه رياحا اخرى لاجل تموج ذلك الماء فارسلها وعقد مهبها اي ارسلها بمقدار مخصوص
على وفق الحكمة والمصلحة التي اراده باجرائها ولم يرسلها مطلقا ومن روى بالتاء فالمراد انه اخلى مهبها
عن العوائق وانه ارسلها بحيث لا يعرف مهبها وادام حركتها وملازمتها لتحريك الماء واعصف جريانها
وابعد منشاها ثم سلطها على تموج ذلك الماء فاضطرب عبابه وقذف بالزبد ورفع تعالى ذلك الزبد في الفضاء
وكون منه السموات العلى البحث الثاني ان هذه الاشارة وردت في القران الكريم فانه يشير ايضا
الى ان السموات تكونت من الدخان كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان والمراد بخار الماء
وكذلك وردت في اقوال كثيرة الاول ما روي عن ابي جعفر محمد بن علي عليهما السلم قال لما اراد الله سبحانه
وتعالى ان يخلق السماء امر الرياح فضربن البحر حتى ازبد فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه
من غير نار فخلق الله منه السماء الثاني ما نقل انه جاء في السفر الاول من التورية ان مبدأ الخلق جوهر
خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه
السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وفي رواية اخرى
فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك تسمى مكة ام القرى الثالث ما نقل عن كعب
ما يقرب من ذلك قال ان الله تعالى خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح
فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء كما قال تعالى وكان عرشه على الماء الرابع ما نقل عن ثاليس
الملطي وكان من مشاهير الحكماء القدماء فانه نقل عنه بعد ان وحد الصانع الاول للعالم ونزهه انه قال
لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وسماه المبدع الاول ثم نقل عنه ان ذلك
العنصر هو الماء قال ومنه انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب
من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوته تكونت النار
ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك من التورية الخامس ما وجد في كتاب بليناس
الحكيم الذي سماه الجامع لعلل الاشياء من بيان هذه الاشارة وذلك انه قال ان الخالق تبارك وتعالى
كان قبل الخلق واراد ان يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ما اراد بكلمته فاول الحدث كلام الله تعالى
التي كانت بها الحركة ثم قال بعده ان اول ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل فدل بالفعل على الحركة
ودل بالحركة على الحرارة ثم لما نقصت الحرارة جاء السكون عند فنائها فدل بالسكون على البرد ثم ذكر
بعد ذلك ان طبايع العناصر الاربعة انما كانت من هاتين القوتين اعني الحر والبرد وقال وذلك ان الحرارة

حدث

حدث منها اليبس ومن البرودة اليبس فكانت اربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها
الطبايع الاربع وكانت هذه الكيفيات قائمة بانفسها غير مركبة فمن امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار
ومن الرطوبة والبرد حدث الماء ومن الحرارة والرطوبة حدث الهواء ومن امتزاج البرد واليبس حصلت
الارض ثم قال ان الحرارة لما حركت طبيعة الماء والارض تحرك الماء للطفه عن ثقل الارض وانقلبت ما احتدت
من الحرارة فصار بخارا لطيفا هوائيا رقيقا روحانيا وهو اول دخان طلع من اسفل الماء وامتزج بالهواء
فسما الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية في صعوده على قدر قوته ونفرته من الحرارة فكان منه الفلك
الاعلى وهو فلك زحل ثم حركت النار الماء ايضا فطلع منه دخان هو اقل لطفا مما صعد اولا واضعف
فلما صار بخارا سما الى العلو بجوهره ولطافته ولم يبلغ فلك زحل لقلة لطافته عما قبله فكان منه الفلك
الثاني وهو فلك المشتري وهكذا بين في طلوع الدخان مرة مرة وتكون الافلاك السبعة الباقية فهذه
الاشارات كلها متطابقة على ان الماء هو الاصل الذي تكونت عنه السموات والارض وذلك مطابق
لكلامه عليه السلم البحث الثالث قوله وادام مربها قال قطب الدين الراوندي اي ادام هبوب الريح لئلا
تسويها قلت تقرير ذلك ان الماء لما كان مقر الريح الذي انتهت اليه وحملت في تحريكه كان ذلك هو
مربها اي الموضع الذي لزمته واقامت به فقوله وادام مربها اي ادام حركة الماء واضطرابه ومحضه الذي هو
محل اربابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر والتقدير ادام اربابها اي ملازمتها
لتحريك الماء وايضا فيحتمل ان يكون قد شبهها فكونها سببا للاثار الجزئية في كثرتها وقربها بالديمة
فكان محلها ومقرها الذي تصل اليه وتقيم به قد اداه امداي سقاه دائمة وقوله وابعد منشاها قال اي
ابعد ارتفاعها قلت المنشأ محل النشوء وهو الموضع الذي انشأها منه فلا يفهم منه الارتفاع اللهم الا على
تقدير استعماله لموضع الانشاء استعمال المصدر اي بلغ بانشائها غاية بعيدة والاقرب انه يشير
الى انشائها من مبدأ بعيد ولا يمكن الوقوف على اوله وهو قدرة الحق سبحانه وجوده وقوله وامرها
قال ره اي امر الموكلين بها من الملائكة بضرب الماء بعضه ببعض وتحريكه كمخض اللبن بزبده واطلق الامر عليها
مجازا لان الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على امر الريح اولى لان في التقدير الذي ذكره يكون التجوز في لفظ
الامر لعدم القول المخصوص هناك فيحمل على قهر ملائكتها وفي نسبته الى الريح ايضا اذا اريد ملائكتها اما اذا
حمل على ظاهره كان التجوز في لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله مخض السقاء وعصفها
بالفضاء اي ومثل مخض السقاء ومثل عصفها فحذف المضاف الذي هو صفة المصدر واقام المضاف اليه
مقامه فلذلك نصب نصب المصادر واعلم ان الامر في قوله تصفيق الماء المعهود السابق في قوله ماء متلاطما
لان الماءين واحد ومثل هذا التكرار جائز في الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول فان قلت ان الاجواء والارجاء وسكائك الهواء امور عدمية فكيف يصح نسبتها
الى الانشاء عن القدرة قلت ان هذه الاشياء عبارة عن الخلاء والاحياز والالفاظ في ان الخلاء والحيز والمكان
هل هي امور وجودية او عدمية مشهور فان كانت وجودية كانت نسبتها الى القدرة ظاهرة ويكون

معنى فتقها وشقها شق العدم عنها كأمر في قوله فطر الخلائق بقدرته وان كانت عدمية كان معنى فتقها وشقها نسبتها
الى القدرة تقديرها وجعلها اجابة الله ومقدارها لانه لما كان تميزها عن مطلق الهواء والخلاء بايجاد الله فيها الآثار نسبها
الى سبب قدرته تعالى فصح نسبتها الى اثبات فكانه سبب شقها وفتقها لحصول الجسم فيها وروي ان زرارة
وهشام اختلفا في الهواء اهو مخلوق ام لا فرفع بعض موالي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم اليه ذلك وقال له
انا متحير واري اصحابنا يختلفون فيه فقال ع ليس هذا الخلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه انما عرض
عن بيان ذلك لان اولياء الله الموكلين بايضاح سبله وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا ينطقون بالذات
الا الى احد امرين احدهما ما يؤدي الى الهدى اما ظاهرا او خفيا والثاني ما يصرف عن الضلال ويرد الى سواء
السبيل وبيان ان الهواء مخلوق او غير مخلوق لا يفيد كثير فايدة في امر المعاد فلا يكون الجهل به مما يضر في ذلك
فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه اوسط البحث الرابع ان القرآن الكريم نطق بان السماء
تكونت من الدخان وكلامه ع ناطق بانها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر ان ذلك الزبد هو الذي تكونت
منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الاشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه ع وبين لفظ القرآن
الكريم ما ذكره الباقر عليه السلم وهو قوله فيخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار
فخلق منه السماء ولا شك ان القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك انما يكون عن النار
واتفق المفسرون على ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تموجه فهو اذن
استعارة للبخار الصاعد من الماء واذا كان ذلك منقول ان كلامه ع مطابق للفظ القرآن الكريم وذلك
ان الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على
وجه الماء لم ينفصل فانه يخص باسم الزبد وما لطف وغلبت عليه الاجزاء الهوائية فانفصل خص باسم البخار
واذا كان الزبد بخارا والبخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن واحدا
فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت عنه السموات والذي لم ينفصل هو الذي تكونت عنه الارض
وهو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان والبخار الذي صحت لاجله استعارة لفظه له فهو امران احدهما
حسي وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما في الحس البصري والثاني
معنوي وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما ان الدخان كذلك
ولكن عن حرارة النار فان الدخان ايضا اجزاء مائية انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حر
النار فكان الاختلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك صح استعارة اسم احدهما للآخر وبالله التوفيق
البحث الخامس قال المتكلمون ان هذه الظواهر من القرآن وكلامه ع دالة على ما دلت عليه من كون
الماء اصلا تكونت عنه السموات والارض وغير ذلك وعلى ان الترتيب المذكور في المخلوقات امر ممكن
في نفسه وثبت ان الباري تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثم لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من
اجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر ولا حاجة بنا الى
التاويل لا يقال ان جمهور المتكلمين متفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام مركبة منه فبعضهم

يقول

يقول ان الجوهر كانت ثابتة في عدمها والفاعل المختار ركبها صفة التأليف في الوجود وبعضهم وان منع ثبوتها
في العدم الا انه يقول ان الله تعالى يوجدها اولا تلك الجواهر ثم يؤلف بينها فيوجد منها الاجسام فكيف يقال ان
السموات والارض تكونت عن الماء لانا نقول هذا ظاهر لانه يجوز ان يخلق الله تعالى اول الاجسام من تلك الجواهر
ثم تكون باقي الاجسام عن الاجسام الاول واما الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذي اقتضته هذه الظواهر في تكوين
الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتأخر وجود العناصر عندهم عن وجود السموات لا جرم عدل بعضهم الى تأويلها
توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا من التاويل وجهين الوجه الاول قالوا العالم عالمان عالم يسمى عالم
الامر وهو عالم الملائكة الروحانية والمجردات وعالم يسمى عالم الخلق وهو عالم الجسمانيات وهو مثال له
بوجه ما ولولا ذلك لانسد الترقي الى العالم الروحاني وتعذر السفر الى الحضرة الالهية ثم كان لمن تجمهم
ان بينوا ان قدرة الله سبحانه يرجع الى كون ذاته عالمة بالكل علما هو مبدأ الكل مبدئية بالذات غير
ماخوذة عن شيء ولا متوقفة على وجود شيء ثم لما دل دليلهم على ان رتبة صدور عالم الامر عنه في الوجود
واسبق نسبة الى قدرة المبدع الاول من عالم الخلق اذ كان صدور عالم الخلق انما هو بواسطة عالم الامر
كان اعتبار ايجاد عالم الامر عن القدرة امرا اولا واعتبار ايجاد عالم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا عنه
فعند ذلك قالوا ان الذي اشار اليه ع هنا موافق لما اصلناه ومناسب له وذلك انه اشار بالاجواء
والارجاء وسكائك الهواء الى سلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على مراتبها متنازلة وبانشائها
الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها وبالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجبت عنه سبحانه
باجرائه فيها الى افاضته على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصف الى الامر الاول
الذي اشرنا اليه عن القدرة فاما وجه المناسبة بين هذه الامور وبين ما ذكره فاما في التعبير عن العقول
بالاجواء والارجاء والسكائك فمن جهة انها قابلة للفيض والكمالات عن مبدئها الاول كما ان الارجاء
والاجواء وسكائك الهواء كذلك قابلة لما يخرج عنه من سحاب او مطر واما في تشبيه الفيض بالماء فلانه لما
لم يكن بحيث يتوقف الفعل على تمام القابل فحيث وجد سال بطبعه اليه كذلك الفيض الالهي لا يتوقف صدوره
عن واهبه الا على تمام القابل لكون الفاعل تام الفاعلية في ذاته ولان الماء لما كان به قوام كل حي جسماني
في عالم الكون كذلك الفيض الالهي هو مبدأ قوام كل موجود قالوا ومثل هذا التشبيه جاء في القرآن الكريم قال
جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس رض في قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها ان
المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد وبانزاله افاضته على القلوب وبقوله فسالت بقدرها
ان كل قلب منها يصل اليه مقدار ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله سبحانه انزل من سماء الكبرياء
والجلالة والاحسان ماء بيان القرآن وعلومه على قلوب العباد ولان القلوب يستقر فيها انوار علوم
القرآن كما ان الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد فانما يحصل فيه من مياه
الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك هنا كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن ما يليق بذلك
القلب من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصر فهمه وتمام التشبيه في الآية مذكور في التفاسير واما في تشبيه

الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعها كان دفعة غير منسوب الى زمان يتوقف عليه كان انسب
بما يشبه من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام حركة ولذلك اكد ذلك بوصف
الوصف تقريرا للسرعة الثابتة وبما امرنا الا واحدة كلمح البصر ويوصف الزعزعة والعصف تحقيقا للقوة
الغالبة والشدة الشديدة واما امره لها وتسليطها على شدته فلانه لما صورها بصورة الريح ساغ ان يقال
انه امرها وهو عبارة عن نسبة ذلك الامر الى ذاته تعالى النسبة التي تحدثها عقول الضعفة وفائدة الرد
والشد هنا هو ضبط امره سبحانه تعالى وفي حكمة الكمالات الفائضة وعنه على كل مورد مورد بحسب نوعه
المستلزم ترده عمن ليس له ذلك الكمال المعين واما قرنها الى حده فاشارة الى احاطة امره سبحانه
بما تلك القوابل من الكمالات الفائضة واشتماله عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول القوابل
المذكورة والماء من فوقها دفيق اشارة الى ما يحمله امر الله من الفيض المذكور ويلقيه على تلك القوابل وكل
ذلك بترتب عقلي لا زمان يجمعه فيعقل فيه التراخي واما الريح الثانية فاشار بها عليه السلام الى الامر
الثاني ووصفها باعتقام مهبها اشارة الى عقد ذلك الامر وايقاعه تعالى وفق الحكمة الالهية اوالى عدم
المانع لجريان ذلك الامر وبادامة مربها الى افاضة مقارن ذلك الامر فكانه شبه الفيض الصادر
بهذا الامر على هيوليات الاجسام الفلكية بالديمة الهاطلة على الاماكن التي تجمع بها ويقيم اوان المحال
القابلة لذلك الامر المستلزمة له دائمة باقية واشار بعصف مجراها الى سرعة ذلك الامر كما وصف
الريح الاولى وبعد منشأها الى عدم اولية مبدائه وبامره لهذه الريح الى نسبة ذلك الامر الى ذاته
كما مر وبتصفيق الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة فيضان صور الافلاك وكمالاتها الى امره
سبحانه بواسطة تلك الكمالات العقلية للملائكة وانها غير مستقلة بايجاد شيء بل هي شرائط بعضها
لبعض ولغيرها وبالبحار الى تلك الملائكة وبمخضها له مخض السقاء وعصفها به عصفها بالفضاء وترديد بعضه
على بعض والى قوة امر الله عليها وتصريفها على حسب علمه بنظام الكل وتقدير ما لكل فلك من الكمالات
في ذات كل مبدأ من تلك المبادي وقوله حتى عب عبابه اشارة الى بلوغ كمالات تلك الملائكة الى حد
لها بالفعل من امر الله الى رتبة ان تعطي بواسطتها الفيض لغيرها وكذلك قوله ورمى بالزبد ركامه
اشارة الى اعطاء صورة الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت صور الافلاك محتاجة في فيضانها
في الوجود الى الهيولى كانت نسبتها الى الملائكة المجردة نسبة اخس الى اشرف فبالحري ان اطلق عليها
اسم الزبد ولان هذه الصور حاصلة عن تلك الكمالات العقلية وفائضة عنها كما ان الزبد منفصل
عن الماء ومتكون عنه فشبهها بها واما رفعه في هواء منفتق وجو منفهق فاشارة الى الحاق صور الافلاك
بموادها المستعدة اوالى تخصيص وجودات الافلاك باحيازها وردها اليها وقوله فسوى منه
سبع سموات اشارة الى اكمال الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل والترتيب واما تخصيصه
بالسبع فلان الفلكين الباقيين في الشريعة معروفان باسمين آخرين وهما العرش والكرسي
ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء ايضا يقولون ايضا فان مراد ثاليس الملطي بالعنصر الاول هو المبدع الاول

وكونه

وكونه هو الماء لان المبدع الاول واسطة في باقي الموجودات وفيه صورها وعنه تفاض كمالاتها كان الماء
قوام كل حي عنصري وبواسطته يكون وكذلك ما جاء في التوراة فان المراد بالجوهر المخلوق اولا هو المبدع
الاول وكونه تعالى نظر اليه نظر الهيبة وذوبان اجزائه اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله سبحانه وقدرته
والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي تكونت منه السموات اشارة الى كمالات السموات
والارض وصورها الصادرة عن كمالات عللها صدور البخار والزبد عن الماء وكل هذه التجوزات والاستعارات
يلاحظ فيها تفاوت حسنها قرب المناسبة وبعدها **الوجه الثالث** قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى
هو العقل الاول فانه الحامل للفيض الالهي الى ما بعده وهو المحيط بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله
الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق فان الهواء اشارة الى القوابل بعده وبواسطته والماء اشارة الى
الفيض الصادر عن الاول سبحانه فان التدفق لما كان مستلزما للسرعة حركة الماء وجريانه عبر به عن الفيض
الذي لا تراخي فيه وبالريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة انوار الله سبحانه على ما
بعده من العقول التي بواسطتها تصدر السموات السبع ووصف الريح بالعصف والقصف اشارة
الى ما يختص به هذا المبدأ من القدرة وامره الريح الثانية بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار اشارة
الى تحريك العقل الثاني للعقول التي بعده الى افاضة كمالات الافلاك بامر الله تعالى وباقي التاويل كما في
التاويل الاول **قوله** جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسقفا سائرا ورقيما مائرا **اقول** هنا ابحاث
البحث الاول هذا الكلام يجري مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى لان التسوية عبارة عن التعديل والوضع
والهيئة التي عليها السموات بما فيهن والغرض بهذا التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه
في ملكوت السموات وبدائع صنعه وضروب نعمه ليتذكروا نعمه بهم فيواظبوا على عبادته وحمده على تمام
ذلك الاحسان كما قال تعالى لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين فان كل هذه نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة
على العباد كحركات السموات مثلا في مذاهب ان كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة حركة السماء في حقنا
لكنه اذا نبهت اذهانهم لذلك علمت انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات في هذا العالم اصلا فلم يكن
العبد في نفسه فضلا عما يجري عليه من النعم الخارجة عنه الا ان تلك الحركة قد تستلزم نعما هي اقرب الى العبد
من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعداد الابدان للصحة ونحو
ذلك وقد تستلزم نعما اخرى الى ان يتصل بالعبد كاعداد الارض مثلا لحصول المركبات التي فيها
قوام حياة العبد واعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك ان الكثرة
من ذكرها دليل عظم شانها وعلى ان له سبحانه فيها اسرارا لا تصل اليها عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم
ان قوله عليه السلام وعلياهن سقفا محفوظا كقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله وحفظناها
من كل شيطان رجيم وقوله وحفظناها من كل شيطان مارد وقوله سمكا مرفوعا بغير عمد
تدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله فاجرى فيها سراجا

مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا **البحث الثاني** في هذا الفصل
استعارات الاول قوله جعل سقفها موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو
والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين انما كانت في الاول موجا ثم عقدها ومكنها اي منعها
من السقوط الثاني قوله سقفا محفوظا استعار لفظ السقف من البيت للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة
في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون منقولا واراد
بقوله محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس رض كانت الشياطين لا تحجب عن السموات وكانوا يدخلونها
ويخبرون اخبارها فلما ولد عيسى ع منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد ص منعوا من السموات كلها فما منهم احد
استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من
استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وسنشير الى سر ذلك ان شاء الله تعالى **قوله** بغير عمد يدعمها ولا
دسار ينتظمها **اقول** لما كان مقتضى قدرة العبد وغايتها اذا تمكن من بناء بيت وانشاء سقف انه لا بد له
من اساطين وعمد تقوم عليها ذلك السقف وروابط تشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه
وتعالى اجل واعلى من الحاجة الى امثال ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قدرته بسلب صفات
المخلوقين عنه وشرائطها عن قدرته واعلم ان هذه الاجرام العظيمة ثبت واقفة في الجو العالي ويستحيل
ان يكون وقوفها هناك لذواتها لان الاجسام متساوية في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب
حصول كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز والخلاء متشابهة فلا اختصاص فيه لموضع دون اخر ولا يجوز
ان يقال انها معلقة بجسم اخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجو كالكلام في الاول ويلزم
التسلسل فلم يبق الا ان يقال انما وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار وان قلت قوله تعالى
ترونها يفهم منه ان هناك عمدا ولكنها غير مرئية لنا وذلك ينافي سلبه ع للعمد مطلقا قلت الجواب عنه
من وجوه احدها انه يحتمل ان يكون قوله ترونها كلاما مستانفا والتقدير بغير عمد وانتم ترونها كذلك
الثاني يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كما نقل عن الحسن البصري انه قال التقدير ترونها بغير عمد
الثالث وهو الالطف ما ذكره الامام فخر الدين ره فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه والسموات معتمدة
وقائمة على قدرة الله تعالى فكانت هي العمد التي لا ترى وذلك لا ينافي كلامه ع الرابع وهو الاحق ما
ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص الشيء بالحكم لا يدل على ان حكم غيره بخلاف ذلك الحكم
فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئية لها الثالث قوله الثواقب استعارة
في الاصل للشهب من الاجسام التي تثقب جسما اخر وتنفذ فيه ووجه المشابهة التي لاجلها سمي الشهاب
ثاقبا انه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكنه لكثرة الاستعمال فيه صار اطلاقه عليه حقيقة او قريبا منها
الرابع قوله سراجا مستطيرا استعارة للشمس ووجه المشابهة ان السراج القوي المستطير لما كان من
شانه ان يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدى به من الظلمة كذلك الشمس مضيئة لهذا العالم
ويهتدى بها المتصرف فيه الخامس قوله رقيم استعارة اصلية للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثم كثر

استعمل

استعمال هذا اللفظ في الفلك حتى صار اسما من اسمائه **البحث الثالث** اعلم ان هذه الاستعارات تستلزم
ملاحظة اخرى وهو تشبيه هذا العالم باسره ببيت واحد فالسماء كقبة خضراء انبسطت على الارض وجعلت سقفا
محفوظا محجوبا عن ان تصل اليه مردة الشياطين كما يحمى غرف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص
ثم هي مع غاية علوه وارتفاعه غير محمول بعمد يرى ولا منظوم بسارية بل بقدرة صانعه ومبدعه
ثم ان القبة تتزين بالكواكب وضيائها الذي هو حسن الزينة والكمال فلو لم يحصل صور الكواكب في الافلاك
بقي سطحها مظلما فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطوح اجرام استنارت وازدان بذلك النور
والضوء كما قال ابن عباس في قوله زينة الكواكب اي بضوئها وانت اذا تاملت هذه الكواكب المشرقة المضيئة
في سطح الفلك وجدتها عند النظر اليها كجواهر مرصعة في سطح من زمرد على اوضاع اقتضتها الحكمة او كما قال
وكان اجرام النجوم لوامعا ؛ درر نثرن على بساط ازرق ؛ ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب
جرما واشدها اشراقا واتمها ضياء مع اشتمالها على تمام الحسن والزينة جعل احدهما ضياء للنهار والاخر
ضياء لليل ثم لم يجعل ذلك السقف ساكنا بل جعله متحركا ليكون اثر صنعه فيه اظهر وصنع حكمته فيه ابدع
ثم لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل طباقا اسكن في كل طبق ملأ من جنوده وخواص ملكه الذين ضرب
بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان يتشبه بالكهم
وخالقهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة الظاهرة التي يتنبه لها من له ادنى
فطنة فحصل منها عبرة شاملة لاصناف الخلق بحيث اذا لاحظوا مع جزئي من جزئيات اثار هذه القدرة
اي اثر كان استعظم واستحسن من اي ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة الا خيال
ضعيف فان اي ملك فرض اذا اهتم بوضع بنيان وبالغ في تحسينه وتزويق سقوفه وترصيعها بانواع
الجواهر وتزيينه بالالوان والصنائع المعجبة لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن غايته الا ان
يلحظ مما عمل نسبة خيالية بعيدة الى ظاهر هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه
من الحكم الخفية والاسرار الالهية التي تعجز القوى البشرية عن ادراكها وتحتاج فيما لاح منها الى لطف قريحة
وتوقد ذهن فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك
المناسبة بين بيتك الذي تبنيه وهذا البيت العظيم وقس سراجك الى سراجه وزينتك الى زينته
ثم لاحظ مع ذلك انه انما خلقه لك ولابناء نوعك ليكون فيه ومنه قوام حياتكم ووجودكم ولتستدلوا
بملكوت ما خلق على كمال قدرته وحكمته وترجعوا بذلك الى حضرته طاهرين من الرجس متشبهين بسكان
سقف هذا البيت وغرفه لا ان له حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء والعجب من
الانسان انه ربما راى خطا حسنا او تزويقا على حائط فلا يزال يتعجب من حسنه وحذق صانعه ثم يرى
هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه وقدرته ولا يحيره جلال مبدعه وحكمته
البحث الرابع الشرع والبرهان قد تطابقا على ان هنا تسع افلاك بعضها فوق بعض فمنها سبع سموات
ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس الالهي ثم الكرة المشتملة على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة

مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك فالفلك الاول مما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وليس في الثاني الا عطارد
وليس في الثالث الا الزهرة وليس في الرابع الا الشمس وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس الا المشتري
وفي السابع الا زحل وهذه هي المسماة بالكواكب السبعة السيارة وما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك
الثامن واما التاسع فخال عن الكواكب وان كان ظهر بعد ركن ثم قد دل البرهان على ان الافلاك هي
المتحركة بما فيها من الكواكب وان تلك الحركة دورية وكان كلامه مطابقا لذلك حيث قال في فلك يسبحون
سائر ورقيم ما يرا اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الوجود واكمله فجميع الموجودات
من الافلاك ومقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيآتها وهيئة الارض وما عليها من حيوان ونبات
ومعدن ونحوه انما وجدت على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي للعالم ولو كان بخلاف ما عليه لكان
شرا وناقصا فخلق الافلاك والكواكب وما هي عليه من الحركات والاوضاع وجعلها اسبابا لحدوث
الحوادث في عالم الكون والفساد بواسطة كيفيات تحدث فيها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة توجب
ذلك امتزاج بعضها ببعض امتزاجات مختلفة مستعدة لقبول صور مختلفة من حيوان ونبات ومعدن ومن
اظهر الكواكب تأثيرا هو الشمس والقمر فان بحركة الشمس اليومية يحصل النهار والليل فالنهار وهو زمان
طلوعها يكون زمان التكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحيوة ويكون سببا الى السعادة
الاخروية ثم انها في مدة حركتها اليومية لا تزال تدور فتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب وقد اخذت
كل جهة من الجهات حظها من الاشراق والاستعداد به واما الليل وهو زمان غروبها فانه فيه هدو الخلق وقرارهم
الذي به يحصل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء كما قال تعالى هو الذي جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت الشمس
من جهة ضوئها كسراج ترفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم فصار النور والظلمة على تضادهما
متظاهرين على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركاتها الجنوبية والشمالية فقد جعل سبحانه ذلك سببا
لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة والنبات فيتولد منها مواد الثمار ويكثر السحاب والامطار
ويقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد
المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار
وتنحل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للبناء والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فينتقل
فيه الابدان على التدريج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة لهلكت وفسدت واما القمر فان بحركته
تحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب فيتمكن العبد بالحساب من
ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف وباختلاف حاله في زيادته ونقصانه
يختلف احوال الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون الكواكب لكان ان خلوها عنها
لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول والحر والبرد فلم يتم في هذا العالم ما كانت اسبابا فيه من الاستعدادات
ولم يتميز لنا مقصد عن مقصد كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله هو الذي جعل لكم النجوم

لتهتدوا

لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وان خلقها متشابهة في اثرها في الامكنة والازمنة بل خلق فيها الكواكب
ولم يخلقها ساكنة والا لافرط اثرها في موضع بعينه فيفسد استعداده وفي مواضع اخر عن التاثير ولما تميزت
فصول السنة ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة فالنظام
الكلي لا يحصل الا بهذا الوجه فهو اكمل انحاء الوجود وكل ذلك يدل على كمال رحمة الله بخلقه وشمول عنايته لهم
اذ كان جميع ما ذكرنا من المنافع الحاصلة في هذا العالم مستندا الى علو تدبيره وكمال حكمته كما قال تعالى وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لا يقال السؤال على ما ذكرتم من وجهين احدهما ان الترتيب الذي
ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به
القرآن الكريم اما ان تكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا يكون والاول باطل لان هذه الشهب تبطل
بالانقضاض وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد
ذلك النقصان البتة والثاني يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
فانه نص على كون الشهب التي جعلت رجوما للشياطين هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء
لانا نجيب عن الاول بانه لا تناقض بين ظاهر الآية وبين ما ذكرناه وذلك ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب
ضوء الكواكب وكانت اوهام الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة الكواكب بكونها مزينة بها لا جرم
صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لان الزينة بها انما هي بالنسبة الى اوهام الخلق للسماء
الدنيا وعن الثاني انا نقول ان هذه الشهب غير تلك الثواقب الباقية فاما قوله ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير حصل في الجو العالي او في السماء فهو مصباح لاهل
الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول الزمان وهي الثوابت ومنها متغيرة وهي هذه الشهب
التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها زينة للسماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا
وبالله التوفيق **قوله** ثم فتق ما بين السموات العلى الى قوله ولا يشيرون اليه بالنظائر فيه ابحاث
البحث الاول هذا الفصل ايضا من تمام التفسير لقوله فسوى منه سبع سموات اذ كان ما اشار اليه هنا من
فتق السموات الى طبقاتها واسكان كل طبقة منها ملأ معينا من ملائكته هو من تمام التسوية والتعديل لعالم
السموات فان قلت لم اخر ذكر فتق السموات واسكان الملائكة بها عن ذكر اجراء الشمس والقمر فيها وتزيينها
بالكواكب ومعلوم ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب قلت ان اشارته الى تسوية
السموات اشارة جملية فكانه قدر اولا ان الله خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين لقوله تعالى
ان السموات والارض كانتا رتقا ثم ذكر علياهن وسفلاهن لجريانهما مجرى السطحين الداخل والخارج
لتلك الكرة ثم اشار الى بعض ما لاجله هي الكواكب والشمس والقمر جملة ثم بعد ذلك اراد التفصيل فاشار
الى تفصيلها وتمييز بعضها عن بعض بالفتق واسكان كل واحدة منها ملأ معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة

ولا شك ان تقديم الاجمال في الذكر وتعقيبه بالتفصيل اوطاق في الفصاحة والبلاغة في خطابه من العكس اذا عرفت
ذلك فنقول قوله عليه السلم ثم خلق ما بين السموات العلى كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما وقوله فاذا هي اطوار من ملائكة منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى ولله يسجد من في
السموات والارض وقوله ولا يسجدون وكذا وقوله وصافون لا يتزايلون كقوله تعالى وانا لنحن الصافون
والصافات صفا وقوله ومسبحون لا يسامون كقوله تعالى يسبحون الليل والنهار وقوله لا فترة الا بدان
كقوله تعالى لا يفترون وقوله ومنهم امناء على وحيه كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله والسنة الى رسله
كقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا وقوله ومختلفون بقضائه وامره كقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
من كل امر وقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله ومنهم الحفظة لعباده كقوله تعالى
ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله
وقوله والسدنة لابواب جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم كقوله
ويحمل عرش ربك يومئذ فوقهم يومئذ ثمانية وقوله باجنحتهم كقوله تعالى اولي اجنحة البحث الثاني اعلم
ان للناس في تفسير قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا
احدها قال ابن عباس والضحاك وعطا وقتادة ان السماء والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل
الله بينهما بالهواء الثاني قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقهما بها
الثالث قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض الرابع
قال عكرمة وعطية وابن عباس برواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت
الارض رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ويؤيد ذلك قوله تعالى بعد ذلك
وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض
ذات الصدع وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا الاية الخامس
قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اي كانت امورا كلية في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله
ففتقناهما اشارة الى تشخصاتهما في الوجود الخارجي وتميز بعضها عن بعض وهذا القول يناسب على قول
الثلثة الاول ويصلح تحقيقا لها ويحمل الرتق الذي ذكره كعب على ان الله تعالى استعاره لما بينهما من المشابهة
في الرتق السادس قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الاية هو انطباق دايرة معدل النهار على فلك
البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة عن ظهور الميل قالوا ومما يناسب ذلك قول ابن عباس وعكرمة
فانهم قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت كان الفتق
والرتق بالمعنى الذي ذكرناه اشارة الى اسباب ما ذكروه اذ انطباق الدايرتين وهو الرتق
يوجب خراب العالم السفلي وعدم المطر والنبات وظهور الميل الذي هو الفتق يوجب وجود الفصول
وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله ثم خلق ما بين السموات
العلى موافق للاقوال الثلثة الاول مع القول الخامس والتحقيق به اليق واما القول السادس فهو بلية من

لقوله عليه السلم وبيان ذلك ان قوله ثم خلق ما بين السموات العلى انما هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى و
لذلك اردفه وعقبه بالفاء في قوله فملأهن اطوارا من ملائكته والرتق والفتق في هذا القول متاخر عن كمال الاجرام
العلوية بما فيها وما يتعلق بها ولا يعقل تقدم ظهور الميل بوجه ما على وجود الملائكة السماوية واسكانها اطباق
السموات والله التوفيق البحث الثالث الملائكة على انواع كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملائكة
المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الثانية الملائكة الحاملون
العرش كقوله تعالى الذين يحملون العرش وقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الثالثة الحافون حول
العرش كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله ومن حوله الرابعة ملائكة السموات والكرسي
الخامسة ملائكة العناصر السادسة الملائكة الموكلون بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان السابعة الملائكة
الحفظة الكرام الكاتبون كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليه بقوله تعالى
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله الثامنة ملائكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم
خزنتها سلام عليكم التاسعة ملائكة النار كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر
وقال وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملائكة ليس عبارة
عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهايم بل القول المحصل فيها قولان الاول هو قول المتكلمين
انها اجسام نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة والافعال الشاقة ذوات عقول وافهام
وبعضها اقرب عند الله من البعض واكمل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم والقول الثاني
قول غيرهم وهي انها ليست باجسام لكن منها ما هو مجرد عن الجسمية وعن تدبير الاجسام ومنها من له مع الاول
دون الثالث ومنها من ليس بمجرد بل جسمانية حالة في الاجسام وقائم بها واذا علم في تنزيل المراتب المذكورة على
قولهم تفصيل اما المقربون فاشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام بها وعن
تدبيرها واما حملة العرش فالارواح الموكلة بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في القران الكريم في
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء الملائكة المدبرين للكرسي والسموات السبع وذلك ان في
الاجرام لما كان الابدان فهي لابد لها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون حول العرش فقيل هم صنوف
واقربهم الى العرش هي الارواح الحافة للكرسي الموكلة به والمتصرفة فيه والملائكة السموات فالارواح الموكلة
بها والمتصرفة فيها بالتحريك والارادة باذن الله عز وجل وكذلك ملائكة العناصر والجبال والبحار والبراري و
القفار وساير المركبات من المعدن والنبات والحيوان المسخر كل منها لفعله المخصوص على اختلاف مراتبها
واما الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال احدها قال بعضهم ان الله تعالى خلط الطبايع المتضادة
ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى
الحسية والمحركة فالمراد بتلك الحفظة التي ارسلها الله تعالى هي تلك النفوس والقوى التي تحفظ تلك الطبايع المقهورة
على امتزاجاتها وهي الضابطة على انفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صورها تفعل لتشهد به على انفسها يوم
القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

وهي المعقبات من بين ايدي الانسان ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقيل الحفظة العباد غير الحفظة على العباد
والكاتبين للاعمال وسنشير الى ذلك انشاء الله تعالى قال بعض القدماء ان هذه النفوس البشرية والارواح الانسانية
مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء والفجور والعفة والحرية والنذالة
والشرف والدناءة وغيرها من الصفات ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق
والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومناماتها تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات
وهي مبدأ لما يحدث فيها من خير وشر ويعرف تلك المبادي في مصطلحهم بالطباع التام يعني ان تلك الارواح
الفلكية في تلك الطبايع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها وعليها كما
قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة انشاء الله تعالى قول بعضهم ان النفوس المتعلقة
بهذه الابدان مشاكلة ومشابهة مع النفوس المفارقة عن الابدان فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس
التي لم تفارق فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة
والموافقة فتصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد وقوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد واما ملائكة الجنة فاعلم ان
الجنان المذكورة في القرآن ثمانية وهي جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن
ودار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ومن وراء الكل عرش الرحمن
ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فاعلم ان لهذه الجنان سكانا وخزانا من الملائكة اما السكان فهم الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يلقون
عباد الله الصالحين بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الطايع اذا كملت طاعته وبلغ
النهاية في الصورة الانسانية واستحق باعماله الصالحة وما اكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية ورتبة
سماوية تلقته الملائكة الطيبون بالرافة والرحمة والشفقة وتقبلوه بالروح والريحان وجللوه كما تقبل
القوابل والدايات اولاد الملوك بفاخر امور الدنيا وطيبات روايحها من مناديل السندس والاستبرق
وبالفرح والسرور ومروا به الى الجنة فيعاين من البهجة والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر ويبقى معهم على الدوام كما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ويتصل باخوانه المؤمنين في الدنيا
اخباره واحواله ويتراءى لهم في منامهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب واذا كان يوم القيمة
الكبرى عرجت به ملائكة الرحمة الى جنان النعيم والسرور المقيم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ولهم
غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء
الاسلام ان تلك الملائكة المتلقية بالروح والريحان هي روحانيات الزهرة والمشتري وكان من قبل
يقول ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها دخلت القوة المتوهمة معها والنيات التخيلية
التي حصلت من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنان والحدائق والانهار والاثمار والحور العين والكواعب
المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان والغلمان فانه يفاض عليها بحسب استعدادها وطهارتها ورجا

ثواب الآخرة صور عقلية في غاية البهاء والزينة مناسبة لما كانت تتخيل من الامور المذكورة مناسبة ما وملائكة
لذين الكوكبين اثر تام في اعداد النفوس لتخيلات البهية الحسنة وللفرح والسرور كما في المشهور الى روحانيتهما
من الافعال الحسنة تستقبل الانسان بعد المفارقة بالرافة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واما خزنة
الجنان فيشبه ان يكون هم السكان لها ايضا باعتبار اخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتوسط لاحوال ابواب
الخزنة بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقيها باذن رب الخزانة ومالكها وغلقها ومنعها من غير مستحقيها وكانت الملائكة
هم المتوليين لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم على مستحقيها وحفظها ومنعها عن غير مستحقها
والمستعد بالطاعة لها باذن الله وحكمه لا جرم صدق انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار وهم الذين يدخلون
على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلاء ان العبد اذا راض نفسه
حتى استكمل مراتب القوة النظرية ومراتب القوة العملية فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص
يفاض عليه من الله تعالى ويأتيه به الملائكة فيدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلم والتحية والاكرام
ثم ان الرضا بقضاء الله من خير وشر باب عظيم من تلك الابواب فالملك الذي يدخل على الانسان منه برضاء الله
كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه هو رضوان خازن الجنان والله اعلم واما ملائكة النار فقال
بعض الفضلاء هي تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الجنة الذين ذكرنا انهم يوردون
عليه الاخبار من خارج ورئيسهم والخازنان والحاجب والملك المتصرف بين يديه باذن ربه وملكا
الغضب والشهوة والسبعة الموكلون بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان
ممن طغى وآثر الحيوة الدنيا حتى كانت الجحيم هي المأوى كانت اولئك التسعة عشر من الزبانية هم الذين
[illegible] الى الهاوية بسبب ما استكثر من المشتهيات واقترف من السيئات واعرض عن قوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى واعلم
وفقك الله ان هؤلاء الذين ذكرنا انهم ملائكة النار ربما كانوا ايضا مع الانسان من خزنة الجنان
وذلك اذا استخدمهم الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله واوقفهم على طاعة الله دون ان يطلب
منهم فوق ما خلقوا لاجله وامروا به من طاعته وبعثهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه وبالله
التوفيق **البحث الرابع** انه عليه السلم ذكر من الملائكة ذا عادات اربع السجود والركوع والصف والتسبيح الى
تفاوت مراتبهم في العبادة والخضوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة من الكمال في العلم
والقدرة لا يصل اليها من دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته اتم وطاعته اوفر ثم
ان السجود والركوع والصف والتسبيح عبادات متعارفة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع
والخشوع ولا يمكن حملها على ظواهرها المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في
خط واحد وحركة اللسان بالتسبيح امور مبنية على وجود هذه الآلات التي هي خاصة بعض الحيوانات فالاولى
ان يحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله وعظمته اطلاقا للفظ
الملزوم على لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع كما مر اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون

قوله عم منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان درجتهم اكمل درجات الملائكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم
الى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد تقدم ان الملائكة المقربين مبرؤون عن
تدبير الاجسام والتعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن الاطوار الذين طبقتهم قلت
ان علاقة الشي بالشي واضافته اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة هنا حاصلة بين الاجرام السماوية
وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول او الشرط للمشروط فكما جاز ان ينسب الباري جل جلاله
الى الاختصاص بالعرش والاستوا عليه في لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى وتقدسه عن هذا الظاهر ولم يكن
في الحكمة ان يكشف للخلق من عظمة الحق سبحانه اكثر من هذا القدر فلذلك جاز ان ينسب الملائكة المقربون الى الكون
في السموات بطريق الاولى وان تنزهوا عن الاجسام وتدبيرها لان عليا عليه السلم قاصد مقصد رسول الله
وقصد القرآن الكريم وناطق بفلسفة من منبع ما جنوا عنه الافهام وبالله التوفيق قوله وركوع لا ينتصبون
ان يكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا اكمل ممن دونهم فكانت نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة
خضوع الركوع الى خضوع الصف قوله وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة الحافين من حول العرش
قيل انهم يقفون صفوفا لاداء العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون وتحقيق ذلك ان لكل واحد
منهم مرتبة معينة ودرجة معينة من الكمال تخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك نسبة الصفوف
ومما يؤيد القول بانهم الحافون حول العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا
ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على
الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح قوله ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم الصافون وغيرهم من الملائكة
والواو الى عطف وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث
هم مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات يسوغ تعديد الاقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك
الجمع بين كونهم صافين وبين كونهم مسبحين في قوله تعالى وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان
يريد نوعا او انواعا اخر من ملائكة السموات فاما سلب الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين
وسلب المزايلة عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى
من هو دونه وتأكيد لها بعدم النقصانات اللاحقة فان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان بالنسبة
الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التزايل انفصال عن مرتبة
الصف ونقص هنا وكذلك السأم في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة به وايضا فالسأم
والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشي بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن افعالها وذلك غير متصور
في حق الملائكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق وبيانه
ان غشيان النوم لهم يستلزم صحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما
بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني
اليها او رجوعها بعد الكلال والضعف والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والآلات فوجب

ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة
عبارة عن عدم التفطن للشي وعدم عقليته بالفعل وهي اعم من السهو والنسيان وكالجنس لهما بيان ذلك ان
السهو هو الغفلة عن الشي مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض
مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك يحتاج الناسي
للشي الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان واذا عرفت
ذلك ظهر ان هذه الامور الثلثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لسلب
موضوعاتها عنهم ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها
سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا في سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه لتأكيد سلبه بسلبها واما قوله
ولا فترة الابدان فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية
وضعفها ورجوعها للاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صدق سلبها عنهم ومنهم امنا
على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره يشبه ان يكون هذا القسم داخلا في الاقسام السابقة
من الملائكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالامر الى الانبياء
وغيرهم لان من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عم وهو من الملائكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحي وساير
الافاضات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة الملائكة كما علمت كيفية ذلك لا جرم صدق ان منهم امنا على وحيه
والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على ما هو عليه ليؤديه الى مستحقه واما حفظ الوحي النازل
بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هي بريئة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم موضوعات السهو هناك او عن
عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة
الى رسله فهي استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اي المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه
اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس ولما كانت الملائكة وسايط بين الحق سبحانه وبين رسله في تادية
خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة والمراد هنا بالاختلاف التردد بالامر
وما قضي به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله اي مقضي الله ولا يراد به المصدر
فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال عم
جف القلم بما هو كاين فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم داخلا في السجود لان من كان ابدا ساجدا
كيف يتصور ان يكون مع ذلك مترددا في الرسالة والنزول والصعود ومختلفا بالاوامر والنواهي الى
الرسل عليهم السلم قلت انا بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الارض بالكيفية التي نحن عليها
وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قهر قدرته وذلتهم في رق الامكان والحاجة تحت
ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه
على وفق مشيته وامره منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته قوله
ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان في هذا القسم مطلوبين احدهما الحفظة والثاني ما المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد

كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل

عليكم حفظة والمراد من الاولين حفظ العباد بامر الله تعالى من الافات التي تعرض لهم ومن الآخرين ضبط الاعمال و

الاقوال من الطاعات والمعاصي كما قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب

عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والاخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من

على يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون

فايدة ذلك ان المكلف اذا علم ان الملائكة موكلون به يحصرون عليه اعماله ويكتبونها في صحايف تعرض على رؤس

الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك ازجر له عن القبايح واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور في الحفظة تعددا

بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار قال بعض من زعم ان الحفظة للعباد هي القوى التي ارسلها

الله تعالى من سماء جوده على الابدان البشرية يحتمل ان يكون الحفظة على العباد هي بعينها تلك القوى ويكون

معنى كتبة السيات والحسنات وضبطها على العباد انما اعتبارات ما يصدر ويتعدد عن العبد من السيات

والحسنات في علم تلك المبادي او يكون معنى كتبة صور الافعال الخيرية والشرية المنسوبة الى العبد بعلم

الله منه في لوح نفسه بحسب استعداده لذلك قال ويشبه ان يكون اشارة ابن عباس بانتظار ملك

اليسار كاتب السيات توبة العبد الى انه ما دامت السيئة حالا غير متمكنة من جوهر نفس العبد فان رجع عنها

تسعه فاذا تاب من تلك السيئة لم يكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة في نفسه كتبت و

عذب بها يوم تقوم الساعة قال ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد هم بأعيانهم من الحفظة فان النفس

محفوظ في جوهرها ما يفعله من خير وشر ويحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها الغواشي البدنية

ويجده مصورا مفصلا لا يغيب عنها منه شيء كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا

وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة

كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال فاذا بعثر ما في القبور

وحصل ما في الصدور قال واما معنى كونهم من ملائكة السماء فلان اصلهم من ملك السماء ثم ارسلوا الى الارض

والله اعلم واما السدنة والبواب فقد عرفت ما قيل فيهم قوله فمنهم الثابتة في الارضين السفلى

اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاركان اقطارهم والمناسبة لقوائم العرش

اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار فيشبه ان

يكونوا هم المقصودون بها هنا روي عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت

العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة

اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى سماء الدنيا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تفكروا

في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش

على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى

يصير كانه الوصع والوصع طاير صغير وعن ابن عباس ايضا انه قال لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم

احملوا

احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك استقل عرش ربنا فنفذت

اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم يستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت

اقدامهم ووجه هذا الخبر ان وجود الملائكة وبقاءهم وحولهم وقوتهم التي بها هم ما هم انما هو من حوله وقوته و

فلو انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم يكن لهم استعانة ولا مدد بحول الله وقوته ومعونته لم

ينهضوا لحمل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فضلا عن تدبير العرش الذي هو اعظم الاجرام الموجودة

في العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار

وفي كلامه عليه السلام على ظاهرها امرا ممكنا والله تعالى قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله

سبحانه لما خلق الملائكة السماوية مسخرين لاجرام السموات مدبرين لعالمنا عالم الكون والفساد واسبابها

لا يحدث شيء الا في الملكوت باذن الله على ما بين السموات والارض فلا جرم كان منهم من ثبت في تخوم

الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاعز الاكرم ونفذت

في بواطن الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان قوابهم

العقلية وقوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم يريد انهم يشبهون ويناسبون القوائم العرش

في بقائهم وثباتهم عن التزايل من تحته ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش

الذي اشار اليهم ويكون هذه الطائفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم ام لا قلت قد جاء في الخبر

ان العرش له قوائم روي عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام انه قال ان بين القائمة

من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان

هناك قوائم ثمانية قد فوض الله تعالى الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة

منها وحملها ووكله بها اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار عليه السلام بقوله مناسبة لقوائم

العرش اكتافهم الى اثبات قوائم للعرش واثبات مناسبة لاكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوائم

ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعاره عليه السلام هنا للقوة والقدرة التي يخص

كل ملك من تلك الملائكة ويها يدبر تلك القوائم من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوائم

وبين كل قدرة من تلك القدر مناسبة ما لاجلها خص الله سبحانه ذلك بحمل تلك القائمة وذلك معنى

قوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ الاقدام استعار لهم ايضا

لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حملهم للعرش بقيام الاساطين التي يبنى عليها الواحد منا

عرشه فهم مناسبون ومشابهون لقوائم العرش التي يبنى عليها من غير ان يكون هناك تعرض

لاثبات قوائم بل ما يشبه القوائم قوله ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم الضمير في

دونه وتحته راجعان الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش

ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفو بهما

ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكني عليه السلام بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله واعترافهم بقصور

الابصار وعقولهم عن ادراك ما ورا كمالاتهم المقدرة لهم وضعفا عن قبول ما لا يحتمل من انوار الله وعظمته الباهرة
في خلق عرشه وما فوقهم من مبدعاته فان شعاع ابصارهم منه واقف دون حجب عزة الله وعن رؤية
اي شي ان لله تعالى ملائكة حول العرش يسمون المخلخلين تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون
كانما تنفضهم الرياح من خشية الله تعالى فيقول لهم الرب جل جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا
لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا
في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يجأرون كما يجأر الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطاير والانسان عبارة
عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان يسمى رحال الملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرتهم وقوتهم
التي بها يطيرون في بيداء جلال الله وعظمته ويصدر بواسطتهم كمالات ما دونهم من مخلوقات الله
وصح ان يوصف تلك الاجنحة بالقلة والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة
كمال بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطاير ذي الجناح
ثم لما كان الطاير عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت اجنحة الملائكة التي هي عبارة
عن كمالهم في قدرتهم وعلومهم مقبوضة قاصرة عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته واتخذ دون
جلاله وعظمته في صنعه لاجرم اشبه ذلك قبض الاجنحة المشبه للتلفع بالثوب فاستعار عليه السلم
لفظ التلفع ايضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقهارهم تحت سلطان الله وقوته المشار به في صورة عرشه
فان قلت انك بينت ان المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك ان يقال ان هذا
القسم هم حملة العرش ايضا فان من كان اقدامهم في تخوم الارضين واعناقهم خارجة من السموات
السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم
اسناد على وجه فان الركوع ايضا المقصود منه الخشوع لله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف
المذكورة هيهنا وبالله التوفيق **قوله** مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة
اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة
وقربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعد القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة ومراتبهم
المتفاوتة واذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ في التعزز والتعظم الى حيث لا تراه
الا اجلاء خواصه وكان الحال ايضا في بعض خواصه كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل
اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من كانت له اليهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان منشأ ذلك
انما هو عظمة الملك وهيبته وقربهم منه فكان الحايل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عزة الملك واستار
قدرته وقهره فكيف الحال في جبار الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة وحال ملائكته المقربين ومن يليهم
من حملة العرش الروحانيين فالحري ان يجب عدم وصول قوانا الضعيفة اليهم وادراكها لمراتبهم
الى حجب عزة الله وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما ابهم له من قربه ومطالعة انوار كبريائه
عن سلطانه ولا اله الا هو **قوله** ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى تنزيههم عن الادراكات الوهمية

والخياليه

والخيالية في حق مبدعهم عز سلطانه اذ كان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة ذات الصور والاحجام والمحال
الجسمانية فالوهم وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقته فلن يرجع الا بمعنى جزئي
يتعلق بمحسوس حتى انه لا يقدر نفسه ولا يدركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج
الحيواني لاجرم سلب التوهم من هذا الطور من الملائكة لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت
موجودة للانسان لاجرم كان يرى ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار وصورة ولذلك وردت
الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والاصبع والاستواء على العرش
ونحو ذلك خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم وتوطينا لهم وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في مبدأ الامر يبين
لهم ان الصانع الحكيم ليس داخل العالم ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفار اكثرهم
عن قبول ذلك وعظم انكارهم له فان الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه
ان ينكر ما لا يتصوره فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات والخطابات الشرعية وان وردت بصفات
التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك كانت قابلة للتاويل محتملة له كانت وافية بالمقاصد اذ العامي
المغمور في ظلمات الجهل يحملها على ظاهره ويحصل بذلك تعقيده عن تشتت اعتقاده وذو البصيرة المترقي عن
تلك الدرجة يحملها على ما يحتمله عقله من التاويل وكذلك حال من هو اعلا منه والناس في ذلك على مراتب فكان
ايرادها حسنا وحكمة **قوله** ولا يجرون عليه صفات المصنوعين **اقول** اجرا صفات المصنوعين عليه انما يكون
بمناسبة ومماثلة مع مصنوعاته وكمونها وكل ذلك بقياس من الوهم وحكاية من المتخيلة لصورة المصنوع
فكان الوهم يحكم اولا بكون الباري عز سلطانه مثلا لمصنوعاته التي يتعلق ادراكها بها من المتحيزات ونحوهم
بما يحكيه بصورته منها ثم يساعده العقل في مقدمة اخرى وهي ان حكم الشي حكم مثله فيجري حينئذ عليه صفات
مصنوعاته التي حكم بمثليته لها ولما كانت الملائكة السماوية منزهين عن الوهم والخيال لاجرم وجب تنزيههم
عن ان يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكذلك قوله ولا يحدونه
بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظاير فان الحاكم بحده في مكان وبحيزه فيه والمشير اليه بالمثل المتصور له
بالقياس الى نظير يشابهه انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما يخصان الحيوان العنصري لاجرم
كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الملائكة السماوية مطلقا وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في كيفية خلق آدم عم
قوله منها في خلق آدم عليه السلم ثم جمع سبحانه من حزن الارض الى قوله وتناسل الذرية **اقول** الحزن
ما غلظ منها واشتد كالجبل والسهل ما لان والعذب ما طاب منها واستعد لنبات الزرع والسبخ
ملح منها والمسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابي عمرو انه المتغير وقول ابن عباس
انسب لكلامه عليه السلم لان قوله وسنها بالماء حتى لزبت اي انه خلطها بالماء حتى صارت طينا رطبا
يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم واصل اذا انتن وقيل هو الطين
اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل
واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ولاطها بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها بها والبلة بالكسر النداوة

وما ينتج واحدة ابيل والازب اللاصق واصل ابن انسم وجبل اي خلق والامشاج جمع حوذ وهي الجوانب والاوصال جمع كثرة هو صل وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضا جمع بالكسر والضم مثل اليد والرجل بحيوان واصلد اي جعلها صلدا وهي الصلبة الملسا والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة النفس بها تحصل الادراكات العقلية ويشبه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانس والالف والنون في اصل الوضع للتثنية وذلك لان الانس لا ينسى لا يتحقق الا بين شيئين فصاعدا ولما كان كل واحد من الناس يانس بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله حتى فاجريت على النون وجوه الاعراب والماناة الغم والجوارح الاعضا والاحتدام والاستخدام بخ والادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستيداء طلب الاداء والخنوع الخضوع واشتقاق ابليس من الابلاس وهو الياس والبعد لبعده من رحمة الله والجنة الانفة واعترتهم اي غشيتهم والوهن الضعف والنظرة بفتح النون وكسر الظا الامهال والسخط الغضب واغتره اي استغفله ونفست عليه بالامر نفاسة اذا لم تره مستحقا له والغريمة الاهتمام بالشي والجذل السرور والاهباط الانزال اذا عرفت ذلك فنقول الكلام في هذه القصة يتعلق بطريقين **الطريق الاول** ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا **البحث الاول** ان هذه قد كررها الله سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بني اسرائيل والكهف وطه وسورة ص وذلك لما اشتمل عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة التي جذبهم اليها ابليس والتحذير من فتنته وفتنة جنوده والجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريائه كما قال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية قوله تربة كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله سنها بالما كقوله تعالى من حما مسنون وقوله لاطها بالبلة حتى لزبت كقوله من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله من نفخ فيه من روحه وقوله ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يخدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترتهم الحمية الى قوله وتعززوا بخلقه النار واستوهنوا خلق الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله ءاسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله فاعطاه الله النظرة قبله حذف تقديره فسال النظرة وذلك قوله انظرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله تعالى قلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة

علم

عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس اليه الشيطان الآية وقوله فدلاهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقوله ووعده المرد الى جنته ذلك الوعد في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى اهبطا منها جميعا **البحث الثاني** ان الله تعالى اشار في مواضع من كتابه الكريم الى خلق آدم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال في موضع آخر اني خالق بشرا من طين وقال في موضع آخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون ثم من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه الله على هذا الوجه اما لمحض المشية او لحكمة ودلالة الملائكة على كمال قدرته وعجيب صنعته لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان كلامه عليه السلام يجري مجرى الترتيب والتفسير لهذه الآيات فانه اشار اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها تربة ونحو ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب واعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا آدم عليه السلام ونقل عن محمد بن علي الباقر عليه السلام انه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم او اكثر قال بعض العلما وهذا لا ينافي حدوث العالم فانه كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع **البحث الثالث** اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلثة اقوال احدها ان ذلك السجود كان لله وكان آدم كالقبلة ولا يحسن ان يقال سجد لآدم كما لا يحسن ان يقال سجد للقبلة بدليل قول حسان بن ثابت ما كنت احسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي حسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالآيات والسنن فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود الثاني ان السجود كان لآدم تعظيما له وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب ان معاذا رضه لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وآله فقال له يا معاذ ما هذا فقال رايت اليهود يسجد لعظمائها وعلمائها ورايت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية الانبيا فقال صلى الله عليه وآله كذبوا على انبيائهم الثالث ان السجود في اصل اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اي ان تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول الثاني هو مقتضى كلامه عليه السلام اذ فسر السجود به فقال والخنوع لتكرمته

وبالله التوفيق **البحث الرابع** اختلفوا في الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم فاستعظم بعضهم سجود ملائكة السماء له وقالوا المأمورون بذلك هم الملائكة الذين اهبطوا مع ابليس الى الارض قالوا وذلك ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملأ الى الارض يسمون بالجن وراسهم ابليس واسكنهم اياها وكانوا اخف الملائكة عبادة فاعجب ابليس بنفسه وتداخله الكبر فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولجنده اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المأمورين بالسجود لآدم كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاكد جمعهم باكمل وجوه التاكيد **البحث الخامس** اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من ملائكة الارض الذين اهبطوا قبل آدم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن والجن لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى حكاية اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وحجة من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك الجعل هو قول قريش الملائكة بنات الله بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الآية تدل على ان الملائكة من الجن الثاني ان كون ابليس من الجن لا ينافي كونه من الملائكة لان الملائكة يصدق عليهم اسم الجن لان الجن مأخوذ من الاجتنان وهو الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن امه ومنه الجنون لاستتار العقل فيه والملائكة مستترون عن الاعين فوجب جواز اطلاق لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت ان الملائكة الذين اهبطوا الى الارض قبل آدم هم المسمون بالجن وابليس من الجن ثبت ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملائكة الارض او من ملائكة السماء بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم خلاف في المعنى **البحث السادس** اختلفوا في سبب عداوة ابليس لآدم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما رأى ما اكرم الله به آدم من اسجاد الملائكة له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال آخرون ان السبب هو تباين اصليهما ولمنافرة الاصلين اثر قوي في منافرة الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشأ القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وكانه في خطابه يقول ان آدم جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل آدم من صلصال من حمإ مسنون والصلصال في غاية الدناءة واصلي من اشرف العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون قالوا فكان ذلك قياسا منه فاول من قاس هو ابليس فاجابه تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح اخرج منها مذؤوما مدحورا قال بعض الفضلاء وتقريره ان الذي

قالوا

ما تعالى نص بحكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا **البحث السابع** احتجت الاشعرية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر بهذه القصة من وجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع انه يعلم انه انما قصده اغواء بني آدم ولو اهلكه لاستراح آدم وعدم الشر كله منه ومن ذريته الثاني انه قال اغويتني فنسب الاغواء الى الله تعالى مع انه تعالى لم ينكر عليه هذا الكلام وهذا صريح في انه تعالى يفعل الاغواء اجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق آدم وذريته قادرين على دفع ابليس عن انفسهم فهم الذين اختاروا الكفر والفساد وحقيق ما في الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل منه حال وجوده الا ان على هذا التقدير يصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف بتكليفها ثوابا كما قال عم افضل الاعمال احمزها اي اشقها وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المشاق والآلام وانزال المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمنع فعلها من الله تعالى وهذا الوجه قريب من قولهم استصلاحا للبلية وعن الثاني ان المراد من قوله بما اغويتني اي بما خيبتني من رحمتك وقيل في اضافة غوايته الى الله تعالى ان الله تعالى لما امره بالسجود لآدم عصى وغوى فكان الباري هو الاصل في حصول الاغواء له فلذلك نسبه اليه واحتج ايضا من جوز الخطأ على الانبياء من هذه القصة بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى واجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية وان كان في حق غيرهم حسنة كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ومن اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة والمسألة مستقصاة في الكلام **البحث الثامن** قال القفال اصل التلقي في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات هو قولهم تلقاه كلمة رحمة هو التعرض للقادم والوضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني ثم وضع موضع القبول والاخذ قال تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ويقال تلقينا الحاج اي استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان اي اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد منهما صاحبه واضيف الاجتماع اليهما معا فصلح ان يشتركا في الوصف بذلك فكل ما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان يقال تلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقاه اياها اي ارسلها اليه وواجهه بها ثم ذكر المفسرون في تلك الكلمات اقوالا الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضه ان آدم عم قال يا رب الم تخلقني بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان تبت واصلحت اتردني الى الجنة قال نعم وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات الثاني قال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال علم الله تعالى آدم وحواء امر الحج والكلمات التي يقال فيه فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما اني قد قبلت توبتكما الثالث قال مجاهد وقتادة في احدى الروايتين عنهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الرابع قال سعيد بن جبير

إنما قوله لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين لا إله إلا أنت
سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني إنك أرحم الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك
عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم الخامس قول عائشة لما أراد الله تعالى أن يتوب
على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت حينئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال اللهم إنك تعلم
سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك
إيمانا تباشر به قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فأوحى الله تعالى
إليه يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل ما دعوتني به إلا غفرت ذنوبه
وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها البحث التاسع في حقيقة التوبة قال
الإمام الغزالي رحمه الله التوبة عبارة عن معنى مركب من ثلاثة أمور مترتبة علم ثم حال ثم ترك أما العلم فأن يعلم العبد
ضرر الذنوب وكونها حجابا بينه وبين الله تعالى وحيث المنع من دخول الجنة فإذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه
فإن ذلك يوجب له تألما بسبب فوات الخير العظيم المطلوب فكل ما يتألم قلبه بسبب فعل الفوت
لمحبوبه ومطلوبه فإذا غلب هذا الألم على القلب أوجب له القصد إلى أمرين أحدهما ترك الذنوب
التي كان ملابسا لها أولا والثاني العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه في المستقبل إلى آخر العمر
فهذه حقيقتها وينشأ من ذلك تلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر والعلم هو الأصل في إظهار
هذه الخيرات فإن القلب إذا تيقن بأن الذنوب كالسموم المهلكة والحجب الحائلة بينه وبين محبوبه فلا بد أن
يتم نور ذلك اليقين فيشتعل فيه نيران الندم فيتألم به القلب وحينئذ ينبعث من تلك الإشارة طلب التلافي
للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان
مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما أطلق اسم التوبة على الندم وحده وجعل العلم كالباعث والترك
كالثمرة المتأخرة ولهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة إذ الندم يستلزم العلم أوجبه والعزم يتبعه وأما وجوبها
فمن وجهين أحدهما أن التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة أبواب الجنان معدة لإشراق
شموس المعارف الإلهية على ألواح النفوس مستنزلة للمواهب الربانية من الملك القدوس الثاني
الأوامر الواردة بها في القرآن الكريم يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا والوعد الصادق
على فعلها عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار والوعيد المحكم
على تركها ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها وأما قبولها فمن وجهين أحدهما
قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب
وقابل التوب الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرح بتوبة من العبد المذنب والفرح وراء القبول فهو
دليل على القبول وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا إلى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم البحث العاشر فيما
بقي من المقاصد المشكلة في هذه القصة الأول الوديعة والوصية التي أسندها الله سبحانه من الملائكة
في قوله وإسناد الله سبحانه من الملائكة ووعده لهم إشارة إلى قوله تعالى فإذا سويته ونفخت فيه

يزدي

من روحي فقعوا له ساجدين وكأنه تعالى قد عهد إليهم بهذا القول وأوصاهم بمقتضاه ثم استأداه منهم
بما ذكره في قوله تعالى فقال اسجدوا لآدم الثالث قوله فاغتره إبليس فالاغترار طلب الغرة من آدم و
إتيانه بالوسوسة التي ألقاها إليه كما سيتبين معنى الوسوسة إن شاء الله تعالى الثالث قوله دار المقام هي
جنة الخلد ومرافقة الأبرار إشارة إلى مصاحبة الملائكة في مقعد صدق عند مليك مقتدر الرابع قوله فباع
اليقين بشكه هذا رجعن فيه أقوال أولها أن معيشة آدم كانت في الجنة على حال يعلمها يقينا وما كان
يعلم كيف معاشه في الدنيا إذا انتقل إليها ولا حاله بعد مفارقة الجنة ثم إن إبليس شككه في صدق قوله
إني لكما لمن الناصحين فنسي ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم وشك في نصح إبليس فكأنه
باع اليقين بالشك بمتابعته وهي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استبدال آدم الشك عن
اليقين الثاني قالوا لما أخبره الله تعالى عن عداوة إبليس له تيقن ذلك فلما وسوس له إبليس شك في
نصحه فكأنه باع تيقن عداوته بالشك في ذلك الثالث قول من نزه آدم عن ذلك مثل قديم
للعرب لمن عمل عملا لا يفيده وترك ما ينبغي له أن يفعله تمثل به أمير المؤمنين عليه السلام ههنا ولم يرد أن آدم
شك في أمر الله تعالى الرابع قوله والعزيمة بوهنه قال ابن عباس في قوله تعالى ولم نجد له عزما أي
لم نجد له حفظا لما أمره الله به وقال قتادة صبرا وقال ضحاك صريمة أمر وحاصل هذه الأقوال يعود إلى
أنه لم يكن له قوة على حفظ أوامر الله فكأنه باع العزم الذي كان ينبغي له والقوة التي كان ينبغي أن
يحفظ بها عن متابعة إبليس بالضعف والوهن عن تحمل ما أمر الله به الخامس قوله دار البلية هي دار
الدنيا إذ كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة إبليس ومجاهدته وسجن الصالحين كما قال عليه السلام
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واعلم أن في ذكر هذه القصة تحذيرا عظيما عن المعاصي وذلك من وجوه
أحدها أن من تصور ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصي قال
الشاعر: يا ناظرا نورا بعيني راقد * ومشاهدا للأمر غير مشاهد * تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي
درك الجنان ونيل فوز العابد * أنسيت أن الله أخرج آدما * منها إلى الدنيا بذنب واحد * وعن فتح
الموصلي أنه قال كنا قوما من أهل الجنة فسبانا إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلا الهم والحزن حتى نرد إلى
الدار التي أخرجنا منها شيئا وثانيها التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة في قوله تعالى
أبى واستكبر قال حسد عدو الله إبليس آدم على ما أعطاه الله تعالى من الكرامة فقال أنا ناري وهذا
طيني ثم ألقى الحرص والحسد في قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهي عنه وثالثها أنه تعالى بين العداوة
الشديدة بين ذرية آدم وإبليس وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق الطرف الثاني
واعلم أن من الناس من سلط التأويل على هذه القصة وقبل بيان تأويلها نذكر مقدمات المقدمة الأولى
في الإشارة إلى أجزاء التركيب الخارجي للإنسان وكيفية تركيبها قالوا إن العناصر أربعة أجسام
بسيطة وهي أجزاء أولية لبدن الإنسان منها اثنان خفيفان النار والهواء واثنان ثقيلان وهما
الأرض والماء قالوا والموضع الطبيعي للأرض هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها

في الكائنات مبدأ السكون والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي لها هو ان يكون شاملا للارض وثقل
اضافية وطبع بارد رطب ووجوده في الكائنات ليسهل الانبساط التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط والتعديل
فان الرطب وان كان سهل الترك لهيآت الشكلية فانه سهل القبول لها وان كان اليابس عسر القبول لهيآت الشكلية
عسر الترك لها ومهما تخمر اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التمدد والتشكيل بسهولة واستفاد الرطب
من اليابس حفظ لما حدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن تشتته واستمسك الرطب باليابس عن
سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه حار رطب ووجوده في الكائنات
ليتخلخل ويلطف ويستقل والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي هو مقعر فلك القمر
وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكائنات لينضج المركبات ويجري فيها الجوهر الهوائي ولتكسر
من برد العنصرين الثقيلين بردهما من العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع في تكوين الاعضاء وفي سكونها
والخفيفان انفع في تكون الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا والمزاج كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات
المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسرت سورة كل واحد منها بالاخرى حدثت
عنها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان الاربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة
وهي التي تكون عنها المزاجات في الاجسام الكائنة الفاسدة ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من
المزاج ما هو اليق به واصلح لافعاله واحواله بحسب احتمال الامكان واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة
في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر
وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها ايبس والاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء
اولا وهي منحصرة في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء
ثم قسم الاعضاء الى عظام وغضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم
وخلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفايدته ان يحسن
اتصال العظام بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغط والضربة بل يتوسط بينهما فيناسب
كلا منهما ويحسن به تجاور المفاصل المتحركة فلا تتراضض لصلابتها ثم العصب وهي اجسام تنبت من الدماغ والنخاع
بيض لينة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفايدتها ان يتم بها للاعضاء الحس والحركة ثم الاوتار وهي
اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي الاعضاء المتحركة فتجذبها تارة وترسلها اخرى بحسب
انبساط العضلة وانقباضها ثم الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب والحكمة فيها ظاهرة وبها ارتباط
بعض الاعضاء الى بعض واستمساكها وليس لشيء منها حس لئلا تتاذى بكثرة ما يلزمها من الحركة والحك ثم الشرايين
وهي اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة ومنقبضة خلقت
لترويح القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم الاوردة وهي شبيهة
بالشريانات ومنباتها من الكبد وفايدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية وهي اجسام منتسجة
من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستوضحة تغشي سطوح اجسام اخرى ولها فوايد منها ان يحفظ جملتها

غالطة

على شكلها وهيآتها ومنها ان تعلق بها اعضاء اخرى وتربطها بها بواسطة العصب ومنها ان يكون للاعضاء العديمة
الحس في جوهرها سطح حساس بالذات وبالعرض لما يحدث في الجسم الملفوف فيه كالرية والطحال
والكبد والكليتين فانها لا تحس بجوهرها وانما تحس بالامور المصادمة لها بالاغشية التي عليها بالذات وتحس ايضا
بالعرض انها ما يحدث فيها مثلا الريح المتمددة الذي يحدث فيها ثم اللحم وهو حشو خلل وضع الاعضاء في البدن فلما كان
البدن مشتملا على ثلثة ضروب من الاعضاء احدها آلات الغذاء وهي المعدة والكبد وجداولها كالعروق والطرق
اليها كالفم والمري ومنها كالمعا والثاني آلات الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب والرأس والرية والصدر
وساير آلات التنفس والثالث آلات الحس والحركة والافعال العقلية وهي الدماغ والنخاع والعصب والعضل
والاوتار ونحوها مما يحتاج اليه في المعونة على تمام فعل العضل ثم لما كان من ضرورة البدن ان يصدر فيه افعال
مختلفة وجب في الحكمة ان يكون هناك استعداد لقوى متعددة هي مبادي تلك الافعال احدها النفس الطبيعية
وتحتها قوى منها مخدومة ومنها خادمة اما المخدومة فجنسان احدهما يتصرف في الغذاء وتحته نوعان احدهما
القوة المسماة بالغاذية وفايدتها ان تغذو الشخص مدة بقائه باحالة الغذاء الى مشابهة المغتذي ليخلف
بدل ما يتحلل والثاني القوة المسماة بالنامية وغايتها ان تزيد في اقطار البدن على التناسب الطبيعي الى تمام
نشوه والجنس الثاني يتصرف في الغذاء لبقاء النوع وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتصرفة
في امر التناسل لتفصل من امشاج البدن جوهر المني والثاني القوة المسماة بالمصورة وهي التي تفيد المني بعد
استحالته في الرحم الصور والقوى والاعراض الحاصلة للنوع الذي انفصل عنه المني واما الخادمة الصرفة في القوى
الطبيعية فهي خوادم القوة الغاذية وهي اربع احدها الجاذبة وخلقت لتجذب النافع الى محلها وهي موجودة في
المعدة والمري والكبد والرحم وساير الاعضاء والثانية الماسكة وخلقت لتمسك النافع ريثما تتصرف فيه
القوى المغيرة والمحيلة والثالثة الهاضمة وهي التي تحيل ما امسكته الماسكة الى قوام يهيئ لفعل القوة المغيرة
فيه والى مزاج صالح للاستحالة الى الغذائية بالفعل والرابعة الدافعة وهي التي تدفع الفاضل من الغذاء الذي
لا يصلح للاغتذاء او يفضل على الكفاف او يستغنى عنه بعد الفراغ من استحالته كالبول ولهذه الاربع ايضا خوادم
اربع اعني الكيفيات الاربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة على تفصيل يعلم في مظانه والثاني النفس
الحيوانية ويختص بها قوتان محركة ومدركة والمحركة اما باعثة او فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية عند المدركات
كالوهم والخيال او النفس فحمل الادراك لها على البعث الى طلب او هرب بحسب السوانح ولها شعبتان شهوانية
وهي الباعثة على التحريك الى جانب اشياء ضرورية او نافعة طلبا للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع
وهرب مما لا يلايم طلبا للغلبة وتحتها القوة المسماة بالقدرة وهي قوة تنبث في الاعصاب والعضل من شانها
ان تشنج العضلات بجذب الاوتار والرباطات وارخائها والقوى المدركة قسمان ظاهرة وباطنة اما الظاهرة
فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جملة البدن كله تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات
الاربع ونحوها وثانيها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان بها تدرك الطعوم من الاجرام
المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زايدتي مقدم الدماغ الشبيهتين

بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بتوسط الهوا المنفصل عن ذي الرائحة ورابعها السمع وهي قوة في العصب المفروش
في باطن الصماخ وبها تدرك الاصوات والحروف بواسطة الهوا وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين
المجوفتين تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط جرم شفاف واما الباطنة من القوى فهي ايضا
خمس وهي اما مدركة حافظة اما للصور الجزئية وهي القوة المسماة حسا مشتركا المرتبة في التجويف الاول من الدماغ
عنده تجتمع صور المحسوسات ثم القوة المسماة خيالا وهي خزانة الحس المشترك مودعة في اخر التجويف المقدم من
الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات وتبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما مدركة للمعاني الجزئية وهي اما الوهم
وهي قوة رتبت في التجويف الاوسط من الدماغ يدرك المعاني الجزئية الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات
كادراك الشاة معنى في الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف الاخير من الدماغ
تحفظ الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة ومتصرفة وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار
استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شانها
التركيب والتفصيل لبعض الصور ببعض وعن بعض وكذا المعاني والمعاني بالصورة وهي المحاكية للمدركات
والهيئات المزاجية والحكمة الالهية اقتضت ان تكون متوسطة بين خصص الصور الجرمانية والمعاني الروحانية
متصرفة في خزائنهما بالحكم والاسترجاع لامثال المنمحية من احدهما ثم ان لكل واحد من هذه الالات روح
يختص به وهو جرم حار لطيف يتكون من لطافة الاخلاط على نسبة محدودة وهو حامل للقوى المدركة وغيرها
الثالث النفس الناطقة ونسبتها الى هذا البدن كنسبة الملك الى المدينة والبدن وجميع اجزائه وقواه
المذكورة آلات لها ورسمها انها جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق التدبير وهي المشار اليه بقوله تعالى
ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله عم الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف
وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان يختص بهما نظرية وعملية وقد سبقت الاشارة اليهما في مقدمة
الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده وكمالاته من العلوم والاخلاق مستقصى
في مظانه وبالله التوفيق **المقدمة الثانية** قد علمت ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقائق مختلفة
فاما لفظ الجن فهو وان صدق في اصل اللغة على كل الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون
الملائكة مستترين عن الاعين فانهم يخصون في عرفهم هذا اللفظ بالارواح التي تخص عالم العناصر فتارة
يطلقون عليها انها ملائكة باعتبار كونهم مرسلين من عند الله فاعلين لما امر الله جارين على نظام العقل
وتارة يطلقون عليها انها جن باعتبار الاجتنان ومنهم جن مسلمون باعتبار موافقة العقل والتصرف
على وفق مصلحة العالم ونظامه وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك فاما صدق اسم الجن على النفوس
الناطقة الانسانية فقد يعتبر من جهة اخرى وهي كونها عالمة بما وراء العالم المحسوس من حيث لا ترى فهي محتجبة
عن ابصار الجاهلين ثم هي اما ان تكون عالمة او جاهلة وعلى التقديرين فاما ان تكون موافقة لظواهر الشريعة
منقادة لها متمسكة بها او ليس كذلك فهذه اقسام اربعة اولها النفوس العالمة العاملة بمقتضى الشريعة وهذه
الطائفة هم الجن المسلمون والمؤمنون قالوا وهم الذين اخبر الله تعالى عنهم بالاخبار عنهم في قوله تعالى قل اوحي

الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به الى آخر الآيات
قالوا وما بين ذلك ان السماء التي اخبر الجن عنها انهم لمسوها هي سماء الحكمة وهي الشريعة التي شرعتها قالوا
ولمسهم لها عبارة عن اعتبارهم امر الشريعة في مبدأ ظهورها هل يصح ام معها اظهار الحكمة وبحثهم عنها واعتنائهم
بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك ام لا وقولهم فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظ الشريعة
وهم علماء الشريعة والملوك الصالحون الملازمون لناموس الشريعة وقوانينها وقولهم وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرائع يتدارسون الحكمة ويتعلمونها ولم يكن عليهم انكار وقولهم
فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اشارة الى ان المنظر في الحكمة بعد وجود الشريعة التارك لظواهر ما جاءت
به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظة شرعها من يحرقه ويؤذيه وثانيها ان النفوس العالمة المخالفة للشريعة و
النواميس الالهية والمتابعة لقواها في مقتضى طباعها وهؤلاء هم من شياطين الجن ومردتها وثالثها النفوس
الجاهلة الا انها متمسكة بظاهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس ورابعها النفوس الجاهلة
التاركة للشريعة والعمل بها التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا البيان لا يبقى
بين قول الله سبحانه الا ابليس كان من الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم وكونه منهم فرق
بل هو من الملائكة باعتبار ومن الجن باعتبار ومن الشياطين باعتبار والشيطان قد يكون ملكا في اصله ثم
ينتقل الى الشيطانية باعتبار فسوقه عن امر ربه وكذلك الجني والله اعلم **المقدمة الثالثة** قالوا كل ما يتوالد
فلا يستحيل في اصله ان يكون متولدا ثم ضربوا لذلك امثلة فقالوا ان العقرب يتولد من الباذروج وباب الجز
والنحل من العجل المحرق المكبس عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك ثم يتوالد عن هذا المتولد شي
اخرى ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذن ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك فيحدث شخص من نوعه ويكون
من التراب ثم يحصل ما بعده من نوعه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ آدم اذا اطلق على ما بهم
فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر كلي اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك
يكون قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ويكون قوله تعالى انا خلقنا الانسان
من نطفة وما في معناه على ما توالد منه وقد يراد به اول شخص استخلف في الارض وامر بنشر الحكمة في ناموس
الشريعة واما الكلي فتارة يراد بآدم مطلق نوع الانسان وعلى ذلك قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي وقد يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله كما نقل عن سيد المرسلين صلعم كل نبي في آدم
وقته وقوله ص انا وانت يا علي ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول ابي جعفر محمد بن علي عم قد انقضى
قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم واكثر على هذا المعنى اذا ثبت هذا فنقول ان لكل آدم بالمعنى المذكور
ملائكة تخصه وهي مامورة بالسجود له وابليس في مقابلته ومعارضته اما آدم بالمعنى الاول والثاني فملائكته
المامورون بالسجود له قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المامورين باتباعه المستفيدين لقوله وساير
القوى في اقطار هذا العالم فانها باسرها ملائكة مامورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه بين يديه والمعونة
له على مراده واما ابليس المعارض له القوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العملي الساعية في الارض فسادا

والنفوس المتمردة عن قبول الحق والاستماع لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذين
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا واولئك ملائكة آدم وابليس آدم الذي هو صنف الانبياء والاولياء
الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة واما آدم الذي هو نوع الانسان فظل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم
هم المامورون له بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض لعقله وجنوده ما تحته من
القوى الشهوية والغضبية وغيرها اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان يحمل
آدم فيما ذكره ههنا من هذه القصة على مطلق النوع الانساني **فقوله** ثم جمع سبحانه من حزن الارض
وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى اصل امتزاج
العناصر وانما خص بذكر العنصرين وهما الارض والماء دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء
المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان المحسوسة **وقوله** حتى خلصت وحتى لزبت اشارة
الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها يفاض صورة ما يكون منها **وقوله** فجبل منها صورة ذات
احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصور الانسانية واعضائها بكمال اعضائها ومفاصلها
وما يقوم به صورة وقوله منها الضمير راجع الى التربة ويفهم من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية هي
المفاضة على كمال استعداد التربة من غير واسطة انتقالات اخر في اطوار الخلقة وانما يتم ذلك اذا حملنا
آدم على اول شخص يكون من هذا النوع فاما اذا حملناه على مطلق النوع كان المراد انه جبل منها الصورة
الانسانية بوسايط من صور ترددت في اطوار الخلقة كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من النطفة المتولدة من
فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات
انما تتولد من صفو الارض والماء وهي التربة المستعدة للانبات وليس في ذلك مخالفة الظاهر فان
تلك التربة بعد ان توارد عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت هي ما صدق عليها ان
الصورة الانسانية جبلت منها **وقوله** اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت الضمير في
اجمدها راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها
كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد لغاية راجع الى بعض آخر كالعظام والاسنان
واسناد ذلك الى المدبر الحكيم سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هناك لهذه الآثار اسباب
قريبة طبيعية كالحار الغريزي فانه المستعد لتركيب المواد وشدة البرد لسكنه عند الكمال ومع الخلق
وكالرطوبة فانها هي التي تخلق وتشكل وتتبعها اليبوسة لحفظ الاشكال وافادة التماسك **وقوله**
لوقت معدود واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيب بدن الانسان واشتغاله
في ادوار الخلقة وقتا معدودا يقع فيه واجلا معلوما ثم قال يحتمل ان يراد به بالوقت المعدود وبالاجل المعلوم
الوقت الذي يعلم الله سبحانه انحلال هذا التركيب فيه كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود **وقوله**
ثم نفخ فيها من روحه **اقول** الضمير المؤنث راجع الى الصورة وقد علمت ان هذه الاستعارة في

القرآن الكريم قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن
وتهيئته لقبول النفس والمراد بالنفخ ههنا هو افاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد واستعمال
النفخ ههنا استعارة حسنة فان النفخ في صورة هو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار
ولما كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله تعالى وجب العدول الى حمل لفظه على ما يشبهه ولما كان اشتعال نور
النفس في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه يشبه بحكاية حال الضعيف
ما ثبت به من اشتعال النار في المحل القابل لها عن صورة النفخ لاجرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن
افاضة الجود الالهي للنفس على البدن لمكان المشابهة المتخيلة وان كان الامر اجل مما عندنا واما
نسبة الروح الى الله تعالى فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلثة معان الاول جبرئيل عليه السلام وهو روح الله اذ هي
ونسبته اليه ظاهرة واما نسبة النفخ الى الروح فلكونه العقل الاوسط وجبرئيل واسطة جعله الله تعالى مبدأ في
هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة آدم منه انشائه وجودا له ونعمته وفيضه الصادر على آدم وغيره وانما كان
ذلك روحا لانه مبدأ كل حيوة فهو الروح الكلية التي بها قوام كل وجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون من ههنا
للتبعيض الثالث ان يراد بالروح النفس الانسانية ويكون من زائدة وانما نسب اليه دون ساير مصنوعاته
اللطيفة لما علمت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وذو قوة العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهذه
مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة ليست لما عداها الجوهر مما هو جسم او جسماني فلذلك شرفها
بالاضافة اليه **وقوله** فمثلت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة وهي انها انما كانت انسانا
بنفخ الروح فيها ولذلك رتب صيرورتها انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها **وقوله** ذا اذهان يجيلها اشارة
الى ما للانسان من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها تحريكها وبعثها في استرجاع الصور الجزئية
كالحس المشترك او المعاني الجزئية كالوهم **وقوله** وفكر يتصرف بها اشارة الى القوى المفكرة في هذا
النوع الانساني وتصرفها في تفتيش الخزائن وتركيب بعض مودوعاتها ببعض وتحليلها **وقوله**
وجوارح يختدمها اشارة الى عامة الاعضاء التي فيها انما كلها خدم للنفس والادوات التي لها من ذلك
يشبه ان يختص بالايدي كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك
كالبصر والقلب كقوله عليه السلام يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب **وقوله** ومعرفة يفرق
بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لدرك المعقولات الثانية المسمى عقلا بالملكة
بحسب ما لها من المعارف الاولية اعني البديهيات فان الحق والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية
في ادراك الامور الكلية حظ ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى القوة الاستعدادية الاولى للانسان المسماة
عقلا هيولانيا **قوله** والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه ههنا على ثلثة امور احدها ان
للانسان آلة بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى بها يدرك الالوان وقد
نبه بذلك التنبيه على ان النفس مدركة للجزئيات بواسطة هذه القوى اذ عدها في نسق ما يتصرف فيه
النفس ويفرق بينه وبين غيره الثالث انه اخر قوله والاجناس تنبيها على ان النفس تنتزع الامور الكلية

من تصفح الجزئيات فان الاحساس امور كلية والنفس بعد ادراك الجزئيات وتصفح تشبهات ومشاركات بينها
ومباينات تنتزع منها تصورات كلية وتصديقات كلية وكانه يعني بالاحساس هنا الامور الكلية مطلقا
لا بعضها كما هو في الاصطلاح العلمي وقوله مجموعا بطينة الالوان المختلفة المنسحب على الكل من قوله انا لونا او اصنافا
والمراد الاشارة الى ان اختلاف ابدان النوع بعضها مع بعض بالالوان بسبب قوة استعداداتها
لذلك كما قال صلى الله عليه وسلم فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود كما سبق وطينة الالوان اصلها وعجنه بامزجه بمواد متشتتة
واعداده لقبولها على اختلافها وكذلك الحال في البدن الواحد فانه ليس لجميع اجزائه لون واحد فان المزاج
بعض الاجزاء يقتضي ان يكون ابيض كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة
والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات المكنى بها عن الاخلاق الواردة في تمام الخبر من قوله والسهل
والحزن والخبث والطيب يرجع الى ان الارض لما كانت اكثر العناصر شركة في هذه الابدان كان الاختلاف
بقاعها اثر تام في تفاوت الامزاج لقبول الاخلاق بالسهولة والحزونة والخبث والطيب وقوله
وَالْاَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالْاَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْاَخْلَاقِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ وَالْمَسَاءَةِ
والسرور اما الاشباه المؤتلفة فكالعظام والاسنان واشباهها فانها اجسام متشابهة ائتلف بعضها
مع بعض وبها قامت الصورة البدنية وامتزجت بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع
التي ذكرها عليه السلام وهي الحرارة والبرودة والرطوبة التي هي البلة واليبس الذي هو الجمود وعبر عنه بلازمه
وهو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس ايضا واما الاخلاط المتباينة في الاخلاط الاربعة كما عرفت من
الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية وحقيقة كل منهما ظاهرة
واما اسبابهما فاعلم ان للسرور سببا جسمانيا معدا وهو كون حامله الذي هو الروح النفساني على كمال
احواله في الكمية لان زيادة الجوهر في الكم يوجب زيادة القوة وفي الكيفية وهي ان يكون معتدلا في
اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفاء واما السبب الفاعلي له فالاصل فيه تخيل الكمال كالعلم والقدرة
والاحساس بالمحسوسات الملائمة والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء على الغير والخروج
عن المولم وتذكر الملذات واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما السبب المعد الجسماني فهو اما قلة الروح
كالناقهين والمنهوكين بالامراض والمشايخ واما غلظه كما للسوداويين واما رقته كما للنساء واما الفاعلي
فمقابل اسباب السرور وقد يشتد كل منهما بعد الاسباب المذكورة بتكرره فيصير السرور او الغم
ملكة ويسمى صاحبه مفراحا او محزانا ومقصوده عليه السلام ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول واستعداد
لهذه الكيفيات واشباهها وتلك القوة هي المراد بطينة المساءة والسرور والفرق بينها وبين الاستعداد
ان القوة تكون على الضدين والاستعداد لا يكون الا لاحدهما وقوله وَاسْتَأْدَى اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ
وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ الى قوله إِلَّا إِبْلِيسَ اقول لما كان الذي يشير اليه كل انسان بقوله
انا هو النفس الناطقة كان آدم عندهم عبارة عن النفس الناطقة ثم قالوا المراد بالملائكة الذين
امروا بالسجود لآدم هي القوى البدنية التي امرت بالخضوع والخشوع لحكم النفس العاقلة والانقياد

لحكمها

تحت حكمها وهو الامر الذي لاجله خلقوا اما عهد الله لديهم ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله تعالى واذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
والخطاب هنا خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الازلي قبل الوجود والاستيداء لذلك العهد وتلك الوصية
هو طلب المامور به اوامر الانقياد والخضوع من تلك القوى بعد الوجود على السنة الرسل عليهم السلام
بالوحي المنزل وهو قوله فاسجدوا لآدم وقوله فَسَجَدُوا اشارة الى القوى المطيعة لنفوسها العاقلة في
اشخاص عباد الله الصالحين وقوله إِلَّا إِبْلِيسَ وقبيله اشارة الى الوهم وساير القوى التابعة له في
معارضة العقل في اشخاص الكفار والفاسقين عن اوامر الله سبحانه وقد عرفت ان الوهم رئيس القوى
البدنية فهي اذن عند معارضة للعقل وتابعة له جنود ابليس وقبيله واما قوله اعْتَرَتْهُمُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ
عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ فقالوا ان المراد بكون ابليس وجنوده
خلقوا من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وهي
حارة جدا مائلة الى الافراط والنارية والهوائية عليها اغلب وتولدها عنها اسهل وهي احر اجزاء البدن
وكذلك القلب الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب ابليس الى
النار فقال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اي من قبل
وجوده ان تكون النارية والهوائية على وجوده اغلب وقال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر
وكانت هذه القوى وارواحها الطف الامور الجسمانية وتكونها من الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار
اولى من ساير العناصر لكان المشابهة في اللطافة فجاز ان يطلق عليها انها نار لا يقال اذا كان آدم
هو النفس الناطقة فما قول ابليس وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار
بمعنى ان الغالب على الروح الحامل له هو عنصر النار كذلك يصدق ان آدم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه
الارضية وايضا فان الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق حكمه ومساعدته
الا فيما كان محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لم يمكن اعتقاد ابليس ان الانسان شيء غير هذا البدن
المكون عن الطين اذا ثبت ذلك فنقول اعتراء الحمية والتعزز بالانتساب الى عنصر النار نسبته مجازية
اذ العادة جارية بان يانف الانسان من الاصل الناقص وان يفتخر ويتعزز بالاصل الشريف والانتساب
اليه فكان لسان حال ابليس والقوى التابعة له يقول على جهة الاستنكار والاستكبار ءاسجد لبشر
خلقته من صلصال من حما مسنون وانا مخلوق من النار التي هي اشرف العناصر قالوا ولما علم الله ذلك
من حال ابليس لعنه وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله تعالى فقال اخرج منها فانك رجيم وان عليك
اللعنة الى يوم الدين قالوا وذلك انك علمت ان الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج
بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هي المراتب التي يشغل العقل فيها من مقامات السلوك الى
حظاير القدس ومجاورة الملأ الاعلى وعلمت ان حال الوهم قاصر عن الاشتغال في تلك المراتب فطرده
ولعنه وتحريم الجنة عليه يعود الى تكوينه على الطبيعة التي هو عليها القاصرة عن ادراك العلوم الكلية التي

في ثمار الجنة وقطوفها والقضا عليه بذلك قالوا ومما يشبه ذلك قوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض
ولا غوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اي بما خلقتني على هذه الجبلة لا اهتدي الى دخول الجنة ولا اتمكن منهم
لاجذبنهم الى المشتهيات وتزيين اللذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يهتدوا الى الجنة التي لاجلها خلقتهم
ولا يلتفتوا اليها الا من عصمته مني وجعلت له سلطانا على قهري وغلبتي وهم عبادك المخلصون اي النفوس
الكاملة المطهرة عن تابعة قوا[ه] المتسلطة على قهر شياطينها وكذلك قوله قال انظرني الى يوم يبعثون فانه لما
كان البعث الاول هو مفارقة النفوس لابدانها وانبعاثها الى عالمها وكانت طبيعة الوهم قاضية بمحبة
البقا في دار الدنيا اذ لا حظ له في غيرها حسن من لسان حاله ان يقول رب انظرني الى يوم يبعثون
قوله فاعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا في البدن هو وجوده الى يوم البعث حسن من لسان
الحكمة الالهية ان يقول انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك معنى اعطائه النظرة قوله استحقاقا
للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة فقد عرفت ان البلية تنصب على المفعول له ثم ان فساد الوهم
وابتلا الخلق به والشر الصادر عنه امور داخلة في القضا الالهي بالعرض فيصدق عليه انه مراد والابتلا
والامهال له وكذلك استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق لفظ السخطة استعارة فان السخط لما كان
عبارة عن حالة لا شأن يستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضي بافعاله وكان حال ابليس في انظار الله
اياه وخروجه عن امر ربه مستلزما لاعراض الله سبحانه عنه وعن عصاه بمتابعته كان هناك شبه
شابهه فحسن لاجلها اطلاق لفظ السخط اما العدة فتعود الى قضا الحكمة الالهية ببقا الوهم الى يوم البعث
وانجازها يعود الى موافقة القدر لذلك القضا وقال بعضهم انه لما كان هناك صورة مطرود ومبعد وملعون
حسن اطلاق لفظ السخط واستحقاقها وانه انما انظر لاجلها وهو ترشيح للاستعارة قوله ثم اسكن
الله سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشته وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته اقول الدار التي اسكن
فيها آدم هي الجنة والاشارة هنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة القوة العاقلة عليه الى حين
استرجاعها ما دام مراعيا لاوامر الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية ولا معرض عن عبادته
ولا ملتفت الى غيره فانه في الجنة وان كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف
مبنية تجري من تحتها الانهار ولذلك قال كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه اذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجة عن القبلة الحقيقية غير مدنسة بشي من الاعتقادات
الفاسدة والهيآت الردية وان كانت المرتبة السامية والغرفة العالية انما ينال بعد المفارقة واستعداد
النفس لاكل زاد واما ارغاد العيش فيعود الى ابتهاجه بالمعقولات والمعارف الكلية واما امان المحلة
امان مكانه في الجنة ان يعرض له خوف او حزن ما دام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته فظاهر
من الاوامر الشرعية ولسان الوحي ناطق كما قال تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة ظاهر
مما قلنا فان النفس لما كانت من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لتلك القسم من الممكنات
كان منكرا لما يامر به النفس من الامور الكلية التي لا حظ له في ادراكها وذلك من مقتضيات العداوة

وان نظام امر النفس ومصلحتها لا يتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طباعها وتمام مطالب
القوى لا يحصل الا بانقهار النفس فكانت بينهما مجاذبة طبيعية وعداوة اصلية اولا معنى للمعاداة الا
المجاذبة لما يتصور كونه موذيا قوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار اقول
يقال ان الله تعالى لما حذره ابليس وعداوته كان قد نهاه عن الاكل من شجرة يقال انها شجرة البر واعلمه انه
ان اكل منها كان من الظالمين مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وهي عائدة الى المشتهيات
الدنيوية الفانية واللذات البدنية الخارجة عن المحدودات في اوامر الله وتناولها هو العبور فيها
الى طرف الافراط عن وسط القانون العدلي واما كونها شجرة البر فلان البر لما كان هو قوام
الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات والملاذ البدنية حسن ان يعبر به عنها فيقال هي شجرة
البر كناية عن الفرع بالاصل فاما اغترار ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق
الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من ابليس فاغتراره يعود الى استغفال النفس بالوسوسة
التي حكى الله تعالى عنها بقوله فوسوس لهما الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوف
عن حقيقة الوسوسة فنقول ان الفعل انما يصدر عن الانسان بواسطة امور مترتبة ترتبا طبيعيا اولها
تصور كون الفعل ملائما وهو المسمى بالداعي ثم ان ذلك الشعور يترتب عليه ميل النفس الى الفعل
المسمى ذلك الميل ارادة فيترتب على ذلك الميل حركة القوة النزوعية المحركة للقوة المسماة قدرة المحركة
للعضل الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول صدور الفعل عن مجموع القدرة والارادة امر واجب فليس
للشيطان فيه مدخل ووجود الميل عن تصور كونه نافعا وخيرا امر لازم فلا مدخل للشيطان الله فيه ايضا فلم يبق
له مدخل الا في القاء ما يتوهم كونه نافعا ولذيذا الى النفس مما يخالف امر الله سبحانه فذلك الالقا
في الحقيقة هو الوسوسة وهو عين ما حكى الله سبحانه عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي اذا عرفت ذلك فاعلم ان متابعة ابليس يعود الى انقياد النفس لجذب الوهم
والقوى البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهي عبادة الحق سبحانه وفتنتها
لما تزين ما حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول الجنة وانما توسل بالحية ودخل
في فمها الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لآدم عليه السلام واغترار[ه] فقالوا المراد بالحية هي القوة المتخيلة وذلك ان
الوهم انما يتمكن من التصرف وبعث القوى المحركة كالشهوة والغضب التي هي جنوده وشياطينه على
طلب اللذات البدنية والشهوات الحسية الدنية وجذب النفس اليها بتصوير كونها لذيذة نافعة بواسطة
القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية ان الحية لما كانت لطيفة سريعة الحركة تمكن من الدخول في المنافذ الضيقة
ويقدر على التصرف الكثير وهي مع ذلك سبب من اسباب الهلاك بما تحمله من السم وكانت المتخيلة في غير
حركاتها وقدرتها على التصرف السريع والادراك الطف من ساير القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم
وكانت بما اشتملت عليه من تحمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا للهلاك السرمد

والعذاب المؤبد لاجرم كان اشبه شئ به الجنة لما بينهما من المناسبة فحسن اطلاق لفظ الجنة عليها **وقوله**
نفاسته عليه ترشيح للاستعارة لانه لما كان جذب الوهم للنفس الى الجنة السافلة ما فيها من الكرامة
بدار المقامة ومستنزلا لها عن درجة مرافقة الملأ الاعلى وكان ذلك اعظم ما تنفس به كما قال تعالى وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عن صورة معاداة كما سبق وكان من لوازم
المعاداة النفاسة على العدو وبخل ما بعده كلاله جرم حسن اطلاق النفاسة ههنا ترشيحا للاستعارة
العداوة والنصب على المفعول له **قوله** بَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ اي لما حصلت الوسوسة و
الاغترار لآدم فانقاد لما كان تحت بدل ما تحته من ان شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى هو نور الحق والبقاء
في جنته ودوام مطالعة كبريائه بالشك فيه بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة
من متاع الآخرة وما اعده الله لعباده الصالحين امور خفية حقايقها على اكثر البصاير البشرية
وانما الغاية في تشويقهم اليها ان تمثل لهم بما هو مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة فترى كثيرا
منهم لا يخطر ببالهم ان يكون في الجنة امر زايد على هذه اللذات فهو يجتهد في تحصيلها اذ لا يتصور وراءها
اكثر منها ثم ان صدق بها على سبيل الجنة تصديقا للوعد الكريم فانه لا يتصور كثير تفاوت بين الموعود
والحاضر بحيث يرجح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر
وتوهم كونه انفع واولى به اغلب عليه وان تيقن باصل عقله ان الاولى به والانفع له والابقى هو
متاع الآخرة فتارة نظرا على ذلك التيقن غفلة عنه ونسيان له بسبب الاشتغال باللذات الحاضرة
والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسي وتارة لا يحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم المذكور قويا
فيعارض ذلك التيقن بحيث يوجب في مقابلته شبهة وشكا وذلك معنى قوله فباع اليقين بشكه
ولا منافاة بين قوله تعالى فنسي وبين الشك ههنا **قوله** وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ اي تعوض من العزم والتصميم
الذي كان ينبغي له في طاعة الحق سبحانه بالضعف والتقاعد عن تحمله كما قال تعالى ولم نجد له عزما
واطلاق لفظ البيع ههنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على استعاضة شيء بشيء سواء كان
المستعاض اجل او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت
تجارتهم وما كانوا مهتدين **وقوله** فَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وَبِالْاغْتِرَارِ نَدَمًا الى قوله وتناسل
الذرية فيه تقديم وتاخير وتقديره والعزيمة بوهنه فاهبطه الله الى دار البلية وتناسل الذرية
فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم اناب الى الله فبسط له في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده
المرد الى جنته وذلك لان الاهباط عقيب الذلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط من الجنة
والاخراج منها وقد ورد القرآن الكريم بهذا النظم في سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
وورد ايضا على النظم الذي ذكره ع في سورة طه وذلك قوله فعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطوا فقدم الاجتباء والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن قالوا وفي

الاهباط

الاهباط له هو انزاله عن دار كرامته واستحقاق افاضة نعيم الجنة وذلك ان النفس الناطقة اذا اعرضت
عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشياطين واتباع الجن وموافقة ابليس بعدت عن رحمة الله
واسود لوجهها عن قبول الانوار الالهية واما دار البلية وتناسل الذرية فاشارة الى الدنيا فان الانسان
اذا التفت بوجه اليها واقبل بالكلية عليها هبط من اعلى عليين الى اسفل سافلين ولم يزل محفوفا ابلاء على
اثر بلاء اذ لا يعدم في كل لحظة ووقت فوت مطلوب او فقد محبوب بطلب ما لا يدرك ويجد ما لا يطلب
وكفى بانقطاعه عن الله تعالى بالتفاته اليها بلاء واعظم به شقاء اذ كان سبب البعد عن رحمته والطرد عن ابواب
جنته فان قلت لم ذكر تناسل الذرية في معرض الاهانة لآدم مع انه في الحقيقة من الامور الخيرية المندرجة
في سلك العناية الالهية فان به بقاء النوع ودوام الافاضة قلت انه وان كان كذلك الا انه بالنسبة
في الحقيقة الى الخير الذي كان آدم فيه في الجنة فان تناسل الذرية خير اضافي عرضي بالنسبة الى الكمال
الذي يحصل لابناء النوع ودرجته ثم النسبة ان حصلت فنسبة اخس الى اشرف فان انزاله واهباطه
عن استحقاق تلك المراتب السامية والافاضات العالية الى هذه المرتبة التي يشارك فيها
البهيمة وساير انواع الحشرات نقصان عظيم وخسران مبين **وقوله** وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وَ
بِالْاغْتِرَارِ نَدَمًا ظاهر فان المقبل بوجهه على عبادة الحق سبحانه المستشرق لانوار كبريائه المعرض
عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض عما يوجب السرور والفرح والتفت الى خسايس الامور
بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينه فانكشف عنه ستر الله وبدت سوءته للناظرين وعمي
العاقبة من عباد الله الصالحين ثم احدث بصنع العناية الالهية وتدارك الرحمة الربانية فانتبه
من رقدة الغافلين في مراقد الطبيعة فراى السلاسل والاغلال قد احاطت به وشاهد الجحيم
مسعرة عن جنبتي الصراط المستقيم وتذكر قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا
يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الآيات
فلابد وان يصبح وجلا قلقا يقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما لحقه من سخط الله ندما على ما فرط
في جنب الله **قوله** ثُمَّ بَسَطَ اللهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ فالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي
لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما النقصان من جهة القابل وعدم استعداده فاذا استعدت النفس
لتدارك رحمة الله وجذبتها العناية الالهية من ورطات الهلاك الابدي فايدتها بالمعونة
على ابليس وجنوده وبصرتها بمفاتح احواله ومايد غوايله فاخذت في مقاومته والترصد لدفع
مكايده فذلك هو معنى انابتها وتوبتها واما كلمة رحمة الله التي تلقاها آدم فتعود الى السوانح الالهية
التي تسنح للعبد فيكون سببا لجذبه عن مهاوي الهلاك وتوجيهه عن الجنة السافلة الى القبلة الحقيقية
وامداده بالملائكة حالا فحالا ورفعه في مدارج الجلال التي هي درجات الجنة **وقوله** وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ
إِلَى جَنَّتِهِ فاشارة الى وعد القضاء الالهي الناطق عنه لسان الوحي الكريم فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم

جنات تجري من تحتها الانهار وكذلك سائر انواع وعد المتقين فهذا ما يتعلق بهذه الفقرة من التاويل وبالله العصمة والتوفيق

الفصل الرابع

قوله واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفاين العقول ويروهم ايات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله لقاءه ورضي له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله ومبينا غوامضه بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه وبين مقبول في ادناه موسع في اقصاه

اقول الاصطفاء الاستخلاص والانداد الامثال واجتالتهم اي ادارتهم واجتذبتهم وواتر اي ارسل وترا بعد وتر اي واحد بعد اخر والفطرة الخلقة والمهاد الفراش والاوصاب الامراض والاحداث المصائب وتخصيصها بذلك عرف والحجة ما يحتج به الانسان على غيره اي يغلبه به والمحجة الجادة الطريق والغابر الباقي وقد يطلق على الماضي ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة ونسلت اي درجت ومضت ماخوذ من نسل ريش الطائر ونسل الوبر اذا وقع والعدة الوعد والانجاز قضاؤه والسمة العلامة وميلاد الرجل محل ولادته من الزمان او المكان والملحد العادل عن الاستقامة على الحق والنسخ في اللغة الازالة والرخصة التسهيل في الامر والعزيمة الهمة وهذه الالفاظ الثلثة مخصوصة في العرف بمعان اخرى كما نذكره وارصدت له كذا اي هيأته له وهيهنا ابحاث

البحث الاول الضمير في ولده راجع الى آدم ع ثم ان كانت الاشارة بآدم الى النوع الانساني فنسبة الولادة اليه في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص نوع هم ابناء ذلك النوع في اصطلاح اهل التاويل وكذلك ان كان المراد به اول شخص وجد واعلم ان اصطفاء الله

لانبيا يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الالهية من القبول والاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم هو حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط الوحي والحاح قواهم وجذب سائر النفوس الناقصة الى جناب عزته بحسب ما افاضهم من القوة على ذلك وعلى الاستعداد لما منحهم من الكمال الذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من ابناء نوعهم ولما كانت صورة العهد واخذ الامانة في العرف ان يوعز الى الانسان بامر ويوكد عليه القيام به بالايمان واشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الالهي جاريا بارسال النفوس الانسانية الى هذا العالم وكان مراد العناية الالهية من ذلك البعث ان يظهر ما في قوة كل نفس من كمال او تكميل الى الفعل وكان ذلك لا يتم الا بواسطة بعضها لبعض كان الوجه الذي بعثت عليه شبيها للعهد والميثاق الماخوذ والامانة المودعة كل لما خوطبه وما اعد له فحسن اطلاق هذه الالفاظ واستعارتها هيهنا قوله لما بدل اكثر خلق الله عهده اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته الى آخره اشارة الى وجه الحكمة الالهية في وجود الانبياء ولوازمه وهي شرطية متصلة قدم فيها ما يتعلق ذكر الانبياء عليهم بذكر آدم والتقدير لما بدل اكثر خلق الله عهده اليهم اصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم في الخلق وذلك العهد هو المشار اليه بقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال ابن عباس لما خلق الله آدم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة واعلم ان اخذ الذرية يعود الى احاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الانساني باشخاصه وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء الالهي ولما كان بالانسان تمام العالمين في الوجود الخارجي فذلك هو في التقدير القضائي المطابق له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم واما اشهادهم على انفسهم فيعود الى انطاق امكانهم بلسان الحاجة اليه وانه الاله المطلق الذي لا اله غيره واما بيان ملازمة الشرطية فلانه لما كان الغالب على الخلق حب الدنيا والاعراض عن مقتضى الفطرة الاصلية التي فطرهم عليها والالتفات عن القبلة الحقيقية التي امروا بالتوجه اليها وذلك بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية المنازعة الى كمالاتها لا جرم كان من شان كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يبدل اكثرهم عهد الله سبحانه اليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان الآية وان يجهلوا حقه فيغفلوا بجاهلهم لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر وان يتخذوا الانداد معه لنسيانهم العهد القديم وان تجذبهم الشياطين عن معرفته التي هي الثمار الجنة وان تقطعهم عن عبادته التي هي المرقاة الى اقتطاف تلك الثمرة ولما كان من شانهم ذلك وجب في الحكمة الالهية ان يخص صنفا منهم بكمال اشرف يقتدر معه ابناء ذلك الصنف على ضبط الجواذب المتجاذبة وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم وهم صنف الانبياء والغاية منهم ما اشار اليه ع بقوله ليستادوهم ميثاق فطرته اي ليطلبوهم على اداء ما خلقوا لاجله وفطروا

عليهم من الاقرار بالعبودية لله ويجذبوهم عما انغمسوا اليه من اتباع الشهوات الباطلة واقتناء اللذات الوهمية
الزائلة وذلك البعث والجذب تارة يكون بتذكيرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم على شكرها اداء لها من خشية العظيم
وتارة يكون بالترغيب فيما عنده سبحانه مما اعده لاوليائه الابرار وتارة بالترهيب مما اعده لاعداء
الظالمين من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار وبيان وجود الاستهانة بها والاستحقار
والى ذلك اشار بقوله ويذكروهم منسي نعمته ولا بد هي دلالة والمخاطبة من احتجاج منتج ومهم فيحتجوا عليهم بتبليغ
رسالات ربهم وانذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون وتبيين وجوه الدلالة على وحدانية المبدع
الاول وتفرده باستحقاق العبادة وهو المراد من دفائن العقول وكنوزها واستعمال الدفائن هنا استعارة
لطيفة فانه لما كانت جواهر العقول ونتائج الافكار موجودة في النفوس بالقوة اشبهت الدفائن
فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كانت الانبياء هم الاصل في استخراج تلك الجواهر لاعداد
النفوس لاظهارها حسنت اضافة اثارتها اليهم وذلك بارشادهم الى تحصيل مقدمات تلك الادلة
والبراهين وموادها وهي آيات القدرة الالهية وآثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على
بدايع الصنع وغرايب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون ومعايش بها
يكون قوام حيوتهم الدنيا وبلاغ لمدة بقائهم لما خلقوا له وآجال مقدرة بها يكون فناؤهم ورجوعهم
الى باريهم واعظم بالاجل آية رادعة وتقديرا جاذبا الى الله تعالى ولذلك قال ع اكثروا من ذكر
هادم اللذات الى غير ذلك من الامراض التي تضعف قواهم وتهرمهم والمصائب التي تتابع عليهم
فان كل هذه الآثار مواد احتجاج الانبياء على الخلق لينبهوهم بصدورها عن العزيز الجبار عن سلطانه
على انه هو الملك المطلق الذي له الخلق والامر وليقرروا في اذهانهم صورة ما نسوه من العهد الماخوذ
عليهم في الفطرة الاصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المنفرد باستحقاق العبادة والى ذلك
اشار القرآن الكريم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وقوله ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها الآية وقوله تعالى
والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون الى غير ذلك من الآيات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه
بالسنة رسله وتراجمة وحيه وجذبهم بهذه الالطاف الى التقرب من ساحل عزته والوصول الى حضرة
قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار **قوله** ولم
يخل الله سبحانه خلقه الى قوله وخلفت الانبياء **اقول** المقصود الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه
بالخلق حيث لم يخل امة منهم من نبي مرسل يجذبهم الى جناب عزته كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها
نذير او كتاب منزل يدعوهم الى عبادته ويذكرهم فيه منسي عهده ويتلو عليهم فيه اخبار الامم الماضين
والقرون اللاحقة للاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة ويوضح لهم فيه امور نظامهم وتنبيههم

على مبدأهم ومعادهم والانفصال هنا انفصال مانع من الخلو كما هو مصرح به **قوله** رسل لا تقصر بهم قلة
عددهم ولا كثرة المكذبين لهم اي هم رسل لكن والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة
الى كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم فرقة تنابذه
وتعانده وتكذب مقاله فان ذلك لا يرسلهم قصورا عن اداء ما كلفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون
مما هو مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعو الى طاعة باريه ويتحمل اعباء المشقة
التامة في مجاهدة اعداء الدين وينشر دعوته في اطراف الارض بحسب العناية الازلية والحكمة الالهية وتبقى
آثارها محفوظة وسننها قائمة الى ان يقتضي الحكمة وجود شخص آخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين و
منذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل **قوله** من سابق سمي له من بعده تفصيل للانبياء ومن هنا للتمييز والتبيين
والمراد ان السابق منهم قد اطلعه الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدمة لتصديق البعض
كعيسى ع حيث قال ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ومن لاحق سماه من قبله كمحمد ص وعلى ذلك
اي على هذه الوتيرة والاسلوب والنظام الالهي مضت الامم وسلفت الآباء وخلفتهم الابناء **قوله**
الى ان بعث الله سبحانه محمدا ص الى قوله من الجهال واعلم انه ع ساق هذه الخطبة من لدن آدم عليه السلم
الى ان انتهى الى محمد ص كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما نطق به
القرآن الكريم ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع
بعد ذلك في الشرح في كيفية ابتداء الخلق به وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم بوجوده كل ذلك
استدراج لاذهان السامعين وتمهيد لما يريد ان يقرره عليهم من مصالح دنيتهم او دينيتهم فاشار
الى انه الغاية من طينة النبوة وتمام لها بقوله الى ان بعث الله محمدا ص لانجاز عدته لخلقه على السنة رسله
السابقين بوجوده واتمام نبوته **قوله** ماخوذا على النبيين ميثاقه نصب على الحال من بعث
وذو الحال محمد او تلك الحال في المنصوب ابا قبين والمراد باخذ ميثاقه عليهم ما ركزه وقرره في فطرهم
من الاعتراف بحقية نبوته ع والتصديق فيما يجيء به اذ كان ذلك من تمام عبادة الحق سبحانه فبعث
عليه السلم حال ما كان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبياء ومن عداهم وحال ما كانت امارات ظهوره
والبشارة بمقدمه مشهورة بينهم مع زكاء اصله وكرم مادة جلالته وشرف وقت مجيه ثم اراد ع
بعد ذلك ان يريد بعثه محمد ص تعظيما وبين فضيلة شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض
يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرايق متشتتة والواو في قوله واهل الارض للحال الجملة في موضع
نصب وقوله واهواء خبر مبتدأ محذوف تقديره اهواؤهم اهواء متفرقة وكذلك قوله وطرايق اي
وطرايقهم طرايق متشتتة اي بعثه وحال اهل الارض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان وانتشار الآراء
واختلافها وتشتت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد ص اما من عليه اسم الشرايع
او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والصابئة والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت
من ايديهم وانما بقوا متشبثين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين الشبه ومذهب التنجيم

كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا
الى احدهما الخير والى الثاني الشر ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون
العالم السفلي مسخرا بيده سبعة الاف سنة الى غير ذلك من هذياناتهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة
والطرائق المتشتتة فهم على اصناف شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل
اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القرآن
عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الحيوة والموت على تحلل الطبائع
المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا
بالخالق وابتداء الخلق منه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القرآن الكريم وضرب لنا مثلا ونسي
خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي الآية وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة
لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم عند الله كما قال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطائف وقريش وبنو
كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان
يعبد الملائكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن اما المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم
احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني علم تعبير الرؤيا والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة
والقافة منهم وعن النبي صلعم قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند
ومدار مقالاتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرائع وانتسابهم
الى رجل منهم يقال له براهم ومنهم اصحاب البددة والبد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم
ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب
الروحانيات الذين اثبتوا وسائط روحانية ياتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب
فيامرهم وينهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة
الى عبادة الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في حاجاتهم ولهذا كان
اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها فكان الاصل في وضع الاصنام ذلك
اذ يبعد من عاقل ان يعمل خشبا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم
بها من غير اذن شرعي ولا حجة وبرهان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها وداخل
ذلك من اصناف الآراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصر وهي مذكورة في كتب المصنفة
في هذا الفن واذا عرفت ذلك فمعنى قوله من مشبهة بخلقه كالبقية من اصحاب الملل السابقة فانهم وان
اثبتوا صانعا الا انهم الحقوه بخلقه في بعض مصنوعاته في نفس الامر من الجسمية وتوابعها وملحد
في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسماء الله تحرفوها عما هي عليه الى اسماء اشتقوها لاوثانهم وزادوا فيها

ونقصوا

ونقصوا كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا تاويل مذهب ابن عباس
ومنهم من فسر الملحدين في اسماء الله بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا الكل من سمى الله بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به
كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وقوله ومن مشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الاصنام
والانفصال هنا لمنع الخلو ايضا فلما اقتضت العناية الالهية بعثة من يبين واضح سبل الحق ويغيثهم من ضلالهم القديم
الى سلوك الصراط المستقيم وينقذهم ببركة نوره من ظلمات الجهل الى انوار اليقين قام بالدعوة الى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن فجلا الله بنوره صدأ قلوب الخلق وازهق باطل الشيطان
بما جاء من الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله واستنارت البصائر بمعرفة الله وكمل به دينه في اقصى
بلاد العالم واتم به نعمته على كافة عباده كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا احبه الله سبحانه تعالى كما احب هو تعالى الله كما قال صلعم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ورضي له ما
عنده من الكرامة التامة والنعم العامة في جواره الامين في مقعد صدق عند مليك مقتدر بما فاز من دار الدنيا
ورغبه عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه اليه عند انتهاء اجله كريما من ادناس الذنوب طاهرا من
الادناس الجسمانية والروحانية صلعم ما برق بارق وذر شارق **قوله** وخلف فيكم ما خلف الانبياء في اممها
اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم **اقول** لما كان هذا الشخص الذي هو النبي ليس مما يكون وجود مثله
في كل وقت لان المادة التي تقبل كمال مثله انما تقع في قليل من الامزجة وجب اذن ان يشرع للناس بعده
في امورهم سنة باقية باذن الله وامره ووحيه وانزاله الروح القدس عليه وواجب ان يكون قد دبر لبقاء
ما يسنه ويشرعه في امور المصالح الانسانية تدبيرا والفائدة من ذلك البر هو بقاء الخلق واستمرارهم على معرفة
الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع النسيان فيه مع انقراض القرن الذي يلي النبي من بعده
فواجب اذن ان ياتيهم بكتاب من عند الله ويكون وافيا بالمطالب الالهية والاذكار الجاذبة الى الله سبحانه
والاخطار بالبال في كل حال مشتملا على الترغيب من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير اليه
والوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه ولا بد ان يعظم امره ويسن على الخلق تكراره وحفظه
او بعضه ودراسته وتعلمه وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده ليدوم به التذكر لله سبحانه والمطالب الالهية
ثم يسن عليهم افعالا واعمالا تتكرر في اوقات مخصوصة متقاربة ويتلو بعضها بعضا مشفوعة بالفاظ تقال
ونيات تنوى في الخيال ليحصل بها دوام تذكر المعبود الاول وينتفع بها في امر المعاد والا فلا فائدة فيها وهي
الافعال كالعبادات الخمس المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظائف وانما بدا هنا بذكر الكتاب العزيز
لكونه مشتملا على ذكر ساير ما جاء به الرسول صلعم اما مطابقة او التزاما وفي بسط قوانينه الكلية بحسب السنة
النبوية وفي جميع المطالب الالهية فنحن نبدأ بذكر شرفه ووظائفه وشرائط تلاوته ونؤخر الكلام في باقي
العبادات الى مواضعها **البحث الثالث** في فضل الكتاب اما الفضل ففي وجوه الاول قوله تعالى وهذا ذكر
مبارك انزلناه افانتم له منكرون وقوله كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر
اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه

وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون الثانية قال رسول الله صلعم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي
افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله تعالى الثالثة قوله ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من القرآن
لا نبي ولا ملك ولا غيره ويلوح لك من سر هذه الاشارة ان ذلك انما هو في حق من تدبره وسلك المنهج المطلوب
منه المشتمل عليه ووصل به الى جناب الله في جوار الملائكة المقربين ولا غاية من الشفاعة الا الوصول الى نيل الرضوان
من المشفوع وعلمت ان تمام رضوان الله بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه
شفاعة شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين الرابعة قال صلعم لو كان القرآن
في اهاب ما مسته النار والمراد اي ظرف ووعاء وتدبره وسلك طريقه لم تمسه النار اما نار الآخرة فظاهر
واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتهم النظرية والعملية يبلغون حدا ينفعل العناصر عن
نفوسهم فيتصرف فيها كتصرفها في ابدانها فلا يكون لها في ابدانهم تاثير وقد عرفت اسباب ذلك في المقدمات
الخامسة قال صلعم افضل عبادة امتي القرآن وهم اهل القرآن هم اهل الله وخاصته والمقصود مع شرائطه التي
سنذكرها **البحث الثالث** في وظائف مداومة الكتاب بالتلاوة والدرس فيحتاج الى وظائف والا لم ينتفع
بها كما قال انس رب تال القرآن والقرآن يلعنه والذي ينبغي ان يوظف في ذلك ما لخصه الامام ابو حامد
الغزالي في كتاب الاحياء فانه لا مزيد عليه وهي امور عشرة اولها ان يتصور الانسان حال سماع التلاوة
عظمة كلام الله سبحانه وافاضته كاله ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال
معاني كلامه الى اذهانهم وكيف يلبس لهم الحقائق الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز
البشر عن الوصول الى مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولولا استتار كنه جلال الكلام بكسوة الحروف
لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظم سلطانه وسبحات نوره فالصوت والحروف
للحكمة جسد وهي بالنسبة اليه نفس وروح فكما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف ارواحها فكذلك شرف
الحروف والصوت لشرف الحكمة التي فيها الثاني التعظيم للمتكلم وينبغي ان يحضر في ذهن القاري عظمة المتكلم
ويعلم ان ما يقرؤه ليس كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون
وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر فكذلك معناه بحكم عزه وجلاله
محجوب عن باطن القلب ان يستضيء بنوره الا اذا كان متطهرا من كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير
عن ظلمة الشرك وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل انواره كل
قلب ولاجل هذا الاجلال كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربي فتعظيم
الكلام بتعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا يخطر في القلب بدون الفكر في صفات جلاله ونعوت كماله
وافعاله واذا خطر ببالك الكرسي والعرش والسموات والارضون وما بينهما وعلمت ان خالق الجميع والقادر
عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وان الكل في قبضته والسموات مطويات بيمينه والكل راجعة
اليه وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فانك تستحضر من ذلك عظمة المتكلم
ثم عظمة الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب

بقوة

بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يتجرد عند قراءته بحذف جميع المشغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل
مما قبلها فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس اليه ولا يغفل عنه فان في القرآن ما يستأنس به
القلب ان كان التالي اهلا له وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه العارفين ورياض الاولياء وبساتين
اولي الالباب الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فان الانسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر
على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه افلا يتدبرون القرآن
ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل
القرآن ترتيلا لان الترتيل تمكن الانسان من التدبر الباطن وقال صلعم لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر
فيها واذا لم يكن التدبر الا بالترديد فليردد وقد قال ابو ذر قام رسول الله صلعم ليلة يردد قوله تعالى ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم الخامس التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن
يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال انبيائه والمكذبين لهم واحوال ملائكته وذكر اوامره وزواجره و
ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فيتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها دفائن الاسرار
وكنوز الحقائق والى ذلك اشار علي عم بقوله ما اسر الي رسول الله صلعم شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله
عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا في طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن
واعلم ان اعظم علوم القرآن تحت اسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا بقدر افهامهم واليه الاشارة
بقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم النازل من سماء
جوده ففاضت اودية القلوب كل صاحب استعداده وامكانه وان كان وراءها ادركوه اطوارا اخرى
لم يقفوا عليها وكنوزا لم يظفروا على اغوارها واما افعاله تعالى وما اشار اليه من خلق السموات والارض وغيرها
فالذي ينبغي ان يفهم التالي منها هو صفات الله وجلاله لاستلزام الفعل الفاعل فيستدل بعظمها على عظمته
يلاحظ بالاخرة الفاعل دون الفعل فيقرأ في المقام الاول هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه
ويقرأ في المقام الثاني كل شيء هالك الا وجهه فمن عرف الحق رآه في كل شيء ومن بلغ الى هذه العرفان عن درجة
الاعتبار لم ير معه غيره فاذا تلا قوله افرأيتم ما تمنون افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار التي
تورون فلا ينبغي ان يقصر نظره على النطفة والماء والنار بل ينظر المني وهو نطفة ثم في كيفية انقسامها الى اللحم
والعظم والعصب والعروق وغيرها ثم في كيفية اشكال اعضائها المختلفة من المستدير والطويل والعريض
والمستقيم والمنحني والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما اودع في كل من القوة وهي له من المنفعة التي لو
اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فيتأمل في هذه العجائب وامثالها ليترقى منها الى عجيب قدرة الله تعالى
والمبدأ الذي صدرت عنه هذه الآثار فلا يزال يشاهد كمال الصانع في كمال صنعه واما احوال الانبياء
فليفهم من سماع كيفية تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله تعالى عنهم ولو هلكوا باجمعهم لم يتضرر بذلك ولم يؤثر
في ملكه واذا سمع نصرتهم فليفهم ان ذلك بتأييد الهي كما قال تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا
جاءهم نصرنا فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود وكيفية اهلاكهم فليستفد من سماعه استشعار الخوف

من سطوة الله ونقمته ويكن حظه من الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت
فيه القضية حيث لا ينفع مال ولا بنون وكذلك اذا سمع احوال الجنة والنار فليحصل منها على خوف ورجاء وليتصور انه
بقدر ما يبعد من احدهما يقرب من الاخرى وليفهم منها ومن ساير القرآن ان استقصا ما هناك من الاسرار الالهية
غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو
جئنا بمثله مددا وقال علي رض لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم يتفهم معاني القرآن
في تلاوته وسماعه ولو في ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقوله افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هي الموانع التي سنذكرها. السادس التخلي عن موانع الفهم فان
اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فحجبت عنهم عجايب اسراره
قال صلعم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن واسراره من جملة
الملكوت والحجب المانعة اولها الاشتغال بتحقيق الحروف واخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة
المعنى وقيل ان المتولي لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراءة ليصرف عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد
الحرف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة
للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس وثانيها ان يقلد مذهبا سمعه وتفسيرا ظاهرا نقل عن ابن
عباس او مجاهد او غيرهما وجمد على التعصب له من غير علم فيصير نظره موقوفا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار
حمل عليه شيطان التقليد حملة ولم يسوغ له في الفهم اباية ومعليه في ترك ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا
اشارت الصوفية بقولهم العلم حجاب وعنوا بالعلم العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعلم والتقليد
او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم الحقيقي الذي هو المشاهدة بانوار
البصيرة ثم ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره فان خطر له في القدوس
انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتى ينساق الى كشف
ثان وثالث ولكن يتبادر الى دفع ذلك عن خاطره ويجعله وسوسة وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا
من الفهم لان الحق الذي كلف الخلق طلبه له مراتب ودرجات وظاهر وباطن فجمود الطبع على الظاهر
يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع وقد قال صلعم من فسر القرآن
برأيه فليتبوأ مقعده من النار وفي النهي عن ذلك آثار كثيرة قلت الجواب عنه من وجوه الاول
انه معارض بقوله صلعم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وبقول علي رض الا ان يوتي الله عبدا فهما في القرآن
ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم الثاني انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون
مسموعا من رسول الله صلعم وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن واما ما يقوله ابن عباس وابن
مسعود وغيرهم من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي الثالث ان الصحابة والمفسرين
اختلفوا في تفسير بعض الآيات على اوجه اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلعم
محال فكيف يكون الكل مسموعا الرابع انه صلعم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان

كان

كان التاويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك الخامس قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء المسموع فاذن الواجب ان يحمل النهي عن التفسير بالرأي على احد معنيين
احدهما ان يكون للانسان في الشيء رأي واليه ميل بطبعه فيتاول القرآن على وفق رأيه حتى لو لم يكن له ذلك
الميل لما خطر ذلك التاويل له وسواء كان ذلك الرأي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك كمن يدعو الى مجاهدة
القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى ان
قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع الثاني ان يتسرع
الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القرآن وما فيها من الالفاظ
المبهمة وما يتعلق بها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر
الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي مثاله قوله تعالى وآتينا
ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر الى ظاهر العربية ربما يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم
تكن عمياء والمعنى آية مبصرة ثم لا يدري انهم اذا ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور
سينين اي وطور سيناء وكذا باقي اجزاء البلاغة فكل كشف في التفسير بظاهر العربية من غير استظهار
بالنقل فهو مفسر برأيه فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني وظاهر ان النقل لا يكفي فيه وانما
ينكشف لمن يخوض في العلم من اسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم له وللطلب والتفحص والتفهم
وملاحظة الاسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي الى درجة منه بعد الاشتراك في الظاهر
ومثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلعم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب
في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان متضادان
ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فترقى الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به
على ساير القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما
اثنيت على نفسك فهذه خواطر تسنح للعارفين لا يفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما هو استكمال
لا تمه من الاسرار الثالث من الموانع ان يكون مبتلى من الدنيا بهوى مطاع فان ذلك سبب لظلمة القلب
وكالصدا على المرآة فيمنع جلية الحق ان تتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت
الشهوات اكثر تراكما على القلب كان ابعد عن اسرار الله اكثر ولذلك قال صلعم الدنيا والآخرة ضرتان
بقدر ما تقرب من احدهما تبعد من الاخرى السابع ان يخصص نفسه بكل خطاب في القرآن من امر او نهي
او وعد او وعيد ويقدر انه هو المقصود به وكذا ان سمع قصص الاولين والانبياء عليهم السلام علم ان السمر
غير مقصود وانما المقصود الاعتبار ولا يعتقد ان كل خطاب خاص في القرآن فالمراد به الخصوص فان
القرآن وساير الخطابات الشرعية واردة باياك اعني واسمعي يا جارة وهي كلها نور وهدى ورحمة للعالمين
ولذلك امر الحق تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب

والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسة القرآن عملا بل قرأه كقراءة العبد كتاب مولاه الذي
كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات
ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات التاسع التأثر وهو ان يتأثر قلبه
بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عندما يتوجه في حق
كل حال الى الحالة التي فهمها من خوف او حزن او رجاء او غيره فحين يستعد بذلك وينفعل ويحصل له التأثر
والخشية ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على العارفين
فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار لمن
تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط الاربعة وكقوله تعالى
والعصر ان الانسان لفي خسر السورة ذكر فيها اربعة شروط وحيث اوجز واختصر ذكر شرطا
واحدا جامعا للشرائط فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ كان الاحسان جامعا للكل الشرائط
وتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله وعند الوعد
يستبشر فرحا بالله وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله وعند ذكر الكفار في حق الله
ما يستحيل عليه كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح افعالهم ويكبر الله ويقدسه
عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفا منها
ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي حسبك
الآن وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلية وبالجملة فالقرآن انما يراد لهذه الاحوال والاستجلابها
الى القلب والعمل بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت عليه جلودكم
فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا والا فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم قرأت على شيخ لي ثم رجعت فاقرأ
عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى وانظر ماذا يأمرك وماذا
ينهاك ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يكن يحفظ القرآن منهم غير ستة واختلف
منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم
كل ذلك لاشتغالهم بفهم معانيه القرآن عن حفظه كله وجاء اليه واحد ليعلمه القرآن فانتهى الى قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فالعزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب
فهم الآية فاما التلاوة باللسان المعرض عن العمل فجدير بان يكون المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الآية وانما حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل
تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار التاسع الترقي وهو ان يترقى

قلبه

قلبه وعقله الى القبلة الحقيقية فيسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد
كأنه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق
والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كأنه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو في مقام
الحياء والتعظيم لمنن الله والاصغاء اليه والفهم عنه الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات
ولا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى التعلق بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهم على المتكلم ويوقف
فكره عليه ويستغرق في مشاهدته وهذه درجة المقربين وعنها اخبر الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم فقال
لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر
مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم
يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وبهذا الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى
ففروا الى الله وبرؤية المتكلم دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر
فان رؤية غير الله معه شرك خفي لا مخلص منه الا برؤيته وحده العاشر التبري والمراد به ان يتبرأ
من حوله وقوته ولا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين حذف
نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين والصديقين ويتشوق الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا تلا
آيات المقت والذم للعصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا قيل ليوسف بن
اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة ومن
رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف به بالخوف
حتى يسوقه الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد رده امنه الى درجة ادنى في البعد مما هو
فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشهد الا الله
وحده في قراءته انكشف له الملكوت والمكاشفات تابعة لحال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب
عليه الاستبشار وينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار
حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى وارد باللطف والسهولة والشدة والعسف والرجاء
والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات
والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد لنوع من المكاشفة يناسب تلك
الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم
وكلام منتقم وكلام جبار متكبر وكلام حنان متعطف فهذه هي وظائف التلاوة ولنرجع الى المتن
فنقول قوله عليه السلم وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم
قائم اشارة الى وضع ما يجب ومضى في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلم من العبادات الشرعية
والقوانين الكلية التي بها بقي ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم القائم ههنا استعارة حسنة
لكانه راية قيمة من الانبياء التي يهتدى بها والاوصياء والاولياء الذين يرجع اليهم الخلق قوله كتاب ربكم

عطف بيان لما في قوله ما خلفت الانبياء ولا ينبغي ان يفهم من ما تخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد عم من الكتاب
هو عين ما اتت به الانبياء السابقون عم وشخصه فان ذلك محال بل المراد بما نوع ما خلفت الانبياء من انها
من الحق وما جاء به محمد ص شخص من اشخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت
في الاتيان بها جميع الانبياء عم من التوحيد والتنزيه سبحانه وتعالى واحوال البعث والقيمة وساير القواعد الكلية
التي بها يكون النظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير ذلك مما لم يخالف فيه نبي
نبيا بمنزلة ماهية واحدة كلية وجدت في اشخاص وكما يعرض لبعض اشخاص الماهية عوارض لا يكون في الشخص
الآخر وبها يكون الاختلاف بين الاشخاص بحسب المواد التي نشأت منها الصور الشخصية كذلك الكتب
المنزلة على السنة الانبياء عم بمنزلة اشخاص اشتملت على ماهية واحدة وتختلف بحسب الزيادات والعوارض
على تلك الماهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها قوله مبينا منصوب
على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل وهو ضمير النبي عم قوله حلاله وحرامه وفضايله وفرائضه
اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة
والاباحة وعبر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضايل عن المندوب وبالفرائض
عن الواجب وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم آخر مثلا فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله
اقتلوا المشركين والمنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله لا اكراه في الدين وبالرخص ما اذن في فعله مع قيام
السبب المحرم له لضرورة او غيرها كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد الآية وبالعزايم ما كان من الاحكام
الشرعية جاريا على وفق سببه الشرعي كقوله فاعلم انه لا اله الا هو وبالعام هنا عن اللفظ المستغرق
لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد كقوله تعالى والله بكل شيء عليم وكقوله ولله على الناس حج البيت
والخاص مما لم يتناول الجميع بالنسبة الى ما يتناوله كقوله من استطاع اليه سبيلا والخاص المطلق هو
ما يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه كاعلام والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور
وهو انتقال الجسم من موضع الى آخر ولما كان الذهن ينتقل من الشيء الى غيره حسن اطلاق العبرة
عليه واكثر ما يخص اطلاق العبرة باشتغال ذهن الانسان من المصايب الواقعة بالغير والامور
المكروهة له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا واشتغال ذهنه
الى ما وراءه من امر المعاد والرجوع الى باريه ويسمى ذلك عبرة وكذلك من المصايب اللاحقة له في نفسه
المذكرة له بحباب الغرة والملفتة له بتكرارها عن دار البلوى والمحن فينتقل ذهنه بسببها الى ان
الدنيا دار البوار وان الآخرة هي دار القرار وذلك كقصة اصحاب الفيل كقوله فقال انا ربكم
الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون وان كان قد يستعمل العبرة في كل ما يفيد اعتبارا من طرف الاحسان ايضا كقوله تعالى
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الآية وكقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله
واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك

لعبرة

لعبرة لاولى الابصار فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلتهم وخذلان المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين
لكونهم مثليهم محلا للعبرة اذ يحصل بذلك انتقال الذهن من ذلك الى انه الاله المطلق المستحق للعبادة المنفرد
بالقدرة على اثابة اهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود واما الامثال فظاهرة كقوله تعالى ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الآية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل
الالفاظ المطلقة والمهملة وهي الالفاظ التي لا يمنع نفس مفهومها من وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية
الحكم ومقداره ولم يقيد بقيد العموم ولا الخصوص وهي محتملة لها كاسماء الجموع في المنكرات كقوله تعالى
وعلى الاعراف رجال وكالمفرد المعرف بالالف واللام او المنكر كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر
وكقوله اذا جاءكم فاسق وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او البعض
الا بدليل منفصل والفرق بينها وبين العام ان لكل شيء ماهية هو بها ما هو وهي مغايرة لكل ما عداها فان
مفهوم الانسان مثلا ليس الا انه انسان فاما انه واحد او كثير او ليس احدهما فمفهوم آخر مغاير لماهيته
اذا عرفت ذلك فاللفظ الدال على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء آخر معها هو اللفظ المطلق والمهمل
والدال معها على قيد العموم بحيث يفهم منه تعدد الماهية وتكثرها في جميع مواردها هو اللفظ العام او في بعض
مواردها وهو الخاص وان كان العموم والخصوص بالذات للمعاني واراد بالمحدود والمقيد كقوله تعالى
في الكفارة في موضع آخر فتحرير رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في
المقدمة مثال المحكم قوله تعالى قل هو الله احد مثال المتشابه قوله الرحمن على العرش استوى مثال المجمل
قوله الا ما يتلى عليكم وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم مثال المبين قوله بعد ذلك ان تبتغوا باموالكم
الآية والتفسير هو التبيين والغوامض دقايق المسايل وانما اضاف هذه المعاني كلها الى الكتاب
لاشتماله عليها وكونه مبدأ لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان الرسول صلعم هو المبين لها بسنته الكريمة
بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله الى آخره الضماير يعود الى الاحكام المذكورة المشتمل
عليها الكتاب العزيز وذكر منها انواعا احدها ما يجب تعلمه وغير موسع للخلق في جهله كوحدانية الصانع
وامر المعاد والعبادات الخمس وشرايطها وثانيها ما لا يتعين على كافة الخلق العلم به بل يعذر بعضهم في الجهل
به ويوسع لهم في تركه كآيات المتشابهات وكاوائل السور كقوله تعالى كهيعص وحم عسق
ونحوها وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وذلك كقوله تعالى واللاتي يأتين
الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى
يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا
واصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الثيب اذا زنت في بدو الاسلام تمسك في البيت الى الممات والبكر
تؤذى بالكلام ونحوه بمقتضى هاتين الآيتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتغريب
بحكم السنة ورابعها ما هو بعكس ذلك اي مثبت في السنة اخذه ماذون في الكتاب في تركه وذلك
كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة

تعظيمها فقال وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم اشار الى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وكبثوت صلوة الخوف في القرآن حال القتال الرافع لجواز تاخيرها في السنة الى انجلاء القتل وخاصيتها ما يجب لوقته ويزول في المستقبل كالحج الواجب في العمرة وكالنذور المقيدة بوقت معين واشباهها فان وجوبها تابع لوقتها المعين ولا يكرر بتكرر امثاله **قوله** ومباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقة وانه منونة وفي معنى الكلام وتقديره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة صار المعنى ومن حكم مباين بين محال هو الحرمة وقوله من كبير او عد عليه نيرانه او صغير ارصد لغفرانه بيان لتلك المحال واشارة الى تفاوتها بالشدة والضعف في كونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل الجملة فالاول كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية وكذلك ساير الكباير من الظلم والزنا وغيرها واشباهه قال الفقهاء كالتطفيف بالحبة وسرقة باقة من بقل ونحو ذلك وارصاد الغفران بازاء هذه واشباهها في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وساير آيات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت عامة في كل الذنوب فالصغاير داخلة بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغاير وسرا ولويتها بالغفران انها لا يكاد تكتسب النفس لها الا فراط والجور الا عن بعد وبعيد وتكرار طويل بخلاف الكباير فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع الا عن نفس مستعدة عن بعيد عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق **الفصل الخامس** منها **قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويالهون اليه ولوه الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته ويتبادرون عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعايذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين **اقول** يالهون اليه اي يشتد وجدهم وشوقهم اليه واصل الهمزة هنا الواو من وله يوله اذا تحير من شدة الوجد والسماع جمع سامع كسامر وسمار والمبادرة المسارعة والوفادة القدوم للاسترفاد والاستشفاع واعلم انا قد بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه الحكمة فيها فالحري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص الحج من جملتها ونؤخر تفصيل باقيها الى مواضعها ان شاء الله فاما الحج فانك لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب الحق بالتذكر له ودوام اخطاره بالبال ليتجلى لهم الاسرار على طول التذكار وينتهي في ذلك من اخذت العناية بيده الى مقام المخلصين فمن جملة اسرار الله سبحانه المنزلة على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد وانه اصلح المواضع لعبادة الله وانه خاص له ولا بد ان بني مثل هذه الاوضاع على اشارات ورموز الى الحقيقة تنبه لما من اخذ التوفيق بزمام عقله اليها ولا بد من تعيين افعال تفعل في ذلك المكان وانها انما تفعل في ذات الله سبحانه وانفع المواضع المعينة في هذا الباب ما كان ماوى الشارع ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم الآخر وعالم يكن غافلا عن

الواحد ان يكون مشاهدا لكل احد من الامة فالواجب اذن ان يفرض اليه مهاجرة وسفر وان كان فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق المال ومفارقة الاهل والولد والوطن والبلد ونحن نذكر فضيلته من جهة السمع ثم نشير الى ما ينبغي ان يلاحظ فيه من الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة وركن من اركان الحج مما يجري من تلك الاركان مجرى الارواح للابدان فاذن هنا ابحاث **البحث الاول** اما الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابرهيم عم ان يؤذن في الناس نادى يا ايها الناس ان لله بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة الثاني قوله عم من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية نفع العبادات في الخلاص من الذنوب الثالث قال عم ما راى الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا يكفرها الا الوقوف بعرفة اسنده الصادق عم الى رسول الله وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض على اسرار العباد التي قد صفت بشدة الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذي يجمع فيه العالم اشد اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم في الانفعال والخشية لله وقبول انذاره كما ستبينه ان شاء الله الرابع قال عم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة الخامس قال عم الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه استجاب لهم وان شفعوا اليه شفعهم السادس روي عنه عم من طرق اهل بيته عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل حرمات الحج اخبار كثيرة تطلب من مظانها **البحث الثاني** في الآداب الدقيقة وهي عشرة الاول ان يكون النفقة حلالا وتخلو اليد عن تجارة تشغله سوى الله تعالى وفي الخبر من طرق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اعراض الدنيا التي يتصور ان يتصل بالحج فكل ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه الثاني ان لا يساعد الصادين عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان ذلك اعانة على الظلم وتسهيل لاسبابه وجراة على ساير السالكين الى الله وليحتل في الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة الظالمين على البدعة وجعلها سنة الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل والانفاق بالعدل دون البخل والتبذير فان بذل الزاد في طريق مكة انفاق في سبيل الله قال عم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من الكلام ويدخل في ذلك محادثة النساء لان الجماع المحرم فانها تهيج داعيته وهي مقدمة له فحرم ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشيء مقام الشيء حسما لمادته والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال

هو المماراة والخصومة الموجبة للضغائن والاحقاد وافتراق كلمة الخلق وكل ذلك ضد مقصود الشارع من الحج
ويشغل عن ذكر الله الخامس ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل وادخل في
الاذعان لعبودية الله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤونة الانفاق ولانه ابعد من الملال
واقل للاذى واقرب الى السلامة واداء الحج وهذا في التحقيق غير مخالف لما قلناه والحق التفصيل فيقال
من سهل عليه المشي فهو افضل فان اضعف وادى الى سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب افضل لان
المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم المشغلات عنه السادس ان يركب الزاملة دون المحمل
لاستحالة على زي المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير الا لعذر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة
وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه
وشمائله وقال خذوا عني مناسككم السابع ان يخرج رث الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة
واسباب التفاخر فيخرج بذلك عن حزب المتكبرين وشعار الصالحين روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما الحاج
الشعث التفث يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى زوار بيتي قد جاؤوني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال
تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار الثامن ان
يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا يطيق كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة من قعود قال صلى الله عليه وسلم
لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة
وسر ذلك مراعاة الرفق والرحمة والتخلي عن القسوة والظلم ولانه يخرج بالعسف عن قانون العدل
ومراعاة عناية الله وشمولها فانها كما لحقت الانسان لحقت ساير الحيوان التاسع ان يتقرب باراقة
دم ويجتهد ان يكون سمينا ثمينا روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بل اهدها وذلك لان المقصود ليس تكثير
اللحم وانما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال صلى الله عليه وسلم ما من عمل آدمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه
دما وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض
فطيبوا بها نفسا العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من هدي وغيره وبما اصابه من خسران ونقيصة
مال ان اصابه ذلك فانه بذلك يكون مكتفيا الى الله سبحانه عن كل ما انفقه متعوضا عنه ما عند الله
وذلك علامة لقبول حجه البحث الثالث في الوظايف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول
الحج فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلايق المانعة عنه ثم تهيئة اسباب
الوصول اليه من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام
الافعال المشهورة وفي كل حالة من هذه الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق
واشارة للفطن الحاذق الى اسرار يقف عليها بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان ساعده التوفيق
اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله الا بتنحية ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات

الدنيوية

الدنيوية والتجرد في جميع الحالات والاقتصار على الضرورات ولهذا انفرد الرهبان في الاعصار السالفة
عن الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس بالخالق واعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك مدحهم بقوله
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات
والاقبال على الدنيا والالتفات عن الله بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج
وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فجعل سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق بالاضافة
الى نفسه ونصبه مقصدا للعباد وجعل ما حوله حرما لبيته تفخيما لامره وتعظيما لشأنه وجعل عرفات كالميدان
على باب حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار
من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزيهه عن ان يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس
بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل
التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية بخلاف ساير العبادات كالزكوة التي هي
ارفاق في وجه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم الذي هو كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة
بالكف عن الشواغل وكالركوع والسجود في الصلوة الذي هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئة
التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تعالى واما امثال هذه الاعمال فانه لا اهتداء للعقل الى اسرارها فلا يكون
للاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل
عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه المعين على الفعل فان كل ما ادرك العقل وجه الحكمة فيه
مال الطبع اليه ميلا تاما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق
والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في الصلوة
وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف اهوية طباعهم وان
يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد ومقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي
الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق
ولهذا كان مصدر تعجب النفوس من الافعال العجيبة هو الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق فانما ينبعث بعد
الفهم ان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد لله تعالى ومن قصده في الدنيا
بالمثال المحسوس فجدير ان يرزق منه بحسب شوقه الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التي هي في
السماء وقد بني هذا البيت على قصدها فيشاهد وجه ربه الاعلى بحكم وعده الكريم واما العزم فليستحضر في
ذهنه انه بعزمه مفارق للاهل والولد هاجر للشهوات واللذات مهاجر الى ربه متوجه الى زيارة
بيته وليعظم قدر البيت لقدر رب البيت وليخلص عزمه لله ويبعده عن شوائب الرياء والسمعة فان
ذلك شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد

بيت الملك وحرمه مع اطلاع ذلك الملك على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ويكون حضره غيره فان ذلك
استبدال للذي هو ادنى بالذي هو خير اما قطع العلائق فحذف جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله
والتوبة الخالصة عن الظلم وانواع المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة خصم حاضر متعلق به ينادي عليه
ويقول اتقصد الملوك وهو مطلع على تضييع امره في منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت الى نواهيه
وزواجره ولا تستحيي ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته ويلقيك في
مهاوي نقمته فان كنت راغبا في قبول زيارتك فاترك اليه من جميع معاصيك واقطع علاقة قلبك عن
الالتفات الى ما وراءك لتتوجه اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك وليتذكر عند قطع
العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان كل هذه امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد
فليطلبه من موضع حلال فاذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول
السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان
ما عداه لا يصلح زادا ولا يبقى معه الا ريثما هو في هذا المنزل وليحذر ان يفسد اعماله التي هي زاده
الى الآخرة بشوائب الرياء وكدورات التقصير فيدخل في قوله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واما الراحلة فليحمد عند ركوب
دابته تسخير الحيوان له وحمله عنه الاذى ويتذكر منته تعالى بشمول عنايته ورافته حيث يقول وتحمل
اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم فيشكره سبحانه على
جزيل هذه النعم وعظيم هذه المنة وليستحضر نقلته من مركبه الى منازل الآخرة الذي لا شك فيه ولعله
اقرب من ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان هذا امثلة محسوسة يترقى منها الى مراكب النجاة من المشقة
الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر معه الكفن وادراجه فيه
ولعله اقرب اليه وليتذكر منها التسربل بانوار الله التي لا مخلص من عذابه الا بها فيجتهد في تحصيلها بقدر
الامكان واما الخروج من البلد فليستحضر عنده انه يفارق الاهل والولد متوجها الى الله سبحانه في سفر
غير اسفار الدنيا وليستحضر ايضا غايته من ذلك السفر وانه متوجه الى ملك الملوك وجبار الجبابرة
في جملة الزائرين الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق
واقبلوا على بيت الله طلبا لرضا الله وطمعا في النظر الى وجهه الكريم وليحضر ايضا في قلبه رجاء الوصول
الى الملك والقبول له بسعة فضله وليعتقد انه ان مات دون الوصول الى البيت لقي الله وافدا
عليه لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره
على الله ثم ليتذكر في اثناء الطريق من مشاهدة عقبات الطريق عقبات طريق الآخرة ومن السباع والحيات
حشرات القبر ومن وحشة البراري وحشة القبر وانفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة
الى الله سبحانه ومذكرة له امر معاده واما الاحرام والتلبية من الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله
وليكن في قبول اجابته بين خوف ورجاء مفوضا امره الى الله متوكلا على فضله قال سفيان بن عيينة

حج زين العابدين علي بن الحسين ع فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع
ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته
فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الاستعداد
لافاضة انوار الله لم تزل الغواشي الالهية والنفحات الربانية تغشاها فتغيب عن كل شيء سوى جلال الله
وعظمته وليتذكر عند اجابة نداء الله سبحانه اجابة ندائه بالنفخ في الصور وحشر الخلق من القبور وازدحامهم
في عرصات القيامة مجيبين للنداء منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين في اول الامر
بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج ام لا اما دخول
مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الآمن وليرج عنده ان يامن به دخوله من عذاب الله
وليخش ان لا يكون من اهل القرب ولكن رجاؤه اغلب فان الكرم عميم وشرف البيت عظيم
وحق الزائر مرعي وذمام اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين وارحم الراحمين
وليستحضر ان هذا الحرم مثال الحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول هذا الحرم والامن بدخوله
من العقاب الى الشوق الى دخول ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره على البيت فليستحضر
عظمته في قلبه وليترق بفكره الى مشاهدة حضرة رب البيت في جوار الملائكة المقربين وليتشوق
ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى بيته العظيم وليكثر من الذكر والشكر على تبليغ
الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الآخرة في كل ما يراه فان كل احوال الحج
ومنازله دليل يترقى منه الى مشاهدة احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فليستحضر في قلبه
التعظيم والخوف والخشية والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك بذكر رب البيت
حتى لا يبتدي بالذكر الا منه ولا يختم الا به كما تبدأ بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف المطلوب
هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي
هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر مثال ظاهر في عالم الشهادة للانسان الباطن الذي
لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب
والملكوت لمن فتح له باب الرحمة واخذت العناية الالهية بيده لسلوك الصراط المستقيم والى
هذه الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف
الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت مرتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف
امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك
التشبه الى ان يصير في قوة المشبه به والذي يبلغ تلك المرتبة فهو الذي يقال ان الكعبة
تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما الاستلام فليستحضر
عنده انه مبايع لله على طاعته مصمم عزيمته على الوفاء ببيعته فمن نكث فانما ينكث على نفسه

ومن أدى ما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ولذلك قال رسول الله الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح
بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه ولما قبله عمر قال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله
يقبلك ما قبلتك فقال له علي يا عمر بل يضر وينفع فإن الله سبحانه لما أخذ الميثاق على بني آدم حيث قال
وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الآية ألقمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم
بأداء أمانتهم وذلك معنى قول الإنسان عند استلامه أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة
وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب القرب حبا له وشوقا إلى لقائه تبركا بالمماسة
ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من البيت ولتكن النية في التعلق بالستر الإلحاح في طلب الرحمة وتوجه الذهن
إلى الواحد الحق وسؤال الأمان من عذابه كالمذنب المتعلق بأذيال من عصاه المتضرع إليه في عفوه عن المقترف
لذنبه الذي لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا عفوه وكرمه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الطاعة في المستقبل
وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فمثال تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد
أخرى إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي
يقضي الملك في حقه من قبول أو رد فيكون تردده رجاء أن يرحم في الثانية إن لم يكن رحم في الأولى وليتذكر
عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة
بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران
وأما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات
واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع
الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة أثر نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول
وإذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال إلى الله أن يحشره في زمرة الفائزين المرحومين وليكن
رجاؤه أغلب فإن الموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلائق بواسطة النفوس
الكاملة من أوتاد الأرض ولا يخلو الموقف من الأبدال والأوتاد وطوائف من الصالحين وأرباب القلوب
فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت إلى الله أيديهم وامتدت إليه أعناقهم يرمقون
بأبصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن أنه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم ولهذا قيل إن اجتماع الأمم بعرفات
والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو السر الأعظم من الحج ومقاصده
فلا طريق إلى استنزال رحمة الله واستدرارها أعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد
على صعيد واحد وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية ثم ليقصد به التشبه
بإبراهيم حيث عرض له إبليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله تعالى
أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فإن خطر له أن الشيطان عرض لإبراهيم ولم يعرض له فليعلم أن
هذا الخاطر من الشيطان وهو الذي ألقاه على قلبه ليخيل إليه أنه لا فائدة في الرمي وأنه يشبه اللعب وليطرده
عن نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان فإنه وإن كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى

فهو

فهو في الحقيقة رمي لوجه إبليس وقصم لظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثال أمر الله تعظيما له بمجرد الأمر وأما ذبح
الهدي فليعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدي وأجزاءه وليرج أن يعتق الله بكل جزء منه
جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كان الفداء به عن النار أتم وأعم وهو يشبه التقرب إلى
الملك بالذبح له وإتمام الضيافة والقرى والغاية منه تذكر المعبود الأول سبحانه عند النية في الذبح
واعتقاد أنه متقرب به وبأجزائه إلى الله فهذه هي الإشارة إلى أسرار الحج وأعماله الباطنة إذا عرفت
ذلك فلنرجع إلى المتن **قوله** عليه السلام وفرض عليكم حج بيته الحرام إشارة إلى وجوب الحج على الخلق وهو معلوم
بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام لأنه يحرم على الخلق أن يفعلوا فيه ما لا ينبغي من مناهي الشرع **قوله** الذي
جعله قبلة للأنام مستنده قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره **قوله** يردونه ورود الأنعام بالغ في تشبيه ورود الخلق البيت بورود الأنعام ووجه
الشبه أن الخلق يردون البيت بازدحام عن حرص وشوق إليه كحال الأنعام عند ورودها الماء وقيل إن
وجه الشبه هو ما أشار من عدم اطلاع الخلق على أسرار الحج وعلى ما يشتمل عليه المناسك من الحكم الإلهية ولما كان
العقل الذي به تميز الإنسان عن الأنعام وسائر الحيوان معزولا عن إدراك هذه الأسرار كاد أن لا يكون
بين الإنسان وبين مركوبه فرق في الورود إلى البيت وسائر المناسك وفيه بعد **قوله** ويألهون إليه
ولوه الحمام إشارة إلى شوق الخلق في كل عام إلى ورود البيت كاشتياق الحمام الذي يسكنه وقد راعى
عليه السلام في هذه القرائن الأربع السجع **قوله** وجعله علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزته إشارة إلى ما ذكرنا
من أن العقل لما لم يكن ليهتدي إلى أسرار هذه الأعمال لم يكن الباعث عليها إلا الأمر المجرد وقصد امتثاله من حيث
هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد فمن فعل ما أمر به من أعمال الحج كان هو المخلص
الذي ظهرت عليه علامة المخلصين والمذعن المتواضع لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب
والشهادة لم يمكن أن يقال إن تلك العلامة مما يستفيد بها علما بأحوال عبده من طاعتهم ومعصيتهم فإذن ينبغي
أن يكون معناها راجعا إلى ما به تميز النفوس الكاملة التي انقادت لأوامر الله وأخلصت له العبادة
عما عداها فإن هذه العبادة من أشرف ما استعدت به النفس الإنسانية وأفادها كمالا تميزت به عن
أبناء نوعها فهي إذن علامة بها تميز من اتسم بها عن غيره **قوله** واختار من خلقه سماعا أجابوا إليه دعوته
إشارة إلى الحاج في قوله تعالى وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
وفي الآثار أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل فأمره أن يؤذن في الناس بالحج فقال إبراهيم
يا رب وما يبلغ صوتي قال الله أذن وعلي البلاغ فعلا إبراهيم المقام وأشرف به حتى صار كأطول الجبال
وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا
ربكم فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء لبيك اللهم لبيك وفي هذه الإشارات لطيفة أنه
يحتمل أن يراد بقول إبراهيم وما يبلغ صوتي إشارة إلى حكم الوهم الإنساني باستبعاد عموم هذه الدعوة
وانقياد الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه وعلي البلاغ الإشارة إلى تأييده سبحانه

بما اوحى اليه من العلم فبسط دعوته وابلغها الى من علم بلوغها اليه وبعلوا بهم المقام حتى صار كالطول الجبال وجاء بوجه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ بعد دعوة وجذب الخلق الى هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باوليا الله اتباعه لهم واما اجابة من كان في اصلاب الرجال وارحام الامهات ففي اشارة الى ما كتبه الله سبحانه بعلم قضائه في اللوح المحفوظ من طاعة الخلق واجابتهم لهذه الدعوة على لسان ابرهيم عليه السلم ومن بعده من الانبيا وهم المراد بالسجاع الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته الى حجه بحجهم اليه بعد ما الهمهم لذلك قرنا بعد قرن وامة بعد اخرى **قوله** وصدقوا كلمته اشارة الى مطابقة افعالهم لما جاءت به الانبيا من كلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم **قوله** ووقفوا مواقف انبيائه اشارة الى حجهم لهم الخ ففي ذكر الانبيا هنا استدراج حسن للطباع اللطيفة المشوقة الى لقاء الله والتشبه بانبيائه عليهم السلم وملائكته وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه اشارة الى ما ذكرنا من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السما وان طواف الخلق بهذا البيت يشبه طواف الملائكة واحاطتهم بالبيت المعمور والعرش اذ هم شبهوا بالملائكة في الطواف والغاية ان يترقوا من اخذ شاكلة الغاية بيده من هذا الطواف الى ان يصيروا من الطائفين بالعرش والبيت المعمور **قوله** يحرزون الارباح في متجر عبادته ويبادرون عنده موعد مغفرته شبه العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس وراس المال هو العقل ووجوه تصرفاته حركاته وسكناته الحسية والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعية والعقلية والارباح هي ثواب الله وما اعده للمحسنين في جنات النعيم وارتج بملوك بيدا ابحر في قوله في سبيله مجرا يطلب به الكسب والربح واحسن به اذا نظر الى انه اهل العبادة فحذف جميع الاعراض والخواطر حذف هذه عن درجة الاعتبار وجعلها فالغة ولانه هو غاية كلامه هو بذكر الربح هنا فاستدراج حسن لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون اليه من حب الارباح في الحركات لبيتنا قوا فيعيدوا **قوله** وجعله للاسلام علما اي علما للطريق الى الله وسلوك صراطه المستقيم وهي الاعلام المنيفة يهتدي به عليها كما يهتدي بالعلم المرفوع للعسكر والمارة في مقاصدهم **قوله** فرض عليكم حجه واوجب عليكم وفادته الى اخره تاكيد لما سبق وذكر الخطاب الموجب لهم وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** بعد انصرافه من صفين احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين المشهور والعلم الماثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالايات وتخويفا بالمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا

مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم **اقول** صفين اسم موضع بالشام والاستسلام الانقياد ووال فلان يئل والا ووولا في خلص وال اذا لجا فنجا ومنه الموئل الملجا والفاقة الفقر ولا فعل لها ومصاص كل شي خالصه والذخيرة الخبيئة والاهاويل الامور المخوفة التي يعظم اشتباك النفس لها وعزيمة الايمان عقد القلب عليه والمدحرة محل الدحر وهو الطرد والابعاد والماثور المقدم على غيره والماثور ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثا وهي العقوبة والفتن جمع فتنة وهي كل امر صرف عن قصد الله واشتغل عنه من بلاء ومحنة وهوى متبع والجذم القطع والزعزعة الاهتزاز والاضطراب والسواري الاساطين والنجر الطبع والاصل والمعالم الاثار التي بها يعلم ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والرا وهي معظم الطريق ووسطها والخامل الساقط والمناهل المشارب وانهارت انهدمت والسنابك اطراف مقدم الحوافر الواحد سنبك والسهود مصدر كالجمود مرادف للسهاد والارق واعلم ان المراد بالحمد هنا الشكر واستتماما وما بعده من المنصوبات منصوبات على المفعول له وقد جعل لحمده هنا غايتين الاولى منها الاستتمام لنعمة الله وذلك لان العبد يستعد بمزيد الشكر لمزيد النعم وهو في ذلك ناظر الى قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم لما يشتمل عليه الاية من البعث على رجا المزيد والثانية الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور وهو الله سبحانه وهي مستلزمة للانقياد لعزته والخضوع لعظمته وهو في ذلك ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لما يشتمل عليه الاية من التخويف البالغ من مقابلة نعم الله بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام النعم والتاهل لكمال الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان يكون العناية الالهية آخذة بضبعي العبد وجاذبة له عن ورطات المعاصي صحبته له عن اسباب التورط فيها بكفاية المؤن والاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط والتفريط جعل لحمده غاية اخرى هي الوسيلة الى الغايتين المذكورتين وهي الاستعصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك بطلب المعونة منه على تمام الاستعداد لما سال وشكره عليه وجعل لتلك الاستعانة علة غائية وهي الفاقة نحو غاية هي كفاية دواعي التفريط والافراط بالجذبات الالهية ولا شك ان الغايتين المذكورتين لا تتم بدون عصمته والمعونة بكفايته وذلك قوله واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته **قوله** انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه تعليل لطلبه المعونة على تحصيل الكفاية بالغا عن دواعي طرفي التفريط والافراط كان العبد مستقيم الحركات على سوا الصراط وذلك هدى الله يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان يرزقني الكفاية المستلزمة لهدايته التي هي الغنى الحقيقي والملك الابدي فانه لا يضل من هداه ولا ينجو من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة به وقد اطلق عم هنا لفظ المعاداة كما اطلقها القران الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبعض لها ولمن يحبس بها من عباده مجازا **قوله** فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فالمراد ان يكون المقصود رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازنه

عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يعبد ربه كانه يراه ويقال في اربع ويكون المراد بالحزن حزن ذلك الموطن في اسرار النفوس القدسية وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه قوله احمد من الحمد على ما يتوقع لهم من كذب كان شر اله قوله واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة وجد بها الخلائق على عز اسمه وقد اثر ما في الخطب الاوطال ما تضمنه تركيبها من حسن الموضع المودي للمقصود التام معنا وبالجملة هي منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون ان فيها شيئا مقدرا ليكون خبرا للا اما وتقديره لا اله الا الله او لا اله موجود الا الله وحاصلهم ان كل تقدير يقدر ههنا فهو مخرج لهذه الكلمة عما يفيده اطلاقها ويفيد التخصيص بالكل وهو ما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون خبرها هو قوله الا الله ولا حاجة الى تقدير امر زايد وقد وردت لهذه الكلمة فضايل الا وكثرة فوله افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله اتى به عن ابن عمر قال قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشر وكاني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن اتى به روي ان المامون لما انصرف من مرو بريد العراق واجتاز نيسابور وكان في مقدمته علي بن موسى الرضا عليهما السلم فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا انا نسئلك بحق قرابتك من رسول الله ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن ابائه عن رسول الله صلى الله عليه واله عن جبريل عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي الى ابحه قال صلى الله عليه واله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الاخرة والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله صلعم من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسان قلبه من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الاخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة جزاء وفاقا وما ظلم اليوم قوله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها مصدر وصف بوصفين جريا على غير من هي له والممتحن المختبر اراد انه مختبر نفسه في اخلاص هذه الشهادة واعدادها عرية عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد وخالصة مبراة عن شوايب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص المحقق قوله نتمسك بها ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان اشارة الى انه يجب التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعظايم الامور والاستعداد بها لاهوال الاخرة وشدايدها ثم عقبها بذكر علة التمسك بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف يوجب ذلك اولها انها عقيدة الايمان وعزيمته المطلوبة لله سبحانه من خلقه وكل ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه فهي حقوق لها وتوابع ومتممات ومعينات على الوقوف عليها والوصول الى اخلاصها وثانيها انها فاتحة الاحسان فانها اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه شيئا فشيئا وكانها اول مطلوب لله من خلقه في نظرهم الى جليته وعلى السنة رسله هو في الحقيقة غايتهم التي ينالون باخلاصها ويستصحبون مصاحبها السعادة الباقية فثالثها

انما مرضاة الرحمن وذلك ظاهر اذ هي محل رضوان الله والسبب المستنزل لتمام رحمته ومزيد نعمته على متوربها ورفع السخط عنه كما قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الخبر ورابعها انها مدحرة الشيطان وذلك ايضا ظاهر فان غاية دعوة الشيطان هو الشرك الظاهر او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت في مقابلة دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن ما يدعو اليه ولما كان الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة فبقدر كل مرتبة من السلوك في اخلاصها يسقط في مقابلته مرتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان في تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص بقدر الامكان وقد انهدمت قواعد الشيطان بكليتها وصار ابعد مطرود عن قبول ما يقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قوله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلعم من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فجرى بها لسانه واطمان بها قلبه حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار ارسال الرسل ووضع الشرايع تعريف كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك قرنت بها قوله ارسله بالدين المشهور الى قوله والامر الصادع اشارة الى تعظيم الرسول صلعم بما جاء به واشار بالدين المشهور الى دين الاسلام المشتمل على تعريف كيفية سلوك الصراط المستقيم وبالعلم الماثور الى اعتبار كون ذلك الدين في بدايته للخلق يهتدون به الى حضرة القدس التي هي مقصد جميع الشرايع اذ ذلك هو شان العلم وكونه ماثورا اشارة اما الى كونه مقتدى ما على سائر الاديان كما يقدم العلم ويهتدى به قوم بعد قوم او الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى القرآن المسطورة حقايقه في الواح النفوس وبالنور الساطع والضياء اللامع الى السر الذي جاء به الرسول صلعم تحت هذه الطريقة وامر بقصده منها وهو نور يستشرق في مرآة النفوس الصافية عن صدا الشبهات وكدورات الشرك ولخصوصية الامر ووصفه بكونه صادعا الى اعتبار رقده بالوامر ان ورد عليه لم يسلك الطريق المامور بسلوكها عن رغبة واختيار حتى يشق بالامر الالهي وجه باطله ويصدع ما كان ملتيما من بنا فساده كما قال تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين قوله ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبة لمقاصد البعثة وذكر منها ثلثة مقاصد اولها ازاحة الشبهات وهو اهمها فان حذف شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد الشارع اذ هي سبب تلك الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات الواصلة الى افهامهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن الثالث التحذير بالايات الى الانذار بالعصاة والتخويف بالعقوبات الواقعة باهل الجنايات كما قال تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى وهذا الانذار مزيد حج والخطابات الشرعية في حق من لم يرزق صفاء حس يوثر فيه مجرد الخطاب فيحتاج الى التحذير والانذار قوله والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله

تردد ون **قوله** يحتمل ان يكون الواو فى قوله وان الناس للابتداء ويكون ذلك منه شروعا فى ذم احوال
اهل زمانه وما هم فيه من البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب تشتت اهوائهم واختلاف ارائهم وغرضه
تنبيه السامعين على ما هم غافلين عنه مما هم فيه من الفتن المشتملة على المذام التى عددها لينتبهوا من رقدة
الغفلة ويشمروا فى سلوك سبيل الحق عن ساق الجد والاجتهاد وذكر من المذام التى حصل الناس عليها
بسبب ما هم فيه من الفتن امورا يرجع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك
سبيل الحق وارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى انحراف الخلق عن سواء السبيل
وعدم تمسكهم باوامر الله سبحانه حال وقوع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل هنا ونحو التنزيل الالهى
فاعتصموا بحبل الله جميعا استعارة لقانون الشريعة المطلوب منا لزومه والتمسك به وكذلك استعمال
لفظ السوارى اما لقواعد الدين واركانه المأمور بتشييدها كالجهاد الذى هو اقوى مطالبه فى ذلك
الوقت من الناس ويكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها واستقرار الناس عليها مجازا واما
لاهل الدين الذى به يقوم ورجاله العاملين به الذين لم يأخذهم فى الله لومة لائم وتزعزعها موت
اولئك او خوفهم من الاعداء المارقين وكل ذلك استعارة لطيفة ووجوه المشابهة فيها ظاهرة و
اشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذى كان يجمع الخلق والفطرة التى فطر الناس عليها وورد
الشريعة بلزومها فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلعم فاختلف بعده بسلوك كل فرقة مذهبا غير
الاخرى على ان النجر هو الحسب ايضا والحسب هو الدين فيحتمل ان يريد واختلف الدين واشار بتشتت
الامر الى تفرق كلمة المسلمين وبقوله وضاق المخرج وعمى المصدر الى ان الخلق بعد تورطهم فى فتن
الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمى عليهم طريق صدورهم منها والعمى هنا هو المشار اليه
بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وهو استعارة حسنة
اذ العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدى لمقاصده المحسوسة بالبصر
لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدى لمقاصده المعقولة لاختلاط بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده واشار
بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم عن مصدرهم من ضلالهم اذ كان ضوءه ساقطا بينهم غير [illegible]
والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بشمول العمى الى اشتراكهم فى عدم رؤيتهم لسبيل الحق
الذى به يخرجون من شبهات الباطل وظلمته ثم اشار بعصيانهم الرحمن ونصرهم للشيطان الى ان
ما هم فيه جور عن الحق ونصرة للباطل الذى هو مأمور الشيطان فبالحرى ان يكون نصرة للشيطان و
عصيانا للرحمن ومن نصر الشيطان بالذب عن الباطل فقد خذل الايمان بترك تشييد قواعده والذب
عنه وترك الايمان وخذلانه لا يبقى له دعامة تقوم بها وتحمله والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعائم
الحق وحملة الايمان وبانهيارها الى عدمهم او عدم قبول قولهم وبتنكير المعالم الى عدم معرفتهم فى الخلق
ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التى للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم القيام بها وبتنكير المعالم
المخابية من القلوب التى هى معالم الدين ومحاله وبدروس سبله وعفاء شركه الى انه لم يبق له اثر يعرف به

ولكل

وكل ذلك مبالغة فى ضعف الدين ومسالك الشيطان ومناهله ما يجرهم اليه من مناهى الله سبحانه [illegible]
فيها واعلام الشيطان ولواؤه اما القادة اليه والدعاة الى باطله المقتدى بهم او صور الباطل التى تصورت
لاذهان الخلق وصارت غايات لهم فانقادوا لها واتبعوها فهى كالاعلام والالوية فى الحروب وغيرها
قوله فى فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها يحتمل ان يكون فى فتن متعلقا
بقوله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمقدر يكون خبرا ثانيا لقوله والناس وهذه
الفتن هى التى اشار اليها اولا واعادها او ردها ثانيا بزيادة اوصاف جليلة فى فنشبهها بانواع الحيوان
فاستعار لها اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطيا وقياما على الحوافر ويحتمل ان يكون هناك
اضمار اى داستهم باخفاف ابلها ووطئتهم باظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه ويكون التجوز فى نسبة الوطى والدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز
فى الاسناد **قوله** فهم فيها تائهون الى متعب واشار بتيههم الى ضلالهم عن القصد فى ظلمات الفتن وبحيرتهم
الى ترددهم فى ان الحق فى اى جهة وعدم درايتهم مع قتالهم مع معوية وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد
بعضهم الباطل من شبهة تحكيم الحكمين واعتقاد آخرين الحق من شبهة دم عثمان وامثال ذلك مما هو جهل مركب
وبكونهم مفتونين الى فتنة غيرهم لهم واضلالهم عن الحق وهو الشيطان واتباعه **قوله** فى خير دار وشر جيران
هذا الظرف يجوز ان يكون كالذى قبله فى كونه خبرا ثالثا ويجوز ان يتعلق بقوله تائهون او بما بعده من الاحوال
وقد اختلف الشارحون لكلامه عم فى مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة
واهلها القاسطون وقال فى قوله نومهم سهود وكحلهم دموع اى انهم لا ينامون اهتماما بامورهم واعدادهم
القتال ويكون قتلاهم وقوله بارض عالمها ملجم يريد نفسه والناصرون الحق وجاهلها مكرم يريد معوية
وقال آخرون اراد بخير دار العراق وشر جيران يعنى اصحابه المستصرخ بهم للجهاد وانما كانوا شر جيران اى
شر مجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الدين لان خير المجاورين المعاضدون فى الله وقوله نومهم سهود
اى خوفا من الحرب وغيره فى التدبير وكحلهم دموع اى يكون قتلاهم الخ وقيل نفاقا لان [illegible] ملك
ملك غيبه وقال آخرون اراد بها دار الدنيا لانها دار العمل واكثر الخلق بها اشرار جهال وليس المقصود
بكونها خير انفضليتها على غيرها ليوهم انها افضل من الآخرة بل اثبات فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما ترد
لاثبات الافضلية كذلك ترد لاثبات الفضيلة والدنيا دار فاضلة لمن قام فيها باوامر الله وراعى ما خلق
لاجله وهى مزرعة الآخرة كما ورد به الحديث ويكون اهلها شر جيران فاما شر مجاورين كما سبق او شر
جيران لمن التجأ اليهم وجاورهم لانتصارهم على اعداء الدين وذلك بعدم نصرتهم له والقيام معه وقوله نومهم
سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس فى اصحابه واصحاب معوية ومن شاء الحرب ودخل فيها
وقد بالغ فى وصفهم بقلة النوم لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض وشدة اهتمامهم بامر القتال
وحيرتهم فى تيه الباطل حتى الحق فلقلة نومهم بالسهد لاستلزامه عدم النوم فاستعار لفظه وحيرة هو بعيد
وقوله وكحلهم دموع بليغ فى تشبيه دموعهم بالكحل وحيرة هو هو ووجه المشابهة ان الدموع لكثرتهم ملازمة

احبائهم اشبه في ذلك الامر الكثير المعتاد بعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له وقوله بارض
عالمها ملجم وجاهلها مكرم الجار والمجرور في حكم الظرف الذي قبله فيما يتعلق به ثم ان جعلنا خير دار هي الدنيا
كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكانه قال وانتم في خير دار هي الدنيا وهم منها بارض
من حالها ان عالمها ملجم بلجام الذل من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم منهم وغلبة الجهل
عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم في الباطل ويكون المراد بتلك الارض اما الشام
او العراق وان جعلنا خير دار هي الشام او العراق كان قوله بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان لها
ويكون الذم اللاحق من هذا الكلام راجعا الى اهل تلك الارض لتعلق الجام العالم واكرام الجاهل بهم وان
نسب ذلك اليها لكونهم بها اذ لو ورد الذم الى الارض لنافى ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل
ان يكون الواو في قوله وانتم حالا والعامل ارسله والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية
وحال البعثة وخير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان من علماء العرب قبل الرسول
وحين بعثته فهو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذب به وهذا الاحتمال حسن واعلم ان الذي
هنا ورأى الذهبي ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملتقطة ليست على نظامها
التي خرجت عليه وان كان في الكل قرب يلوح لما لو اتصلت مقاصده توضح ما اورده الناس واختلفوا
فيه منها والله اعلم ومنها ويعني آل النبي صلى الله عليه وآله هم موضع سره ولجأ امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف
كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه اقول اللجأ الملجأ والموئل المرجع من
آل يؤل الى كذا اذا رجع وانتهى اليه والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب
والكتف لا تزال ترعد من الدابة وقد وردت هذه القرائن الاربع بالسجع المتوازي والضمائر المفردة
هنا كلها راجعة الى الله تعالى الا الضمير في ظهره وفرائصه فانها للرسول صلى الله عليه وآله كما سبق ذكر الله ورسوله
في صدر الخطبة وقيل الكل للرسول صلى الله عليه وآله واشار بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم عليهم السلم
لاسرار الله وحكمته اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما قبله واستعد له وبكونهم ملجأ امره الى انهم الناصرون
له والقائمون باوامر الله والذابون عن الدين فاليهم يلتجئ وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف
لكونهم موضع سره اذ يقال في العرف فلان عيبة العلم اذا كان موضع اسراره ولفظ العيبة استعارة
لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة ظاهر اذ العيبة لما كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف
والادناس وكانت اذهانهم الطاهرة حافظة للعلم عن عدمه وصيانته له عن تدنسه باذهان غير اهله
لا جرم حسنت استعارة لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجعا للحكمة اذا احتاجت
اذهان غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها
وعندهم علمها وتأويلها والكتب اشارة الى القرآن وما قبله من كتب الله كما نقل عنه عليه السلم في موضع آخر
لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين
اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل

او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف قريب
من استعارة لفظ العيبة وبكونهم جبال دينه الى ان دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشياطين وتبديلهم
وتحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممن يؤذيه وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة الى ان الله
سبحانه جعلهم اعضادا له يشدون ازره ويقومون ظهره ويؤيدون امره وانحناء الظهر كناية عن ضعف
تقويتهم لذلك الضعف بالنصرة للدين والذب عنه وقوله واذهب ارتعاد فرائصه اي ان الله ازال
عنه بمعونتهم خوفه الذي كان يتوقعه من المشركين على حوزة الدين وهو كناية عن الشيء ببعض لوازمه اذ كان
ارتعاد الفرائص من لوازم شدة الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهله الادنين من بني هاشم كالعباس
وحمزة وجعفر وعلي بن ابي طالب عليه السلم في الذب عن الرسول صلى الله عليه وآله والحماية اليه والبلاء في الدين والله اعلم
منها زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة احد ولا
يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي
ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الآن اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله اقول
الغرور الغفلة والثبور الهلاك والقياس نسبة الشيء الى الشيء والحاقه به في الحكم وفاء يفيء رجع والغلو
تجاوز الحد الذي ينبغي الى ما لا ينبغي والتالي التابع والولاية الاسم من قولك وليت الامر اليه وليا وايضا
القرب من الشيء والدنو منه والخصائص جمع خصيصة وهي فعيلة بمعنى فاعل اي خاصة او مختصة واعلم ان
قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان الفجور لما كان هو الخروج عن ملكة العفة
والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان مثل الزرع الغالب في الارض استعار له لفظ الزرع
برز الفجور في اراضي قلوبهم وان انتشاره منهم ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره في الارض
ولما كان غرورهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط وهما في
الهلاك وهو مادة تماديهم في غيهم وزيادة فجورهم وعدولهم عن سواء السبيل اشبه الماء الذي هو سبب
حيوة الزرع ونموه ومادة زيادته ولاجل ذلك حسنت استعارة لفظ السقي الذي هو خاصة الماء له
ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بعذابها لا جرم اشبهت
تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسب اليهم وقد اشتملت هذه الالفاظ مع
حسن الاستعارة على الترصيع قال الوبري رحمه الله الاشارة بهذا الكلام الى الخوارج وقيل في المنافقين
كما ورد مصرحا به في بعض النسخ واقول يحتمل ان يكون تناول الكل ممن نابذه عليه السلم وخرج عن طاعته زاعما
انه بذلك متعصب للدين وناصر له وذلك ان الفجور كما عرفت هو تجاوز العفة الى طرف الافراط
وكل من نابذه عليه السلم وهو يدعي انه طالب للحق فقد خرج في طلبه للحق عن حاق العدل وفعله الى طرف الفجور
والغلو ويدخل في ذلك القاسطون وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن في معناهم
اذ زعم الكل انهم فعلوا ذلك طالبون للحق ناصرون له قوله لا يقاس بآل محمد عليهم السلم من هذه الامة احد الخ
مع انهم يستلزم اسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم واستحقاق منزلتهم والكلام وان كان عاما في تفضيل

آل محمد على كل من عداهم من امته الا انه من جانب وهو قبالة من معاوية ففيه اذن اشارة الى تفضيل نفسه
على معاوية وعدم ترجيحه عليه في الخلافة فقوله لا يقاس بآل محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه
ابدا اشارة الى عدم مناسبة غيرهم لهم في الفضل والنعمة ههنا نعمة الدين والارشاد اليه والكلام على
الصدق فان المنعم عليه بمثل هذه النعمة التي لا يمكن احدا ان يقابلها بجزاء لا يتاهل ابدا ان يصير في درجة المنعم
وخواصه الذين اختصهم بمزيد حاجب استحقاقهم واستعدادهم التام الوافر على تاهل غيرهم لها ولا يبلغ
درجتهم حتى يقوم مقامهم مع وجودهم في افاضة هذه النعمة واعداد ساير الامة لها وتعليمهم وارشادهم
الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه وقوله هم اساس الدين اشارة الى ان بهم استقامته وثباته وتفرعه
عنهم كما يقوم البنا على اساسه وكذلك قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفيء الغالي اشارة الى ان المتجاوز
للفضايل الاخلاقية التي مدارها على الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة الى طرف الافراط منها يرجع اليهم
ويهتدي بهم في تحصيل هذه الفضايل لكونهم عليها اذا اخذ التوفيق بيده واشار بقوله وبهم يلحق التالي
الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضايل المرتكب لطرف التفريط في تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعونة الله له
بالهداية الى ذلك وقوله ولهم خصايص حق الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة
رسول الله ص لها خصايص هي موجودة فيهم وشروط بها يتاهل الشخص لها ويستحقها وتلك الخصايص
ما نبهنا عليه من الفضايل الاربع الخلقية ولا شك في صدقه ع في ذلك فان هذه الفضايل وان
وجد بعضها او كلها في غيرهم فمنهم اخذ واليهم فيها انتسب ومثل قابس من البحر والوشل **قوله**
وفيهم الوصية والوراثة اشارة الى اختصاصه ع بوصية رسول الله ص واختصاص اهله بوراثته
وقيل اراد بالوراثة ما يراه هو انه اولى به من امر الخلافة وقوله الآن اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى
منتقله في بعض النسخ قد رجع وذلك اشارة منه عليه السلم الى ان الامامة كانت في غير اهلها وانه هو
اهلها والآن وقت رجوعها اليه بعد اشتغالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل معا آخر غير الامامة الا انها
المتبادرة الى الذهن من اللفظ ههنا وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم المعروفة بالشقشقية**

اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى الي
الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر
على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر
على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى
بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى: شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر فيا
عجبا بيناهو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء
يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم
وان اسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة
وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب

مع الاول

مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم
لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه
بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته
فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي
مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون كانهم لم يسمعوا
كلام الله سبحانه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ
النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا
سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي
من عفطة عنز قال وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل
ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس رضه يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت
فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فما اسفت على كلام قط
كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين بلغ منه حيث اراد **اقول** اعلم ان هذه الخطبة وما يجري مجراها
مما يشتمل على شكايته ع وتظلمه في امر الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فان جماعة من
الشيعة ادعوا ان هذه الخطبة وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة
من السنة بالغوا في انكار ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عنه ع شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا ومنهم
من انكر هذه الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي رضه والتصدر للحكم في هذا الموضع هو محل التهمة لاشارتين
وانا مجدد لعهد الله على انه لا احكم في هذا الكلام الا بما اجزم به او يغلب على ظني انه من كلامه او هو مقصوده
فاقول ان كل واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ من الشيعة
فهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها اصلا فهم في طرف التفريط اما ضعف كلام الاولين فلان
المعتبرين من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الالفاظ منقولا بالتواتر لما اختص به بعض
الشيعة دون بعض واما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه ع فمحمل انكارهم وحين احدهم انهم قصدوا
بذلك توطية العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة ليستقيم امر الدين
ويكون الكل على نهج واحد فيظهروا لهم انه لم يكن بين الصحابة الذين هم اشراف المسلمين وسادتهم خلاف
ولا نزاع ليقتدي بهم من يسمع ذلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو قصدوا الا انهم ان انكروا ذلك
عن اعتقاد انه لم يكن هناك خلاف بين الصحابة ولا منافسة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه
ظاهر البطلان لا يعتقده الا جاهل لسماع الاخبار لم يعاشر احدا من العلماء فان امر السقيفة وما جرى
بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي ع عن البيعة امر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يتقنع حتى قال اكثر
الشيعة انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد ستة اشهر كرها وقال مخالفوهم انه بايع ان تخلف

لما مع وجوده كان لا يقوم غيره القطب مقامه في موضعه ثم اكد ذلك بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار
لنفسه وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه وشرفه
مع فيضان العلوم والتدبيرات السياسية عنه واستعار لتلك الكمالات لفظ السيل واشار بانه لا يرقى اليه
الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اذ ليس كل مكان عال بحيث ينحدر عنه السيل او حيث لا يرقى اليه الطير
فكان ذلك علوا ازيد كما قال ابو تمام * مكارم لجت في علو كانما * تحاول ثارا عند بعض الكواكب **قوله**
فسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها واما لفظها بحجاب الاعراض عنها واستعار لذلك الحجاب
لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيل لها منزلة المأكول الذي منع
نفسه من اكله فلم يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاته عنها كما يفعل المعرض عمن الى جانبه قال طوى كشحه
عني واعرض جانبا **قوله** وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يريد انه جعل يجيل
الفكر في تدبير امر الخلافة واردده بين طرفي نقيض اما ان اصول على من حازها دوني او ان اترك وفي كل واحد
من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو غير جائز لما فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين من
غير فايدة واستعار وصف الجذاء لعدم الناصر ووجه المشابهة ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم القدرة
على التصرف بها والصولة وكان عدم الناصر والمؤيد مستلزما لذلك لا جرم حسنت الاستعارة واما
الترك ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك في
غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول
ووجه المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها المطلوب كذلك اختلاط الامور هناك لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية
السلوك الى الله ووصف الطخية بالعمى ايضا على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن ليهتدي لمطالبه كذلك
هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولزومه ثم كنى عن شدة ذلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام
احوالهم وطول مدة ذلك باوصاف احدها انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث
ان المؤمن المجتهد في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك الاختلاط شدايد ويكدح فيها حتى يلقى ربه و
قيل يراد به مجتهد في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى ترجيح رايه في اختيار القسم
الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى والبقى لنظام الاسلام
ووجه الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلام من هذه المنافسة انما هو اقامة الدين واجراء قواعده على القانون
المستقيم ونظام امور الخلق كما هو المقصود من بعثات الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته
ومحاربته لمنافسيه في الامامة بغير ناصر تمنعه القيام به مع ذلك ففيها انشعاب امور المسلمين وتفرق
كلمتهم وثوران الفتن منهم خصوصا والاسلام غض لم ترسخ محبته في قلوب كثير الخلق ولم يطعموا حلاوته وفيهم
المنافقون والاعداء المشركون في غاية القوة من كل الاقطار لا جرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه الاحوال اثارة
الحرب والمنازعة لادائه ذلك الى ضد ما هو مقصود لحركته ومحاربته واما الصبر وترك المقاومة وان كان
فيه بحسب رايه ما ذكره من اختلال الدين فانه لو كان هو القائم بهذا الامر لكان انتظامه به اتم وقوامه به اكمل

الا انه اقل بالنسبة الى الاختلال الذي كان يحصل لو نازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشارحين من بعض
قوله فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى اراد ان الحال والحال كنايتان عن شدة ما اصبر منه من الاذى
والغبن بسبب ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده من الخبط في الدين بيد غيره **قوله** ارى تراثي نهبا
قيل اراد بتراثه ما خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فدك فانه يصدق عليها انها ميراثه لان مال الزوجة في حكم مال
الرجل وانه اشارة الى منع الخلفاء الثلثة اياها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو
صدقة وقيل اراد منصب الخلافة ويصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني
ويرث من آل يعقوب فانه اراد يرث علمي ومنصبي في النبوة فكان اسم الميراث صادقا على ذلك **قوله**
حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول ابا بكر وبفلان عمر واشار بالادلاء الى نص
ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى الدار الآخرة وسلوكه السبيل الذي لا بد منه
لكل انسان واما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة اولها * علقم ما انت
الى عامر * الناقض الاوتار والواتر * وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة وكان حيان صاحب
الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصونا من وعثاء السفر
لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه واراد ما بعد هاتين يومي على كورها ادأب وابيت
في الهواجر بين يومي هذا ويوم حيان اخي جابر وادعا قارا في نعمة وخفض ويروى ان حيان عاتب الاعشى
في تعريفه بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية قادته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول في
موضع رفع باسم الفعل والثاني بالعطف عليه واما الغرض التمثل بالبيت فقال السيد المرتضى رضه انه عليه السلام
اراد بذلك ان القوم لما فازوا بمقاصدهم ورجعوا بطلباتهم وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كالمحقر في حقه مكد
في نفسه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وافتراق شديد
فاستشهد بهذا البيت واستعار لفظ اليومين وكنى بهما عن حاله وحالهم ووجه المشابهة في هذا المثل ان حالهم
استلزم حصول المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله استلزم التعب كيومه على كور الناقة مسافرا
وقت ويحتمل ان يكون قد استعار يوم حيان لعهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوايد
الجسيمة والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وما لحقه فيه من مقاساة
الهموم ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما يشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول من المسار وما يشترك
فيه يوم كونه على كور الناقة ووقته بعد الرسول من المضار **قوله** فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها
لآخر بعد وفاته اشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة هو قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب هنا ان طلب
ابي بكر الاقالة من هذا الامر انما هو لثقله وكثرة شرائطه وشدة مراعاة اجزاء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم
واهوائهم على قانون واحد وخوفه ان يقربه مطايا الهوى فيرديه في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما
كانت مدة ولايته لهذا الامر اقصر كان خوفه اقل وكانت متاعبه ايسر واسهل وسبيل طالب
الاقالة من هذا الامر واستثقاله ومقتضى طلبه لذلك ان تجري على متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص منه مهما امكنه ذلك

فاذا راينا متمسكا بهذا الامر في حيوته وعند وفاته يعقده لآخر بعده فيحتمل مضار هذا الامر في حال الحيوة وبعد
الوفاة فلابد وان يتعجب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فيصير ذلك الظن مقابلا لما اشتهر عنه من الطاعة
وذلك محل التعجب وهذا بخلاف من اشتهر بالفسق والنفاق فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله **قوله** لشد ما
تشطرا ضرعيها اللام للتاكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد والجملة من تمام التعجب وفيه
استعارة لفظ الضرع هنا للخلافة وهي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة ان الشطر من الضرع
ذا الانتفاع الحاصل منها والمقصود وصف اقتسامهما لهذا الامر المشبه لاقتسام الحالبين اخلاف الناقة باشد
على من يعتقد انه احق بها منهما او على المسلمين الذين يسهون الا ولاء بها وقوله فصيرها في حوزة خشناء كنى بالحوزة
عن طباع عمر فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام والتسرع الى الغضب وذلك معنى خشونتها
قوله يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهو كناية عن غلظ المواجهة
بالكلام والجرح به فان الضرب باللسان اعظم من وخز السنان والثاني جفاوة المس وهي كناية عن
خشونة طباعه التي تمنع من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كما يستلزم مس الاجسام الخشنة **قوله** ويكثر العثار
والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعاود النظر فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى
الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي انه امر برجم امراة زنت وهي
حامل فعلم علي عم بذلك فجاء اليه وقال له ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها دعها حتى تضع ما في
بطنها ثم ترضع ولدها فخلاها فقال عمر لو لا علي لهلك عمر وترك ذلك وما روي انه امر ان يؤتى بامراة لحال اتهمت
بذلك وكانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهضت جنينا فجمع جماعة من الصحابة وسالهم ماذا يجب عليه فقالوا انت
مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء فراجع عليا عم في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان
ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطاوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة فقال لا عشت لمعضلة
لا تكون لها يا ابا الحسن ومثل ذلك وامثاله غلبة القوة الغضبية وغلظ الطبيعة **قوله** فصاحبها كراكب الصعبة
ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر واخلاقه
والمراد على هذا الوجه ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجة الى المداراة وفي صعوبة حاله كراكب الصعبة ووجه
المشابهة ان راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشديدة في مداراة احوالها فهو معها بين خطرين ان والى الجذبات
في وجهها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد تقحمت به المهالك كذلك مصاحب اخلاق الرجل المبتلى
بها ان اكثر عليه الانكار فيما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقته وفساد الحال بينهما وان سكت عنه وتركه وما يصنع
ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كل من تولى
امرها اذا كان عادلا مراعيا للحق الله ووجه شبهه براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة يضطر الى الكلفة الشديدة
في مداراة احوال الخلق ونظام امورهم على القانون الحق وان لم يسلك بهم طريق العدل المحفوف بطرفي التفريط
والتقصير المشبه لاسلاس قياد الصعبة وطرف الافراط في طلب الحق والاستقصاء الذي يشبه شنقها
فان المتولي لامر الخلافة ان فرط في المحافظة على شرائطها واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة كان به الصعبة

الى محن

الى محن حتى فعل به ما فعل وكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها وان افرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق
والبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه اوجب ذلك تنفرهم منه ونفار طباعهم وتفرقهم عنه وفساد الامر عليه لميل
اكثرهم الى حب الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان صعب فيكون في ذلك كمن اشنق للصعبة التي هو راكبها حتى خرم
انفها وهو من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه وشبه براكب الصعبة لانه بين خطرين اما ان
يبقى ساكتا على طلب هذا الامر والقيام فيتقحم بذلك في موارد الذل والصغار كما يتقحم راكب الصعبة المسلس لها
قيادها واما ان يقوم فيه ويشدد في طلبه فيتشعب امر المسلمين بذلك ويشق عصاهم فيكون في ذلك كمن اشنق
لها فخرم انفها والاول اليق بسياق الكلام ونظامه والثاني اظهر والثالث محتمل **قوله** فمني الناس لعمر والله
بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل وحركاته التي كان يتهما عليه وكني بالخبط
عنها وبالشماس عن جفاوة طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن انتقاله من حالة الى اخرى في اخلاقه وهي
استعارات وجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضه في الطريق حركات غير منظومة
فاشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل التي ابتلي الناس بها ولا شك انه كان صعبا عظيم السطوة والهيبة
وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس لم اظهرت قولك في مسئلة العول بعد موت عمر فقال هبته وعمر
مما قال ابن عباس وكان رجلا مهيبا وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس من اضطراب الامر وتفرق الكلمة
وجري امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف ذلك بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر
مع الاول من ذكر امرين احدهما طول مدة تخلف الامر عنه والثاني شدة المحنة بسبب فوات حقه وما يعتقده
من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجرائه على قوانين الصحيحة ولكل واحد من هذين الامرين
حصة في استلزام الاذى الذي يحبس في مقابلته الصبر **قوله** حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم
اقول حتى هنا لانتهاء الغاية والغاية لزوم تالي الشرطية لمقدمها اعني جعله لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة
الى اهل الشورى وخلاصة حديث الشورى ان عمر لما طعن ودخل عليه وجوه الصحابة وقالوا لو عهدت لك ان تعهد
عهدك اما الرجل وتستخلف رجلا ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا تشير علينا فقال
اما ان اشير فان احببتم قبلتم فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا الامر سبعة نفر سمعت رسول الله يقول انهم
من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
وطلحة والزبير وعثمن وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه وفظاظته واما من عبد الرحمن فلانه فارون هذه الامة
واما من طلحة فكبره ونخوته واما من الزبير فشحه ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الامر الا رجل
واسع الصدر واما من عثمن فحبه لقومه وعصبيته لهم واما من علي فحرصه على هذا الامر ودعابة فيه ثم قال يصلي
صهيب بالناس ثلثة ايام وخلوا الستة في نوبت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى
رجل فاقتلوه وان استقر امر ثلثة وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فاحتكموا
الثلثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ويروى فتحاكموا الى عبد الله بن عمر فاي الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق
الآخر فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لي ولابن عمي من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه

على ان يختاروا رجلا هو خيرهم لهم فقال القوم رضينا بخيرتنا فانه اتهم في ذلك وقال اري وانظر فلما ايس من رضى علي
رجع الى سعد فقال له هلم فلنعين رجلا ونبايعه فان الناس يبايعون من بايعته فقال سعد ان بايعك عثمان فانا لكم
ثالث وان اردت ان تولي عثمان فعلي احب الي فلما ايس من سلطان وعظه سعد كف عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين رجلا
من الانصار يحثهم على التعيين فاقبل عبد الرحمن على علي عليه السلام واخذ بيده وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب الله
وسنة رسوله وسيرة الخليفتين ابي بكر وعمر فقال على ان ابايعك على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد
رايي فترك يده ثم اقبل على عثمان فاخذ بيده وقال له مثل مقالته لعلي فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلاث مرات
كل يجيبه بما اجاب به اولا فعند ذلك قال عبد الرحمن هي لك يا عثمان وبايعه ثم بايعه الناس وفي بعض النسخ زعم انه
سادسهم ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى والواو اما زائدة او عطف على محذوف
ايضا كانه قال فيا لله وللشورى او للشورى ونحوه والاستفهام عن وقت عروض الشك لاذهانهم
الكلي في ان الاول بل يساويه في الفضل او لا يساويه استفهاما على سبيل الانكار والتعجب من عروضه
لاذهانهم الى غاية ان قاسوه بالخمسة المذكورين وجعلوهم نظراء واشباها له في المنزلة واستحقاق هذا الامر
قوله لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا استعارة لاحوال الطائر من الاسفاف والطيران لاحواله
من مقارنته لهم وتصرفه على قدر اختيارهم اولا واخرا قوله فصغى رجل منهم لضغنه اشارة الى سعد
ابن ابي وقاص فانه كان منحرفا عنه وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل عثمان وقوله ومال الاخر لصهره اشارة
الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمان للمصاهرة كانت بينهما وهي ان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة
ابن ابي معيط وهي اخت عثمان لامه اروى بنت كريز وقوله مع هن وهن يريد ان ميله ليس لمجرد المصاهرة
بل لاشياء اخرى يحتمل ان يكون نفاسة علي وحسده له بوصول هذا الامر اليه او غير ذلك وقوله الى ان قام ثالث
القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه اراد به عثمان وكنى بنفاجه عن حركته في ولايته امر الخلافة واثبت له حال المستلزم
تشبيها بالبعير ينفخ جنباه لكثرة الاكل كك المتوسع في الاكل والشرب وربما قيل ذلك للمتكبر المشمخر بانفه
كك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقيام اي قام بين معلفه وروثه وهو من اوصاف البهائم ووجه استعارته
ان البعير او الفرس لا اهتمام له اكثر من ان يكون بين الاكل والروث كك هنا الى انه لم يكن اكبر همه الا التوفر
والتوفر في المطعم والمشرب وساير مصالح نفسه واقاربه دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما
نقم عليه قوله وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع يخضمون في موضع الحال وعنى بمال الله
بيت المال واراد بني ابيه بني امية بن عبد شمس ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بني ابيه تغليبا المذكورة
وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم بمال المسلمين من يد عثمان وقد نقلت عنه من ذلك صور احدها انه رد الى اربعة نفر
من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار وثانيها انه لما فتح افريقية اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار
ويروى خمس افريقية وثالثها روي من عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه بمال عظيم من البصرة فجعل
يفرقه في ولده واهله وكان في ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما راى فقال له
لا تبك فان عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطي اهلي وقرابتي ابتغاء وجه الله ورابعها روي انه ولى

الحكم

الحكم بن ابي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلثمائة الف فوهبها له حين اتاه بها وخامسها روي ابو مخنف
ان عبد الله بن خالد بن اسيد قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثمائة الف ولكل واحد منهم بمائة الف
وصك بذلك على عبد الله بن الارقم وكان خازن بيت المال فاستكثره ورد الصك فقال له عثمان ما
حملك على رده وانما انت خازن قال كنت اراني خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك والله لا الي لك بيت
المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمان الى مولاه نايل وروى الواقدي ان عثمان امر زيد بن ثابت
ان يحمل من بيت المال الى عبد الله بن الارقم عقيب هذا الفعل ثلثمائة الف درهم فلما دخل عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير
المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به
على عيالك فقال عبد الله ما لي اليه حاجة وما عملت ان يثيبني عثمان فان كان هذا من بيت المال فما بلغ قدر عملي
ان اعطى ثلثمائة الف درهم وان كان من ماله فلا حاجة لي به وبالجملة فاحداثه لاهله مشهورة وقد شبه
خضمهم لمال الله بخضم الابل نبتة الربيع ووجه التشبيه ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة وتملأ
منه احناكها وذلك لمجيئه عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء ومع ذلك طيبه ونضارته كان ما اكله اقارب
عثمان من بيت المال شبيها بذلك من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب فقرهم وفي ذلك كله في معرض الذم والتوبيخ
المستلزم لارتكاب مناهي الله المستلزم لعدم التاهل لامر الخلافة قوله الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه
عمله وكبت به بطنته اشارة الى غاية من قيامه في الحال المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو برم الحبل لما
كان يبرمه من الراي والتدبير ونسبته به دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض ذلك
التدابير ورجوعها عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على مجاز في الافراد والتركيب اما في
الافراد فلان استعمال الاجهاز انما يكون حقيقة في قتل تقدم جرح المقتول او اثخان بضرب ونحوه ولما كان
قتل عثمان مسبوقا بطعن اسنة الالسنة والجرح بحد او سيوفها لا جرم اشبه حكم الاجهاز فاطلق عليه لفظه واما
في التركيب فلان اسناد الاجهاز الى العمل ليس حقيقة لصدور القتل عن القاتلين لكن لما كان عمله هو السبب الحامل
لهم على قتله صح اسناد الاجهاز اليه اسنادا للفعل الى السبب الفاعلي الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز وكذلك
قوله وكبت به بطنته مجاز ايضا في الاسناد والتركيب وذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد الى الحيوان
ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت عليه وتوسعه في بيت المال المكني عن ذلك بالبطنة واستمراره على ذلك
مدة خلافته سببا لتشبيه ركوب الفرس واستمرار شبيها سببا من العثار والكبو كانت البطنة مشبهة بمركوب
من هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا قوله فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من
كل جانب الى متعلق بمحذوف تقديره مقبلون الي وفاعل راعني اما الجملة الاسمية وهو مقتضى قول الكوفيين
اذ جوزوا كون الجملة فاعلا او ما دلت عليه هذه الجملة وكانت تقديره من المصدر اي فما راعني الا اقبال الناس
الي وهو قوي مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين
وينثالون اما خبر ثان لمبتدأ او حال عن راعني والعامل في الى ما اشاره الى وصف ازدحام
الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمان وقد شبههم في اجتماعهم اليه وازدحامهم عليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع ذات

عرف كثير قايم الشعر والعرب تسمي الضبع عرفا لعظم عرفها فكان حال الناس في اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا
قياما يشبه عرف الضبع **قوله** حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي اشارة الى غاية ازدحامهم عليه حتى وطئ
ولديه الحسن والحسين عليهما السلم وشق ردائه بالجذب عند خطابه والجلوس على جانبيه واما على الرواية الاخرى
فالمراد بالشق اما الاذى الحاصل للصدر والمنكبين او شق قميصه بالجلوس على جانبيه واطلاق لفظ العطفين
على جانبي القميص مجاز اطلاقا لاسم المجاورة او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان يكون امراؤهم كسايرهم
في ظهر التوقير والتعظيم في المخاطبات وغيرهم ذلك اما فرحا به او لحافه طبايع رعاياهم وحكى السيد المرتضى رح
ان ابا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله وطئ الحسنان انهما الابهامان وانشد للشنفري **قوله**
مهضومة الكشحين خرماء الحسن [illegible] وروى ان امير المومنين ع انه كان يومئذ جالسا محتبيا وهي جلسة رسول الله صلعم
المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه وشقوا ذيله
بالوطئ ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلم وهما رجلان كساير الحاضرين وهذا القول يويده الرواية الاولى واعلم
ان ارادته بالحسن والحسين اظهر **قوله** مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين منصوب على الحال كالذي قبله والعامل
واحدا ويقول وطئ وشق وقد شبه اجتماعهم حوله بربيضة الغنم ووجه التشبيه ظاهر ويحتمل ان يلاحظ في وجه
التشبيه مع ايشه زيادة وهي انه شبههم بالغنم لغفلتهم عن وضع الاشياء في مواضعها وقلة فطنتهم وعدم
استعمالهم للادب معرا ومطلقا والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة **قوله** فلما نهضت بالامر نكثت
طايفة ومرقت اخرى وفسق آخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما عليه
لكن بيعتهما ممن بايعه وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او الفاسقين اصحاب معوية وهذه الاسماء سبقت
من الرسول صلعم اذ حكى في موضع آخر اخبره بانه سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده وانما خص
الخوارج بالمروق لان المروق هو مجاوزة السهم عن رميته وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا مشتغلين في سلك
الحق الا انهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وجاوزوه لاجرم حسن ان يستعار لهم لفظ المروق لمكان
المشابهة وقد اخبر الرسول صلعم عنهم بهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية واما تخصيص
اهل الشام بالقاسطين فلان مفهوم الفسق او القسط هو الخروج عن سنن الحق وقد كانوا كذلك لمخالفتهم عليه السلم
والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين عليهم لذلك **قوله** كانهم لم يسمعوا الله تعالى يقول تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين شبه اذهان الطوايف الثلث
المذكورة ومن عداه بحيل ان الحق في سلوك مسالكهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب
للعلو والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في الارض بالفساد والاعراض عن الدار الآخرة وحسن لاجل ذلك الزامهم
ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين فيقولوا لعله قارب لو سمعنا هذه الاية ووعيناها لما ارتكبنا هذه
الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها لينتج نقيض مقدمها وتقديره عليه السلم
لهذا العذر لهم على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة عما فعلوه ثم اراد ع تكذيبهم في ذلك العذر على
تقدير اعتذارهم به فاشار الى تكذيب النتيجة بوضع نقيضها موكدا بالقسم البار والى منع لزوم هذه المتصلة

بقوله

بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وبيان ان وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم
تاليها مطلقا بل استلزامه له موقوف على زوال مانع هو حاصل لهم الآن وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها
واعجابهم بها وعلى تقدير حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب
ما ارتكبوه من الافعال **قوله** اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله
على العلماء الى آخره **اقول** لما ذكر من حال القوم وحاله معهم ما ذكر من الشكاية والتظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما
انتهى اليه من الحال التي اوجبت نزوله عن مرتبته الى ان قرن بالجماعة المذكورين اردف ذلك ببيان الاعذار
الحاملة له على قبول هذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك بهذا القسم العظيم بما ابدع
الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان الوصف الاول قد ورد في القران الكريم وهو قوله
فالق الحب والنوى وانما خص الحبة والنسمة بالتعظيم بالنسبة الى الله تعالى لما يشتملان عليه مع لطف الخلقة
وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدايع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم اما فلق الحب ففيه قولان الاول وهو قول
ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله فلق الحبة كقوله فطر الخلايق بقدرته
الثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي في وسطها وتقدير هذا القول ان
الحبة من الحنطة مثلا لما كانت من غايتها ان يكون شجرة مثمرة ينتفع بها الحيوان جعل الله سبحانه في وسطها ذلك
الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت بها مدة من الزمان جعل سبحانه الطرف الاعلى من ذلك
الشق مبدأ لخروج الشجرة الصاعدة الى الهوا والطرف الاسفل مبدأ للعروق الهابطة الى الارض التي
منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهدة بوجود المدبر الحكيم احدها ان طبيعة تلك الحبة
ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهوا وعلى العكس فلما تولد
منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس لمجرد الطبيعة بل بمقتضى الحكمة الالهية وثانيها ان ثبات اطراف
تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بادنى قوة لصارت كالماء ثم انها مع غاية
تلك اللطافة تقوى على خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه
الاجرام اللطيفة الضعيفة لا بد وان يكون بتقدير العزيز الحكيم وثالثها انك قد تجد الطبايع الاربع حاصلة
في الفاكهة الواحدة كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره
حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة عن الحبة الواحدة لا بد وان يكون بتقدير الفاعل الحكيم ورابعها
انك اذا نظرت في ورقة من اوراق الشجرة المبدعة عن الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع
بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن الشعب شعب اخرى الى ان تدق
وتخرج تلك الخطوط عن ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك لتقوى القوة الجاذبة المركوزة في جرم
تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة واذا وقفت على عناية الله سبحانه
في تكوين تلك الورقة الواحدة علمت ان عنايته في جملة الشجرة اكمل وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا
علمت انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوانات علمت ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود

من خلق الحيوان انما هو الانسان على ان الانسان هو اعز المخلوقات في هذا العالم عند الله واكرمه عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم الآية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما النعم فذلك في مطالعة عجائب صنع الله في بدن الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا الى طرف من ذلك في الخطبة الاولى واذا عرفت ذلك فاعلم انه عم ذكر من تلك الاعذار ثلاثة احدها حضور الحاضرين للبيعة وانه قد قام الحجة عليه بوجود الناصر لدفع طلب الحق لو ترك القيام الثالث ما اخذ الله على العلماء من العهد على انكار المنكرات وقمع الظالمين ودفع الظلامات عند التمكن والعذر ان الاولان هما شرطان في الثالث اذا يتعين ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة ظلامته قوله لالقيت حبلها على غاربها استعارة وصف من اوصاف الناقة للخلافة او للامة كنى بها عن تركها والاهمال لامرها كما يهمل الناقة واستعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا يلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة واصله ان الناقة يلقى زمامها على غاربها وتترك ترعى قوله ولسقيت آخرها بكاس اولها استعار لفظ السقي لتركه المذكور ايضا ورشح تلك الاستعارة بذكر الكاس ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس لما كان مستلزما لوجود السكر غالبا وكان اعراضه لازما مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الفتنة العمياء المستلزمة لحيرة كثير من الخلق وضلالهم الذي يشبه السكر واشد منه لاجرم حسن ان يعبر عن ذلك الترك بالسقي بالكاس قوله ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف على ما قبله ويفهم منه انه عم طلب للدنيا ولا عنده فيه الا ان طلبه لها والحرص على الامرة فيها ليس انما هي بل لما ذكرنا من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل الماخوذ على العلماء كما اشار اليه ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولم يحضر الحاضر ولم يقم الناصر ولم يوخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر اذا تمكنوا لتركت اخرا كما تركت اولا ولوجدتم دنياكم هذه اهون عندي مما فيه وهو عفطة العنز واما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فاراد باهل السواد سواد العراق قال ابو الحسن الكيدري ره وجدت في الكتب القديمة ان الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين عم كان فيه عدة مسائل احدها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب فاجاب عم بانه يونس بن متى عم خرج من بطن الحوت الثانية ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال عم هو نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده الثالثة ما العبادة التي ان فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق ايضا العقوبة فاجاب بانها صلوة السكارى الرابعة ما الطائر الذي لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال هو طائر عيسى عم في قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فيكون طيرا باذني الخامسة رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف درهم فقال عليهما الحول فالزكوة على اي المالين يجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان ضمنه من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادسة حج جماعة ونزلوا في دار من دور مكة واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال عم على الذي اغلق الباب ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء السابعة شهد شهود اربعة على محصن بالزنا فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة الباقين ووافقهم قوم اجانب في الرجم فرجع من رجمه

عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته فقال يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه الثامنة شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه اسلم فهل يقبل شهادتهما ام لا فقال لا يقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة الزور التاسعة شهد شاهدان من النصارى على نصراني او مجوسي او يهودي انه اسلم فقال يقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الآية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد شهادة الزور العاشرة قطع انسان يد آخر فحضر اربعة شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده وانه زنى وهو محصن فاراد الامام ان يرجمه فمات قبل الرجم فقال على من قطع يده دية يده حسب ولو شهدوا انه سرق نصابا لم يجب دية يده على قاطعها والله اعلم

ومن خطبة له عليه السلم بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب راي امرئ تخلف عني ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظما اقول روي ان هذه الخطبة خطبها امير المؤمنين عم بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شيء اعلاه والسرار الليلة والليلتان يكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر ويخفى والوقر الثقل في السمع وخصت الامر فيه والواعية الصارخة والنباة الصوت الخفي والسمة العلامة وسنن الحق وجهه وطريقه وماهت البئر خرج ماؤها وعزب اي غاب واوجس احس ووحس والظما العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه عم وهي مع اشتمالها على كثرة المقاصد الواعظة المحركة للنفس في غاية وجازة اللفظ ثم من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها يصلح ان يفيد على سبيل الاستقلال وهي على ما ذكره من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض قوله بنا اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى آل الرسول عم والخطاب لحاضري الوقت من قريش والمخالفين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم بانوار الدين وما انزل الله من الكتاب والحكمة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وتلك الهداية هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك الى حضرة قدسه وقوله تسنمتم العلياء اي بتلك الهداية وشرف الاسلام علا قدركم وشرف ذكركم ولما استعار وصف السنام للعلياء ملاحظة لشبهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهي ركوب السنام وكنى به عن علوهم قوله وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر ولفظ الانفجار عن خروجهم من ذلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك لتشبيههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاشتهار قوله وقر سمع لم يفقه الواعية التفات الى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته على ان يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء والدعاة الى الله وحق لمثلك السمع ان يكون اصم اذ كانت الفائدة منه المقصودة من الحكمة الالهية الكتاب النفس

من جهة ما يكون سببا لكمالها وتوقفها على الوصول الى جناب الله وساحل عزته فاذا كانت النفس معرضة عما يحصل
من جهته من الفايدة وربما كانت مع ذلك متلقية منه ما يرديه من الشرور الجاذبة لها الى الحضيض السافل فحقيق
ان يكون موتورا ومن رددى وقرئ على الم يسم فاعله فالمراد او فره الله وهو كلام على سبيل التمثيل او ورده
في معرض التوبيخ لهم والتبكيت بالاعراض عن اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفس اذ صاح فيهم بالكلمة
الحسنة والحث على الالفة وان لا يشقوا عصى الاسلام فلم يقبلوا ووجه نظام هذه الكلمة مع ما قبلها انه
لما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم وانه ممن اكتسب من الشرف والفضيلة وكان ذلك في مقابلة تقاعدهم
واستكبارهم عن طاعته ارادف ذلك بهذه الكلمة المستلزمة للدعاء عليهم كيف لم يفقهوا اجابة للوجوه
الموجبة لاتباعه وبقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء لبعض تلامذته المعاند له المدعي مثل فضيلته
الذي هو اشد بعثت من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب لشرفك افتتكبر علي وقد بعثك لم لا تعقلوا
وتقبلوا **قوله** كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة استعار لفظ النباة لدعائه لهم وندائه الى سبيل
الحق والصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعارة على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة
دعاء الله ورسوله لهم وتقرير ذلك ان الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت القوي اذ من شان
الحواس ان لا يدرك الاضعف مع وجود الاقوى المماثل في الكيفية لاشتغالها به وكان كلامه في
اضعف في جذب الخلق وفي جذبهم له من كلام الله وكلامه مجرى الصوت القوي في حقهم وكلامه مجرى
الصوت الخفي بالنسبة اليه واسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة وكنى به عن بلوغ
تكرار كلام الله على اسماعهم الى حد انها مجته وملت سماعه بحيث لا يسمع بعده ما هو في معناه خصوصا ما هو
اضعف كما لا يسمع الصوت الخفي من اصمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد الاعتذار لنفسه في عدم
فايدة وعظه لهم والاعتذار لهم في ذلك ايضا على سبيل التهكم والذم ووجه نظامها مع ما قبلها انه لما
كان تقدير الكلام او سلوا قرب اسماعكم كيف لا تقبلون قولي التفت عنه وقال كيف يسمع قولي من سمع
كلام الله ورسوله على كثرة تكراره على اسماعهم وقوة اعتقادهم وجوب قبوله وكيف لا تحدثون بسماعه وقد
اصمهم نداء الله **قوله** ربط جنان لم يفارقه الخفقان دعا للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من
خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة والاطمينان والتقدير ربط جنان لغيره ومن روى
بضم الراء على ما لم يسم فاعله فالتقدير ربط الله جنانا لك وهو جذب لهم الى درجة الخائفين وتشويق
ملاحظة نواهي الله فيقيرا الى طاعته ووجه اتصاله بما قبله ان ذكر الشريف وصاحب الفضيلة في موضع
التوبيخ لمن يراد منه ان يسلك مسلكه ويكون لصفاته من اعظم الجواذب له الى التشبه به ومن احسن
الاستدراجات له كانه قال وكيف يلتفت الى قولي من لا يلتفت الى كلام الله لله در الخايفين من الله
المراعين لاوامره الوجلين من وعيده ما منكم لو تشبهتم بهم فرجعتم الى الحق وقمتم به قيام رجل واحد
قوله ما زلت انتظر بكم العذر وانوسمكم بحلية المغترين اشارة الى انه ع كان يعلم عاقبة امرهم اما باعلام
الرسول صلى الله عليه وسلم انهم بعد ستهم لا يعذرون به او لانه كان يلمح لهم من حركاتهم واحوالهم بحسب فراسته

الصادقة فيهم كما اشار اليه بقوله واتوسمكم بحلية المغترين وذلك لانه فهم انهم من اهل الغرة وقبول الباطل
من اول شبهة بما لاح له من صفاتهم الدالة على ذلك وكان علمه بذلك منهم مستورا لا يعلم بعذرهم بعده ونقضهم
لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم **قوله** سترني عنكم جلباب الدين وارد مورد الوعيد للقوم في خلافهم له ومخالفتهم
لامره والمعنى ان الدين حال بيني وبينكم وسترني عن اعين بصايركم لان تعرفوني بما اقوى عليه من العنف
بكم والغلظة عليكم وساير وجوه تقويمكم وردعكم عن الباطل وراء ما وقفني عليه الدين من الرفق والشفقة
وسحب ذيل العفو عن الجرايم فكان الدين غطاء حال بينهم وبين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب وروي
سترني اي عصم الاسلام مني دماءكم واتباع مدبركم وان اجيز على جريحكم وغير ذلك مما يفعل من الاحكام
في حق الكفار **قوله** وبصرنيكم صدق النية اراد بصدق نيته اخلاصه لله تعالى وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب
ذلك افيض على بصره بصيرته نور معرفة احوالهم وما يؤول اليه عاقبة امرهم كما قال النبي ص المؤمن ينظر بنور الله
قوله اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة يشير الى وجوب اقتفاء اثره والرجوع الى لزوم اشعة
انواره في سلوك سبيل الله واعلام لهم انه واقف لهم على سواء سبيل الحق وفي الطريق التي هي مزال
الاقدام يردهم عنها ويشبه ذلك في المثل المشهور عن رسول الله ص روي انه قال ضرب الله مثلا
صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور مرخاة وعلى راس
الصراط داعي يقول ادخلوا الصراط ولا تعوجوا قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب
المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن فنقول لما كان ع هو الواقف على اسرار الكتاب والمالك لجوامع
علمه وحكمته والمطلع على اصول الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي به الواقف على سبيل الله
والمقيم عليها ولما كان سبيل الله وصراطه المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان مستبينا ما فيها من الحدود
المقدمات مستجليا لمزال الاقدام فيها وما ينشأ فيها من الشكوك والشبهات كان بجبوحة المدينة لهذا
العالم بعد رسول الله ص هو الواقف على تلك الابواب المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد
المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان نواهيه والتذكير بعظيم وعيده والقايد لاذهان السالكين الحائرين
عنها وذلك حيث يلتقت اذهانهم في ظلمات الجهل فلا تبصر دليلا ولا سالكا سواه ويطلبون ما الحوه بالبحث والفحص
من اودية القلوب فلا يجدون بها ماء الا معه واستعار لفظ الاحتفار للبحث عن مظان العلم ولفظ الماء للعلم
كما سبق بيان وجه المشابهة **قوله** اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات البيان عن الحال التي
يشاهدونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم فسقوا عن امر ربهم وعن ما هو واضح من كمال فضله عليهم
بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروه من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي يحثهم على اتباعها فان كل هذه
الاحوال امور لا نطق لها مقالي فشبهها لذلك بالعجماء من الحيوان واستعار لها لفظها ووصفها لكونها ذات
البيان لان لسان حالها مخبر مثل مقاله ناطق بوجوب اتباعه وشاهد لهم ودليل على ما ينبغي ان يعملوه
في كل باب وذلك هو البيان فكانه ع انطق العجماء اذ عبر هو بلسان مقاله عما كانت تفيضه وتبينه
من نظر اليها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج ثمارك فان لم تجبك

وارا اجابتك اخبارا او كقولهم ايا بطلو تدلم تشفني قال سل من بدعي وقال بعضهم البجي صفة لمحذوف تقديره
الكلام البجي واراد بها ما ذكر في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا ينطق لما في الحقيقة ومع ذلك يستفيد
الناظر فيها اعظم الفوائد فهي ذات بيان عند اعتبارها قوله عزب رأي امرئ تخلف عني اشارة الى ذم
من تخلف عنه وحكم عليه بالسهو وعدم اصابة الرأي حال تخلفه عنه وذلك ان المتخلف لما فكر في اي الامور انفع
له ايكون من تابعيه والمتخلفين عنه ثم رأى ان التخلف عنه وفق له كان ذلك اسوء الآراء واقبحها فهو جهل
لمن اقدم على ذلك بغير رأي يحضره او لان الرأي الحق كان عازبا عنه وهو ذم في معرض التوبيخ للقوم على نحو
قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة قوله ما شككت في الحق مذ اريته بيان لبعض اسباب وجوب اتباعه
وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعدم الشك فيما اراه الله من الحق واضح فان نفسه القدسية من الكمال مستلزم
للاعتبار بكمال قوته على استثبات الحق الذي رآه وشدة جلائه له بحيث لا يعرض له شبهة فيه والاعتبار به
تستدل بذلك على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي هي منشأ ضعف اليقين قوله لم يوجس موسى
خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة ان لا يوجس خيفة
خوف والتقدير ولم يوجس موسى اشفاقا على نفسه اشد من غلبة الجهال والمقصود التشبه على ان الخوف الذي
يخافه منهم ليس على مجرد نفسه بل على اشد خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال
فتعمى طريق الهدى وتنسد مسالك الحق كما خاف موسى عم من غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وقيل ان اشفق فعل ماض والمعنى ان خوف موسى عم من السحرة لم يكن على
نفسه وانما خاف من غلبة الجهال فكأنه قال لكن اشفق او انما اشفق ودول الضلال كدولة فرعون واتباعه
الضالين عن سبيل الله قوله اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل المواقفة مفاعلة من الطرفين والخطاب
لمقابليه في القتال والمراد انه واقف على سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو
تنفير لهم عما هم عليه الى ما هو عليه قوله من وثق بماء لم يظمأ مثل نبه به على وجوب الثقة بما عنده اي انكم ان كنتم
الى قوله وثقتم به كنتم اقرب الى اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق بالماء اذا ومن
امن من العطش وخوف الهلاك وبعيد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عما اشتمل عليه من العلم المفيد
الهداية الى الله فانه الماء الذي لا ظمأ معه ومن كلام له عليه السلم ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة
وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة يغص
بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت
يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي
امه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اقول سبب
هذا الكلام ما روي انه لما تم في سقيفة بني ساعدة لابي بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع
الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون دمارا للدين فمضى الى العباس فقال له يا ابا الفضل
ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ

من بني

من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على علي ونبايعه بالخلافة وانت عم رسول الله وانا رجل مقبول القول في قريش
فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين عم فقال له ابو سفيان يا ابا الحسن لا تغافل
عن هذا الامر متى كنا نتبع الاراذل وكان عم يعلم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين بل للفساد الذي
رواه في نفسه فاجابه عم بهذا الكلام عرجوا اي ميلوا وانحرفوا والفلاح الفوز والنجاة والاجون تغير الماء
وفساده وغص باللقمة يغص نشب في الحلق وايناع الثمرة ادراكها واندمجت
على كذا انطويت عليه وسترته في باطني وباح بالشيء اظهره والطوي البئر والارشية جمع رشاء قوله شقوا
امواج الفتن بسفن النجاة شبه الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار لفظ الامواج وكنى بها عن حركة
الفتنة وهيجانها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هيجانهما في كونهما سببا لهلاك الخائضين
فيهما واستعار لفظ سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة من مهادنة او حيلة مخلصة او صبر ووجه
المشابهة كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذا جاد الطرق المذكورة طرقا الى السلامة من ثوران الفتنة والهلاك
فيها كما ان السفينة سبب للخلاص من امواج البحر قوله وعرجوا عن طريق المنافرة امرهم بالعدول عن طريق المنافرة
الى السكون والسلامة وما يوجب سكون الفتنة وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امر بطريق آخر من طرق
النجاة وهي ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير الاحقاد ويوجب قيام الفتنة ولما كان
اكثر ما ينتهي اليه ارباب الدنيا من المفاخرة هو لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والابوات الكريمة
والقينات الحسنة هي اسباب الافتخار الدنيوي ومثاره كانت المشابهة بينها وبين التيجان حاصلة
فاستعار لفظها لها وامرهم بوضعها قوله افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح لما نهاهم عن الفتنة وبين
ان المفاخرة والمنافرة ليستا طريقين محمودين اردف ذلك بالاشارة الى انه كيف ينبغي ان يكون حال
المتصدي لهذا الامر وكيف يكون طريق فوزه بمقاصده او النجاة له فحكم بالفوز لمن نهض بجناح واستعار لفظ
الجناح للاعوان والانصار ووجه المشابهة ظاهر فان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران والتصرف
وكانت الاعوان والانصار بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران في ميادينها لا جرم حصلت المشابهة
فاستعير لهم لفظ الجناح وحكم بالنجاة لمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملهما اسم الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على
قلة ناصره في هذا الامر وتقدير الكلام انه ليس الطريق ما ذكرتم بل الصواب فيما يفعل ذو الرأي في هذا الامر
انه اما ان يكون ذا جناح فينهض به فيفوز بمطلوبه او لا يكون فيستسلم وينقاد فينجو ويريح نفسه من تعب
المطالب قوله ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها تنبيه على ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر
والتغير والتنغص واشار الى امر الخلافة في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة ظاهر اذ عليهما مدار الحياة الدنيا
وامر الخلافة اعظم اسباب الدنيا فتشبهها بها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بها عنه ولما كان الاجون
للماء والغصص باللقمة مما ينغصهما ويوجب نفار النفس من قربهما وكانت المنافسة في امر الخلافة والتجاذب
والمنافرة بين المسلمين فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفر عنها وتنغيصها وعدم الالتذاذ بها
شبهه بالاجون والغصص باللقمة في تلك الامور وكنى بهما عنها لمشابهتها بذلك في قوة من استنهضه في هذا الامر

في هذا الامر من بني هاشم كما قال انما القوم سفينة وجرعة لا يستهنا شاربها **قوله** ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها
كالزارع بغير ارضه شبه عليه السلام ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر اما لعدم الناصر او لغير ذلك
وكني بمجتني الثمرة عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا لاشتراكهما في كونهما محلا للالتذاذ او نحوه
ثم شبه مجتني الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع
بغير ارضه في محل ان يمنع من ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بزرعه فكذلك مجتني الثمرة بغير وقتها لا ينتفع بها
فكذلك طلبه للخلافة في ذلك الوقت **قوله** فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت
شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة في حقه وورد في معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب هذا الامر
او سكت عنه فلا بد من ان يقال في حقه ونسب الى امر ففي القيام والطلب نسب الى الحرص على الامرة والاهتمام
بامر الدنيا وفي السكوت نسب الى الذل والعجز وخوف الموت واوهام الخلق والسنتهم لا تزال مولعة
بامثال ذلك بعضهم في حق بعض ذا لما فات **قوله** هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس
بالموت من الطفل بثدي امه ورد موردا التكذيب للاوهام الحاكمة في سكوته بجزعه اي بعدما يقولون واللتيا
والتي كنايتان عن الشدائد والمصائب العظيمة والحقيرة واصل المثل ان رجلا تزوج امرأة قصيرة صغيرة الخلق
فقاسى منها شدائد فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من القصيرة فطلقها وقال بعد اللتيا
والتي لا اتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للداهية الكبيرة والصغيرة وتقديره هذه البعد ملاقاة كبار الشدائد
وصغارها انسب الى الجزع من الموت بعدما يقولون ثم اكذبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار انه
آنس بالموت من الطفل بثدي امه وذلك امر بين من حاله عليه السلام اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله
ورئيس الاولياء وقد عرفت ان محبة الموت والانس به امر متمكن من نفوس اولياء الله لكونه وسيلة
لهم الى لقاء اعظم محبوب والوصول الى الكمال المطلوب وانما كان آنس به من الطفل بثدي امه لان محبة الطفل
للثدي وانسه به وميله اليه طبيعي حيواني في معرض الزوال وميله الى لقاء ربه والوسيلة اليه ميل عقلي
باق فاين احدهما من الآخر **قوله** بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية
في الطوي البعيدة اشارة الى سبب جلي لتوقفه عن الطلب والقيام غير ما نسبوه اليه من الجزع والخوف
من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها وتطلعه الى نتائج الحركات
بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المرائي العالية فارتسمت فيها كما هي مما يوجب
توقفه عما يعلم ان خيره شر واسرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الامور بنظر
الرأي لا عن بصيرة قادته الى ذلك ثم نبه على عظم قدر العلم الذي اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم
اضطراب الارشية في الطوي البعيدة والجملة الشرطية في موضع الجر صفة العلم واشار باضطرابهم على ذلك
التقدير الى تشتت آرائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة والى من تنتهي وما يؤول اليه حال الناس
اذ كان ذلك مما وقفه الرسول صلى الله عليه وآله واعده لفهمه فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كان نافرا عن عمر واخرون
عن عثمان فضلا عن معاوية ومنهم من كان يؤهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها لابي بكر

كان

كان يرجوان تؤول اليه بعده اذا كان الامر كذلك فظاهر انه عليه السلام لو باح لهم بما علم من عاقبة هذا الامر لم يكن لهم
ذلك النظام الحاصل في ذلك الوقت بل يأس بعضهم من وصول هذا الامر اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفرتهم منه
ونفار آخرين من بني امية وما يكون منهم وشبه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير باضطراب الارشية في الطوي
البعيدة مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وذلك ان الطوي كلما كانت اعمق كان اضطراب الحبل فيها اشد
لطوله فكذلك حالهم اي لكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد وقيل اراد ان الذي منعني من المنافسة
في هذا الامر والقتال عليه هو شغلي بما انطويت عليه من العلم باحوال الآخرة وشاهدته من نعيمها وبؤسها مما لو
كشفته لكم لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة خوفا من الله وجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه
ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وهذا الوجه محتمل الارادة من هذا الكلام ولعل في تمام هذا الكتاب
لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه **ومن كلام له عليه السلام** والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم
حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي
المريب ابدا حتى يأتي علي يومي فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس
هذا **اقول** روى ابو عبيدة قال اقبل امير المؤمنين عليه السلام يريد الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما
فاشار عليه ابنه الحسن عليه السلام ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه هذا الكلام وروي في سبب نقضهما
لبيعته انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان لنا وميله الى بني امية مدة خلافته وطلبا
منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما حتى انظر ثم استشار عبد الله بن عباس فنهاه عن ذلك فعاوداه
فمنعهما فسخطا وخرجا ما خرجا [?] الاصمعي اللدم بسكون الدال ضرب الحجارة ونحوه على الارض وليس بالقوي ويحكى ان
الضبع تستغفل في جحرها بمثل ذلك فتسكن حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها انهم يصيحون في جحرها ويضربون
بايديهم بابه فتحسب الحجر شيئا تصيده فتخرج فتصاد ويقال انها من احمق الحيوان ومن بلغ من حمقها ان يدخل عليها
فيقال ليست هذه ام عامر او يقال خامري ام عامر فتسكن حتى يوثق رجلها بحبل معه لصيدها والختل الخديعة
والاستيثار بالشيء الانفراد به واشار اولا الى رد ما اشير عليه به من تأخر القتال ومفهوم الشرط انه لو تأخر
لكان ذلك سببا لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن على طول حيلة
صائدها فاقسم عليه السلام انه لا يكون كذلك اي لا يسكن على كثرة الظلم والبغي وطول دفاعه عن حقه ثم اردف
ذلك بما هو الصواب عنده وهو المقاومة والقتال بالجزاء لمن عصاه فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق
وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع وجه العاصي المريب ابدا وراعى المقابلة ههنا فالعاصي في مقابلة المطيع
والمريب في مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له ثم فسر الابد بغاية عمره لانه الابد الممكن له
وذلك قوله حتى يأتي علي يومي واشار بيومه الى وقت حضور الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم و
الشكاية في دفاعه عن هذا الامر والاستيثار به عليه المحوج له الى هذه المقاومات والشكايات
واشار الى مبدأ ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم البار والاشارة بالحق المدفوع عنه الى الخلافة
وهي شكاية مؤكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اتخذوا الشيطان لامرهم

ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه **قوله** ملاك الامر قوامه
به ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف ويجوز ان يكون جمع شرك
وهو حبائل الصائد للحبل واحبال والدب المشي الضعيف والدرج اقوى منه والخطل الفاسد من القول و
شركه في الشي وكان له شارك وهذا الفصل من باب المنافرة وهو ذم للمنابذين له والمخالفين عليه فاشار
اولا الى انهم اسلموا نفوسهم لشياطينها الى ان جعلوها مدبرة لامورهم فيها قوام احوالهم وعزلوا عقولهم عن تلك المرتبة
فهم اولياؤهم كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض
لوازم تملك الشيطان لامورهم بقوله واتخذهم له اشراكا وذلك انه اذا ملك امورهم وكان جعلها بتدبيره
صرفهم كيف شاء واستعمال الاشراك هنا على تقدير كونها جمع شرك استعارة حسنة فانه لما كانت فايدة
الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هولاء القوم بسبب ملك الشيطان لارائهم وتصرفه فيهم على حسب حكمه
اسبابا لدعوة الخلق الى مخالفة الحق ومنابذة امام الوقت وخليفة الله في ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم
الخلق بالسنتهم واموالهم وجذبهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التي القاها اليهم الشيطان ونطق بها على
السنتهم فاستعار لهم لفظ الاشراك واما على التقدير الثاني فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم
فشبهه بالطاير الذي يبني عشه في وكرهم وصدورهم واستعار لفظ البيض والافراخ ووجه المشابهة
ان الطاير لما كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه اشبه الشيطان في اقامته في صدورهم وملازمته لهم
وكذلك قوله ودب ودرج في حجورهم استعارة كنى بها ايضا عن تربيتهم للباطل وملازمة ابليس لهم وعدم
مفارقته لهم ونشوه معهم كما تربي الولد في حجر والديه وراعى في هذه القراين الاربع السجع ففي الاولين
السجع المسمى مطرفا وفي الاخريين المسمى متوازيا **قوله** فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه
تصرفه في اجزاء ابدانهم بعد القائهم مقاليد امورهم اليه وعزل عقولهم عن التصرف فيها بدون مشاركته
ومتابعته **قوله** فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل اشارة الى ثمرة متابعته وهي اصابة مقاصده فيهم
من الخروج عن اوامر الله في الافعال وهو المراد بارتكابه بهم الزلل وفي الاقوال وهو المشار اليه بتزيينه
لهم الخطل **قوله** فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى ان الافعال
والاقوال الصادرة عنهم على خلاف اوامر الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير في
سلطانه يعود الى من اي من قد شركه الشيطان في سلطانه الذي جعله الله له على الاعمال والاقوال و
انتصاب فعل على المصدر اما عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعل او عن قوله اتخذوا لانه في معنى
فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه وراعى في هاتين القرينتين ايضا السجع المطرف والله اعلم بالصواب
ومن كلام له عليه السلم يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر
بالبيعة وادعى الوليجة فليأت عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما خرج منه **اقول** الوليجة الدخيلة والامر
وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو مشتمل على تقدير حجة سابقة له عليه وصورة نقض تلك الحجة من الزبير

وصورة

وصورة جواب له عن ذلك اما الحجة فكانه عليه السلم كلما ادعاه الزبير عليه من لزوم البيعة له
فكان جواب الزبير ماحكاه عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية والتعريض في العهود
والايمان ونحوها وهما من الزبير ان ذلك امر بعقد الشريعة فاجابه عليه السلم بقياس حذف كبراه كما علمت من قياس
الضمير وهو ما اشار اليه بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اي اقر بما هو مقبول ومحكوم به وصار شرعا وادعى
انه اضمر في باطنه ما ينقضه من الوليجة فهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك احتاج في بيان
دعواه الى حجة تعرف صحتها فينتج انه محتاج الى حجة كذلك واشار الى هذه النتيجة بقوله فليأت عليها بامر يعرف
اي على دعواه الوليجة وهيهات له ذلك فان التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج به ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار
بقوله والا فليدخل فيما خرج منه امر له بالدخول في طاعته وحكم بيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على
برهان دعواه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل
ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر الفشل الجبن والضعف والاشارة الى طلحة والزبير واتباعهما
والكلام في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم له بالحرب يقال ارعد
الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال الكميت ارعد وابرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر ووجه الاستعارة
كون الوعيد من الامور المزعجة كما ان الرعد والبرق كذلك **قوله** ومع هذين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة
وذلك ان التهديد والتوعد قبل ايقاع الحرب والضوضاء والجلبة امارة الجبن والفشل والصمت والسكون
امارة الشجاعة كما اشار اليه في تعليم كيفية الحرب مخاطبا لاصحابه واميتوا اصواتكم فانه اطرد للفشل وروي
ان ابا طاهر الجنابي صبح جليبة عسكر المقتدر وهو في الف وخمسماية فارس والمقتدر في عشرين الفا
فقال لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال فشل قال اجل وكانت الغلبة له فاستدل عليه بتلك الامارة على الفشل
قوله ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اشارة الى نفي تلك الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات
الفضيلة لهم وكما ان حقيقة السحاب ان تقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه واسالته بامطاره كذلك
اقوالهم مقرونة بافعالهم لا خلف فيها واسالة عذابه مقرونة بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه يتهدده بالحرب
من غير قوة نفس ولا ايقاع لها فاشبه ذلك الرعد من غير ايقاع المطر والسيل من غير مطر فكانه قال كما لا يكون
سيل بلا مطر فكذلك ما يوعد فيه وعيد دون ان يقع الحرب بالشجاعة ولا قوة عليها وفي ذلك تعليم التحدي
ومن خطبة له عليه السلم الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي ما لبست
على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه **اقول**
هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة له عليه السلم لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اورد السيد
منه فصلا آخر وسنذكره بتمامه اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى الاستجلاب في معنى الجمع والبصيرة العقل
وافراط الحوض ملؤه بمعنى الاملاء والماتح بالتاء المستقي وربما يلتبس بالمايح وهو الذي ينزل البئر فيملأ
الدلو والفرق بينهما ان الماتح فوق المايح والصدور الرجوع عن الماء وغيره ويقابله الورود وهو العود
اليه ومدار هذا الفصل على ثلثة امور احدها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم والثاني الشهادة على فضيلة نفسه والثالث

الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله واراد ان ابعث لهم وجامع في مخالفة الحق انما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية وسوسته واضلاله فكل من خالف الحق ونابذه فهو من حزب الشيطان وجنده خيلا ورجلا واما الثاني فاشار اليه بكمال عقله وتمام استعداده لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه القدسية للشيطان فيما يلبس به على الحق من الشبه الباطلة في البصائر الضعيفة فيعميها بذلك عن ادراكه وتمييزه من الباطل سواء كانت في دعوة الشيطان وتلبيسه بغير واسطة وهو المشار اليه بقوله ما لبست على نفسي اي ما لبس على نفسي المطمئنة ما لبس على النفس الامارة او بواسطة وهو المشار اليه بقوله ولا لبس علي اي ان اعداء الحق لم يلبس البس وتلقف عن الشبه فصار في قوته ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي واما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه الى اخره واستعار افراط الحوض لجمع الجند وتهيئة اسباب الحرب وكنى بقوله انا ماتحه انه هو المتولي لذلك ولما كانت الحرب قد تشبه بالبحر وبالغمر استعار لها اوصافه فيقال فلان خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب جاز ان يستعار هنا لفظ الحوض وترشح تلك الاستعارة بالمتح والافراط والاصدار والايراد وفي تخصيص نفسه بالمتح تاكيد تهديد لعلمهم بباسه وشجاعته وقد حذف المضاف اليه في الحقيقة وتقديره انا ماتح ماءه اذ الحوض لا يوصف بالمتح ثم اردف ذلك بوصف شدائده لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن ان الوارد منهم اليه لا يخرج منه فهو بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر عنه وبقوله ولا يعودون اليه اي ان من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى فلا يردون الى ما عاد لهم مرة ثانية واكد ذلك الوعيد بالقسم البار واصل ايم ايمن جمع يمين حذف النون تخفيفا كما حذف في لم يك وقيل هو اسم براسه وضع للقسم وتحقيقه في مسائل النحو **ومن كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية** لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه **اقول** الناجذ السن بين الناب والضرس فقال الجوهري هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم انه عليه السلام اشار في هذا الفصل الى انواع اداب الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه ذلك بقوله تزول الجبال ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة محذوفة تقديرها لو زالت الجبال لا تزل وهو نهي عن الزوال مطلقا لان النهي عنه في تقدير زوال الجبال يستلزم النهي عنه في تقدير آخر بطريق الاولى اذ المقصد به المبالغة في النهي ثم اردف ذلك بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش عن الفشل والخوف ولا شك ان ثبات ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فانه اذا عض اضراسه سكن رعدته وتماسك بدنه الثاني ان الضرب مع ذلك في الراس لا يؤثر كثير اثر كما قال عليه السلام في موضع آخر وعضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف عن الهام وكان ذلك لما فيه من جمع القوة والتصلب الثاني ان يعير الله جمجمته وهي استعارة لطيفة وتشبيه الجمجمة بالآلة التي تستعار للانتفاع بها ثم ترد فالشجاع في دين الله وحزبه يجود بنفسه في هذا الوجه تشبيها له بالمعير قال بعض الشارحين وفي ذلك تنبيه له

على انه لا يقتل في تلك الحرب اذ ما اعير الله يرد اليه بكمال السلامة وفيه تثبيت لجاشه وربط لقلبه الثالث ان يلزم قدمه الارض ويجعله كالوتد وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش والثاني استصحاب العزم على الثبات الثالث ان ذلك مظنة الشجاعة وامارة الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره الرابع ان يرمي ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم على ماذا يقدم ولينظر الى المخاتل والمقاتل الخامس ان يغض بصره بعد مده وذلك لكونه علامة السكينة والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الرهبة وربما اخيف في البصر ايضا والنظر المحمود في الحرب ان يلحظ شزرا لحظ الحنق المترصد لفرصته كما قال عليه السلام في غير هذا الموضع والحظوا الشزر ثم لما ثبته بهذه الاوامر الخمسة امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليتاكد ثباته بثقته بالله عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم **ومن كلام له عليه السلام** لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك فقال عليه السلام اهوى اخيك معنا فقال نعم قال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا اقوام في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان **اقول** اهوى اخيك معنا اي محبته وميله **قوله** فقد شهدنا حكم بالحضور بالقوة او لحضور نفسه وهمته في تقدير محبته للحضور وكم انسان يحضر بحضور همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع اما باستجلاب الرجال او بتاثير الهمة في تفريق اعداء الله كما يفعله اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من الف ان لكثرة حاضرة وان قويت وعظمت **قوله** ولقد شهدنا في عسكرنا هذا اقوام في اصلاب الرجال وارحام النساء تاكيد لحضوره في القابل بالاشارة الى من سيوجد من انصار الحق الذابين عنه وعباد الله الصالحين شاهدون معه عليه السلام والشهادة شهادة بالقوة اي انهم موجودون في احكام المواد بالقوة ومن كان في قوة ان يحضر من انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود بالفعل في نصرته اذا وجد **قوله** يرعف بهم الزمان استعار لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان لوجودهم وفيه تشبيه الزمان بالانسان وانما نسب وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم ونحوه قول الشاعر وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا **وقوله** ويقوى بهم الايمان ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذم البصرة واهلها كنتم جند المراة واتباع البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كاني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم حتى كاني انظر الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر **اقول** هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد فتحها روي انه لما فرغ من امر الحرب لاهل الجمل امر مناديا ينادي في اهل البصرة ان الصلوة الجامعة لثلثة ايام من غداة اثنين ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة

كذا في النسخ
وعهدكم شقاق ودينكم نفاق

عن يمين المصلي فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي ص واستغفر للمؤمنين والمؤمنات و
المسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المراة
واعوان البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وماؤكم زعاق بلادكم انتن بلاد الله تربة وابعد
من السماء بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله كاني انظر الى قريتكم هذه وقد طبقها الماء
حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كانه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين
متى ذلك قال اذا صارت اجمتكم قصورا واعلم ان بعد هذا الفصل من الخطبة فصول لا تعلق لها بهذا الموضع
وربما تعلقت بفصول اوردها السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها ان شاء الله اصل البصرة الحجارة البيض
الرخوة وصارت علما للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها قيل انها بالمربد كثيرة وائتفكت البلدة باهلها انقلبت
بهم والمؤتفكة من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام هذه الخطبة والرغا صوت الابل خاصة والعقر
الجرح والدق من كل شيء حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والماء الزعاق المالح والنفاق الخروج من الايمان من باب
واصله ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل جحره فاذا اوتي من قبل بابه وهو القاصعاء
ضرب ذلك الموضع براسه فانتفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء فاشتق لفظ النفاق منه والزعاق
المالح وطبقها الماء عمها واستوعبها وجؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطاير واعلم انه ع ذكر في معرض
ذمهم امورا تسعة هنا على وجوه ارتكابهم للرذائل او لها كونها اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا ومعلوم ان
ائتفاك البلد باهلها وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم بذلك عذاب الله وقوله وعلى الله
تمام الرابعة دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم الثاني كونهم جند المراة واراد عايشة فانهم جعلوها عقد نظامهم
ولما كانت اقوال النساء وآراؤهن امورا مذمومة بين العرب وساير العقلاء لضعف آرائهن ونقصان
عقولهن كما قال الرسول ص انهن ناقصات عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان
شهادة ثنتين منهن بشهادة رجل واحد لتذكر احديهما الاخرى واما نقصان دينهن فلان احديهن تقعد
في بيتها شطر دهرها اي في ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان ميراثهن على النصف
من ميراث الرجال وكان مع ذلك مستترهن وتابعهن اضعف رايا منهن كما هو شان التابع بالنسبة
الى متبوعه لا جرم حسن توبيخهم بكونهم جند المراة واعوانا لها الثالث كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل
الذي كان تحت عايشة فانهم شاهدوه باتباعه مجيبين لرغائه وانهزامهم لعقره وهو اشنع من الاول
وادخل في الذم وكنى برغائه عن دعوتهم الى القتال اذ قدمت عليهم راكبته الرابع دقة اخلاقهم واشار
بها الى كونهم على رذايل الاخلاق دون ما هي الوسط ولما كانت اصول الفضايل الخلقية كما علمت اربعة
الحكمة والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الاراء المصلحية وهو طرف التفريط من الحكمة
العملية وعلى طرف الجبن وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الجور وهو طرف الافراط من ملكة
العفة والعدالة لا جرم صدق انهم على رذايل الاخلاق ودقاقها الخامس الشقاق في العهود والنكث لها
ومصداق ذلك نكثهم لعهده وخلافهم بيعته وذلك من الغدر الذي هو رذيلة بازاء ملكة الوفاء السادس

النفاق في الدين ولما كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لا جرم كانوا خارجين من الدين وربما كان
ذلك خطابا خاصا لبعض اذ المنافق الحقيقي هو الخارج من الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك خطابا
لمن كان منهم بهذه الصفة السادس ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم مالحا وسبب ملوحته قربه من البحر
وامتزاجه به ودخول ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة به مع كون مائهم
بهذه الحال المستلزمة لامراض كثيرة في استحالة كسوء المزاج والبلادة وفساد الطحال والحكة وغير ذلك
مما يذكره الاطباء ولان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير سوادهم السابع كونها انتن البلاد
تربة وذلك لركوب الماء لها وتعفنها به الثامن كونها ابعد البلاد من السماء وسنبين ذلك التاسع كونها بها
تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في وفورها دون الحصر وذلك انه لما عددها شرور الانكاد
يجتمع في غيرها حكم بان فيها تسعة اعشار الشر مبالغة كناية عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذائل
الخلقية المقابلة لاصول الفضايل النفسانية التي هي الحكمة والشجاعة والعفة والسخا والعدل اذ كل منها مقابل
برذيلتين كما علمت فتلك عشر رذايل واشبه ما يخرج عنهم منها ما يناسب غرضه هنا ذمهم به كالتبذير والجور
وهذا الاحتمال وان كان لطيفا الا ان فيه بعدا العاشر كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم
منهم لا بد وان ينخرط في سلكهم ويستعد لقبول مثل طباعهم وينفعل عن رذايل اخلاقهم فيكون مرتهنا بذنوبه
الحادي عشر كون الشاخص منهم متداركا برحمة من ربه وذلك لاعانة الله له بالخروج ليسلم من الذنوب التي
يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة ومثل ذلك في معرض التنفير عنهم والمفهوم من الرواية الثانية
وهي قوله المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه اذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه ان احتباس
منهم يجري مجرى العقوبة له بذنب سبق منه والخارج منها بعفو الله بخروجه وقد راعى في هاتين القرينتين
السجع المتوازي وكذلك في القرائن الاربع قبلها ثم اشار بعد ذلك الى ان بلدهم سيغرقها الماء وشبه قبته
بذلك ومشاهدته بنور بصيرته القدسية لمسجدهم مغمورا بالماء وقد طبق ارضهم بحيث يبدو منه الجؤجؤ على
والظهور وقد حكى توقيف الرسول ص على احوالهم في فصل آخر من هذه الخطبة وذلك انه عقب ذمه لاهل البصرة
وجوابه للاحنف في الفصل الذي ذكرناه قال ما ويلكم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل لاحد من امصار المسلمين
خطة شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله بمنه ما ليس لهم انتم اقوم الناس
قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكة وقاريكم اقرأ الناس وزاهدكم ازهد الناس وعابدكم اعبد
الناس وتاجركم اتجر الناس واصدقهم في تجارته ومتصدقكم اكرم الناس صدقة وغنيكم اشد الناس بذلا
وتواضعا وشريفكم احسن الناس خلقا وانتم اكرم الناس جوارا واقلهم تكلفا لما لا يعنيه واحرصهم على الصلوة
في جماعة ثمرتكم اكثر الثمار واموالكم اكثر الاموال وصغاركم اكيس الاولاد ونساؤكم اقنع النساء
واحسنهن تبعلا سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة اموالكم فلو صبرتم
واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا وظلا ظليلا غير ان حكم الله فيكم ماض وقضاؤه نافذ لا معقب
لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها

عقابا شيئا كان ذلك في الكتاب مسطورا واقسم لكم يا اهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ الا تذكير وموعظة
لما بعد لكي لا تسرعوا الى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين
ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتعريض بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فاني
لا اريد المقام بين اظهركم ان شاء الله لامور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني وبين الله لا عذر لي في تركها
ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد ان اخوضها مقبلا ومدبرا فمن اراد ان ياخذ نصيبه منها فليفعل فلعمري
انه للجهاد الصافي صفاه لنا كتاب الله ولا الذي اردت به من ذكر بلادكم موجدة مني عليكم لما شاققتموني
غير ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوما وليس معه غيري يا علي ان جبرئيل الروح الامين حملني على منكبه الايمن حتى
اراني الارض ومن عليها واعطاني اقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون الى يوم القيمة
ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر على ابي آدم علمه الاسماء كلها ولم تعلمها الملائكة المقربون واني رأيت بقعة على شاطئ
البحر تسمى البصرة فاذا هي ابعد الارض من السماء واقربها من الماء وانها لاسرع الارض خرابا واخبثها ترابا
واشدها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا وليأتين عليها زمان وان لكم يا اهل البصرة
وما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثم امور قبل ذلك
تدهمكم عظيمة اخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له ومن بقي فيها غير
مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد واما تشبيه ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر السفينة وفي الرواية
الاخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة بالطائر في لجة البحر فتشبيهات ظاهرة فاما وقوع ذلك
الغرق المخبر عنه فالمنقول انها غرقت في ايام القادر بالله ومرة في ايام القائم بامر الله غرقت
باجمعها وغرق من في ضمنها وخربت دورها ولم يبق منها الا مسجدها الجامع حسب ما اخبر به عليه السلم
وكان غرقها من قبل بحر فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل سنام وظن ان ذلك مصداق كلامه عليه السلم
وفي ذلك نظر وذلك لانه اشار الى ان ذلك الماء يتفجر من ارضهم بقوله واني لاعرف موضع منفجره
من قريتكم هذه فظاهر ذلك يقتضي انه لا يكون من ناحية اخرى والله اعلم **منها** في مثل ذلك ارضكم
قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائل
اقول السفه رذيلة تقابل الحلم وتعود الى الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم للماكول وقد علمت
ان قوله ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء ما حكاه عليه السلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الفصل المتقدم اما قرب
ارضهم من الماء فاشارة الى انها موضع في بطن مستفل من الارض وقريب من البحر وفي بعده ان يعلوه
ملاقاة دجلة وذلك مشاهد في دخول الماء حدائقهم وسقيه بساتينهم في كل يوم مرة او مرتين واما كونها
بعيدة من السماء فبحسب استفالها عن غيرها من الارض وقيل ان من ابعد موضع في الارض عن السماء
الابلة وان ذلك مما دلت عليه الارصاد وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال بعضهم ان كون
ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وانما الاشارة به الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة
التي عددها فهم كانوا بعداء عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي مستعدين لنزول العذاب و

يصدق

يصدق في العرف ان يقال فلان بعيد من السماء اذا كان كما ذكرناه **قوله** خفت عقولكم اشارة الى قلة
استعدادهم لدرك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن تدبير احوالهم وتسرعهم الى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي
وهو وصف لهم برذيلة الغباوة **قوله** وسفهت حلومكم اشارة الى وصفهم برذيلة السفه والخفة المقابلة
للحلم **قوله** فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائل وصفهم بهذه الاوصاف الثلثة لانه لما خفت عقولهم
وسفهت حلومهم ولذلك عقبها بها لان طمع القاصدين لهم بانواع الاذى انما ينشأ من العلم بقلة عقلهم لوجوه
المصالح وسفههم فينقصهم بحسن تدبيره والاول من هذه الاوصاف كناية عن كونهم مقصدا لمن يريد اذاهم
والثاني كناية عن كونهم في معرض ان يطمع في اموالهم ونعمتهم وما كلها من قصدا كلها والثالث عن كونهم بصدد ان
يفترسهم من يقصد قتلهم واهلاكهم واستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة فيها ظاهرة
وقد راعى في هذه القراين السجع ففي الاولين السجع المطرف وفي الاخيرين بعدهما وفي الثالث السجع المتوازي
ومن كلام له عليه السلم فيما رده على المسلمين من قطائع عثمن والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان
في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق **اقول** هذا الفصل من خطبة خطبها
بالمدينة لما قتل عثمن وبويع له وقد وردتها بزيادة ونقصان واول هذا الفصل من الخطبة الا ان
كل قطيعة قطعها عثمن او مال اخذه من بيت مال المسلمين فمردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد
تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه وستورد الخطبة بتمامها
واحد الفصول التي يحكى منها ان شاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم المؤكد بالقسم على رد
القطائع التي كان عثمن اقطعها اقاربه ثم نبه المنتفعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم
في رد ما اقطعوه ولكن بسعة عن اقتضاء امر العدل رد ذلك وغيره من المظالم فعليهم ان يدخلوا في مقتضى
اوامر الله وعدله فان فيه سعتهم اذ به نظام العالم باسره وهو محل لرضا المظلوم بايصال حقه اليه ولرضا
الظالم لعلمه بانه عند الانتزاع منه اخذ ما ليس له وما كان ذلك العلم بالوجه الصادق فهو دافع شيطانه
حال انتزاع الظلامة منه ومن ضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض بمقتضى العدل عليه فالجور عليه
اضيق في الدنيا والآخرة لانه ربما انتزعت منه قهرا وكان جوره سببا لتضييق عليه في ذلك ولان
الاوامر والنواهي الالهية محيطة به سادة عليه وجوه التصرف الباطل ولانه اذا نزل عليه عدل اعتقد انه
قد اخذ منه ما ينبغي اخذه واذا نزل عليه جور اعتقد انه اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ
ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني والمعنى في الالفاظ التي
اوردناها من الخطبة قريب مما ذكرناه هنا غير ان الضمير في قوله فانه ان لم يسعه يعود الى المال
واعلم انه قد كان عثمن اقطع جماعة من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرا من ارض بيت المال وكذلك فعل
عمر ذلك مع قوم لهم وقائع مشهورة في الجهاد في سبيل الله ترغيبا في الجهاد لكن على اختلف عنها الا انه
لم يرد عليه السلم الا ما اقطعه عثمن وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول
رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات

على المسلمين ع

ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن
سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون
كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم ألا وإن الخطايا
خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها
أهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة حق وباطل ولكل أهل فلئن أمر الباطل لقديما فعل ولئن
قل الحق لربما ولعل ولقلما أدبر شيء فأقبل قال السيد الرضي رحمه الله إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع
الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان فإن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال التي
وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها إنسان ولا يعرف ما أقول إلا من ضرب
في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها إلا العالمون **أقول** في هذا الفصل فصول من
الخطبة التي أشرنا إليها في الكلام الذي قبله وكذلك في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها ليتضح
ذلك وهي الحمد لله أحق محمود بالحمد وأولاه بالمجد إلها واحدا صمدا أقام أركان العرش فأشرق
بضوئه شعاع الشمس خلق فأتقن وأقام فذلت له وطأة المستمكن وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالنور الساطع والضياء المنير أكرم خلق الله حسبا
وأشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة بل كان يظلم أما بعد فإن أول من بغى على الأرض
عناق ابنة آدم كان مجلسها من الأرض جريبا وكان لها عشرون إصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين
فسلط الله عليها أسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الأول فقتلها
وقد قتل الله الجبابرة على أسوأ أحوالهم وإن الله أهلك فرعون وهامان وخسف بقارون بذنوبهم
ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلى الله عليه وآله والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن
غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون
كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا اليوم وهذا المقام ألا وإن الخطايا
خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار رضخ فيها كالحون ألا وإن التقوى مطايا
ذلل حمل عليها أهلها فسارت بهم تأودا حتى إذا جاؤوا ظلا ظليلا فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين ألا وقد سبقني إلى هذا الأمر من لم أشركه فيه ومن ليست له توبة إلا بنبي
مبعوث ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله أشفى منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم أيها الناس كتاب الله
وسنة نبيه لا يرعى مرع إلا على نفسه شغل من الجنة والنار أمامه ساع نجا وطالب يرجو ومقصر
في النار ولكل أهل ولعمري لئن أمر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما أدبر
شيء فأقبل ولئن رد أمركم عليكم إنكم لسعداء وما علينا إلا الجهد قد كانت أمور مضت ملتم فيها
ميلة كنتم عندي فيها غير محمودي الرأي ولو أشاء أن أقول لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان
وقام الثالث كالغراب همته بطنه ويله لو قص جناحاه وقطع رأسه كان خيرا له شغل من الجنة

والنار

والنار أمامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلاثة واثنان خمسة وليس فيهم سادس ملك
طار بجناحيه ونبي أخذ بضبعيه هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة ووسط الطريق
المنهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة ألا وإن الله قد جعل أدب هذه الأمة السوط والسيف ليس
عند إمام فيهما هوادة فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك
ألا وإن كل قطيعة أقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو
وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فإنه إن لم يسعه الحق فالباطل أضيق عنه أقول قولي
هذا وأستغفر الله لي ولكم ولقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل ولنرجع إلى التفسير فنقول الذمة الحرمة والذمة
أيضا العهد والرهينة المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات
والحجز المنع وتقحم في الأمر وتقحّم رمى بنفسه فيه والهيئة الصفة والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق
وغيره والغربلة القتل أيضا وساط القدر إذا ضرب ما فيها من طعام بالمحراك وأداره والوشمة بالشين
المعجمة الكلمة وبغير المعجمة العلامة والأثر والشمس جمع شموس وهي الدابة يمنع ظهرها والتأود السير
الثقيل بأناة والذلول الساكنة والخلع لكثرة في شموس والأمر الباطل كبر الهم كثر وفلان يرعى على نفسه
إذا كان يتفقد أحوالها واعلم أنه أشار أولا في هذا الفصل إلى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى وبينه
على أنه وسيلة إليه ومستلزم له في صورة شرطية متصلة وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من
المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات وبيان الملازمة أن من أخذت العناية بزمام عقله فاهتدت نور
بصيرته لمشاهدة ما صرحت به آفات الدنيا وكشفت عبرها من تبدل حالاتها وتغيراتها على من أوقف
عليها همه واتخذها دار إقامة ثبت به أن كل ذلك أمور باطلة وأظلال زائلة فلا بد أن يفيض الله على
قلبه صورة خشية وتقواه فيستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه عن أن يقتحم في تلك الأمور الزائلة
والشبهات الباطلة لإشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم عنه هو الحاجز
عن ذلك التقحم وأشار بالشبهات إلى ما يتوهم كونه حقا ثابتا باقيا من الأمور الفانية الزائلة واللذات
الدنيوية الباطلة فالوهم يصورها ويشبهها بالحق فلذلك سميت شبهات والعقل الخارج من أسر الهوى
قوي على نقد الحق وتمييزه من الشبهة والكاف في هذه الملازمة برهن ذمته على صحتها وكفالته بصدقها وذلك
قوله ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم واستعمال الرهن هنا استعارة كقوله تعالى كل نفس بما
كسبت رهينة واعلم أنه ربما التبس عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي يعود إلى
خشية الحق سبحانه المستلزمة للإعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحية
ما دون وجهه عن جهة القصد ولما كان الترك والإعراض المذكور هو الزهد الحقيقي كما علمت وكان التقوى
وسيلة إليه علمت أنه من أقوى الجواذب إلى الله والرادعة عن الالتفات إلى ما سواه وقد ورد التقوى
بمعنى الخشية في استعمال في أول النساء يا أيها الناس اتقوا ربكم ومثله في أول الحج وفي الشعراء إذ قال
لهم أخوهم نوح ألا تتقون وكذلك قول هود وصالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وإبراهيم

اذ قال القوم اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وكذلك في سائر آيات القرآن وان كان قد حمله بعض المفسرين تارة على الايمان كقوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وتارة على التوبة كقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كقوله تعالى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى وانه يخلص من تقحم الشبهات نبههم بعده على انهم في الشبهات مغمورون بقوله الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه واشار بليتهم الى ماهم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت الآراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الدين وشبهات يلقيها الشيطان على الاذهان القابلة لوسوسة المقهورة في يده وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله عباده ويبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وهي امور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرسول صلعم وفي ذلك تنبيه على انهم ليسوا من التقوى الله في شيء اذا عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم في البلية كما كانت اقسم بالقسم البار ليبلبلن بهم ثمرة ماهم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلاثة احدها البلبلة وكنى بها عما يوقع بهم من امراء الجور من الهموم المزعجة وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم عما يستحق كل من المراتب الثاني الغربلة وكانها كناية عن التقاط اعاديهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين ونحو ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بغربلة الدقيق ونحوه لتمييز الشيء منه عن شيء وذلك استعير لفظها ونحوها بين القرين السبع المتوازي الثالث ساطوا كساط القدر الى ان يعود اسفلهم اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ هنا مع غاية المذكورة لتصريف ائمة الجور لهم من يد الى يد بسائر اسباب الاهانة وتغير القواعد التي هم عليها في ذلك الوقت وهو قريب من الاول **قوله** وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا اشارة الى بعض نتايج تقلب الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين ليسبقون الى قوم قصروا عن نصرته في مبدأ الامر حين وفاة الرسول صلعم ثم نصروه في ولايته وقاتلوا معه في سائر حروبه وبالسابقين الذين يقصرون الى من كانت له في الاسلام سابقة ثم يخذله ويتخلف عنه ويقاتله ويشبه ان يكون مراده اعم من ذلك فالمقصرون الذين ليسبقون كل من اخذت العناية الالهية بيده وقادته زمام التوفيق الى الجد في طاعة الله واتباع سائر اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك وعكس هؤلاء من كان في مبدأ الامر مشمرا في سلوك سبيل الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيرا وانحرافا عنه **قوله** والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلعم في هذا المعنى او كلمة مما يتعين عليه ان يبوح به وانه لم يكذب قط وهذا القسم شهادة لما قبله من الاخبار بما سيكون انه كما قال وتوطئة لما بعده انه كما هو وذلك قوله ولقد نبئت بهذا المقام اي مقام بيعة الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك تنفير لهم عن الباطل الى الحق وتثبيت لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وانبأهم بما سيكون عاقبة امرهم في لزومهم بليتهم وتورطهم في الشبهات

اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتشبيه بما يقود اليه كل منها **قوله** الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار استعار لفظ الخيل للخطايا ثم وصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والهيئة المانعة لذي العقل من ركوبها وهي كونها مع شموسها مخلوعة اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الفرس الشموس التي خلع لجامها لما كانت من شانها ان تتقحم براكبها المهالك وتجري به على غير نظام كذلك راكب الخطيئة لا يجري به ركوبها على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر الشرعية وحدود الدين لا جرم كانت غاية من ركوبه لها ان يتقحم اعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة **قوله** الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا لوصف الحسن الموجب للميل وهو كونها ذللا وبالهيئة التي ينبغي لراكب وهو اخذ الزمام واشار بالازمة الى حدود الشريعة التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية الذلول من شانها ان تتحرك براكبها على وفق النظام الذي ينبغي ولا يتجاوز الطريق المستقيم بل بصر خابر زمامها وتسيره على تؤدة فيصل بها الى مقاصده كذلك التقوى فهو طريق السالك الى الله بالتقوى وراحة من جموح الهوى به في موارد الهلكة يشبه ذلل المطية وحدود الله التي بها يملك التقوى ويستقر عليه يشبه ازمة المطايا التي بها تملك ولكون التقوى موصلا لصاحبه لسلامته الى السعادة الابدية التي هي اسنى المطالب يشبه غاية سير المطي الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم لما بين ان هنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا وطريق التقوى وذكر بعده انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل اهل اي ولكل من طريقي الباطل والحق قوم اعدهم القدر لسلوكها بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم الالهي كما قال الرسول صلعم كل ميسر لما خلق له **قوله** فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل ارداف لذلك بما يشبه الاعتذار لنفسه ولاهل الحق في قلته وذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرته اي ان كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك الوقت ليس ببدع بعد ما كان في مبدأ الاسلام الكثرة لاهل الباطل ثم الاسمعون ولا ينهون ونحو ذلك ربما ولعل تشبيه على ان الحق وان قل فربما يعود كثيرا ثم اردف حرف التقليل وهو ربما بحرف التمني وكان في هذه الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق وعد بقوته مع نوع تشكيك في ذلك وتمني الكثرة **قوله** ولقلما ادبر شيء فاقبل استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد قلته وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للامر مستلزم لزوال صورته وصورة الحق انما افيضت على قلوب صفت واستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وقسوة الواح نفوسهم بشبه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق ويكثر ظلام الباطل بسبب قوة الاستعداد له وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره واقبال ظلام الباطل امر بعيد وقل ما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصورة حتى ولعله يعود بقوة فيصبح الواح النفوس وارضها مشرقة بانوار الحق ويكره على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق وبعث على القيام به كيلا يضمحل فيتجاذبهم عنه فلا يمكنهم تداركه والله التوفيق **منها** شُغِلَ مَنِ الجَنَّةُ والنَّارُ أَمامَه ساعٍ سَرِيعٌ نَجا وطالِبٌ بَطِيءٌ رَجا ومُقَصِّرٌ في النّارِ هَوى اليَمِينُ والشِّمالُ

مضلة والطريق الموصل هي الجادة فعليها باتباع الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة وايضا معبر العاجزة
هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لا يهلك
على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم فاستتروا في بيوتكم واصلحوا ذات بينكم فالتوبة من ورائكم ولا يحمد
حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه **قوله** قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها والجادة معظم الطريق
والصفحة الجانب والسنخ الاصل وذات البين حقيقته والجنة عدم حصول المطلوب واعلم ان تقدير الخبر الاول
ان من كانت النار والجنة امامه فقد جعل له بهما شغلا يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا به واشار
بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة وحث على لزوم
الرسل واشار بكون الجنة والنار امامه الى احد امرين احدهما ان يكون المراد كون الجنة والنار ملاحظتين له
متذكرا لهما مدة وقته فهما امامه ونصب خياله ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما
امامه اي انه لما كان الانسان من مبدأ عمره الى منتهاه مسافرا الى الله تعالى فهو في انقطاع سفره لا بد ان ينتهي
اما الى الجنة او الى النار كانتا امامه في ذلك السفر وغايتين يأتيهما الانسان وينتهي اليهما ومن كان ابدا في
السفر الى غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير جهات تلك الغاية والوسيلة اليها واشار بالشغل الى
المشغول لان المقصود هنا ليس الا ذكر الشغل او لانه لما كان الشغل هو الله تعالى بالجنة والنار
والترغيب في احديهما والترهيب من الاخرى كان ترك ذكره لتعظيم او اجلال او لظهوره ثم انه عليه السلام
وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما قسم الناس بالنسبة الى ذلك الاشتغال الى ثلثة اقسام في
ذلك قوله ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار ووجه الحصر في هذه القسمة ان الناس بعد الانبياء
عليهم السلام اما طالبون لله او تاركون والطالبون اما بغاية جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم وطاقتهم في الوصول
الى رضوانه او بالبطوء والثاني فهذه ثلثة اقسام لا مزيد عليها وان كان قسم الطالبين على مراتب ودرجات
متفاوتة والقسم الاول هم الفائزون بقصب السبق والناجون من عذاب النار كما قال تعالى والسابقون
السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فاكهين بما آتيهم ربهم ووقيهم ربهم عذاب الجحيم
وهذا القسم يشمل الانبياء لولا ازراره لهم في قسم رابع اذ قسم الخلق في الخطبة الى خمسة اقسام والثالث المقصر الذي
وقف به الشيطان حيث اراد واخذ بحجزته عن سلوك سبيل الله فاذا به في موارد الهلاك ومنازل
الشقاء وفي هذا انه في النار واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما
دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما القسم الثاني فهو في حين
يتجاذبه من جهتي السفالة والعلو فطلب الجنة بحركته وسلوكه الى الله وان ضعف جاذب له الى جهة العلو
ويد الشيطان جاذبة له الى جهة السفالة الا ان رجاءه لعفو الله ونظره اليه يبعثه رحمته اذا انضاف اليه
حركته البطيئة كانت السلامة عليه اغلب وجهة العلو منه اقرب وينبغي ان نشير الى حقيقة الرجاء ليتضح
ما قلناه فنقول الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن علم ويقتضي
عملا بيان ذلك ان ما يتصوره النفس من محبوب او مكروه فاما ان يكون موجودا في الماضي او في الحال

او يوجد في الاستقبال والاول يسمى ذكرا وتذكرا والثاني يسمى وجدا ووجدانا للنفس لانه حال والثالث
وهو ان يغلب على ظنك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا وتوقعا فان كان
مكروها حدث منه في القلب تألم يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس
وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لا بد وان يكون لسبب فان كان
توقعه لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره مع العلم بانتفاء اسبابه فاسم
الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره
اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الآخرة فالنفس هي الارض وبذرها
حب المعارف الالهية وسائر انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تقليبها واعدادها
للزراعة وسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا يقبل الزرع
والانبات لخلطها الاجزاء الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد ولا حصاد الا من زرع ولا زرع الا من بذر وكما
لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع خبث النفس وسوء الاخلاق فينبغي ان يقاس
رجاء العبد لرضوان الله برجاء صاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذرها في وقت الزراعة
بذرا غير متعفن ولا متاكل ثم امده بالماء العذب وسائر ما يحتاج اليه في اوقاته ثم طهره عن مخالطة ما يمنع نباته
من شوك ونحوه ثم انتظر من فضل الله رفع الصواعق والآفات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ غايته
كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم الرجاء اذ كان في مظنة ان يفوز بمقصوده من ذلك الزرع ومن بذر
في ارض كذلك الا انه بذر في اخريات الناس ولم يبادر اليه في اول وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ
ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته له فهو من جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر في ارض
سبخة او ذات شاغل عن الانبات ثم اخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما يصدق
على انتظار ما حصل جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما لا يدخل تحت اختياره
وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات كذلك حال العبد ان بذر المعارف الالهية في ارض نفسه
في وقته وهو مقتبل العمر ومبدأ التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد في طهارة نفسه عن شوك
الاخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان وصوله
وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر
في بعض اسبابه اما بتطويله في البذر او في السقي الى غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر وقت الحصاد
ويتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له فيه ويعتمد على انه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه
انه راج اذ اكثر اسباب المطلوب التي من جهته وهذه درجة القسم الثاني وهو الطالب الراجي البطي
وان لم يزرع من قواعد الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة او ترك نفسه مشغولة
بشوك الاخلاق الردية وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك انتظار
غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل زاد الآخرة

الهالك اسفا يوم الحسرة والندامة بقول ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه احد كما يوثق
وثاقه احد وفي الحديث ما قيل اذا اشتد تزرع وما نبت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر
قال رسول الله صلعم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وانما خص هذا القسم الثالث بالرجا اذ كان كما انه
عمدته لضعف علمه وقلة الاسباب من جهته والى هذه الاقسام الثلاثة اشار القران الكريم بقوله فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وان اختلف مبدأ الرجتين
قوله اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس الى سابقين ولاحقين ومقصرين
اشار لهم الى الطريق التي اخذ الله عليهم سلوكها ونصب لهم عليها اعلام الهدى ليصلوا بها الى جناب
عزته سالمين عن تخطفات الشياطين ومبرأة عن طرائق الضلال ولما علمت ان الطريق السالكين الى الله اما العلم
او العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل طريق القوة العملية وكل منهما محروس برذيلتين هما طرفا التفريط
والافراط كما علمته والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى وهي الجادة الواضحة لمن اهتدى وهي التي
عليها مأخذ الكتاب الالهي من المقاصد الحكمية وعليها آثار النبوة ومعاهد السنة اي طرقها ومبدءها الذي
منه يخرج واليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة فان من العدل بدأت السنة وانتشرت في الخلق
واليه مرجع امورهم اما في الدنيا فان نظام امورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني عليه في القوانين الشرعية
والى تلك القوانين والقواعد ترد عواقب امورهم وعليها يجلون واما في الآخرة فبالنسبة اليه
يتبين خسران الخاسرين وفوز الفائزين فيجلى لمن سلكه وتمسك به اوقات سفره الى الله بجنات
النعيم ولمن انحرف عنه وتجاوزه بالعذاب الاليم في نار الجحيم وكل واحد من طرفي التفريط والافراط
بالنسبة اليه هو المراد باليمين والشمال من ذلك الوسط وهما طريقا المضلة لمن عدل الجادة وورد المهالك
لمن سلكها قوله هلك من ادعى وخاب من افترى يحتمل ان يكون التفتيشان دعاء ويحتمل ان يكون اخبارا
اي هلك من ادعى ما ليس له اهلا وهي الهلاك الاخروي وخاب من كذب اي لم يحصل مطلوبه اذا
جعل الكذب وسيلة اليه واعلم الدعوى اما ان يكون مطابقة لما في نفس الامر او ليس كذلك والثانية
محرمة مطلقا واما الاولى فاما ان يدعو اليها حاجة او ليس والقسم الاول هو المباح فقط دون الثاني فانما
حرم هذان القسمان اما الاول وهي الدعوى غير المطابقة فلانها تصدر عن ملكة الكذب تارة وعن الجهل
المركب تارة كالجاهل بالامر المدعى لحصوله عن شبهة رسخت في ذهنه وكلاهما من اكبر الرذائل واعظم
المهلكات في الآخرة واما الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة فلانها لكذا ولا تصدر عن الانسان الا عن رذيلة
العجب وستعلم انه من المهلكات قال رسول الله صلعم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه واما خيبة المفتري فلان المفتري اختلاف ما ليس بحق وظاهر ان الكذب ثمرة لا ما في
الآخرة فظاهر واما في الدنيا فقد يكون وقد لا يكون وان كانت ففي معرض الزوال وستزنة لسخط الله
فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها اشد خيبة من عادمها وطالب الامر بالفرية على كل تقدير خائب قال

قال بعض الشارحين اراد بهلاك من ادعى الامامة من غير استحقاق وخاب من افترى في دعواه لها لان
كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض فيه بامر الامامة قوله من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء
جهلا ان لا يعرف قدره شبه على ان المتجرد لاظهار الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال وحملهم على مر الحق وصعبه فلا وقت يكون مورد الهلاك بايديهم
فذكر ادنى مراتبه وشبهها على ان اصل الجهل كاف في الرذيلة فكيف بكثرته وذلك قوله وكفى بالمرء جهلا ان
لا يعرف قدره واراد مرتبته في النفس وعدم تصوره لدرجة نفسه ومنزلتها بالنسبة الى احاد جنسه
وكفى بهذا القدر جهلا فانه منشأ كثير من الرذائل المهلكة كالكبر والعجب وقول الباطل وادعاء الكمال الذي قصر عنه
والتعدي الطور في الكبراء والكل كما قال ع كما قال ع في موضع آخر رحم الله امرء عرف قدره ولم يتعد طوره
وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين عن الجهل بقدر ما يتصوره من وجوب التجرد للحق ونصرته وربما استفهم
منها تعليم كيفية استجلاب طباع الجهال وتأنيسهم ومداراتهم فينبغي ان يقابلوا بالحق برفقه وتجرد في مقابلتهم به
على كل وجه فان ذلك مما يوجب نفارهم وعدم نظام احوالهم بل ينبغي ان يؤنسوا به على التدريج قليلا قليلا
وربما لم يمكن تأنيسهم بالحق في بعض الامور اما لغموض الحق بالنسبة الى افهامهم او لقوة اعتقادهم الباطل
في مقابلته فيتخذ عوضا عن ذلك بالحق في صورة الباطل وظاهره وذلك كما ورد في القران الكريم والسنن
النبوية من صفات التجسيم وما لا يجوز ان يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم فان حمله على ظاهره كما يتصوره
جهال الناس امر باطل لكنه لما كان سبب ايناسهم وجمع قلوبهم على اعتقاد الصانع وبه نظام امورهم ورد
الشرع به قوله لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم شبه على لزوم التقوى باقيا
احد هذان كل اصل بني على التقوى فمحال ان يهلك او يمحى بانه خسران كما قال تعالى افمن اسس بنيانه
على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الثاني ان من زرع زرعا
اخرويا كالمعارف الالهية في ارض نفسه او دنيويا كالاعمال التي بها تقوم مصالح الانسان في الدنيا
وسقاه ماء التقوى وجعله مادتها فانه لا يمحى ذلك الزرع فما بل عليه نبتا باقوى ساق وازكى ثمرة و
استعمال الزرع والاصل كناية عما ذكرناه قوله فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة
من ورائكم قد عرفت ان هذا الفصل متقدم في الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك وهو مسبوق
بالتهديد ووارد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس
عند الامام فيهما هوادة اي مصالحة وسكون فاستتروا ببيوتكم وهو حسم لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت
عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات والمشاجرات ولذلك اردف بقوله واصلحوا ذات بينكم فان
مادة الفتنة سبب اصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم شبه للعصاة عن الرجوع الى التوبة في جري
في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراء لان الجواذب الالهية اذا اخذت بقلب العبد
فجذبته عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصية والتوجه
الى القبلة الحقيقية فانه يصدق عليه اذن ان التوبة وراءه اي وراء عقليا وهو اولى من قول من قال
من المفسرين ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه تأديب لهم بالشبه

والشبهة اذ لا يعدم منهم من يوليه الحكمة
ولسوغ ذمه ثم اراد التنبيه على الجهل
م

على تقرير الحمد واثنائه على الله دون غيره وانه مبدأ كل نعمة يستحق بها الحمد كما سبقت اليه الاشارة وعلى قصر الائمة
على النفس عند اخراجها عن جهة القبلة الحقيقية الى متابعة الحس وجعلها الدعوة من غير سلطان والى اصل هذين
الكلمتين اشار القرآن الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
فكل حسنة اصابت العبد من ربه فهي مبدأ الحمد وشكره وكل سيئة اصابته من نفسه فهي مبدأ لائمة نفسه
فاما قول السيد ره ان هذا الكلام من مواقع الاحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان الى آخره فالاحسان
مصدر قولك احسن الرجل احسانا اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام التي اجاد فيها
واحسن ومواقع الاستحسان اما ساير محاسن كلام العرب اى ان شيئا من محاسن كلام العرب مما يقع عليه
الاستحسان منها لا يوازى هذا الكلام ولا يبلغه او يشير بمواقع الاستحسان الى الفكر من الناس فانه يقع
الاستحسان اليه اذ الاستحسان من صفات المستحسن اى ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام وقوله
وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به يريد ان تعجب الفضلاء من حسنه وبدايعه اكثر من عجبهم باستخراج
محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنه امورا كثيرة فهم يجدونها من انفسهم وان لم يمكنهم
التعبير عنها فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من ابتهاجهم من انفسهم بما يقدرون على استخراجه منها او يريد باكثر من
عجبهم به اى اكثر من عجبهم له وميلهم اليه وباقى كلامه ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في صفة
من يتصدى من الامة للحكم وليس لذلك باهل ان ابغض الخلائق الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو
جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله
مضل لمن اقتدى به في حيوته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في
جهال الامة غار في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر
فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا
ضامنا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به
فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدرى اصاب ام اخطأ ان اصاب خاف ان يكون
قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض على
العلم بضرس قاطع يذرى الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه لا يحسب
العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل
نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون
ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته ولا انفق سلعة ولا اغلى ثمنا من الكتاب اذا حرف
عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر **قوله** وكله الى نفسه جعله موكلا عليها والجائر
العادل عن الطريق وفلان مشغوف بكذا بالغين المعجمة اذا بلغ حبه الى شغاف قلبه وهو غلافه وبغير
المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهي عند معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والمجموع قماش والموضع
بفتح الضاد المطيع وبكسرها المسرع والغار الغافل واغباش الليل ظلمه وقال ابو زيد الغبش البقية

من الليل وروى اغطاش الفتنة والغطش ايضا الظلمة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وامر
مبهم اذا لم يعرف والرث الضعيف البالى وعشوت الطريق العشوا اذا ابنت على ضعف والهشيم
اليابس من نبت الارض المتكسر والعج رفع الصوت والباير الفاسد واعلم انه اخذ اولا في التنفير عن
الرجلين المشار اليهما بذكر انهما من ابغض الخلايق الى الله تعالى ومعلوم ان ارادة الله للشيء ومحبته له عائدة
الى علمه بكونه موافق النظام الكلى التام للعالم كانت كراهيته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه على ضد مصلحة
العالم وخارجا عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة
قوله رجل وكله الله الى نفسه اى جعله متوكلا عليها دونه واعلم ان التوكيل ماخوذ من الوكالة يقال وكل
فلان امره الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده واذا
عرفت ذلك فنقول من اعتقد قطعا او جزما بان نفسه او احدا غير الله تعالى ممن ينسب اليه التاثير والقدرة
وهو التمكن من الفعل وانه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة
لان يفيض الله على قلبه صورة الاعتماد على المعتقد فيه والتوكيل عليه فيما يريده وذلك معنى قوله وكله الله
الى نفسه وكذلك معنى الوكول الى الدنيا وذلك بحسب اعتقاد الانسان ان المال والقينات الدنيوية
وافية بمطالبه وتحصيلها نفيسة له عما وراءها وبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله
تعالى للعبد ومحبته له وبعده وقربه منه فلا يخلص اذن العبد من بغض الله الا بالتوكل عليه حق توكله
قال تعالى ان الله يحب المتوكلين وهو اعظم مقام وسم صاحبه بمحبة الله فمن كان الله حسبه وكافيه
ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يبغض ولا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال
رسول الله من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله
اليها وصورة التوكل على ان يثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم ان استناد جميع الاسباب
والمسببات اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق تام العلم والقدرة على كفاية العباد تام العطف والرحمة
والعناية بخلقه بحيث لا يكون وراء قدرته وعلمه وعنايته رحمة وعناية ولم يقع في نفسك التفات
الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه
والبراءة من التوكل على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك ضعف الاسباب المذكورة
او بعضها وغلبة الوهم على النفس في معارضته لذلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها
وزيادتها ونقصانها يكون تفاوت درجات التوكل على الله تعالى الثانى كونه جائرا عن قصد السبيل
اى عن قصد سبيل الله العدل وصراط المستقيم وعلمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدل
الثالث كونه مشغوفا بكلام بدعة اى معجب بما يخطر له ويبتدعه من الكلام الذى لا اصل له في الدين و
يدعو به الناس الى الضلالة والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل
بجهله فهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يتخيله من ذلك الكمال الذى هو نقصان في الحقيقة مستلزما
لمحبته قول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون

انهم يحشرون صنفا الرابع كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبة قول الباطل والدعوة
الى الضلالة سبب لكونه فتنة لمن اتبعه الخامس كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كائن فيه فان الضال
عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان هنا زيادة اذ الجائر عن القصد قد يكون وجد قبله لا هدى يتبعه والموصوف
هنا جائر وضال مع وجود هدى قبله مامور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام هداه الحاملون
لدينه المطلعون من مشكوة النبوة وذلك ابلغ في الاثمية والكون في وجوب عقوبته السادس كونه مضلا
لمن اهتدى به في حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لاضلاله
غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره هو كونه مضلا لمن اهتدى به واما الزيادة
فكون ذلك الاضلال في حيوته وهو ظاهر وبعد موته لبقاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه في سبب ضلال
الضالين بعده السابع كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن السادس فان حملا لاوزار من يضله انما هو
بسبب اضلاله له الثامن كونه رهينا بخطيئته اي موثوق بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى هذين
الوصفين اشار القرآن الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم
الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلعم ايما داع دعا الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر من تبعه لا ينقص من
اجرهم شيء وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء واعلم انه
ليس المراد من ذلك انه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤسا لقوله تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا دخل احد من الناس النار
ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان الرئيس المضل اذا وضع سنة يكون فتنة
للناس وضلالا لهم لم تصدر تلك السنة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد لليقين
وصار ملكا من ملكاتها فتشتد لو حابه عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها وبين الرحمة بحيث يكون
ذلك الحجاب في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له والمقتدين به الا ان شبهة من فتنته فان تلك
الحجب الطارية على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب وهو اصلها فلا جرم يكون وزره وسيئته
في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت بسبب اضلاله له كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك قال تعالى ومن
اوزار الذين يضلونهم اي بعض اوزارهم وهي الحاصلة بسبب المضلين وقال الواحدي ان من
في هذه الآية ليست للتبعيض بل لبيان الجنس والا لخف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك يناقض قوله ص
من غير ان ينقص من اوزارهم شيء قلت هذا وان كان حسنا الا ان الالزام الذي ذكره غير لازم على كونها
للتبعيض لان القائل ان يقول ان المراد وليحملوا بعض امثال اوزار التابعين لا بعض اوزارهم
واذا فهمت ذلك في جانب السيئات فافهم مثله في جانب الحسنات وهو ان الواضع لحسنة وهدى يهتدى
بها انما تصدر عن نفس ذات صفاء واشراق لكل نور في فيشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستفاضت
به وتلك السنة الماخوذة من جملة الانوار الفايضة عنها على نفس اتباعها فكان في النفس المتبوعة
بنور الله الذي هو راس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة عن تلك السنة ومثل ما فكان له

والثواب

والثواب مثل ما لتابعيه لها من غير نقصان في اجرات تابعيه وهذا هو الحاصل لهم والى مثل هذا المعنى الاشارة
الواردة في الخبر ان حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فان قلت
ان علمت ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن انتقالها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة
كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم الى الظالم حصول امثالها
في قلب الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم حصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس
بالتنوير وللمعاصي تاثير بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول
المعارف الالهية ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة
الجمال الالهي فالطاعة مولدة للذة المشاهدة بواسطة الصفاء والنور الذي يحدث في القلب النفس والمعصية
مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب
على النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ولا تبطلوا اعمالكم وقال صلعم اتبع السيئة
بالحسنة تمحها والالام ممحصات للذنوب ولذلك قال صلعم ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب
رجله وقال الحدود كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيها ما يقسي القلب ويسود لوح النفس
فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه احبط طاعته والمظلوم يتالم وتنكسر شهوته ويستكين قلبه ويرجع
الى الله تعالى فيفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى
قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وذلك انتقال على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال
انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان وقد تلخص من هذا التقدير ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان
الظالم هي استعداداته لقبول الرحمة والتنوير الحاصل له بسبب ظلم الظالم والسيئات المنقولة من ديوان المظلوم
الى الظالم هي استعداداته بالحجب والقسوة عن قبول انوار الله والثواب والعقاب الحاصلان لهما هو ما استحقا
له من تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك النقل وحمل الظالم اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا
في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصائر الا في يوم القيمة لا جرم خصص بيوم القيمة وانما قال حمالا وزن فعال
للمبالغة والتكثير اي انه كثيرا ما يحمل خطايا غيره واما الرجل الثاني فميزه بعشرين وصفا ا كونه قمش جهلا
وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس لجمع المعقول ب كونه موضعا في جهال الامة مطرحا ليس من اشراف
الناس ويفهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين وان لم يتم غيره ج كونه عاديا في اغباش الفتنة
اي ساعيا في اوائل ظلماتها وروي غارا اي غافلا في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه تخليصها د كونه
عمي البصيرة بما في عقد الصلح والمسالمة بين الناس من نظام امورهم ومصالح العالم فهو جاهل بوجوه المصالح
متبرع مغتنم بينهم ه كونه قد سماه اشباه الناس عالما وليس بعالم والواو للحال واشباه الناس الجهال
واهل الضلال وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التمامية التي هي كمال
العلوم والاخلاق و كونه بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر روي من جمع منونا وغير منون اما بالتنوين
فالجملة بعده صفة له واستعمل المصدر وهي جمع في موضع اسم المفعول اي من مجموع ويحتمل ان يكون المقصود هو المصدر

نفسه وما مع الاضافة فقيل ان ما هيهنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثلها حتى يكون ما الاولى هي المضاف
والثانية هي المبتدأ والتقدير من جمع ما الذي قل منه خير مما كثر لكنه لما كان اظهار ما الثانية يشبه التكرار و
يوجب هجنة في الكلام وكانت ما الواحدة تعطي المعنى المقدرة كان حذفها اولى وقيل ان المقدر المحذوف
الثانية طريقة تسمح بالمبتدى خبر من ان تراه اي من جمع ما ان قل منه خير مما كثر وعنى بالشيء الى الاستكثار
من ذلك الشيء في اول العمر الى جمع الشبهات والآراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها ح
كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ولما كان الآجن صفة للماء الكائنات
النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعرضها ما لا الصافية والزلال وكان الجهل والآراء التي حصل عليها الجهل
مع العلم جامع الاعتقاد فهي والعلم داخلان تحت جنس الاعتقاد وكان الماء الآجن اشبه ما يستعار لتلك
الآراء التي ليست بصحيحة ولا متينة فهي تشبه الماء الآجن الذي لا ضابطة لشارب ورشح تلك الاستعارة
بذكر الارتواء وجعل غاية المشار اليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا ح كونه ضامنا
تخليص ما التبس على غيره اي واثق من نفسه بفصل ما عرض بين الناس من القضايا المشكلة وضامنا
حال ثانية او صفة للاولى ط كونه اذا نزلت به احدى القضايا المبهمة الملتبس وجه فصلها هيأ لها حشوا
ضعيفا من رأيه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذي لا طائل تحته وليس حلا لتلك المبهمة ى كونه من
لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت مثل للامور الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات التي تقع على ذهن
مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة تكثر فيلتبس على ذهنه وجه الحق فلا يهتدي له لضعف في ذهنه
فتلك الشبهات في الوهن تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكن الذباب
من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع في الشبهات لا يمكنه تخليص وجه
الحق منها لقلة عقله وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص يا انه لا يدري اصاب فيما حكم به ام اخطأ فان
اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب وخوف الخطأ ورجاء الاصابة من
لوازم الحكم مع عدم الدراية يب كونه جاهلا خباط جهالات والجهالات جمع جهلة من الجهل وقد تقدم ان
وزن فعال يعني للفاعل من الامور المعتادة التي يكثر فعلها وذكر الجهل هنا بزيادة وهي كثرة الخبط
فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التي تقع فيها في القضايا والاحكام فيمشي فيها على غير طريق حق من القوانين
الشرعية وذلك معنى خبطه يج كونه عاشيا ركاب عشوات وهي اشارة الى انه لا يستضيء بنور الحق
في ظلمات الشبهات الا ضعيف لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشي فيها على ما يتخيله دون ما يتحققه وكثيرا
ما يكون حاله كذلك ولما كان من شأن العاشي الى الضوء في الطرق المظلمة تارة يلمع له فيمشي عليه وتارة
يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشي على الوهم والخيال كذلك حال السالك في طرق الدين من غير ان يستكمل نور
بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقها فانه تارة يكون نور الحق في المسألة ظاهرا فيدركه وتارة
يغلب عليه ظلمات الشبهات فيعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى في الظلمة خابطا وعن القصد جائرا يد
كونه لم يعض على العلم بضرس قاطع كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض

في الامر الفلاني بضرس اذا لم يحكمه واصله ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه فمثل به من لم يحكم ما يدخل فيه
من الامور يه كونه يذري الروايات اذراء الريح الهشيم ووجه التشبيه ان الريح لما كانت تذري الهشيم
وهو ما تكسر من نبت الارض ويبس فتخرجه عن حد الانتفاع به كذلك المتصفح للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل
بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يقف في رواية بعد اخرى ويمشي عليها من غير فائدة يو انه غير ملي
باصدار ما يرد عليه اشارة الى انه ليس له قوة في اصدار الاجوبة عما يرد عليه من المسائل فهو فقير منها يز
لا يحسب العلم في شيء مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا في شيء بالضم من الحساب اي لا يعده شيئا ويعتبره خاليا
من الكمال والفضيلة والمراد انه ينكر العلم كسائر ما انكره فهو لا يعده شيئا ولا يفرده بالحساب والاعتبار
وعنى العلم الحقيقي الذي ينبغي ان يطلب ويجتهد في تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما مما قمشه وجمعه فان
كثيرا من الجهال ممن يدعي العلم ببعض من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع على معلمه ومتعلمه
كاكثر الناقلين للاحكام الفقهية والمتصدرين للفتوى والقضاء بين الخلق في زماننا وما قبله فانهم
يبالغون في انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن ان
احدهم لا يستحق ان يسمى فقيها الا ان يكون له مادة من العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول ص
واثبات النبوة الذي لا يقوم شيء من الاحكام الفقهية التي يدعون انها كل العلم الا بعد ثبوتها وروي
يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن اي لا يظن العلم ذا فضيلة يجب اعتقادها واعتباره بها فهو
مما انكره يح كونه لا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اي انه اذا غلب على ظنه حكم في قضية
جزم به وربما كان لغيره في المسألة قول اظهر من قوله يعضده دليل فلا يعتبره ويمضي على ما بلغ فهمه اليه
يط كونه ان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما يراعي قضاة السوء وعلماؤه الكتمان
لما يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن سماعها اذا اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم بين اهل الفضل
مراعاة لحفظ المناصب ك كونه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث نسبة الصراخ الى
الدماء والعجيج الى المواريث اما على سبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اهل الدماء
واولياء المواريث فيكون حقيقة او على سبيل استعارة لفظ الصراخ والعجيج لنطق الدماء والمواريث
بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة ان الصراخ والعجيج لما كانا انما يصدران عن تظلم
وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان
حالها مفصحة بالشكاية والتظلم لا جرم حسنت استعارة اللفظين هنا ثم بعد ان خص الرجلين المذكورين
بما ذكر فيهما من الاوصاف المنفرة على سبيل التفصيل اردف ذلك بالتنفر عنهما على سبيل الجملة بما يعمهما
وغيرهما من الجهال من التشكي او البراءة وذلك قوله الى الله من معشر اي الى الله اشكو كما هو في بعض النسخ
او الى الله ابرأ وذكر اوصافا مبدأها البقاء على الجهل والعيش فيه وكنى بالعيش عن الحياة وقابله بذكر الموت
وقوله يموتون ضلالا وصف لازم من الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا وقوله ليس فيهم
سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته الى آخره اي اذا فسر الكتاب وحمل على الوجه الذي انزل لاجله

فاسدا واطرحوه بجملتهم عن درجة الاعتبار في ذلك الوجه واذا حرف عن مواضعه ومقاصده ونزل
على حسب اغراضهم ومقاصدهم شرده في ذلك الوجه باغاثتي وكان من انفق السلع عندهم واستعار لفظ
السلعة ووجه المشابهة ظاهر ومنشأ كل ذلك هو الجهل وذلك ليس عندهم المنكر من المعروف وذلك انه
لا خلاف وقيل كان مراده من هذا اجزائكم حيث تركتم الحزم فظن الاشعث هذا اجزاى فقال الكلم لا ختف
بانك الملك وردي بابنا وهو الجمل والمنت البغض قوله وما يدريك ما علي اشارة الى انه جاهل
وليس لجاهل ان يعترض عليه وهو استاد العلماء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله واما استحقاقه اللعن
فليس بمجرد اعتراضه ولا لكونه ابن كافر بل لكونه مع ذلك من المنافقين بشهادته عم والمنافق
مستحق للعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعالى اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون قوله حائك ابن حائك استعارة اشار
بها الى نقصان عقله وقلة استعداده لوضع الاشياء في مواضعها وتأكيد لعدم اهليته للاعتراض
عليه اذ الحائك مظنة نقصان العقل وذلك لان ذهن الحائك عادة وهمته متوجه الى جهة صنعته مصروف
الفكر الى اوضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظام ما يحتاج الى حركة رجليه ويديه وبالجملة فشاهد يعلم
من حاله انه مشغول الفكر عما وراء ما هو فيه من البله فيما عداه وقيل لان معاملة الحائك ومخالطته
لضعفاء العقول من النساء والصبيان ومن كانت معاملته لهؤلاء فلا شك في ضعف رأيه وقلة علمه
بالامور روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم انه قال عقل اربعين معلما عقل حائك وعقل حائك عقل
امراة والمراة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر عليهما السلم انه قال لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فان
الله تعالى قد سلبهم عقولهم وذلك محمول على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل انما عيره بهذه الصنعة
لانها صنعة دنية تستلزم صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذائل الاخلاق فانها مظنة الكذب
والخيانة روي ان رسول الله صلى دفع الى حائك من بني النجار غزلا لينسج له صوفا فكان يمطله
ويأتيه متقاضيا ويقف على بابه فيقول ردوا علينا ثوبنا نتجمل به في الناس ولم يزل يمطله
حتى توفي صلى وقد علمت ان الكذب راس النفاق ومن كانت لوازم هذه الصنعة اخلاقه فليس له
ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف في ان الاشعث هل كان حائكا او ليس فروى
قوم انه كان هو وابوه ينسجان برود اليمن وقال آخرون ان الاشعث لم يكن حائكا فانه كان
من ابناء ملوك كندة واكابرها وانما عيره بذلك لانه كان اذا مشى يحرك منكبيه ويفحج بين رجليه
وهذه المشية تعرف بالحياكة يقال حاك يحيك حيكا وحيكانا وحياكة فهو حائك اذا مشى تلك
المشية وامراة حائكة اذا تبخترت في مشيها والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة
كنى بها عن نقصان عقله كما سبق اولا واما قوله والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى
فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك فتاكيد لنقصان عقله واشارة الى انه لو كان له عقل
لما حصل فيما حصل فيه من الاسر مرتين ما فداه اي ما نجاه من الوقوع في واحدة منهما ماله وحسبه ولم يرد

هنا سقط بقدر ورقة استدرك بالورقة الملصقة الآتية

اغراضهم ومقاصدهم اطرحوه حتى صار عندهم منكرا يستقبحون فعله ولا اعرف من المنكر لموافقة اغراضهم و
محبتهم له لذلك واعلم انه عليه السلم قسم الناس في موضع آخر الى ثلثة اقسام عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل
ناعق والرجلان المشار اليهما بالاوصاف المذكورة هنا ليسا من القسم الاول لكونهما على طرف الجهل المضاد
للعلم ولا من القسم الثالث لكونهما متبوعين واعيين لا اتباعا وكون الهمج تابعين كما صرح فيتعين ان
يكونا من القسم الثاني وهم المتعلمون واذا عرفت ذلك فنقول المراد بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج الى
بطلب العلم والكتب ذهن شيئا من الاعتقادات عن مخالطة من اشتهر بسمة العلم ومطالعة الكتب ونحوه لكن
ولم ينته الى درجة العلماء الذين يعتدون من اهل المعرفة والقيام بالحجة فاعتقاداته حينئذ اما ان يكون مطابقة
كلها او بعضها او غير مطابقة اصلا وعلى التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه لشي من المناصب الدينية كالفتوى
والقضاء ونحوهما او ينصب لذلك فهذه اقسام ستة الاول منها من اعتقد اعتقادا مطابقا له ولم يعرض نفسه
لشي من المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه للافادة الثالث من اعتقد جهلا
ولم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا وعرض لها والقسم الاول وحده هو الخارج من هذين الرجلين واما
والثاني والرابع والسادس منهم يكون الرجلان المذكوران فالاول منهما في ترتيبه عم هو من نصب نفسه لسائر
الافادة دون منصب القضاء والثاني هو من نصب نفسه و انما بالغ في ذمهما ونسبهما الى الجهل والضلال وان كان
بعض اعتقادهما حقا لكون ذلك العذر الذي حصل عليه في ظلمة الجهل فضلالهما واضلالهما اغلب وانتشار
الباطل عنهما اكثر واما القسم الثالث والخامس فداخلان فيمن برّأ الله منه وذمهم اخرا بالعيش في الجهل والموت على
الضلال وما بعده والله اعلم بالصواب ومن كلام له عليه السلم في ذم اختلاف العلماء في الفتيا ترد على احدهم
القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك
عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد افأمرهم الله سبحانه بالاختلاف
فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا
وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول صلى عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان
كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به اقول [illegible]
وفي هذا الكلام تصريح بانه عليه السلم كان يرى ان الحق في جهة واحدة وانه ليس كل مجتهد مصيبا وهذه المسألة مما وقعت
فيها بين علماء اصول الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب اذا راعى شرائط الاجتهاد وان الحق بالنسبة الى كل واحد من المجتهدين
ما ادى اليه اجتهاده وغلب في ظنه فجاز ان يكون في جهتين كابي حنيفة وغيره وعليه الامام الغزالي وجماعة من الاصوليين ومنهم
من ينكر ذلك ويرى ان الحق في جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة ومن جماعة من غيرهم وربما حقق بعضهم هذه المسألة
مستقصاة في اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم القضية الى قوله فيصوب آراءهم جميعا بيان لصورة حالهم التي يذكرها

وقوله وآلههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد شروع في دليل بطلان ما يرونه وهذه هي المقدمة الصغرى من قياس الضمير وتقدير
كبراه وكل قوم كانوا كذلك فلا يجوز لهم ان يختلفوا في حكم شرعي وقوله فامرهم سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى آخره حجة على
المقدمة الكبرى اذ الصغرى مسلمة وتقريرها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه فيه او بنهي منه عصوه فيه او
بسكوت منه عن الامرين وفي التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينه اطاعوه فيه او بنهي منه عصوه فيه او بسكوت منه عن الامرين
وفي التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينه والحاجة الى ذلك اما ان يكون مع نقصانه او مع تمامه وتقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول
فذلك الاختلاف انما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكون انما انزله ناقصا ليستعين بهم على اتمامه وهو كونهم شركاء في الدين
فعليه ان يرضى بما يقولون وله ان يقولوا الوثنان التركيب ذلك فهذه وجوه خمسة وحصر الاقسام الثلاثة الاخيرة ثابت
بحسب الاستقراء وجوه الحاجة الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها بقية الكلام اما بطلان الاول فلان
مستند الدين هو كتاب الله تعالى ومعلوم انه يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فلا يثبت عنه من الاقوال و
الاحكام الا ما يكون كذلك وكل شيء من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج انه لا شيء مما يستند الى كتاب الله تعالى من اقوالهم فلا يكون
اقوالهم من الدين واما بطلان القسم الثاني فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف وهو غني
عن الدليل واما بطلان الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء واما الرابع والخامس فظاهر البطلان فلا يمكنهم ادعاؤها فلذلك لم يورد في بطلانها
حجة ثم اردف ذلك بتنبيههم على ان الكتاب واف بجميع المطالب اذا تدبروا معناه ولاحظوا اسراره ونقلوا
الى فوائده محذرا عليهم ان يتبعوا الا قول ما يستند اليه وذلك في قوله ظاهره انيق حسن معجب بانواع البيان
واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر اسراره الا اولوا الالباب ومن آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب ولا تفنى
الامور المعجبة ولا تنقضي النكت العربية فيه على توالي الاعصار والازمان وخواطف الابصار ولا تكشف ظلمات الشبهات الناشئة من
ظلمة الجهل الا بسواطع انواره ولوامع اسراره وقد جرى في هذه القرائن الاربع السجع المتوازي وبالله التوفيق ومن كلام
له عليه السلام خاطب به الاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الاشعث فقال
يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك
ابن حائك منافق ابن كافر والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك
وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد قال السيد رضي الله عنه
بقوله دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد
ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم اقول الكلام الذي اعترضه الاشعث انه عليه السلام كان في خطبة يذكر امر
التحكيم فقام اليه رجل من اصحابه وقال له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلام باحدى يديه
على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة اي جزاؤكم حيث خالفتم على ما الزمتكم به من التحكيم وتركتم الحزم فوهم
الاشعث ان ذلك شبهة في تركه هو وجه المصلحة واتباع الآراء الباطلة وارادوا خيانة فقال هذه عليك لا لك جهلا او تجاهلا

الفداء بعد الاسر فان الاشعث فدي في الجاهلية وذلك ان مرادا لما قتلت اباه خرج ثائرا طالبا بدمه فأسر
ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير ووفد على النبي صلى الله عليه وآله في سبعين رجلا من كندة فاسلم على يده وذلك الاسر
هو مراده عليه السلام باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ارتد بحضرموت ومنع اهلها
تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث اليه زياد بن لبيد بعد رجوعه عنهم وقد كان عاملا قبل
ذلك على حضرموت ثم اردفه بعكرمة بن ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبائل كندة
قتالا شديدا في وقائع كثيرة وكانت الدائرة عليه فالتجأ بقومه الى حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا
وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث الى زياد يطلب منه الامان لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته
انه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا الى ابي بكر بالمدينة فسأل ابا بكر ان
يستبقيه لحربه ويزوجه اخته ام فروة ففعل ذلك ابو بكر ومما يدل على عدم مراعاته لقواعد
الدين انه بعد خروجه من مجلس عقده بام فروة اصلت سيفه في ازقة المدينة وعقر كل بعير رآه
وذبح كل شاة استقبلها للناس والتجأ الى دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل
جانب وقالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح وقال يا اهل المدينة اني
غريب ببلدكم وقد اولمت بما نحرت وذبحت فليأكل كل انسان منكم ما وجد وليغد الي من
كان له علي حق حتى ارضيه وفعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا وقد دخلها من تلك
الجملة فضرب اهل المدينة به المثل وقالوا اولم من الاشعث وفيه قال الشاعر لقد اولم الكندي
يوم ملاكه وليمة حمال لثقل العظائم قوله وان امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري
ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد اشارة الى غدره بقومه وذلك انه لما طلب الامان من زياد
ابن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فسكتوا ونزلوا من
الحصن على ذلك الظن فلما خرج الاشعث ومن طلب الامان له من قومه دخل زياد الى الحصن
فقتل المقاتلة صبرا فذكروه الامان فقال لهم ان الاشعث لم يطلب الامان الا لعشرة من قومه
فقتل من قتل منهم ثم وافاه كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى قوله عليه السلام
دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف اذ قادهم الى الحرب واسلمهم للقتل ولا شك ان من
كان كذلك فحقيق ان يمقته قومه ولا يأمنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رحمه الله من انه اراد به حديثا
كان للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامة وانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف
على شيء من ذلك في وقائع خالد باليمامة وحسن الظن بالسيد يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في
وقعة لم اقف على اصلها واعلم انه عليه السلام ذمه في هذا الفصل بجميع الرذائل النفسانية فنبه على الجهل
والغباوة الذي هو طرف التفريط من الحكمة بالحياكة التي هي مظنة نقص العقل واشار الى الجور
الذي هو طرف الافراط من فضيلة العفة بكونه منافقا وكونه ابن كافر تاكيد لنسبة النفاق
اليه واشار الى الفشل وقلة الثبات التي هي في طرف التفريط والافراط من فضيلة الشجاعة

بكونه غدارا مرتين وكان فيه اشارة الى ذلك فيه ايضا اشارة الى نقصان عقله كالقتاه واشار الى الظلم والغدر
الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفا بقوله وان المرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف وباستجماعه لهذه
الرذايل كان مستحق اللعن واما استعارة لفظ عرف النار فلان العرف عبارة عن كل عال مرتفع ومنه الاعراف
في القران الكريم سور بين الجنة والنار ولما كان من شأن كل مرتفع عال ان يستر ما وراه وكان الغادر
بمكره وحيلته امورا كثيرة وكان هو قد غر قومه بالباطل وغدر بهم صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف
النار لستره عنهم ما وراه من نار الحرب او نار الاخرة اذ حملهم على الباطل والاثم ومن خطبة له عليه السلام
فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب
ما يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه
مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اقول الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا فزع
واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلم الهيآت البدنية والمعارضات الوهمية
والخيالية عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب امر قابل للزيادة والنقصان والقوة
والضعف والناس فيه على مراتب فاعظمهم حجابا واكثفهم حجابا الكفار وكما اشار اليه القران الكريم مثلا
في حقهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض الاية
فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة وبالموج
الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وبالحري ان يكون هذا الموج مظلما اذ حب الشي
يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة
فبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب
الاكثر مستوليا على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات الباطلة والخيالات
الفاسدة التي صارت حجابا لبصيرة الكافر عن ادراك نور الحق اذ فائدة الحجاب ان يحجب نور الشمس
عن الابصار الظاهرة واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون ظلمات بعضها فوق بعض واما
اخفهم حجابا وارقهم حجابا فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم
وصقال الواح نفوسهم والقا حجب الغفلة واستار الهيآت البدنية فاشرقت عليهم شموس المعارف
الالهية وسالت الى اودية قلوبهم مياه الجود الربانية المعطي لكل قابل ما يقبله فهولاء وان كانوا قد بلغوا
الغاية من الجهد في رفع الحجب وغسل درن الباطل عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان فهم في اغطية
من هيآتها وحجب من استارها وان ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الاغشية وما بين هاتين المرتبتين
درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة متنازلة وبحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس
في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الانتقاش بالمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين
وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى وان منكم الا واردها
ولن يخلص الانسان من شوايب هذه الحجب وظلمتها الا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه وتجرد كل النفس

ما علمت

ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فيكون مشاهدة بعين اليقين
ما اعد لها من خير وما هيئ لها من شر بحسب استعداداتها بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب البدن
مانع لها عن مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او تلقي من المكاشفة ممكنة
كما حصل لكثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع لا يكون كالمشاهدة لان المشاهدة حقيقة خالصة
اذ لا تنفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال فيما حكاه عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اي دع ما اطلعتم عليه وهو اشارة الى طور
المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات بكمال نفوسهم
في حيوتهم الدنيا عين اليقين فاما ادراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها مركبا بالشعور بعدم
امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يخص علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس الى التصديق به وتغلب
عليها وتستولي حتى يصير هو المتحكم المتصرف فيها بالتحريض والمنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت اذا
لم يهتم بالاستعداد له وكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه فيه شك وقوي اليقين به اذا غلب ذلك
على قلبه حتى استغرق همته بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات
منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها على ان ورائهم من اهوال الآخرة وعذابها ما شاهده من سبق
منهم الى الآخرة ما لا يشاهدونه الآن بعين وان علموه يقينا ويبين هنا لزوم جزعهم وفزعهم وسمعهم وطاعتهم
لداعي الله على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وهذه الملازمة مما شهد البرهان بصحتها و
اشار التنزيل الالهي الى حقيتها وذلك قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي
كنا نعمل وذلك مقتضى مشاهدتهم لاهوال الآخرة وفزعهم وجزعهم من تلك المشاهدة مجيبهم بلسان العزة
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله لكن محجوب
عنكم ما قد عاينوا استثنا لنقيض تالي هذه المتصلة اذ حجب تلك الاهوال عن ابصارهم مستلزم
لعدم فزعهم وجزعهم وهو في صورة اعتذار عنهم نطق به لسان حالهم قوله وقريب ما يطرح الحجاب
ما مصدرية في موضع رفع بالابتدا وقريب خبره وهو اشارة الى نحو تزييف لذلك العذر في صورة
التهديد لهم ان جعلوا ذلك الحجاب عمدة في التقصير عن العمل فانه على قليل يرتفع حجاب الابدان عن احوال
القيمة واهوال يوم الطامة وتكشط سماء اغطيتها عن ابصار النفوس فتشاهد الجحيم قد سعرت والجنة قد
ازلفت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت
وكما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قوله ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم
ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا عن صورة العذر السابق لحالهم وهو
وجود الحجاب المانع عن مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب وان كان قائما الآن ساترا
لتلك الامور عنكم فقد بصرتم بها واوضحت لكم بالعبر والامثال على السنة الرسل عليهم السلام واسمعتم اياها
في الكتب الالهية والسنن النبوية وهديتم عليها بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كالمشاهدة

لكم والمعلومة عيانا لا شك فيها فلا عذر اذن بالحجاب وتخصيص السمع والبصر بالذكر لانهما الالتان اللتان عليهما
مدار الاعتبار بالامور الآخرة واشار بالهداية الى خط العقل من غير نظر الى الآخرة بايراد ان الشرطية
في المواضع الثلثة على انه لا شك في ابصارهم لما ابصروا به وسماعهم لما اسمعوا واهتدائهم بما هدوا به وكل
ذلك تنفير لهم عن الفرار عن الغفلة وتنبيه على الفرار الى الله في طرق الاعتبار **قوله** بحق اقول لقد جاهرتكم العبر
وزجرتم بما فيه مزدجر لما قدم انهم بصروا واسمعوا اردف ذلك ببيان ما ابصروا به واسمعوا الى ما ابصروا به
بمجاهرة العبر بالمصائب النازلة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا به بالزجر بما فيه مزدجر وهي
النواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة التي في ذوقها ازدجار لذوي الالباب
كما قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر **قوله** وما يبلغ عن الله
بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس في الامكان وراء ما جئتم به الى الله تعالى على السنة رسله
طريق اخرى تدعون بها اذ ما يمكن دعوتكم به من الوعد والوعيد والامثال والتذكير بالعبر الاخذة للقوم
حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضاحه لكم مشافهة الا على السنة الرسل البشرية عليهم السلام فلا يمكن
ان يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التي هي الملائكة الا هم فينبغي ان يكون ذلك مزاكا فيا لكم
في الالتفات الى الله **ومن خطبة له عليه السلم** فَاِنَّ الغَايَةَ اَمَامَكُم وَاِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُم تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا
فَاِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِاَوَّلِكُم اٰخِرُكُم قال السيد رحمه الله واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسوله
بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا فاما قوله تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا
وما ابعد غورها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصايص على عظم قدرها وشرف جوهرها
اقول لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت وجازة الالفاظ وجزالة الحكمة المشتمل على الموعظة الحسنة
والحكمة البالغة وهي اربع كلمات الاولى ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من وجود الخلق ان يكونوا
عبادا له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول
الى جناب عزته والطيران في حظاير القدس باجنحة الكمال مع الملائكة المقربين كان ذلك هو غاية الانسان
المطلوبة منه والمقصودة له والمامور بالتوجه اليها بوجه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها وفاز بكمال
جنات النعيم وان قصر في طلبها وانحرف سواء الصراط الموصل اليها وقد علمت ان ابواب جهنم من جنبتي
الصراط مفتحة كان فيها من الهاوين وكانت غايته فيها مع الداخلين فاذن ظهر ان غاية كل انسان
امامه اليها يسير وبها يصير الثانية قوله وان وراءكم الساعة تحدوكم والمراد بالساعة القيمة الصغرى
وهي ضرورة الموت فاما كونها وراءهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكانت
العادة في الهارب من الشيء ان يكون وراءه مهروبا منه وكان الموت متاخرا عن وجود الانسان و
لاحقا تاخرا ولحوقا عقليا اشبه المهروب منه المتاخر اللاحق هربا وتاخرا ولحوقا حسيا فلا جرم استعير له
لفظ الجهة المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي لما كان من شانه سوق الابل بالحداء وكان
تذكر الموت وسماع نواديه متعلقا مزعجا للنفوس الى الاستعداد لامور الآخرة والاهبة للقاء الله سبحانه

هو

فهو يكلها على قطع عقبات طريق الآخرة كما يحمل الحادي الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة لا جرم اشبه الحادي
فاسند الحدو اليه الثالثة قوله تخففوا تلحقوا ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم وهم في سفر واجب
وكان السابق الى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان الله وقد علمت ان التخفيف وقطع العلايق في
الاسفار سبب للسبق والفوز بلحوق السابقين لا جرم امرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين فالاولى منهما
قوله تخففوا وكنى بهذا الامر عن الزهد الحقيقي الذي هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه وهو عبارة
عن حذف كل شاغل عن التوجه الى القبلة الحقيقية والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وتنحية كل ما سوى الحق
الاول عن مستن الايثار فان ذلك تخفيف لا ثقال الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار والموجبة
لحلول دار البوار وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله تلحقوا وهو جزاء
الشرط اي ان تخففوا تلحقوا والمراد تلحقوا بدرجات السابقين الذين هم اولياء الله والواصلون الى
ساحل عزته وملازمة هذه الشرطية قد علمت بانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا قصور من جهته والزهد الحقيقي
اقوى اسباب السلوك الى الله كما سبق فاذا استعدت النفس بالاعراض عما سوى الحق سبحانه في
توجهها الى استشراق انوار كبريائه فلا بد ان يفاض عليها ما تقبله من الصور التمامية فتلحق بدرجة السابقين
وتتصل بساحل العزة في مقام امين الرابعة قوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيمة
الكبرى للذين ماتوا اولا وصول الباقين وموتهم وتحقيق ذلك الانتظار انه لما كان نظر العناية الالهية
الى الخلق نظرا واحدا والمطلوب منهم واحد وهو الوصول الى جناب عزة الله الذي هو غايتهم اشبه طلب
العناية الالهية وصول الخلق الى غايتهم انتظار الانسان لقوم يريد حضور جميعهم وترقبه اوائلهم وصول
اواخرهم فاطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعارة ولما صور هاهنا صورة انتظار هم لوصولهم
جعل ذلك حثا لهم على التخفيف وقطع العلايق ولا شك ان المعقول لاوساط الالباب من ذلك الانتظار
حاث لهم ابلغ على التوجه بوجوه انفسهم الى الله والاعراض عما سواه فهذا ما حضرني من اسرار هذه الكلمات
وكفى بكلام السيد رحمه الله مدحا لها وتنبيها على عظم قدرها وقد استعار لفظ النطفة وهي الماء الصافي للحكمة
وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** اَلَا وَاِنَّ الشَّيطَانَ قَد ذَمَّرَ حِزبَهُ وَاستَجلَبَ جَلَبَهُ
لِيَعُودَ الجَورُ اِلَى اَوطَانِهِ وَيَرجِعَ البَاطِلُ اِلَى نِصَابِهِ وَاللهِ مَا اَنكَرُوا عَلَيَّ مُنكَرًا وَلَا جَعَلُوا بَينِي وَبَينَهُم نِصفًا
وَاِنَّهُم لَيَطلُبُونَ حَقًّا هُم تَرَكُوهُ وَدَمًا هُم سَفَكُوهُ فَلَئِن كُنتُ شَرِيكَهُم فِيهِ فَاِنَّ لَهُم لَنَصِيبَهُم مِنهُ وَلَئِن كَانُوا وَلُوهُ
دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ اِلَّا عِندَهُم وَاِنَّ اَعظَمَ حُجَّتِهِم لَعَلَى اَنفُسِهِم يَرتَضِعُونَ اُمًّا قَد فَطَمَت وَيُحيُونَ بِدعَةً قَد اُمِيتَت
يَا خَيبَةَ الدَّاعِي مَن دَعَا وَاِلَى مَا اُجِيبَ وَاِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيهِم وَعِلمِهِ فِيهِم فَاِن اَبَوا اَعطَيتُهُم حَدَّ السَّيفِ
وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ البَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلحَقِّ وَمِنَ العَجَبِ بَعثُهُم اِلَيَّ اَن اَبرُزَ لِلطِّعَانِ وَاَن اَصبِرَ لِلجِلَادِ هَبِلَتهُمُ
الهَبُولُ لَقَد كُنتُ وَمَا اُهَدَّدُ بِالحَربِ وَلَا اُرَهَّبُ بِالضَّربِ وَاِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِن رَبِّي وَغَيرِ شُبهَةٍ مِن دِينِي
اقول اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه
زيادة ونقصان وقد اورد السيد بعضه فيما قبل وان كان قد نبه في خطبة على سبيل التكرار ولان

بالزيادة والنقصان ونحن نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله
ايها الناس ان الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين الا به وقد جمع
الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رايت امورا قد تمخضت والله
ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم
فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وان اول عدلهم لعلى انفسهم ولا اعتذر
مما فعلت ولا ابرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة
طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعودن الباطل في نصابه يا خيبة الداعي من دعا لو قيل ما انكر من ذلك وما
امامه وفيمن سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما اظن الطريق له فيه واضح
حيث نهج والله ما تاب من قتلوه قبل موته ولا تنصل من خطيئته وما اعتذر اليهم فعذروه ولا دعا فنصروا
وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون حسوة ابدا وانها لطيبة نفسي
بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم فان تابوا وقبلوا واجابوا وانابوا فالتوبة مبذولة
والحق مقبول وليس على كفيل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا للمؤمن ومع
كل صحيفة شاهدها وكاتبها والله ان الزبير وطلحة وعائشة ليعلمون اني على الحق وهم مبطلون ذمر مخففا و
مشددا اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم تجمع وتؤلف وتمخضت تحركت والنصف بكسر النون
وسكون الصاد النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة ما يلحق الانسان من درك والحم بفتح الحاء
وتشديد الميم بقية الالية التي اذيبت واخذ دهنها والحمة السواد وهما استعارتان لارذال الناس
وعوامهم والجلبة الاصوات وجونتها بالضم سوادها وانكفت واستكفت اي استدارت وزاح وانزاح
تنحى والنصاب الاصل وتنصل من الذنب تبرأ منه والعب الشرب بغير مص والحسوة بضم الحاء
قدر ما يحسى مرة والجلاد المضاربة بالسيف والهبول الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلام قد فضل
الجهاد لان غرضه استنفارهم لقتال اهل البصرة فاشار الى وجوبه من الله تعالى والكتاب العزيز مشحون
بذلك كقوله تعالى جاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم ونحوه ثم اردف بذكر تفضيل الله تعالى وذلك
كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا
عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ثم ذكر ان الله جعله نصرة له وناصرا
وذلك كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة دين الله وعباده الصالحين اذ هو الغني المطلق
الذي لا حاجة به الى معين وظهير ثم اقسم بالقسم الصادق انه ما صلحت دنيا ولا دين الا به اما صلاح الدنيا
فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ومقاومة اهل الغلبة لخربت الارض والبلاد كما قال الله تعالى ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين فظاهر انه انما
يكون بمجاهدة اعداء دين الله الساعين في هدم قواعده فاما قوله وقد ذمر الشيطان حزبه واستجلب

جلبه ومن اطاعه فقد سبق بيانه وقوله ليعود الى دينه وسنته وخدعه وظاهر ان غاية سعي الشيطان من وسوسته
تمكنه من الخداع وعود المذاهب الباطلة كما كانت قبل الرسول صلى الله عليه وسلم دينه وطريقته وكل ذلك بتغير ساعين عما
عليه من خالفه وجذبهم الى الحرب قوله وقد رايت امورا قد تمخضت اشارة الى فتن ما يستلزم الحرب
وتلك الامور هي ما يحسن به من مخالفة القوم وابتهم للقتال قوله والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم
نصفا الى قوله سفكوه اشارة الى انكاره ما ادعوه منكرا ونسبوه اليه من قتل عثمن والسكوت عن الانكار
على قاتليه فانكر ان يكون انكارهم عليه تخلفه عن عثمن الذي زعموا انه منكر وما لم يكن منكرا كما ستعلم ذلك كان الانكار
عليه هو المنكر واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا الى انهم لو وضعوا العدل بينهم وبينه لظهر ان دعواهم
باطلة وقوله وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه اشارة الى طلبهم لدم عثمن مع كونهم شركاء فيه
روى ابو جعفر الطبري في تاريخه ان عليا عليه السلام كان في ماله بخيبر لما اراد الناس حصر عثمن فقدم المدينة والناس
مجتمعون على طلحة في داره فبعث عثمن اليه يشكو امر طلحة فقال عليه السلام انا اكفيكه فانطلق الى دار طلحة وهي مملوءة بالناس
فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذي صنعت بعثمن فقال طلحة يا ابا الحسن ابعد ان مس الحزام الطبيين فانصرف
عليه السلام الى بيت المال فامر بفتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب وفرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة
حتى بقي وحده فسر عثمن بذلك وجاء طلحة الى عثمن فقال له يا امير المؤمنين اني اردت امرا فحال الله بيني وبينه
وقد جئتك تائبا فقال والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة وروى ابو جعفر ايضا
انه كان لعثمن على طلحة بن عبيد الله خمسون الفا فقال له طلحة يوما قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك معونة
على مروتك فلما حصر عثمن قال علي عليه السلام انشدك الله الا كففت عن عثمن فقال لا والله حتى تعطي بنو امية الحق
من انفسها فكان علي عليه السلام يقول لحا الله ابن الصعبة اعطاه عثمن ما اعطى وفعل به ما فعل وروى ان الزبير
لما برز لعلي عليه السلام يوم الجمل قال له ما حملك يا عبد الله على ما صنعت قال اطلب بدم عثمن فقال له انت وطلحة
وليتماه وانما توبتك من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته وبالجملة فدخولهم في قتل عثمن ظاهر و
هذه المقدمة من الحجة عليهم وقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة
قبلهم تمام الحجة وتقريرها انهم دخلوا في دم عثمن وكل من دخل فيه اما بالشركة او بالاستقلال وعلى التقديرين
فليس لهم ان يطلبوا به واشار الى القسم الاول بقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه اي على
تقدير كونهم شركائي في ذلك فعليهم ان يبدؤوا بتسليم انفسهم الى اوليائه واشار الى الثاني بقوله وان
كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وقوله وان اول عدلهم لعلى انفسهم زيادة تقرير للحجة اي ان العدل
الذي يزعمون انهم يقيمونه في الدم المطلوب ينبغي ان يبدؤوه اولا على انفسهم قوله ولا اعتذر مما فعلت
ولا ابرأ مما صنعت اي ان الاعتزال الذي فعلته في وقت قتل عثمن لم يكن على وجه يقتضي في الدين وجوب
الاعتذار والتبرؤ منه فاعتذر واتبرأ كما سيجيء وجه ذلك ان شاء الله وقوله وان معي لبصيرتي ما لبست
ولا لبس علي تقدم بيانه وقوله وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة استعارتان بين اللفظين لاسقاط الناس
وارذالهم الذين جمعوا لقتاله ووجه الاستعارة مشابهتهم حم الالية وما اسود منها في قلة المنفعة والخير

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ومن خطبة له عليه السلم اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من زيادة او نقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة في اهل او مال او نفس فلا تكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه بها المغرم وكذلك المرء المسلم البرئ من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق الله فاذا هو ذو اهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء ايها الناس انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيطة من ورائه **اقول** الغفيرة الكثرة والزيادة ورددي عفوة كل شئ صفوته وغرى يغرى بالامر اذا ولع به واغريته به اذا حثثته والدخول فيه والفالج الفائز والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح سهام الميسر التي يلعب بها والتعذير اظهار العذر ممن لا عذر له في الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته والمعاشرون له والحيطة بالكسر الحفظ والرعاية والمّ الجمع والشعث تفرق الامر وانتشاره واعلم ان مدار هذا الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه اولا وعلى تاديب الاغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل من المال وتمهيد حجة ثانيا فقوله اما بعد فان الامر ينزل الى قوله او نقصان صدر الخطبة اورده ليبني عليه غرضه وحاصله الاشارة الى ان كل ما يحدث من زيادة او نقصان ويتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في معاشهم ومعادهم من صحة او مال او علم او جاه او اهل فهو صادر عن القسمة الربانية المكتوبة بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ الذي هو خزانة كل شئ والمراد بالامر حكم القدرة الالهية على الممكنات بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى كن في قوله انما امره اذا اراد شيئا الآية وبنزوله نسبة حصوله الى كل نفس بما قسم لها وهي النسبة المسماة بالقدر في قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين ووجه الاستعارة ان المعنيين مشاركة المعنيين المذكورين للسماء والارض في معنى العلو والاستفال كل بالنسبة الى الآخر وانما لم تكن الحقيقة مرادة لان الامر الشئ ليس لجهة هي مبدأ نزوله والا لكان الامر في جهة تعالى الله عن ذلك ويحتمل ان يراد حقيقة السماء والارض على معنى ان الحركات الفلكية لما كانت شرائط معدة يصدر بواسطتها ما يحدث في الارض كانت السماء مبادي على بعض الوجوه لنزول الامر واما تشبيهه بقطر المطر فوجه الشبه ان

حصول

حصول الرزق والاهل ونحوهما لكل نفس وقسمها منها مختلف بالزيادة والنقصان كما ان قطر المطر يصيب الى كل واحدة من البقاع كذلك وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس **قوله** فاذا راى احدكم لاخيه المسلم غفيرة في اهل او مال فلا تكونن له فتنة شروع في تاديب من حصل في حقه النقصان في احد الامور المذكورة بالنهي له عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة او النفاسة في احدها من المال او الاهل او النفس قال بعض الشارحين انه اراد بالنهي عن الفتنة هنا النهي عن الحسد والتحقيق ان يقال ان الفتنة هي الضلال عن الحق بمحبة امر من الامور الباطلة والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله ولما كان حال الفقراء من احد الامور المذكورة بالنسبة الى من عرضت له الزيادة في احدها منهم من يوهل نفسه لتلك الزيادة فيرى انه احق بها ممن عرضت له فيحسده او يرى انه يستحق مثلها فيحرص على ان يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك لكن يميل بالطبع الى خدمة من له تلك الزيادة وينجذب بكليته الى هواه وتهم كثير من الفقراء الذين يميلون بطباعهم الى خدمة الاغنياء ويكلفون السعي لهم ليس لامر سوى ما حصلوا عليه من مال او جاه او نحو ذلك ولعل تلك الغاية يشوبها توهم الانتفاع بهم بما حصلوا عليه وكانت هذه الامور ونحوها اعني الحسد والغبطة والميل اليهم لاجل ما حصلوا عليه من الزيادة في احد الامور المذكورة رذائل اخلاق مشغلة عن التوجه الى الله تعالى ومضلة عن سواء السبيل كان المنهي عنه في الحقيقة هو الضلال باحد الرذائل المذكورة وهو المراد بلفظ الفتنة هنا **قوله** فان المرء المسلم الى قوله ومعه دينه وحسبه **اقول** اعراب هذا الفصل ان ما هنا بمعنى المدة وكالفالج خبران وتظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع ان حمل الخشوع على المعنى اللغوي وهو غض الطرف مثلا والتطامن كان عطفا على تظهر وان حمل على المعنى العرفي وهو الخضوع لله والخشية منه فالفاء للابتداء والياسر صفة للفالج واذا للمفاجاة اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نهى عن الفتنة باحد الامور المذكورة والشغل بها اراد ان ينبه على فضيلة الاستغناء عنها فنبه على كونها دنايا بقوله ما لم يغش دناءة ثم عقب بالتنفير عن الدناءة في التنزه عنها بما ذكره ومعناه ان المسلم ما لم يرتكب امرا خسيسا يظهر عنه فيكسب نفسه خلقا رديا ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق اذا ذكروا لها من التعيير به ويغرى به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله وهتك ستره به فانه يشبه الفالج الياسر هذا ان حمل الخشوع على معناه اللغوي وان حملناه على المعنى العرفي الشرعي كان المراد انه ما لم يغش دناءة فيخشع لها اي بل يخشع لله ويخضع له عند ذكرها ويتضرع اليه ويرجع الى التوبة منها خوفا من وعيده على المعاصي يكون كالياسر الفالج ويكون قوله ويغرى به لئام الناس عطفا على تظهر مؤخرا فاما تشبيه من هذه صفته بالياسر الفالج فلنشر اولا الى كيفية اللعب المسمى بالميسر ليتضح به وجه الشبه فنقول المنقول ان الخشبات المسماة قداحا وهي التي كانت يتياسر بها الجزور سبعة اولها الفذ بالذال المعجمة وفيه فرض واحد وثانيها التوام وفيه فرضان وثالثها الضريب بالضاد المعجمة وفيه ثلثة فروض ورابعها الحلس بكسر الحاء ونقل احمد بن فارس في المجمل الحلس بفتح الحاء وكسر اللام وفيه اربعة فروض وخامسها النافس وفيه خمسة فروض وسادسها المسبل وفيه ستة فروض وسابعها المعلى وله سبعة فروض وليس بعده قدح فيه شئ من الفروض الا انهم يدخلون مع هذه السبعة اربعة اخرى تسمى اوغادا لا فروض

فيناوا انما شغل به القداح واسماؤها المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فاذا اجتمع ايسارا اخذ كل منهم
قدحا وكتب عليه اسمه او علمه بعلامة ثم اتوا بجزور فنحروها صاحبها وبعضها عشرة اجزاء على الوركين والفخذين
والعجز والكاهل والزور والملحاء والكتفين ثم يعمدا الى الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء
بالسوية فاذا استوت وبقي بها عظم او بضعة لحم اشترى به الجازر من اراده فمن يفوز قدحه فان اخذه
جزية والا فهو للجازر ثم يوتى برجل معروف بانه لم ياكل لحما قط بثمن الا ان يصيبه عند غيره ويسمى الحرضة
فيجعل على يديه ثوب ويعصب رؤس اصابعه بعصابة كيلا يحس القروض ثم يدفع اليه القداح ويقوم
خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع اليه قدحا قدحا منها من غير ان ينظر اليها فمن خرج قدحه اخذ من اجزاء
الجزور بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج قدحه حتى استوفيت اجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه
كاجزاء تلك الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الذي نحرها فان اتفق ان خرج المعلى اولا فاخذ
صاحبه سبعة اجزاء من الجزور ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه الا ثلثة اجزاء اخذها وغرم لمن لم يفز قدحه ثلثة
اجزاء من جزور اخرى واما القداح الاربعة الاوغاد فليس فيها خروج ووجه الشبه هو ما ذكره من ان ذلك
ان الفائز الياسر الذي ينتظر قبل فوزه اول فوزة من قداحه او جله فوزة المغنم ونفي عنه المغرم
فكذلك المسلم البري من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهي الله لما كان لا يدل في انتظاره لرحمة الله
وصبره عن معصيته ان يفوز باحدى الحسنيين وهي اما ان يدعوه الله اليه بالتخلص من الشقاوة بهذه الدار
فما عند الله ما اعده له ولاوليائه الابرار خير له فيفوز اولا بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما لعدم
خسرانه فيه حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه ويحتمل ان يريد بها حلول اسباب الموت
بل الجواذب الالهية والخواطر الربانية التي تسنح فتجذبه الى طرف الزهد الحقيقي والالتفات عن خسايس
هذه الدار الى ما وعد به المتقون واما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فيتسع ويفرح له بين المال
والبنين مع حفظ الحسب والدين فيفوز الفوز العظيم ويامن العقاب الاليم فالتشبيه هنا واقع
موقعه وكلا الوجهين افضل عند العاقل من الفتنة بالغير والالتفات عن الله تعالى وتدنيس لوح النفس برذايل
الاخلاق من الحسد ونحوه وكان هذا الفصل مستلزما للنهي عن الحسد ونحوه من الفتن المعتقة كما هو مستلزم
للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار رحمته **قوله** ان المال والبنين حرث الدنيا الى قوله لاقوام **اقول**
لما بين فيما سبق من التشبيه وغيره ان تارك الرذايل المذكورة ونحوها المنتظر للحسنى من الله فايز اردف
ذلك بالتنبيه على تحقير المقتنيات التي تنشا من التنافس فيها الرذايل المذكورة فذكر اعظمها واهمها
عند الناس وهو المال والبنون فانهما اعظم الاسباب الموجبة لصلاح الحال في الحيوة الدنيا واشرف
القنيات الاخروية كما قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه على تحقيرهما بالنسبة الى العمل
بكونهما من حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة والمقدمة الاولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير تقدير
كبراه وحرث الدنيا حقير عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى حرث الاخرة
وقد ثبت في المقدمة الثانية ان حرث الاخرة هو العمل الصالح فاذن المال والبنون حقيران بالنسبة الى

[illegible]

العمل

العمل الصالح اما المقدمة الاولى فظاهرة اذ لا حصول للمال والبنين في غير الدنيا واما بيان الثانية ففي وجهين
احدهما قوله تعالى وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلة الكمية بل المراد حقارته
بالنسبة الى متاع الاخرة ولذلك الثاني ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة من الامور
الباقية الموجبة للسعادة الابدية والفانيات الباطلات ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات
كما قال تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين بقوله وقد يجمعهما
الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى والتوكل عليه وذلك لان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة
لما كان في طبع كل عاقل طلب تحصيله وكان حصوله انما هو من الله دون غيره لمن يشاء من عباده ذكره
ذلك ليفزع الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها وهو التقرب الى الله تعالى بوجوه الوسايل والاعراض عما
لا يجدي طائلا من الحسد ونحوه ثم اكد ذلك الجذب بالتحذير مما حذره الله من نفسه والامر بالخشية الصادقة
البرية من التعذير المستلزمة لترك محارمه ولزوم حدوده الجاذبة الى الزهد الحقيقي ثم اردف ذلك الامر
بالعمل بسابري من الرياء والسمعة وهو اشارة الى العبادة الخالصة المستلزمة لتطويع النفس الامارة
بالسوء للنفس المطمئنة وقد ثبت في علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة كيف يوصلان الى
السعادة التامة الابدية **وقوله** فانه من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الرياء
والسمعة في العمل فان العامل للرياء والسمعة قاصدا ان يراه الناس ويسمعوا بحاله ليعودوا اليه منهم بما يرجو
من مال او جاه ونحوه من الاغراض الباطلة والاعراض الزايلة وقد علمت ان التفات النفس الى شيء من
ذلك شاغل لها عن تلقي رحمة الله والاستعداد لها محجوبة به عن قبول فضله ولما كان هو مسبب الاسباب
ومنتهى سلسلة الممكنات لا جرم الكت المطالب من غيره فجرى منه التشديد بالوكول الى من سواه ممن
عمل له العاملون لاستلزامه الخيبة والخسران وخسر العاملون الا الله وخاب المتوكلون الا عليه وقد
سبق منا بيان هذا كون العامل لغير الله موكولا الى نفسه والى من عمل له في الفصل الذي ذم فيه عليه السلم
من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله **قوله** نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء
لما كانت همته عليه السلام مقصورة على طلب السعادة الاخروية طلب هذه المراتب الثلث وفي ذلك جذب
للسامعين الى الاقتداء به في طلبها والعمل لها وبدا عليه السلام بطلب اسهل المراتب الثلث علا شانا وختم باعظمها
فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته ان يكون في زمرة الانبياء رفيقا لهم وهذا
هو الترتيب اللايق من المؤدب الحاذق فان المرتبة العالية لا تنال دفعة دون نيل ما هو دون منها **قوله**
ايها الناس الى قوله يورثه غيره **اقول** لما اشار الى تاديب الفقراء عن التعرض للاغنياء بما يوجب لهم ملكات
السوء من الحسد ونحوه اردف ذلك بتاديب الاغنياء واستدراجهم في حق الفقراء ذوي الارحام واهل
القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة في المال والمعونة لهم لينتظم شمل المصلحة من الطرفين فاستدرجهم
بامرين احدهما بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة فان الرجل لا يستغني بماله عن
اعوان له يذبون عنه بايديهم وصولته وحياطته ويدفعون عنه بالسنتهم حسبه قايل بل من المعلوم ان اشد الناس

حاجة الى الاخوان والاصحاب والمعاضدين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى الملوك والمتشبهين بهم من ارباب
الاموال واحق الناس بعدم الاستغناء عنهم عشيرة الرجل واهل بيته فانهم اعظم الناس شفقة عليه واشدهم
دفاعا عنه وحفظا لجانبه والمهم لشعثه اى اشدهم جمعا لمتفرق حاله واعطفهم عليه ان نزلت به نازلة من
فقر ونحوه وذلك ان قربهم منه باعث لدواعي الشفقة عليه الثانى فى التنبيه بذكر غايتى انفاق المال وجمعه
وتفضيل احديهما على الاخرى وذلك قوله ولسان الصدق للمرء الى آخره فلسان الصدق هو الذكر الجميل
بين الناس وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هى توريثه للغير واما افضلية البذل
على الجمع فظاهرة من تصور غايتى الغايتين وانما رغب فى البذل بما يستلزمه من غاية الذكر الجميل
بين الناس وان لم يكن مقصوده من الحث على البذل الا اصلاح الفقراء وسداد خلتهم وتاديب الاغنياء
وتعويدهم بالبذل والنزول عن محبة المال لان تحصيل الذكر الجميل من الناس ادعى الى البذل واكثر
فعلا فى النفوس من الغايات التى تقصدها [illegible] وذلك من الاستدراجات الحسنة حتى اذا انفتح باب
البذل وتمرنت النفوس عليه وجدت ان اولى المقاصد التى يصرف فيها المال هى المقاصد التى
يقصدها الشارع ويحث عليها من سد خلة الفقراء التى ينتظم بها شمل المصلحة وتجد الناس بعضهم بعضا
خصوصا العشيرة فانه من الواجب فى السيرة العادلة التى بها صلاح حال الانسان فى الدارين
انه لما كان لا غناء له عن عشيرته واصحابه وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذى يؤكد الانتفاع
بهم ويستحقونه فى مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم له فبالحرى ان يجب مواساتهم واكرامهم بما يفضل
من فضل المال وكنى بذكر غاية جمع المال وهى توريث الغير المستلزمة لذكر ذم اللذات باعثا
على بذل المال والنزول عن محبته وجمعه لمن لمح بعين بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق **منها**
الا لا يعدلن احدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذى لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه
ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه ايدى كثيرة
ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد ما احسن هذا المعنى فان الممسك خيره عن
عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم قعدوا عن نصرته
وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدى الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة **اقول** العدول الانحراف
والخصاصة الفقر والحاجة وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا اخدامه واتباعه الذين هم حوشيته
وقوله يرى فى موضع النصب على الحال وان يسدها فى موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصود
بهذا الفصل هو ما ذكرناه قبله ولو وصلناه به لصح تمامه وحاصله الى قوله ايدى كثيرة النهى عن العدول
عن سد خلة الاقرباء واولى الارحام ذوى الحاجة بالفضل من المال وصرفه فى غير وجهه من المصارف
الغير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذى هو حقيقة فى منع جسم لجسم عن المنع المعقول وهو منع
الاختلال الواقع فى حال الانسان كناية بالمستعار **قوله** لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان
اهلكه على ظاهره اشكال فانه يحتمل ان يقال كل جزء من المال فان ابقاه زيادة فيه وعدمه نقصان منه

وجوابه

وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه عليه السلام لم يرد هاهنا مطلق الزيادة والنقصان فى المال بالنسبة الى المال كان
الضميرين المنصوبين فى يزيده وينقصه عائدان الى الشخص المعبر عنه باحدكم المامور بالانفاق وانما اراد الزيادة
والنقصان فيما للذين يعتبر تاثيرهما فى صلاح حال الانسان وعدم صلاحه فان الفضل الزائد فى مال الانسان
على القدر الذى يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس زيادته معتبرة فى صلاح حاله ولا نقصانه معتبرا فى فساد
حاله فلا يزيده اذن ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما يقول الانسان لمن يريد ان يسهل عليه امرا حقيرا
يشدد فى طلبه ان هذا الامر لا يضرك ان تركته ولا ينفعك ان اخذته اى بالنسبة الى صلاح حالك الثانى
انه يحتمل ان يريد الزيادة والنقصان فى الثواب والاجر فى الآجل والثناء والذكر فى العاجل اى لا يزيده صلاح
حال عند الله وعند الناس بل يكون سببا لفساد حاله اما عند الله فلان امساك الفضل من المال عمن له اليه
ضرورة من عباد الله سبب للشقاء العظيم والعذاب الاليم فى الآخرة لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الآية واما عند الناس فلذلك [illegible] مقالاتهم فى ذم البخل
والبخلاء وكذلك لا ينقصه اى لا ينقص من صلاح حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق فى سبيله من الاجر الجزيل
والثواب الجزيل كقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا
اذى الآية ونحوها واما عند الناس فلما اتفقوا عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملاء به الصحف من النظم
والنثر فيهم فاما قوله ومن يقبض يده عن عشيرته الى آخره فمعناه ما ذكره السيد رضه وهو ان الممسك خيره عن
عشيرته انما يمسك عنهم نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه فمنع ترافد
الايدى الكثيرة الا ان هذا البيان يحتاج الى تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدى الكثيرة اتم و
اولى بصلاح حاله واكثر من النفع الحاصل له بقبض يده عن النفع بما وجب عليه ان يستجلب بمد يده بالنفع
مد الايدى الكثيرة الى نفعه والا لكان بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم مستلزما لامساك
ايديهم الكثيرة عنه مضيعا على نفسه منافع عظيمة فيكون بحب ضره لنفع ما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا
لغرضه وذلك جهل وسفه **قوله** ومن يلن حاشيته يستدم من قومه المودة من تمام تاديب الاغنياء بما
يعود عليهم نفعه وينتظم به شمل المصلحة فى العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع
بذكر ثمرته اللازمة عنه التى هى مطلوبة لكل عاقل وهى استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم
مضرتهم المستلزمين لصلاح حال المتواضع فيما يقصده وقبل ذلك ادب الله تعالى نبيه ص حيث قال
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد عرفت ان سر ذلك استجلاب الافهام والمحبة منهم
عند سكونهم اليه ليجتمعوا على قبول اقواله وظاهر ان شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الخلق والتكبر كما
قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم و
شاورهم فى الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع والاخدام كان ذلك تاديبا لهم بالتواضع من جهة اخرى
وذلك ان حاشية الرجل وخاصته هم حرسه وعرضه وميزان عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله فمن
شدتهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب الناس وبعدهم منه وبغضهم وحبهم له وانسهم و

وتفارهم عنه وقال بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام من الانسان سبيل الجوارح من الجسد فحاجب الرجل وجهه و
قلبه ورسوله لسانه وخادمه يده ورجله وعينه لان من كونه تعالى لكل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها
وكما يلحقه الذم من العقلاء بترك اصلاح افعاله الصادرة عن احد جوارحه كذلك يلحقه الذم منهم بترك اصلاح من يقوم مقامه
في تلك الافعال بتولية اراذله وكما يستديم مودة اخوانه ويستجلب مودة الناس بتواضعه بنفسه ولين جانبه لهم
كذلك يستديمها بتاديب حاشيته وخدمه بالاداب المتفق على حسنها بين الناس واجملها واشرفها في ذلك لين
الجانب وترك الكبر المنفر فان اوهام الخلق حاكمة بنسبة كل خير وشر يجري من حاشية الرجل اليه وان كان صدق
هذا الكبر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** ولعمري ما علي في قتال من خالف الحق وخابط الغي من ادهان
ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا في الذي نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن
لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا **اقول** الادهان والمداهنة المصانعة والايهان مصدر اوهنه اي اضعفه
وخابط الغي بلفظ المفاعلة يخبط كل منهما في الاخر وقد مر ان الخبط هو المشي على غير استقامة والغي الجهل ونهجه
اي اوضحه وعصبه بكم اي علقه بكم وربطه والفلج الفوز والمنحة العطية وفي هذا الفصل رد لقول من قال ان
عليه السلم محاربه ومخالفيه ومداهنتهم او سلم من محاربتهم فرد ذلك بقوله لعمري ما علي الى قوله ولا ايهان اي
ليس مصانعتهم بواجبة علي من طريق المصلحة الدينية وليسوا المستضعفين بها ولا علي في قتالهم عجز وفي ذكر وصفه
لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة الغي او البغي تنبيه على معين ... لهم قيام عذره في قتالهم اذ كانت
مقاتلة من هذه صفته واجبة فلا يكون الكار ... ثم اردف ذلك باوامر اولها الامر بتقوى الله وقد
علمت ان تقوى الله هو خشية المستلزمة للاعراض عن كل ما يبعد عنه وهو الزهد الحقيقي كما سبقت
الاشارة اليه الثاني الامر بالفرار الى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس الى كعبة
وجوب وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولها الفرار من بعض اثاره الى البعض كالفرار
من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به و
اعف عنا واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله وافعاله ففروا من بعضها الى البعض الثانية
ان يفني العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات
فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عم اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك عن
مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط صفتان فاستعاذ باحدهما من
الاخرى الثالثة ان يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجا من الله
الا اليه وكما ورد في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك واليك اي منك بدء الوجود
وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجا ولا منجا ولا مفر منك الا اليك وقد جمع
الرسول صلعم هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك
من عقابك وهو كلام عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي
كذلك قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو في المعفو عنه كالخلق والصنع ثم لما قرب فغني عن مشاهدة الافعال

ودرجة

ودرجة الى مصادرها وهي الصفات فقال واعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم لما راى ذلك نقصانا
في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك منك وهذا
فرار اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة
في لجة الوصول درجات اخرى لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلعم قربا قال لا احصي ثناء عليك فكان ذلك حذفا لنفسه
عن درجة الاعتبار في ذلك المقام واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من صفات الجلال ونعوت الكمال وكان
قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا للاخلاص وتجريدا للكمال المطلق الذي به هو هو عن ان يلحقه حكم الغير
وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك فاعلم ان مقصوده عم بقوله وفروا الى الله من الله امر بالفرار الى المرتبة الثالثة
من المراتب المذكورة الثالث الامر بالمضي فيما نهج لهم من السبيل الواضح العدل الذي هو واسط بين طرفي
الافراط والتفريط والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت ان الغرض من سلوك هذا
السبيل وامتثال التكاليف التي الزم الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس
المطمئنة بحيث تصير مؤتمرة لها ومتصرفة تحت حكمها العقلي منقادة لها عن الانهماك في ميولها الطبيعية ولذاتها
الفانية ويجب ان تعلم ان هذه الاوامر الثلثة هي التي عليها مدار الرياضة والسلوك الى الله تعالى فالامر الاول والثالث
امر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات الى الله تعالى وعلى تطويع النفس الامارة والامر الثاني توجيه
السر الى الله وقد تبين فيما مر ان هذه الامور الثلثة هي الاغراض التي يتوجه نحوها الرياضة المستلزمة
لكمال الاستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال عم فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم
بواجب ما امرتم به من هذه الاوامر كان ذلك مستلزما لفوزكم بدار القرار بجنات تجري تحتها الانهار التي
هي الغايات الحقيقية ولمثلها يعمل العاملون وفيها يتنافس المتنافسون ان لم يتم لكم الفوز في الدار
العاجلة فتمنحوه فيها وقد يتم الفوز بالسعادتين العاجلة والاجلة لمن وفت قوته بالقيام بهما وكمل استعداده
لذلك في علم الله ولما كان حصول السعادة والفوز عن الاوامر المذكورة امرا واجبا واضح الوجوب في علمه
لاجرم كان ضامنا له فان قلت ما وجه اتصال هذه الاوامر بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل
الى قوله ولا ايهان هو الاعذار الى السامعين في قتال مخالفي الحق وكان مفهوم ذلك هو الحث على جهادهم
والتنفير مما هم عليه من الطريق الجائر كان تعقيب ذلك بذكر الطريق الواضح المامور بسلوكه ولزوم حدود
الله فيه هو اللائق الواجب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب
معوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن
ارطاة فقام الى المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الراي فقال عم ما هي الا الكوفة اقبضها وابسطها
وان لم تكوني الا انت تهب اعاصيرك فقبحك الله ثم تمثل بقول الشاعر لعمر ابيك الخير يا عمرو انني على وضر من ذا الاناء
قليل انبئت بسرا قد اطلع اليمن واني والله لاظن ان هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم
عن حقكم وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل وبادائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في
بلادهم وفسادكم فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته اللهم اني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئموني

فأبدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء أما والله لوددت أن لي بكم ألف
فارس من بني فراس بن غنم ::: هنالك لو دعوت أتاك منهم ::: فوارس مثل أرمية الحميم ثم نزل قال السيد رضي
الله عنه أقول الأرمية جمع رمي وهو السحاب والحميم وقت الصيف وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا
وأسرع خفوقا لأنه لا ماء فيه وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء وذلك لا يكون في الأكثر إلا في الشتاء وإنما
أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والإغاثة إذا استغيثوا أقول السبب أن قوما بصنعاء من شيعة
عثمن يعظمون قتله بايعوا عليا عليه السلم على دغل فلما اختلف الناس عليه بالعراق وكان العامل له يومئذ على صنعاء
عبيد الله بن العباس وعلى الجند بها سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن أبي بكر بمصر وكثرت غارات أهل الشام
تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمن فأنكر عليهم عبيد الله بن العباس فتظاهروا بالمنابذة عليه فحبسهم فكتبوا
إلى أصحابهم بالجند فعزلوا سعيد بن نمران عنهم وأظهروا أمرهم فانضم إليهم خلق كثير أرادوا منع الصدقة فكتب عبيد الله
وسعيد إلى أمير المؤمنين عليه السلم بخبرهم فكتب إلى أهل الجند كتابا يتهددهم فيه ويذكرهم الله تعالى
فأجابوه بأنا مطيعون إن عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ثم كتبوا إلى معوية فأخبروه فوجه إليهم
بسر بن أرطاة وكان قتالا سفاكا للدماء فقتل في طريقه بمكة داود وسليمن ابني عبيد الله بن العباس وبالطائف
عبد الله بن المدان وكان صهرا لابن عباس ثم انتهى إلى صنعاء وقد خرج عنها عبيد الله وسعيد واستخلفا
عليها عبد الله بن عمرو بن أراكة الثقفي فقتله بسر وأخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد على علي عليه السلم بالكوفة عاتبهما
على تركهما قتال بسر فاعتذرا إليه بضعفهما عنه فقام عليه السلم إلى المنبر ضجرا من مخالفة أصحابه له في الرأي فقال ما هي إلا الكوفة
الفصل إذا عرفت ذلك فنقول الأعصار ريح تهب فتثير التراب والوضر بفتح الضاد الدرن الباقي في الإناء
بعد الأكل واستعار لكل بقية من شيء قليل الانتفاع بها والإناء بالنون في حسن المنظر من الطعم واطلع اليمن أي غشيها بسر
سيدالون أي يصير الأمر إليهم والدولة لهم والقعب القدح الضخم وماث الشيء إذابه واعلم أن الضمير في قوله
ما هي للكوفة وإن لم يجر لها ذكر في اللفظ إلا أن تعينها عن أهلها قبل ذلك وحضورها في ذهنه مرارا وحضورها
في ذهنه يجري مجرى الذكر السابق لها وأقبضها خبر ثان أو لمبتدأ محذوف تقديره أنا ويحتمل أن يكون ضمير النفس
وأقبضها خبر عن الكوفة ونظيره في الاحتمالين قوله تعالى إنها لظى نزاعة للشوى ويفهم من هذا الكلام حصر ما بقي له من البلاد
التي يعتمد عليها في الحرب ومقاتلة العدو في الكوفة وهو كلام في معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا وما بقي له
من التصرف الحق بالنسبة إلى ما لغيره من التصرف الباطل وأقبضها وأبسطها كنايتان عن وجوه التصرف
فيها أي أن الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقيرة بالنسبة إلى سائر البلاد التي عليها الخصم فما عسى
أصنع بتصرفي فيها وما الذي أبلغ به من دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده من المال
القليل إذا رام به أمرا كثيرا إنما هو هذا الدينار فما عسى أبلغ به من الغرض وقوله فإن لم تكوني إلا أنت تهب
أعاصيرك عدول من الغيبة إلى الخطاب والضمير بعد إلا تأكيد للذي قبلها والجملة الفعلية بعده في موضع الحال
وخبر كان محذوف ولفظ الأعاصير يحتمل أن يكون على حقيقته فإن الكوفة موصوفة بهبوب الأعصار فيها ويحتمل أن
يكون مستعارا لما يحدث من آراء أهلها المختلفة التي هي منبع الغدر به والتثاقل عن ندائه ووجه المشابهة

بالنسبة

بالنسبة المستعار منه ولزوم الأذى والإزعاج وتقدير الكلام فإن لم تكوني إلا أنت عدة لي وحجة التي بها العدو وحظا
من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فقبحك الله وهو ذم لها بعد ذكر وجه الذم ولأجل استعارة الأعاصير
تمثل بالبيت لعمر أبيك الخير ومعنى تمثله به أنه على بقية من هذا الأمر كالوضر القليل في الإناء وهو يشبه الوجه الاستعارة
فاستعار لفظ الإناء للدنيا ولفظ الوضر القليل فيه للكوفة ووجه الشبه ما يشترك فيه الكوفة والوضر من الحقارة
بالنسبة إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا وما اشتمل عليه الإناء من الطعام ومن روى الإناء فإنما أراد أنه على بقية
من هذا الأمر كالقدر الحاصل في ظرف الإناء من حسن المنظر مع عدم انتفاعه منه بشيء آخر ويكون قد استعار لفظ الإناء
لسائر بلاد الإسلام ولفظ الوضر لما في يده هو من حسن المنظر استعارة في الدرجة الثانية وإنما خص الكوفة
دون البصرة وغيرها لأن جمهور من كان يعتمد عليه في الحرب إذن هم أهل الكوفة وقوله أنبئت بسرا إلى قوله منكم
شروع في استنفارهم إلى الجهاد فأعلمهم أولا بحال بسر وخروج اليمن عن أيديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الغالب
أن سيدال القوم منهم ثم أعقب ذلك بذكر أسباب توجب وقوع ما حكم به وهي الأمارات التي منها حكم وذكر
أربعة أمور من قبلهم هي أسباب الانقهار وأربعة أمور من قبل الخصم مضادة لها هي أسباب القهر ورتب
كل أمر عقيب ضده ليظهر لهم المناسبة بين أفعالهم وأفعال خصومهم فيرجعوا برأي الدين والمروة إلى النزوع عن
سوء الرأي فالأول من أفعال الخصم الاجتماع والتوازر وإن كان على باطل وهو التصرف الغير الحق في البلاد
والأول من أفعالهم ما يضاد ذلك وهو تفرقهم عن حقهم أي تصرفهم المستحق لهم بإذن ولي الأمر الثاني من أفعال
الخصم الطاعة للإمام الجائر فيما يأمر به من الباطل ومن أفعالهم معصية الإمام الحق في أمره بالحق الثالث من أفعال الخصم أداؤهم
الأمانة إلى صاحبهم وهي لزوم عهده والوفاء ببيعته ومن أفعالهم ضد ذلك من الغدر والخيانة في العهد بتركهم
لموازرته في القتال وعصيانهم أمره حتى صار الغدر مثلا لأهل الكوفة الرابع صلاح القوم في بلادهم أي انتظام
أمورهم فيها الناشئ عن طاعة إمامهم ومن أفعالهم ما يضاد ذلك من فسادهم في بلادهم بخروجهم عن طاعة إمامهم
وظاهر أن الأمور الأربعة المذكورة من أفعال الخصم من أسباب صلاح الحال وانتظام الدولة والغلبة والقهر
وأن الأمور الأربعة المضادة لها من أفعالهم من أقوى الأسباب الموجبة للانغلاب والانقهار قوله
فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته بالغ في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية عن خيانتهم
الأمانة في عهده على قبول أوامره وقوله اللهم إني قد مللتهم وملوني شكاية إلى الله سبحانه منهم وعرض لما في
ضميره وضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن أحوالهم والملال والسأم مترادفان وحقيقته إعراض النفس عن
الشيء إما لفتور القوى البدنية وكلالها عن كثرة الأفاعيل وإما لاعتقاد النفس عدم نيل أو أمارة حقيق لها
أن ما يطلبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين له عليه السلم من أفعالهم فإنه لم يبق منهم ولم يدع
عليهم حتى عجزت قواه عن التطلع إلى وجوه إصلاحهم وانصرفت نفسه عن معالجة أحوالهم لاعتقاده أن تقويمهم
غير ممكن له وأما سأمهم منه فإما لاعتقادهم أن مطلوباتهم التي كانوا يريدونه لها غير ممكنة منه أو لكثرة تكرار
أوامره بالجهاد والذب عن دين الله والمواظبة على أوامر الله على قوام الضعفاء التي هي مع ضعفها مشغولة
بغير الله فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله وامتثال أوامره ثم أردف تلك الشكاية بالتضرع إلى الله تعالى

في خلاص منهم ثم بالدعاء عليهم فدعا الله لنفسه اولا ان يبدله خيرا منهم اما في الدنيا فقوما صالحين ينظرون بنور الله
نعم عليهم فينصروا الدين واما في الآخرة فقوما عرفوا في مطالعة انوار كبرياء الله فاصحابهم بما ينال جنة واسنى
مراتب كرامته قوما انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وطلبه
الخير منهم في الدنيا هو الارجح في الذهن لما تمناه بعد من فوارس بني فراس ثم دعا الله عليهم ان يبدلهم شرا منه
فان قلت ان صدور مثل هذا الدعاء منه مشكل من وجهين احدهما انه ينبغي ان يكون هو ذا شر وقد ثبت انه
كان منزها من الشرور الثاني في انه كيف يجوز منه ان يدعو بوجود الشرور ووجود الاشرار قلت الجواب عن
الاول من وجهين احدهما ان صيغة افعل التفضيل كما ترد لاثبات الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة
فيحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني اي ابدلهم من فيه شر غيري الثاني ان يكون شرا مني بحسب عقائدهم
ان في شرا عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في
دعاء الله ان يبدلهم من هو شر مصلحة تامة حسن منه ذلك وبيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور
ذلك الدعاء منه عليهم بمشهد منهم ومسمع من اعظم الاسباب المخوفة الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وذلك مصلحة
ظاهرة الثاني ان نزول الامر المدعو به عليهم بعده مما ينبههم عن غفلة ويذكرهم انه لم يصبهم ذلك الا لتركهم
اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته فينتهوا ويعرفوا من مسالك الغي والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك
لطفا من الله لهم الثاني انه لعله انما دعا عليهم لعلمه انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله مما يدعوهم اليه ومن لا يرجى
صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده ولزومه لما فيه الفساد مطلوب الله منه فعدمه اولى من وجوده فكان
دعاؤه عليهم اذن مستندا بالاية ومثل ذلك يحمل ايضا دعاؤه عليهم اللهم سلط عليهم كما يأتي انشاء الله تعالى
وذلك تأسي منه بالسابقين من الانبياء في التضجر من قومهم والشكاية منهم الى الله تعالى ودعائهم عليهم كنوح
اذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الآيات ربنا انهم عصوني
ثم ختم بالدعاء عليهم بان لا يبقي منهم احدا فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الآية وكلوط
اذ قال لقومه اني لعملكم من القالين وغيرهما من الانبياء والمراد بالميث المدعو به ان يكون ما يحصل
في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك ان الغم اذا فرط لزمه تكاثف الروح القلبي لبرد
الحادث عن انطفاء الحرارة الغريزية لشدة انقباض الروح واختفائه فيحصل في القلب انفعال
شبيه بالعصر والمرس وذلك في الحقيقة الم او مستلزم له فحسن ان يكون مرادا له ويحتمل ان يكون كناية
عن اسبابه من الغم والخوف وكانه طلب من الله ان تضيق لهم اذ ماتوا قلبه غيظا والحالهم ويروى
ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج بن يوسف ويروى انه ولد بعد ذلك اليوم باوقات
يسيرة وفعل الحجاج باهل الكوفة ظاهر وديارة لها مشهور وقوله اما والله لوددت ان لي بكم الف
فارس من بني فراس بن غنم بيت مثله لمن ذكر بانا لحجر منهم الذي طلبه اولا من الله بدلا عوضا بهم
وبنو فراس حي من تغلب ابوهم غنم بفتح الغين وسكون النون وهو غنم بن تغلب بن وائل وانما خص هذا
البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية وسرعة اجابة الداعي فاما البيت هنالك لو دعوت فغناه ماذكره بسبب

الرضي رضه ووجه تمثله بهذا البيت ان هؤلاء القوم الذين وده انهم كانوا له عوضا عن قومه هم بصفة الفوارس
الذين اشار اليهم الشاعر في المبادرة الى اجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم فلذلك تمناهم
عوضا ومقصوده في جميع ذلك ذمهم وتوبيخهم وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عما هي عليه من
التثاقل عن دعوته للذب عن دين الله وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلم إن الله بعث
محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة
خشن وحيات صم تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم
منصوبة والآثام بكم معصوبة اقول الاناخة المقام بالمكان والحية الصماء هي التي لا تنزجر بالصوت كانها
لا تسمع وربما يراد بها الصلبة الشديدة والجشب هو الطعام الغليظ الخشن ويقال هو الذي لا ادام معه
ومعصوبة مشدودة واعلم انه عم اقتص امورا وقفت بحسن مدحها وذمها فبدأ بذكر النبي صلى الله عليه وآله وذكر بعض
اسباب غاية البعثة فانه لما كانت الغاية منها هي جذب الخلق عن دار الغرور الى الواحد الحق وكان
ذلك الجذب تارة بالنذارة وتارة بالبشارة ذكر هاهنا النذارة وخصها بالذكر لانها السبب الاقوى
في الردع فان عامة الخلق وجمهورهم قلما يلتفتون الى ما وعدوا به في الآخرة اذ قابلوا ذلك بلذاتهم الحاضرة
فان تلك امور غير متصورة لهم الا بحسب الوصف الذي انما يكشف لهم عن امور محسوسة يشبه ما هم فيه
او اضعف عندهم ثم ان بينها شروطا شرائط صعبة في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر لذاتهم مع ارتباطها
عن الشروط والتكاليف الشاقة فلذلك قل ما يلتفتون الى الوعد عما هم فيه فكان السبب الاقوى في الردع
والالتفات الى الله انما هو الانذار والتخويف فاذا انضم اليه الوعد ادى الجموع الغاية ولما كان
مقصوده عم في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الفظاظة والقسوة
كان الاليق هاهنا ذكر انذار النبي للعالمين ليتذكروا بذلك تفصيل الانذارات الواردة في القرآن
والسنة ثم اردف ذلك بذكر كونه امينا على التنزيل ليتذكروا ان الانذارات الواردة هي من عند الله تعالى
انذر بها الرسول غير خائن فيها بتبديل او زيادة او نقصان فيتأكد في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون ادعى
لهم الى الانفعال عن اقواله ثم شرع بعده في اقتصاص احوالهم التي كانوا عليها والواو في قوله وانتم للحال
اي حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمدا وذكر احوالهم في معرض الذم لهم فذكر انهم كانوا على شر دين
وهو عبادة الاصنام من دون الله واعظم بذلك اقتضاها لمن عقل منهم اسرار الشريعة وعرف الله
سبحانه فلا حسبه عند سماع هذا التوبيخ الا خجلا مما فرط في جنب الله ويقول يا ليتني لم اشرك بربي
احدا ثم اردف ذلك بتذكيرهم بما كانوا فيه من شر دار واراد نجدا او تهامة وارض الحجاز وبين كونها
شر الديار فيها واحوالهم اما في مساكنهم فبانا ختم بين الحجارة السود الخشن التي لا نداوة بها ولا نبات
والحيات الصم التي لا علاج لسمومها ووصفها بالصم لان حيات تلك الارض على غاية من القوة وحدة السموم
لاستيلاء الحرارة واليبس عليها واما في مشربهم فلان الغالب على المياه التي يشربونها ان تكون كدرة
لا يكاد غير المعتاد بها ان يقبل عليها مع العطش الا عند الضرورة والسبب الغالب في ذلك عدم

اقامتهم بالمكان الواحد بل هم ابدا في الحل والارتحال ولا يحفرون المياه ويصلبون الارشية ما هم عليها
فربما كان بعضهم يحفر وبعضهم يشرب وشاهدتهم يوضح ذلك واما في مأكلهم فخشونتها ظاهرة فانك تجد
عامتهم يأكل ما دب من حيوان وسئل بعض العرب اي الحيوانات تأكلون في البادية فقال نأكل
كل ما دب ودرج الا ام حبين فقال السائل لتهن ام حبين السلامة قال صاحب المجمل وام حبين دويبة قدر
كف الانسان وبعضهم يخلط الشعر بنوى التمر ويطحنها ويتخذ منها خبزا وروي انهم كانوا في ايام المجاعة
يلوثون اوبار الابل بدم القراد ويخبزونها فاذا نضجت وقروها وصنعوا طعاما واما في سفكهم الدماء
بعضهم لبعض وقطع ارحامهم فظاهر ايضا فان الولد كان يقتل اباه وبالعكس واما نصبهم على الاصنام
وعطب الاثام بهم في جاهليتهم فغني عن البيان ولفظ العصب مستعار من لزوم الاثام لهم في تلك الحال
عن معناه الاصلي وهي استعارة لفظ لنسبة بين محسوسين لنسبة بين معقولين او بين معقول ومحسوس
وانما ذكرهم عليه السلام بهذه الاحوال لينبههم لنسبة ما كانوا عليه قبل الى ما هم عليه في تلك الحال من اضداد ذلك
اذ بدلوا بما كانوا فيه من خسة احوالهم في الدنيا صلاح حالهم فيها ففتحوا المدن وكسروا الجيوش وقتلوا
الملوك وغنموا اموالهم كما قال تعالى في الامتنان عليهم وتذكيرهم انواع ما انعم عليهم به واورثكم ارضهم وديارهم
واموالهم وارضا لم تطؤها وجعل لهم الذكر الباقي والشرف الثابت كل ذلك زيادة على هدايته لهم
الى الاسلام الذي هو طريق دار السلام وسبب السعادة الباقية وانما كان ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله
اليهم واعلم ان سياق هذا الكلام يقتضي مدح النبي صلى الله عليه وآله فيما حذف من الفصل بعده لينبه على مقصود الوجه
شبه على دوام ملاحظة السامعين لنعم الله عليهم فيلاحظوا استحقاقه لتمام العبادة على احوالهم ويكونوا
في وجل من خوفه وشوق اليه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم **منها** فَنَظَرْتُ فَاِذَا لَيْسَ لِي
مُعِينٌ اِلَّا اَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَاَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى وَصَبَرْتُ عَلَى اَخْذِ
الْكَظَمِ وَعَلَى اَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ **اقول** ضننت بكسر النون اي بخلت ونقل الفراء بالفتح ايضا واغضيت على كذا
اي اطبقت عليه جفني والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغيظ ونحوه
فلا يكاد يسيغ الانسان معه الشراب وقد مر تفسيرهما واخذ الكظم اي مجرى النفس والعلقم شجر بالغ
المرارة ويصدق بالعرف على كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وآله في امر الخلافة وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية ممن يرى انه احق منه بالامر
فاشار الى انه فكر في امر المقاومة والدفاع عن هذا الحق الذي يراه اولى به فرأى انه لا ناصر له الا اهل
بيته وهم قليلون بالنسبة الى من يعينه ومن يعين عليه فانه لم يكن له معين يغلب على الظن الا بني هاشم
كالعباس وبنيه وابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة
ظاهر فضن بهم على الموت لعلمه انهم لو قاوم بهم لقتلوا ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن بهم عن الموت لزمه
ما ذكر من الامور وهي الاغضاء على القذى عن صبره عن المقاومة كناية بالمستعار ووجه المشابهة بينهما
استلزامهما الالم البالغ وبالقذى ما يعتقده ظلما في حقه وكذلك قوله وشربت على الشجى ملاحظة لوجه شبه

بين ما يجري له من الامور التي توجب له الغضب والغيظ وبين الالم الذي يشرب على الشجى وهو استلزامهما
الاذى وعدم التلذذ والاساغة ولذلك استعار له لفظ الشرب وكذلك قوله وصبرت على اخذ الكظم
وعلى امر من طعم العلقم فيه استعارات حسنة لفظ اخذ الكظم كنى بها عن اخذ الوجوه عليه وتضييق الامر فيما يطلبه
ولفظ المرارة التي هي حقيقة في الكيفية المخصوصة في الاجسام لما يجده من الالم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة
في هاتين الاستعارتين لزوم الاذى ايضا واما ان الذي وجده امر من العلقم فظاهر اذ لا نسبة لالم البدن
في الشدة الى الالم النفساني واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فروى المحدثون
من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الاهواء فمنها ما هو الذي عليه جمهور
الشيعة ان عليا عليه السلام امتنع من البيعة لابي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وامتنع معه جماعة بني هاشم كالزبير وابي سفيان
بن الحارث والعباس وبنيه وغيرهم وقالوا لا نبايع الا عليا وان الزبير شهر سيفه فجاء عمر في جماعة من الانصار
فاخذ سيفه فضرب به الحجر فكسره وحمل جماعتهم الى ابي بكر فبايعوه وبايع معهم علي عليه السلام كرها وقيل ان عليا عليه السلام
اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام وعلموا انه مفرد فتركوه وروى نصر بن مزاحم في كتاب صفين انه كان يقول
لو وجدت اربعين ذوي عزم لقاتلت ومنها هو الذي عليه جمهور المحدثين من غير الشيعة انه امتنع من البيعة
ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفي صحيحي مسلم والبخاري كانت وجوه الناس تختلف
اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر وبالجملة فحال الصحابة
في اختلافهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى في سقيفة بني ساعدة وحال علي في طلب هذا الامر ظاهر وقول العاقل
اذا طرح العصبية والهوى عن نفسه ونظر فيما نقله الناس في هذا الباب علم ما جرى بين الصحابة من الاختلاف
والاتفاق وهل بايع علي طوعا او كرها وهل ترك المقاومة عجزا او اختيارا ولما لم يكن غرضنا الا تفسير
كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك فعليه بكتب التواريخ
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص وَلَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ اَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا فَلَا ظَفِرَتْ
يَدُ الْبَائِعِ وَخَزِيَتْ اَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ فَخُذُوا لِلْحَرْبِ اُهْبَتَهَا وَاَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَعَلَا سَنَاهَا
وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَاِنَّهُ اَدْعَى اِلَى النَّصْرِ **اقول** خزيت اي ذلت وهانت والاهبة الاستعداد والعدة
اي ما يعد لها من الآلات والسلاح وشب لظاها اي اوقدت نارها واثيرت وروي
شب بالبناء للفاعل اي ارتفع لهبها والسنا مقصورا الضوء والسناء [illegible] من الباب بالجزم والحكم
ان هذا الفصل من اقتصاص كلام ذكره عليه السلام فيه حال عمرو بن العاص مع معوية فذكر انه لم يبايعه حتى شرط عليه ان
يؤتيه على بيعته ثمنا وذلك انه لما نزل عليه السلام بالكوفة بعد فراغه من امر البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه فيه
الى البيعة فاهمه ذلك فدعا قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمان فاجابوه واراد الاستظهار في امره
فاشار عليه اخوه عتبة بن ابي سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه
وعرف حاجته اليه تباعد عنه وجعل يمدح عليا عليه السلام في وجهه ويفضله ليخدعه عما يريد منه ففي ذلك ان معوية قال
له يوما يا ابا عبد الله اني ادعوك الى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة واظهر

الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو ومن هو قال علي فقال والله يا معوية ما انت وعلي بعدلي بعير ليس لك هجرته
ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه وعلمه والله ان له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لاحد غيره ولكني قد تعودت
من الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي ان بايعتك على حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال له مصر طعمة فلم
يزل معوية متلكئا عليه وبماطله وهو يشح عن مساعدته حتى رضي معوية ان يعطيه مصر فعاهده على ذلك وبايع
عمرو معوية وكتب له بمصر كتابا في ذلك معنى قوله ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف
ذلك بالدعاء على البايع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب او بالثمن بقوله والا ظفرت يد البايع واخزيت
بالتوبيخ والذم المبتاع بذكر هوان امانته عليه وهي بلاد المسلمين واموالهم التي افاء الله عليهم ويحتمل ان يكون
اسناد الخزي الى الامانة اسنادا مجازيا او على سبيل الاضمار اسنادا على غيره المبتاع اي وخزي المبتاع
في امانته بخيانته لها وذهب بعض الشارحين الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمرو وهو ضعيف
لان الثمن اذا كان مصر فالمبتاع هو معوية ثم لما ظهرت دعوة معوية لاهل الشام ومبايعة عمرو لم يكن ذلك
من دون بل الحرب فلذلك امر عليه السلام اصحابه بالتاهب لها واعداد عدتها وكنى عما ذكرناه من امارات وقوعها
بقوله فقد شب لظاها وعلا سناها كناية بالمستعار ووجه المشابهة بين لهب النار وسناها وامارات
الحرب كونها علامات ظاهرة عن ما يخشى منه الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون اطلاق لفظ السنا رشحا
للاستعارة ثم اردف ذلك بالامر بالصبر في الحرب واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه شعارا
ووجه استعارته من الثوب لملازمته الجسد او يراد اتخاذه علامة لان شعار القوم علامتهم ايضا ويحتمل
ان يكون استفعالا من الشعور اي ليكن في شعوركم الصبر وان كان الاستشعار يقول ان يراد من الشعار
بالحاقه الى الشعور وقوله فان ذلك ادعى الى النصر بيان لفايدة اتخاذ الصبر شعارا او علامة اما ان
كان المقصود الزموا انفسكم الصبر فظاهر ان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصود
اتخاذه علامة فلان من كان الصبر في الحرب علامة له يعرفه الخصم بها كان الخصم متصورا له فهذا ادعى الى الانقهار
فكان المستشعر لتلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان كان المراد اخطاره بالبال فظاهر انه سبب لزومه
والله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه
وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله
البلاء وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسهاب واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف
ومنع النصف الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم
قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات
وملكت عليكم الاوطان وهذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وازال
خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المراة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها
وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم
كلم ولا اريق له دم فلو ان امرءا مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديرا

فيا عجبا

فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم
غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم
في ايام الحر قلتم هذه حمارة القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة
القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من
السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم
ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملاتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا
وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي رايي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن ابي
طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد
نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا راي لمن لا يطاع اقول هذه الخطبة
مشهورة ذكرها ابو العباس المبرد وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه علج من اهل الانبار فاخبره
ان سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل لمعوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري
فصعد المنبر وخطب الناس وقال ان اخاكم البكري قد اصيب بالانبار وهو معتز لا يخاف ما كان
واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما
بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشي فلم ينطق احد منهم بكلمة فلما راى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلا حتى اتى النخيلة
والناس يمشون خلفه حتى احاط به قوم من اشرافهم وقالوا ترجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفونني
ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب
سفيان بن عوف فخرج حتى انتهى الى ادانى ارض قنسرين وقد فاته فرجع وكان علي عليه السلم في ذلك الوقت
عليلا فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن
والحسين عليهما السلم وعبد الله بن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقراها
على الناس بحيث يسمع ويسمعون وفي رواية المبرد انه لما انتهى اليه ورود خيل معوية الانبار وقتل حسان
ابن حسان خرج مغضبا يجر رداه حتى اتى النخيلة ومعه الناس فرقي رباوة من الارض فحمد الله واثنى عليه
وصلى على النبي صلعم ثم قال الخطبة ورواية المبرد التي بصورة الكلام اظهر وروي انه قام اليه رجل في اخر
الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين اني وابن اخي هذا كما قال الله تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي
فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال واين انتما
مما اريد ولنرجع الى التفسير فنقول الجنة ما استترت به من سلاح او غيره وديث اي ذلل ومنه الديوث
الذي لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماء ممدود مصدر قمؤ قماءة فهو قمي الحقارة والذل وروى الراوندي
القما بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبنا للمفعول اذا ذهب عقله من اذى يلحقه واديل الحق منه
اي غلب عليه عدوه وسامه خسفا جشمه اياه وخسفا اي اولاه ذلا وكلفه المشقة والنصف بكسر النون وسكون
الصاد الاسم من الانصاف وضم النون لغة فيه وعقر الشي اصله والتواكل ان يكل كل واحد منهم الامر الى صاحبه

ويقيم عليه فيه وشن الغارة واشتنها فرقها عليهم من كل وجه وغامد قبيلة من اليمن وهي من الازد ازد شنوءة والمسالح
جمع مسلحة وهي الحدود التي ترتب فيها ذوو الاسلحة في مخافة عادية العدو كالثغر والمعاهدة الذمية والحجل بكسر الحاء
وفتحها الخلخال والقلب السوار المصمت والرعاث جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين وفتحها وهي القرط والرعاث
ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع قول انا لله وانا اليه راجعون والاسترحام مناشدة الرحم
والوافر التام والكلم الجرح والترح الحزن والغرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره وسبخ
الحر فتر وخف وصبارة القر شديد البرد ايضا شدة البرد وسبخ يخفف وربات الحجال النساء والحجال جمع
حجلة وهي بيت العروس يزين بالستور والثياب والسدم الحزن مع الندم والقيح ما يكون في القرحة من المدة
والصديد وشحنتم ملأتم والنغب جمع نغبة بضم النون وهي الجرعة والتهمام بالفتح الهم والمراس العلاج وذرفت
نيفت يقال ارب على الستين اي زاد واعلم ان قوله اما بعد الى قوله ومنع النصف صدر الخطبة بين فيه فضل
الجهاد وهو الحث على الجهاد فانه لما ذكر الجهاد وتعظيمه وخطاب من قصر عنه علم من ذلك انه يريد ان يحث السامعين
على جهاد عدوهم فذكر من مدائح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد تارة يراد به
جهاد العدو الظاهر كما هو الظاهر هنا وتارة يعنى به جهاد العدو الخفي وهو النفس الامارة بالسوء
وكلاهما باب من ابواب الجنة والثاني منهما مراد بواسطة الاول اذ هو لازم له وذلك انك علمت ان
لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية سعي عباد الله الابرار ثم قد ثبت بالنص
من دين محمد ص ان الجهاد احد العبادات الخمس وتبين ايضا في علم السلوك ان اسرار العبادات الشرعية
هي المتممة والمعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة الى
الجنة التي وعد المتقون فيعلم من هذه المقدمات ان الجهاد الشرعي باب من ابواب الجنة اذ منه يعبر المجاهد
السالك الى الله الى الباب الاعظم للجنة وهو الرياضة وقهر الشيطان ومن وقف على هذا السر تعلم ان
الصلوة والصوم وساير العبادات كلها ابواب للجنة اذ كان اشتمالها على الوجه المأمور بها مستلزما
للوصول الى الجنة فان باب كل شيء هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه ونحوه قول الرسول ص في الصلوة
انها مفتاح الجنة وفي الصوم ان للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون الثاني من اوصاف
الجهاد انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الاولياء المخلصون له في المحبة والعبادة وظاهر ان
المجاهد لله لا لغرض آخر من خواص الاولياء وذلك ان المرء المسلم اذا فارق اهله وولده واقدم على ما
يغلب على الظن انه اقوى منه كما امر المسلمون بان يثبت احدهم لعشرة من الكفار ثم يعلم انه لو قدر عليه لقتله
واستباح ذريته وهو في كل تلك الاحوال صابر شاكر معترف بالعبودية مسلم الامر الى الله فذلك
هو الولي الحق الذي قد اعرض عن غير الله راسا وقهر شيطانه قهرا وايس ان يطيع له امرا فان قلت
اذا كان الغرض من العبادات هو جهاد الشيطان والاخلاص لله وكان تخصيص الجهاد بالوصفين
المذكورين لاستلزامه ذلك فلم يترجح لساير العبادات مزية عليه فما معنى قول الصحابة وقد رجعوا
من جهاد المشركين رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قلت يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس

كل

كل غرضه الذاتي هو جهاد النفس بل ربما كان من اعظم اغراضه الذاتية هو قهر العدو الظاهر ليستقيم امر الناس
على الدين الحق وينتظم امرهم في سلوكه ولذلك دخل فيه من لا يراد منه الا ذلك كالمؤلفة قلوبهم وان كانوا كفارا
وذلك بخلاف ساير العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس ولا شك انه هو الجهاد الاكبر اما اولا فباعتبار
مضرة العدوين فان مضرة العدو الظاهر مضرة دنياوية فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية
ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واتم واما ثانيا فلان مجاهدة الشيطان مجاهدة عدو لازم مع [illegible]
[illegible] لا ينال غرضه الا بالخروج في زي الصديق الاصدق ولا شك ان الاحتراز من مثل
هذا العدو اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو مظهر لعداوته يتقيه الانسان في عمره مرة او مرتين وفي ذلك
تخصيص الجهاد بالاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المخالف لذا وان قلنا ان الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد
النفس الا ان جهادها في حال جهاد العدو الظاهر قد يكون اسهل وذلك ان القوى البدنية كالغضب
والشهوة يثوران عند مشاجرة العدو طلبا لدفعه وقهره فلا يحتاج النفس الانسانية فيما تراه وتأمر
فلا يكون عليها كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف ساير العبادات فان طباع تلك معاكسة فيها لراي
النفس فلذلك كان جهادها في ساير العبادات اصعب واكبر من جهادها في حال الحرب الثالث
كونه لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة واستعار له لفظ اللباس والدرع والجنة ثم رشح
الاستعارتين الاخيرتين بوصفي الحصانة والوثاقة ووجه المشابهة ان الانسان يتقي به شر العدو او في
العذاب يوم القيمة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وبدرعه وجنته ما يخشاه من عدوه ثم اردف
مدائح الجهاد بتوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر يوجب تخلفه بامور منفور عنها طبعا منها انه يستحق بتركه
ان يلبسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له ووجه المشابهة
احاطة الذل به احاطة الصفة بالموصوف كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلاء العدو فيذله بالصغار
والقماءة وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب وجه عقله العملي في تدبير مصالحه لما يلحق الذل به من
كثرة غارات العدو وتكررها منه موجب لتوهم قهره وقوته وذلك مما ينفعل عنه النفس بالانقهار
والذل ويحدث عنه لشمول بلائه وتذهب وجه عقله في استخراج وجوه المصالح في دفعه ومقاومته اما
لقلة اهتمامها بذلك عن عدم طمعها في مقاومته او لتشويشها بالخوف عن ملاحظة وجه المصلحة واطلاق لفظ الضرب
على قلبه استعارة تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ووجه الشبه هنا احاطة قفل العقل به كاحاطة القبة
المضروبة بمن فيها او لزوم قفل العقل له كلزوم الطين المضروب على الحائط له ويحتمل ان يراد بالاسهاب
كثرة الكلام من غير فائدة فان الانسان حال الخوف والذل كثيرا ما يخبط في القول ويكثره من غير اصابة فيه
وذلك لحوق بالامور كما دل الحق منه وغلبة العدو له وعدم انتصافه منه امر ظاهر عن ترك جهاد عدوه
مع التمكن من ذلك وهي امور منفور عنها طبعا ومضرة بحال من لحقته في الدارين وقد ورد في التنزيل الالهي
من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة

وفي فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وفي ومن جاهد وفي الله حق جهاده وفي ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو ذلك **قوله** الا وانه قد دعوتكم الخ لما ذكر صدر الخطبة اراد في تفصيل غرضه مما اجمل فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم اولا على ما كان من دعائه اليهم قبل من قتال معوية واصحابه مرارا كثيرة وذكرهم كيفية السابقة لهم في امرهم بغزوهم قبل ان يغزوهم ويذكرهم بما كان اعلمهم اولا من القاعدة الكلية المعلومة بالتجربة والبرهان وهو انه ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا الى علة ذلك وهو ان الاوهام افعالا عجيبة في الابدان تارة بزيادة القوة وتارة بنقصانها حتى ان الوهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه المرض وبالعكس فكان السبب في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اما اوهامهم فلانها تحكم بانهم لم يغزوا الا بعد تزول عزتها وجبنها فيحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام غيرهم فلان الغزو الذي يلحقهم لكونهم باعثا لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحركا لطمع كل طامع فيهم فيثير ذلك لهم احكاما وهمية بعجزهم عن المقاومة ثم انه اردف ذلك بما قابلوا به نصيحته من ترك الكلام وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم وتفريق الغارات من كل جانب على اوطانهم وعدوهم ثم عقب ذكر العدو والمطلق بذكره في شخص معين مشهور ونبههم عليه ليكون ادعى الى التصديق بظهور العدو عليهم اجمل وقص عليهم ما احدث من ورود خيله ديارهم وقتله لعاملهم وازالة خيلهم عن ثغورهم ومسالحهم وهتك المسلمات والمعاهدات وسلب اموال المسلمين وساير ما عدده على الوجه المذكور مما يستفز من الانسان ثم ختم ذلك القصص بما لا وطان يلحق المسلم الحق ذا الغيرة والحمية منه من الاسف والحزن المميت له بسبب ما ثبت من الاحوال المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم كل ذلك التقرير ليمهد فانونا يحسن معه توبيخهم وذمهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال امره وقبول مشورته فيما هو الاوسط والاصلح لهم ثم اردف ذلك بالتعجب من حالهم تاكيدا لذلك التمهيد فنادى العجب من حالهم منكرا للمخبر لكانه غير متعجب في حال ندائه ثم تعجب بندائه وحضر ذكره ليصفه بالشدة ونصبه على المصدر كانه لما حضر وتعجب قال عجبت عجبا ثم كذا وكذا نداء المنادي في قوله تعالى يا بشرى في قراءة من قرأ بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب الاول منصوبا على المصدر ايضا والثاني للتاكيد لما ذكرناه ويكون المنادى محذوفا تقديره يا قوم او نحوه واما وصفه له بانه يميت القلب ويجلب الهم فاعلم ان السبب في التعجب من الامر هو عدم اطلاع النفس على اسبابه لغموضها مع كونه في نفسه امرا غريبا ولذلك وضع اهل اللغة قولهم ما افعله صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعلمت ان التقدير فيها السؤال عن اسباب حسنه وكلما كان الامر اغرب واسبابه اخفى كان اعجب فاذا كان امرا خطرا مهما وانبعثت النفس في طلب سببه فتعذر عن تحصيله وتكل القوة المتخيلة عن تعيينه فيحدث بسبب عدم الاطلاع على سببه هم وغم لانه كالمرض الذي لا يمكن علاجه الا بالوقوف على سببه فيسمى ذلك الهم موتا للقلب تجوزا بلفظ الموت في الهم والغم تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه واطلاقا لاسم المسبب على السبب اذا عرفت ذلك

فنقول

فنقول ان حال قومه في تفرقهم عن حقهم مع علمهم بحقيته وحال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم في التعجب ولكون قومه والمتيقن برضاه لما تشكوا امره من التعجب المميت للقلب الذي لا يهتدي لسببه واما انه يجلب الهم فظاهر اذ كان حاله معهم كحال طبيب لمرضى الزمن يعالجهم مع خطر امراضهم وعدم لزومهم لما يأمرهم من حمية او شرب دواء فظاهر ان تلك الحال مما يجلب هم الطبيب ثم لما اراهم التعجب ووصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم اوقع ثم اردف ذلك التعجب بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير وبالحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يانف منه اهل المروة والحمية ويوجب لهم الخجل والاستحياء من حضور رتهم بسبب تقصيرهم عن مقاومة عدوهم وقد كان الاولى بهم ان يغزوا ويغزون وقد كانوا هم اولى بالغزو ويعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صورة اعذارهم في التخلف عن امره وهي تارة شدة القر ونحوها من الاعذار التي يفزع العاقل منها طمع الكسل والفتور وانه لم يكن لهم بها مقصود الا المدافعة ثم نسلم تلك الاعذار منهم واستنباطه وجعلها لهم دلا للاحتجاج عليهم بقوله فانتم والله من السيف افر وذلك ان الفار من الاهون فار من الاشد بطريق الاولى اذ كانت شدة الحر والبرد مع القتل والمجالدة بالسيف ثم اردف ذلك التبكيت بالذم لهم تنفيرا ومبالغة احدها انه نفى عنهم صفة الرجولية لاستجماعها ما ينبغي من صفات الكمال للانسان كالشجاعة والانفة والحمية والغيرة وعدم هذه الكمالات فيهم وان كانوا بالصورة المحسوسة بالرجال الموجبة لشبههم بهم وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا رجال وثانيها انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك ان ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحلم لعدم التسرع الى الغضب عن خيال يرضيه واغلب احواله ان يكون ذلك في غير موضعه وليس يحصل له حكم يكسب نفسه طمانينة كما في حق الكاملين فهو لذلك نقصان ولما كان تاركوا امره في باب الجهاد وقد تركوا المقاومة حلما عن ادنى خيال كالذين في حرب صفين عن خديعة اهل الشام بالمسالمة وطلب المحاكمة الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين فلا يجوز لنا قتالهم كان ذلك حلما في غير موضعه حتى كان من امرهم ما كان فاشبه رضى الصبيان فاطلق اسمه عليه وثانيها الحاق عقولهم بعقول الاطفال وذلك لاشتراكهم في النقصان وعدم عقليتهم لوجوه المصالح المختصة بتدبير المدن والحرب ثم غرضهم محبته لعدم رؤيتهم وعدم معرفتهم واستلزامها ندمه على الدخول في امرهم والحزن من تقصيرهم في الذب عن الدين لان المتولي لامر يغلب على ظنه استقامته حتى اذا دخل فيه وطلب انتظامه وجده غير ممكن له لا بد وان يندم على تضييع الوقت به ويحزن على عدم امكانه لوجه عالم مع اصحابه ولذلك حزنت الانبياء على تقصير اممها حتى عاتبهم الله تعالى على ذلك كقوله لمحمد صلى الله عليه وآله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ثم عاد الى الدعاء عليهم والشكاية منهم وذلك قوله قاتلكم الله وهو اعظم بما دعا عليهم به فان المقاتلة لما كانت مستلزمة للعداوة والعداوة مستلزمة للاحكام كالطرد والبعد عن الشفقة والخير من جهة العدو وكان اطلاق المقاتلة والعداوة على الله تعالى بحسب حقيقتهما غير ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمهما كالابعاد عن الرحمة مجازا قال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم الله اي لعنكم وقال ابن الانباري المقاتلة من القتل فاذا اخبر الله بها كان معناها

المعصية لأن من عصاه فهو بمنزلة المقتول الهالك **وقوله** لقد ملأتم قلبي قيحا إشارة إلى بلوغ الغاية في التألم
الحاصل له من شدة الاهتمام بأمرهم مع تقصيرهم وعدم طاعتهم له وأمره فعبر بالقيح عن ألم القلب مجازا من باب إطلاق
اسم الغاية على ذي الغاية إذ كان غاية ألم العضو أن يتقيح وكذلك إطلاق لفظ الشحن على امتلاء الصدر بالغيظ مجازا لأن
الشحن حقيقة في نسبة بين جسمين وكذلك قوله وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا أي جعلتم لي الهم وهو فيما مجازا لأن
التجريع عبارة عن إدخال الماء أو نحوه في الحلق وطريان الهم على النفس وما يلزمه من الآلام البدنية شيئا بعد شيء
تكراره عليهم يشبه طريان المشروب وتجرعه وقوله أنفاسا مجاز في الدرجة الثانية فإن النفس حقيقة
لغوية في الهواء الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا في المقدار ما يشرب من الشراب
في مرة إدخال الهواء بقدر الحاجة إطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم استعمله هاهنا في كل مقدار من الهم يرد عليه
من قبل أصحابه وقتا فوقتا وهي درجة ثانية من المجاز وقوله وأفسدتم رأيي بالعصيان من تمام شكايته منهم
ومعنى إفسادهم له خروجهم بسبب اتفاقهم إليه عن أن يكون منتفعا به لجزمهم حتى قالت قريش إنه رجل شجاع ولكن
لا علم له بالحرب فإن الخلق إذا رأوا من قوم سوء تدبير أو مضي رأي فاسد كان الغالب
أن ينسبوه إلى رئيسهم ومقدمهم ولا يعلمون أنهم الأمر الذي يرى الرأي كان قد رأى وقصر فيه وإن
التقصير من قومه ثم أردف ذلك بالرد على قريش في نسبتها له إلى قلة العلم بالحرب بقوله لله أبوهم إلخ وهي كلمة
من مادح العرب ثم سألهم عن وجود من هو أشد مراسا ومعالجة أو أقدم منه فيها مقاما سواه على سبيل الإنكار
عليهم ونبه على صدقه في ذلك بنهوضه في الحرب ومعاناة أحوالها عامة عمره وهو من قبل بلوغ العشرين إلى آخر عمره
ثم بين أن السبب في فساد حال أصحابه ليس ما نسبته قريش إليه من ضعف الرأي في الحرب كما يزعمون بل عدم
طاعتهم له فيما يراه وليس عليهم به وذلك قوله ولكن لا رأي لمن لا يطاع فإن الرأي الذي لا يقبل بمنزلة
الفاسد وإن كان صوابا والمثل له ع **ومن خطبة له عليه السلام** أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت
بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة
والغاية النار أفلا تائب من خطيئته قبل منيته ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ألا وإنكم في أيام أمل من
ورائه أجل فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضرره أجله ومن قصر في أيام أمله قبل حضور
أجله فقد خسر عمله وضره أجله ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها
ولا كالنار نام هاربها ألا وإنه من لا ينفعه الحق يضرره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال إلى
الردى ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى
وطول الأمل فتزودوا في الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا قال الرضي رحمه الله وأقول إنه لو كان كلام يأخذ
إلى الزهد في الدنيا ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام وكفى به قاطعا لعلائق الآمال وقادحا زناد
الاتعاظ والازدجار ومن أعجبه قوله ع ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار
فإن فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا وهو
قوله ع والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال والسبقة

خطبة

من الدنيا

الجنة

الجنة لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا
في النار نعوذ بالله منها فلم يجز أن يقول والسبقة النار بل قال والغاية النار لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره
الانتهاء إليها ومن يسره ذلك فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى
قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال فإن سبقتكم إلى النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب
وغوره بعيد لطيف وكذلك أكثر كلامه ع وقد جاء في رواية أخرى والسبقة بضم السين والسبقة عندهم اسم
لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عوض والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم
وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود **أقول** هذا الفصل من الخطبة التي في أولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته وستأتي بعد
وإنما قدمه الرضي عليها لما سبق من اعتذاره في خطبة الكتاب أنه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه عليه السلام
و**قوله** أدبر وأدبر أي ولى دبره وآذنت أي أعلمت وأشرفت أي اطلعت والمضمار المدة التي يضمر فيها
الخيل للمسابقة أي تعلف حتى تسمن ثم ترد إلى القوت والمدة أربعون يوما وقد يطلق على الموضع الذي يضمر فيه أيضا
والسباق مصدر مرادف للمسابقة وهو أيضا جمع سبقة كنطفة ونطاف أو سبقة كجمل وجمال أو سبق
كجمل وجمال والسبقة اسم لما يجعل للسابق من مال أو عرض والمنية الموت والبؤس شدة الحاجة وتحرزون
تحفظون واعلم أن هذا الفصل يشتمل على أمور تسعة الأول على وجوب النفار عن الدنيا وعدم الركون إليها
وذلك بقوله ألا وإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وأشار بإدبار الدنيا وإعلامها بالوداع إلى تقضي
الأحوال الحاضرة بالنسبة إلى كل شخص شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح
حال الإنسان فإن كل وقت جزء من الدنيا له نوع من الإنسان ولما كانت هذه الأمور أبدا في التغير والتقضي
لمفارقة الإنسان لها وبعدها عنه لا جرم حسن إطلاق اسم الإدبار على تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان
في إدباره فقيل لكل أمر يكون الإنسان فيه من خير أو شر إذا كان في إدبار وإذا كان في آخره وبعد تقضيه أدبر
وكذلك اسم الوداع فإن التقضي لما استلزم المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لأسف الإنسان عليها ووجده
بها أشبه ذلك ما يفعله الإنسان في حق صديقه المرتحل عنه في وداعه من الأسف في فراقه والحزن والبكاء
فاستعير اسم الوداع له وكنى بإعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضيها شيئا فشيئا وهو إعلام
بلسان الحال الثاني التنبيه على إقبال الآخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله ألا وإن الآخرة قد أقبلت
وأشرفت باطلاع ولما كانت الآخرة عبارة عن الدار الجامعة للأحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت
من سعادة وشقاوة وألم ولذة وكان تقضي العمر مقربا إلى تلك الدار والحصول فيها بما يشتمل عليه من خير أو شر
حسن إطلاق لفظ الإقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها على الدنيا في حال إقبالها منزلة عال عند سافل فأسند
إليها لفظ الإشراف وهو على أحوال الأمور الدنيوية فيها منزلة عالم مطلع فأطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل أن
يكون إسناد الإشراف والاطلاع إلى رب الآخرة وإنما عبر بالآخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن الرجل الجليل
بمجلسه وحضرته ويكون كيفية الاطلاع قرينة ذلك الثالث التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعد لأجله
وهو السباق وذكر ما يستبق إليه وما هو غاية المقصر المتخلف عن نزاعه وذلك قوله ألا وإن اليوم المضمار إلى قوله

الدنيا اسم للأحوال الحاضرة بالنسبة إلى كل شخص شخص وهي أجزاء الدنيا

والغاية النار وكنى باليوم عن مدة عمر الانسان لما قبله واخبر بالمضمار عنها واعلم انه قد ورد المضمار والسباق مرفوعين ومنصوبين فاما رفع المضمار فلانه خبران واليوم اسمها وانما اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما فيها من التشبيه فان الانسان في مدة عمره يستعد بالتقوى ويرتاض بالاعمال الصالحة لتكمل قوته فيكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين في حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير لسبق مثله واما نصبه ففيه شك اذ يحتمل ان يقال ان المضمار زمان واليوم زمان ظرفا اخبر به عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان في الزمان فيكون الزمان محتاجا الى زمان آخر وذلك محال وجوابه انا نمنع ان الاخبار بوقوع الزمان في الزمان يحوج الزمان الى زمان آخر فان بعض اجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان لحقها انها اجزاؤه والجزء في الكل لا يحتاج الى زمان آخر وان كان انما يحسن الاخبار عنه به اذا قيدت بوصف واشتملت على احداث تخصص بها كما يقول ان مصطبح القوم اليوم فلك المضمار لما كان وقتا مشتملا على التضمير وهو حدث صح الاخبار عنه باليوم واما نصب السباق فلانه اسم ان اي وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلا وجه له الا ان يكون مبتدا خبره غدا ويكون اسم ان ضمير الشان وقال بعض الشارحين يجوز ان يكون خبران وهو ظاهر الفساد لان الحكم بشئ على شئ اما بمعنى انه هو هو كما يقال الانسان هو الضحاك وهو ما يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمونه حمل الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل في الحكم بالسباق على غدا فيمتنع ان يكون خبران اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وان غدا وقت السباق لكن لا يكون السباق هو الخبر في الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير ههنا وانما تحكم اليوم فانكم غدا تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان لما كان الكمال في قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى حضرة القدس قبل وصول من هو انقص منه ولما كان مبدأ النقصان في تينك القوتين انما هو محبة ما عدا الواحد الحق واتباع الشهوات والميل الى انواع اللذات الفانية والاعراض بسبب ذلك عن توجيه القبلة الحقيقية ومبدأ الكمال فيهما هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور المعدودة والاقبال عليه بالكلية وكان الناس في محبة الدنيا وفي الاعراض عنها والاستكمال بطاعة الله على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة كان كون اليوم هو المضمار وغدا السباق متصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا واقطع لعلائق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له في الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا من ثقل الوزر كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله نجا المخففون وكما سبق من اشارته عليه السلام الى ذلك بقوله تخففوا تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا لمن كان اضعف استكمالا منه ممن لم تعترض عقارب الهيئات البدنية والملكات الردية قلبه واثقلت الاوزار ظهره واوجبت له التخلف عن درجة السابقين الاولين ولذلك يكون ... هذا بالنسبة الى من هو اقل استعدادا منه واشد علاقة للدنيا بقلبه وكان معنى المسابقة ظاهرا وان كان استعارة من السباق المتعارف بين العرب واما ان قلنا ان السباق جمع سبقة اسم

لما يسبق

لما يسبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى ايضا ظاهر فان ما يسبق اليه انما يحصل الوصول اليه بعد المفارقة وكون الاستباق اما قبل المفارقة وهو السعي في درجات الرياضات كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا الآية وقوله فاستبقوا الخيرات او بعد المفارقة كما اشرنا اليه ويكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة تعيينا للمستبق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا واما قوله والغاية النار فالذي ذكره الرضي رضي الله عنه في تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن وكاف في بيان مراده عليه السلام الا انه بقي هنا بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية او لازمة للغاية فنقول ان ما ينتهي اليه قد يكون بسوق طبيعي وقد يكون بسوق ارادي وكل واحد منهما قد يكون ذاتيا وقد يكون عرضيا فالسوق الذاتية منها يقال له غاية اما طبيعية كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بسوق طبيعته له اليه واما ارادية كغايات الانسان من حركاته المنتهي اليها بسوق ارادته واما المنتهي اليه بالسوق العرضي فهو من لوازم احدى الغايتين وقد يسمى غاية عرضية فاللازم عن الطبيعية كمنع الحجر غيره ان يحل بحيث هو فان ذلك من لوازم استقراره في حيزه وعن الارادية كاستضاءة الجار بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضاءته وكهلاك الطائر في حبائل الصياد عند الميل الى التقاطه الحبة اذا عرفت ذلك فنقول ان كون النار غاية بهذا المعنى الرابع وبيانه ان محبة الدنيا والميل اليها والانهماك في شهواتها سواء كان من هما سكن للانسان بالطبع او لم يكن فان من لوازمها الانتهاء الى النار الا ان يشاء الله كما قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وكان المقصود الاول للانسان هو تناول اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم الوصول الى تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت غاية عرضية الرابع التنبيه على التوبة قبل الموت وهو قوله الا تائب من خطيئته قبل منيته ولا شك انها يجب ان تكون متقدمة على الاعمال لانك علمت ان التوبة هي انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء والذب الى اطاعة مع ما كانت عليه من اتباع شياطينها وهي من مقام الزهد والتخلي وقد علمت في بيان كيفية السلوك الى الله تعالى ان مقام التخلية مقدم على مقام التحلية فكان الامر بها مقدما على الامر باير الطاعات الخامس التنبيه على العمل للنفس قبل يوم البؤس والاشارة به الى ما بعد الموت والعذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصير في العمل اذ الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل اسير في يد شياطينه وقد علمت ان غاية الاسترسال في يد الشيطان دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر الشيطان والمخلص من اسره نبه عليه ثم اردفه بالتنبيه على وجود الزمان الذي يمكنهم فيه العمل وهو ايام املهم للعمل وغيره مع ان ذلك الزمان منقطع بلحوق الاجل ثم اردفه ببيان فائدة العمل في ذلك الزمان وهي المنفعة بالثواب في الآخرة وما يلزمها من عدم مضرة الاجل وبيان ثمرة التقصير في العمل فيه وهي خسران العمل المستلزم لمضرة الاجل وحسن استعارة عليه السلام لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران في البيع لما كان هو النقصان في رأس المال او ذهاب

جملته وكان العمل هو راس مال العامل الذي به يكتسب الكمال والسعادة الاخروية لاجرم حسن استعارة
لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة الموت واستلزام الخسران لمضرته فهو ظاهر
اذ كان الكامل في قوتيه المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت اليها بعد المفارقة فلم يحصل له بسببها تعذيب
فكانت المضرة منتفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيهما من ضرورته طباعه الميل الى اللذات الحسية
فاذا قصر عن العمل والتعلق بطباعه الى الجاذبة اليه فلا بد وان يستضر بحضور الاجل اذ كان الاجل
قاطعا لزمان الاستكمال وحائلا بين الانسان وبين ما هو معشوق له من حاضر اللذات السادس التنبيه
على وجوب التسوية للعامل في الرغبة والعمل في الرهبة وفيه تمهيد التوبيخ للعبد على غفلته عن ذكر الله واعراضه
عن عبادته في حال صفاء اللذات الحاضرة له ولجائه اليه وفزعه عند نازلة ان نزلت به فان ذلك ليس من
شان العبودية الصادقة مع المولى ومثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهي واذا مسكم الضر في البحر ضل
من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وغيره من الآيات بل من شان العابد
المخلص القاصد له ان يتادى عبادته في زمان شدته ورخائه فيقابل الشدة بالصبر والرخاء بالشكر
وان يعبده لا لرغبة ولا لرهبة وان عبده فيهما السابع قوله الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار
نام هاربها واعلم ان الضمير في قوله طالبها وهاربها يعودان الى المفعول الاول لرايت المحذوف الشبه
في الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار نام هاربها وفي محل النصب مفعولا ثانيا ومعنى
هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة وما يشبه النار ولم ينف علمه بذات ذلك الشبيه بل علمه من جهة الشبه
وهي نوم الطالب والهارب ولذلك استدعى اى مفعولا ثانيا هنا معقولين اى لم ار نعمة كالجنة في صفة
نوم الطالب لها فيه وجه الشبه بقوله نام طالبها ثم نفى الشبه من تلك الجهة وكذلك قوله ولا كالنار في صفة
نوم هاربها والمفعول الثاني في الحقيقة صفة جارية على غير من هي له معنى شبه المرغبين بالجنة والنار ومن شأنهم
نائمين في مراقد الطبيعة ليتنبهوا منها ويتيقظوا للاستعداد بالعمل التام لما وراءهم من مرغوب فيه ومرهوب
وفيه تنبيه التعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين علمه بما في الجنة من تمام النعمة وتقصيره عن طلبها بما يؤدي
اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العذاب وبين تقصيره وغفلته عن الهرب
الى ما يخلص منها من ذلك الثامن قوله الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل فالضمير في انه ضمير الشان واراد
بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة وبالباطل الالتفات عنه الى غير
ذلك مما لا يجدي نفعا في الآخرة وهو شبه على استلزام عدم منفعة الحق لمضرة الباطل في صورة شرطية
متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود الحق مستلزم للمنفعة فعدم منفعته اذن مستلزم لعدمه وعدمه
مستلزم لوجود الباطل لان الحق والمكلف وعملا اما ان تطابقا او الامر الصالح اوليس والاول هو الحق
والثاني هو الباطل وظاهر ان عدم الاول مستلزم لوجود الثاني ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فيظهر
بهذا البيان ان عدم منفعة الحق مستلزمة لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فمقول مراده عليه السلام المشورة
بلزوم الحق المستلزم لمنفعته ونفي الباطل المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره

بين العمل

والاقبال

والاقبال عليه مستلزم للوصول الى جواره المقدس والالتفات الى ما عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم لنقصان
الموجب للتخلف عن السابقين والهوى في دركات الهالكين وذلك محض المضرة فظهر اذن سر قوله عليه السلام من لم
ينفعه الحق يضره الباطل ومن غفلة بعض من يدعي العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة
في الكتب الالهية انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا على ذلك بتخيلات خطابية
عن مشهورات في بادي الرأي اذا تعقبها النظر زالت شبهتها التاسع ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال
الى الردى اراد بالهدى نور العلم والايمان وبالضلال الجهل والخروج عن امر الله والمعنى من لم يكن الهدى
دليله القائد له بزمام عقله في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراطه المستقيم فلا بد وان يجر به الضلال
عن سواء الصراط الى احد جانبي التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى
لما استلزم وجود استقامة الانسان في سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم الهدى
المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجور بالانسان الى مهاوي الردى والعدول به عن الصراط المستقيم الى
سواء الجحيم الحادي العاشر قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وهو شبيه على ملاحظة الاوامر الواردة
بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وعلى الامر
باتخاذ الزاد كقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وحسن باستعارة الظعن لسفر الى الله واستعارة
الزاد لما يقرب اليه ووجه الاستعارة الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بالرجل
والجمل ونحوه فكذلك السفر الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان
انما يعد ليتقوى به الطبيعة على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة الى الله تعالى مما يتقوى به النفس على الوصول الى
جنابه المقدس كان ذلك من تمام المشابهة التي بحسب قربها يتأكد التشابه وبحسب قوة المشابهة يكون قوة
حسن الاستعارة الحادي عشر التنبيه على اخوف الامور التي ينبغي ان تخاف وتجتنب وهي الجمع بين اتباع
الهوى وطول الامل وسيذكر هذا الكلام في موضع اخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وسنوضح معناه
هناك ويكفي هنا ان يقال انما حذر منهما عقيب الشروع في الظعن والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما
للاعراض عن الآخرة فيكون مستلزما لعدم الظعن وعدم اتخاذ الزاد فخوف منهما ليجتنبا فيحصل مع اجتنابهما
الاقبال على اتخاذ الزاد والاهبة للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر باتخاذ الزاد في قوله من الدنيا
في الدنيا لطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل وكلاهما يحصلان من الدنيا في الدنيا اما العمل
فلا شك انه عبارة عن حركات وسكنات تستلزم هيئات مخصوصة انما تحصل بواسطة هذا البدن وكل
ذلك من الدنيا في الدنيا واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن ايضا اما بواسطة الحواس
الظاهرة او الباطنة وتنبيه النفس لمشاركات بين المحسوسات ومباينات فيها وظاهر ان ذلك من الدنيا
في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى ان كل زاد اعده الانسان لنفسه للوصول الى جوار الله
فقد تحرز به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل هذا الفصل على استدراجات
لطيفة للانفعالات عن اوامر الله وزواجره واذا تاملت اسلوب كلامه عليه السلام وراعيت ما فيه من مخالفة الالفاظ

الاعمال البدنية اجزاء للدنيا
ومن الدنيا الاستكمال
العلم ايضا من الدنيا
وحجر الدنيا

وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية وحسن الاستعارات والتشبيهات ومواقعها وحسن ترتيب اجزائه
ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدني وفيض رباني والمتصفح الفرق بين كلامه عليه السلام
وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس المجتمعة ابدانهم
المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء تقولون في ذا التطويل دفاع ذي الدين المطول
لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد داركم تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور
والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق
قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم ما طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة
من غير ورع وطمعا في غير حق اقول روي ان السبب في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة
الحكمين وعزمه على المسير الى الشام وذلك ان معوية لما سمع باختلاف الناس على علي ع وتفرقهم عنه وقتل من
قتل من الخوارج بعث الضحاك بن قيس في نحو من اربعة آلاف فارس واوعز اليه بالنهب والغارة فاقبل
الضحاك يقتل وينهب حتى مر بالثعلبية فاغار على الحاج فاخذ امتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود ابن اخي
عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ص وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا ع ذلك استصرخ اصحابه
على اطراف اعماله واستنفرهم الى لقاء العدو فتلكأوا ورأى منهم تعاجزا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع الى
المتن فالاهواء الآراء والوهي الضعف وكيت وكيت كناية عن الحديث وهما عبارة عن الامر قال الجوهري
قولهم حيدي حياد كقولهم فيحي فياح ونقل ان فياح اسم للغارة كقطام فحياد ايضا اسم لها والمعنى اعدلي عنا ايتها
الحرب ويحتمل ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال فيكون قد امر بالتنحي مرتين للمتخلفين والاعاليل
جمع اعلال واضاليل جمع اضلال وهما جمع علة اسم لما يتعلل به من مرض وغيره وضلة اسم من الضلال وهي الباطل والمطول
كثير المطل وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد الاجتهاد والاخيب الاشد خيبة وهي الحرمان والافوق السهم
المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه والناصل الذي لا نصل فيه والمقصود انه ع نبههم على ما يستقبح من
الدين والمفرق لشمل مصالحهم واما اقوالهم فكلامهم الذي يضعف عند سماعه القلوب الصلبة الثابتة ويظن
سامعه ان تحته نجدة وثباتا وهو قولهم مثلا في مجالسهم انه لا محل لخصومنا وانا سنفعل بهم كذا ويكون
منا كذا وامثاله واستعار لفظ الصم الصلاب من اوصاف الحجارة للقلوب التي تضعف من سماع كلامهم
كما شبه القران الكريم بها في كالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقيب هذه الاقوال عند حضور القتال
ودعوتهم الى الحرب بالتخاذل والتناصر والتقاعد عن اجابة داعي الله وكراهية الحرب والفرار من مقابلة
العدو وكنى بقوله قلتم حيدي حياد عن ذلك وهي كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار ثم اردف
ذلك بما العادة ان يانف منه من يطلب الانتصار به على وجه التضجر منهم عن كثرة تقاعدهم عن نصرته وهو
قوله ما عزت دعوة من دعاكم المستلزم لحكم بذلة داعيهم ولا استراح قلب من قاساكم المستلزم لحكم بتعبه وقوله
اعاليل باضاليل خبر مبتدأ محذوف اي واذا دعوتكم الى القتال تعللتم وهي اعاليل باطلة وضلالة من سبل
ومسألتكم التأخير وتطويل المدة دفاعا وقوله دفاع ذي الدين المطول يحتمل ان يكون تشبيها لدفاعهم له

في المجالس كيت وكيت فاذا جاءت الحرب قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل باضاليل وسألتموني
صح

بدفاع

بدفاع ذي الدين فيكون منصوبا بحذف الجار ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع ذي الدين المطول لدفاعهم
فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان الدين المطول ابدا مشتى لعدم المطالبة وتود غرماؤه ان لا يراه غريمه
فكذلك هم ع منهم انهم كانوا يحبون ان لا يعرض لهم بذكر القتال ولا يطالبهم به فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور
لمكان المشابهة ثم نبههم على قبح الذل لينبهوا الى فضيلة الشجاعة بذكر بعض لوازمه المنفرة وهو ان صاحبه لا يتمكن
من دفع الضيم عن نفسه وعلى قبح التواني والتخاذل بانه لا يدرك الانسان حقه الا بعد ذلك وهو الجد والتشمير
في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة الانكار والتقريع عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام
التي لا نسبة لغيرها اليها في العز والكرامة عند الله ووجوب الدفع عنها والتي هي موطنهم ومحل دولتهم وكذلك
قوله ومع اي امام بعدي تقاتلون وفيه تنبيه لهم على فضيلته وما وثق به من اخلاص نفسه لله في جميع حركاته وثبت
لهم ع عنه اذ كان ع يتوهم فيه بعضهم الميل الى معوية والرغبة فيما عنده من الدنيا ثم اردف بذم من اغتر
بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كان واثقا به ومن يقاتل بهم اما الاول فهو قوله
المغرور والله من غررتموه والمقصود بالجملة ذمهم وتوبيخهم على خلف المواعيد والمماطلة بالنفار الى الحرب لانه
انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد خلفهم في وعدهم له بالنهوض معه وجعل المغرور مبتدأ ومن خبره ابلغ في
اثبات الغرة لمن اغتر بهم من العكس لاقتضاء الكلام اذن انحصار المغرور في من اغتر بهم وذلك لو كان من
مبتدأ واما الثاني فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه
وخصومه كاللاعبين بالميسر ولاحظ شبه حصولهم في حقه بخروج احد السهام الخائبة التي لا غنم لها كالاوغاد
او التي فيها غرم كالتي لم تخرج حتى استوفيت اجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه
استعار لهم لفظ السهم بصفة الاخيب واطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب اطلاق احد الضدين
على الآخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ المشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في كون كل منهما عدة
الحرب وفي دفع العدو ولاحظ ايضا بين ارسالهم في الحرب وبين الرمي بالسهام فلاجل ذلك استعار
اوصاف السهم من الافوق والناصل واستعار لفظ الرمي لمقاتلته بهم ثم خصصهم باردأ اوصاف السهم التي
يبطل معها فائدته لمشابهتهم ذلك السهم في عدم الانتفاع بهم في الحرب وكانه ايضا خصص بعثه لهم على الحرب
باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة الشبه وهي عدم انبعاثهم عن امره وتجاوزهم اوطانهم كالرمي
بالسهم الذي لا فوق له ولا نصل فانه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافة وهي من لطائف الملاحظات
والاستعارة عنها والمعنى ان من حصلتم في حزبه فالخيبة حاصلة له فيما يطلب بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا نفع
له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن نفسه بامور نشأت عن اساءة ظنه بهم وعدم وثوقه باقوالهم لكثرة خلفهم في
مواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهي انه لا يصدقهم لانه من الكرم في شيء عرف به ومن امثالهم ان الكذوب
لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعد بهم عدوهم اذ كان وعيده بهم مع طول تخلفهم وشعور
العدو بذلك مما يوجب جرأته وتسلطه وامانه من المقاومة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الاستنكار
والتقريع عن حالهم التي توجب لهم التخاذل والتصامم عن نداءاته وهو قوله ما بالكم ثم عن دوائهم الصالح

المرض الذي هو فيه ثم عن كيفية علاجهم منه بقوله ما دواؤكم ما طبكم وقيل اراد بقوله ما طبكم اي ما عادتكم والاول
اظهر والحق ثم نبههم على ما عساهم يتوهمونه من قوة خصومهم وبأسهم بانهم رجال امثالكم في الرجولية التي هي مظنة
الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم عاد الى سؤالهم على جهة التقريع وتنبيههم بهذا على امور هي
مقصود ههنا مستقبحة في الشريعة والعادة فاولا عن قولهم ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما يعدونه من الخروج
الى الحرب ثم لا يفعلون وذلك بقوله اقوالا بغير عمل تذكيرا لهم بما يستلزم ذلك من المقت عند الله كما اشير
اليه في القرآن الكريم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي الرواية
وهي اقوالا بغير علم اي تقولون بالسنتكم ما ليس في قلوبكم ولا تعتقدونه وتجزمون به من انا سنفعل كذا وكذا
ويحتمل ان يكون معناه انكم تقولون انا مخلصون لله وانا مسلمون ولا تعلمون شرائط الاسلام والايمان
وثانيا عن غفلتهم التي ليست عن ورع وهي عدم تعقلهم للمصالح التي ينبغي ان يكونوا عليها وهي طرف التفريط
من فضيلة الفطانة وهذه بخلاف الغفلة مع الورع فان تلك نافعة في المعاد اذ كان الورع عبارة لزوم
الاعمال الجميلة المعدة في الآخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة بها ربما كانت عبادة
بل ربما كانت سببا للخلاص من عذاب ما في الآخرة وثالثا عن طمعهم في غير حق اي في ان يمنحهم ما لا يستحقونه
لينهضوا معه ويجيبوا دعوته وكانه ع فهم من بعضهم ان احد اسباب تخلفهم عن ندائه انما هو طمعهم في ان
يوفر عطياتهم او يمنحهم زيادة على ما يستحقون كما فعل غيره مع غيرهم فاشار الى ذلك ونبههم على قبحه
من حيث انه طمع في غير حق واستعاظم **ومن كلام له عليه السلام** في معنى قتل عثمن لو امرت به لكنت قاتلا
او نهيت عنه لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله لا يستطيع ان
يقول نصره من هو خير مني وانا جامع لكم امره استأثر فاساء الاثرة وجزعتم فاسأتم الجزع ولله حكم واقع
في المستأثر والجازع **اقول** المستأثر بالشيء المستبد به ومقتضى هذا الفصل تبرؤه ع من الدخول في دم
عثمن بامر او نهي لما نسب اليه معاوية وغيره لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين فيها لزوم كونه قاتلا
لكونه امرا وهذا اللزوم عرفي اذ يقال في العرف للآمر بالقتل قاتل والامر شريك الفاعل وان كان
الفاعل في اللغة المباشر للفعل والذي صدر عنه وكذلك بين في قوله لو نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا
لكونه ناهيا وهو ظاهر وقد عرفت ان استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم واللازمان ههنا في
القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم ان القتل لم يوجد منه ع بالاتفاق فان غاية ما يقول الخصم
ان قعوده عن نصرته دليل على ارادته لقتله وذلك باطل لان القعود عن النصرة قد يكون لاسباب اخرى
كما سنبينه ثم لو سلمنا ان القعود عن النصرة دليل ارادة القتل لكن ارادة القتل ليس بقتل فان كل
مكلف يحب قتل خصمه لكن لا يكون بذلك قاتلا وكذلك ظاهر كلامه يقتضي ان النصرة لم توجد منه واذا انتفى اللازمان
انتفى ملزوماهما امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد في القضية الثانية استثناء عين مقدمها لينتج عين تاليها
اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا فيقال لا يخلو اما ان يكون مرتكب المنكر هو عثمن او قاتليه وعلى التقديرين
فيجب عليه ع القيام والانكار اما على عثمن بالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر او على قاتليه بالانكار

عليهم

عليهم ونصرته وقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطا فيجتهد ثم لم يكن تاركا لاحد الامرين فلا يثبت البرائة
والجواب البري من التعصب في هذا الموضع ان عثمن احدث امورا نقمها جمهور الصحابة عليه وقتلوه لاجلها وهي
ههنا يجب انكاره اما احداث عثمن فلم يثبت في نظره ع الى حد يستحق بها القتل وانما استحق في نظره ان
ينبه عليها فلذلك ورد في النقل انه انكرها عليه وحذره من الناس غير مرة كما سيجيء في كلامه ع فان صح
ذلك النقل ثبت انه انكر عليه ما احدثه لكنه لا يكون بذلك داخلا في دمه لاحتمال انه لما حذره الناس
ولم ينته اعتزله وان لم يثبت ذلك النقل فان الانكار ليس من فروض الاعيان بل من فروض الكفايات
اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان جمهور الصحابة انكروا تلك الاحداث من عثمن فلا يتعين
وجوب الانكار عليه ع واما احداث قاتليه في قتله فان ثبت انه ع ما انكر عليهم قلنا ان من جملة شروط
انكار المنكرات ان يعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او تمكنه من الدفع بيده فلعله ع علم من حالهم
انه لا يفيد انكاره معهم وظاهر ان الامر كان كذلك اما عدم فائدة الانكار بالقول معهم فلانه نقل عنه ع
انه كان يعد الناس باصلاح الحال بينهم وبين عثمن وازالة ما نقموه عليه وتكرر منه وعده لهم بذلك
ولم يتمكن منه فظاهر انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما الانكار بيده فمعلوم بالضرورة ان
الاثنين او الواحد او العشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ورعاعهم خصوصا عن طلب ثار ثارت
ونالت وجوها اشد حلما وهو ما نسبوه اليه من تفرقة مال المسلمين الذي هو قوام حياتهم سواء كان
ما نسبوه اليه حقا او باطلا ثم من المحتمل ان يكون قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل معه ولا يجوز
للانسان ان يعرض نفسه للاذى والقتل في دفع بعض المنكرات الجزئية واما ان ثبت انه انكر عليهم
كما نقلنا جملة ذلك انه نهاهم حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله وكان قوله ولو نهيت عنه لكنت ناصرا
والا فعدم النهي عن قتله حال قتله لعدم تمكنه من ذلك وعدم افادة قوله قال بعض الشارحين هذا الكلام
بظاهره يقتضي انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده في حكم الامور المباحة التي لا يؤمر بها ولا ينهى عنها
قلت هذا سهو لان البري من الامر بالشيء والنهي عنه غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت عنه ولا
يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال ان اعتزاله في الامر كان لاحد ما ذكرناه وبالجملة فان اهل
التحقيق متفقون على ان السكوت عن الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان دل بقرينة اخرى ومما
يدل على انه كان متبريا من الدخول في دم عثمن بامر او نهي ما نقل عنه انه سئل اساءك قتل عثمن ام سرك فقال
ما ساءني ولا سرني وقيل له ارضيت بقتله فقال لم ارض فقيل اسخطت قتله فقال لم اسخط وهذا الكلام حق
يستلزم عدم التعرض بامره فان من اعرض عن شيء ولم يدخل فيه يصدق ان يقول انه لم اسخط به ولم ارض
ولم اساء به ولم اسر فان السخط والرضا والاساءة والسرور حالات تتوارد على النفس باسباب تتعلق بها
فلعل تلك الاسباب عن نفسه في امر من الامور كيف تعرض له احد هذه الحالات فيه فان قلت ان كان قتل عثمن
منكرا كان يستلزم السخط ع ومساءته منه وقد نقل عنه انه لم يسخطه وذلك يقتضي احد الامرين اما انه
لا يسخط المنكر وهو باطل بالاتفاق او ان قتل عثمن لم يكن عنده منكرا والتقدير انه منكر قلت ان قتل عثمن

يستلزم سخطه لكن لا من حيث انه قتل عثمن بل من جهة كونه منكرا والمنقول انه لم يسخط لقتل عثمن ورضاه
ذلك الا من جهة كونه قتل عثمن وذلك لا ينافي ان يسره ويسخط من جهة كونه منكرا وفي الجواب غموض
فليتفطن له ولاجل اشتباه هذه الحال خبط الجهال وفيها يقول شاعر اهل الشام: وما في علي لمستعتب
مقال سوى ضمه المحدثينا: وايثاره اليوم اهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا: اذا سيل عنه حذا شبهة
وعمى الجواب على السائلينا: فليس براض ولا ساخط: ولا في النهاة ولا الآمرينا: ولا هو ساه ولا سره
ولا بد من بعض ذا ان يكونا: فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة في معنى قتل عثمن وما نسب الى علي من ذلك
فمبسوط في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري والسيد المرتضى وغيرهم فلا نطول بذكره
وربما اشرنا الى شيء من ذلك فيما بعد قوله غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه الى قوله فاعلم ان هذا الفصل
ذكره في جواب البعض من انكر بحضرته قعود من قعد عن نصرة عثمن وجعلهم منشأ الفتنة وقال انهم لو نصروه
وهم اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وجهالها وان كانوا راوا ان قتله وقتاله هو الحق فقد كان
يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة وغم عليه ان القايل يجيبه بذلك فاجابه
بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان في محل يلزمه التوقف فيه اثرا او لانه مامور في ذلك الامر ولا نهي ثم عاد الى
الاستثناء فقرر فيه تنبيه التضيقين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الناصرين له اذ لا يستطيع ناصروه
لكروان واشباههم ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كطلحة والزبير وسائر اكابر الصحابة اذ العقل
والعرف يشهد بافضليتهم وكذلك لا يستطيع خاذلوه ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل
التواضع وليس الكلام فيه فكانه في سلم تسليم جدلي انه دخل في امر عثمن وكان من خاذليه ثم اخذ
في الرد على المنكر بوجه آخر فقال غير انه لو سلمت انه ممن خذله لكن الخاذلون له افضل من الناصرين وذلك
هذه المقدمة بها تتم التضيقين وحذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على من عداه اتباعه
والاقتداء به فينتج هذا القياس انه كان يتعين على من نصره ان يتبع من خذله وهذا عكس اعتقاد المنكر
وقال بعض النقاد ان هذه كلمة قرشية واراد بذلك انه عمى على الناس في كلامه ولم يرد التبرؤ
من امره وانما اراد ان الخاذلين لا يلحقهم المفضولية لكونهم خاذلين له وان الناصرين له لا يلحقهم الافضلية
بنصرته والذي ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن ان يحمل على وجه آخر وذلك انه انما قرر افضلية
الخاذلين على الناصرين ليسلم من التخصيص بالملامة في القعود عن النصرة فكانه قال واذا كان الخاذلون له
افضل ممن نصره تعين عليهم السؤال عن التخلف وان يستشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين
فلم خصصت بالملامة من بينهم والمطالبة بدمه لولا الاغراض الفاسدة وقوله وانا جامع لكم امره الى قوله
الاثرة اشارة بهذا اللفظ الوجيز اجمالا الى ان كل واحد من عثمن وقاتليه كان على طرف الافراط
من فضيلة العدل اما عثمن فاستئثاره واستبداده برايه فيما الامة شركاء فيه والخروج في ذلك
الى حد الافراط والذي افسد به نظام خلافته عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في الجزع من
فعله الى طرف التفريط فكان ينبغي لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل حتى

استلزم

يستلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة الجور في قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستئثار وفعلهم اساءة الجزع
وقيل اراد انكم اسأتم الجزع عليه بعد قتله وقد كان ينبغي لكم ذلك الجزع له قبل قتله قوله ولله حكم واقع
في المستاثر والجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع منه في المستاثر هو الحكم المقدر اللاحق لعثمن
بالقتل المكتوب بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وفي الجازع هو الحكم اللاحق لهم من كونهم قاتلين او قاتلين
وجازعين وفي نسبة هذه الاحكام الى الله تنبيه على تبريه من الدخول في امر عثمن وقاتليه بعد الاشارة
الى السبب المعد لوقوعها في حقهم وهو الاساءة في الاستئثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الاخرة
اللاحق لكل من ثواب وعقاب على ما ارتكبه من خطا وصواب كما قال تعالى والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون فيجزي كلا بما يستحقه من سعادة او شقاوة وبالله التوفيق والعصمة ومن كلام له عليه السلام
لما انفذ عبد الله بن عباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته لا تلقين طلحة فانك ان تلقه
تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول
لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا قال الرضي رضه وهو اول من سمعت منه هذه الكلمة
اعني فما عدا مما بدا اقول يستفيئه اي يسترجعه من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلفه من الفيته على كذا
اذا وجدته عليه والعقص الاعوجاج وعقص الثور قرنه بالفتح متعد وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب
الدابة الجموح الشبهة والذلول السهلة الساكنة والعريكة فعيلة بمعنى مفعول وان نقل الاسم من الوصفية الى
الاسمية الصرفة واصل العرك دلك الجلد بالدباغ وغيره وعدا جاوزه وبدا ظهر واعلم انه عليه السلام نهى ابن
عباس عن لقاء طلحة بحسب ما راى في ذلك من المصلحة ونبه على وجه نهيه عنه بقوله فانك ان تلقه تجده كذا
وقد شبهه بالثور واشار الى وجه الشبه بعقص القرن واستعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ العقص
لما يتبع ذلك عليه بالقوة والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس
الذي قد يعرض للشجاع ووجه الاستعارة الاولى ان القرن آلة للثور ومنع ما يراد به عن نفسه كما ان الشجاعة
يلزمها الغلبة والقوة ومنع الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة الخصام يعقص
قرنه اي يرخي راسه ويعطف قرنه ليصوبها الى جهة خصمه ويقارن ذلك شريع صادر عن توهم غلبته
لمقاومه وسدته عليه وانه لا قدر له عنده كما الشبيهها على منه عليه السلام انه عند لقاء ابن عباس له يكون
مانعا جانبه متهيا للقتال مقابلا بالخشونة وعدم الانقياد له الصادر عن عجبه بنفسه وغروره بشجاعته
فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون وجه الشبه هو التناطح في ذاته والكناية عنه بالتشبيه بالثور
القرن وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ويقال ان الكبر الذي تداخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث
به في ذلك اليوم وذلك انه ابلى فيه بلاء حسنا ثم اشار الى ابن عباس بلقاء الزبير واشار له الى وجه الراي
في ذلك وهو كونه الين عريكة وكنى بالعريكة عن الطبع والخلق كناية بالمستعار فيقال فلان لين العريكة
اذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه الى تكلف ومجاذبة قوية كالجلد اللين الذي يسهل عركه ودلكه
شديد العريكة اذا كان بالضد بذلك وظاهر ان الزبير كان سهل الجانب فلاجل ذلك امره بلقائه ثم علمه

من ضيعته انها اقبل للاستدراج واقرب الى الانفعال من الموعظة وتذكار الرحم واحسن بهذه الاستمالة بذكر الاب المستلزم
لعصوره للميل والانعطاف من الطباع السليمة ونحوه قوله تعالى حكاية قول هرون لموسى ع يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا
براسي قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني فان خيرا من الاستمالة والاسترقاق تذكره حق الاخوة مما يدعو الى
عطفه عليه مما ابو حنيفة كلام آخر واما كون ع ابن خال الزبير فلان ابا طالب وصفية ام الزبير اولاد عبد المطلب
ابن هاشم و قوله فما عدا مما بدا قال ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف ومن هنا بمعنى عن ومعنى الكلام فما صرفك عما كان
بدا منك اي ظهر اي ما الذي صدك عن طاعتي بعد اظهارك لها وحذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالى واسئل
من ارسلنا قبلك اي ارسلناه وقال القطب الراوندي له معنيان احدهما ما الذي منعك مما كان قد بدا منك
من البيعة وقبل هذه الحالة الثاني ما الذي عاقك من البداء الذي يبدو لك ان ويكون المفعول الثاني لعدا محذوفا
يدل عليه الكلام اي ما عداك يريد ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي قال ابن ابي الحديد ليس في الوجه
الثاني مما ذكره القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما انه لا زيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى
منع وفسر قوله مما كان بدا منك في الوجهين الا بتفسير واحد فلم يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة فظنه
ان عدا يتعدى الى مفعولين وهو باطل باجماع النحاة واقول الوجه الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه الاول من
الوجهين اللذين ذكرهما فهو مبني على ان من بمعنى عن في الوجه الاول من نظر الناس منك من السقط ومراده في الثاني
ما ظهر لك من الرأي من نصرتي وطاعتي وفرق بين ما يظهر من الانسان لغيره وبين ما يظهر له من نفسه او من غيره
فاما ما ذكره انه زيادة فاسدة فالاظهر ان نظره الثاني في قوله المفعول الثاني زيادة من قلم او وهم الناسخ سهوا
ويؤيده الظاهره للمفعول الاول تفسير القول ويكون المفعول لعدا محذوفا ثم اقول وبهذه الوجوه وان احتملت
ان يكون تفسيره الا ان في كل واحد عدولا عن الظاهر من وجه اما الوجه الذي ذكره المدايني فلانه لا يحمل عدا على
حقيقتها وهي التجاوز وحمل ما بدا على الطاعة السابقة احتاج ان يجعل من بمعنى عن وهو خلاف الظاهر واما الراوندي
فانه فسر عدا بمعنى منع او عاق وشغل وحمل ما بدا على الطاعة السابقة او على البيعة وتم ذلك الا ان يكون من
بمعنى عن والحق ان يقال ان عدا بمعنى جاوز ومن لبيان الجنس والمراد ما الذي جاوز بك عن حق ما بدا لك
بعدها من الامور التي ظهرت لك فتبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه وروي
عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم عن ابيه عن جده قال سألت ابن عباس رضه عن تلك الرسالة فقال بعثني
فاتيت الزبير فقلت له فقال اني اريد ما تريد كانه يقول الملك ولم يزد على ذلك فرجعت الى امير المؤمنين ع
فاخبرته وعن ابن عباس ايضا انه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع
وسئل ابن عباس عما يعني الزبير بقوله هذا فقال يقول انا على الخوف لنطمع ان نلي من الامر ما وليتم وقد فسر
غيره ذلك تفسيرا آخر فقال اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع ان يغفر لنا هذا الذنب ومن خطبة له عليه السلم
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لَا نَنْتَفِعُ
بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحِلَّ بِنَا فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ

قد اشرط

قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً
وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ
مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ
ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ
فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدًى وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ وَخَائِفٍ
مَقْمُوعٍ وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ وَدَاعٍ مُخْلِصٍ وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ
وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ
وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ
بِهَا مِنْكُمْ قال السيد رضه وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معوية وهي من كلام امير المؤمنين ع الذي لا يشك
فيه واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو
بن الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته
انه قال وهذا الكلام بكلام علي ع اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية
والخوف اليق قال ومتى وجدنا معوية في حال من الاحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد اقول
عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم ومهانة النفس حقارتها وكلالة الحد السيف وغيره
اذا منع عن القطع ونضيض وفره قلة ماله والمصلت لسيفه الماضي في الامور بقوته والمجلب المستعين في الامر والخيل
والرجل جمع راجل واشرط نفسه للشيء اي اعلمها واعدها له واوبق دينه اي اهلكه والحطام متاع الدنيا واصله ما
يكسر من اليبس والانتهاز الاختلاس والاستلاب بقدر الامكان والمقنب الجمع من الخيل ما بين الثلثين الى الاربعين وفرع المنبر علوه اي علاه وطامن من شخصه اي خفض والاسم الطمانينة وشمر من ذيله
ازاره وزخرف اي زين ونقش وضؤولة نفسه حقارتها والمراح المكان الذي ياوي اليه الماشية بالليل
والمغدى هو الذي تاوي اليه بالغداة والشريد الشرد وهو المطرود والناد الذاهب على وجهه والقمع
الاذلال والمكعوم الذي لا يمكنه الكلام كانه سد فوه بالكعام وهو شيء يجعل في فم البعير عند الهياج والثكل الحزن
على فقد بعض الاحباب واخملتهم اي اسقطتهم واردتهم بين الناس والتقية والتقوى الخوف والاجاج الملح
والضامزة بالزاي الساكنة والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ به والجلم المقراض تجز به الاوبار والقراضة ما سقط من قرضه واعلم ان النسبة الجزئية لبعض الازمنة والشر الى بعض آخر وتفضيل بعض الازمنة
على بعض نسبة صحيحة لان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها
مما يعد خيرا او شرا وقد تتفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر فبعضها يكون بحسب الاستعداد
ما يعد شرا اكثر فيقال زمان صعب وزمان جائر خصوصا زمان منع الدين والنواميس الشرعية التي هي
سبب نظام العالم وبقائه وسبب الحيوة الابدية في الدار الآخرة ومنه بعضها يكون ما يعد خيرا اكثر فيقال
زمان حسن وزمان عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة خصوصا زمان قوة الدين

وظهوره وتقاصر ناموس الشريعة مسدود لا بذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء الجور واجزاء الشر الواقعة في كل العالم
بحسب كل زمان زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الازمنة فيما يعد خيرا فيها وشرا لذلك قال افلاطن
الناس يتوهمون بكل زمان انه اخر الازمنة ويشكون تغيره عما تقدمه وليس يوفون الزمان الماضي وتقويم
حقها من التامل وذلك انهم يقيسون الاحداث في الزمان المقيم الى من تاملت سنه وتجاربه في الزمان الماضي
وينظرون الى قصور المرادات في الزمان المقيم واتساعها في الماضي من غير ان ينظروا الى الاغراض في الزمانين
وما يوجبه كل واحدة منهما واذا تتبع هذا العدل واستقصى تعريف الزمانين من القوى والجدات والامن
والخوف والاسباب والاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذه منقول قوله انا قد اصبحنا الى قوله حتى يحكم
بهم ذم الزمان بوصفي الجور والشدة لما اعتدله مما عدد فيه من الاوصاف المعدودة شرا بالقياس الى نظام
العالم وبقائه وذكر من تلك الاوصاف خمسة اولها انه يعد فيه المحسن مسيئا وذلك من حساب المسيئين الكل
عن التمام بطاعة امر فيعدون انفاق المحسن للمال رياء وسمعة او خوفا او رغبة في مجازاته وكذلك سائر فضائله
رذائل كل ذلك هفت في خشيته وحسدا ان ينال رتبة الثاني فيلحقونه بدرجاتهم في الاساءة وثانيها انه
يزداد الظالم فيه عتوا وذلك ان منشا الظلم هو النفس الامارة بالسوء وهي في زمان العدل تكون مقهورة
دائما وفي اكثر الاحوال وتورا ايضا في ذلك الوقت طالبة للظلم لكون قلته وانما ترخصه في الظلم في زمان
العدل ان ظلم او تجاوز حده فكالسارق الذي لا يامن في كل لحظة ان يقع به المكروه فكذلك الظالم في زمن
العدل مقموع بحرمة الشريعة مرصود بعيون حفاظها اما في زمن ضعف الشريعة فالظالم فيه كالذئب مسلط القوة
سولها غير ملتفت الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه ازيد وقد كان في زمانه عم بالنسبة الى عهد
الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك وثالثها انه لا ينتفع اهل فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الاخرة عما وفق ما علموا
من الشريعة مما ينبغي ان يعمل بها اذ لا ينتفع بالعلم انما يكون اذا وافقه العمل واليه الاشارة بقوله عليه السلام في موضع
آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل فان المراد بارتحال العلم هو عدم الانتفاع به
وهتفه بالعمل اقتضاؤه ما ينبغي من مقارنة العمل ورابعها انهم لا يسالون عما جهلوا وهو توبيخ للمقصرين
في طلب العلم بعدم السؤال عما جهلوه وقطع الالتفات لقصور افهامهم عن فضيلته واشتغالهم بحاضر اللذات
الحسية وخامسها كونهم لا يتخوفون قارعة حتى تحل بهم وذلك لعدم نظرهم في عواقب امورهم واشتغالهم
بما في ايديهم عن الالتفات الى مصالحهم وتدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر الجهاد وتنبيه لهم بذكر القارعة وحلولها
بهم وكل هذه امور مضادة لمصلحة العالم فلذلك عد الزمان الواقعة فيه عنودا وشديدا قوله والناس
على اربعة اصناف الى قوله اقول وجه هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او ما مريدون
للدنيا فاما قادرون عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير المحتالين لها او المحتالون
الاولان يرجوا انفسهم للامرة والملك او لما هو دون ذلك فهذه اقسام خمسة مطابقة لما ذكره من الاصناف
الاربعة الذين عرضهم للذم مع الصنف الخامس الذين افردهم بالمدح فالصنف الاول هم المريدون للدنيا
القادرون عليها واليهم اشار بقوله ومنهم المصلت لسيفه والمعلن بشره الى قوله

بقوله

بقوله والمقصود بهذا الصنف القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب في تحصيل ما يحصل
كلا من القينات الدنيوية فاصلات السيف كناية عن التغلب وتناول ما لا يمكن تناوله بالغلبة والقهر واعلان
الشر المجاهرة بالظلم وغيره من رذائل الاخلاق والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والغلبة
والاستعلاء على الغير واشراط نفسه تاهيلها واعدادها للفساد في الارض وظاهر ان من كان كذلك فقد اوبق
دينه وافسده وقوله لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه اشارة الى بعض العلل الغائية للصنف
المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ الحطام للمال ووجه المشابهة ان اليبيس من النبات
كما انه لا نفع له بالقياس الى ما ينتفع من خضرته ونضارته او يكون ذا ثمرة كذلك المال بالنسبة الى الاعمال الصالحة
الباقية نفعها في الاخرة وانما خص هذه الامور الثلثة لانها الاغلب فيما يسعى اهل الدنيا لاجله اذ الغالب
ان السعي فيها اما لجمع المال او لرياسة دنيوية باقتناء الخيل والنعم او دينية كافتراع المنابر والترأس
بناموس الدين مع قصد الدنيا وقوله ولبئس المتجر الى اخره تشبيه لهذا الصنف من الناس في خسرانهم في افعالهم
الشبيهة بالتجارة الخاسرة فان طالب الدنيا المحصل لها كيف ما اتفق لها مثله في الاخرة فهو كالبائع لما حصل
له من دنياه والمعاوض بما له عند الله من الاجر الجزيل لو اطاعه حظا ما تفنى عينه وتبقى تبعته ولذلك استعار
لفظ التجارة لها الصنف الثاني وهم المريدون لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو المشار اليه
بقوله ومنهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة حده ونضيض وفره وكني بقوله كلالة حده
عن عدم صرامته في الامور وضعفه عنها وظاهر ان المريد للدنيا المعرض عن الله لو خلي عن المانع المذكورة
ووجد الدنيا لم يكن سعيه فيها الا فسادا الصنف الثالث الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها واعدادهم
انفسهم لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الاخرة ولا يطلب الاخرة بعمل الدنيا
الى اخره فقوله يطلب الدنيا بعمل الاخرة اشارة الى الحيلة على الدنيا كالرياء والسمعة وقوله ولا يطلب الاخرة بعمل
الدنيا اشارة الى انه مريد للدنيا فقط وقوله قد طامن من شخصه الى اخره تفصيل لكيفية الحيلة فان خضوع الانسان
وتطامن شخصه والمقاربة بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفته لنفسه بما هو شعار الصالحين من عباد الله وستر الله
الذي حمى به اهل التقوى ان يردوا موارد الهلكة يقع من صنف من الناس التماسا لحوائجهم في عيون اهل الدنيا
وارباب القينات ليسكنوا اليهم في الامانات ونحوها ويجعلون ذلك ذريعة لهم الى ما املوه من الدنيا الفانية
فيكونون قد اتخذوا ستر الله وظاهر دينه وسيلة الى معصيته الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالون
لها المؤهلون انفسهم للملك والامرة وهم المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه
الى اخره وذكر من موانع هذا الصنف عما رامه مانعين احدهما ضئولة نفسه وقصوره عن المساواة وثانيهما
العجز عن طلب الملك وان كان الثاني بسبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من تحصيل المال وعدم الاعوان
والانصار في الطلب فلذلك وقفت به حال القدر على حالته التي لم يبلغ معها ما اراد وحضرته عليها
فعدل لذلك الى الحيلة الجاذبة لرغبات الخلق اليه من التحلي بالقناعة والتزيي بلباس اهل الزهادة من المواظبة
على العبادات ولزوم ظواهر اوامر الله وان لم يكن ذلك عن اصل واعتقاد فاده اليه وقوله وليس من

من ذلك في مراح ولا مغدى كناية عن أنه ليس من القناعة والزهد في شيء أصلا ويحتمل أن يكون هذا الصنف غير
القادرين وغير المتمايلين الصنف الخامس وهم المريدون لله تعالى وهو المشار إليهم بقوله وبقي رجال
إلى آخره وذكر لهم أوصافا الأول كونهم قد غض أبصارهم ذكر المرجع وذلك أن المريد إذا التفت إلى جناب
المقدس واستحضر أنه راجع إليه بل ماثل بين يديه فلا بد أن يعرض عن غيره جانبه ويبتهج بمطالعة
أنواره وخوفا أن يحجبه بصره عن صعود مراتب الأملاك إلى مهاوي الهلاك ولن يحسن تابع الطلب
فإذا كان بصر القلب مشغولا غريقا في جلال الله كان مستتبعا للحس فلم يكن له التفات عن طريقه إلى أمر آخر
وهو المراد بالغض الثاني في قد أراق دموعهم خوف المحشر واعلم أن خوف الخائفين قد يكون لأمور مكروهة
لذاتها وقد يكون لأمور مكروهة لا لذاتها بل لما هو مكروه لذاته وأقسام القسم الثاني كثيرة كخوف الموت
قبل التوبة أو خوف نقض التوبة أو خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله أو خوف استيلاء القوى
الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة أو خوف تبعات الناس عنده أو خوف
سوء الخاتمة أو خوف سبق الشقاوة في علم الله تعالى وكل هذه ونحوها في خوف عباد الله الصالحين وأغلبها
على قلوب المتقين خوف الخاتمة فإن الأمر فيه خطر وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة لكون
الخاتمة تبعا لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين
وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل أن يكون لهما فيه غنى أو هلاك فتعلق قلب أحدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من
خير أو شر وتعلق قلب الآخر بما خطر للملك حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فكان
أعلى من ذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم الأعلى في اللوح أعلى من الالتفات وإلى ذلك
أشار الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم و
أسماء آبائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعمل أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم
ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعمل أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال
كأنه منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله
والأعمال بالخواتيم وأما أقسام القسم الأول فمثل أن يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت
وشدته أو سؤال منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال
عن النقير والقطمير أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه أو من النار وأغلالها وأهوالها أو من
حرمان الجنة أو من نقصان الدرجات فيها أو خوف الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في
أنفسها ويختلف حال الخائفين فيها وأعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف
العارفين وما قبل ذلك وهو خوف العابدين والصالحين والزاهدين ومن لم يكمل معرفته بعد إذا عرفت
ذلك فنقول الخوف الذي أشار إليه من هذا القسم إذ خوف المحشر يشمل ما ذكرناه من أقسامه الثالث
كونهم بين شريد ناد أي منفرد في البلاد ومطرود لكثرة الكارهين للمنكر وقلة صبره على مشاهدته الرابع
وخائف مقموع وساكت مكعوم أي كان التقية سدت فاه عن الكلام وهو من باب الاستعارة وداع مخلص

وثكلان

وثكلان موجع لما يصابه في الدين أو من كثرة أذى الظالمين وهذا تفصيل حال آحاد المتقين ويحتمل أن يكون
ذلك تفصيلا لما لهم بالنسبة إلى خوف المحشر أي أن خوف المحشر أراق دموعهم وفعل بكل واحد منهم ما ذكره
من الحالات التي هو عليها الرابع كونهم قد أخملتهم التقية أي تقية الظالمين وهو تأكيد لما سبق الخامس كونهم
قد شملتهم الذلة أي بسبب التقية السادس كونهم في بحر أجاج واستعار لفظ البحر ووصف الأجاج لما هم فيه
من أحوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة أن الدنيا كالبحر لا يصلح للاقتناء والاستمتاع بها بل يكون سببا للعذاب
في الآخرة كالبحر الأجاج لا يمكن سائغه وإن بلغ به جهد العطش مبلغه شربه والتروي به وقوله أفواههم ضامزة
وقلوبهم قرحة أي أنهم لما قطعوا أنفسهم عن لذاتها ومخالطة أهلها فيما هم فيه من الانهماك فيها لا جرم كانت
أفواههم ضامزة لكثرة صيامهم بعيدة العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة جوعا أو خوفا من الله أو عطشا إلى رحمته
ورضوانه أو لما يشاهدونه من كثرة المنكرات وعدم تمكنهم من إنكارها ومن روى ضامزة بالزاي المعجمة
أراد سكوتهم وقلة كلامهم السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا أي ملوا وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم الثامن كونهم
قد قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قتلوا حتى قلوا أي قتلهم الظالمون لعدم انتظامهم في سلكهم فإن قلت كيف
يقال قتلوا مع بقائهم قلت إسناد الفعل إلى الكل لوجود القتل في البعض مجاز من باب إسناد حكم الجزء
إلى الكل لما كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علة غائية منهم فجاز إسناد القتل إليهم وإن كان المقتول
بعضهم و قوله فلتكن الدنيا في أعينكم إلى آخره أمر للسامعين باستصغار الدنيا واستحقارها إلى حد
لا يكون في أعينهم ما هو أحقر منها فإن حثالة القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة والمراد من هذا الأمر
غايته الترك لها فإن استحقار الشيء واستصغاره يستتبع تركه والإعراض عنه ثم أمرهم بالاتعاظ
بالأمم السالفة فإن في الماضين عبرة لأولي الأبصار ومحل الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها
والمباهاة بكثرة قيناتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء الحسرة والندامة للمستكثرين منها حائلة
بينهم وبين الوصول إلى حضرة جلال الله فذمهم بقوله قبل أن يتعظ بكم من بعدكم على أنهم مضطرون إلى
مفارقة ما هم فيه وسيصيرون عبرة لغيرهم وفائدة الأمر بالاتعاظ الإعراض عنها والإقلاع عن
الاغترار بها ثم لما أمرهم بهذه الأوامر التي ليست صريحة في الترك أردف ذلك بالأمر الصريح بالترك
فقال وارفضوها ذميمة أي اتركوها حال الحقارة والذمامة ثم نبه بعده على ما يصلح علة لتركها وهو عدم دوام
صحبتها وبقائها لمن كان أحب منهم لها أي لو دام سرورها ونعيمها لأحد لدام لأحب الخلق لها وأحرصهم
على المحافظة عليها فلم تدم لمن هو أشد حبا لها منكم حبا ولا وطنا أن لا تدوم لكم وإذا كان طبعها عدم رفض
كل محب فالأحرى بذي المروءة واللب الترفع والإعراض عمن لا يدوم صحبته ولا يصفو محبته وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة قال عبد الله بن عباس رضه دخلت على أمير المؤمنين
عليه السلم بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها فقال والله لهي أحب إلي
من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا ثم خرج فخطب الناس فقال إن الله بعث محمدا وليس أحد من
العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت

صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وان مسيري هذا لمثلها فلانقبن
الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم مفتونين واني لصاحبهم بالامس
كما انا صاحبهم اليوم قوله ذو قار موضع قريب من البصرة وهو الموضع الذي نصرت فيه العرب على الفرس
قبل الاسلام والخصيف نعلاي يخرزها وبوأتهم اسكنهم والمحلة المنزلة والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح
وعمود الظهر المنتظم للفقار والصفاة الحجر الاملس المنبسط والساقة جمع سايق وتولت بحذافيرها اي باسرها
والبقر الشق واعلم انه عليه السلم قدم لنفسه مقدمة من الكلام اشار فيها الى فضيلة الرسول صلعم ومبعثه وهو
سوقه الخلق الى الدين الحق ليبني عليها فضيلة نفسه وكانت غايته من ذلك توبيخ من خرج عليه من قريش
والاستعداء عليهم فقوله ان الله بعث محمدا الى قوله صفاتهم صدر الكلام اشار فيه الى فضيلة الرسول صلعم والوا
الداخلتان على حرف النفي للحال فان قلت كيف يجوز ان يقال انه لم يكن احد من العرب في ذلك الوقت
يقرأ كتابا وكانت اليهود يقرؤن التورية والنصارى الانجيل قلت ان الكتاب الذي بيد اليهود وغيرهم
في ذلك الوقت التورية ليس هو الكتاب الذي انزل على موسى ع فانهم كانوا حرفوه وبدلوه فصار كتابا
آخر بدليل قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وظاهر انه من حيث هو مبدل ومحرف ليس هو المنزل على موسى ع
واما الكتاب الذي تدعي النصارى بقاءه في ايديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم كفارا بسبب القول
بالتثليث واما اناجيلهم ففي غاية القلة فلا يفيد قولهم ان ما في ايديهم هو انجيل عيسى ع لا اذن
لا يكون المعتبر وانهم حال بعث محمد صلعم كتابا هو من عند الله سبحانه لكن يحتمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان
اكثرهم لم يكن له دين ولا كتاب وانما كان بعضهم يتمسك بآثار من شريعة اسمعيل وبعضهم برسوم لهم و
قوله فساق الناس حتى بوأهم محلتهم الاشارة بسوقه لهم الى سوقه العقلي لهم اي نهم بجذب النفوس
الى الهداية فيما جاء به مما جاءهم به من القران الكريم والسنة النبوية الى معرفة سبيل الله ثم بجذب
الترغيب لبعضهم والترهيب لبعض الى سلوك تلك السبيل فاجابوا وقد تبوأوا محلتهم اي منزلتهم ومرتبتهم
التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوب العناية الازلية بوجودهم في هذه الدار وهي لزوم القصد
في سبيل الله المسمى اسلاما ودينا وايمانا وهو في الحقيقة المنجاة التي لا خوف على سالكها ولا سلامة
للمنحرف عنها وذلك مضمون قوله وبلغهم منجاتهم وقوله واستقامت قناتهم فالمراد بالقناة القوة والغلبة
والدولة التي حصلت لهم مجازا وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان الرمح او الضرب سبب القوة
والشدة ومعنى استقامة ايها انتظام قدرهم ودولتهم وقوله واطمأنت صفاتهم استعار
لفظ الصفاة لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم وعلى احوالهم متزلزلين
لا يقر بعضهم بعضا في موطن ولا على حال بل كانوا ابدا في الغارة والنهب وحالهم كالواقف على حجر
املس متزلزل مضطرب فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب مقدم محمد صلعم قوله
اما والله ان كنت لفي ساقتها الى قوله ولا جبنت تقرير لفضيلة فاثبت لنفسه انه كان من ساقتها الى ان تولت

بارح٦

باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في ساقتها كتايب الحرب وان لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل منه
الذكر وهو الناس لكان في حال فساق الناس وهم يومئذ كتايب عليه تكلمت في ساقتها حتى تولت تلك الكتايب
باسرها لم يبق منها من يغالبه ومعلوم ان السوق قد يكون سوقا الى الهدى وقد يكون سوق طرد وهزيمة
والاول هو غاية بعثة السوق الثاني اذ لم يكن مقصوده من حروبه الا السوق الى الدين ولما لم يمكن حصول
الهداية لخلق الا بوجود النبي صلعم والايضاح سبيل الحق كان ذبه وطرده للكتايب حتى تولت بحذافيرها حماية
عن النبي وعن حوزة الدين امرا واجبا لا لذاته لكن لغرض تمام الهدى الذي هو غاية وجود النبي صلعم وقوله
ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات الفضيلة المذكورة له وتقرير لما علم من شجاعته وتاكيد لعدم العجز والجبن
الذي هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة وقوله وان مسيري هذا لمثلها اي لمثل تلك الحال التي كنت
عليها معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردها من غير جبن ولا ضعف وهو في معنى التهديد الذي عسى
ان يبلغ خصومه ويقوى به نفوس اوليائه وكذلك قوله ولابقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته فانه
في معنى التهديد وشبه ما عليه خصومه من الباطل واستعار هنا لفظ الخاصرة للباطل والبقر لتفريق
الباطل وتمييز الحق منه تشبيها له في استناد الحق فيه وعدم تميزه منه بحيوان ابتلع جوهرا ثمينا اعز منه قيمة
واتم فايدة فاحتيج الى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع وقوله ما لي ولقريش استفهام على سبيل الانكار
لما بينه وبينهم مما يوجب الاختلاف وجحد فضيلته وحسم لاعذارهم في حربه وقوله والله لقد قاتلتهم كافرين
اظهار لمنته عليهم بسوقه لهم الى الدين اولا وتعييرا لهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم
به ويخجلوا من مقابلته بالباطل وهو اظهار الانكار عليها اذ كانوا اولى باتيان المكرمة وهو اولى بردهم
عنه اخرا كما كان اولا وكذلك قوله وقاتلتهم مفتونين على احدى الروايتين واما على رواية ولاقاتلنهم مفتونين
فهو تهديد بان يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالهم عن الدين وكافرين ومفتونين نصب على الحال وفي ذكر
هذين الحالين تنبيه على علة قتاله لهم في الحالين وهو طلبه لاستقامتهم على الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال
واغراء السامعين بهم وقوله واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم يتغير حالته
التي بها قاتلهم كافرين وفايدته تذكيرهم الآن بابتلاء الكفار به في ذلك الوقت ليتقوا واعز مجاربة
اذ في تذكرة قايعه في بدو الاسلام وشدة باسه ما يفر منه القلوب وتقشعر منه الجلود وقد ثبت
في تمام هذه الخطبة في بعض النسخ ليضج قريش ضجيجها ان يكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا اليهم الا انا
اجترأنا عليهم وذلك اشارة الى السبب الاصلي لخروج طلحة والزبير وغيرهم من قريش عليه وهو الحسد
والمنافسة ان تكن الخلافة والنبوة في بني هاشم دونهم والضجيج الصياح القوي وهو كناية عن اشد محاجاتهم
ومنافراتهم له على هذا الامر وقوله والله ما اتينا اليهم تاكيد لما نسبه اليهم من سبب الخروج بالقسم ان الباعث
لم يكن الباعث لهم على قتاله او على حسده والبغي عليه امرا من قبله سوى الاجتراء عليهم اي التجاوز والاقدام
عليهم في منعهم عما يريدون من قول او فعل لا يسوغ في الشريعة فانه لم يكن ذلك في الحقيقة اساءة في حقهم
يستحق بها المكافاة منهم بل احسان وردع عن سلوك طرق الضلال يتعين ان السبب في الخروج عليه وذلك

بعينه هو الحمد والمنافسة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس الى اهل الشام
أفٍّ لكم لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً وبالذل من العز خلفاً إذا دعوتكم
الى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون
وكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي وما أنتم بركن يمال بكم ولا زوافر
عز يفتقر إليكم ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار
الحرب أنتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون
غلب والله المتخاذلون وايم الله إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن
أبي طالب انفراج الرأس والله إن امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده
لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره أنت فكن ذاك إن شئت فأما أنا فوالله دون أن أعطي
ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والأقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء
أيها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم علي حق فأما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا
وتأديبكم كيما تعلموا وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة
حين آمركم اقول روى انه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر الخوارج وقد كان قام بالنهروان
فحمد الله واثنى عليه وقال اما بعد فان الله تعالى قد احسن بنا نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل
الشام فقالوا له قد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد
في عددنا مثل من هلك منا لنستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا
ترتدوا على ادباركم فتلكؤوا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون اف لكم
ثم تلا قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الآية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح
في الناس وطلبوا ان يرجع بهم الى الكوفة اياما ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض وانزلهم النخيلة وامرهم
ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا زيارة اهلهم فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون
الكوفة حتى لم يبق معه الا القليل منهم فلما راى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا
لقتال عدو في جهادهم القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين
بالجور والظلم لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون في الطغيان ويتسكعون في
غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا قال
فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم هذه الخطبة فقال اف لكم الفصل اف كلمة تضجر من الشيء وغمرات الموت
سكراته التي تغمر فيها العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم اي يغلق والحوار المخاطبة وتعمهون
تتحيرون وتترددون والمألوس المجنون والمختلط العقل وسجيس الليالي وسجيس الاوجس اي ابدا
مدى الليالي والزوافر جمع زافرة وزافرة الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر واسعار
النار تهييجها والهابها ولا تمتعضون لا تغضبون وحمس الوغى اشتدت الحرب وجلبة الاصوات وعرقت اللحم

اهرقه اذ لم ابق على العظم منه شيئا والمشرفية سيوف منسوبة الى مشارف قرى من ارض العرب تدنو
من الريف وفراش الهام العظام الرقيقة تلي القحف واعلم انه لما اراد استنفارهم الى الحرب و
كانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته استقبلهم بالتافيف والتضجر مما يرى منهم من احوالهم و قوله لقد سئمت
عتابكم تنبيه لبعض ما تأذى منه وقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا
استفهام على سبيل الانكار عليهم يستلزم الحث على الجهاد فان الجهاد لما كان يستلزم الثواب الآخرة والعزة
الجانب وخوف الاعداء والقعود عنه يستلزم في الاغلب السلامة في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو
فيهم وذلتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخرة واستخلف الذل من العزة وذلك مما
لا يرضى به ذو عقل سليم وعوضا وخلفا منصوبان على التمييز قوله اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى
قوله لا تعقلون تبكيت لهم وتوبيخ برذائل تعرض لهم عند دعائه لهم الى الجهاد الاولى انه تدور اعينهم حيرة
وترددا وخوفا من احد امرين اما مخالفة دعوته او الاقدام على الموت وفي كلا الامرين خطر ثم شبه
حالتهم تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمور في سكرات الموت الساهي فيها عن حاضر احواله المشغول
بما يجده من الالم ونحوه قوله تعالى ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الثانية انه يرتج
عليهم حواره ويرتج في موضع الحال وتعمهون عطف عليه اي يرتج عليكم فتحيرون ثم شبه حالهم عند دعائه
لهم الى الجهاد وتشبهها بحال من اختلط عقله اي انهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كمختلط العقل لا يفقه
ما يقول الثالثة انهم ليسوا له بثقة ابدا وهو وصف لهم برذيلة الخلف والكذب المستلزم لعدم ثقته بكلامهم
الرابعة كونهم ليسوا بركن يميل به المستند اليه على خصمه يقال فلان ركن شديد استعارة له من ركن
الجبل وهو جانبه لما بينهما من المشاركة في الشدة والامتناع المعتصم به ونحوه قوله تعالى لو ان لي بكم قوة
او آوي الى ركن شديد اي قوي يمنعني منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز الخامسة ولا زوافر
عز يفتقر اليهم وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة السادسة تشبيههم بابل ضل رعاتها واوما
الى وجه الشبه وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت من جانب اشارة الى انهم ضعيفوا العزوم متشتتوا
الآراء لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام احوالهم في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة
العملية وكل ذلك انها على رذيلة البلاء السابعة كونهم ليسوا ابو نار الحرب اي ليسوا من رجالها وذلك
ان مدار الحرب على الشجاعة والراي وقد سبقت منه الاشارة الى ذمهم بالفشل وضعف الراي فاذن
ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لهيجان الحرب لفظ النار رشح بما هو من الاذى الشديد في
تلك الاستعارة بذكر الاسعار ووصف رجالها به الثامنة كونهم يكادون ولا يكيدون اي
يخدعون ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة بهم وليس لهم قوة المكر والحيلة به وذلك ايضا من رذيلة ضعف
الراي التاسعة كونهم تنقص اطرافهم فلا يمتعضون اي يغار العدو في كل وقت على بعض بلادهم
فيحوزها فلا يشق ذلك عليهم ولا يدركهم منه انفة ولا حمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة العاشرة
كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم لهم وهو وصف لهم برذيلة الغفلة ايضا عما يراد بهم وغلبهم

لمصالح انفسهم وكل هذا التوبيخ تثقيف لهم وتنبيه لنفوسهم الراقدة في مراقد طبايعها على ما ينبغي لهم من المصالح
التي يكون بها نظام احوالهم على قانون الدين و **قوله** غلب والله المتخاذلون تنبيه على انهم بتخاذلهم سيغلبون
واورد الغلب المطلق بلفظ التخاذل لانه بحكم العام اشد تنفيرا منهم لو خصصهم به فقال اغلبتم
والله لو تخاذلتم لم يكن وقعه في الذوق كوقعه عاما و **قوله** ايم الله الى قوله انفراج الراس اقسم انه يظن
بهم انهم عند اشتداد الحرب وحرارة الموت ينفرجون عنه انفراج الراس اي يتفرقون عنه اشد تفرق
وانفراج الراس مثل قيل اول من تكلم به اكثم بن صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدايد انفراج الراس
فانكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز وفي معناه اقوال احدها قال ابن دريد معناه ان الراس اذا انفرج عن
البدن لا يعود اليه ولا يكون بعده اتصال وذلك اشد انفراج الثاني قال المفضل الراس اسم رجل ينسب
اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الراس وفيها يباع الخمر قال حسان كان سبية من بيت راس يكون
مزاجها عسل وماء وهذا الرجل قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب به المثل في المباينة والمفارقة
الثالث قال بعضهم معناه ان الراس اذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتيام والعود
الى الصحة الرابع قال بعضهم معناه انفرجتم عني راسا اي بالكلية الخامس قيل معناه انفراج من يريد ان
ينجو براسه السادس قيل معناه انفراج المراة عن راس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة
وتفرق الاتصال والانفراج ونحوه قوله لهم في موضع اخر انفراج المراة عن قبلها ومثال تقدير خصوصه
شدة انفصالهم وتفرقهم عنه احوج ما يكون اليهم واستحرار الموت يحتمل ان يراد به شدته الشبيهة بالحرارة
مجازا كما سبق ويحتمل ان يراد به خلوصه وحضوره فيكون اشتقاقه من الحرية والحرة الرطبة حران المحض
من الشغله واسماهما ضمير الشان وهي مع اسمها وخبرها قايمة مقام مفعولي الظن وفيه توبيخ لهم على التقصير
البالغ في حقه الى حد ان يظن بهم الظن المذكور و **قوله** والله ان امرا الى قوله ان يثبت من لطيف الحيلة
في الخطاب الموجب للانفعال عنه وذلك انه صور لهم افعالهم من التخاذل عن العدو والضعف وساير
افعالهم المذمومة التي الفوا التوبيخ عليها والتعنيف بعبارة تريهم اياها في اقبح صورة واشدها كراهة اليهم
والبغها نكاية فيهم وهو تمكينهم للعدو من انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه هي بعينها تمكين للعدو فيما
يريد بهم واعداد له وتقوية لحاله ولما كان من عادة ظفر العدو اجتياح المال والقتل وتفريق الحال كنى
عن الاول بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم لسلب المال بجامع ظاهر وكذلك كنى عن القتل وساير
اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم العظم وعن تمزيق الحال المنتظم بفري الجلد ثم لما كان من البين
ان تخاذلهم تمكين لعدوهم منهم وكان تمكين الانسان لعدوه من نفسه يفعل به الافعال المذكورة لا يكون
الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لا جرم اثبت العجز وضعف القلب لامرئ مكن عدوه من نفسه
واكد ذلك بان وباللام البارز وكنى بضعف القلب عن الجبن وانه بذلك الاثبات على وجه عام لكل امرئ
فعل ذلك ولم يخصهم بالخطاب ولا نسب تمكين العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصود بذلك رجاء
لنفارهم عن الدخول تحت هذا العموم بالانفة ولا مرة بالجهاد ثم اردفه بالامر ان يكونوا ذلك المرء الذي

وصفه

وصفه بما وصفه امرا على سبيل التهديد والتنفير وذلك قوله انت فكن ذاك ان شئت اي ذاك المرء الموصوف
بالعجز والضعف خطاب لشخص المطلق الصادق على كل واحد منهم كان وامر له ان يكون بصفة المرء الموصوف
امرا تنفيرا له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال الردية عند تمكينه عدوه من نفسه وروي انه خاطب
بقوله انت فكن ذاك الاشعث بن قيس فانه روي انه قال له ع وهو يخطب ويلوم الناس عن تقاعدهم
عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان فقال له ان فعل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له ولا ثقة معه وان
امرا امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رايه مافون عقله انت فكن ذاك ان احببت
الفصل و **قوله** فاما انا الى قوله ما يشاء لما خيرهم ان يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد اردف ذلك بالتبرؤ
من حال المرء المذكور ليكون لهم به ع اسوة في النفار عن تمكين العدو من انفسهم الا بعد بذل النفس في الجهاد
ومثله تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فانه هو لا يختار ذلك الحال بل دون ان يعطي عدوه من نفسه ذلك
التمكين ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية عن اشد المجاهدة
ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والمناجزة ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فان اليه مصير الامور وعواقبها
و **قوله** ايها الناس اه ذكر ما لهم عليه من الحق وما له عليهم منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الواجب عليهم فينبغي لهم
ان يخرجوا اليه من واجب حقه الذي فرض الله عليهم فبدا ببيان حقهم عليه ادبا واستدراجا لطباعهم
فان البداة بحق الغير قبل حق النفس اليق بالادب وهم لسماعه اقبل فذكر منها اربعة امور بها يكون
صلاح حالهم في الدارين احدها النصيحة لهم وهي حثهم على مكارم الاخلاق وجلبهم الى ما هو الاليق بهم في
معاشهم ومعادهم الثاني توفير فيئهم عليهم بترك ظلمهم فيه وتفريقه في غير وجوهه مما ليس بمصلحة لهم كما
نسبوه الى من كان قبله الثالث تعليمهم كيلا يجهلوا وانما لم يقل كيما يعلموا لان ظهور المنة عليهم بنفي الجهل
عنهم اشد من ظهورها في ذكر عرض ايجاد العلم لهم ولذلك كان تاذي الرجل والانفة من ان يقال له يا جاهل
اشد بكثير من نفاره من ان يقال له لست بعالم الرابع تاديبهم كيما يعلموا فهذه الامور الاربعة هي الواجبة على الامام
لرعيته واحد منها يرجع الى صلاح ابدانهم وقواها وهو توفير فيئهم عليهم بضبطه وعدم التصرف فيه بغير وجوه
مصالحهم واثنان يرجعان الى صلاح حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض العلم
او من جهة اصلاح القوة العملية وهو التاديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحتي البدن والنفس
ونظام احوالهما وهو النصيحة لهم ثم اردف ذلك ببيان حقه ع عليهم وذكر ايضا اربعة الاول الوفاء بالبيعة
وهي اهم الامور اذ بها النظام الكلي الجامع لهم معا الثاني النصيحة له في غيبته وحضوره والذب عنه اذ
بذلك نظم شمل المصلحة منهم وبينهم ايضا الثالث اجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فان في التثاقل
عن دعوته ما علمت من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة الرابع طاعتهم له حين يامرهم وظاهر
ان شمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل ان هذه الامور الاربعة وان كانت حقوقا
له عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع في الدنيا والآخرة فان الوفاء ملازمة العهد والنصيحة له
سبب لانتظام امورهم به واجابة دعوته اجابة لداعي الله الجاذب الى الخير والمصلحة وكذلك طاعة امره

طاقة لما انه اذ هو الناطق به وقد علمت ما يستلزمه طاعة امه من الكرامة عنده وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ وَأَشْهَدُ أَنْ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلعم أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ

الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي

لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ

وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ شعر أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ⁂ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا

النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ اقول روي ان عمرو بن العاص وابا موسى الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما

في امر الناس كان علي يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعة عمرو لابي موسى وبلغه ذلك

اغتم له غما شديدا ووجم منه وقام فخطب الناس فقال الحمد لله الفصل وزاد بعد الاستشهاد بالبيت

دريد في بعض الروايات الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب واحييا ما امات

واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشده الله فاستعدوا

للجهاد وتاهبوا للمسير واصبحوا في معسكركم يوم كذا واما قصة التحكيم وسببها فمذكور في التواريخ والخطب

الامر العظيم فدحه الامر اذا غاله وابهظه والجفاء خشن الطباع الذي ينبو طبعه عن المؤانسة فيقاطع ويباين

فنقول الحمد لله الى قوله الجليل قد عرفت نسبة الخير والشر الى الدهر على اي وجه هي ومراده احمد الله على

كل حال من السراء والضراء وان هنا للغاية ويفهم من هذا الصدر وقوع الخطب الفادح وهو ما وقع من امر

الحكمين وحمد الله عليه وقوله ليس معه اله غيره تاكيد لمعنى كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها وقوله اما بعد

الى قوله الندامة المقصود الاربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في حسن الراي ووجوب قبوله

اما كونه ناصحا فلان الناصح يصدق الفكر ويمحض الراي وغير الناصح ربما يشير بغير الراي فيوقع في

المضرة واما كونه شفيقا فلان الشفقة تحمل على النصح فتحمل على حسن التروي في الامر وايقاع الراي فيه

عن تثبت واجتهاد والباعث على هذين النصح والشفقة اما الدين او محبة المستشير واما كونه عالما فلان فيه

اصابته لعلمه وجه المصلحة في الامر فان الجاهل اعمى لا يبصر وجه المصلحة ولذلك قال رسول الله استرشدوا

العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان

كان ناصحا كما تحذر عداوة العدو العاقل فانه كما يوشك ان يقع بك مكر العاقل كذلك يوشك ان

يورطك شور الجاهل واما كونه مجربا فلانه لا يتم راي العالم ما لم تنضم اليه التجربة وذلك ان العالم

وان علم وجه المصلحة في الامر الا انه قد يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطلع عليها الا

بالتجربة مرة ومرة فالمشورة من دون تجربة مظنة الخطأ وقيل في منثور الحكم كل شيء محتاج الى العقل والعقل

محتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير الموصوف بالصفات المذكورة مستلزمة في اغلب

الاحوال لسرور وحسن ثمرة رايه والفوز بها لاجرم كانت معصيته ومخالفة رايه مستلزمة للحسرة مستعقبة

للندامة وقوله وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري الى قوله ان معصية المشير المذكور تعقب الحسرة والندامة

اردف ذلك ببيان انه هو المشير الذي اشار عليهم فخالفوه ليتنبه لهم انهم عصوا مشيرا قد استكمل شرائط الرأي

فيتوقعوا الندم على معصيته وقوله ونخلت لكم مخزون رايي استعارة للفظ النخل لاستخلاص صفو رايه واجوده

لهم بحسب اجتهاده ووجه المشابهة ان اجود ما يتنخل مما يتخل من دقيق ونحوه هو المنخول كذلك الراي اجوده وانفعه

ما استخلص وصفى من كدورات الشهوة والغضب وقوله لو يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا هو قصير

ابن سعد اللخمي مولى جذيمة الابرش بعض ملوك العرب واصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزباء ملكة

الجزيرة فبعثت اليه عن حين ليتزوج بها خدعة وسالته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس

وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي وكان قصير اشار على جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رايه

فلما قرب جزيرة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة ولم ير منهم اكراما فاشار عليه قصير بالرجوع عنها

وقال انها امراة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل اليها غدرت به وقتلته فعندها قال قصير لا يطاع

لقصير امر فذهبت مثلا لكل ناصح عصي وهو مصيب في رايه وقد يتوهم ان جواب لو هنا مقدم والحق ان

جوابها محذوف والمعنى يتبع ترتيب الكلام والتقدير انه كنت امرتكم امري في هذه الحكومة ونخلت لكم فلو

اطعتموني لفعلتم ما امرتكم به ونخلت لكم النصيحة فيه فقولنا لفعلتم هو تقدير الجواب وما بنيه عليه ان قوله فابيتم

علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة وهو في تقدير استثناء نقيض ذلك التالي وتقديره لكنكم ابيتم

علي اباء من خالف الامر وجفا المشير وعصاه حتى شك في نفسه هل كان صوابا او خطا وهذا الحكم حتى كان المشير

بالراي الصواب اذا كثر مخالفوه فيه قد يتهم نفسه في صحة ذلك الراي وصوابه لان استخراج وجه المصلحة

في الامر امر اجتهادي يغلب على الظن لكثرة الامارات اللائحة للمشير فاذا جوز المشير ان يكون خلاف

ما راه هو المصلحة فلا مانع اذن ان يعرض لغيره امارات اخرى يغلب على ظنه ان ما راه هو ليس بمصلحة

فيعارض بها ما راه الاول حقا ويخالفه في رايه فاذا كثرت تلك المخالفة من جمع عظيم جاز ان يشك الاول

فيما ظنه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان الامارات التي افضت ذلك الظن غير صحيحة فلذلك قال حتى ارتاب

الناصح بنصحه وعنى بالناصح نفسه او من راى رايه وطابق اكثر اصحابه على مخالفتهم وقال بعض الشارحين يحمل

ذلك على المبالغة لانه عم منزه عن ان يشك فيما يراه صوابا بعد شوره به وقوله وضن الزند بقدحه

قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده اذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقها او لم يتمكن من افادتها فان المشير

اذا اتهم واستغش او خطئ في رايه ربما لا ينقدح له بعد ذلك راي صالح لحكم الغضب عليه من جهة مخالفته

وعدم قبول رايه ولما كان غرضه ان يقرر عليهم الندامة في مخالفة رايه ويريهم ثمرة عصيان امره الصادر

عن معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت واياكم كما قال اخو هوازن شعر امرتهم امري البيت وهو لدريد بن

الصمة من قصيدة له في الحماسة اولها شعر نصحت لعارض واصحاب عارض ⁂ ورهط بني السوداء والقوم شهدي

وقصته في هذه القصيدة ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم واستاق

ابلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله لا ابرح حتى انحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة واجيل

السهام فقال له اخوه دريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه ونحر النقيعة وبات فلما اصبح هجم القوم

عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث بأخيه دريد فنفّس عنه القوم حتى طعن دوابه وصرع وقتل عبد الله وحال
الليل بين القوم فجاء دريد بعد طعنات وجراح حصل له فقال القصيدة وانما قال عليه السلام اخو هوازن لنسبته
اليهم فان دريد بن الصمة من بني جشم بن معوية بن بكر بن هوازن ونحوه قولهم يا اخا العرب لنسبته فيهم وكذلك
قال لهم اخوهم لوط ونحوه في اطلاق لفظ الاخوة مجاز لوجود الاتصال بهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك وموضع
التمثيل بالبيت انك وانا لكم في نصحتي لكم ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم امري المستلزمة لندامتكم في التوسط كمثل
القائل مع قومه حين نصح لهم فعصوه فلحقهم بالحقيقة من الندامة والهلاك واعلم ان الذي كان اشار به عليهم
هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام وتحمل السبب ان امارات الغلبة قد ظهرت بركات عليه على اهل
الشام فلما عاينوا الهلاك استشار معوية بعمرو بن العاص في كيفية الخلاص فقال عمرو ان رجالك لا يقوم
لرجاله ولست مثله انه يقاتلك على امر وانت تقاتله على غيره انت تريد البقاء وهو يريد الفناء واهل العراق
يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم ولكن الق الى القوم امرا ان قبلوه
اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك وان لم ازل
اوخر هذا الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف على اطراف الارماح
وكان عددها خمسمائة مصحف ورفعوا مصحف المسجد الاعظم على ثلثة ارماح مشدودة يمسكها عشرة رهط
ونادوا باجمعهم الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فقال عليه السلام
اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق المبين فوقع اختلاف اصحابه
فقالت طائفة القتال القتال وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب ولا تحل لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب
وتنادوا من كل جانب الموادعة الموادعة فقال عليه السلام ويحكم ايها الناس انا احق من اجاب الى كتاب الله
ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط ليسوا باصحاب دين ولا قرآن انا اعرف بهم منكم صحبتهم
صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها انهم يعرفونها
ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق
مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الظالمين فجاءه عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون
امرة المؤمنين اجب القوم الى كتاب الله اذ دعيت والا قتلناك كما قتلنا عثمان فقال عليه السلام ويحكم انا اول من
اجاب الى كتاب الله واول من دعا اليه فكيف لا اقبله وانما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن ولكني قد اعلمتكم
انهم قد كادوكم وليس العمل بالقرآن يريدون فقالوا ابعث الى الاشتر يأتيك وقد كان الاشتر
صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث اليه فرجع على كره منه ووقع بين
من اجاب الى الحكومة من اصحابه عليه السلام مسابات ومجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب وتنادوا
من كل جانب رضي امير المؤمنين بالتحكيم وكتبوا عهدا على ارضائه وسنذكر كيفيته اجمالا ان شاء الله تعالى وبه
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** في تخويف اهل النهر فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ
وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ وَقَدْ

كن

كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءِ الْهَامِ
سُفَهَاءِ الْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْراً وَلَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّاً **اقول** الخطاب للخوارج الذين قتلهم عليه السلام بالنهروان
وقد كان القضاء الالهي سبق فيهم بما كان منهم من الخروج روي في صحيح الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسما
جاء رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه وآله قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فانك
لم تعدل فقال صلى الله عليه وآله ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقام عمر وقال يا رسول الله ائذن لي اضرب عنقه فقال دعه
فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على حين فرقة من الناس تحقر
صلوتكم عند صلوتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه
كانها ثدي امرأة او بضعة تدردر يقتلهم اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد عن مسروق قال قالت لي عائشة
انك من ولدي ومن احبهم الي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علي بن ابي طالب على نهر يقال لاعلاه تامرا
ولاسفله النهروان بين لخاقيق وطرفا فقالت ابغني على ذلك بينة فاقمت رجالا شهدوا عندها بذلك ثم قلت
لها سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت منه فيهم فقالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة
واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم فهو انه عليه السلام لما قهره اصحابه على التحكيم واظهروا الرضى به
بعد ان حذرهم ووعظهم فلم يلتفتوا وكتبوا كتاب التحكيم واخذه الاشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معوية
فرضوا به وطاف به على اصحاب علي فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكان مع علي عليه السلام منهم بصفين اربعة آلاف
فارس فلما قرأ الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معوية فقتلا وهما اول من حكم ثم مر بها
مراد ثم على رايات بني راسب ثم على بني تميم فكل قرأه عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال
في دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا عليه السلام بذلك فاستصغر امرهم وظن انهم قليلون فلما بلغهم امر الحكمين
ما راعه الا والناس يتنادون من كل جانب لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك وقد كنا اخطأنا حين رضينا
بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا فارجع انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى عليه السلام الرجوع وقال
ويحكم ابعد الرضا نرجع فانقض بقوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية وبات الخوارج الا قليل
التحكيم والطعن فيه فتبرأوا من علي وبرئ منهم ثم كان اجتماعهم بحروراء فسماهم لذلك الحرورية فناظرهم بها
فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان اميرهم يومئذ عبد الله بن الكوا وحين القتال عبد الله بن وهب
الراسبي فسار اليهم فقتلهم وقال نحن اهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن
العلم والحكمة ايها القوم انا نذير لكم الفصل وروي انه عليه السلام لما قتلهم طلب ذا الثدية منهم طلبا شديدا فلم يجده
فجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وانه لفي القوم فلم يزل يطلبه حتى وجده وهو وجه
من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كانها ثدي في صدره وعليها شعرات كسبال الهرة فكبر عليه السلام
وكبر الناس معه وسروا بذلك الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط ما سفل من الارض
وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اوقعكم في حبالة وانكر المنكر ويروى بجرا
والبجر الامر العظيم والداهية ويروى هجرا وهو الساقط من القول ويروى عرا والعر والمعرة الاثم و[illegible]

ذيا فضلا الابل نحو شرذ ولستعار لفظ الذناب واعلم ان حاصل هذا الفصل تحذير للقوم من الهلاك وهم على غير
بينة من ربهم ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يدعونه حقا ويقاتلون عليه وذلك مما يجب الحذر منه اذ فيه حرمان سعادة
الدارين واما سمى الحجة بينها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو من باب الاستعارة و قوله قد طوحت
بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا واضاف ... اليكم او اليها ... ورميهم ايها الى الهلاك لهم والموجب لتيههم انما هو
اتباع اهوائهم الباطلة التي منشاها انما هو تحصيل امر دنيوي من مال او جاه ونحوه فكانت الدنيا هي التي رمت بهم
المرامي عن رحمة الله واخرجتهم عن طاعته و قوله واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر النازل
عن قضاء الله بهم فهو كحبالة الصايد التي لا يخرج الطاير منها اذا نزلت به و قوله كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله
الى هواكم تقرير للحجة عليهم وكانه يقول لهم ان كان الحق هو عدم الحكومة فلم طلبتموها وابيتم علي اباء المخالفين المنابذين
لما نهيتكم عنها حتى صرفت الى هواكم فيها وان كان الحق هو ايقاعها فلم شاققتموني الان لما اوقعتها وجعلت بها
عهدا وعلى التقديرين يلزمهم الخطأ و قوله وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام الواو للحال والعامل صرفت
والاضافة في اخفاء وسفهاء غير محضة ولذلك صح كونهما وصفين لمعاشر وخفة الهامة كناية عن رذيلة الطيش المقابلة
لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات والحلم فضيلتان تحت ملكة الشجاعة ولما كانت هاتان الرذيلتين
نسبتا الى النفس مع اضافتهما اليهما و قوله ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا خرج مخرج الاعتذار
اليهم واستدراجهم ببيان تحسين فعله ونفي النكر عنه وعدم قصد الاساءة اليهم ليرجعوا عما نسبوه اليه وقوله
لا ابا لكم كلمة اعتادت في السنة العرب قال الجوهري يراد بها المدح وقال غيره يراد بها الذم فان عدم الاب
باب يستلزم العار والسبة وقيل هي دعاء على المرء ان لا يكون له اب يعزه ويشد ظهره ونفي الاب يستلزم
نفي العشيرة له فكانه دعا بالذل وعدم الناصر و[illegible] **ومن خطبة له عليه السلم** يجري مجرى الخطبة فقمت
بالامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم
صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف
لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق
منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره اتراني اكذب على رسول الله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول
من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا الميثاق في عنقي لغيري **اقول** المقصود الاخطار
ذا الكلام عن حصره وتقطيع الامر اختياره وتوفره وانتقع التقبع يقال خرج القنفذ اذا قبض راسه بين كتفيه
والاستبداد الانفراد والرهان ما يراهن ويستبق عليه والهمز الغيبة بالعيب وكذلك الغمز قال بعض الشارحين
هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضي رضي الله عنه من كلام طويل له عليه السلام قاله بعد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفي
رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر وقت **الفصل الاول** فقمت بالامر حين فشلوا الى قوله برهانها هذا الكلام ورد في
معرض افتخاره واثبات فضيلته على ساير الصحابة لغاية قبول رايه فقوله بالامر حين فشلوا اشارة الى فضيلة
شجاعته اي قمت بامر الله بين يدي رسوله وبعده في الحروب والمقامات الصعبة التي ضعفوا عنها والاوقات
التي فشلوا فيها وامره في ذلك ظاهر و قوله ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة مستتبعة لملكة العلم

اي نطقت

اي نطقت في القضايا المهمة والاحكام المشكلة والمقاول التي حصرت فيها بلغاؤهم فلكن بلطفه وتعتعهم عن فصاحته وعيهم
و قوله وتطلعت حين تقبعوا اشارة الى كبر الهمة في تحصيل ما ينبغي للانسان ان يحصله من تعرف الامور واختبارها
والنظر في مصادرها ومواردها وهي ملكة تحت الشجاعة ولما كان التطلع على الامر يحتاج الانسان فيه الى تكلف الاستطلاع
ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف الامور واختبارها لا بد فيه من بعث رايد الفكر الذي هو عين
النفس التي بها يبصر وتحديقه نحو الامور المعقولة وارسال المتخيلة لتفتيش خزاين المحسوسات شبه ذلك بالتطلع
فاستعار له لفظ التطلع وكنى به عنه وقوله حين تقبعوا اي كانوا يتوقفون للامور حين قصورهم عن ذلك ولما كان
التقبع يقابل مد العين والتطاول الى روية الاشياء المستتبع للتطلع وكان قصور افكارهم وعدم اعتبارهم للاشياء
يقابل مد الفكر وتطاول الذهن الى معرفة الامور وكان قصور الفكر ايضا والعجز من الموجب شبه التقبع استعار لهم
لفظ التقبع وكنى به عنه و قوله ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم اي كان سلوكه لسبيل الحق
على وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضل من اهتدى به وذلك حين وقفوا حايرين مترددين جاهلين بالقصد
وكيفية سلوك الطريق وانما اثبت لنفسه هذه الفضايل وقرن كل فضيلة برذيلة فيهم تقابلها ليتبين فضله بالنسبة
اليهم اذ كان الغرض ذلك و قوله وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط الجاش
في الامور والثبات فيها والتصميم على فعل ما ينبغي من غير التفات الى الجواذب والموانع عن فعل ما هو خير
ومصلحة فان كثرة الاصوات وعلوها في الافعال التي هي مظنة الخوف دليل الفشل ولا شك ان من كان
اشد في ذلك كان اعلاهم فوتا واشد سبقا الى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه قوله
فطرت بعنانها واستبددت برهانها الضميران يعودان الى الفضيلة وان لم يجر لها ذكر لفظي فاستعار هنا
لفظ الطيران لسبق العقلي لما يشترك فيه من معنى السرعة واستعار لفظي العنان والرهان اللذين هما من
متعلقات الخيل للفضيلة التي استكملتها نفسه تشبيها لها مع فضايل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه الشبه
ان الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يستبقون الفضايل ويستبقون بها الى رضوان الله وسعادات الآخرة كانت
فضايلهم التي هم عليها يستبقون كخيل الرهان ولما كانت فضيلته اكمل فضايلهم واتمها كانت بالنسبة الى
فضايلهم كالفرس الذي لا يشق غباره فحسن منه ان يستعير لسبقه بها لفظ الطيران ويجري عليها لفظ العنان
والرهان **الفصل الثاني** قوله كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله آخذ الحق منه وهذا الفصل يحكي فيه حاله
بعد الخلافة حين انتهت اليه وجريه فيها على قانون العدل والامر الالهي فقوله كالجبل تشبيه له في
الثبات على الحق بالجبل فكما لا تحرك الجبل قواصف الرياح وعواصفها كذلك هو لا تحركه عن سواء السبيل مراعاة
هوى لاحد او اتباع طبع يخالف باتباعه سنة الله وشرعه بل هو ثابت على قانون العدل وموافقة الامر
الالهي و قوله لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز اي لم يكن في عيب اعاب به وقد راعى في هذه القراين
الاربع مع الاربع الاخيرة من الفصل الاول السجع المتوازي و قوله الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق
له اي ان الذليل اعتنائي به لحاله واهتمامي بامر ظلامته ومراعاتي لحال انصافه فقد اعزه ثم جعل لعزازه
غاية هي اخذ الحق له وكذلك قوله والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه فان ضعف القوي هو قهره تحت حكمه

الى غاية ليس فوقه حق المظلوم فان قلت بعض من اين الغايتين ان نظره الى الذليل بعد استيفاء حقه والى
القوي بعد اخذ الحق منه لا يكون متساويا بل يكون التفاته الى القوي اكثر وذلك ليس من العدل قلت انه لما لم يكن
الغرض من الامر بمساواة النظر بين الخلق الا اخذ حق الضعيف من القوي وعدم التظلم منهم لم يجب مساواة
النظر بين الضعيف والقوي الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه للقوي واكرامه من غير وجه الظلم قبيحا لجواز انفراده
بفضيلة توجب اعزازه من جهة الدين ايضا **الفصل الثالث** قوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره
الى قوله من كذب عليه قيل ذكر ذلك عليه السلام لما تفرس في طائفة من قومه انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله من اخبار
الملاحم في الامور المستقبلة وقد كان منهم من يواجهه بذلك كما روي انه لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله
لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا انبأتكم بناعقها وسائقها قام اليه انس النخعي فقال اخبرني
كم في راسي ولحيتي طاقة شعر فقال عليه السلام والله لقد حدثني حبيبي ان على كل طاقة شعر من راسك ملكا يلعنك
وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله وكان ابنه
سنان بن انس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا يحبو وسيأتي بعض تلك الاخبار فقوله رضينا عن الله
قضاءه وسلمنا له امره قد عرفت ان الرضا بقضاء الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص
اوليائه ولما كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قلم القضاء الالهي قد جرى على قوم بتكذيب
له واتهامه فيما يقول لا جرم كان هو عليه السلام اولى الناس بلزوم باب الرضا **قوله** اتراني اكذب الى قوله
عليه استنكار لما صدر منهم في حقه من التكذيب وايراد حجة لبطلان ما اوهموه في حقه بصورة قياس
الضمير مع نتيجته وتقديره والله لانا اول من صدقه وكل من كان اول مصدق له فلن يكون اول مكذب
له ينتج اني لا اكون اول مكذب له **الفصل الرابع** قوله فنظرت في امري الى اخره فيه احتمالان
احدهما قال بعض الشارحين انه منقطع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان معهودا اليه
ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت
بيعتي اي طاعتي لرسول الله صلى الله عليه وآله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم فلا سبيل الى الامتناع
منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اي ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده الي بعدم المشاقة وقيل
الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكني المخالفة بعده الثاني
ان يكون ذلك في تضجره وتبرمه من ثقل اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم
ويكون المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي وانقيادهم لي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار
في عنقي فلم اجد بدا من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولو لم يكن كذلك لتركت كما قال
من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة
ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت اخرها بكاس اولها والاول اشهر بين الشارحين
والله اعلم بالصواب **ومن خطبة له عليه السلام** وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم
فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى

البقا

البقاء من احبه **قوله** يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الشبهة الى قوله ودليلهم العمى
والثاني باقيه ففي الفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول
فالشبهة عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا وظاهر ان علة تسميتها
شبهة هو ذلك الشبه فلذلك حصرها فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء لله او اعداء له اما اولياؤه
فلما كانت نفوسهم مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح النبوة في سلوك الصراط المستقيم كان تلك الانوار
هي اذن لهم في ظلمات الشبهات ومنجيهم عن الهوي في مهاوي الجهالات كما قال تعالى نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الاية وهو الهدى المامور بلزوم
سمته والسلوك له الى المطالب الحقة وهو المراد بقوله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما
اعداؤه فليس دعاؤهم الى ما يدعون اليه الا ضلالا عن القصد القويم واضلالا للخلق عن الطريق الحق
وليس ما يعتمدونه دليلا يزعمون انهم يهتدون به السبل الا شبهة هي في نفسها عمى لابصار بصائرهم
عن مطالعة نور الحق وطمس لاذهانهم عن استجابتهم عن اهتداء سلوك سبيل الله ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى اخره فمصداق القضية الاولى قوله تعالى قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الاية وحاصله التذكير بهادم
اللذات والتخويف بذكره والتنفير عن محبة ما لا بد من زواله ليفزع السامعون الى العمل لما بعده ان
اخذ التوفيق بازمة عقولهم فان خوفه ومحبة ضده وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا
في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون الفصل الثاني قد سبق له قبل الاول كلام يحسن تعلقه به
وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم
ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم متغوثا فلا تسمعون
لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام
دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد
متذائب ضعيف كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون **قوله** يروى ان هذه الخطبة خطب
بها في غارة النعمان بن بشير بعين التمر والسبب ان معاوية بعث النعمان بن بشير في الفي فارس لارهاب
اهل العراق فاقبل حتى دنا من عين التمر وكان عاملها يومئذ من قبل علي مالك بن كعب الارحبي ولم يكن معه
اذ ذاك سوى مائة رجل او نحوها فكتب مالك اليه عليه السلام يعلمه الخبر فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا
هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من اهل الشام ليس بالكثير
فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم
بالنهوض فتثاقلوا ولم يجتمع معهم الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام عليه السلام وقال الا اني منيت الفصل ويروى
ان الغارة كانت لمالك بن معه على النعمان وجمعه منيت ابتليت وتحمشكم اي تغضبكم والمستصرخ المستغيث
بصوته من ينصره والغوث الصوت يستصرخ به وقيل هو قول الرجل واغوثاه والثار الذحل و الحقد

ترديد صوت البعير في حنجرته عند عسفه والسرر ان يأخذه في سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالي من تعب السير والادبر الذي به دبر وهي القرح في ظهره وفي الفصل مطالب الاول قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت وهو اظهار العذر في نفسه في اصحابه بسبب الهم التقصير دونه ويقع عليهم لائمة غيرهم الثاني قوله لا ابا لكم الى قوله حرام وهو استنهاض لهم الى نصرة الله بسؤالهم عن سبب تثاقلهم عن نصرته والذب عن دينه سؤالا في سبيل الانكار للسبب وشبه لهم في الاسباب التي توجب اجتماعهم لنصرة الله والغضب له بسؤالهم عنها هل هي موجودة لهم ام لا سؤالا في سبيل الانكار انه اذ هو يعرف وجودها لهم وهي الدين الذي امروا بالزومه والاتخاذ فيه كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الآية ثم الحمية وهي الانفة من الشجاعة وكذلك قوله اقوم فيكم الى قوله امرا من الاسباب الباعثة لهم ايضا على الاجتماع فانه ذكر حاله من استصراخه لهم واستغاثته بهم مع ذكر حالهم في مقابلة ذلك من تثاقلهم عن ندائه وعدم طاعتهم له مما ينبههم على خطائهم وتقصيرهم وقوله حتى تنكشف الامور عن عواقب المساءة ذكر لغاية تثاقلهم عن دعوته وتنبيه بذكر استغفاره عما في خطائهم فيه وكذلك قوله فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام عتاب وتوبيخ بحث طباع العرب على التآلف في النصرة اذ من شانهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال و **قوله** دعوتكم الى قوله الادبر استعار لفظ الجرجرة لكثرة تعللهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل الاسر اشد من جرجرة غيره لاحظ شبه ما نسبه اليهم من التضجر بها وكذلك شبه تثاقلهم بتثاقل النضو الادبر وذكرهم ما دعاهم اليه من نصرة اخوانهم اعني اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بالتبرم من ذلك والتثاقل ثم اردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب والضعف وتشبيههم بمن يساق الى الموت وهو ينظر في تثاقله واضطرابه وضعفه عن الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه كل ذلك ذم وتوبيخ يستثير به طباعهم عما هي عليه من التثاقل عن ندائه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في الخوارج لما سمع قولهم لا حكم الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتامن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته **اقول** قوله كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة رد لما التبس في اذهان الخوارج من حيث دعا اصحاب معاوية الى كتاب الله اي ان دعاءهم لكم الى كتاب الله كلمة حق لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض آخر باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهواءكم ونحوه مما لا يجوز ان يفعل نعم لا حكم الا لله تصديق لقولهم لكن لا على الكلمة في نفس الامر لا راواه حقا من ظاهرها فان حصر الحكم ليس بحق على معنى انه ليس يجب ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص عليها مع انها احكام الله لكونها منتزعة بحسب الاجتهاد وسائر طرق الاستنباط لمن كان اهلا لذلك ويجب على من ليس اهلية الاجتهاد والاستنباط

ولما تصور الخوارج تلك الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لم يوجد في كتاب الله ولا يجوز امتثاله والعمل به لا جرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء القوم يقولون لا امرة اي لا يقولوا ان يكون لغير الله حكم نص عليه فقد نفوا الامرة لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير في رعيته ونفي الملازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم في قوله وانه لا بد للناس من امير بر او فاجر فكان محصل الكلام في معنى شرطية متصلة بمنا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن القول بنفي الامرة باطل فالقول بنفي الحكم الا لله كما تصوروه باطل فقوله وانه لا بد للناس من امير في معنى استثناء نقيض تالي المتصلة وتقريره ان الانسان خلق مدنيا بمقارنة النفس الامارة بالسوء محتاجا الى المجمع قوى في بدنه هي منابع الشر فاهواء الخلق لذلك مختلفة وقلوبهم متفرقة فكانت طبيعة نظام احوالهم في معاشهم وبقائهم محوجة الى سلطان قاهر يتألف برهبته الاهواء وتجمع بهيبته القلوب ويكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي عن ذلك حيث يقول لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وهذه العلة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع الى امور اربعة اما عقل زاجر او دين حاجز او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين بدواعي الهوى فيكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا وان كان جائرا فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار اي وان وجود الامام وان كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ كان بوجوده صلاح بعض الامور على انه وان كان لا خير فيه من جهة ما هو جائر كما قال وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب الانزجار عن اثارة الفتن فيكون ذلك خيرا وقع في الوجود بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب وذلك في قوله لا بد للناس من امير بر او فاجر و **قوله** يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر الضمير في امرته عائد الى الامير وكان لفظ الامير محتملا للبر والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المؤمن امرة الامير من حيث هو بر وبالتي يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض الشارحين ان الضمير يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر ليست مظنة تمكن المؤمن من عمله والمراد بعمل المؤمن في امرة البر عمله على وفق اوامر الله ونواهيه اذ ذلك وقت تمكنه منه والمراد باستمتاع الكافر في امرة الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التي يخاف فيها اوامر الله اذ ذلك وقت تمكنه من مخالفة الدين و **قوله** ويبلغ الله فيها الاجل اي في امرة الامير سواء كان برا او فاجرا وفائدة هذه الكلمة تذكير العصاة ببلوغ الاجل وتخويفهم به و **قوله** ويجمع به الفيء الى قوله القوي الضمائر المجرورة كلها راجعة الى الامير المطلق اذ قد يحصل الامور المذكورة كلها من وجوده كيف كان برا او فاجرا وما يؤيد ذلك ان

الكثر الخلق منفقون على ان امراء بني امية كانوا فجارا عدا رجلين او ثلثة كعثمن وعمر بن عبد العزيز وكان الفيء
يجمع بهم والبلاد يفتح في ايامهم والثغور الاسلامية محروسة والسبل آمنة والقوي ماخوذ بالضعيف
ولم يضر جورهم شيا في تلك الامور قوله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة
اي غاية صدور هذه الامور ان يستريح بر بوجود الامير ويستراح من تعدي الفاجر وبغيه وقيل اراد ان هذه الامور
لاتزال تحصل بوجود الامير براكان او فاجرا الى ان يستريح بر بموته ويستراح من فاجر بموته او بعزله واما
الرواية الاخرى فمعنى الكلام فيها ظاهر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام ان الوفاء توأم الصدق
ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا في زمان اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم
اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها
راي عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين اقول الجنة ما استترت به من سلاح
ونحوه والقلب الحول الذي يكثر تقلبه وتحوله في اختيار الامور وتعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى
الامر والفرصة وقت الامكان والحريجة التحرج وهو التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفاء ملكة نفسانية
تنشأ من لزوم العهد كما ينبغي والبقاء عليه والصدق ملكة تحصل عن لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان
داخلتان تحت فضيلة العفة متلازمتان ولما كان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر في بطن واحد اشبه
الوفاء لمقارنته الصدق تحت العفة فاستعار لفظه ثم لما كانت فضيلة الوفاء مقابلة برذيلة الغدر
وفضيلة الصدق مقابلة برذيلة الكذب كانت رذيلتا الغدر والكذب ايضا توأمين تحت رذيلة
الفجور المقابلة لفضيلة العفة قوله ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفاء وقاية تامة للمرء اما في آخرته
فلاستتاره به من عذاب الله الذي هو اعظم محذور واما في دنياه فلاستتاره به من السب والعار
وما يستلزمه عدم الوفاء من الغدر والكذب المستهجن لوجه النفس واذ علمت انه لاجنة للشيء الذي
يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الآية وقال [illegible]
ومن اوفى بعهده من الله قال ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله
فسيؤتيه اجرا عظيما ومن الخبر في ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة قوله ما يغدر من علم كيف
المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على منازل السفر اليه وعلى احوال الآخرة التي هي
المستقر صارف قوي عن ارتكاب الرذايل التي من جملتها الغدر وانما خص الغدر بنسبة اهل الجهل
بامر المعاد لكونه في معرض مدح الوفاء والترغيب فيه قوله ولقد اصبحنا في زمان الى قوله الحيلة اقول
انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثير به الى حسن الحيلة لجهل الذين تبعه الغدر ولعدم
تميزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا ما يستلزم الدهاء والفطنة لوجه الحيلة وايقاعها
بالمغدور به وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة والذكاء وجودة الرأي في استخراج وجوه المصالح
التي ينبغي كانت بينهما مشاركة في استلزام معنييهما التفطن والذكاء في استخراج وجه الحيلة وايقاع
الآراء الا ان تفطن الغادر يستعمله في استنباط الحيلة وان خالفت القوانين الشرعية وفات المصالح

الكلية

الكلية في جنب مصلحة جزئية لنفسه وتفطن الكيس انما يستعمله في ايقاع راي او حيلة تنظم مصلحة العالم وتوافق
القوانين الشرعية ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم في موضع الكيس ونسبهم الجاهلون
في غدرهم الى حسن حيلتهم كما نسب ذلك الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان حيلة
الغادر تخرجه الى رذيلة الفجور وانه لاحسن في حيلة جرت الى رذيلة قوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى الى آخره
دعا عليهم بقتال الله لهم بعد استفهامه عن خوضهم في امره استفهاما على سبيل الانكار وقد علمت
ان قتال الله كناية عن عداوته والبعد عن رحمته وظاهر ان اهل الغدر بعداء عن رحمة الله ثم اردف ذلك
الدعاء بالاشارة الى انه لافضيلة لهم فيما يتخذون به من الذكاء في استنباط وجوه الحيلة اذ كانت غايتهم
الغدر والخيانة فان الحول القلب في الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الا انه يلاحظ في العمل بها مانع
الله ونهيه عن ارتكابها لما يؤدي اليه من ارتكاب الرذايل الموبقة فيتركها راي عين اي حال ما هي
مرئية له وبعد القدرة عليها خوفا من الله تعالى ثم يراها من لا يعتقد الاثم في خرم قواعد الدين فيبادر اليها
حال امكانها وليس ذلك بفضيلة بل الفضل في الحقيقة لتاركها عن وازع الدين والاشارة بالحول
القلب الى نفسه فان شيمته الكريمة كانت كذلك ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف
ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي
الآخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها الا وان الآخرة
قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ولد سيلحق بابيه
يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل اقول الحذاء الخفيفة السريعة لا يتعلق احد منها
بشيء والصبابة بقية الماء في الاناء والمقصود بهذا الفصل النهي عن الهوى وطول الامل في الدنيا فانهما من
اشد اسباب الهلاك كما ان الجذب عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى وآثر الحيوة
الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى ثم التذكير بامور الآخرة واعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة بالسوء الى مقتضى طباعها
من اللذات الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشريعة واما الامل فقد سبق بيانه ولما كانت السعادة
التامة انما هي في مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملأ الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وكان اتباع النفس الامارة بالسوء فيما تميل اليه الطبيعة والانهماك في لذاتها الفانية اشد مهلك
جاذب للانسان عن قصد الحق وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت السموات الى حضيض
جهنم كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا
راس كل خطيئة وقال الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الاخرى لاجرم كان اخوف
ما ينبغي ان يخاف من الامور المهلكة اتباع الهوى واما الامل فمراده به ايضا الامل لما ينبغي ان يمد الامل فيه
من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطابقا لاتباع الهوى وبه يكون نسيان الآخرة
لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية توجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لدوام الاعراض

النفس عن ملاحظة احوال الآخرة وهو مستعقب لامحى ما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لما وجب
يكون الهلاك الابدي والشقاء الاشقى ولما كان عليه السلم هو المتوسط لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم
كان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمته العلية فلا جرم نسب الخوف عليهم الى نفسه قوله الا وان الدنيا قد ولت
الى قوله صاحبها اقول الدنيا بالنسبة الى كل شخص مفارقة له وخفيفة سريعة الانجفال لم يبق منها بالقياس
اليه الا اليسير واطلاق الصبابة هنا استعارة لبقيتها القليلة والعلة هي وجه شبهها بصبابة الاناء
ايضا وقوله الا وان الآخرة قد اقبلت لما نبه على ان الدنيا سريعة الانجفال اردف ذلك بالتنبيه على
سرعة لحوق الآخرة واقبالها وكل ذلك قطع للآمال الكاذبة وردع عن اتباع الهوى ومن آثار الصالحين
اذا كان العمر في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى والموت هو دهليز الآخرة قوله ولكل منهما
بنون الى قوله يوم القيمة من لطايف كلامه فاستعار لفظ الابناء للخلق بالنسبة الى الدنيا والآخرة ولفظ
الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شانه الميل الى والده اما ميلا طبيعيا او لجلب تصور
المنفعة منه وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة ويميل كل منهما الى مراده مع ما يحصل
من طرف الدنيا للراغبين فيها مما يتوهمونه لذة وخيرا وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذة
والسعادة اشبه كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن بالنسبة الى الاب فاستعير
لفظ تلك النسبة له ولما كان غرضه حث الخلق على السعي للآخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال
فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ثم ذكر فايدة رايه عليهم بان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد
سيلحق بابيه يوم القيمة واشار بذلك الى ان ابناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون
في الآخرة لاحقون لمراداتهم فيها ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم ما يدعون نزلا من غفور رحيم واما
ابناء الدنيا فان نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبتها وناسية لطرق الآخرة ومعرضة عنها لا جرم كانت
يوم القيمة مغمورة في محبة الباطل مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الردية المتمكنة من جوهرها
في تعلقها بمحبة الدنيا حيث لا تتمكن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلق له ولا سكن الا بوالده ولا الف له الا هو
ولا انس الا معه ثم حيل بينه وبينه مع شدة تعلقه به وشوقه اليه واخذ الى اضيق الامكان وبدل
بالعز الهوان فهو في اشد وله وبث واعظم حسرة وغم فاما ابناء الآخرة ففي حضانة ابيهم ونعيم
قد زال عنهم بؤس الغربة وشقاء اليتم وسوء الحضن فهم الواجدون لمعرفة احوال الوالدين واتباع
ابيهما والود لهما شفقة واعظمها بركة وما هي الا الآخرة فليكن ذو العقل من ابناء الآخرة وليكن برا
بوالده متوصلا اليه باقوى الاسباب واشدها قوله وان اليوم عمل ولا حساب كنى باليوم عن مدة الحيوة
وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بلا عمل ولا حساب بالحساب واليوم
اسم ان وعمل قام مقام الخبر استعمالا للمضاف اليه مقام المضاف اي واليوم يوم العمل ويحتمل ان
يكون اسم ان ضمير الشان واليوم عمل جملة من مبتدأ وخبر هي خبر ان وكذلك قوله وغدا حساب ولا عمل
وصدق هذين الحكمين ظاهر وفايدتهما التنبيه على وقت العمل وعدمه ليبادروا الى العمل الذي به يكونون

من ابناء الآخرة في وقت امكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلم وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معوية
جرير بن عبد الله البجلي إنّ استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام وصرف لاهله
عن خير ان ارادوه ولكن قد وقّتّ لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او عاصيا والرأي مع الاناة
فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلّبت ظهره وبطنه فلم ار فيه الا
القتال او الكفر انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد للناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا
اقول وقد كان في ظن كثير من الصحابة بعد ولايته عليه السلم ان معوية لا يطيع له بامارات كثيرة ولذلك
اشار عليه اصحابه بعد ارسال جرير اليه بالاستعداد للحرب وروي ان جريرا لما اراد بعثه قال والله
يا امير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئا وما اطمع لك في معوية فقال عليه السلم قصدي حجة اقيمها ثم
كتب معه اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر
وعمر وعثمن على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغايب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين
والانصار اذا اجتمعوا على رجل فسموه اماما كان ذلك رضا فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة
ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت
مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق
وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان
تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمن فادخل فيما
دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن
اللبن ولعمري ان نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ قريش من دم عثمن واعلم انك من الطلقاء
الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله وهو من اهل
الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله وربما جاء شيء من هذا الكتاب في كتبه عليه السلم الى معوية فاجابه معوية
اما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت بريء من دم عثمن كنت كابي بكر وعمر وعثمن
ولكنك اغريت بعثمن وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل
الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمن فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك
علي كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك وما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة
لانهم اطاعوك ولم يطعك اهل الشام فاما شرفك في الاسلام وقرابتك من النبي صلعم وموضعك من
قريش فلست ادفعه وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن جعيل ° ارى الشام تكره اهل العراق ° واهل
العراق لها كارهونا ° وقد ذكرنا بعضها قبل وروي ان الكتاب الذي كتبه عليه السلم مع جرير كانت صورته
اني قد عزلتك ففوض الامر الى جرير والسلم وقال لجرير صن نفسك عن خداعه فان سلم اليك الامر
وتوجه فاقم انت بالشام وان تعلل بشيء فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معوية تعلل بمشاورة اهل الشام

وغير ذلك فرج جرير فلحق بمعوية في اثره فظهر كتاب علي عم وبايعت حتى تفرقني والسلم واقول الاستبداد
التهيؤ للامر والخداع الاخذ بالحيلة والاناة الاسم من التاني والرفق وارودوا امهلوا وبعثت الامر بعث
القاف الكرة **قوله** ان استعدادي الى قوله ان رادوه المراد ان اهل الشام في زمان كون جرير
عندهم هم في مقام التروي والتفكر في اي الامرين يتبعون وان لم يكن كلام فبعضهم لك ظاهرهم
حرب في ملك الحال لبلغهم ذلك فاحتاجوا الى الاستعداد ايضا واتاهب للمقاتلة فكان ذلك الاستعداد
سببا لغلق الشام بالكلية وصرفا لمن يكون في ذهنه تردد في هذا الامر او في قلبه الهوى به عنا يرتبه
وذلك مضاد للحزم **قوله** لكن قد وقت الى قوله عاصيا اي قد وقت له وقتا لحصول الاياب فيه
لا يتخلف عنه الا وهو مانعين اما مخادع منهم او مواعيد مخلفه بالجواب ليبينوا امورهم في تلك
المدة واما عصيان منه ومخالفة فان قلت حصر تخلف جرير في هذين الامرين غير صحيح لجواز ان تخلف
لمرض او موت او غرض آخر قلت انه عم لم يقصد الحصر اليقيني وانما اراد الحصر بحسب غلبة الظن
الناشي من الامارات والقراين الحالية ثم كلامه عم ليس في الاسباب الاضطرارية التي من قبيل ما ذكره
فان ذلك امر معروغ عنه لا يحسن ذكره واما الموانع الاختيارية فاما منهم وغالب الظن فيه الخداع
واما منه وغالب الظن انه العصيان اذ لا يتصور من مثل جرير وقد ارسل في مثل هذا الامر المهم
ان يعدل عنه الى شغل اختياري لنفسه او لغيره الا ان يكون عاصيا **قوله** والراي مع الاناة
راي حق اجمع الحكماء على صوابه فان اصابة المطالب والظفر بها في الغالب انما هو مع التثبت
والتاني في الطلب وذلك ان اناة الطالب هي مظنة فكره في الاهتداء الى تخليص الوجه الايق
والاخيس والاشمل للمصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك اكد بعض الحكماء الامر بالتانية بقوله من ثبت
في الامور لم يعد مصيبا وان اصاب في الغرض وان كان هو الاصابة الا انها وان حصلت مع غير
التاني كان مفرطا وثمرة التفريط غالبا الندامة وعدم الاصابة والاصابة منه نادرة وان لم
غير مشتغل به ولا ملتفت اليه **قوله** فاروددوا ولا اكره لكم الاعداد لما نهاهم عن تحصيل الاعداد في
امرهم بها ولم يامرهم بها مطلقا بل نبههم بقوله ولا اكره لكم الاعداد على امور ثلثة احدها انه نفي
لهم ان يكونوا على تيقظ من هذا الامر حتى يكونوا على اشارته اليهم قريبين من الاستعداد الثاني
ان لا يتوهم احد منهم فيه مداهنة منه عن مقارعة اهل الشام حيث اخلهم بسبب ذلك فشل وضعف
عزيمة الثالث ذكر الشارح ابن ابي الحديد هو انه عم وان كان كره الاستعداد الظاهر الا انه
قال ولا اكره لكم الاعداد شبه لهم على الاستعداد الباطل والتهيؤ في السر ربما كان من فوائد الشارح
بهذا الوجه مما يتوهم تناقضا وهو كونه قد اشار بترك الاستعداد ثم قال لاصحابه ولا اكره لكم
الاعداد وقد علمت ان تركه للاستعداد في ذلك الوقت واختياره تركه لا ينافي نهيهم على
عدم كراهيته له ليكونوا منه على تيقظ كما اومانا اليه **قوله** ولقد ضربت الى قوله الكفر **اقول**
استعار لفظ العين والانف والظهر والبطن التي هي حقايق في الحيوان لحاله مع معوية في

الخلافة

الخلافة وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل الكناية فكنى بالعين والانف عن المهم من هذا الامر وخاصة
فان العين والانف اعز ما في الوجه وكنى بالضرب لها عن قصده لمهم منه على سبيل الاستعارة ايضا
وكنى بالتقليب لظهره وبطنه عن تدبير هذا الامر ووجوه الرأي فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها
على العقل واحدا واحدا **قوله** فلم ار الا القتال او الكفر تعيين لما اختاره بعد التقليب والتصفح لوجوه
المصلحة في امر مخالفيه وهو قتالهم وتنبيه على وجه اختياره له بقوله او الكفر اي ان احد الامرين لازم اما
القتال او الكفر وذلك انه ان لم يختر القتال لزمه تركه وتركه مستلزم للكفر لكن التزام الكفر ممتنع
فتعين اختياره للقتال ومراده بالكفر الكفر الحقيقي فانه صرح بمثله فيما قبل حيث يقول وقد قلبت
هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلعم فان قلت
ما وجه الحصر في القتال والجحود مع ان ترك القتال بدون الجحد ممكن قلت بانه من وجهين احدهما
قال الشارح ان الرسول صلعم كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل الناكثين والقاسطين
والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امراء الاسلام من الخطر لكان قد خالف امر الرسول وظاهر ان
مخالفته مثله عم لامر الرسول لا يتصور الا من عدم اعتقاد صحته وذلك جحد به وكفر الثاني يحتمل ان
يكون قد تجوز بلفظ الجحود في التهاون بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين وهو من المجازات
السايغة **قوله** انه قد كان الى آخره تنبيه على وجه عذره عما نسبه اليه معوية وجعله سببا للعصيان له
وهو الطلب بدم عثمان وتهمته له بذلك واراد بالوالي عثمان والاحداث التي احدثها هو ما نسب اليه
من الامور التي انكروا عليه كما ستذكرها واوجد الناس مقالا اي جعل لهم بتلك الاحداث طريقا
الى القول عليه فقالوا ثم انكروا ما فعل فغيروه وازالوه فاما الاحداث المنقولة عنه فالمشهور
منها بين اهل السير عشرة الاولى توليته امور المسلمين من ليس اهلا من الفاسق مراعاة للقرابة
دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وسعيد بن العاص حتى ظهرت منه الامور
التي اخرج اهل الكوفة منها بسببها وعبد الله بن ابي سرح مع قوة ظلمه وتظلم المصريين منه وهو الذي
اتهم المسلمون بمكاتبته بقتل محمد بن ابي بكر مقتل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم التظلم وكثر الجمع
واشتد الحصار عليه الثانية رده الحكم بن العاص الى المدينة بعد طرد رسول الله صلعم وبعد امتناع
ابي بكر وعمر من رده فخالف في ذلك سنة الرسول وسيرة الشيخين وعمل بدعواه مجردة عن بينة
الثالثة انه كان يوثر اهله بالاموال العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها
انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته واربعماية الف دينار ومنها انه اعطى مروان
مائة الف دينار وروي خمس افريقية وذلك خلاف سنة الرسول صلعم ومن بعده من الخلفاء الرابعة
انه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم في الماء والكلأ الخامسة انه اعطى من بيت مال الصدقة
المقاتلة وغيرها وذلك مما لا يجوز في الدين السادسة انه ضرب عبد الله بن مسعود رضه وهو من اكابر
الصحابة وعلمائها حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر السابعة انه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت

خاصته واحرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القرآن المنزل وذلك مخالفة لله وللرسول ولمن بعده الثامنة
انه اقدم على عمار بن ياسر رضه بالضرب مع انه من اشرف الصحابة ومع علمه بما قال الرسول صلعم عمار جلدة ما بين عيني
تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار مظاهرا لبعض المتظلمين منه
على قتله وروي عنه انه كان يقول قتلناه كافرا التاسعة اقدامه على ابي ذر مع تقدمه عند الرسول وشهادته في حقه
ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة العاشرة تعطيله الحد الواجب
على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان مسلما بمجرد تهمة انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يحده به
وقد كان علي عم يطلبه بذلك هذه هي المطاعن المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمان عن هذه الاحداث
باجوبة مستحسنة وهي مذكورة في المطولات من مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردنا المقدمة
لتعلق المتن بذكرها **ومن كلام له عليه السلم** لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد
ابتاع سبي بني ناجية من عامل امير المؤمنين عم واعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام
قبح الله مصقلة فعل فعل السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه حتى بكته
ولو اقام لاخذنا ميسوره وانتظرنا بماله وفوره **اقول** مصقلة هذا كان عاملا لعلي عم على اردشير
خره وبنو ناجية قبيلة نسبوا انفسهم الى سامة بن لوي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسموهم بني
ناجية وهي امهم امراة سامة واما سبب هربه الى الشام فهو ان الخريت احد بني ناجية كان قد شهد مع علي عم
صفين ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم وخرج هو واصحابه الى المداين مفارقا لعلي عم
فوجه اليهم معقل بن قيس في الفي فارس من اهل البصرة ولم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتى الحقوهم بساحل
فارس وكان به جماعة كثيرة من قوم الخريت وكان فيهم من اسلم عن النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف
ارتدوا واجتمعوا عليه فزحف اليهم معقل بمن معه فقتل الخريت وجماعة منهم وسبا من كان ادرك فيهم
من الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته وخلى سبيله واحتمل الباقين من النصارى وعيالهم معه
وكانوا خمسمائة نفر حتى مروا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء وجدوه وطلبوا منه ان يعتقهم
فاقسم ليتصدقن عليهم بذلك ثم بعث الى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسمائة الف درهم ثم وعده ان يحمل
المال في اوقات مخصوصة فلما قدم معقل على علي عم واخبره القصة شكر سعيه وانتظر المال من مصقلة فابطا
به فكتب اليه باستعجاله او بقدومه عليه فلما قرا الكتاب قدم عليه وهو بالكوفة فاقره اياما ثم طالبه بالمال
فادى منه مائتي الف درهم وعجز عن الباقي وخاف فلحق بمعوية فبلغ ذلك عليا عم فقال الفصل ولنرجع
الى المتن قبحه الله اي نحاه عن الخير والتبكيت كالتقريع والملامة والوفور مصدر وفر المال اي تم وزاد
ويروى موفوره ومقصوده عم بعد ان قدم الدعاء على مصقلة بيان خطاياه فانه اشار الى جهتي الخطأ
وهي جمعه بين امرين متنافيين في العرف وهما فعل السادة ذي المروة والحمية حيث اشترى القوم
واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة العبيد ثم اكد عم ذلك بتبيين احدهما ما انطق مادحه حتى اسكته وفيه
معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام اي انه لم ينطق مادحه بمدحه من الكرم والحمية والرقة وكونا فكأنه

فقد

فقد اسكات مادحه بهربه فاورد عليه ذلك وقال انه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه
وان كان من المادح لا يتصور منه قصد اسكات مادحه عن مدحه الا انه لا اعتبار بالهروب المستلزم لاسكات المادح
صار كالقاصد فنسب اليه اسكاته والثاني ان يكون المراد انه جمع بين فاعلين متنافيين انطاقه المادح بعد ابتياعه
مع اسكاته بهربه قبل تمام انطاقه وهو وصف له بسرعة الانتقال من الفضيلة الى الرذيلة حتى كانه جمع بينهما وهذا كما يقول
في وصف سرعة تفرق الاحباب عن اجتماعهم ما اجتمعوا حتى افترقوا اي اسرعوا افتراقهم كان الدهر جمع لهم بين
الاجتماع والافتراق انتهى قوله ولا صدق واصفه حتى بكته والمفهوم منه كالمفهوم من الذي قبله **قوله** ولو اقام
اه لما اشار الى خطاياه اردفه بالعذر الجميل عنه ساعيا بكون عذرا له لو اعتذر وهو توهم انه شدد عليه في امر الباقي
من المال حتى كان ذلك الوهم سبب هزيمته وفي بعض الروايات ولو اقام لاخذنا منه ما قدر عليه فان اعسر
انظرناه فان عجز لم ناخذه بشيء والاول هو المشهور وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله غير مقنوط
من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته الذي لا تبرح منه رحمة ولا تفقد له نعمة
والدنيا دار مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة وقد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا
منها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسالوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ **اقول** هذا الفصل
ملتقط من خطبة طويلة له عم خطب بها يوم الفطر وهي خطبة حسنة بل بين قوله نعمة وقوله والدنيا فصل طويل وهذه الخطبة
ينتظم الفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وهو هنا بعد هذا الفصل ولم نذكرها كراهة التطويل
ولنعد الى الشرح فنقول القنوط الياس والاستنكاف الاستكبار ومني لها اي قدر والجلاء بالفتح والمد الخروج
عن الوطن والتبست امتزجت والكفاف ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما يبلغ مدة الحيوة منه
وكفى واعلم انه نبه على استحقاق الله تعالى حمده ودوامه باعتبار ملاحظة ستة احوال فاشار الى الاول والثاني
بقوله غير مقنوط من رحمته وقرر القول تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقوله لا تياسوا من روح الله انه لا
يياس من روح الله الا القوم الكافرون وهذه الحال مما يشهد بثبوتها العقل اذ كان العبد عند اخذ العناية
الالهية بضبعيه يعلم استناد جميع الموجودات كلها وجزئيها الى مدبر حكيم وانه ليس شيء منها خاليا عن حكمه فيتبع
من ذلك ان ايجاده له واخذ العهد عليه بالعبادة ليس الا ليجذب الى موطنه الاصلي ومبدايه الاول بالتوحيد
المحقق والحمد المطلق عن نار اججت وجحيم سعرت وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا يياس
من روح الله عند نزول امر اوجب النزول به مما يعده شرا بل يكون برجاء اوثق وطلب لشمول العناية له
اعلق فانه لا يياس من روح الله الا الذين عميت ابصار بصائرهم عن اسرار الله فهم في طغيانهم يعمهون
واولئك هم الخاسرون واشار الى الثالث بقوله ولا مخلو من نعمة وقرر بقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
فشمول نعمته ودوام اثار قدرته التي استلزمت طلبها بها الحاجة اليه فوجه اي فيض جوده فاستلزم ذلك
وجوب الشكر بها لسان حالها ومقالها باثبات المطلق عليه ودوام الشكر وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحال الثالثة بقوله ولا مايوس من مغفرته وقرر بقوله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية وهي شهادة بشمول ستره وجميل عفوه وغفرانه لمن يذنب

يتقلبوا ايدي شياطينه ليحطوا الى مهاوي الهلاك فيخرج عن مقر وجنة بعد ان كانت له مسكنا بجناب الله فضعفت
تلك المسكنة عن ان تكون منجاة له حال مجاذبته لسواه وان كان ذلك الغفران متفاوتا بحسب قوة تلك المسكنة
وضعفها والعقل هاهنا يؤيد ذلك ويحكم بصحة هذه الشهادة فان كل ذي علاقة بجناب الله يستخلص من العقاب
وان بعد خلاصه بها ما تعلق به ابدان من موضعه وذلك يستلزم الاعتراف بالاحسان ودوام الثناء والحمد
ثم اشار الى الرابعة بقوله ولا يستنكف عن عبادته تقريرا لقوله تعالى لا يستنكفون عن عبادته ويسبحونه
وقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الاية وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته شاهد
عظيم على كمال عظمته وانه المستحق لعبادته دون ما عداه اذ هو المستجمع للكمال المطلق فلا جهة نقصان فيه البتة
حتى يكون سببا للاستنكاف والاستكبار وفي ترتيب هذه الاسلوب الثلثة بعد اضمر يات على اكمل وقوله
الذي لا تبرح له رحمة ولا تفقد له نعمة اعتبار ان الحمد يستلزم ملاحظتها ووجوب شكره تعالى وبه يقول
لا تبرح على دوام نعمة الله لعباده وقوله لا تفقد له نعمة لكونه ولا ممنوع نعمته ثم اعقب ذلك بالتنبيه على معايب
الدنيا تنفيرا عنها فذكر وجوب الفناء لها ثم حذر ذكر العيب الاكبر الذي يرفض مع ذكره وملاحظته من اراد تدبيره
عن الركون اليها ومحبة فيها وهو مفارقتها الراجعة والجلاء عنها ثم اردف ذلك بذكر جنبين من جهات الميل
اليها احدهما منسوب الى القوة الذائقة وهي حلاوتها والاخرى الى القوة الباصرة وهي خضرتها واطلاق لفظيها
مجازا كني به عن جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ على الكل وارادة لهذين الوصفين الذين هما وصفا مدح
في معرض ذمها لتقدير اعتراض على ذمها لغرض ان يجيب عنه ولهذا اعقب ذكرهما بما يصلح جوابا وتنبيها على صرف
عن الميل اليها من جهتين الجنس وهو كونها متجزة لطالب اذ كان من شان المعجل ان ينتفع به في حال تجدد دون ما بعده
خصوصا في حق من احب ذلك المعجل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك كما اشار اليه بقوله والتبست بقلب الناظر
وانما خص الناظر لتقدم ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر فمن كانت ملتبسة منه والتبست بقلبه وكان لا بد له من مفارقتها
لم ينتفع بها بعدها بل بقي في عذاب الفراق منكوسا وفي ظلمة الوحشة محبوسا واليه اشار التنزيل الالهي من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ثم لما نبه على
معايبها امر بالارتحال عنها ولم يامر به مطلقا بل لا بد معه من استصحاب احسن الازواد واذ كانت الطريق الى الامور
بعد لما في غاية الوعارة مع طولها وقصر المدة التي تتجدد الازواد فيها فلا ينتفع الا من الازواد والاقوى الابقى
الذي لا يتطرق اليه فناء ولا تنتهي اعمدته الا فاضة رحمة من هذا الارتحال الارتحال الحسي الحاصل لكل من بعضنا
الى بعض ولا من الزاد المأكول الحيوانية فان احسن ما يحضر ناصية ربما كان منهيا عنه بل المامور به ارتحال اخر
يتبينه من يتصور سلوك طريق الاخرة فانك لما علمت ان الغاية من التكاليف البشرية هي الوصول الى حضرة
ومشاهدة جلال كبريائه علمت من ذلك ان الطريق الى هذا المطلوب هي اثار وجوده وشواهد آياته وان
القاطع لمراحل تلك الطريق ومنازلها هو قدم عقلك مقتديا باعلامها الواضحة كلما نزل منها منزلا اعده
المعرفة به واستلاحه اعلام منزل آخر فعلا وارتقى منه كما قال تعالى لتركبن طبقا عن طبق الى ان يستقر في مقعد
صدق عند مليك مقتدر واذا تصورت معنى الارتحال وقد علمت ان لكل ارتحال وسفر زادا اعلمت ان

اكرم

اكرم الزاد واحسنه في هذه الطريق ليس الا التقوى والاعمال الصالحة التي هي غذاء العقول ومادة حياتها واليه اشار
بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار بقوله ما بحضرتكم الى ما يمكنكم ان تزودوه من الاعمال الصالحة
في حياة الدنيا ثم عقب الامر باتخاذ الزاد بالنهي عن طلب الزيادة على ما يقوم به صورة البدن من متاع الدنيا
اذ كان البدن بمنزلة مركوب تقطع به النفس مراحل طريقها فالزيادة على ما تحتاج اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به
والعناية بحفظه المستلزم لحبه وكل ذلك شغل للنظر وشغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تطلبوا منها
فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ ولا تمدن اعينكم فيها الى ما متع المترفون فتقصروا في الرحيل وتشتغلوا
بطلب مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** عند عزمه على المسير الى الشام اللهم اني اعوذ
بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة
في الاهل ولا يجمعهما غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد الرضي رضه وابتداء
هذا الكلام مروي عن رسول الله صلعم وقد قفاه امير المؤمنين عم بابلغ كلام وتممه باحسن تمام من قوله ولا يجمعهما غيرك
الى آخر الفصل **اقول** روي انه عم دعا بهذا الدعاء عند وضعه رجله في الركاب متوجها الى حرب معوية ووعثاء
السفر مشقته واصلها المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل فيه والكآبة الحزن ومثل هذا الفصل على الالتجاء
الى الله في خلاص طريقه المتوجه فيها بدءا وعودا من الموانع الصارفة عن تمام المقصود وفي سلامة الامور المهمة
التي تتعلق النفس بها من المشغلات البدنية المعوقة عن عبادة الله واعظمها احوال النفس ثم ما يتبعها من
اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار بشمول عنايته وجميل رعايته وصحبته تقريرا لقوله تعالى وهو معكم
اينما كنتم اذ شان الصاحب العناية بامور صاحبه وشان الخليفة على الشيء العناية بذلك وحفظ ما يوجب له
حفظا واستلزم جمعه لهذين الوصفين وهما الخلافة والاستصحاب بقوله ولا يجمعهما غيرك كونه تعالى بريا
عن الجهة والجسمية اذ كان اجتماعهما ممتنعا للاجسام اذ لا يكون جسم مستصحبا مستخلفا في حال واحد واكد ذلك
وبينه بقوله لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا فان قلت هذا الحصر انما يتم لو ثبت
ان كل ما ليس بذي جسم واجب الوجود وهذا مذهب خاص فاوجه صحته مطلقا قلت الحصر صادق على كل
تقدير فانه على تقدير ثبوت امور مجردة عن الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه فالمستحق للجمع بين هذين الامرين
بالذات والاولية هو الله تعالى وما سواه فانما عرض فيجعل الحصر على ذلك الاستحقاق ويبحث عن فايدة الدعاء
وسبب اجابته فانه يعرض لبعض الاذهان شبهة فيقول اما ان يكون المطلوب بالدعاء معلوم الوقوع لله
او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا فايدة في الدعاء لان ما علم الله وقوعه وجب وما علم عدمه امتنع فنقول
في الجواب عن هذا الوهم ان كل كاين فاسد فموقوف في كونه وفساده على شرائط توجد واسباب تعدم
لا حدها لا يمكن بدونها كما علمت ذلك في مظانه واذا جاز ذلك فلعل الدعاء من شرائط ما يطلب به وهما
وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما وعلتهما الاولى الا انه هو الذي ربط احدهما بالآخر فجعل سبب
وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل سبب صحة المريض شرب الدواء وما لم يشرب الدواء لم يصح واما سبب اجابته
فقال العلماء هو توافق الاسباب وهو ان يتوافق سبب دعاء رجل مثلا فيما يدعو فيه وساير اسباب وجود

ذلك الشيء مما عند الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدّر وقضى ثم الدعاء واجب وتوقّع الاجابة واجب فان انبعاثنا للدعاء سببه من هناك ويصير دعاؤنا سبباً للاجابة وموافاة الدعاء لحدوث الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد يكون احدهما بواسطة الآخر وقد يتوهم ان السماويات تنفعل عن الارضيات وذلك انا ندعو فيستجاب لنا وذلك باطل لان المعلول لا ينفعل عن علته البتة واذا لم يستجب الدعاء الصالح وان كان يرى ان الغاية التي يدعو لاجلها نافعة فالسبب في عدم الاجابة ان الغاية النافعة ربما تكون نافعة بحسب مراده بل يجب نظام الكل فلذلك تأخر اجابة دعائه او لم يستجب له وبالجملة يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروطه ذلك المطلوب في الدعاء واعلم ان النفس الزكية عند الدعاء قد يفيض عليها من الاول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها متصرفة على ارادتها فيكون ذلك اجابة للدعاء فان العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في ابداننا فانا ربما تخيلنا شيئاً فيتغير ابداننا بحسب ما يقتضيه احوال نفوسنا وتخيلاتها وقد يمكن ان يؤثر النفس في غير بدنها كما يؤثر في بدنها وقد تؤثر في نفس غيرها وقد اشرنا الى ذلك في المقدمات وقد يستجيب الله تلك النفس اذا دعت فيما تدعو فيه اذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ اقول عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع به في كل سنة ويقيمون به سوقاً مدة شهر ويتبايعون ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك قول ابي ذؤيب شعر اذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الالوف فلما جاء الاسلام رفع ذلك واديم عكاظي منسوب اليها لكثرة ما كان يباع منه بها والاديم واحد وجمعه ادم وربما جمع على ادمة كرغيف وارغفة والعرك الدلك والنوازل المصائب والخطاب هنا ثبت على المدينة التي هي الكوفة وبك هو خبر كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب على الحال وتقدير الخطاب كانك حاضرة ومثبتة بحالك المستقبلة حال تجاذب الظالمين لاهلك بانواع الظلم وهو الكناية بدها وشبه ذلك بمد الاديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم والبلاء كما ان الاديم مستحكم الدباغ يكون شديد المد والعرك واستعار لفظ المد والعرك ملاحظة لذلك الشبه ولفظ الركوب ملاحظة لشبهها بشقي المطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب لاضطراب الحال بالارض ذات الزلازل ثم اشار الى مشاهدة ما يقع لمن اراد بهم سوءاً من حادث يخرجه او رمي يعضهم بقاتل وما المصائب التي ابتلي بها اهل الكوفة والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في كتب التواريخ واما الجبابرة التي ارادوا بها سوءاً وطغوا فيها فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فجماعة فمنهم زياد وروي انه كان قد جمع الناس في المسجد ليأمرهم بسب علي عليه السلام والبراءة منه ويقتلهم بذلك فقتل من يعصيه فبينما هم مجتمعون اذ خرج حاجبه فامرهم بالانصراف وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد اصاب بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم الحجاج وقد تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف

وقد اصابهما البرص ومنهم خالد القسري وقد ضرب وحبس حتى مات جوعاً واما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والمختار بن ابي عبيد الثقفي ويزيد بن المهلب واحوالهم مشهورة لمن راجعها واطلع في التاريخ

ومن خطبة له عليه السلام الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَإِ الْإِفْضَالِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوَطِّنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ قال السيد رحمه الله يعني بالملطاط هاهنا السمت الذي امرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ويقال ذلك ايضاً لشاطئ البحر واصله ما استوى من الارض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها

اقول روي ان هذه الخطبة خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة متوجهاً الى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلثين ووقب الليل دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والشرذمة النفر اليسير والاكناف النواحي وقد وطّن البقعة واستوطنها اتخذها وطناً والامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه حمد الله باعتبار تكرر وقتين ودوام حالين والمقصود وان كان دوام الحمد لله الا ان في التقييد بالوقتين المذكورين فوائد فالاول قوله كلما وقب ليل وغسق فيه تنبيه على كمال قدرة الله تعالى في تعاقب الليل والنهار واستحقاق دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان والثاني قوله كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة كما سبقت الاشارة اليه الثالث الحمد له حال كونه غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فائدة هذا التقييد الرابع كونه غير مكافأ الافضال وفائدة التنبيه على ان افضاله لا يمكن ان يقابل بجزاء اذ كانت القدرة على الحمد والثناء نعمة ثانية وقد سبق بيان ذلك ايضاً فاما قوله اما بعد الى آخره فقصته انه لما اراد التوجه الى صفين بعث زياد بن النضر وشريح بن هاني في اثني عشر الف فارس مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطئ الفرات فاخذوا شاطئه من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغوا غانات فذلك معنى امره لهم بلزوم الملطاط وهو سمت شاطئ الفرات واما هو عليه السلام فلما خرج من الكوفة انتهى الى المدائن فحذرهم ووعظهم ثم سار منهم وخلف عليهم عدي بن حاتم فاستخلص منهم ثمانمائة رجل فسار بهم وخلف معهم ابنه زيداً فلحقه في اربعمائة رجل منهم فذلك قوله وقد رايت ان اقطع هذه النطفة اي الفرات الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المدائن فاما المقدمة فانه لما بلغهم انه عليه السلام سار على طريق الجزيرة وان معاوية خرج في جموعه لاستقباله كرهوا ان يلقوهم وبينهم وبين علي عليه السلام الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا الفرات من هيت ولحقوا به فصوب آراءهم في الرجوع اليه وباقي الكلام ظاهر

ومن خطبة له عليه السلام الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً اقول يقال بطنت الوادي دخلته وبطنت الامر علمت باطنه وفي هذا الفصل مباحث جليلة من العلم الالهي

وجوه من صفات الربوبية اولها كونه تعالى يعلم خفيات الامور ويفهم منه معنيان احدهما كونه داخلا في جملة الامور
الخفية ولما كانت البواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونه بطنا انه اخفى منها عند العقول
الثاني ان يكون الخفا انه تعلق علمه في بواطن خفيات الامور اما المعنى الاول فمن جهة انك علمت ان الادراك
اما حسي واما عقلي ولما كان الباري تعالى مقدسا عن الجسمية منزها عن الوضع والجهة استحال ان يدرك شي من الحواس
الظاهرة والباطنة ولما كانت ذاته بريئة عن انحاء التركيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه فهو
اذن في جميع الادراكات ظاهر وكونه اخفى الامور الخفية واضح واما الثاني فقد سبق بيان انه عالم بالخفيات
والسرائر وثانيها كونه تعالى قد دلت عليه اعلام الظهور وكني باعلام الظهور عن آياته وآثاره في العالم الدالة
على وجوده الظاهر في كل صورة منها كما قال وفي كل شي له آية تدل على انه واحد وهي كناية بالمستعار و
وجه المشابهة بينهما من الاشتراك في الهداية والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا
في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين انه الحق على ان هذه الطريق من الاستدلال هي طريق المليين وساير
فرق المتكلمين فانهم يستدلون اولا على حدوث الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها
على وجود الخالق ثم بالنظر في احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا باحكامها واتقانها على كون
فاعلها عالما حكيما وبتخصيص بعضها بامر ليس لآخر على كونه مريدا ونحو ذلك والحكماء الطبيعيون يستدلون
ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع اتصال المتحركات لا الى اول على وجود محرك اول غير متحرك
ثم يستدلون من ذلك على وجود مبدأ اول واما الالهيون فلهم في الاستدلال طريق اخر وهي انهم ينظرون
اولا في مطلق الوجود اهو واجب او ممكن ويستدلون من ذلك على اثبات واجب ثم بالنظر في لوازم الوجوب
من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزم لعدم الجسمية والعرضية والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته
على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد آخر وظاهر ان هذه الطريق اجل واشرف من الطريق الاول وذلك
لان الاستدلال بالعلة على المعلول اوثق البراهين باعطاء اليقين لكون العلم بالعلة المعينة مستلزما للعلم
بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الآية المذكورة اشارة الى الطريقة الاولى ولاحقتها اشارة
الى هذه الطريقة وهو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد قال بعض العلماء هذه طريق
الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اي يستدلون بوجوده على وجود كل شي اذ هو منه ولا يستدلون
عليه بوجود شي بل هو اظهر وجودا من كل شي فان خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره وظهوره سبب بطونه ونوره
هو حجاب نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده وبالحاجة الى
تدبيره وقدرته لا يخالف شي من الموجودات شيئا في تلك الشهادات ولا تخصيص احدها بعدم الكمالات
وقد ضرب العلماء الشمس مثلا لنوره في شدة ظهوره مع ان اظهر الادراكات التي يساعد عليها الوهم
ادراك الحواس واظهرها ادراك البصر واظهر مدرك للبصر نور الشمس المشرق على الاجسام وقد اشكل
ذلك على جماعة حتى قالوا الاشيا الملونة ليس فيها الا الوانها فقط من سواد وغيره فاما ان فيها مع ذلك
ضوءا يقارن اللون فلا فاذا اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم فطريقه التنبيه بالتفرقة التي يجدونها بين غيبة

الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها عليها مع بقاء الالوان في الحالين
فان التفرقة بين المستضي بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية ظاهرة فيعرف وجود النور اذن بعدمه ولو
فرضت الشمس دائمة الاشراق على جسم الملون لا يغيب عنه لتعذر على هؤلاء معرفة كون النور شيئا موجودا
زايدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء به ظهورها ولو تصور له تعالى وتقدس عدم او غيبة لانهدمت
السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت
الاشيا كلها في الشهادة به متفقة والاحوال كلها على نسق واحد مطردة متسقة كان ذلك سبب الخفاء فسبحان
من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره وثالثها الاشارة الى سلوب توجب حفظ تركيبها تعظيمه
احدها كونه ممتنعا على عين البصير اي لا يصح ان يدرك بحاسة البصر وصدق هذا السلب ظاهر بدليل هكذا
الباري تعالى هو غير جسم وغير ذي وضع وكل ما كان كذلك فيمتنع رؤيته بحاسة البصر فينتج انه تعالى ممتنع الرؤية
بحاسة البصر والمقدمة الاولى استدلالية والثانية ضرورية وربما استدل عليها والمسألة مستقصاة
في الكلام والى ذلك القرآن الكريم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وثانيها قوله فلا عين من لم يره
تنكره اي انه سبحانه مع كون البصير لا يدركه بحاسة بصره لا ينكره من جهة انه لا يبصره اذ كانت فطرته
شاهدة بظهور وجوده في جميع آثاره ومع ذلك ليس له سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره اذ كان
حظ العين ان يدرك بها ما صح ادراكه فاما ان ينفى بها ما لا يدرك من جهتها فلا وثالثها قوله ولا قلب
من اثبته يبصره اي من اثبته مع كونه شاكا يقلب يبصره وانما اكد بهذين السلبين الاخيرين لانهما لما كان
عند الوهم في مبدأ سماعهما على مشاهدة وكذب الى ان يقهره العقل على التصديق بهما فكان الوهم يقول في
جواب قوله فلا عين من لم يره تنكره كيف لا ينكر العين شيئا لا يراه وفي جواب السلب الثاني كيف يثبت
القلب ما لم يبصر فلما كان في صدق هذين السلبين ازعاج لاوهام السامعين فتنبيه لهم الى ملاحظة جلال الله
وعظمته وتنزيهه عما لا يجوز عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله فلا قلب من اثبته يبصره
اي انه وان اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط به علما ورابعها كونه تعالى قد سبق في العلو فلا شي
اعلى منه وتقريره ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلاثة الاول العلو الحسي المكاني كارتفاع بعض الاجسام
على بعض الثاني في العلو التخيلي كما يقال للملك الاشرف انه اعلا الناس اي اعلاهم في مراتب التخيل كالاشراف
العلو العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية التي بعضها اعلا من بعض وكما يقال السبب اعلا من المسبب
اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه في المكان ويستحيل
ان يكون بالمعنى الثاني لتنزهه سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات
اضافية تتغير وتتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد يكون كمالات عند بعض الناس ونقصانات
عند آخرين كدول الدنيا بالنسبة الى العالم الزاهد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان ولا شي من كمال
الاول الواجب سبحانه كذلك لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فبقي ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا
بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه وبيان ذلك ان المراتب الكمال العقلي

هو مرتبة العلية ولما كانت ذاته المقدسة هي مبدأ كل موجود حسي وعقلي وعلته التامة المطلقة لا يتصور النقصان فيها
بوجه ما لاجرم كانت مرتبته في المراتب العقلية مطلقا وله الفوق المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شي
وعن امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى قوله سبق في العلو فلا شي اعلى منه فسبقه في علوه تفرده في
العلو المطلق ومن لوازمه لعزه ان يجعله فيه وما سماه قربه في الدنو فلا شي ادنى منه وقد اورد القرب هنا
مقابلا للبعد اللازم عن السبق في العلو لانه مستلزم للبعد عن الغير فيه واورد الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان
العلو يقال على المعاني الثلثة المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك الدنو يقال على معان ثلثة مقابلة لها فيقال لمكان
فلان ادنى من مكان فلان اذا كان اسفل منه وان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك
العلانية ادنى من رتبة السلطان العظيم اذا كان في مرتبة احط منه ويقال رتبة المعلول ادنى من رتبة علته
ويقال على معنى رابع فيقال فلان ادنى الى فلان واقرب اليه اذا كان خصيصا به مطلعا على احواله اكثر من غيره
والباري تعالى منزه عن ان يراد به في دنوه احد المفهومات الثلثة الاول بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه في
دنوه اذن بحسب علمه الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا
الاعتبار هو اقرب كل قريب وادنى كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى
الى العبد من نفسه اذ النفس كما انها لا تعرف نفسها وهو سبحانه بها الموجد لها فهو ادنى الى القرب في دنوه
الذي لا شي اقرب منه وانما اورده بلفظ الدنو ليحصل المقابلة فتنزع النفوس السليمة عند انكار الوهم لاجتماع
القرب والبعد والعلو والدنو في شي واحد الى تفهم المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه فيها **قوله** فلا
استعلاؤه باعده من شي من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به تاكيد لرد الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية
فان الوهم يحكم بان ما استعلى على الاشياء كان بعده عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها
في المكان وذلك لكونه مقصور الحكم على المحسوسات وحكم ما بيناه ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا
مكانيين بل بمعان اخرى لاجرم لم يكن استعلاؤه بذلك المعنى على مخلوقاته مباعدا له عن شي منها ولم يكن
منافيا لقربه بالمعنى الذي ذكرناه بل كان له الاستعلاء والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا موجبا لمساواته
لها في المكان على ما الوهم وهذا ردا لاحكامه الفاسدة في صفات الجلال ونعوت الكمال هو سبحانه كونه
لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته ويفهم من صفته معنيان احدهما شرح حقيقة ذاته
والثاني شرح ما له من صفات الكمال المطلق وظاهر ان العقول لم يطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول
اذ لا حد لحقيقته ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس لما يعتبره العقول من كماله سبحانه نهاية تقف عنده فيكون
حدا له واما انه سبحانه مع ذلك لم يحجبها عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب لكل نفس قسطا من معرفته
هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله حتى نفوس الجاحدين له فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة اعلام
الوجود وآيات الصنع له على النفس كل جاحد بعد وروده عنه بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة
لما شاهده من تلك الآيات الى صانع حكيم فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود بان
جحده له انما هو راي اتبع فيه وهمه مع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة آيات الصنع وشواهد الاثار على صحته

ذلك

ذلك الاقرار بما على الني الجحود فيه احد ما هو جحود تشبيه اذ المشبهون انه يخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه
باسرهم جاحدون له في الحقيقة وذلك ان الاله الذي يتصورونه ويثبتونه ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون
ما سوى ذلك فكانوا نافين للاله الحق في المعنى وان اثبتوا وجود من لم يثبت صانعا وكلا الفريقين جاحد له صريحا
من الجهة التي يشهد العقلاء بها ومقرون به التزاما واضطرارا ولذلك نزهه عن احوال الفريقين فقال
تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا وحكي ان زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام
فسأله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عنه ثم التفت اليه وسأله من اين اقبلت وما قصتك فقال الزنديق
اني كنت مسافرا في البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا
فتعلقت بخشبة منها ولم تزل الامواج تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل ونجوت عليها فقال عليه السلام ارايت الذي
كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا في التضرع له طالبا النجاة منه
فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده وبالجملة فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع
سبحانه امر ظاهر وان خالطها غواشي الاوهام والى ذلك الاشارة بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من
تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم
دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض
بغير الحق وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ
يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ
عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ
وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى
اقول المرتاد الطالب والضغث القبضة من الشي واعلم ان مبدأ وقوع الفتن المؤدية الى خراب
العالم وفساده انما هو اتباع الهوى والاراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر الله وذلك
ان المقصود من بعثة الرسل ووضع الشرائع انما هو نظام احوال الخلق في امر معاشهم ومعادهم فكان كل
راي ابتدع او هوى اتبع خارجا عن كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وتبدد نظام الوجود
في هذا العالم وذلك كما هو آراء البغاة واراء الخوارج ونحوها **قوله** فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى اشارة
الى اسباب تلك الآراء الفاسدة ومدار تلك الاسباب على امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة في الحجج
التي يستعملها المبطلون في استعلام المجهولات فبين ان السبب في ذلك الامتزاج بشرطيتين متصلتين
احديهما قوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة في هذه المتصلة ظاهر
فان مقدمات الشبهة اذا كانت كلها باطلة ادرك طالب الحق وجه فسادها بادنى سعي ولم يخف عليه
بطلانها واما استثناء نقيض تاليها فلانه لا يخفى وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل فيها خالصا من
مزاج الحق فكان ذلك هو سبب الغلط واتباع الباطل ان الشبهة تجمع اخس المقدمتين والثانية قوله ولو

ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة انه كما قرابحان متوهمات الحكم التي استعملها المبطلون لو كانت كلها حقا مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا فتنقطع السنتهم من المعاندة والمجادلة وقد حذف كبرى هذين القياسين لانهما قياسا ضمير كما سبق ثم انه بالنتيجة او ما في معناها وهو قوله ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث اي من الحق والباطل فيمزجان ولفظ الضغث مستعار ومقصوده بذلك التفريع بلزوم الآراء الباطلة والاهواء المبتدعة لمزج الحق بالباطل ولذلك قال وهنالك يستولي الشيطان على اوليائه اي انه يزين لهم اتباع الاهواء والاحكام الخارجة عن كتاب الله بسبب اغوائهم عن تمييز الحق من الباطل بما يلقيه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اي من اخذت عناية الله بايديهم في ظلمات الشبهات فهداهم بما افاضه من نور الهداية عليهم الى تمييز الحق من الباطل واولئك هم عن النار مبعدون ومن كلام له عليه السلم

لما غلب اصحاب معوية اصحابه على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء قد استطعموكم القتال فاقروا على مذلة وتاخير محلة او رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حيوتكم مقهورين والحيوة في موتكم قاهرين الا وان معوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية اقول

اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد عمى وابهم ومنه عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفي الفصل لطايف الاولى قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الاستطعام لتحرشهم بالقتال منهم لما ووجه الاستعارة انه لما طلبوا القتال وطلبهم له بمنع الماء الذي هو في الحقيقة اقوى جذبا للقتال من طلب الاكول بالاقوال ولانهم لما جازوا الماء اشتهوا ذلك من طلب الطعام له ولما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعين ان يشبه ما طلبوا الطعام الثانية قوله فاقروا على مذلة وتاخير محلة الى قوله الماء لما امرهم باحد لانهم من منعهم الماء واستطعامهم القتال به اما ترك القتال او ايقاعه وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين الامرين وان لم يكن مراده الا القتال لعلمه بانهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزمه من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام للعدو وتاخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف والشجاعة وانما اورد الوصفين اللازمين لترك القتال وهما الاقرار على المذلة وعلى تاخير المحلة لتنفر بهما عنه ويظهره لهم في صورة كريهة وانما جعل الري من الماء الذي هو مشتهى اصحابه في ذلك الوقت لازما لترويتهم السيوف من الدماء التي يلزمها القتال ليريهم القتال في صورة محبوبة تميل طباعهم اليها ونسبة التروي الى السيوف نسبة مجازية الثالثة قوله فالموت في حيوتكم مقهورين والحيوة في موتكم قاهرين من لطايف الكلام ومحاسنه وهو جذب الى القتال بابلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه تصويره لهم ان الغاية التي عساهم يفرون من القتال خوفا منها وهي الموت موجودة في الغاية التي عساهم يطلبونها من ترك القتال وهي الحيوة البدنية حال كونهم مقهورين ويجوز بلفظ الموت في الشدايد والاهوال التي تلحقهم من عدوهم لو قهرهم وهي عند العاقل اشد كثيرا من موت البدن واقوى مقاساة فان المذلة وسقوط المنزلة والهضم والاستنقاص عند ذي الحسب موتات متعاقبة ويحتمل ان يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد فانه موت للنفس وعدم لحياتها برضوان الله وكذلك جذبه لهم ان الغاية يفرون اليها بترك القتال وهي الحيوة موجودة في الغاية التي تفرون

منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين اما في الدنيا ففي وجهين احدهما الذكر الباقي الجميل الذي لا يموت ولا يفنى الثاني ان طيب حيوتهم الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام العادل وبقاء الشريعة كما هي وذلك انما يكون بالقاء انفسهم في غمرات الحرب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها ولفظ الموت يحمل تصدق نسبته الى الكل وان وجد في البعض واما في الآخرة فالبقاء الابدي بالمحافظة على وظايف الله والحيوة التامة في جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الآية وفي القرينتين الاوليين السجع المتوازي وفي الثانيتين بعدهما السجع المطرف وفي الاخيرتين بعدهما المقابلة الرابع قوله الا وان معوية الى آخره ذكر للعدو برذيلتين ولاصحابه برذيلتين اما الاوليان فكونه قايد غواة وكونه قد لبس عليهم الحق بالباطل واراهم الباطل في صورة الحق واما الاخريان فكونهم غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى صار جهلهم مركبا والغرض من ذلك التنفير عنهم وقوله حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاصحاب معوية من تلبيسه الحق عليهم وكنى بذلك عن تعديهم للموت ولفظ الغرض مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم لنحورهم بصدد ان تصيبها سهام المنية من الطعن والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما يجيبه الرامي به فاذن هي استعارة بالكناية كانه حاول ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم

الا وان الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها الصديان لم ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل ولا يطولن عليكم فيها الامد فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجارتم جؤار متبتلي الرهبان وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظتها رسله لكان قليلا فيما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة اليه ورهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه عليكم العظام وهداه اياكم للايمان اقول اذنت اعلمت وتنكر معروفها جهل وحذاء سريعة خفيفة ويروى بالجيم اي منقطعة الخير والعلاقة والحفز السوق الحثيث والحدو ايضا الطعن والسملة بفتح الميم البقية من الماء في الاناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته يعرف بها مقدار ما يسقى كل شخص والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اي سكن عطشه وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت عزمي على فعله والمقدور المقدر الذي لا بد من كونه والامد الغاية والوله العجال الوالهة من الابل والعجول وهي من الابل الناقة تفقد ولدها والهديل الحمام نوحها والجوار الصوت المرتفع والتبتل الانقطاع الى الله باخلاص النية وانماث الشيء تحلل وذاب واعلم ان مدار هذا الفصل على امور ثلثة احدها التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن الميل اليها والامر بالرحيل عنها الثاني التنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي ان يرجى منه ويلتفت اليه ويقصد بالرحيل بالنسبة الى ما الناس فيه مما يتوهم خيرا في الدنيا ثم على عظيم عقابه وما ينبغي ان يخاف منه الثالث التنبيه

على عظيم نعم الله على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بابلغ المساعي واكثر الاجتهاد اما الاول فاشار اليه بقوله الا وان الدنيا
قد تصرمت الى قوله الابد وقد علمت ان التصرم هو تقضي احوالها الحاضرة شيئا فشيئا بالنسبة الى من وجد في كل
حين وان اذنها بالانقضاء هو اعلامها بلسان حالها اذ ان المعتبر بها انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فهو تغيرها
وتبدلها وذلك ان الانسان اذا اصاب لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال او جاه ونحوه انس اليه و
توهم بقاءه له وكان ذلك معروفها الذي اسدته اليه وعرفه والفه منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده فيصير
بعد ان كان معروفا مجهولا ويكون الدنيا كصديق تنكر في صداقته وفرحها بعد اوتره قوله وادبرت حذاء
اي ولت حال ما لا تعلق لاحد بشيء منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانشغال خيراتها عمن اشتغلت عنه بموته
او غير ذلك من وجوه زوالها ملاحظة لشبهها بملك اعرض عن بعض رعيته برفده وماله و قوله فهي تحفز بالفنا
سكانها وتحدو بالموت جيرانها استعار لها وصفي السابق والحادي استعارة بالكناية ووجه المشابهة كونهم
قاطعين لمدة العمر بالفنا والموت فهي مصاحبة لهم بذلك كالمصاحب السابق والحادي للابل بالسوق والحداء
وان اريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى الفنا ملاحظة لشبه مصاحب الدنيا بالرماح وكذلك استعار لفظ
الفنا والموت لانه السوق والحداء ونزلها منزلة الحقيقة ووجه المشابهة كون الموت هو السبب في انتقال
الانسان الى دار الاخرة كما ان الصوت والسوط مثلا اللذين هما آلة الحداء والسوق هما اللذان بهما يحصل انتقال
الابل من موضع الى موضع و قوله وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا كالكدورة وتنكر معروفها اي ان
الامور التي يقع لذته فيها ويجدها الانسان في بعض اوقاته صافية حلوة خالية عن كدورات الامراض ومرارة
التنغيص بالعوارض الكريهة هي في معرض التغير والتبدل بالمرارة والكدر فما من شخص يخاطبه بما ذكره الا ويصدق
عليه انه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوها كدرا وحلاوتها مرارة اما من شباب تبدل بكبر
او غنى بفقر او عز بذل او صحة بسقم و قوله فلم يبق منها الا سملة اي قدر لم ينقع قليل وحقير باق منها لكل شخص
شخص من الناس فان بقاءها لصاحب تجانيه فيها وفنا كل شخص فيها يسير ووقته قصير واستعار لفظ السملة
لبقيتها وشبهها ببقية الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله لو تمززها الصديان
لم ينقع اي كما ان العطشان الواجد لبقية الاداوة والجرعة لو امتصها لم ينقع عطشه كذلك طالب الدنيا المتعطش
اليها الواجد لبقية عمره واليسير من الاستمتاع فيه بلذات الدنيا لا يشفي ذلك غليله ولا يسكن عطشه منها ولا
اوان لقعود النفس بالفطام عن شهواتها و قوله فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار امر لهم بعد تحقيرها
والتنفير عنها بالازماع وتصميم العزم على الرحيل عنها بالتوجه الى الله والاقبال على قطع عقبات الطريق اليه
وهو الرحيل الحق عن الدنيا و قوله المقدور على اهلها الزوال تذكير بما به منه من مفارقتها ليخف الرغبة
فيها ثم اعقب ذلك بالنهي عن متابعة الامل فيها لانها فانية والآخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ الغلبة
تذكيرا بان له واستثارة للحمية من نفوسهم ثم بالنهي عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التي هي الموت
فان ذلك يقسي القلب فيورث الغفلة عن ذكر الله كما قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون واما الثاني وهو التنبيه على عظيم ثواب الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر منها وامر بالارتحال

عنها

عنها اشار بعد ذلك الى ما ينبغي ان يعظم ويلتفت اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى تعظيمهما
بتحقير الاسباب والوسائل التي يعتمد عليها العباد وهي غايات جهدهم بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه
ويخشى من عقابه وتلك الاسباب هي شدة الحنين والوله الى الله والدعاء المستمر والتضرع المشبه لتبتل الرهبان
بذا طرف العبادة وانما خص التشبيه بتبتل الرهبان لشهرتهم بشدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من الاموال
والاولاد وهو اشد الزهد ورتب ذلك في صورة متصلة مقدمها قوله لو حننتم الى قوله رسله وتاليها قوله
لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والتماس مفعول له وخلاصة هذا المقصود من هذا الكلام انكم لو اتيتم بجميع اسباب
التقرب الى الله الممكنة لكم من عبادة وزهد ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او يعفو لكم
سيئة احصتها كتبه والواحه المحفوظة لكان الذي ارجوه من ثوابه للمتقرب اليه في ان يرفع منزلته في حضرة قدسه
اكثر مما يتصوره المتقرب انه يصل اليه بتقربه ولكان الذي اخافه من عقابه على المتقرب في غفران سيئة عنده
اكثر من العقاب الذي يتوهم انه يدفعه عن نفسه بتقربه فينبغي لطالب الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته
في التقرب اليه ليصل الى ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب من ذنبه الى الله ان
يخلص بكليته في الفرار اليه ليتخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته اليه فان الامر في موقف
ما اعده الله لعباده الصالحين من الثواب العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العذاب الاليم اجل مما تتصوره
عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وان كانت عقولهم في ذلك الادراك متفاوتة ولما كانت نفسه القدسية
اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لا جرم نسب الثواب المرجو لهم والعقاب المخوف عليهم الى رجائه هو وخوفه
فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه واما الثاني
وهو التنبيه على عظيم نعم الله تعالى على العباد فنبه عليه بان كل ما اتوا به من الاعمال التي بذلوا جهدهم فيها في انعمه
وما عساه يمكنهم ان ياتوا به منها فهو قاصر عن مجازات نعم الله العظام وقد سبق بيان ذلك ورتب المطلوب
في صورة شرطية متصلة ايضا مقدمها مركب من امور اربعة قوله لو انماثت قلوبكم اي ذابت خوفا منه ووجدا
وكنى بذلك عن اقصى حال الخائف الراجي لربه في عبادته الثاني قوله وسالت عيونكم دما وهو كالاول الثالث
قوله ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية اي مدة بقاء الدنيا وتاليها قوله ما جزت اعمالكم الى آخره وانعمه منصوب
مفعول لجزت وهداه في محل النصب عطف عليه وانما افرد الهدى بالذكر وان كان من الانعم لشرفه اذ هو الغاية
المطلوبة من العبد لكل نعمة افيضت عليه فانه لم يخلق ولم يفض عليه انواع النعم الا لتيان تجلي نفسه ويستعد
نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها فيسعى بها في ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقبات الصراط المستقيم واكد
ملازمة هذه المتصلة بالقسم البار وذلك المقصد الذي به منه التنبيه بعث الخلق على الشكر وتوفر الدواعي
على الاجتهاد في الاخلاص ترجيحا من مقابلة عظيم انعامه بالتقصير في شكره والاشتغال بغيره وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلم يوم النحر في صفة الاضحية ومِنْ تَمَامِ الأُضْحِيَةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا فَإِذَا
سَلِمَتِ الأُذُنُ وَالعَيْنُ سَلِمَتِ الأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ وَفِي استشراف اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع
او نقصان الخلقة والعضباء المكسورة القرن وقيل القرن الداخل وكنى بجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك

كانت عضباء القرن تجر رجلها الى المنسك
اقول الاضحية منسوبة الى الاضحى اذ كان
ذبحها في ذلك اليوم وقيل اشتقت منه

من منع الشك وهو العبادة والتقرب بذبحها واعلم ان المعتبر في الاضحية سلامتها عما ينقص قيمتها وظاهر ان العمى والعور والهزال وقطع الاذن تشويه في خلقتها ونقصان في قيمتها دون العضب وكسر القرن وفي فضل الاضحية اخبار كثيرة روي عن رسول الله ص قال ما من عمل يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وروي عنه ايضا ان لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا وقد كانت الصحابة يغالون في اثمان الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله ص ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلثمائة دينار وان كان قيمة ثلثين بدنة وفيها تكثير اللحم لكن ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل واعلم انه يجب ان يلاحظ من اسرار وضع الاضحية سنة باقية هو ان يروم بها التذكر لقصة ابرهيم ع وابتلائه بذبح ولده وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء المبين ثم يلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصائب والمكاره فيتاسى الناس في ذلك مع ما في الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب الى الله تعالى وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم وردها قد ارسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد ص فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة **اقول** تداكوا اي دك بعضهم بعضا اي دقه بالضرب والدفع والهيم الابل العطاش والمثاني جمع مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير واعلم ان قوله فتداكوا الى قوله لدي اشارة الى صفة اصحابه بصفين لما طال منعه لهم من قتال اهل الشام وكان ع بينهم من قبل لهم لا مريح احد بما انه كانت عادته في الحرب ذلك ليكون خصمه البادي فتركبه الحجة والثانية انه كان يستخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم والحامل لهم على وجوب قتال من خالفه فانه ع كان مامورا بذلك بل على وجه استخلاص وجه الراي الاصلح او انتظارا لانجذابهم الى الحق ورجوعهم الى طاعته لحقن دماء المسلمين كما ستسمع به في الفصل الذي يليه ثم اكد وصفهم بالزحام عليه بامر احدهما تشبيه بزحام الابل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم ورودها الماء ووجه الشبه ما لهما من شدة الزحام الثاني غاية ذلك الزحام وهو ظنه ع ان يقتلوه او يقتل بعضهم بعضا وقوله وقد قلبت هذا الامر الى اخره اشارة الى بعض علل منعه لهم من القتال وهو تقليبه لوجه الاراء في قتالهم حتى يتبين له ما يلزم في ترك القتال من الخطر وهو الكفر فان في الامرين خطرا اما القتال ففيه بذل الانفس للقتل وهلاك جمع من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة امر الله ورسوله المستلزمة لعقاب الاليم لكن قد علمت ان الدنيا لا قيمة لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة الآخرة وشقاوتها عند ذوي البصائر خصوصا من كان مثله فلذلك قال فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة

واستعار

واستعار لفظ الموتات للاهوال والشدائد في الدنيا والآخرة لما بين الموت وبينها من المشابهة في الشدة

ومن كلام له عليه السلم وقد استبطا اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين اما قولكم اكل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي ادخلت الى الموت او خرج الموت الي واما قولكم شكا في اهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو الى ضوئي فهو احب الي من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء باثامها **اقول** عشا الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء باثمه اي رجع به وهذا الفصل مناسب للذي قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوا عليه في طلبه حتى نسبه بعضهم الى العجز وكراهية الموت ونسبه بعضهم الى الشك في وجوب قتال هؤلاء فاورد هو شبهة الاولين وهي قوله اكل ذلك كراهية الموت وروي كراهية بالنصب على المفعول وسد مسد الخبر واجاب عنها بقوله فوالله ما ابالي الى قوله الي وصدق هذه الدعوى المؤكد بالقسم البار ظاهر منه فان العارف بمعزل عن خشية الموت خصوصا نفسه القدسية كما سبق ونسبة الدخول على الموت والخروج اليه نسبة مجازية تستلزم ملاحظة تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية وهي قوله واما قولكم شكا في اهل الشام واجاب عنها بقوله فوالله ما دفعت الحرب الى اخره وتقريره ان المطلوب الاول من الانبياء والاولياء انما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمة الجهل واستقامة امورهم في معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا كان هذا هو المطلوب الذاتي له من طلب هذا الامر والقتال عليه وكان تحصيل المطلب كلما كان الطف واسهل من القتل والقتال كان اولى لا جرم كان انتظاره بالحرب وما اخفاه بها يوما انما هو انتظار وطمع ان يلحق به منهم من تجذبه العناية الالهية بهدايته الى الحق فيهتدي به في طريق الله ويعشوا الى ضوء علمه وكمالاته وكان ذلك احب اليه من قتلهم على ضلالتهم وان كان كل ضال انما يرجع باثمه الى ربه ويكون رهين عمله كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ولا تكسب كل نفس الا عليها

وكل ذلك في مناقبه ع ومن مواضع اخرى **ومن كلام له عليه السلم** ولقد كنا مع رسول الله ص نقتل اباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا في جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما ايهما يسقي صاحبه كاس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما راى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه ومتبوئا اوطانه ولعمري لو كنا ناتي ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود وايم الله لتحتلبنها دما ولتتبعنها ندما **اقول** المنقول ان هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين اقر الناس بالصلح وارادوا ان هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا الى الحق ولا ليجيبوا الى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحي ارضهم وباعنان مشاربهم ومسارحهم وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله الا جدا في طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد كنا مع رسول الله ص الفصل كلمة سواء اي عادلة والمناسر الخيل من المائة الى المائتين ويقال بل الجيش ما بين الثلثمائة الى الالف والخميس الجيش وتدعق تغير في ارضهم فتثير فيها اثارا وشن الغارة اثارها واللقم منهج الطريق والمضض حرقة

الالم ويتصاولان تصاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما فرصة صاحبه والمنون المنية والكبت الصرف
والاذلال وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه الى منحره وتبوء وطنه سكن فيه ومقصوده من هذا الفصل توبيخ اصحابه
على ترك الحرب والتقصير فيه فقوله ولقد كنا الى قوله وطائه بيان لفضله وكيفية صنعه هو وسائر الصحابة
في الجهاد بين يدي رسول الله ص لغرض قيام الاسلام وظهور امارته ليتبين للسامعين تقصيرهم بالنسبة الى
ما كان اولئك عليه في جهادهم يومئذ فذكر ما كانوا يكابدونه من الشدائد وان احدهم كان يقتل اباه
وولده طلبا لرضا الله وذبا عن دينه ثم لا يزيده ذلك الا ايمانا بالله وتسليما لقضائه ومضيا على واضح سبيل
وصبرا له على مضض الالم المتواترة وان احدهم كان يصاول عدوه ليختطف كل منهما صاحبه ويجوز
لفظ الكأس فيما يتجرعه الانسان من غصص الالم حال القتل وبينه بقوله فمرة لنا ومرة لعدونا على ان اقدامهم
على القتال يومئذ لم يكن عن قوة منهم على العدو ويقين بغلبته بل مع غلبة العدو لهم وقهره ومرة منصوب على الظرف
وتقديره فمرة الادالة يكون لنا من عدونا ومرة يكون له منا وقوله فلما راى الله صدقنا الى قوله النصر
فيه شبه على ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما هو عام الفيض على كل قابل استعد لرحمته واشار
برؤية الله صدقهم الى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذي اعدهم به وبانزال النصر عليهم والكبت
لعدوهم الى افاضته على كل منهم ما استعد له وقوله حتى استقر الاسلام الى قوله اوطانه اشارة الى حصول
غايتهم التي قصدوها بجهاد العدو وهي استقرار الاسلام في قلوب عباد الله واستعار لفظ الجران ورشح
تلك الاستعارة بالالقاء ملاحظة لشبهه بالبعير الذي اخذ مكانه وكذلك استعار لفظ التبوء ولفظ الاوطان
تشبيها بمن كان من الناس خائفا متزلزلا ثم استقر واطمأن واستقر في وطنه واستعار لفظ الاوطان
لقلوب المؤمنين وكنى بتبوءه اوطانه عن استقراره فيها وقوله ولعمري لو كنا نأتي الى قوله عود رجع الى
مقصوده الاصلي وهو توبيخ اصحابه على تقصيرهم والمعنى لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الان وتخاذلكم لما حصل
من استقامة الدين وكنى بالعمود للدين عن قوته ومعظمه كناية بالمستعار وكذلك باخضرار العود للايمان عن
نضارته في النفوس ولاحظ في ذلك تشبيه الاسلام بالبيت ذي العمود وفي الثانية تشبيه الايمان بالشجرة
ذات الاغصان وقوله وايم الله لتحتلبنها دما استعار لفظ حلب الدم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم اليه
من الجهاد ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيههم في تقصيرهم في اعمالهم بالناقة التي اصيب ضرعها بآفة من تفريط
حالبها فيها والضمير في تشبيههم يرجع في المعنى الى افعالهم وكذلك الضمير في قوله ولتتبعنها ندما فان ثمرة التفريط
الندامة ودما وندما منصوبان على التمييز وقد اتفق في هذا الفصل نوعان من السجع في اللفظ والاول مع توازي في
جرانه واوطانه مطرف وكذلك عمود وعود ودما وندما وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم لاصحابه أَمَا إِنَّهُ
سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلَا وَإِنَّهُ
سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّؤُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ
عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ اقول رحب البلعوم واسع مجرى الحلق وبطن مندحق ناتئ بارز وفي
هذا الفصل اخبار بما سيكون لاصحابه من الابتلاء بسبه والخطاب لاهل الكوفة فقوله اما يحتمل ان يكون المشددة

والتقدير

والتقدير اما بعد انه كذا ويحتمل ان يكون مخففة وهي ما النافية دخلت عليها همزة الاستفهام والتقرير اما انه
سيظهر واختلف في مراده بالرجل فقال الاكثرون هو المراد معوية لانه كان بطينا كثير الاكل روي انه كان
ياكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت وكان ذلك دعا اصابه من رسول الله صلى الله عليه وآله
روي انه بعث اليه مرة فوجده ياكل فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه وبعضهم في وصف اخر
وصاحب البطنة كالهاوية كان في امعائه معوية ؛ وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل
هو الحجاج وقيل المغيرة بن شعبة وظهوره عليهم بعده استيلاؤه وتامره عليهم والكل يحتمل عليه الا انه كناية
عن كثرة الاكل وجعل ذلك علامة له وقوله فاقتلوه اي لما هو عليه من الفساد في الارض ولن تقتلوه حكم لدنه الاطلاع
عليه وقوله الا وانه سيامركم بسبي الى اشارة الى ما سيامرهم به في حقه من السب والبراءة ووصيته لهم بما
ينبغي اذن وفرق بين سبه والبراءة منه بان رخص في سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص في التبري منه
وفي الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من صفات القول اللساني وهو امر يمكن ايقاعه من غير اعتقاد مع احتماله
التعريض ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المامورين ونجاتهم بامتثال الامر به فاما التبري فليس صفة قولية فقط
بل يعود الى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض وهو المنهي عنه ههنا فانه امر باطن يمكنهم الانتهاء عنه ولا يلحقهم
بسبب تركه وعدم امتثال الامر به ضرر وكانه لحظ ههنا قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح
بالكفر صدرا فعليهم غضب الاية وقوله في السب فانه لي زكاة ولكم نجاة اشارة الى اسباب ترخيصه في سبه
اما نجاتهم بسببه فظاهرة واما كونه زكاة له فلوجهين احدهما ما روي في الخبر ان ذكر المؤمن بسوء وهو بري منه
وذمه بما ليس فيه زيادة في جاهه وشرفه الثاني ان الطبع يحرص على ما منع منه ويلج فيه فان الناس لما منعوا
من ذكر فضائله والموالاة له والزموا سبه وبغضه ازدادوا بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك انه مع
سب بني امية الف شهر على المنابر فما زاد ذكره على ذلك الا علوا ولا ازداد الناس في محبته الا غلوا والمنقول
ان الذي امر بقطع سبه عمر بن عبد العزيز ووضع مكان سبه من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية
ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه : وليت فلم تشتم عليا ولم تخف : بريا ولم تقبل اساءة مجرم : وفيه يقول
الرضي الموسوي يا ابن عبد العزيز لو بكت العين : فتى من امية لبكيتك : انت نزهتنا عن السب والشتم ولو
كنت اجزي جزيتك : غير اني اقول انك قد طبت وان لم يطب ولم يزك بيتك : وقوله فاني ولدت على الفطرة
تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجوبه واراد بالفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي بعثهم الى عالم
الاجسام ما اخذ عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل في سلوك صراط المستقيم واراد بسبقه
الى الاسلام والهجرة سبقه الى متابعة رسول الله ص فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيما في كل
ذلك على فطرة الله لم يدنس نفسه بشيء من الملكات الردية مدة وقته اما زمان صغره فللخبر المشهور كل مولود
يولد على الفطرة واما بعد ذلك فلان الرسول ص كان هو المتولي لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاق من اول
وقته الى ان توفي ص كما اشرنا اليه قبل وكما سنذكره بعد كيفيته وكان قبوله واستعداده لانوار الله
فطرت عليه نفسه وجبلت عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من كان بهذه الصفة من خلق الله

وادبیانه كان ابتر ومنه برئ من الله ورسوله فوجب الانتهاء عنه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كلّم به
الخوارج أصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر أبعد إيماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله أشهد على نفسي بالكفر
لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين فأوبوا شرّ مآب وارجعوا على أثر الأعقاب أما إنكم ستلقون بعدي
ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضي رضه قوله ولا بقي منكم آبر يروى
بالراء من قولهم أبر للذي يأبر النخل أي يصلحه ويروى آثر وهو الذي يأثر الحديث أي يحكيه ويرويه وهو أصح
الوجوه عندي كأنه قال لا بقي منكم من يروي حديثاً ويروى بالزاي المعجمة وهو الواثب والهالك أيضاً
يقال له آبز **أقول** المروي في السبب أنه لما كتب عهد التراضي بالحكمين بين عليه السلام ومعوية اعتزلت الخوارج
ونادوا من كل ناحية لا حكم إلا لله الحكم لله يا علي لا لك إن الله قد أمضى حكمه في معوية وأصحابه أن يدخلوا تحت
حكمنا وقد كنا زللنا وأخطأنا حين رضينا بالتحكيم وقد بان لنا زللنا وخطؤنا ورجعنا إلى الله وتبنا
فارجع أنت كما رجعنا وتب إليه كما تبنا وقال بعضهم أنك أخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب
منه حتى نطيعك فأجابهم بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي بالحصباء وهي صغار الحصى والأثرة
بالتحريك الاستبداد أقول دعا عليهم أولاً بريح تحصبهم ثم بالفناء غضباً من مقالتهم ثم أخذ في تقريعهم وإنكار
مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر في صورة سؤال أعقبه وتنبيههم على خطائهم في حقه حيث أنه غلط
على نفسه لو أجابهم إلى ما سألوا فإن شهادة الإنسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق وعدم اهتداء في
سبيل الله ثم أردف ذلك بأمرين أحدهما جذبهم بالعنف والقهر وأمرهم بالرجوع إلى الحق على أعقابهم
أي من حيث خرجوا من الحق وفارقوه الثاني في إخبارهم بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف
القاطع وهو كناية عن قتلهم بعده كالمهلب بن أبي صفرة وغيره وهذا الإخبار لغرض استقامتهم
إليه وجذب لهم برذيلة وغيره والأثرة التي يتخذها الظالمون فيهم سنة إشارة إلى ما يستأثر به الملوك
والعمال عليهم من الفيء والغنائم والإهانة لهم وقد كانت دعوته عليه السلام استجيبت فيهم فإنهم لم يزالوا بعده
في ذل شامل وقتل ذريع حتى أفناهم الله تعالى وأحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مسطورة في كتب
الخوارج وبالله التوفيق **وقال عليه السلام** لما عزم على قتال الخوارج وقيل له إن القوم قد عبروا جسر النهروان
مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد يعني بالنطفة ماء النهر
وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جماً **أقول** خلاصة هذا الخبر أنه عليه السلام لما خرج إلى أصحاب النهر جاءه
رجل من أصحابه فقال البشرى يا أمير المؤمنين إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فأبشر فقد منحك الله
أكتافهم فقال الله أنت رأيتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليه السلام والله ما عبروه ولن يعبروه وإن مصارعهم
دون النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب
من افترى قال ثم جاءه جماعة من أصحابه واحداً بعد آخر كلهم يخبره بما أخبره الأول فركب عليه السلام وسار حتى أتى
إلى النهر فوجد القوم بأسرهم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا تحكيمة
واحدة بصوت عظيم له زجل وروي أن شاباً من أصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلام بما حكم من أمرهم وسار

الى النهر

إلى النهر لئن صدق حكمه وأمره لأكونن فيها منه فإن كانوا عبروا النهر لأحملن سنان رمحي في عينيه أيدّعي
علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه وأخبره بما روى في نفسه وطلب منه أن يغفر له فقال عليه السلام
إن الله هو الذي يغفر الذنوب جميعاً فاستغفره فأما حكمه بأنه لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل من أصحابه عشرة
فروي أنه قال لأبي أيوب الأنصاري وكان على ميمنته لما بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت منهم
عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم وجد المفلت منهم تسعة والمقتول من أصحابه ثمانية وهذان الحكمان من
كراماته عليه السلام **وقال عليه السلام** لما قيل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم كلا والله إنهم نطف في أصلاب الرجال
وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين **أقول** نجم طلع والسلاب المختلس
وكلا ردع لمقالة من حكم بهلاكهم جميعاً وأشار بكونهم نطفاً في أصلاب الرجال وقرارات النساء إلى أنه لابد من
وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وأنهم الآن موجودون في الأصلاب والأرحام بالقوة فمنهم نطف
برزت إلى الأرحام وكنى بالقرارات عنها ومنهم نطف بعد في الأصلاب ثم أخبر إخباراً آخر بالغيب عنهم
مفاده أنه سيقوم منهم رؤساء وذوو أتباع وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة ورشح لتلك الاستعارة
بقوله نجم وقطع لكونهما حقيقتين في النبات وجعل ترائي غايتهم في كون أواخرهم لصوصاً سلابين في
الطرق وأما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك أن التسعة الذين سلموا يوم النهر تفرقوا
في البلاد فانهزم اثنان منهم إلى عمان واثنان إلى كرمان واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة وواحد
إلى تل موزن وقد كان منهم جماعة لم يظفر بهم عليه السلام فظهرت بدعتهم في أطراف البلاد بعده فكانوا نحوا
من عشرين فرقة وكبارها ست أحدها الأزارقة أصحاب نافع بن الأزرق وكانت أكبر الفرق خرجوا
من البصرة إلى الأهواز وغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد الله بن
الزبير وكان مع نافع من أمراء الخوارج عشرة عطية بن الأسود الحنفي وعبد الله بن ماحوز وأخواه عثمان بن
الزبير وعمر بن عمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي وصالح العبدي
وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في نيف وثلاثين ألف فارس منهم فأنفذ إليهم المهلب بن أبي صفرة ولم
يزل في حربهم هو وأولاده تسع عشرة سنة إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج ومات نافع قبل وقائع
المهلب وبايعوا قطرياً وسموه أمير المؤمنين الثانية النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه
أميران يقال لأحدهما عطية وللآخر أبو فديك ففارقاه لشبهة ثم قتله أبو فديك وصار لكل واحد منهما
جمع عظيم وقتلا في زمن عبد الملك بن مروان الثالثة البيهسية أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر
وكان بالحجاز وقتله عثمان بن حيان المزني بالمدينة بعد أن قطع يديه ورجليه وذلك في زمن الوليد بأمره
منه الرابعة العجاردة أصحاب عبد الكريم بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس مشهور
الخامسة الأباضية أصحاب عبد الله بن أباض في أيام مروان بن محمد فوجّه إليه عبد الله بن محمد بن عطية
فقاتله فقتله السادسة الثعالبة أصحاب ثعلبة بن عامر وتحت هذه الفرقة أيضاً فرق كثيرة ولكل منها
رئيس مشهور وتفصيل رؤسائهم وفرقهم وأحوالهم ومن قتلهم مذكور في كتب التواريخ وأما كون آخرهم لصوصاً

سلاطين فتارة الى ما كانوا مشغولين به في اطراف البلاد باصبهان والاهواز وسواد العراق وبعشون جيشا
ونهب اموال الخراج وقتل من لم يدن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم وتفرقهم بوقايع المهلب وغيره
كما هو مذكور في مظانه وقال عليه السلم لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطاه كمن طلب
الباطل فادركه يعني معوية واصحابه اقول نهى عن قتل الخوارج بعده وادى الى عدم استحقاق القتل
بانها طلب الباطل لانه باطل ليبين انها منفية في حقهم فينتفي لازمها وهو استحقاق القتل واشار الى
ان الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ومن لم
يكن غرضه الا الحق لم يحركه وحسن الكلام يظهر في تقدير متصلة هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم لاستحقوه
بسبب طلبهم الباطل من حيث هو باطل لكنهم لا يستحقونه من تلك الجهة لانهم ليسوا طالبين الباطل من حيث
هو باطل فلا يستحقون القتل والفرق بين من يطلب الحق لذاته فيظهر عنه في صورة باطل وبين من يطلب
الباطل لذاته فيظهره في صورة الحق حتى يدركه فان الثاني هو المستحق للقتل دون الاول واومى بمن طلب
الباطل فادركه الى معوية واعلم ان هذا النهي منه ع بانهم كانوا طالبين للحق وبانه ان معظم رؤسائهم
كانوا على غاية من المحافظة على العبادات كما نقل عن الرسول ص حيث وصفهم فقال حتى ان صلوة احدكم
ليحتقر في جنب صلوتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القران ودرسه الا انهم بالغوا في
التحري وشدة الطلب للحق حتى مرقوا من ضيكه العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا في الفسق ومرقوا
من الدين فان قلت كيف نهى عن قتلهم بعده مع انه قتلهم قلت جوابه من وجهين احدهما انه ع انما نهى عن
قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا يبعث في الارض فسادا وهو انما قتلهم
حين افسدوا واخذوا مالا وقتلوا جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن امرأته وكانت حاملا
ودعوا الناس الى بدعتهم ومع ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم
به ولم يشرع في قتلهم حتى بدؤه بقتل جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه امام عادل
راى الحق في ذلك وانما نهى عن قتلهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له الحكم الشرعي ان يقيل
ويتوسط امر الحدود ولا من يعرف مواضعها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم لما خوف من الغيلة
وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت عني واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرأ الكلم اقول
قد كان عليه السلم خوف من غيلة ابن ملجم لعنه الله مرارا روي ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما
يقلدك السيف وليس باوان حرب فقال اردت ان انحر به جزور القرية فاتى الاشعث عليا ع فاخبره
فقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال ع ما قتلني بعد وروي ان عليا ع كان يخطب مرة ويذكر اصحابه
وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف ع اتوا به ملببا فاشرف عليهم
فقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا منه فقال ما قتلني بعد خلوا عنه واستعار من الله جنة الفضل والعناية الحافظة
على نفسه والجنة ما يستتر به من سلاح وطاش السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ
اسباب حيوته في المدة المكتوبة له لاقتضائها الكناية بالمستعار ووجه الاستعارة ان مع بقاء اسباب الحيوة

محفوظة

محفوظة لا يؤثر فيه الانسان شيء من سهام المنية ابدا كما ان لابس الجنة محفوظ بها من اثار السهام ونحوها ووصفها
بالحصينة ترشيحا للاستعارة وكنى بمجيء اليوم عن وقت ذلك الحفظ وكنى بيومه عن وقت ضرورة موته وبانفراج
الجنة عنه عن عدم بعض اسباب الحيوة المستلزم لعدم الحيوة ولحوق سهام الامراض وهو ترشيح للاستعارة
ايضا ونسب اليها اسلامها ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظ ثم يسلم للقتل وقوله ع لا يطيش السهم استعار
لفظ السهم للامراض التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه عن الكناية وحصول الموت عنه ولفظ الكلم
للاثر الحاصل عن تلك الاسباب ووجه الشبه في الاول كونهما سببين للهلاك وفي الثاني انه ما لا يبرأ منه
من الالم ورشح بذكر الطيش والثاني بذكر البرء ومن الشعر المنسوب اليه في ذلك قوله من اي يومي من
الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر فيوم لم يقدر فلا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر وهو في
ذلك ملاحظ لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجل
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء كان لها ابتلي الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا
منه وحوسبوا عليه وما اخذوه منها لغيرها قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا
تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى نقص اقول بينا اصلها بين الحج الوسط فشبعت الفتحة فحدثت الالف
وقد تزاد ما فيقال بينما والمعنى واحد وتحقيق الظرفية هنا ان الظل دائر بين السبوغ والتقلص والزيادة
والنقصان وتقلص الظل نقص وغرض هذا الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه على وجوب لزوم اوامر الله
فيها واشار الى ذلك في اوصاف لها الاول كونها لا يسلم منها الا فيها وتحقيق ذلك انها دار للدنيا
والاخرة وقد علمت ان اسباب السلامة هي الزهد والعبادة وساير اجزاء الرياضة وشيء منها لا يكون في
الاخرة بل كلها اعمال متعلقة بالبدن فاذن لا يتحقق ما يلزمها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا الثاني
كونها لا ينجى بشيء كان لها وفيه ايماء الى ذم الرياء في الاقوال والافعال وتحذير من كل عمل وقول قصد به الدنيا
فان شيئا من ذلك لا حظ له في استلزام النجاة في الاخرة بل ربما كان سببا للهلاك فيها فان الاشتغال
بمهمات الدنيا منسي للاخرة الثالث كونها قد ابتلي الناس بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل
ان يكون مصدرا سد مسد الحال ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ويبحث
عن معنى الابتلاء بالدنيا وكونها فتنة واعلم انه ليس المراد ان الله تعالى لا يعلم ما يؤل اليه احوال العباد وما
يكون منهم بعد خلقهم وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما كان وما يكون قبل كونه كما قال تعالى وما من
غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا
في السماء ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير بل الكشف عن حقيقة
الابتلاء انه لما كان الانسان انما يكون انسانا بما خلق فيه من القوى الشهوية والغضبية وما يتبعهما وكانت
هذه القوى يميل بطبعها الى حاضر اللذات الدنيوية في مشتهياتها ولا ابتهاج لها الا بها ولا حظ لها من
غيرها وكانت النفوس الانسانية مخالطة لهذه القوى وهي الاتها ولا وجه لها في تصرفاتها غالب الاحوال

ولا ينجى بشيء كان لها نخ

الا هي وكانت تلك القوى في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى مشتهياتها الطبيعية بالطبع وكانت تلك النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الآخرة مشغولة بما حضر وما وجدته من لذات الدنيا عن تصور ما وراءها ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما ينافي ذلك وهو ترك حاضر الدنيا ومنازعة هذه القوى في مشتهياتها وجذبها عن التوجه بكليتها اليها ما تابعة النفس في اتفاقها عن ذلك الى امر لا تتصور في الدنيا الا بالاوصاف الخيالية كما هو طريقة الانبياء عليهم السلام مع الخلق كانت ارادة الله تعالى لذلك الالتفات مع ما هم فيه من منازعة الهوى فان اطاعوه حكموا وان عصوه حكموا صورة امتحان فاشبه ذلك ما يعتمده احدنا من عبده اذا اراد مثلا اختبار صبره ومحنته لو وجب له جميع ما يشتهيه ثم كلفه مع ذلك بتكاليف شاقة ليتمكن من فعلها الا باتفاقه عن مشتهاه ويبغضه عليه فلاجرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من الله في الوجود وذلك ظاهر في كونها فتنة فان الفتنة الامتحان والاختبار وان قدرنا ها حالا فهي بحيث الضلال ويعود الى جذبها النفوس الى الحاضر لذاتها عن سنن الحق الرابع كونهم ما اخذوه منها الا اخرجوا منه وحوسبوا عليه وهو شبه على وجوب قصد الآخرة بما يوخذ من الدنيا ويخرف فيه ويتغيرا ان يحصل الماخوذ منها لمجرد التمتع بها بذكره وجهين احدهما وجوب مفارقة الماخوذ منها والاخراج منه والثاني الحساب عليه في الآخرة واعلم ان الحساب على راي المليين ظاهرة لان الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله كلام عن كلام كما قال وهو سريع الحساب واما الحكماء فقالوا ان للحساب معنى وتقريره بتقديم مقدمات الاولى ان كثرة الاعمال وتكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس ولا استقرار التام يكشف عن ذلك ومن كان مواظبة على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ تلك الملكة الصادرة عن ذلك العمل في نفسه اقوى الثانية انه لما كان تكرر العمل يوجب حصول الملكة وجب ان يكون لكل عمل يفعله الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون لكل جزء من اجزاء العمل الواحد اثر في حصولها بوجه ما ومثال ذلك ما قالوا لو فرضنا سفينة عظيمة بحيث لو القي فيها مائة الف من فانها تغوص في الماء قدر شبر واحد ولو لم يكن فيها الا حبة واحدة من الحنطة فذلك القدر من الجسم الخفيف فيها يوجب غوصها في الماء بمقدار ما من الثقل وان بلغ في القلة الى حيث لا يدرك بالحس اذا عرفت ذلك فنقول ما من فعل من الخير والشر قليل ولا كثير الا ويفيد حصول اثر في النفس اما سعادة او شقاوة وعند هذا ينكشف سر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولما ثبت ان الافعال انما تصدر بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرهما لاجرم كانت الايدي والارجل شاهدة على الانسان يوم القيمة بلسان حالها على معنى ان تلك الآثار النفسانية انما حصلت في جواهر النفوس بواسطة الافعال الصادرة عنها فكان صدور تلك الافعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشهادة على النفس بالنسبة بها اذا عرفت ذلك فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة يعود الى تعريف الانسان ما له وما عليه من مال ونحوه وكان ما يحصل في النفوس من الملكات الخيرية والشرية امورا مضبوطة في جوهر المحاسب عليها وانما ينكشف لها كثرة تلك الهيات وتمكنها في ذواتها وتقررها بها في الآن الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن اشبه ذلك ما يتبع الانسان عند المحاسبة مما احصى عليه فلا جرم اطلق عليه لفظ الحساب

دائرة

وذلك اليقين والاطلاع هو الاشارة بقوله وقدموا عليه وليس المقصود ان ما تقدم عليه في الآخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل ما يرى في النفوس من خير او شر فالذي ينبغي ان يعلم منها لمجرد التنعم بها فهو الذي يتمكن عنه هيات السوء في جواهر نفوسهم فيقدمون عليها ويعذبون بها في عذاب جهنم خالدين لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون الخامس كونها عند ذوي العقول كفيء الظل وتشبيهها بهذا الوصف في سرعة زوالها خصص ذوي العقول بذلك لانه لا يدرك احد منهم ان المتبرك زوالها عاقل بمجرد عقله دون هواه فلذلك نسب الى العقل انما وان حال ذوي العقول مرغوب فيه لمن سمعه ولما كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها ليعملوا فيها لما بعدها نسب ذلك الى ذوي العقول ليقتفي السامعون آثارهم ثم اشار الى وجه شبهها بالظل بقوله فيناثره اه اي انها تسرع زوالها كما يسرع زواله وهو من التشبيهات السايرة ومثله قول الشاعر

الا انما الدنيا كظل غمامة اظلت يسيرا ثم حفت فولت

ومن خطبة له عليه السلم

فاتقوا عباد الله وبادروا آجالكم باعمالكم وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين الجنة او النار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فتزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه ونصح نفسه قدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى الشقوة نسأل الله سبحانه ان يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة **اقول** المبادرة المسارعة والسدى المهمل وجدير بكذا اي اولى به وحري حقيق والتسويف قول الانسان سوف افعل وهو كناية عن التمادي في الامر والبطر تجاوز الحد في الفرح والكآبة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير من الدنيا والترغيب في الآخرة وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها فقوله فاتقوا الله الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال الصالحة وحث على مسابقة الآجال بها خشية ترقب سرعة الاجل واخطاره بالبال وهو من الجواذب القوية الى الله تعالى ونسب المسابقة الى الآجال ملاحظة لشبهها بالمراهن اذ كان الموت والعمل كانا يستبقان الى الانسان فيجب الاعمال الصالحة الشبيهة بما يستبق عليه من رهن **قوله** وابتاعوا ما يبقى الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد في الدنيا والتخلي عن متاعها الفاني وان يشتري به ما يبقى من متاع الآخرة وقد عرفت غير مرة اطلاق لفظ البيع هنا وجعل المشترى بما يبقى والثمن بما يزول ليكون المشترى احب الى النفوس لبقائه **قوله** وترحلوا فقد جد بكم امر بالترحل وهو قطع منزل منزل من منازل السفر الى الله تعالى في مراتب السلوك لطريقه ونبه على وجوب الترحل بقوله فقد جد بكم اي في السير الى آجالكم بقوة وذلك الجد يعود الى سرعة توارد

الاسباب التي تفسد المزاج للفساد وتقربه الى الآخرة ملاحظا تشبيهها بسابق الابل ونحوها وقوله
فاستعدوا للموت فقد اظلكم الاستعداد له هو باستكمال النفوس كمالها الذي ينبغي حتى لا يبقى الموت
عند الخير مرتفع بل يكون محبوبا لكونه وسيلة الى المحبوب وهو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرة
الملا الاعلى وشبه بقوله فقد اظلكم على قربه واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب او الطير فاستعار وصف
الاظلال وقوله وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا شبه لهم على الالتفات الى منادي الله وهو لسان الشرع
والانبياء بنداء من مراقد الطبيعة وقوله واعلموا الى قوله سدى شبه لهم على ان الدنيا ليست بدار
لهم ليلتفتوا عن الركون اليها ويتوقعوا الاخراج منها ثم امرهم بالاستبدال بها لينذكروا ان هناك
عوضا منها يجب ان يلتفت اليه وهو الدار الآخرة ونبه بقوله فان الله لم يخلقكم عبثا على وجوب
العمل لذلك البدل فانهم لم يخلقوا الا لامر وراء ما هم فيه وقوله وما بين احدكم الى قوله ينزل به
تعيين لما خلقوا له ووعدوا بالوصول اليه وانه لا حائل بينهم وبينه الا الموت قال بعض الشارحين
وهذا الكلام مما يصلح متمسكا للحكماء في تفسيرهم للجنة والنار فانهم قالوا ان الجنة تعود الى المعارف
الالهية ولوازمها والنار تعود الى حب الدنيا والميل الى مشتبهاتها وتمكن الهيئات الردية في
جوهر النفس وعشقها بعد المفارقة لما لا يمكن من العود اليه كمن نقل عن محل ورده معشوقه والتذاذه
به الى موضع ظلماني شديد الظلمة مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا الآية وكان ادراك لذة المعارف التامة وادراك الم الانار بالمحبة
المذكورة انما يتحقق حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان في عالم الشهادة لا يدرك ما حصل
في نفسه وتمكن من الهيئات كعضو مفلوج عظم عذره على الم فاذا زال المخدر احس بالالم فكذلك
النفس بعد الموت تدرك ما لها من لذة او الم كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها قلت وهذا
الكلام ايضا ظاهر على مذهب المتكلمين اذ جاء في الخبر ان العبد يكشف له عند الموت عما يستحقه من
جنة او نار ثم يؤجل ذلك الى قيام القيمة الكبرى وقوله وان غاية الى قوله المدة كنى بالغاية عن
الاجل المعلوم للانسان ثم نبه على قصره وحقارته بامرين احدهما كونه تنقصه اللحظة اي النظرة
وهو ظاهر فان كل جزء من الزمان فرضته قد مضى من مدة الانسان منقص لها الثاني كونها تهدمه
الساعة كنى بالساعة عن وقت الموت ولا شك ان الآن الذي كناية بالمستقر وظاهر ان
مدة هذا شانها في غاية القصر وقوله وان غايبا الى قوله الاوبة اشار بالغايب الى الانسان
اذ كانت الدنيا عالم غربته ومحل سفره ومنزل الحقيقي انما هو منشاه وما اليه مرجعه وانما سمى الليل
والنهار جديدان لتعاقبهما فليس احدهما مخلقا للآخر واستعار لفظ الحدو وما يستلزمانه من حداء
الانسان لقرب اجله المشبه لصوت الحادي الذي يحدو الابل لسرعة سيرها وقربها من المنزل
المقصود لها وظاهر ان من كان الليل والنهار حاديه فهو في غاية سرعة الرجوع الى مبدايه ووطنه
الاصلي وقال بعض الشارحين اراد بالغايب الموت وهو وان كان محتملا الا انه لا يطابق لفظ

الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع وقوله وان قادما الى قوله العدة اشار بالقادم بالفوز او الشقوة
الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فاما الفوز بالسعادة الباقية او الحصول على الخيبة والشقوة
ونبه بذكر القدوم على ان من هذا شانه فالواجب عليه ان يستعد بافضل عدة ليصل بها الى احبها لديه
ويتباعد عن اكرهها عنده وقوله فتزودوا الى قوله غدا فصل نوع تفصيل افضل العدة وهو الزاد الذي
يحرز الانسان به نفسه يوم القيمة من السقوط في نار جهنم وغليل حرها واشار بذلك الزاد تقوى الله و
خشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف وانه انما يحصل في الدنيا ولكونه من الدنيا قال الآثار الحاصلة
للنفس من الحالات والملكات كالخشية والخوف وساير ما يتزودونه ويستصحبه بعد المفارقة امورا انما
حصلت عن هذا البدن واستفيدت من الدنيا بواسطته والمشابهة التي لاجلها استعار لفظ الزاد هاهنا
هو ما يشترك فيه الزاد المحسوس والتقوى من سلامة المتزود بهما كل في طريقه فذاك في المنازل المحسوسة
من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل المعقولة ومراتب السلوك ومراحل السفر
الى الله تعالى من عذاب الجوع المعقول وقوله فاتقى عبد ربه الى قوله شهوته اوامر وردت بلفظ الماضي
خالية عن العطف وهي بلاغة تركيب الخطبة احسن صورة فالامر بالتقوى تفسير للامر بالزاد كما قال
تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والامر بنصيحة النفس امر بالنظر في مصالحها والشور عليها
ان تعمل ما هو الاولى بها من التمسك بحدود الله والوقوف عندها والامر بتقديم التوبة وغلب الشهوة
هو من جملة الامر بالنصيحة كالتفسير له ومن لوازم التقوى اردفه بها واراد تقديم التوبة على الموت
او بالنسبة الى كل وقت يحضر وقوله فان اجله الى قوله شقوته حث على امتثال اوامره السابقة
الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على غفلة فلا يستلزمه ذلك من شدة الحسرة وطول الندم على التفريط
وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب للغفلة عنه فاذا انضاف الى ذلك خداع الامل الناشي
عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به وقرينا له كما قال سيد
المرسلين صلى الله عليه وآله ما من مولود يولد الا ويولد معه قرين من الشيطان كانت الغفلة اشد والنسيان اكد
واستعار لفظ الخداع لصورة من النفس الامارة بالسوء وهو قولها للانسان تمتع من شبابك
واغتنم لذة العيش ما دمت في مهلة وستقبل من عمرك وستحق منه توبة ونحو ذلك من الاباطيل فان
هذه صورة خداع من الشيطان واما نسبة ذلك الى الامل فلان الامل هو عزم النفس على فعل تلك الامور
واشباهها في المستقبل الاوقات عن توهم طول مدة الحيوة وانه عاملا تفعل فيها من معصية وتوبة
وذلك العزم من اسباب الانخداع للشيطان وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل
غاية ذلك الخداع هو ان يهجم على المخدوع منيته حال ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يؤمله فيكون
ذلك مستلزما لاعظم حسرة والبر ذاته على ان يكون عمره عليه حجة شاهدا بالمبان حاله على ما اكتسب فيه
من الاثام في حضاره بعد ان كان وسيلة لسعادته سببا لشقاوته واغفل نفسه على الحال وحسرة على التمييز
فتعجب منه المدعو واللام في لها قيل للاستغاثة كانه قال يا حسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل اللام جر

نعت لمخاطبها الضمير والمنادى محذوف تقديره يا قوم ادعوكم لها حرة وان خو من النصب بحذف الكاف
قبل خطاهم يقع عليهم الحسرة فقال على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيمة و **قوله** نسأل الله تعالى الى قوله كابة خاتمة
الخطبة وسأل الله الخلاص من امور ثلثة الاول ان يخليه من شدة الفرح بنعم الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزم
للهلاك الابدى الثانى ان لا يقصر به غاية عن طاعته اى لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة فقال قصرت
هذه الغاية بفلان اذا لم يبلغها الثالث ان لا تحل به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سؤال الجسم اسبابها من
اتباع الهوى في الدنيا والعدول عن طاعة الله وبالله العصمة **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله الذى لم يسبق
له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل
عزيز غيره ذليل وكل قوى غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر و
يعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفى
الالوان ولطيف الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان
ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق
مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يؤده
خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن
وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** المثاور المواثب والداخر الذليل وآده الامر
اثقله وذرأ خلق والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهى التى لا يطلع عليها الا
المجردون فيه الاول الذى لم يسبق الى قوله باطنا اقول انه لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية
امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتاخرة
عن وجود الجسم المتاخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك فى موضعه لا جرم لم يلحق ذاته المقدسة وما لها من صفات
الكمال ونعوت الجلال شىء من لواحق الزمان فلم يجز اذن ان يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا وسابق عليه او
كونه قادرا قبل كونه مريدا او كونه حيا قبل كونه عالما ولا كونه اولا للعالم قبل كونه آخرا لهم قبلية وسبقا
زمانيا بقى ان يقال ان القبلية والبعدية قد تطلق بمعنى آخر كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعلية
وقد بينا فى الخطبة الاولى ان كل ما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات ذهنية تحدثها العقول عند
مقايسته الى مخلوقاته وشىء من تلك الاعتبارات لا يتفاوت ايضا بالقبلية والبعدية بامر المعانى المذكورة
بالنظر الى ذاته المقدسة فلا يقال مثلا هو يستحق بهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار او بعده والا لكان كمال
ذاته قابلا للزيادة والنقصان بل استحقاقه بالنظر الى ذاته لما يصح ان يعتبر لها استحقاق واحد لجميعها
دائما فلا حال يفرض الا وهو يستحق فيه ان يعتبر له الاولية والآخرية معا استحقاقا اوليا ذاتيا على
وجه الترتيب وان تفاوتت الاعتبارات بالنظر الى اعتبارنا وهذا بخلاف غيره من الامور الزمانية
فان الجوهر مثلا يصدق عليه كونه اولا من العرض ولا يصدق عليه مع ذلك انه آخر له حتى لو فرضنا عدم
جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه لاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم

اذ كانت

اذ كانت بعض احوالها سابقة على بعض ولا استحقاقه لها لذاته بل بحسب بقاء اسبابه ولا العرض على صدق
انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله باعتبار ما وخلاف المتكلمين فى اى الصفات اقدم مبنى على سوء تصورهم لصانعهم
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا اذا عرفت ذلك فنقول اوليته هو اعتبار كونه مبدأ لكل موجود و
آخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد سبق معنى كونه ظاهرا وباطنا فى الخطبة التى اولها الحمد لله الذى بطن خفيات
الامور الثانى كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصود هذه الكلمة انه تعالى لا يوصف بالقلة وان كان واحدا
وتقرير ذلك ان الواحد يقال بمعان والمشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشىء مبدأ لكثرة يكون عادا لها
ومكيالا وهو الذى يلحقه القلة والكثرة الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة الى الكثرة
التى يصلح ان يكون مبدأ لها والمتصور لاكثر اهل العالم صدق هذا الاعتبار على الله بل ربما لا يتصور بعضهم
كونه تعالى واحدا الا بهذا الوجه ولما كان تعالى منزها عن الوصف بالقلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان
اللازمين لطبيعة الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتها لغيره فى معرض المدح له نفيها عنه
واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحدية بالمعنى المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس انا نبطل
كونه واحدا بهذا المعنى نبطل كونه واحدا فانا بينا صدق الواحد عليه بمعان آخر فى الخطبة الاولى وقد يفهم
من هذا انه لما نفى عنه القلة استلزم ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة
انما يستلزم ثبوت الكثرة عند تعاقبهما على محل من شأنه قبولها وربما قيل ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو
غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال كل مسمى بالوحدة ولم يقل كل واحد ليشعر بان قول الوحدة على
واحديته تعالى وعلى واحدية غيره قول بحسب اشتراك الاسم الثالث وكل عزيز غيره ذليل اقول رسم
العزيز بانه الخطير الذى يقل وجود مثله ويشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فكل واحد من هذه القيود
الثلثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود ان يرجع الى واحد ويستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا لله
سبحانه والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج كل شىء فى كل شىء وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى
والكمال فى صعوبة المنال ان لا يوصل الى حقيقته على معنى الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا له تعالى فهو
اذن العزيز المطلق الذى كل موجود سواه ففى ذل الحاجة اليه وحقارة العبودية بالنسبة الى كمال عزه
فاما العزيز من الخلق فهو الذى توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بالقياس الى من هو دونه فى الاعتبارات
المذكورة فهو اذن وان صدق عليه انه عزيز بذلك الاعتبار الا انه فى ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه
والكل فى تلك الاعتبارات وذلك من هو اعلى منه الى ان ينتهى الى العزيز المطلق الذى لا يلحقه ذل باعتبار ما
فلذلك اثبت عليه السلم الذل لكل عزيز سواه الرابع وكل قوى غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة
ويقابلها الضعف وكل من هو دونه وان اتصف بالقوة بالنسبة الى من هو تحته كان ضعيفا بالنسبة اليه وكذلك من هو فوقه الى ان
ينتهى الى تمام قدرة الله فهو القوى الذى لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره وكذلك قوله وكل مالك غيره
مملوك فان معنى المالك يعود الى القادر على الشىء الذى تنفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره وغيره بائن
ولما ثبت ان كل موجود سواه فهو فى تصريف قدرته ومشيته اذ هما مبدأ وجوده ثبت انه هو المالك المطلق

الذي ليست مملوكيته بالقياس الى شيء آخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان صدق عليه بالعرف انه مالك
بالقياس الى من هو دونه ثم لا يخفى عليك مما سلف ان القوي والمالك عليه وعلى غيره قول يجب اشتراك
الاسم اليه اي حسن وكل عالم غيره متعلم لا بشان علمه تعالى بالاشياء على ما مر من التفصيل انما هو لذاته ولم يكن
شيء منه مستفادا من امر آخر وكان علم من سواه انما هو مستفاد بالتعلم من الغير ثم الغير من الغير الى ان ينتهي الى الله
تعالى العالم بالذات لا جرم كان كل عالم سواه متعلما وان سمي عالما لحصول العلم له وكان هو العالم المطلق
الذي لا حاجة به في تحصيل العلم الى امر آخر اصلا حسن وكل قادر غيره يقدر ويعجز اقول قدرته تعالى
يعود الى اعتبار كونه مصدرا لاثاره فاما قدرة الغير فقد يراد بها قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة
لها نحو الافاعيل الاختيارية وبالعجز ما يقابل القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شانه ان يقدر كما في حق
الواحد منا وقد يراد بهما اعتباران آخران يتقابلان اذا عرفت ذلك فنقول القادر المطلق على كل مقدور
هو مستند كل مخترع وموجود اختراعا ينفرد به ويستغني فيه عن معونة غيره وذلك انما يتحقق في حق الله سبحانه
فاما كل منسوب الى القدرة سواه فهو وان كان بالجملة ذا قدرة الا انها ناقصة لتناولها بعض الممكنات
فقط وقصورها عن البعض الآخر وعدم تناولها اذ كانت لا تصلح المخترعات وان نسب اليه ايجاد شيء
فلانه فاعل اقرب وواسطة بين القادر الاول سبحانه وبين ذلك الاثر لا لذاته استقلالا وتفردا به على
ما علم في مظانه فكل قادر سواه فلذاته يستحق العجز وعدم القدرة وبالنسبة الى ما يمكن تعلق قدرته به من
ساير المخترعات والممكنات وانما يستحق القدرة من جوده تعالى وهو اذن الفاعل المطلق الذي لا يعجزه
شيء عن شيء ولا يستعصي على قدرته شيء اصلا حسن وكل سامع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب
عنه ما بعد منها اقول حس السمع في الحيوان عبارة عن قوة تنفذ من الدماغ الى الاذن في عصبة نابتة منه الى
الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة آلة هذه القوة والصوت هيئة تحصل في الهواء من تموج يحصل بشدة
اما من قرع يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة واما من قلع شديد فيقع
الهواء بين الجسمين المنفصلين الصلبين ويحصل من السببين تموج الهواء على هيئة مستديرة كما يفعل وقوع الحجر في
الماء فاذا انتهى ذلك التموج الى الهواء الذي في الاذن تحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة فينفعل
العصبة المفروشة على الصماخ عن تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هناك فهذا الادراك يسمى سماعا اذا عرفت
ذلك فاعلم ان ادراك هذه القوة للصوت يكون على قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص فانه
ان كان الصوت ضعيفا او بعيدا جدا لم يحصل بسببه تموج الهواء ثم يصل الى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك
معنى قوله يصم عن لطيف الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان قلت لم خص اللطيف بالصمم عنه والبعيد
بالذهاب عليه قلت يشبه ان يكون لان البعيد في مظنة ان يسمع وانما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل
اليه واما الخفي فلما لم يكن من شانه ان يدركه القوة السامعة اشبه عجزها عن ادراكه الصمم فاستعير لفظه له
واما ان كان الصوت في غاية القوة والقرب فربما احدث الصمم وذلك لشدة قرعه الصماخ وتفرق اتصال
الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتادية القوة الى الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان

وضعف

وضعفه ولما كان الباري تعالى منزها عن الجسمية وتوابعها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات
وذهاب بعيدها والصمم من كبيرها مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك
واستلزم ذلك في معرض مدحه تنزيهه سبحانه عنها واذ ليس سميعا بالمعنى المذكور وقد نطق القران باثبات
هذه الصفة له فهو سميع بمعنى انه لا يعزب عنه ادراك مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوى بل هو ادق واخفى ويسمع
حمد الحامدين ودعاء الداعين وذلك هو السمع الذي لا يتطرق اليه الحدثان اذ لم يكن بآلة واذن حسن
وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام اقول خفي الالوان مثلا كاللون في الظلمة واللطيف
قد يكون بمعنى عديم اللون كالهواء وقد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف
بالمعنيين غير مدرك بالعيان واطلق لفظ العمى مجازا اذ كان عبارة اما عن عدم البصر مطلقا او عن عدمه
عما من شانه ان يبصر ولا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير الله فلم يكن عدم ادراكها عمى حقيقيا
بل لكون العمى من اسباب عدم الرؤية اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهذا الحكم في معرض
مدحه يستلزم تنزيه بصره عن لواحق العمى ومظنته اذ كان سبحانه منزها عن معروض العمى والبصر ومنعا لما
من ان يكون ادراكه بحدقة واجفان وانطباع الصور والالوان وان كان لشيء هو يرى حتى لا يعزب
عنه ما تحت الثرى واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو البصير باعتبار انه مدرك لكمال صفات المبصرات وذلك
الاعتبار اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات حسن وكل ظاهر غيره غير
باطن اقول ظهور الاشياء هو انكشافها للحس او للعقل انكشافا بينا ويقابله بطونها وهو خفاؤها عن احدهما
ولما ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس ولما قام البرهان على انه تعالى
بريء عن انحاء التراكيب الخارجية والعقلية وجب تنزه ذاته المقدسة عن اطلاع العقول عليها فعلم من
هذا الترتيب انه لا يشارك الاشياء في معنى ظهورها وقد وصف نفسه بالظاهر فيجب ان يكون ظهوره
عبارة عن انكشاف وجوده لابصار بصائر عباده في جزئيات آثاره كما قال تعالى سنريهم آياتنا
في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وان كانت مشاهدة الحق لتلك المرات متفاوتة
ودرجات متصاعدة كما اشار اليه بعض مجودي السالكين ما راينا شيئا الا وراينا الله بعده فلما ترقوا
عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والحضور قالوا ما راينا شيئا الا راينا الله معه فلما ترقوا قالوا ما راينا
شيئا الا وراينا الله قبله فلما ترقوا قالوا ما راينا شيئا سوى الله والاولى مرتبة الفكر والاستدلال
عليه والثانية مرتبة الحدس والثالثة مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزته
واعتبار الوحدة المطلقة محذوفا عنها كل لاحق واذا عرفت معنى ظهوره علمت ان شيئا من الممكنات
لا يكون له الظهور المذكور فانه وان كان لبعض الاشياء في عقل او حس الا انه ليس في كل عقل وفي كل
حس اذ كل مطلع على شيء فالذي خفي عنه اكثر مما اطلع عليه فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس وهو تعالى
الظاهر لكل شيء وفي كل شيء لكونه مبدأ كل شيء ومرجع كل شيء العاشر وكل باطن غيره فهو ظاهر وقد عرفت
معنى البطون للممكنات وظهورها وعلمت ايضا مما سبق ان كونه باطنا يقال بمعنيين احدهما انه الذي خفي

قدس ذاته عن اطلاع العقول عليه والثاني انه الذي بطن جميع الاشياء خبرة ونفذ فيها علمه ثم علّلت الظاهر المقابل
بمعنى الاول فاما المقابل للثاني فهو الذي لم يطلع الا على ظواهر الاشياء ولم يكن له اطلاع على بواطنها فقال فلان
ظاهري اذا عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره سواء كان المراد بالبطون خفاء التصور او نفوذ
العلم في البواطن فهو ظاهر بالقياس اليه تعالى ظهورا بالمعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي
على بعض العالمين لم يخف على غيره وان خفي على الكل فهو ظاهر في علمه تعالى وممكن الظهور في علم غيره فليس اذن
يخفى مطلقا وهو تعالى الباطن الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان
كل عالم وان جل قدره فله احاطة ببعض المعلومات وهو قاصر عن بعضها وبعضها غير ممكن له وهو تعالى
الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس
اليه وفي بعض النسخ وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى التعقيب ان كل
ممكن ان كان ظاهرا منكشفا لعقل او حس لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا
خفيا عن العقل او الحس لم يوصف مع ذلك بانه ظاهر وهو تعالى الموصوف بانه الباطن الظاهر معا
وفي هذه النسخة نظر فانا انما اثبتنا كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين وفي بعض الممكنات ما هو
كذلك كالزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته على جمهور الحكماء واضطرب
فيه اقوال العلماء وكذلك العلم فليس اذن كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير ظاهر والله اعلم
الحادي عشر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان الى قوله شاء اقول انه تعالى لا يفعل لغرض ومتى كان كذلك
كان منزها عن خصوصيات هذه الاغراض اما الاول فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك الغرض
وعدمه بالنسبة اليه تعالى اما ان يكونا على السواء اولا والاول باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا
من غير مرجح والثاني باطل لانه اذا لم يستويا كان حصول الغرض اولى به فيكون حصول ذلك الغرض
معتبرا في كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال ليست اولوية الغرض بالنسبة الى ذاته
بل بالنسبة الى العبد اذ غرضه الاحسان الى الغير لانا نقول غرض الاحسان الى الغير وعدمه ان كانا
بالنسبة اليه على السواء عاد حديث الرجحان بلا مرجح وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنقصان
واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض وكل ما ذكره في هذا الفصل من تشديد سلطان وتقوية او
تخوف عاقبة زمان او استعانة على ند وشريك وضد اغراض علمت صدق قوله انه لم يخلق شيئا من
خلقه لشيء من هذه الامور وهذا تنزيه من طريق نفي الغرض المطلق واما تنزيهه تعالى عن خصوصيات هذه
الاغراض فلان تشديد السلطان انما يحتاج اليه ذو النقصان في ملكه ولما كان تعالى هو الغني المطلق في
كل شيء عن كل شيء صدق ان ذلك ليس بغرض له مما خلق واما التخوف من عواقب الزمان فلان التضرر
والانتفاع ولواحقهما من الخوف والرجاء ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة للنقصان والكمال
وما هو في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شيء لم يتصور ان يكون احد هذه
الامور غرضا له وكذلك الاستعانة على الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من العجز

وذلك

وذلك من لوازم الضعف والعجز والخوف واذ لا عجز فلا استعانة فلا ند ولا شريك ولا ضد وكذلك قوله
لا ند ولا شريك ولا ضد فلا استعانة والغرض تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوقين وخواص المحدثين **قوله**
لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون اي بل خلائق خلقهم بمحض وجوده وهو فيضان الخير منه على كل قابل
بقدر ما يقبله من غير بخل ولا منع وتعويق وبذلك الاعتبار كان كل شيء مربوبا له وهو رب كل شيء وكل عبد ذليل
وهو مالكه ومولاه **قوله** لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن اشارة الى وصفه بسلب كونه ذا محل وحال
في تنزيهه تعالى عن المحل كلام طويل والمنقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التبعية وظاهر ان
الحلول بهذا المعنى على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتأخرين
نصير الدين الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشيء في الشيء لا يتصور الا اذا كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط
المحل واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول لما كان
الكون في المحل والتنائي عنه والمباينة له امورا انما يقال على ما يصح حلوله فيه ويحله وكان هو تعالى منزها عن الحلول
وجب ان يمتنع عليه اطلاق هذه الامور فاذ ليس هو حالا في الاشياء فليس هو بكائن فيها واذ ليس بكائن
فيها فليس بناء عنها ولا بائن لها **قوله** لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ الاعياء انما يقال لذي
الاعضاء من الحيوان واذ ليس تعالى بجسم ولا ذي آلة جسمانية لم يجز ان يلحقه الاعياء وانما قال ما ابتدأ ليكون سلب
الاعياء عنه ابلغ اذ ما ابتدئ من الافعال يكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصريفه لجميع الذوات والصفات
وابقاء تصريفها كليا وجزئيا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن **قوله** ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان العجز
عليه محال وقد سبق بيانه **قوله** ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر اشارة الى كمال علمه ونفي
الشبهة ان تعرض له واعلم ان الشبهة انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة غير الضرورية
وذلك انك علمت ان الوهم لا يصدق حكمه الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها
كاذب فالعقل حال استنباطه لوجه الحق فيها يكون معارضا بالاحكام الوهمية فاذا كان المطلوب
غامضا فربما كان في الاحكام الوهمية ما يشبه بعض اسباب المطلوب فتصوره النفس بصورته و
تعتقده مبدأ فينتج الباطل في صورة المطلوب وليس به ولما كان الباري تعالى منزها عن القوى البدنية
وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض لقضائه ولا قدره شبهة او يدخل عليه فيه شك لكونهما من عوارضها وقد
عرفت معنى القضاء والقدر فيما سبق **قوله** بل قضاء متقن وعلم محكم اي بريء من فساد الشبهة والغلط و
قوله امر مبرم اشارة الى قدره الذي هو تفصيل قضائه المحكم وظاهر ان تفصيل المحكم لا يكون الا محكما **قوله**
المأمول مع النقم المرهوب مع النعم اقول منبع هذين الوصفين هو كمال ذاته وعموم فيضه وانه لا غرض له وانما
الجود المطلق والهبة لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعد بالاستغفار والشكر لافاضة
الغفران ورفع النقم فيفيضها عليه مع تعاليه عن نقم لديه كان تعالى مظنة الامل والفزع اليه في رفع ما حل
واتقاء ما اتى حتى انه تعالى هو المفيض لصورة الامل واليه اشار بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من

ثم عدل الى الآيات وذلك حال انا منه نعمة لان العبد قد يستعد بالفكر للاعراض عن شكره كان من الخذلان
الا ان يفيض عليه بوادر نعمة يسلبها فكان هو المأمول مع النعم المرهوب مع النقم هو المستعان به عليه وهو
الذي لا مفر منه الا اليه ومن عداه فلولا نعمته غير مجامع لامل رحمته وقيام نعمه معانه لشمول رحمته فلا مأمول
ولا مرهوب في كل حال لمن سواه وبالله العصمة والتوفيق ومن كلام له عليه السلام كان يقول لاصحابه في
بعض ايام صفين. معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبى للسيوف
عن الهام واكملوا اللأمة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبا
وصلوا السيوف بالخطى واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله فعاودوا الكر واستحيوا من الفر
فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا وعليكم بهذا
السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر
للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم اقول المشهور ان
هذا الكلام قاله عليه السلام لاصحابه في اليوم الذي كان مساءه ليلة الهرير وروي انه قاله في اول ايام اللقاء بصفين
وذلك في صفر سنة سبع وثلثين استشعرت الشيء اتخذته شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب والجلباب
الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقاصي الاضراس ونبا السيف اذا رجع في الضريبة ولم يعمل
واللأمة بالهمزة الساكنة الدرع وبالمد [illegible] مع تخفيف الميم جميع آلات الحرب والقلقلة التحريك والخزر
نظر الذي حنق العين وصغرها وذلك بمنتهاها والنظر بمؤخرها عند الغضب والطعن الشزر يكون
الذي الضرب في غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبا جمع ظبة وهي طرف السيف والمنافحة المضاربة
باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب وهو العاقبة والسجح السهل والسواد العدد الكثير والرواق
بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد
ولن يتركم اي ينقصكم واعلم ان هذه الاوامر مشتملة على تعليم كيفية الحرب والمقاتلة وهي كيفية يستلزم الاستعداد
بها افاضة النصر احدها الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق
وفائدة هذا الامر الصبر في الحرب وامتثال جميع الاوامر الباقية اذ خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره
ولذلك قدمه الثاني الامر باتخاذ السكينة جلبابا والمراد الثبات الشامل لهم فان منزلة الملحفة في شمولها
للبدن والشمول هو وجه الاستعارة وفائدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان الطيش
والاضطراب يستلزمان الفشل وطمع العدو الثالث الامر بالعض على النواجذ وفائدته ما ذكر وهو ان
ينبو السيف عن الهامة وعلته ان العض على الناجذ يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ
فيقاوم ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود الى المصدر الذي دل عليه عضوا
كقولك من احسن كان خيرا له وقال بعض الشارحين هي كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة ليس
المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا لو قطع عن التعليل الا انه غير مراد هنا لانه يضيع تعليله بكونه انبا
للسيوف عن الهام الرابع الامر باكمال اللأمة واكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل ان يريد باللأمة

جميع

جميع آلات الحرب وما يحتاج اليه فيه وفائدته شدة التحصن الخامس الامر بقلقلة السيوف في الاغماد
وفائدته سهولة جذبها حال الحاجة اليها فان طول مكثها في الاغماد يوجب صدأها وصعوبة مخرجها حال الحاجة
السادس الامر بلحظ الخزر وذلك من هيئات الغضب فان الانسان اذا نظر من غضب عليه نظره خزرا
وفائدته امور احدها انه اهيب والثاني استثارة الغضب والثالث ان النظر بكلية العين الى العدو امارة الفشل
ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو والرابع ان النظر بكليتها اليه يوجب له التنطع
والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له وفطنة لاخذ غرته السابع الامر بالطعن الشزر
وذلك ان الطعن يمينا وشمالا يوسع المجال على الطاعن ولان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه
وشماله الثامن الضرب باطراف السيوف وفائدته ان مخالطة العدو والقرب الكثير منه يشغل عن
التمكن من ضربه التاسع الامر بوصل السيوف بالخطى وفائدته امران احدهما ان السيف ربما يكون قصيرا
فلا ينال الغرض به فاذا انضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفيه قول الشاعر اذا قصرت
اسيافنا كان وصلها. خطانا الى اعدائنا فنضارب. وقول الآخر. نصل السيوف اذا قصرن
بخطونا. يوما ونلحقها اذا لم تلحق. وقيل له عليه السلام ما اقصر سيفك فقال اطوله بخطوة الثاني ان الزحف
في الحرب الى العدو والتقدم اليه خطوات في حال المكافحة يكسر توهم الضعف في عدوه ويلقي في قلبه
الرعب ويريه اظهار الرهبة واليه اشار حميد بن ثور الهلالي. ووصل الخطى بالسيف والسيف بالخطى. اذا
ظن ان المرء ذا السيف قاصر. ثم لما اراد تاكيد تلك الاوامر فيهم وان يزيدهم اوامر اخرى اردف
ذلك بامرين احدهما ان الله تعالى يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم بعين الله والباء
هنا كهي في قولك انت مني بمرأى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله تنبيها لهم على
فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي فيثبتوا على قتال
عدوهم كما يثبتون مع رسول الله صلى الله عليه وآله العاشر الامر بمعاودة الكر وذلك عند التوجه للقتال والانحياز
الى الفئة وان يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب اي انه عار في عاقبة
امركم وسبة باقية في خلفكم والعرب تستقبح الفرار كثيرا الثاني كونه نارا يوم الحساب اي يوجب استحقاق
النار وهو من كبائر المعاصي وجعله نارا مجازا تسمية له باسم غايته وهو تذكير لهم بوعيده تعالى ومن
يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم
وبئس المصير الحادي عشر قوله وطيبوا عن انفسكم نفسا وهو تسهيل للموت عليهم الذي هو غاية ما يخوفه
من الشدائد في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل من الحياة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما اعد لهم
من الثواب الباقي وهذا كما يقول احدنا للمنفق مالا يرجو لو طب نفسا عما ذهب منك فان الصدقة
مضاعفة لك عند الله وتجده خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز واشار بها الى النفس المدبرة
لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزائل الثاني عشر الامر بالمشي الى الموت مشيا سهلا لا تكلف
فيه ولا تجشم فان المتكلف سريع الفرار وهو امر لهم بالتأني الى غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا نفوسهم

عبر او نفروا وابرعوا الى الحرب اذ من العادة ان يستنفر الشجاع بمثل ذلك فيسارع الى ما دعيه لما يتصوره
فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة وروي بمعنى واحد والمعنى واحد و قوله عليكم بالسواد الاعظم اقول لما
نحذهم بالاوامر المذكورة عين مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق
المطنب الى مضرب معوية وكان معوية اذ ذاك في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله من اهل
الشام مائة الف قد تعاهدوا ان لا يفرجوا عنه حتى يقتلوا وعين لهم وسط الرواق واغراهم به
بقوله ان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان معوية وقيل عمرو بن العاص فانه لما كان الشيطان
لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية في اصحابه كذلك عنده عليه السلم لا جرم
اطلق عليه لفظ الشيطان وقد سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان المطلق
ولما كانت محال الفساد هي مظنة ابليس وكان المضرب قد ضرب على غير طاعة الله كان محلا
للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره و قوله قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية
عن تردد معوية وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان شجعوا نكص وهرب او عن الشيطان
على سبيل استعارة الوثبة والنكوص واليد والرجل ويكون تقديم يده للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب
معوية الحرب والمعصية وتأخيره للنكوص الرجل كناية عن تهيئه للفرار اذا التقى الجمعان كما حكى الله
سبحانه عنه فلما تراءى الجمعان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم الآية فان قلت فما معنى نكوص
الشيطان على رأي من فسره بالقوة الواهمة ونحوها قلت لما كانت وسوسته تعود الى القائه الى النفس
صورة ما يحكم به لها قطعا دون امر آخر كما حكى الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
الآية كان نكوصه يعود الى اعراض الوهم عند حضور الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك الحكم ورجوعه عنه
وهو معنى قوله اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون وذلك ان الوهم اذ حكم بالحرب والاقدام فانه
عن المخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه ويكون اذ ذاك قوله اني اخاف الله والله شديد العقاب
موافقة لحكم العقل فيما كان يراه من طاعة الله بترك المعصية بالحرب وكل ذلك من تمام اغراء اصحابه
باهل الشام وتنبيههم على ان باعثهم في حرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع
والاعراض عنهم الثالث عشر امرهم بقصد عدوهم مؤكدا لذلك بتكريره اي اصمدوا له صمدا الى غاية
ان ينجلي لكم عمود الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر من الصبح لما ذكرناه من جهة الوضوح
والجلاء فالصبح للحس والحق للعقل ولفظ التجلي ترشيح الاستعارة كنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى
ان يتضح لكم ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وقهره اذ الطالب لغرضه سريع الانفعال قريب الفرار
في المقاومة و قوله وانتم الاعلون الآية تسكين لنفوسهم وبشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر
كما بشر الله تعالى به الصحابة في قتال المشركين وتثبيت لهم على المضي في طاعته فان حزب الله هم الغالبون
وقوله ولن يتركم اعمالكم تذكير لهم بجزاء الله لهم اعمالهم في الآخرة وبعث لهم بذلك على لزوم العمل وبالله
التوفيق ومن كلام له عليه السلم لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلم انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله

قال

قال ما قالت الانصار قالوا قالت منا امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه واله
وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة عليهم فقال عليه السلم لو كانت الامارة فيهم
لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول صلى الله عليه واله فقال احتجوا بالشجرة واضاعوا
الثمرة اقول الانباء التي بلغته عليه السلم هي اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة
واتفاقهم البيعة لابي بكر وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله ص اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة
وهي صفة وهي سقيفة كانوا يجتمعون بها فخطبهم سعد بن عبادة وهو مريض خطبة واغراهم بطلب الامامة وقال
ان لكم سابقة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله ص لبث في قومه بضع عشرة سنة
يدعوهم الى عبادة الرحمن فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه
ضيما حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار بدينه فكنتم اشد الناس
على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامره ودانت لاسيافكم العرب والله
ثم لتوفيكم الوعد وتوفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر فانتم احق الناس به فاجابوه جميعا
ان وفقت واصبت ولن نعدوا ان نوليك هذا الامر واتصل الخبر ابا بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة
فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله
صلى الله عليه واله وانتم انصار الدين ووزراء رسول الله ص واخواننا في كتاب الله وانتم المؤثرون
على انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم وان لا تكونوا انتقاض
هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى بيعة ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو عبيدة
ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار وثاني اثنين وامرك رسول الله ص
بالصلوة فانت احق بهذا الامر فقالت الانصار نحن اصحاب الدار والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا
وفي بلادنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلوة الا في مساجدنا فنحن اولى بهذا الامر
فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها
من غيركم فقال الحباب بن المنذر نحن والله احق بهذا الامر انه قد دان لهذا الامر باسيافنا من لم يكن
يدين له وان لم ترضوا اجليناكم عن بلادنا انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها
جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف فقام بشير بن سعد الخزرجي وكان يحسد
سعد بن عبادة ان يصل اليه هذا الامر وكان سيدا في الخزرج وقال انا لم نرد بجهادنا واسلامنا
الا وجه ربنا لا غرضا من الدنيا وان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره واتقوا الله ولا
تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر وقال هذا عمر وابو عبيدة بايعوا ايهما شئتم فقالا لا نتولى
هذا الامر غيرك وانت احق به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه وبايعه بشير بن سعد وبايعه الاوس
كلها وحمل سعد بن عبادة وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي ممتنعا من البيعة حتى مات بحوران
في طريق الشام ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذي رواه عن رسول الله ص فحجة عليهم فهو صحيح الفحوى

مسلم والبخاري في مسنديهما عن انس قال ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله
وهم يبكون فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج وقد عصب
على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار
فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما
وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو في صورة شرطية متصلة استثني فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة فيهم
لما كانت الوصية بهم لكنها بهم فليست الامامة فيهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة
ونحوها انما يكون الى الرئيس في حق المرؤوس من غير عكس واما بطلان التالي فلظهور الخبر المذكور واما قوله احتجوا
بالشجرة واضاعوا الثمرة فاشار بالثمرة اما الى نفسه واهل بيته فانهم ثمرة الغصن المورق المثمر لتلك
الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش استعار لفظ الثمرة لنفسه وقد عرفت فرعيته عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وكونه ثمرة له واضاعتهم لها اهمالهم له عن هذا الامر ويحتمل ان يريد بالثمرة التي اضاعوها سنة الله
الموجبة في اعتقاده استحقاقه لهذا الامر وظاهر كونها ثمرة الرسول صلى الله عليه وآله واهمالهم لها تركهم العمل بها
في حقه وهو كلام في قوة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار وتقديره انهم ان كانوا اولى
من الانصار لكونهم شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فنحن اولى لكوننا ثمرته وللثمرة اختصاص بالمثمر من وجهين احدهما
القرب ومزيته ظاهرة والثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها فان كانت
الشجرة معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى ان لا التفات الى الشجرة ويلزم
من هذا الاحتجاج احد امرين اما تقاة الانصار على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه عليه السلام احق بهذا الامر
وهو المطلوب والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام** لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه
وقتل وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة ولو وليته اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم الفرصة بلا
ذم لمحمد بن ابي بكر ولقد كان الي حبيبا وكان لي ربيبا **اقول** كان عليه السلام ولى محمد بن ابي بكر مصر
فاضطرب الامر عليه بعد صفين وقوي امر معوية وطمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص بايع معوية على
ان يكون معه في قتال علي ويكون مصر له طعمة فبعثه اليها بعد صفين في ستة آلاف فارس وقد كان
بها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمان وكانوا يزعمون ان محمدا قتله فانضافوا الى عمرو وكان معوية
كتب الى وجوه اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب محمد بن ابي بكر
الى علي بالقصة يستمده بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعو اهل مصر لقتال عمرو
فانتدب معه منهم اربعة آلاف رجل فوجه منهم الفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو وبقي هو
في الفين فابلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسنا وقتل من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل حتى قتل هو
ومن معه فلما قتل تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو يطلب محمدا فهرب منه متخفيا فالتجأ الى خربة فاختفى
فيها فدخل عمرو فسطاطه وخرج معوية بن حديج الكندي وكان من امراء جيش عمرو في طلب محمد فظفر به
وقد كاد يموت عطشا فقدمه فضرب عنقه ثم اخذ جثته فجعلها في جوف حمار ميت واحرقه وقد

كان علي عليه السلام وجه لنصرته مع مالك بن كعب الى مصر نحوا من الفي رجل فسار بهم خمس ليال وورد
الخبر الى علي بقتله واخذ مصر فجزع عليه جزعا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا
وقد كنت اردت الفصل والانهاز النهوض لتناول الشيء والفرصة النهضة وهي ما امكنك من نفسه
وانما اراد توليته هاشم لقوته في هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم هذا ابن عتبة بن ابي وقاص الذي كسر
رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكلم شفته وكان هاشم من شيعة علي والمخلصين في ولايته وشهد معه
حرب صفين وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها وقوله لما خلى لهم العرصة اي عرصة الحرب كما
خلى محمد وظن انه يحوزها ولو ثبت معه الناس وقتل كريما وقوله ولا انهزهم الفرصة كني بالفرصة
عن مصر اي ولم يمكنهم منها ولما كان تمكينهم مع محمد وقوله بلا ذم لمحمد اي لست في ذمي لهاشم ذاما لمحمد ونبه على
برائته من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان لي حبيبا وظاهر انه عليه السلام لا يحب الا مرضيا لله ورسوله
بريا من العيوب الفاضحة وقد كان محمد رضه من نساك قريش وعبادها الثاني انه كان ربيبا وذلك
مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا فلان ام محمد هي اسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر بن ابي
طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها ابو بكر فاولدها
محمدا ثم مات عنها فتزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه ونشأ في ولايته منذ صباه وكان علي يحبه ويكرمه
ويقول محمد ابني من ظهر ابي بكر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذم اصحابه كم اداريكم
كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر كلما اطل عليكم منسر
من مناسر اهل الشام اغلق كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها الذليل
والله من نصرتموه ومن رمي بكم فقد رمي بافوق ناصل انكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات
واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اضرع الله خدودكم
واتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل كابطالكم الحق **اقول** البكار
جمع بكر وهو الفتي من الابل والعمدة هي التي شدخ اسنمتها ثقل الحمل والحوص الخياطة وتهتكت
واطل اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين والعكس القطعة من الجيش من المائة الى المائتين ووجر
وانجحر الضب دخل جحره وجحر الضبة وبيت الضبع وجاره والافوق الناصل السهم لا فوق له ولا نصل
والباحة ساحة الدار والاود الاعوجاج واضرع اذل واتعس اهلك وهذا الفصل يشتمل على توبيخ
اصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذكر وجوه التوبيخ الاول حاجتهم الى المداراة
الكثيرة وليس من شيم الرجال ذوي العقول بل من شأن البهائم ومن لا عقل له وشبههم في حاجتهم
الى المداراة تشبيهين احدهما بالبكار التي قد انهكها حملها ووجه الشبه فيها وفيهم هو قلة صبرهم وشدة
اشفاقهم وفرارهم من التكليف بالجهاد ومستعانهم كالمشتد جرجرة البكر العمدة وفراره من معاودة
الحمل الثاني في بالثياب المتداعية وهي التي تخرقت فلما انخرق في مثل حاله ووجه الشبه ما ذكره
وهو قوله كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر اي كان الثياب المتداعية كذلك اصحابه كلما اصلح حال

بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه الثاني شهادته عليهم بالجبن والخوف وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها
وكنى باغلاق كل منهم بابه عند سماعهم بقرب بعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال وكراهية سماعهم الحرب و
شبههم في ذلك الخوف والفرار بالضبة والضبع حين ترى الصايد اذا مرا تخافه وانما خص الاناث لانها اولى
بالتحاذر من الذكران الثالث وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فخسته فا وصف الذل بقوله الذليل والله من نصرتموه
فانه انما يكون ذليلا لكونهم لك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء آرائهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في ذلك
بحصر الذل لكل منتصر بهم في نصره وصنه فا قلة الانتفاع بهم بقوله ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل استعار
لهم من اوصاف السهم اردأها وكنى بذلك عن عدم فايدتهم ونكايتهم في العدو كما لا فايدة في الرمي بالسهم الافوق
الرابع وصفهم بالكثرة في المجامع والاندية مع قلتهم في الحرب وتحت الالوية وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا
والعار به فان قلة الاجتماع في الحرب والتفرق عنه من لوازم الخوف وكان مقابل هذا الوصف وهو الجمع
والكثرة في الحرب مع القلة في غيره مدح كما قال ابو الطيب. ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا. قليل اذا عدوا
كثير اذا شدوا. فالحري ان كان هذا الوصف ذما كما قال عريف القوافي السنم اقل الناس عند لقايهم
واكثرهم عند الذبيحة والقدر. قوله واني لعالم الى قوله اودكم اراد انه لا يصلحهم الا السياسة بالقتل ونحوه
كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج روي انه نادى في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث فقد
احل دمه وقتل جماعة فخرج الناس الى المهلب يهرعون وكما يفعله كثير من الملوك و قوله ولكني لا ارى اصلاحكم
بافساد نفسي اي لكني لا استحل من ذلك ما استحله ملوك الدنيا من رعيتهم اذا ارادوا اثبات ملكهم
ولو بفساد دينهم لاجرم لم ير اصلاحهم بالقتل اذ كان اصلاحهم بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم الآثام لها
وما كان من الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان لغيره على اصلاح نفسه او لم يتصور من فعله
ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل على وجه من المصلحة فان قلت الجهاد بين يدي الامام العادل
واجب وله ان يحملهم عليه على ما يستجيز فلم قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب فيه
القتل كما في ان في العلاء لو شرع في عقوبتهم بالقتل على ترك الجهاد ومعه تفرقوا عنه الى خصمه او سلموه اليه
او اتفقوا على قتله وكل هذه مفاسد اعظم من قعادهم عن عونه لهم في بعض الاوقات. قوله اضرع الله
خدودكم دعا عليهم بالذل وهلاك الحظ ثم نبههم على استحقاقهم لدعائه وهي الجهل ثم ما نشأ عنه من ظلم انفسهم
اما الجهل فعدم معرفتهم الحق كمعرفتهم الباطل واراد به ما يلزمهم من اوامره واراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم
باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال بها عن اوامره ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبه
الباطلة في قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف والتخاذل عن الحرب ويكون مكاثرتهم بين معرفتهم الباطل
والحق شبهها على قوة جهلهم المركب وهو اشد الجهل وغاية توبيخهم لكونهم على شقي الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم
الحق والمركب هو تصديقهم بالباطل واما الظلم فهو ابطالهم الحق وذلك اشارة الى تقاعسهم عن طاعته
وتصاممهم عن سماع ندائه واجابته وعدم ابطالهم الباطل اشارة الى عدم انكارهم منكر من افعالهم وعزمهم
وبالله التوفيق و قال عليه السلم في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني عيني وانا جالس فسنح لي رسول الله صلعم

فقلت

فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا منهم
وابدلهم بي شرا لهم مني اقول السحرة السحر الاعلى واما كيفية قتله عم فمذكور في التواريخ وقوله ملكتني عيني استعارة
حسنة ويجوز في التركيب اما الاستعارة فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخول النائم في غلبة النوم
وقهره ومنعه له ان يتصرف في نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرف في امره واما التجوز في العين وفي الاسناد
اليها اما الاول فاطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة اذ في انطباق الجفون من عوارضها واما الثاني
فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين والواو في قوله وانا للحال و قوله فسنح اي اراد بالسنح حضور
صورة رسول الله صلعم في لوح خياله كما علمت وشكايته منهم وجواب الرسول له يستلزم امره اياه صلعم ان كان
في غاية الكرب من تقصيرهم في اجابة ندائه ودعوته الى الجهاد حتى انتهى الحال الى قتله لا في عدم رضا رسول الله صلعم
منهم وقوله ابدلهم بي شرا لهم مني لا يستلزم ان فيه شرا كما قدمنا بيانه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم
في ذم اهل العراق. اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمراة الحامل حملت فلما اتمت املصت ومات قيمها وطال
تايمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني انكم تقولون علي يكذب قاتلكم الله
فعلى من اكذب اعلى الله وانا اول من آمن به ام على نبيه وانا اول من صدقه كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها
ولم تكونوا من اهلها ويل امه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نباه بعد حين اقول الملص اسقاط
والايم التي لا بعل لها واللهجة اللسان والقول الفصيح وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وذمهم الا
الاول توبيخهم على تركهم القتال بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام وتخاذلهم الى التحكيم وابرز هذا المقصود
في تشبيههم بالمراة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة هي وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل يشبه استعدادهم وتعبيتهم
للحرب والاتمام يشبه مشارفتهم للظفر والاملاص يشبه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم في الظفر به وذلك رجوع
غير طبيعي ولا معتاد عقلا كما ان الاملاص امر غير طبيعي للحامل ولا معتاد لها ثم موت القيم بامورها وهو زوجها
وطول عزبتها وذلك يشبه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم وذلهم
بعد رجوعهم وتفرقهم الى الخوارج وغيرهم فان موت قيم المراة مستلزم لضعفها ودوام عجزها وذلها ثم كونها قد
استحق ميراثها البعيد عنها لعدم ولدها وزوجها وذلك يشبه من حالهم اخذ من حالهم الذي هو ابعد الناس عنهم
ما لهم من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب تقصيرهم في مقاومته وبهذه الوجوه من الشبه اشبهوا المراة المذكورة
ثم توبيخهم من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التضجر من حاله معهم بانه لم يأتهم ايثارا لمقام بينهم ولكن سوقا قد ربا
اضطره الى ذلك وصدق اذ لم يكن خروجه من المدينة التي هي دار الهجرة ومفارقته منزل رسول الله صلعم وقبره
الى الكوفة الا لقتال اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بقتالهم
ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام فدامت حاجته الى المقام بينهم وروي ولا جئت اليكم شوقا بالشين
المعجمة والمقصود الثاني توبيخهم على ما بلغه من تكذيبهم له فقابلهم على ذلك بالدعاء عليهم القاسية في حقه وذلهم بجهلهم
وقصور اذهانهم عما يفيده من الحكمة وهو قوله ولقد بلغني انكم تقولون يكذب صورة دعواهم المقول عليه وقد كان
جماعة من منافقي اصحابه اذا اخبر عن امور ستكون او كانت ثم اخبر عنها واسند ذلك الى رسول الله صلعم تخادعون

فيما بينهم بتكذيبه فيبلغه ذلك كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين
والقاسطين والمارقين ونحو ذلك من الامور الغريبة التي تستنكرها طباع العوام ولا يعقل اسرارها الا العالمون
بل كانوا يكذبونه بحضرته روي انه لما قال لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل
الانجيل بانجيلهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض
الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء انزلت قال رجل من تحت المنبر يا هذا ما للدعوى الكاذبة وكذلك لما
قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها وتطأ في خطامها يا لها من فتنة شبت نارها
بالحطب الجزل مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة او حولها ذاك اذا استدار الفلك
وقلتم مات او هلك باي واد سلك فقال قوم من تحت منبره لله ابوه ما افصحه كاذبا وكانها اشارة الى
واقعة التتار وقابل دعواهم بامرين احدهما الدعاء عليهم بقوله قاتلكم الله وقد علمت ان مثله يعود الى مشيئة
وابعادهم عن رحمته الثاني الحجة وتقريرها ان الذي اخبركم به من هذه الامور انما هو عن الله وعن رسوله
فلو كذبت فيه لكذبت اما على الله وهو باطل لاني اول من آمن به واول مؤمن به لا يكون اول مكذب له
او على نبيه وهو باطل لاني اول من صدقه واتبعه وقوله كلا والله رد لصدق دعواهم بعد الحجة كانه قال
فاذن دعواكم علي الكذب فيما اخبرتكم به باطلة قوله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويريد بيان
منشأ دعواهم الفاسدة لتكذيبه وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور المستقبلة ونحوها طورا وراء عقولهم
الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام ساير الحيوان وليسوا اهلها لاسرارها بل واشار بلهجة الى تلك الاقوال والاسرار
وغيبتهم عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة امكانها وتحقق مثلها والى غيبتهم عنها عند القاء الرسول صلى الله عليه وآله اياها
اليه وتعليمه لابوابها وتفصيل ما فصل منها وظاهر انه لما كانت عقول اولئك واوهامهم مقهورة تحت
سلطان اوهامهم وكان الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه الاحكام لا جرم لم ينهض عقولهم لتصديقه عليه السلام فيها ولم
يجوزوا اطلاعه عليها بل تابعوا اوهامهم في الحكم بتكذيبه وحاله في ذلك مختصرة من حال رسول الله صلى الله عليه وآله مع منافقي قومه
و قوله ويل امه قالوا ويل كلمة دعاء بالشر او خبر به واضافته الى الام دعاء عليها ان تصاب باولادها
وقيل انها تستعمل للترحم وقيل تستعمل للتعجب واستعظام الامر قوله كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه
عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم والآداب التي لا يريد بها جزاء ولا ثمنا ثم لا يقبلونها ولا ينتفعون بها لنفوسهم لكون
نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها اذن من تلك الانفس ولا قبلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن
كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله ونصب هذا الكيل ان يكون ويل امه دعا بالشر على من لم يقبل
قاله وهم تعيس الحكمة منه والضمير له ان ذلك الوقت وان لم يجر له ذكر سابق مفرد يعود اليه لكنه موجود
في كل شخص منهم فكانه قال وبل لامهم ويحتمل ان يكون ترحما فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم
او من كثرة كيله الحكم عليهم مع اعراضهم عنها و قوله ولتعلمن نبأه بعد حين اقتباس من الآية المقصود منه
اي ولتعلمن نبأ جهلكم واعراضكم عما آمركم به وما القيه اليكم من الحكم والآراء الصالحة ولتكشفن لكم ثمرة ذلك بعد
حين واشار بالحين اما الى مدة الحيوة الدنيا وثمرة اعراضهم اذن الذلة والحسرة على ما فرطوا او بعد الموت

جث

حيث لا ينفع الا الاعمال الصالحة وذلك حين تزول عنهم غواشي ابدانهم وتنقطع نفوسهم علائقها بالموت واما الى
مدة حيوته اي ستعلمون عاقبة خذلكم هذا بعد مفارقتي لكم والعاقبة اذن ابتلاؤهم ممن بعده من بني امية وغيرهم
بالقتل والذل والصغار وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام علم فيها الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله
اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرايف صلواتك
ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات
الاباطيل والدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع قائما بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه
في عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت
به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام واقام بموضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو امينك المأمون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق اللهم افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك نزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات
واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة وتحف الكرامة اقول المدحوات المبسوطات والمسموكات
المرفوعات والدعم ما يحفظ به الحائط ونحوه وجبل خلق والفطرات جمع فطرة وهي الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ والجيشات
جمع جيشة من جاشت القدر اذا ارتفع غليانها واضطلع بالامر قوي على حمله والقيام به من الضلاعة وهي القوة
والاستيفاز الاستعجال والنكول الرجوع والقدم التقدم والوهي الضعف والوعي الادراك والقبس
شعلة النار واورى اوقد واشعل وقد اشتملت هذه الخطبة على ثلثة فصول الاول في صفات المدعو
لمجده وهو الله سبحانه والثاني في صفات المدعو له وهو النبي صلى الله عليه وآله الثالث في انواع المدعو به وذلك على
الترتيب الطبيعي فبدأ بمجد الله تعالى باعتبارات ثلثة احدها كونه داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع
وظاهر كونها مدحوات فان كل طبقة منها اذا اعتبرت كانت مبسوطة فاما صدق البسط على جملة الارض مع انها
كرة فشاهده ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها وقوله والارض مددناها وهو باعتبار
طبقاتها وقد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز من الماء الذي يتصرف عليه الحيوان فانه في الوهم
سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلي محدبا واليه الاشارة بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا
والله جعل لكم الارض بساطا الثاني كونه داعم المسموكات اي حافظ السموات ان تقع على الارض فان قلت
قد قال في الخطبة الاولى بلا عمد يدعمها ثم جعلها هاهنا مدعومة فما وجه الجمع قلت لم ينف هناك كونها مدعومة بعمد
وهذا الاثبات كونها مدعومة بغير العمد وقد بينا هناك ان الدعامة التي تقوم بها السموات هي قدرته تعالى
الثالث كونه جابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اي خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيؤ والاستعداد
لسلوك سبيل الخير والشر واستحقاق الشقاوة او السعادة بحسب القضاء الالهي كما قال تعالى ونفس وما
سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وقوله وهديناه النجدين
اي الهمناه معرفة سلوك طريقي الخير والشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون عن النفس بالقلب وشقيها بدل من

القلوب اي فالق شق القلوب وسويداها في فطراتها المكتوبة في اللوح المحفوظ من افاضات العناية الالهية بتمام عقله
في وفق ما كتب له فاعدته لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد ومن لحقته حبائل الخذلان الالهي فحطته الى
مهاوي الهلاك فذلك هو الشقي البعيد واليه الاشارة بقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد الاية و قوله واجعل
شرايف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك هذا مطلوبه من هذا الدعاء وشرايف صلواته
ما عظم من رحمته وكمال جوده في النفوس المستعدة لها ونوامي بركاته ما زاد منها الفصل الثاني ذكر
لنبيه صلى الله عليه وآله عشرين وصفا هي جهات استحقاق الرحمة من الله وزيادة البركة المدعو بهما الاول كونه عبدالله
وظاهر كون العبودية جهة استحقاق الرحمة الثاني كونه رسوله لان الرسالة نوع خاص من الاستعداد توجب
مزيد الرحمة والشفقة الثالث كونه خاتما لما سبق من انوار الوحي والرسالة بنوره وما جاء به من الدين الحق وظاهر
كون ذلك جهة استعداد منه لقبول الرحمة ودرجات الكمال الرابع كونه فاتحا لما انغلق من سبل الله وطرق
جنته وحضرة قدسه باندراس الشرايع قبله صلى الله عليه وآله تلك السبل بشرعه وكيفية هدايته للخلق فيها الخامس
كونه قد اظهر الحق بالحق والحق الاول هو الدين وما يدعو اليه والثاني فيه اقوال فقيل هو المعجزات اذ بسببها
تمكن من اظهار الدين وقيل الحرب والخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه اي خاصمه فغلبه وقيل هو البيان
اي اظهر الدين بالبيان الواضح واقول الاشبه انه اراد اظهر الحق بعضه ببعض وكل جزئي من الحق حق وذلك ان
الدين لم يظهر دفعة وانما بني الاسلام على خمس ثم كثرت فروعه وبالاصل يظهر الفرع وظاهر كون اظهاره
الحق جهة استحقاق الرحمة السادس كونه دافعا لجيشات الاباطيل اي لثوران فتن المشركين وابتغائهم
لاطفاء انوار الله او لبقيتهم السابقة التي كانت معتادة لهم من الغارات وحروب بعضهم لبعض فان كل ذلك
امور باطلة [illegible] عن الله وذلك الدفع من جهات قبول الرحمة السابع كونه دامغا صولات الاباطيل
وهو قريب من السادس واستعار لفظ الدمغ لهلاك الضلال بالكلية ببركة مقدمه صلى الله عليه وآله ووجه
الاستعارة كون الدمغ مهلكا للحيوان فاشبهه ما اهلك الباطل ومحاه من افعال الرسول صلى الله عليه وآله
والضلال هنا الانحراف عن طريق الله اللازم عن الجهل بها واستعار وصف الصولات له ملاحظة لشبهه بالفحل الخارج
عن سبيل الله الى الفساد ونخوة الجاهلية وشدة فسادهم بالفحل الصايل الثامن كونه حمل الرسالة فاضطلع بما كلف
وقوي عليه وقام بما نصب له الحال وكذلك المنصوبات بعده وهي مستوفزا وغير ناكل [illegible] وكذلك حمل له واعيا و
واعيا وحافظا وقاضيا وقوله كما حمل لطف اي حمل عليه صلى مناسبة تشابه تحميلك له الرسالة
وقيامه بامرها لان الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا لفعل المجزي وله جعل كونها جهة استحقاق طلب مناسبها
من الجزاء التاسع كونه عجلا في رضا الله بامتثال اوامره العاشر كونه غير ناكل فيما يتقدم فيه من طاعة الله الحادي عشر
كونه ماضي العزم في القيام باوامره غير وان فيه الثاني عشر كونه واعيا لوحيه فان ذلك قوة النفس في قبوله
الثالث عشر كونه حافظا لعهده المأخوذ عليه من تبليغ الرسالة واداء الامانة وقد سبق بيان معنى العهد في الخطبة
الاولى الرابع عشر كونه ماضيا في انفاذ امره في العالم وجذب الخلق الى سلوك سبيله الخامس عشر ما انتهى اليه
من الغاية باجتهاده في رضا الله وهو كونه اورى قبس القابس اي اشعل انوار الدين وقدح زناد الافكار

حتى

حتى اظهر انوار العلوم منها للمقتبسين واستعار لفظ القبس لنور العلم والحكمة ولفظ الوري لاظهار الرسول
تلك الانوار في طريق الله وقد سبق وجه الاستعارة السادس عشر كونه اضاء الطريق للخابط في الطريق اي
طريق الجنة وحضرة الالهية واضاءته لها باظهار تلك الانوار وبيانها بتعليم كيفية سلوكها والارشاد اليها والخابط
هو الجاهل الذي قصدت الحكمة الالهية ارشاده حيث كان يخبط في ظلمات الجهل السابع عشر كونه قد هديت به
القلوب الى موضحات الاعلام اي الى الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام هي المطالب الحقة الواضحة
اللازمة عن تلك الادلة بعدما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والاثام اللازمة على حذف من البيان
وذلك امر ظاهر الثامن عشر كونه امين الله اي على وحيه ورسالته والمأمون تأكيد لامانته وقد عرفت معنى
الامانة التاسع عشر كونه خازن علمه المخزون اي علومه اللدنية الغيبية التي لا ينالها كل البشر المشار اليها
بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول العشرون كونه شهيدا يوم الدين لقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي شاهدا يوم القيمة على امته بما
علم منهم من خير وشر فان قلت ما حقيقة هذه الشهادة وما فايدتها مع ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة
قلت اما حقيقتها فيعود الى اطلاعه على افعال امته وبيان ذلك انك علمت فيما سلف ان للنفوس القدسية
الاطلاع على الامور الغايبة والانتقاش بها مع كونها في جلابيب من ابدانها فكيف بها اذا فارقت هذا
العالم والجسم المظلم فانها اذن تكون مطلعة على جميع افعال اممها ومشاهدة لها من خير او شر واما فايدتها
فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم منكر للاله على الوجه الذي هو الحق فلا جرم ان ينكر كونه عالما بجزئيات
افعال عباده ودقايق خطرات اوهامهم وظاهر ان ذلك الانكار يستتبع عدم المبالاة بفعل القبيح والانهماك
في الامور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها فاذا ذكر لهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما يفعلون مع صدق كل
ذلك باحسن تأويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس الامارة بالسوء وقهر الاوهام الكاذبة وردع
النفس عن متابعة الهوى ثم لابد لكل رسول من اتباع في دينه وحفظة لهم شهداء ايضا على من بعده الى قيام الساعة
واذا كان معنى الشهادة يعود الى الاطلاع الحاصل في ذمة المشهود عليه وعلمه بحقيقته وفايدتها حفظ ما في
ذمة المشهود عليه وتخوف ان جحده او لم يوصل الى مستحقه ان يشهد عليه به فيفضحه وينتزع منه على اقبح
وجه وكان هذا المعنى والفايدة قايمين في شهادة الانبياء عليهم السلام اذ بها يحفظ اوامر الله وتكاليفه التي
هي حقوقه الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها من شهادة الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا في محفل القيمة
ويستوفى منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه بالعقاب الاليم لاجرم ظهر معنى كونهم شهداء على خلقه الحادي والعشرون
كونه مبعوثا بالحق وهو الدين الثابت اي الباقي نفعه وثمرته في الآخرة ثم اعاد ذكر كونه رسوله الى خلقه وانما
كرره لانه الاصل في باقي الاوصاف فظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات استحقاق الرحمة والبركة
وافاضة الصلوات الالهية على نفسه القدسية الفصل الثالث في تفصيل المطلوب من هذا الدعاء
وهو قوله اللهم افسح له الخ وطلب امورا احدها ان يفسح له مفسحا في ظلك اي مكانا متسعا في حضرة قدسه وظل جوده
ولفظ الظل مستعار لجوده ووجه المشابهة راحة المستظل بالظل من حر الشمس فاشبهها راحة الملتجي الى جود الله

المستظل به من حرارة جهنم وسعير عذابه واليه الاشارة بقوله تعالى في ظل ممدود والثاني ان يجزيه مضاعفات
الخير من فضله اي يضاعف له الكمالات من نعمه وقد علمت ان لا استحقاق لنعم الله غير متناهية الثالث ان يعلي
على بناء البانين بناءه ويحتمل ان يريد ببنائه ما شيده من الدين فيكون اعلاؤه المطلوب هو اتمام دينه واظهاره
بعده على الاديان كلها ويحتمل ان يريد به ما شيده من الملكات الخيرية واستحقه من مراتب الجنة وقصورها
الرابع ان يكرم لديه منزلته وهو انزاله المنزل المبارك الموعود وقل رب انزلني منزلا مباركا كما
الخامس ان يتم له نوره وهو اما النور الذي بعث به واتمامه انتشاره في قلوب العالمين واما النور الذي
في جوهر ذاته وتمامه زيادة كماله السادس ان يجزيه من بعثته قبول شهادته ورضا مقالته ومقبول القول
اجر وذا منطق نصب على الحال وقبول شهادته كناية عن تمام الرضى عنه اذ من كان مقبول الشهادة مرضي
القول فلا بد ان يكون بريئا من جهات رذائل السخط او كناية عن كونه معتدا به وشهادته من اعمال
امته وغيرها بريئة عن كدر الاغاليط وشوائب الاوهام وكذلك رضا اقواله وشفاعته وغيرها وكونه ذا منطق
عدل اي لا جور فيه عن حق وخطبة فصل اي مميزة بين الحق فاصلة له من الباطل وكل هذه الاعتبارات وان اختلفت
مفهوماتها ترجع الى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كماله عليه السلم وقربه من الله تعالى و **قوله** اللهم اجمع الى آخره
سأل الله ان يجمع بينه وبين الرسول في امور احدها برد العيش والعرب تقول عيش بارد اذا كان [illegible]
فيه من حرب وخصومة وهو في الآخرة يعود الى ثمرات الجنة البريئة من كدر الاتعاب الثاني قرار النعمة اي
مستقرها وهو الجنة وحضرة رب العالمين الثالث منى الشهوات وهو ما تتمناه النفس من المشتهيات واهواء
من اللذات بنعيم الابد الرابع رخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة اي اتساع سكون النفس بلذة معارف الحق والانس
بالملأ الاعلى وامنها من مزعجات الدنيا وراحتها من معاناة آفاتها الخامس تحف الكرامة وهي ثمرات الجنة وقطوفها
الدانية وسائر ما اعده لتحف اوليائه الابرار مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

ومن كلام له عليه السلم قاله لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا اخذ مروان بن الحكم اسيرا يوم الجمل فاستشفع
بالحسن والحسين عليهما السلم الى امير المؤمنين عليه السلم فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا امير المؤمنين فقال
أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ
الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ **اقول** السبة الاست والامرة
بالكسر الولاية وكبش القوم رئيسهم والاشبه من جهة مروان في شأن سبب انتسابه من ذلك وهو انه مظنة الغدر
وذلك قوله انها كف يهودية اذ من شأن اليهود الخبث والمكر والغدر ثم فسر تلك الكناية بقوله لو بايعني
بيده لغدر بسبته وذكر السبة اهانة له لان الغدر اخس الرذائل فنسبه الى السبة اولى والعرب تسلك
مثل ذلك في كلامها كما قال المتوكل يوما لابي العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا واساؤا ثم قال
يا امير المؤمنين ان الله تعالى رضي فمدح فقال نعم العبد انه اواب وسخط فذم فقال عتل بعد ذلك زنيم
والزنيم ولد الزنا ثم ذكر ما سيكون من امر مروان في ثلثة امور احدها انه سيصير امير المسلمين ونبه على قصر مدة
امارته بتشبيهها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو القصر وكانت مدة امرته اربعة اشهر وعشرا وروي

ستة

ستة اشهر وانما خصه بلعقة الكلب لانه في معرض الذم والتحقير الثاني اما كونه في قوله اما انه سيظهر عليكم والثاني
انه سيكون ابا الاكبش الاربعة وكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك وولي الخلافة وعبد العزيز وولي
مصر وبشر وولي العراق ومحمد وولي الجزيرة ويحتمل ان يريد بالاربعة اولاد عبد الملك وهم الوليد وسليمان
ويزيد وهشام وكلهم ولي الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم الثالث ما يصدر منه ومن ذريته من الفساد
في الارض وما يلقى الناس منهم من القتل وانتهاك الحرمة وكنى عن ظلمهم للناس وشدائد ما يلقون منهم بالموت الاحمر
ومن لسان العرب وصف الامر الشديد بالاحمر ولعله لكون الحمرة وصف الدم كنى به عن القتل وروي يوما احمر
وهو كناية عن شدة ايامهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وفساد بني امية ودمارهم للاسلام ما هو مشهور في
كتب التواريخ مسطور **ومن كلام له عليه السلم** لما عزموا على بيعة عثمان لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ
أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ
اقول الزخرف الزينة ويقال الذهب والزبرج النقش والزينة والحلية ايضا وقوله لقد علمتم اني احق بها تنبيه
الى ما علموه من وجه استحقاقه للخلافة وهو استجماعه الفضائل الداخلية والخارجية والنفسية بها للخلافة وهو اما
ان يعود الى ذكرها في فصل تقدم متصلا بهذا الفصل او لشهرتها وكون الحديث فيها قرينة معينة لها كما قال قبل لقد
تقمصها وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اي لاتركن المنافسة في هذا الامر مهما سلمت امور المسلمين من الفتنة
وفيه اشارة الى ان غرضه من المنافسة في هذا الامر هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم وسلامتهم من الفتن
وقد كان اهم بمن سلف من الخلفاء قبله استقامة امره وان كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو ولي هو هذا الامر
فلذلك اقسم ليسلمن ذلك الامر ولا ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين وانشقت عصا الاسلام
وذلك ضد مطلوب الشارع وانما يتعين عليه النزاع والقتال عند خوف الفتنة وقيامها فان قلت السؤال من وجهين
الاول ما وجه منافسته في هذا الامر مع انه منصب يتعلق باحوال الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر منه عليه السلم من الزهد
فيها والاعراض عنها وذمها ورفضها الثاني كيف سلم هاهنا خوف الفتنة ولم يسلم لمعوية وطلحة والزبير مع قيام
الفتنة في حربهم قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله صلعم ليس منصبا دنياويا وان كان متعلقا باصلاح
احوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لانها مزرعة الآخرة ومن زرعها والغرض من اصلاحها انما هو نظام احوال الخلق
في معاشهم ومعادهم فمنافسته عليه السلم في هذا الامر على هذا الوجه من الامور المندوب اليها اذ اعتقد ان غيره لا يغني
غناه في القيام به فضلا ان يقال انها لا تجوز وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة وبين معوية في اقامة حدود الله
والعمل بمقتضى اوامره ونواهيه ظاهر **قوله** ولم يكن فيها جور الا علي خاصة تظلم ممن عدل بها عنه ونسبة لهم الى
الجور ودفعه عن استحقاقها لانه فاصلها اليه من سائر الخلفاء وخاصة نصب على الحال و **قوله** التماسا لاجر ذلك
الى قوله التماسا مفعول له والعامل لاسلمن اي التمس ثواب الله وفضله بتسليمي وصبري وكذلك قوله وزهدا مفعول له
وفيه ايماء الى ان مقصود غيره من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا وزخرفها وبالله التوفيق **ومن كلام له
عليه السلم** لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمان أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي
عَنْ تُهَمَتِي وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ وَبِمَا

القصد وتجاوز اي التعدا قوله قد قرفني بكذا اي اعني به ونسبه الى ورد نيح وحجيجهم حاجهم والخصيم المخاصم قوله اولم
ينه اوما ورنع استفهام عن عدم انتهائهم عن نسبته الى دم عثمن مع علمهم بحاله وقوته في الدين وعصمته عن دم حرام
فضلا عن قتل دم عثمن استفهاما على سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ولنسبتهم اي الجهل بجهلهم بنسبته ما قالوه وسابقته
في الاسلام براءته مما قرفوه به قوله ولما وعظهم الله به الخ من لساني تقدير لفقته في ردعهم عن الغيبة وامثالها
اي اذا كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى وزواجر كتاب الله كقوله ان
بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية وقوله والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القران كثير
والمراد ببيانه وعظه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب قوله انا حجيج المارقين اي الخوارج او كل من خرج
عن دين الله وخصيم المرتابين اي الشاكين في نسبة هذا الامر الي وقيل المنافقين الشاكين في صحة الدين و
قوله على كتاب الله تعرض الامثال الخ اشارة الى الحجة التي يحاجهم ويخاصمهم وتقديرها ان تعلق هذا المنكر بي اما من جهة
اقوالي او افعالي او اعتقاده وارادته والثلثة باطلة فتعلق هذا المنكر به ونسبته اليه باطل بيان الحصر ان
الجنايات هي جنايات صدور المنكر عن الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه ان كان قد حصل في اقوالي وافعالي
ما يشبه الامر بالقتل او فعله مما وقع في نفوس الجهال شبهة القتل كما روي عنه انه سئل عن قتل عثمن فقال الله قتله
وانا معه وكتخلفه في داره يوم قتل عن الخروج فينبغي ان يعرض ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه تعرض الامثال
والاشباه فان دل على كون شيء من ذلك قتلا فليحكم به والا فلا ولن يدل ابدا فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة
قول او فعل واما بطلان الثالث فلان علم ما في القلوب الى الله وهو المجازي بما فيها من خير وشر وليسوا
مطلعين على ما هناك حتى يحكموا بالقتل من جهتها فاذن حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلم رحم الله امرا سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب ربه وخاف ذنبه قدم
خالصا وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب محذورا ورمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب مناه
جعل الصبر مطية نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل
وتزود من العمل اقول الحجزة معقد الازار والمراقبة المحافظة والغراء البيضاء واعلم ان هذا الفصل يشتمل على
استنزال الرحمة لعبد استجمع ما ذكر من الامور وهي عشرون وصفا الاول ان يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة
ووعاؤه لها فهمها ورعايتها بما يستلزم امره بتعلمها وتعليمها وهي اعم من العلمية والعملية ووعاؤها اي فهمها كما
القيت اليه الثاني ان يكون اذا دعي الى رشاد دنا من الداعي اليه واجاب دعاءه وارشاده بعودا الى ما يعده
ويرشده في طريق معاشه ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة الثالث ان ياخذ بحجزة
هاد فينجو به اي يكون في سلوكه لسبيل الله مقتديا باستاد ومرشد عالم يتصل به نجاته واستعار لفظ الحجزة لاثر
الاستاد وسنته ووجه المشابهة كون ذهن المقتدي لازما لسنة شيخه في مضايق طريق الله وظلمات الجهل
من الشبه في ظلماتها وبين اهل السلوك خلاف انه هل يضطر المريد الى الشيخ في سلوكه ام لا والاكثرون يرجحون طريق
ويفهم من كلامه ع وجوب ذلك وبقول شهادة جميع الموجودين اذ كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم وظاهر ان

المريد

المريد مع الشيخ اقرب الى الهداية وابعد من الطول واقرب الى الضلال عند فقده قال عليه السلم فنجا اي ان النجاة
معلقة به وقد ذكرنا ما احتج به الفريقان في كتاب مصباح العارفين الرابع ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احدى
ثمرات الايمان وهي رتبة عظيمة من رتب السالكين قال رسول الله صلى الله عليه اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام
الغزالي رحمه الله وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها نوع من المعرفة ويثمر اعمالا في الجوارح والقلب اما الحالة فهي مراعاة
القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر والسرائر قائم على كل
نفس وان سر القلوب مكشوف له كظاهر البشرة للخلق بل هو اشد فهذه المعرفة اذا استولت على القلب
ولم يبق فيها شبهة فلا بد ان يجذبه الى مراعاة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة فمنهم الصديقون ومراقبتهم
التعظيم والاجلال واستغراق بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه متسع للالتفات
الى الغير اصلا وهي مراقبة مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات
واذا تحركت بالطاعة كانت كالمستعمل لها فلا تحتاج لغيرها ولا يحتاج الى تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن
نال هذه الرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا من يحضر في خدمة ملك عظيم فان
بعضهم قد لا يحس بما يجري في حضرة الملك من استغراقه بهيبته وبعض يشتغل امر قلبه يتفكر فيه وروي ان يحيى
ابن زكريا عليهما السلم مر بامراة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا الثانية مراقبة
الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب عليهم اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم
ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارستها للعمل
لا تخلو عن المراقبة وقد غلب الحياء من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل امر فاضح
في القيمة اذ يرون الله تعالى مشاهدا للاعمال في الدنيا كما يرونه في القيمة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب
جميع حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر يسنح له فان كان الهيا يعجل مقتضاه وان
كان شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربه ولام نفسه على اتباع هواه فيه وان شك فيه توقف الى ان
يظهر بنور الله سبحانه من اي جانب هو كما قال ص الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ولا يهمل
شيئا من اعماله وخواطره وان قل ليسلم من مناقشة الحساب فقد قال الرسول ص ان الرجل ليسال عن كحل عينيه
وعن فتة الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه الخامس ان يخاف ذنبه واعلم ان الخوف ليس مما هو ذنب بل
من المعاقب على الذنب لكن لما كان الذنب سببا موجبا لسخط المعاقب وعقابه نسب الخوف اليه وقد سبق
منا بيان حقيقة الخوف والرجاء السادس ان يقدم خالصا اي يكون اعماله كلها خالصة متقدمة من قول وعمل
وخاطر بريئة عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في خطبة الاوسط السابع ان يعمل صالحا وصلاح
العمل الاتيان به كما امر به وهو نوع مما تقدمه الثامن ان يكتسب مذخورا وهو امر باتيان ما امرت الشريعة
بالكتاب وتنبيه على وجوب السعي فيه بانه يبقى ذخرا ليوم الفاقة اليه التاسع ان يجتنب محذورا وهو امر باجتناب
ما نهت الشريعة عنه وتنبيه على وجوب اجتنابه بكونه محذورا يستلزم العقاب في الاخرة العاشر ان يرمي غرضا

اي يحذف اعراض الدنيا عن درجة الاعتبار وهو اشارة الى الزهد والتخلي عن موانع قبول الرحمة الحادي عشر ان
يحرز عوضا ان يحرز في جوهر نفسه ملكات الخير وتوجه سره الى مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يفاض عليه من الكمالات
ويثبتها بتكريرها فنعم العوض هي من متاع الدنيا واعراضها الفانية الثاني عشر ان يكابر هواه اي يطوع نفسه
الامارة بالسوء بالاعمال الدينية ويراقبها في كل خاطر يلقيه الى نفسه ويقابلها بكسره وقمعه الثالث عشر ان
يكذب مناه اي يقابل ما يلقيه اليه الشيطان من الاماني ويعده به بالتكذيب والقمع لتجويز عدم نيلها وحسم
مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس الشيطانية يتبع بعضها بعضا ومن اشاراته عليه السلام الى ذلك اياكم والمنى
فانها بضائع النوكى اي الحمقى الرابع عشر ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا تنقاد
الى قبائح اللذات ولما علمت ان الانقياد في سلك الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الآخرة علمت
ان مقاومتها ودفعها عنها هو سبب النجاة هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كونه
لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والدؤوب عليها سبب للنجاة من العدو الخامس عشر ان يجعل التقوى
عدة وفاته ولما كان التقوى قد يراد به الزهد وقد يراد به الخوف من الله المستلزم للزهد كما علمت و
كانت العدة هي ما استعد به الانسان لمقاومة الحوادث وكان الموت اعظم حادث يسبق الى الانسان من
احوال الآخرة لا جرم كان التقوى عدة للموت اذ كان المتقي مشغول السر بعظمة الله وهيبته عن كل حال
تلحقه فلا يكون الموت عنده بكثير موقع ولا عظيم كرب وقد يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة ما بعدها
مجازا وظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله السادس عشر ان يركب الطريقة الغراء وهو ان
يسلك الى الله تعالى الطريقة الواضحة المستقيمة وهي شريعته السابع عشر وان يلزم المحجة البيضاء والفرق
بين هذا الامر والذي قبله ان الاول امر بركوب الطريقة الغراء والثاني امر بلزومها وعدم مفارقتها
فانها وان كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف وسالكها ابدا محارب للشيطان وجنوده من
ان يستنزله عنها الثامن عشر ان يغتنم المهل اي ايام مهلته وهي حيوة الدنيا واغتنامه العمل فيها قبل
يوم الحساب التاسع عشر ان يبادر الاجل اي يسابقه الى العمل قبل ان يسبقه فينقطع عنه العشرون
ان يتزود من العمل وهو الامر بما يتبادر اليه من اتخاذ العمل زادا وقد سبق وجه استعارة الزاد له
وقد راعى عليه السلام في كل مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازي وجعل الصدر ثلثا والآخر ثلثا وعطف كل
قرينة على ما شاركها في الحرف الاخير منها وحذف حرف العطف من ابتدائه ليتميز بالتناسب عما عداه غيره
وكل ذلك بلاغة **ومن كلام له عليه السلام** إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله تَفْوِيقاً وَاللَّهِ لَئِنْ
بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ ويروى التراب الوذمة وهو على القلب قوله ليفوقونني
اي يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق الناقة وهو الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزة
من الكرش والكبد تقع في التراب فتنفض **اقول** استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه
المشابهة هو قلة ما يعطونه مع كونه في دفعات كما يعطى الفصيل ضرع امه لتدر ثم يرفع عنها حتى تحلب
بعد ذلك لتدر وتراث محمد اشارة الى الفيء الحاصل ببركته صلى الله عليه وآله وهو التراث اللغوي المنتقل عن

بوجه ما

بوجه ما ثم اقسم ان بقي لبني امية ليحرمنهم التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك وشبه
نفضه لهم بنفض القصاب القطعة من الكبد او الكرش من التراب اذا اصابه وهذه الرواية هي الحق والثانية
سهو من الناقلين وقد ورد عنه في هذا الكلام بزيادة ونقصان في رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص
حيث كان امير الكوفة من قبل عثمن بعث اليه بصلة فقال والله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث الينا
ما افاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب الوذام التربة **ومن كلمات
كان يدعو بها عليه السلام** اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ
نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ وَسَقَطَاتِ
الْأَلْفَاظِ وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ **اقول** الواي الوعد والرمزات جمع رمزة وهي الاشارة
بالعين او الحاجب او الشفة والسقط من الشيء رديه والهفوة الذنب وقد سأل الله سبحانه في جميع هذا
الفصل المغفرة ومغفرة الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع في مهاوي الهلكة في الآخرة او يكشف مقابحه
لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه لاسباب السعادة وجذبه بها عن متابعة الشيطان في المعاصي
قبل صدورها منه او قبل صيرورتها ملكات في جوهر نفسه والمطلوب مغفرته امور الاول ما الله اعلم به
مما هو عند الله معصية وسيئة في حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار مغفرة الله عما يعاوده ويكرر
منه لك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكرارها الثاني ما وعد من نفسه ان يفعله ثم لم يوف
به وما هنا مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر شيطاني
يجب ان يستغفر الله منه ويسأل ستره بحيث الدواعي الجاذبة عن متابعة الشيطان المحرك له الثالث شوب
النفس ما يتقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة ومخالفة نية القربة اليه بقصد غيره ولا شك
ان ذلك شرك خفي جاذب عن الترقي في درجات العلى ويحتاج الى تداركه بالمغفرة والجذب عنه
قبل تمكنه من النفس الرابع الاشارة باللحظ وهو الايماء الخارج عن حدود الشريعة كما يفعل عند التشبه
على شخص ليعاب او ليضحك منه او ليظلم وكل تلك عن خواطر شيطانية ينبغي ان يسأل الله تعالى رفع اسبابها
وستر النفس عن التدنس بها الخامس سقطات الالفاظ والرديء من القول وهو ما تجاوز حدود الله
وخرج بها الانسان عن مستقيم صراطه السادس شهوات القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد جذب
القوة الشهوية للنفس الى مشتهياتها ومن روى بالسين فهفوات القلب خواطره التي لا يشعر بتفصيلها اذا
خالفت اوامر الله وقد يستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان كان
لا يوجب اثرا في النفس ولا يؤخذ به الا انه ربما تقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك
سبيل الله كالانهماك في لذات الدنيا المتجددة لها فان احدهم ربما رام التشبه بمن يصلي الفرض
فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا ولا يستثبت عدد ركعاتها وسجداتها ومن شأن ذلك ان يجذب العبد
عن الاسباب الموجبة له السابع هفوات اللسان اي الزلل الحاصل من قبله وما يرد عليه من خاطر شيطاني
ومغفرته بتوفيقه لمقاومته هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عليه السلام عن المعاصي حملوا طلبه لمغفرة هذه الامور

على وجه احدهما هو الاولى ان طلبه لغفرانها انما هو على تقدير وقوعها منه كما قال اللهم ان صدر عني
شيء من هذه الامور فاغفره لي وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم من
صدق كلامه صدور شيء منها حتى يحتاج الى المغفرة الثاني انهم حملوا ذلك على تأديب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار
من الذنوب او على التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر في مظنة التقصير والاساءة واما من لم يوجب
عصمته فالامر معه ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير
الى الخوارج فقال له يا امير المؤمنين ان سرت في هذا الوقت خشيت عليك ان لا تظفر بمرادك من طريق
علم النجوم فقال له أتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف من الساعة التي
من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل
المحبوب ودفع المكروه وتبتغي في قولك للعامل بأمرك ان يوليك الحمد دون ربه لانك بزعمك انت
هديته الى الساعة التي نال فيها النفع وأمن فيها الضر ثم اقبل عليه السلام على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم
الا ما يهتدى به في بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر
والكافر في النار سيروا على اسم الله **اقول** حاق به احاط ويوليه كذا يعطيه اياه ويجعله اولى به
وروي ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس اخا الاشعث بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم
واعلم ان الذي يلوح من سر نهي الحكمة النبوية عن تعلم النجوم امران احدهما اشتغال متعلميها واعتماد كثير
من الخلق السامعين لاحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما ينسبونه الى الكواكب والاوقات والاشتغال
بالفزع اليه والى ملاحظة الكواكب عن الفزع الى الله والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهم من الاحوال وقد علمت
ان ذلك يضاد مطلوب الشارع اذ كان غرضه ليس الا دوام التفات الخلق الى الله وتذكرهم لمعبودهم
بدوام حاجتهم اليه الثاني ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور ستكون وهي تشبه الاطلاع على الامور
الغيبية واكثر الخلق من العوام والنساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار به فكان تعلم
تلك الاحكام والحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق وموهنا لاعتقاداتهم في المعجزات اذ الاخبار عن الكائنات
منها وكذلك في عظمة باريهم ويشككهم في عموم صدق قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب
الا الله وقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث
ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت
فالمنجم اذا حكم لنفسه بانه يصيب كذا في وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب غدا وبأي ارض تموت
وذلك عين التكذيب للقرآن وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها
واما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل النظر اما متكلمون او معتزلة
او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على امرين احدهما ان الشريعة كذبته وعندهم ان
كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي وان لم يعلم عين ذلك الوجه والثاني انه لا يمكن ضبط الاسباب الاخر
من كون او فساد واما الاشعرية فهم وان قالوا انه لا مؤثر الا الله تعالى وزعم بعضهم انهم ظلموا بذلك

حيث نسبوا التأثيرات الى الكواكب الا انه لا مانع على مذهبهم ان يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم او حركته علامة على
كون كائن او فساده وذلك لا يبطل على المنجم قاعدة فيرجعون ايضا الى بيان عدم الاحاطة باسباب
كون ما اخبر عنه ومناقشته في ذلك واما الحكماء فاعلم انه قد ثبت في اصولهم ان كل كائن فاسد في هذا العالم
فلا بد له من اسباب اربعة فاعلي ومادي وصوري وغائي اما السبب الفاعلي القريب فالحركات
السماوية والذي هو اسبق منها فالمحرك لها الى ان ينتهي الى الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه واما السبب
المادي فهو القابل لصورته وتنتهي القوابل الى القابل الاول وهو مادة العناصر المشتركة بينها واما الصوري
فصورته التي يقبلها مادته واما الغائي فهي التي لاجلها وجد اما الحركات السماوية فان من الكائنات ما يحتاج
في كونه الى دورة واحدة للفلك ومنها ما يحتاج الى بعض دورة ومنها ما يحتاج الى جملة من ادواره و
اتصالاته واما القوابل للكائنات فقد تقرر عندهم ايضا ان قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد
معين له وذلك الاستعداد يكون لحصول صورة سابقة عليه وهكذا قبل كل صورة صورة معدة لحصول
الصورة بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات والحركات الفلكية ولكل استعداد معين
زمان معين وحركة معينة واتصال معين يخصه لا يفي بدركها القوة البشرية اذا عرفت ذلك فنقول الاحكام
النجومية اما ان تكون جزئية او كلية اما الجزئية فان يحكم مثلا بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا
وظاهر ان مثل هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما هو من جهة اسبابه اما الفاعلية فان يعلم ان
الدورة المعينة او الاتصال المعين سبب لملك هذا الرجل البلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلي لذلك الا
هو والاول باطل لجواز ان السبب غير ذلك الاتصال او هو مع غيره اقصى ما في الباب ان يقال انما كانت
هذه الدورة وهذا الاتصال سببا لمثل هذا الكائن لانها كانت سببا لمثله في الوقت الفلاني لكن هذا ايضا
باطل لان كونها سببا للكائن السابق لا يجب ان يكون لكونها مطلق دورة واتصال بل يحتمل ان يكون
لخصوصية كونها تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد وح لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكائن
لان المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها والثاني ايضا باطل لان العقل يجزم بانه لا اطلاع له على
انه لا مقتضي لذلك الكائن من الاسباب الفاعلة الا الاتصال المعين وكيف وقد ثبت ان من الكائنات
ما يفتقر الى اكثر من اتصال واحد ومن دورة واحدة او اقل واما القابلية فان يعلم ان المادة قد استعدت
لقبول مثل هذا الكائن واستجمعت شرائط قبوله الزمانية والمكانية والسماوية والارضية وظاهر
ان الاحاطة بذلك مما لا يفي به القوة البشرية واما الصورية والغائية فان يعلم ما يقتضيه استعداد مادة
ذلك المعين وقبولها من الصورة وما يستلزمه من الشكل والمقدار وان يعلم غاية وجوده وما اعدته
الغاية له وظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان واما الاحكام الكلية فكان يقال كلما حصلت الدورة
الفلانية كان كذا والمنجم انما يحكم بذلك الحكم عن تجربات من الدورات تشابهت آثارها فظنها متكررة
ولذلك يعدلون اذا حقق القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود الى تكرر مشاهدات
يضبطها الحس والعقل يحصل منها حكما كليا كالحكم بان كل نار محرقة فانه لولا الحكم العقلي باستتباعات الاحراق

بواسطة الحس الكثير الجزم الكلي بذلك في الاشكالات الفلكية والاتصالات الكوكبية المقتضية لكون ما يكون فليس شي
منها يعود بعينه كما علمت وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال ومتشابهة الا انه لا يمكن
الانسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك ان حساب المنجم مبني على قسمة
الزمان بالشهور والايام والساعات والدرج والدقائق واجزائها وتقسيم الحركة بازائها ورفعهم فيها بنسبة
عددية وكل هذه امور غير حقيقية وانما يؤخذ على سبيل التقريب اقصى ما في الباب ان التفاوت فيها
لا يظهر في المدد المتقاربة لكنه يشبه ان يظهر في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الاسباب كيف
يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلي الثابت الذي لا يتغير باستمرار اثرها على وتيرة واحدة ثم لو سلمنا
انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود مثل الدورة لا يقتضي بمجرده العلم بعود مثل الاثر السابق لتوقف
العلم بذلك على عود امثال الاسباب الباقية للاثر السابق من الاستعداد وسائر الاسباب العلوية
والسفلية وعلى ضبطها فان العلم التجربي انما يحصل بعد حصرها والعلم بعودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة
البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة اذا عرفت ذلك فنقول قوله زعم الى قوله الضرر استئناف
لما في العادة ان تدعيه الاحكاميون كما ادعاه المنجم المشير بعدم المسير في ذلك الوقت قوله فمن صدق
هذا الى قوله الضرر ان مات له على ما يعتقده عن بها عن قبول احكام النجم والاعتقاد فيه او لعالم من صدقه
فقد كذب القرآن ووجه التكذيب ما ذكرناه انه في كون مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب
ودفع المكروه اي يفزع اليه في كل امر يهمه ويجعله عمدة لم يعرض عن الفزع الى الله كما سبق انه
ينبغي للعامل ان يوليه الحمد دون ربه وعلى هذه الالزام بقياس ضمير من الشكل الاول صورته انك تزعم انك
تهدي الى ساعة النفع والضرر وكل من زعم ذلك فقد ابى نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله فينتج انك
قد ابى نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من المسلمات وقد استعملها الخطيب للتنفير عن
بعض الامور التي يقصد النهي عنها وقوله ايها الناس الى قوله او بر تحذير عن تعلمها لما ذكرناه واستثنى من
ذلك تعلمها لما يهتدى به في البر والبحر واعلم ان الذي ذكرناه ليس الا بيان ان الاصول التي بني عليها الاحكاميون
احكامهم وما يخبرون به في المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الاحكام والجزم بها
وهذا لا ينافي في كون تلك القواعد معتمدة بالتجربة كقسمة الزمان وحركة الفلك بالسنة والشهر واليوم
مأخوذا منها حساب بني عليه مصالح دينية كمعرفة اوقات العبادات كالصوم والحج ونحوهما او دنيوية
كآجال المداينات وسائر المعاملات وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحراثة
والسفر واسباب المعاش وكذلك معرفة قوانين تجربية من اوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي فيها
وعلى سمتها المسافرون في بر او بحر فان ذلك القدر منها غير محرم بل العلم من الامور المستحبة لتلك المصالح المذكورة
فيه عن وجوه المفاسد التي يشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك امتن الله سبحانه على عباده بخلق الكواكب
في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقوله لتعلموا عدد السنين
والحساب وقوله تعالى الى آخره تعليل لتحذيره عن تعلمها وتنفيره عنها بقياس اخر موصل الى نتيجة مثل ان

المنجم

المنجم في الانذار وعلى تقدير تفصيله فالشبه الاوسط كون المنجم كالساحر وهي مع قوله والساحر كالكافر ينتج ان المنجم
كالكافر وهذه النتيجة مع قوله والكافر في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسان الاولان
من قياس المساواة وقد علمت انه عسر الانحلال الى الحدود المرتبة في القياس المنتج لان موضوع الكبرى جزء من
محمول الصغرى فليس الاوسط بمشترك فهو معدول عن وجهه الى وقوع الشركة في بعض الاوسط ولذلك
استحق ان يفرد باسم ويجعل لتحليله قانون يرجع اليه في امثاله وقد سبق مثله في الخطبة الاوسط واذا حمل على
القياس الصحيح كان تقديره المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر ومشبه الكاهن المشبه للساحر مشبه للساحر
فينتج ان المنجم يشبه الساحر وهكذا في القياس الثاني في المنجم يشبه الساحر المشبه للكافر ومشبه الساحر المشبه
للكافر يشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر والكافر في النار فالمنجم كذلك وهو القياس الثالث ونتيجته فاما بيان
شبه الكاهن والساحر فالاشارة الى وجوه المشابهات المذكورة فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة الى امكان
وجود نفس تقوى على الاطلاع على ما سيكون وعلى التصرفات العجيبة في هذا العالم فتلك النفس ان كانت
كاملة خيرة مجذوبة من الله تعالى بدواعي السلوك الى سبيله وما يقود اليه فهي نفوس الانبياء والاولياء
ذوي المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك الجهة وغير طالبة لتلك المرتبة
بل منصرفة على رذائل الاخلاق وخسائس الامور كالشهوة ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة واعلم ان
الاكثر ما يظهر قوة الكهانة ونحوها من قوى النفوس في اوقات الانبياء وقبل ظهورهم وذلك ان الفلك
اذا اخذ في الشكل يتم به في العالم حدث عظيم عرض من ابتداء ذلك الشكل وغايته احداث في الارض
شبيهة بما يريد ان يتم ولكنها يكون غير تامة لان اسبابها غير تامة فاذا استكمل ذلك الشكل في الفلك
وتم وجد به في العالم ما يقتضيه في اسرع زمان لسرعة تبدل اشكال الفلك فيظهر تلك القوة التي يوجبها
ذلك الشكل في شخص واحد او شخصين او اكثر على حسب ما يقتضيه العناية الالهية ويستوعب ذلك الشخص
تلك القوة على الكمال فاما من قرب من ذلك الشكل ولم يستوعبه فانه يكون ناقص القوة بحسب بعده من
الشكل ويظهر ذلك النقصان بظهور النبوة المقصودة من ذلك الشكل فيتبين قصور القوى المتقدمة على النبي
والمتاخرة عنه ونقصانها عن ذلك التمام فاما صنف الكاهن من اصحاب تلك القوى فذو ان صاحب قوة
الكهانة اذا احس بها من نفسه تحرك اليها بالارادة لكنها فيتبين في امور جزئية ويثبت في علامات
تجري مجرى الفال والزجر وطرق الحصى وربما استعان بالكلام الذي فيه سجع وموازنة او بحركة
عنيفة من عدو حيث كما حكي عن كاهن من الترك وكما نقل الي عن شيخ له كاهنا كان في زماننا وقد توفي
منذ عشرين سنة يكنى بابي عمرو وكان بناحية من ساحل البحر يقال لها [illegible] وانه كان اذا سئل عن
امر استعان بتحريك رأسه تحريكا يقوى ويضعف بحسب الحاجة واجاب عقيب ذلك وقيل انه كان
قد يستعين في بعض الاخبارات عن تلك الحركة والغرض من ذلك اشتغال النفس عن المحسوسات [illegible]
نفسه وتقوى فيها ذلك الاثر ويحس في نفسه عن تلك الحركة ما تقذفه على لسانه وربما صدق الكاهن
وربما كذب وذلك انه يتم نقصه بامر بائن لكماله غير داخل فيه فيعرض له الكذب ويكون غير موثوق به

وربما توهم الكذب خوفا من كساد بضاعته فيستعمل الزرق ويخبر بما اثر اخذ نفسه ويضطر الى التخمين و
درجات هولاء متفاوتة بحسب قربهم من الاتفاق وبعدهم منه وبقدر قبولهم للاثر العلوي وتميزون
عن الانبياء بالكذب وما يدعونه من المحالات وان اتفق ان يلزم احدهم الصدق فانه لا يتجاوز قدره
ذو قوته ويبادر الى التصديق باول امر يلوح من النبي صلى الله عليه وآله ويعرف فضله كما روي عن طليحة وسواد بن قارب
ونحوهما من الكهنة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله اذا عرفت ذلك فنقول اما قوله فانما المنجم كالكاهن اي انما
تدعوا المنجم في اخبار امره الى ان يصير نفسه كالكاهن في دعوى الاخبار بما سيكون ثم الكاهن اذا انتهى
الى التخمين تشبه بالكاهن واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الامور الكائنة انما هو عن
قوة نفسانية وظاهر ان ذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم
واما الساحر فيتميز عن الكاهن بان له قوة على التاثير في امر خارج عن بدنه تاثيرا خارجا عن الشريعة
موذية للخلق كالتفريق بين الزوجين ونحوه وتلك زيادة شر اخر على الكاهن ادعى الى فساد اذهان
الناس وزيادة اعتقادهم فيه والفعالهم عنه خوفا ورغبة واما الكافر فيتميز عن الساحر بالبعد الاكثر
عن استعمال وعن دينه وان شاركه في اصل الانحراف عن سبيل الله وحق ما الضلال والفساد في
الارض مشتركا بين الاربعة الا انه مقول عليهم بالاشد والاضعف فالكاهن اقوى في ذلك من المنجم
والساحر اقوى من الكاهن والكافر اقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل ع الكاهن اصلا في التشبيه
بالمنجم لزيادة فساده عليه ثم الحقه به وجعل الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا للساحر ان التشبيه يستدعي
كون المشبه به اقوى في الوصف الذي فيه التشبيه والحق به وتحقق من ذلك ان وجه التشبيه في الكل
هو ما يشترك فيه من العدول والانحراف عن طريق الله بالتنجيم والكهانة والسحر والكفر وما يلزم من ذلك
من صد كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت جهات هذا العدول بالشدة والضعف كما بيناه وعلى
فرغ عليه السلم من تنفير اصحابه عن تعلم النجوم وقبول احكامها وعمل اذا نهيهم عن ذلك بالتخويف المذكور امرهم
بالمسير الى الحرب وروي انه سار في تلك الساعة الى الخوارج وكان منه ما علمت من الظفر بهم وقتلهم
حتى لم يفلت منهم غير تسعة نفر ولم يهلك من رجاله غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك يستلزم خطاء
ذلك المنجم وتكذيبه في مقاله وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم بعد فراغه من حرب الجمل في ذم
النساء مَعاشِرَ النّاسِ اِنَّ النِّساءَ نَواقِصُ الاِيمانِ نَواقِصُ الحُظُوظِ نَواقِصُ العُقُولِ فَاَمّا نُقْصانُ اِيمانِهِنَّ
فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلوةِ وَالصِّيامِ في اَيّامِ حَيْضِهِنَّ وَاَمّا نُقْصانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهادَةِ
الرَّجُلِ الواحِدِ وَاَمّا نُقْصانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنَّ عَلَى الاَنْصافِ مِنْ مَوارِيثِ الرِّجالِ فَاتَّقُوا شِرارَ النِّساءِ
وَكُونُوا مِنْ خِيارِهِنَّ عَلى حَذَرٍ وَلا تُطيعُوهُنَّ فِي المَعْرُوفِ حَتّى لا يَطْمَعْنَ فِي المُنْكَرِ اقول لما كانت واقعة الجمل
وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا الى راي امرأة اراد ان ينبه على وجوه نقصان
النساء واسبابه فذكر نقصانهن من وجوه ثلثة احدها كونهن نواقص الايمان واشار الى جهة النقص فيه
بقعودهن عن الصلوة والصوم ايام الحيض ولما كان الصوم والصلوة من كمال الايمان وتمامه

الرياضة

الرياضة كان قعودهن عن الارتياض بالصوم والصلوة في تلك الايام نقصانا لايمانهن وانما رفعت
الشريعة التكليف عنهن بالعبادتين المذكورتين لكونهن في حال مستقذرة لا يناسب معها الوقوف بين
يدي الملك الجبار ويعقل للصوم وجه آخر وهو انه يزيد الحائض الى ضعفها ضعفا بخروج الدم واسرار
الشريعة ادق واجل ان يطلع عليها عقول سائر الخلق الثاني كونهن نواقص حظ واشار الى جهة نقصانه
بان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين
والذي يلوح من سر ذلك كثرة المؤنة على الرجل وهو اهل التصرف وكون المرأة من شأنها ان تكون مكفولة
محتاجة الى قيم هو لها كالخادم الثالث كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان استعداد
امزجتهن وقصورهن عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبه تعالى عليه بقوله فرجل وامرأتان
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذاكرة فيهن ولذلك
جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد وله ايضا سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل
والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في تدبير امر المعاش والمعاد
ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقولهن فكانت المرأة ارق وابكى واحسد
والج وابغى واجزع واوقح واكذب وامكر واقبل للمكر واذكر لمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفات
اقتضت الحكمة الالهية ان يكون عليها حاكم ومدبر بحيث يتدبره وهو الرجل فقال تعالى الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها للمكر وقلة عقلها
مع كونها مشتركة وداعية الى نفسها اقتضت ايضا ان يسن في حقها التستر والتحرز قوله فاتقوا
شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر فانه على جهة نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر فاجرم
نفر عنهن فامر اولا بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالهرب منهن وعدم مقاربتهن فاما خيارهن
فانه امر بان يكون منهن على حذر ويفهم من ذلك انه لما كان لا بد من مقاربتهن وكان الانسان انما يختار مقاربة
الخيرة منهن فينبغي ان يكون معها على تحرز وتثبت في سياستها وسياسة نفسه معها اذ لم تكن الخيرة منهن
خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن في المعروف كيلا يطمعن في المنكر واشار به الى طاعتهن
فيما يشرن به ويامرن مطلقا وان كان معروفا صوابا وفيما يطلبنه من زيادة المعروف والاحسان
اليهن واكرامهن بالزينة ونحوها فان طاعة ارائهن فيما يشرن به من معروف تدعوهن الى النشوز والاستبداد
والتسلط على الامر به فان فعل فيفعل لانه معروف لا لانه مقتضى رأيهن وزيادة اكرامهن من مقويات
دواعي الشهوة والشر فيهن حتى ينتهي بهن الطمع الى الاقتراح وطلب الخروج الى المواضع التي يرى فيها ويتبرجن
ونحو ذلك اذ العقل مغلوب فيهن بدواعي الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك كراعا فيأخذ
ذراعا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف النساء فقال معاشر النساء
تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار عددا فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله فقال لانكن تكثرن
اللعن وتكفرن العشير وتمكث احدكن شطر عمرها لا تصوم ولا تصلي ومن خطبة له عليه السلم ايها الناس

الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع عند المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة **اقول** عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم ان قوله ايها الناس الى قوله عند المحارم تفسير منه وقد رسمه بثلثة لوازم له الاول قصر الامل ولما علمت فيما سلف ان الزهد هو اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض مستلزم لقصر الامل في الدنيا اذ كان الامل انما يتوجه نحو مأمول والملتفت الى الدنيا كيف يتصور طول امله الثاني في الشكر على النعم وذلك ان العبد بقدر التفاته عن اعراض الدنيا يكون محبته لله واقباله عليه واقراره الحق بالآية وذلك ان الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور وهو في حق الله ان يعلم انه لا منعم سواه وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة مسخرة من نعمته وتلك الحال يثمر العمل بالجوارح الثالث الورع وهو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط في محارمه وهو ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف عن التورط في المحارم ولزوم الاعمال الجميلة لازمة للالتفات عن محاب الدنيا ولذاتها المنهي عن الميل اليها وهذا التفسير منه عليه السلم مستلزم للامر به و**قوله** بعد ذلك فان عزب عنكم الخ يحتمل معنيين احدهما وهو الظاهر انه ان بعد عليكم وشق استجماع هذه الامور الثلثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم في طول الامل وذلك انه قد يتصور طوله فيما ينبغي من عمارة الارض لغرض الآخرة وان قصر الامل لا يصدر الا عن غلبة الخوف من الله تعالى على القلب والاعراض بالكلية عن الدنيا وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع ورخص في طول الامل وفسر الورع بالصبر اذ كان لازما للورع وهما تحت ملكة العفة ثم نبههم بذكر الغلبة على مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان على لزوم التذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلثة في موضع الامر بلزومها قال بعده ان صعب عليكم لزوم الشكر والثناء لله ولزوم الاعمال الجميلة فاعدلوا الى امور اسهل منها فرخص لهم في طول الامل لما ذكرناه ثم في التذكر لنعم الله بحيث لا ينسى بالكلية وتبعث عنها عوضا عن دوام الحمد والثناء ثم في الصبر عند المحارم وعند الانقياد لغلبة دواعي الشيطان عوضا عن لزوم الاعمال الجميلة عنده فان الصبر عند شرب الخمر مثلا عند حضوره اهون على الطبع من الصوم عن ساير المباحات ومن لزوم ساير الاعمال الجميلة و**قوله** فقد اعذر الله تأكيد لما سبق من امره بالزهد وجذب اليه واشار بالحجج الى الرسل لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجج مستعار ووجه المشابهة انه لما كان ظهور الرسل قاطعا السنة حال الظالمين لانفسهم في محفل القيمة عن ان يقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى اشبه الحجة القاطعة فاستعير لفظها له وباسفارها وظهورها الى اشراق انوار الدين عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهي استعارة ايضا واشار ببروز عذر الكتب الى ظهور اعذار الله الى خلقه بتخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طريق النجاة واسناد الاعذار الى الله تعالى استعارة من

الاقوال

الاقوال المخصوصة التي يبديها الانسان عذرا لاخلال الله والاقوال التي عرف خلقه فيها صلاحهم وانذرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا اليها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في ذم الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته قال السيد رحمه الله واذا تامل المتامل قوله ومن ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره لا سيما اذا قرن اليه قوله ومن ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا صلوات الله وسلامه عليه **اقول** العناء التعب وقد ذكر الدنيا في معرض ذمها والتنفير عنها اوصافا عشرة الاول كون اولها عناء وهو اشارة الى ان الانسان من لدن ولادته في تعب وشقاء ويكفي في الاشارة الى متاعب الانسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة ودمنة في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش الناسك اوليست الدنيا كلها اذى وبلاء اوليس الانسان يتقلب في ذلك من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايامه فانا نجد في كتب الطب ان الماء الذي يقدر منه الولد السوي اذا وقع في رحم المرأة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الريح تمخض ذلك الماء والدم حتى تتركه كالرائب الغليظ ثم يقسمه في اعضائه لأناء ايامه فان كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امه وان كان انثى فوجهها قبل بطن امها وذقنها على ركبتيه ويداه على جنبيه منقبض في المشيمة كانه مصرور في صرة وتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو الا كانه مقموط فوقه حر البطن وتحته ما تحته وهو منوط بمعاء من سرته الى سرة امه ومنها يمص ويعيش من طعام امه وشرابها فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى اذا كان يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه وقوي عليه التحريك فصوب راسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجده صاحب الرهق فاذا وقع الى الارض فاصابه ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما لا يجده من سلخ جلده ثم هو في الوان العذاب ان جاع فليس له استطعام فان عطش فليس له استسقاء او وجع فليس له استغاثة مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمرخ اذا انيم على ظهره لم يستطع تقلبا فلا يزال في اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه الوانا وفي الحمية والادواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب والسعي وكل هذا يتقلب معه فيها اعداؤه الاربعة المرة والبلغم والدم والريح والسم المميت والحيات اللازعة مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان عذاب الهرم لمن بلغه الثاني كون آخرها فناء وهو تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستصحبه من فراق الاهل والاحبة والاتراف على الهول العظيم المعضلة الثالث كونها في حلالها حساب وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيمة من الآثار المكتوبة عليه مما خاض فيه من مباحات الدنيا وتوسع فيه من الماكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يظهر في لوح نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجردين عنها الذين لم يتعرفوا بها

تصرف الملاك فلم يجب عليهم في شيء منها ما يحاسبون عليه واليه اشارة سيد المرسلين صلى ان الفقراء ليدخلون
الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد الرحمن يدخلها حبوا وما ذاك الا لكثرة
حساب الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وفتنتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها وقد عرفت
كيفيته الرابع كونها في حرامها عقاب وهو تعجيل عقاب يوجب العقاب من الاثام بذكره الخامس كونها من
استغنى فيها فتن اي كانت محبته لما اغنى فيها سببا لفتنته وضلاله عن سبيل الله كما قال تعالى انما اموالكم
واولادكم فتنة السادس كونها من افتقر فيها حزن وظاهر ان الفقير الطالب للدنيا غير الواجد لها في
غاية المحنة والحزن على ما يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله السابع من ساعاها فاتته واقوى اسباب
فوات ان تحصيلها اكثر ما يكون بمنازعة اهلها عليها ومجاذبتهم اياها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب
والحرص عند المجاذبة لشيء وقوة منع الانسان له وتجاذب الخلق لشيء وعزته عندهم سبب لتفويت بعضهم
له على بعض وفيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فواتها لازما عن شدة السعي
في تحصيلها كرها السابع الثامن كونها من قعد عنها اتته وهو ايضا جذب الى القعود عنها وتركها لا
لغرض مواتاتها كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء والسمعة وقد علمت ان الزهد الظاهري
مطلوب ايضا للشارع اذ كان وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال صلى الرياء قنطرة الاخلاص وقد راعى في هذه
القرائن السجع المتوازي التاسع من ابصر بها بصرته اي من جعلها سبب هدايته وبصره استغنى وهناك الدقيقة
وذلك انك علمت ان مقصود الحكمة الالهية من خلق هذا البدن وما فيه من الآلات والمنافع انما هو استكمال
نفسه باستخلاص العلوم الكلية وفضائل الاخلاق من تتبع جزئيات الدنيا ومقايسات بعضها الى
بعض كالاستدلال بحوادثها وعجايب مخلوقات الله فيها على وجوده وحكمته وتحصيل الهداية بها الى الآخرة
لكنه كانت سببا ماديا لذلك فلا جرم صدق انه بصر من ابصر بها العاشر ومن ابصر اليها اعمته اي من مد اليها
بصر بصيرته وتطلع اليها بعين قلبه محبة وعشقا اعمت بصيرته عن ادراك انوار الله والاهتداء لكيفية
سلوك سبيله واليه الاشارة بالنهي في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقد ظهر الفرق بين قوله من ابصر بها ومن ابصر اليها وجمع السيد لهذا
الفصل من وجه موضعه ومن خطبة له عليه السلم وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء اعلم ان في هذه
الخطبة فصولا الفصل الاول قوله الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة
وازل احمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه واؤمن به اولا باديا واستهديه قريبا هاديا واستعينه
قاهرا قادرا واتوكل عليه كافيا ناصرا واشهد ان محمدا صلى عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء
عذره وتقديم نذره اقول الحول القوة والطول الفضل والمنح العطية والازل الشدة والنذر
النذارة وقد اثنى على الله تعالى في هذا الفصل باعتبارات اربعة من نعوت جلاله الاول كونه عليا وقد
ليس المراد به العلو المكاني لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدأ
كل موجود ومرجعه فهو العلي المطلق الذي لا اعلى منه في وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه وكما ان

ذلك

ذلك اعتبارا لحقه بالنسبة الى كل موجود صدر بقدرته وقوته لا جرم جعل الحرفة لمبدأ هو حوله الثاني في
كونه دانيا بطوله وفضله وقد عرفت ان معنى الدنو والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبارا يحدثه
عقولنا له من قرب افاضته نعمه على قوابلها وقربه من ابصار البصاير في صورة نعمه منها ولذلك جعل
طوله مبدأ لدنوه الثالث كونه مانح كل غنيمة وفضل الرابع كونه كاشف كل عظيمة وازل وهما اشارة الى
كل نعمة صدرت عنه على قابلها فيذا لجوده ورحمته سواء كانت وجودية كالصحة والمال والعمل وغيرها
او عدمية كرفع البأساء والضراء واليه الاشارة بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه
تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم الآية وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الارض قوله احمده الى قوله نذره شبه السامعين على مبدأ استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه قال بعض
الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولم يبال كم اعطى ولا
لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به
والتجأ ويغنيه عن الوسايل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم
المطلق وليس ذلك الا الله تعالى فلت والاوجه الاسمع في رسم هذا الاعتبار انه يعود الى فيضان الخير عنه
من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله وعواطف كرمه هي نعمه واثاره الجزيلة التي
تعود على عباده مرة بعد اخرى وسوابغ نعمه نعمه السابغة التي لا حصر فيها عن حمول قابلها وقوله واؤمن
به اولا باديا نصب اولا باديا على الحال واشار بهذين الوصفين الى الجهة التي هي مبدأ الايمان اذ كان
باعتبار كونه اولا هو مبدأ لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهر العقل في جميع آثاره فباعتبار ظهوره
مع كونه مبدأ لكل موجود اوله يجب الايمان به والتصديق بالهيته وقوله واستهديه قريبا هاديا فالمستهدى اوله
طلب الهداية منه وقربه هو دنوه بجوده من قابل فضله وهدايته هبة الشعور لكل ذي ادراك بما هو اليق به
ليطلبه دون ما ليس اليق به وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدأ لطلب الهداية وقوله واستعينه
قاهرا قادرا استعانته طلب المعونة منه على ما يبنى من طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذي لا يجري في
ملكه بخلاف حكمه نفس بل كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته وحقير في قبضته والقادر هو الذي اذا شاء فعل
واذا لم يشأ لم يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين
مبدأ للاستعانة وقوله واتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت يعود الى اعتماد الانسان فيما يرجوه ويخاف
على غيره والكافي باعتبار كونه معطيا لكل قابل من خلقه ما يكفي استحقاقه من منفعة ودفع مضرة والناصر
هو باعتبار اعطائه النصر لعباده على اعدائهم بافاضة هدايته وقوته وظاهر انه تعالى باعتبار هذين الوصفين
مبدأ لتوكل عباده عليه والقاء مقاليد امورهم اليه وقوله واشهد الى تقرير رسالة وتعيين الغرض منها
وذكر منها ثلثة احدها انفاذ امره والغاية الثلثة له وانفاذ امره اجراؤه لا حكامه على قلوب الخلق
ليتعبدوا بالعبودية له الثاني انهاء عذره الى خلقه في اقوال وافعال وقد سبق بيان وجه استعارة العذر له الثالث
تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على السنة الرسل عليهم السلم الى الخلق قبل غاية اجابة لهم الى لزوم

فاعه وظاهر كون الثلث اعراضا للبعث **الفصل الثاني** قوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب
لكم الامثال ووقت لكم الآجال والبسكم الرياش وارفغ لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد لكم الجزاء
وآثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ وانذركم بالحجج البوالغ واحصاكم عددا ووظف لكم مددا في قرار
خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها **اقول** الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى بالمال
وارصد اعد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافغ الواسعة الطيبة وهذا الفصل يشتمل على الوصية بتقوى الله
وخشيته والانجذاب اليه باعتبار امور الاول ضربه الامثال والامثال التي ضربها الله لعباده في القرآن
كثيرة منها قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله يرجعون
والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجزات من الرسول صلى فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا
الى ظلمة جهلهم فهم صم عن سماع دواعي الله باذان قلوبهم بكم عن شهادة الحق باسرارهم عمي عن مشاهدة انوار الله
بابصار بصائرهم فهم لا يرجعون عن تماديهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء الى قوله قاموا
وهو مثل شبه فيه القرآن بالمطر نزل من السماء وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد
والبرق وشبه تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القرآن وتغافلهم عن سماع الوعظ بمن يجعل اصابعه في اذانه
خوف الصواعق وقوله يكاد البرق الآية اشارة الى من كان يرق قلبه بسماع الوعظ البالغ اذا قرعه ويميل الى
التوبة ويتجلى عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى قرنائهم اشاروا عليهم بالعود الى دينهم وبذلوا لهم الجهد في
النصيحة وخوفوهم بالعجز فضعف تصورهم ويظلم عليهم شبهات اباطيلهم فيبقوا كما كانوا في ظلمة من نور الحق
وكذلك باقي امثال الله في كتابه الكريم الثاني قوله ووقت لكم الآجال اي كتبها بقلم القضاء الالهي في اللوح
المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع اليه فيحاسبه باعماله واسراره فيجازيه ان خيرا فخير ويعمل للقائه الثالث
كونه قد البسهم الرياش وهو اظهار نعمه عليهم كما قال تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم وريشا ولباس التقوى الآية ليذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية الرابع كونه
قد ارفغ لهم المعاش اي اطاب معايشهم في الدنيا كما قال تعالى ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث
الخامس احاطته بهم احصاء كقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا اي احاط بهم علما واحصاء منصوب على المصدر
من غير لفظ فعله او على التمييز وظاهر ان علم العصاة بانه لا يشذ احد منهم عن احاطة علمه جاذب لهم الى تقواه
السادس كونه قد ارصد لهم الجزاء كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون
ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كانوا تعملون السابع ايثارهم
بالنعم السوابغ والرفد الروافغ كقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الثامن انذارهم بالحجج
البوالغ وهي رسله ومواعظه وسائر ما جذب به عباده الى سلوك سبيله وهو حجة على عصاة امره
ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين التاسع احصاؤه لعددهم كقوله تعالى واحصى كل شئ
عددا العاشر توظيفه لهم المدد وهو كونه قسمه لهم الاجال والارزاق ووصف الاحصاء والعدد بهذين
الوصفين ايضا لان الوهم كثيرا ما ينكر احاطته تعالى بالجزئيات مع عدم تناهيها فيكون ذلك شبهة في النفس

توقيت

توقيت الآجال لكل شخص ويتبع ذلك امر المعاد والعقوبات اللازمة لكل آحاد الخلق بحسب كل ذرة من
الاعمال الظالمة فكرر هاهنا طردا للوهم وكسرا لحكمه وان ذكر توقيت الآجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله
وقوله في قرار خبرة ودار عبرة اي محل اختبار الله خلقه ومحل عبرتهم اي انتقالهم اذ انهم فيها تجري عليهم
آيات العبرة وآثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية مبدعها كما سبقت الاشارة الى معنى الاختبار
والاعتبار وكذلك قوله فانتم فيها مختبرون وعليها محاسبون قد سبقت الاشارة اليه في قوله الا وان الدنيا
دار لا يسلم منها الا فيها وفي هذين القرينتين مع السجع المتوازي نوع من التجنيس بين خبرة وعبرة والاختلاف
بالحرف الاول **الفصل الثالث** قوله فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق
مخبرها غرور حائل وضوء آفل وظل زائل وسناد مائل حتى اذا انس نافرها واطمأن ناكرها قمصت بارجلها
وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت المرء اوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع
ومعاينة المحل وثواب العمل وكذلك الخلف بعقب السلف لا تقلع المنية اختراما ولا يرعوي الباقون اجتراما
يحتذون مثالا ويمضون ارسالا الى غاية الانتهاء وصيور الفناء **اقول** الرنق الكدر والردغ الوحل والتراب
المختلط بالماء ويونق يعجب ويوبق يهلك والغرور ما اغتر به مستغفلة للاذهان والحائل المتحول وقمصت
الدابة رفعت يديها وطرحتهما وعجنت رجليها واقنصت صادت واقصدت اصابت المقصد والاوهاق
جمع وهق بالتحريك والضنك الضيق والاقلاع عن الشئ الكف عنه والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وارعوى
كف ورجع وحذا حذو فلان فعل فعله والارسال جمع رسل بالتحريك وهو القطيع من الغنم ومن الطير وصيور الامر
ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما يؤول اليه وذكر لها اوصافا الاول
كونها رنقا مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصائب من الهموم والاحزان والاعراض والامراض
الثاني كونها ردغ مشرعها ومشرعها محل الشروع في تناولها والورود في استعمالها وكونه ردغا وصف
للطريق المحسوس استعير له ووجه المشابهة كون طريق الانسان في استعمال الدنيا والتصرف فيها
ذات مزالق ومزال اقدام تهوي به الى جهنم لا يثبت فيها الا قدم عقل قد جرد ضبط قواه وقهر سطوة
شياطينه كما ان الطريق ذات الوحل كذلك وهو من لطائف الاستعارة الثالث كونها يونق منظرها
ويوبق مخبرها وهو اشارة الى ابتهاجها لذوي الغفلة بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختبارها وذوقهم لحلاوتها
لغرض الالتذاذ بها الرابع كونها غرورا حائلا يروى حائل بالحاء المهملة وضمها ومعنى الاول ذات غرور اي تغر
الخلق بزخارفها فيتوهمون بقاءها ثم تتحول عنهم وتحول ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور
يطلق على ما يغتر به حقيقة عرفية الخامس كونها ضوءا آفلا استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون
الغافلين يقال على فلان ضوء اي له منظر حسن او لما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها
ومخارجها وعلى التقديرين فهو ضوء آفل اي يعدم ويغيب ولفظ الافول مستعار السادس ظل زائل استعار
لفظ الظل لما يأوي اليه الانسان من نعيمها فيستظل به من حرارة بؤسها وظاهر كونه زائلا السابع كونها
سنادا مائلا استعارة ايضا لفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قيناتها وخيراتها التي لا اصل لها ولا ثبات

بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة الثامن كونها تغر
النفس بضوئها وظلها وبهجة منظرها الى غاية ان تتناسى بها من كان يعقلها فراغها وتطبيع اليها
من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتى اذا كان ذلك منه طوعا لما علقت به احبال الغدر والخديعة ونصب الحبائل
من الاحبال امور احكمتها قنصها باه رجل واستعار لفظ القنص لاقتناصها الانسان حين حضور
اجله كانها تحفر برجلها حوليه عنه كما تفعل الدابة ورشح بذكر الاجل وانما جمع باعتبار اليدين مع الرجلين
وذكره بلفظ الرجلين لان القنص انما انسب اليه الا بقصدها باجلها وهو كناية عن تمكن حبائل الحبالة المسالك
الردية المكتسبة منها في عنقه كناية بالمستعار الثالث كونها اقصدت ارباسهامها واستعار لفظ
الاسهم للامراض واسباب الموت واقصادها كناية عن اصابتها كناية بالمستعار للاوصاف التي تنزلها
الدنيا منزلة الرامي كونها اعلقته حبال المنية وحبالها استعارة لما تجذب به الى الموت من سائر اسبابه
ايضا وكذلك لفظ القايد استعارة كنى بها عن السياق المريض في حال مرضه الحاصل فيها الى الامور المذكورة
من ضنك المضطجع وهو القبر ووحشة المرجع وهو اشارة الى ما يجده النفوس الجاهلة عند رجوعها الى مبدايها
من وحشة فراق ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت الفته من مال واهل وولد وهي استعارات للاوصاف
الصادقة تنزيلا للدنيا منزلة ومعاينة المحل اي مشاهدة الآخرة التي هي محل الجزاء وثواب العمل اي جزاوه
من خير او   وكذلك الخلف اي على الاحوال المذكورة للدنيا مضي الخلق يتبع خلفهم من سلف منهم لا ينتهي
تقرع عن اخترام نفوسهم والباقون منهم يرجعون عما هم عليه من ارتكاب الجرائم فيها والغرور بها بل
يقتدون بامثالهم الماضين في ذلك ويمضون على اتباعها الى غاية مسيرهم عطايا الابدان ويصير امرهم
وهو الفناء والعرض على الملك الديان وقد راعى ايضا مع السجع التجنيس في قوله يزني ويوبق وبان
ومار وقصت وقضت والاختلاف بحرف اوسط وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في الاشارة
الى ما يلحق الناس بعد الموت من احوال القيمة تذكيرا لهم قوله حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور وازف
النشور اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا الى امره مهطعين
الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام
والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات مهينمة والجم العرق وعظم
الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب
اقول تصرمت تقضت وازف دنا والضرائح جمع ضريح وهو الشق في وسط القبر واوكار الطيور
اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع مهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس والضرع
الخضوع والاستكانة كاظمة ساكتة والهينمة صوت خفي والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق
وهو الخوف والزبرة الانتهار والمقايضة المعاوضة والنكال تنويع العقوبة واعلم انه قد تطابقت
السنة الانبياء والرسل عليهم السلام على القول بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز كقوله يوم يخرجون
من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة الآية ونحوه

واتفق

واتفق المسلمون على القول به واما الحكماء فالمشهور من مذهبهم نفي المعاد الجسماني بناء على ان المعدوم لا يعاد بعينه
ولامتناع عود اسبابه بعينها من الدورة الفلكية المعينة وغيرها وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود المثل وربما قال
بعضهم في ظاهر الشريعة في امر المعاد الجسماني واثبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية قال الرئيس
ابو علي بن سينا في كتاب الشفاء ما هذه حكاية الفاظه يجب ان يعلم ان المعاد منه ما هو منقول من الشرع ولا سبيل
الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن وشروره
معلومة لا يحتاج ان تعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله حال السعادة والشقاوة
التي بحسب البدن ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة
البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس وان كانت الاوهام منا تقصر عن تصورها الآن لما نوضح
من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة هذه السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنية بل كانهم
لا يلتفتون الى تلك وان اعطوها ولا يستعظمونها في جنبة هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الاول واعلم
ان الذي ذكره عليه السلام هاهنا صريح في اثبات المعاد الجسماني فقوله اخرجهم من ضرائح القبور واوكار الطيور
واوجرة السباع ومطارح المهالك اشارة الى جمع اجزاء ابدان الناس بعد تشذبها وتفرقها فيخرج
من كان قبر من ضريح قبره ومن كان اكيل طير او سبع او مقتولا في مطرح الهلاك من معركة الحرب او غيرها
اخرجه من ذلك المكان وجمع اجزاءه والف بينها فان قلت اذا اكل انسان انسانا واغتذى به وصارت
اجزاء بدنه اجزاء لبدن الآكل فكيف يمكن اعادتهما ان كانت اجزاء في بدن منهما اعيدت لزم نقصان الآخر
وبطلانه قلت مذهب محققي المتكلمين ان في كل بدن واحد اجزاء اصلية باقية من اول العمر الى آخره لا يتغير ولا
يتبدل واجزاء فضلية فاذا اعيد يوم القيمة فما كان اصليا من الاجزاء لبدن الماكول فهو فضلي البدن الآكل
فيرد اليه من غير ان ينقص من الاجزاء الاصلية للآكل شيء ولا عبرة بالفاضلة وباقي الفصل غني عن البيان وقال
بعض الفضلاء انه ربما احتملت هذه الالفاظ ان يسلط عليها من التاويل ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحاني
فقوله حتى اذا تصرمت الامور اي احوال كل واحد من الخلق في الدنيا و **قوله** وتقضت الدهور اي التي
مدة كل شخص منهم و **قوله** وازف النشور اي دنا انشار كل واحد في عالم الآخرة من قبور الابدان و **قوله**
اخرجهم من ضرائح القبور استعار لفظ القبور للابدان وضرائحها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان
النفس لكونها منغمسة في ظلمة البدن وكدر الحواس متوحشة عن عالمها كان المقبور متوهم ظلمة القبر ووحشته منقطع
عن الاهل والمال وخبر الخير يعود الى امه في صدر الخطبة و **قوله** واوكار الطيور فاعلم ان العارفين واهل
الحكمة كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير واوصافه للنفس الناطقة وعلائقها كما اشار اليه سيد المرسلين في قوله
حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت
بي والرفرفة انما تكون لذي الجناح من الطير وكما جاء في التنزيل الالهي في وصف الملائكة اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع وكما اشار اليه ابو علي في قصيدته التي اولها . هبطت اليك من المحل الارفع . ورقاء ذات تعزز وتمنع
واشار بالورقاء الى النفس الناطقة وكما اشار اليه في رسالته المسماة برسالة الطير بقوله برزت طائفة تقنص

فتصبوا الجبال ورتعوا الشرك وحياة والطعم وتواروا في كشيش وانا في سربه طير وكمى ووجه المشابهة في هذه الاستعارة ما يشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والاشتغال فالنفس باشتغال عقلي والطير باشتغال حسي واذا استعير لفظ الطير للنفس فبالحرى ان يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشاركة وهو كونهما مسكنا لا يسهل مفارقته و قوله واوجرة السباع استعارة للابدان ايضا والسباع اشارة الى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التي شانها محبة الغلبة والانتقام كما ان السباع كذلك و قوله ومطارح المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها مطارح هلاك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات اعني ابدانهم و قوله سراعا الى امره نصب على الحال بقوله اخرجهم وكذلك ما بعده من المنصوبات وامره هو حكم قضائه الازلي عليهم بالرجوع اليه وعودهم الى مبدائهم وسرعتهم اليه اشارة الى قرب وصولهم وهو في آن انقطاع علاقة النفس مع البدن وهو في غاية من السرعة و قوله مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس بوجوهها على محل عودها وما اعد لها فيه من خير وشر و قوله رعيلا اشارة الى اجتماعهم في حكم الله وقبضته ومحل الاستحقاق لثوابه وعقابه و قوله صموتا اذ لا السنة لهم اذن ينطقون بها ويحتمل ان يكون الصمت كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل الحاجة وهيبة الجلال و قوله قياما صفوفا فقيامهم استعارة لاستشعار النفوس هيبة الله وعظمته وقيامها بتصور كمال ساق العبودية وذل الامكان وصفوفا استعارة لانتظامهم اذن في سلك علمه تعالى اذ الكل بالنسبة الى علمه على سواء كالمستوى الصف المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لترتبهم في القرب الى الله تعالى متمايزين متصاعدين و قوله ينفذهم البصر اشارة الى احاطة علمه تعالى بهم و قوله ويسمعهم الداعي فالداعي هو حكم القضاء عليهم بالعود واسماعهم عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد و قوله عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة اشارة الى حالهم التي يخرجون عليها من ذل الامكان ورق الحاجة والخوف في قبضة الله وهو كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث و قوله قد ضلت الحيل اي حيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص مما هم فيه كما كانوا يتخلصون بحيل الدنيا من بعض شرورها وانقطع الامل اي املهم فيها لامتناع عودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك و قوله وهوت الافئدة كاظمة اي سقطت النفوس في حضيض الذل والفاقة الى رضا الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار كما سبق و قوله وخشعت الاصوات مهينمة كقوله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وهو اشارة الى سوالهم بلسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ورق العبودية في ملاحظة جلال الله و قوله والجم العرق وعظم الشفق استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما تجده النفس من كرب الم الفراق وهيبة الله وعدم الانس بعد الموت اذ غاية الخائف المتعب ان يعرق ويشفق من نزول العقاب به ونسبة الالجام الى العرق نسبة مجازية و قوله وارعدت الاسماع لزبرة الداعي اشارة الى ما تجده النفس عند تحققها المفارقة واستعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للانفس على ما اراد فرادا تحكم فيه من الجواب بالامتناع وفصل الخطاب هو امضاء احكام الله على النفوس عند الرجوع اليه بتوفيته ما لها واستيفاء ما عليها ومقايضة الجزاء معاوضتها بما اتت به من الملكات الردية

فبكال

فبكال العقاب واما من الملكات الفاضلة فبنوال الثواب وهبة كل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات والاستعارات عن حقايق الالفاظ والى التاويل عن الظواهر انما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا عضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام على ظاهره ولما اعترف القوم بجواز المعاد الجسماني تقليد الشريعة ولم يقم دليل عقلي يمنع منه لم يمكنا الجزم اذن بصحة هذه التاويلات وامثالها وبالله التوفيق **الفصل الخامس** في تشبيه الخلق على اوصاف حالهم المنافية لما هم عليه من التجبر والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يتذكرون بقوله عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَارًا وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا وَكَائِنُونَ رُفَاتًا وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا وَمَدِينُونَ جَزَاءً وَمُمَيَّزُونَ حِسَابًا قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ وَرَوِيَّةِ الارْتِيَادِ وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِي مُدَّةِ الأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ **اقول** القسر القهر والجبر والاجداث القبور واحده جدث والرفات الفتات من العظم ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضي والسدف جمع سدفة وهي ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد الطلب وذكر من ذلك الاوصاف ثلثة عشر وصفا الاول كونهم مخلوقين اقتدارا اي خلقهم ليس لذواتهم بل بقدرة قادر مستقل عن شاركة الغير وذلك مناف لعصيانهم له الثاني كونهم مربوبين اقتسارا اي ليس ملك امرهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة في معصيته وطاعته الثالث كونهم مقبوضين احتضارا اي يحضرون بالموت مقبوضين به الى حضرة جلال الله الرابع كونهم من شانهم ان يضمنوا الاجداث الخامس من شانهم ان يصيروا رفاتا السادس ان من شانهم ان يبعثوا افرادا كما قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي مجردا عن استصحاب غيره معه من اهل ومال السابع انهم مدينون جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر نصب بغير فعله الثامن ان من شانهم ان يميزوا حسابا اي يحصون عددا كقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر انتصب عن غير فعله التاسع كونهم قد امهلوا في طلب المخرج اي امهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل ودركات المعاصي الى نور الحق وحيز الجود العاشر كونهم قد هدوا سبيل المنهج اي الهموا باصل فطرتهم ودلوا بالاعلام الواضحة من الانبياء والشرايع على الطريق الى حضرة قدس الله الحادي عشر كونهم قد عمروا مهل المستعتب اي كان من يطلب استعتابه ونقصه رجوعه عن غيه مهل ويداري طويلا كانت مهلة الله سبحانه لخلقه مدة اعمارهم ليرجعوا الى طاعته ويعملوا اعمالا تشبه ذلك فنزلت منزلته وهل نصب على المصدر لان التعمير امهال الثاني عشر كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اي ازال عن ابصار بصايرهم ظلم الشكوك والشبهات والجهالات بما وهب لهم من العقول واتاهم به من بعثة الرسل الثالث عشر كونهم قد خلوا لمضمار الجياد اي تركوا في الدنيا ليضمروا انفسهم بازواد التقوى ولما استعار لفظ المضمار وهذا السابق وكذلك خلوا لروية الارتياد اي ليتفكروا في طلب ما يخلصون به الى الله تعالى من سائر طاعاته وكذلك ليتانوا اناة المقتبس للانوار الالهية الطالب للاستنارة بها في مدة آجالهم ومحل اضطرابهم في تحصيلهم لما ينبغي لهم من الكمالات ومن علك عن جميع هذه الحالات واغاض عليهم من رب هذه الا نعامات

فكيف يليق باحدهم ان يجاهره بالعصيان او يتجاسر ان يقابله بالكفران ان الانسان لكفور مبين الفصل السادس
في التشويق الى فضل موعظته وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب الملازمة لها ثم الحث على التقوى
فقوله فيا لها امثالا صائبة ومواعظ شافية امثالا ومواعظ نصب على التمييز وصواب الامثال مطابقتها للممثل به
وشفاء الموعظة تاثيرها في القلوب ازالة مرض الجهل والرذائل الخلقية ورجوع المتعظ بها منيبا الى ربه
و قوله لو صادفت قلوبا زاكية واسماعا واعية وآراء عازمة والبابا حازمة ذكاء القلوب استعدادها
لقبول الهداية وقربها من ذلك ووعي الاسماع فهم القلوب عنها وانما وصفها بالوعي لانها الطرق كانها تشوقه
المعاني مودية لها الى قوة الحس ثم الخيال وعزم الآراء توجيه الهمة الى ما ينبغي والثبات على ذلك وحزامة
الالباب جودة راي العقول فيما تختاره وظاهر ان هذه الثلثة هي اسباب نفع الموعظة و قوله
فاتقوا الله اي قول مقام امر بتقوى الله تقية كتقوى من استجمع جميع هذه الاوصاف احدها تقية من
سمع فخشع اي تقية من استعد قلبه بسماع الموعظة فخشع عنها لله الثاني تقية من اقترف واعترف اي عمل
الكبائر الذنوب فاعترف بها واناب الى الله الثالث تقية من وجل اي خاف ربه فاقلقه خوفه فعمل
اي فانتهى الى الاعمال الصالحة ينجو بها الرابع تقية من حاذر اي عقاب ربه فبادر اي الى طاعته الخامس
تقية من ايقن اي بالموت ولقاء ربه فاحسن اي فاحسن عملا واخلص له السادس تقية من عبر اي رأى
بالعبر وذكر بها فاعتبر اي فجعلها سلما يعبر فيها ذهنه الى العلم بما ينبغي له السابع وحذر اي من سخط الله
وعقابه فازدجر اي خرج عن معصيته الثامن تقية من اجاب اي اجاب داعي الله فاناب اي رجع اليه
ببره وامتثل امره التاسع تقية من راجع اي راجع فكره وعقله فتاب اي فاستعان به على شياطينه
وقهر نفسه الامارة بالسوء فتاب عن متابعتها العاشر تقية من اقتدى اي بانبياء الله واوليائه وهداتهم الذي
اتوا به فاحتذى اي حذى حذوهم في جميع احوالهم فطلب قصدهم وفعل فعلهم الحادي عشر تقية من اري
اي اري الحق فابصرت العين بصيرته طريق الله وسبيله فرأى اي فحرصنا فاسرع طالبا لما سلك له
منتهى اليه فنجا هاربا من ظلمات جهله وثمراته فافاد ذخيرة اي فاستفاد سلوكه لها وطاعته لربه في
ذلك ذخيرة لمعاده واطاب سريرته اي طهرها عن نجاسات الدنيا وعمر بالحسنة في سلوكها من الكمالات
المسعدة لمعاده واستظهر به زادا اليوم رحيله من دنياه واستعد به لوجه سبيله التي هو سالكها وسافر
فيها ولحال حاجته وموطن فاقته فان كل مرتبة من الكمالات حصلت للانسان في تعقد رتبة اعلا منها
لو لم يحصلها لفرت له حاجة في الآخرة الى اقل مناصب لا يجد اليها سبيلا وذلك قوله وقدم امامه اي ما استظهر
زادا امامه اي لمقامه وجهته التي هو مستقبلها ومنه الى الدار مقامه اي الآخرة و قوله فاتقوا الله جهة
ما خلقكم له اي باعتبار ما خلقكم له ولما كان ما خلقهم له انما هو عرفانه والوصول اليه كان الغرض اجعلوا
تقواكم لله نظرا الى تلك الجهة والاعتبار لا للرياء والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون
مفعولا به لفعل مقدر اي واقصدوا وابتغوا جهة ما خلقكم له و قوله واحذروا منه كنه ما حذركم
من نفسه اي اسكانه حذركم منه حقيقة تحذيره لكم من نفسه بما توعده وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن

حقيقة

حقيقة المحذور منه وما يكون الى الشيء فتصور ذلك على مراتب متفاوتة و قوله واستحقوا منه ما اعد لكم
بالتنجز لصدق ميعاده استحقاق ما وعد به الله تعالى من جزيل الثواب انما يحصل بالاستعداد له والاستعداد
بالاستعداد له والاستعداد يحتاج الى اسباب فذكرها هنا امرين احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز
طلب انجاز الوعد وقضائه وذلك انما هو بالاقبال على طاعته كما قال تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونحوها والثاني الحذر من هول معاده وذلك
باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه منها قوله جعل لكم اسماعا اعلم ان هذا الفصل
فصلين الفصل الاول في تذكير عباد الله بضروب نعمه عليهم والتنبيه على الغاية منها ثم التذكير بحال
الماضين من الخلق والتنبيه على الاعتبار بهم وهو في معرض الامتنان وذلك قوله جعل لكم اسماعا لتعي ما
عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها في تركيب صورها ومدد عمرها
بابدان قائمة بارفاقها وقلوب رائدة لارزاقها في مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجز عافيته وقدر
لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم ومستفسح خناقهم ارهقتهم
المنايا دون الآمال وشذبهم عنها تخرم الآجال لم يمهدوا في سلامة الابدان ولم يعتبروا في انف الاوان
فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الا حواني الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل السقم واهل مدة البقاء
الا آونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض وغصص الجرض وتلفت
الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب ونفعت النواحب وقد غودر
في محلة الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت
العواصف آثاره ومحا الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها
والارواح مرتهنة بثقل اعبائها موقنة بغيب انبائها لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيء زللها
اولستم ابناء القوم والآباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون قدتهم وتطؤون جادتهم فالقلوب
قاسية عن حظها لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان المعني سواها وكان الرشد في احراز دنياها و
اقول عناها اهمها والعشى ظلمة تعرض للعين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو وهو ايضا القطعة
من اللحم وكنى به عن الجسد والحنو الجانب والارفاق المنافع ويروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلاق
النصيب والخناق بالكسر حبل يخنق به والارهاق الاعجال والتشذيب التفريق ومهدوا من مخففا
ومشددا اي هيأوا وانف الاوان اوله والبضاضة امتلاء البدن وقوته والهرم الكبر وغضارة
العيش طيبه والآونة جمع اوان كازمنة جمع زمان والزيال المزايلة والازوف القرب والعلز كالرعدة
ياخذ المريض والحريص ان يتبلع ريقه على هم وحزن والحفدة الاعوان وغودر ترك والنهك الخلق
والبلاء والمعالم الآثار والشحب الهالك الناحل والنخرة البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر
القاف والدال المهملة الطريقة ويروى بضم القاف والذال المعجمة والاول اصح وارجح الى المخ
فقوله جعل لكم الى قوله باوقاتها تذكير بنعم الله تعالى بخلق الابدان وما يشتمل عليه من المنافع فغايده

الاسماع ان تعي ما خلقت لاجله وفائدة الابصار ان يدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعالى
فيحصل له منها عبرة ولفظ العشا يحتمل ان يكون مستعارا لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون
التقدير لتجلو عن عشا قلوبها وح فادراك البصر المحصل عبرة يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا فصح اذن
اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعارا لعدم ادراكها ادراكا تحصل منه عبرة اذ كانت
فائدتها ذلك فاذا لم يحصل منها ذلك الادراك كانت كبصر اصابه العشا ووجه المشابهة عدم الفائدة
ونسبة الجلاء اليها بوجود الادراك المفيد عبرة عنها وهو استعارة ايضا وعن ليست بزائدة لان الجلاء
يستدعي مجلوا ومجلوا عنه فذكرها المجلو واقام مقام المجلو عنه كانه قال لتجلو عن قواها عشاها واما فائدة
البدن واعضائه فقد اشرنا اليه قبل مفصلا و قوله قائمة بارفاقها اي ان كل بدن قائم في الوجود
بحسب ما هي له من ضروب المنافع و قوله وقلوب رائدة الى قوله ستر عنكم اظهار لمنة الله تعالى على عباده
بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم لارتياد ارزاقها التي بها قوام حيوتها الدنيا وتمكنها من اصلاح معادها ثم
باعتبار كونهم في مجللات نعمه وسوابغها فمنها ستره عليهم قبائح اعمالهم ان يظهر وهواجس خواطرهم
بعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل على ما في ضمير صاحبه من الغل والحسد وتمني زوال نعمته لافنى بعضهم بعضا
وخرب نظام وجودهم وموجبات منته في نعمه التي يستوجب ان يمن بها ومن روى في منح الجسيم فالمراد بالمنح
اذن النعم وموجباتها ما سقط منها وافيض على العباد وحواجز عافيته ما منع منها عوائل الامراض والمضار
المنذر بها وانما ذكر ستر كمية الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد اذ كان اطلاع الانسان
على كمية عمره مما يوجب اشتغال خاطره بخوفه من الموت عن عمارة الارض ويختل بسببه نظام هذا العالم
و قوله وخلف لكم عبرا وجه من منن الله تعالى على عباده فان ابقاء احوال الماضين وما خلفوه عبرة للاحقين
سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوي الهلاك الى سعادة الابد ومستمتع خلاقهم محل ما استمتعوا به
مما كان نصيبا لكل منهم في مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبائل الموت
واغلال الجحيم وذلك المستفسح هو مدة حيوتهم ايضا ثم اردف ذلك بوصف حال الماضين في غرورهم
مذكرا اعجال الموت لهم عن بلوغ آمالهم وتشذبه لهم باخترامهم عنها ونبه به على وجوب تقصير الامل والاستعداد
للموت وذلك بانهم بقوله لم يمهدوا الى قوله الاوان على تقصير الماضين في اصلاح معادهم حيث امكنهم
ذلك في سلامة ابدانهم واول زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكر نفرة من حال السابقين وانزعاج عن الغرور
الى الاستعداد بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهم عما ينتظر الشباب بشبابهم غير حواني الهرم
واهل الصحة بصحتهم من غير الاسقام والمعمرون بطول اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار
لما ينتظرونه غير هذه الامور وتقريعا على ذلك الانتظار وتنفيرا عنه بذكر غاياته التي حصره فيها واعلم
ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان المنتظر امرا المترقب له كان في اكثر احواله غايبه من الاشتغال
الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكانت غاية الشباب ان يلحقهم الهرم وغاية الصحيح ان يسقم وغاية المعمر
ان يفنى اشبه تركهم العمل وعبادة الله الى غاياتهم المذكورة الانتظار لها فاستعير لفظ الانتظار ثم

كنى

كنى عن شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض للروح كالرعدة والقلق والغم والخوف والغصص
بالريق والتلفت للاستعانة بالاخوان والاقرباء والاعزة ثم نبه بقوله فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب
اي البواكي على ان ما يقع عند نزول الموت من تلك الاحوال لا ينفع في دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام
والانكار و قوله قد غودر في محلة الاموات في محل النصب على الحال والعامل نفعت اي لم ينفعه البكاء حال ما غودر في
محلة الاموات بالاوصاف المذكورة متغيرا عن احواله وحيدا اي الخلاص من اهوالها بالعمل لله والاخلاص له
ورهينا اي متخلفا او مرتهنا بذنوبه وموثوقا بها ونصبه على الحال وكذلك وحيدا وموضع قوله قد هتكت و
بانت الاحوال المعطوفة عليه والهوام المدبات المتولدة من جيفه او غيرها و قوله والارواح مرتهنة بثقل
اعبائها اشارة الى اشتغال النفوس وانحطاطها الى الجهة السافلة بثقل ما حملته من الاوزار والمكتسبة
من الهيئات الردية وما يتحقق غيبه من الانباء هناك هو الاخبار عن الاحوال اللاحقة بها بعد الموت من خير
وشر فانها تتيقن غيبها عن اهل الدنيا وانباؤها ما خلفته من العلائق الدنيوية فانها تتيقن بعد الموت غيبتها
وانقطاعها عنها والاحوال اوساط و قوله لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيء زللها اي لا تطلب
منها زيادة من العمل الصالح ولا يقال من سيء زللها ولا يرضى عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
وذلك لعدم آلة العمل وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صارت عليها من اطواق الهيئات البدنية
كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ
الى يوم يبعثون و قوله اولستم ابناء القوم والاباء واخوانهم والاقرباء اي اوليس كل منكم من جواب الاحد
اولئك ابن او اخ او قريب وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت
وما بعده نبههم على انهم امثالهم في كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الله الذي هو سبب النجاة من تلك الاهوال
و قوله تحتذون امثلتهم اي تقتدون بهم في افعالهم وتسلكون مسالكهم في غرورهم ونحوه كما قال تعالى حكاية
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون و قوله فالقلوب قاسية عن حظها اي
الاستعداد لما يقبل به حظها الذي ينبغي لها طلبه لاهية عن رشدها غافلة عن طلب هدايتها سالكة في
غير مضمارها المضمار هنا هو الشريعة واوامر الله وسلوكها لغيره ارتكابها لمناهي الله وترياضها
بالاعمال الطالحة التي هي طرق الجحيم و قوله كان المعني سواها وكان الرشد في احراز دنياها اي بالغوا في
ذكر اعراض دنياها بالغفلة في ذكر اعراض القلوب وغفلتها عن المواعظ وانها كانت في تحصيل الدنيا ووجهها الذي
جذبت عنه وحذرت منه الفصل الثالث في التذكير بامر الصراط والتحذير من اهواله والحث على التقوى
وذلك قوله وَاعْلَمُوا اَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَاَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ اَهْوَالِهِ فَاتَّقُوا اللهَ
تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ وَاَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَاَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَاَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَظَلَفَ
الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ وَاَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِاَمَانِهِ وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ وَسَلَكَ اَقْصَدَ الْمَسَالِكِ
اِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْاُمُورِ ظَافِرًا بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى وَرَاحَةِ
النُّعْمَى فِي اَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنِ يَوْمِهِ قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا وَقَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيدًا وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ وَاَكْمَشَ

في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب وراقب في يومه غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا ونوالا وكفى بالنار
عقابا ووبالا وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما اوصيكم بتقوى الله الذي اعذر بما انذر واحتج بما نهج وحذركم
عدوا نفذ في الصدور خفيا ونفث في الآذان نجيا فاضل واردى ووعد فمنى وزين سيئات الجرائم وهون
موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته انكر ما زين واستعظم ما هون وحذر ما امن

وكفى بالله

اقول المزلق الموضع الذي لا تثبت عليه قدم والدحض الزلق والتهجد العبادة بالليل والغرار النوم القليل
والوجف السريع والمخالج الامور المشغلة الجاذبة والكمش امضى عزمه ومضى قدما لم يعرج واعلم ان الصراط
الموعود به في القرآن الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته فظاهر الشريعة والذي عليه جمهور
المسلمين ومن اثبت المعاد الجسماني يقتضي انه جسم في غاية الدقة والحدة ممدود على جهنم وهو طريق الى الجنة يجوزه
من اخلص لله ومن عصاه سلك عن جنبيه احد ابواب جهنم واما الحكماء فقالوا الجنة وما يقال في حقه انه كالشعر
في الدقة فهو ظلم بل بالنسبة الشعرة اليه كنسبتها الى الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس الذي ليس من احدهما
فهو كالخط الذي لا عرض له اصلا وحقيقته هو الوسط الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد بين الاسراف والتقتير والتواضع بين التكبر والمهانة والعفة
بين الشهوة والخمود والعدالة بين الظلم والانظلام فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الاخلاق المحمودة
ولكل واحد منها طرفا تفريط وافراط هما مذمومان وكل واحد منها هو غاية البعد بين طرفيه وليس من طرف
الزيادة ولا من طرف النقصان قالوا وتحقيق ذلك ان كمال الانسان في التشبه بالملائكة وهم منفكون عن
هذه الاوصاف المتضادة وليس في امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فغايته التباعد عنها الى الوسط
تباعدا يشبه الانفكاك عنها فالسخي كانه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لا ميل له
الى احد الجانبين ولا عرض له وهو ادق من الشعر ولذلك قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروي عن الصادق عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم
قال يقول ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب
او ناخذ بارائنا فنهلك وعن الحسن العسكري ع الصراط صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فاما
الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل الى شيء من الباطل
والصراط الآخر هو طريق المؤمنين الى الجنة لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار سوى الجنة والناس
في ذلك متفاوتون فمن استقام على هذا الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الآخرة مستويا ودخل الجنة
انا اذا عرفت ذلك فنقول مزالق الصراط كناية عن المواضع التي هي مظان انحراف الانسان عن الوسط
بين الاطراف المذمومة وتلك المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية والا دحض زلقه هي المستلزم
العبور الى احد طرفي الافراط والتفريط من العذاب العظيم في الآخرة وتارات اهواله تكرار ذلك مرة بعد اخرى
و قوله فاتقوا الله عود الى الامر بتقوى الله تقية من سمع اوصاف الايمان اهل هذا تقية من شغل التفكر قلبه
اي في امر معاده عن محبة الدنيا وباطلها الثاني و انصب الخوف بدنه اي اتعبه ومكان خوف الله يتعلق بما اعد

لعصاته من الاهوال الثالث واسهرت العبادة غرار نومه اي لم يترك نوما الرابع واظمأ الرجاء هواجر
يومه اي اظماه رجاء الله ثوابه ولا رحمته الابرار عوضا من طيبات هذه الدار ونطاوة في هواجر يومه كناية عن
كثرة صيامه في اشتداد وقت حرارته وانما جعل الهواجر مفعولا اقامة للظرف مقام المظروف وهو من وجوه
المجاز الخامس وظلف الزهد شهواته استعار لفظ الاظلاف للزهد وهو من اوصاف الناقة ونسبه الى الناس
نسبة الزهد الى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تأثيرها المؤذي وبين الزهد والماء في التسكين
من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع في الشهوات ويرفع مضارها كما تفعله الماء بالنار السادس واوجف الذكر
بلسانه اي اسرعه وبادره ولا دامه فيه السابع وقدم الخوف لامانه اي خوف ربه حصل له الامن من عذابه
الثامن وتنكب المخالج اي عدل عن الامور المشغلة الى واضح سبيل الله التاسع وسلك اقصد المسالك اي ولا
بالقصد الى النهج الواضح والطريق المطلوب لمن خلقه وهو سبيل المستقيم فان الناس في سلوك سبيل الله بين
كثرة وقلة اجتماله اوله بالقصد الى طريقه الموصل اليه العاشر ولم تفتله فاتلات الغرور اي لم تمله
في لذات الدنيا عن ربه اذ لم يغفل عن طاعته الحادي عشر ولم تعم عليه مشتبهات الامور اي لم تظلم في وجه
على حق يشتبه عليه وجه تخليصه الثاني عشر ظافرا بفرحة البشرى اي بشرى الملائكة يوم بشراكم اليوم جنات
تجري من تحتها الانهار الثالث عشر وراحة النعمى اي الراحة من شقاء الدنيا ومتاعبها في النعمة الآخرة ونعيم الله
في الآخرة الجنة الرابع عشر في انعم نومه اي في اطيب راحة واطلق لفظ النوم على الراحة في الجنة مجازا اطلاقا
لاسم الملزوم على لازمه الخامس عشر وآمن يومه اي آمن اوقاته واطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا اطلاقا
لاسم الجزء على الكل السادس عشر قد عبر معبر العاجلة اي الدنيا حميدا اي محمود الطريقة السابع عشر وقدم
زاد الآجلة سعيدا اي عمل الآخرة فحصل على السعادة الابدية وحيدا وسعيدا حالان الثامن عشر وبادر من
وجل اي الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله التاسع عشر واكمش في مهل اي الى طاعة ربه ايام مهلته وهي
حيوة الدنيا العشرون ورغب في طلب اي كان طلبه تقدم من رغبة الحادي والعشرون وذهب عن هرب اي كان
ذهابه عما يبعد عن الله عن هرب من خوف الله وفي كل قرينتين من هذه العشر السجع المتوازي الثاني والعشرون
وراقب في يومه غده اي ترقب في ايام حيوته يوم آخرته الثالث والعشرون ونظر قدما امامه اي لم يلتفت
في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه بقوله فكفى بالجنة ثوابا ونوالا على وجوب السعي لها دون غيرها ثم بكون النار
وبالا عقابا على وجوب الهرب منها دون غيرها وبقوله وكفى بالله منتقما ونصيرا على وجوب الاقتصار على خشيته
والاستعانة به وبقوله وكفى بالكتاب حجيجا اي محتجا وخصيما على وجوب الانفعال عنه وملاحظة شهادته في
الآخرة على من لم يتبعه ونسب الاحتجاج والخصام الى الكتاب مجازا والمنصوبات كلها على التميز و قوله
اوصيكم بتقوى الله عود الى الحث على تقوى الله باعتبار امور ثلثة احدها اعذاره الى الخلق بما انذرهم به من
العقوبات الثاني في احتجاجه عليهم بما اوضحه بالدلائل والبينات الثالث تحذيره لهم ابليس وعداوته وقد
سبق معناه في الخطبة الاولى وذكر لها اوصافا هي كونه نفذ في الصدور خفيا والاشارة به الى النفس الامارة
بالسوء ويجوز بلفظ الصدور في القلوب اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه نفث في الآذان نجيا وهو اشارة

اي ما يلقيه شياطين الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول وغروره وقد سبق ذلك في خطبته الا وما و في
اضل اي جذب عن طريق الحق واردى اي فاردا هم في قرار الجحيم ووعد ومنى اي بليغ الآمال الكاذبة و
زين سيئات الجرائم اي قبائح المعاصي وهون موبقات العظائم اي ما يهلك من عظيم الذنوب وتهوينه لها بمثل
تمنية التوبة ومساعدة العقل له بقوله ان الله غفور رحيم وبمثل الاقتدا بالغير الذي هو اوسط بالعفو خطلا واكبر
قدرا في الدنيا وسائر اصناف الوساوس كما عرفت حقيقتها و **قوله** حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته
قرينته هي النفس الناطقة باعتبار مرافقته وهي رهينته باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله كما يستغلق
الرهن بما عليه من المال ولفظ الرهينة مستعار واستدراجه لها تزيينه حالا بعد حال وتعويده لطاعته **وقوله**
انكر ما زين اه اشارة الى غايته من وسوسته ويعود من النفس الامارة بالسوء الى مواخذتها لكم العقل في
قبح ما كانت امرت به واستعظام خطره ومساعدتها في التحذير منه بالامتناع من تحسينه بعد ان كانت تحث
عليه وترنه وتؤمن منه وذلك اما عند التوبة وقهر العقل لها او عند معاينة المكروهات الجزئية من العقوبات
والالام اما في الدنيا او بعد المفارقة والحصول في عذاب الجحيم بسبب الانهماك فيما كانت زينته من الباطل
وذلك ان النفس اذا فارقت البدن صحبتها القوة المتوهمة فيدرك بها جهتها من جزئيات العقوبات
كعذاب القبر وما يتنوع منه كما سبقت الاشارة اليه وقد يتصور ذلك من شياطين الانس في تزيينهم الجرائم
واما من الشيطان الظاهر فظاهر **منها** في صفة خلق الانسان وفي هذا الفصل فصلان **الفصل الاول**
قوله ام هذا الذي انشاه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دفاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا
ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله
واستوى مثاله نفر مستكبرا وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا لدنياه في لذات طربه وبدوات
اربه لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية فمات في فتنته غريرا وعاش في هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض
مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه فظل سادرا وبات ساهرا في غمرات الآلام
وطوارق الاوجاع بين اخ شقيق ووالد شفيق وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا والمرء في
سكرة ملهية وغمرة كارثة وانة موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة ثم ادرج في اكفانه مبلسا وجذب
منقادا سلسا ثم القي على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة الولدان وحشدة الاخوان الى دار
غربته ومنقطع زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع اقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال وعثرة
الامتحان واعظم ما هنالك بلية نزل الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير وسورات الزفير لا فترة مريحة ولا دعة مزيحة ولا
قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين اطوار الموتات وعذاب الساعات انا بالله عائذون
اقول اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من مبدا عمره بالنقصان وبيان نعم الله تعالى عليه
في اطوار الخلقة وتبكيته على مقابلته نعم الله بالكفران والغفلة في متابعة الشيطان وتذكيره بما يكون غايته من حركته
الدنيا وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله واقاربه وحالهم معه وما يكون بعد الموت من العذاب
في القبر والسؤال والحساب وسائر ما ينفر طبعه منه ويوجب له الالتفات الى اصلاح معاده وتذكيره بما له

لعله يتذكر او يخشى والشغف بالفتح الشغاف جمع شغاف بالفتح وهو غلاف القلب والدفاق المفرغة والمحاق الناقصة
واليافع الغلام المرتفع والسادر اللاهي الذي لا يهتم بشيء ولا يبالي والماتح الجاذب للدلو من البئر والبدوات الخطرات
التي تبدو اي تظهر للخاطر وهو بالكسر اي غشيه وغبر الشيء بقيته وجماحه سببه في ركوب هواه والسادرنا بنا
التحير واللدم ضرب الصدر والكارثة موجبة لشدة الغم والابلاس الياس والرجيع من الابل المردد في الاسفار
والنضو الذي هدّ هزاله وحفدة الولدان اعوانهم والحشدة بفتح الحا والشين المجتمعون والنجي المنتجي وفي
تفصيل هذا الفصل نكت الاولى الاستفهام وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وامره باعتبار حال
نفسه ودلائل خلقته بما جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكان ام معادلة لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير اليس
فيما اظهر لكم من عجايب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتقلبه في اطوار خلقته وحالاته الى يوم نشوره كقوله تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون وفي بعض النسخ اوهذا او الى واحد واعلم ان في ملاحظة خلقة الانسان وما جمع فيها من
لطايف الاسرار عبرة تامة حتى كان علما مختصرا لكل ما دونها اليه قبل وسيانه الثانية قيل اول احوال الكون زبد من
المني وانتفاخ يظهر فيه فينوبه واول ما يكون فيه في الرحم بفعل الملك المصور ثم يحدث ريح من قبل الطبيعة
فيثقب ثقبا امام فوهات العروق بحيث اذا تكلفت محسوسته صارت عروقا ثم يبسط النطفة في اقطارها ويحدث
في اللفة ثقبا موازنة لثقب العروق التي في الرحم فيفتح عند الحيض ويحصل لجميعها مجاري في اللف المذكور يؤدي الى
مجرى واحد نافذ الى عمق النطفة مؤديا الى باطنه الدم في عرقين او عرق والنفس في عرقين فاذا تخلقت هذه
المجاري امتصت النطفة الغذاء من فوهات تلك العروق ونفذ في الصفاق دم يستحيل عن قريب الى جوهر
المني وحدث لها خطوط لها مبادي دموية ونقطة اوسطها هي القلب ثم لا تزال الدموية تزداد في النطفة حتى
النطفة حتى تصير علقة ويكون مثل الرغوة في الاكثر لستة ايام ما تبدأ الخطوط الحمر والنقط بعد ثلثة ايام اخرى
ثم بعد ستة ايام اخرى وهو الخامس عشر من حين العلوق تنفذ الدموية في الجميع فيصير علقة وبعد ذلك باثني عشر يوما
يصير لحما ويتميز قطعة لحم هي المضغة ويتميز الاعضاء الرئيسة ويمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة ايام اخرى تمام الاربعين
فيصير جنينا وقد يتم ذلك في ثلثين يوما وقد يتم في خمس واربعين يوما وقيل العدل في زمان ذلك خمسة وثلثون
يوما فيتحرك في سبعين يوما ويولد في مائتين وعشرة ايام وذلك سبعة اشهر واذا كان الاكثر خمسة واربعين
يوما فيتحرك في تسعين يوما ويولد في مائتين وسبعين يوما وذلك تسعة اشهر فهذه اشارة الى تخلقه في
ظلمات الرحم بتدبير الملك المقدر وواسطة الملك المصور ولو كشف الغطاء لراينا هذا التخطيط والتصوير
يظهر عليه شيئا فشيئا مع انا لا نرى المصور ولا آلته فسبحان المقدر لما يشاء الثالثة انما وصف العلقة
بالمحاق لانها لم تفض عليها بعد صورة شخص الانسان في بعد ممحقة الرابعة الولد ما دام يرضع فهو رضيع وبعده
وليد فاذا ارتفع قبل بلوغ فاذا طر شاربه فهو غلام فاذا ادرك فهو رجل وللرجولية ثلثة حدود والشباب
وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة وبعدها الشيخوخة الخامسة ذكر الحفظ للقلب واللفظ للسان واللحظ للبصر
بيان للفوايد ثم ذكر غاية تلك الفوايد ومقصودها وهو ان يفهم الانسان معتبرا اي يستنبط من شواهد آيات الله
ودلايل وحدانيته وساير نعوت جلاله ويعبر فيها الى استكمال الفضايل النفسانية ويقصر مزدجرا اي يكف عما

لا ينبغي من موبقات الآثام وعن الخوض فيما لا يعنيه مزدجرا عما السادسة قوله حتى اذا تم اعتداله واستوى مثله
نزوة منكرا الى اخره اوصاف فيقال ان كثيرا لا يكون بهذه الصفة مع انه يصدق عليهم هذه الاحكام فجوابه ان الشارح
عليه السلم الى الانسان المطلق الذي هو في قوة البعض لا الانسان العام وذلك ان الاوصاف المذكورة اذا صدقت
في المطلق فقد صدقت في بعض الناس وذلك البعض هم العصاة المرادون بهذه الاوصاف والتوبيخ بها ثم
شبه الجانين في وجوب دوام شكره والتباطؤ في امتثال اوامره ونواهيه الاتباع مائحا غرب هواه كادحا
لفظ الغرب لهواه الذي يجذبه صحايف اعماله من الآثام كما يملأ ذو الغرب غربه من الماء ورشح تلك الاستعارة بذكر
المتح الثالثة المنصوبات العشرون نطفة وعلقة وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ومعتبرا ومزدجرا ومستكبرا
وساهيا وماتحا وكادحا عزرا وملبسا ومغتادا ومسلسا ورجيع ووصب ونضو سقم ونجيا كلها احوال العامل
في كل حال مايليه من الافعال وسجا اما مفعول به والعامل كادحا او مصدر استغني عن ذكر فعله وسيرا صفة
ظرف محذوف اقيمت مقامه اي زمانا يسيرا وروي يسيرا فعلى هذا يكون حالا وجزعا وقلقا مفعول له
واستعار لفظ العاصي في الرواية الثانية ووجه المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه الى ما انه
كما يقاد الاسير الى ما يكرهه الثالثة لم يفد عوضا اي لم يستفد في الدنيا عوضا عما يفوته من الآخرة والعوض
الذي ينبغي هو الكمالات التي خلق ليستفيدها وفرضت عليه ولم يقضها من العلوم والاخلاق العاشرة الواو
في المرء للحال والعامل لادته والانة الموجعة من قلوب الواجدين عليه والجذبة المكربة اي جذب الملائكة
سريع كما قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
الآية وروي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال ان المؤمن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان
فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية مرضيا عنك الى روح الله
وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت في ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها الى عليين
وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال ايتها النفس الخبيثة
ارجعي ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وكان لها
نشيش ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك الجذبة تعود الى ما تجده الميت حال النزع
وهو عبارة عن الم تنزل بنفس الروح حتى يستغرق جميع اجزائه المنتشرة في اعماق البدن وليس هو كسائر
ما يجده الروح المختص ببعض الاعضاء كعضو شاكة شوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع واحد فالم النزع يهجم
على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء ومن اصل كل
شعرة وبشرة ولا تسأل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه وقد تمثل ذلك بشجرة شوك كانت داخل
البدن ثم جذبت منه فهي الجذبة المكربة ولما كان موت كل عضو من البدن عقيب الامراض التي ربما طالت
تدريجا فتلك هي السوقة المتعبة الحادية عشر قوله رجيع وصب ونضو سقم استعار له وصفي الجمل فالرجيع
باعتبار كونه قد ردد في اطوار المرض وتواتر عليه كما يردد الجمل في السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار
نحوله من الاسقام كما يحل الاسفار الجمل الثانية قوله اقعده في حفرته نجيا لبهتة السؤال الى قوله **اقول** القول بعذاب القبر

وسؤال

وسؤال منكر ونكير حق روي عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لعمر يا ابن الخطاب كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك
فقاسوا لك ثلثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم
يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف
وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويحثيان القبر بانيابهما فيتلتلانك ويترترانك فيقولان لك
من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي عقلي الآن قال صلى الله عليه قال اذن
اكفيكهما وفي وصفهما عنه صلى الله عليه انهما ملكان اسودان ازرقان احدهما منكر والآخر نكير واعلم ان الايمان بما جاء من
ذلك في ثلث مراتب احدها وهو الاظهر الاسلم ان تصدق بانها موجودة وان هناك ملكين في الصورة المحكية
وحيات وعقارب تلدغ الميت وان لم تشاهدها اذ لا تصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما
يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبرئيل وكان النبي صلى الله عليه يشاهده وان لم
يكونوا يشاهدونه وكما ان جبرئيل لا يشبه الناس فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر ليس
من جنس حيات عالمنا فتدرك بعين اخرى المقام الثاني ان تتذكر ما قد يراه النائم من صورة شخص او حية تلدغه او
تقتله او حية تلدغه وقد يتألم به حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدرك من
نفسه ويشاهده ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله شخصا ولا حية
موجودة في حقه متخيلة ولا فرق بين ان يتخيل عدوا او حية او يشاهده المقام الثالث ان تعلم ان منكرا ونكيرا
وسائر احوال القبر عبارة عن الآلام والمؤلم في حقه ليس هو الشخص المشاهد ولا الحية بل ما حصل فيه العذاب
فالنفس العاصية اذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة معها ولم تتجرد عن البدن منزهة عن الهيئات البدنية
والاخلاق الردية المهلكة من الكبر والرياء والحسد والحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن
متوهمة نفسها الانسان الذي مات وفي صورته كما كان في الرؤيا تتخيل وتتوهم بدنها مقبورة وتتخيل الآلام
الواصلة اليها من كل خلق ردي في سبيل العقوبة الحسية لها كما قررته الشريعة الصادقة والنور في الاذعان
هنا في صورة شخص منكر اي الصورة يعنفه في السؤال ويهينه ببهوة منظره وهول اصواته ويتخبط فيسلخ
فيضربه ويعذبه وفي مثال تنين يلدغه وان كانت النفس سعيدة تخيلت الملذات اللاحقة لها من كل خلق حسن
وعمل صالح قدمته في صورة ملائمة فوق ما كانت تعتقده مما كان وصف لها من صور اشخاص بهية يدخل عليهم
ويلقاهم بالبشارة كمبشر وبشير وسائر الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحة القبر
والروح والريحان وسائر ما وعد فيه فهذا عذاب القبر وثوابه واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فان قلت لم جعل اول داخل في الانسان في قبره سواء كان سعيدا او شقيا
ملكين ولم يكن ثلثة او واحدا فلاختلاف قال بعض العلماء انه لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس
انما تحصل من جهة قوتين نظرية وعملية بها جعل ما يكتسب من كل واحدة منهما ملكا فان كان المكتسب جهلا مركبا
ورذائل اخلاق فمنكر ونكير وان كان علما ومكارم فمبشر وبشير والله اعلم باسرار شريعته واعلم انك متى
تصورت معنى ثواب القبر وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار الثانية عشر قوله

كيفية سؤال القبر

اخرة مركبة ولا قوة حاجزة تجري مجرى آيات الوعيد الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الذين لا يسكن نفوسهم
بعالم الملكوت ومنه قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
واما انه ليس لهم قوة حاجزة فلان القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مفقودة في حقهم وهي الملكة بامر تعالى
ومحبة الالتفات الى عالم الغيب والملأ الاعلى واما عدم الموتة الناجزة فلان الانسان غير قابل للفناء
كما علم ذلك في موضعه واما سلب السنة عنهم اشارة الى شدة الالم وما يلحقهم من الم العذاب فان الالم
يستلزم عدم النوم فلا سلوة اذن بين حالات سكرات العذاب واطلاق لفظ الموتات مجاز في شدة
العذاب اطلاقا لذي الغاية على ما يصلح غاية له وقد لاحظ في اكثر هذا الفصل السجع المتوازي وبالله التوفيق

الفصل الثالث قوله عباد الله اين الذين عمروا فنعموا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا امهلوا
طويلا ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة اولي
الابصار والاسماع والعافية والمتاع هل من مناص او خلاص او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فأنى
تؤفكون ام اين تصرفون ام بماذا تغترون وانما حظ احدكم من الارض ذات الطول والعرض قيد قده
متعفرا على خده الآن عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل في فينة الارشاد وراحة الاجساد ومهل البقية
وانف المشية وانظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق وقبل قدوم
الغائب المنتظر واخذة العزيز المقتدر **اقول** ورطه في الامر حبسه فيه والمناص الملجأ والمحار المرجع
والمصرف وقيد قده مقدار قامته والمتعفر المترب والعفر التراب والفينة الحين وانف الشيء
اوله والحوبة الحاجة والمسكنة والضنك الضيق وفي هذا الفصل فوايد الاولى التنبيه والتقريع بالسؤال عن
جماعة من نعم الله عليهم ان عمرهم فنعمهم وعلمهم ففهموا وانظرهم وسلمهم من الآفات وامهلهم طويلا ومنحهم الجميل
وحذرهم اليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كونهم تلك النعم ان اشتغلوا بلذات الدنيا عن اداء شكره
ولهوا عن الالتفات اليه ونسوا ما ذكرهم به ودعاهم اليه الثانية التحذير من الذنوب المورطة في موارد
الهلكة وانواع العذاب ثم من العيوب المسخطة لله وهي اكتساب رذايل الاخلاق الثالثة تنبيه اولي
الابصار والاسماع والعافية والمتاع في الدنيا على انه لا مناص اي من امر الله ولا خلاص اي من عذابه
لمن حصل فيه وكذلك لا معاذ ولا ملاذ منه لمن استحقه ولا فرار اي من حكمه ولا مرجع اي بعد الموت
وانما خص اولي الابصار والاسماع والعافية لكونهم اهل التكاليف التامة والعقول وان كان في ذلك اشارة
اما بالابصار والاسماع مجازا او في العافية وانما خص اولي المتاع لان اهل الاستمتاع بالدنيا هم المخدوعون
منها من جهة اشتغالهم بها عن سلوك سبيل الله واهل استغنائهم عن الامور المذكورة في سبيل الله
لا عذار ايضا ... الرابعة التذكير بامر القبر وتعفير الخد فيه مما هو منفور عنه
طبعا وفيه تنبيه على وجوب الاعراض عن الاستكثار من قنيات الدنيا وجمعها لوجوب مفارقتها وانه
لا نصيب للمرء في تحصيلها منها الا مقدار قامته وهو كناية عن قبره الخامسة التنبيه على وقت العمل والاحوال
التي يمكن فيها وكنى بالآن عن زمان الحياة الدنيا وبالخناق عما يوخذ به اعناق النفوس الى باريها وهو

الموت كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون كل واحد منهما مكروها يقاد به الى مكروه ورشح الاستعارة بذكر
الاهمال وكنى به عن مدة الامهال في الحياة الدنيا وكذلك اراد بارسال الروح امهالها واهمالها ويكون ذلك الارسال
في فينة الارشاد اي في زمان ارشاد النفوس وطلبها لما تستعد به من الكمال لقاء الله وروي الارشاد اي
ارشاد النفوس الى سبيل الله وجهة السعادة الابدية وكذلك مهل البقية اي بقية الاعمار الآن وسعته قوله وانف
المشية اي اول الارادات من النفوس وذلك انه ينبغي ان يكون اول زمان الانسان واوايل ميول نفسه
الى طاعة الله والانقياد لاوامره ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات المسعدة في الآخرة واردا على لوح
صاف عن كدر الباطل وانه متى عكس ذلك فجعل اوايل ميوله وارادته لمعاصي الله تسود وجه نفسه بملكات
السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق فكان من الاحسن ... بعد انظار التوبة امهال
العصاة لاجلها ولما كان غرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله حسن ان يعبر عن تعقب العاصي بانه
انظار لتوبته التي منه وانفساح الحوبة اتساع زمان العمل لحاجته في الآخرة والاضافة تكفي فيها ادنى ملابسة
وذلك ان كل حاجة فرضها الانسان في الدنيا فقد لا يكون في محل الضرورة والضيق الكلي وان كانت
في محل الضرورة لكنها في مظنة ان يرجى زوالها بخلاف الحاجة والضرورة في الآخرة الى صالح الاعمال فانها
لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا تنفع العمل لها الا في الدنيا وكان اهلها منها في اشد ضرورة واضيق حال
واقبح صورة واشار بالضنك والضيق الى انحصار الانسان في اغلال الهيئات البدنية وبحبس جهنم وبالروع
والزهوق الى الفزع الاكبر من احوال الموت وما بعده التاسعة الغائب المنتظر كناية عن الموت وقدومه
هجومه ولفظ الاستعارة لفظ الغائب مراعاة لشبهه بما ينتظر ... الاستعارة بلفظ القدوم العاشرة
اخذة العزيز المقتدر جذب الارواح بحكم قدرة الله العزيز الذي لا يمنعه اذ لا قاهر المقتدر الذي لا تمتنع
منه لقدرة قادر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن النابغة يزعم لاهل
الشام ان في دعابة واني امرؤ تلعابة اعافس وامارس لقد قال باطلا ونطق آثما اما وشر القول الكذب
انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسأل فيلحف ويسأل فيبخل ويخون العهد ويقطع الال فاذا كان عند الحرب فأي زاجر
وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح القوم سبته اما والله اني ليمنعني
من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة انه لم يبايع معاوية حتى شرط له ان يؤتيه اتية ويرضخ له
على ترك الدين رضيخة **اقول** نبغ الشيء ظهر وسميت ام عمرو النابغة لشهرتها بالفجور وتظاهرها به والدعابة المزاح
والتلعابة كثير اللعب والتاء للمبالغة والمعافسة المداعبة والممارسة المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه
والال القرابة والسبة الاست والاتية العطية والوزن واحد وكذلك الرضيخة واعلم ان في هذا الفصل ثلاثة
فصول الاول ذكر دعوى عمرو في حقه من كونه لعابا مزاحا كثير المعالجة والمصارعة وذكر هذه الدعوى مصدرة
بالتعجب من صدورها في حقه مقرونة بالتكذيب لها والرد لمقاله وذلك قوله عجبا الى قوله ونطق آثما وباطلا
وصف لمصدر وآثما حال وانما كنى عنه بابن النابغة لان من عادة العرب النسبة الى الام اذا كانت مشهورة بشرف
او خسة ونحوها واعلم انه عليه السلام كان بعيدا عن المزاح بالقدر المعتدل الذي لا يخرج به الى حد رذيلة الافراط

فيه فمن ذلك ما روي انه كان جالسا يوما على رباوة من الارض وكان ابو هريرة جالسا معه واخذته نفسه وحذف بنواة فاصابت ابا هريرة فتبسم فقال ابو هريرة هذا الذي اخرك عن الناس وقد علمت ان ذلك من توابع حسن الخلق ولين الجانب وهو اذن فضيلة وليس برذيلة والمدعي لعمرو انما هو جربزة في ذلك الحد الذي يصدق عليه انه لعب وهزل روي انه كان يقول لاهل الشام انا انما اخرنا عليا لان فيه هزلا لا جد معه ونحوه ما كان يقوله ابوه العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله انه لساحر ومن اشبه اباه فما ظلم وتكذيبه عم لعمرو انما هو فيما ادعاه من الخروج الى اللعب واما اصل المزاح فلم ينكره وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما روي انه قال يوما لعجوز ان العجائز لا يدخلن الجنة فبكت فتبسم وقال ان الله تعالى يخلقهن ثم يدخلهن الجنة فاهل الجنة شباب جرد مرد وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وكان يقول اني امزح ولا اقول الا حقا ثم نقل الرد الى قوله سبته وليشتمل على ما ذكر ما اجتمع في هذا المدعي من الرذائل التي توجب فسقه وسقوط دعواه لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية وذكر من تلك الرذائل خمسا الاولى وهو ظاهر كونه شر القول وانه مفسدة مطلقة في الدين والدنيا اما الدين فالمنقول والمعقول اما المنقول فقول الرسول صلى الله عليه وآله الكذب رأس النفاق اما المعقول فلان الوجدان شاهد بان الكذب مما يسود لوح النفس ويمنعها عن ان ينتقش بصور الحق والصدق ويفسد المنامات والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل النفوس وسفك الدماء وانواع الظلم ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المعتزلة قبحه بالضرورة لذاته وهو رذيلة مقابلة للصدق داخلة تحت رذيلة الفجور الثانية الخلف في الوعد الثالثة الغدر في العهد وخيانته وهما رذيلتان متقابلتان للوفاء داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو طرف الافراط والتفريط من فضيلة الذكاء وهما يستلزمان الكذب ايضا الرابعة قطع الرحم وهي رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات الدنيوية وهي رذيلة تحت الظلم مستلزمة للبخل الخامسة رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة الشجاعة ونبه عليها بقوله فاذا كان عند الحرب فاي زاجر وآمر هو الى قوله سبته وفيه تنبيه على دناءة همته ومهانة نفسه اذ كان على الهمة شهم النفس لا يقرن قرارع الاقران الى التخلص من الموت بافتح فعل لكون من كشف سوءته وبقاء ذلك سبة في عقبه على مرور الدهور والدناءة والمهانة رذيلتان تحت الجبن وقوله فاي زاجر وامر هو استفهام على سبيل التعجب والمبالغة في امره ونهيه وذكره في معرض الذم هنا وان كان من الممادح لغرض ان يردفه برذيلته ليكون ذلك خارجا مخرج الاستهزاء فيكون ابلغ وتقاذف النفوس واشد عارا عليه اذ كان الامر والنهي في الحرب انما يحسن ممن يشتهر بالشجاعة والاقدام لا ممن يأمر وينهى فاذا اشتد القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في البقاء ولو بافتح مذمة فان عدم الامر والنهي والخمول افضل بهذا النبي واوسط من وجوده وكان الطيب هكى صورة حاله اذ قال · واذا ما خلى الجبان بارض · طلب الطعن وحده والنزالا · واما صورة هذه الرذيلة منه فروي ان عليا عم حمل عليه في بعض ايام صفين فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف سوءته مواجهاله عم بها فلما رأى ذلك منه غض بصره عنه وانصرف

عمرو مكشوف العورة ونجا بذلك فصار مثلا لمن يرفع عن نفسه مكروها بارتكاب المذلة والعار وفيه يقول ابو فراس ولا خير في دفع الاذى بمذلة · كما ردها يوما بسوءته عمرو · وروي مثل ذلك لبسر بن ارطاة فانه حمل على بسر فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته فصرف عليه السلام وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن رأسه فصاح اصحابه يا امير المؤمنين انه بسر بن ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان معوية اولى بذلك منه فضحك معوية وقال لا عليك يا بسر ارفع طرفك ولا تستحي فلك بعمرو اسوة وقد اراك الله منه واراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد علمكم عمرو كشف الاستاه ثم انشد افي كل يوم فارس ذو كريهة · له عورة وسط العجاجة بادية · يكف لها عنه علي سنانه · ويضحك منها في الخلاء معوية · بدت امس من عمرو فقنع رأسه · وعورة بسر مثلها حذو حاذية · فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا · سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية · ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما · هما كانتا والله للنفس واقية · ولولاهما لم تنجوا من سنانه · وتلك بما فيها عن العود ناهية · وكان بسر ممن يضحك من عمرو فصار ضحكة لغيره الثالث بيان وجه فساد مدعي عمرو في حقه وهو سند المنع وذكر وجهين احدهما يرجع اليه وهو انه عم دائم الذكر للموت والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المستكثر من اخطار الموت عليه يكون ابدا قصير الامل وجلا من الله مترصدا لهجوم الموت عليه مشغول بذلك عن الالتفات الى حظ الشهوات من اللعب ونحوه فكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله الثاني يرجع الى حال عمرو وهو انه ممن نسي الآخرة وظاهر ان نسيانها مستلزم للكذب وسائر وجوه خداع ابناء الدنيا بالمكر والحيلة وما لا ينبغي من مناهي الله ومن كانت هذه حاله كيف يوثق بقوله ثم نبه بقوله ولم يبايع معوية الى اخره على بعض لوازم نسيان الآخرة وهو اخذه لبيعته وقتاله معه الا بعد الحق الذي يحتج به عن رقة الدين عوضا وثمنا وتلك العطية هي مصر كما سبقت الاشارة اليه وبالله العصمة والتوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ

اقول هذا الفصل يشتمل على اثبات ثمان صفات من صفات الجلال فالاولى الوحدانية مؤكدة بنفي الشركاء وذلك قوله واشهد الى قوله لا شريك له وقد اشرنا الى معتمد البرهان العقلي على الوحدانية وعلمت ان هذه المسئلة مما لا يتوقف اثبات النبوة عليها فجاز الاستدلال فيها بالسمع كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الثانية اثبات كونه اولا غير مسبوق بالغير الثالثة اثبات كونه آخرا غير منتهي وجوده الى غاية يقف عندها وقد سبق البحث عنهما مستقصى ونفى قبلية شيء له والغاية عنه تأكيد الرابعة من السلوب انه لا تلحقه الاوهام فتقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا يصدق حكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس فاما الامور المجردة عن علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا عن ان يصدق في اثبات صفة لها وانما الحاكم باثبات صفة له هو العقل الصرف وقد علمت ان ما نسبه من صفات حقيقية خارجية بل امور اعتبارية يحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يفهم من هذا انه اثبت له صفة بل معناه ان الاوهام لا يصدق حكمها في صفة تعالى

فاشار الى كونه تعالى لا تعقل له كيفية يكون عليها وبيان ذلك ببيان معنى الكيفية فنقول انها عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة ولما بان انه تعالى ليس له صفة تزيد على ذاته وهي محل لها استحال ان تعقل القلوب منه كيفية السادسة كونه تعالى لا تناله التجزية والتبعيض وهو اشارة الى نفي الكمية عنه اذ كانت التجزية والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من لواحق الجسم والبارى تعالى ليس بجسم وليس بكم فليس بقابل للتبعيض والتجزية ولان كل قابل لهما منفعل عن غيره والمنفعل عن الغير ممكن على ما مر السابعة كونه تعالى لا يحيط به الابصار وهو كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهذه المسئلة مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق فيها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة البصر بالذات انما هو الالوان والاضواء وبالعرض السطوح والمقادير ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر الثامنة كونه تعالى لا يحيط به القلوب والمراد ان العقول البشرية قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد سبق تقرير ذلك وبالله التوفيق **منها** فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ وَدَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ وَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا **اقول** الآى جمع آية والساطع المرتفع والنذر جمع نذير ومفظعات الامور شدائدها والورد المورود وفي هذا الفصل فوائد الاولى الامر بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا فيما يعتبر به ويحتمل ان يراد هنا اطلاقا لاسم الحال على المحل ولا اتعاظ الا بعد حقيقته وثمرة اما سببه فالنظر في آثار الماضين وتدبر قصصهم وتصريف قضاء الله وقدره لاحوالهم وهو الاعتبار واما حقيقته فالخوف الحاصل في نفس المعتبر من اعتباره وتأثره عن ان يلحقه ما لحقهم اذ هو مثلهم واوسط بما لحقهم واما ثمرته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه والانقياد لسلوك سبيله الثانية الامر بالاعتبار بالآى السواطع وهو ارداف للامر بالاتعاظ بالامر بسببه واراد بالآى آيات آثار الله وعجائب مصنوعاته او آيات القرآن المعذرة والمنذرة واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة ظهور اشراق نور الحق منها على مرايا قلوب عباد الله كاشراق نور الصبح وسطوعه وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها انتقال ذهنه فيها في مقام النظر والاستدلال كما سلف بيانه الثالثة الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية الاتعاظ والزجر اى زواجره ووعيداته البالغة حد الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها الرابعة الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر والموعظة منهما وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا وجذبا للنفوس الى الذكر وقبول المواعظ ثم اخذ في التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه ليتأكد زوال امتثال اوامره السابقة **فقوله** فكان قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب للمنية واستعارة بالكناية ورشح بذكر العلوق ملاحظة في ذلك تشبيه المنية بالسبع الذى يهجم ويفترس افتراسه وكان المخففة من كان وادخلها حرف ... ويحتمل ان يكون ان المخففة للفعل ودخلت عليها كاف التشبيه **قوله** وانقطعت منكم علائق

الامنية اشارة الى ما ينقطع عن الميت بانقطاع الامل من مال وجاه وساير ما كان يتعلق به امله من علائق الدنيا وقيناتها **قوله** ودهمتكم مفظعات الامور اشارة الى ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب القبر واهوال الآخرة **قوله** والسياقة الى الورد المورود فالسياقة هي السوقة النفسية التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر **قوله** وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس للآية وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق الذى يسوقها الى المحشر هو حكم القضاء الالهى واسباب الموت القريبة الحاكمة على النفس برجوعها الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة فبالهم من سوقة متعبة وجذبة مزعجة وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الآيات وان كانت من اهل السعادة ساقها سائق رؤف سوقا لطيفا وتودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واما الشهيد عليها بعملها فقد سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق **منها** فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَلَا يَيْأَسُ سَاكِنُهَا **اقول** اعلم ان اللذة التامة للجنة هي المعارف الالهية والنظر الى وجه الله ذى الجلال والاكرام والسعادة في الوصول الى نيل هذه الثمرة على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة فالاولى مرتبة من اوتى الكمال في حد من القوة النظرية حتى استغنى عن معلم بشرى راسا واوتى مع ذلك ثبات قوة المفكرة واستقامة وهمه فلا يحتاط العقل فلا يلتفت الى العالم المحسوس بما فيه حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويستثبتها في اليقظة فيصير العالم وما يجرى فيه متمثلا في نفسه فيكون للقوة النفسانية ان يوثر في عالم الطبيعة حتى ينتهى الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس القدسية اولات المعارج وهم السابقون اولئك المقربون وهم افضل النوع البشرى واعظم بالها درجات السعادة في الجنة المرتبة الثانية مرتبة من له الامران الاولان دون الثالث اعنى التاثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين ولتحتها مراتب فاحدها مرتبة من له استعداد طبيعى لاستكمال قوته النظرية دون العملية الثانية من اكتسب ذلك الاستكمال في قوته النظرية اكتسابا بالتكليف دون تهيؤ طبيعى ولا حظ له في امر القوة العملية الثالثة مرتبة من ليس له تهيؤ ولا اكتساب تكلفى في قوته النظرية وله ذلك التهيؤ في القوة العملية الرابعة مرتبة من له تكلف في اصلاح الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة دون تهيؤ طبيعى لذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان المقربين السابقين في الملكات الشريفة لذات عظيمة في الجنة قد فازوا بنعيم الابد والسرور الدائم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم لهم فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون كما قال عم الطيبين جردا عن عوارض الابدان وشوائب المواد عن مزاحمة القوى المتعادية المتجاذبة الى الهرم والموت مكحلين بالانوار الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم المفارقة واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ولهم لذات دون الوصول الى رتبة السابقين وقد يخالط لذاتهم شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل الالهى في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ولكل من المراتب المذكورة كمال يخصه ودرجة من السعادة في الجنة يخصه كما قال عم

درجات عند الله وقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف من فوقها
غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى
اما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
عطاء غير مجذوذ وقوله ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ولان الكمال الذي حصل للانسان كما سنحققه
سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهره لا يزول ولا يتغير وما دام استحقاق القابل لجود الله ونعمه وجب
دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته ولا منع واما قوله ولا يظعن مقيمها
فلقوله تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم
جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم الابدي مطلوب بالذات
غير ممنوع منه فلا يكون مرغوبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اي لا يصيبه بؤس
فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب وكذلك البؤس عن الضعف وهذه اللوازم منتفية عن اهل الجنة لقوله تعالى
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله
لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وبانتفاء هذه اللوازم ينتفي عنهم ملزوماتها وهو الهرم والبؤس وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم فيها فصول الاول قوله قد علم السرائر وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شيء
والغلبة لكل شيء والقوة على كل شيء وهذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف الحق سبحانه الاول كونه عالما
بالسرائر وهو كقوله يعلم سركم ونجواكم والثاني كونه خبيرا بالضمائر وهو قريب من المرادف للعلم بالسرائر
فان الخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها
وذلك بعينه هو العالم مضافا الى السرائر والخفايا الباطنة وان كان مطلق العلم اعم والثالث كونه محيطا
بكل شيء وهو اشارة الى علمه بكليات الاشياء وجزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء اما المتكلمون
فظاهر واما المحققون من الحكماء فملخص كلامهم اجمالا في كيفية علمه تعالى انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك
والمدرك والادراك ولا يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية التي يحدثها العقول البشرية واما معلولاته
القريبة منه فيكون باعيان ذواتها ويتحد هناك المدرك والادراك ولا يتعددان الا بالاعتبار العقلي
ويغايرهما المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شانها الامكان ان توجد
في وقت او يتعلق بموجود فيكون بارتسام صورها المعقولة في المعلولات القريبة التي هي المدركات
لها اولا وبالذات وكذلك الى ان ينتهي الى ادراك المحسوسات بارتسامها في الآلات المدركة لها
وذلك لان الموجود في الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فاذن لا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ويكون ذوات معلولاته القريبة مرتسمة
بجميع الصور وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين وتارة باللوح المحفوظ وتسمى عندهم عقولا فعالة
الرابع كونه تعالى غالبا لكل شيء اي قاهرا لكونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى وصف قدرته تعالى بالتمام
على كل مقدور فان القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوي ومجود

معنى القاهر وقد سبق بيانه واما بيان صدق هذين الوصفين فببيان انه تعالى مبدأ كل موجود وان كل ممكن فمنتهى
في سلسلة الحاجة اليه وقد فرغ من ذلك في الكتب الكلامية **الفصل الثاني** قوله فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق
اجله وفي فراغه قبل اوان شغله وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه لدار
اقامته فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم
سدى ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى آثاركم وعلم اعمالكم وكتب آجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا وعمر فيكم نبيه
ازمانا حتى اكمل له ولكم فيما انزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه
واوامره فالقى اليكم المعذرة واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد وانذركم بين يدي عذاب شديد فاستدركوا
بقية ايامكم واصبروا لها انفسكم فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا
لانفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ولا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية عباد الله ان انصح الناس
لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من
وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره واعلموا ان يسير الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان
ومحضرة للشيطان جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف
مهواة وهلكة لا تحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة واعلموا ان
الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور **اقول** الفصل الاول شروع في الموعظة
والمشورة ولما قدم الاستشعار بان الله تعالى عالم بما في الصدور وغالب على كل مقدور امرهم بعده بالعمل واراد
الاعمال الصالحة المطلوبة بالتكاليف الشرعية وان يجعلوها مادة لثبات اقدامهم على الصراط المستقيم المامور بسلوكه
ثم تلطف في الجذب الى العمل بتذكيرهم بانهم في ايام مهلة وفراغ ومتنفس خناق يمكنهم فيه العمل وان الذي
يعملونه من الصالحات هو زادهم في سفرهم الى الله والى دار اقامتهم وان وراء هذه المهلة ادراك اجل يشغل
باهوال الآخرة والاخذ بالكظم وكنى به عن عدم التمكن من العمل اذ لم تكن الآخرة دار عمل ثم ايه بالناس وحذرهم
ربهم ان يخالفوا فيما امرهم بحفظه وهو كتابه وعنى بحفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره ونواهيه وهي
حقوقه التي استودعهم اياها ثم علل ذلك بتنبيههم على انه تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم ليستكملوا
الفضائل النفسانية بواسطة الآلات البدنية ولم يجعلهم في وجودهم مهملين بل ضبط آثارهم واعمالهم وكتب آجالهم
في كتابه المبين والواح المحفوظ الى يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمره فيهم وكتاب اوضح لهم فيه السبل
التي لسلوكها خلقهم واكمل لهم ولنبيه دينهم الذي ارتضى لهم وما هو لهم من الكمالات المسعدة في الآخرة كما قال تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وبلغهم على لسانه ما احب لهم من
الخيرات ابانه وكره لهم من الشرور المشقية في الآخرة كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه وابان لهم فيه اعذاره
واوضح فيه الحجج وتحقيق بالوعيد والانذار بين يدي عذاب شديد واستعار لفظ اليدين للعذاب وكنى بهما
به عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة المشارف له ووجه المشابهة ان الانذار بالخوف يكون من ذوي
سطوة وباس شديد فكانه نزل العذاب الشديد منزلة المعذب فاستعار له يدين وجعل الانذار به

والتخويف منه مقدما له بين يديه وذلك من الجواذب اللطيفة ثم عاد الى امرهم باستدراك بقية اوقاتهم في الدنيا
وان يصبروا انما انفسهم اي يلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة وفي لفظ الاستدراك اشعار بتقديم التفريط
منهم في جنب الله ولذلك قال فانها قليل في كثير الايام التي يكون شكرهم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة وانما قال لها
ان لكل وقت يستحق ان يرجع فيه بما ينبغي من الاعمال صدق عليها ان ذلك الفعل لها و **قوله** ولا ترخصوا لانفسكم
الى قوله المعصية اقول ليس المقصود بالرخصة هنا الرخص الشرعية بل ما يتساهل الانسان فيه مع نفسه من تخريج الماكل
والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في نفس الامر وتاول له تاويلا وحيلة يحتمل انها جائزة في الشرع
ويروج بها اتباع هواه ونحوه الاجتماع في السماع لغير اهله وحضور مجالس الفساق ومعاشرة الظالمين والفساق
الكل في هذا الباب هو توسع الانسان في الامور المباحة واستفادة منه فانه متى فعل ذلك شارف المكروه
ثم ربما لطفا انه لا عقاب في فعله فقادته شهوته الى فعله فاستوفى حده فشارف المحظور وذلك ان العقل اذا
اطاع النفس الامارة بالسوء فيما يامره به مرة ومرة لم يبق له نفار عما يقوده اليه لوقوع الانس به وظاهر ان
ارتكاب بعض الامور انها يجر الى ارتكاب بعض فيؤدي ذلك الى تجاوز الحدود الشرعية وعبورها الى
الى الوقوع في حبائل الشيطان والتهور في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من
يرتع حول الحمى اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب بالحصن والشيطان بعدو يريد ان يدخله
وان يملكه ويرفع ذلك العدو والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن التي منها الدخول اليه وحراستها وهي
ابواب كثيرة كسائر المحرمات ومسامحة النفس في التوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم
تلك الابواب ودخول الشيطان منها اسهل وهو عليه اقدر ولذلك قال عليه السلام فيذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة
ويهجم بكم الادهان على المعصية ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها اللعادة من العدول وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن
زكريا عليه السلام فراى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه هي الشهوات التي اصيب بها قلوب
بني آدم فقال هل لي فيها شيء قال نعم ربما شبعت فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال
لله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ولا تداهنوا اي لا تتلوا الظلمة
وتساهلوا معهم في السكوت عما ترونه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا انتم تشابهتم المعاصي
والفتم تكرارها كنتم بذلك عصاة وربما ساقكم ذلك الى فعل المنكر وشاركتموهم فيه و **قوله** عباد الله ان انصح الناس
في حفظ الاوامر والنواهي والاوامر والنواهي حركة مشتركة على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه فالاول قوله
ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وبيانه انه لما كان غرض النصح انما هو جلب الخير والمنفعة الى المنصوح وكان
اجل خير ومنفعة هو السعادة الباقية الابدية ومشاهدة الحضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بالطاعة
لله فكل من كانت طاعته له اتم كانت سعادته اتم فكان هو انصح الناس لنفسه بمبالغته في طاعته الثاني قوله
وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر مما قررناه فانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة
الى المغشوش وكان اعظم شر وضرر يلحق العبد هو الشقاوة الابدية في قرار الجحيم وكانت تلك الشقاوة انما
يحصل الانسان عليها بمعصية الله تعالى فكل من كانت معصيته اتم كانت شقاوته اتم فكان هو اغش الناس لنفسه

بمبالغته في معصيته وحاصل القضية الاولى ان الامر بالطاعة اتم ما يكون والثانية النهي عن المعصية اتم ما يكون وترغيب
في الطاعة بذكر نصح النفس لان النصيحة محبوبة وتنفير عن المعصية بذكر غشها الثالث قوله والمغبون من غبن
نفسه والمراد من غبنها بالمعصية المستلزمة لدخول النار لكون الناس تتبايعون شيئا في ذات نفسه وقد يجنيها
بالسيئة من ثواب الله ولما كانت السعادة الاخروية اعظم ما يتنافس فيه لاجرم كان اعظم مغبون من لم ينلها
فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة وهو جزء في النهي عن المعصية وتنفير عنها بذكر غبن النفس الرابع قوله
والمغبوط من سلم له دينه والغبطة ان يتمنى الانسان مثل ما لغيره من حال او مال مع قطع النظر عن تمني زوال تلك
الحال عمن هي له وبهذا القيد تميز عن الحسد والقضية ظاهرة مما قبلها فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة الكبرى
الباقية مع كونها اجل ما يغبط به ويتنافس فيه لاجرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة وترغيب
في المحافظة على الدين بكون من سلم له مغبوطا الخامس قوله والسعيد من وعظ بغيره وقد صارت هذه القضية في معنى
المثل اي السعيد في الآخرة من اعتبر حال غيره فشاهد بعين بصيرته مصير الظالمين فخاف عاقبتهم فعدل عن طريقهم
وتذكر حال المتقين فمال الى جادتهم وسلك مسالكهم ورغب في الاتعاظ بالغير بذكر استلزامه سعادة السادس
والشقي في الآخرة من انخدع لهواه وغروره وتنفير عن اتباع الهوى بذكر الخداع والغرور السابع قوله واعلموا ان
يسير الرياء شرك وقد سبق بيان ان الرياء في العبادة وان قل التفات مع الله الى غيره واشراك له
في القصد بالعمل والطاعة وذلك هو الشرك الخفي المحقق والتفت عليه ارباب القلوب الثامن قوله ومجالسة اهل
الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى الفساق المنقادين لدواعي الشيطان الى الشهوات
الخارجة عن حدود الله وتنفير عن مجالستهم بانها محل لامرين احدهما نسيان الايمان وهو ظاهر فان اهل الهوى
ابدا مشغولون بذكر ما هم فيه من لعب ولهو خائضون في اصناف الباطل وانواعه فمجالستهم مظنة
الغفلة عن ذكر الله والانجذاب الى ما هم عليه عن الاعمال الصالحة وتلك اركان الايمان وقواعده وقد علمت
ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤدي الى النسيان والمحاربة عن لوح الخيال والذكر وربما تجوز في مطلق الغفلة عن
اوقات العبادة والذكر بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت
ان الشيطان وان كل محل عصي الله فيه فهو محضر الشيطان وموطن له التاسع الامر بمجانبة الكذب وتنفير عنه
بقوله فانه مجانب للايمان وهو حديث نبوي ومعنى المجانبة كون كل منهما في جانب فان كانت الاعمال الصالحة
داخلة في مسمى الايمان فالصدق من جملتها ومضاد الصدق مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للآخر فالكذب
مجانب للايمان وان لم يكن كذلك فلان الكذب من اعظم الرذائل الموبقة والايمان اعظم الفضائل المسعدة و
بين الفضائل والرذائل منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته كونه
لا يبقى ان يجامعه في محل واحد ولا يناسب له وبالجملة كونه ليس منه في شيء وقد نبهنا على ما يشتمل عليه الكذب من
المفاسد المهلكة ثم اردف ذلك بالترغيب في الصدق لكون الصادق على شفا منجاة اي مشارف النجاة وكرامة
او محلها وهو الجنة اذ الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب لكون الكاذب على شرف مهواة ومهانة
اي هوي وهوان او محلها وهو حضيض الجحيم الذي هو محل الهوان اذ الكذب باب من ابوابها من اشد الابواب

فقد شارف الدخول وعن الرسول صلى الله عليه وآله إياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل
ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل
ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّاقا وقال عليه السلام الكذب رأس النفاق وهو ظاهر فإن مدار النفاق على خلاف ما في الضمير
بالقول الغير المطابق لما في النفس وهو حقيقة الكذب الثالث النهي عن الحسد وقد اتفق أرباب القلوب
على أنه من أعظم أبواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو أحد العوارض الردية للنفس ويتولد من
اجتماع البخل والشرية في النفس وأعني بالشرير من يلتذ بما يصيب الناس ويكره ما يرى من نعم
وإن كانوا ممن لا يرونه ولم يسيئوا إليه وقد علمت أن من هذه صفته مستحق للمقت من الله عز وجل وذلك
أنه مضاد لإرادته إذ هو فيض المتفضل على الكل المريد للخير للكل وقد رسم الحسد بأنه اهتمام الإنسان بخير ينال
غيره من حيث مضرة منه عليه به وقد يوجد الحسد ممن لا نفع له من المحسود ويسمى الحسد البالغ فأما تعليله
وجوب تركه بأنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فاعلم أن العلماء قد اتفقوا على أن الحسد مضر بالنفس
والجسد أما بالنفس فلأنه يذهلها ويعزق فكرها بالاهتمام بأمر المحسود حتى لا يتفرغ للتصرف فيما يعود نفعه
عليها بل وينسى ما حصلت عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المنقوشة في جوهرها ويضمحل على طول
تعوّد الحسد واشتغال الفكر فيه وطول الحزن والهم لأن نعم الله على عباده أكثر من أن تحصى فإذا كان الحسد
بها دام فانقطع وقت الحاسد عن تحصيل الحسنات وأما بالجسد فلأنه يعرض له عند حدوث هذه الأعراض
للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج إذا عرفت ذلك
فنقول إنه قد استعار هنا لفظ الأكل لكون الحسد ماحيا لما في النفس من الخواطر الخيرية التي هي الحسنات
وما ينعقد منها من ملكات وذلك بسبب استغراقها في حال المحسود واشتغالها به وشبه ذلك بأكل
النار الحطب ووجه الشبه ما يشترك فيه الحسد والنار من إفناء الحسنات والحطب واستهلاكهما الرابع
النهي عن التباغض وتعليله ذلك بأنها الحالقة واعلم أنه لما كان أمر العالم لا ينتظم إلا بالتعاون والتضافر
وكان التعاون إنما يتم بالألفة وكان أقوى أسباب الألفة هو المودة والمؤاخاة بين الخلق كانت المودة
من المطالب المهمة للشارع ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه ليخلص محبتهم ويصفو بينهم ويصدق
بينهم التعاون والتضافر والاتحاد في الدين وقال عليه السلام المرء كثير بأخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من
الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا عنه مكروها في الشريعة لما يستلزم من التقاطع بينهم و
عدم تعاونهم وتضافرهم وبسبب ذلك يتخطف كلا منهم أيدي حاسديه ويحكم فيه أهواء أعاديه فلا يسلم
له نعمة ولا تصفو له مدة بل يكون بذلك بواره واضمحلال النوع وهلاكه ولذلك قال عليه السلام فإنها الحالقة
وأصل هذا اللفظ مستعار مما يحلق الشعر كالموسى ونحوها للدواهي وأسباب الشر ثم سار مثلا وقد وضع
هنا موضع الاستعارة ووجه المشابهة أن الموسى مثلا كما أنها سبب لحلق الشعر واستئصاله كذلك التباغض
سبب لاستئصال الخلق بعضهم بعضا الخامس التنبيه على مضار الأمل في الدنيا تحذيرا عنه والأمر بتكذيبه
المستلزم للغفلة عنه فأما مضاره فأحدها أنه يوجب سهو العقل أي ما هو الأوسط بالإنسان من معاشه ومعاده

وهو ظاهر فإن الأمل أبدا مشغول الفكر بما يأمله ويرجوه من كيفية تحصيله وكيفية الانتفاع به بعد حصوله وشغله به
يستلزم إعراضه عن غيره إذ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الثاني أنه ينسي الذكر أي ذكر الله تعالى وما بعد
الموت من أحوال الآخرة وذلك باستغراقه فيما يأمله من أحوال الدنيا الثالث أنه غرور وصاحبه مغرور
وروي بفتح الغين من غرور وضمها ووجه الفتح أن الأمل ليس هو نفس الغفلة عن الذكر وغيره بل مستلزم لها
فلذلك صدقت نسبة الغرور إليه ووجه الضم أنه مجاز من باب إطلاق اسم اللازم على ملزومه وإنما تكذيبه
فبتذكر الموت ودوام إخطاره بالبال وملاحظة المرجع والمعاد وإنما سمي رد الأمل تكذيبا لأن النفس حال
توهمها للمأمول تكون حاكمة بإمكانه حكما مهيئا ببلوغه ونيله فإذا رجعت إلى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز
الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك مكذبا لما جزم به الوهم من الأحكام وبالله التوفيق
والعصمة

ومن خطبة له عليه السلام

وهنا فصول

الفصل الأول

في صفات المتقين وهو قوله عليه السلام
إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى
في قلبه وأعدّ القرى ليومه النازل به فقرّب على نفسه البعيد وهوّن الشديد نظر فأبصر وذكر فاستكثر
وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات
وتخلى من الهموم إلا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى
ومغاليق أبواب الردى قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى
بأوثقها ومن الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قد نصب نفسه لله في أرفع الأمور من إصدار
كل وارد عليه وتصيير كل فرع إلى أصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات
دليل فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد أخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه قد ألزم
نفسه العدل فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية إلا أمّها ولا مظنة إلا قصدها
قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله **أقول** القرى الضيافة
والفرات صادق العذوبة والنهل الشرب في أول الورد والجدد الأرض المستوية والسرابيل القمصان
والمنار الأعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات جمع عشوة وهي ركوب
الأمر على جهل به والعشوة بالفتح الظلمة والمبهم الأمر الملتبس والمعضلات الشدائد وذكر من صفاتهم
التي هي سبب محبة الله إياهم أربعين وصفا وقد علمت أن محبة الله تعالى تعود إلى إفاضته الكمالات النفسانية على
نفس العبد بحسب قربه باستعداده إلى جوده فمن كان استعداده أتم كان استحقاقه أوفر فكانت
محبة الله له أكمل فالأول من تلك الأوصاف كونه أعانه الله على نفسه أي أفاض قوة على استعداده قوي
به عقله على قهر نفسه الأمارة بالسوء الثاني أنه استشعر الحزن أي تجعله شعارا له وأراد الحزن على ما فرط
في جنب الله واكتسب من الآثام فإنه من جملة ما أعدته المعونة الإلهية لاستشعاره ليستعد به لكمال الثالث
أن تجلبب الخوف وهو اتخاذه جلبابا واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة للخوف من الله وخشيته من عقابه
ووجه المشابهة ما يشتركان فيه من كون كل منهما مشتملا به وهو أيضا معونة من الله للعبد على تحصيل السعادة الرابع

زهرة مصباح الهدى في قلبه وهو اشارة الى شروق نور المعارف الالهية في مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد
بالحزن والخوف ولذلك عطفه بالفاء واستعار لفظ المصباح لنور المعرفة لاشتراكهما في كون كل منهما
سببا للهدى وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول في ثمانين كونه اعد القرى ليومه النازل به استعار
لفظ القرى للاعمال الصالحة واراد باليوم النازل به يوم القيمة واستلزمت الاستعارة تشبيه ذلك اليوم
بالضيف او بيوم القرى للضيف المتوقع نزوله ووجه المشابهة ان القرى كما يتقى به وجه القاري عند ضيفه
ويخلص به من ذمه ويكسبه المحمدة فاثنانية تلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم يكون سببا لخلاص العبد من اهواله
ويكسبه رضا الحق سبحانه والثواب الجزيل منه السادس وقرب على نفسه البعيد يحتمل وجهين احدهما ان
يشير بالبعيد الى رحمة الله فانها بعيدة من غير مستحقها المستعد لقبولها قريبة ممن حسن عمله وكمل قبوله فالعبد
اذا راض بالاعمال الصالحة نفسه واعدها قرى ليومه كانت رحمة الله في غاية من القرب منه كما قال تعالى
ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد بالبعيد الامل الطويل في الدنيا وتقريبه له
على نفسه تقصيره له بذكر الموت دون بلوغه كما سبق السابع كونه قد هون الشديد ويحتمل ايضا معنيين
احدهما ان يريد بالشدايد اهوال الآخرة وعذاب الجحيم وتهوينها له بالاعمال الصالحة واستشراق انوار
الحق وظاهر كونها مهونة لشديد عذاب الله الثاني ان يريد بالشدائد شدائد الدنيا من الفقر والايتام
بالمصائب التي تنزل به من الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه لذلك تسهيله على خاطره
واستحقاره في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعده من الثواب الجزيل في الآخرة كما قال تعالى
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون الثامن كونه نظر اي تفكر في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء فابصر اي ثم يرى الحق سبحانه في عجايب مصنوعاته بعين بصيرته التاسع وذكر فاستكثر
اي ذكر ربه ومعاده فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة ويحلى المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره
والاستكثار من الذكر باب عظيم من ابواب الجنة العاشر كونه ارتوى من عذب فرات سهلة العلوم والكمالات
النفسانية التي لها من على العارف بالماء الزلال فاستعار لفظ العذوبة والفرات ورشح تلك الاستعارة
بذكر الارتواء وقد سبق وجه هذه الاستعارة مرارا الحادي عشر كونه سهلت له موارده الغاية من منصب
السبق في طريق الله لا يتمكن عن يأتي بما ينبه مزاجيه يكون لهم بها ترغيب الاستعداد لقبول الكمالات
الموصلة اليه اذا عرفت ذلك فنقول موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق هي معادنها ومواطنها
المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدى بها ويوجد عندها انوار الله كالانبياء وتصديق تلك الموارد
عليه ابع صنع الله التي يردها ذهن العبد ويكتسب بها الملكات الفاضلة وسهولة تلك الموارد له هو ترغيب
قبوله لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذن صافية بها منها العناية الالهية لقبولها ويسرها لذلك الثاني عشر
فشرب نهلا اي اخذ تلك الكمالات سابقا ايها كثيرا من ابناء نوعه ومتعدها جناسهولة موردها عليه وهي
الفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه اليها ملاحظة تشبيه بشرب السوابق من الابل الى الماء الثالث عشر كونه

قد سلك

قد سلك سبيلا جددا اي سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين طرفي التفريط والافراط الرابع عشر كونه قد خلع
سرابيل الشهوات الخمس الاوصاف السابقة اشار بها الى تحصيل العلم والاستعداد له واشار بهذا الوصف
الى طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات ووجه المشابهة تلبس صاحبها بها كما يتلبس بالقميص
ورشح بلفظ الخلع وكنى به عن طرحه لاتباع الشهوة والتفاته عنها فيما يخرج به عن حد العدل الخامس عشر وتخلى
من الهموم الا هما واحدا اي من هموم الدنيا وعلايق احوالها وطرح كل مقصود عن قصده الا هما واحدا انفرد
به وهو الوصول الى ساحل عزة الله وتوجيه سره الى مطالعة انوار كبريائه واستشراقها وهو تمام الزهد
الحقيقي وظاهر كونه منفردا به عن غيره من ابناء نوعه السادس عشر فخرج عن صفة العمى اي عمى الجهل بما حصل
عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة اهل الهوى اي في افراطهم وفجورهم اذ هو على الوسط من فضيلة
العفة السابع عشر صار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي طرقه وسبله المعدة لقبوله من
واهبه وقد وقف عليها العارفون ودخلوا منها الى حضرة جلال الله فوقفوا على مراحلها ومنازلها
ومخاوفها فصاروا مفاتيح لما ينغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح فيها لنفوس الجاهلين ولفظ المفتاح
مستعار للعارف ووجه المشابهة ظاهر الثامن عشر ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي
اطراف التفريط والافراط والمسالك التي يخرج فيها عن حد وادامه المؤدي سلوكها في قرار الجحيم والعارف
لما سد ابواب المنكرات التي تسلكها الجاهلون ولزم طريق العدل لاجرم اشبه المغلاق الذي يكون سببا
لسد الطريق ان يسلك فاستعير لفظه وفي القرينتين مطابقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء
الهدى التاسع عشر قد ابصر اي بنور بصيرته طريقه الى المأمور بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية
اليها وهي صراط الله المستقيم العشرون وسلك سبيله اي لما ابصر السبيل سلكها اذ كان السلوك هو
المقصود الاول الحادي والعشرون وعرف مناره لما كان السالك الى الله قد يستقيم به طريق الحق اتفاقا
وذلك كسلوك من لم يكمل قوته النظرية بالعلوم وقد يكون سلوكه بعد استكماله بها فالسالك كذلك قد
عرف بالبرهان مناره اي اعلامه المنصوبة في طريقه التي هي سبب هدايته وهي القوانين الكلية العلمية
ويحتمل ان يريد بالمنار ما يقصده بسلوكه وهو حضرة جلال الله والملائكة المقربون الثاني والعشرون قد
قطع غماره واشار بالغمار الى ما كان مغمورا فيه من شبهات الدنيا وهمومها والآثام بسبب خفائها وهي
اهلها فان العارف بمعزل عن ذلك والآثام بسببه الثالث والعشرون واستمسك من العرى باوثقها
ومن الحبال بامتنها اراد باوثق العرى وامتن الحبال سبيل الله واوامره استعارة ووجه المشابهة
ان العروة كما تكون سببا للنجاة من تمسك بها وكذلك الحبل وكان اجودها ما ثبت ومتن ولم ينفصم كذلك
طريق الله المؤدي اليه يكون لزومه والتمسك باوامره سبب النجاة من اهوال الآخرة وهي عروة لا انفصام
لها الرابع والعشرون فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس اي فكان بتمسكه باوامر الله ونواهيه ومجاهدته في
سبيله قد استشرف اتم انوار اليقين فصارت بها بعين بصيرته عالم الملكوت رائيا بها الجنة والنار بعين
اليقين كما يرى ببصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء الخامس والعشرون قد نصب نفسه لله سبحانه

في ارتفاع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله اي لا كمال في ذاته يقتضي بنفسه لارتفاع
الامور من هداية الخلق وارشادهم الى طريق الله صار كالمصباح يقتبس من انوار العلم فهو لكونه مليئا بها
قائم باصدار الاجوبة عن كل ما يرد عليه من الاسولة التي اشتبه امرها على الاذهان وان يرد كل فرع
من فروع العلم الى اصله المنشعب عنه السادس والعشرون كونه مصباح ظلمات اي يهتدي به السالكون
في ظلمات الجهل الى الحق ولفظ المصباح مستعار كما سبق السابع والعشرون كونه كشاف عشوات
اي موضع لا اشكل امره وركب فيه الجهل من الاحكام الملتبسة فميز وجه الحق منها ومن روى بالغين المعجمة
فالمراد كشاف اغطية الجهالات عن ابصار البصاير الثامن والعشرون وكذلك كونه مفتاح مبهمات اي
فاتح لما انغلق على اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام التاسع والعشرون كونه دفاع معضلات
اي يدفع كل حيرة في معضلة من معضلات الشرع صعب على الطالبين تميز وجه الحق فيه ويحميهم ببيانه عن
التردي في مهاوي الجهل الثلثون دليل فلوات وذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات للطرق والسلوك
وهي الامور المعقولة ووجه المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدي لمسالكها الا الادلة الذين اعتادوا سلوكها
وضبطوا مراحلها ومنازلها حتى كان من لا قايد له منهم فيها لا بد وان يتيه فيها ويكون هلاكه فيها
فهلاك كذلك الامور المتصورة المعقولة لا يهتدي لطريق الحق فيها الا من اخذت العناية الالهية بضبعه
فالقت بزمام عقله الى استاد مرشد يهديه سبل الحق منها ثم لم يكن كذلك حتى جار عن طريق الحق فيها فخبط
في ظلمات الجهل خبط عشواء وسلكت به شياطينه ابواب جهنم والعارفون هم ادلة هذه الطرق والآخذون
على احكامها ومنازل السلامة فيها يقيمون بعبارتهم الهادي الواحد والثلثون كونه يقول فيفهم وذلك انه
يبين الحق من غير شبهة يقربها فيما يقول ولا اختلاف عبارة عن جهل بالمقول الثاني والثلثون كونه
يسكت فيسلم اي من خطر القول ولما كانت فايدة القول الافهام والافادة وفايدة السكوت السلامة
من آفات اللسان وكان كلامه في معرض المدح لا جرم ذكر مع كل فايدتيهما والمقصود ان العارف يستعمل
كلا من القول والسكوت في موضعه وعند الحاجة اليه فقط الثالث والثلثون كونه قد اخلص لله فاستخلصه
وقد عرفت ان الاخلاص لله هو النظر اليه مع حذف كل خاطر سواه عن درجة الاعتبار واستخلاص الحق
للعبد هو اختصاصه من بين ابناء نوعه بالرضى عنه وافاضة انواع الكمال عليه وادنائه الى حضرة قدسه و
انفراده بمناجاته وظاهر ان اخلاصه سبب استخلاصه كما قال تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الرابع والثلثون فهو من معادن دينه
استعار لفظ المعدن له ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما اصلا يستخرج منه الجواهر ففي المعادن
انواع الجواهر المحسوسة ومن نفس العارف جواهر العلوم والاخلاق وساير ما اشتمل عليه دين الله
الخامس والثلثون كونه من اوتاد ارضه استعار لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما سببا لحفظ
ما يحفظ به فالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الارض واستقامة امورها في العالم وقد سبق
مثله في قوله في الخطبة الاولى ووتد بالصخور ميدان ارضه السادس والثلثون كونه الزم نفسه العدل فكان

اول

اول عدله نفي الهوى عن نفسه لما كان العدل ملكة تنشأ عن الملكات الثلث وهي الحكمة والعفة والشجاعة
وكان العارفون قد راضوا انفسهم بالعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات الخلقية لا جرم كان
بسعيه في تحصيلها قد الزم نفسه العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية وهو ان يصير عفيفا لا خامد
الشهوة ولا فاجرا اصعب من العدل في ساير القوى لكثرة موارد الشهوة وميلها بالانسان الى طرف الافراط
ولذلك كان اكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لا جرم كان مقتضى المدح ان يبدأ بذكر
نفي الهوى عن نفسه ولان السالك اول ما يبدأ في تكميل القوة العملية باصلاح القوة الشهوية فيقف عند
حدود الله ولا يتجاوزها في ماكول او منكوح او مكسب ونحوه السابع والثلثون كونه يصف الحق ويعمل به
اي يتبع قول الحق بعمله فان الحق في القول عند الخلق قبيح ومع الفعل اقبح ولذلك عاتب الله المؤمنين بقوله يا ايها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكانوا قالوا لو نعلم
في سبيل الله ما فيه رضاه فلما كان يوم احد لم يثبتوا واكد عتابه بشدة مقته لقولهم وعدم مطابقة اقوالهم
لافعالهم الثامن والثلثون كونه لا يدع للخير غاية الا امها ولما فرغ من جزئيات اوصاف العارف شرع فيها
اجمالا فذكر انه طالب لكل غاية خيرية اي لا يقنع ببعض الحق ويقف عنده بل يتناهى فيه ويستفرغ طاقته
التاسع والثلثون وكذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنته كل محل امكنه ان ينتزع منه ويستفيده كالاولياء
ومجالس الذكر وغيرها الاربعون كونه قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده وامامه فتمكينه الكتاب كناية
عن انقياده لما اشتمل عليه من الاوامر والنواهي واستعار لفظ الزمام لعقله ووجه المشابهة ما اشتركا
فيه من كون كل منهما آلة للانقياد وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القائد للكتاب
لكونه جاذبا بزمام عقله الى جهة واحدة ما نهاه عن الانحراف عنها وكذلك لفظ الامام لكونه مقتدى به وقوله
يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله استعار وصفي الحلول والنزول اللذين هما من صفات المسافر وكنى بحلوله
حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره الى الله بحيث لا ينفك عنه وجودا و
عدما وبالله التوفيق **الفصل الثالث** قوله وآخر قد تسمى عالما وليس به فاقتبس جهائل من جهال واضاليل
من ضلال ونصب للناس اشراكا من حبائل غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على
اهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع
وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى
فيصد عنه فذلك ميت الاحياء اقول وهذا الفصل في صفات بعض الفساق في مقابلة الموصوف السابق
وصفه بانه يسمى عالما وليس بعالم وانما ذكره في معرض الذم لانه اشد فتنة واقوى فسادا لتعدي فتنته
من نفسه الى غيره وذكر له اوصافا الاول كونه قد تسمى عالما وليس بعالم طلبا للرياسة وتحصيل الدنيا وهذا
الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم مغمورون الثاني كونه قد اقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال
والجهائل جمع جهالة واراد الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر وهذا الوصف احد
اسباب الاول ونسبة الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية لما ان الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا

على وجه التعلم والتعليم والاضاليل من لوازم الجهالات وهي الانحراف عن سواء السبيل وانما كان من جهال
وضلال ليكون اثبات الجهل والضلال له فان تلقفها عن الجهال الضلال واعتقادها اثبت وارسخ في النفس
من ساير الجهالات الثالث كونه نصب للناس اشراكا من حبال غرور وقول زور واستعار لفظ الاشراك
والحبال لما تقع على السواد به الناس من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة اشترك فيه
الشرك من الحبال وغيره وساير ما يجذب به الخلق من اقوالهم وافعالهم في كونها محصلة للغرض فالشرك للصيد
وغرور هؤلاء لقلوب الخلق ورشح تلك الاستعارة بذكر النصب الرابع قد حمل الكتاب على آرائه في جاهل
في تفسير كتاب الله تعالى مذاهب عجيبة وكذلك منها ما يعتقده المجسمة من ظواهر المتشبهة بتجسيم الصانع جلت
قدرته وتفسيرهم للكتاب على ما اعتقدوه من باطلهم الخامس وعطف الحق على اهوائه من خبر الفاظ القرآن
على صاحب عقيدته الفاسدة ورايه الباطل فقد عطف الحق على هواه اي جعل كل هوى له حقا يتبع بتأويل له
ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن السادس كونه يؤمن الناس من العظائم ويهون
كبير الجرائم اي يسهل على الناس امر الآخرة في مواضع يحتاجون فيها الى ذكر وعيد الله وتذكيرهم باليم عقابه
كما يفعل الجاهلون ويعرضوا عن اوامر الله تعالى ونواهيه فاذا حضروا مجالس جهال الواعظين والذين
توسلوا الى استجلاب قلوبهم وتشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بان ذكروا لهم مواعيد الله كقوله تعالى ان
الله يغفر الذنوب جميعا ونحوه فيهون عليهم بذلك عظيم الوعيد واهوال الآخرة ويصغر عندهم جرائمهم
التي ارتكبوها في جنب ما تصوروه من الوعد الكريم ويساعدهم ميل طباعهم الى المشتهيات الخارجة عن حدود الله
فتعاودوا ما اقترفوه ولا كذلك العالم اذ من شأنه ان يستعمل كلا من آيات الوعد والوعيد في موضعها ليبقى
السامعون بين خوف ورجاء فلا يهلكوا في اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا يقنطوا من رحمة الله نظرا
الى الوعيد السابع يقول اقف عند الشبهات اي اذا انتبه الى امر فيه شبهة لا اقدم عليه وجنابه وقع ذلك
لجهله بمواقع الشبهة وغيرها الثامن يقول اعتزل البدع اي ما يبتدع من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها
اضطجع كني باضطجاعه بين البدع عن تورطه فيها كناية بالمستعار وذلك لجهله باصول الشريعة وكيفية
تفريعها التاسع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان اراد بالحيوان غير الانسان كما هو مختص في
العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول
المعارف والعلوم مع ميلهما الى الشهوات العاشر كونه لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب الردى
فيصد عنه اي لا يعرف لجهله قانون الهداية الى طريق الحق فيسلكه ولا وجه دخوله في الباطل فيعرض عنه
وذلك ان الجاهل الجهل المركب لما جار عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم
ان يعرف باب الهدى ومبدأ الدخول اليه فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق
امتنع ان يعرف مبدأ دخوله في الجهل وهو باب العمى فامتنع منه ان يصد عنه ثم حكم عن تلك الاوصاف
انه ميت الاحياء لكونه خاليا من الحياة الحقيقية التي تطلب لكل عاقل والتي وردت الشرائع والكتب الالهية
بالامر بتحصيلها هي حياة النفس باستكمال الفضائل التي هي سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل المركب

هو الموت

هو الموت المضاد لتلك الحياة فالجاهل بالحقيقة ميت والاحياء انما هي صورة في

الفصل الثالث

قوله فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ بَلْ كَيْفَ
تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ وَرِدُوهُمْ وُرُودَ
الْهِيمِ الْعِطَاشِ أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ص إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ
بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا هُوَ أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ
بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تَسْتَعْمِلُوا
الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ **أقول** تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه
الحيرة والتردد وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده وادانيه بني عمه والهيم الابل العطاش
واعلم انه لما ذم المتصفين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم كان في ذكرهما تنبيه على وصفي طريق الحق والباطل و
ولوازمهما فلذلك اعقبها بالتنبيه على كونهم في ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم بالتخويف والتنبيه والتذكير
بكتاب الله وعترة رسوله ليلزموا سمتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويعدلوا عن ضلالهم الى اقتباس
انوار الحق من اهله فقوله فاين تذهبون الى قوله منصوبة سؤال عما يذهبون اليه وعن وقت صرفهم عن ذلك
المعنى سؤال على سبيل الانكار لما هم عليه من الطريق الجائرة والواو في قوله والاعلام للحال واشار
بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها بينهم وكذلك المنار ونصبها قيام الائمة بينهم ووجودهم فيهم
ثم اردف ما انكره من ذهابهم وتعجب منه بتعبيره فقال فاين يتاه بكم وكيف تعمهون وتنبيه على ان
المذهب الذي سالهم عنه هو تيههم في الضلال وحيرة الجهل والتردد في الغي ويعني من ان قوله وانى
تؤفكون اي متى تصرفون عن نبيكم وذهابكم في الضلالة و **قوله** وبينكم عترة نبيكم الواو للحال اي فالعامل
تعمهون ويتاه بكم وكذلك الواو في قوله وهم ازمة الحق والمعنى كيف يجوز ان تتيهوا في ظلمات الجهل مع ان
بينكم عترة نبيكم واراد بعترته اهل بيته ع واليه الاشارة بقول الرسول ص وخلفت فيكم ما ان تمسكتم
به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي ان يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار لهم لفظ الازمة
ووجه المشابهة كونهم قادة للخلق الى طريق الحق كما يقود الزمام الناقة الى الطريق وكذلك استعار لهم لفظ
الالسنة ووجه المشابهة كونهم تراجمة الوحي الصادق كما ان اللسان ترجمان النفس ويحتمل ان يريد
بكونهم السنة الصدق انهم لا يقولون الا صدقا و **قوله** فانزلوهم باحسن منازل القرآن فاعلم ان للقرآن
منازل القلب وهو في منزلتين احديهما منزلة الاكرام والتعظيم والثانية منزلة التصور فقط من دون
تعظيم الثالثة منزلته في الوجود اللساني بالتلاوة الرابعة منزلته في الدفاتر والكتب واحسن منازله
هي الاولى فالمراد اذن الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبة والتعظيم و **قوله** وردوهم
ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى اقتباس العلوم والاخلاق منهم اذ كانوا معادنها وكما كانت
الحياة والائمة تشبه بالينابيع والعلم تشبه بالماء العذب وعادة العطشان حسن شوقه اليه امرهم بورودهم

وان يشبه الورود المطلوب فلذلك حسن ايراد الضمير في قوله ورده وان لم يسبق لها ذكر واشارة النبي
بهذه الكلمة تقرير لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فرحين الآية ولما انفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية ان اولياء الله لا يموتون ولا يبلون وان
بليت اجسادهم قال بعض المحققين فيما بعينه قوله وبلى من بلى منا ليس بلى ولعل ان اجسادنا ويلى وبلى و
ذلك بخلاف ما يعتقده الناس من ان اجسادهم باقية الى يوم القيمة كما لما قلت اله فقد المذاور بعض الناس
انما نشأ من قول الرسول صلى الله عليه وآله في قتلى بدر زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون يوم القيمة واوداجهم تشخب دما
وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء الآية وليس ولا واحد منهما يدل على ان
الاجساد لا تموت ولا تبلى اما الخبر فليس مقتضاه انها تبقى صحيحة تشخب دما الى يوم القيمة بل ذلك مما
يشهد بطلانه الحس بل يحمل على انها كما تعاد يوم القيمة تعاد بجروحها تشخب جراحاتها كهيئتها يوم موتها واما
الآية فالذي اجمع عليه علماء المفسرين ان الحيوة المذكورة فيها هي حيوة النفوس وهو ظاهر في سبب نزولها
عن ابن عباس رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور
خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد
ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا الآية فاذن
لا منافاة بين كلامه عليه السلام وما ورد في القرآن والخبر ومقصوده بهذه الكلمة تقرير فضيلتهم وانهم اولياء باقون
عند ربهم في ظل كرامته وقوله فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى القدرة العارفين بما يجب
ان يقال وقوله فان اكثر الحق فيما تنكرون تأكيد للامر بالتثبت في الاقوال والنهي عن التسرع اليها
والجاهل قد يستنكر الحق اذا خالف طبعه او نافر فهمه او سبق اعتقاده اليه لشبهة او تقليد فنبه
على ان اكثر الحق فيما تنكرونه لئلا تسرعوا الى القول من غير علم ولذلك ذكر هذه القضية من قبيل التقليل
وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب عليه السلام العذر منهم فيما يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم
فان الضرر اللاحق لهم قد انذرهم به وتوعدوا عليه في خطبه عليه السلام في تذكيرهم تلك الوعيدات والانذارات
مع كون ذلك ماخوذا عليه من الله تعالى لكانت حجتهم عليه قائمة وما كان له عذر لكنه بلغ وعذر وقد
اعذر من انذر وانما ذكرهم بسبب الحجة عنه في ذلك ليتذكروا احلامهم ولعلهم يرجعون وقوله الم اعمل
فيكم الى قوله من نفسي تفصيل لما جاءهم به من الجواذب الى الله فاعذر اليهم بها واتى بلفظ الاستفهام على سبيل
التقريع والتبكيت والثقل الاكبر كتاب الله واشار بكونه الاكبر الى انه الاصل المتبع المقتدى به والثقل
الاصغر الائمة من ولده عليه السلام وكنى براية الايمان عن سنته المتبعة وطريقته الواضحة في العمل بكتاب الله
وسنة رسوله كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون طريقته يهتدى بها الى سلوك سبيل الله كما يهتدى
بالاعلام والرايات امام الجيش ونحوه ولفظ الركز ترشيح للاستعارة كنى به ايضا عن اثباتها فيهم ووقفتكم
على حدود الحلال والحرام تعريفهم اياها واراد بالعافية السلامة من الاذى الحاصل من ايدي الظالمين واستعار

لفظ اللباس لها ووجه الاستعارة ان العافية تشمل المعاني كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش لمعروف
لكونه اذا وطئت قواعده يستراح به كالفراش وقوله ورائتكم كرايم الاخلاق من نفسي اي اوضحتها لكم و
شاهدتموها مني متكررة وقوله فلا تستعملوا الراي الآية نهي لهم عن الاشتغال بالخوض في صفات الله
والبحث عن ذاته عما غير قانون وهاد ومرشد بل بحسب الراي والتخمين فان تلك الدقايق لما كانت لا ساحل
لها ولا غاية يقف الفكر عندها وان تغلغل في اعماقها وكانت مع ذلك في غاية العسر والدقة وكثرة الاشتباه
كان تداولهم للاشتغال بها مؤديا الى الخبط وافتراق المذاهب وتشتت الكلمة والاشتغال بذلك
عن انتظام في سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من نسب الى العلم بعده وكل ذلك ضد مطلوب الشارع
فان الالفة والاتحاد في الدين من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق دقايق العلم وتفريع الفقه على غير
قانون من امام هدى بل بالراي عن ادنى وهم وقوله حتى يظن الظان ان الدنيا معقولة على بني امية
تمنحهم درها وتوردهم صفوها ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولا سيفها كذب الظان لذلك بل هي مجة
من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة اقول معقولة محبوسة والمجة القطعة من الشراب
اذا قذفه من فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ كذا القاه من فيه وهذا الكلام من فصل يذكر
فيه حال بني امية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم فقوله حتى يظن الظان الى قوله سيفها غاية من غايات طول
عناء الناس معهم واستعار للدنيا اوصاف الناقة لكونها معقولة ووجه الاستعارة ملاحظة شبهها
بالناقة في كونها محبوسة في ايديهم كالحبس الناقة بالعقال الثانية كونها ذات در يمنحهم اياه ووجه الاستعارة
ايضا تشبيها بالناقة في كون ما فيها من فوايدها وخيرها مبذولة لهم ومصبوبة عليهم كما تبذل الناقة درها
لحالبها الثالثة كونها توردهم صفوها ونسبة الايراد اليها مجاز وتجوز بالسوط والسيف فيما يصيب
الامة منهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالا للفظ السبب في المسبب وقوله وكذب الظان لذلك الآية
رد لما عساه يظن من ذلك تحقيرا لما حصلوا عليه من الامر ولذتهم به وتحقيرا لمدته واستعار لذلك لفظ
المجة وكنى بكونها مطعومة لهم عن تلذذهم بها مدة امرهم وبكونها ملفوظة عن زوال الامرة عنهم واكد ذلك
الزوال بقوله جملة اي بكليتها وهي كناية بالمستعار تشبيها لها باللقمة التي لا يمكن اساغتها وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلم أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ
أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ وَمَا كُلُّ ذِي
قَلْبٍ بِلَبِيبٍ وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ فَيَا عَجَبًا وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ
عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ
عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا
مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا
فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ اقول القصم بالقاف الكسر والازل بفتح الهمزة الضيق والشدة
واقتص اثره تبعه ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على اختلاف آرائهم في الدين واستبداد كل منهم بمذهب

نجب رایه فی المسایل النظریه وکونه مع وجوده فیهم واعراضهم عن مراجعته مع علمهم بقیامه بذلک **قوله**
اما بعد الی قوله بصیر صدر الخطبه وکانه علیه السلم حرجت هذه الخطبه بسبب انهم یستبدون بآرائهم من دون
مراجعته عن کبر منهم عن التعلم والاستفاده ومحبه الراحه من تحمل کلفه التحری فی الدین والتورع من الغلط فیه وشقه
الطلب فذلک خوفهم من حال الجبابره وان تصبهم ترک قواعد الدین الی آرائهم المتفرقه فیستوجبوا الهلاک
بقوله انه لم یقصم جباری دهر الا بعد امهالهم ورخائهم فانهم اذا امهلوا وانغمسوا فیما هم من الرخاء والترف اعرضوا
عن الآخره ونسوا ذکر الله تعالی فاستعدوا بترکهم قوانین الدین التی بها نظام العالم للهلاک ونحوه قوله تعالی
واذا اردنا ان نهلک قریه امرنا مترفیها ففسقوا فیها فحق علیها القول فدمرناها تدمیرا
وکذا قوله ولم یجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلا کنی بجبران العظم عن قوتهم بعد الضعف کنایه بالمستعار
وصدق هذه القضیه ظاهر فان احدا من الامم المتبعین لا نبیائهم او لملوکهم فی اظهار دین او طلب ملک لم یصلوا
الی مطلوبهم الا بعد قوتهم وتضاعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومعاناه بلاء اثر بلاء بحیث یستعدون بذلک
بتضرع الی الله تعالی فیبنی علیهم بقبول الالفه وبعد ما باجتماع عزائمها بقبول صوره النصر وفیه تنبیه علی وجوب
الاتحاد فی الدین وعدم تشتت الآراء فیه فان ذلک یدعو الی التحزب والتفرق ویدخل علیهم الوهن
والضعف وکل ذلک ضد مطلوب الشارع کما سبق ویحتمل ان یکنی بقوله لم یقصم جباری دهر عن جباری
وقته کمعاویه واصحابه وبقوله لم یجبر احدا من الامم الا بعد ازل وبلا عن اصحابه فیبسطهم بالکلام الاول
علی ان اولئک الجبارین وان طالت مدتهم وقویت شوکتهم فانما ذلک املاء من الله لهم لیستعدوا للهلاک
وبالکلام الثانیه علی انکم وان ضعفتم وابتلیتم فذلک عاده الله فیمن یرید ان ینصره ثم عقب ذلک بتوبیخهم
علی الاختلاف وتشعب الآراء والمذاهب فی الدین علی ان ذلک یؤدی الی طول محنتهم وضعفهم عن مقاومه
عدوهم **قوله** وفی دون ما استقبلتم من عتب ای من عتابکم واستدبرتم من خطب ای من الاهوال
التی کنتم ترونها من المشرکین فی مبدا الاسلام حیث کنتم قلیلین وامرتم ان یثبت الواحد منکم لعشره منهم
ثم ایدکم الله بنصره وبالتالیف بین قلوبکم وجبر عظمکم بعز الاسلام ودخل فی دینکم وذلک ای معتبر وخبر
ای اعتبار فانکم لولم تتحدوا فی الدین وتقاسوا مراره ذلک الصبر واختلفت آراؤکم فی ذلک الوقت
کاختلافها الآن وکنتم اذن علی غایه من الکثره لم تغن عنکم کثرتکم شیئا فکانه قال فیجب من ذلک الاعتبار
ان لا تفترقوا فی الرای وان تتحدوا فی الدین وتراجعوا العلم باصوله وفروعه **قوله** فما کل ذی
قلب بلبیب الی قوله بصیر اراد بذی القلب الانسان وظاهر ان الانسان قد یخلو عن اللب واراد باللب
العقل والذکاء واستعماله فیما ینبغی علی الوجه الذی ینبغی وبالجمله فاللبیب من ینتفع بعقله فیما خلق لاجله
وکذلک السمیع والبصیر هما اللذان یستعملان سمعهما وبصرهما فی استفاده العبره واصلاح امر المعاد
ونحوه قوله تعالی الهم ارجل یمشون بها ام لهم اید یبطشون بها ام لهم اعین یبصرون بها
ام لهم اذان یسمعون بها وقوله فانها لا تعمی الابصار ولکن تعمی القلوب التی فی الصدور و
فایده هذه الکلمات تحریک النفوس الی الاعتبار لئلا یغتر التارک له بانه سمیع وانه بصیر و**قوله**

یا عجبا انه اورد تعجبه بما یصلح جواب سؤال مقدر عما یتعجب منه وکانه فهم من تقدیر ذلک السؤال تعجب السایل
من تعجبه المستلزم لتبرمه وتضجره حتی کان السایل قال ومم تتعجب وعلام هذا التبرم والاسف فقال وما لی لا
اعجب من خطا هذه الفرق المختلفه ثم شرع فی تفصیل الخطایا والمذام التی کان اجتماعها فیهم سببا لتعجبه منهم فاشار
الی ترکهم ما ینبغی ثم اردفه بذکر فعلهم ما لا ینبغی وقدم علی الکل ذکر اختلاف حججهم فی دینهم وذلک هو الاصل
الذی نشات عنه اکثر هذه الرذایل فاما ترکهم ما ینبغی ففی صور احدها ترکهم لاقتصاص اثر نبیهم فانهم لو
اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فیما جاء به کما سبق بیانه لکنهم اختلفوا فلم یقتصوا اثر نبیهم الثانیه
ترکهم الاقتداء بعمل الوصی وهو اشاره الی نفسه وهذه اقطع لاعذارهم فان الاختلاف فی الدین قد یعرض
عن ضروره وهی عدم اصابه الکل الحق مع عدم الشارع الذی یرجع الیه فی التوقیف علی اسرار الشریعه فاما
اذا کان الموقف موجودا بینهم کمکنهم ان یقعوا فی تلک الضروره فحینئذ رواها فی الاختلاف الثالثه
ترکهم الایمان بالغیب ای التصدیق به والطمانینه فی اعتقاده وللمفسرین فی تفسیر الغیب اقوال احدها عن ابن
عباس هو ما جاء من عند الله الثانی عن عطا هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الآخره والثواب والعقاب
والحساب الرابع قیل یؤمنون بظهر الغیب کقوله تعالی یخشون ربهم بالغیب ای لا یحبطون شرایط
الایمان فی غیب بعضهم عن بعض الخامس عن ابن عیسی الغیب ما غاب عن الحواس مما یعلم بالدلیل السادس
عن الاخفش یؤمنون بما غاب عنهم من متشابهات القرآن الرابعه ترکهم العفه عن عیب وهو اشاره
الی الغیبه وظاهر انها فجور وعبور الی طرف الافراط من فضیله العفه واما فعلهم ما لا ینبغی فامور احدها انهم
یعملون فی الشبهات ای لا یتوقفون فیما اشتبه علیهم امره ولا یجتنبون عن وجه الحق فیه بل یعملون فیه بما ادی
الیه الهوی الثانی کونهم یسیرون فی الشهوات لا تحفظ من تبعه بل قلوبهم الی شهواتها الدنیویه وانهما کما
فیها قاطعه مراحل الاوقات بالتلذذ بها بالسلوک السایر فی الطریق وتکونها استعار لذلک السلوک لفظ
السیر الثالث کون المعروف فیهم ما عرفوا والمنکر ما انکروا ای ان المعروف والمنکر تابعان لارادتهم
ومیولهم الطبیعیه فما انکرته طباعهم کان هو المنکر عندهم وان کان معروفا فی الشریعه وما اقتضته طباعهم ومالت
الیه کان هو المعروف عندهم وان کان منکرا فی الدین والواجب ان یکون ارادتهم ومیولهم تابعه لاوامر
الشریعه فی اتباع ما کان فیها معروفا وانکار ما کان فیها منکرا الرابع کون مفزعهم فی المعضلات الی انفسهم
وتعویلهم فی المبهمات الی آرائهم وهو کنایه عن کون احکامهم فی کل ما یرد علیهم من مشکلات الدین وشبهه
من احکامه تابعه لاهوائهم لا یجرون فیها علی قانون شرعی یعرف حتی اشبهت نفوسهم الاماره بالسوء التی هی منبع
الاهواء المخالفه للشریعه الائمه التی یرجع الیهم فی استفاده الاحکام فکل منهم یاخذ عن نفسه ای یتمسک فیما یراه
فیکم به بآراء کانها عنده عری وثیقه ای لا انفصال من تمسک بها واسباب محکمات ای نصوص جلیه وظواهر
واضحه لا اشتباه فیها وقد عرفت ان الحکم ولفظ العری مستعار وقد سبق وجه الاستعاره وبالله العصمه والتوفیق

ومن خطبه له علیه السلم اَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ
وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَاِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا

من بابها قد درست أعلام الهدى وظهرت أعلام الردى فهي متجهمة لأهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة
وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي آباؤكم وإخوانكم
بها مرتهنون وعليها محاسبون ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب
والقرون وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد والله ما أسمعكم الرسول صلى الله عليه وآله شيئاً إلا وها أنا ذا مسمعكموه
وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس ولا شقت لهم الأبصار ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الأوان
إلا وقد أعطيتم مثلها في هذا الزمان والله ما بصرتم بعدهم شيئاً جهلوه ولا أصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم
البلية جائلاً خطامها رخواً بطانها فلا يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور فإنما هو ظل ممدود إلى أجل معدود **أقول**
الفترة ما بين زماني الرسالة والهجعة النومة والاعتزام العزم وروي اعترام الفتن بالراء المهملة أي كثرتها
وروي اعتراض من اعترض الفرس الطريق إذا مشى عرضاً من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتجهم
العبوس والأحقاب جمع حقب بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان حزام البعير تحت [illegible] وصورة هذا
الفصل تذكيرهم بنعم الله تعالى التي [illegible] من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وما اشتمل عليه من الخيرات
ليعتبروا ويشكروا ويخلصوا التوجه إلى الله تعالى في شكره على النعم المذكورة ثم أردف ذلك بأحوال الدنيا
التي تبدلت بتلك النعم الجسيمة وعدد منها أموراً أحدها الفترة من الرسل وظاهر أن خلو الزمان من رسول فيه
يستلزم وجود الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك أحوال مذمومة يلحق ذلك الزمان بها من الذم بمقدار
ما يلحق زمان وجود الرسول صلى الله عليه وآله من المدح الثاني طول الهجعة من الأمم وكنى بالهجعة عن الغفلة في أمر المعاد
وسائر المصالح التي [illegible] الثالث الاعتزام من الفتن أما على الرواية الأولى فنسبة العزم إلى الفتن مجاز كنى به
عن توجهها [illegible] المشبه بقصده إياهم وعلى الرواية الثانية أي على كثرة من الفتن وعلى الرواية الثالثة
فلأن الفتن لما كانت غير واقعة على قانون شرعي ولا نظام مصلحي ولذلك سميت فتنة أشبهت
المعترض في الطريق من الحيوان الماشي على غير استقامة فلذلك استعير لها لفظ الاعتراض الرابع وعلى انتشار
من الأمور أي تفرق أمور الخلق واختلالها وجريان أفعالهم على غير قانون عدل الخامس التلظي من الحروب
وقد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك أسند إليها التلظي على سبيل الاستعارة وكنى به عن هيجانها ووجودها
بينهم زمان الفترة السادس والدنيا كاسفة النور والواو للحال أي كاسفة نورها ونور الدنيا كناية
عن وجود الأنبياء والشرائع من الاهتداء بها ورشح تلك الاستعارة بذكر الكسوف وكنى به عن عدم ذلك
النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس السابع ظاهرة الغرور أي كل أحد اغتر بها وانهمك في مشتهياتها تابعاً
لجواذبها الثامن كونه أرسل على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها واغورار من مائها استعار لفظ
الثمرة والورق لمتاعها وزينتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت وعدم
طلاوة عيشهم إذن وخشونة مطاعمهم كما يذهب حسن الشجرة باصفرار ورقها فلا يلتذ بالنظر إليها وكنى
بالإياس من ثمرها لانقطاع آمال العرب إذن من الملك والدولة وما يستلزمه من الحصول على طيبات الدنيا
وكذلك استعار لفظ الماء لمواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد من ضعف التجارات

والمكاسب

والمكاسب وعدم التملك للأمصار وكل ذلك لعدم النظام العدلي بينهم وكلها استعارات بالكناية ووجه
الاستعارة الأولى أن الورق كما أنه زينة للشجرة وبه كمالها كذلك لذات الدنيا وزينتها ووجه الثانية
أن الثمر كما أنه مقصود الشجرة غالباً وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها للخلق
ووجه الثالثة أن الماء كما أنه مادة الشجرة وبه حياتها وبقاؤها في الوجود كذلك مواد تلك اللذات هي
المكاسب والتجارات والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه باقي الاستعارات
ظاهرة التاسع دروس أعلام الهدى وكنى بأعلام الهدى عن أئمة الدين وكتبه التي بها يهتدى لسلوك سبيل الله
وبدروسها عن موت أولئك وعدمهم كناية بالمستعار كما سبق العاشر ظهور أعلام الردى وهم أئمة
الضلال الداعون إلى النار الحادي عشر كون الدنيا متجهمة لأهلها عابسة في وجوه طلابها وكنى بذلك عن عدم
صفائها لهم فإن طيب العيش في الدنيا إنما يكون مع وجود نظام العدل والنصفة بين أهلها وعدم النظام
وذلك في زمان الفترة مفقود بين العرب وهو كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يلزم المستعار عنه
ولازم عدم تحصيل المطلوب منها الثاني عشر كون ثمرها الفتنة أي غاية سعيهم فيها الخبط في ظلمات جهلهم
إنما هو الفتنة أي الضلال عن سبيل الله والتيه في ظلمات الباطل وغاية كل شيء هي مقصوده فأشبه الثمرة
التي هي مقصود الشجرة فلذلك استعير لها لفظها الثالث عشر وطعامها الجيفة يحتمل أن يكون لفظ الجيفة
هنا مستعاراً لطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة أنه لما كانت الجيفة عبارة عما أنتن وتغيرت رائحته
من جثة حيوان ونحوه فخبث مأكله ونفر الطبع منه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في زمن الفترة أكثر ما يكون من
النهب والغارة والسرقة ونحوها مما يخبث تناوله شرعاً وينفر العقل منه وتأباه كرائم الأخلاق فأشبه
ما يحصل من متاعها إذن الجيفة في خبثها وسوء مطعمها وإن كان أحد الجنسين عقلياً والآخر حسياً فاستعير
لفظها ويحتمل أن يكنى بالجيفة عما كانوا يأكلونه في الجاهلية من الحيوان بغير ذكاة وهو ما حرمه القرآن الكريم من
ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة
أي المضروبة بالخشب حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون أطيب كما زعم المجوس والمتردية أي التي تردت
من علو فماتت فإن كل ذلك إذا مات كثيراً ما يتعفن وهو كل جيفة فإن طعامهم كان الجيفة الرابع عشر كون
شعارها الخوف الخامس عشر كون دثارها السيف استعار لفظي الشعار للخوف والدثار للسيف
ووجه الاستعارة الأولى أن الخوف وإن كان من العوارض القلبية إلا أنه كثيراً ما يستتبع اضطراب
البدن وانفعاله بالرعدة فيكون شاملاً له شمول ما يتخذه الإنسان شعاراً ووجه الثانية أن الدثار
والسيف يشتركان في مباشرة المدثر والمضروب من فوقهما **قوله** فاعتبروا عباد الله شروع في
المقصود فقوله واذكروا تيك إشارة إلى وجه العبرة من قبائح الأعمال أي تلك الأعمال التي كانت عليها
آباؤكم وإخوانكم زمان الفترة وزمان دعوة الرسول لكم وقوله فهم بها مرتهنون أي محبوسون في سلاسل
الهيئات البدنية وأغلال ما اكتسبوا منها ومحاسبون عليها **وقوله** ولعمري إلى قوله ببعيد إلحاق لهم بآبائهم
في تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه أحوالهم بأحوالهم في أمور أحدها أن أولئك

كانوا آباؤكم وليس زمان الابن وحاله ببعيد من حال ابيه فيما يأتي ويذر الثاني ان الرسول عليه السلام بعثهم شيئاً الا واسمعكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة الثالث انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم الرابع ان سائر الآلات البدنية التي كانت لهم ثابتة لكم فكسبوا بها كمالاً ولم تكتسبوا ما هو لكم ابغ الخامس انكم لم تعلموا شيئاً كان آباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك سبباً للفرق بينكم وبينهم السادس ولا اصفيتم من الدنيا بشيء لم يكن لآبائكم مثله وغرضه من الخامس بابتهم في هذه الاحوال ان هذه اسباب التنفير عن حال من سبق من العاصين بمخالفة اوامر الله تعالى والتنبيه على الجذب والترغيب في حال من سبق ممن اطاع الله والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم وبين السابقين والمثل بهما تعبدوا في اللوازم كان من شبه بسابق في عصيانه لزمه ما لزمه من اليم العقاب ومن تشبه به في طاعته وانقياده تقدر لزمه ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب و**قوله** لقد نزلت بكم البلية يشبه ان يكون انذاراً باتيان الخلق بدولة بني امية وملوكها وقوله جائلاً خطامها كناية بالمستعار عن خطرها وصعوبة حال من يركب اليها فانها لما كانت دولة خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الاهواء كان الراكب اليهم على خطر في دينه ونفسه كالذي يركب الناقة التي جال خطامها اي لم يثبت في وجهها وارتخى حيث لا يأمن كونها كان على خطر ان تصرعه فتهلكه ثم اردف ذلك بالنهي عن الاغترار بما اصبح فيه اهل الغفلة من متاع الدنيا وطيبها ثم ونفر عنه باستعارة لفظ الظل له ووجه المشابهة ما اشتركا فيه من كونه ممدوداً الى منتهى عند اجل ويزول به وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** المعروف من غير رؤية والخالق من غير رويّة الذي لم يزل قائماً دائماً اذ لا سماء ذات ابراج ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى آثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى ان تتناهى بهم الغايات هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر من عازه ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه كفاه ومن سأله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ

اقول الارتاج الاغلاق والساجي الساكن والفجاج الطرق الواسعة والفج الواسع ودائبان مجدان في سيرهما وعازه غالبه والمناواة المعاداة وقد صدر هذا الفصل باعتبارات اضافية التي سبحانه في معرض تمجيده فالاول كونه تعالى معروفاً من غير رؤية وقد سبق بيان معرفته تعالى ومراتبها وبيان كونه منزهاً عن ادراكه بحاسة البصر الثاني كونه تعالى خالقاً من غير روية وقد سبق ايضاً بيانه في قوله في الخطبة الاولى بلا روية اجالها الثالث كونه لم يزل دائماً وذلك لكون وجوب وجوده مستلزماً لاستحالة عدمه ازلاً وابداً الرابع

كونه

كونه قائماً يجوز ان يريد به معنى الدائم الباقي ويجوز ان يريد به القائم بامور العالم والمدبر فيه على هذا الوجه اقوال احدها عن ابن عباس رضه كونه عالماً بالخلق اينما كانوا وضابطاً لاحوالهم الثاني قيامه وكيلاً لحفظهم الثالث المشار اليه بقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الثالث القائم على الشيء هو الحافظ له المدبر لامره الرابع المجازي بالاعمال الخامس هو القاهر لعباده المقتدر عليهم و**قوله** اذ لا سماء الى قوله ذو اعتماد اشارة الى جهة اعتبار ازليته قيامه بذاته وسبقه لكل ممكن ودوامه تقريراً لقول الرسول صلعم كان الله ولا شيء فاما الحجب ذات الارتاج فيحتمل ان يريد بها السموات على ظاهر الشريعة وانه تعالى لما خلق السماء فاشبهت الحجب فاطلق لفظها عليها وكونها ذات ارتاج كناية عن عدم التمكن من فتحها والدخول فيها كناية بالمستعار وقال بعض الفضلاء اراد بها الهيئات البدنية ومحبة الدنيا والظلمات الحاصلة في النفس الحاجبة لها عن مشاهدة انوار جلال الله حتى كانها اقفال عليها كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقوله ولا خلق ذو اعتماد اي ذو قوة وبطش الخامس كونه مبتدع الخلق اي مخترعه على غير مثال سبق السادس كونه وارثه اي كما انه مبداؤه فهو مآله ومرجعه وذلك اشارة الى كونه دائماً قائماً لم يزل ولا يزال السابع كونه اله الخلق وهو اعتبار لحقه بالقياس الى ايجاده لهم واستعباده اياهم الثامن كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس الى افاضته سائر نعمه عليهم التاسع كون الشمس والقمر دائبين في مرضاته اي على وفق ارادته [illegible] المطلق والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من اعظم آيات ملكه وقوله يبليان كل جديد نسب الابلاء اليهما لكون حركاتهما من الاسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وفيه جذب الى ذكر المعاد والعمل له فكونهما يبليان كل جديد تنبيه على عدم الثقة والاعتماد على ما يروق ويعجب من حسن الابدان ووجوهها وكل ما يحدث ويتجدد من قنيات الدنيا ولذاتها لزوم دخولها في البلى وكونهما يقربان البعيد تنبيه مع ذلك على الحذر مما يستبعده اهل الغفلة من الموت والفناء في حال صحة ابدانهم وسلامتهم في حيوتهم الدنيا العاشر كونه تعالى قسم ارزاقهم كقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اي ذهب لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ الحادي عشر كونه احصى آثارهم الى قوله من الارحام والظهور اي احصى كل ذلك منهم بعلمه الالهي في الالواح المحفوظة والى الاشارة بقوله تعالى والله يعلم اعمالكم وقوله وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين و**قوله** الى ان تتناهى بهم الغايات اي يعلم كل احوالهم من حين ابتدائهم الى ان تقف كل عند غايته المكتوبة له من خير او شر الثاني عشر هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشار بذلك الى كمال ذاته بالنسبة الى ملوك الدنيا مثلاً فان احدهم في حال غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا رحمة غيره وكذلك في حال رحمته لاوليائه لا يجمع معها غضبه عليهم ولما ثبت انه تعالى هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير توقف في جوده على امر من ذاته وكان اعداء الله مستعدين ببعدهم عن قبول

سخط وشدة نقمة في الآخرة لا جرم اولا هم ذلك وان كانوا في الدنيا في سعة رحمة وشمول نعمة و
لك اولياؤه لاستعداد القبول رحمة وشمول نعمة ان صفا عليهم فهم في حضرة قدسه شاغلون من البهجة
والسعادة وضروب الكرامة وان كانوا باجسادهم في ضروب من العذاب وشقاوة الفقر والضنك
في الدنيا وذلك انه ملك الا حليم لا يشغله غضب عن رحمة عدل حكيم لا يمنعه رحمة عن انزال عقوبة بسببه
ليس الا هو الثالث عشر قاهر من عاداه انه تعالى قاهر باعتبار انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه فيقهرهم
بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى وهو الذي يحقق
في الاعتبار مطلقا اذ كل موجود فهو مسخر تحت قدرته وقهره عاجز في قبضته الرابع عشر ومدمر من ينابذه
الخامس عشر ومذل من ناواه السادس عشر وغالب من عاداه فشاقه له اتباع غير سبيله من بعد ما تبين
معروف الهدى ومناداة له الاعراض عن اوامره واتباع الشهوات واذا اتضح هو افاضة لصورة
لحاجة الى غيره السابع عشر كاف من توكل عليه الثامن عشر ومعطي من سأله التاسع عشر وقاضي من قرضه
العشرون ومجازي من شكره وهذه الاعتبارات يعود الى حرف واحد وهو ان العبد اذا استعد
بحسن التوكل والسؤال والصدقة والشكر لنعم الله وجب في جود الله وحكمته افاضة كفايته فيما
توكل عليه فيه فكفايته من الكمالات افاضة تمام ما عليه ومن رفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه
ما سأل اذا استعد لقبوله ثم اداؤه عن قرضه اضعافا ثم جزاؤه على شكره زيادة انعامه واطلق لفظ
القرض لما يعطى الفقير مجازا كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي برا من جهات البر
والمعروف لصالح وجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة ووجه المناسبة كون الفقراء اهل الله وعياله فكان
المعطى هو الله تعالى وقوله فيا وا اسفاه شروع في التشوير والموعظة فقوله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا
زنة النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان العدل اي مراعاة استقامتها على حاق الوسط
من طرفي الافراط والتفريط اللذين هما كفتي الميزان فمهما رجحت احديهما فالنقصان لازم والخسران قائم
واما الميزان الاخروي فاما على راي المتكلمين وظاهر الشريعة فظاهر واما على راي محققي اهل الكشف والعرفان فيه
خلاف رأيه الامام الغزالي رض كاف في جانبه قال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقائق
الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف
له تأثير اعماله فيما يقربه الى الله تعالى ويبعده عنه ومقادير تلك الآثار وان بعضها اشد تأثيرا من بعض و
في قدرة الله تعالى ان يجري سببا يعرف الخلق به في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تأثيراتها
في التقريب والابعاد فحد الميزان ما به يتميز الزيادة والنقصان وان اختلف مثاله في العالم المحسوس
فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب لحركات الافلاك والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض
لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي وهو ما يعرف به الزيادة والنقصان وهو
موجود فيها بأسرها وصورته يكون بحس عند الشكل ويتخيل بالتمثيل وقوله وحاسبوا قبل ان تحاسبوا
محاسبة النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها الخيرية والشرية بتركيبها لما ينبغي لها وحاجتها على خلل ما

ينبغي

ينبغي وهي باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم
مع انفسهم مقامات خمسة اولها المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة ثم المجاهدة والمعاقبة
وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال الانسان مع نفسه كالتاجر مع شريكه اذ اسلم اليه مالا لتجربة
فالعقل هو التاجر في طريق الآخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح
من زكاها وقد خاب من دساها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين بالنفس في هذه
التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه
في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا كذلك العقل
يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويامرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها
ويحرم عليها سلوك غيرها كما يشترط التاجر على شريكه الثانية ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها
في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة والى مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقوله ص اعبد الله كانك تراه وقد سبق
بيان حقيقة المراقبة ولابد منها فان الانسان لو غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس
المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال سيده الثالثة ثم بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها
بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا
لحقارتها بالنسبة الى نعيم الآخرة فلا ينبغي ان يهمل مناقشتها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها و
ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من كنوز الآخرة
لا يتناهى قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول اي نفس ليس لي
بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني رأس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد
قد امهلني الله فيه وهو صاحب البضاعة وربحها ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما
تركت فاحسبي انك رددت فاياك ان تضيعي هذا اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع
وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه يفتح للعبد في كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة
فيفتح له فيها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار
بمشاهدة تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لاغناهم عن الاحساس بالآمها ويفتح له خزانة اخرى فيراها
سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع
ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي
الساعة التي نام فيها او غفل او في شيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من الغبن الفاحش
ما يناله من قدر على ربح كثير ثم ضيعه واليه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم
التغابن وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن
والحسرة يومئذ ثم يستأنف وصيته لاعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج

والبد والرجل وسبيلها ابهاما فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها يتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة
ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تفتح تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء ويوصي كل
عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجعه في تفصيل تلك الاوامر والنواهي الى مراسم الشريعة ثم يشترط
عليها ان خالفت ذلك عاقبها بالمنع من شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد العمل وقد تكون قبله للتحذير
كما قال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه الرابعة المجاهدة والمعاقبة وهو بعد المحاسبة
اذا راى نفسه قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالصبر على امثالها ويضيق عليها في موارده
وما يقودها اليها من الامور المباحة وان راها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد
فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات روي ان ابن عمر
اخر صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت
ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها
وخالقها ومنعها عن شهواتها ولذاتها المالوفة فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك
وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان
تذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل والحمق وما بين يديها من مفاجاة الموت وما تؤول اليه من
الجنة والنار وما عليه اتفاق كلمة اولياء الله الذين هم سادات الخلق ورؤساء العالم من وجوب
سلوك سبيل الله ومفارقة معاصيه وتذكرها بايات الله واحوال الصالحين من عباده فهذه مجامع
النفس ومرابطتها واما حسابها الاخروي فقد سبقت الاشارة اليه و **قوله** وتنفسوا من قبل ضيق
الخناق استعار لفظ التنفس لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال في الدنيا المستلزمة لها كما
يستلزم التنفس راحة القلب من الكرب واستعار لفظ الخناق في الحبل المخصوص للموت ووجه
المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت من عدم التمكن والتصرف والعمل اي انتهزوا الفرصة
للعمل قبل تعذره بزوال وقته وضيقه و **قوله** وانقادوا قبل عنف السياق اي انقادوا والانقياد
الى طاعته قبل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكربة كما سبق و **قوله** واعلموا
انه من لم يعن على نفسه اه اي من لم يعنه الله على نفسه واعانته له هو اعداد العناية الالهية لنفسه
الناطقة ان تقبل السوانح الخيرية وتاييدها على النفس الامارة بالسوء لتقوى بتلك السوانح
على قهرها وعلى الانزجار عن مقتضياتها والانجذاب الى ما يدعوها اليه من الشهوات فانه متى لم يكن لها
ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ غيرها ولم تقبله اذ لا قبول بدون استعداد القبول
وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل خطبه وكان سائل سأله ان يصف الله
تعالى حتى كانه يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد ع
انه قال خطب امير المؤمنين ع بهذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك ان رجلا اتاه فقال له يا امير المؤمنين

صف

صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلوة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله
فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ص ثم خطبها واعلم ان في الخطبة فصولا

الفصل الاول قوله الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء والجود اذ كل معط منتقص سواه وكل
مانع مذموم ما خلاه هو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم عياله الخلائق ضمن ارزاقهم وقدر
اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل الاول
الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده والرادع اناسي الابصار
عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال
ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونثارة
الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر الانعام ما لا تنفده
مطالب الانام لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين **اقول** الاشباح
الاشخاص ويفره يزيده مالا وفورا ويتمه ويكديه ينقص خيره وتنفست عنه انفرجت والفلز ما ينفيه الكير
مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب الخالص والمرجان صغار اللؤلؤ والحاه في سؤاله اذا دام
عليه وقد شرع في وصف الله سبحانه باعتبارات له الى اثاره الاول انه لا تزيد بما حرمه ومنعه
من فضله الشان ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رد حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله في عموم المنتقصين
بالعطايا بقوله اذ كل معط منتقص سواه وكذلك قدسه عن الدخول في زمرة المذمومين بمنعهم ما في
ايديهم عن طالبه بقوله وكل مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيتان مؤكدتين للاوليين وذلك
ان التزيد بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق في حق من ينتفع ويتضرر بالزيادة والنقصان والانتفاع
والتضرر على الله محال فالتزيد والتنقص عليه محال ولانهما يتفقان عليه بالحاجة والامكان ولان وجوده
غير متناهية ونبه بقوله اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه وانما تنقص المعطي من خلقه لحاجته الى ما يعطيه
وانتفاعه به وانما استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع واعطاء مضبوطا
بنظام الحكمة والعدل دون غيره من المانعين فان غالب منعهم يكون عن شح مطاع وهوى متبع
واعلم ان صدق الكلية في المنتقصين بالعطاء ظاهر واما في المذمومين بالمنع فتحقيقها ان كل مانع
لمال فهو انما يمنعه خوف الفقر ونحوه وظاهر ان الخائف من الفقر في الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله
المتوكلين عليه الزاهدين في متاع الدنيا وقنيانها واذا كان العبد مامورا بان يكون من هؤلاء وفي
زمرتهم فبالحري ان يكون مستحقا للذم على ما يمنعه من ماله فيكون محجوبا لوجهه عن النظر الى وجه الله الكريم
فصدق الكلية اذن ظاهر وفي ادعية زين العابدين ع يا من لا يزيده كثرة العطاء الا كرما وجودا
وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير متوقف الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة
صدرت عنه معدة لمحلها ومهيئة له لقبول نعمة اخرى كانت كثرة عطاياه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزمة
لزيادة الجود الثالث انه المنان بفوائد النعم والمنة تذكير المنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها

كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير موضع من كتابه وفي صفة مدح نفي سمة
وان كانت صفة ذم للخلق والسبب الفارق كون كل منعم سواه فيحتمل ان يتوقع لنعمته جزاء او يستفيد كمالا يعود
اليه مما افاده وايسره توقع الذكر ويتوقع من يقابل بنعمته ويتوقع لها جزاء ان يمن بها طالبا بذلك المن
من التطاول والكبر ويتوقع الجزاء والحاجة اليه مع التطاول والكبر مما لا يجتمعان في الوصف اذ التطاول
والكبر انما يليقان بالغني عن ثمرة ما تطاول به ولان التطاول مما يتأذى به المنعم عليه فيبطل بذلك
استعداد نفس المنعم لقبول رحمة الله وجزائه ولذلك ورد النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها
وفوائد النعم ما افاده منها وفوائد المزيد والقسم متقاربان الثاني كون الخلائق عياله ضمن ارزاقهم
وقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى ربهم ووجه المشابهة ان عيال الرجل هم
من جمعهم ليقيتهم ويصلح حالهم كذلك الخلق انما خلقهم وجمعهم تحت عنايته ليصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم
وكذلك استعار لفظ الضمان لما وجب في الحكمة الالهية من وجود ما لا بد منه في تدبير اصلاح حالهم من
الاقوات والارزاق وتقدير اقواتهم اعطاء كل ما كتب له في اللوح المحفوظ من زائد وناقص الخامس
كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر اولا ما يصلح حالهم في الدنيا وهو ضمان الارزاق
وتقدير الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الآخرة من السبيل والايضاح واشار به الى
ايضاح الشريعة لطريق السالكين الراغبين في النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده من النعيم المقيم
السادس كونه ليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل ويستلزم بيان هذا الوصف اشارة لطيفة وهي
ان فيضان ما يصدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف
في جميع الموجودات بل نسبتها اليه على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم
ذلك ان يكون ببعض الاشياء ابخل او اليها احوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك والثاني
بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف الواقع في القرب والبعد الى جوده انما هو من تلك الجهة فكل ممكن
كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا ومعاندا كان اقرب الى جوده اذا عرفت ذلك
فاعلم ان السائل وان حصل له ما سأل من الله تعالى دون ما لم يسأل فليس منعه ما لم يسأله لعزته عنده
وليس بينه وبين ما سأل بالنسبة الى جود الله تعالى فرق وتفاوت بل انما خص بما سأل لوجوب وجوده
له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يسأله ولو سأل ما لم يسأله واستحق وجوده لما كان في الجود
الالهي بخل به ولا منع في حقه وان عظم خطره وجل قدره ولم يكن له اثر نقصان في خزائن ملكه
وعموم جوده والى هذا اشار علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد سئل عن الجواد فقال لسؤالك وجهان
ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل الذي يمنع ما افترض عليه وان اردت
الخالق فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى اعطى من له وان منع منع من ليس له فقوله ع
ليس له اشارة منه الى ان الجود الالهي انما يهب ويتوقف في هبته على وجود المستحق وقد تقدم ع

بهذا

بهذا الوصف عن صفة الخلق اذ كان من شأنهم ان يكونوا بما سئلوا اجود منهم بما لم يسئلوا لكونه اسهل عليهم
ومن شأن السائل ان لا يسألهم ما هو اعز عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود السابع الاول الذي
لم يكن له قبل فيكون شيء قبله الثامن والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده وقد اشرنا الى هذين
الوصفين فيما سلف ونزيدهما بيانا فنقول الاولية والآخرية اعتباران اضافيان يحدثهما العقول
لذاته المقدسة وذلك انك اذا لاحظت ترتيب الوجود في سلسلة الحاجة اليه سبحانه وجدته تعالى
بالاضافة اليها اول اذ كان انتهاؤها في سلسلة الحاجة الى غنائه المطلق فهو اول بالعلية والذات
والشرف واذ ليس بذي مكان فالتقدم بالمكان منفي عنه والزمان متأخر عنه اذ هو من لواحق الحركة
المتأخرة عن الجسم المتأخر عن علته فلم يلحقه القبلية الزمانية فضلا ان يسبق فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من
الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرته بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السالكين
المسافرين في منازل عرفانه وجدته آخرا اذ هو آخر ما يرتقي اليه درجات العارفين ومعرفته
هي الدرجة القصوى والمنزل الآخر ولان كل موجود سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته ان لا يستحق
وجودا فضلا عن ان يستحق الآخرية والبعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته فهو المستحق لبعدية
الوجود وآخريته لذاته وبالقياس الى كل موجود فاذن هو الاول المطلق الذي لا شيء قبله والآخر
المطلق الذي لا شيء بعده التاسع الرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه وقد سبق ان القوة
الباصرة انما تتعلق بذي وضع وجهة والباري تعالى منزه عنهما فيستحيل ان يدركه حاسة البصر ورده
لها قهرة بذل النقصان عن قبول ادراكه العاشر كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال لما كان الزمان
مبدأ التغيرات واختلاف الاحوال وكان ذاته سبحانه منزهة عن لحوق الزمان كانت بريئة عن تغير
الاحوال الجارية على الزمانيات واختلافها الحادي عشر ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال لما كان
من شأن ذي المكان جواز ان ينتقل عن مكانه وكان سبحانه منزها عن المكان وما لازمه النقصان اللازم
للمكان لا جرم لم يجز عليه الانتقال الثاني عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت
عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان الى قوله مطالب الانام انما عدد هذه الاشياء في معرض المدح
له تعالى لكونها اعظم ما يتنافس عليه الانسان ويقتنيه واجل ما يتنافس فيه ابناء الدنيا تنبيها على كمال قدرته
وعدم تناهي مقدوراته اذ سبق انه انما يتأثر بهبة مثل ذلك جود المحتاجين الذين يتعاقب عليهم
الانتفاع والتضرر واستعار لفظ الضحك للاصداف ووجه الشبه انفتاح الصدفتين واستعار
عن اللؤلؤ الشبه في بروزه باسنان الانسان حال ضحكه ومن تمام الشبه ان الانسان في درجة طرفه ولطافته
ومن شأن الصدفة عند فتحها وجدها كالانسان يضحك وكذلك استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ لما لاحظ
شبهه بما يحصد من الحنطة وغيرها واعلم ان الصدف وان كان حيوانا ذا حس وحركة الا انه يشبه
بالنبات ولحوقه به من جهة انه ذو عرق في الارض يغتذي به وقد اجمل ما يجمع من معادن البر والبحر
لتميز السامعين بها و **قوله** لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين انما كان

في اعلى لعدم تأثر جوده بشيء ما يعظم قدره ونقصان خزائنه باخراجه منها لان الجود الذي شأنه
ما ذكر انما كان كذلك لكونه ليس من شأنه ان يلحقه النفع والضرر والتنقص بل نعم غير متناهية واستعار
لفظ الفيض لنعمه ملاحظة لشبهها بالماء الذي له مادة تامة لا ينقص بالنزح ومن روى بغيضه فلان البغض
من لواحق المزاج والباري تعالى منزه عنه فينتزه عن لواحقه وكذلك البخل رذيلة مكتسبة من البدن و
المزاج تبعث عليها الحاجة والنقصان فمن لا يتزيد ولا ينقص فلا يؤثر فيه ملكان ببالدنيا لمن سألها

الفصل الثالث قوله فانظر ايها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته
وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وائمة الهدى اثره فكل
علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام
السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم
بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك
ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام
لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطر الوساوس ان يجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل
العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب
متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال
اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى
عليه من خالق معبود كان قبله وارانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف
الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهرت في البدائع التي
احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير
ناطقة ودلالته على المبدع قائمة واشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم
المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه
لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين
كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزؤوك تجزئة
المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم فاشهد ان من ساواك بشيء
من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت عنه شواهد حجج
بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات
خواطرها محدودا مصرفا اقول الاقتحام الدخول في الامر بشدة دفعة والسدد جمع سدة وهي
الابواب والحجب وجاب البلاد اي قطعها والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والجبه الرد وحذى
عليه اي سلك مسلكه والحقاق جمع حق وهو اطراف عظام المفاصل والعادل الجاعل لله عديلا
والقريحة قوة الفكر وصدر هذا الفصل تأديب الخلق في وصفهم لله سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك

٢ ان يقع في عميقات
غيوب ملكوته
وتولهت القلوب اليه
صح

في مدحه واثنى عليه بما هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة وذلك على طريقة
قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة فارشده في ذلك الى كتاب الله وامره ان يجعله اماما يقتدى به ويستضيء
بانواره في سلوك سبيل الله وكيفية وصفه فان اولى ما وصف به تعالى هو ما وصف به نفسه وامره
بان يكل علم ما لم يجده مفروضا عليه علمه في كتاب الله او في سنة رسوله وآثار ائمة الهدى الى عالمه
تعالى في ايضاح الدين وحفظه الى علم الله تعالى وهو المراد بالتفويض وذلك ان ائمة الهدى
اعلم بوجوه نسبته تعالى الى خلقه وبما يناسب تلك الاعتبارات من الالفاظ وفيه تنبيه على
ونفوره عن طلب ذلك والبحث عنه باشارته الى انه تكليف الشيطان وظاهر ان طلب ما وراء
حدود الشريعة التي نهت عن تجاوزها انما هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع على ما يمنع
منه ثم اعلمه ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوبه منه ولما كان مطلوب الشارع جمع وضبط
الشريعة وتقرير قواعدها هو جمع قلوب العالم على قانون واحد واتحاد همهم فيه بحيث لا يفترقوا
في اعتقاد امر ما لئلا يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين وعدم تعاونهم على تشييده كما بينا
بانه لا جرم وجب في الحكمة ان يحرم عليهم الخوض فيما وراء ذلك لئلا يتشتت قواعد الدين في قلوبهم
ويرسخ ولا يخرج بهم البحث عن ما ورائها الى اطراحها وفساد اعتقاد كثير من الخلق لها ولغيرها مما
وراءها اذ لم يكن فيهم من يستعد لقبول ما وراء تلك الظواهر الا الفرد النادر وان كان نعلم انه كان
صلى الله عليه وآله اذا علم من احد استعداد القبول شيء من اسرار الشريعة ووثق به ان يحمله القاه
اليه كعلي عليه السلام دون ابي هريرة وامثاله ثم وصف له بعد ذلك الراسخين في العلم الممدوحين في القرآن
الكريم بقوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الآية
وقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وحصر معنى الرسوخ فقال هم الذين اغناهم الله عن
اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله
اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا
ولما اشار الى السدد المضروبة وحجب الغيوب فلنشر الى ما كشف عنه بعض علماء الصوفية منها و
اشار اليه الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات
وجهه كل من ادرك بصره وقد ثبت ان الله تعالى متجل لذاته بذاته فالحجاب لا بد وان يكون بالنسبة
الى المحجوب فاقسام المحجوبين ثلاثة منهم من حجب بمجرد ظلمة ومنهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور مقرون
بظلمة وتحت كل قسم من هذه الاقسام كثرة لا تحصى فلنكتف بالاشارة الى اصولها فنقول القسم الاول
المحجوبون بمجرد الظلمة هؤلاء هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله وهم صنفان فصنف منهم طلبوا
للعالم سببا فاحالوه على الطبع وقد علمت ان الطبع صفة جسمانية مظلمة خالية عن المعرفة والادراك
وصنف منهم لم يتفرغوا لذلك ولم يتنبهوا لطلب السبب بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهائم
فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى ولذلك قال تعالى افرايت

من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد على وجه الارض هو الهوى وهؤلاء فرق كثيرة لا حاجة الى ذكرها

القسم الثاني المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلثة اصناف صنف منشأ ظلمتهم الحس وصنف منشأ ظلمتهم الخيال وصنف منشأها مقايسات عقلية فاسدة فالاولون ايضا طوايف الاولى عبدة الاوثان فانهم علموا على سبيل الجملة ان لهم ربا واوجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز الاشياء من كل شيء ولكنهم حجبوا بظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس في اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالفضة والذهب والياقوت اشخاصا مصورة باحسن صورة وجعلوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العز والجمال من صفات الله لكنهم وضعوها في اجسام المحسوسة فصارت حجبهم انوار مكدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافة الى عالم المعقولات الثانية طائفة ترقوا عن رتبة الاحجار لكنهم اوغل من عبدة الاوثان في ملاحظة الانوار كما يحكى عن قوم من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولكن يعتقدون ان لهم ربا هو اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او فرسا او شجرا عبدوه وقالوا هو ربنا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس ايضا الثالثة طائفة ترقوا عن هؤلاء وقالوا ينبغي ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطان في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجة المحسوس فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله مع ظلمات حسهم الرابعة طائفة ترقوا عن ذلك فراوا ان النار نطفى وتقهر فلا تصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ولكن يكون تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فعبدوا النجوم فمنهم عبدة المشتري ومنهم عبدة الشعرى وغيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراف وهي من انوار الله تعالى الخامسة طائفة ترقوا عن هؤلاء فقالوا ان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه ينبغي ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس فهؤلاء المحجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة مع بقية الانوار السادسة طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تنفرد بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اله العالم والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة وهؤلاء هم الثنوية الصنف الثاني المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء المحسوس امرا لكنهم لم يجاوزوا الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية وارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة مخصوصة بجهة فوق وهؤلاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى يتنزهوا عن الجهة الصنف الثالث المحجوبون بانوار الهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت مثل كلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك اذا حقق القول عليهم رجعوا الى التشبيه في المعنى وان انكروه لفظا اذ لم يدركوا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق الله فهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمات المقايسات العقلية **القسم الثالث** المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف

المحصي

المحصى ايضا لكن نذكر منهم ثلثة اصناف الاول الذين عرفوا معاني هذه الصفات وفرقوا بين اطلاق اسمائها على الله تعالى وبين اطلاقها على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات معرفة بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها الصنف الثاني الذين عرفوا ان في السموات ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود آخر يسمى ملكا وان هذه السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة واحدة والرب تعالى هو المحرك للفلك الاقصى منها المشتمل عليها الصنف الثالث الذين ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام الفلكية من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون بانوار محضة وفيهم ما وراءهم وهؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف بصفة الوحدة المطلقة والكمال البالغ وكشفت عنهم حجب المقايسات والاعتبارات الى الغير وهم الواصلون فمنهم من احرق وذلك التجلي في تلك الانوار جميع ما ادركه بصره بالكلية وبقي ملاحظا لرتبة الحق جمالا فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر ومنهم من تجاوز هؤلاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فانمحقوا وتلاشوا في انفسهم فلم يبق لهم اليها التفات وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهؤلاء هم الواصلون كما سبقت الاشارة اليه وينتهي الكل الى حجاب الامكان الذي يهلك فيه كل موجود ولا يبقى الا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فنقول السبعين المضروبة وحجب الغيب التي اشار اليها هي درجات الاشتغالات في مفهومات صفات الله تعالى ومراتب عرفانه وموقف ملائكته ومراتبهم وكمالاتهم وساير حجب الانوار التي حجب بها اهل القسم الثالث والى سحنون الذين اشار اليهم هم في كلامه الواقفون في المرتبة الاولى وهم الذين انفردوا في صفات الله تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال اذ ليس على قدر وصف البشر بها ورسخ في ذهنهم ما تصوره اجمالا لو فصل لكان مطابقا ومن اعدته العناية الالهية لقبول التفصيل وصل اليه بقي هنا بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها ولذلك قال صلى الله عليه وآله بعثت لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل قوي على رفع حجاب من حجب الغيب وقصر عما وراءه واعترف به وبالعجز عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا الرسوخ ليس مرتبة واحدة هي تقليد ظواهر الشريعة واعتقاد حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية بحسب مراتب السلوك وقوة السالكين على رفع حجب الانوار التي اشرنا اليها وكلامه عليه السلام لا ينافي ما قلناه بل الصدق اذا نزل عليه فان قوله وسمى ترك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا على من قطع جملة من منازل السلوك وعجز عما وراءها فوقف ذهنه عن التعمق فيه والبحث اذ لا يكلف الا بحسب قوته **قوله** فاقتصر على ذلك اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه السنة النبوية وارشدت اليه ائمة الهدى **قوله** ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين فالمقدر لعظمة الله بقدر عقله هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو تصغير لعظمة الله بحسب عقله الضعيف وعظمة الله تعالى اعظم

واجل من ان يضبطها عقل بشري وانما نشا ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم بتشبيه الغائب بالمدركات من الاجسام
والجسمانيات وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا وضلال عن طريق معرفة الله وهو يستلزم الهلاك
في تيه الجهل واعلم ان في احالته عليه السلم لطالب المعرفة على الكتاب والسنة وبيان الائمة دلالة على ان مقصوده
ليس ان يقتصر على ظاهر الشريعة فقط بل تتبع انوار القرآن والسنة واثار ائمة الهدى وقد ورد في القرآن الكريم
والسنة وكلام الائمة من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ووجوب الاشتغال في درجاتها ما لا يحصى
كثرة ونبهوا على كل مقام اهله واخفوه عن غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس وكان الطبيب يرى ان بعض الادوية
لبعض المرضى ترياق وشفاء وذلك الدواء بعينه لشخص اخر سم وهلاك كذلك كتاب الله والموصوفون لمقاصده
من الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض الصدور فيلقونها اليهم وربما كانت تلك
الاسرار باعيانها لغير اهلها سببا لضلالهم وكفرهم اذا القيت اليهم فان مقصوده عليه السلم قصر كل عقل على
ما هو الاولى به وما يحتمله والجمع العظيم المخاطبون هم اصحاب الظاهر الذين يجب قصرهم عليه والله اعلم
هو القادر الذي اذا ارتمت اه اشارة الى اعتبارات اخر جلية في وصفه تعالى به فيها على ان غاية استقصاء
العقول وتعمق وغوص فطنها طالبة لتفصيل صفات كماله ونعوت جلاله ان تنقلب خاسئة وترجع حسيرة
معترفة بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت الى قوله ردعها شرطية متصلة في قوة شرطيات متعددة المقدمات
وتاليها واحد فالمقدم الاول قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وارتماؤها استرسالها مجدة في
المطالعة والتفتيش ومنقطع قدرته منتهاها والمقدم قوله وحاول الفكر المبرؤ عن خطرات وساوس الشيطان
وشوائب الاوهام ان يقع عليه فكره في ذاته ويستنبطها بكل ما ينبغي لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته
اي في اسرار عالم الغيب العميقة المقدم الثالث قوله وتولهت القلوب اي اشتد شوقها اليه لتجري في كيفية
صفاته المقدم الرابع قوله وغمضت مداخل العقول اي دقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغه الصفات
اي انتهت العقول الى حد انها لا تعتبر مع ملاحظة ذات الحق صفة له بل تحذف كل خاطر وكل اعتبار من
صفة وغيرها عن ملاحظة قدسه لتنال علم ذاته بالكنه وقوله ردعها هو تالي هذه الشرطيات وردعها
ردها خاسئة حسيرة وسبب ذلك في كل من هذه المدركات هو خلقها قاصرة عن ادراك ما يطلبه من
هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها عن ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقا بالمحسوس وردع الفكر
ان يقع عليه والقلوب ان تجري في كيفية صفاته فهذه وبحرها لخلقها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له
اذ كانت صفات الكمال ونعوت الجلال كذلك وردع العقول ان يحيط بكنه ذاته لخلقها قاصرة
عن ادراك كنه ما ليس بذي حد وتركيب وكان مستند ذلك الردع هو قدرته فلذلك قدم على الشرطية
اعتبار كونه قادرا فقال هو القادر الذي من شانه كذا وكذا قوله وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب
متخلصة اليه سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار لفظ السدف لظلمات الجهل
بكل معنى غني من صفات جلاله وطبقات حجبها اي ردعها عن تلك المطالب حال ما هي قاطعة
لمهاوي تلك الظلمات ووجه الاستعارة ما اشتركا فيه من عدم الاهتداء ومتخلصة حال ايضا

والعامل

والعامل اما تجوب او ردعها وتخلصها اليه توجهها بكليتها في طلب ادراكه قوله فرجعت اذ جبهت
الى قوله عن نعته معترفة حال والعامل رجعت وجور الاعتساف شدة جوره بها في تلك المنازل وظاهر ان جور الاعتساف
غير نافع في تحصيل ما لا يمكن واولو الروية اصحاب الفكر اي رجعت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته
وانه لا يخطر ببال اولي الرويات تقدير جلال عزته اي لا يحيط بكمال جزاء وظاهر ان صدق هذه الاحكام النفس هو توقف على اذعان
الافكار في طلب هذه المعارف وعجزها قوله الذي ابتدع الخلق على غير مثال الى قوله حيوان الصنايع البشرية
انما تحصل بعد ان يرتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا يصدر الا عن تصور وشعور ولكن تلك
التصورات تارة تحصل عن اشكال مصنوع ومقادير لها خارجية يحتذيها الصانع ويحذو حذوها وتارة تحصل
بمحض الالهام والاختراع كما يفاض على اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره فيصوره ويبرز
صورته الى الخارج وكيفية صنع الله تعالى وجزئياته منزهة عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما الاول فلانه تعالى لم
يحتذ لمصنوعاته على مثال امتثله اي عمل شكله ولا مقدار احتذى حذوه واما الثاني فلان سمي الله عمل على وفقه
ممتنع على الحق تعالى وما شبهه بانه انما فعل على وفق ما حصل في ذهنه من الشكل والهيئة وهما مستفادان من الصانع
الاول جلت عظمته فكان في الحقيقة فاعلا على مثال سابق تحذيه بالمقدار وغيره وعلم الاول سبحانه ليس
على النحو المذكور من حصول صورة مساوية للمعلوم في ذاته كما تحققته من قبل فاذن هذا بمحض الابداع والاختراع
على ابعد ما يكون عن حذو ومثال هو قوله وارانا من ملكوت قدرته الى قوله معرفته بملكوت قدرته ملكها واضاف
الى القدرة لان اعتبارها مبدأ الوجود كله هي مبدأ المالكية واثار حكمته ما صدر عنها من الافعال والاحكام
واتقانا وكل ناقص الى كماله واستعار لفظ النطق لسان حال اثاره تعالى المفصحة عن كمال الحكمة المحيطة بتمام
النظام وحسن الترتيب ووجه المشابهة ما اشترك فيه النطق وحال مصنوعاته من ذلك الافصاح والبيان
واعتراف عطف على عجائب والى ان متعلق بالحاجة وما في قوله ما دلنا هي المفعول الثاني لارانا اي و
ارانا من اعتراف الخلق لحاجتهم الى ان يقيمهم في الوجود بمساك قدرته التي تمسك السموات والارض ان تزولا
ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وقوله على معرفته متعلق به دلنا اي ما دلنا على معرفته فظهرت قيام الحجة
له بالضرورة وقوله وظهرت في البدائع الى قوله قائمة استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة الصانع في فعله
من الاتقان والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت فيه اثار حكمة الله فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض
ناطق بلسان حاله ومقاله كالانسان وبعض بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات
والضمير المضاف اليه في قوله حجته يحتمل عوده الى الله ويحتمل ان يعود الى الخلق الصامت وقد علمت ان
السالكين في سماع هذا النطق من اثار الله ومشاهدته في مصنوعاته على درجات ومنازل متفاوتة
كما اشرنا اليه غير مرة وقوله واشهد ان من شبهك الى قوله رب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى
على طريق قوله مالك يوم الدين اياك نعبد والمشبه به في الحقيقة هو الخلق وانما جعل المشبه به هو تباين
اعضائهم وتلاحم حقاق مفاصلهم لانه في معرض ذم المشبهة والتشبيه على وجه اغلاطهم وتباين الاعضاء
وتلاحمها من لوازم المشبه به وهما مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات المستلزم لظهور الحاجة الى

الترکب والجامع ويشبع على محل يلزمه حاجته ان يشبه به الصانع المطلق البري عن الحاجة بوجه ما فقد قطع الرابطة الجري
الاوسط في لزوم الترکب للمشبه به فيبطل تنزيه الله عن التشبيه وان كان التقدير من شبهك بخلقك في اعضائهم
المتباينة المتلاحمة والذي يقال من وجه الحكمة في احتجاب هو انها لو خلقت ظاهرة عرية عن الاغشية لبليت وذابت عما
وقت فيتعذر تصرف الحيوان بها كما هو الآن او انها كانت معرضة لآفات العفونة لما وغير ذلك من خفي تدبير
ولطيف حكمته وقد شهد عليه السلام على المشبه لخلقه بامرين احدهما انه لم يعرفه والثاني انه لم يتيقن تنزيهه عن
المثل في القرآن والبرهان مصدقا لشهادته في الموضعين اما القرآن فانه عليه السلام يقول وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين
من المتبوعين اذ يقولون الآية ووجه الاستدلال على المطلوب الاول ان المشبه وعبدة الاصنام يكشف لهم
في الآخرة انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين فيترتب دليل هكذا المشبه ضالون من جهة تشبيههم
له بخلقه وكل من كان كذلك فليس بعارف بالله والمقدمة الاولى ثابتة بمنطوق الآية واما الثانية فلانه لو كان
المشبه له عارفا به مع تشبيهه له بخلقه لما كان في ضلال مبين من تلك الجهة لكنه في ضلال مبين من تلك الجهة فاذن
هو ليس بعارف له واما البرهان فلان الله سبحانه لما تقدس عن ان يشبه خلقه في شيء كان المشبه له بخلقه والمكيف
له بكيفيتها انما يعرفه غير عارف به بل متصورا لامر آخر هو في الحقيقة غير الله واما صدق في القضية الثانية فلان
المشبه له ضال من جهة ما هو مشبه له وكل من كان كذلك فليس بمنزه له عن الند والمثل وصدق الاولى ظاهر من
الآية واما الثانية فلانه لو كان منزها له لكونه مشبها له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال فهو ليس بمنزه له
عنه واما البرهان العقلي فلان الند والمثل هو الشبه وكلاهما في المشبه وفي الآية تنفير عن مذهب التشبيه
بذكر تبرؤ التابعين ممن اتبعوا وشبهوا به خالقهم وندامتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على الرجعى لتدارك
الاعمال والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا بتشبيههم في ضلال مبين و قوله كذب العادلون الى قوله
عقولهم تكذيب العادلين به واشار الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم وقد علمت
ان منشأ التشبيه هو الوهم اذ كان حكمه لا يرتفع عن المحسوسات وما يتعلق بها فان حكم في المجردات بكونها
محسوسة ذات اجسام والحقها احكام المحسوس ولذلك لم يرتفع المشبهة عن تشبيهه بالاصنام والاشخاص
الاجسام كصورة الانسان واعضائه وذلك غير عبدة الاوثان من سائر فرق المشبهة حتى كانت غاية تنزيه
من نزهه منهم ان نزهه في جهة فوق وقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المخلوقة فكانوا في
احزمهم قد حلوه حلية المخلوقين ووصفوه باوهامهم الفاسدة فمنهم من اثبت له اعضاء من يد وساق وعين ووجه
وسائر ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصفه فقال انه
اجوف الاعلى مصمت الاسفل وانه قطط الشعر الى غير ذلك من هذيانهم وكفرهم تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وتجزئته بخواطرهم تجزئة المجسمات هو اثباتهم الاعضاء المذكورة وذلك عن تقديرهم له على الخلقة
المختلفة القوى بقرائح عقولهم الجامدة متابعة لاوهامهم الفاسدة وتقليد من سلف من آبائهم فان الاعضاء
انما يحتاج اليها وتكمل بواسطة قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها من قوى مختلفة يحتاج بها ومتعلقة في فعلها
محتاجة الى الجامع والمركب مؤدية بالامكان الذي تنزه قدس الصانع ان يتطرق اليه بوجه و قوله فاشهد ان

من ساواك

من ساواك بشيء من خلقك الى قوله محكمات شهادة ثانية على من شبهه فجعل له مثلا بالكفر واشارة الى برهانها
بقياس من الشكل الاول استدلّ بيان كبراه الى كتاب الله وخصوص آيات المحكمة ومساواة الانداد وشواهد حججه هي تلك
الآيات الى حجج الحق هذه هي كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا
وقوله ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون والاشراك
كفر ونحو ذلك واما المقدمة الاولى فلان التشبيه هو المثل والعديل وقد علمت ان البرهان العقلي مما يشهد
بصدق هذه الشهادة فان المشبه له بخلقه مع براءته عن شبهية الغير اذا اعتقد ان ذلك الذي يشير اليه وهمه
هو صانع العالم فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك عين الكفر والضلال و قوله وانك انت الله الذي لم تتناه
في العقول الى قوله مصرفا شهادة ثالثة هي خلاصة الشهادتين الاوليين بتنزيهه عن تناهيه في العقول البشرية
والافكار اي احاطتها بحقيقته وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراء ما ادركته شيء آخر
وشبهه في هذه الشهادة مما يلزم ذلك التناهي من كونه ذا كيفية يكيفها بها القوى المتخيلة فتشبهه بها العقول
وهاب الفكر حاملا بها ثم من كونه محدودا اذ كانت الحقائق انما تدرك بحدودها من حدودها وقوله مصرفا اي محكوما
في ذاته بالتجزئة والتحليل والتركيب اذ كان من شأن المحدود ذلك ولما كانت هذه اللوازم باطلة لبراءته
عن الكيفية والاجزاء والتركيب كان ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا

الفصل الثالث

قدّر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء
الى غايته ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور عن مشيئته المنشئ اصناف
الاشياء بلا روية فكر آل اليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك
اعانه على ابتداع عجائب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطئ
ولا اناة المتلكئ فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها ووصل اسباب
قرائنها وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها
على ما اراد وابتدعها اقول آل رجع واذعن خضع وذل والريث البطء وكذلك الاناة والتلكي الاعتلال
عن الامر والتوقف فيه والاود الاعوجاج والبدايا جمع بدية وهي الخلقة العجيبة فقوله قدر ما خلق فاحكم
تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدره في الوجود على وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقدار او نقص
منه لاختلت مصلحة ذلك المقدر وتغيرت منفعته و قوله ودبره فالطف تدبيره اي اوجده على وفق المصلحة
ولطفه في ذلك تصرفه في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية من غير شعور غيره بذلك
و قوله ووجهه لوجهته الى قوله الى غايته اي الهم كلا ويسره لما خلق له وكتب في اللوح المحفوظ فلم يتجاوز
رسوم تلك المنزلة المعلومة له اي لم يعبرها ولم يقصر دونها والا لزم التغير في علمه سبحانه وانه محال و قوله
ولم يستصعب اذا امر بالمضي اي على ارادته اي على امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة الله
وساقته الحكمة الالهية كلا الى غايته لم يمكن تخلفه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيه
اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه بذلك و قوله وكيف وانما صدرت الامور عن مشيئته اي وكيف يستصعب

ثم اشار الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده بذكر علته وهو استنادها جميع آثارها الى مشيته اذ كل اثر فهو واجب عن مؤثره والكل منته في سلسلة الحاجة الى ارادته واجب عنها وقد علم ذلك في العلم الالهي **قوله** المنشئ اصناف الاشياء الى قوله عجائب الامور قد سبق في الخطبة الاولى بيان ان الروية والفكر والتجربة مما يلحق الانسان ويخصه وان البارى سبحانه منزه عن شيء في كيفية ابداعه للخلق واما الشريك فتنزهه عنه برهان الوحدانية كما سبقت الاشارة اليه ايضا وقريحة الغريزة قوة الفكر للعاقل **قوله** فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته تمام مخلوقاته من جهة جوده بافاضته ما ينبغي لها فان عرض لشيء منها فوت كمال فلعدم استعداده في قبوله لذلك واذعانه ذلته في رق الحاجة والامكان وتصريف القدرة واجابته الى دعوته كونه في الوجود عن قوله كن **قوله** لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ تنزيه لفعله تعالى وامره ان يعرض فيه طاعة الاشياء لشيء من هذه الكيفيات اذ كل شيء في قدره وعلى غاية من السرعة الى اجابة امره ولما كان تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي قوله كن جهة ما ينبغي لذلك المامور وما يعده الاجابة امره بالكون في الوجود وبعد عنه فكيف يمكن ان يعرض له في اجابة الامر بطؤ او تلكؤ بل يكون كلمح البصر كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ويحتمل ان يكون ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شيء من هذه الكيفيات فان البطؤ والاناة والتلكؤ من عوارض الحركة التي هي من عوارض الجسم واعراضها فيمن يفعل الآلة وتشتد حركته او يضعف وقد علمت تنزيه الله تعالى عن جميع ذلك **قوله** فاقام من الاشياء اودها الى قوله والهيئات اقام الاود تقويم الاعوجاج كل شيء باعداده لما ينبغي له وافاضته كماله ونهج حدوده اوضح حدود الروابط بين الاضداد لكل شيء وجهه وغاية وتدبيره له وملايمته بين متضادها كجمع العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في مزاج واحد وقد سبق بيانه ووصله اسباب قرائنها اشارة الى ان الموجودات لا تنفك عن اشياء تقترن بها من شبه او شكل او غريزة ونحوها واقتران الشيئين لا محو مستلزم لاقتران اسبابها واتصالها لاستحالة قيام الموجود بدون اسبابه وذلك الوصل مستند الى كمال قدرته اذ هو سبب الاسباب وقال بعض الشارحين اراد بالقرائن النفوس وهذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى عبادته وما هو الاولى بها في معاشها ومعادها وسوقها الى ذلك اذ المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب فلان اذا اخلفه عليه ووصله بره وانعامه والاول اظهر **قوله** وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات لا يريد بالاجناس والحدود ما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل ما اختلف المذكورة كلها او بعضها فهو مختلف الجنس لغة وقدر الشيء منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال ايضا والغرائز القوى النفسانية والاخلاق والهيئات والصفات وان حمل الحدود على ما هو المتعارف كان حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت تمييز بعض الموجودات عن غيرها بحدودها وحقائقها وبعضها باشكالها وهيئاتها ومقاديرها وغرائزها واخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم الارادة الالهية **قوله** بدايا خلائق احكم صنعها وفطرها على ما اراد وابتدعها اي هي بدايا اي عجائب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق **ومنها** في صفة السماء ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها

وبين ازواجها وذلل للهابطين بامره والصاعدين باعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها من ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر سيرهما في مدارج درجيهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها **اقول** الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة واصله قوة وبايدة القوة ومار تحرك وناط علق والصدع الشق وشج بالتشديد اي شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج بالفتح وهي عرى العيبة التي تخاط بها وتقفل ويطلق ايضا على حروفها التي تخاط والارتتاق الالتصاق والنقاب جمع نقب بفتح النون وهو الطريق في الجبل والدراري الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية خلق السماء فقوله ونظم بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضي بظاهره ان السماء كانت ذات فرج وصدوع والامام على راي من زعم حتى لو احتمل امرين احدهما انه لما كانت السموات مركبة من اجزاء وكانت بين اجزاء كل مركب مباينة لولا المركب والمؤلف استعار عليه السلام لفظ الرهوات والفرج لما يتصور من المباينة وبين اجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها ومركبها سبحانه ونظامه لرهوات فرجها ملاحمته صدوعها والتاما قرائنها حتى تمت مركبا متلاحم الصدوع والفرج الثاني يحتمل ان يشير بالفرج الى ما بين اطباق السموات من التباين ونظمه لرهواتها وملاحمه صدوعها خلقها اكرا متماسة لا خلاء بينها وبيّن كمال قدرته سبحانه بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء واقفة في خلاء كما تقف الحجر في الهواء وذلك من جرمها وثقلها فوكها بذلك القول الى التعجب والاستعظام **قوله** ووشج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها نفوسها التي هي الملائكة السماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج اي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا يقبلها غيره **قوله** وذلل للهابطين بامره الى قوله انفراجها قد سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست اجساما كسائر الجسمان فاذن ليس هبوطها وصعودها الهبوط والصعود المحسوسين والا لكان البارى جل قدسه عن اوهام المتوهمين في جهة اليه يصعد ومنه ينزل فاذن هو استعارة لفظ النزول من الجهة المحسوسة الى اسفل لنزول المعقول من سماء الجود الالهي الى اراضي المواد القابلة للافاضات العالية وبذلك المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة عن ايصالها الى كل ما دونها كالمتوسط بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحي وغيره وكذلك الصاعدون باعمال الخلق هم الملائكة ايضا واما معنى الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة في ذوات الصاعدين بها وقد لاح فيما سبق ان علمه تعالى بمعلوماته البعيدة كالزمانيات والمعدومات التي من شانها ان توجد في وقت وتتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الالواح وهو ايضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذي ذكرناه من اراضي النفوس الى الالواح المحفوظة فاما الاشراج الذي ذلل حزونته لهم وسهل سلوكه فيعود الى عدم حجبها ومنعها لنفوذ علوم الملائكة باعمال الخلائق

وما يجري في هذا العالم وكان الاجسام المضيئة لا تمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو مضيء والوصول الى ما وراء
تلك السماء لا يحجب علوم الملائكة ان يتعلق بما في هذا العالم من الموجودات فجرت مجرى المنفرج من الاجسام فاطلق عليها لفظ
الانفراج وقد يلوح من ذلك ان الانفراج لم يعرف كونها غير مانعة بوجه ما لجريان علوم الملائكة المقربين في هذا العالم
وقوله وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وانفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها فيها احتمالان
الاول انك قد علمت فيما سبق ما معنى كون السماء من دخان فاما ما ذكره لما فيه اشارة الى امره لما باد من بيان
والكون في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واما التحامها فاعتبار تركيبها
بانضمام جزئها الصوري الى جزئها القابل كالتحام طرفي العيبة بتشريج عراها وانفتاق ابوابها بعد ذلك الارتتاق
هو جعلها اسبابا لنزول رحمته ومدبرات تنزل بواسطة حركاتها على هذا العالم انواع رحمة الله فكانت حركاتها
تشبه الابواب اذ هي ابواب رحمته ومفاتيح جوده الثاني ان العرب تقول لكل ما علاك فهو سماؤك
فعلى هذا يحتمل ان يكون المراد بها هو ما علا من السماء المعهودة ويكون قوله وناداها اشارة الى سماء السحاب وكونها
دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد وشبه الدخان فاستعير له لفظه والتحام عرى اشراجها اشارة الى التحام
تلك الاجزاء البخارية وانعقادها سحابا وانفتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها كما قال تعالى ففتحنا
ابواب السماء بماء منهمر قوله واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها فيه احتمالان [?] يكون
استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم بما وراءها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى
الشهب واقامتها رصدا الثاني ان يكون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة ورشح بذكر النقاب
اذ شان الرصد والحرس حفظ الفرج والابواب ويكون سر ذلك ووجه الحكمة فيه ان العرب كانت
تعتقد ان الشياطين تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملائكة ثم تلقيه الى الكهنة والسحرة لكونهم خلفاء [?]
اور السنة والنهي عن التكهن ونحوه لما فيه من فساد اذهان الخلق وصرف قلوبهم عن غرض الشريعة
التي الوحي اليهم ان هذه الشهب التي تنقض انما جعلت رجوما للشياطين مسترقة السمع فكل من استمع
منهم رمي بشهاب منها وحجبت السموات عنهم فلا يصلون اليها لترسخ في اذهان الخلق انقطاع مادة الكهانة
ونحوها فتنسوا اعتقادهم فيهم ويكون ذلك كسرا لاوهامهم التي بنتها شياطين النفوس وقمعا لها وبالله
التوفيق وقوله وامسكها ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره اي حفظها بقوته
عن ان تحركها الريح المخترقة فيها بمجاورتها وحكمت الحكمة الالهية عليها بالاستقرار انقيادا للقدرة والامر
الاول اشارة الى حكم القضاء والامر الثاني اشارة الى اعتبار القدرة وقوله وجعل شمسها آية مبصرة
لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا
آية النهار مبصرة وكونهما آيتين اي دالتين على كمال قدرته ونقل عن ائمة التفسير في ابصار آية النهار
ومحو آية الليل وجوه احدها ان ابصار آية النهار هو بقاء الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو
آية الليل هو اختلاف احوال القمر في اشراقه ومحاقه بحيث لا يبقى على حالة واحدة بل كل ليلة في
منزل بزيادة او نقصان الثاني ما نقل ان ابن الكوا سأل عليا عليه السلم عن اللطخ التي في وجه القمر فقال

ذلك

ذلك محو آية الليل الثالث عن ابن عباس ان الآيتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا الليل والنهار
ذوي آيتين فقوله فمحونا آية الليل اي لم نجعل للقمر نورا من ذاته بل من ضوء الشمس وابصار آية النهار كون
الشمس مضيئة بذاتها ومن ههنا لابتداء الغاية او لبيان الجنس ويتعلق بممحوة او بجعل وقيل اراد من آيات
ليلها وقوله فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر سيرهما في مدارج درجهما مناقل مجراهما ومدارج درجهما التي
قدر سيرهما فيها هي درجاتها ومنازلها ولنشر الى مفهومات الدرج والبروج والمنازل وهو ان الناس
قسموا دور الفلك الذي يسير فيه الكواكب باثني عشر قسما وسموا كل قسم برجا وقسموا كل برج ثلثين قسما
وسموا كل قسم درجة وسموا تلك البروج اسماء الحمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب
القوس الجدي الدلو الحوت والشمس يسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في ازيد من
يومين وانقص من ثلثة ايام واما منازل القمر فثمانية وعشرون واسماؤها الشرطين البطين الثريا
الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر
الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
الفرغ المقدم الفرغ المؤخر الرشا والقمر يكون كل يوم في منزل منها وكل في فلك يسبحون ذلك تقدير
العزيز العليم وقوله ليميز بين الليل والنهار الى قوله بمقادير سيرهما وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى قوله
ثم علق في جوها فلكها لما اشار اولا الى تركيبها اشار الى اقرارها في احيازها وهو اشارة الى تعليق فلكها في جوها
فان قلت فقد قال اولا بلا تعليق ثم قال هنا وعلق فما وجه الجمع قلت بقدرته ولا مادة واراد بالفلك اسم الجنس
عن الصحو [?]
وهو جبالها المستديرة التي يصدق عليها هذا الاسم وقوله وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح
كواكبها كقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها كقوله تعالى فاتبعه شهاب
ثاقب وقد تقدم بيانه وانما اعاد ذكر الشهب لانه ذكر اولا انه اقامها رصدا وذكر هنا انه جعلها رصدا الى
رمي مسترقي السمع بها وقوله واجراها على اذلال تسخيرها كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
والذلة في الامكان والحاجة الى الايجاد والتدبير واما الثابت والسائر منها في الكواكب السبعة زحل
والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وسمي الشمس والقمر بالنيرين والخمسة الباقية
بالمتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم وقوفا ثم رجوعا ثم عودا الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاستقامة
وما في الكواكب التي في السماء غير هذه السبعة تسمى بالثوابت وفلكها الثامن وكل واحد من السبعة يتحرك
حركة مخصوصة تخالف حركة الاخرى ما صعودها وهبوطها فصعودها طلبها شرفها وشرف الشمس في الدرجة
التاسعة عشر من الحمل وشرف القمر في الدرجة الثالثة من الثور وشرف زحل في الحادية والعشرين
من الميزان وشرف المشتري في الخامسة عشر من السرطان وشرف المريخ في الثامنة والعشرين من الجدي
وشرف الزهرة في السابعة والعشرين من الحوت وشرف عطارد في الخامسة عشر من السنبلة وشرف
الراس في الثالثة من الجوزاء وشرف الذنب في الثالثة من القوس وربع الشرف كل شرف الى
تلك الدرجات قوية فما دام الكوكب متوجها الى قوة الشرف فهو في الازدياد والصعود فاذا جاز

مسارقة الاشخاص والهبوط وهبوط كل كوكب مقابل شرفه وصعوده واما نحوسها وسعودها فقال زحل والمريخ نحسان
نحس اكبرهما زحل والمشتري والزهرة سعدان اكبرهما المشتري وعطارد سعد مع السعود ونحس مع النحوس
والنيران سعدان من السدس والتثليث نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة والراس سعد والذنب
والكيد نحسان ومعنى سعودها ونحوسها كون اتصالاتها اسبابا بالصلاح في شيء من احوال هذا العالم وفساده وبالله
التوفيق **منها** في صفة الملائكة عليهم السلم ثم خلق لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من
ملائكته فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس
وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار
عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها انشأهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح جلال
عزته لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودائع امره ونهيه
وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر قلوبهم اخبات السكينة
وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الآثام ولم ترتحلهم
عقب الليالي والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم ولا قدحت
قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته في اثناء صدورهم
ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي قترة الظلام
الايهم ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة
تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت حقائق الايمان بينهم وبين
معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره قد ذاقوا حلاوة معرفته
وشربوا بالكاس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم
ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا
ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم ولم
تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم ولا ملكتهم الاشغال فتنقطع بهمس الجؤار اليه
اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم ولا تعدو على عزيمة جدهم
بلادة الغفلات ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند
انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا الى مواد
من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع فيؤثروا وشيك
السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ولم يختلفوا
في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد ولا تشعبتهم مصارف الريب ولا
اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى ولا فتور وليس في اطباق السموات موضع اهاب

الا وعليه

الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما **اقول**
الصفيح السطح والفجاج الطرق الواسعة والجو المكان المتسع العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق الستر
الذي يمد فوق البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب وتستك الاسماع تصم وخاسئة متحيرة والاخبات التذلل
والاستكانة وذللا سهلة والموصرات المثقلات والعقب جمع عقبة وهي المرة من التعاقب والنوازع جمع
نازعة الخواطر المفسدة والمعترك المتسع والاحن جمع احنة وهي الحقد ولاق لصق واثناء جمع ثني وهي تضاعيف الشي
والرين الغلبة والتغطية والدلح جمع دالحة وهي الثقال والشمخ العالية وقترة الظلام سواده والايهم الذي لا يهتدي
فيه والتخوم جمع تخم بفتح التاء وهو منتهى الارض وحدودها والريح الهفافة الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجرة
والربق جمع ربقة وهي الحلقة من الحبل والدؤوب الجد في العمل والاسلة طرف اللسان والجؤار رفع الصوت بالدعاء
ونحوه والهمس الخفي من الصوت والانتضال الرمي بالسهام والاستهتار بالامر الولوع به والتظاهر به ووشيك السعي
قريبه والنسخ الازالة والاستحواذ على الشيء الاحاطة به والغلبة عليه واخياف الهمم مختلفها واحده خيف والحفد
السرعة واعلم ان هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكة الذين هم اشرف الموجودات الممكنة بكمال العبودية مع ان كان
في معرض تمجيده ووصف عظمته وقد سبق ذكر انواع الملائكة واسكانهم اطباق السموات وبيان مقاصده بقدر
الامكان ولنشر ههنا الى ما يختص بهذا الموضع من ابحاث الاول ثم خلق سبحانه الى قوله من ملائكته يحتمل ان يشير
بالصفيح الاعلى الى الفلك التاسع وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة الذين المدبرون له و
يحتمل ان يريد به محل عبادة الملائكة من حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعد الصدق من موضعه
فان خلقهم انما كان لعمارة ذلك المحل وهو البيت المعمور بجلال الله وعبادتهم له وانما كانوا من اشرف الموجودات
كانوا هم الخلق البديع التام العجيب الثاني انه ملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج
والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء الفلك من التباين لولا الملائكة الذين هم ارواح الافلاك وبها كمال
وجودها وبقاء جواهرها محفوظة بها ووجه المشابهة ظاهر ورشح تلك الاستعارة بذكر الملئ والحشو واما فجاجها
وفروجها فاشارة الى ما يعقل بين اجزائها واجوائها المتخلخلة من التباين لولا النظام لها بوجود الملائكة فيكون حشو
تلك الفروج بالملائكة كناية عن نظامها بوجودها وجعلها مدبرة لها الثالث وبين فجوات تلك الفروج الى قوله المجد
استعار لفظ الحظائر لمنازل الملائكة من عالم الغيب ومقامات عباداتهم وظاهر كونها حظائر القدس لطهارتها
وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الامارة بالسوء وكذلك استعار لفظ سترات الحجب والسرادقات
لما يحيط عليه من حجب النور التي حجب بها عن الاذهان او بتجردهم عن المواد ولواحق المحسوسة ووجه المشابهة
كونهم محتجبين بذلك عن رؤية الابصار والاوهام وظاهر كون تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم وترفعهم
بها عما دون ذلك الحجب الرابع ووراء ذلك الرجيج الذي تستك الى قوله حدودها استعار لفظ الرجيج لعبادة
الملائكة كما استعار لفظ الزجل ورشح استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع وكنى به عن كمال عبادتهم ويحتمل
ان يشير بذلك الرجيج الى ما تسمعه الانبياء من اصوات الملائكة كما علمت كيفيته في حال الوحي وبيانه في المقدمة
واشار بسبحات النور التي وراء ذلك الرجيج الى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه ان تصل اليه ابصار البصائر

عن ادراكها فرج حيرة متحيرة واقفة عند حدودها وغاياتها عن الادراك في تسن اشاهم عن صور مخلفات الا قوله
عزته اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه ولفظ
الاجنحة مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف الالهية وتفاوتها بالزيادة والنقصان كما قال اولي
اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي له وذلك جعل الاجنحة
هي التي تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله منزه له عما لا ينبغي لكرم وجهه وهو باب عن الانسان
ولا ينتحلون الى قوله يعملون اي لا ينسبون بعض مصنوعاته الى قدرهم وان كانوا وسايط جنادا لا يدعون انهم
يقدرون على شي منها الا باقداره لهم بل غايتهم انهم وسايط في افاضة الجود على مستحقه وما لم يجعلهم وسايط فيه
بل انفرد بذاته في ابداعه فلا يدعون القدرة عليه اصلا وذلك لكمال معارفهم باقدارهم ونسبتهم الى
باريهم وقد اكرمهم الله تعالى بالتقديس عن النفوس الامارة بالسوء التي هي مبدأ مخالفة امره والخروج عن طاعته
السابع جعلهم فيما هنالك الى قوله وهيأ اي في مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة الى كل ذلك
في خطبة الاول الثامن وعصمهم الى قوله مضاضة في الشكوك والشبهات والزيغ عن سبيل الله هو
النفس الامارة بالعقل وجذبها لها الى طرق الباطل والملائكة مبرؤون عنها فكانوا معصومين مقومين محامد
اليه وبامره من الزيغ والانحراف عن قصد الله وامدادهم بفوائد المعونة زيادتهم في كمالاتهم على غيرهم ودوام
ذلك بدوام وجوده التاسع واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ التواضع والاستكانة
لما لهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الى جوده والافتقار تحت عظمته اي جعل ذلك الاعتراف
شعورا لازما لها وانهم اوحى الشعور وهو الادراك العاشر وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده الابواب
الذلل وجوه معارفهم الالهية التي بها يمجدونه حق تمجيده وهي ابوابهم ووسائلهم الى تنزيهه وتعظيمه و
ظاهر كونها سهلة اذ حصر لها لهم لبس الكتاب عن طرقه توعرت تراكم الشكوك والشبهات ومنازعات
الاوهام والخيالات كما عليه علومنا الحادي عشر ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده قيل استعار
المنار الواضحة لوسايط من الملائكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه اذ اختارها من الملائكة السماوية ولفظ
الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنار
والاعلام كما يكون وسايط في حصول العلوم بالمطلوب لكن الملائكة المقربون والمعارف الحاصلة لهم
يكون وسايط في الوصول الى المطلوب الاول محرك الكل عز سلطانه الثاني عشر لم تثقلهم موصرات
الاثام فلم يكن النفوس الامارة بالسوء موجودة لهم يستلزم عدمها نفي اثارها عنهم من الاثام والشرور
الثالث عشر ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام اي لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم عن الوجود وذلك
لتجردهم وبراءة المجردات من لحوق الزمان والتغيرات الحادثة بسببه الرابع عشر ولم ترم الشكوك
بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم عزيمة ايمانهم ما لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم
وما ينبغي ان يعتقد وانهم اليقينية واعتراك الشكوك والظنون تشاوره الاوهام والخيالات وعلوم الملائكة
المجردين بريئة عنها ولفظ الرمي مستعار لانبعاث النفوس الامارة بالسوء والقائها الخواطر الفاسدة

الى النفس المطمئنة ومن روى النوازع بالعين المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك
لاختلاط الظنون والاوهام على القلوب وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهر الخامس عشر ولا قدحت
قادحة الاحن فيما بينهم اي لم تثر فيهم الاحقاد شيئا من الشرور كما يثير النار قادحها لبرائتهم عن قوى الغضب
والقوى السادس عشر ولا سلبت الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم الى قوله صدورهم لما كانت الحيرة ترددا للعقل
في اي الامرين اولى بالطلب والاختيار وكان منشأ ذلك هو معارضات الوهم والخيال للعقل فحيث لا وهم
ولا خيال فلا حيرة بخلاف معارفهم ويزيل هيبة عظمته من صدورهم والهيبة كناية عن استشعار عظمته ولفظ
الصدور مستعار له وانهم السابع عشر ولم يطمع فيهم الوساوس فيقترع برينها على فكرهم وقد مر تفسير الوسوسة
وفاعل الطمع هنا مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اهل الوساوس وهم
الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس واسناد الطمع اليه مجازا كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها
ورينها غلبة الشكوك اللازمة عنها على وجوه عقولهم وابصار ذواتهم التي بها ينظرون الى وجه ربهم والاشتغال
عنهم اسبابها وهي النفوس الامارة الثامن عشر منهم من هو في خلق الغمام الى قوله الابهم هذا التقسيم
يعود الى جنس الملائكة فان الاوصاف السابقة كانت خاصة بسكان السموات منهم وقد وردت الشريعة
بان في الغمام ملائكة تسبح الله وتقدسه وكذلك في الجبال والاماكن المظلمة وهم من الملائكة الارضية وقد علمت ما قيل فيها
في خطبة الاول التاسع عشر ومنهم من خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى الى قوله المتناهية يشبه ان يكون
هذا القسم من الملائكة السماوية ايضا واستعار لفظ الاقدام لعلومهم المحيطة باقطار الارض السفلى ونهاياتها
ووجه المشابهة كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية واصلة الى نهايته كما ان الاقدام تقطع الطريق وتصل
الى الغاية منها وشبهها بالرايات البيض النافذة في مخارق الهواء من وجهين احدهما في البياض فان
البياض لما استلزم الصفاء عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية من كدورات الباطل وظلمات الشبه
الثاني في نفوذها في اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء واشار بالريح التي تحبس الاقدام على حيث
انتهت من الحدود الى حكمة الله التي اعطت كلا ما يستحقه وقصرت كل موجود على حده ونهايته فالى لطف
تصرفها وجريانها في المصنوعات العشرون قد استفرغتهم اشتغال عبادته الى قوله وشيجة خيفته
اي لم يجعل لهم فراغا لغيرها وقد علمت ان تحريك الملائكة السماوية لاجرام الافلاك جارية لها مجرى
الابدان بحركة ارادية شوقية تشبها بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق سبحانه في كمال عبادتهم له وتلك
الحركات الدائمة الواجبة مستفرغة لهم عن الاشتغال بغيرها كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وحقائق الايمان تصديقهم الحق بوجوده عن مشاهدة وجودهم وظاهر كونه سببا لارادة معرفته الثانية
والدوام عليها وابرازها في قوتهم من الكمال بها الى الفعل فان التصديق بوجود الشيء الواجب تحصيله
اقوى الاسباب الباعثة على طلبه فصار الايمان والتصديق الحق اليقين بوجوده وسيلة جامعة
بينهم وبين معرفته والاشتغال بها وقاطعا الى الوله اليه والعشق له وثبات الرغبات فيما عنده
دون غيره ولما استعار لفظ الذوق لتعقلاتهم ولفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته

وشّح الاستعارة الاولى بذكر الحلاوة وكنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفته كما يلتذ ذائق الحلاوة بها وايضا
بذكر الكاس الروية اذ من كمال الشرب ان يكون بكاس روية اي من شانها ان تروي وكنى بها عن كمال حظهم
بالنسبة الى غيرهم وكذلك وشّح استعارة لفظ القلوب بذكر سويدائها اذ كان من كمال تمكن العوارض القلبية
كالمحبة والخوف ان يبلغ الى سويدائه واشار بوشيج خيفته الى العلاقة المتمكنة من ذواتهم لخشيته وهي كمال
علمهم بعظمته ولفظ الحنو مستعار كما سبق الثامن لا تهاونهم في ذل الامكان عند اعتبار عزه وقهره الحادي والعشرون
فتر ابطول الطاعة اي اعتدال ظهورهم يجوز بانحناء الظهور في كمال خشوعهم في عبادتهم ومع اطلاق اسم المسبب على
السبب الثاني والعشرون ولم تغض طول الرغبة اليه مادة تضرعهم لما كان من شان احدنا اذا رغب في امر
الى بعض الملوك وفزع فيه اليه بالتضرع والتذلل ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته ومادته اما دواعي نفسه الى تطلب
وميولها وانقطاعها باستيلاء الملال بطالته وضعفها عن تحمل المشقة او مطلوبه وقصوره لامكان تناوله وانقطاعه
اما باياسه منه او باعطائه اياه وكانت مادة تضرعهم وعبادتهم لا تنقطع التقدير بريئة عن القواطع اما من
ذواتهم فلان الكلال والملال من عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه كمال معرفة الله بعد تصورهم
لعظمة ذلك المطلوب وعلمهم ان درجات الوصول اليه غير متناهية لا جرم سلب عنهم في معرض مدحهم انقطاع
مادة تضرعهم المستلزم ذلك سلب انقطاع تضرعهم وعبادتهم له الثالث والعشرون ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة
لديه ربق خشوعهم لما كان من قرب من السلطان من شانه ان يقوى نفسه ويخف هيبته وكان ذلك في الشاهد
من ملوك الدنيا وكونه ممكن الاما وضعوا المتقرب اليهم مشتبه لهم والكان ووصوله الى ما وصلوا اليه وكان
سلطان الله لا يتناهى عظمه وعزه وعزا فالم يتصور من العارف المتقرب اليه ان تخف هيبته او ينقص
خشوعه وعبادته بل كلما ازداد معرفته به ازدادت عظمته في نفسه اذ كان يقدر في سلوكه عظمة الله تقدر عرفانه
به فكلما عبر منزلة من منازل المعرفة علم عظم خالقه فكمل عنده تنبيه بذلك وعلم نقصان ذاته فكمل خشوعه وعرف
خضوعه واستعار لفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع الرابع والعشرون ولم يتولهم الاعجاب الى قوله
حسناتهم اي لم يستول عليهم والاعجاب هو استعظام الانسان نفسه بما يتصور انه فضيلة ومنشأ ذلك
لكم هو النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق ووجب له بسببه ولكنه
مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها والملائكة السماوية بريئون عن الاوهام واحكامها عزيمة في الوله
اليه ودوام مطالعة الائه والاستكانة تحت جلال عزته فلا يستكثرون ما سلف منهم من عبادة ولا يستعظمون
ما صدر عنهم من خير الخامس والعشرون ولم يجر الفترات فيهم على طول دؤبهم قد ثبت ان الملائكة السماوية
دائمة التحريك لاجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يلحقها ويتراءى اعياء ونصب وبيان ذلك بالبرهان اصول
ممهدة في مواضعها واما بالقران فقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد سبق السادس
والعشرون ولم يغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم المخالفة عن الشيء العدول عنه وقد سبق ان رغبات
الملائكة السماوية واشواقها الى كمالاتها دائمة ثابتة فكانت لذلك دائمة الرجاء لما من واهبها ولفظ الغيض مستعار
كما سبق السابع والعشرون ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم طول مناجاتهم يعود الى توجيه وجوههم

دائما

دائما اليه واستعار لفظ الالسنة ورشح بذكر الاسلات ملاحظة لتشبيه باحدنا في مناجاته وكنى بعدم جفاف
السنتهم عن عدم فتورهم وعدم لحوق الكلال والاعياء لهم وظاهر انه لا السنة لهم فلا جفاف الثامن والعشرون
ولا ملكتهم الاشغال الى قوله اصواتهم اي لم يضعفهم العبادة فينقطع اصواتهم ويضعف همتهم بالتضرع اليه وهو تنزيه لهم عن الاحوال
البشرية والعوارض البدنية من الضعف والاعياء وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال وقوتها وقد ثبت ان الملائكة
السماوية لا يجوز عليها شيء من تلك العوارض واستعار لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة التاسع والعشرون
ولم يختلفوا في مقاوم الطاعة مناكبهم الى قوله رقابهم استعار لفظ المقادم من رتبهم الطاهرة وهي شرف في كمال خلقهم
كما سبق ووجه من طاقاته وكان اهم عباداته كمعرفته والتوجه اليه ولفظ المناكب وهي ابرح ربثات
بعد المقادم في كل جماع لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية لمقادم ونظامها وترتيبها لا يخالف صفها
ونسقها كذلك الملائكة لا تختلف ذواتهم واجرامها في نسق ما هم من عبادة ربهم ومعرفته بل صافون لا يخالف
بعضهم بعضا في استقامة طريقهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم في التوجه اليه كما اشار اليه في الخطبة الاولى
وصافون لا يتزايلون وكذلك استعار لفظ الرقاب ولفظ الثني اي لم يثنوا الى الراحة من تعب العبادة فيقصروا
في اوامره والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه الابدان الثلاثون ولا يعدوا
الى قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة فيما سبق والبلادة هي طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما من عوارض
هذا البدن وبواسطته وكذلك الشهوات والملائكة السماوية بريئة عنها فلم يجز ان يطرأ على عقولهم ما توجه الغفلة
والبلادة حتى يكون ذلك سببا لاعراضهم عن التوجه فيه ولم يجز ان ترمي الشهوات هممهم بسهام هذا ويعاقد الخذوا
الى قوله رغبتهم اشار رحمه الله الى حاجتهم في الاستكمال الى جوده وان كان ذلك دائما فذخرهم الذي
اليه يرجون وكذلك الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق الى المخلوقين الى حال الحاجة اليه فانه انما يكون ذخيرة لهم
رجوعهم اليه فيما يحتاجون وانما يتحقق قصدهم له برغبتهم حال الحاجة اليه الثانية والثلاثون لا يقطعون الى قوله و
مخافته لما كانت غاية عبادتهم هو الوصول الى كمال معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية لم
يكن مقطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما كانوا غرقى في محبة عالمين بكمال عظمته وان ما يرجونه من تمام جوده اشرف
المطالب وابهج المكاسب وما يخشى من انقطاع جوده ونزول حرمانه اعظم المهالك والمعاطب لا جرم دام
رجاؤهم له وخضوعهم في رفع الحاجة اليه والفزع من حرمانه وكان ذلك الرجاء والخوف هو مادة استهتارهم
بلزوم طاعته التي يرجون الاصل من نظرهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها الثالث والثلاثون لم ينقطع اسباب
الشفقة منهم فينوا في جدهم الشفقة الاسم من الاشفاق اي لم ينقطع اسباب خوفهم له واسبابه حاجتهم الى التمام
في الوجود والى الاستكمال بجوده فان الحاجة الضرورية الى الغير في مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قضائه
ويوجب الاقبال على الاستعداد لجوده بلزوم طاعته وحاجتهم اليه دائمة فجدهم في عبادته دائم فلم يبنوا فيه منعدم
الرابع والثلاثون ولم ياسرهم الى قوله اجتهادهم سلب لبعض اوصاف البشر عنهم فان كثيرا من العابدين قد صرفهم
عن الاجتهاد في طاعة الله سبب ما يظهر لهم من الكمالات الدنيا ورتبها فيوثرون ما قرب من السعي في تحصيله
على ما يستبعد وقته من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عنها

ولفظ الاشتغال مستعار لشواغل ... [illegible]

هذه الدار والملائكة يبرؤن عن الشهوات وما يزعجها من اسر الاطماع الكاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة لعود الاطماع
الى ما يطمع فيه كالشموس والشؤن ولم يستكثروا ما مضى من اعمالهم الى قوله وجلهم معنى هذه الشرطية انهم لو استكثروا
ذلك لكان رجاؤهم ثواب عباداتهم عظيما فكان لقوته ماحيا لشفقاتهم وخوفهم منه وهذا كان الانسان اذا
عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يرى في نفسه استحقاق اتم جزائه ويجد التطاول به والادلال عليه فيهون ذلك
ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص
خوفه ويقل هيبته لكن الملائكة خائفون ابدا كما قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم والملائكة من خشيته
فيلزم انهم لا يستكثرون سالف عباداتهم السادس والشئون ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم
اي بسبب استيلائه واستحقاق كمال العبادة وذلك لعدم سلطانه عليهم وهو سلب لبعض احوال البشر وكذلك
قوله ولم يفرقهم الى قوله اخياف الهمم تنزيه لهم عن امور من عوارض البشرية احدها سوء التقاطع وهو كقطع
التعادي وتدابرهم الناشي عن الغضب والشهوة الثاني غل الحسد وقد علمت ان الحسد رذيلة نفسانية تنبعث
عن البخل والشره ومنبعها النفس الامارة الثالث تشعب مصارف الريب لهم والريب الشكوك
والشبه ومصارفها هي الامور الباطلة التي تنصرف اليها ثم انها عن الشبه او تلك الشبهة والشكوك اصنافا
وتشعبها اختلافها بحيث يذهب كل واحد من شبهة الى باطل وقد علمت ان منشأ الشكوك والشبهات
هو الوهم والخيال وهما كالمزاجين عن النفوس الامارة وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلثة الرابع لما كان
معبودهم واحدا وهو غاية مطلوبهم كانت هممهم فيه واحدة فلم يلتفتوا الى شي آخر ولم يفرق اخياف الهمم
والشئون فهم اسراء الايمان الى قوله ولا فتور استعار لفظ الاسر ورشح بذكر الربقة ونزههم عن ان يحلهم
عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه تنزيههم الثامن والشئون وليس في اطباق السموات
الى قوله عظيم المراد ان السموات مملوة بالملائكة فمنهم ساجد لوجه ربه ومنهم ساع مجد في امره واعلم ان السماء
ملائكة مباشرة لتحريكها وملائكة اشارة منهم اولئك هم الآمرون لهم بالتحريك فيشبه ان يكون الاشارة
بالساجدين منهم الى الآمرين والسجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالمستعار ويكون الاشارة بالساعين
المسرعين الى المتولين للتحريك فاما زيادتهم بطول الطاعة علما بربهم فلما ثبت ان حركاتهم انما هي شوقية
تشبها بالملائكة المقربين منهم كانهم بالمعارف الالهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة الى الفعل وزيادة عزة
ربهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم وتابعة لها كما بينا عليه قبل وبالله التوفيق منها في صفة
الارض ودحوها على الماء كبس الارض على مور امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي امواجها
وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج
ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب امواجه ساجيا مقهورا
وفي حكمة الذل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره وردت من نخوة بأوه واعتلائه و
شموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيج الماء من
تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال الشمخ البذخ على اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين انوفها وفرقها في سهوب بيدها

واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت
من الميدان لرسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها اعناق سهول
الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها اهلها على تمام مرافقها ثم
لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار ذريعة الى بلوغها حتى انشأ لها
ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه حتى اذا تمخضت
لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ارسله سحا متداركا قد
اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت
به من العبء المحمول عليها اخرج به من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة رياضها
وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر انوارها وجعل ذلك بلاغا للانام
ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ امره
اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها اكله واوعز اليه فيما نهاه
عنه واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق
علمه فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته
ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودائع رسالاته قرنا فقرنا
حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الارزاق فكثرها وقللها وقسمها
على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من اراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها
وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج افراحها غصص اتراحها وخلق
الآجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها ووصل بالموت اسبابها وجعله خالجا لاشطانها وقاطعا
لمرائر اقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات
اليقين ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب وما اصغت لاستراقه
مصائخ الاسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات وهمس الاقدام ومنفسح
الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال واوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الاشجار والحيتها
ومغرز الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها
ودرور قطر السحاب في متراكمها وما تسفي الاعاصير بذيولها وتعفو الامطار بسيولها وعوم نبات
الارض في كثبان الرمال ومستقر ذوات الاجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق
في دياجير الاوكار وما اوعبته الاصداف وحضنت عليه امواج البحار وما غشيته سدفة ليل او ذر
عليه شارق نهار وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير وسبحات النور واثر كل خطوة وحس كل حركة
ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من
ثمر شجرة او ساقط ورقة او قرارة نطفة او نقاعة دم ومضغة او ناشئة خلق وسلالة لم يلحقه في ذلك

كلفة ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة
بل نفذهم علمه واحصاهم عدده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله اللهم انت اهل الوصف الجميل
والتعداد الكثير ان تؤمل فخير مأمول وان ترج فاكرم مرجو اللهم وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد
سواك ولا اوجهه الى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين
اللهم ولكل مثن على من اثنى عليه مثوبة من جزاء او عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة
اللهم وهذا مقام من افردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة اليك لا يجبر
مسكنتها الا فضلك ولا ينعش من خلتها الا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك واغننا عن مد الايدي
الى سواك انك على كل شيء قدير **اقول** كبسها ادخلها وغطاها في الماء والمور التردد في الحركة ومستفحل صائل
والتلاطم الترادّ والاواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق الترادّ ايضا والاثباج جمع ثبج وهو
معظمه وعواليها وجمح الفرس اذا غلب صاحبه ولم يملكه والارتماء التقاذف والترادّ والكلكل الصدر والمستخذي
الخاضع والتمعك التمرغ واصطخب امواجها غلبتها واصواتها والساجي الساكن والحكمة ما احاط من اللجام بحنك
الدابة والدحو البسط والبشار الهيج والنخوة الكبر والترفع والاباء والغلو وشمخ بانفه تكبر والغلواء تجاوز الحد
وكعمته سددت فاه والكظة ثقل البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد لصق بالارض
ساكنا والزيفان التبختر والبذخ العالية والعرنين اعلى الانف عند ملتقى الحاجبين والسهوب جمع سهب وهو
الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة ايضا والاخدود الشق في الارض والجلاميد الصخور والشناخيب
رؤس الجبال والشم العالية والصيخود الصخرة الصلبة واديمها سطحها وتغلغله دخوله في اعماقها والتسرب
الدخول في السرب والجوبة الفرجة في الارض وجراثيم الارض اعاليها وما اجتمع منها وارض جرز لا نبات
بها لانقطاع الماء عنها والروابي عوالي الارض والقزع قطع السحاب الرقيقة الواحدة قزعة والكفّ بالضم
ما استطال من السحاب وما استدار منه بالكسر والوميض اللمعان والكنهور العظيم من السحاب والرباب
الغمام الابيض والسح الصب واسف دنا من الارض ثقلا وهيدبه ما تهدب منه الى الارض اي تدلى
ومريه استخرج ما فيه من الماء والدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه والاهاضيب جمع هضاب
وهو جمع هضب وهو حلبات القطر بعد القطر والشآبيب جمع شؤبوب وهو الرشقة القوية من المطر والبرك
الصدر والبواني ما يلي الصدر من الاضلاع وبعاع السحاب ثقله بالمطر والعب الثقل وجرز لا نبت بها
وتزدهي تتكبر والريط جمع ريطة وهي الازر النيرة وسمطت زينت بالسمط وهو العقد ومن روى
شمطت بالشين المعجمة اراد خلطت والحكم الحلقة واوعز اليه بكذا تقدم اليه به والعقابيل بقايا المرض
الحزن والفاقة الفقر والجدب الجذب والاشراع والاسطاح جمع سطح وهي الجبال والمرابع الجبال المنيفة
المتل والتخافت المسارة والرجم بالظن القول عنه والغيابة ظلمة قعر البئر ومصائخ الاسماع خروقها والاصاخة
التسمع والولائج المداخل والاكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف الطلع والمرتع محل الارتعاء وهو الارتقاع ولحي الشجرة
قشرها والافنان الاغصان والامشاج النطفة المختلطة بالدم وتعنو تخضع وشناخيب الجبال رؤسها وذراها

اعاليها والتغريد ترديد صوت الطائر والدياجير جمع ديجور وهو الظلام وذر الشارق طلع ورجع
الكلم جوابها والنقاعة نقرة يجتمع فيها الدم واعتورته احاطت به والعارفة المعروف والخلة الفقر
والنعش انهضه من عثرته واعلم ان هذا الفصل يشتمل على فصول **الفصل الاول** في تمجيد الله تعالى باعتبار
خلقه للارض في الماء وجملة من احوالها وهو الى قوله جوا ارجائها وفيه ابحاث **البحث الاول** في الاستعارات
والتشبيهات والمجازات لفظه الاول استعارة لفظ الكبس لخلقه لها غايصا معظمها في الماء كما يغوص بعض
الزق المنفوخ ونحوه بالاعتماد عليه الثانية استعارة لفظ الاستفحال للموج ووجه المشابهة ما اشترك
فيه الموج والفحل من الاضطراب والهيجان والصولة الثالث تشبيهه بالفحول ايضا ووجه الشبه ما يظهر
على رؤس الموج عند اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه الرابع استعار
لفظ الجماح لحركة الماء على غير نسق واضطراب لا يملك معه تصريفه كجموح الفرس الخامس استعار اوصاف
الناقة من الكلكل والكاهل للارض ورشح تلك الاستعارة بالوطي والتمعك وانما خص الصدر والكاهل
لقوتهما وكنى بالمجموع عن الحاقها بالناقة السادس استعار ايضا لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ الحكمة والانقياد
والاسر وكنى بها عن الحاقه بحيوان صايل قهر كالفرس واضاف الحكمة الى الذل اضافة سبب الى المسبب
السابع استعار لفظ النخوة والباو وشموخ الانف والسمو والغلواء والنزق والزيفان والوثبات
للماء في هيجانه واضطرابه ملاحظة لشبهه بالانسان المتجبر الباغي في حركاته المؤذنة بتكبره وزهوه الثامن
استعار لفظ الاكتاف للارض ووجه المشابهة كون الارض محلا لحمل ما ثقل من الجبال كما ان كتف الانسان
ونحوه محل لحمل الاثقال التاسع استعار لفظ العرنين والانف لاعالي رؤس الجبال كناية عن الحاقها
بالانسان العاشر كنى بالتغلغل والتسرب عما توهم من نفوذ الجبال في الارض وغوصها فيها واستعار
لفظ الخياشيم لتلك الاسراب الموهومة ولما جعل للجبال انوفا جعل تلك الاسراب المتوهم قيام الجبال
فيها خياشيم الحادي عشر استعار لفظ الركوب للجبال والاعناق للارض كناية عن الحاقها بالقاهر
والمقهور الثاني عشر استعار لفظ الوجدان والذريعة للجداول كناية عن الحاقها بالانسان عند التوسل
الى مطلوبه الثالث عشر الضميران في تغلغلها وركوبها للجبال والضمير في خياشيمها يعود الى الارض
وباقي الضماير ظاهر الرابع عشر تجوز في اسناد لفظ الاحياء والاستخراج الى السحاب اذ المخرج هو الله تعالى
الخامس عشر كنى بعدم النوم عن عدم اخفاء وميض البرق في السحاب كناية بالمستعار السادس عشر استعار
لفظ الهدب لقطرات المطر المتصلة بعضها ببعض تشبيها بالخيوط المتدلية السابع عشر استعار
لفظ الدرور والاهاضيب وهي الحلبات للغمام كناية عن الحاقها بالناقة الثامن عشر اسند المري الى الجنوب
مجازا او لان لها سببية ما في نزول الغيث وانما خص الجنوب لانها في اكثر البلاد حارة رطبة اما الحرارة
فلانها تاتي من الجهة المسخنة بمقاربة الشمس واما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تفعل فيها بقوة
وتبخر عنها الابخرة تخالط الرياح واذا كان الامر كذلك كانت الجنوب اولى بما ذكر من وجهين احدهما انها اكثر استصحابا
للابخرة فلذلك كان السحاب اكثر انعقادا معها ومصاحبة لها الثاني انها لحرارتها تفتح المسام لرطوبتها ترخي

فكان مدور المطر هنا اكثر الثاني عشر استتار نقط البرق والبواسة عسحاب وسنداليه الافق كناية
عن احاطة بالجبل الذي انزل الجبل فرى بعيدة الى الارض العشر ون نسب الابتهاج والازدياد واليبس ايضا
الارض ذات الازاهير مجازا ملاحظة لشبهها بالمرأة المبتهجة بما عليها من فاخر اللبوس وحلى الثياب البحث الثاني
ان مقتضى الكلام ان الله تعالى خلق الماء قبل الارض ثم دحاها فيه وسكن بها مستعلي امواجه وهذا مما شهد به البرهان
العقلي فان الماء لما كان حاويا لاكثر الارض كان سطحه الباطن المماس لسطحها الظاهر مكانا لها وظاهر ان المكان
مقدم باعتبار رتبة التمكن فيه وان كان اللفظ يعطي تقدم خلق الماء على خلق الارض تقدما زمانيا كما هو المقبول
عند السامعين البحث الثالث انه يشير الى كونها مدحوة وفي القران الكريم ايضا والارض بعد ذلك دحاها
مع ان الارض كرة كما ثبت بيانه في علم الهيئة ظاهر من التاويل وقد نبهنا عليه في قوله اللهم داحي المدحوات
وقد ورد في الخبر ان الارض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الاشارة بالكعبة الى كعبة وجود واجب
الوجود التي هي مقصد وجوه المخلصين التي جعلت هذه الكعبة في عالم الشهادة مثالا لها ودحو الارض من تحتها عبارة
عن وجودها عن ذلك المبدأ البحث الرابع الاشارة الى خلق الجبال فيها وكونها سببا لسكونها وللناس
في تكوين الحجر من الجبال فيها وجوه احدها انه قد يكون عن بحار زالت مياهها الثاني قد يكون عن زلزلة
فصلت قطعة عن ناحية فارتفعت الثالث قد تكون عن رياح هبت بها ترابا فتراكم وعلا الرابع
وقد تكون العمارات تراكمت فخربت فاما كونها سببا لسكون الارض فقد سبقت الاشارة في الخطبة
الاولى واعلم ان البرهان مطابق للشهادة بسكونها كما اشير اليه في مكانه البحث الخامس في تفجر ينابيع
العيون في الجبال وغيرها وقد اشار العلماء الى اسبابه فقالوا ان الادخنة والابخرة ما تحتبس في الارض
وفيه ثقب وفرج فيها هواء او بخار ومياه فقد تبرد الابخرة والهواء فيصيرها ماء فوقه ويتفجر عيونا ويجري
على الولاء لعدم دخل الهواء من الخارج وما يحصل به وينحو ما مدد له من العيون ترك وماله مدد الا ان اجزاءه
مبددة والارض واهية لا يحتاج الى مقاومة يحصل منه القنوات وما الابار ايضا من قبيل ماله مدد لكنه لم يجد
سبيلا الى احد الجوانب لعدم رخاوة ارضه فخالف القنوات واما خص الجبال بتفجر العيون لان اكثرها يتفجر
من الجبال والاماكن المرتفعة وذلك لشدة احتقان الابخرة تحتها بالنسبة الى ساير الاماكن الهابطة الرخوة فان
الارض اذا كانت رخوة نفشت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر ما يعتد به وان في التخصيص ادل على حكمة
الصانع وعنايته بالخلق وهو في معرض تمجيده وتعديد الائه البحث السادس انه اعد الهواء ساكنا واعلم
انه سبحانه كما جعل الهواء عنصرا لابدان الحيوان وارواحه البدنية كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون
علة لصلاحها وبقائها بالتعديل وذلك التعديل يكون بفعلين احدهما الترويح والثاني في التنقية اما الترويح
فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط باحتقان في الاكثر فان الهواء الذي يحيط بنا ابرد بكثير من ذلك
المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق الرية ومن مسام منافذ النبض وصدمه وخالطه منعه عن الاستحالة
الى النارية الاحتقانية المؤدية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التاثير النفسي الذي هو
سبب الحياة واما التنقية فهي باستصحابه عند رد النفس ما سلمه اليه القوة المميزة من البخار الدخاني الذي

نسبة

نسبته الى الروح نسبة الخلط الفضلي الى البدن فكان التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق
فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك ان الهواء المستنشق انما يحتاج اليه في تعديله اول وروده
لكونه بالفعل فاذا استحال الى كيفية الروح بالتسخين لطول مكثه بطلت فايدته فاستغنى عنه واحتيج الى
هواء جديد يدخل ويقوم مقامه فدعت الضرورة الى اخراجه لاخلاء المكان لمعاقبه ولينتزع معه فضول
جوهر الروح فهذا معنى قوله عليه السلم واعد الهواء متنسما لساكنها واعتبار اعداده لمنفعة الحيوان اتم مما ذكرنا
فانه ايضا معد لساير الامزجة المعدنية والنباتية والحيوانية التي يحتاج الانسان في بقائه اليها وكونه عنصرا لها
ومعتبرا في بقائها عند ملاحظة هذه المنافع من الهواء يطلع اثر نعمة الله به البحث السابع في اخراجه
تعالى اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال تعالى والارض مددناها والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة
باهلها المخرجين اليها الى الحيوان مطلقا واعلم ان اول ارتفاقهم بها ان جعلها قرارا لهم صالحا للسكنى عليها
كما قال تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا شرايط احدها ان تكون ساكنة ليصح الاستقرار
عليها والتصرف فيها بحسب الاختيار وموافقة المصلحة دون كونها متحركة الثاني ان تكون خارجة من الماء
وذلك ان الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فاقتضت عناية الله سبحانه بالحيوان
ان ابرز بعضها من الماء ليعيش فيه ويتصرف عليه الثالث ان لا تكون في غاية الصلابة كالحجر والا كان النوم
والمشي عليها مولما وايضا لم يكن ينبت فيها انواع النبات والاشجار وايضا لكانت تسخن في الصيف كثيرا
وتبرد كثيرا في الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان وايضا كان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض الرابع
ان لا تكون في غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيها الانسان الخامس انه سبحانه
لم يخلقها في غاية الشفافية واللطافة فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم يتمكن من الاستقرار
عليه وان كان جسما ثابتا صقيلا براقا احرق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحرق
القطن اذا قرب من المرايا المحاذية للشمس والبلور لكنه خلقها غبراء ليستقر النور عليها ويحصل فيها
نوع من السخونة وخلقها كثيفة لئلا تنعكس الاشعة منها على ما فيها فيحرقه فصارت معتدلة في الحر والبرد
تصلح ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان المنفعة الثانية خلق الجبال فيها وتفجرها بالماء كما سبقت الاشارة
اليه المنفعة الثالثة ما يتولد فيها من المعادن والنبات والحيوان وفي انواع كل من هذه الموجودات
واختلاف اصنافه والوانه وروايحه وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصى من المنافع
التي يحتاج اليها الانسان في بقائه وصلاح حاله المنفعة الرابعة كونها اصلا لبدن الانسان وذلك ان الماء
لرقته ورطوبته لا يحفظ الشكل والتصوير فاذا خلط بالتراب حصل له قوام واستمساك وحصل قبول
الاشكال والتخطيط كما قال تعالى اني خالق بشرا من طين المنفعة الخامسة رجوعها بالحيوة بعد الموت
كما قال تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها البحث الثامن في تمجيده تعالى باعتبار انشائه السحاب
والبرق والنظر في وجه الحكمة فيه وفي اصله وفي حيوة الارض به اما وجه الحكمة في انشائه فكونه مادة للماء

في الارض الجرز مما هو قوام بدن الحيوان وغذاؤه كما اشار اليه عليه السلم بقوله ثم لم يجمع جزء الارض التي تفيض مياه
العيون والانهار عنها وتجف جداول الارض وتبعها الى بلوغها الى قوله وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام
ونحوه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم
وانفسهم افلا يبصرون البحث الثامن في تمجيده باعتبار تخريقه الفجاج في افاقها اي الطرق الواسعة
في نواحيها كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون اوائل الجبال الفصل الثاني في تمجيده تعالى
باعتبار خلقه لادم واختياره له واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان ومقابلة عصيانه بقبول توبته
واهباطه الى الارض واكرام ذريته بعده ببعثة الانبياء منهم واليهم وقسمته بينهم معيشتهم واجالهم بالقلة والكثرة
وابتلائه لهم بذلك وهو من قوله فلما مهد ارضه وانفذ امره الى قوله قاطعا لمرائر اقرانها واعلم ان الكلام
في قصة ادم عليه السلم قد سبق في الخطبة الاولى ولستوفي ههنا نعيده غير ان في هذا الكلام فوايد الفايدة الاولى
في قوله مهد ارضه اي جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا او جعلها مهدا كقوله تعالى جعل لكم
الارض مهدا وفي التقدير الاول اراد انه خلقها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام
والزراعة وساير جهات المنفعة وانفذ امره في خلق ادم خلقه بعد ذلك وفي التقدير الثاني يكون لفظ المهد
استعارة لما لاحظ تشبيهها بمهد الصبي في كونه محل الراحة والنوم الفايدة الثانية قوله وانفذ امره اي
في ايجاد مخلوقاته واتمامها فكمل العالم بالتمام باعتبار نوع الانسان الذي هو تمام دايرة الوجود فقال لو
لكان الفايدة الثالثة قوله خيرة من خلقه نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر ويكون خيرة اسم
من خلقه قوله تعالى ان الله اصطفى ادم وقوله ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من وجوه احدها قال
ابو يزيد البسطامي ره ان انواع كرامات الله تعالى في حق البشر غير متناهية كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما التفصيل ففي وجوه الاول انه سبحانه يمطر كل ساعة على المتوكلين
مطر الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه الثاني انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة
كما قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا الثالث انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا الرابع انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الخامس
انه يمطر على المتذكرين مطر البصيرة كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون الثاني في ان التكريم لادم وذريته اما باحوال داخلة في الانسان او خارجة
عنه والداخلة اما بدنية او غيرها اما البدنية التي اكرم بها فامور الاول الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم
فاحسن صوركم الثاني في حسن القامة والتعديل كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
وذلك ان الشيء كلما كان اكثر علوا وارتفاعا كان اشرف في نوعه فكان احسن الاشجار اعلاها امتدادا الثالث
انه اكرمه بتمكينه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح والاضطجاع وذلك انه تعالى ركب الخلق كالحشرات
التي تدب على وجهها وبطونها ومنها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه

النبات

النبات وتمكنه من ذكره على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم واما الاحوال
التي اكرم بها غير بدنية فامور الاول الروح التي هي محل العلم باشرف الموجودات ومبدايها وهو الله تعالى كما قال
ونفخت فيه من روحي وشرفه باضافة روحه اليه وبهذا التشريف تميز عن ساير الموجودات في هذا العالم الثاني
العقل وشرفه من وجوه الاول روي ان الله تعالى اوحى الى داود عم اذا رايت عاقلا فكن له خادما الثاني قول
الرسول صم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم
علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان عقلا
اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم الكلية الضرورية كما للطفل وهو المشار اليه بقول النبي صم ... في العقل المستفاد
وهو المشار اليه بقوله لعلي عم اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك لتسبقهم بالدرجات
والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الاخرة الثالث العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال تعالى يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وما يذكر الا اولوا الالباب وسماه حيوة ونورا فقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس واما التكرمة الخارجة عنه فامور احدها انه تعالى سخر له ما سواه فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فرش الارض وجعل السماء سقفا محفوظا
وجعل ما اخرج من الارض رزقا له وما ارسله من السحاب عونا مادة لذلك كما قال تعالى وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه بخلق الشمس
والقمر والنجوم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وقوله وجعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات
البر والبحر وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام فجعل منها غذاءه وملبوسه وراحته وجماله
وزينته فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون الثاني روي ... في
تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم انه قال بالدعوة الى الجنة كما قال والله يدعو الى دار السلام الثالث انه اكرمهم
بمعرفته والسنة ... ابدانهم ... فخصهم بتكليفه وبعثه الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم ثم جعل ادم والانبياء من ذريته اكرم عباده لديه فخصهم بالنبوة والرسالة
كما قال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ثم فضل
اولي العزم منهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل بعضهم على بعض وهم الخليل والكليم والروح
والحبيب فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى بن مريم البينات
وايدناه بروح القدس ثم فضل محمدا صم على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله خاتمهم كما
قال ولكن رسول الله وخاتم النبيين الفايدة الرابعة قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان ادم اول شخص كون
في الوجود من نوع الانسان وقوله والخاطر بمنزلته اي عند الله وكونه مستحقا لقربه منه وقوله مواتاة لسابق علمه
اشارة الى ان وقوعه في الوجود مقدر ... بطريق العلم والقضاء الالهي السابق الفايدة الخامسة قوله فاهبطه بعد التوبة

من قال ان المراد بآدم هو نوع النفوس البشرية وقد ثبت انه حادث او الشخص الاول منها قال ان التوبة قبل
الاهباط هي التوبة بالقوة المعلومة مما صدر من عصيانه او داود آدم اثابهن اليه قبل اهباط نفوسهم من درجات عرفانه
والتفات وجوههم الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والانبياء عليهم السلم يرجعون عن المباحات
الى ما هو الاولى والاليق من عبادة الله ومطالعة انوار كبريائه ويعدون ما رجعوا عنه ذنوبا ورجوعهم عنه
توبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وليس ذلك المستغفر منه الا اشتغال
ذهنه بتدبير امور الارض وعمارتها واشتغاله بذلك عن الخلوة بالله والاستشراق انوار قدسه الفايدة السا[دسة]
قوله وليقيم الحجة به على عباده الذي بعث آدم حجة عليهم اما اولاده الموجودون في زمانه والمنقول انه مات عن
اربعين ولدا او من بلغته سنته منهم بعد وفاته والمنقول ان الله تعالى انزل من الاحكام تحريم الميتة والدم ولحم
الخنزير وحروف المعجم في احد وعشرين ورقة وهو اول كتاب كان في الدنيا اجرى الله عليه الالسنة كلها
الفايدة السابعة قوله ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته فانه عليهم في كيفية تخليقه لهم وخلق ما يدلون
عليه به من صنعه كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الاية وغيره
من الآيات وانما يكون بعثة الانبياء مؤكدة لتلك الحجج مذكرة للغافلين عنها بها ومنبهة لها وجودها وموضحة لهم
ومبين موضحة بما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن الشريفة وقوله ومبلغ المنقطع عذره ونذره اي اعذاره
الى الخلق وانذاره لهم بلغ الغاية ومقطع كل شيء غايته الفايدة الثامنة تقدير الله ارزاقهم تقسيمه لما اعطى
كل مخلوق ما كتب له في اللوح المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومتعسر ومعاقبة الاضداد عليهم
من تنغيص صفو الغنى بلواحق الفقر والفاقة كما قال فبينما الانسان في ملك اصبح فيما جال الفلس وكذلك الانسان
السلامة في النعم بطوارق الآفات من غرق او حرق او غصب ظالم او غلبة غاشم وكذلك في الارزاق من ضيق
افراجها وتكديرها ببعض احزانها واتراحها ثم خلق الآجال متفاوتة بالطول والقصر والتقدم والتاخر الفايدة
التاسعة تقديره الموت متصلا باسبابها ولما كان الاجل عبارة عن وقت ضرورة الموت وكانت اسباب
حلول تلك الآفات هي بعض الامراض او القتل مثلا لاجرم صدق ان الموت الذي هو عبارة عن مفارقة الروح
الاجساد متصلا بتلك الاسباب واستعار لفظ الخلج وهو الجذب للموت ورشح بذكر الاشطان ووجه
المشابهة ما يستلزمه الموت من قرب الاجل كما يستلزمه الجاذب من قرب المجذوب اليه فقدر الموت جاذبا
للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد واما كونه قاطعا لمرائر اقرانها فاستعار ايضا لفظ المرائر لاسباب
العلاقة بين اقران الآجال وهم المتقاربون في الزمان الواحد الذي يحصل بهم الاجل وتلك الاسباب كالصداقة
والاخوة وساير اسباب العلاقة بين الناس وظاهر كون الموت قاطعا لتلك المرائر الفايدة العاشرة
انه عليه السلم جعل حكمه تعالى الارزاق وتقديرها بالكثرة والقلة والضيق والسعة صورة ابتلاء من الله لشكر
من الاغنياء والصبر من الفقراء وقد اشرنا في قوله الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد بالابتلاء من الله
معاملته تعالى لعباده معاملة المبتلين المختبرين لانه سبحانه عالم الخفيات والسراير فلا يتصور في حقه الاختبار
حقيقة الا انا نزيده هنا بيانا فنقول ان العبد اذا تمكن في خاطره ان ما يفعله الله من افاضة نعمه عليه او حرمانه

لما ابتلاه لشكره او صبره فشكر او صبر حصل من شكره او صبره ملكات فاضلة في نفسه يستعد بها لمزيد الكمال وتمام النعم
كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واما التحقيق في امثال
هذه القسمة من ضيق رزق او سعة او طول اجل او قصره او معاجلة شدة او رخاء وحزن او فرح فهو ان لكل واحد من
هذه الامور اسبابا قد يخفى كثير منها على من تعرض له ويرد من انتهائها الى قضاء الله فاعدها خيرا فهو داخل في الارادة
الكلية بالخير المطلق بالذات وما عد منها شرا فداخل في القضاء الالهي بالعرض كما علم ذلك في مظانه وبالله التوفيق
الفصل الثالث في تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالاشياء وما هو من جزئياتها جملة هي من قوله عالم السر من
ضماير المضمرين الى قوله او ما شيته خلق وسلالة ونشر الى ما عساه يشكل من الفاظه الاول خواطر رجم الظنون
لما كان الخاطر الخفي للانسان يتعلق بمظنون المحاذ بعد ان لم يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو الرمي بالحجر ونحوه
فاستعير لفظه له وانما خص الظن بذلك دون العلم لما ان كثيرا ما يظن ما لا يجوز ظنا غير مطابق كما يظن ببعض
الناس ما يتبع منه ويصل اليه بسببه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الاشياء برميه بالحجر المستلزم للاذاه
الثاني في عقد عزيمات اليقين ما انعقد في النفس من العزم عن يقين الثالث في مسارق ايماض الجفون لما اشبه
شعاع البصر البرق في وميضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض لبروزه ولفظ المسارق
لمخارجه الرابع استعار لفظ الاكنان للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ الغيابات لغيوب
ووجه المشابهة كون القلوب حافظة كالبيوت وكون الظلمات مانعة من ادراك المبصرات كما يمنع الغيوب
ادراك ما فيها الخامس مصايف الذر ومشاتي الهوام جحورها ومآويها الصيفية والشتوية من بطون الارض
الواقية لها حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من المولهات ترديد صوت الثكلى في بكائها وحنينها الى فقدها
السادس وولايج غلف الاكمام انما حسنت الاضافة هنا لان كل كم غلاف ولا ينعكس فجاز تخصيص العام
بالاضافة الى بعض جزئياته السابع محط الامشاج محل نزول النطفة من الاصلاب ومسارب اهوائها الاودية
يتسرب فيها المني والاخلاط التي يتولد عنها الثامن وما تسفي الاعاصير بذيولها اي ما تثيره وتذروه من
التراب واستعار لفظ الذيول لما اخذ الارض منها التاسع استعار لفظ العوم لدخول عروق النبات
في نواحي الارض ملاحظة شبهها بالماء وروى بنات الارض مقدم اي وهي الهوام التي تنشا في الرمل و
تغوص فيه وتسير كالحلكة وهي دويبة كالعظاءة دون الشبر صفراء مما تستعمله العرب للسمنة وكنوع
من الحيات وغيرها العاشر وتغريد ذوات المنطق استعار لفظ المنطق للطير ووجه المشابهة ان له مدلول
تغريدها معلوم لها فاشبه النطق المفيد من الانسان الحادي عشر ما اوعته الاصداف كاللؤلؤ والمرجان وما
حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ وحيوان وغيرها لفظ الحضن مستعار للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن
في احتضانها البيض والفراخ الثاني عشر سبحات النور ما تنزه منه عن كدر الظلمة ولفظ النور مستعار لمعارف
جلال الله والضمير في قوله عليها يرجع الى الارض وقرارة النطفة مستقرها من الارحام ولفظ النقاعة مستعار
لمحل دم الحيض والمضغة الولد في بعض اطوار خلقته كما عرفناه قبل وناشئة الخلق ما نشأ من مخلوقاته الثالث عشر

قوله لمجهة في ذلك كلفة اي قوله لا فترة الكلفة كون الفعل مستلزما للفاعل نوع مشقة وتلك المشقة اما لضعف
قوة الفاعل او ضعف آلته او قصور علمه عن تصور ما يفعل والباري تعالى منزه عن هذه الامور لاستلزامها الاحتياج
وتلك العارضة عن عوارض موانع العلوم ونفوذ المستلزم وجود المقاوم والمثل وقد تنزه قدس الحق عنها
واما الفلاتر فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها عن العمل او لعارض آخر
لها وقد علمت انهما من لواحق الاجسام وكذلك الفترة والباري منزه عنها الرابع عشر قوله بل تفقدهم علمه الى قوله
وغمرهم فضله اثبت كل واحدة من هذه القرائن الاربع مقابلة للاربع التي نفاها فتفقد علمه فيهم مقابل لما نفاه من
لحوق الكلفة في علمه بهم واحصاؤهم بعده مقابل لاعتراض العارضة في حفظ خلقه ووسع عدله لهم مقابل لنفي الفلاتر
الفلاتر له في تنفيذ اموره وتدبير مخلوقاته اذ كان مع عدله فيهم وضعه لكل موجود في مرتبة وهبته له ما يستحق
من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعراض الفلاتر سبب لاختلال نظام الفعل وقوله وغمرهم فضله مقابل
لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل مانع عن تمم فعله وتمام جوده وقوله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله تنبيه على
حقارة عباداتهم في جنب عظمته واستحقاقه لما هو اهله بدوام شكرهم وثنائهم ولدى شكرهم واشتغالهم بطاعاتهم
وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في تمجيده خطابا له ودعاءه وطلبا لجزاء ما سبق من ثنائه وتقديره وحمده
الحمد هو رضاه عنه واغناؤه عن غيره وفيه اشارات الاول قوله انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير
اشارة الى انه تعالى بحسب استحقاقه الوصف باشرف طرفي النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد
ثنائه وحمده بالنظر الى كل جزئي من جزئيات نعمه هو اهل التعداد الكثير الثاني قوله وقد بسطت لي فيما
لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك اشارة الى اذنه له في شكره والثناء عليه بالاوصاف
الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا ينبغي ان يطلق الا له ومعنى هذا الاذن اما الهام حسن شكر المنعم ووجوده ولا
لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق التمجيد المطلق الا هو او في طلبه له بايجاب الشكر كقوله تعالى واشكروا لله
ان كنتم اياه تعبدون وبالتسبيح في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى
وقوله وسبحوه بكرة واصيلا واستعار لفظ المعادن للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشيء كما انه
مظنة المطلوب منه كذلك الخلق ارباب النعم الفانية مظان خيبة طالبها من ايديهم وحرمانها وكذلك مواضع
الريبة اي الشك في منعهم وعطائهم لها ولذلك خيبه بقوله وعدلت بلسانه عن مدائح الآدميين والثناء على
المربوبين المخلوقين الثالث قوله ولي فيك رجاء اي نصب على الحال او المفعول والمراد برجائه ولي فيك ذخائر الرحمة
رجاؤه ان يوفقه بهدايته الى وجوه الاستعدادات الى رحمته ولينشر عليه تهنئته لالتفات الله عن كل
ما سواه فان كل ما سوى الحق سبحانه ذنب في حق مثله ولفظ الذخيرة والكنوز مستعار لما
لجوده الرابعة قوله هذا مقام من افردك بالتوحيد اشارة الى مقامه بين يديه بهذا الذكر والتوحيد في خطبته
وهو توطئة لذكر مطلوبه واستنزال رحمة الله ثم قال ولي فاقة اليك فذكر وجه استحقاقه لجوده اولا
وحصر سد تلك الفاقة على فضله اذ لم يكن فاقة في امر دنيوي يكفي المخلوقين الاتيان به ثم اردف بذكر مطلوبه
وهو رضا الله واغناؤه عمن سواه وظاهر ان حصولها مستلزم لما رجا الله ولي فيه عليه من ذخائر رحمته وكنوز

منفرة

مغفرته وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان دعوني والتمسوا غيري فانا
مستقبلون امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الآفاق قد أغامت والمحجة
قد تنكرت واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني
فانا كاحدكم ولعلي اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزيرا خير لكم مني اميرا **اقول** حاصل هذا الفصل
انه يعد لكل مطلوب على امر من تقرير فيه وتتبع والحكم في ذلك ان الطالب ان يكون بذلك ارغب وفي جانب
فان الطبع حريص على ما منع سريع النفرة عما سورع الى اجابته فيه فاراد ما امتنع عليهم ليقوى رغبتهم اليه
فانه لم يصل اليه هذا الامر الا بعد اضطراب في الدين في قتل عثمان واجراء على الدم فاحتاج في تقويم الخلق
وردهم الى قواعد الحق الى ان يزداد واجبه رغبة بهذا الكلام ومثله فقال دعوني والتمسوا غيري الامر
انه نبههم بعد هذا التمنع على ان هناك امورا صعبة مختلفة يريد ان ينكرها عليهم ويقاوم بعضهم فيها بعضا ويحملهم على الصلاح
وجعل استقبال تلك الامور الصعبة علة لاستقالته من هذا الامر فقال فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان
لا تقوم له القلوب اي لا تصبر ولا تثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفته الشريعة ومضادته نظام
العالم وذلك الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التأويلات الفاسدة والشبهات
الباطلة كنهضة معوية واهل البصرة لدم عثمن وكتأويل الخوارج عليه في الرضا بالتحكيم ونحو ذلك وهو المكنى عنه
بالوجوه والالوان كناية بالمستعار وقوله وان الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم
لما غشى آفاق البلاد واقطار القلوب المتغيرة العازمة على الفساد من ظلمات الظلم والجهل ووجه المشابهة
ما يستلزمه هذه الظلمات من توقع نزول الشرور منها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار
بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها و**قوله** واعلموا الى قوله عتب العاتب
لما تمنع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع في تقرير ما يريد ان يفعله تقريرا اجماليا عليهم مع تمنع دون الاول
فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لا يركب بهم الا ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغى الى قول قائل خالف
امر الله لمقتضى هواه ولا عتب عاتب عليه في انه لم يفضله او لم يرضه بما يخالف ما يعلم من امر الشريعة
اذ القائل والعاتب في ذلك مفتر على الله وعاتب عليه ولقد وفى عليه السلام بما وعدهم به من ذلك كما ستذكره
من قصة اخيه عقيل لما استماحه صاعا من بر او شعير فحمى له حديدة وقربها منه فان عقيل فقال له ثكلتك
الثواكل اتئن من حديدة احماها انسان للعبه ولا تئن من نار احماها جبارها لغضبه ونظائر كثيرة مستغنى
عن استقصائها بما يعلم و**قوله** وان تركتموني الى آخره اي كنت كاحدكم في الطاعة لاميركم بل لعلي اكون اطوعكم له
اي لقوة علمه بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلي لانه على تقدير ان يولوا احدا يخالف امر الله لا يكون اطوعهم له
بل اعصاهم واحتمال توليتهم لمن هو كذلك قائم فاحتمال طاعته له وعدم طاعته له قائم فحسن ايراد لعل والواو
في قوله وانا لكم وزيرا وزيرا واميرا حالان والعامل ما تعلق به الجار والمجرور واراد الوزير اللغوي وهو
المعين والظهير الحامل لوزر من يظاهره وثقله وظاهر انه عليه السلام كان وزيرا للمسلمين وعضدا لهم والخيرية هنا
تعود الى سهولة الحال عليهم في امر الدنيا فانه اذا كان اميرا لهم حملهم على ما يكره طباعهم من المصابرة في الحروب

والتسوية في العطايا ومنهم من يطلبون ما فيه للشريعة ادنى منع وكذلك اذا كان وزير الامام فان حظ الوزير ليس الا
المشورة والرأي الصالح والمعاضدة في الحروب وقد كان يخالف فيه رأيه حيث لا يتمكن من الزام العمل به وانما كان في هذا
المنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطلاع لهم بالاجابة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد
ايها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني
قبل ان تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة الا انبأتكم
بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومن يموت منهم موتا ولو قد
فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وذلك اذا قلصت حربكم
وشمرت عن ساق وضاقت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان
الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح
يصبن بلدا ويخطئن بلدا الا وان اخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها واصاب
البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس
تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير ضائر بهم
ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار احدكم منهم الا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه
ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بنجاة ولسنا
فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم
الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور
لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه **اقول** فقأت عينه غورتها وماج اضطرب والغيهب الظلمة
والكلب الشر والكلب داء معروف والفئة الطائفة وناعقها الداعي لها والمناخ بالضم محل البروك
وحوازب الخطوب ما حزب منها اي اصاب والتقلص التقبض وشبهت اشتبهت واوقعت الشبهة
وحام الطائر دار والخطة الحال والامر والناب الناقة المسنة والضروس التي تعض حالبها والعذم
العض وهو الكدم ايضا والزبن الدفع وشوهاء قبيحة وهي قبيحة المنظر وسامه خسفا اولاه ذلا والعنف
شدة السوق ويحلسهم اي يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت برذعة البعير والجزر القطع ويقال الجزور لما ينحر من
الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرفه وحقه به وعلى رذائل بني امية بذكر فتنتهم وما يكون
منهم ليشتد النفار عنهم ويقوى الرغبة اليه من وجهين احدهما باخباره عما سيكون والثاني بذكر الشرور
من غيره **فقوله** فانا فقأت عين الفتنة اشارة الى فتنة اهل البصرة وغيرها واستعار لها لفظ العين
وانما خص العين لانها اشرف عضو في الوجه وبها تصرف الشخص وحركته ورشح الاستعارة بذكر الفقء
وكنى به عن زوال فتنتهم بسيفه **وقوله** ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري اي ان الناس كانوا لا يتجاسرون
على قتال اهل القبلة ويخافون من ذلك الجرح والاثم ولا يعلمون كيفية قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجهزون
على جريحهم وهل يسبي ذراريهم ويقسم اموالهم اذا بغوا ام لا حتى اقدم على قتالهم ففقأ عينها فكنت

و تضل مائة خ

و فشل كثير من المسؤولين خ

عليكم خ

جاهلية خ

بعد بيانها

بعد بيانها وبيانها ذلك حرب عائشة وقد صح في هذه الخطبة بالفاظ اخرى فقال اما بعد فانا فقأت عين
الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها ومارقها لم يكن ليجترئ عليها غيري ولو لم اكن لما قوتل اصحاب الجمل ولا صفين
ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقأت عين اهل الفتنة فحذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه ويكون فقأه عيونهم كناية عن قتلهم وروي ان من المتوقفين عن الحرب الاحنف بن قيس وجماعة
معه وكنى بموج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن في اذهان الناس فجهلوا ان خلاف طلحة و
الزبير وعائشة كان حقا او باطلا فكان ذلك سببا لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم وكنى باشتداد كلبها
عن شدة ما وقع فيها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على القتل والقتال كناية بالمستعار في الموضعين
وقوله فاسألوني الى قوله ومن يموت موتا تعرض للسؤال عما سيكون ولم يكن يجترئ على ذلك
احد غيره من بين سائر الصحابة والتابعين ولو ادعى غيره ذلك لكذبه العيان وفضحه الامتحان وروي
ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو اذ ذاك غلام
حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له
بم عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة تقع
على الذكر والانثى كالحمامة والشاة وانما يميز بينهما بعلامة التأنيث فانظر الى هذا العجب كيف انقطع
عن سؤال يمكن الطفل ان يجيب عنه وادعى ما لا يفي به اذ يسأل عن الامور المستقبلة التي لا تستفاد
من علم الغيب الا من ايده بقوة الهية تكشف بنور بصيرته حجب الاسرار وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه
من الاخبار عما سيكون وكيفية ذلك واراد بالساعة القيامة واستعار اوصاف الابل ورعاتها وحداتها
من الناعق والقائد والسائق والمناخ والركاب والرحال للفئة المهدية والضالة ومن بيده هدايتهم وضلالهم
ملاحظة لشبههم بالابل في الاجتماع والانقياد لقائد وداع والضمير في اهلها يعود الى الفئة **وقوله** ولو
قد فقدتموني الى قوله المسؤولين كرائه الامور ما يكرهون منها وحوازب الخطوب ما يصيبهم من الامور العظيمة
المهمة واطراق السائلين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص وفشل كثير من المسؤولين
اي جبنوا عن رد الجواب لجهلهم بعواقبها وما يسألون عنه منها وقوله وذلك اشارة الى اطراق السائلين
وفشل المسؤولين **وقوله** اذا قلصت حربكم تعبير لكرائه الامور النازلة بهم واستعار لفظ التقلص
والتشمير عن ساق الحرب ووجه الاستعارة تشبيهها بالمجد في الامر الساعي فيه وكانه اذا اراد ان يجد
قلص ثيابه وشمرها عن ساقه لئلا تعوقه ونبه واسند ذلك الى الحرب لكونها مجدة في النزول بهم والحوق
لهم والواو في قوله وضاقت للعطف على شمرت وموضع تستطيلون النصب على الحال **وقوله** حتى يفتح الله
لبقية الابرار منكم اي الذين يسلمون من بني امية في دينهم واعمارهم من يفتح الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم
وقوله ان الفتن اذا اقبلت شبهت اي يكون في مبدئها مشتبهة بالحق في اذهان الخلق واذا ادبرت
نبهت لاذهان الخلق على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر
ما يكون ذلك عند ادبارها كالفتنة في الدول مثلا الذي يعرف به عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله

الخزماً يكون في اخره فيكون موذناً بزوالها وعلامة حاضرة به و **قوله** تكون مقبلات ويعرفن مدبرات تفسير لرأي ويعرف في مبدأ الحال كونها فتنة وتشتبه لكونها حقاً ودعا بدي فاذا استعقبت عرف انها عن الحق بمعزل وان دعاتها كانوا دعاة ضلالة و **قوله** يحمن حوم الرياح استعار لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها في دورانها الموهوم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد دون بلد بالطاير والرياح ولذلك شبهها بكونها وكنى لفظ الخطا و **قوله** الا ان اخوف الفتن عندي الى اخره شروع في تعيين ما يريد ان يخبر به وهو تعيين ما تعرض لسؤال عنه وانما كانت هذه الفتنة اخوف الفتن لشدة بلائها على الاسلام واهله وكثرة بلوى اهل الدين فيها بالقتل وانواع الاذى ويكفي في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله بقتل الحسين ع وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها وقتل ابن الزبير وبقاؤه عليه السلام ثمانين سنة وما انتشر من البلاء وعم بتوليتهم الحجاج دماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة في التواريخ واشار بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لها بجريانها على غير قانون حق كالاعمى المنحرف في حركاته في غير جادة او لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كالا يهتدي بالعين العمياء وكنى لفظ المظلمة و **قوله** عمت خطتها لكونها ولاية عامة وخصت بليتها اي باهل التقوى وشيعته عليه السلام ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين هم اعيان الاسلام و **قوله** اصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ من عمي عنها اي من اهتدى لكونها فتنة كان فيها في بلاء من نفسه ومنهم اما من نفسه فالحزن الطويل من مشاهدة المنكر واما منهم فلان المتقي العالم لكونهم ائمة ضلال متخوف عنهم وغير داخل في تصرفهم اباطيلهم وكان من شانهم تتبع من هذا حاله بالاذى والقتل فكان البلاء به اخص واما من لم يتبينه لكونها فتنة بل كان في عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم ابطال منساق تحت رايات ضلالهم جار على وفق اداراتهم فكان سالماً من بلائهم ثم اردف ذلك بالقسم البار لهم بهم الناس ارباب سوء لهم وشبههم في افعالهم المضرة لهم بالناب الضروس لحالبها واشار الى وجه الشبه باوصاف ذكرها وعضها وخبطها بيدها وزبنها برجلها ومنعها درها اشارة الى جميع حركاتها المؤذية الرديئة وهي لشبه حركاتهم في الخلق بالاذى والقتل ومنع الرفد والاستحقاق من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر غاية تلك الحركات الشريرة وبلاياهم للناس اخذ بهاتهم لا يتركون من الاذى والقتل الا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم او من لا يضرهم بانكار منكر عليهم ولا كان فوته عليه السلام ولهم من سائر العوام والسوقة الثاني انه لا يكون انتصارهم منهم الا مثل انتصار العبد من سيده والصاحب من مستصحبه اي كما لا يمكن العبد ان ينتصر من سيده والتابع المستصحب الذي من شانه الضعف وعدم الاستقلال بنفسه من مستصحبه كذلك لا يمكن بقية هؤلاء ان ينتصروا من بني امية اصلاً ويحتمل ان يريد بها مالك شبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال ع في موضع اخر ويكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر فتنتهم وانها مشتملة على فتن واحدة ما شابت وهي كقطع الليل المظلم ومن روى فتنتهم بلفظ الجمع فاراد جزئيات شرورهم في دولتهم واستعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلاً وشرعاً ووجه المشابهة كونها منفوراً عنها كما ان قبيح المنظر كذلك وكنى استعار

لفظ

لفظ القطع لورودها عليهم دفعات كقطع الليل المظلم في الغارة والحرب واشار بكونها جاهلية الى كونها على غير قانون عدل كما ان حركات اهل الجاهلية كانت كذلك ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم يرى اي ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يقتدى به و **قوله** نحن اهل البيت منها بنجاة ولسنا فيها بدعاة اي انا ناجون من اثامها والدخول فيها والدعوة الى مثلها وليس المراد انا سالمون من اذاهم وغيره الذي فيها الى الحق بشهادة دعوة الحسين ع الى نفسه وقتله واولاده وهتك ذريته ويحتمل ان يريد انا بنجاة من اثامها ولسنا فيها بدعاة مطلقاً والحسين ع لم يكن داعياً منبعثاً من نفسه للدعوة وانما كان مدعواً الى القيام من اهل الكوفة ومجابا لهم و **قوله** ثم يفرجها الله كتفريج الاديم الى قوله الا الخوف اشارة الى زوال دولتهم بظهور بني العباس عليهم وقتلهم واستيصالهم وتتبعهم لاثارهم وحصول الفرج منهم لبقية الابرار من عباد الله المقصودين باذاهم كما يفرج الجلد اي يشق عما فيه وقد اوقفهم بنو العباس من الذل والهوان واذاقهم كاس العذاب مملوءاً مترعاً واوردهم حياض الموت الوانا شتى كما هو في كتب التاريخ ولفظ الكاس والصبر والعطية مستعار وكذلك لفظ الحليس ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعاراً لهم كما ان الحلس كذلك و **قوله** حتى تود من قريش اه اشارة الى غاية هذه الفرقة المنقلبة من قريش على هذا الامر اي ان حالهم في التراذل والضعف عن ثارهم ينتهي الى ان يحبوا ان يروه مقاماً واحداً مع انه ابعض الخلق اليهم ليقبل منهم ما يطلب اليوم بعضه من نصرتهم له واتباعهم لامره وانقيادهم لعداه فيمنعونه اياه ولكني عن قصر ذلك المقام المتمنى له بمقدار زمان جزر الجزور وصدق ع في هذا الخبر ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد اخر ملوك بني امية قال يوم الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مارا في صف خراسان لوددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة مشهورة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام تَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ الْاَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِيَ وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِيَ **اقول** تبارك فعل مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع واحد والثبات فيه وقيل من البركة وهو الزيادة وباعتبار الاول يكون اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه قدم الوجود لذاته وبقاء وجوده لا عن استفتاح ولا الى انقطاع وباعتبار الثاني اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته ووجوه الثناء عليه و **قوله** الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن كقوله في صدر الخطبة الاولى الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هنا بالحدس والحدس في اللغة الظن وفي اصطلاح العلماء لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن متنقلاً من المطالب الى المبادي ثم منها الى المطالب كان الحدس عبارة عن جودة هذه الحركة اعني اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم كلفة وهو مقول بحسب التشكيك وهو بجميع اعتباراته وبالغاً رتبته قاصر عن تناول ذات الحق تعالى كما سبق و **قوله** الاول الى اخره قد مر تفسير اوليته واخريته غير مرة وبالله التوفيق

منها قوله فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي اَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَاَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْاَصْلَابِ اِلَى مُطَهَّرَاتِ الْاَرْحَامِ كُلَّمَا مَضَى سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ حَتَّى اَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ اِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله

١

فأخرجه من أفضل المعادن منبتا وأعز الأرومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه عترته خير العتر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمر لا ينال فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل أرسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل وغباوة من الأمم اعملوا رحمكم الله على أعلام بينة فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة والأقلام جارية والأبدان صحيحة والألسن مطلقة والتوبة مسموعة والأعمال مقبولة أقول النبع النقل واضعف انبت والارومة الاصل والصدع الشق وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقتدح به و**قوله** فاستودعهم الى قوله خلف اشارة الى الانبياء عليهم السلم القايمون بدين الله واعلم ان دين الله واحد بعث جميع الانبياء لتسلك الخلق اياه وله اصول وفروع فاصله الطريق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم الاخلاق ونظام امر الخلق في معاشهم ومعادهم وهذه الامور هي المراد من الشرع وهو اصل لا يخالف فيه نبي نبيا فاما الاختلافات الواقعة في الشرايع ففي امور جزئية بحسب مصالح جزئية تتعلق بوقت الرسول المبعوث وحال الخلق المرسل اليهم يرجع عليها ذلك الاصل وتكون كالمشخصات له والعوارض التي تختلف بها الطبيعة الواحدة النوعية وافضل مستودع استودعهم فيه خطاب قدسه ومنازل ملائكته وهو خير مستقر اقرهم فيه ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم الى مطهرات الارحام تعلقهم اليها لطف وكرايم الاصلاب اكرم مناقب الاصلاب بحيث يليق بهم ان توصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر منها وحق لما يستعد منها لنتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان تكون طاهرة من كدر الفساد والشيعة يطهرون اصول الانبياء من طرف الآباء والامهات عن الشرك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بافضل مستودع وخير مستقر مبدأهم اصلاب الآباء وارحام الامهات ويكون قوله تناسخهم تفسيرا له وبيانا و**قوله** كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف اشارة الى ضرورة وجود الانبياء عند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه و**قوله** حتى افضت كرامة الله الى محمد صلى الله عليه وآله الى قوله امناءه اشارة الى غاية سلسلة الانبياء وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعدن والمنبت والمغرس لطينة النبوة وهي مادتها القريبة التي استعدت لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشأ لمثله كما ان الارض معدن الجواهر ومغرس الشجر الطيب وظاهر ان الصلاح بمثله افضل المعادن واعز الاصول وقيل اراد بذلك مكة شرفها الله تعالى وقيل نسبه وقبيلته ثم ميزه بما هو اخص واشرف فقال من الشجرة التي صدع منها انبياءه فاستعار لفظ الشجرة لصنف الانبياء وكان لفظ الشجرة اشرف من طينتها لكن صنف الانبياء اشرف من قوابل صورهم ووجه الاستعارة هو ما كنى بالانصداع عنه من تفرع اشخاص الانبياء عن صنفهم كما يتفرع اغصان الشجرة منها وامناؤه اي على رسالته و**قوله** عترته خير العتر واسرته

خير الاسر بدأ بالعترة لانها اخص واقرب من الاسرة ومصداق افضلية عترته قوله صلى الله عليه وآله وسلم اهل المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر ووجه افضلية اسرته قوله صلى الله عليه وآله ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من معد بني النضر بن كنانة واصطفى هاشما من بني النضر واصطفاني من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله قال لي جبرئيل يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم اجد فيها اكرم منك ولا بيتا اكرم من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله الناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم و**قوله** وشجرته خير الشجر قيل اراد بالشجرة ذريته وقيل ابرهيم عليه السلم وقيل اراد هاشما وولده بقرينة قوله نبتت في حرم واراد مكة ورشح تلك الاستعارة بوصف الانبات والبسوق وكنى بالكرم الذي فيه عن زكاء اصله وما استلزم من الفضل وكنى بالفروع عن نسله وذريته وساير النجباء من بني هاشم ووصفهم بالطول عن بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة وهو ترشيح للاستعارة وكذلك الثمر وكنى به عن العلوم والاخلاق المتفرعة عنه وعن ائمة امته ويكونها لا تنال عن شرفها وغموض اسرارها اي انها لشرفها وعلوها لا يمكن ان يطاول فيها والغموض اسرارها لا فضل الاذهان اليها و**قوله** فهو امام من اتقى الى قوله برق لمعه استعار لفظ البصيرة والسراج والشهاب والزند له صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة كونه سبب هداية الخلق كما ان هذه الامور كذلك ورشح استعارة السراج بلمعان الضوء والشهاب بسطوع النور والزند ببروق اللمع ويحتمل ان يكون وجه استعارة الزند هو كونه منشأ الانوار العلم والهداية و**قوله** وسيرته القصد اي طريقته العدل والاستواء على الصراط المستقيم وعدم الانحراف الى احد طرفي الافراط والتفريط وسنته الرشد اي سلوك طريق الله عن هداية وكلامه الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الوسط بين رذيلتي الظلم والانظلام و**قوله** ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل اي زلة عنه وغباوة من الامم اي جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغي وقد سبق بيان الفترة و**قوله** اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة استعار لفظ الاعلام لائمة الدين وما بايديهم من مصابيح الهدى وكنى ببيانها عن وجودها وظهورها بين الخلق و**قوله** والطريق نهج يدعو الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجها وضوحها في زمانه وقرب العهد بالرسول صلى الله عليه وآله وظاهر كون الشريعة داعية الى الجنة واسناد الدعوة الى الطريق مجاز اذ الداعي قيم الطريق وواضعها و**قوله** وانتم في دار مستعتب اي دار الدنيا التي يمكن ان تستعتبوا فيعتبوا اي تطلبوا رضا الله بطاعته فيرضى عنكم وعلى مهل اي امهال وانظار وفراغ من عوايق الموت وما بعده و**قوله** والصحف منشورة الى آخره الزيادات للسجع ظاهرة والمراد صحايف الاعمال والاقلام الحفظة على الخلق اعمالهم وفايدة التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل فيها وذكر اضدادها مما لا يمكن معه العمل ولا ينفع الندم من الموت وطي الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة وعدم سماع التوبة كما قال تعالى يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم **بعثه والناس ضلال في حيرة وحاطبون في فتنة قد استهوتهم الأهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة** أقول الفصل تقرير لفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو في والناس للحال اي في حال انهم ضالون

عن سبيل الله في حيرة من أمرهم ماذا يتبعون وخابطون في فتنة أي كانت حركاتهم على غير نظام في ضلال
البدع ومن روى حاطبون فهو استعارة ووجهها كونهم يجمعون في ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من أقوال وأفعال
كما يجمع الحاطب ومنه المثل حاطب ليل لمن جمع الغث والسمين والحق والباطل في أقواله وقوله قد استهوتهم
الأهواء أي جذبتهم آراؤهم الباطلة إلى مهاوي الهلاك أو إلى فتنها واستزلتهم الكبرياء أي قادتهم إلى الزلل
والخطل عن طريق العدل والحق لإيثارهم الأنفة عن التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطارت بهم إلى
ما هي فيه من الغارات والفساد في الأرض لكونها ذوي خفة وطيش ولفظ الجهلاء تأكيد للأول كما يقال
ليل أليل ووتد واتد وقوله حيارى في زلزال من الأمر وبلاء من الجهل أي لا يهتدون لجهلهم إلى مصالحهم
في نشأة اضطراب أمورهم وبلائهم بالغارات وسبي بعضهم بعضا وقتلهم وقوله فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على
الطريقة سلوك السبيل الله من غير انحراف ودعوته إلى الحكمة والموعظة هي دعوته إلى سبيل الله بهما امتثالا
لقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة
الدعوة بالخطابة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في المقدمات وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه أقول أثنى
على الله سبحانه باعتبارات أربعة الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية وأكد كل واحد منها بكماله فكمال
الأولية بسلب قبلية شيء عنه وكمال الآخرية بسلب بعدية شيء له والظاهرية بسلب فوقية شيء له والباطنية
بسلب شيء دونه والمراد بالظاهر هنا العالي فلذلك حسن تأكيده بسلب فوقية الغير له وبالباطن الذي بطن
خفيات الأمور علما وهو بهذا الاعتبار أقرب الأشياء إليها فلذلك حسن تأكيده بسلب ما هو دونه أي ما هو
أقرب إليها منه وحسن ترشيح التقابل بين الأولية والآخرية ويحتمل أن يريد بالظاهر البين ويكون معنى قوله
فلا شيء فوقه أي لا شيء أبين في وجوده ويحجبه عن معرفة خلقه به وبالباطن الخفي ومعنى فلا شيء دونه أي في
الخفاء وقد سبق بيان هذه الاعتبارات الأربعة غير مرة وبالله التوفيق منها في ذكر الرسول صلى الله
عليه وآله مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ
أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً
أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ كَلَامُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ أقول المماهد جمع ممهد والميم زائدة وثنيت
إليه أي صرفت والضغائن الأحقاد والثوائر جمع ثائرة وهي العداوة والمخاصمة والأقران الأخوان
المقترنون وأشار بمستقره إلى مكة وكونها خير مستقر لكونها أم القرى ومقصد خلق الله ومحل كعبته ويحتمل أن
يريد محله من جوار الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ المنبت والمعدن وقد مر بيان
وجه استعارتهما ومماهد السلامة محال التوطئة لها وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولهما فإنها محل العبادة
والخلوة به التي هي مهاد السلامة من عذابه وإنما كانت كذلك لكونها دار التقشف خالية عن المشتهيات
واللذات الدنيوية ويحتمل أن يريد بمماهد السلامة ما تقلب فيه ونشأ عليه من مكارم الأخلاق الممهدة
للسلامة من سخط الله وفي قوله قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار تنبيه على أن الصارف هو لطف الله وعنايته بهم

بالغايات

بالغايات قلوبهم إلى محبته والاستضاءة بأنوار هداه ولما استعار لفظ الأزمة للأبصار لاحظ تشبيهها بالمنقاد
الإبل فرشح تلك الاستعارة بذكر الثني وكنى بذلك عن التفات الخلق إليه بأبصارهم وبصائرهم وتلقي الرحمة
منه ثم استعار لفظ الدفن لإخفاء الأحقاد به بعد أن كانت ظاهرة مجاهرا بها ولفظ الإطفاء لإزالة العداوات
بين العرب بالتأليف بين قلوبهم كما قال تعالى في إظهار المنة على عباده واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا والأقران المفرق بهم هم المتألفون على الشرك وقوله أعز به الذلة
أي ذلة الإسلام وأهله وأذل به العزة أي عزة الشرك وأهله وبين كل قرينتين من هذه الست مقابلة ومطابقة
فقابل بالتفريق التأليف وبالذلة الإعزاز وبالعزة الإذلال وقوله وكلامه بيان أي لما انغلق من أحكام كتاب الله
كقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة
أن سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم لبيان من وجهين أحدهما أنه كان يسكت عما لا ينبغي من القول فيعلم الناس السكوت
عن الخوض فيما لا يعنيهم الثاني أن الصحابة كانوا إذا فعلوا فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك
أنه على حكم الإباحة فكان سكوته منهم في ذلك بيانا وأشبه سكوته هذا لسان المعرب عن الأحكام وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام وَلَئِنْ أَمْهَلَ اللهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا
مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ
إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي اسْتَنْفَرْتُكُمْ
لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ وَعَبِيدٌ
كَأَرْبَابٍ أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ
فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً
وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ أَيُّهَا الْقَوْمُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمُ الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ
أَهْوَاؤُهُمُ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ
لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ
يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ
اللِّقَاءِ وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ
مِنْ آخَرَ وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِيَ الضِّرَابُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ
عَنْ قُبُلِهَا إِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ
فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ نَهَضُوا
فَانْهَضُوا وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ
مِنْكُمْ
لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً وَقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ وَيَقِفُونَ عَلَى
مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ
وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ أقول المرصاد الطريق وجعلها

ما لرصد الراف والشيا الغصص لمجة وعزها والحث السوق لشدة به واعضل الشكل والجنة القوس ومنى ابلى وتربت اصابت التراب ودون محزوا فال احب والوغى الحرب واصلها من الاصوات وحمس اشتد والست الطريقة ولبد الطاير لصق بالارض فقوله وينح اهل انه الظالم الى قوله ربقة في معرض التهديد لاهل الشام باخذ امدادهم وعدم فوتهم وانه لهم بالرصد في جميع حركاتهم وفي مجاز طريقهم التي هم سالكوها منه وفي موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وفي ذكر الشجى وكون الله بالمرصد شبه في ان امره تعالى في منطقة ان يرى الظالم بعقوبته عند اطلاعه على ظلمه كما قال تعالى او ناخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ناخذهم على تخوف ثم اردف ذلك بالقسم البار ليظهرن اصحاب معوية عليهم تنفيرا لهم الى مقاومتهم ثم نبه على ما عساه يتوهم انه علة غلبتهم لهم كيلا يتخاذلوا بسبب ذلك وهو قوله ليس لانهم اولى بالحق منكم وارد فيه بتعيين السبب الحق في ذلك وهو قوله لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم اى امره الباطل وابطائكم عن حقى اذ كانت النصرة باجتماع الكلمة وطاعة الامام لا باعتقاد حقية امر مع التخاذل عنه ثم اردف ذلك بتوبيخهم وتنفيرهم عما هم عليه من مخالفة امره بقوله ولقد اصبحت الامم الى قوله رعيتي ان شان الرعية الخوف من سلطانها فاذا كان حاله مع رعيته بالعكس كانت الائمة عليهم بحيابة ادون حالهم عليه واما التنفير فبذكرانهم في محل ظلم منه ولقد اشفق عليه السلم منهم في مواطن كثيرة كيوم التحكيم اذ قال لولا ان لم ترضى فغضبا بك كما فعل بعثمن ونحو ذلك ثم اردف بان وجوه تقصيرهم بيان ما فعل في حقهم من الايادي الجميلة والهداية الى وجوه الصلاح من استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم واسماعهم الدعوة الى مصالحهم سرا وجهرا ونصيحتهم بالوجوه الصائبة من الراى وهو كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلم قال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم حجلى الى قوله اسرارا ثم شبههم بالغياب مع شهادتهم وبالارباب مع كونهم عبيدا ووجه الشبه الى الغايه الشفاعة من الموعظة دون الغيب عنها وهو سماعها والانتفاع بها فاذ ليسوا الك هم كالغياب عنها في عدم الانتفاع بها واما الثانية فلانهم رغبتهم من شانهم التعبد وامرا امراهم لتعززهم وشموخهم كبرا وعدم طاعتهم كالارباب الذين من شانهم ان يامروا ولا ياتمروا ثم وبخهم بنفارهم عما يتلو عليهم من الحكم وتفرقهم من مواعظه البالغة ثم واهل البغي اشارة الى اهل الشام واياد ى سبا مثل يضرب في شدة التفرق منه به لتفرقهم عن مجالس الذكر وهما لفظان جعلا اسما واحدا كمعدى كرب وسبا قبيلة من اولاد سبا ابن يشجب بن يعرب ابن قحطان واصل المثل ان هذه القبيلة كانت بمارب فلما آن وقت انفتاح سد مارب وراى طريفة الكاهنة ذلك الامر وعرفته انفقته الى عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا فباع امواله بمارب وارتحل الى مكة فاقام هو واخوته وكانوا لا يعرفونها فخرجوا الى الكاهنة فاخبرتهم بما سيقع وقالت انه مفرق بينكم فاستشاروا في امرهم فقالت من كان منكم ذا همّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان ثم قالت ومن كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر فكانت خزاعة ثم قالت ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات

الحلي

النخل فكانت الاوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتامير وملبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى وغوير وهما من ارض الشام فكان الذين سكنوها آل جفنة من غسان ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق فليلحق بارض العراق فكانت آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسارجعين تيفرق بعد اجتماع ثم لما كانت المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة قال يتخادعون اى انهم اذا رجعوا من مجلس وعظ اخذ كل منهم يستغفل صاحبه عن ذكر الموعظة ويشغله بغير ذلك من الاحاديث وان لم يكن عن قصد منه بل يقع منهم صور المخادعة وتقويمهم بالغدوة اصلاح اخلاقهم بالحكم والموعظة ورجوعهم بالعشية كظهر الحنية اى معوجين كظهر القوس وهو تشبيه المعقول من اعوجاجهم وانحرافهم عن قبول الاخلاق بالمحسوس وقوله ايها القوم اشارة الى نفسه والتراف بعجزه عن تقويمهم واعضل المقوم اى اشكل امرهم واعيته ادواءهم علاجا ثم عاد الى ندائهم وشبههم بذكر معايبهم لينفر عقولهم عنها فوصفهم بشهادة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهواء ثم بكونهم ممن ابتلى بهم امراؤهم ثم نبههم على رذيلتهم من مخالفة امره مع كونه مطيعا لله وما عليه خصومهم من فضيلة طاعة امامهم مع كونهم عاصيا وجعل ذلك مقايسة بينهم ليظهر الفرق بينهم العبرة ثم ارده بتمنيه ونفضيل عدوهم عليهم في الباس والنجدة واستقامة الحال فاقسم انه يود ان معوية صرفهم صرف الدينار بالدرهم وذلك قوله ايها القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلى به منهم واشار الى خمس خصال وانما قال بثلث واثنين ليناسب الثلث وكون الاثنين من نوع آخر فالثلث الصمم مع كونهم ذوي اسماع والبكم مع كونهم ذوي كلام والعمى مع كونهم ذوي ابصار ووجه ابتلائه بالثلث مع اضدادها هو سبب التعجب منهم والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم الدينية ونظام امور دولتهم بآلة السمع واللسان والعين فان من لم يفده سمعه وبصره عبرة ومن لم يكن كلامه فيما يعنيه كان فاقد هذه الالات في عدم الانتفاع بها بل كان فاقدها احسن حالا منه لان وجودها اذا لم يفد منفعة جلبت مضرة فلانها عادمها واما الاثنان فكونهم لا احرار صدق عند اللقاء اى انهم عند الحرب لا يصدق حربهم ولا يبقى بحذيتهم من مخالطة الجبن والتخاذل والفرار اذ الحر الخالص من شوب الرذايل والمطاعن ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء اى ليسوا ممن يوثق باخوتهم في الابتلاء بالنوازل ثم عاد الى الدعاء عليهم على وجه التضجر منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعا بعدم اصابة الخير وقوله يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب ذكر المشبه والمشبه به ووجه الشبه ثم اردفه بذكر رذيلة يظنها منهم بامارتها وهي تفرقهم عنه على تقدير اشتداد الحرب وشبه انفراجهم عنه بانفراج المراة عن قبلها يرجع الى الانفة وتسليم المراة قبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة او وقت الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلة ليستثبت قلوبهم وتبالفها والبينة التي هو عليها من ربه ايات الله وبراهينه الواضحة رشاد وجوده والثقة بما هو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله تعالى قل انى على بينة من ربى والمنهاج من بينة طريقة وسنته والطريق الواضح الذى هو عليه سبيل الله وشريعة دينه والتقاط لقط بتغوه

عن طرق الضلال بالسلوك لها ثم اردف فضيلته بالامر باعتبار اهل البيت ولزوم سمتهم واقتفاء اثرهم واشار
الى جهة وجوب اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم الى ردى الجاهلية والضلال
القديم وفيه ايماء الى ان اتباع غيرهم بخلاف ذلك وقوله فان لبدوا فالبدوا اي ان سكتوا واحبوا لزوم
البيوت على طلب امر الخلافة والقيام فيه فتابعوهم في ذلك فان سكوتهم قد يكون لمصلحة يخفى علمها عن
غيرهم وان نهضوا في ذلك فانهضوا معهم ثم نهاهم عن ان يسبقوهم فيضلوا الى امر لم يتقدموكم عنه فان
متقدم الدليل شانه الضلال عن القصد وان لا يتاخروا عنهم فيهلكوا اي لا يتاخروا عن متابعتهم ونصرتهم
واخفالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين في تيه الجهل وعذاب الآخرة والامامية تخص ذلك بالائمة الاثنى عشر
من اهل البيت عليهم السلم و **قوله** ولقد رايت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مدح لخواص الصحابة وذكر
مكانهم من خشية الله ودينه ترغيبا في مثل تلك الفضايل وحركة بقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يدرك
السامعين من الغيرة على تلك الفضايل ان يختصوا بها دونهم وذكر من محامدهم اوصافا احدها الشعث
والاغبرار وهو اشارة الى تقشفهم وتركهم زينة الدنيا ولذاتها الثاني انهم باتوا سجدا وقياما واشار
به الى احيائهم الليل بالصلوات وهو كقوله تعالى الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما الثالث
مراوحتهم بين جباههم وخدودهم وكان احدهم اذا تعب جبهته من طول السجود راوح بينها وبين
خده الرابع وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم واشار به الى قلقهم ووجلهم من ذكر المعاد واهوال
يوم القيمة كما يقلق الواقف على الجمر مما يجده من حرارته الخامس كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم
ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت وماتت جلودها وخشنت كان ركب
المعزى تلك السادس انهم كانوا اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومن روى جباههم فذلك في
حال سجودهم ممكن ومادوا كما يميد الشجر بالريح العاصف خوفا من عقاب ربهم ورجاء للثواب فتارة يكون
ميدانهم وقلقهم عن خوف الله وتارة يكون عن ارتياح واشتياق الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله تعالى
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** والله لا يزالون
حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم
وحتى يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه وحتى تكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من
سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله
بعافية فاقبلوا وان ابتليتم فاصبروا فان العاقبة للمتقين **اقول** نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء
التعب والاشارة في هذا الفصل الى بني امية فاقسم انهم لا يزالون ظالمين فحذف الخبر لعلمه به وذكر لظلمهم
غايات احدها انهم لا يدعون محرما الا استحلوه واعظم كبائر المحرمات القتل وقتل النفس وحالهم
فيها مشهور في ذلك بغير حق ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال الحلال في عدم التحرج والتاثم به
الثاني انه ان لا يدعوا عقدا الا حلوه اي من عقود الاسلام التي نظم بها امر العالم من قوانين الشرع وضوابط
وحله كناية عن خرم تلك القواعد ومخالفتها الثالث انه لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم وهو كناية عن

عموم

عموم عدوانهم وبغيهم على جميع الخلق من اهل البدو والحضر و **قوله** ونبا به سوء رعيهم اي اوجب سوء رعيهم لاهله
نبوهم عنه الرابعة ان يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه الخامسة وحتى يكون نصرة احدكم
من احدهم كنصرة العبد من سيده ذكر المشبه والمشبه به ثم اشار الى وجه الشبه بقوله اذا شهد اطاعه و
اذا غاب اغتابه السادسة وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا وانما كان كذلك لان حسن الظن
بالله اشد بعدا منهم وتوكلا عليه فيكون عليه اشد كلبا واقوى طلبا فكان منهم اكثر تعبا ثم اردف
ذلك بامرهم ان اتاهم العافية ان يقبلوها ويشكروا الله عليها نعمة واراد العافية من الابتلاء بشرورهم لبعض
الناس او بقايهم عدل مخلص من بلائهم وبامرهم ان ابتلى بهم بالصبر على ما ابتلى به ووعده على ذلك بحسن
العاقبة لانها للتقوى والصبر كما قال تعالى واصبر ان
العاقبة للمتقين هذا آخر المجلد الثاني واول
المجلد الثالث من هذا الكتاب والحمد لله وحده

م م م

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأله المعافاة في الاديان كما نسأله المعافاة في الابدان اوصيكم عباد الله بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسادكم وان كنتم تحبون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه وامّوا علما فكانهم قد بلغوه وكم عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها فان عزها وفخرها الى انقطاع وزينتها ونعيمها الى زوال وضراءها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها الى فناء اوليس لكم في آثار الاولين مزدجر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون اولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون والى الخلف الباقين لا يبقون اولستم ترون اهل الدنيا يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضي ما يمضي الباقي الا فاذكروا هادم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا بالله على اداء واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه **اقول** الرفض الترك والسفر المسافرون وامّوا قصدوا ويحدوه يسوقه والمساورة المواثبة فقوله نحمده الى قوله في الابدان خصص الحمد بما كان لان الشكر على النعمة مترتب على وقوعها والاستعانة بما يكون لان طلب العون انما يكون على امر هو بصدد ان يفعل ثم سأل المعافاة في الاديان كما سألها في الابدان لان الاسقام في الحقيقة اشد وقيل لاعرابي ما تشتكي قال ذنوبي فقيل ما تشتهي قال الجنة فقيل الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وسمعت عفيرة العابدة البصرية رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقالت يا عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الاجساد وعمى القلب عن الله اشد والمعافاة فيها بالهداية الى كيفية بقائها سليمة او تداركها اذا مرضت بجذبهم الى التوبة ثم اردف ذلك بالراي الصالح والوصية التي صحة برفض الدنيا ونفرهم عنها بذكر معايب احدها تركها لهم ومن اكبر المصائب ترك محبوب لا بد من مفارقته تركا باستيلاء النفس واستنفاد ما كان لا يقدر على مفارقته مع تمكن محبته من جوهرها حتى يكون لها من شوق الى مرض ظاهر شديد الحرقة الثاني كونها مبلية لاجسامهم وان احبوا تجديدها والابلاء بالامراض والهرم ومن شان المؤذي ان يجتنب لا ان يحب اصلاحه ثم اردف ذلك بتمثيلهم في الكون بها فمثلهم بالسفر ومثلها بالسبيل هم سالكوه ومن سلك سبيلا فكانهم قطعوه فالمشبه هم باعتبار سرعة سيرهم وقرب الآخرة منهم وقطع منازل الاعمار والمشبه به قاطع ذلك السبيل اي من سلك سبيلا اشبه في سرعة سيره من قطعه ما كان لا بد لكل طريق سلك من غاية يقصد فمن سلك سبيله فكانهم بلغوا تلك الغاية اي استيقنوا اقرب

وصولها

وصولها ومن بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده وتحقير لمدة البقاء في الدنيا والمقام فيها واكد ذلك بقوله وما عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها اي اجراؤه اليها سير سريع وفي بعض النسخ وكم عسى والتقدير وكم يرجو الذي يجري الى غاية من اجرائه اليها حتى يبلغها وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجوه من مدة الجري وهي مدة الحيوة الدنيا ومفعول المجري محذوف والتقدير المجري مركوبه ولما لم يكن الغرض الا ذكر الاجراء جرم حذف المفعول وقد يجيء لازما كذلك قوله وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه اي قدر بقاء اي وما يرجى ويؤمل ان يكون من ذلك البقاء وكان هنا تامة وهو في الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا والانكار على المؤمل الراجي له وعنى بالطالب الحثيث الموت واسند اليه الطلب مجازا واستعار له لفظ الحدو وقد علمت وجه هذه الاستعارة وكنى بذلك الحدو عما يتوهم من سوق اسباب الموت للعبد اليه وقوله لا تنافسوا الى قوله الى فناء نهي عن اعتبار شيء من احوالها خيرها وشرها فمن خيرها عزها وفخرها وزينتها ونعيمها ونهى عن المنافسة فيه والاعجاب به واما شرها فضراؤها وشدائدها ونهى عن الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عما نهى عنه بانقطاعه وزواله وما كان من شانه الزوال والانقطاع فمن الواجب ان لا ينافس فيه ويعجب به وان عده نافعا وان لا يجزع من وجوده وان عده ضارا وقوله اوليس لكم في آثار الماضين الى قوله لا يبقون تذكرة لهم بآثار السابقين لهم والماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول العبرة لهم بهم استفهام الانكار عليهم ان لا يستفيدوا من ذلك عبرة على تقدير انهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم نبههم على وجه الاعتبار والاتعاظ وهو عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي فان ذلك محل العبرة ثم نبههم على ما يرون من احوال اهل الدنيا المختلفة ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف احوالها وعلى انها لا تصلح قرارا فانها بين ميت يبكى وآخر يعزى وآخر صريع مبتلى بالامراض والاسقام وآخر يعوده مشغول الخاطر به وآخر يجود بنفسه للمعاودة والاحتضار والسالم من تلك الامور طالب للدنيا والموت من ورائه طالب له غافل عما يراد به وليس بمغفول عنه ثم لا بد ان يمضي على اثر من مضى وان طال بقاؤه وما في ما يمضي مصدرية وانما قدم الميت من اقسام اهل الدنيا لان ذكره اشد موعظة واستعار لفظ الجود للمحتضر ووجه المشابهة سخاء نفسه وتسليمها كالسليم الجواد بما يعطيه من مال ثم امرهم بذكر الموت ووصفه بلوازمه المنفرة عنه وهي كونه هادما للذات الدنيوية ومنغصا لشهواتها وقاطعا للامنيات فيها وعين لهم وقت ذكره وهو عند وثباتهم الى الاعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثم بالرغبة الى الله في طلب معونته بجواذب عنايته وجميل لطفه على اداء واجب حقوقه التي كلفنا القيام بها بالمواظبة عليها واداء واجب ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها على حقيقتها لجلال كبريائه باعتبار كل جزئي منها وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله بامره صادعا وبذكره ناطقا فادى امينا ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع اذا قام فاذا انتم النتم له رقابكم واشرتم اليه باصابعكم جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل

ولا تيأسوا من مدبر فإن المدبر عسى أن تزل إحدى قائمتيه وتثبت الأخرى فترجعا حتى تثبتا جميعاً ألا إن مثل
آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون

أقول مرق خرج من الدين وزهق هلك والمكيث البطيء المتأني وخوى النجم سقط وغيب والصنيعة
النعمة وهذا الفصل يشتمل على إعلامهم بما يكون بعده من أمر أمية وتعليمهم ما ينبغي أن يفعل الناس معهم وتبشيرهم
بظهور إمام من آل محمد عقيب آخر دولتهم بتكامل صنائع الله فيهم بما يأملونه من ظهور إمام منتظر فقوله الحمد لله
إلى قوله جوده شكر لله تعالى باعتبار أمرين أحدهما نشره لفضله في خلقه الثاني بسطه فيهم بالجود يده ويده
نعمة مجازاً تقدس تعالى عن الجارحة وهو من باب إطلاق اسم السبب على المسبب وظاهر كون الجود مبدأ
للنعمة والنشر والبسط وإن كانا حقيقة في الأجسام إلا أنهما من الاستعارات الشائعة التي قاربت الحقيقة
ثم أكد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كل صادر عنه من رخاء وشدة إذ الشدة أيضاً لاحقة من نعمه أيضاً فإنها إذا
قوبلت بصبر جميل استلزمت ثواباً جزيلاً كما قال تعالى وبشر الصابرين الآية وظاهر أن أسباب النعم
نعم ولما حمده على الحق من نعائه طلب منه المعونة على رعاية واجب حقوقه واستعار لفظ الصادع لمحمد
ووجهها أنه شق بأمر الله بيضة الشرك وقلوب المشركين فأخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره
تعالى فأدى وجهاً إياه فأدى بأمره إنباءً عليه وحضه الله إليه مرشداً إلى حضرة قدسه ومنازل الأبرار
من ملائكته وصاد وعاد ناطقاً وأنباء ورشداً أحوال وأشار براية الحق إلى خلفها رسول الله صلى الله
كتاب الله وسنته وأشار بتقدمها والتخلف عنها إلى طرفي الإفراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليها
أي أن من كان تبعها وحقها فهو على حاق الوسط من الفضائل ومن تقدمها كان على طرف الإفراط قد تعدى
في طلب الدين والغاية على جهل فمرق منه كالخوارج ومن تخلف عنها كان على طرف التفريط والتقصير
فهلك في طرق الضلال والحيرة ولفظ الراية مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصدين
تابعهما يهتدي بها في سبيل الله كما أن الراية كذلك وأشار بدليلها إلى نفسه استعارة ووجهها أن الإمام
مظهر ومنبع أحكام الكتاب والسنة وما يخفى منهما للسالكين إلى الله كما يرفع الراية حاملها تابعيه ليهتدوا به
ثم أشار إلى صفات ذلك الدليل وكنى بقوله مكيث الكلام عن ترويه وتثبته في أقواله وما يشير به ويحكم
وبقوله بطيء القيام عن تأنيه في حركته في وجوه المصالح إلى حين استبانة الرأي الأصلح ووجه المصلحة وبقوله
سريع إذا قام عن مبادرته إلى وجوه المصلحة وانتهاز الفرص ثم أخذ يذكرهم بموته وكنى بقوله ألنتم له رقابكم
عن خضوعهم لطاعته وانقيادهم لأمره وبقوله وأشرتم إليه بالأصابع عن اشتهاره فيهم وتعظيمهم له
وأشار إلى أنه إذا تم الإسلام به توفي وبقوله فلبثتم بعده ما شاء الله أي إنهم يخلون من إمام يجمعهم مدة
والإشارة إلى مدة بني أمية وبقوله حتى يطلع الله لكم إلى قوله نشركم إلى أنه لا بد لهم بعد تلك المدة ممن
يجمعهم وطلوعه ظهوره وتعينه للرياسة بعد اختفاء فقيل هو الإمام المنتظر وقيل هو قائم بني العباس بعد
انقضاء دولة بني أمية وقوله فلا تطمعوا في غير مقبل أي من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممن هو أهله ومستعد له
وآثر تركه إلى الخلوة بالله فلا تطمعوا فيه فإن له بالله شغلاً عن كل شيء وقيل المراد بغير المقبل من انحرف عن الدين

بالركاب

بالركاب منكم فإنه لا يجوز الطمع في أن يكون أميراً لكم وروي فلا تطمعوا في عين مقبل أي من أقبل عليكم من أهل
البيت طالباً لهذا الأمر وهو أهل له فكونوا معه وكنى بالطمع في عينه عن دخوله فيما يريد وقوله ولا تيأسوا من
مدبر إلى قوله فتثبتا جميعاً أراد أن من أدبر عن طلب الخلافة ممن هو أهل لها فلا ينبغي أن يحصل الإياس من عوده
وإقباله على الطلب فلعله إنما أدبر عن ذلك لاختلال بعض الشرائط التي يتعين عليه معها القيام وكنى عن اختلال
بعض أحواله من قلة ناصر ونحوه بزوال قائمته وبثبات الأخرى عن وجود بعض الشرائط كثبات أهلية
الطلب أو بعض أنصاره معه وبقوله فترجعا حتى تثبتا عن تكامل شرائط قيامه ولا ينافي النهي عن الإياس
هنا النهي عن الطمع في غير المقبل لجواز أن ينهى عن الطمع فيه حال إعراضه وإدباره عن الطلب لاختلال بعض
شرائطه والنهي عن الإياس منه لجواز حصول شرائط القيام فيه وتكاملها وقوله ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله
إلى قوله طلع نجم تعيين الأئمة من آل محمد ذات الإمامة هم الاثنا عشر من أهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه الشبه
أمران أحدهما أنهم يستضاء بأنوارهم في سبيل الله كما يستضيء المسافر بالنجوم في سفره ويهتدي بها
الثاني ما أشار إليه بقوله كلما خوى نجم طلع نجم وهو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد قام سيد والإمامة فيهم إلى يوم
وهذا الكلام منه عليه السلام في أثناء زمان من وجد قائم من أهل البيت يهدي في سبيل الله وقوله فكأنكم
إشارة إلى منة الله عليهم بظهور الإمام المنتظر وإصلاح أحوالهم بوجوده وجدت له في أثناء بعض خطبه
ذات اختصاص لا يكون بعده فصلاً يجري مجرى الشرح لهذا الوعد وهو أن قال يا قوم اعلموا علماً يقيناً أن الذي
تستقبلونه من أمر جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول من أمر جاهليتكم وذلك أن الأمة كلها يومئذ
جاهلية إلا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا أن الرفق يمن والأناة بقاء وراحة والإمام أعلم
بما ينكر ولعمري لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن عنكم أمراء الجور وليطهرن الأرض
من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنين أحياؤكم لأمواتكم رجعة الكرة
عما قليل فيعيشوا إذن فإن ذلك كائن لله أنتم بأحلامكم كفوا ألسنتكم وكونوا من وراء معايشكم فإن الحرمان
سيصل إليكم وإن صبرتم واحتسبتم واستيقنتم أنه طالب وتركم ومدرك ثاركم وآخذ بحقكم وأقسم
بالله قسماً حقاً إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومن خطبة له عليه السلام تشتمل على
ذكر الملاحم الحمد لله الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر بأوليته وجب أن لا أول له وبآخريته وجب أن
لا آخر له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يوافق فيها السر الإعلان والقلب اللسان
أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي ولا يستهوينكم عصياني ولا تتراموا بالأبصار عند ما تسمعونه مني فوالذي
فلق الحبة وبرأ النسمة إن الذي أنبئكم به عن النبي الأمي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكأني أنظر إلى ضليل
قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فإذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في
الأرض وطأته عضت الفتنة أبناءها بأنيابها وماجت الحرب بأمواجها وبدا من الأيام كلوحها ومن
الليالي كدوحها فإذا أينع زرعه وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات
الفتن المعضلة وأقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف

وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم ويحطم المحصود. أقول: بجرانكم يحق عليكم واستنواه
اماله والضليل الكثير الضلال ونعق صاح وفحص الطائر الارض برجله بحثها والضواحي النواحي البارزة
وكوفان اسم للكوفة وفغر فوه انفتح وفلان شديد الشكيمة اذا كان قوي النفس ابيا والكلوح تكشر
في عبوس والكدح فوق الخدش واينع الزرع نضج والحطم الدق ومضمون هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير
السامعين عن عصيانه وعن التخاذل بكذبه فيما يخبرهم به من الامور المستقبلة فقوله الاول
والاخر قد مضى تفسيرهما وقوله بالاولية وجب ان لا اول له لما اراد بالاولية كونه مبدأ لكل شيء
وبالاخرية كونه غاية ينتهي اليها كل شيء في جميع احواله كان بذلك الاعتبار يجب ان لا يكون له اول يبتدي منه
ولا اخر يقف عنده وينتهي ووصف شهادته بانها التي يوافق السر الاعلان والقلب اللسان كناية عن
خلوصها عن شائبة النفاق والجحود بالله ثم انه بالناس وحذرهم من شقاقه وعصيانه وتكذيبه فيما يقول
وهو تعريض بمن ضعفت عين بصيرته عن ادراك فضله وامكان الاخبار بما سيكون من مثله ثم اسند
ما يريد ان يخبر به من ذلك وما اخبر به الى النبي صلعم ليكون ذلك شهادة لصدقه واكد ذلك بيمينه
وتنزيه السامع بين نفسه من الكذب فيما يبلغ عن ربه وفيما سمع هو منه وقد بينا كيفية اخذه لهذه العلوم عنه
في المقدمات وقوله لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام من جملة اخباراته بما سيكون والضليل قيل
انه اشار به الى السفياني الدجال وقيل انه اشارة الى معوية فان مبدأ ملكه بالشام ودعوته بها
وانتهت غاراته الى نواحي الكوفة والى الانبار في حيوته كما عرفت ذلك من قبل وكنى بفحص راياته
عن بلوغها الى الكوفة ونواحيها كناية بالمستعار ملاحظة لشبهها بالقطاة المتخذة مفحصا وكذلك فغر فاغرته
كناية عن اقتحامه الناس كناية بالمستعار ايضا ملاحظة لشبهه بالاسد في اقتحام فريسته واشتداد الشكيمة
كناية عن قوة راسه وشدة باسه واصله ان الفرس الجموح قوي الراس يحتاج الى قوة الشكيمة وشدتها
وكذلك ثقل وطاته كناية عن شدة باسه في الارض وفي الناس والاشبه انه اشارة الى عبد الملك
وقد عرفت احواله وثقل وطاته في الارض فيما سبق واستعار لفظ العض لفتنته ووجه المشابهة
ما يستلزمانه من الشدة والالم ورشح تلك الاستعارة بذكر الانياب وابناء الفتنة اهلها وكذلك
استعار لفظ الموج للحرب وكنى به عن الاختلاط الواقع فيها من القتل والاهوال وعلايم لفظ الكلوح
وكنى به عن شدة ما يلقى فيها من الشر كما يلقى من العبوس الكثير وكذلك لفظ الكدوح استعارة لما يلقى فيها
من المصايب الشبيهة بها ولفظ الزرع استعارة للاعمال ولفظ الايناع كناية عن بلوغه غاية احواله
ولفظ الشقاشق والبروق استعارة لحركاته الهائلة واقواله المخوفة تشبيها بالسحاب في الشقاشق
والبروق وقوله عقدت رايات الفتن المعضلة اي ان هذه الفتنة اذا قامت اثارت فتنا كثيرة
بعدها يكون فيها الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها بالليل المظلم ووجه المشابهة كونها لا يهتدى
فيها للحق كما لا يهتدى في ظلمة الليل لما يراد وبالبحر الملتطم في عظمها وخلطها تلاطم بعضهم ببعض وانقلاب
قوم شاقوم بالحق اليهم والهلاك كما يلتطم بعض امواج البحر ببعض ثم اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك

الفتن

الفتنة بعده من الوقايع والفتن وقد صرح فيها وفي اخباره ووقايع جمة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج والمختار
ابي عبيدة وغيرهما واستعار لفظي القاصف والعاصف من الريح لما يمر بها من ذلك ويجري مثلا لها
من الشدة وقوله وعن قليل تلتف القرون بالقرون الى اخره اي عن قليل يلحق قرن من الناس بقرن
وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن الارض واستعار لهم لفظ الحصد والحطم ملاحظة لشبههم
بالزرع يحصد قايمه ويحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم او قتلهم وبحطم محصودهم عن فنائهم وتفرق اوصالهم
في التراب واعلم انه ليس في اللفظ ما يدل واضحا على ان المراد بالضليل المذكور معوية بل يحتمل ان يريد به
شخصا اخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل انه السفياني الدجال وان كان الاحتمال الاول اغلب على الظن
وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم يجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين
والاخرين لنقاش الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم
حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا أقول اشار باليوم الى يوم القيمة ونقاش الحساب الاستقصاء
والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية ذلك اليوم فيما سبق ونحوه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس
اشتاتا ليروا اعمالهم الاية وخضوعا كقوله تعالى خاشعة ابصارهم وقياما كقوله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين وهما كناية عن كمال براءتهم من حولهم وقوتهم اذ ذاك وتيقنهم ان لا سلطان الا سلطانه
والجمهم العرق بلغ منهم مكان اللجام وهو كناية عن بلوغهم الغاية من الجهد اذ كانت غاية التاعب ان
يكثر عرقه وقوله ورجفت بهم الارض كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اذا رجت
الارض رجا وبست الجبال بسا قال بعضهم المراد بالارض الراجفة والمرتجة ارض القلوب عن نزول
خشية الله عليها وشدة اهوال يوم القيمة وقال اخرون ان ذلك صرف للكلام عن ظاهره من غير ضرورة
فلا يجوز اذ كل ما اخبر الصادق عنه من جزئيات احوال القيمة امور ممكنة والقدرة الالهية وافية بها
وقوله فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا قيل المراد به من وجدت قدما عقله موضعا
من معرفة الله تعالى وعبادته ومن وجد لنفسه متسعا في حظاير قدس الله وسعة رحمته وظاهر ان
اولئك احسن خلق الله يوم القيمة وحمله على ظاهره هو الموافق لظاهر الشريعة ممكن منها فتن كقطع
الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا ترد لها راية تاتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها اهلها
قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم في الله قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون وفي السماء
معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت
الاحمر والجوع الاغبر أقول يحفزها يدفعها من خلف والكلب الشر والاذلة جمع ذليل والرهج الغبار
والحس الصوت الخفي وقد نبه في هذا الفصل على ما سيقع بعده من الفتن وبحيث منها فتنة صاحب
الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا يقوم لها قائمة اي لا يمكن
مقاومتها بما بقاء وحماية فيها وانما اتت لكون القائمة في مقابلة الفتنة وقيل لا تثبت لها قائمة فرس
واستعار لفظ الزمام والرحل والحفز والقائد والراكب وجهه لها ملاحظة لشبهها بالناقة

عدم الآخرة الآن وما يلحق بها من الثواب والعقاب بوجودها الدائم اي كانها لم تكن موجودة وكانها لم تزل موجودة وشبه بقوله وكل معدود منقض على انقضاء مدد الاعمار لكونها معدودة الايام والساعات والانفاس وقوله وكل متوقع آت وكل آت قريب دان في صورة الضرب الاول من الشكل الاول ونتيجته فكل متوقع قريب دان والاشارة به الى الموت وما بعده **منها** الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ لَعَبْداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِلَ كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ **اقول** حصر العالم فيمن عرف قدره واراد بقدره مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان عرفانه بذلك مستلزما لمعرفته نسبته الى مخلوقات الله تعالى اليه وانه اي شيء هو منها ولاي شيء وجد لا جرم كان هو العالم اللازم لحدود السالك لما امر به غير المتعدي طوره المرسوم له في كتاب ربه وسنن انبيائه وقوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره لما كان العالم مستلزما لمعرفة القدر كان معرفة عدم القدر مستلزما لعدم العلم وهو الجهل لان نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم وقوله وكفى بذلك الجهل اشارة الى قوته واستلزامه للعذاب وقوله وان من ابغض الرجال الى الله الى قوله جائرا عن قصد السبيل قد سبق بيانه وقوله سائرا بغير دليل كنى بالدليل عن ائمة الهدى والمرشدين الى الله وما في ذلك من الكتاب والسنة فان من سار في معاملته لله وعبادته بغير دليل منهما كان من الهالكين وقوله ان دعي الى آخره استعار لفظ الحرث لاعمال الدنيا واعمال الآخرة ووجه المشابهة كونها مستلزمة للمكاسب الاخروية والدنيوية كما ان الحرث كذلك ثم شبه ما عمل له من حرث الدنيا بالواجب عليه في مبادرته اليه ومواظبته عليه وشبه ما قصر عنه من حرث الآخرة بما سقط عنه فرضه في تكاسله وقعوده عنه مع ان الامر فيه ينبغي ان يكون بالعكس وبالله التوفيق **منها** وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَأَعْلَامُ السُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ قال السيد اما قوله عليه السلم كل مؤمن نومة فانما اراد به الخامل الذكر القليل الشر والمساييح جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع وهو الذي اذا سمع لغيره بفاحشة اذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه **اقول** النومة كثير النوم وروي نومة بسكون الواو وهو الضعيف وكنايات الامام عليه السلم وجه وكنى بالنومة عن خامل الذكر بين الناس المشتغل بربه عنهم كما فسره عم بقوله ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد واشار بذلك الى كل مؤمن كذلك واستعار لهم لفظ المصابيح والاعلام لكونهم اسباب الهداية في سبيل الله وقد سبق ذلك وقوله ليسوا بالمساييح الى قوله البذر معناه ظاهر وقد فسره السيد رضه وقوله ايها الناس الى قوله الاناء بما فيه اخبار بما سيكون من فساد اهل

الزمان وما يكون فيه من الفتن وترك الدين كما سبق من اشاراته وشبه قلبهم للزمان وقلبه الاناء بما فيه ووجه الشبه خروج الاسلام عن كونه منتفعا به بعد تركهم العمل به كما يخرج ما في الاناء الذي كب عن الانتفاع وحسن هذا التشبيه فان الزمان الاسلام كالاناء له واشار الى ان ذلك ليس بظلم بقوله ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم وقوله ولكن ما هناك بظلام للعبيد ان ذلك ابتلاء منه تعالى لعباده كما قال تعالى ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين فمن صبر نفعه صبره ومن كفر فعليه كفره وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه وفايدته فلا وجه لاعادته وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَيَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ وَايْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ **اقول** لشرح ما انفردت به هذه الرواية من الزيادة على الفصل المتقدم فالحسير الذي اعيا في طريقه والخاصرة من الارض ليته بروي تقع على ماحولها واستوسقت اجتمعت وانتظمت ووهنت جبنت فقوله فقاتل بمن اطاعه من عصاه معناه ظاهر وقوله ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم اي يسارع الى هدايتهم وتسليكهم لسبيل الله كيلا تنزل بهم الساعة على عمى منهم عن صراط الله فيقعوا في مهاوي الهلاك وقوله يحسر الحسير ويقف الكسير الى قوله لا خير فيه اشارة الى وصفه عم بالشفقة على الخلق في حال اسفارهم معه في الغزوات ونحوها اي انه كان يسير في اخريهم ويتفقد المنقطع منهم عن عيا او انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يلحقه اصحابه الا ما لا يمكن ايصاله ولا يرجى قال بعض الشارحين كنى بالحسير والكسير عمن عجز ووقف قدم عقله في الطريق الى الله لضعف في بصيرته واعوجاج في آلة ادراكه ويقيم عليه حتى يلحقه الى غايته من اخذه له بوجوه الحيل والجواذب الى الدين حتى يوصله الى ما يمكن من العقيدة المرضية والاعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها وقوله الا هالكا لا خير فيه اراد به من كان مايوسا من رشده لعلمه بان تقويمه غير ممكن كابي لهب وابي جهل ونحوهما وقوله فاستدارت رحاهم استعار لهم لفظ الرحى لاجتماعهم وارتفاعهم على غيرهم كما ترتفع الحلقة من الارض عن سائر التراب ونحوه وقوله واستوسقت في قيادها اشارة الى طاعة من اطاع من العرب وانقادوا للاسلام واستعار لفظ الاستياق والقياد ملاحظة لتشبيههم بالابل المجتمعة لسايقها والمنتظمة في قيادها لهاديها واستعار لفظ الخاصرة للباطل ورشح تلك الاستعارة بذكر البقر ملاحظة لشبهه بالحيوان المبتلع ما هو اعز قيمة منه وكنى به عن تمييز الحق منه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** حَتَّى بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا قَلِقاً وَضِينُهَا قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ

وصادفتموها واللّه ظلّا ممدودا الى اجل معدود فالارض لكم شاغرة وايديكم فيها مبسوطة وايدي القادة عنكم
مكفوفة وسيوفكم عليهم مسلّطة وسيوفهم عنكم مقبوضة الا ان لكل دم ثائرا ولكل حق طالبا وان الثائر في
دمائنا كالحاكم في حق نفسه وهو اللّه الذي لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب فاقسم باللّه يا بني امية عما قليل
لتعرفنّها في ايدي غيركم وفي دار عدوكم الا ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه الا ان اسمع الاسماع
ما وعى التذكير وقبله ايها الناس استصبحوا من شعلة مصباح واعظ متعظ وامتاحوا من صفو عين قد روّقت
من الكدر عباد اللّه لا تركنوا الى جهالتكم ولا تنقادوا لاهوائكم فان النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف
هار ينقل الردى على ظهره من موضع الى موضع لراي يحدثه بعد راي يريد ان يلصق ما لا يلتصق ويقرّب
ما لا يتقارب فاللّه اللّه ان تشكوا الى من لا يشكي شجوكم ولا ينقض برايه ما قد ابرم لكم انه ليس على الامام
الا ما حمّل من امر ربه الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والاحياء للسنة واقامة الحدود على مستحقيها
واصدار السهمان على اهلها فبادروا العلم من قبل تصويح نبته ومن قبل ان تشغلوا بانفسكم عن مستثار العلم
من عند اهله وانهوا غيركم عن المنكر وتناهوا عنه فانما امرتم بالنهي بعد التناهي **اقول** الشيم الخلق واحدها
[illegible] والخلف حلمة ضرع الناقة والوضين حزام الهودج والمخضود الذي لا شوك فيه والماتح الجاذب
للدلو من البئر وشغر الكلب رفع احدى رجليه ليبول والترويق التصفية والجرف المكان ياكله السيل
والهار الساقط وهو المنهدم نقلت من الثلاثي الى الرباعي [illegible] والشجو الهم والحزن وصوّح النبت
يبس و **قوله** حتى بعث اللّه محمدا صلى اللّه عليه وآله الى قوله من بعده اقتصاص [illegible] صلى اللّه عليه وآله [illegible]
في الدين وترغيب [illegible] الدنيا ومجيئها بعده وهو غاية الفصل سابق كانه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال
والتقشف والفقر وتنبيه عليهم بذكر هذه الغاية لحسنة تلك الاحوال ووصفه باوصاف احدها كونه شهيدا
اي على الخلق باعمالهم يوم القيمة كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا وقد عرفت كيفية هذه الشهادة الثاني وبشيرا للخلق بما اعد لهم من الثواب العظيم الثالث ونذيرا
لهم بما اعد للعصاة من العذاب الاليم وجمع هذه الاوصاف قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الرابع خير البرية طفلا ولما علمت ان الافضلية انما هي بالاعمال الصالحة والتشديد
لسلوك سبيل اللّه وكان هو صلى اللّه عليه وآله منذ صباه وطفوليته افضل الخلق في لزوم ذلك لا جرم
كان خير الناس طفلا الخامس وانجبها كهلا ولما كانت النجابة مستلزمة لكرم الخصال واستقراء الفضائل وجمعها
وكان هو صلى اللّه عليه وآله في كهوليته [illegible] جميع كل فضيلة لا جرم كان انجبهم كهلا وطفلا وكهلا منسوبا
على الحال [illegible] السادس كونه اطهر المطهرين شيمة ولما كان عليه السلم متمم مكارم الاخلاق الطاهرة وكل خلق
عدل فيه لكسب لا جرم كان اطهر الشيمة واكرم الخلق السابع اجود المستمطرين ديمة استعار له وصف السحاب
المرجو منه نزول الديمة وهي المطر الذي لا رعد فيه ولا برق ورشح بلفظ الديمة وكنّى بذلك عن غاية
جوده وكرمه وقد كان صلى اللّه عليه وآله اذا امسى اوى الى البيت فلا يجد فيه شيئا من فضة او ذهب
الا تصدق به ولم يبت وفي بيته منه شيء [illegible] و **قوله** فما احلولت الدنيا في لذتها الى قوله

من بعده

من بعده الخطاب لبني امية ونحوهم وهو تبكيت لهم بتلبسهم لذة الدنيا وابتهاجهم بها وتمكنهم منها بعد الرسول صلى
وتذكير لهم بحال نعمتهم [illegible] شبه ذلك واستعار لفظ الاخلاف وكنى به عن وجوه المكاسب الدنيا ولذاتها ورشح
تلك الاستعارة بذكر الرضاع وكنى به عن تناولهم لها ملاحظة لشبهها بالناقة و **قوله** وصادفتموها الى قوله
غير موجود استعار لها لفظ الخطام والوضين ورشحها بالقلق والجولان وكنى بذلك عن مصادفتهم للدنيا بعد
رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله غير منظومة الحال ولا مضبوطة على ما ينبغي لضعف ولاتها عن اصلاح حالها كان الناقة
قلقة الحزام وجائلة الخطام غير منظومة الآلة ولا مضبوطة لها فهي بعرض ان تمشي وتنصرف على غير استقامة
فتهلك راكبها ثم ذكر رذيلة القوم فشبه حرامها بالسدر المخضود ووجه الشبه ان نواهي اللّه ووعيداته
على فعل المحرمات تجري مجرى الشوك للسدر في كونها مانعة منه كما يمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته وكان
بعض الامة قد طرح اعتبار النواهي والوعيد جانبا من نفسه وفعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده مجرى تناول السدر
الخالي عن الشوك في استسهاله تناوله واقدامه عليه وكون حلالها بعيدا غير موجود [illegible]
[illegible] و **قوله** وصادفتموها والى قوله معدود استعار لفظ الظل لها ورشح بالممدود وكنى
بذلك عن زوالها بعد حين تنبيها لهم به ثم استعار لفظ الشاغرة للارض وكنى به عن خلوها لهم يقال بقي الارض الفلانية
شاغرا برجلها اذا لم يكن له طالب ولا حام يحميه وكنى ببسط ايديهم فيها عن قدرتهم على التصرف واراد بالقادة
الخلفاء وبتسلط سيوفهم على القادة جراتهم وحكمهم عليهم وبقبض سيوف القادة عدم تمكنهم منهم و **قوله** الا ان
لكل دم ثائرا الى قوله من هرب تهديد لبني امية وتخويف باخذه وعقابه ولما كان الكلمتان ظاهرتي الصدق
فانه تعالى هو الثائر لكل دم معصوم والطالب به ان عدم طالبه او ضعف ولما كان دم منهم عليهم السلم وسائر الصحابة
من عصم اللّه دمه [illegible] وجرى مجرى الحق الثابت المتعارف بينهم ولم يكن يطلب به [illegible] وهو الحاكم
المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر وانما قال كالحاكم لان اطلاق لفظ الحق [illegible] به اشبه الحاكم [illegible]
الحق ووصفه تعالى بانه لا يعجزه مطلوب ولا يفوته هارب في معرض التهديد لهم باخذه وقوته ثم اردف ذلك
بالقسم البار في طلبا لبني امية لتعرفنها اي الدنيا او امرتها في يد غيرهم من اعدائهم وذلك ظاهر الصدق بانتقالها
الى بني العباس ثم شرع بعده في التنبيه على الفكر في تحصيل السعادة الباقية والخير الدائم وعلى قبول الوعظ والتذكر
فاشار الى ان ابصر الابصار ما نفذ في الخير طرفه واسمع الاسماع ما وعى التذكير وقبله واراد بطرف البصر العقل وتجوّز
استعارة او حس البصر والسمع على معنى ان افضل ابصار البصر وسماع السمع ما عاد على البصر والسامع بالغاية
المطلوبة منهما وهي تحصيل الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق ولما قدم ذلك امام مقصوده اتبعه بالتماس
بعده الى قبول قوله والاستصباح بنوره واستعار لنفسه لفظ المصباح ورشح بذكر الشعلة والاستصباح
واستعار لفظ العين ورشح بذكر الصفو والترويق والمتح ووجه الاستعارة الاولى كونه مقتدى به كالمصباح
ووجه الثانية كون العلم المستفاد منه مادة الحيوة الابدية كما ان ماء العين مادة الحيوة الدنيوية وكنى بترويقها عن الكدر
عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرق اليه فيه شبهة تكدر نفسه وهو امرهم بالاقتداء به واخذ العلوم والاخلاق منه
ثم لما امر باخذ ما عنه اردفه بالنهي عن الجهل والركون اليه ثم عن الانقياد للاهواء الخارجة عن كرائم الاخلاق

الى رداءتها وعن حق المصالح الى باطلها و **قوله** فان النازل بهذا المنزل اراد بالمنزل المشير الذى نصيحة
لهم عن جهل منه بوجوه المصالح وذلك انه عليه السلم كان يرى الراى الصالح ويشير عليهم به فاذا خالفه بعضهم الى بعض
فما كان من ذلك فيه مشقة عليهم من جهاد ونحوه وهو الحق ثقل على شانئي اشارته فافقهم المبغضون له المدعون لنصيحتهم
لمقابلة عكس ما راى فيه واشار به وردوهم عن ذلك الى ما يوافق اهواءهم ويلائم طباعهم اخلادا الى الدنيا
فاشار عليه السلم الى ان النازل منهم منزلة المشير الناصح مع ان كل ما يشير به عن هوى نفس وجهل فهو على شفا جرف هار
واستعار لفظ الجرف لهذه الاراء الفاسدة الصادرة فانها لم تبن على نظام العقل ولم ترخص فيها الشريعة فكانت
منهارة لا تبنى عليها الا ما كان بصدد ان ينهار وكان المشير بها واقفا على شفا جرف هار منها ينهار به في نار جهنم
او في الهلاك الحاضر بقتال لمن قتل فقتل على غير اصل او تحقق له منه عقوبة مثلا انه على شفا جرف هار ونحوه
قوله تعالى ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الاية و **قوله** ينقل الردى على ظهره من موضع لما كان
الردى هو الهلاك وكان الراى الفاسد يستلزم الهلاك لمن رعايته وعمل به كان المشير بالخلق به عن
هوى كالناقل للهلاك من شخص الى غيره والمتحمل له على ما يشير عليهم به وهو في معرض التغير عنه و **قوله**
لراى يحدثه بعد راى ان يلصق ما لا يلتصق ذكر غاية تنقله من موضع الى آخر فان نقله الردى يستلزم ان ينقله
من هوى وراى الى راى وغاية ان يكون كلها مستانفا والتقدير ان يبب راى يحدثه يريد الصاق ما لا يلتصق
واستعار لفظ اللصق للصلح اى يريد ان يصلح بينكم وبين اعدائكم وذلك امر لا يصلح ووجه المشابهة
كون الخصمين في طرفين يجمعهما الصلح ويوجب لهما الاتحاد كما يجمع الالصاق بين الملتصقين ويحتمل ان يريد الصق
بكم من الآراء الفاسدة ما لا ينبغي ان يلتصق بكم وكذلك قوله ويقرب ما لا يتقارب ويقرب عليكم ما بينكم وبينهم
من البعد والافتراق وذلك امر لا يتقارب وبعضهم من هذا ان من كان ينهاهم عن الركون الى استشارته
كان يحذرهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم وبين معاوية والدخول فيه ثم حذرهم الله وعقابه في ان يشكوا الى
ما لا يشكى حزنهم وذلك ان المشتكى اليه والمستشار اذا لم يساهم الشاكي همه ولم يكن اهلا للراى في ذلك
الامر المشكو فيه وان كان موصوفا بجودة الراى وستر ذلك ان الاهتمام بالامر يبعث زائد الفكر على الاستقصاء
في تفتيش وجوه الاراء الصالحة فيكون بصدد ان يستخرج منها اصلحها وانفعها وان كان دون غيره
في جودة الراى بخلاف الخلي العديم الباعث على طلب الاصلح واردفه بنهيهم عن ان ينقض برايه الفاسد
ما قد ابرمه هو عليه السلم لهم من الراى الصائب في الجد في الحرب ثم اردفه ببيان ما يجب على الامام في
تكليفه بالنسبة الى الرعية وفائدة ذلك الاعتذار اليهم فيما عساهم ينسبونه اليه من تقصير في كونه الاخير
في الراى ونحوه وذكر امورا خمسة الابلاغ في موعظة العباد ثم الاجتهاد في النصيحة لهم ثم الاحياء لسنة الله
ورسوله فيهم ثم اقامة الحدود التي يستحقونها بجناياتهم ثم اصدار السهمان على اهلها والسهمان جمع سهم وهو
النصيب المختص بكل مسلم من بيت المال ثم لما نهاهم عن الركون الى الجهل امرهم بالمبادرة الى العلم من
قبل تصويح نبته واستعار لفظ النبت ورشح بذكر التصويح وكنى به عن عدمه بموته عليه السلم و **قوله** ومن قبل
ان تشغلوا بانفسكم اى تجليتها من شرور الفتن التي ستنزل بكم من بني امية ومعاناتها و مستثار العلم

ما استثير

ما استثير منه واستخرج واهله هو عليه السلم ومن في معناه ثم امرهم بالانتهاء عن المنكر ثم بنهيهم عنه فان النهي
عن الشيء بعد الانتهاء منه هو النهي المثمر المطابق لمقتضى الحكمة اذ كان انفعال الطباع عن مشاهدة الافعال والاقتداء
بها اقوى واسرع منها عن سماع الاقوال خصوصا اذا خالفها فعل القائل وذلك امر ظاهر شهدت به العقول
السليمة والتجارب وتوافقت عليه الاراء والشرايع والابيات [illegible] لا تنه عن خلق وتاتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرايعه
لمن ورده واعز اركانه على من غالبه فجعله امنا لمن علقه وسلما لمن دخله وبرهانا لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم
به ونورا لمن استضاء به وفهما لمن عقل ولبا لمن تدبر وآية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاة
لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج المناهج واضح الولايج مشرف المنار مشرق الجواد
مضيء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه والصالحات
مناره والموت غايته والدنيا مضماره والقيمة حلبته والجنة سبقته **منها** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله
حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك
نزله وشرف عندك منزله وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين

ولا ناكثين ولا ضالين صح

ولا ناكبين ولا مفتونين ولا مضلين وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا انا كررناه هاهنا لما في الروايتين من الاختلاف
منها في خطاب اصحابه وقد بلغتم من كرامة الله منزلة تكرم بها اماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم
عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون
وانتم لنقض ذمم آبائكم تانفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم و
القيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم
تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **اقول** الابلج الواضح المشرق والوليجة بطانة الرجل وخاصته والمضمار
محل تضمير خيل السباق والحلبة خيل تجمع من مواضع متفرقة للسباق وقد تطلق على مجمعها والسبقة ما يستبق عليه من
الخطر وقد حمد الله سبحانه باعتبار ما انعم به من وضع شريعة الاسلام للعقول لتسلك بها اليه واشار بشرايعه
الى موارد العقول من اركانه وتسهيلها ايضاح قواعده وخطاباته بحيث يفهمها الفصيح والالكن ويشارك
الغبي في ورود مشاربها الفطن الذكي واعزاز اركانه حمايتها ورفعها عن قصد هدمه واطفاء نوره مغالبة
من المشركين والجاهلين ثم مدح الاسلام باوصاف اسندها الى منشئه وشارعه سبحانه وتعالى احدها جعله
امنا لمن علقه وظاهر كونه امنا لمن تعلق به في الدنيا من القتل وفي الآخرة من العذاب الثاني وكونه سلما
من دخله اي مسالما وفي الاول ملاحظة تشبيهه بالحرم باعتبار دخوله وفي الثاني ملاحظة تشبيهه بالمغالب
من الشجعان باعتبار مسالمته ومعنى مسالمة الاسلام لكونه محقون الدم مقررا على ما كان يملكه كان الاسلام
سالمه او صالحه لكونه لا يقتضي ما يؤذيه بعد دخوله فيه الثالث كونه برهانا لمن تكلم به اي فيما هو برهان الرابع
كونه شاهدا لمن خاصم به وذلك لما ان من اجزائه ما تناوله الجدل والخطابة الخامس كونه نورا لمن استضاء به فاستعار

لفظ النور ورشحه بذكر الاستضاءة ووجه المشابهة كونه مهتدى به في طريق الله الى جنته. السادس كونه فهما
لمن عقل ولما كان الفهم عبارة عن جودة تهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه وكان الدخول في الاسلام ورياضة
النفس بقواعده واركانه سببا عظيما لتهيؤ الذهن لقبول الانوار الالهية وفهم الاسرار لا جرم اطلق عليه
لفظ الفهم مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب. السابع كونه لبا لمن تدبر ولما كان اللب هو العقل اطلق
عليه لفظ العقل وان كان سببا كالمجاز الاول واراد العقل بالملكة وما فوقه من مراتب العقل فان الاسلام
وقواعده اقوى الاسباب لحصول العقل بمراتبه. الثامن كونه آية لمن توسم واراد من تفرس طرق الخير
ومقاصده فان الاسلام آية وعلامة تدرك المتفرس اذا اهتدى بها فيقع في طريق الهدى. التاسع كونه تبصرة
لمن عزم واراد من عزم على امر قصده فان في الاسلام تبصرة لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي. العاشر كونه
عبرة لمن اتعظ وذلك ظاهر فان الاسلام فيه المعتبر لنفس المتعظ الى حضرة قدس الله بما فيه من احوال
القرون الماضية وتصرف الزمان بهم. الحادي عشر كونه نجاة لمن صدق الرسول صلى الله عليه وآله فيما جاء
به فان دخوله في الاسلام سبب نجاته من سيوف الله في الدنيا وعذابه في الآخرة واطلق عليه اسم النجاة
اطلاقا لاسم المسبب على السبب ايضا. الثاني عشر كونه ثقة لمن توكل اي هو سبب ثقة المتوكلين على الله باشتماله
على الوعد الكريم وبه يكون استعدادهم للتوكل. الثالث عشر كونه راحة لمن فوض اي من ترك البحث والاستقصاء
في الدلايل وتمسك باحكام الاسلام ودلايل القرآن والسنة المتداولة بين اهله وفوض امره اليه استراح
بذلك التفويض وقيل بل المراد ان فيه الندب الى تفويض الامور الى الله وعلم ما لم يعلم منها وترك التكلف
به وذلك راحة وقيل بل المراد ان المسلم اذا كمل اسلامه وفوض امره الى الله كفاه الله جميع اموره واراحه من
الاهتمام بها. الرابع عشر كونه جنة لمن صبر اي صبر على العمل بقواعده واركانه وظاهر كونه جنة من عذاب الله
ولفظ الجنة مستعار. الخامس عشر ابلج المناهج ومناهج الاسلام طرقه واركانه الذي يصدق على من سلكها انه مسلم
وهي الاقرار بالله ورسوله والتصديق بما ورد به الشريعة كما فسره هو به وظاهر كونها انوار واضحة الهدى
السادس عشر كونه واضح الولايج او واضح البواطن والاسرار لمن نظر اليه بعين الاعتبار. السابع عشر كونه مشرف
المنار ومنار الاسلام الاعمال الصالحات التي تهتدي به السالكون كالعبادات الخمس ونحوها وظاهر كونه مشرفة
عالية على غيرها من العبادات السابقة. الثامن عشر كونه مشرق الجواد وهو قريب من ابلج المناهج. التاسع عشر
كونه مضيء المصابيح وكنى بها عن علماء الاسلام وائمته كناية بالمستعار ورشح بذكر الاضاءة وكنى بها عن ظهور
العلم منهم واقتداء الخلق بهم ويحتمل ان يريد بالمصابيح ادلة الاسلام كالكتاب والسنة. العشرون كونه كريم
المضمار مستعار لما وقد سبق بيانه. الحادي والعشرون كونه رفيع الغاية ولما كانت غاية الوصول الى
حضرة رب العالمين التي هي جنة المأوى لا جرم كان رفيع الغاية اذ لا غاية ارفع منها ولا مرتبة اشرف. الثاني والعشرون
كونه جامع الحلبة واستعار لفظ الحلبة المقيمة فانما حلبة الاسلام كالسنينة ووجه الاستعارة كونها محل
الاجتماع بها للسباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل للسباق الى الرهن. الثالث والعشرون كونه
متنافس السبقة ولما كانت سبقته الجنة كانت اشرف ما يتنافس فيه. الرابع والعشرون كونه شريف الفرسان

واستعار

واستعار لفظ الفرسان لعلمائه الذين هم فرسان العلوم رجالها ملاحظة لشبهه بالفرس الجواد الذي لا يجارى
راكبه. الخامس والعشرون والتصديق منهاجه وهذا الى آخره تفسير لما اجمل قبله من منهاجه ومناره وغايته و
مضماره وحلبته وسبقته وانما جعل الموت غاية اي الغاية القريبة التي هي باب الوصول الى الله تعالى ويحتمل ان
يريد بالموت موت الشهوات فانها غاية قريبة للاسلام ايضا وكذلك استعارة لفظ السبقة لجنة لكونها الثمرة
المطلوبة والغاية من الدين كان السبقة غاية سعي المتراهنين. **منها** في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله حتى اورى
قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك نزله و
شرف لديك منزله وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين
ولا ضالين ولا مفتونين. قال السيد رضه وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا اننا كررناه هنا لما في الروايتين من الاختلاف
اقول القبس الشعلة واورى اشعل والحابس الواقف بالمكان والنزل ما يهيأ للنزيل من ضيافة ونحوها
والسناء الرفعة والزمرة الجماعة من الناس والناكب المنحرف عن الطريق فقوله حتى اورى الى قوله لحابس غاية
لكلام قبله فيه النبي ص وذكر فيه جهاده واجتهاده في الدين الغاية المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار
الدين المشتعلة لتقتبس منها نفوس الخلايق انوار الهدى وكذلك استعار لفظ العلم واسند اليه تنويره ويفهم
منه امران احدهما انه اظهر انوارا جعلها اعلاما يهتدى بها في سبيل الله من حبسته ظلمة الحيرة والشبهة عن سلوكها
فوقف على ساق التحير كقوله واذا اظلم عليهم قاموا وكنى بذلك الاعلام عن آيات الكتاب والسنن. الثاني
ان يكون المراد بالاعلام ائمة الدين وتنويره لها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية من الكمالات والعلوم. وقوله
فهو امينك المأمون اي على وحيك وشهيدك يوم الدين اي على خلقك وبعيثك نعمة اي مبعوثك اليهم نعمة عليهم
بهدايتهم الى جنتك ورسولك بالحق رحمة لعبادك ان يقعوا في هاوية الهلاك بسخطك وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ثم اردف ذلك بالدعاء له صلى الله عليه وآله فدعا الله ان يقسم له مقسما من عدله ولما كان مقتضى عدل الله
ان يبلغ نفسا هي محل الرسالة اقصى ما استعدت له من درجات الكمال وبعدها بذلك كمال الاعداد عاد ان يقسم
له ضعفا واخذ من عدله به لدرجات من قرب الوصول الغير المتناهية وقوله واجزه مضاعفات الخير من فضلك
لما كان ما يستحقه زائدا على ذلك فدعا بان يتفضل عليه بزيادة من فضله فيضاعف له ما يستحقه من الخيرات
وقوله اللهم اعل على بناء البانين بناءه دعا بان يشيد ما بناه من قواعد الدين على ساير بناء البانين الشرايع من الرسل
قبله او اراد ما بناه لنفسه من مراتب الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعاه ان يكرم لديه ما هيأه له من الثواب
الجزيل وان يشرف مقامه في حضرة قدسه وان يؤتيه ما يتوسل به اليه ويقربه منه وهو ان يكمل استعداده
لما هو اتم القوة على الوصول اليه وان يعطيه الرفعة ويشرفه بالفضيلة التامة وان يحشره في زمرته على حال
غير خازين اي بتباع الذنوب ولا نادمين على التفريط في جنب الله والتقصير في العمل بطاعته ولا ناكبين
منحرفين عن سبيله الى احد طرفي التفريط والافراط ولا ناكثين لعهوده ومواثيقه التي واثق بها خلقه ان
يعبدوه ويخلصوا له الدين ولا ضالين عن سواء السبيل العدل ولا مفتونين بالشبهات الاباطيل والله الموفق

منها في خطاب أصحابه وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها إماؤكم وتوصل بها جيرانكم ويعظمكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه إمرة وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم وألقيتم إليهم أزمتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **أقول** صدر هذا الفصل تذكيرهم المنزلة التي أكرمهم الله بها من الإسلام والهداية للإيمان وما في تلك المنزلة من الفضل حتى عمت حرمتها إماءهم وجيرانهم وإن كانوا غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف سطوتهم وظاهر أن سبب ذلك كله هو كرامة الإسلام والهداية للإيمان ثم عاد في نعم الله عليهم وأردف ذلك بالتوبيخ لهم على التقصير في أداء واجب حقه وأشار إلى ارتكابهم لبعض أسباب كفران نعمته وهو عدم إنكارهم لما يرون من نقض عهود الله وسكوتهم عليها وعدم غضبهم منها كالراضين بذلك وأراد بذلك بغي البغاة وخروج الخوارج وسائر المنكرات في مثل ذلك مع تمكنهم من إزالته وإنكاره بالجهاد وشكرهم لا لكره والراد في قوله وأنتم لحال أي وأنتم مع ذلك لنقض ذمم آبائكم تأنفون إذ كان يجب منكم بطريق الأولى أن تأنفوا لعهود الله أن تنقض وذممه أن تخفر ثم ذكرهم تفريطهم وتهاونهم في الأمور التي كان الله سبحانه فوضها إليهم وجعلهم موردها ومصدرها من أمور الإسلام والأحكام والتسلط به على سائر الناس ولكنهم بتمكينهم الظلمة في منزلتهم تلك من الإسلام وإرادة بالظلمة معاوية وقومه وتمكينهم لتخاذلهم عنهم وإلقائهم إليهم أزمة الأمور إليهم بذلك ولفظ الأزمة مستعار للأمور التي سلموها إليهم أحوال بلاد الإسلام كل ذلك بالتقصير عن مجاهدتهم وعملهم بالشبهات عملهم على وفق أوهامهم الفاسدة وآرائهم الباطلة التي تزيد هواها يجعلها فعلون وسيرهم في الشهوات قطع أوقاتهم بالانهماك في مقتضيات الشهوة وقوله وايم الله إلى آخره تحذير لهم وإنذار بما سيكون من بني أمية من جمع الناس في بلائهم وشرورهم وعموم فتنتهم وكنى باليوم عن مدة خلافتهم التي كانت شرا لهم وكانت على الإسلام وأهله وإنما نسب التفريق إليهم والجمع إلى الله تعريفا لما سيتنزل بقدره من ابتلاء الخلق بهم كأنهم لو فرقوهم في أطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفريق عن لحوق قدر الله بهم ولم يمنعهم من نزوله بجمعهم بما يراد لهم من الابتلاء بدولة بني أمية وشرورها وأحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد الله ظاهرة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** في بعض أيام صفين · وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والأنف المقدم والسنام الأعظم ولقد شفى وحاوح صدري أن رأيتكم بأخرة تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها **أقول** الجولة الدورة والانحياز الميل والطغام أوغاد الناس واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس واليآفيخ جمع يافوخ وهو ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره والوحاوح جمع وحوحة وهي صوت فيه بحح يصدر عن المتألم والحس الاستئصال والنصال جمع نصل السيف والشجر الطعن وتذاد تساق وتطرد وفي هذا الفصل تبكيت لأصحابه بانحيازهم عن عدوهم وتقريع

ثم

ثم تحنن إليهم وأغراهم بعد ذلك بالقتال بمدحه لهم وذكر أنه قد رأى منهم ذلك قوله وقد رأيت إلى قوله أهل الشام أي وقد رأيت تحاذلكم عنهم حتى حازكم أراذل أهل الشام مع أنكم أهل الشرف وسادات العرب واستعار لفظ اليآفيخ لهم إذ كانوا بالنسبة إلى العرب في علوهم وشرفهم كاليآفيخ بالنسبة إلى الأبدان وكذلك استعار لفظ الأنف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم كعزة الأنف وتقدمه وحسن الوجه به بالنسبة إلى باقي الأعضاء وكعزة السنام وعلوه بالنسبة إلى باقي أعضاء الجمل ثم أردف ذلك التبكيت والتذكير بالرذيلة بذكر فضيلتهم التي محوا بها ما في حرفهم لعدوهم بالآخرة كحوزهم لهم أولا وإزالتهم لهم عن مواقفهم كما أزالوهم وحسهم واستئصالهم وطعنهم بالرماح تأنيبا وإعلاما لهم أنهم لا يثبتوا على مثل هذه الأفعال في مثل تلك المواقف وعدد ذلك شفاء لوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجده من التألم بسبب انكسار أصحابه وغلبة عدوهم لهم وشبههم في تضعضعهم وركوب بعضهم بعضا منهزمين بالإبل العطاش التي اجتمعت على الحياض لتشرب ثم طردت ورميت عنها بالسهام وذيدت عن ورودها فإن طردها على ذلك الاجتماع يوجب أن يركب بعضها بعضا ويقع بعضها على بعض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** وهي من خطب الملاحم · الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير روية إذ كانت الرويات لا تليق إلا بذوي الضمائر وليس بذي ضمير في نفسه خرق علمه باطن غيب السترات وأحاط بغموض عقائد السريرات **أقول** مما استنبط باعتبارات في حمده اعتبار تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة أن تجليه يعود إلى إظهاره معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده حتى اشتبهت كل ذرة من مخلوقاته مرآة ظهر فيها لهم فرأوه فيها على قدر قبولهم لمشاهدته وتفاوت تلك المشاهدة بحسب تفاوت استعداد العباد لعبادتهم فمنهم من يرى الصنعة أولا والصانع ثانيا ومنهم من يراهما معا ومنهم من يرى الصانع أولا ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره الثاني الظاهر لقلوبهم بحجته أي الواضح وجوده لقلوب عقلية بأدلتهم وألسنتهم بيانا يتجه عليهم بذلك وهي إحكام الصنع وإتقانه في أنفسهم وإن احتاجوا إلى تنبيه بقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وكذلك في ملكوت السموات والأرض لقوله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء الآية وهو قريب مما أشار إليه الثالث خلقه الخلق بلا روية وذكر في كيفيته خلقه وأشار إلى برهان سلب الروية عنه بقوله إذ كانت الرويات لا يليق إلا بذوي الضمائر أي بذي قلب وحواس بدنية وليس الباري بذي ضمير في نفسه واقتباس من الشكل الثاني وترتيبه كل روية فلذي ضمير ولا شيء من واجب الوجود بذي ضمير فينتج أنه لا شيء من الروية لواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان مما سبق غير مرة الرابع كون علمه خارقا لباطن غيب السترات وهو إشارة إلى نفوذه في كل مستتر وغائب بحيث لا يحجبه ستر ولا يستره حجاب الخامس كونه محيطا بغموض عقائد السريرات أي بما دق من عقائد أسرار القلوب كقوله تعالى يعلم السر وأخفى **منها** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة وينابيع الحكمة **أقول** الذؤابة ما تدلى من الشعر ونحوه ونحوه وعلى كل شيء بسيطا وادها وسرة الوادي أشرف موضع فيه وفي هذا الفصل استعارات الأولى لفظ الشجرة لصنف الأنبياء عليهم السلم ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا أصل وفروع فروعه أشخاص الأنبياء وثمره العلوم والكمالات الإنسانية كما أن الشجرة ذات غصون وثمار نباتية

لفظ الشجرة آل ابرهيم ووجه المشابهة انها قد ظهرت منهم الانبياء وتفرع منهم ثمار النبوة ونور الهداية
كما يظهر نور المصباح من المشكاة الثالثة لفظ الذوابة ويشبه ان يشير به الى قريش ووجه المشابهة تقدمهم في
الشرف والعلو من ابائهم كتقدم ذوابة الشعر من الراس الرابعة سرة البطحاء واشار به الى اختياره من اهل
بيت مكة فانها سرة الخامسة استعارة لفظ المصابيح للانبياء ووجه المشابهة ظاهر وقد مر غير مرة كونهم مصابيح ظلمات
الجهل السادسة استعارة لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة منهم كفيضان الماء من ينابيعه **منها**
طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ
بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي
ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَأَسْفَرَتِ
السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ
وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ وَأَيْقَاظاً نُوَّماً وَشُهُوداً غُيَّباً وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ
عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ
إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ
مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ وَتَخْدَعُكُمُ
الْكَوَاذِبُ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَأَحْضِرُوهُ
قُلُوبَكُمْ وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ وَ
قَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ
وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا
عَلَى الدِّينِ وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً وَالْمَطَرُ قَيْظاً وَكَانَ أَهْلُ
ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً وَغَارَ الصِّدْقُ وَفَاضَ الْكَذِبُ
وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً وَالْعَفَافُ عَجَباً وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ
لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً **اقول** المواسم المياسم التي يكوى بها وانجابت انكشفت والمتوسم المتفرس والضلة الضلال
والعكم بكسر العين العدل والبطينة الممتلئة والغياهب الظلم ويؤفكون يصرفون والفنيق الفحل المكرم والكظوم
للجمل سكوته عن جرته فقوله طبيب دوار بطبه كناية عن نفسه كناية بالمستعار فانه طبيب مرضى الجهل ورذائل
الاخلاق وكنى بدورانه بطبه تعرضه لعلاج الجهال من دائهم ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم
لما عنده من العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ المواسم لما يتمكن منه من اصلاح من لا ينجع فيه الموعظة والتعليم
بالقتل وسائر الحدود فهو كالطبيب الكامل الذي يحكم المراهم والادوية والمكاوي لما لا ينجع فيه المراهم
يضع كل واحد من ادويته ومواسمه حيث الحاجة اليه من قلوب عمي عن تعقل ما باعدادها لقبول انوار العلم والهداية
لسلوك سبيل الله ومن اذان صم بعدها لقبول المواعظ وتجوز بلفظ الصم في عدم انتفاع النفس بالمواعظ
من جهة الاذن كما لفظا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اذ كان الصم يستلزم ذلك العدم ومن السنة بكم يطلقها بذكر الله

والحكمة

والحكمة واطلق لفظ البكم مجازا في عدم المطلوب منها بوجودها وهو التكلم بما ينبغي فانها لفقدها ذلك المطلوب
كالبكم وقوله متتبع منه بطبه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال وكذلك اشار اليهم بانهم
لم يستضيئوا باضواء الحكمة اي لم يكتسبوا شيئا من العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة التي
تكشف سترات الحجب كما يستضيء بازناد النار وقوله فهم في ذلك اي في عدم استضاءتهم باضواء الحكمة كالانعام
السائمة والصخور القاسية ووجه المشابهة بينهم وبين الانعام استواؤهم في الغفلة والانحطاط في سلك الشهوة
والغضب دون اعتبار شيء من حظ العقل وعدم التنبه له كالانعام السائمة وبينهم وبين الصخور قساوة
قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله واياته كما قال تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وقوله قد انجابت السرائر لاهل البصائر اشارة الى انكشاف ما يكون بعده من الفتنة
ولمن تفرس ما يكون من ملوك بني امية وعموم ظلمهم من اولي التجارب والفطن السليمة ويحتمل ان يريد بالسرائر
اسرار الشريعة وانكشافها لاهلها وقوله ووضحت محجة الحق لخابطها اشارة الى وضوح الشريعة وبيان طرقها
وفائدة القضية الاولى التنبيه على النظر في العواقب وفائدة الثانية الجذب الى اتباع الدين وسلوك
سبيل الله اذ لا عذر للخابطين في جهالاتهم بعد وضوح دين الله وقوله واسفرت الساعة عن وجهها اي بدت
مقبلة ولما كان وجه الشيء اول ما يبدو منه كنى به عما بدا من امر الساعة وهو قيام الفتن واشراطها وقوله
وظهرت العلامة لمتوسمها اي علامة قيام الساعة وهي الفتن المتوقعة المتفرسة من بني امية ومن بعدهم وذكره
لاستشعار الساعة وعلاماتها تنبيه وترغيب في العمل لها وقوله ما لي اراكم اشباحا بلا ارواح تشبيه لهم في عدم
انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية من الارواح كما قال تعالى كانهم خشب
مسندة وقوله وارواحا بلا اشباح قيل فيه وجوه الاول ان ذلك مع ما قبله اشارة الى نقصانهم اي ان
منهم من هو شبح بلا روح كما سبق ومن كان له روح منهم فلا قوة له بامر الحرب ولا نهضة معه فهو كروح خلت
عن بدن فهم في طرفي تفريط وافراط الثاني قيل كنى بذلك عن عدم نهضة بعضهم الى الحرب دون بعض اذا
دعوا اليه كما لا يقوم البدن بدون الروح ولا الروح بدون البدن الثالث قال بعضهم اراد انهم ان خافوا
ذهلت عقولهم وطارت البابهم فكانوا كاجسام بلا ارواح وان امنوا تركوا الاهتمام باموريهم وضيعوا
الغرض ومصالح الاسلام حتى كانهم في ذلك ارواح لا تعلق لها بالحاجة الى الاجسام وقوله ونساكا بلا صلاح
اشارة الى ان من تزهد منهم تزهد ظاهري ليس عن صلاح سريرته وقيل اراد من تزهد منهم عن جهل فانه وان
عمل الا ان اعماله لما لم تكن عن علم كانت ضائعة واخرج على غير الوجه المرضي والمامور به كما روي عن الرسول
الزاهد الجاهل مسخرة الشيطان وقوله تجارا بلا ارباح اشارة الى من يتاجر منهم بالاعمال الفاسدة وهو يعتقد
كونها قربة الى الله مستلزمة لثوابه وليس كذلك ولفظ التجار والربح مستعاران ووجه الاستعارتين ظاهر
وقوله وايقاظا نوما كنى بنومهم عن نوم نفوسهم في مراقد الطبيعة ومهاد الغفلة وهم مع ذلك ايقاظ العيون
نوم العقول وقوله وشهودا غيبا اي شهودا بابدانهم غيبا بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله والتلقي لزواجره
من المواعظ والاوامر الالهية وقوله وناظرة عمياء اراد وعيونا ناظرة عمياء اي عن تصفح اثار الله للعبرة بها والاطلاع

ثم امر الآخرة فهي تشبيه العمى في عدم الهداية بها وقوله وسامعة صماء اي واذان سامعة للاصوات صماء عن
نداء الله والناصح من كلامه فهي تشبيه الصم في عدم الفائدة المقصودة وقوله وناطقة بكماء اي والسنة ناطقة
بكماء عن النطق بما ينبغي فاشبهت البكم ولفظ العمياء والصماء والبكماء مستعار للمشابهات المذكورة وقد راعى
في ذلك القضايا في الالفاظ واراد في عيون واذان والسنة بالصفات المذكورة اي خالية عن الفائدة
وقوله راية ضلالة لما نبههم وايقظهم بالتوبيخ والتقريع والتنقيص التي اليهم ما ينبغي ان يحترزوا منه ويأخذوا
اهبتهم له من ظهور الفتن المتوقعة بني امية وكنى عن ظهورها بقوله راية ضلال والتقدير هذه راية ضلالة وكنى بقيامها
على قطبها عن اجتماع اهلها على تلك الفتنة ورضيهم بها وكنى بالقطب عنه كناية بالمستعار وتفرقها وتشعبها
انتشارها في الآفاق وقوله في اخرى منها ثم استعار لفظ الكيل لقذفهم واهلاكهم زمرة زمرة ملاحظا لشبهها
بالكيال في اخذه بالكيل جذة جذة ورشح بلفظ الصاع وكذا استعار لفظ الخبط لايقاع السيف والاحكام الجائرة
فيهم على غير قانون ديني ولا نظام حتى تشبيها بالبكرة النفور من الابل التي تخبط ما تلقاه بيديها ورشح الاستعارة
بذكر الباع ولم يقل بيده لان ذكر الباع ابلغ في البعد عن قوة الخبط وقوله قايدها خارج عن الملة اي خارج عن الدين
والشريعة فاسق عن امر الله قائم على الضلالة اي مقيم على الضلالة وقوله فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر
استعار لفظ الثفالة وكنى به عمن لا خير فيه من الاراذل ومن لا ذكر له ولا شهرة وشبه اولئك بثفالة القدر
لكونهم غير معتبرين وقوله نفضة العكم وهو ما يبقى في اسفل العدل من اثر الزاد او الحنطة ونحوها
ثم استعار لفظ العرك لتقلب الفتن بهم ورعيهم وتذليلهم بها كما تذل ويلين الاديم وكذا استعار لفظ الدوس
لاهانتهم وشدة امتهانهم اياهم بالبلاء وشبه ذلك بدوس الحصيد من الحنطة ونحوها وهو ظاهر ثم اشار الى
استقصاء اهل تلك الضلالة على المؤمنين واستخلاصهم لهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك الاستخلاص باستخلاص
الطير الحبة السمينة الممتلئة من القارعة الهزيلة وذلك ان الطير ترتاد بمنقاره سمين الحب من هزيله فتخلي عن الهزيل
منه ثم اخذ ينبههم على سبيل التهكم والتقريع لهم بقيا نبهتهم على غوايتهم فسالهم عن غاية اخذ مذاهب الضلال بهم ومما
بهم ظلم الجهالات اليه من المطالب وعما يخدعهم او ما الكواذب جاذبة لهم اليه منكرا عليهم مطلوبا اخر غير الله
تعالى من طريق غير شريعته ثم سالهم عن الجهة التي تؤتون منها اي من اين اتكم هذه الامراض وهو تنبيه على ان
الداخل انما دخل عليهم من جهلهم لكن هذا وجه من البلاغة ذكرنا انه يسمى تجاهل العارف وهو كقوله تعالى فاين
تذهبون وكذلك قوله فاني تؤفكون اي متى تكون انصرافكم عما انتم عليه من الغفلة وقوله ولكل اجل
كتاب ولكل غيبة اياب تهديد بالاشارة الى قرب الموت وانهم بمعرض ان ياخذهم في غفلتهم فيلحقوا
من الاخسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة منه والتاهب لعالم الربوبية المتجلية ثم باحضار قلوبهم و
التفاتهم باذهانهم الى ما يقول ثم بالاستيقاظ من نوم الغفلة عند هتفه بهم ونداءه لهم وقوله وليصدق رائد
اهله مثل نزله ههنا على مراده اصله لا يكذب رائد اهله فاستعار لفظ الرائد للفكر ووجه المثل ان الرائد
لما كان هو الذي يبعثه القوم لطلب الكلأ والماء اشبهه الفكر في كونه مبعوثا من قبل النفس في طلب مرعاها
وماء حيوتها من العلوم وسائر الكمالات فكنى به عنه واهله ها هنا الانسان هو النفس [illegible] الكمال الحقيقي

الطاير

انكاركم وتخيلكم نفوسكم وصدقها اياها اقتربنا في باب اشارة العقل فيها بقوله وليشير به دون الثقات
الى ما ركة الهوى فان الرايد اذا ارسله النفس عن حركة ميل شهواني كذبها وزينها بزوره ويحتمل ان يريد
بالرايد اشخاص من حضر عنده فان كلا منهم لاهل ومن خلفه يرجع اليهم فامره ان يصدقهم امره ويبلغ ما سمع من الوعظ
الذي يعني والنصيحة به والدعوة اليه كما يرجع طالب الكلأ والماء الواجد لهما الى قومه فيبشرهم به ويجليهم اليه
وقوله وليجمع شمله اي ما تفرق وتشعب من خواطره في امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اي يوجهه الى القول
وقوله فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة بشقها وقرفه قرف الصمغة اي اني ابين لكم علمه بالكلية والنصيحة فيه فلم
يدخر عنكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة قارفها فقال تركته على مثل قرف الصمغة اذا لم يترك له شيئا
لان الصمغة تقلع من شجرها حتى لا يبقى عليها علقة وقوله فعند ذلك متصل بقوله من بين هزيل الحب اي فعند
ما يفعل بكم تلك الفتن وراية الضلال ما تفعل فقد اخذ الباطل ماخذه اي استحكم وثبت واخذ مقاره
وكذا ركب الجهل مراكبه اي كان ذلك وقت حكمه ملاحظا تشبيهه بالمستعد للغارة قد ركب خيله وكنى
بمراكبه عن الجهال وقوله وعظمت الطاغية اي الفتنة الطاغية التي تجاوزت في عظمها الحد والمقدار وقلت
الراعية اي رعاة الدين واهله الذين يحوطون حوزته اي الفرقة الراعية وروي الداعية اي الفرقة الداعية
الى الله وقوله وصال الدهر صيال السبع العقور استعار وصف الصيال للدهر ملاحظا تشبيهه
بالسبع ووجه الاستعارة كون الدهر مبدأ قويا لتلك الشرور الواقعة فاشبه السبع الضاري العقور
في شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل ورشح الاستعارة بذكر الهدير والكظوم ووجه المشابهة
ظهور الباطل او اكرام اهله وتمكنهم من الامر والنهي كالفحل المكرم ذي الشقشقة وعنى بالهدير ظهورهم وتمكنهم
وبالكظوم خفاء الباطل وخمول اهله في زمان ظهور الحق وقوته وقوله وتواخي الناس على الفجور اي كان
اتفاقهم ومحبة بعضهم لبعض على الفجور والتباغض على الصدق داخل تحت اتفاقهم على الدين والغرض يتجدد
ذلك اشتغل كل امرئ بنفسه ينجو بها فيكون الولد الذي هو اعز محبوب غيظا لوالده اي من اسباب
غيظه واطلق لفظ الغيظ عليه اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقوله والمطر قيظا جعل وقوع المطر
قيظا من علامات تلك الشرور وهو ايضا مما يعد شرا لانه لا يثمر نباتا ولا يقوم عليه زرع ويفسد الثمار
القائمة وكانه كنى به عن انقلاب احوال الخير شرا وقوله وكان اهل ذلك الزمان الى قوله امواتا اهل
كل زمان ينتسبون الى ملوك اكابر واوساط واراذل فاذا كان زمان العدل كان اهله في نظام
سلكه فيفيض عدل الملوك على من يليهم ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهي الى اراذل الناس واذا كان زمان
الجور فاض الجور كذلك فكانت السلاطين سباعا ضارية مفترسة لكل ذي سمن وكان اهل ذلك الزمان
والاكابر ذئابا ضارية على اوساط الناس وكانت الاوساط اكالا لهم وكانت الفقراء امواتا لانقطاع
مادة حيوتهم ممن هو اعلى منهم رتبة وتجوز بلفظ الاموات عن غاية الشدة والبلاء لكون الموت غاية ذلك
اطلاقا لاسم السبب الغائي على سببه ثم استعار لفظ الغيض لقلة الصدق والفيض لظهور الكذب
وكثرته ملاحظا لشبههما بالماء واستعمال المودة باللسان اشارة الى النفاق وهو التودد بالقول مع

ابتاعدها بالقلوب وعقد الها البغض والحسد واستعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظة لشبهها بالرماح فكما
ان الرماح تتشاجر فكذلك قلوب بعضهم بعقد شباك بعض والطعن فيه بانواع المكائد وكنى بلفظ التشذب عن
وجه المشابهة كون الحق منهم يوشك بسبب التواصل والتزاور والتحابب كما ان النبت كذلك وصار الفعاف
مما لعله وجوده ونضرته منهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من احسن التشبيه والمشبه به ههنا هو لبس
الفرو ووجه الشبه كونه مقلوبا وبيانه انه لما كان الغرض الاصلي من الاسلام ان يكون باطنا ينتفع به القلب
ويظهر فيه منفعته فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو
اذ كان اصله ان يكون حمله ظاهر المنتفع بحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ

اقول هذا الفصل من اشرف الفصول
المشتملة على توحيد الله وتنزيهه واجلاله وتعظيمه واللهف الحزن والملهوف المظلوم يستغيث والابد الدائم
والامد الغاية وحاص عن الشيء عدل وهرب والمحيص المهرب وفيه اعتبارات ثبوتية وسلبية اما الثبوتية
فعشرة الاول خشوع كل شيء له والخشوع مراد هنا بحسب الاشتراك اللفظي اذ الخشوع من الناس يعود الى تطامنهم
وخضوعهم له ومن الملائكة دوامهم في عبادتهم ملاحظة لعظمته ومن ساير الممكنات انفعالها عن قدرته وخضوعها
في رق الامكان والحاجة اليه والمشترك وان كان لا يستعمل في جميع مفهوماته حقيقة فقد بينا انه يجوز استعماله
مجازا فيها بحسب القرينة وهي هنا اضافته الى كل شيء او لانه في قوة المتعدد كقوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي فكانه قال الملك خاشع له والبشر خاشع له وهذا الاعتبار يستلزم وصفه تعالى باعتبارين
احدهما كونه عظيما والثاني كونه غنيا اما العظيم فينقسم الى ما يكبر حاله في النفس ولكن يتصور ان يحيط بكماله العقول
ويقف على كنه حقيقته والى ما يمكن ان يحيط به بعض العقول وان فات الاكثر وهذان القسمان انما يطلق عليهما
لفظ العظيم بالاضافة وقياس كل الى ما دونه فيما هو عظيم فيه والى ما لا يتصور ان يحيط به العقل اصلا وذلك
هو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول ان تقف على صفات كماله ونعوت جلاله وليس هو الا الله تعالى
واما الغنى فسنذكره الثاني في قيام كل شيء به واعلم ان جميع الممكنات اما جواهر او اعراض وليس شيء منها
يقوم بذاته في الوجود اما الاعراض فظاهر لظهور حاجتها الى المحل الجوهري واما الجوهر فلان قوامه في الوجود
انما يكون بقيام علله وينتهي الى الفاعل الاول جلت عظمته فهو اذن الفاعل المطلق الذي به قوام كل موجود

في الوجود

في الوجود واذ ثبت انه تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت ان به قوام كل شيء ثبت انه القيوم المطلق اذ مفهوم
القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره فكان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف الثالث كونه تعالى غنى كل فقير وبيان
جعل الفقر ههنا اعم من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة ليتم التمجيد كما ان الغنى هو سلب مطلق الحاجة واذ ثبت
ان كل ممكن فهو مفتقر في طرفيه منته في سلسلة الحاجة اليه وانه تعالى المقيم له في الوجود ثبت انه تعالى رافع حاجة كل موجود
بل كل ممكن وهو المراد بكونه غنى له واطلق عليه تعالى لفظ الغنى وان كان الغنى به مجازا اطلاقا لاسم السبب على
المسبب الرابع كونه عز كل ذليل وقد سبق ان معنى العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة
ويصعب الوصول اليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلثة سمي عزيزا وسبق ايضا ان هذه المفهومات
مقولة بالزيادة والنقصان فيما تصدق عليه وانه ليس الكمال في واحد منها الا لله سبحانه ويقابله الذليل
واذ ثبت انه تعالى عز كل موجود لان كل موجود سواه انما يتحقق فيه هذه المفهومات الثلثة منه سبحانه اذ النظم
سلسلة الوجود والواضع لكل من الموجودات في رتبته من النظام الكلي فهو عز كل موجود وكل موجود ذليل
في رق الامكان والحاجة اليه في اي هذه المفهومات الثلثة عليه فهو اذن عز كل ذليل واطلاق لفظ العز
عليه كاطلاق لفظ الغنى الخامس وقوة كل ضعيف القوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع
ويقابلها الضعف وهما مقولان بالزيادة والنقصان على من يطلقان عليه واذ ثبت انه تعالى مستند جميع الموجودات
والمفيض على كل قابل ما يستعد له ويستحقه فهو المعطي لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كماله وقوته فهو قوة لكل
ضعيف بالمعنيين المذكورين لما روي ان الحسن قال واعجبا لنبي الله لوط اذ قال لقومه لو ان لي بكم
قوة او آوي الى ركن شديد اتراه اراد ركنا اشد من الله تعالى واطلاق لفظ القوة عليه كاطلاق لفظ الغنى
ايضا السادس كونه مفزع كل ملهوف اي اليه يلجأ كل مضطر في ضرورته حال حزن او خوف او ظلم كما قال
تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجأرون واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فكل مفزع وملجأ
غيره فلمضطر لا لكل مضطر ومجازا لا حقيقة واما هو فلا حقيقي وهذا الاعتبار يستلزم كمال القدرة مع لشهادة
فطرة ذي الضرورة نسبة جميع احوال وجوده الى جوده ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته باطلاعه على ضرورته
وذلك كونه سميعا بصيرا وخالقا ومجيبا للدعوات وغيرها ونحوها من الاعتبارات السابع كونه من تكلم سمع
نطقه الثامن من سكت علم سره وهما اشارتان الى وصفي السميع العليم ولما كان السميع يعود الى العالم
بالمسموعات استلزم الوصفان احاطته بما اظهر العبد وابداه وما اسره واخفاه في حالتي نطقه
وسكوته وقد سبقت الاشارة الى ذلك التاسع ومن عاش فعليه رزقه العاشر ومن مات فاليه
منقلبه وهما اشارتان الى كونه تعالى مبدأ العباد في وجودهم وما يقوم به عاجلا ومنتهى وغاية لهم آجلا
فاليه رجوع الاحياء منهم والاموات وبه قيام وجودهم حالتي الحيوة والممات الحادي عشر من الاعتبارات
السلبية لم ترك العيون فتخبر عنك وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك نعبد
وهذا الالتفات وحكمه يستلزم شدة عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه وحسنه معلوم في علم البيان واعلم
ان هذا الكلام لابد فيه من تجوز او اضمار وذلك ان فاعل الرائي هو العيون كما عليه اللفظ وتصدق

حقيقة لزم اسناد قول فخبر اليها مجازا لكون الاخبار ليس لها وان راعينا عدم المجاز لزم ان يكون التقدير
لم ترك العيون فتخبر عنك اربابها او لم ترك ارباب العيون فتخبر عنك فيلزم الاضمار ويلزم التعارض
بينه وبين المجاز لكن قد علمت في مقدمات اصول الفقه انهما سيان في المرتبة وغرض الكلام تنزيهه تعالى
عن وصف المشبهة ونحوهم واخبارهم عنه بالصفات التي من شانها ان يخبر عنها الراؤون فمن شاهده جهة
مع اعترافهم بان اخبارهم ذلك من غير رؤية ولما كان الاخبار عن المحسوسات وما من شانه ان يحس انما
يصدق اذا استند الى الحس لا جرم استلزم سلبه رؤية العيون لسلب الاخبار عنه من جهتها وكذب
الاخبار عنه بما لا يعلم الا من جهتها ويخبر وان كان في صورة الاثبات الا انه منفي لنفي لازمه وهو رؤية
العيون له اذ كان الاخبار من جهتها يستلزم رؤيتها ونصبه باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي والكلام
في تقدير شرطية متصلة صورتها لو صح اخبار العيون عنك لكانت قد راتك لكنها لم ترك فلم يصح ان تخبر
عنك فيما قول بل كذب قول الواصفين من خلقك فتكذيب سلب الرؤية المستلزم لسلب الاخبار عنها حينئذ
ضمير تقديره كبراه وكل من كان قبل واصفيه لم يره فلم يخبر واصفه وهذه الكبرى من المظنونات المشهورات
في بادي النظر وهي كما علمت من مواد قياس الخطيب وان كانت اذا تعقبت لم توجد كلية اذ ليس كلما وجد طلبا
بطل اخبارنا عنه ويمكن حمل هذا القول على وجه التحقيق وهو ان نقول المراد بحقيقته ما هو اصل حقيقته
وجوده بالعلية الذاتية وهي بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزيهه تعالى عن الجسمية ولواحقها المستلزم لامتناع
الرؤية المستلزم لكذب الاخبار عنه من وجهات بنية الحسية الثالث عشر كريم لم يخلق الخلق لوحشة وهو اشارة
الى تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستانس وقد سبق بيان ذلك في الخطبة الاولى الثالث عشر ولا استعملهم
لمنفعة اي لم يكن خلقه لهم لمنفعة تعود اليه وقد سبق بيان ان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج المنزه
قدس الله عنه الرابع عشر لا يسبقك من طلبت اي لا يفوتك هربا الخامس عشر ولا يفلتك من اخذت
اي لا يفلت منك بعد اخذه فحذف حرف الجر وعدى الفعل بنفسه كما قال تعالى واختار موسى قومه
وهذان الاعتباران يستلزمان كمال الملك وتمام قدرته واحاطة علمه اذ اي ملك فرض فقد خرج من يده الاخر
ولا يهن من امره الماخوذ بالحيلة ونحوها السادس عشر ولا ينقص سلطانك من عصاك السابع عشر ولا يزيد
في ملكك من اطاعك وهما تنزيه له تعالى عن احوال ملوك الدنيا اذ كان كمال سلطان احدهم بزيادة جنوده
وكثرة مطيعيه وقلة المخالف والعاصي له ونقصان ملكه بعكس ذلك وهو سبب تسلط اعدائه عليه وطمعهم
فيه فاما سلطانه تعالى فلما كان لذاته وكمال قدرته مستويا وهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك
ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير لم يتصور رجوع العاصي بعصيانه
عن سلطانه حتى يؤثر في نقصانه ولم يكن لطاعة الطائع تاثير في زيادة ملكه الثامن عشر ولا يرد امرك
من سخط قضاءك يريد بالامر هنا القدر النازل على وفق القضاء الالهي وهو تفصيل القضاء كما بيناه وهذا
الاعتبار ايضا يستلزم تمام قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان ما علم وجوده فلا بد من وجوده سواء
كان محبوبا للعبد او مكروها له كما قال تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ان

عذاب

عذاب لواقع ماله من دافع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على
كل شيء قدير واما ضمن الساخط قضاءه بالعجز عن رده الا مراد كان من شانه ان يقدر رد القدر التاسع عشر
ولا يستغني عنك من تولى عن امرك اراد بالامر هنا ظاهره وهو امر عباده بطاعته وعبادته وظاهر ان
من تولى عن امره فهو اليه اشد فقرا وافتقر ذاتا ممن تولى امره وهذا الاعتبار يستلزم كمال سلطانه وغناه
المطلق العشرون كل سر عندك علانية الحادي والعشرون وكل غيب عندك شهادة وهذان الاعتباران
يستلزمان كمال علمه واحاطته بجميع المعلومات ولما كانت نسبة علمه تعالى الى المعلومات على سواء لا جرم استوى
بالنسبة اليه السر والعلانية وايضا فان السر والغيب انما يطلقان بالقياس الى من يخفى عنه ويغيب عنه
وهي القلوب المحجوبة بحجب الطبيعة واستار الهيئات البدنية والارواح المستولي عليها نقصان الامكان
الحاكم عليها بجهل احوال ما هو الكل هنا وكل ذلك مما تنزه قدس الصانع عنه الثاني والعشرون انت الابد
فلا امد لك اي انت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك وذلك لاستلزام وجوب وجوده
امتناع عدمه وانتهائه بالغاية وقال بعض الشارحين اراد انت ذو الابد كما قيل انت خال اي ذو خال
من الخيلة وهو الكبر واقول تقرير ذلك انه لما كان الازل والابد لازمين لوجوده تعالى اطلق الابد
على وجوده مجازا للمبالغة في الدوام كان احدهما هو بعينه الآخر كقولهم انت الطلاق للمبالغة في البينونة
الثالث والعشرون وانت المنتهى فلا محيص عنك الرابع والعشرون وانت الموعد فلا منجا منك الا اليك
اما انه تعالى المنتهى والموعد فكقوله تعالى وان الى ربك المنتهى وقوله الى الله مرجعكم جميعا والمنتهى كلاه
عليه السلام الغاية وقد سبق بيان انه تعالى غاية الكل ومرجعه واما انه لا معدل عنه ولا منجا منه الا اليه فاشارة
الى مزدوجة الغاية كقوله تعالى وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه الخامس والعشرون بيدك ناصية
كل دابة اي في ملكك وتحت تصريف قدرتك كقوله تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وانما خصت
الناصية لحكم الوهم بانه تعالى في جهة فوق فيكون اخذه بالناصية ولانها اشرف ما في الدابة فتسلطه
تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة السادس والعشرون واليك مصير كل نسمة وقد
سبق انه تعالى منتهى الكل واليه مصيره وقوله سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك اه تنزيه وتقديس له تعالى
عن احكام الاوهام على صفاته بتشبيه مدركاتها وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما شهد من مخلوقاته كالسماء
والافلاك والعناصر وما تركب عنها ثم من حقارة هذه العظيمة بالقياس الى ما يعتبره العقول من مقدوراته
وما يمكن في كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهية وظاهر ان نسبة الموجود الى الممكن في العظم والكثرة
يستلزم حقارته وصغره ثم من هول ما وصلت اليه العقول من عظمة ملكوته ثم من حقارته بالقياس الى ما غاب
عنها وحجبت عن ادراكه باستار القدرة وحجب العزة من الملا الاعلى وسكان حظائر القدس وحال
العالم العلوي ثم من سبوغ نعم الله تعالى على عباده في الدنيا وحقارتها بالقياس الى النعم التي اعدها
لهم في الآخرة وظاهر ان نعم الدنيا اذا اعتبرت الى نعم الآخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت
بالقياس اليها في غاية الحقارة وبالله التوفيق منها فمن ملائكة اسكنتهم سمواتك اه وفي هذا الفصل فصول

الاول قوله ع ومن ملائكة اسكنتهم سماواتك ورفعتهم عن ارضك هم اعلم خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك
لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون وانهم على مكانهم
منك ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة غفلتهم عن امرك لو عاينوا كنه ما خفي
عليهم منك لحقروا اعمالهم ولزروا على انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك ولم يطيعوك حق
طاعتك **اقول** المهين الحقير والتشعب الاقتسام والتفرق والمنون الدهر وريبه ما يكره من حوادثه والمكانة
المنزلة وكنه الشي نهاية حقيقته وزريت عليه عبت فعله واعلم ان من صدر هذا الفصل لبيان الجنس
وذلك انه عليه السلم لما شرع في بيان عظمة الله تعالى وجلاله جعل مادة ذلك التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر
الاشرف فالاشرف منها فذكر الملائكة السماوية واشار الى افضليتهم باوصاف الاول كونهم اعلم خلق الله
وهو ظاهر اذ ثبت ان كل مجرد كان علمه ابعد عن منازعة النفس الامارة بالسوء التي هي مبدا الغفلة والسهو
والنسيان كان اكمل في معارفه وعلومه من عداه ولان الملائكة السماوية وسائط لغيرهم في وصول
العلم وسائر الكمالات الى الخلق فكانوا كالاستاد لمن عداهم وظاهر ان الاستاد اعلم من التلميذ
وقد عرفت في الخطبة الاولى ان العارف يفوز بحب الشكل الثاني كونهم اخوفه وذلك لكونهم
اعلم بعظمة الله وجلاله وكل من كان اعلم بذلك كان اخوف له واشد خشية اما الاولى فظاهر واما الثانية
فلقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر خشيته في العلماء ويجب تفاوت العلم بالشدة والضعف
لكون تفاوت الخشية بها الثالث كونهم اقرب منه والمراد القرب المكاني لتنزهه تعالى عن المكان بل القرب
المنزلي والرتبة منه وظاهر ان من كان اعلم به واخوف منه كان اقرب منزلة عنده لقوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقيكم الرابع من سلب نقصانات البشرية عنهم وكونهم لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام
ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يختلف عليهم حوادث الدهر وظاهر كون هذه الامور الاربعة نقصانات
تلزم الحيوان العنصري لاستلزامها التغير وفي لطيفة المحال المستقذرة ومعاناة الاسقام والامراض
وسائر الآفات البدنية المانعة عن التوجه الى الله فكان سلبها عمن لا يجوز عليه من كمالاته وقوله وانهم على مكانهم
منك الى قوله عظمة الملائكة بالنسبة الى من عداهم شرع في المقصود وهو بيان عظمة الله تعالى بالنسبة اليهم و
حقارتهم على عظمتهم بالقياس الى عظمته وكبريائه اى انهم مع كونهم على هذه الاحوال التي توجب لهم العظمة
والاجلال من قرب منزلتهم منك وكمال محبتهم لك وغرقهم في انوار كبريائك عن الالتفات الى غيرك لو عرفوا
كنه معرفتك لصورت في اعينهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم الى عظمتك وجلال وجهك وما كان كمال
العبادة ومطابقتها للامر المطاع بحسب معارفهم القاصرة عن كنه حقيقته فكل من كانت معرفته اتم كانت عبادته
مزدونة مستغرقة في جانب عبادته حتى لو زادت معارفهم به والحق اطلاعهم على كنه حقيقته لزادت عبادتهم
وكانت الكل فاستحقروا ما كانوا فيه وعابوا انفسهم بقصور الطاعة والعبادة عما يستحقه كماله المطلق وغيره
وقلة الغفلة عن عدمها في حقهم مجاز اطلاق اسم الملازم على ملزومه اذ كان كل معدوم قليلا ولا ينعكس ومن جعل
قلة الغفلة في مقابلة كثرة الطاعة وتحمل ان يريد بقلة الغفلة قوة معرفة بعضهم بالنسبة الى البعض مجازا ايضا اطلاقا

لاسم اللازم على الملزوم اذ كانت قلة الغفلة مستلزمة لقوة المعرفة وزيادتها وقد سبق ذكر انواع الملائكة
السماوية وغيرهم وذكر طرف من احوالهم في الخطبة الاولى **الفصل الثامن** قوله ع سبحانك خالقا ومعبودا
بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت فيها مأدبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا
وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا يدعوا اليها فلا الداعي اجابوا ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت
اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصطلحوا على حبها ومن عشق شيا اعشى بصره وامرض قلبه
فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه
فهو عبد لها ولمن في يديه شي منها حيثما زالت زال اليها وحيثما اقبلت اقبل عليها لا ينزجر من الله بزاجر
ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى الماخوذين على الغرة حيث لا اقالة ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون و
جاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يامنون وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون فغير موصوف ما نزل بهم
اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم ثم ازداد الموت فيهم
ولوجا فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه يفكر
فيم افنى عمره وفيم اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها
قد لزمته تبعات جمعها واشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنا لغيره والعبء
على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره ويزهد فيما كان
يرغب فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت يبالغ في
جسده حتى خالط سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى حركات
السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطا به فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من جسده
فصار جيفة بين اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكيا ولا يجيب داعيا ثم حملوه الى مخط
من الارض واسلموه فيه الى عمله وانقطعوا عن زورته **اقول** المادبة بضم الدال وفتحها الطعام يصنع ويدعى
اليه والوله التحير لشدة الوجد والحزن واغمض اى ازداد من مطالبها وتساهل في وجوه الكسب بها ولم يحفظ دينه
والتبعة ما يلحق من اثم وعقاب والمهنا المصدر من هنؤ بالضم وهني بالكسر والعب الحمل واصحر انكشف
ورجع الكلام جوابه وترديده والالتياط الالتصاق والمخط موضع الخط كناية عن القبر لخطه اولا ثم يحفر ويروى
بالجيم ومخط القوم منزلهم وفي هذا الفصل نكت الاولى ان خالقا ومعبودا حالان انتصبا عما في سبحانك
من معنى الفعل اى اسبحك خالقا ومعبودا واشار بذلك الى وجوب تنزيهه في هذين الاعتبارين اعني اعتبار
كونه خالقا للخلق ومعبودا لهم عن الشركاء والانداد فانه لما انفرد بالابداع والخلق واستحق بذلك التفرد
تفرده بعبادة الكل له وجب تنزيهه عن مساواة غيره في الاعتبارين الثانية قوله بحسن بلائك عند خلقك خلقت
دارا الجار والمجرور متعلق بخلقت ولفظ الدار مستعار للاسلام ولفظ المادبة للجنة والداعي هو الرسول
وقد جعلها في خبر في بعض امثاله ص ان الله جعل الاسلام دارا والجنة مادبة والداعي اليها محمدا ووجه الاستعارة
الاولى ان الاسلام يجمع اهله ويحميهم كالدار ووجه الثانية ان الجنة مجمع الشهوات ومنبع اللذات كالمادبة

ويحتمل ان يريد بالدار الآخرة باعتبار كونها محلا ومستقرا للماوية في الجنة والمثوبات الثمانية بميزات
تلك الماوية وظاهر ان وجود الاسلام والجنة والدعوة اليها باحسن من الله تعالى وقد عرفت معنى ابتلائه
تعالى وقال بعض الشارحين ان قوله يحيى بها متعلق لسبحانك او بمعبود وهو بعيد الثالثة قوله فلا
الداعي اجابوا الى قوله يوعظ شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله وبيان لعيوبهم وعن قدمهم في
ابتاعهم حطام الدنيا وغايته اما المنتهين الاذعين لاوامر الله المجيبين لدعوته فتنفيرهم عن الركون الى اللهو
والوقوع فيها وتوابعه واما اولئك فتنبيههم عن مراقد غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلهم يرجعون واستعار
لفظ الجيفة للدنيا ووجه الشبه ان لذات الدنيا وقيناتها في نظر العقل وابصار الصالحين منفور عنها
ومهروب منها ومستقذرة كالجيفة وفي ذلك اشار الواصف لها . وما هي الا جيفة مستحيلة . عليها كلاب
همهن اجتذابها . فان تجتنبها كنت سالما لاهلها . وان تجتذبها نازعتك كلابها . ويمكن اخذ معنى الشبه
الثاني في وجه الاستعارة المذكورة وكذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها وجمعها والخروج
بها عن شيم الصالحين ووجه الاستعارة انه لما كان الاقبال على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الله من
اعظم الكبائر والمساوي في نظر الشارع والسالكين لطريق الله وكان الافتضاح عبارة عن الكشف في المساوي
المتعارف قبحها لا جرم اشبه الاشتهار بجمعها والكشف الحرص عليها الافتضاح ويمكن ان يصدق الافتضاح
هنا حقيقة وكنى بالكلاب عن جهالها وتجوز بلفظ الاصطلاح في التوافق على محبتها اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه
الاصطلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب ويلزمه الاتفاق على الاحوال وقوله من عشق شيئا اعمى بصره
وامرض قلبه كبرى قياس دل على صغراه قوله واصطلحوا على حبها لان الاصطلاح على محبة الشيء يستلزم محبته
وهو معنى العشق ونتيجة ان المذكورين في معرض الذم قد اعشت الدنيا ابصارهم وامرضت قلوبهم واستعار
لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبه المعقول بالمحسوس ولفظ العشى لظلمة الجهل ملاحظة لشبهه بالظلمة العارضة
للعين بالليل واسناده الى الدنيا يحتمل ان يكون حقيقة لاستلزامه حبها من الجهل والغفلة عن احوال
الآخرة ويحتمل ان يريد بالبصر حقيقته ويكون لفظ العشا مستعارا لعدم استفادتهم بابصارهم عبرتهم
عن جبال الدنيا الى ملاحظة احوال الآخرة يؤيده قوله فهو ينظر بعين غير صحيحة وكنى بعدم صحتها عما يلزم العين غير الصحيحة
من عدم الانتفاع بها في تحصيل الفائدة وكذلك استعار لفظ المرض الداء الاكبر وهو الجهل استعارة لفظ المحسوس
للمعقول وقوله فهو يسمع باذن غير سميعة كنى بذلك عن عدم انتفاعه بما يسمعه من المواعظ والزواجر الالهية كما سبق
وكذلك استعار لفظ الخرق لتفرق عقله في شعبات الدنيا ومطالبها ووجه الاستعارة ان العقل اذا استعمل
فيما خلق لاجله من اتخاذ الزاد ليوم المعاد واقتباس العلم والحكمة من تصفح جزئيات الدنيا والاستدلال
منها على وجود الصانع وما ينبغي له وتحصيل ما هو كمال السعداء في الآخرة فانه يكون منتظما منتفعا به واما ان
استعمل فيما لا ينبغي من جمع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة في تحصيل جزئياتها وضبطها حتى يكون ابدا في الحزن
والاسف على فوات ما فات وفي الخوف من زوال ما يحصل وفي الهمة والحرص على جمع ما لم يحصل بعد فانه
يكون كالثوب المخرق الذي لا ينتفع به صاحبه وبحره قول الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه

وجعل

وجعل فقره بين عينيه الحديث ولنسبة ذلك التخرق الى الشهوات ظاهرة اذ كان زمام عقله بيد شهوته
في تفرقه وتمزقه على حسب تصرفاتها وميولها الى انواع المشتهيات وكذلك استعار لفظ الاماتة للقلب
ووجه المشابهة خروجه عن الانتفاع الحقيقي الباقي كالميت والضمير في قوله عليها يعود الى الدنيا ووليت
الدنيا على نفسها نفسه وكنى بالتوله عن شدة المحبة لها واطلقه مجازا تسمية للشيء باسم غايته وكذلك استعار
لفظ العبد له باعتبار كونه محبا لها والجود بتحصيلها متصرفا بحسب تصريفها ودائرا في حركاته حيث دارت كأن
كانت في يده اقبل عليها بالعمارة والحفظ وان زالت عنه اقبل على تحصيلها وهذه من كانت في يده لمن فيها
في ذلك كالعبد لها بل اخس حالا كما قال ع في موضع آخر عبد الشهوة اذل من عبد الرق اذ الباعث
لعبد الرق على الخدمة والانقياد وقد يكون قهريا والباعث لعبد الشهوة طبيعي وشتان ما هما الرابعة
قوله وهو يرى المأخوذين على الغرة فلا وانه في قوله وهو الحال وهو شروع في وصف نزول الموت بالغافلين
عن الاستعداد له ولما وراءه من احوال الآخرة وكيفية قبض الموت لارواحهم من حيث انزوله بهم الى الآخرة
وكيفية احوالهم مع اهليهم واخوانهم معه وهو وصف لا مزيد على وضوحه وبلاغته وفايدته تذكير العصاة
باهوال الموت وتنبيههم من غفلتهم في الباطل بذلك على وجوب العمل له وتثبيت السالكين الى الله على ما هم
عليه ومراده بقوله ما كانوا يجهلون الا الموت فانه معلوم لكل احد بل تفصيل سكراته واهواله وما كانوا
يامنون اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا لا يعرض له خوف الموت
بل يكون في تمكن كمال آمنا منه وقوله فغير موصوف ما نزل بهم اي ليس ذلك مما يمكن استقصاؤه بوصف
بل غايته التمثيل كما ورد في التوراة ان مثل الموت كمثل شجرة شوك ادرجت في بدن ابن آدم فتعلقت
كل شوكة بعرق وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ الولوج
لما يتصور من فراق الحيوة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جسم في جسم آخر وكذلك استعار التيه للاثام
التي يحملها النفس ورشح بذكر الظهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامسة قوله والمرء قد غلقت
رهونه بها من حيث ان المرء في تبعات جمعها وارتباطه بها عن الوصول الى كماله وانجاته الى سعادته
بعد الموت وقد كان يمكنه فكاكها بالتوبة والاعمال الصالحة فاشبه بالجمع من الجنايات الردية في نفسه عن
اكتساب الاموال فارتهنت بها فيما على الرهن من المال وقال بعض الشارحين اراد انه لما اشتغل على الفراق
صارت الاموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف فاشبهت الرهن الذي غلق على صاحبه
فمنع عن كونه مستحقا لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان محتملا الا انه يضيع فايدة قوله بها لان
الضمير يعود الى المجموعة وهو اشارة الى المال الذي انغلق الرهن به فلا يكون هو نفس الرهن وقوله وهو
يعض يده كناية عما يلزم ذلك من الاسف والحزن والندم على تفريطه في جنب الله حيث انكشف له حال الموت
انقطاع سببه من الله وفوت ما كان يتوهم تجاوزه عليه مما اشتغل به عن ربه وحيث تحسر على ذلك التفريط
كما قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين وتمني
ايضا انه منقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او الرجعة الى الدنيا امتثالا ما فرطت فيه من الاعمال

منقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وكما قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وقد نبه عليه السلم في هذا الكلام على ان آلة النطق تبطل من الانسان حال الموت قبل آلتي السمع والبصر بقوله فيلتبس اهله ومن منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبه على بطلان آلة السمع بعدها قبل آلة البصر وان آلة البصر تبطل مع المفارقة بقوله حتى خالط سمعه الى قوله يرى حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعلمه باسرار الطبيعة وليس كلام متقابل في بعض الناس واغلب ما يكون ذلك فيمن تعرض الموت الطبيعي لا لآفة والا فقد تعرض الآفة لقوة البصر وآلته قبل آلة السمع وآلة النطق والذي يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة الاصلية التي منها خلقنا وكان فناء تلك الرطوبة عن عمل الحرارة الغريزية فيها بالتجفيف والتحليل وقد يعينها في ذلك الاسباب الخارجة من الاهوية واستعمال الادوية المجففة وسائر المجففات كان كل عضو ايبس في طبيعته وابرد اسرع الى البطلان واسبق الى الفساد اذا عرفت ذلك فنقول اما ان آلة النطق اسرع فسادا من آلة السمع فلان آلة النطق منبتة على الاعصاب المحركة ايبس وابرد ولكونها منبعثة من مؤخر الدماغ دون الاعصاب الحسية فان جلها منبث من مقدم الدماغ فكانت لذلك اقرب الى البطلان ولان النطق اكثر شرائطه من الاسباب لتوقفه مع الآلة وسلامتها على الصوت وسلامة مخارجه ومجاري النفس والاكثر اسرع الى الفساد واما بطلان آلة السمع قبل البصر فلان منبت الاعصاب التي هي محل القوة السامعة اقرب الى مؤخر الدماغ من منابت محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية ولان العصب المفروش على الصماخ الذي رتبت فيه قوة السمع احتاج ان يكون مكشوفا غير مستور ومنه سبيل الهواء خلاف العصب الذي هو آلة البصر فكانت لذلك اصلب والاصلب ايبس واسرع فسادا ثم اعلم انه قد يكون ذلك بتحلل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر او لغير ذلك والله اعلم واما بالنفرة الطبيعية من الميت والتوحش من قربه فكم الوهم على التخيلة بمحاكاة حالة في عقيب التوهم وعزل العقل في ذلك الموضع حتى ان الجماد ربما ثبت في موضع منفرد ويتخيل ان الميت يجذبه اليه ويحيره بحالة مثل حالة المنفور منها طبعا الى آخره قوله واسلموه الى عمله اشارة الى ان كل ثواب وعقاب اخروي يفاض على النفس بحسب استعدادها بالاعمال الحسنة والسيئة فعمل الانسان هو المنتفع او الضار له حين لا ناصر له وما كان يلزم من هذا الكلام الى الانذار والتخويف لا جرم ذكر اسلامهم له الى عمله لان الاسلام انما يكون الى العدو فكما حاول ان ينفر عن قبح الاعمال نبه على ان عمل الانسان القبيح يكون كعدوه القوي عليه يسلم اليه

الفصل الثالث قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره والحق آخر الخلق باوله وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه امار السماء وفطرها وارج الارض وارجفها وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها بعضا من هيبة جلالته ومخوف سطوته واخرج من فيها فجددهم بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم ثم ميزهم لما يريده من مسائلتهم عن الاعمال وخبايا الافعال وجعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء فاما اهل الطاعة

ماتهم

فاثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال ولا تتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية فانزلهم شر دار وغل الايدي الى الاعناق وقرن النواصي بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره وباب قد اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى **اقول** الرج والرجف الاضطراب الشديد ويرد في رجها بغير همزة وهو الاشهر ونسفها قلعها من اصولها وتبادك بعضها بعضا تصادمت وتوهم تودهم والخطر الاشراف على الهلاك وشخص خرج من منزل الى آخر وشخصه غيره والكلب الشدة وطلب والصحب الصوت والقصيف الصوت الشديد والكبول الاغلال واحدها كبل وفصمها كسرها واشار بقوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله الى غاية الناس في موتهم وهو بلوغ الوقت المعلوم الذي يجمع له الناس وهو يوم القيمة واراد بالامر القضاء ومقاديره تفاصيله من الآثار التي على وفق ما سبق بيانه ولحوق الخلق باوله اشارة الى تواجيهم في الموت وتساويهم فيه كما نطقت الشريعة به وبتجديد الخلق بعثهم واعادتهم واما امارة السماء وشقها وارجاج الارض ونسف الجبال فظاهر الشريعة ناطق بخراب هذا العالم ناطق به واما من زعم بقاؤه فربما عدلوا الى التاويل والذي يحتمل ان يقال في ذلك وجوه احدها ان القيمة لما كانت عندهم عبارة عن موت الانسان ومفارقته لهذا البدن وما يدرك بواسطته من الاجسام والجسمانيات ووصوله الى مبدأه الاول كان عدم هذه الاشياء مستلزما لعيبوبتها عنه وعدمها وخرابها بالنسبة اليه حيث يصدق عليه انه اذا انقطع نظره عن جميع الموجودات سوى مبدأه الاول جلت عظمته انها قد عدمت وتفرقت وكذلك اذا انقطع نظره عن عالم الحس والخيال ومتعلقاتهما من الاجسام والجسمانيات واتصل بالملأ الاعلى فبالحري ان تبدل الارض والسموات بالنسبة اليه فيصير عالم الاجسام والجسمانيات ارضا له وعالم المفارقات سماء له الثاني ان هذه الموجودات لما كانت مقهورة بلجام الامكان في قبض القدرة الالهية كان ما نسب اليها من الانشقاق والانفطار والرجاج والنسف وغيرها امورا ممكنة في نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب الخارجية فجعلها يمكن بالوقوع مجازا وحسنه في العربية معلوم وفائدته التهويل بما بعد الموت والتخويف لعصاة تلك الاهوال الثالث قالوا يحتمل ان يريد بالارض القوابل لجود الله تعالى استعارة فعلى هذا امارة السماء عبارة عن حركاتها والاتصالات الكوكبية التي هي اسباب معدة لقوابل هذا العالم وانتظارها افاضة الجود بسبب تلك المعدات على القوابل وارجاج الارض اعداد المواد لاعادة امثال هذه الابدان او لنوع آخر بعد فناء النوع الانساني وقلع الجبال ونسفها ودكها اشارة الى زوال موانع الاستعدادات لنوع آخر ان كان او لاعادة هذا النوع استعارة وجهها ان الارض ينسف الجبال يستوي سطحها ويعتدل فكذلك قوابل الجود يستعد وتعتدل لان يفاض عليها صورة نوع آخر او صور اخرى لابناء هذا النوع الرابع قالوا يحتمل ان يريد بالسماء الجود الالهي وبالارض عالم الانسان فعلى هذا يكون امارة السماء عبارة عن ترتب كل استحقاق قابله من الفضل الالهي والفطر عبارة عن الفيض وارجاج الارض وارجافها عبارة عن الهرج والمرج الواقع بين ابنائه

تنبع الانسان وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها ببعض جبابرة من اهلاك الجبابرة والمعاندين للناموس الالهي
وقتل بعضهم ببعض كل ذلك باسباب قدرية مستندة الى هيبة جلال الله وعظمته واخراج من جنها وتجديدهم اشارة
الى ظهور ناموس اخر مجدد لهذا الناموس واتباع له من قوم اخرين هم كخلق جديد وتميزهم فريقين منعم عليهم
ومنتقم منهم ظاهر فان المستعدين لاتباع الناموس الشرعي والقابلين به هم المنعم عليهم المثابون والتاركين
له المعرضين عنه هم المنتقم منهم المعاقبون فاما صفة الفريقين وما اعد لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب
العزيز ووصفته هذه الالفاظ الكريمة وعلى تقدير التاويلات السابقة لمن عدل عن الظواهر فثواب اهل الطاعة
جوار ربهم وملاحظة الكمال المطلق لدخولهم في دار بقائهم في تلك النعمة غير جائز عليهم الفنا كما نطق
به الشرع والبرهان وكونهم فيها امنين ولا تتغير بهم الاحوال ولا تزعجهم ولا ينالهم منهم ولا خطر ولا يشخصهم
سفرهم كل ذلك من لواحق الابدان والكون في الحيوة الدنيا فحيث زالت زالت عوارضها ولواحقها واما
جزاء اهل المعصية فانزالهم شر دار وهي جهنم التي هي ابعد بعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة
الى قصورهم العقلية عن تناول ثمار المعرفة واقران النواصي بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤوسهم
عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباسهم سرابيل القطران استعار لفظ السرابيل للهيات البدنية المتمكنة
من جواهر نفوسهم ووجه المشابهة اشتمالها عليها وتمكنها منها كالسربال على البدن ونسبتها الى القطران اشارة
الى شدة استعدادهم للعذاب وذلك ان اشتعال النار فيما يطلى بالقطران اشد ونحوه قوله تعالى سرابيلهم
من قطران وكذلك مقطعات النيران اشارة الى تلك الهيات التي تمكنت من جواهر نفوسهم ونسبتها الى النار
لكونها ملبوس ابدانها فيها كما قال تعالى قطعت لهم ثياب من نار ولما كان سبب الخروج من النار هو الخروج
الى الله من المعاصي بالتوبة والرجوع اليه بتدبر الايات والعبر النوازع وكان البدن وحواسه ابواب الخروج
الى الله فبعد الموت تغلق تلك الابواب فلاجرم بقي الكفار ورائها وتطبق تلك الابواب في شدائد حرارة ذلك
العذاب ولهب النار ولجبها واصواتها الهائلة استعارة لاوصاف النار المحسوسة المستلزمة للخوف
[illegible] النار المعقولة التي هي في الحقيقة اشد نفوذا [illegible] الى المحسوس [illegible] عن صفات تلك النار
وعدم تصور اكثر الخلق لما هو من هذه الاوصاف المحسوسة وكونها لا يخرج [illegible] الكناية عن التخليد وذلك في حق الكفار
ولفظ الاسير والعذبة استعارة وكذلك لفظ الكبول استعارة للهيئات البدنية المتمكنة من جواهر نفوس
الكفار فكما لا [illegible] القيد الوثيق من الحديد ولا ينفك الكبل كذلك النفوس المقيدة بالهيئات الردية البدنية
عن السير نحو مبدأ جلال الله وعظمته والتنزه في جنان حظائر قدسه ومقامات اصفيائه ولما كان الاحوال في
البدن لم يمكن لهم بعد موتهم اجل اذ لا ابدان بعد الابدان ولا خلاص من العذاب للزوم الملكات الردية في
نفوسهم وتمكنها منها [illegible] من الاسرار التي يدعونها تحت هذه العبارات الا انهم
التي وردت الشريعة بها لكنك قد علمت ان العدول الى هذه التاويلات والاشتغال بها مبني على امتناع المعاد
البدني وذلك مما صرحت به الشريعة تصريحا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا تحتمل التاويل واذا حملنا الكلام
على ما وردت به الشريعة فهذا الكلام منه عليه السلام اوضح ما يوصف به حال الجنة والمعاد والتعرض لشرح مجرى

مجرى

مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق **منها** في ذكر النبي صلى الله عليه وآله قد حقر الدنيا وصغرها واهون بها وهونها
وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها عن نفسه واحب
ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا ودعا
الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة
وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة **اقول** الرياش اللباس والفضل اختصاص لكمال الرسول صلى الله عليه وآله واوصافه
الحميدة ليبني عليها مدح نفسه بعد تحقيره للدنيا وتصغيرها وتهوينها اشارة الى ما كان يجذب الخلق به عنها
من ذكر معايبها وتقديم معايبها واهوانها اشارة الى زهده فيها وعلمه بان الله زواها عنه اختيارا
اشارة الى ان زهده فيها كان عن علم منه باختيار الله له ذلك وتسبيب اسبابه ووجه مصلحته لنفسه
نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء الخلافة الارضية وبسطها لغيره احتقارا لها وفي الرواية الثانية فقد
عرفت معنى الاحتقار من الله للقوم غير مرة وكان الواحد فيها بقلبه واماتة ذكرها عن نفسه ومحبته ان تغيب زينتها
عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا ولا يرجو فيها مقاما جذبا للعناية الالهية له الى الالتفات بها الى الكمالات العلوية
وعن ان يحط لمحبتها عن مقامه الذي قضت العناية الالهية بنظام العالم بسببه ثم اعقب ذلك بذكر ثمرة احوال
هي ثمرة النبوة التي هي ثمرة الزهد المشار اليه وهي تبليغ رسالة ربه اعذارا الى خلقه ان يقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين ونصحه لهم انذارا بالعذاب الاليم في عاقبة الاعراض عن الله ودعاؤه الى الجنة جنة الملك
سبيل الله ونهجه المستقيم بالاعلام بما فيها من النعيم المقيم ثم عقب اختصاص تلك المدائح بالاشارة الى فضيلة نفسه وبيت
منه في معرض المفاخرة فيه ومن شاجره بكونه فاشار الى فضيلته من جهة اتصاله بالرسول صلى الله عليه وآله اذ كان من اهل البيت
الذي هو شجرة النبوة ومحط الرسالة ومعدن العلم وينبوع الحكمة بافضل مكان بعد الرسول صلى الله عليه وآله كما سبق بيانه
في بيان فضائله ولفظ الشجرة والمعادن والينابيع مستعار كما سبق واذا كان من تلك الشجرة كالغصن ولكل
غصن من الشجرة قسط من الثمرة بحسب قوته وقربه من الاصل وعناية الطبيعة به علمت مقدار فضيلته ونسبتها
الى الرسول صلى الله عليه وآله وقوله بعد ذلك ناصرنا ومحبنا الى آخره ترغيب في نصرته ومحبته وجذب اليها بالوعد برحمة الله
وافاضة بركاته وتنفير عن عداوته وبغضه وتحذير بلحوق سطوة الله ولعل ذلك هو غاية من ذكر
فضيلته وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** انَّ افضلَ ما توسَّلَ به المتوسِّلون الى الله سبحانه
الايمانُ به وبرسوله والجهادُ في سبيله فانّه ذروة الاسلام وكلمةُ الاخلاص فانّها الفطرة واقامُ الصلوة فانّها
الملّة وايتاءُ الزكوة فانّها فريضةٌ واجبة وصومُ شهر رمضان فانّه جُنّةٌ من العقاب وحجُّ البيت واعتمارُه فانّهما
ينفيان الفقرَ ويرحضان الذنبَ وصلةُ الرحم فانّها مثراةٌ في المال ومنساةٌ في الاجل وصدقةُ السرّ فانّها تكفّر
الخطيئةَ وصدقةُ العلانية فانّها تدفع ميتةَ السوء وصنائعُ المعروف فانّها تقي مصارعَ الهوان افيضوا في ذكر الله
فانّه احسنُ الذكر وارغبوا فيما وعد المتّقين فانّ وعدَه اصدقُ الوعد واقتدوا بهدي نبيّكم فانّه افضلُ
الهدي واستنّوا بسنّته فانّها اهدى السنن وتعلّموا القرآن فانّه احسنُ الحديث وتفقّهوا فيه فانّه ربيعُ القلوب
واستشفوا بنوره فانّه شفاءُ الصدور واحسنوا تلاوتَه فانّه انفعُ القصص وانّ العالمَ العاملَ بغير علمه كالجاهل

الخابر الذي لا يستبين من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله الوم **اقول** ذروة الشيء اعلاه
والملة الدين والجنة الوقاية ورمضان بفتح الصاد فعلان والرحض الغسل والمثراة المكثرة وهي محل الكثرة
والثروة به والمنساة محل النسأ وهو التأخير والافاضة في الذكر الاندفاع فيه والهدى ضد الاضلال وهو
مصدر وقد اشار عليه السلم في هذا الفصل الى ان افضل الوسايل الموصلة الى الله سبحانه هو الايمان الكامل
فالايمان بالله هو التصديق بوجوده وهو اشارة الى اصل الايمان ثم لواحق وكمالات احدها التصديق
برسوله وانما قدمه على ساير العبادات لانه اصل ما لا ينفع به ونه الثاني الجهاد في سبيله وقد عرفت فضائل
الجهاد فيما سلف واشار الى وجه فضيلته بكونه ذروة الاسلام واستعار لفظ الذروة له ملاحظة لشبهه
في العلو والمرتبة في الاسلام بالسنام للبعير وانما قدمه على الصلوة لكون سالكه على يقين من تقى الله وقوة
من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقي نفسه الى المهالك الحاضرة التي ربما يغلب على ظنه او يتيقنها ولانه
الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين الثالث كلمة الاخلاص وهي كلمة التوحيد المستلزمة لنفي الشركاء والانداد
وهو معنى الاخلاص ولذلك اضيفت اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التي فطر الناس عليها فان العقول
السليمة البرية عن شوايب العلايق البدنية وعوارض التربية شاهدة ومقرة بما اخذ عليها من العهد القديم
من توحيد صانعها وبرائته عن الكثرة واطلق عليها اسم الفطرة وان كانت الفطرة عليها مجازا اطلاقا لاسم
الملزوم على لازمه الرابع اقامة الصلوة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان الدين لانها الركن الاقوى
من اركانه فاطلق عليها ذلك اللفظ اطلاقا لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم ان للصلوة فضايل واسرارا
يجب التنبيه عليها اما فضيلتها فقد ورد فيها اخبار كثيرة بعد تاكيد القرآن الكريم الامر بها كقوله ص الصلوة عمود
الدين من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح الجنة الصلوة وقوله في فضل اتمامها ان الرجلين من امتي يقومان
في الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقوله اما يخاف الذي
يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا
غفر الله له ذنوبه واما اسرارها فينقسم الى عامة والى خاصة اما العامة فقد بيناها فيما سلف في ذكر الحج في الخطبة
الاولى السر العام لجميع العبادات وهي كونها متممة لغرض الشارع من اغراض العارف من الرياضة وهي
تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وتمرينها على موافقتها واذا لاح لك هذا السر فقد علمت
ان [illegible] الايات والاخبار الواردة في فضلها يرجع معناها اليه كقوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ كان سببهما القوة الشهوية اذا خرجت عن حكم العقل فاذا كانت الصلوة
هي التي توجب دخولها تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء والمنكر فقد كانت الصلوة هي السبب
في الانتهاء عنهما فكانت ناهية وظهر ايضا معنى كونها عماد الدين اذ قال بني الاسلام على خمس فكل منها عماد يجب شرائطه
فمن اخل بها فقد هدم بنيانه الذي يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاح الجنة اذ بها يفتح باب من ابواب
الوصول الى الله ولذلك ظهر التفاوت الذي يشير اليه ص الرجلين من امته فانه اذا كانت غاية
الصلوة هو الالتفات الى الله تعالى بقمع الشيطان وكان احد الرجلين في صلوته خاشعا لخشية الله

مستحضرا لعظمته والاخر غافل عن هذه الجهة قد صرف الشيطان وجه قلبه الى غير القبلة فاين احدهما من الاخر
وذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في الصلوة فانه نهي منه عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة
عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك
فيوشك ان يدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلة عقليته للامور العلوية وعدم اكرامه
بشيء من العلوم والقرب الى الله وكذلك غفران ذنب المصلي بسبب ترك حديث نفسه بشيء من الدنيا فانه في
تلك الحال ملتفت الى الله تعالى غافل عن غيره والالتفات اليه هو روح العبادة وخلاصتها ولذلك قال انما فرضت
الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود
والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وعن عايشة قالت كان رسول الله ص يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت
الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء وكان علي ع اذا حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل
ويتلون فيقال له ما لك يا امير المؤمنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض فابين
ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين ع اذا حضر للوضوء اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي
يغشاك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من اقوم وكل ذلك اشارة الى استحضار عظمة الله والالتفات
اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما ما يخصها من الاسرار فقد علمت ان الصلوة ليس الا ذكر وقراءة وركوع
وسجود وقيام وقعود اما الذكر فظاهر انه محاورة ومناجاة مع الله تعالى وغايتها استلزام الالتفات اليه
وتذكر ما يجذب القوى الشيطانية تحت قياد العقل ويستمر بقوده بذلك وهو المقصود من القراءة
والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء وليس المقصود منه الحروف والصوت امتحانا للسان بالعمل وان
حصلت الغفلة فان تحريك اللسان بالهذيان خفيف على الانسان لا كلفة فيه من حيث انه عمل وليس حال
الذكر وفضيلته وغايته في موضع ابتلى به انشاء الله تعالى واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض
بها التعظيم لله تعالى المستلزم للالتفات اليه وذكره ايضا اذ لو جاز ان يكون معظما لله تعالى وهو غافل عنه
لجاز ان يعظم صنما موضوعا بين يديه وهو غافل عنه يؤيد ذلك ما روي عن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه
وشماله متعمدا في الصلوة فلا صلوة له وقال ع ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها
وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها ولما عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان
الالتفات اليه يستلزم التذكر والتفهم لان الالتفات اليه انما يراد لمطالعة كبريائه وعظمته والمطالعة ليس
الا الفكر الذي هو عين البصيرة وحدقة العقل الانساني ثم ان التذكر والتفهم يستلزم التعظيم فان مطالعة
عظمة الله اعظم من ان لا يعظمها العارف بها والتعظيم يستلزم الخوف والرجاء فانا نجد عند تصور عظمة ملك من
ملوك الدنيا وجدانا ضروريا انا نتورع عن مكالمته ومحاورته ونلزم معه السكون والخضوع وربما يتبع ذلك
رعدة البدن وتلعثم اللسان ومنشأ كل ذلك الخوف الحادث عن تصور عظمته فكيف بتصور جبار الجبابرة
وملك الدنيا والاخرة وكذلك الرجاء فانا عند تصور عظمة الله نتصور ان الكل منه وذلك باعث على رجائه خصوصا
وقد تاكد ذلك بالايات الواردة في باب الخوف والرجاء وكذلك يستلزم الحياء ان المتصور لعظمة الله من زال

مستشعرا تقصيرا وتشويها دينا وذلك الاستشعار والتوهم يوجب لحيا من الله سبحانه فالخشي ايتاء الزكوة
وهي ركن قوي من اركان الدين واشار الى وجه فضلها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراوندي اراد
بالفريضة السهم المقطوع من المال للفقراء المستحقين المسمى زكوة قال وهو عرف شرعي لان الفريضة تعني الواجب
فان كل العبادات الواجبة كذلك وان الفرض والواجب بمعنى فيكون قوله فريضة واجبة تكرارا والقول ما ذكره
وجه حسن وهو اشارة الى بعض اسرارها كما بينه ولهذه العبادة مع السر العام الشامل لجميع العبادات
وهو الالتفات الى الله تعالى ومحبته اسرار تختصها الاول ان المراد بكلمة الشهادة التوحيد المطلق وافراد المعبود
بالتوجه اليه وذلك لا يتم الا بنفي كل محبوب عداه فان المحبة لا تحتمل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفائدة
في الباطن وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها انسهم
ونفرتهم عن الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم كما قال
تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولما فهم الناس هذا المعنى انقسموا
اقساما فطائفة اخلصوا في حب معشوقهم ووفوا بعهده فبذلوا اموالهم ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل لبعضهم
كم يجب من الزكوة في مائتي درهم قال اما على العوام فبحكم الشرع خمسة دراهم واما علينا فيجب بذل الجميع ومنهم من
قعد عن هذه المرتبة وامسكوا اموالهم وراقبوا اوقات الحاجة ومواسم الخيرات وجعلوا قصدهم في الادخار
الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر وهؤلاء لا يقتصرون على واجب
الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد وقيل للشعبي هل في المال حق سوى الزكوة فقال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى
المال على حبه ذوي القربى الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ولم يجعلوا ذلك مخصوصا
بآية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته
بالفضل عن مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي ادنى الرتب
وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وضعف حبهم للآخرة ويلزم بهذا السر تطهير
ذوي الاموال عن رذيلة البخل فانها من المهلكات قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه ووجه كونه مهلكا انه انما يصدر عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب
من احدهما يبعد من الاخرى فكانت محبة المال صارفة عن التوجه الى الله وبعيدة منه وذلك يستلزم الهلاك
الاخروي كما بيناه وانما تزول هذه الرذيلة بتعود البذل اذ حب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته
بالتدريج حتى يصير ذلك عادة فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته
بقدر بذله وفرحه واستبشاره بصرفه في جنب الله طاعة ومحبة له وملاحظة لحذف كل محبوب عداه عن
سمت القبلة الثالث ان في شكر النعمة فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها العبادات البدنية ونعمة في ماله
وشكرها العبادات المالية وبئس ما اخس العبد عن رحمة الله من ينظر الى فقير قد ضيق عليه في الرزق
ثم اضطر اليه فلم يسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بعشر ماله
او بربع عشره الثالث ان تتعلق باصلاح المدن وتدبير احوال اهلها وهو ان جعل الله هذا الفرض في

اموال

اموال الاغنياء شركة للفقراء ان به خلتهم وانه اشار عليه السلام بكونه فريضة واجبة وفي هذا السر ان احدهما
ان يكون ذلك عونا للفقراء على عبادة الله كي لا يشتغلوا بالطلب عنها الثاني ان يكسر بهم عن حسد اهل الاموال
والسعي بالفساد في الارض فلا ينتظم امر المدينة ويكون قلوبهم ساكنة الى ذلك القدر معلقة بتسديده من الله تعالى
بالامداد فانه حفظ تألف مع اهل الاموال منجذبة اليهم فيتم بذلك امر الشركة والمعونة والانس والمحبة الواجبة
للالفة الموجبة لنظام العالم وقوام امر الدين وبقاء نوع الانسان لما لاجله وجد السادس صوم شهر رمضان
وتخصيصه بكونه جنة من العقاب وان سائر العبادات كذلك لانه اشدها وقاية وبيان ذلك انه يستلزم
قهر اعداء الله التي هي الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان هي الشهوات وانما تقوى الشهوة
وتثيرها الاكل والشرب ولذلك قال رسول الله صه ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع وقال صه لعائشة داومي قرع باب الجنة فقالت بماذا قال بالجوع فكان الصوم على الخصوص
اشد قمعا للشيطان واسد لمسالكه وتضييق مجاريه ولما كان العقاب انما يلحق الانسان ويتفاوت في
بالشدة والضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان وبعده منه وكانت هذه العبادة ابعد بعدا عن الشيطان
كان لسببها العبد بعيدا عن العقاب فلذلك حسنت بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة وان كانت
عدمية الا انها ليست عدما صرفا بل عدم ملكة يحرك من الطبيعة تحريكا شديدا ينبه صاحبه انه على جملة من الامر
ليس هذا فيتذكر بسبب ما ينويه من ذلك وانه التقرب الى الله سبحانه كما هو غاية السر العام للعبادات
السابع حج البيت واعتماره وقد سبقت منا الاشارة الى اسراره في الخطبة الاولى والذي ذكره هنا
كونهما ينفيان الفقر ويغسلان الذنب فيجمع فيه بين منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة اما منفعة الدنيا فكونهما ينفيان
الفقر وذلك بسبب التجارة للاصل في موسم الحج وقيام الاسواق بمكة ومنى واما منفعة الآخرة فكونهما يغسلان
الذنب عن لوح النفس كما علمته في اسرار العبادات وهذه هي المنافع التي رابها في القرآن الكريم بقوله
ليشهدوا منافع لهم قال اكثر المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة وهو المنقول عن سعيد بن جبير وابن عباس
في رواية ابي رزين عنه ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والآخرة كالتجارة والثواب وهو المنقول
عن مجاهد وابن عباس في رواية عطا عنه الثامن صلة الرحم وذكر من فوائدها امرين احدهما كونها مثراة في المال
وذلك من وجهين احدهما ان العناية الالهية قسمت لكل حي قسطا من الرزق ينال به مدة الحيوة الدنيا ويقوم به وجوده
بدنه فاذا اعدت شخصا من الناس للقيام بامر جماعة وكفلته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية اضافة
ارزاقهم على يده وما يقوم بامدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوي ارحام او مرحومين في نظره
حتى لو نوى قطع احدهم فربما نقص ماله بحسب رزق ذلك المنقطع وذلك معنى كونه مثراة لمال الانسان صلة
الرحم من الاخلاق الحميدة التي يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكل فيكون ذلك سببا لامداده
ومعونته من ذوي الامداد والمعونات كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم مظنة زيادة المال والثاني كونه
منساة في الاجل وهو من وجهين احدهما ان صلة الرحم يوجب تعاطف ذوي الارحام وتوازرهم ومعاضدتهم
لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي ذلك مظنة تاخيره وطول عمره الثاني ان مواصلة ذوي الارحام يوجب

تعلق همهم بقا واصلهم وامداده بالدعا وقد يكون دعاؤهم له وتعلق همهم ببقائه من شرائط بقائه وانشائه
فكانت مواصلتهم حسنة في اجلها التاسع صدقة السر وذكر من فوايده انها تكفر الخطيئة وانما خصها بذلك مع
ان ساير العبادات كذلك لكونها ابعد عن الريا ومخالطة ما يراد به وجه الله تعالى فكان الاخلاص فيها اشد
اتم فكانت اولى بالتقريب من الله وتكفير الخطيئة العاشر صدقة العلانية وذكر من فوايدها انها تدفع ميتة
السوء وبيان ذلك ان صدقة العلانية تستلزم الشهرة بفعل الخيرات وتوجب الذكر الجميل والمحبة في
ولما كانت ميتات السوء كالحرق والغرق والصلب والقتل ونحو ذلك من الاحوال الشنيعة التي تنفر
الناس عن الموت عليها وكان قليلا ما يقع شي منها لمقصد من الناس لمن احبه واشتهر بالرحمة واستجلاب
قلوب الفقرا بالصدقة والايثار فلاجرم كانت تلك الصدقة مظنة الدفع لميتات السوء الحادي عشر صنايع
المعروف وذكر من فوايدها انها تقي مصارع الهوان وتقريره قريب مما قبله اذ كان اصطناع المعروف
مستلزما لتالف قلوب الخلق وجامعا لمحبته المصطنع فقلما يقع مع ذلك شيتهم في مصرع هوان
ثم لما فرغ من تعداد كمالات الايمان امرنا بذكره في القلوب وبينه وهي امور احدها الاندفاع في ذكر الله
وهو من مؤكدات الايمان به ورغب فيه لكونه احسن الذكر وذلك لما يستلزمه من الحصول على الكمالات
المسعدة في الآخرة والوصول الى الله كما سبق فايدته وفضيلته في موضع اليق به الثاني الرغبة فيما وعد
المتقين من ثواب الآخرة وانواعه وهو ايضا من مؤكدات طاعته والعمل له ولما كان خلف في جزء تعالى
محالا كان وعده اصدق الوعود الثالث الاقتدا بهدي النبي ص الرابع اتباع سنته ولما كان افضل
الانبيا كانت سنته اشرف السنن والاقتدا به واتباع سنته اهدى الطرق الى الله الخامس تعلم القرآن
وظاهر كونه من مؤكدات الايمان بالله ورسوله واستعار له لفظ الربيع ووجه المشابهة كون القرآن
جامعا لانواع العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة التي هي منتزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار
الرايقة التي هي مستمتع النظر ومطلع السرور السادس الاستشفا بنوره وظاهر كونه شفا للقلوب
من ظلمة الجهل السابع حسن تلاوته وذلك لان حسن تلاوته مظنة تفهم معانيه وتدبره وبحسن تلاوته تظهر
فايدته ويحصل منفعة قصصه وانما يكون انفع القصص اذا تلي حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الامر المذكور
بالاعمال التي عددها فاخبر ان العالم العامل على غير علمه بالشبه في نقصان العلم الذي لا يعمل بعلمه مستوي او لا بين
وبين الجاهل العادل عن سوا سبيل الله ووجه التسوية اشتراكهما في ثمرة الجهل وهو الجور عن قصد السبيل
وعدم الانتفاع بفايدة العلم وثمرته وهي الاعمال الصالحة ثم جعل حال العالم اخس لثلثة اوجه احدها
ان الحجة عليه اعظم لان للجاهل ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وليس للعالم ذلك وروي عن الرسول ص
انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع الثاني الذي
يستلزم الالحاق بالعمل الثالث ان الحسرة له الزم وذلك ان النفوس الجاهلة غير عالمة بمقدار ما يفوتها من الكمال
بالتفصيل فاذا فارقت ابدانها فهي وان كانت محجوبة عن ثمار الجنة وما اعد الله فيها لاوليائه العلماء الا انها
لما لم تجد لذتها ولم تطعم حلاوة المعارف الالهية لم تكن بها كثير حسرة عليها ولا اسف على التقصير في تحصيلها

بخلاف العارف بها العالم بنسبتها الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة اذا علم وانكشف له ان الصارف له
ان الصارف له والمانع عن الوصول الى حضرة جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات
والدرجات كان اسفه وحسرته على ذلك اشد الحسرات ويجري ذلك مجرى من علم قيمة جوهرة ثمينة ويساوي
جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه حتى فاتته فانه يعظم حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف
الجاهل بقيمتها الثالث انه يكون عند الله الوم واشدية الملامة لا بعد المفارقة بحاز ندامة انقطاع لسان حاله
عن العذر في معصيته من علم وانما يكون الوم لان اقدام العالم على المعصية التي علم قبحها انما يكون من فرط
غاية الانقياد لنفس الامارة بالسوء والطاعة لابليس ووجوده طاعة تفضيل على طاعة الجاهل وانقياده
لقيام الصارف هنا في حق العالم وهو علمه بقبحها وترجيح الداعي اليها عليه وعدم الصارف في حق الجاهل ولا
شك ان اشدية الملامة تابعة لاشدية الانقياد لابليس فهو صاحب العلم بما يستلزمه متابعته من الهلاك
وظاهر اذن كونه الوم عند الله وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** اما بعد فاني احذركم
الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت
بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زايلة نافدة بايدة اكالة غوالة لا تعدو اذا
تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما قال الله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا لم يكن امرؤ منها في
حبرة الا اعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء الا هتنت
عليه مزنة بلاء وحري اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر منها
جانب فاوبى لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح
على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر
مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة اليها قد
صرعته وذي ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج
وحلوها صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها
مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى آثارا وابعد
آمالا واعد عديدا واكثف جنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا
ظهر قاطع فهل بلغكم ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالقوادح
واوهقتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون
فقد رايتم تنكرها لمن دان لها واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم
الا الضنك او نورت لهم الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون
فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون بانكم تاركوها وظاعنون عنها
واتعظوا فيها بالذين قالوا من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا الاجداث فلا يدعون ضيفانا

وان خير الزاد التقوى ع

الاجداث

وجعل لهم من الصفيح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما
ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم أبعاد متدانون
لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى
دفعهم استبدلوا بظهر الأرض بطنا وبالسعة ضيقا وبالأهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة
عراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه كما بدأنا أول خلق نعيده
وعدا علينا إنا كنا فاعلين **أقول** الحبرة السرور والنجعة الرزية وغوائل أي بأخذها غرة والبلاء …
والنضارة طيب العيش وقوادم الطير مقاديم ريش جناحه وأوبقه أهلكه والآبدة العظم … كدر
رمام بالية منقطعة والحروب مسلوب المال وأرهقتهم غشيتهم وفدحه الأمر أثقله وأفظع والقارعة
الداهية الشديدة وصعصعتهم أذلتهم والمناسم أخفاف الإبل والسغب الجوع والأجنان جمع جنن
وهي الستر واعلم أن مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير عنها بذكر معايبها وفيه فالأول
استعار لفظ الحلاوة والخضرة المتعلقين بحسي الذوق والبصر لما يروق منها ويلذ النفس ووجه المشابهة
المشاركة في الالتذاذ به وانما خص متعلق هذين الحسين لأكثرية تأديتهما إلى النفس والالتذاذ بواسطتهما
دون سائر الحواس الباقية ووصف الدنيا بكونها محفوفة بالشهوات ونحوه الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات قال أصحاب المعاني ونحو ذلك شبه ان النار هي الدنيا ومحبتها بعد المفارقة هو سبب
عذابها قلت ان ذلك غير مفهوم من كلامه ع واما معنى الخبر فجائز أن يراد فيه النار المعقولة فيكون قريبا مما قلنا
وجاز أن يراد النار المحسوسة ويكون المعنى التقدير ان النار إنما يدخل باب نيلها من شهوات
الدنيا ولذاتها والخروج في استعمالها عما ينبغي إلى ما لا ينبغي فكأنها لذلك محفوفة ومحاطة بالشهوات لا
يدخل إليها إلا منها وأراد بالعاجلة اللذات الحاضرة التي مالت القلوب إلى الحياة الدنيا بسببها كما شبهت
المرأة المحببة بأهلها وجمالها فاستعير لها وصف التحبب وكذلك قوله راقت بالقليل أي أعجبت بزينتها
القليل بالنسبة إلى متاع الآخرة كمية وكيفية وكذلك تحليها بالآمال الكاذبة المنقطعة وزينتها ما هو في نفس الأمر
غرور وباطل فإنه لولا الغرور والغفلة عن عاقبتها لما … طالبها الثالثة استعار لها أوصاف
الحالة المتنوعة وهي كونها غرارة وغوالة أي كثيرة الاستغفال لأهلها والخداع لهم ووصف السبع العقور
لكونها أكالة لهم وكنى بالأوصاف عن كونها كالمحادثة لكونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لأجله بالاشتغال بها … نهاك
… وبالأكالة عن كونها كالسبع في إفنائهم بالموت وطحنهم تحت التراب الرابعة في قوله لا تعدو إلى قوله
متقدرا أن غاية صفاتها إذا خبر فيها والراضين بها وموافقتها لهم لا يتجاوز المثل وهو أن تزهر لعيونهم
وترد همهم مجانيها … عن قليل تزول عنهم فكأنها لم تكن كما هو في المثل المضروب لها في القرآن الكريم واضرب
لهم مثل الحيوة الدنيا كماء الآية الخامسة كنى بالعبرة عن الحزن المعاقب لسرور وخصصه البطن بالسراء والظهر
بالضراء ويحتمل امرين أحدهما أن يريد بطن المجن وظهره وذلك من العادة في حال الحرب أن يلقى الانسان
ظهر المجن وفي حال السلم أن يلقي المجن فيكون بطنه ظاهرا فجرى المثل به في التنكير والمناصبة بعد السلم

فقيل

فقيل قلب له ظهر المجن كما قال على ع لابن عباس في بعض كتبه إليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فكذلك استعمل ههنا
… بطنها … اقبالها عليه … منها ظهرا في ادبارها عنه … والثاني يحتمل أن يريد ببطنها وظهرها
وذلك ان العادة فيمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور ان يلقاه بوجهه وبطنه وفيمن يلقاه بالنكر والادبار
ان يلقى بظهره مولياً عنه فاستعير ذلك للدنيا وعبر به عن اقبالها وادبارها وانما خص منها بالجناح لان الجناح
محل التغير بسرعة فنبه به على سرعة تغيراتها وانما خص الخوف بالقوادم من الجناح لان القوادم هي رأس الجناح
وهي الأصل في سرعة حركته وتغيره وهو في سياق ذمها والتخويف منها فخص ذلك بالتخصيص ومراده انه وان
حصل فيها امن فهو في محل التغير السريع والخوف اليه اسرع وتخصيصه بالقوادم السابقة لا خير في شيء من ازوادها الا
التقوى استثنى ما هو المقصود من خلق الدنيا لانه لا يمكن تحصيله الا فيها وقد سبقت الاشارة اليه في قوله فتزودوا
من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا وظاهر انه لا خير فيما عداه من ازوادها لفنائه ومضرته في الآخرة الثامنة
من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من الزهد فيها وقد عرفت كيفية الامان به من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر
مما يوبقه وهو ملكات السوء الحاصلة عن حب قنياتها ولذاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها
التاسعة استعار لفظ العذب والحلو للذاتها ولفظ الاجاج وهو الملح والصبر لما يشوب لذاتها من الكدر
بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات الاشتراك في الالتذاذ والايلام العاشرة استعار لفظ الغذاء
وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام لها ووجه الاستعارة ما يستعقب الانهماك في لذاتها من الهلاك في الآخرة
كما يستعقبه شرب السم والسمام جمع سم ثم اعقب التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان اطول
اعمارا واشد باسا من تغيراتها وتنكراتها لهم مع شدة حبهم وتعبدهم لها والسؤال على سبيل الانكار عن دوام
سرورها لهم وحسن صحبتها اياهم وصرح بعده بالانكار بقوله بل ارهقتهم بالفوادح واستعار لها لفظ الارهاق
والضعضعة والتعفير والوطء والاعانة ريب المنون عليهم واسند اليها افعال الاحياء ملاحظة لشبهها بالمرأة
المزينة لخداع الرجال عن انفسهم واموالهم ونحو ذلك الى غير ذلك مما فيه التخويف من ذمها والتنفير عنها بتعديد
مذامها واستفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بهذه المذام واطمئنانهم اليها وحرصهم عليها
ثم عاد الى ذمها مجملا بقوله بئست الدار لمن لم يتهمها اي لمن اعتقد صحبتها وانها مقصودة بالذات فركن اليها
فانها بذلك الاعتبار مذمومة في حقه اذ كانت سبب هلاكه في الآخرة فاما المتهم لها بالخديعة والغرور فانه
يكون فيها على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت محمودة له اذ كانت سبب سعادته في الآخرة ثم شرع في الامر
بالعمل على وفق العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للآخرة انما يكون للاشتغال بالدنيا فالعالم بضرورة
مفارقتها وما اعد لتاركي العمل من العذاب الاليم اذا نبه على تلك الحال كان ذلك صارفا له عنها وسببا
للعمل لغيرها واكد التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال المفارقين لها بعد مفارقتها المضادة للاحوال
المعتادة للاحياء التي الفوها واستراحوا اليها اذ كان من عادتهم اذا حملوا ان يسموا ركبانا واذا نزلوا ان يسموا
ضيفانا واذا تجاوروا ان يجيبوا داعيهم ويمنعوا عن الضيم وان يفرحوا ان جادهم الغيث ويقنطوا ان
قحطوا وان يتزاوروا او يتدانوا ويحلموا عند وجود الاضغان ويجهلوا عند قيام الاحقاد ويخشوا ويرجوا.

فسلبت منهم تلك الصفات وعرفوا باضدادها تلك السمات الثابتة عشر بنى وهم كما فارقوا اى اشبه مجيئهم الى الهياد
وجودهم فيها خروجهم منها يوم مفارقتهم لها ووجه الشبه كونهم حفاة عراة وهو كناية عن الفقر منها ودل على ذلك
استشهاده بالآية الكريمة وموضع قوله قد ظعنوا منها النصب على الحال كما انتصب حفاة عراة والعامل فارقوا
ولا تقدير مثله بعد جاؤا وان قدر مثل الحال السابق قال الامام الوبرى ره فراقهم من الدنيا ان خلقوا
منها ومجيئهم اليها ان دفنوا فيها حين الموت قال الله تعالى هو الذى خلقكم من تراب قلت وكان
الكامل لهذا الامام على هذا التاويل انه لو كان مراده بمجيئهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه لو كان الامر
هو المشبه ومفارقتهم هى المشبه به لانعكس الغرض اذ المقصود تشبيه المفارقة بالمجئ وذلك يستلزم كون
المشبه هو المفارقة والمشبه به هو المجئ لكن ينبغى ان يعلم ان المشابهة اذا حصلت بين الشيئين فى نفس الامر
جاز ان يجعل احدهما اصلا والآخر فرعا وجاز ان يقصد اصل المساواة بينهما من دون ذلك فيحملها على
الوجه الثانى او سلم من التعسف الذى ذكره فى الآية فان من فيها لبيان الجنس على بدل فى المفارقة والا
وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم ذكر فيها ملك الموت وتوفيه الانفس هل تحس به اذا دخل منزلا
ام هل تراه اذا توفى احدا بل كيف يتوفى الجنين فى بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن
ربها ام هو ساكن معه فى احشائها كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله اقول هذا الفصل من خطبة
طويلة ذكره فى معرض التوحيد والتنزيه له تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التشبه بالاشياء
على سبيل الانكار عن الاحساس به فى قوله سائر الموجودين وذلك قوله هل تحس به الى قوله احدا وبنه بانكار
الاحساس به على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شانه ان يحس باحدى الحواس الخمس ثم عن كيفية توفيه الجنين
فى بطن امه وهو استفهام من قبيل تجاهل العارف بالنسبة اليه وذلك قوله بل كيف يتوفى الجنين
الى قوله فى احشائها وجعل الحق من هذه الاقسام فى الوسط وهو اجابتها باذن ربها البقى الجاهل
فى محل الحيرة مترددا ثم لما بين ان ملك الموت لا يتمكن الانسان من وصفه نبه على عظمة الله سبحانه بالنسبة اليه
وانه اذا عجز الانسان عن وصف مخلوق مثله فبالاولى ان يعجز عن صفة خالقه ومبدعه الذى هو ابعد
الاشياء عنه مناسبة وتقرير البيان بذلك التشبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله لما بيناه من العجز
عن صفة ملك الموت وحاله وكل من عجز عن صفة مخلوق مثله فهو عن صفة خالق ذلك المخلوق ومبدعه اشد
عجزا ولنشر اشارة خفية الى حقيقة الموت والى ما عساه يلوح من وصف ملك الموت ان شاء الله تعالى
فنقول اما حقيقة الموت فاعلم ان الذى نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار ان الموت ليس الا عبارة
عن تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجارى مجرى الآلة لذى الصنعة وان الروح باقية بعده
كما شهدت به البراهين العقلية فى مظانها والآثار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له هو انقطاع
تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج فى ادراكه الى آلة فهى متعطلة عنه
بعد مفارقة البدن الى ان يعاد اليه فى القبر او يوم القيمة وما كان مدركا لها بنفسها من غير آلة فهو باق
معها يتنعم به ويبتهج او يحزن من غير حاجة الى هذه الآلة فى تعقل تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك

وقد ضرب لمفارقة الى هيئة الموت مثلا فقيل كما ان بعض اعضاء المريض يتعطل بسبب فساد مزاج يقع فيه
او بسبب شدة تعرض للاعصاب يمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصى
عليها منها فكذلك الموت عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء كلها وتعطلها وحاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان
عن هذه الاعضاء والآلات والقنيات الدنيوية من الاهل والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه
الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ كان المؤلم هو الفراق وقد يحصل ذلك بنهب مال الرجل وسبى ذريته
وقد يحصل بسلبه ونهبه عن ماله واهله فالموت فى الحقيقة هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر فان كان
له فى هذا العالم شئ يانس به ويستريح اليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه فى الآخرة ويصعب شقاؤه
فى مفارقته ويكون سبب عظم خطره عنده ضعف تصوره لما اعد للابرار المتقين فى الآخرة مما يستحقر فى مقابله
منه اكثر نفائس الدنيا فاما ان كانت عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه
وتمت سعادته اذ خلى بينه وبين محبوبه بقطع علايقه وعوائقه التى شغلته عنه ووصل اليه وانكشف له هناك
ما كان يدركه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما يشاهد المستيقظ من نومه صورة ما رآه فى النوم
والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتوسط الذى هو
صورة العدم لاعضاء هذا البدن ومال مفارقة النفس له ولعله هو المتوسط الذى هو صورة الوجود عليها كما
بالاعتبار الاول يسمى ملك الموت ثم لما كانت النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت فى هذا
العالم وتستثبتها بان تستتبع القوة المتخيلة معها فتحكى ما كان محبوبا منها للنفس وتستبشر بلقائه بصورة
بهية كتصورها لجبرئيل فى صورة دحية الكلبى وغيره من الصور البهية الحسنة وما كان مستكرها لها منفورا
من لقائه بصورة قبيحة لا جرم اختلف روية الناس لملك الموت فمنهم من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون
بلقاء الله الذين قلت رغبتهم فى الدنيا ورضوا بالموت ليصلوا الى محبوبهم وفرحوا به لكونه وسيلة اليه كما
روى عن ابراهيم عم انه لقى ملكا فقال له من انت فقال انا ملك الموت فقال اتستطيع ان ترينى الصورة التى
تقبض فيها روح المؤمن قال نعم اعرض عنى فاعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه
فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن من البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة قبيحة
قبيحة المنظر وهم الفجار الذين اعرضوا عن لقاء الله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها كما روى عن ابراهيم عم ايضا
انه قال لملك الموت فهل تستطيع ان ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال
بلى قال فاعرض عنى فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج
من فيه ومناخره النار والدخان فغشى على ابراهيم عم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى حاله الاول فقال
يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا هذه الصورة لكفته وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
واحذركم الدنيا فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها دار هانت على
ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحيوتها بموتها وحلوها بمرها ولم يصفها الله لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه
خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر يفنى

الزاد وهذه تنقطع انقطاع اليسير اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم واسألوه من أداء حقه ما سألكم واسمعوا دعوة الموت
آذانكم قبل أن يدعى بكم ان الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا ويكثر مقتهم انفسهم
وان اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال وحضرتكم كواذب الآمال فصارت الدنيا املك بكم من الآخرة
والعاجلة اذهب بكم من الآجلة وانما انتم اخوان على دين الله ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون
ولا تناصحون ولا توادون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه ويقلقكم
اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها
عنكم كأنها دار مقامكم وكأن متاعها باق عليكم وما يمنع احدكم ان يستقبل اخاه بما يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله
بمثله قد تصافيتم على رفض الآجل وحب العاجل وصار دين احدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا
سيده **اقول** يقال هذا منزل قلعة بضم القاف اي ليس بمستوطن والنجعة بضم النون طلب الكلأ والعشب
المبا المعقد والعقة بالضم اسم لما تأخذه الملعقة وهذا الفصل نكت فالاولى التحذير من الدنيا وما يستلزم التركيب
ذكر معايبها وذلك من اول الفصل الى قوله انقطاع اليسير فنشار اولا الى انها دار قلعة ليست بمستوطن وطلب الكلأ
ولكن به مما ينبغي ان يطلب من الخيرات الباقية التي هي محل الامن والسرور الدايم وثانيا الى انها تزينت
واستغفلها الخلق وان غرار بجانب لاستحسانها فان ذلك جعل الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة
وذلك دور وقلت انما جعل الزينة سببا للاستغرار والغرور سببا لاستحسانها وعدم التنبه لمعايبها فلا دور
وثالثا انها اختلط حلالها بحرامها اي لم يكن الغاية الآتية اليها بالذات لم يكن خيرا محضا بل كان كل ما فيها مما يعد خيرا
مشوبا بشر يقابله وذلك بحسب الحكمة فيها وزاده جرها بالنسبة الى خير الآخرة الثانية التأديب بالاوامر احدها
ان يجعلوا فرايض الله عليهم من جملة ما يطلبونه منه والغرض ان الخير المجوبة لهم كمحبتهم لما يسألونه من مال وغيره
فيواظبوا على العمل بها الثاني ان يسألوه اداء حقه منهم وذلك بالاعانة والتوفيق والاعداد لذلك كما سألهم
اداء حقه والغرض ايضا ان الخير اداء حقه لهم محبوبا اليهم وكحوه في الدعاء اللهم اني اسألك من نفسي ما لا
املكه الا بك فاعطني منها ما يرضيك عني الثالث ان يسمعوا داعي الموت آذانهم اي يقصدون سماع كل لفظ
يخوف الموت واهواله وذلك بالجلوس مجالس الذكر ومحاضرة الزاهدين في الدنيا وفايدة ذكر
الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عم اكثروا ذكر هادم اللذات الثالثة شرح حال الزاهدين في الدنيا
ليقتدي من يشاء بهم ويجذب الى الله الى كيفية طريقهم فيقتدي بهم فذكر لهم اوصافا الاول انهم تبكي قلوبهم وان ضحكوا
وذلك اشارة الى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من الله فان ضحكوا مع ذلك فعاملتهم مع الخلق الثاني انهم يشتد
حزنهم وان فرحوا وهو قريب مما قبله الثالث انهم يكثر مقتهم انفسهم فيتركون الالتفات اليها بالزينة وما فيها
بما يدعوهم اليه من تتابع الحيوة الدنيا الحاضرة وان اغتبطوا بما رزقوا من زينة الرابعة تعنيف السامعين
على ما هم عليه من الاحوال المضرة في الآخرة وذلك بالغفلة عن ذكر الاجل واستحضارهم الآمال الكاذبة وغيرها
من الاحوال المذكورة الى آخر الفصل ومحل تدركونه وتحرمونه ويفوتكم النصب على الحال وقلة صبركم عطف
على وجوهكم اي حتى يتبين ذلك القلق في وجوهكم ويتبين قلة صبركم عما غيب عنكم منها وقوله وما يمنع احدكم ان يستقبل

ولا تباذلون صح

اخاه اي آخره اي ما يمنع احدكم من لقاء اخيه بعيبه وما يتقيه عليه الا الخوف منه ان يلقاه بمثله وركنه اياه
فيه كما صح به في قوله تصافيتم على رفض الآجل الى آخره واستعار لفظ اللعقة لما ينطق به من شعار الاسلام
والدين كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل على وفقه وصنيع نصب
على المصدر اي صنعتم صنيعا مثل صنيع من احرز رضا سيده بفعل ما امره به ووجه التشبيه الاشتراك
في الترك والاعراض عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم
بالشكر نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما امرت به السراع الى ما نهيت
عنه ونستغفره مما احاط به علمه واحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان من عاين
الغيوب ووقف على الموعود ايمانا نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان
فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ ومعاذ
منجح دعا اليها اسمع داع ووعاها خير واع فاسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله
محارمه والزمت قلوبهم مخافته حتى اسهرت لياليهم واظمأت هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري
بالظمأ واستقربوا الاجل فبادروا العمل وكذبوا الامل فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر
فمن الفناء ان الدهر موتر قوسه لا تخطي سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب
آكل لا يشبع وشارب لا ينقع ومن العناء ان المرء يجمع ما لا ياكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى الله لا مالا حمل ولا
بناء نقل ومن غيرها انك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك الا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها
ان المرء يشرف على امله فيقتطعه حضور اجله فلا امل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما اعز سرورها
واظمأ ريها واضحى فيئها لا جاء يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله ما اقرب الحي من الميت للحاقه به وابعد الميت
من الحي لانقطاعه عنه انه ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من الخير الا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه
اعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع ومن الغيب الخبر واعلموا
ان ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر
ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع قد تكفل
لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم عمله مع انه والله لقد اعترض
الشك ودخل اليقين حتى كأن الذي ضمن لكم قد فرض عليكم وكأن الذي قد فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا
العمل وخافوا بغتة الاجل فانه لا يرجى من رجعة العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق رجي
غدا زيادته وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون **اقول** لا تؤسى اي لا تداوى ولا ينقع لا يسكن عطشه واضحى برز للشمس
وفي الخطبة لطايف الاولى انه صدر الخطبة بحمد الله تعالى باعتبارين احدهما وصله الحمد بالنعم يعني
كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم والثاني وصله النعم بالشكر اذ كان العبد يستعد بشكر النعمة لنعمة اخرى

الاعتراف بها على اسرار قلوبهم وقد علمت ان الاعتراف بالنعم هي حقيقة الشكر فقد اذن مزج وصف النعم بالشكر
وان الشكر والتوفيق له نعم اخرى كما سبقت الاشارة اليه في خطبة الاوسط ويحتمل ان يريد الشكر منه تعالى
لعباده الشاكرين كما قال تعالى ان الله شاكر عليم وظاهر ان وصف نعمه بشكره في غاية التفضل والانعام فان
الاحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن اليه فاما من المحسن فذلك تفضل آخر ورتبة عليا الثانية انه
يستوجب حمده على النعماء وحمده على البلاء تنبيها منه على وجوب ذلك ان النعمة لكون على من اسم كما قال تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والبلاء منه ايضا نعمة يستحق الثواب الآجل ووجب النعم نعمة وبهذا الاعتبار يجب الشكر
على البلاء ايضا كما يجب على النعماء اذ الكل نعمة الثالثة نبه على وجوب استعانته تعالى على النفوس وذكر ماله جلاله الاستعانة
عليها وهو كونها على ما امرت به من سائر التكاليف وذلك لحاجة النفوس الى مقاومة الطبيعة سرا الى ما نهت
عنه من المعاصي وذلك لمواقعتها مقتضى الطبيعة الرابعة نبه على وجوب طلب المغفرة من الله لكل ذنب صغير او كبير
مما احاط به علمه واحصاه كتابه المبين ولوحه المحفوظ جبرئيل الامين علم احاط بكل شيء وكتاب غير مغادر لشيء
الخامسة الحث على الايمان من جانب الغيوب ووقف على الموعود اي وقف على ما وعد به المتقون بعين الكشف
لكونه اقوى درجات الايمان فان من الايمان بحسب التقليد ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين واقوى
منه الايمان بحسب الكشف والمشاهدة وهو عين اليقين وذلك هو الايمان الخالص وبحسب الاخلاص فيه يكون
نفيه الشرك وبحسب نفيه يكون اعتقاد ان الامر كذا مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون الا كذا يكون نفي الشك
وقد علمت انه من اهل هذه المرتبة السادسة كون الشهادتين يسعدان القول ويرفعان العمل وذلك
ان اخلاص الشهادة يتبع اصل قبول الاقوال والاعمال الصالحة لا يصعد الى الله قول وعمل لا يكون اخلاص واشار
الى ذلك بقوله لا يخف ميزان توضعان ولا يثقل ميزان ترفعان منه وقد اشرنا الى معنى الوزن فيما سبق
ويستزيده بما انشاء الله تعالى السابعة اراد بكون تقوى الله هي الزاد اي بالزاد البلاغ وان بها المعاد
اي المعاد البليغ ولذلك اوردهما تفسيرا الثامنة اراد بالسميع داعي الله الداعين اسماعا وتبليغا وهو الرسول
صلى الله عليه وآله واراد بخير داعي المسارعين الى داعي الله الذين هم افضل القوابل الانسانية التاسعة
وصف ما يستلزمه تقوى الله من الاثار في اولياء الله ووصف الليالي بالسهر والهواجر بالظماء لكونهما ظرفين
فالليالي لقيام الصلوات والنهار للصوم فكان ذلك من باب اطلاق صفة المظروف على الظرف وهو كقولهم
نهاره صائم وليله قائم واخذهم الراحة اي في الآخرة بالنصب اي بتعب الابدان من القيام والري من
تسنيم سلسبيلا بالاستعداد بظماء الصيام واقلام جنادروا ولاحظوا التعجيل فان استقراب الاجل يستلزم
العمل له ولما بعده وذلك لتكذيب الامل وانقطاعه ملازم لملاحظة الاجل العاشرة ذكر مذام الدنيا اجمالا
وهو كونها دار فناء وعناء وغير وعبر ثم اخذ في ذلك الاجمال بتفصيل كل جملة وذلك الى قوله ولا موئل بترك
واستعار لفظ الانثار لنثار الدهر ورشح بذكر القوس ووجه الاستعارة ان الدهر كالرامي عن قوسه
المستهدفة الى الفناء الاتي الذي لا يخطي كالرامي الذي لا يخطي وكذلك استعار لفظ الجراح لنوائب الدهر
لاشتراكها في الايلام ورشح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار لفظ الاكل واشار بعدم الشبع الى

ووجه المشابهة كونها تاتي على الخلق فتفنيهم كما يأتي الاكل واشار بالمذكوران على الطعام والشراب فتفنيانها
واراد بالمرحوم الذي يرى مغبوطا اهل المسكنة والفقر الذي يتبدل فقرهم بالغنى فيغبطون وبالمغبوط الذي
يرى مرحوما اهل الغنى المبتلين بفقر بعد يعرف الدهر فيصيروا محل الرحمة وقوله ليس ذلك الا نعيما زل
اي عن المغبوطين وبؤسا نزل بهم الحادية عشر نسب الغرور الى سرورها والظماء الى ريها والضحى الى فيئها واستعار
لفظ الشمس وكنى به عن استتام لذاتها وفيئها عن الركون الى فيئها والاعتماد عليها ووجه نسبة الغرور
ان سرورها وفيئها هي الصوارف عن العمل للآخرة والملتفتات عن الاقبال على الله فكان سرورها اقوى سبب
للغرور بها وريها وفيئها اقوى الاسباب للظماء المهلك فيها من شراب الابرار واوجبها برادة الى حر الجحيم
فلهذه النسبة جازت اضافة الغرور والظماء والضحى الى سرورها وريها وفيئها وقوله لا جائي يرد اي من
اتاه الدهر كالموت والقتل ونحوهما ولا ماضي يرتد اي من الاموات والغائبات من اثباته الثانية عشر
قوله ليس شيء بشر من الشر الا عقابه الى قوله سماعه يحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين ويكون ذلك على انه
اذ يقال للامر الشريف هذا اشد من الشديد واجود من الجيد ويحتمل ان يريد شر الدنيا وخيرها فان اعظم شر
في الدنيا مستحقر في عقاب الله واعظم خير فيها مستحقر بالنسبة الى ثواب الله ثم اكد ذلك باعظمية احوال الآخرة
بالنسبة الى احوال الدنيا ومصداق كلامه ان اعظم شر يتصوره الانسان بالسماع ويستهوله ويستنكره
من تصور صورة القتل والجراح فاذا وقع في مثل تلك الاحوال وشاهدها او اضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل
عليه ما كان يستصعبه مما هو فيه ذلك الروع والخوف وكذلك لا يزال الانسان يتخوف المثول بين
يدي الملوك ويتصور عظمتهم وبطشهم الى ان يصل الى مجالسهم فانه يجد من نفسه زوال ذلك الخوف فكانت
مشاهدة ما كان يتصوره شرا عظيما اهون عنده من وصفه والسماع له وكذلك حال الخير فان الانسان لا يزال
يحرص على تحصيل الدرهم والدينار وغيرهما من سائر مطالب الدنيا ويكون قلبه مشغوفا بتحصيله فرحا بانتظار
وصوله فاذا وصل اليه هان عليه وهو امر وجده اشد واما احوال الآخرة فالذي يسمع من سرورها وخيرها
انما يلاحظها بالنسبة الى خيرات الدنيا وسرورها وربما كانت في اعتبار اكثر الخلق اهون من خيرات الدنيا
وسرورها لقرب الخلق من المحسوس وقرب الدنيا منهم وذوقهم لها دون الآخرة مع قيام البرهان العقلي
على ضعف الاحوال الحاضرة من خير وشر بالقياس الى احوال الآخرة فلذلك كان عيان احوالها اعظم من
سماعها واذا كانت الحال كذلك فينبغي ان يكتفى من العيان بالسماع ومن الغيب بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب
ومشاهدة العيان تلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على افضلية الآخرة بان ما زاد فيها ما قرب الى الله تعالى
وان استلزم نقصان الدنيا من بذل مال او جاه خير من العكس وبيان هذه الخيرية كون خيرات الدنيا في معرض
الزوال مشوبة بالاوجاع والاوجال وكون تلك باقية على كل حال مع كونها في نهاية الكمال وضرب المثل
بالكثرة المنقوص من الدنيا الرابح في الآخرة وهم اولياء الله واحباؤه الذين اشترى منهم انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة وبالكثرة المزيد الخاسر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم ثم اكد الحث على سلوك طريق الآخرة ببيان اتساعها بالنسبة الى طريق الدنيا فقال ان الذي امرتم به اوسع

من الذي نهيتم عنه وذلك ظاهر فان اكبر ما نهينا عنه جنس القتل وفي الحلم والعفو والصبر التي هي من اشرف
الاخلاق المحمودة سعة عنه ثم الظلم وفي العدل والاقتصار على تناول الامور المباحة التي هي اكثر واوسع
سعة ثم الكذب الذي هو راس النفاق وعليه تبنى خراب العالم وفي المعاريض والصدق الذي هو بصدده
في عمارة العالم مندوحة عنه ثم الزنا ولا شك ان في ساير وجوه النكاحات مع كثرتها وسلامتها عن المفاسد
اللازمة عن الزنا سعة عنه ثم شرب الخمر التي هي ام الخبائث وفي كثير من الاشربة وفي تركها الى ما يقارب
افعالها التي ترغب لكونها محمودة من ساير الاشربة وغيرها معدل عنها ومستغنى لك عنها وما احل لكم اكثر مما
حرم عليكم فان الواجب والمندوب والمباح والمكروه يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي
هو قسم واحد من الاحكام ثم لما نبه على وجه المصلحة في ترك المنهي والمحرم اردف ذلك بالامر بتركهما لان العقل
اذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا بين طرق كثيرة آمنة اقتضى العدول عن المخوفة لضرورة الثالثة عشر تنبيه
بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بفرائض الله وعلى ان الاشتغال بها اولى لكون الرزق مضمونا
فالسعي في تحصيله يجري مجرى تحصيل الحاصل ثم اردف ذلك بما يجري مجرى التوبيخ لمن يعمل على ترجيح طلب
الرزق على الاشتغال بالفرائض فاقسم ان ذلك منهم عن اعتراض الشك فيما تضمنوه من تكفل الله سبحانه
بارزاقهم ووعده وضمانه لهم بقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون اي في سماء جوده وقد علمت
ان الجد في طلب الرزق يستند الى ضعف التوكل على الله وهو يستند الى ضعف اليقين به وسوء الظن
به وذلك يستلزم استناد العبد الى نفسه وتوكله عليها وجعله في طلب الرزق كمن يتبع المضمون له مفروضا
طلبه عليه والمفروض عليه طلبه موضوعا عنه مبالغة في ظلمهم احتفالهم بفرائض الله عليهم واشتغالهم عنها بطلب
الدنيا الرابعة عشر تنبيه على وجوب المحافظة على العمر بالعمل فيه للآخرة وعلى اولوية مراعاته بالنسبة الى مراعاة
طلب الرزق لكون العمر لا يرجى من رجعه ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر في تقضي ونقصان وما فات
منه غير عائد بخلاف الرزق فانه يرجى زيادته وجبران ما نقص منه في الماضي ولما كان العمر الذي من شأنه
ان لا يعود ما فات منه ظرفا للعمل وثبوت ثوابه وجب تدارك العمل بتداركه وقوله الرجاء مع الجائي
واليأس مع الماضي يريد العمر وهو مؤكد لما قبله الخامسة عشر انه ختم بالآية اقتباسا من نور القرآن ووجه
هذا الاقتباس انه لما كان الكلام في معرض جذب السامعين الى العمل الذي هو سبب لتطويع النفس الامارة
بالسوء للنفس المطمئنة الذي هو جزء من الرياضة وكان التقوى عبارة عن الزهد في الدنيا الذي حقيقته
حذف الموانع الداخلة والخارجة عن القلب الذي هو الجزء الثاني من الرياضة وكان الاسلام هو الدين الحق
المركب من ذينك الجزئين لا جرم حسن ايراد الآية المشتملة على الامر بالتقوى والموت على الاسلام بعد
الامر بالعمل ليكون ذلك امرا بكمال الدين وتمامه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
في الاستسقاء اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت
عجيج الثكالى على اولادها وملت التردد في مراتعها والحنين الى مواردها اللهم فارحم انين الآنة وحنين الحانة
اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها وانينها في موالجها اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا

مخايل

مخايل الجود فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ان لا تؤاخذنا
باعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق سحا وابلا
تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة
زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا
منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا ويخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا وتندى بها
اقاصينا وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة ووحشك المهمل
وانزل علينا سماء مخضلة مدرارا هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر غير خلب برقها ولا جهام
عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيا ببركتها المسنتون فانك
تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولي الحميد قال السيد رضي الله عنه تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب
قوله انصاحت جبالنا اي تشققت من المحول يقال انصاح الثوب اذا انشق ويقال انصاح النبت وصاح وصوح
اذا جف ويبس وقوله وهامت دوابنا اي عطشت والهيام العطش وقوله حدابير السنين جمع حدبار وهي الناقة التي
انضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي
بها بلدا قفرا وقوله ولا قزع ربابها القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب وقوله ولا شفان ذهابها فان تقديره ولا ذات شفان
ذهابها والشفان الريح الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به واقول اعتكرت اي اختلطت
وازدحمت والمخايل جمع مخيلة السحابة التي ترجى المطر والمبتئس الحزين والمنبعق والمنبعج السحاب المنصب بشدة
والربيع هنا المطر والسقيا بالضم الاسم من السقي والمريع المخصب والنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الارض والضواحي
النواحي البارزة اي اهل نواحينا والمرملة قليلة المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام الغيم الذي لا ماء فيه
والخلب التي يكذب الظن فيها والمسنتون الذين اصابتهم شدة السنة واعلم انه نبه بقوله ندعوك ان لا تؤاخذنا
باعمالنا ولا تأخذنا بذنوبنا على ان للذنوب والاعمال الخارجة عن اوامر الله تأثيرا في منع الرحمة وقد ذكرنا ان
الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من قبله وانما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد وقلته وكثرته وظاهر ان المنهمكين
في الدنيا المرتكبين لمحارم الله موصوفون بانهم غير مستحقين لآثار رحمته بل مستعدون لضد ذلك اعني سخطه وعذابه
بحسب استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور عن سبيله وحقيق بمن كان كذلك ان لا ينال بركته ولا يفاض عليه
اثر رحمته وخصب سمائه [illegible] على الكمال والعامل الناشر واراد بالسماء المخضلة هنا السحاب والعرب تقول كل ما علاك
فهو سماؤك ومنها استعار ارسال مائه وادراره ويحتمل ان يريد بالسماء المطر نفسه وكونه انزل علينا الغيث قد اقتبس
من القرآن الكريم ختام هذا الفصل ايضا ووجه مناسبته لما هو ظاهر وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**
ارسله داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا
معذر امام من اتقى وبصر من اهتدى **اقول** الواني الضعيف والمعذر بالتشديد المقصر واعلم ان الاوصاف
التي ذكرها بينة ظاهرة وقد سبقت الاشارة اليها غير مرة فاما كونه امام من اتقى فلانه سن لاهل التقوى ما به
في كيفية سلوك سبيل الله التي هي التقوى وقد استعار لفظ البصر له ووجه المشابهة كونه سببا لهداية الخلق الى

سبل الرشاد كما يهتدي صاحب البصيرة في طريقه المحسوس وبالله التوفيق **منها** ولو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم غيبه اذن لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم وتلتدمون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم ما حذرتم فتاه عنكم رايكم وتشتت عليكم امركم ولوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو احق بي منكم قوم والله ميامين الراي مراجيح الحلم مقاويل بالحق متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ايها ابا وذحة قال السيد رضه والوذحة الخنفساء

وهذا القول يومي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره **اقول** الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض والتدم والالتدام ضرب الوجه ونحوه والراي الميمون المبارك وقدما بضم القاف والدال اي تقدموا ولم ينثنوا والوجيف ضرب من السير فيه قوة والوذحة كما قيل انها كنية الخنفساء ولم ينقل ذلك في المشهور من كتب اللغة وانما المشهور انها المتعلق من البعر بالصوف الذي في اصواف اذنابها ويتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض فيها اصحابه الى حرب الشام ويخبرهم من تقاعدهم عن صونة جنبهم او لا علمهم باسبيع من الفتن في الاسلام مما غاب عنهم علمه وعلمه هو من الله ورسوله لو تصوروا ما علم منها لاحتال كل منهم في الخلاص لنفسه ولهاموا على وجه الارض باكين من تقصيرهم في اعمالهم على وفق اوامره التي بها يكون نظام العالم الى الابد وللامن من تلك الفتن لو خلفوها ولكنهم نسوا ما ذكروا به من ايات الله وامنوا التحذير فضلت عنهم اراؤهم الصالحة التي يكون بها نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتت امورهم وغلبة العدو على بلادهم وقيل اراد بما طوي عنهم غيبه وعلمه هو ما يلقى المقصرون من احوال الاخرة والاول انسب بسياق الكلام ثم عقب ذلك بالتبرم منهم وطلب فراقهم واللحاق باخوانه من اولياء الله مبار كا اثارا تفاءل المحلوم الاستخفهم جبل الجبال ملازمي الصدق ونصيحة الدين من شانهم ترك البغي على انفسهم وغيرهم مضوا على الطريقة الحميدة سالكين لمحجة الله غير ملتفتين عنها فوصلوا الى الثواب الدائم والنعيم المقيم وقرينة اللفظ تخصص العقبى بالثواب والعرب تصف النعمة والكرامة بالبرد ثم بين لهم بعض ما سيلقونه من الفتن العظيمة مما طوي عنهم غيبه وهي فتنة الحجاج وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن ملك بن كعب من الاحلاف قوم من ثقيف وكان ضعيف العين دقيق الصوت ذيالا اي طويل الذيل يسحبه تبخترا ميالا اي كثير التمايل كبرا واخراثه باكل خضرتهم وكنى بها عما هم فيه من الابهة وسلامة النفوس والاموال وحسن الاحوال وباكلها عن ازالته تلك وتغيرها الى اضدادها ولفظ الاكل مستعار لذلك ووجه الاستعارة ظاهر وكذلك استعار لفظ الشحمة لثرائهم وقوتهم ووصف الاذابة لافنائه ذلك بالقتل والاهانة ومصداق ذلك المشهور من فعله باهل العراق كما سبق بيانه في ذكر الكوفة ثم قال ايه ابا وذحة وكلمة ايه اسم من اسماء فعل الامر يستدعي بها الحديث المعهود من الغير ان سكنت وان نونت كانت لاستدعاء قول او فعل ما وقيل المنون للوقف والتنوين للدرج فاما تعبيره عنه بابا وذحة فروي في سبب ذلك انه كان يوما يصلي على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال نحوها عني فانها وذحة من وذح الشيطان وروي انه قال قاتل الله قوما يزعمون

ان هذه من خلق الله فقيل له ماهي فقال من وذح ابليس وكانه شبهها بالوذحة المتعلقة بذنب الشاة في جمعها او شكلها فاستعارها لفظها ولسبته لها الى ابليس واستقذاره اياها واستنكاره لصورتها او لانها تشوشه في الصلوة وروى ابو علي بن مسكويه انه كان بتصبه وقال لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين ووجه بالدال مهملة وكنى بذلك عن كونه سفاكا للدماء قطاعا للامور وفيه بعد **ومن كلام له عليه السلم** فلا اموال بذلتموها للذي رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن اوصل اخوانكم **اقول** مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالمال والانفس وبذلهما للذي رزقها وخلقها اسند بحسن فان البخيل انما يستبيح بذله لما حظر ابن الله هامن الفقر والشح انه كثيرا ما يتوهم الاشخاص واستحق للمال الاهم فيكون ذلك واشالة عذرا لهم مع انفسهم في عدم البذل وكذلك الشح بنفسه انما يشح بها خوف الموت وان لا يكون له من هذه الحيوة عوض يستاديها فاذا اعلم ان باذل المال رازقه اياه وبعد ان يكون حسن الظن به زال عذره في البخل لعلمه بتعويضه خزائنه دبانه احق بما اذ كان المالك وما يملك لمولاه وكذلك يزول عذر الشح بنفسه لعلمه ان الطالب لبذلها هو الاحق بها وانه القادر على ان يوصله الى ما هو خير له من هذه الحيوة الفانية ونفى الانقطاع ما يتوهمونه عذرا في البخل بالمال والنفس يكون سهو بذلهما للمشكور وقوله تكرمون بالله على عباده اي تعززون وتشرفون على الخلق بانكم اهل طاعة الله وعباده ثم لا تكرمونه فيما يعود اليه ولا تجبون داعيه في اكرام عباده والالتفات الى فقرائهم بالبسيط من رزقكم ثم امرهم بالاعتبار بنزولهم منازل الدار جين وانقطاعهم عن اوصل اخوانهم تنبها لهم على انهم اشباههم في اللحاق بمن سلف والانقطاع عمن بقي والروى عن اوصل اخوانكم اي اقربهم اصلا اليكم وغايته في هذا الاعتبار تذكار الموت والعمل لما بعده **ومن كلام له عليه السلم** انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين والجنن يوم الباس والبطانة دون الناس بكم اضرب المدبر وارجو طاعة المقبل فاعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب فوالله اني لاولى الناس بالناس **اقول** الجنن جمع جنة وهي ما استترت به من سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على استدراجه طباع اصحابه الى مناصحته في الحرب فمدحهم لكونهم من اهل الدين ثم بالشجاعة ثم باعلامهم انهم من اهل خاصته الذين يعتمد عليهم في ضرب المدبر وطاعة المقبل وطلب منهم الاعانة بمناصحة صادقة سليمة من الشك في صحة امامته وانه اولى بالامر من غيره فلذلك اقسم انه كذلك وقد سبق بيانه **ومن كلام له عليه السلم** وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلم ما بالكم امخرسون انتم فقال قوم منهم يا امير المؤمنين ان سرت سرنا معك فقال عم ما بالكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد افي مثل هذا ينبغي لي ان اخرج انما يخرج في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي باسكم ولا ينبغي لي ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم اخرج في كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ وانما انا قطب الرحى تدور علي وانا بمكاني فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الراي السوء والله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدو لو قد حم لي لقاؤه لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف جنوب وشمال **اقول** الكتيبة الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة اوسع منها والثفال الرحى الجلد الذي يوضع عليه ليسقط عليه الدقيق وحم اي قدر ومدار هذا الفصل

على الدعاء عليهم مصدرا بالاستفهام عن حال الفئة التي تم عليها من مخالفته على سبيل الانكار عليهم ثم على الاشارة الى من خرج
بنفسه الى الحرب منكرا لذلك ايضا ثم على الاشارة الى من ينبغي ان يخرج عوضا له ثم بين وجه المفسدة في خروجه
وهو تركه مصالح التي عدها مما يقوم به امر الدولة ونظام العمل وخروجه على الوجه المذكور وخارج ذلك
وشبه خروجه معهم بالقدح في الجفير ووجه الشبه انه كان في تقدم الجيش قبل ذلك واراد ان يخرج من بقي من الابطال
في كتيبة اخرى فشبه نفسه في خروجه في تلك الكتيبة وحده مع تقدم الاكابر جماعة وتبعا لها بالقدح في الجفير الفارغ
في كونه يتقلقل وفي الوصف ان يقال لشريف اذا مشى في حاجة يؤتى بها من هو دونه وترك المهام التي لا يقوم
الا به ترك الهم الفلانية ومشى يتقلقل على كذا ثم استعار لنفسه لفظ القطب ملاحظا لدوران الاسلام ومصالحه
عليه كما يدور الرحى على قطبها وذلك هو وجه الاستعارة واستلزم ذلك تشبيه الاسلام واهله بالرحى وانه
اذا فارقها بخروجه الى الحرب اضطرب كاضطراب الرحى وخروج مدارها واستعارة عن الحركة المستديرة اهل
المستقيم ولما بين وجه المفسدة في رايهم حكم برداءته واكد ذلك بالقسم البار ثم ختم انه لولا رجاؤه لقاء الله
بالشهادة في لقاء العدو لو قدر له ذلك لفارقهم غير متاسف عليهم ولا طالب للعود اليهم ابدا تبرما من سوء صنيعهم
وكثرة مخالفتهم لاوامره وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ
وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ
وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ
وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ
وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ **اقول**
صدر الفصل بذكر فضيلته وهي علمه بكيفية تبليغ الرسالات واداءها وعلمه باتمام الله تعالى ما وعد به المتقين
في دار القرار فتمام وعده ان لا خلف فيه وتمام اخباره ان لا كذب فيها وتمام اوامره ونواهيه اشتمالها
على المصالح الخاصة والعامة وهكذا ينبغي ان يكون اوصياء الانبياء وخلفاؤهم في ارض الله وعباده ثم اردف
ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت علما واراد بضياء الامر انوار العلوم التي يبتنى عليها امور الاعمال
الدينية والدنيوية وما ينبغي ان يهتدي الناس به في حركاتهم من قوانين الشريعة وما يستقيم به نظام الامر من
قوانين السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان كل امر شرع فيه على غير ضياء من الله ورسوله
او احد اهل بيته وخلفائه الراشدين فهو محل الشبهة والزيغ عن سبيل الله واستعار لفظ الشرائع وهي
موارد الشاربة لاهل البيت ووجه الاستعارة كونهم موارد لطلاب العلم كما ان الشرائع موارد لطلبة الماء
وكونها واحدة اشارة الى ان اقوالهم لا تختلف في الدين بل علموا اسراره لم تختلف كلمتهم فيه فكلهم كالشريعة
الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبل ووجه المشابهة كونهم موصلين الى المطالب على بصيرة وقصد كما توصل
الطريق الواضح وقوله من اخذ بها لحق اي من اخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين من سالكي سبيل الله وندم على
تفريطه بتخلفه وقيل اراد بشرائع الدين وسبله قوانينه الكلية فان اي قانون عمل به منها فانه مستلزم
لثواب الله فهي واحدة في ذلك وموصل الى الجنة من غير جور ولا عدول وذلك معنى كونها قاصدة والاول

اظهر

اظهر لكونه في معرض ذكر فضيلتهم ولما كان غرض الخطيب من اظهار فضيلته قبول قوله شرع في الامر بالعمل ليوم القيمة
والذخائر الاعمال الصالحة ومعنى قوله ومن لا ينفعه حاضر لبه الى قوله اعوز ان اعتبروا حال حضور عقولكم فانها
ان لم ينفعكم الآن كانت اعوز واعجز عن نفعكم اذا غربت عند حضور الموت ومقاساة اهواله وما بعده من احوال
الآخرة ثم اكد التخويف بمناقشة الحساب بالتخويف بالنار واوصافها وحليتها مما تعذب فيها العصاة من الاغلال
والاصفاد والمقامع والسلاسل التي تشبه الحلية وقوله الا وان اللسان الى آخره تنبيه لهم على طلب الذكر الجميل من
الناس في العقبى وتهوين للمال وقد سبقت الاشارة الى هذا في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض
ومن خطبة له عليه السلام وقد قام رجل من اصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فلم ندر اي الامرين
أَرْشَدُ فصفق عليه السلام باحدى يديه على الاخرى ثم قال هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ
حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْراً فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ
الْوُثْقَى وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا اللَّهُمَّ
قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَءُوا
الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ
زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْقَتْلَى مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ
خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ أُولَئِكَ إِخْوَانِي
الذَّاهِبُونَ فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً
عُقْدَةً وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
اقول الضلع بفتح الضاد وسكون اللام الميل والهوى والداء الدوي الشديد وصف به من لفظه والدوي
اسم الفاعل من دوي اذا مرض والنزعة المستقون والركي جمع ركية وهي البئر ومره جمع امره وهي العين
التي فسدت اي عيونهم مارهة وسنى له كذا احسنه وسهله وعقلت عليه كذا اي حبسته عليه وكان هذا الكلام
منه عليه السلام بصفين حين امرهم بالحكومة بعد ان نهاهم عنها والسبب ان معوية لما احس بالعجز وظفر علي عليه السلام
به ليلة الهرير راسل عمرو بن العاص في الراي فقال انما خبات لك رايا لمثل هذا الوقت وهو ان تامر اصحابك
برفع المصاحف على الارماح ويدعون اصحاب علي الى المحاكمة الى كتاب الله فانهم ان فعلوا افترقوا وان
لم يفعلوا افترقوا وكان الاشتر صبيحة تلك الليلة قد اشرف على الظفر فلما اصبحوا رفعوا المصاحف والمصحف
الكبير بالجامع الاعظم على عشرة ارماح وهم يستغيثون معاشر المسلمين الله الله في اخوانكم في الدين هلموا الى
كتاب الله الله الله في النساء والبنات فقال اصحاب علي عليه السلام اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا
الى كتاب الله فالراي القبول منهم فغضب عليه السلام من هذا الراي فقال انها كلمة حق يراد بها باطل كما سبق القول
فيه فافترق اصحابه فريقين منهم من راى رايه عليه السلام في الاصرار على الحرب ومنهم من راى ترك الحرب والرجوع
الى الحكومة وكانوا الاكثرين فاجتمعوا اليه عليه السلام وقالوا ان لم تفعل فعلنا بك كما فعلنا بعثمان فخرج الى قولهم وامر برد
الاشتر عن الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وخالفوا به اصحابه عليه السلام واتفقوا على الحكومة فخرج بعض اصحابه من هذا الامر

بما امرتكم
بالموتى
وبالفرقة الفتنة ح

وقالوا أكف نبينا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلا ندري أي الأمرين أرشد وهذا يدل على أنه شاك في أمامه فشك فصفق بإحدى يديه على الأخرى فعل النادم غضبا من قولهم وقال هذا جزاء من ترك العقدة أي عقدة الأمر الذي عقده والحكم وهو الرأي في الحرب والإصرار عليها والذي كان أمرهم به هو البقاء على الحرب وهو المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا من الظفر وسلامة العاقبة وقوله وقومتكم أي بالقتل والضرب ونحوه وذلك معنى قوله تداركتكم وقوله لكانت الوثقى أي العقدة المحكمة وقوله ولكن بمن أي بمن كنت أستعين عليكم وإلى من أي إلى من أرجع في ذلك وقوله أريد أن أداوي بكم أي أريد أن أداوي ما بكم من بعضكم ببعض وأنتم دائي فأكون في ذلك كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها وهذا مثل تضربه العرب لمن يستعان به في إصلاح من يراد إصلاحه وميله إلى المستعان عليه يقال لا تنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها معها يقول إن استعنت ببعضكم في إصلاح بعض كنقش الشوكة بالشوكة ووجه المشابهة أن طباع بعضكم يشبه طباع بعض وميل إليها كما يشبه الشوكة الشوكة وميل إليها فربما انكسرت معها في العضو واحتاجت إلى منقاش آخر ثم رجع إلى الشكاية إلى الله وأراد بالداء الدوي ما هو عليه من اعتبار المخالفة له مرة وتثاقلهم عن صوته وبالأطباء نفسه فإن داء الجهل وما يستلزمه أعظم من سائر الأدواء المحسوسة وفضل أطباء النفوس على أطباء الأبدان بقدر شرف النفوس على الأبدان وهي استعارة لكلال أن تكون حقيقة وكذلك استعار لفظ النزعة بأشطان الركي لنفسه معهم لكأنهم عن المصلحة في قعر بئر عميق وقد كل هو من جذبهم إليها ثم أخذ في السؤال عن إخوانه من أكابر الصحابة الذين بذلوا جهدهم في نصرة الدين وأعرضوا عن الدنيا استفهاما على سبيل التوجع لفقدهم وهذا كما يقول أحدنا إذا وقع في شدة أين أخي ثم وصفهم بالأوصاف الحميدة ترغيبا للسامعين في مثل حالهم وإزراء عليهم حيث لم يكونوا بهذه الأوصاف وذلك بطريق المفهوم وقوله أولادها نصب بإسقاط حرف الجر أراد الفعل وهو قوله وله إذا غير متعد إلى مفعولين بنفسه وفي الخبر وله والدة بولدها وقوله لها بولهم أبا عند خروجهم للجهاد وقوله وأخذوا بأطراف الأرض أي أخذوها بأطرافها وزحفا زحفا وصفا صفا مصدران مؤكدان لجملتيهما قاما مقام الحال وقوله لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى أي كانوا في تلك الحال غير ملتفتين إلى حيهم ولا مراعين ولا قاتلين على حياته حتى يبشرون ببقائه أو يجزعون لموته فيعزون عنه بل مجردون للجهاد في سبيل الله وعلمهم يفرحون بقتل من يقتل منهم في سبيله وإن كان والدا لولده أو بالعكس وإنما كان السهر موجبا لصفرة اللون لأنه يهيج الحرارة ويفسد السحنة ويجفف البدن ويكثر فيه المرة والصفرة من توابع ذلك وسبب ذلك الأبدان النحيفة كما عليه أهل المدينة ومكة والحجاز وغبرة الخاشعين فقيل الزاهدين الخائفين من الله لعدم تخليهم بالدنيا واستعار لفظ الظماء للشوق إليهم ملاحظة لشبههم بالماء في شدة الحاجة فنزل الشوق إليهم والحاجة إلى لقائهم منزلة العطش إلى الماء فأعطاه لفظه وأراد بعقد الدين ما أحكم منه من القوانين والقواعد ومحل الشيطان لما زينه ترك قانون وسنة لا يجتمع عقده عقده لما سبق منهم من المعاصي والذنوب فكانت الفرقة حلا لتلك العقدة ونزغات الشيطان حركاته بالإفساد ونفثاته إلقاؤه الوسوسة في القلوب مرة بعد أخرى وعنى بمن أهدى إليهم النصيحة نفسه وبالله التوفيق

ومن كلام

ومن كلام له عليه السلام إلى الخوارج وقد خرج إلى معسكرهم أكلكم شهد معنا صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين فليكن من شهد صفين فرقة ومن لم يشهد فرقة حتى أكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال أمسكوا عن الكلام وأنصتوا لقولي وأقبلوا بأفئدتكم إلي فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها ثم كلمهم عليه السلام بكلام طويل من جملته أن قال ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوله رحمة وآخره ندامة فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أجيب أضل وإن ترك ذل ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيمانا ومضيا على الحق وتسليما للأمر وصبرا على مضض الجراح ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها

أقول التنفيس التفريج وأكثر هذا الفصل ظاهر مما سبق وقوله هذا أمر ظاهره إيمان أي رفع أولئك للمصاحف وطلبهم المحاكمة فإن ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع إلى كتاب الله وباطنه منهم عدوان أي حيلة للظلم والغلبة وأوله رحمة لكم لهم برجوعكم إلى قولهم وآخره ندامة لكم عند تمام الحيلة عليكم فأقيموا على شأنكم أي ما كنتم عليه من الاجتهاد في الحرب والناعق إشارة إلى طالبي الحكومة أو المشير عليهم بذلك الرأي وهو عمرو بن العاص وأخرجه في أوصاف إبليس ثم بعد ذلك ولقد كنا مع رسول الله إلى قوله مضض الجراح استدراج لهم بشرح حاله وحال الصحابة حيث كانوا في الجهاد مع الرسول صلى الله عليه وآله في زمنه لعلهم يتأسون بأولئك فيه وقوله ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام إنه شبهة على اعتراض عساهم يقولونه وجواب عنه وهو أن يقولوا إنما قتل إخواننا السابقون ما قتلوا ليقتلوهم على الدين الحق ويقتلهم ضلال الكفار وأما نحن فإنما يقاتل بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا إلينا ودعونا إلى المحاكمة إلى كتاب الله فأجاب بما معناه إنا إنما نقاتل في مبدأ الأمر دعوة إلى الإسلام ورغبة في رسوخ قواعده في المبدأ وقاتلنا لتحصيل ماهيته في الوجود وفي الأثناء قاتلنا لحفظ ماهيته وبقائها وحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل ما دخل فإذا طمعنا في خصلة محمودة يجمع الله بها تفرقنا ونتقارب بها إلى ما بقي فيما بيننا من الإسلام والدين رغبنا فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وكأنه عنى بالخصلة رجوع محاربيه إلى طاعته واتفاقهم عليه وهذا الكلام في قوة صغرى قياس ضمير احتج عليهم به وتقديرها أنكم حين طلبتم أن رفعهم المصاحف خدعة منهم احتججتم بهذا الجواب وتقدير الكبرى وكل من أجاب بهذا الجواب فليس له أن ينكر الحكومة إذ كان قد رضي بها فينتج أنه ليس لهم أن يأبوا الحكومة وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب وأي امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب إن أكرم الموت القتل

بالسيف والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش **اقول** بجذبه
شجاعته والتدرب بالرمح والمنع وقدامهم في هذا الفصل بمساعدة بعض لبعض ومنع بعضهم عن بعض ما يضاده كما
يمنع عن نفسه وبذلك يكون انقياد الاجتماع وتعاون الهمم حتى يكون كنفس واحدة وبذلك يكون الظفر وبعثه
واستمال ذوي النجدة بذكر فضيلة تخصهم دون من يذب عن نفسه اشارة لنجدتهم وتعظيما لهم وقوله ان الموت
طالب حثيث الى قوله ان اكرم الموت القتل تسهيل للقتل والموت بذكر انه لا بد وتسهيل للحرب عليهم واما ان اكرم
الموت القتل فاراد القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه الذكر الجميل في الدنيا والثواب الدائم في الاخرى
ثم اكد ذلك بالقسم ان الف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش وصدق ذلك في حق من نظر الى الدنيا
بعين الاستحقار ونظر الى نعيم الابد في الآخرة والذكر الجميل في الدنيا وحصلت له ملكة الشجاعة ظاهر وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وكأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون حقا ولا تمنعون ضيما
قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم **اقول** كشيش الضباب صوت جلودها بعضها ببعض عند الازدحام
والتلوم الانتظار والتوقف واشار بهذا الكلام الى انه يستحقهم لخوفهم من العدو وتعضهم عن الحرب بين الصفوف
ويأخذون في الهرب والتخفي فلا ينتفع بهم في أخذ حق او دفع ضيم ووصف الكشيش مستعار لهم باعتبار اجتماعهم
في الحيد عن العدو والهرب منه وهو وجه الشبه بكشيش الضباب وقوله قد خليتم والطريق اي طريق الآخرة
فالنجاة للمقتحم اي مقتحمها والمبادر الى سلوكها والهلكة للمتوقف عن ذلك والطريق منصوب على المفعول معه

ومن كلام له عليه السلام في حث اصحابه على القتال فقدموا الدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس
فإنه أنبى للسيوف عن الهام والتووا في أطراف الرماح فإنه أمور للأسنة وغضوا الأبصار فإنه أربط
للجأش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وراياتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم
والمانعين الذمار منكم فإن الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها وورائها
وأمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها أجزأ امرؤ قرنه وآسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه
فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة أنتم لهاميم
العرب والسنام الأعظم إن في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وإن الفار لغير مزيد في
عمره ولا محجوز بينه وبين يومه من رائح إلى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت أطراف العوالي اليوم تبلى الأخبار
اللهم فإن ردوا الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن
دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والأقدام وحتى يرموا بالمناسر
تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول
في نواحر أرضهم وبأعنان مساربهم ومسارحهم قال السيد رحمه الله الدعق الدق اي تدق الخيول بحوافرها أرضهم
ونواحر أرضهم متقابلاتها يقال منازل بني فلان تتناحر اي تتقابل **اقول** هذا الكلام قاله بصفين وأمور اشد
حركة ونفوذا والجأش روع القلب واضطرابه عند الخوف والذمار ما وراء الرجل مما يجب عليه حمايته وحفافا
الشيء جانباه ولهاميم العرب أجوادهم والموجدة الغضب والإبسال إسلام للهلكة والعوالي جمع عالية الرمح وهي

ما دون

ما دون سنانه والنسيم النفس والمنسر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواحر ايضا جمع نحيرة وهي آخر ليلة
من الشهر مع يومها كأنها تنحر المستقبل فيكون مراده في نواحر ارضهم اقاصيها والاعنان مساربهم اقطارها واقتراض
منها ومساربهم مراعيهم واعلم انه امرهم بأوامر في مصلحة الحرب وكيفيتها ونهاهم مناهي فأولها
الامر بتقديم الدارع وتأخير الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة الثاني العض على الاضراس وحكمته ما سبق في قوله
معاشر المسلمين استشعروا الخشية وفي قوله لابنه محمد بن الحنفية تزول الجبال ولا تزل وقد ذكرناه هناك
الثالث الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكر وهو انه اذا التوى الانسان مع الرمح حال ارساله كان
الرمي به اشد وذلك لان حركة الانسان بعد التوائه مع حركة يده حين الارسال فكانت حركته اشد
واقوى نفوذا الرابع غض الابصار وغايته ما ذكر من كونه اربط للجأش واسكن للقلب وعلة
ذلك ان مد البصر الى القوم فانه مظنة الخوف والفشل وعلامة لها عند العدو الخامس اماتة الاصوات
وغايته ايضا طرد الفشل اذ كانت كثرة اللغط والصياح علامة لخوف الصائح وذلك مستلزم لطمع العدو
فيه وجرأته عليه السادس قوله وراياتكم فلا تميلوها فان امالتها مما يطمع به العدو ويشوش واضطراب حال
فيطمع ويتقدم والنهي اذا مالت تغيب عن عيون الجيش فربما لا يهتدي كثير منهم الى وجه المطلوب السابع ولا تخلوها
ويستفيد منه التخلية الثامن ولا تجعلوها الى قوله منكم وذلك انها اصل نظام العسكر وعليها يدور وبها
يتقوى قلوبهم ما دامت قائمة فيجب في ترتيب الحرب ان يكون حاملها اشجع القوم وقوله فان الصابرين الى قوله
فيفردوها تخصيص لمن يحفظ الراية وبحثها بوصف الصبر على نزول الحقائق اي الشدائد الحقة المتيقنة التي
لا شك في نزولها كي يسارعوا الى حفظها والاحاطة بها رغبة في تلك المحمدة وبين بقوله لا يتأخرون عنها الى
قوله فيفردوها معنى التخلية التي نهاهم عنها وقوله فيسلموها وفيفردوها نصب الفعلان باضمار ان عقيب الفاء
في جواب النفي التاسع قوله اجزأ امرؤ قرنه العاشر وآسى اخاه بنفسه فهذان ماضيان في معنى الامر والتقدير
وليجز امرؤ قرنه وقرن اخيه ثم ذكرهم عدم الفائدة في الفرار اذ كانت غاية الفرار السلامة من الموت
وهو لا بد منه كقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذن لا تمتعون الا قليلا
واستعار لفظ سيف الآخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحياة وانما كان سيف الآخرة لانها
غايته ثم مدحهم بأوصاف يستقبح منها الفرار وهي كونهم اجواد العرب والسنام الاعظم واستعار لهم
لفظ السنام لمشاركتهم اياه في العلو والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه وانه لا فائدة فيه اما معايبه
فكونه يستلزم غضب الله فان الفار من الجهاد في سبيله عاص لامره والعاصي له مستحق لغضبه وعقابه
ثم كونه مستلزما للذل اللازم والعار الباقي في الاعقاب وهو ظاهر واما انه لا فائدة فيه فلان الفار
لا يزاد في عمره بفراره اذ علمنا بفراره انه لم يبلغ اجله المكتوب له فكان بقاؤه في مدة الفرار من عمره لازما
فيه وان لم يفر ما نفذ القضاء الالهي لا يحجز بينه وبين يومه فرار وفيه تخويف بالموت وقوله من رائح الى الله كالظمآن
يرد الماء استفهام عمن يسلك سبيل الله ويروح اليه كما يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لذلك
الرواح ووجه الشبه القوة في السير والسعي الحثيث واشار بقوله الجنة تحت اطراف العوالي الى ان مطلوبه

الرجوع الى الله بالجهاد وجذب اليه بذكر الجنة وحضها بجنة لان دخول الجنة غاية تلك الافعال التي هي غاية بها
مجازا تسمية للشيء باسم غايته ثم اعقب ذلك بدعا الله عليهم ان ردوا دعوة الحق بالتفرق والهلاك
ثم حكم بانهم لن يزولوا عن مواقفهم دون ما ذكره على سبيل التشديد والوعيد لهم والطعن الدراك المتدارك
وكنى بخروج النسيم منه عن كونه يخرق الجوف والا فلا يخرج منه النسيم الا بعد الطعنة ودوي النسيم
باللغات والشين المعجمة وهو الاسم والشم وهو بعيد وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في التحكيم انا لم
نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان
وانما ينطق عنه الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله وقال سبحانه
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده الى الرسول ان نأخذ
بسنته فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولاهم به واما
قولكم لم جعلت بينك وبينهم اجلا في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح
في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا تؤخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لاول الغي ان افضل الناس
عند الله من كان العمل بالحق احب اليه وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه فائدة وزاده فاين يتاه بكم ومن
اين اتيتم استعدوا للمسير الى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب
نكب عن الطريق ما انتم بوثيقة يعلق بها ولا زوافر عز يعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت
منكم برحا يوما اناديكم ويوما اناجيكم فلا احرار صدق عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء اقول هذا الفصل من
كلام له بعد سماعه لامر الحكمين وخدع عمرو بن العاص لابي موسى كرثه الامر اشتد عليه واوجع له وموزع
مولع اذا اغري به ونكب بتشديد الكاف جمع ناكب وهو العادل عن الطريق كبازل وبزل وزوافر
الرجل انصاره وعشيرته والحشاش جمع حاش وهو موقد النار وكذلك الحشاش بكسر الحاء وتخفيف
الشين كنائم ونوام وقيل هو ما يحش به النار اي يوقد والبرح بسكون الراء الشدة والاذى يقال
لقيت منه برحا بارحا وروي ترحا وهو الحزن وهذا الفصل من اوله الى قوله اولاهم به جواب عن
شبهة التحكيم للخوارج عن امره بالحرب بعد ان رضي بالتحكيم وتقرير الشبهة انك رضيت بتحكيم رجلين في
هذا الامر وعاهدت على ذلك وكل من رضي بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض عهده فتوجه خصومي هذه
الشبهة بقوله انا لم نحكم الرجال اي لم يكن تحكيمنا لهما رجلين وانما حكمنا القرآن لكن لما كان القرآن لا بد له من ترجمان
بين مقاصده ودعانا القوم الى حكم القرآن لم نكن نحن الفريق الكاره لكتاب الله المتولي عنه بعد امره تعالى
بالرجوع اليه والى رسوله في الكتاب والسنة فيما اشتبه امره بقوله فان تنازعتم الآية فاذا حكم بالصدق
عن علم كنا به فنحن احق الناس به اي اولاهم باتباعه واولاهم بان يقضى لكون الامر لنا كما نص قوله تعالى
وان طائفتان من المؤمنين الى قوله حتى تفيء الى امر الله وظاهر كون اولئك بعد عقد الامامة بغاة
عليه فوجب بنص الكتاب قتالهم وكذلك الآيات الدالة على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكان هو اولى
بالحق الذي يجب قتالهم عليه فكان الحاكم لهم محققا مخالفا لكتاب الله غير عامل به فوجب خلافه حكمه وان حكم

بسنة

بسنة رسول الله فنحن اولى الناس برسول الله لقرابته وعملي بسنته لو اخذتما الكتاب ونصه على وجوب
متابعة الامام العادل فكان الحاكم بغيره مخالفا للسنة ايضا فهذا خلاصة هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم الرجلين
لكونهما رجلين ولكن بتقدير حكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذي دعانا الخصم اليه وحيث خالفاه
لم يجب علينا قبول حكمهما وقوله واما قولكم الى قوله لاول الغي تقرير سؤال آخر لهم مع جوابه وذلك انهم
حين اتفقوا على التحكيم كتبوا كتاب الصلح وضربوا للحكمين اجلا مدة سنة وصورة الكتاب هذا
ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان قاضى علي بن ابي طالب على اهل العراق ومن كان معه
من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معوية بن ابي سفيان على اهل الشام ومن كان معه من شيعته من
المؤمنين والمسلمين انا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من
فاتحته الى خاتمته نحيي ما احيى القرآن ونميت ما امات القرآن فما وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان
لم يجداه اخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص وقد اخذ الحكمان من علي ومعوية
ومن الجندين انهما امينان على انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين
والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعمل بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان الامن والموادعة
ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الامة بالحق
لا بما يهوى واجل الموادعة سنة كاملة فان احب الحكمان ان يعجلا الحكم عجلاه وان توفي احدهما فلامير شيعته
ان يختار مكانه رجلا لا يالو الحق والعدل وان توفي احد الاميرين كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرضون
امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة واراد فيها الحادا وظلما وشهد فيه
من اصحاب علي عشرة ومن اصحاب معوية عشرة فذلك معنى الاجل في التحكيم وتقرير هذا السؤال انك حين
رضيت بالتحكيم لم ضربت بينك وبينهم اجلا فيه وما الحكمة في ذلك فاجاب انما فعلت ذلك ليتبين الجاهل
الى وجه الحق ويتثبت العالم اي في امره بحيث يخلص من الشبهة ورجاء لصلاح هذه الامة بهذا الصلح وقوله
ولا تؤخذ باكظامها فتعجل اي فتغتر باخذ الكظم عن الاخذ بغتة ومشاغرة وهو ان القوم لما اخذوا اول شبهة
عرضت من رفع المصاحف وهو اول الغي ولم يتثبتوا في امرهم اشبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم يتمكن من الاسترا
الى التنفس فاستعير وصف الاخذ بالكظم لهم وقوله ان افضل الناس الى قوله وزاده جذب الى الحق وان
ادى الى الغاية المذكورة وتنفير عن الباطل وان استلزم الغاية المذكورة بذكر الافضلية عند الله وقوله
من الباطل متعلق باحب اليه وقوله وان نقصه وكرثه اعتراض بينهما والحكم في هذه القضية ظاهر الصدق لان
ملازم الحق اتقى الخلق والاتقى افضل عند الله تعالى لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله فاين يتاه بكم
اي الى اي غاية يجوز هذا التيه الذي انتم اخذتم فيه وهو شبه على ذلك التيه فعل الغير بهم وقوله من اين اتيتم
اي من اي وجه دخلت عليكم الشبهة وشبه هذا السؤال تجاهل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم
اعقب ذلك التعنيف لهم بالامر بالمسير الى اهل الشام ووصفهم بالحيرة عن الحق والعمى عنه والاغراء بالجور
عن طريق الله بحيث لا يميل الجور عندهم وبجفاوة الطباع عن فهم كتاب الله وبنو الاحكام عنه وبعدهم عن طريقه

كل ذلك اغرابهم وقوله انتم بو بنفوا اي بروه وبنفوه وهو عتاب لهم وتعجب منهم في قلة طاعته وقوله يوما اناديكم
اي ادعوكم الى النصرة واستغيثكم ويوما اناجيكم اي اسارّكم واجادلكم في تدبيركم وقوله فلا احرار عند النداء
لان الحر من شأنه اجابة الداعي والوفاء بالوعد ولستم كذلك ولا اخوان ثقة عند النجاء لان اخا الثقة اذا ذل او
عوتب من اخيه انفت واذا احتج واعتذر اليه يرجع الى حق الاخوة لمكان وثاقته ولستم من ذلك في شيء وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما عوتب في التسوية في العطاء أتأمروني أن أطلب النصر بالجور
فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم في السماء نجما لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال
مال الله الا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه
في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم
وكان لغيره ودّهم فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر خليل والأم خدين **اقول** لا اطور
اي لا اقربه والسمير الدهر يقال لا افعله ما سمر سمير اي الدهر كله وكذلك لا افعله ما سمر ابنا سمير وابناه الليل
والنهار والخدين الصديق والتسوية في العطاء من سنة الرسول ص وكان ابو بكر كذلك في تلك السنة
فلما فضل من بعدهما اهل السابقة والشرف في العطاء على غيرهم اعتاد المفضلون بذلك الى زمانه عليه السلام
ولما كان سالكا مسالك الرسول ص ومقتفيا اثر سنته لم يكن الا التسوية فطلب المفضلون عادتهم من
التفضيل عند ولايته فهذا الكلام فقوله أتأمروني ان اطلب النصر بالجور جواب لمن اشار عليه
بالتفضيل وكان المشير قال له ان فضلت هؤلاء كان معك قلوبهم ونصرتك فاجابهم بذلك والجور
العدول عن سبيل الله بالتفضيل حيث كان خارجا عن سنة الرسول ص ثم اقسم لا يقرب التفضيل ابدا وان
المال لو كان له لكان من العدل ان يسوي بينهم فكيف والمال مال الله ووجه ذلك ان التسوية هي العدل
الذي يجتمع به النفوس في النصرة ويتألف الهم في مقاومة العدو دون التفضيل المستلزم لانكسار قلوب
المفضولين مع كثرتهم فلو كان المال له مع كونه بطباع البشرية الميل الى شخص دون شخص لسوى بينهم فكيف
والمال لله الذي تساوي نسبة الخلق اليه وما لهم الذي فرضه الله لهم في سواء وهو كالاعتذار لهم
لمادة الطمع في التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال في غير اهله وفي غير وجهه وغير اهله هم غير المفروض لهم وغير
وجه حقه الذي لم يفرضه الشارع واشار الى وجوه المفاسد ففي غير اهله تبذير وفي غير وجهه اسراف وعرفت
انهما طرفا الافراط من فضيلة السخاء وقوله يرفع صاحبه في الدنيا اي يحصل له بالتبذير ذكر الكرم بين العوام والتفاخر
ومن لا يعرف حقيقة الكرم ويضعه في الآخرة اذ كان مشاركه في ذلك يكرمه عند الناس ويهينه عند الله واما
حكمه بان الواضع لماله في غير حقه وعند غير اهله محروم شكرهم ولغيره ودهم وفي تقديره وقوعه اذا زلت نعله
الى ان يحتاج فيها الى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك امر يحصل بالاستقراء وهو مما يلحق التجربة واما سر ذلك فيحتمل
ان يكون لانهم لما كانوا غير اهل لوضع المعروف لم يكونوا اهلا للاعتراف به اما لجهلهم وغفلتهم او لاعتقادهم
ان المسدي اليهم غير اهل لشكرهم او انهم اعلى مرتبة واحق بالمال منه والاكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء
لنظر كل منهم الى ان غيره من المسدى اليه غير اهل وانه هو احق في ظنه دائما مبخوس الحظ من باذل المعروف

حاولي

فلا يزال متسخطا عاتبا عليه زاما الزمان ومع ذلك يتحقق انحرافه بمنع الباذل فاذا اصابه من غيره ادنى معروف
او لم يصبه بل سمع احدا ويشكر الناس له ساعده ومدحه واظهر فضله وقال انه ممن يضع المعروف في اهله
فيكون في ذلك كالمستهزئ بتهمة الباذل او كالمزري عليه والمعاير له وكنى بزلة النعل عن خطائه وعثاره
في المصائب وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايضا للخوارج فان أبيتم الا ان تزعموا اني اخطأت
وضللت فلم تضللون عامة امة محمد ص بضلالي وتأخذونهم بخطئي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم
تضعونها مواضع البراءة والسقم وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله رجم الزاني
ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث اهله ميراثه وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم
عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فاخذهم رسول الله بذنوبهم واقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام
ولم يخرج اسماءهم من بين اهله ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه وسيهلك
فيّ صنفان محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق وخير الناس
فيّ حالا النمط الاوسط فالزموه والزموا السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ
من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه
وانما حكم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن واحياؤه الاجتماع عليه واماتته الافتراق
عنه فان جرنا القرآن اليهم اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم آت لا ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم
ولا لبسته عليكم انما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين اخذنا عليهما ان لا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق
وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحق
سوء رأيهما وجور حكمهما **اقول** البجر الشر والامر العظيم والختل الخديعة والصمد القصد وهذا الفصل
مشتمل على خطاب الخوارج ودفع شبهتهم التي بها كفروا اصحابه ع وصورتها انكم ضللتم بالتحكيم وكل ضال
كافر فينتج انهم كفار فقوله ع فان ابيتم الى قوله وضللت يجري مجرى تسليم جدلي لما منعه اولا في الفصول
السابقة من صغرى شبهتهم وبين ان التحكيم لم يكن منه خطأ ولا ضلالا فكانه يقول وهب اني اخطأت
كما زعمتم وقوله فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي منع لصغرى هذه الشبهة وقوله وتكفرونهم بذنوبي
الى قوله بمن لم يذنب منع الكبرى فكانه يقول وهب انكم ضللتموهم بضلالي فلم تكفرونهم وتقتلون بسبب
تكفيرهم المذنب وغير المذنب وقوله وقد علمتم الى قوله من بين اهله استشهاد عليهم بفعل الرسول ص
فيمن اخطأ وانه لم يكفرهم بذنوبهم بل اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يسلبهم اسمه وهذا الاستشهاد
يجري مجرى ذكر سند المنع والزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه استحقاقه الرجم صدق الاسلام عليه
ولحوق احكامه له من الصلاة عليه وتوريث ماله لاهله وكذلك القاتل من اهل الكبائر مع انه لم يمنعهم ذلك
من اجراء احكام الاسلام عليهم وصدق اسمه المنافي لصدق الكفر عليهم وضمير الاثنين في نكحا يرجع الى السارق
والزاني اي لم يمنعهم استحقاق القطع والجلد من حصتهما من الفيء ولا من نكاح المسلمات وضمير الجمع في قوله
فاخذهم الله بذنوبهم الى قوله بين اهله راجعة الى كل من جرى ذكره من المذنبين والكلام المذكور حكاية حالهم

والعصبية لاهله يرجع الى الاسلام ثم لما فرغ من بيان غلطهم ذمهم ونسبهم الى الانفعال عن الشيطان اذ كانت
وساوسه مبادي الاغلاط والشبه ثم عقب ذلك بالاخبار عن هلاك من سلك طريق الافراط في حبه او بغضه
لخروجهما عن الحق والعدل الى الباطل والجور فافراط الحب ان جعل الها كالمنسوب الى النصيرية منهم ونحوهم من
الغلاة وافراط البغض ان نسب الى الكفر كالمنقول عن الخوارج وجعل خير الناس فيه حالا النمط الاوسط في محبته
وهم اهل العدل فيه والنمط الاوسط الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط
يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو المقصر الواقف في طرف التفريط والغالي هو العابر الى طرف الافراط
وامر بلزوم ذلك النمط ولزوم السواد الاعظم اي اكثر المسلمين المتفقين على راي واحد ورغب في لزوم
طريقتهم بان يد الله على الجماعة فتجوز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة اذ كانوا انجح وابعد من الانفعال
للعدو وآمن من الغلط والخطا لكثرة آرائهم واتفاقها فلا تكاد تتفق على امر مصلحة فيه مع كثرتها والخطا فيها
وحذر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المنفرد المستبد برايه للشيطان اي محل
تطرق الشيطان لانفراده وشبه ذلك بالشاذ من الغنم ووجه الشبه كون انفراده محلا لتطرق الهلاك اليه
باستغواء الشيطان له كان الشاة المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب ثم امر بقتل من
دعا الى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة والاستبداد بالراي وقوله ولو كان تحت عمامتي هذه مبالغة في
الكلام كنى بها عن اقصى القرب من غايته اي ولو كان ذلك الداعي الى هذا الحد من عنايتي به وقيل اراد ولو
كان ذلك الداعي انا وقوله وانما حكم الحكمان اعتذار عن شبهة التحكيم واسند اليهما لتعلق الاحياء والاماتة مجازا باعتبار
كونهما في الاجتماع عليه والعمل به مظهرين لمنفعته وغايته كما يفعل موجد الحيوة وكونهما في تركه والاعراض عنه
سببا لبطلان منفعته وعدم غايته كما يفعل مميت الشي ومبطل حيوته وقوله فلم آت لا ابا لكم بجرا اي امرا
لا يعرف وجه عذره في التحكيم انكار لكون فعله ذلك مشتملا على قصد شر او خديعة لهم او تلبيسا عليهم في التحكيم
من غير اتفاق منهم ومراجعتهم بل انما كان ذلك عن اجتماع آرائكم ثم على اختيار حكمين اخذت عليهما الشرائط والعهود
في كتاب الصلح وفي نسبة اختيار الحكمين الى ملائهم ونسبة اخذ العهد عليهما في اتباع الكتاب الى نفسه او الى
جماعة هو احدهم تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او بمشاركته دون تعيينهما للحكومة فلا يقال انه كان غير راض
بنصب ابا موسى نائبا عنه وانما اكره على ذلك وكان ميله واختياره في ذلك لابن عباس وتلخيص الكلام انا
انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بشرط عدم عند عدم ذلك الشرط فحين خالفا الشرط
عمدا بعد ان سبق استثناؤنا عليهما سوء رايهما وجب مخالفتهما والتبري منهما لانه معقول به عن سبق
وبالله التوفيق والعصمة ومن كلام له عليه السلم وهو مما كان يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا احنف كاني به
وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام
يومي بذلك الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور
وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها
وناظرها بعينها اقول الملحمة الوقعة العظيمة وهذا الفصل من خطبة له عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكرنا منها فصولا

فيما سبق والخطاب مع الاحنف بن قيس لانه كان رئيسا ذا عقل وسابقة في قومه وكان اسمه صخر بن قيس بن
معاوية بن حصين بن عبادة بن مرة بن عبيد بن تميم وقيل اسمه الضحاك وكنيته ابو بحر وسبب اسلام بني تميم حين
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق وينهاكم عن ملائمها
فاسلموا واسلم الاحنف وشهد مع علي عليه السلام صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير في قوله كاني به لصاحب
الزنج واسمه علي بن محمد علوي النسب والجيش المشار اليه هم الزنج ووقائعهم بالبصرة مشهورة واخبارهم وبيان
احوالهم وتفصيل وقائعهم يشتمل عليها كتاب مفرد في نحو من عشرين كراسة فليطلب علمها من هناك فاما وصف
ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان الزنج لم يكونوا اهل خيل ولا اجناد من قبل حتى يكونوا بالاوصاف المشار اليها
واثارتهم التراب باقدامهم كناية عن كونهم حفاة في الاغلب مشققي الاقدام فهي عن اعتيادهم الحفاء ومباشرة الارض
كالمشي ونحوه فكانت مظنة اثارة التراب عوضا من حوافر الخيل ووجه شبهها باقدام النعام ان اقدامهم في
الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور مفرقات الاصابع فهي من عرضها لا يتبين لها طول فاشبهت اقدام
النعام في بعض تلك الاوصاف ثم اخبر بالويل لمحال البصرة ودورها المزخرفة من اولئك واستعار لدورها
لفظ الاجنحة واراد بها الطاقات التي تعمل من الاخشاب والبواري بارزة عن السقوف كالوقاية لمشارف
والحيطان عن آثار الامطار وهي اشبه الاشياء في هيئتها وصورتها ووضعها باجنحة كبار الطير كالنسور وكذلك استعار
لفظ خراطيم الفيلة لميازيب التي تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار تكون نحوا من ذراع او ازيد
تدلى من السطوح حفظا للحيطان من اذى السيل اليه وهي اشبه الاشياء في صورتها بخراطيم الفيلة فاما وصفه لهم
بانه لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم قال بعض الشارحين ذلك وصف لهم بشدة الباس والحرص على الحرب
والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا ياسفون على من فقد منهم واقول والاشبه ان ذلك لكونهم لا اصول لهم ولا
اهل لاكثرهم من ام او اخت او غير ذلك ممن عادته ان يفجع ويندب قتيله ويفتقد غائبه لكون اكثرهم غرباء
في البصرة ممن قتل منهم لا يكون له من يندبه ومن غاب لا يكون له من يفقده وقوله انا كاب الدنيا لوجهها اشارة
الى انه هونها وشبه على فضيلته يقال كببت فلانا لوجهه اذا تركته ولم التفت اليه وقادرها بقدرها اي معامل
لها بمقدارها ولما كان مقدارها حقيرا عنده وكان التفاته اليها التفاتا حقيرا بحسب ضرورة البقا فيها وكذلك
ناظرها بعينها اي معتبرها بالعين التي ينبغي ان يعتبر بها الدنيا من كونها غدارة غرارة زائلة حائلة الى غير ذلك
من اوصافها وانها مزرعة الآخرة وطريق اليها غير مطلوبة لذاتها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم
يومي به الى وصف الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة يلبسون السرق والديباج
ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون المفلت اقل من
المأسور فقال له بعض اصحابه لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبيا
يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله
ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام فيعلم سبحانه ما في الارحام من ذكر
او انثى وقبيح او جميل وسخي او بخيل وشقي او سعيد ومن يكون في النار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب

الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم
عليه جوانحي أقول المجان بالنون جمع مجن بكسر الميم وهي الترس والمطرقة بفتح الراء والتخفيف التي تطبق وتخصف
كطبقات النعل يقال اطرقت بالجلد إذا ألبسته والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدها سرقة قال
أبو عبيد هي البيض منه وهو فارسي معرب أصله سره أي جيد كالاستبرق الغليظ من الديباج ويعتقبون
الخيل يحبسونها ويرتبطونها واستحر القتل واحراكا اشتد واعلم أنه من عادته إذا أراد الإخبار عن أمر
سيكون فإنه يصدره بقوله كأني كما سبق من إخباره عن الكوفة كأني بك يا كوفة وكقوله كأني به وقد نعق
بالشام ووجه ذلك أن مشاهدته بعين بصيرته لما أخبر عنه بنفسه القدسية من أنوار الغيب [illegible]
بواسطة الأستاذ المرشد صلى الله عليه وآله أشبه المشاهدة بعين البصر في الجلاء والظهور الخالي عن الشك
فلذلك حسن حرف التشبيه صدرا وهما يشبه الجمع في الفصل تعود إلى الأتراك وشبه وجوههم بالترس
المطبقة ووجه الشبه في تشبيهها بالترس الاستدارة والعظم والانبساط وفي كونها مطرقة الخشونة والغلظ
وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس وأما وصفه لهم بمراعاة لبس السرق والديباج واعتقاب الخيل فباعتبار أحوال
الترك تشهد بصدقه وأما إخباره عن استحرار القتل إلى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما يشهد بصدقه
التواريخ بالوقائع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين في أيام عبد الله بن الزبير وفي أيام قتيبة
بن مسلم ويكفي في صدق ذلك إلى الغاية المذكورة ما شاهدناه من وقائع التتار مع المسلمين وقتلهم أيام
بالعراقين وخراسان وغيرها من البلاد فأما جوابه عليه السلام للكلبي إن ذلك ليس بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم
وتقييده لمعلومات بعلم الغيب الذي لا يعلمها إلا الله سبحانه فحق وصدق وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب
والإخبار عن المغيبات في المقدمات لكن ينبغي أن يعلم أن التعلم الحاصل له من قبل الرسول صلى الله عليه وآله ليس
على سبيل أن كل ما ألقي إليه صور جزئية ووقائع جزئية بل معناه هو إعداد نفسه القدسية على طول الصحبة من
حيث كان طفلا إلى أن توفي الرسول صلى الله عليه وآله لهذه العلوم بالرياضة التامة وتعليم كيفية السلوك وأسباب
تطويع النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة حتى استعدت نفسه الشريفة للانتقاش بالأمور الغيبية و
انتقشت فيها الصور الكلية فأمكنه الإخبار عنها وبها ولذلك قال ودعا لي بأن يعيه صدري وتضطم عليه
جوانحي أي ينضبط قلبي ويشتمل عليه وكنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه ولو كانت تلك العلوم صورا
جزئية لم يحتج إلى مثل هذا الدعاء فإن فهم الصور الجزئية وضبطها والإخبار عنها ممكن لكل الصحابة من العوام وغيرهم
وإنما الصعب المحتاج إلى الدعاء بأن يعيه الصدر ويستعد الذهن لتصوره هو القوانين الكلية وكيفية انشعابها
وتفصيلها وأسباب تلك الأمور المعدة لإدراكها حتى إذا استعدت النفس بها أمكن أن تنتقش بالصور
الجزئية من جهتها كما سبقت الإشارة إليه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في ذكر المكاييل والموازين
عباد الله إنكم وما تأملون من هذه الدنيا أثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون أجل منقوص وعمل محفوظ فرب
دائب مضيع ورب كادح خاسر قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدبارا والشر فيه إلا إقبالا والشيطان
في هلاك الناس إلا طمعا فهذا أوان قويت عدته وعمت مكيدته وأمكنت فريسته اضرب بطرفك حيث

جواب

من الناس

من الناس فهل تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا أو متمردا
كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقرا أين خياركم وصلحاؤكم وأين أحراركم وسمحاؤكم وأين المتورعون في
مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم أليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة وهل
خلقتم إلا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فإنا لله وإنا إليه راجعون
ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا أعز
أوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته إلا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين
له والناهين عن المنكر العاملين به **أقول** الأثوياء جمع ثوي على فعيل وهو الضيف والدائب المجد في العمل
والكدح العمل والوقر الصمم والحثالة الثفل وكأنه الردي من كل شيء وقد نفر عليه السلام عن الدنيا بذكر عدة من
معايبها أحدها كونهم فيها ضيفانا واستعار لهم لفظ الضيف وذلك لما يلحقون فيها ووجه الاستعارة
شبههم بالضيف في تأجيل الإقامة وانقطاع وقته وقرب رحيله ومؤجلون ترشيح للاستعارة الثاني
كونهم مدينين فيها واستعار لفظ المدين باعتبار وجوب الفرائض المطلوبة منهم وعهدا أخذ عليهم
أن يرجعوا إليه طاهرين عن رجس الملحدين ورشح بذكر المقتضين لما أن شأن الدين أن يقتضى منه الدين
ثم لما ذكر كونهم مؤجلين ومدينين كرر ذكر الأجل بوصف النقصان ولا شك في نقصان ما يبقى وذكر العمل
الذي خالصه وصالحه هو الدين المقتضى منهم بوصف كونه محفوظا عليهم ليجذب بنقصان الأجل إلى العمل
وبحفظ العمل إلى إصلاحه والإخلاص فيه وأجل وعمل خبران حذف مبتدأهما أي أجلكم أجل منقوص وعملكم
عمل محفوظ ونبه بقوله فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر على أن العمل وإن قصد فيه الصلاح أيضا
إلا أنه قد يقع على وجه الغلط فيحصل بذكر الانحراف عن الدين وضلال عن الحق فيضيع العمل ويخسر الكدح كدأب
الخوارج ونحوهم فربما دخل الكادح في قوله تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وذلك كمن هو أهل الكتاب ونحوهم وقوله قد أصبحتم إلى قوله إقبالا
شكاية من زمانه وذم له وهو كقوله إنا قد أصبحنا في زمن كنود ودهر عنود وذلك لأخذ الزمان في البعد عن
وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجرأة الناس على انتهاك الدين وارتكاب مناهي الله ولذلك طمع الشيطان
في هلاكهم أي في هلاك دينهم الذي يكون غايته هلاكهم في الآخرة وأشار إلى أن ذلك الوقت هو أوان قوة عدته
وعموم مكيدته وإمكان عمله فأخذك بزماننا هذا وما بعده واستعار لفظ الفريسة لمطاوعي الشيطان والمتعلمين
عنه ووجه الاستعارة بلوغه منهم مراده وتصريفه لهم لغاية هلاكهم كالأسد مع فريسته وقوله اضرب بطرفك
إلى قوله وقرا شرع لما أجمله أولا من ذم الدنيا وإقبال الشر وإدبار الخير وكفر الغني تركه وإعراضه عن شكر
نعم الله سبحانه عليه وقوله بحق الله متعلق بالبخل أي أن البخيل يقصد بجعله بحق الله عليه مستحقه توفير المال وازدياده
فيه وقوله أين خياركم إلى قوله مذاهبهم سؤال عن باب تجاهل العارف تنبيها لهم على ما صاروا إليه من الفناء
وفراق الدنيا وعلى أنه لم يبق فيهم من أولئك الأعمال الصالحة أحد لعلهم يرجعون إلى لزوم الأعمال الصالحة
والاقتداء بالأحرار الكرماء والمتورعين في مكاسبهم الملازمين للأعمال الجميلة فيها من التقوى والسماحة وخلع

حقوق الله تعالى والمزهدون في مذاهبهم الممنوعون عن ولوج ابواب المحارم والشبهات في مسالكهم وحركاتهم
وقوله البس الى قوله المنغصة سؤال على سبيل التقريع لما نبههم عليه من فراق الدنيا ودنائتها بالنسبة الى
عظيم ثواب الآخرة وتنغيصها بالآلام ونحوها حتى قال بعض الحكماء ان كل لذة في الدنيا فانما هي خلاص من الم
وقوله وهل خلفتم الى قوله عن ذكرهم سؤال على سبيل التقريع لما ذكرناه ايضا واستعار لفظ الحثالة لرعاع الناس
وجهالهم وقوله لا يلتقي بذمهم الشفتان اى انهم احقر من ان يشتغل الانسان بذمهم وانتصب استحقارا وقوله
على المفعول له وحسن اقتباس القرآن هنا لان هذه الحال التي الناس عليها من فقد خيارهم وبقاء شرارهم
مصيبة لحقتهم ومن اداب امر الله للصابرين في نزول المصاب ان يسلموا انفسهم واحوالهم اليه فيقولوا عنده
انا لله وانا اليه راجعون كما قال سبحانه وبشر الصابرين الآية ثم حكم على سبيل التوجع والاسف بظهور
الفساد وبقي المنكر المغير للفساد والمزدجر عنه تنبيها لهم على انهم وان كان فيهم من ينكر ويزجر الا انه لا يغير
ما ينكره ولا يزدجر عن منكره وذلك من قبائح الاعمال واربابها وقوله افبهذا اى باعمالكم هذه المدخول في جنته
ومجاورة الله الوصول اليه والمقام معه في جنته التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات البدنية
ومقام تنزيه ذات الله تعالى وطهارتها عن اتخاذ الشركاء والانداد وهو استفهام على سبيل الانكار و
لذلك عقبه بقوله هيهات الى آخره ولما كان ذلك يجري مجرى الزهد الظاهر مع النفاق في الباطن اعني عدم
الدخول في الانكار للمنكر وارتكابه نبههم على ان خداعهم لله عن جنته وصرح بان الله لا يخدع لعلمه بالسرائر
وانه لا تنال مرضاته الا بطاعته اى الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف
مع تركهم العمل به والناهين عن المنكر المرتكبين له لانهم منافقون مغرون بذلك لمن يقتدي بهم والنفاق
مستلزم للعن والبعد عن رحمة الله وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** لابي ذر رحمه الله لما اخرج الى
الربذة يا ابا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك
في ايديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما احوجهم الى ما منعتهم وما اغناك عما منعوك وستعلم من
الرابح غدا والاكثر حسدا ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا
لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لاحبوك ولو قرضت منها لامنوك **اقول** ابو ذر
اسمه جندب بن جنادة وهو من بني غفار قبيلة من كنانة واسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا احدا ولا الخندق لانه
حين اسلم رجع الى بلاد قومه فاقام حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلعم وكان يتولى
عليا واهل بيته وهو الذي قال الرسول صلعم في حقه ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر
وروى ابن المعتمر عنه قال رايت ابا ذر آخذا بحلقة باب الكعبة وهو يقول انا ابو ذر الغفاري من لم يعرفني
فانا جندب صاحب رسول الله صلعم سمعت رسول الله صلعم مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها
غرق وكان قد اخرجه عثمن الى الربذة وهي موضع قريب الى المدينة واختلف في سبب اخراجه فروى
عن زيد بن وهب انه قال قلت لابي ذر رضه وهو بالربذة ما انزلك هذا المنزل قال اخبرك اني كنت
بالشام في ايام معوية فذكرت قوله تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الآية فقال معوية

هذه نزلت في اهل الكتاب فقلت بل فينا وفيهم فكتب معوية الى عثمن يشكوني في ذلك فكتب الي ان اقدم علي فقدمت
عليه فانثال الناس علي كانهم لم يعرفوني فشكوت ذلك الى عثمن فخيرني وقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة
وهذا قول من نزه عثمن عن ظلم ابي ذر ونفيه اذ كان خروجه الى الربذة باختياره وقيل بل كان يغلظ القول
في انكار ما يراه منكرا ويذم عثمن ويقول لم يبق اصحاب محمد على عهده وينفر بهذا القول واشباهه فاخرجه
لذلك وخطابه عم لابي ذر ايضا يناسب القول الثاني فقوله انك غضبت لله شهادة له ان الانكار الذي ينكره انما قصد
به وجه الله تعالى وقوله ان القوم خافوك على دنياهم اى في امر الخلافة بالتغير عليهم وخفتهم على دينك باجتناب
مواخذتهم واخذ عطائهم على غير السنة وقوله فاترك الى قوله منعوك اى اترك لهم دنياهم واربح بدينك فما احوجهم
الى دينك واغناك عن دنياهم وقوله وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا اى يوم القيمة وظاهر كون تارك
الدنيا اربح من المقبل عليها وكثرة الحسد من لواحق كثرة الربح وقوله ولو ان السموات الى قوله مخرجا بشارة له
بخلاصه مما هو فيه من ضيق الحال بسبب الاخراج وشرط في ذلك تقوى الله اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا وقال ابن عباس قرا رسول الله صلعم ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن
غمرات الموت وشدائد يوم القيمة وظاهر كون التقوى هنا استعارة لما كالطعام المتقي من الدنيا وشبهاتها
وهو مستلزم لراجيه من مجاذبة النفس الامارة بالسوء والوقوع في شبهات الدنيا وهي في استلزام الخلاص
من غمرات الموت وشدائد يوم القيمة اظهر وكنى عم بالغاية المذكورة وهي رتق السموات والارض على العبد عن
غاية الشدة مبالغة بتبيين فضل التقوى ثم امره بالاستئناس بالحق وحده والاستيحاش من الباطل وحده
واكد الحصر في الموضعين بقوله وحده تنفيرا عن ان يستوحش من حق ما جبرك وينفر عنه وان صعب شيء على
النفس او يستانس بباطل ما فيفعل او يسكت عليه وان لذ لها ونبه على علة بغضهم واخافتهم له وهو عدم
مشاركتهم في دنياهم والانفراد بالانكار وغلظ القول عليهم وكنى بالقرض من الدنيا عن الاخذ منها وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلم ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم اظارهم
على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان اطلع بكم سرار العدل او اقيم اعوجاج
الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد
المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيامن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللهم
اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول الله صلعم بالصلوة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون على الفروج
والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي
فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها
دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة **اقول** اظارهم اعطفهم ووعوعة الاسد صوته وسرار العدل
ما خفي منه والنهمة الحرص على الدنيا وقد اتى بالنفوس لصفة الاختلاف اى اختلاف الاهواء والقلوب المتشتتة اى
المتفرقة عن مصالحها وما خلقت له جلوا ارادة بغيبة عقولهم في هو ما عن رشدها واجابة وجه الحق بالضد اذنها
عن دعائه الى ما ينبغي وشبه نفارهم بنفور المعزى من صوت الاسد ووجه التشبيه شدة نفارهم عن الحق ثم ابتدء

اظهاره للعدل واقامة الدين بتعلم الجاهل منهم حكمه من جهة طاعته ثم عقب ذلك باستشهاده سبحانه على ان قصده
بمنافسته في امر الخلافة لم يكن في سلطان ولا التماس فضل حطام دنيوي ولكن الغاية التي ذكرها من رد معالم الدين
وهي الآثار التي يهتدى بها وكذا سائر ما عدده من المصالح ثم تلى ذلك الاستشهاد باستشهاده على انه
اول من اناب اي رجع الى الله تعالى عما العلم كان يعتقد في حقه ذنبا وسمع اي اطاع الله واجاب الى داعي الله
ثم استثنى سبق الرسول صلى الله عليه وآله الى الدين بالصلوة وذلك امر معلوم من حاله وانما يقول ذلك لانه حين تبع الرسول
كان طفلا لا اعتداد باسلامه وسنذكر ذلك في موضعه من الخطبة المسماة بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد
مع ما بعده من الاشارة الى الرذائل التي ينبغي ان يكون الامام منزها عنها تقرير فضيلته وتنبيههم على ان فيه
من الفضائل ما يقابل تلك الرذائل بتعديدها ونفيها عن الامام الوالي لامور المسلمين والاشارة الى وجوه
المفاسد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه من ذلك بقوله وقد علمتم انه اما البخيل فلشدة حرصه على ما في ايدي
الناس من الرعية وقد عرفت ما يلزمه من نفارهم عنه وعدم انتظام الاحوال به واما الجاهل فلانه لجهله
بقوانين الدين وتدبير امور العالم ضال ويضل ويستلزم ضلال من اقتدى به وذلك ضد مقصود الشارع
واما الجافي فلان جفاه يستلزم النفرة والانقطاع عنه وذلك ضد الالفة والاجتماع المطلوب للشارع
واما الحائف من الدول فيخص بعنايته من يتخذه دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم واما
المرتشي في الحكم فلظلمه وذهابه بالحقوق والوقوف بها على الحيف دون المقاطع الحقة حتى احد بها
اذا اراد فصل قضيته واوقع بها طويلا وصعب الحق وعرض بغوضه واشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور
الحق لاحدهما وكانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحق من فواته ليجنح الى الصلح والرضى ببعض حقه ليأخذ منه
قدر ما يأخذ منه رشوة ايضا وربما كانت في المقدار كرشوة المبطل منهما واهم في ذلك جعل يوجر فانه ظالم
واما المستحقون [illegible] واما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة واهمالها المستلزم لفساد
النظام في الدنيا والهلاك الدائم في الاخرى وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** نحمده على ما اخذ واعطى
وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل سريرة العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون ونشهد
ان لا اله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان **اقول** الضمير في
قوله نحمده يعود الى اسم الله في كلام سابق لم يذكر وقد حمد وشكر الله تعالى على اخذه وعطائه وعلى ابلائه بالخير
وابتلائه بالشر وينبه بذلك على وجوب شكر الله تعالى في طوري السراء والضراء وحالتي الشدة والرخاء
فاما وصفه له بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غير مرة ومصداق الوصفين الاولين قوله تعالى
يعلم السر واخفى ومصداق الاخير قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقد
سبقت الاشارة الى اسرار الشهادتين ونجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول وقوله شهادة يوافق
فيها اه اي شهادة خالصة من النفاق والرياء وبالله التوفيق **منها** فانه والله الجد لا اللعب والحق
لا الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه واعجل حاديه فلا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رايت
من كان قبلك ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل به الموت

فازعجه

فازعجه عن وطنه واخذه من مأمنه محمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملا على المناكب وامساكا
بالانامل اما رايتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا
بورا وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون
فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا هبلها واعملوا للجنة عملها وان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام
بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها الاعمال الى دار القرار فكونوا منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال
اقول المشيد المعلى والاهتبال في الامر السعي في احكامه وهبلها مصدر مضاف الى ضمير التقوى مؤكد لفعل
اي احكموا احكامها والاوفاز جمع وفزة وهي العجلة والضمير في قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور سابق او
الى معنى كلامه وهو التحذير والانذار وذلك الذي في قوله وما هو الا الموت يحتمل ان يعود الى المفهوم السابق
ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به اي وما الذي احذركم بجوده عليكم الا الموت واسمع واعجل
عليها النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك الى قوله وامن العواقب اي فلا يغرنك من نفسك
الامارة بالسوء وسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت برؤية سواد الناس اي كثرتهم اذ كثيرا
ما يرى الانسان الميت محمولا فيتدارك من ذلك رقة وروعة ثم يعاوده الوسواس الخناس ويأمره
باعتبار كثرة المشيعين له من الناس وان يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين فيلاحظ شبابه وصحته ويأمره باعتبار
اسباب موت ذلك الميت من القتل وسائر الامراض وباعتبار زوال تلك الاسباب في حق نفسه و
بالجملة فيجتهد في اعتباره غير الموت بكل حيلة فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعة واسند
الغرور الى سواد الناس لانه مادته ثم نبههم بقوله وقد رايت الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخدع
مشاهدة والواو في قوله وقد واو الحال ومن في قوله ممن جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان قبلك
والمقصود انه كان نزل بامثالك الموت وازعجهم عن اوطانهم فلك اسوة بهم وقوله طول امل نصب على المفعول له
اي فعلوا ذلك لاجل طول الامل ويحتمل ان يكون مصدرا سد مسد الحال ويحتمل ان يكون ظرفا والعامل امن
وقيل هو بدل من قوله من كان قبلك اي رايت طول امل من كان قبلك ويروى بطول امل واعواد المنايا
النعوش ويتعاطى به الرجال الرجال اي يسلمه الحاملون له بعضهم الى بعض والخطاب بالكاف لشخص المخاطب
او لشخص على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة وقوله اما رايتم استفهام على سبيل التقرير وانما
كانوا لا يستطيعون زيادة في حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هي الدنيا دون ما بعدها وقوله
فمن اشعر التقوى قلبه اي من اتقى تقوى حقيقية برزت تؤدته اي ظهرت عليه آثار الرحمة الالهية في السكينة
والوقار والحلم والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وغلبت راحته في الآخرة وفاز عمله فيها بالجزاء الاوفى
ثم امرهم باحكام التقوى اي ان يتقوا الله تقوى حقيقية فانها التي يستحق بها الثواب الدائم وان يعملوا
للجنة عملها التي يستحق به ثم نبههم على وجوب العمل للجنة بالتصريح بان الاجل خلقت الدنيا وانها لم تخلق دار اقامة
بل طريقا يعبر بها الى الآخرة كما يعبر المسافرون ويتزودون منها الاعمال الصالحة الموصلة الى الجنة وامرهم ان
يكونوا فيها على سرعة في قطع عقباتها وعجلة في الارتحال عنها لان التأني فيها يستلزم الالتفات الى لذاتها والغفلة

عن المقصد الحق واستعار لفظ الظهور وهي الركوب لمطايا الآخرة وهي الاعمال الصالحة وتقربها الى زيال
هو العناية بالاعمال المقربة الى الآخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها وعن زخارفها ومن خطبة له عليه السلم
وَانقادت له الدنيا والآخرة بازمّتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو
والآصال الاشجار الناضرة وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة
اقول المقاليد المفاتيح جمع مقلد بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك وهذا الفصل مشتمل على تمجيد الله سبحانه
واظهار عظمة سلطانه فانقياد الدنيا والآخرة له بازمتها دخولهما في ذل الامكان والحاجة اليه وقوله
وقذفت اليه السموات والارض بالرزق والرحمة وقال ابن عباس مقاليد الخزائن ومقاليد السموات
والارض خزائنها واقول لفظ القذف مجاز في تسليمها وانقيادها بزمام الحاجة والامكان الى قدرته
مع جميع ما هي سبب في وجوده في هذا العالم مما هو رزق ورحمة للخلق وكذلك لفظ المفاتيح على راى ابن عباس
استعارة للاسباب المعدة للارزاق والرحمة وتلك الاسباب كحركات السموات والاتصالات
بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات الارض للنبات وغيره ووجه الاستعارة ان هذه الاسباب
باعدادها المواد الارضية يفتح بها خزاين الجود الالهي كما يفتح الابواب المحسوسة بمفاتيحها وكلها مسلمة
الى حكمه وجريانها بمشيئته وعلى قول ابن عباس فلفظ الخزاين استعارة في مواد وفي استعداداتها ووجه الاستعارة
ان تلك المواد والاستعدادات تكون فيها بالقوة والفعل جميع المحدثات من الارزاق وغيرها كما يكون
في الخزاين ما يحتاج اليه وسجود الاشجار الناضرة له بالغدو والاصال خضوعها وذلتها تحت قدرته وحاجتها
الى جوده وتنبيه قدح النيران ايضا لما انها السبب المادي وان كان القدح حقيقة في فعل السبب الفاعلي
القريب وجعل ذلك له تعالى لانه الفاعل الاول وقوله وآتت اكلها بكلماته اي اوامره واحكام قدرته
المعبر عنها بقوله كن واطلاق الكلمات عليها استعارة ووجهها نفوذ تلك الاحكام في المحكومات كنفوذ
الاوامر القولية في المامورات واراد باتيان الثمار دخولها في طور عالم الوجود المعبر عنه بقوله تعالى
فيكون وبالله التوفيق منها وَكتابُ اللهِ بين أظهُرِكم ناطقٌ لا يَعيا لِسانه وبيتٌ لا تُهدم اركانه وعزٌّ
لا تُهزم اعوانه اقول هذا الفصل كانه في معرض التوبيخ على ترك اوامر الله ومخالفة احكامه وتنبيه ان
يكون الواو للحال كانه يقول كيف تفعلون كذا وكتاب الله بين اظهركم ناطق وكونه بين اظهركم كناية عن وجوده
بينهم مع ان من شانه ان يستند اليه واستعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار ان المكتوب يعبر عن المقصود
كالانسان الناطق كذلك ولفظ اللسان وانه لا يعيا ترشيح للاستعارة وكنى بها عن بيان الكتاب على مرور الاوقات
ويحتمل ان يريد باللسان نفسه عليه السلم مجازا اذ كان هو لسان الكتاب الذي لا يفتر ولا يقصر عن بيان مقاصده
وكذلك استعار لفظ البيت باعتبار كونه حافظا لما فيه وللعاملين به كما يحفظ البيت اهله واركانه
قواعده الكلية التي بني عليها نظام العالم من الاوامر والنواهي والمواعظ والحكم وتلك القواعد لا تكاد
تنهدم في وقت من الاوقات اذ الحكم الكلية صالحة لجميع الاوقات وكونه عزا مجازا اطلاقا لاسم اللازم
على ملزومه اذ كان حفظه والعمل به مستلزما للعز الدائم الذي لا يعرض له ذل واعوانه وملائكته وحملته واولياؤه

واولئك

واولئك اعوان لا خوف عليهم ولا انهزام لجمعهم من امر وبالله التوفيق منها أَرسَلَهُ على حين فترة
من الرُّسُلِ وتنازعٍ من الأَلسُنِ فقفّى به الرُّسُلَ وختم به الوحي فجاهد في الله المُدبِرين عنه والعادلين به
اقول فقاه اتبع به من قبله وغرض الفصل الثناء على الرسول صلى الله عليه وآله فقوله ارسله الى قوله الالسن بيان
لبعض امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذي يندرس فيه الشريعة السابقة والقوانين التي
بها نظام العالم ويحتاج الخلق الى قوانين مجددة لنظام احوالهم فيجب بعثة رسول وكانت الفترة بين
عيسى ومحمد عليهما السلم ستمائة وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن واختلاف الخلق في الاراء والمذاهب
وعدم الاتفاق على قانون شرعي جامع لهم وقوله وقفى به الرسل كقوله تعالى وقفينا من بعده بالرسل
وقوله وختم به الوحي كقوله وخاتم النبيين وهذا الختام مستفاد من الشريعة وليس للعقل فيه حكم بانقطاع
الرسل فيما بعد مجال بل ذلك من الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع اوامره
ونواهيه والعادلون به الجاعلون له عديلا وهو الله والمثل كالمشركين تعالى عما يقولون علوا كبيرا ونسبة
المجاهدة الى الله تعالى استعارة ووجهها انه تعالى رمى بمحمد صلى الله عليه وآله المشركين كما يرمي المجاهد بنفسه واعوانه مجاهده
وبالله التوفيق منها وَإنّما الدنيا مُنتهى بَصَرِ الأعمى لا يُبصرُ مِمّا وراءها شيئاً والبصيرُ يَنفُذُها بَصَرُهُ ويعلمُ
أنّ الدارَ وراءها فالبصيرُ منها شاخصٌ والأعمى إليها شاخصٌ والبصيرُ منها مُتزوِّدٌ والأعمى لها مُتزوِّدٌ اقول
الشاخص الذاهل والسائر والشاخص ايضا الذي يرفع بصره الى الشيء ويمده اليه وهذا الفصل مع قلة
الفاظه يشتمل على لطايف فالاولى ان الدنيا منتهى بصر الاعمى وقد شبّهها واستعار لفظ الاعمى للجاهل كقوله تعالى
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين
بصيرته الحق كما لا يدرك الاعمى من المبصرات واشار بقوله لا يبصر مما وراءها شيئا الى جهله باحوال الموت
وما بعده من سعادة الآخرة وشقاوتها فان قلت انه اثبت للاعمى البصر واثبت انه بصر الدنيا وذلك
نوع مناقضة قلت انه لما اراد بالاعمى اعمى البصيرة وهو الجاهل استعارة لم يكن في اثبات البصر الحسي له
ونظر الدنيا به مناقضة ويحتمل ان يريد ببصره ايضا بصر بصيرته استعارة وظاهر ان منتهى بصر بصيرة الجاهل
التصرف في احوال الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان ينفذه غيره لما وراءها من احوال الآخرة الثانية
قوله والبصير ينفذها بصره استعار لفظ البصير للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه ما وراء الدنيا من احوال
الآخرة وعلمه انها دار القرار الثالثة قوله فالبصير منها شاخص اي راحل مسافر قد جعلها طريقا له الى الآخرة
والاعمى اليها شاخص اي متطلع اليها بعين بصيرته وهمه وان كان اعمى عن مصالحه الحقيقية وعن آفاتها وارزائها
المخوفة وفي هذه القرائن التي جعلها من اقسام البديع التجنيس التام والمطابقة بين الاعمى والبصير الرابعة قوله
والبصير منها متزود اي بالتقوى والاعمال الصالحة في سفره الى الله تعالى والاعمى لها متزود اي متخذ لذاتها و
قنياتها زادا له في حفظها مدة عمره قد جعل هو الزاد الحقيقي والكمال الذي ينبغي له وهي في البديع كالتي قبلها
وبالله التوفيق منها وَاعلموا أنّهُ ليسَ من شيءٍ إلّا ويكادُ صاحبُهُ يَشبعُ منهُ ويَمَلُّهُ إلّا الحيوةَ فإنّهُ لا يجدُ له في الموتِ
راحةً وإنّما ذلك بمنزلة الحكمةِ التي هي حيوةٌ للقلبِ المَيّتِ وبصرٌ للعينِ العمياءِ وسمعٌ للأذنِ الصمّاءِ وريٌّ للظمآنِ وفيها

التي لكم والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على
بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله قد اصطلحتم على الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم
وتصافيتم على حب الآمال وتعاديتم في كسب الاموال لقد استهام بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان
على نفسي وانفسكم **اقول** الدمن آثار الناس وما سودوا من ... والغل الغش والحقد وقد استثنى
الحيوة عما يشبع منه ويمل ثم علل عدم ملال الحيوة بفقدان الراحة في الموت قال بعض الشارحين ان فقدان
الراحة في الموت مخصوص باهل الشقاوة في الآخرة فاما اولياء الله وعباده الصالحون فلهم في الموت الراحة
الكبرى كما اشار اليه سيد المرسلين ص ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله قال بعضهم بل يحمل على العموم مراعاة
لظاهر الكلام وذلك من وجهين احدهما ان بالموت يفوت تجارة الآخرة وينقطع الاستعداد لكمال اشرف
مما حصل عليه الميت وان كان وليا فلا جرم لا يجد الراحة التي يحصلها بالفوت من ذلك الكمال الثاني ان النفوس
البشرية ما لم يكمل معارفها ضرورية ولم تتمكن ما دامت في هذه الابدان من الاطلاع على ما بعد الموت من
سعادة او شقاوة فبالحري ان لا يجد لها راحة بتصور ما في الموت قال وذلك لا ينافي الخبر ليس للمؤمن راحة
دون لقاء الله اما على الوجه الاول فلان الراحة الحاصلة من الكمال الفائت بالموت لا تحصل له وان حصل
على راحة ما بحسب طاعته السابقة واما على الثاني فلان المؤمن لا يجد له ما دام في الدنيا راحة في الموت و
ذلك لا ينافي ان تحصل له الراحة عند لقاء الله كما نقل ان الحسن ع لما حضر سفره الى الآخرة بكى فقال له اخوه
الحسين ع ما لي اراك تكاد تجزع مع يقينك بانك تقدم حيث تقدم على جدك وابيك فقال نعم يا اخي
لا اشك في ذلك الا اني سالك مسلكا لم اسلكه من قبل واقول ان كان مراده ع بقوله لا يجد في الموت
راحة اي في نفس الموت مع قطع النظر عن غيره من احوال الآخرة فالحق قول من عمم فقدان الراحة في حق
الجميع اذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لاحد من الناس كافة وان كان مراده فقدان الراحة في الموت
وما بعده فالحق التخصيص باهل الشقاوة الدائمة فان شدة محبة الحيوة ونقصانها متفاوتة بحسب تصور
زيادة الراحة في الآخرة ونقصانها وذلك ظاهر عند اعتبار اهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية واهل الآخرة
المقبلين عليها بالكلية ومن بينهم من طبقات السالكين وقوله وانما ذلك اي الامر الذي هو احق بان لا يمل ولا
يشبع منه بمنزلة الحكمة اي ما كان بمنزلة الحكمة والحكمة في لسان الشريعة هي العلم النافع في الآخرة وقد يطلق
على ما هو اعم من ذلك ثم ذكر لها اوصافا الاول انها حيوة القلب الميت وقد مر ان القلب في عرف العارفين
هي النفس الانسانية واستعار للحكمة لفظ الحيوة ووجه المشابهة كون الحيوة بها وجود القلب وبقاؤه كما ان
الحكمة بها بقاء الانسان وسعادته في الدارين وكذلك استعار لفظ الميت لقلب الجاهل باعتبار انه غير مطلع على
وجوه مصالحه ومفاسده في الدارين وغير منتفع بشيء او دفع تعذر كالميت الثاني استعار وصف البصر
للحكمة ووصف العمياء لعين الجاهل ثم يجوز ان يكون لفظ العين ايضا استعارة في بصيرة الجاهل ويجوز ان يكون
المراد حقيقته ووجه الاستعارة الاولى ان بالحكمة يبصر الانسان مقاصده ويهتدي وجوه مصالحه الدنيوية
والاخروية كما يهتدي البصير بعينه وجوه مسالكه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة الجاهل لا يهتدي في تلك

الوجوه

الوجوه كما لا تهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالثة ان بصر الجاهل تابع لبصيرته فاقدامه واحجامه وتصرفاته
المنسوبة الى حس البصر وغيره تابعة لما يتصوره ولما كانت تلك التصرفات غير نافعة في الاكثر بل قد يكون
ضارة لا جرم اشبهت من الباصرة التي ترتفع بها سوء تلك التصرف العين العمياء فاستعير لها لفظها وكذلك
استعار لفظ السمع ولفظ الصماء للاذن ووجه الاستعارات ما سبق فان المراد بالسمع ادراك البصيرة
والاذن يحتمل ان يراد بها البصيرة استعارة او الاذن المحسوسة وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ
الظمآن للجاهل ووجه الاول ان الحكمة تملأ النفس وتجدها تشفيها من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن ويرفع غلته
ويشفي به من الم الظمأ ووجه الثانية ان الجاهل يجد الم الجهل ويكون سببا لموته في الآخرة كما يلحق الظمآن الم الظمأ
الثالث ان فيها الغنى كله والسلامة واراد بالغنى غنى النفس عن كل شيء وكمالها بها فان غاية الحكمة الوصول
الى الحق سبحانه والغرق في بحار معرفته وفي ذلك غنى العارف عن كل شيء واراد بالسلامة سلامة النفوس
من عذاب الجهل اذ ثبت في اصول الحكمة انه السبب الاكبر في الهلاك الاخروي وقوله كتاب الله خبر مبتدأ اما
خبر ثان لذلك وما كان بمنزلة الحكمة جزاء اول او لمبتدأ محذوف تقديره وهو كتاب الله ويحتمل ان يكون عطف
بيان لما كان بمنزلة الحكمة وذكر له اوصافا الاول قوله تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على الحكمة
ووجه شبهه بها في انه ابصار الجاهلين لمقاصدهم الدنيوية والاخروية لما فيه من الحكمة الثاني وكذلك تنطقون
الثالث وتسمعون به الرابع قوله ينطق بعضه ببعض اي يفسر بعضه ببعض كالمبين المفسر المجمل والمقيد المبين
المطلق والمخصص المبين للعام ان تسي ويشهد بعضه على بعض اي يستشهد ببعضه على ان المراد ببعض آخر وهو
قريب مما قبله السادس قوله ولا يختلف في الله اي لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلية التي بها
يكون صلاح حال نوع الانسان في معاشه ومعاده وكانت غاية ذلك الجذب الى الله سبحانه والوصول
الى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف في الدلالة على هذه المقاصد بل كله متطابق الالفاظ على مقصود واحد وهو
الوصول الى الحق سبحانه بصفة الطهارة من نجاسات هذه الدار وان تعددت الاسباب الموصلة الى
ذلك المقصود السابع قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله اي لا يجوز بالمتدبر بانواره في سلوك سبيل الله
عن الغاية الحقيقية وهو الله سبحانه وقوله قد اصطلحتم الى آخره توبيخ للسامعين على ارتكاب رذائل الاخلاق
واستعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر كالغش والحقد والحسد
واشتراكهم في تلك الرذائل وقوله ونبت المرعى على دمنكم تعريض مثلا للمتصالحين في الظاهر مع غل القلوب
فيما بينهم ووجه مطابقة المثل ان ذلك الصلح سريع الزوال لا اصل له كما يسرع جفاف النبات في الدمن وقوله
تصافيتم على حب الآمال اشارة الى وجه الصلح الذي ذكره ولذلك اسقط حرف العطف هنا وقوله وتعاديتم
في كسب الاموال اشارة الى وجه الغل الذي اشار اليه اما الاول فلان الجامع للناس في الظاهر هو بالامل
كل من صاحبه من الانتفاع به او دفع شره فيما هو بصدده من المأمولات الدنيوية وان انطوى له على غل
كما هو المتعارف في زماننا واما الثاني فلان الاحقاد والعداوات اغلب ما يكون على جذب اموال
الدنيا وقيناتها وقوله لقد استهام بكم الخبيث اي اشتد عشقه لكم ولايكم واراد بالخبيث ابليس وذلك شبيه

فما يظهر منهم من آثار رؤوسهم وما لزمهم لما ينهون عنه ولكنه قول وتاه بهم الغرور أي استخفكم فخدعكم واستفزكم
لكم عن سواء سبيل الله والغرور هو الشيطان كما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ثم ختم باستعانة الله تعالى
لرد طغيان النفوس الأمارة بالسوء الآخذة عليه السلم في رد أزمتها مقهورة لعقلها والآخذ بخطامها فيه وجمعها
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقد شاوره عمر في الخروج إلى غزو الروم بنفسه وقد توكل الله لأهل
هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون
حي لا يموت إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم
وليس بعدك مرجع يرجعون إليه فابعث إليهم رجلا محربا واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فإن أظهر الله فذاك
ما تحب وإن تكن الأخرى كنت ردءا للناس ومثابة للمسلمين **أقول** ذلك حين جمع قيصر الروم جماهير
أهلها إلى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد فلازم بيته وصعب الأمر على أبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل
ابن حسنة وغيرهما من أمراء سرايا الإسلام والحوزة كل شيء يحميه ويجمعه ويكنفه حفظه وآواه والمحرب بكسر
الميم الرجل صاحب حروب واحفز كذا أي ادفعه واحفزه حثه إلى غيره وأظهر الله فلانا نصره عليه والردء
العون والمثابة المرجع وقوله وقد توكل الله إلى قوله لا يموت صدر لهذه النصيحة والرأي يتوفيه فأوجب
التوكل على الله والاستناد إليه في هذا الأمر وخلاصتها أنه ضمن إقامة هذا الدين وإعزاز حوزة أهله وكنى بالعورة
عن هتك الستر في ذاته ويحتمل أن يكون استعارة لما يظهر عليهم من الذل والقهر لو أصيبوا فضمن سبحانه ستر
ذلك بإفاضة النصر عليهم وهذا الحكم من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا وقوله والذي نصرهم إلى آخر الصدر احتجاج في هذه الخطابة يشبه أن يكون تمثيلا وتخصيصه أن الذي
نصرهم حال قلتهم حي لا يموت فهو ينصرهم حال كثرتهم فأصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه النصر
وعلة ذلك الحكم هو حياته الباقية التي لا يعاقبها موت وقوله إنك متى تسر إلى آخره نفس الرأي وخلاصة المشورة
بعدم خروجه بنفسه ووجه هذا الرأي تجويز النكبة وانكساره عند ملاقاة العدو مع أنه يومئذ ظهر المسلمين
الذين يلجؤون إليه فلو انكسر لم يبق لهم كانفة يحوطهم ولا مرجع يستندون إليه ثم بإخراج من يقوم مقامه من أهل النجدة
ممن عرف بكثرة الوقائع والحروب فيكون على بصيرة في أمر الحرب وأن يضم إليه أهل البلاء أي المختبرون
في النصيحة والمجربون في الوقائع ثم استنتج من هذا الرأي أنه إن نصر الله المسلمين فذاك الذي تحب وإن
يكن الأخرى أي الانكسار وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون إليه ويأمنون بأوون إليه
ومن كلام له عليه السلم وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمن فقال المغيرة بن الأخنس لعثمن أنا أكفيكه فقال
أمير المؤمنين ع للمغيرة يا ابن اللعين الأبتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع أنت تكفيني فوالله ما أعز الله
من أنت ناصره ولا قام من أنت منهضه اخرج عنا أبعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن
أبقيت **أقول** هذه المشاجرة كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمن في خلافته وكان الناس يستشفعون به
إليه والأبتر كل أمر انقطع من خيراته والنوى القصد الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد والنوى لغة

في النوى

في النوى وهو البعد وقد ذم المغيرة بسقوط الأصل ولعنه واستعار له لفظ الشجرة وكنى بنفي أصلها
وفرعها عن سقوط حسبه ودناءته وحقارته في الناس ثم استفهم عما ادعى من الكفاية له استفهاما على سبيل الإنكار
والاستحقار له وأقسم أن الله لا يعز من هو ناصره وإنما عزته من نصره أولياء الله وأهل عنايته ومن لم يقم
لم يقم من نهضته كقوله تعالى إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا
عليه بإبعاد الله مقصده وقوله ابلغ جهدك أي في أذاي فلا أبقى الله عليك إن أبقيت أي لا رعاك الله
إن راعيتني يقال أبقيت على فلان إذا راعيته ورحمته **ومن كلام له عليه السلم** لم تكن بيعتكم إياي فلتة وليس
أمري وأمركم واحدا إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم أيها الناس أعينوني على أنفسكم وأيم الله لأنصفن
المظلوم من ظالمه ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها **أقول** الفلتة الأمر يقع بغير تدبر
ولا روية والخزامة الحلقة من الشعر تجعل في أنف البعير ومفهوم قوله لم تكن بيعتكم إياي فلتة إنما كانت عن تدبر
واجتماع رأي منكم لم يكن لأحدكم بعدها أن يخالف أو يندم عليها وفيه تعريض ببيعة أبي بكر حيث قال عمر فيها كانت
بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها وقوله وليس أمري وأمركم واحدا إشارة إلى الاختلاف بين حركاته ومقاصده
ومقاصدهم ثم بين الفرق بقوله إني أريدكم لله أي إنما أريد طاعتكم لإقامة دين الله وإقامة حدوده وأنتم
تريدونني لأنفسكم أي لحظوظ أنفسكم من العطاء والتقرب وسائر منافع الدنيا ثم طلب
منهم الإعانة على أنفسهم أي بالطاعة له وامتثال أوامره ثم أقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم بخزامته واستعار
وصف القود في تذليل الظالم وإذعانه للحق ورشح بذكر الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل للحق ووجه الاستعارة
كونه موردا يشفي برد المظلوم كما يشفي الماء العطشان وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في معنى طلحة
والزبير والله ما أنكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وإنهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه
فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم وإن أول عدلهم للحكم
على أنفسهم وإن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وإنها للفئة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة المغدفة
وإن الأمر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لأفرطن لهم حوضا أنا ماتحه لا يصدرون
عنه بري ولا يعبون بعده في حسي **أقول** النصف النصفة والطلبة بكسر اللام المطلوب والحمأ الطين الأسود
المنتن كما قال تعالى من حمأ مسنون ويروى الحما بالألف مقصورة والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم وهي سم العقرب
والمغدفة بالدال والغين المظلمة يقال أغدف الليل إذا اشتد ظلامه ويروى المغدفة بفتح الدال أي الخفية وأصله
أن المرأة تغدف وجهها بقناعها وزاح الباطل الخرق ونصابه أصله ومقره ولأفرطن لأملأن والشغب بالتسكين
المشاغبة وتهييج الشر والماتح بنقطتين من فوق المستقي وبنقطتين من تحت الذي يملأ الدلو في البئر والعب الشرب
والحسي بكسر الحاء وسكون السين الماء الذي يشربه الرمل فينتهي إلى أرض صلبة فيحفظه ثم يحفر عنه فيستخرج واعلم
أن قوله والله إلى قوله ولا لبس علي قد تقدم تفسيره في قوله ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه وفي فصل قبله
برواية أخرى فلا حاجة إلى إعادته وأما قوله وإنها للفئة الباغية فيها الحما والحمة فقال بعض الشارحين
في تعريف الفئة بالألف واللام تنبيه على أنه كان عنده علم من الرسول صلى الله عليه وآله أنه ستبغي عليه فئة من غير تعيين لها

فلما خرجت هذه الفتنة علمها بأماراتها وقد سبق إليه تفسير الحكم والحكمة على بعض الروايات وأما على هذه الرواية
فاستعارة للقتل والفساد الذي كان في صدور هذه الفتنة ووجه الاستعارة استلزامه لتكدير الإسلام
وإثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحمأة الماء وتخبثه أو استلزامه للأذى والقتل كما يستلزم ذلك
سم العقرب وأشار بالشبهة المغدفة إلى شبهتهم في الطلب بدم عثمان واستعار لها وصف الظلام لعدم
اهتداء أكثر الخلق فيها حتى ضلوا بسببها كما لا يهتدي في الليل المظلم وقوله وإن الأمر لواضح إلى قوله شغبه
نفي لتلك الشبهة عن نفسه وولايته وأن الحق واضح في حاله لا أصل للباطل فيه ولا لسان يشغب ولفظ
اللسان استعارة والشغب ترشيح لها وباقي الفصل قد تقدم تفسيره في الفصل المذكور **منها**
فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم
يدي فجاذبتموها اللهم إنهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي وألبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما
ما أبرما وأرهما المساءة فيما أملا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال واستأنيت بهما أمام الوقاع
فغمطا النعمة وردا العافية **أقول** العوذ جمع عوذة وهي الناقة المسنة والمطافيل جمع مطفل بضم الميم
وهي قريبة العهد بالنتاج والتأليب التحريض وأبرمت الأمر أحكمته واستثبتهما بالثاء المثلثة
طلبت رجوعهما ويروى بالتاء من التوبة واستأنيت انتظرت وهذا الفصل احتجاج على طلحة والزبير
ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله فأقبلتم إلى قوله فجاذبتموها يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الأول
وتلخيصها أنكم اجتهدتم في طلب البيعة حتى بايعتكم وأخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهد
اجتهادكم إلى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بعهده والصغرى مسلمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب يا أيها
الذين آمنوا أوفوا بالعقود وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم الآية وقد شبه إقبالهم عليه طالبين
للبيعة بإقبال مسنات النوق على أطفالها ووجه الشبه شدة الإقبال والحرص على تلك المبايعة وخص
المسنات لأنها أقوى حنة على أولادها ونصب البيعة على الإغراء وفائدة التكرير في الإغراء تأكيد الأمر
الدال على شدة الاهتمام بالمأمور به وقال بعض الشارحين فائدة التكرار دلالة المنصوب الأول
على تخصيص الأمر بالحال ودلالة الثاني على تخصيص الأمر الأول بالمستقبل أي خذ البيعة في الحال وخذها
للاستقبال قال وكذلك قوله الله الله أي اتقوا الله في الحال واتقوه في الاستقبال وأقول إن ذلك
غير مستفاد من اللفظ بإحدى الدلالات وقوله اللهم إلى قوله علي شكاية إلى الله منهم في أمور ثلاثة قطع رحمه
وظلمه لمطالبتهما له بغير حق لهما عنده ثم نكث بيعته ثم جمع الناس على قتاله وقوله فاحلل دعاء عليهما بأمور
ثلاثة أن يحل ما عقدا من العزوم الفاسدة التي فيها هلاك المسلمين وأن لا يحكم ما أبرماه من الآراء في حربه
وأن يريهما المساءة في آمالهما وأعمالهما أي عكس أغراضهما فيهما واستجابة دعائه ظاهرة في قتلهما وقوله
ولقد استثبتهما إلى قوله الوقاع إظهار لعذره مع الناس في حقهما قبل وقاع الحرب بتأنيه في حقهما
واستعطافه لهما في الرجوع إلى الحق واستتابته لهما من ذنبهما في نكث البيعة وقوله فغمطا إلى آخره بيان لجوابهما
عن إعذاره إليهما وهو مقابلتهما نعمة الله أي حسنه من التأني بالاحتقار لها ولم ينظرا عليها إذ كان أحد الأسباب

الباعثة

الباعثة لهما على مشاقته والتسوية بينهم وبين غيرهم في العطاء وكذلك مقابلتهما للسلامة والعافية من بلاء الحرب
والشقاق وهلاك الدين والنفس في عاقبة فعلهما بردهما لها والإصرار على الحرب والمنابذة من غير نظر
في عاقبة أمرهما وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يومي فيها إلى ذكر الملاحم. يعطف الهوى على الهدى
إذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي **أقول** الإشارة
في هذا الفصل إلى وصف الإمام المنتظر في آخر الزمان الموعود به في الخبر والأثر فقوله يعطف الهوى
على الهدى أي يرد النفوس الجائرة عن سبيل الله المتبعة لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها
المختلفة إلى سلوك سبيله واتباع أنوار هداه وذلك إذا ارتدت تلك النفوس عن اتباع أنوار هدى الله
في سبيله الواضح إلى اتباع أهوائها في آخر الزمان وحين ضعف الشريعة وزعمت أن الحق والهدى هو
ذلك وكذلك قوله ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي أي يرد كل رأي رآه غيره
إلى القرآن فيحملهم على ما وافقه منها دون ما خالفه وذلك إذا تأول الناس القرآن وحملوه على آرائهم
وردوه إلى أهوائهم كما عليه أهل المذاهب المتفرقة من فرق الإسلام كل على ما يميل إليه وكل يزعم أن الحق
الذي يشهد به القرآن هو ما رآه وأنه لا حق وراءه سواه وبالله التوفيق **منها** حتى تقوم الحرب
بكم على ساق باديا نواجذها مملوءة أخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها ألا وفي غد وسيأتي غد بما لا تعرفون
يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي أعمالها وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها وتلقي إليه سلما مقاليدها فيريكم
كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة **أقول** الأخلاف للناقة حلمات ضرعها والأفاليذ جمع
فلذة وهي القطعة من الكبد وجمعها فلذ فقوله حتى تقوم الحرب بكم على ساق إلى قوله عاقبتها كأنه غاية لتخاذلهم
عن طاعته في أمر الحرب ولقاء العدو كأنه يقول إنكم لا تزالون متخاذلين متقاعدين حتى يشتد العدو و
يقوم بكم الحرب على ساق وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وبدو نواجذها كناية
عما يستلزم من الشدة والأذى وهو من أوصاف الأسد عند غضبه كأنه حاول أن يستعير لها لفظ الأسد
فأتى بوصفه وقال بعض الشارحين بدو النواجذ في الضحك أي تبلغ بكم الحرب الغاية كما أن غاية الضحك
أن تبدو النواجذ وهي أقصى الأضراس فكنى بذلك عن إقبالها قلت هذا وإن كان محتملا إلا أن الحرب مظنة
إقبال الغضب لا إقبال الضحك فكان الأول أنسب وكذلك قوله مملوءة أخلافها استعارة لوصف المرضع
لها وكنى بحلاوة رضاعها عن إقبال أهل النجدة في أول الحرب عليها فكل منهم يحب أن يناجز قرنه ويستحلي
منازلته كما يستحلي الراضع لبن أمه وكذلك استعار لفظ العلقم لعاقبتها ووجه الاستعارة المشابهة بين
المرارتين الحسية والعقلية والمنصوبات الأربعة باديا ومملوءة وحلوا وعلقما أحوال والمرفوعات بعد
كل منها فاعله وإنما رفع عاقبتها عن علقما مع أنه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل كأنه قال مرة عاقبتها
وقوله ألا وفي غد إخبار عن بعض الأمور التي ستكون وقوله وسيأتي غد بما لا تعرفون المراد به تعظيم
شأن الموعود مجيئه وبيان لفضيلته بعدما جهله وهو جملة اعتراضية كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فقوله وإنه لقسم اعتراض وقوله يأخذ الوالي من غيرها عمالها شبه

ان يكون قد سبقه ذكر طايفة من الناس ذات ملك وامرة فاخبر عليه السلم ان الوالي من غير تلك الطايفة
ويومي به الى الامام المنتظر بانه عاملها بما ساوى اعمالها اي يواخذهم بذنوبهم وقوله وتخرج له الارض افاليذ
كبدها استعار لفظ الكبد لما في الارض من الكنوز والخزاين ووجه المشابهة ان الكنوز لما كانت في الغرة والخفا
ورشح بذكر الافاليذ وقد ورد ذلك في الخبر المرفوع ومن لفظه وقاءت له الارض افلاذ كبدها وفسر بعضهم
قوله قاءت الارض اخرجت الارض اثقالها بذلك فاما كيفية ذلك الاخراج فقال بعض المحققين هو اشارة الى
ان جميع ملوك الارض تسلم اليه مقاليدها طوعا وكرها وتحمل اليه الكنوز والذخاير واسند الاخراج
الى الارض مجازا لان المخرج اهلها واستبعد ان يكون الارض نفسها هي المخرجة للكنوز ولا بد لاهل الظاهر
ان يقولوا ان المخرج يكون هو الله تعالى ويكون ذلك من معجزات الامام ولا مانع منه وقوله ويلقي اليه سلما
مقاليدها اسند لفظ الالقاء الى الارض مجازا لان الملقي للمقاليد مسالما هو اهل الارض وكنى
بذلك عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين لاوامره وتحت حكمه وسلما مصدر سد مسد الحال ثم اخبر انهم سيريهم
عدل سيرته وانه يحيي ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت استعارة لما ترك منهما فانقطع اثره
ولا ينتفع به كما ينقطع اثر الميت فان قلت قوله ويريكم يدل على ان المخاطبين يدركون المخبر عنه ويرون
عدله مع انكم قلتم انه يكون في اخر الزمان فكيف وجه ذلك قلت خطاب الحاضرين من الامة كالعام لكل
الامة وذلك كساير خطابات القران الكريم مع الموجودين في عصر الرسول فانه يتناول الموجودين
الى يوم القيمة ثم يخرج المخاطبون به بدليل العادة اذ من عادتهم ان لا تمتد اعمارهم الى وقت ظهوره فيبقى الموجودون
في زمانه وبالله التوفيق **منها** كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَعَطَفَ عَلَيْهَا
عَطْفَ الضَّرُوسِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ بَعِيدَ الْجَوْلَةِ عَظِيمَ
الصَّوْلَةِ وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى
الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي
النُّبُوَّةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ **اقول** نعق الغراب ونعق الراعي بغنمه
بالعين والغين صاح وفحص القطا التراب قلبه والفحص البحث وكوفان اسم الكوفة وضواحيها نواحيها
البارزة والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها وفغرت فاغرته انفتح فوه والكلام الفعل ذكر الفاعل
من لفظه ويسني يسهل والعقب بكسر القاف مؤخر القدم وقد اخبر في هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات
قال بعض الشارحين هو عبد الملك بن مروان وذلك انه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار
لقتال مصعب بن الزبير الى الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن ابي عبيدة الثقفي فالتقوا بارض
مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة ثم قتل مصعبا ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث الحجاج بن يوسف
الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله وهدم الكعبة وذلك سنة ثلث وسبعين من الهجرة وقتل خلقا عظيما من
العرب في وقايع عبد الرحمن بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف وفي الفصل لطايف
الاول انه اطلق لفظ النعيق لظهور اوامره ودعوته بالشام مجازا ثم استعار لفظ الفحص لطلبه اهل

الكوفه

الكوفة بعضهم على بعض وتقصيه لحالاتهم التي كانوا عليها ثم شبه عطفه وحمله عليها بعطف الناقة الضروس
ووجه التشبيه شدة الغضب والحنق والاذى الحاصل منهما ثم كنى بفرشه للارض بالرؤوس كناية عن كثرة
قتله فيها وذلك مما يشهد به التواريخ وفي فغر فيه استعارة لبعض اوصاف السبع الضاري كنى به عن شدة
اقدامه على القتل واقباله على الناس بشدة الغضب والاذى وكذلك ثقل وطأته في الارض كناية عن شدة
بأسه وتمكنه في الارض ثم اشار ببعد جولته كناية عن اتساع ملكه وجولان خيله ورجله في البلاد البعيدة وبعيد
وعظيم حالان ومن روى بالرفع فهما خبر مبتدأ محذوف ثم اتبعه لما فيه من صفاته العامة بتخويفهم ما سيفعل
معهم من التشريد والطرد في اطراف البلاد واكد ذلك بالقسم البار وذلك اشارة الى ما فعله عبد الملك
ومن ولي الامر من ولده في باقي الصحابة والتابعين واحوالهم معهم في الاشخاص والاحتقار والطرد والقتل
ظاهرة وشبه البقية منهم بالغبار الذي يكون في العين من الكحل ووجه الشبه الاشتراك في القلة ثم اخبر
انهم لا يزالون كذلك اي بالحال الموصوفة مع عبد الملك ومن بعده من اولاده حتى يعود الى العرب عوازب
احلامها اي ما كان ذهب من عقولها العملية في نظام احوالهم والعرب هم بنو العباس ومن معهم من العرب ايام
ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن وكبني رزيق ابي طاهر بن الحسين واسحق بن
ابرهيم المصعبي وعدادهم في خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس وقيل ان ابا مسلم اصله عربي
وكل هؤلاء كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين في دولة بني امية لم ينهض منهم ناهض الى ان افاء الله
عليهم ما كان عزب عنهم من حياتهم فغاروا للدين والمسلمين من جور بني مروان واقاموا الامر وازالوا
تلك الدولة فان قلت ان قوله تؤب يدل على ان انقطاع تلك الدولة بظهور العرب وعود عوازب
احلامها وعبد الملك مات وقامت بنوه بعده بالدولة ولم يزل الملك عنه بظهور العرب فاين فايدة
الغاية قلت ان تلك الغاية ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية من كونهم لا يزالون مشردين في البلاد
وذلك الاقتدار وان كان اصله من عبد الملك الا انه استمر في زمن اولاده الى حين انقضاء دولتهم
فكانت غايته ما ذكر وقال بعض الشارحين في الجواب ان ملك اولاده ملكه وما زال الملك عن بني مروان
حتى آب الى العرب عوازب احلامها وهذا جواب من لم يتدبر كلامه عليه السلم ولم يتتبع الفاظ الفصل حتى
يعلم ان هذه الغاية لاي شيء منه فليحقق به ثم امرهم بلزوم سنن الله ورسوله القايمة فيهم من بعده واثاره
البينة فيهم وعهده القريب فيهم ونبه ووجه عليهم ذلك الامر في الحال وعند نزول تلك الشدايد بهم
اي اذا نزل بكم منه ما وصف فلتكن وظيفتكم لزوم ما ذكرت ثم نبههم على ما في سهولة المعاصي وفي تسهيل
نفوسهم الامارة بالسوء عليهم طرق المحارم من المحذور وهو ان تنقاد لها النفوس العاقلة فتضلها عن سبيل الله
وتقودها في الضلال الى الهلاك الابدي وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقت الشورى لَنْ
يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ وَصِلَةِ رَحِمٍ وَعَائِدَةِ كَرَمٍ فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوا مَنْطِقِي عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ وَشِيعَةً لِأَهْلِ
الْجَهَالَةِ **اقول** هذا من جملة كلام قاله عليه السلم لاهل الشورى وقد ذكرنا طرفا من اخبارها في قوله لن يسرع احد الى

تقرير فضيلته ليسمع قوله ولذلك قال بعده فاسمعوا قولي وعوا منطقي وذكر فضايل هذه الدعوة الى الحق الذي لن يسارع احد اليها الا سرعه وهي ثمرة العدالة وصلة الرحم وعايدة الكرم وهما خصلتان تحت ملكة العفة والذي امرهم لسماعه هو التنبيه على عاقبة امر الخلافة وما يقع فيها من الهرج والمرج بعدهم بناء على ما علم من الخبط والاختلاط فيها فكانه يقول اذا كان حال هذا الامر بهذه الحال من الخبط ومجاذبة من لا يستحقه والتغلب فيه على اهله عسى ان تروه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيه بالسيوف وتخان فيه العهود وهو اشارة الى ما علمه من حال البغاة والخوارج عليه وان كثير لعدم حسه فقوله حتى يكون بعضهم ائمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة غاية فتغالب على هذا الامر واشار بالائمة الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى اتباعهم وباهل الجهالة الى معوية ورؤساء الخوارج وساير امرائهم ابنه وبشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم في النهي عن غيبة الناس. وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ اقول اهل العصمة هم الذين اعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة في ايدي نفوسهم العاقلة فحصلوا من ذلك على ملكة ترك الذنوب والانزجار عن ولوج ابواب المحارم واولئك هم الذين اصطنع الله اليهم السلامة من الانحراف عن سبيله والوقوع في مهاوي الهلاك فنبههم اولا على ما ينبغي لهم وهو ان يرحموا اهل الذنوب وحصول تلك الرحمة منهم باعتبارهم حال العصاة ووقوعهم في مهاوي الهلاك ومن عبادة عباد الله الرحمن لهم والرغبة في خلاصهم بانقاذه واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم وذلك باعتبارهم عند مشاهدة اهل المعاصي لما انعم الله به عليهم من اعانته لهم على قهر شياطينهم التي هي مواد الذنوب وقوله وكيف بالعائب شروع في تنبيه من هو دون اهل العصمة ممن يرتكب كبيرة او صغيرة على ما ينبغي له من ترك الغيبة فكانه قال فهذا هو ما ينبغي لاهل العصمة فكيف يليق بغيرهم ممن يعيب اخاه ويعيره ببلواه بل ينبغي لمثله ان يترك الغيبة ويشكر الله بطريق الاولى وذلك باعتبار ستر الله عليه من ذنوبه ما هو اعظم مما عير اخاه به وتلك نعمة الله يجب شكره عليها واشار بموضع ستر الله عليه الى النعمة المصطنعة عنده وهي تاهيله واعداده له والاستفهام على سبيل الانكار اذ هذا يتعجب من ذم العايب لاخيه بذنب وهو في صورة احتجاج عليه في ارتكابه لهذا الذنب وذلك قوله وكيف يذمه الى قوله بما عند الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه اما ان يكون قد ركب مثله او اكبر كان له في عيبه لنفسه شغل عن عيب غيره وان كان ارتكب اصغر منه فهو معصيته على تقدير جرأته على الغيبة فقد ورد عنه انها من الكباير وانما قال هي اكبر بما عند الله اما مبالغة او لان المفاسد التي

يشتمل عليها ارتكاب ساير المنهيات جزئية ومفسدة الغيبة كلية لانه لما كان من المقاصد المهمة للشارع اجتماع النفوس على هم واحد وطريقة واحدة وهي سلوك سبيل الله بساير وجوه الاوامر والنواهي ولن يتم ذلك الا بتعاونهم وتضافر بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ولن يتم ذلك الا بنفي الضغاين والاحقاد والحسد ونحوه وكانت الغيبة من كل منهم لاخيه مثيرة لضغنه ومستدعية منه مثلها في حقه لاجرم كانت ضد المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية ولذلك اكثر الله تعالى ورسوله من النهي عنها كقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا حتى استعار لما يقرضه الغايب من عرض اخيه لفظ اللحم وزاده تقبيحا وتكريها بعضو الميت فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال عم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وعنه صلى الله عليه وآله مررت ليلة اسري بي فرايت قوما يخمشون وجوههم باظافيرهم فسالت جبرئيل عم عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفي حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله صلعم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال الا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته ثم نهى عن الاستعجال والتسرع الى العيب ونبه على وجوب ذلك الانتهاء باحتمال ان يكون الذنب الذي يعيب اخاه به مغفورا له وان كان كبيرا وذلك الاحتمال ان يكون حاز لم يتمكن من جوهر نفسه ونهى عن الامن على نفسه صغير معصية يرتكبها لاحتمال ان يعذب عليها لصيرورتها ملكة متمكنة من جوهر نفسه ثم عاد الى الامر بالكف عن العيب باعتبار ما يعلم الانسان من عيب نفسه وان يكون الشكر لله وابه على السلامة من التورط في مورد الملكة الذي سلكه صاحب الذنب مما ابتلاه الله واعلم ان تعريف الغيبة يعود الى ذكر الانسان بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصانا في العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص والذم سواء كان ذلك النقصان عدم كمال بدني كالعور والعمى او نفساني كالجهل والشره والظلم او عدم كمال من خارج كسقوط الاصل ودناءة الاباء واحترزنا بالقيد الاخير في تعريفها وهو قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدفاع الرحم من السلطان في حق الزمن والاعمى بذكر نقصانهما ثم الغيبة قد تكون باللسان وهي الحقيقة وقد تكون بالاشارة وغيرها من ساير ما يعلم به انتقاص الغير والتنبيه على عيبه ويسمى غيبة مجازا لقيامها مقام الغيبة ولها اسباب غائية احدها اشفاء الغيظ فان الانسان كثيرا ما يشفي غيظه بذكر مساوي من غاظه اذا اتى في المباهاة والتفاضل كالقول من يتعاطى الانشاء والشعر كلام فلان ركيك وشعره بارد الثالث اللعب والهزل وتزجية الوقت فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين الرابع ان يستشعر من غيره انه سيذمه عند السلطان مثلا فيقصد سبقه بذكر مساويه ليسقط شهادته عنده عليه وقد يكون لها غايات اخر وقد وردت الرخصة في غيبة الفاسق المجاهر بفسقه كالخمار والمخنث والعشار الذي ربما يفتخر بعيبه ولا يستحي منه قال النبي صلعم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له لكن تركها الى السكوت اولى وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم ايها الناس من عرف من اخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي الرامي وتخطي السهام ويحيك الكلام

وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع فسئل عن معنى قوله
هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت والحق ان تقول رأيت **اقول**
احاك الكلام يحيك اذا عمل واثر وكذلك حاك ويروى يحيل اى يبطل ولا يصيب وهذا الفصل نهى عن التسرع
الى التصديق بما يقال في حق مستور الظاهر المشهور بالصلاح والتدين من العيب والقدح في دينه وهو نهى
عن سماع الغيبة بعد نهيه عنها نفسها واليه الاشارة بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم نبه على جواز الخطأ المترمين الى الخبر بالمثل
فقال اما انه قد يرمى الرامي وتخطئ السهام ووجه مطابقة هذا المثل ان الذي يرمى بعيب قد يكون بريئا منه
فيكون الكلام في حقه غير مطابق ولا صائب كما لا يصيب السهم الذي يرمى به فيخطئ الغرض وفي الرواية
بالكاف ويحيك الكلام اى ان السهم قد يخطئ فلا يؤثر والكلام يؤثر على كل حال وان لم يكن حقا فانه
يسود العرض ويلوثه في نظر من لا يعرفه وقوله وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد يجري مجرى التهديد
وتحقير ثمرة ذلك القول الكاذب الذي لا يبقى من مال او جاه او نحوهما بالنسبة الى عظم عقوبة الله
الباقية فان سمعه وشهادته مستلزمان لغضبه المستلزم لعقوبته وقوله اما انه ليس بين الحق والباطل
الا مقدار اربع اصابع فتفسيره الفعل المذكور وتفسير ذلك الفعل هو قوله الباطل ان تقول سمعت
والحق ان تقول رأيت ثم ههنا لطيفتان فالاولى ان قوله الباطل ان تقول سمعت لا يستلزم الكلية
حتى يكون كل ما سمع باطلا فان الباطل والمسموع مهملان الثانية ان الحق ليس هو قوله رأيت بل الذي
رآه والباطل هو قوله سمعت بل القول المسموع له وانما قوله رأيت وسمعت اخبار عن وصول المرئي
والمسموع الى بصره وسمعه فاقام هذين الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله من الحظ فيما أتى إلا محمدة اللئام وثناء الأشرار ومقالة
الجهال ما دام منعما عليهم ما أجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن آتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن منه
الضيافة وليفك به الأسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب
ابتغاء الثواب فإن فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة إن شاء الله تعالى
اقول لما كان لواضع المعروف سواء كان في اهله ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل كان مما يتميز به
وضعه في غير اهله عن وضعه في اهله ان الاول انما يحصل به لواضعه الحمد من لئام الناس اى ساقطي الاصول
والسفهاء والاشرار والجهال لعدم معرفتهم بوضع الاشياء في مواضعها التي هي مقتضى العقل الذي به
نظام امور الدنيا وقوام نوع الانسان في الوجود مع انه في الحقيقة وعند اولي الالباب العارفين
بمواقع المعروف بخيل في جنب الله تعالى واما الثاني فيحصل له المحمدة من الكل في الدنيا محمدة مطابقة
للحق مع الثواب الجزيل في الاخرى فلا جرم اشار الى الاول بقوله فليس لواضع المعروف الى قوله
وهو عن ذات الله بخيل وقوله ما اجود يده متعلق بمقالة اى ذلك هو الامر الذي يقولونه ما دام منعما
عليهم وانما قيد بهذا القيد لان الجاهل قد يعتقد ان ما يسدى اليه حق له فربما دام حمده بدوام ذلك الانعام

ممن ينقطع بانقطاعه واما الجاهل الشرير فكثيرا ما يعتقد انه انما يسدى اليه لشره وخوف اذاه فربما شكر
المنعم ما دام منعما حتى اذا انقطع انعامه جعل شره عوض شكره استجلابا لذلك الانعام المنقطع واستعادة له
واما الثاني فنبه اولا على مواضع المعروف وامر بوضعه فيها وذكر منها خمسة الاول صلة الرحم الثاني حسن
الضيافة الثالث فك الاسير وهو العاني وانما اختلف اللفظ والرابع اعطاء الفقير والغارم وهو من عليه
دين الخامس الحقوق الواجبة على اهلها كالزكوات والمستحبة كالصدقات واشار بالنوائب الى ما يلحق
الانسان من المصادرات والغرامات التي تلحق بها الانسان من ايدي الظالمين والشتم ولا تعاف
في ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان والفضائل الحسنى داخلة تحت فضيلة الكرم والاشارة الى ذلك بقوله
فمن آتاه الله مالا الخ وابتغاء الثواب وتنبيه بهذه الغاية اعني المفعول له على ان الانفاق في هذه الوجوه انما
يكون وضعا للمعروف في موضعه اذا اقصد به وجه الله تعالى اما اذا اقصد به الرياء والسمعة فهو وان عد
في ظاهر الشريعة مجزيا الا انه غير مجزو ولا مقبول في باطنها ثم اشار بقوله فان فوزا بهذه الخصال الى ثمرة
الى ما يتميز به وضع المعروف في اهله وهو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس والجاه العريض
ودرك فضائل الآخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود لاولي الفضائل النفسانية وانما نكر الفوز
لان تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل باى شخص كان من اشخاصه وهذا وان كان حاصلا مع الالف
واللام لتعريف تلك الطبيعة الا ان ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والعهد الشخصي فكان من هنا
لفوز شخصي ولذلك كان الاتيان به منكرا افصح وابلغ وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في الاستسقاء
ألا وإن الأرض التي تحملكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم وما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعا لكم ولا زلفة
إليكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا إن الله يبتلي عباده
عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع
مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق ورحمة
الخلق فقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين فرحم الله
امرأ استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم إنا خرجنا إليك من تحت الأستار والأكنان
وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من عذابك ونقمتك
اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين
اللهم إنا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك حين ألجأتنا المضايق الوعرة وأجاءتنا المقاحط المجدبة
وأعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم إنا نسألك أن لا تردنا خائبين ولا تقلبنا
واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا بأعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك ورحمتك واسقنا
سقيا ناقعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة المجتنى تروي بها القيعان
وتسيل البطنان وتستورق الأشجار وترخص الأسعار إنك على ما تشاء قدير **اقول** اقلع عن خطيئته
اذا رجع عنها وتاب والمدرار والمتتابع والزلفة القربة والمنزلة والواجم الذي اشتد حزنه حتى امسك

من الكلام والانافة الربوة والبقعان جمع قيع وقاع وهو المستوي من الارض والبطنان جمع البطن وهو ما
انخفض من الارض واعلم انا بينا فيما سبق ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يكون منع الكمالات
في هذه الصورة بعدم الاستعدادات لها فكل مستعد لامر ملاق له وفائض عليه اذا عرفت ذلك فاعلم انه في
صدر هذا الفصل تنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمة الله التي ارتفعت عنهم بحبس المطر وذلك في
قوله الا وان الارض الى قوله وتاورتهم فنبههم اولا في ذلك الصدر على ان الارض التي هي كالام للنبات
والزرع والسما التي هي كالاب مطيعان لربهم واشار بالسما الى السحاب او الى السموات لكونها
اسبابا معدة لكل ما في هذا العالم من الحوادث واشار بطاعتهما الى دخولهما تحت حكم القدرة الالهية
واشار بقوله وما اصبحتا الى قوله رجاء منكم الى لطيفة وهي ان الحوادث الحادثة في هذا العالم من العاليات
ليست مقصودة بالذات لها فيكون ذلك منها لاجل توجع لكم او لاجل قرابة ومنزلة منهم وجها ولا
لخير ترجوانه منهم كما هو المتعارف من منافع الناس بعضهم لبعض لان السموات والارض غنية عنا لكن
لما كانت السموات متحركة دائما طلبا لكمالاتها اللايقة بها من واهبها جل وعلا ومنوط بامره عرض عن هذه
الحركات والاتصالات اعداد الارض لقبول النبات والزرع ووجود الحيوانات التي هي ارزاق
لنا وبها قوام وجودنا فكانت مصالح هذه الحيوانات اذن منوطة بتلك الحركات وجارية على وفقها
باذن المدبر الحكيم سبحانه والى ذلك اشار بقوله ولكن الى قوله فقاما وعرضه مما سبق الى هنا ان
يقرر في النفوس عظمة الله سبحانه وان الارزاق واسبابها منسوبة اليه ومنه حتى توجه النفوس
اليه بالاقلاع عن الذنوب التي هي حجب لها عن افاضة الرحمة عليها منه ثم بين بعده ان الله سبحانه انما
يفعل ما يفعل من نقص الثمرات وحبس البركات واغلاق خزاين الخيرات عن الخلق عند اعمالهم السيئة
ابتلاء لهم كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات
وبشر الصابرين وقد علمت معنى ابتلائه لهم ثم بين ان غاية العناية الالهية من ذلك الابتلاء رفع حجب
النفوس التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك لقبول رحمة الله بالتوبة والاقلاع منها
والازدجار عنها والتذكر للمبدأ الاول جلت عظمته وما اعد لاوليائه الابرار في دار القرار ولاعدائه
الاشرار في دار البوار ثم بين لهم ان الله سبحانه جعل الاستغفار سببا لدرور الرزق والرحمة ولما كان
الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العبد ان يفتضح بها وذلك انما يكون بمحوها من لوح نفسه
لا جرم كان المستغفر المخلص ماحيا لخطيئته باستغفاره عن لوح نفسه وبذلك يكمل استعداده لافاضة
رحمة الله عليه في الدنيا بانزال البركات وفي الآخرة برفع الدرجات والى ذلك الاشارة بالتنزيل
العدل قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآيات وقوله تعالى
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الآية وقوله ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله وان لو استقاموا على
الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ثم دعا لمن استقبل توبته وشرع في الاستعداد بها ولمن استقال خطيئته

اى

اى طلب الاقالة من الزام عاقبتها وثمرتها وهو العقاب عليها والمواخذة بها ولمن بادر منيته و
عاجلها قبل اوان كمالها بالتوبة كل ذلك تنبيه على الاستعداد وطلب له منهم اذ كان لا يتم المطلوب بدونه
ولفظ الاقالة استعارة ووجهها ان المخطي كالمعاهد والملتزم لعقاب اخروي بلذة عاجلة لما علم من
استلزام تلك اللذة المنهي عنها للعقاب فهو يطلب الاقالة من هذه المعاهدة كما يطلب المشتري الاقالة
من البيع وقوله اللهم الخ لما قدم الامر بالاستعداد لرحمة الله شرع في استنزالها عليهم فقدم في الدعاء
ما عادته ان يقدم بين يدي الملوك من الكلام المرقق للطباع والموجب للعطف والرحمة فذكر الخروج
تحت الاستار والاكنان التي ليس من شانها ان يفارق الا لضرورة شديدة وكذلك عجيج البهائم
والولدان واصواتها المرتفعة بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهي الرغبة في رحمته والرجاء لفضل نعمته
والخوف من عذابه ونقمته وهذه هي حاجات المساعي البشرية ثم سال بعد ذلك المطالب وهي السقيا
وعدم الياس المسبب عن رحمته وعدم الهلاك بالجدب وان لا يواخذهم بافعال السفهاء من المعاصي المبعدة
عن رحمته كقوله تعالى حكاية عن موسى ع اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم عاد الى تكرير شكوى الجدب
بذكر اسبابها الحاملة عليها ليكون اقوم للعذر والمقاحط اماكن القحط او سني القحط وظاهر كون الجوع
والعري وسائر المسببات عن القحط فتنة اي صارفة للقلوب عما يراد بها ثم عاد الى طلب اجابة دعائه
بقوله ولا تخاطبنا بذنوبنا اي لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اي لا تجعل
فعلك بنا مقايسا لاعمالنا السيئة وشبيها بها وسيئة مثلها ثم عاد الى طلب انواع ما يطلب منه سبحانه
باتم ما ينبغي على الوجه الذي جيئني آه وهو ظاهر وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم

بعث رسله بما خصهم به من وحيه وجعلهم حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق
الى سبيل الحق الا ان الله تعالى قد كشف الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم
ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون
في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم وادخلنا واخرجهم بنا
يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم
ولا تصلح الولاة من غيرهم

اقول هذا الفصل منتزع من خطبة وبين جمع من الصحابة الذين كانوا ينازعونه
الفضل والبواء الكفو فقوله بعث رسله الى قوله سبيل الحق كقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولسان الصدق هو لسان الشريعة الناطقة عن مصباح النبوة
المشتعل عن نور الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة اليه تعالى التي تطابقت على الهداية اليها
السنة الرسل والاولياء وصدر الفصل بذلك لاشتماله على فضيلة الانبياء لينبي عليه فضيلة نفسه وقوله الا
ان الله الى قوله بواء كلام يجري مجرى التهديد لمن نازعه باطلاع الله على اسرارهم وان ما كلفهم به انما هو
ابتلاء منه لهم ايهم احسن عملا وقد عرفت معنى ابتلاء الله للخلق مرارا واراد بالكشف الاختبار والابتلاء
الخ ثم عقب ذلك بالاستفهام عن الذين زعموا انه اقرا ومنهم من يدعي انه اعلم بالحلال والحرام وردوا

افرضكم زيد بن ثابت واقراكم ابى ورووا مع ذلك افضاكم على وذلك الاستفهام على سبيل الانكار عليهم ولذلك اردفه بالتكذيب لهم فيما ادعوه من الافضلية ثم ان كان ما رووه حقا مع ان القضا محتاج الى جميع ما ادعوه فضيلة لهم ثبت انه عم افضلهم لاستجماعه ما تفرق فيهم من الفضايل وان لم يكن حقا مع ان انوار فضايله مستنيرة في افاق الصدور فقد ظهر فضله عليهم وذلك وجه التكذيب لهم ثم اشار الى العلة الحاملة لهم على الكذب فيما ادعوه وهو قوله ان رفعنا الله اي برفع درجاتنا في الدنيا والاخرة على الكافة ووضعهم دونها وان وما بعدها نصب على المفعول له واعطانا اي الملك والنبوة وحرمهم ذلك وكذلك ادخلنا بعنايته الخاصة بنا فيما اعطانا واخرجهم من ذلك وقوله بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى العمى فاستعار لفظ العمى للجهل ورشح بذكر الاستجلا ولما كانوا عليهم السلم المعدين لاذهان الخلق لقبول انوار الله والمرشدين لنفوسهم الى سبيل الله لا جرم كان بهم يستعطى الهدى من الله اذ بواسطة اعدادهم يفاض على النفوس هداها وبواسطة اعطايهم القوانين الشرعية الكلية والجزئية يستجلى الجهل من واهب ذلك الجلا وهو كناية عن الاستعداد ايضا وقوله ان الائمة من قريش اه لفظ النص المشهور عن الرسول صلعم الائمة من قريش وتخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم اما على مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعه كما يجب اتباع نص الرسول صلعم لاعتقادهم عصمته واما على مذهب الباقين من المسلمين فواجب الاتباع ايضا لقوله عليه الصلوة والسلم انه مع الحق وان الحق معه يدور حيث دار ومراده بذلك البطن اما على مذهب الاثني عشرية فنفسه مع الاحد عشر من ولده بنص كل منهم على من بعده مع كونهم معصومين واما على مذهب الباقين من الامامية فكل منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد امامته وقوله لا يصلح على من سواهم اي لا يكون اهلا لصلاح على يد غيرهم ولا تصلح الولاة من غيرهم منها آثروا عاجلا واخروا آجلا وتركوا صافيا وشربوا آجنا كاني انظر الى فاسقهم وقد صحب المنكر فالفه وبسئ به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلايقه ثم اقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق او كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والابصار اللامحة الى منار التقوى اين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار باعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا اقول بسئ به الفه واستانس به واعلم ان ضمير الجمع في اثروا واخروا وما بعدها ضماير مهملة تصدق اطلاقها على الجماعة وان كان المراد بها بعضهم وهذا الكلام يصدق على من تخلف من الناس الى زمانه ممن هو غير مرضي الطريقة وان كان معدودا من الصحابة بالظاهر كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعوية ونحوهم من امراء بني امية ممن آثر عاجل الدنيا وثاور عليه واخر آجل ثواب الاخرى فنبذه وراء ظهره وترك ما وعد به من تلك اللذات الصافية عن كدورات الدنيا والعلايق البدنية الى اللذات الوهمية الاجنة بشوب الاعراض والامراض والتغير والزوال واستعار لفظ الآجن للذات الدنيا ملاحظة

لتشبيهها بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير طعمه ورشح بذكر الشرب وقوله كاني انظر الى فاسقهم يحتمل ان يريد فاسقا معينا كعبد الملك بن مروان ويكون الضمير عايدا الى بني امية ومن تابعهم ويحتمل ان يريد مطلق الفاسق اي من يفسق من هؤلاء فيما بعده ويكون بالصفات التي ذكرها من صحبة المنكر والفه لموافقته لطبعه الى غاية عمره وكنى عن تلك الغاية بشيب المفارق وصبغت خلايقه اي صار المنكر ملكة له وخلقا واستعار لفظ الازباد تشبيها له بالبحر الطامي ووجه الشبه كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعل بالناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بمن غرق فيه وكذلك شبه حركته في المنكرات والظلامات بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي بتلك الحركات كما لا يبالي النار بما احرقت ثم اخذ يسال عن العقول المستكملة بانوار الله واستعار لفظ مصابيح الهدى اما لائمة الدين او لقوانينه الكلية والاستصباح بها الاهتداء بها وعن الابصار اللامحة لمنار التقوى الناظرة الى اعلام التقوى واستعارة لفظ المنار كاستعارة لفظ المصابيح ثم عن القلوب التي وهبها اهلها لله اي جعلوا همهم مطالعة انوار كبريائه والتوجه الى كعبة وجوب وجوده وعوقدت على طاعة الله اي اخذ خلفاء الله عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها ثم عاد الى ذم الباقين وتوبيخهم بازدحامهم على حطام الدنيا واستعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة سرعة فنائها وفسادها كما يسرع فساد النبت اليابس وتكسيره وتشاحهم على الحرام اي كل واحد يشاح صاحبه على الحرام ويبخل به عليه واشار بعلم الجنة الى قانون الشريعة القايد الى الجنة وبعلم النار الى الوساوس المزينة لقينات الدنيا والعلم الاول بيد الدعاة الى الله وهم الرسول صلعم ومن بعده من اولياء الله من اهل بيته والتابعين لهم باحسان والعلم الثاني بيد ابليس وجنوده من شياطين الانس والجن الداعين الى النار ثم ذمهم بصرفهم وجوههم عن الجنة واقبالهم باعمالهم على النار حين رفع العلمين من قبل الدعاة وانما قال واقبلوا باعمالهم ولم يقل بوجوههم كما قال صرفوا وجوههم لان اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات الدنيا واقتنائها يستلزم صرفها عن الاعمال الموصلة الى الجنة وذلك يستلزم اعراضها عن الجنة ثم لما كانت الغاية التي يطلبها الانسان من الدنيا هو الحصول على لذاتها وكانت النار لازمة للاعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوما عرضيا لم تكن النار غاية ذاتية قد اقبلوا بوجوههم عليها بل كان اقبالهم عليها باعمالهم اذ كانت هي المستلزمة لها ثم اخرج في معرض الذم لهم عن مقابلتهم لدعا ربهم لهم بالنفار عنه ولدعا الشيطان لهم باستجابتهم لدعوته واقبالهم اليه ونحو قوله دعاهم اه شبه ان الرافع لعلم الجنة هو الله بايدي خلفائه والرافع لعلم النار هو الشيطان بايدي اوليائه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم ايها الناس انما انتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص لا تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من اجله ولا تجدد له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى له اثر الا مات له اثر ولا يتجدد له جديد الا بعد ان يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة الا وتسقط منه محصودة وقد مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب اصله اقول الغرض الهدف وغرض هذا الفصل ذم الدنيا والتنبيه بذكر معايبها لتخف الرغبات فيها وتصرف الى ما ورائها.

من الامور الباقية فاستعار لهم لفظ الغرض ووجه الاستعارة كونهم مقصودين بسهام المنية من سائر الامراض والاعراض كما يقصد والغرض بالسهام واسند الانتضال الى المنايا مجازا لان القاصد لهم بالامراض هو فاعلها بهم فكان المجاز هنا في الافراد والتركيب ثم كنى بالجرعة والاكلة عن لذات الدنيا وبالشرق والغصص عما في كل منها من شوب الكدورات اللازمة لها طبعا من الامراض والمخاوف وسائر المنغصات لها وقوله لا ينالون منها نعمة الا بفراق اخرى فيه لطف وهو اشارة الى ان كل نوع من نعمه فانما يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله كلذة اللقمة مثلا فانها تستدعي فوت اللذة باختها السابقة وكذلك لذة ملبوس شخصي او مركوب شخصي وسائر ما يعد نعما دنيوية ملتذا بها فانها انما تحصل بعد مفارقة ما سبق من امثالها بل واعم من ذلك فان الانسان لا يتهيأ له الجمع بين الملاذ الجسمانية في وقت واحد ولا اثنين منها فانه حال ما يكون اكلا لا يكون مجامعا وحال ما هو في لذة الاكل لا يلتذ بمشروب وحال ما يكون قاعدا على فراشه او منبر لا يكون راكبا للفرس ونحو ذلك وبالجملة لا يكون مشغولا بنوع من الملاذ الجسمانية الا وهو تارك لغيره وما استلزم مفارقة نعمة اخرى لا يعد في الحقيقة نعمة ملتذا بها وكذلك قوله ولا يعمر معمر منكم الى قوله اجله لان السرور بالبقاء الى يوم معين لا يصل اليه الا بعد انقضاء ما قبله من الايام المحسوبة من عمره فاذا هدم من عمره يوما فيكون لذته في الحقيقة ببقائه مستلزمة لقربه من الموت وما استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار وكذلك قوله ولا يجدد له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه اي من رزقه المعلوم انه رزقه وهو ما وصل الى جوفه مثلا فان ما لم يصل جاز ان يكون رزقا لغيره وقد علمت ان الانسان لا ياكل لقمة حتى يفني ما قبلها فهو اذن لا يتجدد له زيادة في الاكل الا بنفاد رزقه السابق وما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا في الحقيقة وروي الكلمة ويحتمل ان يريد انه اذا تجددت له جهة رزق فتوجه فيها طالبا لها كان ذلك التوجه مستلزما لانصرافه عما قبلها من الجهات وانقطاع رزقه من جهتها واللفظ يحتمل ويصدق و لو نوقش بعض الناس فيه لمخالب الكلية وكذلك قوله ولا يحيى له اثر الا مات له اثر واراد بالاثر الذكر او الفعل فان كل ما يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود او مذموم او ذكر حسن او قبيح ويحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من الآثار وبني وكذلك لا يتجدد له جديد من زيادات بدنه ونقصانه واوقاته الا بعد ان يخلق له جديد يخلق بدنه ومعاقبة شيخوخته شبابه ومستقبل اوقاته سالفها وكذلك لا تقوم له نابتة الا بعد ان يسقط منه محصودة واستعار لفظ النابتة لمن ينشا من اولاده واقربائه ولفظ المحصودة لمن يموت من آبائه واهله ولذلك قال وقد مضت اصول يعني الاباء نحن فروعها ثم استفهم على سبيل التعجب في بقاء الفرع بعد ذهاب اصله وقد صرح ابو العتاهية بهذا المعنى حيث قال كل حي الى ممات وكل ذي جدة يحول كيف بقاء الفرع يوما وقد ذوت قبلها الاصول **ومنها** وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ فَاتَّقُوا الْبِدَعَ وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا **اقول** المهيع الطريق الواسع والعوازم جمع عوزم وهي العجوز المسنة والمراد بالبدعة كل ما احدث مما لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وقد اشتمل هذا الفصل على وجه ترك البدعة وبرهان استلزام احداث البدعة لترك

السنة

السنة ان عدم احداث البدع سنة لقوله عليه السلم كل بدعة حرام فكان احداثها مستلزما لترك تلك السنة ثم نهاهم بتقوى البدع اي خشية عواقبها ثم بلزوم الطريق الواضح وهي سبيل الله وشريعته واراد بعوازم الامور اما قديمها وهو ما كان عليه عهد النبوة واما جوازمها وهي المقطوع بها دون المحدثات منها التي هي محل الشبهة والشك ورجح الاول المقابلة بمحدثاتها ووجه وصفها بكونها شرارا كونها محل الشبهة والخروج عن قانون الشريعة فكانت مستلزمة للهرج والمرج وانواع الشرور وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا بِقِلَّةٍ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ وَمَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ عَزِيزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ فَكُنْ قُطْباً وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ **اقول** اختلف الناقلون لهذا الكلام في الوقت الذي قاله لعمر فيه فقيل انه قاله في غزاة القادسية وهو المنقول عن المدايني في كتاب الفتوح وقيل في غزاة نهاوند وهو نقل محمد بن جرير الطبري فاما وقعة القادسية فكانت سنة اربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين في خروجه فيها بنفسه فاشار عليه علي عليه السلم بالرأي المسطور فاخذ عمر به ورجع عن عزم المسير بنفسه وامر سعد بن ابي وقاص على المسلمين ويروى في تلك الواقعة ان رستم امير العسكر من قبل يزدجرد اقام بريدا من الرجال الواحد منهم الى جانب الآخر من القادسية الى المداين كلما تكلم رستم بكلمة اداها بعضهم الى بعض حتى يصل الى سمع يزدجرد وقصص الواقعة مشهورة في التواريخ واما وقعة نهاوند فانه لما اراد عمر ان يغزو العجم وجيوش كسرى قد اجتمعت بنهاوند استشار اصحابه فاشار عثمن عليه بان يخرج بنفسه بعد ان يكتب الى جميع المسلمين من اهل الشام واليمن والحرمين والكوفة والبصرة ويامرهم بالخروج واشار علي عليه السلم بالرأي المذكور وقال اما بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه في الفصل فقال عمر اجل هذا الرأي وقد كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر فقالوا انت افضل رايا فقال اشيروا علي به واجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم باهل العراق وقد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم فقال اما والله لاولين امرهم رجلا يكون غدا اول الاسنة قيل ومن هو فقال النعمن بن مقرن فقالوا هو لها وكان النعمن يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه امر الجيش ولنرجع الى المتن فقوله بحذافيره اي باسره وقوله ان هذا الامر الى قوله للاجتماع صدر الكلام اورده ليبني عليه الرأي فقرر فيه اولا ان هذا الامر اي امر الاسلام ليس نصره بكثرة ولا خذلانه بقلة وتمم

ثم صدق هذه الدعوى بان دين الله الذي اظهره وجنوده هي جنده الذي اعده وايده بالملائكة والناس
حتى بلغ هذا المبلغ وطلع في افاق البلاد وحيث طلع ثم وعدنا بوعود هو النصر والغلبة والاستخلاف في
الارض كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
الآية وكل وعد من الله فهو منجز لعدم الخلف في خبره وقوله وناصر جنده يجري مجرى التشبيه اي من جملة وعده نصر
جنده وجنده هم المؤمنون فالمؤمنون منصورون على كل حال سواء كانوا قليلين او كثيرين ثم شبه مكان
القيم بالامر بمكان الخيط من العقد ووجه الشبه هو قوله يجمعه ويضمه الى قوله ابدا وقوله لم يجتمع بحذافيره ابدا
وذلك انهم عند فساد نظامهم بقتل الامام مثلا يقع بهم طمع العدو وظفره فيكون ذلك سبب استيصالهم ثم نبه
على الشبهة في عدم الحاجة الى اجتماع كل العرب في هذه الواقعة وذلك لكثرتهم بالاسلام واستقبال الدولة
وعزهم باجتماع الراي واتفاق القلوب الذي هو خير من كثرة الاشخاص واراد بالكثرة القوة والغلبة
مجازا اطلاقا لاسم مظنة الشيء على الشيء وقوله فكن قطبا شروع في الراي الخاص بعمر فاشار عليه ان يجعل
نفسه مرجعا للعرب تؤول اليه وتدور عليه واستعار له لفظ القطب ولهم لفظ الرحا ورشح بالاستدارة
وكنى بذلك عن جعل العرب دريئة دونه وحيطة له ولذلك قال واصلهم دونك نار الحرب لانهم ان سلموا
وغنموا فذاك الذي تبتغي وان انكسروا كان هو مرجعا لهم وسندا يقوي ظهورهم به بخلاف خروجه
معهم فانهم ان ظفروا فذاك وان انكسروا لم يكن لهم ظهر يلجاون اليه كما سبق بيانه وقوله فانك
ان شخصت الى قوله بين يديك بيان للمفسدة في خروجه بنفسه وبين امرين احدهما ان الاسلام كان في ذلك الوقت
غضا وقلوب كثير من العرب ممن اسلم غير مستقرة بعد فاذا انضاف الى من لم يسلم منهم وعلموا خروجه وتركه
البلاد كثر طمعهم وهاجت فتنتهم على الحرمين وبلاد الاسلام فيكون ما تركه وراءه اهم عنده مما يستقبله ويطلبه و
يبقى عليه الفرقان من الاعداء الثاني ان الاعاجم اذا خرج اليهم بنفسه طمعوا فيه وقالوا لو اقتطعناه فكان خروجه
محرضا لهم على القتال وهو اشد عليه كلبا واقوى فيه طمعا وقوله فاما ما ذكرت من مسير القوم الى آخره فهو انه
قال له ان هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير الى المسلمين وقصدهم اياهم دليل قوتهم وانا اكره ان يغزونا قبل
ان نغزوهم فاجابه بانك ان كرهت ذلك فان الله تعالى له اشد كراهية واقدر منك على تغيير ما يكره
وهذا الجواب يدور على حرف وهو ان مسيرهم الى المسلمين وان كان مفسدة الا ان لقاءه لهم بنفسه فيه
مفسدة اكبر واذا كان كذلك فينبغي ان يدفع المفسدة العظمى ويكل دفع المفسدة الاخرى الى الله تعالى
فانه كاره لها مع كراهيته لها فهو اقدر على ازالتها وقوله اما ما ذكرت من عددهم الى آخره فهو ان عمر ذكر كثرة
القوم وعددهم فاجابه عليه السلام بتذكير حال المسلمين في صدر الاسلام فانه كان من غير كثرة وانما كان بنصر الله
ومعونته فينبغي ان يكون الحال الآن كذلك وهو يجري مجرى التمثيل كما اشرنا اليه في المشورة الاولى وعلاوة على ذلك وعد
المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكين دينهم الذي ارتضى لهم وتبديلهم من بعد خوفهم امنا كما هو مقتضى الآية **ومن خطبة له
عليه السلام** بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة الشيطان
الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه

فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير ان يكونوا راوه بما اراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات
واحتصد من احتصد بالنقمات وانه سياتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا
اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا
انفق منه اذا حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب
حملته وتناساه حفظته فالكتاب وأهله يومئذ طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما
مؤو فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم وليسا معهم لان الضلالة لا توافق الهدى
وان اجتمعا فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم
منه الا اسمه ولا يعرفون الا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية
وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة وانما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود
الذي ترد عنه المعذرة وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة ايها الناس انه من استنصح الله وفق ومن
اتخذ قوله دليلا هدي للتي هي اقوم وان جار الله آمن وعدوه خائف وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان
يتعظم فان رفعة الذين يعلمون ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته ان يستسلموا له
فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الاجرب والبارئ من ذي السقم واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا
الذي تركه ولن تاخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا
ذلك من عند اهله فانهم عيش العلم وموت الجهل الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم
لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق **اقول** الاوثان الاصنام وزبره
كتبه ومثلوا بهم اي نكلوا والاسم المثلة بضم الميم وسكون الثاء والقارعة الشديدة من شدائد
الدهر ومدار هذا الفصل على بيان بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وبيان غاية البعثة بقوله بعث الى قوله
بالحق واشار الى غايتها بقوله ليخرج الى قوله الى طاعته وقد علمت ان طاعته سلوك الصراط المستقيم
في الدنيا وهو اتباع الدين القيم والعدول عن طاعة الشيطان التي هي بالخروج الى احد طرفي الافراط والتفريط
فاشار الى سبب تلك الغاية بقوله بقرآن قد بينه واحكمه وقد علمت اشتمال القرآن الكريم على الجواذب الالهية
الى طاعة الله وسلوك صراطه المستقيم واشار الى غاية تلك الغاية اعني غاية طاعة الله بقوله ليعلم العباد
الى قوله انكروه وهي ثمرتان من ثمرات العلم الالهي فالاولى معرفتهم له بعد جهلهم به والثانية الاقرار به
بعد جحدهم له واثباتهم له بعد انكارهم اياه والمعنى واحد وان اختلفت العبارات وهو التصديق بوجوده الا ان
يحمل الاقرار على الاقرار باللسان والجحد به ويحمل الاثبات والانكار على اثباته بالقلب بعد الانكار به فيتغاير
المعنيان واشار بتجليه سبحانه في كتابه الى ظهوره لهم في تذكيرهم فيه بما اراهم من عجايب مصنوعاته وبما خوفهم به
من وعيده وتذكيرهم انه كيف محق من محق من القرون الماضية بالعقوبات واحتصد من احتصد منهم بالنقمات
كل ذلك الظهور وجلاء من غير رؤية له اذ تعالى عن ادراك الحواس وقال بعض الفضلاء يحتمل ان يريد بتجليه في
كتابه ظهوره في عجايب مصنوعاته وكوناته ويكون لفظ الكتاب استعارة في العالم ووجه المشابهة كونه محلا

والنقمة ح

فالبلاد ثمار الفنون الملتفة وعجائب الصور المنقوشة فيه كما ان الكتاب محل لنقش الحروف كل ذلك من غير روية
بحاسة البصر له تعالى وتقدس عن ذلك وقوله سيأتي الى قوله المنكر اخبار عن زمان يأتي بعده بالصفات
المذكورة وقد رأيناه ورأته قرون قبلنا فان خفاء الحق وظهور الباطل عليه امر ظاهر وكون الحق لا شيء
اخفى منه والباطل لا شيء اظهر منه على سبيل المبالغة وكذلك لا اكثر من الكذب على الله وعلى رسوله روي عن
شعبة وكان امام المحدثين انه قال تسعة اعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح الا كالشعرة
البيضاء في الثور الاسود وقوله وليس عند اهل الى آخره قد مر تفسيره في الفصل الذي يذم من يتصدى
للحكم بين الامة وليس له باهل ونبذ حملة الكتاب له اعراض قراءته عن تدبر ما فيه والعمل به وتناسي حفظته
اياه تعاميهم عن اوامره ونواهيه وتغافلهم عن اتباعها وقوله فالكتاب الى قوله وان اجتمعا فاهل الكتاب
الملازمون للعمل به وحيث كان اهل ذلك الزمان الثالث رأيه غير ملتفتين الى الكتاب كانوا ايضا
غير ملتفتين الى اهله ومن يعمل به بل ما اذن الله فيما يخالفونهم فيه مما يقتضيه احكام الكتاب ويوجبه اتباعه
فكان اعراضهم عنهم ابعادا لهم ونفيا وطردا والطريق الذي اصطحب فيه الكتاب واهله هو طريق الله
الواحد وصدق اذن انه لا يؤديهما مؤمن اهل ذلك الزمان اليهم الا اذا وافقا غرضه لكن ذلك ليس
للكتاب وعامل به بل لموافقتها الغرض وكونهما في الناس اي بوجودهما وكونهما ليسا فيهم لعدم
اتباعهما والانتفاع بهما فاشبها ما ليس بموجود وان فائدة الموجود ان ينتفع به وكذلك معهم بالمصاحبة
الانتفاعية في الوجود وليسا معهم لان ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب واهله فكانا متضادين لهم وان
اجتمعا في الوجود وقوله فاجتمع القوم على الفرقة اي اتفقوا على مفارقة الاجتماع وما عليه الجماعة امانة
وقت عليه السلام كالخوارج والبغاة واما فيما يستقبل من الزمان بعده كالآخذين بالآراء والمذاهب
المتفرقة المحدثة في الدين والاجتماع على الفرقة يلازم الافتراق عن الجماعة وقوله كانهم ائمة الكتاب شبه
لهم بالائمة له في الجرأة على مخالفة ظواهره والاختلاف فيه وتفريعه على حسب اغراضهم اذ شان الامام
مع المأموم ذلك مع انه امامهم الذي يجب ان يتبعوه ويقتفوا اثره واذ خالفوه ونبذوه وراء
ظهورهم فلم يبق معهم من تمسكهم به الا اسمه وعلم خطه وزبره دون اتباع مقاصده وقوله ومن قبل ما مثلوا
بالصالحين اشارة الى زمن بني امية الكائن قبل زمن من يخبر عنهم وتمثيل بني امية بالصالحين من الصحابة
والتابعين وحملهم لهم على المكروه ونسبتهم له الى الكذب على الله وجعلهم في الحسنة عقوبة السيئة ظاهر منهم
ووصفه لمن سيأتي في ذلك الزمان بالاوصاف المذكورة لا ينافي وصف من قبلهم من بني امية بمثل تلك
الاوصاف ورفع الفعل في حكم المصدر ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من قبل وقوله وانما هلك الى آخره
تنبيه على وجوب تقصير الآمال في الدنيا لاستلزام طولها الهلاك الاخروي واشار الى القرون الماضية
من قبل واراد الهلاك الاخروي وجعل سبب هلاكهم طول امالهم في الدنيا الموجب للاستغراق في لذاتها
المبعدة عن الله تعالى مع تغيب آجالهم عنهم اي غفلتهم عنها وقلة ذكرهم فيها وعدم علمهم بتعيينها فان استشعار
الاجل موجب للانقطاع عن الانهماك في اللذات الحاضرة ومنغص لها وقوله حتى نزل بهم الموعود الى آخره

غاية طول آمالهم والموعود هو الموت وترد عنه المعذرة اي لا يقبل فيه معذرة معتذر وترفع عنه التوبة
اي منه بها حين نزوله لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن الآية وتحل معه القارعة اي تنزل بمن نزل به الشدائد والاهوال وتبعتها العقوبات
الاخروية ثم عاد الى الراي الصالح للسامعين فاتبه بهم ونبههم على وجوب استنصاحه اي اتخاذه ناصحا في قبول
اوامره ونواهيه واتخاذ قوله دليلا الى المطالب الحقة فان استنصاحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا يستلزم
الهدى للتي هي اقوم اي للطريق التي هي اقوم الطرق ثم نبه على حسن جوار الله بالامن الذي هو غاية الجوار
مع المنع عن عداوته بذكر الخوف الذي هو غاية عداوة الملوك خصوصا جبار الجبابرة وملك الدنيا والآخرة
واراد بجواره القرب منه بالطاعة وبعداوته البعد عنه بالمعصية ومخالفة اوامره ولا شك في كون
الاول آمنا من اهوال الآخرة وفي كون الثاني في محل الخوف والخطر وقوله وانه لا ينبغي لمن عرف الله
ارشادهم الى التواضع لله ولمن ارشد الى طريقه ونهي عن التكبر عليهم والنفار عن قبول الحق منهم وغالب
من يعرف عظمة الله لا احتقاره نفسه عند ملاحظة نفسه ونسبتها الى جلال الله في اسرع انفعالا واجدر
في نفسه ان يتكبر على الله ونبه على حسن التواضع له بذكر عظمته ورفعة للعالمين بعظمته فانه لما كان هو العظيم
المطلق وكل عظمة ورفعة لعظيم فمستفادة من جوده والقرب منه وكانت العادة جارية من الملوك في
حق من يتواضع لهم ويرفعهم حقهم من الاجلال والاكرام وحسن الانقياد ان يرفعوه ويعظموه فبالحري ان يكون
رفع المتواضع للملك المطلق والعظيم المطلق لازمة عن التواضع له وكذلك العادة جارية منهم بسلامة من
استسلم لهم من معرفته باقتدارهم فبالحري ان يكون سلامة المستسلم لله من العلم بعظمة قدرته واستيلاء
سلطانه لازمة عن استسلامه له واذ ادبهم بالتواضع لله ولاوليائه ندبهم الى قبول الحق منهم وعدم النفار منه
الشبه نفار الصحيح من الاجرب والبارئ من السقيم ووجه الشبه هو شدة النفار ثم عاد الى تنفيرهم عن
ائمة الضلال وذلك تنبيههم على انهم ليسوا عارفين بالرشد المعرفة الصحيحة ولا آخذين بميثاق الكتاب
ولا متمسكين به الاخذ والتمسك التام ما لم يعرفوا اولئك الضالين وانما شرط معرفتهم للرشد بمعرفتهم تارك
لان المعرفة التامة للرشد بل لكل شيء تستدعي معرفة ما يقابلها من الشكوك والشبهات التي هي سبب الشك
فيها وترك العمل على وفقها ولما كان الرشد وهو الحق الذي هو عليه هو وتابعوه وكان التارك لذلك
هم مخالفوه وخصومه في الامر من ائمة الضلال لاجرم كان من تمام معرفة الحق في يده والرشد الذي يدعو اليه
معرفة خصومه وانهم على شبهة اذ عرفنا طالب الحق تمت معرفته بطريق الرشد فسلكها ونفر عن تلك عنها و
كذلك شرط لاخذهم بميثاق الكتاب والعمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه اي ان اخذهم بما يعمل به عليه السلم
منه لا يتم منهم الا ان يعرفوا شبهة ناقضه وهو العامل بخلاف حكمه على وفق الكتاب ليجتنبها اذا اطلعوا
على كيفية فسادها وضلاله بها اخذوا بميثاق الكتاب على بصيرة وعلموا انه ناقض له فنفروا عنه وكذلك شرط
لتمسكهم بالكتاب ولزومهم لمشافهة بمعرفة نابذه وانه ضال لتحصل النفرة عنه فيتم التمسك به وتأكد لزوم
مشافهة وغاية كل ذلك التنفير عن ائمة الضلال بمعرفتهم ومعرفة ما هم عليه من الشبه والتبري منهم ثم عدا الى

على ذلك العرفان بانها سهام من عند الله وانها اشارة بهم الى نفسه واهل بيته عليهم السلم واستعار لهم وصفي عيش العلم
اي حياته وموت الجهل ووجه الاستعارة الاولى انهم يكون وجود العلم والاشتغال به كما يكون بحياة الشيء
الاشتغال به ووجه الثانية انهم يكون عدم الجهل وعدم التضرر به كما يكون بموت الشرير عدمه وعدم مضرته
وقوله الذين يخبركم حلمهم عن علمهم اي يدلكم منطقهم بالحكمة وسيرتهم على وجهها على كمال نفوسهم بالعلوم وصمتهم
عن منطقهم فان الصمت عن المنطق الحسن ذي الحكمة الغزيرة وقت ما ينبغي وحالة تكون قرائن والمنطق حسن منطقه
وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم وقوله لا يخالفون الدين اشارة الى لزومهم لاوامر الله وطريق شريعته
ولا يختلفون فيه اشارة الى اتفاق آرائهم على احكامه عن كمال علومهم به فانه لما كان طريقا واحدا واتفقوا
على معرفته وجب ان لا يختلفوا فيه ولا يضل احدهم عن حكم من احكامه حتى يخالف صاحبه فيه وقوله فهو بينهم شاهد
صادق اي شاهد يستدلون به على الاحكام والوقائع النازلة بهم وبغيرهم لا يكذب من حيث هو شاهد
وصامت ناطق لكونه حروفا واصواتا وانما ينطق بالسنتهم فهو بمنزلة الناطق واللفظان استعارة
وجهها الافادة مع النطق به وعدمها مع السكوت عنه كافادة الناطق وعدم افادة الصامت **ومن كلام له
عليه السلم** في ذكر اهل البصرة. كل واحد منهما يرجو الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان الى الله
بحبل ولا يمدان اليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا
الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا قد قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون
وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع
الناعي ويحضر الباكي ثم لا يعتبر **اقول** مت اليه بكذا اي تقرب اليه به والضب الحقد والغل والمحتسبون طالبوا
الاجر والثواب واللدم الضرب ... يجذبه الى نفسه ويزعم انه احق به من صاحبه وقوله لا يمتان الى الله بسبب اي ليسا
لما يقصدان الى الله تعالى باخذهما لامر عليه السلم وهلاك المسلمين فيما بينهم وقوله كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه
اي في صدره غل عليه وعما قليل يظهر وينكشف واستعار لفظ القناع لظاهره الساتر لباطنه وذلك
مثل يضرب لمن ينافق صاحبه ويظهر له الصداقة مع حسده وحقده له في الباطن والعرب تضرب بالضب
المثل في العقوق فيقال اعق من ضب وذلك انه ربما ياكل حسوله ثم اقسم لئن اصابوا بغيتهم لينتزعن هذا
نفس هذا وليأتين عليه اي يسعى كل منهم في قتل صاحبه وهذا مما لا شك فيه فان العادة جارية بعدم
قيام الامر برئيسين معا وسره ان الطباع البشرية متشاحة على الكمال وتفاوت ذلك التشاح بتفاوت
ذلك الكمال في تصور قوته وضعفه ولا شيء في نفوس طالبي الدنيا اعظم من الملك خصوصا في نفس من يعتقد
انه يقدر على تحصيل الآخرة فيه ايضا فان تحصيل الدنيا والآخرة هي اكمل الكمالات المطلوبة للانسان ولا شيء
يقاوم هذا المطلوب في النفوس فهي تسعى في تحصيله بكل ممكن من قتل الولد والوالد والاخ ولذلك قيل
الملك عقيم وقد نقل عن هذين الرجلين الاختلاف قبل اصابتهما بغيتهما وقبل وقوع الحرب فاختلفا
في الاحق بالتقديم في الصلوة فاقامت عائشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير يصلي هذا يوما وهذا يوما
الى ان تنقضي الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى ان عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج على ذلك

باستخلافه

باستخلافه له في الصلوة واحتج تارة بنص صريح ادعاه وطلب طلحة ان يسلم الناس عليه بالامرة وادلى اليها
بانه ... وادلى الزبير اليها بانها ... فامرت الناس ان يسلموا عليهما معا بالامرة واختلفا في تولي القتال
فطلبه كل واحد منهما اولا ثم نكل عنه وامثال ذلك ظاهرة وقوله قد قامت الفئة الباغية اشارة اليهم
وهم الناكثون الذين نقل فيما سبق فيهم الخبر امرت ان اقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين وقوله
فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن اي اين طالبوا الثواب من الله بعد وضوح الطريق وروي فاين المحسنون
وقوله وقدم لهم الخبر اي اخبرهم الرسول صلى الله عليه وآله عن خروج فئة باغية وناكثة ومارقة فالحري ان يحذروا
ان يكونوا مع اخرجهم وقوله ولكل ضلة علة اي لكل خروج عن سبيل الله علة واشار الى علة خروج هذه
الفرقة عن الدين وتلك الطلب للبغي والحسد ولكل ناكث شبهة تغطي عين بصيرته عن النظر الى وجه الحق
كطلبهم بدم عثمان وقوله والله لا اكون الى آخره اقسم انه لا يكون كذلك اي انه بعد سماعه تغلبهم وحلبهم عليه
وتهديدهم اياه لا ينام عنهم ويصبر لهم حتى يوافوه فيكون في الغرور كمن يسمع الضرب والبكاء الذي هو مظنة
الخطر ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهدة الحال ويحضر الباكي وقد كان الاولى به ان يكتفي بذلك السماع لظهور دلالته
ويأخذ في الاستعداد للعدو والهرب منه **ومن كلام له عليه السلم** قبل موته. ايها الناس كل امرئ لاق
ما يفر منه في فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله
الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئا ومحمد فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين
واوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا حمل كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم
ودين قويم وامام عليم انا بالامس صاحبكم وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت
الوطأة في هذه المزلة فذاك المراد وان تدحض القدم فانا كنا في افياء اغصان ومهاب رياح وتحت ظل
غمام اضمحل في الجو متلفقها وعفا في الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم بدني اياما وستعقبون مني
جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق ليعظكم هدوي وخفوت اطراقي وسكون اطرافي فانه
اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع وداعي لكم وداع امرئ مرصد للتلاقي غدا ترون ايامي
ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي **اقول** اطردت الايام صيرتها طريدة
لي وشرد الجمل ذهب لوجهه ودحضت القدم زلقت واضمحل فني والمخط الاثر وهذا الفصل محل الوعظ والانبهات
فابتدأ بالناس وينبههم على لحوق ضرورة الموت المنفور منه طبعا وحسن بقوله في فراره فانه لما كان الانسان
دائما فارا من الموت ومتوقيا له وكان لا بد منه لا جرم كان ضروري اللقاء في فراره والاجل قد يراد به
غاية الحيوة الدنيا كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهي مدة عمره واياها
عنى هنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدته غايتها في هذا البدن هو مساقها الى غايتها ومحل قرارها وقوله
والهرب منه موافاته في غاية اللطف وذلك ان الفار من الموت مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها
يستلزم حركاته في ذلك فناء الاوقات وتصرمها وقطع تلك الاوقات مستلزم لملاقاته وموافاته
فاطلق لفظ الموافاة على الهرب مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه وقوله كم اطردت الايام اي صيرتها طريدة

إلخ بعضنا بعضا بالبحث وتعرف لكون هذا الامر اى الذى وقع له من القتل وذلك الكون هو وقته المعين
بالتفصيل ومكانه فان ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله وما تدرى
نفس باى ارض تموت وان كان قد اخبره الرسول صلى الله عليه وآله بكيفية قتله مجملا كما روى عنه انه قال
ستضرب على هذه واشار الى هامته فتخضب منها هذه واشار الى لحيته وعنه انه قال اتعلم من اشقى الاولين
قال نعم عاقر الناقة فقال اتعلم من اشقى الآخرين قال لا قال من يضربك ههنا فيخضب هذه واما الجزم من
تفصيل الوقت والمكان ونحوهما من القرائن المشخصة وذلك البحث اما بالسؤال من الرسول صلى الله عليه وآله
مدة حيوته وكتمانه اياه او بالفحص والتفرس من قرائن احواله فى ساير اوقاته مع الناس فابى الله
الا ان يخفى عنه ذلك الحال هيهات اى بعد ذلك العلم فهو علم مخزون ثم شرع فى الوصية فبدأ بالاهم فالاهم
فالاول هو الاخلاص لله بالاعراض عن كل ما سواه وفى ذلك لزوم اوامره ونواهيه وساير ما نطق
به كتابه العزيز الثانى فى لزوم سنة محمد صلى الله عليه وآله وعدم اهمالها وانما قدم امر الله ومحمد لانه ان
الواجب فى علم البيان تقديم الاهم ثم اكد القول فى الامر باتباع التوحيد المطلق والسنة النبوية واستعار
لهما لفظ العمودين ورشح بذكر الاقامة ولفظ المصباحين ورشح بذكر الايقاد ووجه الاستعارة الاولى
ان مدار الاسلام ونظام امور المسلمين فى معاشهم ومعادهم على توحيد الله ولزوم ما جاء به رسوله كما
ان مدار الخيمة وقيامها بالعمود ووجه الثانية ان توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهداية
فى طريقه من ظلمات الجهل كما يهدى الى جادة فى ظلمات الليل وهو المطلوب الحقيقى كما يهدى المصباح
فى الظلام على الطريق الى المطلوب وقوله وخلاكم ذم اى عداكم وهى كلمة تجرى مجرى المثل اى عند لزومكم
توحيد الله وسنة رسوله لا ذم عليكم واول من قالها قصير مولى جذيمة حين حث عمرو بن عدى ابن
اخت جذيمة على طلب ثاره من الزباء فقال له عمرو وكيف لى بذلك والزباء امنع من عقاب الجو فقال قصير
اطلب الامر وخلاك ذم وقوله ما لم تشردوا استثناء من نفى لحوق الذم لهم اى اوقدوا هذين المصباحين
فادمت لكم فلا ذم يلحقكم الا ان تشردوا اى تتفرقوا عما انتم عليه ثم لما كان قد امرهم بلزوم هذين الامرين
اللذين يدور عليهما التكليف بين لهم بقوله حمل كل امرئ منكم الى قوله الجهلة ان التكليف بذلك متفاوت
فكل امرئ من العلماء واهل البصائر ومن هو بصدد العلم يحمل مجهوده وطاقته منه بالنسبة الى الادلة وتعليمها
واما الجهال كالنساء واهل البادية والترك ونحوهم من اهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك وهو بالمحسوس
من العبادات دون الامر بالتفكر فى مقاصدها ثم ذكر وصف الرحمن بالرب لمناسبة ما سبق من ذكر
التخفيف عن الجهلة فى التكليف ودين قويم لا عوج فيه ولا زيغ عن القصد الحقيقى وامام عليم اشارة الى
الرسول صلى الله عليه وآله العالم بكيفية سلوك طريق الله ومراحلها ومنازلها والهادى فيها بما ينبغى لحكمته
من القول والعمل او الى نفسه لكونه وارث علمه وسالك مسالكه ورب خبر مبتدأ محذوف وتقديره
وذلك المكلف رب رحيم ويجوز ان يكون فاعلا لفعل مضمر قوله حمل وخفف اى يحملكم رب كقوله تعالى
يسبح له فيها بالغدو والآصال ثم ختم الوصية بالدعاء لهم وله وبطلب المغفرة ثم تمم بالتنبيه لهم على وجه

الاعتبار به

الاعتبار به وهو تصرف حاله بعجب الازمان فقد كان بالامس صاحبهم فى الحرب ومنازعة الاقران وها
الامر والنهى فيهم واليوم عبرة لهم بحال مصرعه وضعفه عن الحراك وعند افتقارهم بالموت وكل هذه التغيرات
محل الاعتبار بعجب انتبه لها وارادوا بعدا اما حقيقة ان كان قد علم بمطلعه موته فى تلك الواقعة او مستقبل
من الزمان وان بعد وهذا اشبه لقوله ان تثبت الوطاة فى هذه المزلة اى ان لم يمت بها فى الدنيا
وبقائه فى هذه المزلة اى محل الزوال عن الحيوة فذاك المراد وكنى بثبات الوطاة عما ذكرناه وبدحض القدم
عن عدم ذلك بالموت وقوله فى جواب الشرط فانا كنا فى افياء اغصان الى قوله مخطها اى وان مت فانا كنا
فى كذا وكنى بالامور المذكورة من احوال الدنيا وملذاتها وبقائه فيها وتمتعه بها وقيل استعار لفظ الاغصان
للاركان الاربعة من العناصر ولفظ الافياء لما تستريح فيه النفوس من تركيبها فى هذا العالم ووجه الاستعارة
الاولى ان الاركان فى نمائها كالاغصان المتشجرة ووجه الثانية ان الافياء محل الاستراحة واللذة كما ان
الكون فى هذا البدن حين صحة التركيب واعتدال المزاج من هذه الاركان كذلك وكذلك استعار لفظ مهاب
الرياح للابدان ولفظ الرياح للارواح والنفحات الالهية عليها فى هذه الابدان ووجه الاولى قبول
الابدان لنفحات الجود كقبول مهاب الرياح لها استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه الثانية اظهر من ان
يذكر وكذلك لفظ الغمام للاسباب العلوية من الحركات السماوية والاتصالات الكوكبية والارزاق المفاضة
على الانسان فى هذا العالم التى هى سبب بقائه ووجه الاشتراك فى الافاضة والسببية وكنى بظلها عما يصل
اليه منها كما يقال فلان يعيش فى ظل فلان اى فى خيره وعنايته وكنى باضمحلال متلفقها فى الجو عن تفرق الاسباب
العلوية للبقاء وفنائها وبعفاء مخطها فى الارض عن فناء آثارها فى الابدان والضمير فى متلفقها يعود الى الغمام
وفى مخطها يعود الى مهاب الرياح وقوله فانما كنت جارا جاوركم بدنى اياما فيه تنبيه على ان نفسه القدسية
كانت متصلة بالملأ الاعلى ولم يكن لها ميل الى اللذات فى الدنيا ومجاورة اهلها فيها كانت مجاورته لهم ببدنه
فقط وايضا فان المجاورة من عوارض الجسمية فيحتمل ان يكون ذلك تنبيها منه على وجود امر آخر من البدن
وهو النفس وكنى بالايام عن مدة حيوته الدنيا وقوله وستعقبون اى توجدون فى عاقبة امركم منى جثة
خالية لا روح بها ولا حراك قد افترقت من تلك المعانى المعهودة لكم من العقل والنطق والقوة فهى مبدلة
بالحراك السكون وبالنطق السكوت ثم عاد الى امرهم بالاتعاظ بتلك الهدأة وخفوت الاطراق وسكون
الاطراف بالموت وقوله فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ صاحب الحسن والفصاحة كلام حق فان العيان
اكثر انفعالا واعتبارا من شاهده لما فيه العبرة من الوصف له بالقول الصحيح ولو بالغ عبارة ثم اخذ عليه السلام
فى توديعهم فقوله وداعيكم اى لآخر وقوله وداع امرئ مرصد للتلاق اى معد ومهيأ للقاء الله وقوله غدا
ترون ايامى الى قوله مكانى اى تذكرهم بفضيلته ونبه عليها ليثبت متبوعه على اتباعه والتخلف عن فضله ومحله منهم اذا
فارقهم وولى امرهم الظالمون بعده فلا بد ان ينكشف لهم ما كان مغطى عن اعين بصائرهم من لزوم قصده
فى سبيل الله ويعرفون منزلته وفضله حين مشاهدة المنكرات ممن يقوم مقامه خلفا فى الناس وان قيامهم
وحدوثه وحرصه على هذا الامر لم يكن لنيل دنيا بل لاقامة سنن العدل ورضا الله تعالى ومن خطبة له عليه السلام

يوغل فيها الى الملاحم . واخذوا يمينا وشمالا ظعنا في مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن
مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما ان ادركه ود انه لم يدركه وما اقرب اليوم من تباشير غد
يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير
ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق فيها رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا في سترة عن الناس
لا يبصر القائف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير
في مسامعهم ويغبقون كاس الحكمة بعد الصبوح **اقول** ابان الشي بكسر الهمزة وتشديد الباء وقته والربق بكسر
الراء وسكون الباء حبل فيه عدة عرى يشد به البهم والصدع الشق والشعب الاصلاح والشحذ التحديد والقين
الحداد والغبوق الشرب بالعشي والصبوح الشرب بالغداة فقوله عليه السلم فاخذوا يمينا وشمالا
الى قوله الرشد اشارة الى من ضل من فرق الاسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب والسنة وسلكوا طرفي
الافراط والتفريط منها كما قال عليه السلم اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة وهي سبيل
غير ذلك مسلوكة ومسالك الغي اطراف الرذايل من الفضايل التي عددناها كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة
وما تحتها وهذا هو الرشد هي تلك الفضايل وظعنا وتركا مصدران في مقام الحال وقوله فلا تستعجلوا
ما هو كاين مرصد ذلك الاستعجال اشارة الى ما كانوا يتوقعونه من الفتن التي اخبر الرسول صلى الله عليه
وآله عن وقوعها في المستقبل وكانوا اكثر الوقت يسالونه عليه السلم عنها فقال لا تستعجلوا ما هو كاين
اي لا بد من وقوعه وهو مرصد معد ولا تستبطئوا ما يجي به الغد اي من الفتن والوقايع وقوله فكم من مستعجل
الى قوله لم يدركه ذم للاستعجال والاستبطاء لهذا المدعو كقوله تعالى فعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وما اقرب اليوم من تباشير غد اي من البشرى بغد كقوله . غد ما غد ما اقرب اليوم من غد . وكقوله
وان غدا لناظره قريب . ثم اخذ في تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال هذا ابان كل موعود وابان
وقت دنو ظهور ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل وقوله الا ومن ادركها منا اي من ادرك تلك الفتن
من اهل بيته الايمة الاطهار يسري فيها بسراج منير واستعار لفظ السراج لكمالات نفسه التي استضاءت
بها في طريق الله من العلوم والاخلاق الفاضلة ولفظ المنير ترشيح وهو اخبار عن معرفته للحق وتميزه
من الباطل وان تلك الفتن لا تروج له شبهة ولا تؤثر في عقيدته الصادقة الصافية بل يتعرف
فيها مقاصد الانوار الله على صراط المستقيم لا يلوي عنه طرفه بل يقتفي فيها اثار ايمة الصالحين ويلزم مكارم
الاخلاق فيحل ما انعقد فيها واشكل على الناس من الشبه ويفك ربق الشك من اعناق نفوسهم او يفك
فيها الاسرى فيفك ربق اسرهم ويعتقهم ويصدع ما انشعب والتام من ضلال بحكمته ويصدع ويشعب
ما انصدع من امر الدين بالحكمة في سترة من الناس لا يبصر القايف اثره ولو تابع اليه نظره وما ذاك
ايمة اهل البيت عليهم السلم مغمورين في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم حتى لو تفردهم من لا يريد بدون
لهم لم يعرفهم ولست اقول لم يعرف اشخاصهم بل لا يعرف انهم اهل الحق والاحقون بالامر وقوله ثم ليشحذن
فيها قوم اي في اثنا ما يأتي من الفتن ليشحذ اذهان قوم وتعد لقبول العلوم والحكمة كما تشحذ الحداد النصل

ولفظ

ولفظ الشحذ مستعار للاعداد لاذهانهم ووجه الاستعارة الاشتراك في الاعداد لتمام النافع فهو معنى في متأمل
الحكمة والعلوم كمضي النصل فيما يقطع به وهو وجه الشبه المذكور ثم اخذ في تفسير ذلك الشحذ والاعداد فقال
تجلى بالتنزيل ابصارهم اي تتقد بالقرآن الكريم ودراسته وتدبره ابصار بصايرهم لادراك الحكم واسرار
العلوم وذلك لاشتمال التنزيل الالهي عليها ويرمى بالتفسير في مسامعهم اي يلقى اليهم تفسيره على وجهه من امام
الوقت ثم عبر عن اخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقيها بعد استعدادهم لها بالغبوق والصبوح ولفظ الصبوح والغبوق
مستعاران لكونهما حقيقيين في الشرب المخصوص المحسوس وهولاء المشار اليهم بالاستعداد للحكمة واخذها هم علماء
الامة من جاء منهم قبلنا ومن في آخر الزمان من المستعدين لكمالات النفوس السالكين لسبيل الله المرتضين في نظره
ونظر الايمة من ولده بعده . **منها** وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق الاجل
واستراح قوم الى الفتن واشالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق
حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء حملوا بصايرهم على اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم حتى اذا
قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الاعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولايج ووصلوا غير
الرحم وهجروا السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة
وابواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا
راكن او مفارق للدين مباين **اقول** الامد الوقت والاشالة الرفع والولجة البطانة وهي خاصة الرجل
من اهله وعشيرته ورص الاساس احكامه وماروا تحركوا وهذا الفصل يستدعي كلاما منقطعا قبله لم يذكره الرضي
قد وصف فيه فئة ضالة قد استولت وملكت واملى لها الله سبحانه وقوله وطال الامد بهم ليستكملوا الخزي
كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما الاية وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقوله حتى اذا اخلولق الاجل اي صار خلقا وهو كناية عن قرب
غاية مدتهم المكتوبة في علم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وقوله واستراح قوم الى الفتن اشارة الى من يعتزل
الوقايع التي ستقع في آخر الزمان من شيعة الحق وانصاره ويستريح اليها اي يجد في اشتغال القوم بعضهم
ببعض راحة له في الانقطاع والعزلة والخمول واشالوا عن لقاح حربهم رفعهم لانفسهم عن تهيجها واستعار
لفظ اللقاح بفتح اللام لاثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة وقوله لم يمنوا جواب قوله حتى اذا اخلولق
والضمير في يمنوا قال بعض الشارحين انه عايد الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق بقوله
حتى اذا القى السلم الى هذه الفئة الضالة عجزوا واستراحوا من منابذتهم الى فتنتهم نبه منهم انهض الله
اولئك الذين خصهم بحكمته واطلعهم على اسرار العلوم فنهضوا ولم يمنوا على الله تعالى بالصبر في طاعته وفي رد
بالضراء عن غيرهم له ولم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب الحق حتى اذا وافق القدر الذي هو وارد القضاء
وتفصيله انقطاع مدة هذه الفئة وارتفاع ما كان يشمل الخلق من بلايهم حمل هولاء العارفون بصايرهم على اسيافهم
وفيه معنى لطيف وهو انهم اظهروا اعتقادهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم فكانهم حملوها
على سيوفهم حتى في غاية الجلاء والظهور كما ترى السيوف المجردة ومنهم من قال اراد بالبصاير جمع بصيرة

ومن الدم فكأنه طلبوا ثارهم والدماء التي سفكتها تلك الفتنة فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم
المجردة للحرب واشار بواعظهم الى الامام القايم واقول يحتمل ان يريد بالضمير في تمنوا وما بعده القوم الذين
اسراحوا الى الفتنة واشتالوا من لقاح الحرب وذلك انهم لم يفعلوا ذلك الا انه لم يوذن لهم في القيام حتى
استراحتهم واتقاهم السلم لهذه الفتنة ولم يمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القايم بالامر فكانوا حين مسالمتهم صابرين
على مضض من الم المنكر الذي يشاهدونه غير مستطيعين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون اهلا لجهاد
اليه حتى اذا ورد القضاء الالهي بانقطاع مدة بلاء هذه الفتنة ظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه حمل هؤلاء بصايرهم
على اسيافهم وتاموا لربهم بامر من يقوم فيهم واعطاهم حقوقا ودواعيا وهذا الحمل بوجه عود الضمير الى الاقرب
وهم القوم وقوله حتى اذا قبض الله رسوله الى هذا الفصل منقطع عما قبله لان صريحه ذكر غاية الاقتصاص حال
حيوة الرسول صلى الله عليه واله وحال الناس قبله ومعه وليس في الكلام المتقدم شي من ذلك اللهم الا ان يحمل
من حال الاحدهم في الكلام المتقدم على من كان من اهل الضلال قبل الاسلام حتى اذا اخلوا في العلم واستراح
قوم منهم الى الفتح والتواضع بالنهب والغارة واشتالوا من لقاح حربهم اي اعدوا انفسهم بما كانوا عليه
نفسها بشول ذنبها للقاحها اي برفعه وتسمى شايلا ولكون الضمير في قوله لم تمنوا راجعا الى ذكر سبق للصحابة
في هذه الخطبة حين قام الرسول صلى الله عليه واله فيهم وهم حرب فلم يمنوا على الله بصبرهم معه وفي نصرة الحق
ولم يستعظموا بذل انفسهم له حتى اذا وافى وارد القضاء انقطاع مدة البلاء به وهو الجاهلية والكفر حمل هولاء الذين
لم يمنوا على الله بصبرهم بصايرهم اي ما كانوا يخفونه من الاسلام في اول الاسلام على اسيافهم اي كشفوا عقايدهم كما
سبق القول فيه اودانوا هم وثاراتهم من الكفار ودانوا لربهم بامر واعظهم وهو الرسول صلى الله عليه واله
مع تصحيح قوله حتى اذا قبض الله رسوله غاية لذلك الكلام على هذا التاويل وقوله رجع قوم على الاعقاب لكه
اما على مذهب الامامية فاشارة الى عدول الصحابة بالخلافة عنه وعن اهل بيته عليهم السلام الى الخلفاء الثلثة واما على
مذهب من صحح امامة الخلفاء الثلثة فيحتمل ان يريد بالقوم الراجعين على الاعقاب من خرج عليه في زمن خلافته
من الصحابة كمعوية وطلحة والزبير وغيرهم وزعموا ان غيره احق بها منه ومن اولاده والرجوع على الاعقاب
كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الانقياد لشرايعهم واوامر الله ورسوله ووصيته باهل بيته وغيلة السبل
لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل بالحق واشتراك طرق الباطل لهم واهلاكها اياهم وهي الشبه المستنزلة
لعارا الفاسدة كما يقال في العرف اهلكه الطريق الى مجنبق وهي مجاز في المفرد والمركب اما في المفرد
فلان سلوكهم لسبل الباطل لما كان عن غير علم منهم بكونه باطلا ناسب الغيلة فاطلق عليه لفظها واما في المركب فلان
اسناد الغيلة الى السبل ليس حقيقة اذ الغيلة من فعل العقلاء والكلام على الولايج اعتماد كل من راي منهم رايا
فاسدا على ابله وخواصه في نصرة ذلك الراي ووصلوا غير الرحم اي غير رحم الرسول صلى الله عليه واله
وترك المضاف اليه للعلم به وذلك هجروا السبب الذي امروا بمودته ولزومه يريد اهل البيت ايضا
وظاهر كونهم سببا لمن اهتدى بهم في الوصول الى الله سبحانه كما قال الرسول صلى الله عليه واله خلفت فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي حبلان ممدودان من السماء الى الارض لن يفترقا حتى يردا علي الحوض

فاستعار

فاستعار لهم لفظ الحبل والسبب في اللغة الحبل والمراد بهم بمودتهم كما في قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة
في القربى وقوله ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه اشارة الى العدول بامر الخلافة عنه وعن
اهل بيته الى غيرهم ووصله غير الرحم خروج عن فضيلة العدالة الى رذيلة الظلم وعدم مودة اولى القربى رذيلة
التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العفة وكذلك نقل البناء عن موضعه دخول في رذيلة الظلم ثم وصفهم وصفا
اجماليا بكونهم معادن كل خطيئة اي انهم مستعدون لفعل كل خطيئة ويفيضون لها فهم مظانها ولفظ المعادن
استعارة وكذلك ابواب كل ضارب في غمرة واستعار لفظ الابواب لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة
جهالة او شبهة يخبر بها فتنة واستعان بهم فكانه لذلك الباب وساعدوه وحسنوا له رايه فكانهم بذلك
ابواب له اي مراده الباطل يدخل منها وقوله قد ماروا في الحيرة اي ترددوا في امرهم فهم حائرون لا يهتدون
جهة الحق فيقصدونه وذهلوا اي غابت اذهانهم في سكرة الجهل فهم على سنة من آل فرعون وطريقته وانما كني
السنة لانه يريد بها مشابهتهم في بعض طرايقهم وآل فرعون اتباعه وقوله من منقطع الى الدنيا الى تفصيل لهم
باعتبار كونهم على سنة من آل فرعون فمنهم المنقطع الى الدنيا المنهمك في لذاتها المكب على تحصيلها ومنهم المفارق
للدين المباين له وان لم يكن له دنيا والمنفصلة مانعة الخلو بالنسبة الى المشار اليهم ويحتمل ان يريد مانعة الجمع
ويشير بمفارق الدين الى من ليس مراكن الى الدنيا كثير من يدعي الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فترا غير
من الدنيا ويحب انه على شي مع ان جهله يكفيه عن سلوك سبيل الله بقوده عنها وشماله عنها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم وأستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره، والاعتصام من حبائله ومخاتله، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ونجيبه وصفوته، لا يؤازى فضله، ولا يجبر
فقده، أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة، والجهالة الغالبة، والجفوة الجافية، والناس يستحلون الحريم، ويستذلون
الحكيم، يحيون على فترة، ويموتون على كفرة. ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمة،
واحذروا بوائق النقمة، وتثبتوا في قتام العشوة، واعوجاج الفتنة عند طلوع جنينها، وظهور كمينها، وانتصاب
قطبها، ومدار رحاها. تبدأ في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جلية. شبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السلام،
تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنيا دنية، ويتكالبون على جيفة
مريحة، وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون عند اللقاء. ثم يأتي
بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، والقاصمة الزحوف، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضل رجال بعد سلامة،
وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها. من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها
تكادم الحمر في العانة. قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر. تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتدق أهل
البدو بمسحلها، وترضهم بكلكلها. يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقها الركبان. ترد بمر القضاء، وتحلب عبيط
الدماء، وتثلم منار الدين، وتنقض عقد اليقين. يهرب منها الأكياس، ويدبرها الأرجاس. مرعاد مبراق، كاشفة
عن ساق. تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام. بريها سقيم، وظاعنها مقيم. اقول المداحر جمع مدحر وهي
الامور التي بها يدحر اي يطرد ومخاتلها محال غروره التي يختل الى الناس بها ويوهمهم انها نافعة والبوائق جمع

بابنه وهي الدابة والقتام بفتح القاف الغبار والعشوة بكسر العين الامر على غير بيان ووضوح والقطاة قريب وزن
الامر الشديد الجد والمقدار والسلام بالكسر الحجارة الضم واحدها سلمة بكسر اللام والمريحة المنتنة وتنزالون
تتفارقون وتجوبها طلوعها واشرف لها اي انتصب لدفعها والتكادم التعاض بادنى الفم والعانة القطيع
من حمر الوحش والمسحل البرد والمسحل حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها والوحدان جمع واحد
والعبيط الخالص الطري وصدر هذا الفصل باستعانة الله تعالى على مداحر الشيطان ومزاجره وذلك
هو العبادات والاعمال الصالحة المستلزمة لطرده وزجره وتطويعه وعلى الاعتصام من حبائله وهي الشهوات
واللذات الدنيوية واستعار لها لفظ الحبائل وهي اشراك الصائد لمشابهتها اياها في استلزام الحصول
فيها للعبد عن السلامة والحصول في العذاب ومن محامد الرسول كونه صلى الله عليه واله نجيب الله اي مختارا
ورويه نجيبه وصفوته من خلقه لا يوازى فضله اي لا يحصل مثله في احد اذ كان كماله في قوتيه النظرية والعملية
غير مدرك لاحد من الخلق ومن كان كذلك لم يجبر فقده الا بقيام مثله من الناس واذ لا مثل له فلا جبران
لفقده وقوله اضاءت به البلاد بعد الضلالة اي ضلالة الكفر ووصفها بالظلم لعدم الاهتداء فيها للحق
والوحش مستعار وكذلك وصف الاضاءة مستعار لاهتداء الخلق به في معاشهم ومعادهم واسناد
الاضاءة الى البلاد مجاز والجهالة الغالبة على اكثر الخلق واراد الجهل بالطريق الى الله تعالى وكيفية نظام
المعاش مما ينبههم وكشفه بشريعته والجفوة الجافية يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة
القلوب وسفك الدماء ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتاكيدا لها واراد الجفوة القوية والناس
يستحلون الحريم اي ما يحرم والعامل اضاءت ويستذلون الحليم وظاهر من عادة العرب الى الان
استذلال من عقل منهم وحلم عن الغارة والنهب واثارة الفتن واستضعافه ونسبته الى الجبن
والضعف ويحيون على فترة اي على حال انقطاع الوحي والرسل وتمكن حال انقطاع الخير وموت التقوى
جزء الجهل ويموتون على كفرة وهي الفعلة من الكفر لا بل كل قرن حيث لا هادي لهم ثم اخذ عليه السلام
في انذار السامعين باقتراب حوادث الوقائع المستقبلة التي يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام
واستعار لفظ الغرض لهم ولما كانت الفتن الحادثة كتدمير قوم واهلاكهم على تعاقب استعدادهم لذلك
وكان اكبر الاسباب المعدة لهي الغفلة عن ذكر الله بالانهماك في نعم الدنيا ولذاتها استعار لفظ
لفظ السكرات ثم امر باتقائها وحذرهم ورائي النقمات بسبب كفران النعم ثم امر بالتثبت او
التبيين على الروايتين عند اشتباه الامور عليهم وظهور الشبهة المثيرة للفتن كشبهة قتل عثمن
التي نشأت منها وقايع الجمل وصفين والخوارج واستعار لفظ القتام لذلك الامر المشتبه ووجه
المشابهة كون ذلك الامر مما لا يهتدى فيه لخفاء وجهه كما لا يهتدى القائم في القتام عند ظهوره وخوضه
واعوجاج الفتنة اتيانها على غير وجهها ولفظ الجنين يحتمل ان يكون حقيقة اي عند طلوع ما اختفى منها
وخفي عليكم وكذلك كمينها اي ما كمن منها واستتر ويحتمل ان يكون استعارة وعنى بكمينها من تدور عليه
من البغاة المنافقين استعارة وانتصابه جاء لذلك الامر وكذلك استعار لفظ مدار الرحى لدورانها

على من يدور عليه من انصار ذلك القطب وعسكره الذين يدور عليهم الفتنة ثم اخبر انها تبدأ في مدارج خفية
واراد بالمدارج صدور من ينوي القيام فيها ويعقد على اثارتها وكان هذا اشارة الى فتنة بني امية
وقد كان مبدأها شبهة قتل عثمن ولم يكن احد من الصحابة يتوهم خصوصية هذه الفتنة وانما كانوا علموا
من الرسول صلى الله عليه واله حدوث وقايع وفتن غير معينة الازمان ولا من يثيرها ويكون قطبها
فخفي مدارجها كتمان معوية وطلحة والزبير وغيرهم لامورهم وما عزموا عليه من اقامة الفتنة والطمع في الملك
والدولة حتى آل ذلك الطمع الى الامور الفظيعة الواضحة بعد الخفاء واستعار لفظ الشباب لعنفوانها و
ظهورها في الناس ووجه المشابهة الرعونة في الظهور ولذلك الكدح تشبيه ذلك الظهور بشباب الغلام
اي في السرعة حرج مرحتها لما آثار رجه يهدم الاسلام كاثار الحجارة الصلب في الجلد ووجه الشبه افسادها
للدين ونظام المسلمين كافساد الحجارة ما يقع عليه بالرضخ والكسر واشار بالظلمة التي يتوارثونها الى بني امية
بعد الاب لابنه الى اخرهم وذكر قوده اولهم لاخرهم الى النار والدخول في الظلم والضلالة واثارة تلك
الفتن واستعار لفظ القود لتبعية الاول منهم لاسباب الملك لمن بعده واقتداء اخرهم باولهم في ذلك
وصير العقول في تيارها ثوبها يرجع الى تلك الفتنة ثم اشار الى صفة حالهم في اثارة تلك الفتن وتوارثها
وهي المنافسة في الدنيا الدنية في نظر العقلاء واستعار لفظ الكلاب لمجاذبة بعضهم لبعض عليها كمجاذبة
بين الكلاب على الميتة واستعار لها لفظ الجيفة ورشح بذكر المريحة للتنفير عنها ووجهها كونها مستلزمة لاذى
طالبها وهرب ابناء العقلاء كالهرب عن الجيفة المنتنة ولا نزوا عنها ثم اخبر بانقضائها عن قليل وكنى عن ذلك
بتبرأ التابع من المتبوع والقايد من المقود اي تبرأ كل من الفريقين من الآخر كما قال تعالى اذ تبرأ الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا الخ وقوله فتزايلوا بالبغضاء بل لم تكن تدعو من قبل شيئا وذلك انما يكون
عند ظهور الدولة العباسية فان العادة جارية بتبرأ الناس من الولاة المعزولين خصوصا عند الخوف
ممن تسلط عزل او نكث او تعلم يتبرأون بالبغضاء اذ لم يكن الغنم ويجمعهم الا الغرض ويتنادون زال
ويتلاعنون عند اللقاء وقيل ذلك يوم القيمة وقوله وعن قليل الى قوله عند اللقاء جملة اعتراضية مؤكدة لها
معنى تعجيبه منهم فكأنه قال انهم على تكالبهم عليها عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض وذلك ادعى لهم الى ترك التكالب
عليها وقوله ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف وكان هذه الفتنة هي فتنة التتار اذ الدائرة فيها على العرب
وقال بعض الشارحين بل ذلك اشارة الى الملحمة الكاينة في اخر الزمان كفتنة الدجال وكنى عن اهوالها واضطراب
امر الاسلام فيها بكونها رجوفا اي كثيرة الرجف وطالعها مقدماتها واوائلها وكنى بقصمها عن اهلاك
الخلق فيها واستعار لها لفظ الزحوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف في الحرب الى اقرانه اي المشي
اليهم قدما ثم شرع في بيان افعال تلك الفتنة بالناس من ازاغة قلوب قوم عن سبيل الله بعد استقامتها
عليه وضلال رجال اي هلاكهم في الآخرة بالمعاصي بعد سلامتهم منها واختلاف الاهواء عن ارادة الله بهجومها
والتباس الاراء الصحيحة بالفاسدة عند ظهورها على الناس فلا يرون وجه المصلحة من غيره ومن تطلع الى العبادة
وسعى في دفعها هلك واستعار لفظ التكادم لما لغالبة [illegible] هذه الفتنة بعضهم لبعض او لمغالبتهم لغيرهم

وشبه ذلك بكظائم الحمر في العادة ووجه الشبه الغالب مع الايماء الى خلعهم ربق التكليف من اعناقهم وكثرة
غفلتهم عما يراد بهم في الآخرة واستعار معقود الحبل لما كان ابرم من دين الاسلام واستقام ولفظ الحبل
للدين وكنى باضطرابه عن عدم استقرار قواعد الدين عند ظهور اول هذه الفتنة وعمي وجه هذا الامر اي عدم
الاهتداء الى وجه المصلحة واشار بالحكم التي تغيض فيها الى الحكمة الخلقية التي عليها مدار الشريعة وبقلتها واستعار
لفظ الغيض لعدم ظهورها والانتفاع بها وينطق فيها الظلمة اي بالامر والنهي وما يقتضيه اراؤهم الخارجة عن العدل
واستعار لفظ المسحل لما تؤذي به العرب واهل البادية ووجه المشابهة اشتراك البرد وسكوا الحي
وما تؤذي به العرب من هذه الفتنة هو الايذاء كما انها تجلع ساق عليهم فتدقهم بكلكلها ونحو ذلك وكذلك
استعار لفظ الكلكل لما يدهم البدو منها ملاحظة لشبهها بالناقة التي تبرك على الشيء فتسحقه وقوله تضيع في
غبارها الوحدان وتهلك في طريقها الركبان كناية عن عظمها اي لا يقاومها احد ولا يخلص منها الوحدان و
الركبان ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة اهلها اي ان القليل من الناس اذا اراد دفعها هلكوا
في غبارها من دون ان يدخلوا في غمارها واما الركبان وكنى بهم عن الكثير من الناس فانهم يهلكون في طريقها
وعند خوضها وقيل اراد بالوحدان فضلاء الوقت اذ يقال فلان واحد وقته وبالغبار الشبه التي تغطي
الحق عن اعينهم وبكون الركبان كناية عن اجتماع اهل القوة واذا كان هؤلاء يهلكون في طريقها اي عند الخوض
لغرائبها فكيف بغيرهم وكنى بمر القضاء عن القتل والاسر ونحوهما وظاهر كون الواردات المؤذية وان حتم
واردة عن القضاء الالهي معلومة الكون وكذلك استعار وصف الحلب لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى
بذلك عن سفك الدماء فيها ومنار الدين اعلامه وهم علماؤه ويحتمل ان يريد قوانينه الكلية وثلمها عبارة
عن خلل العلماء وهدم قواعد الدين وترك العمل به وعقد اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين او الى
عين اليقين وهو اعتقاد الشريعة وايصال ذلك الى جوارح الانسان والتقرب منه ونقضه هو ترك العمل
بها وخفة عن تغيره وتبدله والاكياس الهاربون منها هم العلماء واهل العقول السليمة وكل هذه الاشارات
معلومة من فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم ارجاس النفوس برجس الشيطان انجاسها بالهيئات البدنية
والملكات الردية انجاس الابدان بحكم الشريعة وكنى عن شدتها وكونها محل المخاوف بوصفي الرعاد والبراق
المستعارين ملاحظة لشبهها بالسحابة بكثرة البروق والرعود وبوصف كشفها عن ساق عن اخذ الها
مجردة عن كل ما يستر للحرب او لامر مهم وظاهر كونها تقطع فيها الارحام ويفارق عليها الاسلام واشار
ببريها الى من يعتقد في هذه الدولة انه ذو صلاح بري من المعاصي والآثام مع كونه ليس كذلك اذ من الظاهر
ان السالم في هذه الفتنة من معصية الله قليل بل اقل من القليل ولعله عند الاستقراء لا يوجد واشار بظاعنها
الى من يعتقد انه متخلف عنها وغير داخل فيها وظاهر كونه غير متخلف عنها ويحتمل ان يريد به ان من ارتحل
عنها خوفا لا ينجو منها وبالله التوفيق **منها** بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الايمان
وبغرور الايمان فلا تكونوا انصاب الفتن واعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه اركان
الطاعة واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان

ولا تدخلوا

ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين من حرم عليكم المعصية وسهل لكم سبل الطاعة **اقول** يقال طل دم
فلان فهو مطلول اذا هدر ولم يطلب به ويختلون يخدعون واللعق جمع لعقة وهي اسم لما تأخذه الملعقة وقوله
بين قتيل الى قوله مستجير يشبه ان يكون صفة حال المتمسكين بالدين في زمان الفتنة الاول وقوله يختلون الى
قوله وغرور الايمان صفة حال استجلاب هؤلاء المقتولين اي انهم يخدعون باعطاء الاقسام والعهود الكاذبة
وذلك كخداع الحسين عليه السلم عن نفسه واصحابه وروي يختلون بالثاء فعلى هذا يكون وصف حال اهل الفتنة
واتباعهم ثم اخذ في نهي السامعين ان يكونوا انصاب الفتن التي يركزونها واعلام البدع اي رؤساء يشار
اليهم فيها ويقتدى بهم كما يشار الى الاعلام المنصوبة ويقتدى بها وفي الخبر كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب
ولا ضرع فيحلب وقوله اقدموا على الله مظلومين ليس المراد منه الامر بالانظلام فان ذلك طرف التفريط
من فضيلة العدالة وهي رذيلة بل المراد انكم اذا كانت لكم مكنة من الظلم فلا تظلموا ولو استلزم ترك الظلم
انظلامكم وهو كسر للنفوس عن رذيلة الظلم خصوصا نفوس العرب فانها اكثر تقاضيا الى الظلم واشد نفرة عن
قبول الانظلام والانفعال عنه وان استلزم الظلم كما اشار اليه الشاعر • ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم • ومدارج الشيطان طرقه وهي الرذائل التي يحبها ويقود اليها وكذلك
مهابط العدوان محاله التي يهبط فيها وهي من طرق الشيطان ايضا ولعق الحرام كناية عما يكتسبه الانسان
من الدنيا ومتاعها على غير الوجه الشرعي ونبه باللعق على قلتها وحقارتها بالنسبة الى متاع الآخرة ونبه على وجوب
الانتهاء عما نهى عنه بقوله فانكم بعين من حرم عليكم اه يقال فلان من فلان بمرأى ومسمع وبعين منه اذا كان
مطلعا على امره اي فان الذي حرم عليكم المعصية واوجب عليكم طاعته مطلع عليكم وعالم بما تفعلون
وذلك اردع لهم عن النهي المجرد ولفظ العين مجاز في العلم **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله الدال على وجوده
بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته وباشتباههم على ان لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق
الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب الاحد لا بتأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب
والسميع لا باداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية
والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه
من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال
اين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور **اقول** المشاعر الحواس التي هي
محل الشعور وقد حمد الله تعالى باعتبارات من اوصافه وفي الفصل ابحاث من العلم الالهي **الاول** الاشارة
الى وجوده تعالى الواجب وللناس في اثباته طريقان احدهما اثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته
الى اقسام حاصرة وتقرير هذه الطريقة ان يقال لا شك في وجود موجود فذلك الموجود ان كان واجب الوجود
فهو المطلوب وان كان ممكنا افتقر الى مؤثر بناء على ان العلة المحوجة الى المؤثر هي الامكان وذلك الموجود
ان كان ممكنا افتقر الى غيره ولزم الدور او التسلسل وكلاهما باطلان اما الاول فلانه لو افتقر كل واحد
من الامرين الى الآخر باعتبار واحد لزم تقدم كل منهما على المتقدم على نفسه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب واما

الثاني فلانه لو كانت سلسلة من علل ومعلولات لا نهاية لها في الوجود لكان مجموعها ممكنا لافتقاره الى اجزائه
التي هي غيره فلمجموعها علة تامة فهي اما نفسه وهو محال بالبديهة او امر داخل فيه وهو باطل لان العلة التامة للمركب
علة اولى لاجزائه ولا تتوقف على اجزائه فلم يكن علة تامة له بل هي مع علة اجزائه حتى واذا كانت
علة المركب علة اولى لاجزائه لزم كون ذلك الجزء المؤثر في المجموع مؤثرا في نفسه اولا وفي علله السابقة
عليه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب غير متناهية وذلك بط بالبديهة فبقي ان يكون المؤثر في ذلك المجموع
اما امرا خارجا عنه او ما تركب من الداخل والخارج منه لكن القسم الثاني ايضا بط لان الداخل لما كان
جزءا من العلة المركبة فلا يتقدم عليها وهي متقدمة على مجموع الممكنات فلما يتقدم عليه وعلى اجزائه فيلزم ان
يتقدم على نفسه وعلى علله وهو بط فبقي الاول لكن الموجود الخارج عن كل الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود
وهو المط وهذه طريق العليين الذين يستدلون به على مخلوقاته ويسمونه برهان اللم واما الطريق الثانية
فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وطبايعها وامكانها وذكرها وجوه لها التغير والتركيب على مبادئها
ثم على المبدأ الاول جلت عظمته وهي طريق الطبيعيين وهي التي اشار اليها عليه السلم بقوله الدال على وجوده
بخلقه والمتكلمون ذهبوا في هذه الطريق الى اربع طرق احدها انهم استدلوا بحدوث هذه الذوات على امكانها
وبامكانها على احتياجها الى موجد ومؤثر وهي طريق الاشعري وابو الحسين البصري والمتأخرين من المتكلمين
الثانية استدلوا بحدوث هذه الذوات فقط على وجود محدث لها من غير نظر الى الامكان فقالوا الاجسام
محدثة وكل محدث فله محدث والمقدمة الاولى استدلالية والثانية عندهم بديهية الثالثة استدلالهم
بامكان الصفات وذلك ان سواء الاجسام الفلكية والعنصرية متماثلة ثم قالوا ان اختصاص بعضها ب
صفات دون الآخر فذلك التخصيص ليس للجسمية ولا للوازمها والا لوجب في كل جسم ذلك ولا لعارض من
عوارضها لان الكلام في تخصيص ذلك العارض كالكلام في الاول ويلزم التسلسل ولا للطبيعة كما يقول
بعض الناس لانها لا تفعل في المادة البسيطة كالنطفة مثلا فعلا مختلفا فبقي ان يكون ذلك التخصيص لمدبر
حكيم وهو مرادنا بالصانع الرابعة الاستدلال بحدوث الصفات وهو ظاهر وتقرير هذه الطرق وما لها
وعليها في الكتب الكلامية وينبغي ان يخص المتكلم قوله عليه السلم الدال على وجوده بخلقه الطريقة الاولى وما لهم
والثالثة فانه عليه السلم جعل الحدوث دليلا على الازلية البحث الثاني في ازليته وهو ما ذكره عليه السلم
بقوله وبحدوث خلقه على ازليته وتقرير هذه الدلالة انه قد ثبت في موضعه ان جميع المحدثات صادرة عن قدرته
تعالى ومنتهية عنده فلو كان هو محدثا لكان محدثا لنفسه وهو بط بالضرورة البحث الثالث انه لا مثل له ولا شبه
والمراد الاشارة بقوله وباشتباههم على ان لا شبه له واراد اشتباههم في الحاجة الى المؤثر والمدبر وتقرير
هذه الطريق ان يقول ان كان تعالى غنيا عن المؤثر فلا شبه له في الحاجة اليه لكن المقدم حق فالتالي مثله و
قيل اراد اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع والاشكال والمقادير والالوان ونحو ذلك والاول انسب اذ ليس
تحت جنس لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان ولا تحت النوع لافتقاره في التخصيص بالعوارض الى غيره
ولا بذي مادة لاستلزامها التركيب ايضا فليس بذي شبه في شيء من الامور المذكورة والاول اعم في نفي

الشبه

الشبه البحث الرابع ان المشاعر لا تستلمه وبيانه ان استلام المشاعر يستلزم الجسمية والاعراض القائمة بها
واذ قد تنزه قدسه تعالى عن الجسمية ولواحقها فقد تنزه عن ادراك المشاعر ولمسها البحث الخامس ان السموات
لا تحجبه والستر من لواحق ذي الجهة والجسمية واذ تنزه قدسه عنهما فقد تنزه عن الحجب والستر المحسوسين وقوله
لافتراق الصانع والمصنوع الى قوله والمربوب التعليل راجع الى الجمل المتقدمة كلها اذ كان الكل من الصانع والمصنوع
صفات يخصه ويتميز بها وهي التي بها يفارق الآخر فالمخلوقية والحدوث والاشياء والملموسية بالمشاعر
والحجب بالسواتر من لواحق الامور الممكنة المصنوعة وما ينبغي لها ويلحق بها والوجود الازلي الذي لا شبه
له المنزه عن المشاعر وحجب السواتر من لواحق الصانع الاول الواجب وهو الذي ينبغي له ويلحق به وبعضها
ما سبق من اوصاف الممكنات واراد بالحاد خالق الحدود والنهايات وهو الصانع واعتبار الصانع غير
اعتبار الرب لدخول المالكية في مفهوم الربوبية دون الصنع البحث السادس في وحدانيته وقد سبق
برهانها واراد بقوله ليس بمعنى العدد ان واحديته ليس بمعنى كونه مبدأ الكثرة المقدرية كما يقال في اول العدد
واحد وقد علمت فيما سبق ان الواحد يقال بالاشتراك اللفظي على معان عدة عرفتها وعرفت اطلاقها
الواحد عليه تعالى باي معنى هو وانه لا يجوز ان يكون مبدأ العدد بل هو تعالى واحد بمعنى انه لا ثاني له في الوجود
وبمعنى انه لا كثرة في ذاته بوجه لا ذهنا ولا خارجا وبمعنى انه لم يفته من كماله شيء بل كل ما ينبغي ان يكون له حصل
بالذات والفعل البحث السابع في كونه تعالى خالقا منزها عن الحركات والمتاعب وقد عرفت لمية ذلك
في الخطبة الاولى وهو كونهما من لواحق الاجسام المنزه قدسه عنها البحث الثامن كونه سميعا لا باداة اي لا بسمع
وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى البحث التاسع كونه بصيرا لا بتفريق الآلة وتفريقها عبارة عن بعث القوة
الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا المعنى على قول من جعل الابصار بخروج الشعاع الخارج من العين
المتصل بسطح المرئي الظاهر فان توزيعه اظهر من توزيع الآلة على قول من يقول ان الادراك يحصل بانطباع
صورة المرئي في العين ويخفى التفريق على القول الثاني الا بتكلف وتوجيه امره الى هذا المبصر ومرة
الى ذلك كما يقال فلان متفرق الهم والخاطر اذا وزع فكره على حفظ اشياء متباينة ومراعاتها كالعلم وتحصيل
المال وظاهر تنزيهه تعالى عن الابصار بالآلة المحسوسة لكونها من توابع الجسمية ولواحقها البحث العاشر كونه تعالى
شاهدا اي حاضرا لا بمماسة شيء والمراد تنزيه حضوره عن مماثلة حضور الجسمانيات المستلزم للقرب المستلزم
لمماسة الاجسام وتقاربها بل المراد بحضوره تعالى الحاضر بعلمه عند كل شيء واحاطته بكل شيء من غير قرب ولا مماسة
ولا اين مطلقا لتنزهه عن الجسمية ولواحقها البحث الحادي عشر انه تعالى باين للاشياء لا بتراخي مسافة اي ان
مباينته للاشياء لا تستدعي التميز بالوضع والاين بل بذاته فقط وقد سبق تقرير ذلك في الخطبة الاولى
ايضا البحث الثاني عشر انه الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة وذلك ان الظاهر من الاجسام ما كان منها
مرئيا بحاسة البصر والباطن منها ما كان لطيفا اما لصغر حجمه او لطافة قوامه كالهواء وظهوره تعالى وبطونه
منزه عن هاتين الكيفيتين وقد شرحنا هذين الوصفين غير مرة البحث الثالث عشر كونه باينا من الاشياء
بالقهر لها والقدرة عليها الى قوله الذي ذكر في بينونته تعالى من مخلوقاته ما ينبغي له من الصفات وفي بينونتها

ما ينبغي لها فالذي ينبغي له كونه قاهرا لها غالبا عليها ومستوليا وكونه قادرا على ايجادها واعدامها والذي ينبغي لها كونها خاضعة في ذل الامكان والحاجة لعزته وقدرته وراجعة في وجودها وكمالاتها الى جوده وبذلك حصل التباين بينها وبينه البحث الرابع عشر تنزيهه عن الصفات الزايدة بالقياس الذي ذكره بقوله ومن وصفه فقد حده ومن حده فقد عده وقد قررنا هذا القياس بعينه في الخطبة الاولى بأتم تقرير وابلغ تحقيق غير انه قال هناك ومن اشار اليه فقد حده وقال هنا ومن وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هناك هو اشارة الوهم اليه واستثباته بكيفيات وصفات فيكون معنى العبارتين واحدا وقوله ومن عده فقد ابطل ازله لما كان عده عبارة عن جعله مبدأ الكثرة معدودة او عن كونه ذا اجزاء معدودة وكان ذلك من لواحق الممكنات والمحدثات المفتقرة المستحقة لازليته بالذات لاجرم كان من عده باحد الاعتبارين مبطلا ازله الذي يستحقه لذاته البحث الخامس عشر تنزيهه ان يسال عنه بكيف لانها سؤال عن الكيفية والصفة وهو معنى قوله فقد استوصفه وقد بينا تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات البحث السادس عشر تنزيهه عن السؤال عنه باين وذلك لانها سؤال عن الحيز والجهة اللذين هما من لواحق الاجسام وقد بينا تنزيهه تعالى عن الجسمية وما ينبغي لها فليس هو سبحانه في مكان وهو في كل مكان بعلمه واحاطته البحث السابع عشر كونه تعالى عالما اذ لا معلوم الى قوله مقدور وقد علمت معنى علمه وربوبيته وقدرته وعلمت ان الاشارة بذلك الى اعتبار تقدمه بذاته على معلوماته ومعلولاته وظاهر عند ذلك الاعتبار انه لا معلوم في الوجود سوى ذاته لذاته ولا مربوب ولا مقدور موجود هناك بل هي واجبة التأخر عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك محدثة كلها كما عليه المتكلمون او بعضها كالعلل الاوايل وبالله التوفيق والعصمة

منها قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ وَلَاحَ لَائِحٌ وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْماً وَبِيَوْمٍ يَوْماً وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ إِنَّ اللهَ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ اصْطَفَى اللهُ مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حِكَمٍ لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ وَأَرْعَى مَرْعَاهُ فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي

اقول العرفاء جمع عريف وهو النقيب وهو دون الرئيس واشار بطلوع الطالع الى ظهور الامرة والخلافة عليه وانتقالها اليه وبلمع اللامع الى ظهورها من حيث هي حق له وسطوع انوار العدل بصيرورتها اليه وبلوح اللائح الى ما يلحق انتقالها اليه من الفتن والحروب الموعودة التي لاحت اماراتها يومئذ وقال بعض الشارحين المراد بالثلثة معنى واحد وهو انتقال الخلافة اليه فقوله واعتدل مائل اي مال الخلافة فيمن كان قبله في نظره اذ كان اعتقاده انه اولى بها وان العدل ان يكون فيه واعتدل ذلك المايل بانتقالها اليه واستبدل الله بقوم اي من سبق عليه قوما اي هو وتابعوه وبيوم يوما كناية عن زمانهم بزمانهم وقوله وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر اشارة الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر اليه واراد بالغير تغيرات الدهر وتقلبات الاحوال فان قلت اليس هو المطلق للدنيا فاين

هذا القول من طلابها ثم قلت انه طلبها من حيث هي دنيا ولم يرد لذاتها ولم يطلقها من حيث يعمر بها الآخرة بانكار المنكرات واظهار العدل واقامة عمود الدين وحراسته فان طلبه لها انما كان لذلك كما سبق في قوله لابن عباس في ذي قار وهو يخصف نعله وشبه انتظاره للغير بانتظار المجدب للمطر ووجه الشبه شدة التوقع والانتظار ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لواحق الامرين المنتظرين اذ من لواحق ما انتظره هو من الغير وانتقال الامر اليه شمول العدل وظهور الحق في موارده المشبه لوقع المطر في الارض المجدبة واستلزامه للخير والبركة ثم شرع في تعريف حال الائمة وما يضبط حالهم وقوله لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان اهل كل عصر لا يدخلون الجنة الا بمعرفة امامهم ومعرفته لهم واراد الائمة من ولده عليهم السلام ومعرفتهم معرفة حق ولايتهم وصدق امامتهم وبيان الحصر من وجهين احدهما ان دخول الجنة لا يمكن لاحد من هذه الامة الا باتباع الشريعة ولزوم العمل بها ولا يمكن ذلك الا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك الا بيان صاحب الشريعة والقايم بها وارشاده وتعليمه وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقية امامته وصدق ولايته ليقتدي به ومعرفة الامام للمأموم ليهديه فاذن دخول الجنة مستلزم لمعرفة الامام للمأمومين ومعرفتهم له الثاني ان معرفة هؤلاء الائمة على ما رأيه عليه السلم كما هو المشهور المنقول عنه ومعرفة حقية امامتهم وصدق ولايتهم ركن من اركان الدين فلا يدخل الجنة الا من اقامه ومن عرفهم كذلك وجب معرفتهم له بذلك فان قلت فنحن نرى كثيرا من شيعة هؤلاء الائمة ومحبيهم لا تعرفهم الائمة ولا يرون اشخاصهم قلت لا نشترط في معرفتهم لمحبيهم ومعرفة محبيهم لهم المعرفة الشخصية العينية بل الشرط المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان كل من اعتقد حقية امامتهم واهتدى بما انتشر من هديهم فهو ولي لهم ومقيم لهذا الركن من الدين فيكونون عارفين بمن تولاهم على هذا الوجه ومن تولاهم عارفا بهم لمعرفته بحقية ولايتهم واعتقاده ما يقولون وان لم تشترط ... المعرفة الشخصية واما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فهو ايضا حق وذلك ان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على الوجه الذي قررناه ومنحصر فيه فكل واحد واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم انه لا واحد ممن يدخل الجنة بمنكر لهم لان معرفتهم وانكارهم مما لا يجتمعان في ملزوم واحد اذا عرفت ذلك فنقول ان من انكرهم فانكروه لا يجوز ان يكون احد ممن يدخل النار اما اولا فلخبر المشهور من مات ولم يعرف امام وقته مات ميتة جاهلية دل الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار واما ثانيا فلانه لو كان اعم لصدق على بعض من يدخل الجنة فبعض المنكر لهم يدخل الجنة فينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد ممن يدخل الجنة بمنكر لهم هف وكذلك لا يجوز ان يكون اخص والا لصدق على بعض من تولاهم ويعرف بصدق امامتهم انه يدخل النار لكن ذلك باطل لقول الرسول يحشر المرء مع من احب ولقوله لو احب رجل حجرا لحشر معه دل الخبر على ان محبة الانسان لغيره تستلزم الحشر معه وقد ثبت انهم عليهم السلم الى الجنة يحشرون فكذلك من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودخول الجنة مع دخول النار مما لا يجتمعان فثبت انه لا واحد ممن يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر اذن صدق هذه الكلية ايضا ووجه الحصر فيها ثم اخذ في اظهار منة الله تعالى عليهم بالقرآن الكريم وتخصيصهم به من بين ساير الكتب واستخلاصهم

واعدادهم لقبوله من بين سائر الامم ثم نبه على بعض اسباب اكرامه تعالى لهم به اما من جهة اسمه فلانه مشتق من السلامة
بالدخول فى الطاعة واما من معناه فمن وجوه احدها انه مجمع كرامة من الله لخلقه الثانى مدارج آياته على الخلق
الى سبيل الله الهادية الى جنته الثالث ان الله تعالى اصطفى منهجه وهو طريقته الواضحة المؤدية لسالكيه بالسير
الى رضوان الله الرابع انه تعالى بين حججه وهى الادلة والامارات ومن التمييز والتقسيم هنا تقسيم
الحجج الى ظاهر علم واشار به الى ظواهر الشريعة واحكامها الفقهية وادلة تلك الاحكام وباطن حكم واشار
به الى ما يشتمل عليه الكتاب العزيز من الحكم الالهية واسرار التوحيد وعلم الاخلاق والسياسات وغيرها
الخامس انه لا يفنى غرائبه واراد بالغرائب هنا آياته المحكمة وبراهينه العازمة اى القاطعة وعدم فنائها اشارة
اما الى ثباتها واستقرارها الى طول المدة وتغير الاعصار واما الى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها اى حتى
ولا تنقضى عجائبه وذلك انه كلما تامله الانسان استخرج منه بفكره لطائف عجيبة من انواع العلوم لم تكن عنده
من قبل السادس فيه مرابيع النعم واستعار لفظ المرابيع وهى الامطار تاتى زمن الربيع فيحيى الارض
وينبت الكلأ لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركة تعلم القرآن ولزوم اوامره ونواهيه وحكمه وآدابه
اما فى الدنيا فالنعم التى تحصل ببركته لحامليه من القراء والمفسرين وغيرهم ظاهرة الكثرة واما بالنسبة الى الآخرة
فما يحصل عليه مقتبسوا انواره من الكمالات المستعدة فى الآخرة من العلوم والاخلاق الفاضلة اعظم نعم واتم
فضل ووجه الاستعارة ظاهر السابع ان فيه مصابيح الظلم واستعار لفظ المصابيح لقوانينه وقواعده
الهادية الى الله فى سبيله كما يهدى المصباح فى الطريق المظلمة الثامن انه لا تفتح الخيرات الا بمفاتحه واراد
الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتح لمناهجه وطرقه الموصلة الى تلك الخيرات ووجه الاستعارة
كونها اسبابا موصلة اليها كما ان المفاتح اسباب موصلة الى خيرات الخزائن مثلا التاسع ولا تنكشف
الظلمات الا بمصابيحه واراد ظلمات الجهل وبالمصابيح قوانينه كما سبق استعارة العاشر كونه قد احمى حماه
اى اباحه وعرضه لان يحمى كما يقال احمت فلانا وامرته اذا ابحته للقتل وعرضته للضرب واستعار
لفظ الحمى لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه ووجه الاستعارة ان بذلك يكون حفظ الشخص وحراسته اما فى
الدنيا فمن ايدى كثير من الظالمين لاحترامهم حملة القرآن ومعتبريه ومن يتعلق به واما فى الآخرة فلحمايته حفظته
ومتدبريه والعامل به من عذاب الله كما يحمى الحمى من يلوذ به ونسبة الاحماء اليه مجاز اذ المعرض له ان يتدبر
ويعمل به هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وحملته وقيل اراد بحماه محارمه واحماءه اى منع جوانبه
وزواجره ان يستباح محارمه وهو اخص مما قلناه الحادى عشر كونه ارعى مرعاه اى هياه لان
يرعى واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والآداب التى تشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة ان هذه
مراعى النفوس الانسانية وغذاؤها الذى به يكون نشؤها العقلى وتمامها العقلى كما ان المراعى المحسوسة من النبات
والعشب غذاء للابدان الحيوانية التى بها يقوم وجودها الثانى عشر فيه شفاء المستشفى اى طالب الشفاء منه
اما فى الابدان فبالتعوذ به مع صدق النية وسلامة الصدر واما فى النفوس فلشفائها به من امراض
الجهل الثالث عشر وكفاية المكتفى واراد بالمكتفى طالب الكفاية اما فى الدنيا فلان حملة القرآن الطالبين

به المطالب

به المطالب الدنيوية هم اقدر الناس على الاحتيال به فى تحصيل مطالبهم وكفايتهم بها واما فى الآخرة فلان
طالب الكفاية منها يكفيه تدبر القرآن ولزوم مقاصده فى تحصيل مطلوبه منها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
وهو فى مهلة من الله يهوى مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد **اقول** هذا الفصل
يشتمل على صفة مطلق الضال واشار بالمهلة الى مدة عمره المضروبة له من الله تعالى وهويه مع الغافلين الى سقوطه
وانحطاطه فى سلكهم بسبب جهله وغفلته عما يراد به واستعار لفظ الهوى لذلك الانحطاط وذلك التابع ووجه
المشابهة ان المنهمك فى مجارى الغفلة ومسالك الجهل ينحط بها عن درجة اهل السلامة ويهوى فى مهابط الهلاك
وهى الرذائل المبعدة عن الله تعالى كما ان الهاوى من علو كذلك وبعدوه مع المذنبين موافقته لهم فيما هم فيه
ومسارعته الى المعاصى من غير ان يسلك سبيلا قاصدا الى الحق او يتبع اماما يقوده اليه من استاد مرشد او كتاب
او سنة وبالله التوفيق **منها** حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم من جلابيب غفلتهم استقبلوا
مدبرا واستدبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم فانى احذركم ونفسى هذه
المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب
فيه الصرعة فى المهاوى والضلال فى المغاوى ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف فى حق او تحريف فى نطق او
تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك واختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك
على لسان النبى الامى صلى الله عليه وآله مما لا بد منه ولا محيص عنه وخالف من خالف ذلك الى غيره ودعه وما
رضى لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك فان عليه ممرك وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد
وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد لقدمك وقدم ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع والجد الجد ايها الغافل
ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله فى الذكر الحكيم التى عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا
وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله
فيما افترض عليه من عبادته او يشفى غيظه بهلاك نفس او يعر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار
بدعة فى دينه او يلقى الناس بوجهين او يمشى فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهائم
همها بطونها وان السباع همها العدوان على غيرها وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها ان
المؤمنين مستكينون ان المؤمنين مشفقون ان المؤمنين خائفون **اقول** الجلباب الملحفة والوطر الحاجة
والجدد الطريق الواضح واستنجح الحاجة استقضاها وصدر هذا الفصل صفة غاية الغافلين عن احوال الآخرة
المستمرين فى طلب الدنيا وفاعل كشف ضمير يعود الى اسم الله تعالى فيما سبق من الكلام وقد علمت ان النفس
ذات جهتين جهة تدبر احوال البدنية باعمالها من القوة العملية وجهة استكمالها بقوتها النظرية التى تنتقى بها
من الغايات كمالها وعلمت ان بقدر رغبتها عن جهة العدل فى استكمال قوتها العملية تنقطع عن الجهة الاخرى
وتمكنها الهيئات البدنية فيكون فى اغطية منها وجلابيب من الغفلة عن الجهة الاخرى بالانجذاب الى ما تنتهى
مما بعد خيرا فى الدنيا وبحسب انجذابها فى هذه الجهة وتمكن تلك الهيئات البدنية منها يكون بعدها عن ربها
وترديها فى دركات الجحيم عن درجات النعيم وبالعكس كما قال صلى الله عليه وآله الدنيا والآخرة ضرتان

بقدر ما تقرب من احدهما تبعد من الاخرى وظاهر ان بالموت تنقطع تلك الغفلة وتنكشف تلك الحجب عن عين بصيرة
الانسان وانّى له الذكرى ويكون ما اسلفه يومئذ من تعلق تلك الهيئات بنفسه وحطها عن درجات الكمال
وما شاهده من السلاسل والاغلال هو جزاء معصيتهم المكتسبة ولفظ الجلابيب استعارة لفظ المحسوس
للمعقول ووجه المشابهة حجب الغفلة لاعين ابصارهم عن التنوير بانوار الله كحجب الوجه بالجلباب والمدبر
الذي استقبلوه هو العذاب الاخروي والاهوال التي كانت غائبة عنهم والمقبل الذي استدبروه
هو ما كانوا فيه من مأمولاتهم واحوالهم الدنيوية وظاهر انهم لم ينتفعوا اذن بما ادركوا من طلباتهم الدنيوية
ولا بما قضوا من اوطارهم وحاجاتهم الحاضرة حينئذ ثم عاد الى التحذير من هذه المنزلة اي الحالة التي هؤلاء
الموصوفون عليها من الغفلة فانها مقام صعب ومزلة قدم وشرك نفسه في التحذير لانه ادخل في جذب
نفوس السامعين الى طاعته ثم امر كلا بالانتفاع بنفسه وشرح كيفية الانتفاع بشرح حال البصير لانه لا ينتفع
بنفسه الا البصير وذكر امورا فالاول ان يتفكر فيما يسمع من كلام الله ورسوله والمواعظ البالغة فانه لا ينتفع
بها بدون الفكر كما علمت الثاني ان ينظر بعين حسه وبصيرته فيتوخى المقاصد ان فيه عبرة ويدرك
بعقله منها العبر الثالث ان ينتفع بما يدركه من العبر وذلك بالعمل على وفق ما علم وادرك الرابع ان يسلك
الصراط المستقيم الذي وردت به الشريعة وهو الجدد الواضح وتجنب فيه العدول والانحراف فانه من
انحرف عنه ولو باليسير اليسير ضل في مهواة وضل في مغواة وقد نبهناك فيما سلف على ذلك بالمثل الذي
ضربه النبي صلى الله عليه وآله حيث قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ابواب مفتحة وعليها
ستور مرخاة وعلى رأس الصراط داع يقول جوزوا ولا تعوجوا قال فالصراط هو الدين وهو الجدد الواضح
هنا والداعي هو القرآن والابواب المفتحة محارم الله وهي المهاوي والمغاوي هنا والستور المرخاة
هي حدود الله ونواهيه ثم نهى ان يعين الانسان على نفسه الغواة بان يطاوعهم في ان يتعسف في حق اي الحكم
على غير الحق وصيغه فان الحق له درجات بعضها اسهل من بعض فلا يستقصى على غير اهله بو[illegible] النخوة
عمن يقوله ويامر به والعداوة له والقول فيه ويحتمل ان يريد بالتعسف في الحق التكلف في العمل بما يحتمل
من التقصير فيه فان الغواة هم تاركوا الحق فاذا وجدوا ركيكا فيه او متكلفا يعمل به مقصرا طمعوا في [illegible]
للباطل فكان قد اعانهم على نفسه بذلك وكذلك اذا استوا منه الكذب والتحريف في القول او التخوف
من الصدق كان ادعى لهم الى الطمع في اغتياله بباطلهم وادخاله فيه فكان معينا لهم على اغواء نفسه بذلك
ثم عاد الى امر السامع بالامر بالافاقة من سكرة الجهل والتيقظ من الغفلة في الدنيا ولفظ السكرة
مستعار ووجه المشابهة كون الغفلة مستلزمة لترك اعمال العقل كما ان السكر كذلك الثاني بالاختصار
من العجلة واراد بالعجلة سرعة الحركة في طلب الدنيا والاهتمام بها وبالاختصار منها تخفيف تلك الحركة وتقليلها
الثالث بانعام الفكر فيما ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وكثرة من ذكر الموت وحض النفوس
على دناءتها وانعام الفكر في ذلك تدقيق النظر في حال الموت وما بعده والاعتبار بما لابد منه ولا محيص
عنه من ذلك الرابع بمخالفة من خالف ذلك ونظر في غيره مما عنه بدّ من احوال الدنيا وزينتها الى غير ذلك

المخالف

المخالف وما رضي لنفسه من التعوض بالامور الفانية عن الامور الباقية وما يستلزمه ذلك من الشقاوة
الاخروية الخامس ان يضع الفخر ويحط الكبر وقد سبق بيان ما في الكبر من الآفات والفخر مستلزم للكبر
اذ كل متفخر متكبر او متلازمان السادس ان يذكر قبره لان في ذكره عبرة تامة وقوله فان عليه ممرك
شبه له وجوب الذكر له فان السالك الطريق لابد من سلوكها اذا كان فيها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد
لحمل الضوء للاستنارة فيه والانسان في سلوكه الطريق الاخرة لابد له من المرور بالقبر واحكام الشارع
الاخروية ثم نبهه بالمثلين المشهورين كما تدين تدان على وجوب حسن المعاملة مع الله سبحانه اذ كان حسن جزائه
بقدر حسن معاملة العبد له ووجه تنبيها وكذلك قوله كما تزرع تحصد ولفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان
ويكسب نفسه ملكة خيرية او شرية وكذلك لفظ الحصد للحصول على ثمرة تلك الآثار وما يستلزمه من ثواب او عقاب
ووجه الاستعارتين ظاهر وقوله وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا ظاهر فان الهيئات النفسانية التي هي
ثمرات الافعال المستلزمة للسعادة والشقاوة وان كانت مستصحبة للنفس مدة بقائها في الدنيا الا
انها لا تنكشف لها الا بعد المفارقة كما سبق بيانه فيكون حالة الانكشاف بمنزلة من قدم على ما لم يكن
معه واذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يمهد لقدمه اي يعد لموضع قدمه في الآخرة بطيب الاعمال وتقديم صالحها
يوم حياته ثم عاد الى تحذيره من حيث هو مستمع للموعظة والى امره بالجد في العمل لما بعد الموت والتيقظ
من الغفلة ونبهه باقتباس الآية على ان الواعظ له خبير باحوال طريق الآخرة واهوالها ولا يخبر بحقائق الامور
كالعارف بها ثم عاد الى التحذير من بعض الكبائر التي نص القرآن المجيد انها مستلزمة للعقاب وعزمة الذكر
الحكيم هو القرآن وقد سبق بيان معنى العزائم منه وقيل هو اللوح المحفوظ والاسم ان انه لا ينفع والعبد
عند الله وان فعل ينبغي ان يجتهد ولا يفتتن في الحال واراد ان من جملة نصوص الله سبحانه التي هي في
محكم كتابه العزيز التي باعتقادها والعمل بها وتجانبها يرضى وتركها يعاقب ويسخط انه لا ينفع عبدا
خروجه من الدنيا لاقيا ربه باحد الخصال المذكورة وان اجهد نفسه في العمل واخلص فيه احداها الشرك بالله
وقد سبق منا بيان درجات الشرك وبقدر قوته وضعفه يكون قوة العقاب وضعفه والنص الدال
على مضرته المستلزم لعدم نفعه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله فيما افترض عليه من عبادته
بينهم منه انه اراد الشرك بالرياء في العبادة لا اتخاذ الاوثان وهذه الآفة تلحق النفس تارة من غلبة الجهل
عليها واستيلاء الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد وتارة من غلبة الشهوة كما يلحق نفس المرائي بعبادته
لطلب الدنيا الثانية ان يشفي غيظه بهلاك نفس وفي نسخة بغيره نفس امرء وذلك الهلاك تارة في الدنيا
كالسعي بها الى الملوك ونحوه وفي الآخرة باكتساب الآثام المستلزم لشفاء الغيظ والنص
فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وهذه الآفة تلحقها بواسطة القوة الغضبية
الثالثة ان يقر بامر فعله غيره اي يتهم على غيره بامر فعله وذلك الغير يستلزم اهلاكه واذاه فيدخل في من يسعى
في الارض فسادا والنص عليه قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض
فسادا ان يقتلوا الآية وروى بعض الشارحين يعر بالعين المهملة قال ومعناه ان يقذف غيره بامر فعله

هو فيكون بغيره مضروبا مفعولا به والعامل يغير قال فرة بغيره عن اي عابه ولطف حلى هذا لكون داخلا
في جملة الفاسقين والكاذبين والموذين للمؤمنين بغير ما اكتسبوا وهذه الآفة تلحق النفس بشركة من الشهوة
والغضب الرابعة ان يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه كشاهد الزور ونحوه ليصل بها الى الرشى
في الحكم والقضاء الخامسة ان يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اي يلقى كلا من الصديقين مثلا بغير ما
يلقى به الآخر ليفرق بينهما او بين العدوين ليغري بينهما وبالجملة ان يقول بلسانه ما ليس في قلبه فيدخل في
زمرة المنافقين ووعيد المنافقين في القرآن ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ومطابقة
ذلك من العقل ان من اشتغل ليعج نفسه بهيئات السوء ولم يمحها بالتوبة الحقة فهو من اصحاب النار وقوله
اعقل ذلك انه اي اعقل ما اضرب لك من المثل واحمل عليه ما يشبهه فان المثل دليل على شبهه وذلك
المثل قوله ان البهائم الى قوله والفساد فيها فقوله ان البهائم همها بطونها اشارة الى ان الانسان المتبع
لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوة الشهوية والاهتمام بالطعام والشراب دون المطالب الحقيقية وقوله
وان السباع همها العدوان على غيرها اشارة الى ان متبع القوة الغضبية بمنزلة السبع في اتباعها ومحبة
الانتقام والغلبة على الغير وقوله وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها اشارة الى ان النساء
تابعة للقوتين الشهوية ولما كان همهن زينة الحيوة الدنيا والغضبية ولما كان همهن الفساد في الدنيا
فانه تابع لشهوته وغضبه لاحق بالنساء في ذلك ثم لما حصر متابع الشر في قوتي الشهوة والغضب ذكر المؤمنين
بصفات ثلث كل منها يستلزم كسر تينك القوتين وهي الاستكانة لله والخشوع له ثم الاشفاق من غضبه
ثم الخوف من عقابه وظاهر كون كل واحد من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرف الافراط في القوتين والخروج
عن حد العدل فيهما وغاية هذا المثل التنفير عن طاعة الشهوة والغضب بالتشبيه على ان الخارج فيهما عن
حد العدل الى ما لا ينبغي اما ان يشبه البهيمة او السبع او المرأة اذ كل منها مما يرغب العاقل عنه وهو الذي
امر بعقليته فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الاشارة اللطيفة التي يشهد عليها بها انه الحق كما هو
واذا اعتبرت ذلك واشباهه من الحكم البالغة ونظرت الى انه عليه السلم لم يحوج فيه الى مطالعة كتاب او
استفادة بحث علمت انه فيض رباني بواسطة اعداد سيد البشر والاستاذ المرشد صلى الله عليه وآله
قال الشارح الفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد رحمه الله ما زعم جاحظ هذا الكلام الى الرؤساء يوم الجمل لانهم
حاولوا ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين وعيروه عليه السلم بامر هم فعلوه وهو قتل
عثمان وحصره واستنجحوا حاجتهم الى اهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين
ولسانين لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم نكثوا من وجه آخر فجعل ذنوبهم هذه بمنزلة الشرك في انها
لا يغفر الا بالتوبة قال وهذا معنى قوله اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلم وَناظِرُ قَلْبِ اللَّبيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ داعٍ دَعا وَراعٍ رَعى
فَاسْتَجيبُوا لِلدّاعي وَاتَّبِعُوا الرّاعِيَ قَدْ خاضُوا بِحارَ الفِتَنِ وَأَخَذُوا بِالبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ وَأَرَزَ المُؤْمِنُونَ
وَنَطَقَ الضّالُّونَ المُكَذِّبُونَ نَحْنُ الشِّعارُ وَالأَصْحابُ وَالخَزَنَةُ وَالأَبْوابُ لا تُؤْتَى البُيُوتُ إِلاّ مِنْ أَبْوابِها

في

فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا **اقول** الامد الغاية وغوره ونجده منخفضه ومرتفعه وارز [illegible]
اي انقبض واجتمع وناظر قلب اللبيب عين بصيرته وظاهر انه يبصر بها طريقه وغايته التي هو متوجه اليها
ومطلوبه منها وغوره ونجده طريقا الخير والشر وهما النجدان في قوله تعالى وهديناه النجدين
وعبارة القرآن المجيد احضر وهذه العبارة انسب الى المعنى فان الغور هو المنخفض والمستفل الى
الى ان يعبر به عن رتبة النازلين في دركات الجحيم من النجد واشار بالداعي الى الرسول صلى الله عليه واله
وما جاء به من القرآن الكريم والسنة وبالراعي الى نفسه والامر بالاستجابة للاول والاتباع للثاني
وظاهر وجوب الاستجابة لله ولرسوله لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم فيجب اتباع من اوجب اتباعه وقوله قد خاضوا بحار الفتن يحتمل ان يكون التفاتا
الى صفة قوم معهودين للسامعين كمعوية واصحاب الجمل والخوارج ويحتمل ان يكون منقطعا عما قبله
متصلا بكلام لم يحكه الرضي رضه واليه ذهب بعض الشارحين قال وهو ذكر قوم من اهل الضلال
قد كان اخذ في ذمهم وعيبهم ولفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن والحروب وقد عرفت وجه
الاستعارة قبل ورشح بذكر الخوض والبدعة قد يراد بها ترك السنة وقد يراد بها امر آخر
يفعل مع ترك السنة وهو الاظهر في العرف ثم التفت الى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه
واهل بيته ووجه المشابهة ملازمتهم للرسول صلى الله عليه واله واختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد
ثم ذكر كونهم اصحابا له ثم كونهم خزنة اي خزنة علمه كما نقل عن الرسول صلى الله عليه واله وهو خازن علمي
وفي رواية عيبة علمي وقيل خزنة الجنة على معنى ان من جاء يوم القيمة بولايتهم دخل الجنة والا فلا ولفظ
الخزان على التقديرين مستعار ووجه المشابهة تصرفهم بمنع العلم واعطائه او بمنع الجنة لبعضهم واعطائها
كما ان الخازن لشيء كذلك ثم كونهم الابواب اي ابواب العلم كما قال صلى الله عليه واله انا مدينة العلم
وعلي بابها او ابواب الجنة على الاستعارة السابقة وقوله ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها وذلك
لوجوه احدها العادة الجارية الثاني في الحكمة الثالث في النص واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله
الثالث العرف وهو ان من اتاها من غير ابوابها سمي سارقا والمقصود الترغيب في لزومهم والترك مراده
ان من طلب العلم والحكمة واسرار الشريعة فليرجع اليها وبالله التوفيق **منها** فِيهِمْ كَرائِمُ الإيمانِ وَهُمْ
كُنُوزُ الرَّحْمنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا فَلْيَصْدُقْ رائِدٌ أَهْلَهُ وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ وَلْيَكُنْ مِنْ
أَبْناءِ الآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْها قَدِمَ وَإِلَيْها يَنْقَلِبُ فَالنّاظِرُ بِالقَلْبِ العامِلُ بِالبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ
أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ فَإِنْ كانَ لَهُ مَضى فِيهِ وَإِنْ كانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ فَإِنَّ العامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسّائِرِ عَلى غَيْرِ طَرِيقٍ
فَلا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلاّ بُعْداً عَنْ حاجَتِهِ وَالعامِلُ بِالعِلْمِ كَالسّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الواضِحِ فَلْيَنْظُرْ
ناظِرٌ أَسائِرٌ هُوَ أَمْ راجِعٌ وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظاهِرٍ باطِناً عَلى مِثالِهِ فَما طابَ ظاهِرُهُ طابَ باطِنُهُ وَما خَبُثَ
ظاهِرُهُ خَبُثَ باطِنُهُ وَقَدْ قالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العَبْدَ وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ وَيُحِبُّ العَمَلَ
وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَباتاً وَكُلُّ نَباتٍ لا غِنى بِهِ عَنِ الماءِ وَالمِياهُ مُخْتَلِفَةٌ فَما طابَ سَقْيُهُ طابَ غَرْسُهُ

عمله نخ
على غير طريق نخ

وحلت ثمرته وما جنت بنعيه جنت غرسه وامرت ثمرته **اقول** الاشارة الى فضايل اهل البيت عليهم السلم
فالاولى انهم كرايم الايمان اي نفايسه المستلزمة لاشدية القرب من الله تعالى كالاخلاق الفاضلة والاعتقادات
الحقة المطابقة لما عليه الامر نفسه الثانية وهم كنوز الرحمن اي خزاين علمه وساير ما امر به من مكارم الاخلاق
الثالثة ملازمتهم للصدق الرابعة اختصاصهم بالحكمة التي لا يمكن غيرهم من النطق بها والسبق اليها حال
سكوتهم فهم ان نطقوا فبحكمة وان صمتوا فلحكمة ووضع الصمت في موضعه وانما ذكر هذه الفضايل لنفسه واهل
بيته جذبا الى سماع قوله ودعوته الى الله وقوله بعد التمثيل فليصدق رايد اهله واشار به الى ان من يحضرنا طلبا
لاخبارنا فليصدق من بعده امره انا اهل الحق ومنابيع العلوم والحكمة والاداة اي انه كما يصدق الرايد لطلب
الكلا والماء اهله حيث رايهما ويحضر عقله لما يقوله ليعرف صحة ما ادعيناه ثم شرع فيما ينبغي ان يقوله اشارة الى
الشبهة احوال الآخرة وان يكون العاقل من ابنائها ووجه استعارة البنوة ههنا قوله فانه منها قدم
واليها ينقلب اي كما ان الابن ينقلب عن الام فاليها وله رجوع كذلك الانسان مبدؤه الحضرة الالهية فاليها
ينقلب واليها يعود فينبغي ان يكون من ابنائها بالرغبة فيها والوله اليها والعمل لها ثم نبه العاقل ذا الفكر
السليم الناظر بعين بصيرته انه ينبغي له ان يبدأ به من حركاته وسكناته وهو ان يتفقد احوال نفسه فيما يهم به
ويضيف نحو فعله او تركه ويعلم ان ذلك الخاطر او تلك الحركة مقربة له من الله تعالى فيكون له فينبغي ان يمضي فيها
او مبعدة له عن رضاه ومستلزمة لسخطه فيكون عليه فيقف عنها ثم شبه الجاهل في حركاته وسكناته بالساير
على غير طريق واشار الى وجه الشبه بقوله فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته اذ كان بعده
عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وضده العامل بالعلم في سلوكه وقربه من مطلوبه ونفر بتلك
الشبهة عن الجهل وزاد في التنفير بقوله فلينظر ناظر ساير هو ام راجع فانه اذا علم انه ساير وجب ان يعلم
كيف يسير ويشعل مصباح العلم ليسلم من الضلال والغرق في مهاوي الهلاك وقوله واعلم ان لكل ظاهر باطنا
الى قوله ويبغض بدنه فاعلم ان هذه القضية الكلية صادقة وذلك انه لما صدر عن الجود الالهي عالما الغيب
والشهادة وان شئت عالم الخلق والامر وان شئت العالم الروحاني والجسماني اقتضت الحكمة الالهية كون
عالم الشهادة طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولاها لتعذر السفر الى الحضرة الالهية والسلوك
الى الله فكان جميع ما ظهر في عالم الشهادة مثالا مناسبا لامر باطن من عالم الغيب هو الطريق اليه والدليل
عليه فان ظهر من كلامه عليه السلم هنا تخصيص تلك الكلية بامر خاص فانه اما ان يشير بالظاهر الى اشخاص
الناس او الى افعالهم الظاهرة وبالباطن اشارة الى الاخلاق واعمال القلوب وما يؤدي اليه من الخير
والشر وقيل اشارة الى ما يخفى من الثواب والعقاب في الآخرة وقد دل الاستقراء والقياس على ان
حسن الصورة او حسن الاعمال الظاهرة التي تبدو من الانسان حسن الاخلاق طيب العشيرة مستقيم السيرة
وعلى ان قبحها يستلزم سوء الاخلاق غالبا اما الاستقراء فظاهر واما القياس فلان حسن الاخلاق وقرب النفس من
الاستقامة على الغالب لمقتضى قرب المزاج من الاعتدال وكذلك حسن الصورة فيترتب قياس هكذا حسن
الصورة معتدل المزاج وكل معتدل المزاج حسن الاخلاق فحسن الصورة حسن الاخلاق وان شئت هكذا معتدل

المزاج

المزاج حسن الصورة ومعتدل المزاج حسن الاخلاق وانتجتا اكثريتان فان بعض حسن الصورة قبيح الباطن
وبعض خبيث الظاهر حسن الباطن ولذلك استشهد بما رواه عن الرسول صلى الله عليه وآله فان الله يحب العبد
من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى الحكمة الالهية والاسبق الى الوجود من القبيحة التي هي اقرب الى العدم الذي
هو الشر المحض ويبغض عمله من جهة ما هو شر وكذلك يحب العمل الحسن الباطن الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته
الى العدم الذي هو شر واما النص على دلالة الظاهر على الباطن فما نطق به القرآن الكريم والبلد الطيب يخرج
نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي عسرا مشوما قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة
والسدي هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالارض العذبة التربة وبالارض السبخة المالحة وشبه
فيه المؤمن الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به فبان اثره عليه بحسن الاعمال وطيبها بالبلد الطيب
اذ كان البلد الطيب يمرع ويخصب ويحسن اثر المطر عليه وشبه الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه
اثرا محمودا بالبلد الخبيث اذ كان لا يمرع ولا يخصب ولا يتبين اثر المطر فيه واما البغض والمحبة فقد علمت
انهما يعودان في الله سبحانه الى ارادته وكراهته فما كان خيرا محضا او الخير غالب عليه فهو مراد له بالذات
وما كان شرا محضا او غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات وقوله واعلم ان لكل عمل نباتا استعار
لفظ النبات لزيادة الاعمال ونموها ورشح تلك الاستعارة بذكر الماء وكنى به عن المادة القلبية للاعمال
ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة انما تكون بالميول القلبية والنيات كما ان حركة النمو في النبات انما يكون
بالماء وظاهر ان اختلاف الماء في الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف استعداد النبات لطيب الغارس
والثمار فما طاب سقيه اي نصيبه من الماء طابت ثمرته وما خبث خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه النباتات
وهي الاعمال يكون طيب ثمارها وهي ثمار الجنة وانواع لذاتها بحسب طيب مادتها من الاخلاص فيه وخبثها
بحسب خبث مادتها من الريا وحب الشهرة ويكون ثمرتها امر الثمار اذ لا امر مذاقا من عذاب النار وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** يذكر فيها بديع خلقة الخفاش الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته
وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى العيون لم تبلغه
العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه الاوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير
ولا معونة معين فتم خلقه بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته
وعجائب خلقته ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام
القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية
برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات اشراقها واكنها في مكامنها عن الذهاب في
بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها
اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق
نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها فسبحان
من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كانها

شغافها الا اذان بغير ذوات ريش ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها جناحان لما يرقا
فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها
حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان البارئ لكل شيء على غير
مثال خلا من غيره **اقول** الخفاش مفرد جمعه خفافيش وهو من الخفش وهو ضعف البصر خلقة والحرث
كلث وردعت كث والسلع المسلك وسبحات اشراقها جلالته وبهاؤه والبلج جمع بلجة هي اول ضوء الصبح
وقد يكون مصدرا والائتلاق اللمعان والاسداف مصدر اسدف الليل اظلم وغسق الدجنة ظلام الليل
وردع النهار ضوؤه ووجار الضب جحره والشظايا القطع وقد حمد الله تعالى باعتبارات الاول انحسار
الاوصاف عن كنه معرفته ولما كانت ذاته تعالى بريئة من انحاء التراكيب لم يكن العقول ادراكها بشيء من الاوصاف
بالكنه وقد سبق ذلك مرارا الثاني ردع عظمته العقول عن بلوغ غاية ملكوته وذلك ظاهر لان الادراك
للاشياء لحقايقها انما يتم بادراك حقايق عللها واذا استلزمت عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول
ردعها عن معرفة كنهه فظاهر انها لا تجد مسلكا الى غاية ملكوته وما عليه نظام الوجود الاعلى والاسفل كما هو
الثالث قوله هو فهو المطلق وهو الذي لا يكون هويته موقوفة على غيره ومستفادة منه فان كل ما كان
مستفادا من الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم يكن هو هو المطلق وكل ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر
غيره او لم يعتبر فهو هو لكن كل ممكن فوجوده من غيره فكل ما كان وجوده من غيره فخصوصية وجوده وتعينه
من غيره وهو الهوية فاذن كل ممكن فهويته من غيره فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدأ الاول هو هو لذاته
فلا يكون من غيره فلا يكون ممكنا فهو واجب لذاته فاذن واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل ذاته
انه هو لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان الرابع تعقيبه لذكر الهوية باسم الله وذلك لانه لما كانت
تلك الهوية والخصوصية عديمة الاسم لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم منها اضافية ومنها سلبية واللوازم
الاضافية اشد تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة والسلب وذلك هو كون
تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فانتساب غيره اليه اضافي
وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم لا كلية في التعريف من
غيره يكون كالكاشف لما دل عليه لفظ هو وفيه تراخ وهو انه لما عرف تلك الهوية بلازمها وهو الالهية
نبه على انه لا جزء لتلك الهوية والا لكان العدول عنه الى التعريف باللازم قصورا الخامس ذكر الحق وهو
الثابت الموجود فانه لما اشار الى الهوية وشرح اسمها عقب ذلك بالاشارة الى كونها موجودا احق
عند العقول اي وابين مما ترى العيون وذلك ظاهر فان العلم بوجود الصانع جلت عظمته فطري للعقول
وان احتاج الى تنبيه ما والعلوم التي تستند الى الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه
المحسوسات وعدم ضبطها او بسبب تقصير الحس عن كيفية الاداء لصورة المحسوس فكانت المعقولات
الصرفة احق لادراك العقل لها بذاته السادس ان العقول لم تبلغه بتحديد فيكون مشبها وفيه اشارة
لطيفة تدل على كمال علمه عليه السلم وذلك انك علمت في المقدمات ان العقول اذا قويت على الاتصال

بالامور

بالامور المجردة وكانت القوة المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة
فان النفس والحال هذه اذا توجهت لاقتناص امر معقول وانجذبت القوى النفسانية اثرها اخذت في ذلك
المعقول ثم انها تستعين في ضبط ذلك الامر بالقوة المتخيلة فتحاكيه بما يشبهه من الامور المحسوسة ثم تحطه الى خزانة
الخيال فيصير مشاهدا ممثلا اذا عرفت ذلك فنقول لو كان الباري تعالى مما تدركه العقول وتثبته بحد وصفة
لكان استثباتها له على النحو المذكور فيلزم ان يكون مشبها بغيره من الاجسام والجسمانيات ليثبت صورته
عند الذهن وقد تنزه قدس الله عن التشبيه بشيء منها السابع وكذلك لم تقع الاوهام عليه بتقدير فيكون ممثلا
اذ الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ولا بد له في ادراك ذلك المدرك من بعث
المتخيلة على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانية فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة حسية حتى ان الوهم انما يدرك
نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار الثامن خلقه الخلق على غير مثال الى قوله معين وقد سبق ايضا بيانه
في الخطبة الاولى وغيرها وتمام خلقه بامره بلوغه الى غايته في الكمال الممكن له اذ نطقت البراهين العقلية ان
كل الممكن لشيء وصل اليه من الجود الالهي المنزه عن البخل والمنع من جهته واذعانه لطاعته دخوله تحت القدرة
الالهية وذلك اجابته من غير مدافعة وانقياده من غير منازعة ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله تعالى
باعتبار بعض لطايف صنعه وعجايب خلقه والتنبيه على غوامض حكمته في خلقه هذا الحيوان المخصوص جرا
بالتعجب من مخالفتها لساير الحيوان في قبض الضياء لابصارها مع بسطه لساير ابصار الحيوانات واعداده
لانبساط النبات ونموه وغيره ثم من بسط الظلام لابصارها مع قبضه لساير الابصار ثم نبه على العلة الطبيعية
لذلك وهو عشا اعينها وضعفها ان تستمد من نور الشمس المضيئة نورا تهتدي به والذي ذكر في علة ذلك
الضعف هو افراط التحلل في الروح الحامل للقوة الباصرة من هذا الحيوان اذا لقي حر النهار فيصيبه لذلك
التحلل ضعف يحتاج معه الى التعويض عما تحلل فيرجع عن العضو الباصر منها طلبا لبدل ما تحلل فيتكامل البدل
بقرب الليل لمكان برده وضعف حرارة النهار فيعود الابصار ووصفه عليه السلم بهذه الخاصية منها وكيفيته
حالها فيها الى قوله ظلم لياليها وصف لا مزيد على فصاحته وقوله وتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها
في غاية الفصاحة ومعارفها ما تعرفه من مذاهبها ووجوه تصرفاتها وتصل عطف على قوله استمدت وانما اسند
لجفونها على حداقها فان تحلل الروح الحامل للقوة الباصرة سبب للنوم ايضا فيكون ذلك الاسدال عن بيان من
النوم وكثيرا ما يلحق كثيرا من الحيوان وسببه ما ذكرناه واستعار لفظ القناع للشمس ملاحظة لشبهها بالمرأة
ذات القناع وكنى بالقاية عن بروزها من حجاب الارض ثم ثنى بتسبيح الله تعالى وتعظيمه باعتبار امرار خلقه لها
على سبيل التعجب وهو خلقة اجنحتها من لحم بلا ريش ولا قصب كساير اجنحة الطير بل من عروق ورق تبسط
وتنقبض على مفاصل مخصوصة من غير رقة توجب له الانشقاق عند الطيران ولا غلظ يوجب له الثقل ثم ثلث
بالتعجب من حالها مع ولدها وذلك انه يلصق بها فيرتضعها ولا يفارقها في حالتي وقوعها وطيرانها حتى يشتد
ويمكنه الطيران والتصرف بنفسه وذلك امر تخالف به ساير الحيوان وهو محل التعجب ثم ختم الفصل
بتسبيح الله تعالى باعتبار خلقه لكل شيء من غير مثال سبق من غيره ومن الامثال العامة قيل للخفاش لماذا لا جناح

قالت لانه تصوير مخلوق قبل فلاذا لا يخرج نهارا قال جا من الطيور يريدون ان المسيح عليه السلم صوره وان اليه
الاشارة بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وفي الطير
عجايب لا يهتدي لها العقول بل وفي كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته لطايف واسرار كالنحل
والبعوض والنمل يعجز عن ادراكها واستقصا اوصافها الباب الالبا وحكمة الحكما فسبحان من ما اعظم شانه
وابهر برهانه **ومن خطبة له عليه السلم** خاطب بها اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند
ذلك ان يعتقل نفسه على الله فليفعل فان اطعتموني فاني حاملكم ان شا الله على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة
شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة فادركها راي النسا وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت
لتنال من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على الله **اقول** اعتقل نفسه اي حبسها
وحبسها والضغن الحقد والمرجل القدر وقوله عند ذلك يقتضي انه سبق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن
وحرب يقع بين المسلمين وجب على من ادركها ان يحبس نفسه على طاعة الله دون الدخول فيها
وسبيل الجنة هو الدين القيم وظاهر شرط حمله لهم عليه بالطاعة اذ لا راي لمن لا يطاع ونبه على ان من
الدين الحق ما هو ذو مشقة شديدة ومذاقة مريرة كالجهاد وملك ساير التكاليف عنا مشقة وفلانة
كناية عن عايشة وادراك راي النسا لها في حربه بالبصرة وقد علمت ان راي النسا يرجع الى افن وضعف
وفي الخبر لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امراة وجاء انهن قليلات عقل ودين كما سبق بيان اخلاقهن
واما الضغن فقد نقل له اسباب عدة منها ما كان بينها وبين فاطمة عليها السلم بسبب تزويج الرسول صلعم لها
عقيب موت خديجة ام فاطمة واقامتها مقامها ومن المعلوم المعتاد ما يقع بين المراة وابنة زوجها من غيرها
من الكدر وكان سبب البغض من المراة لبنت الزوج حركة المخيلة باقامة البنت مقام الام الى ضرة لها
وتشبيها بها فتقيمها مقام الضرة ويتوهم فيها العداوة والبغضا ثم ينشا ذلك الخيال ويقوى باسباب
اخرى فيتاكد البغض خصوصا ان كان للزوج اكرام لبنته كما هو المنقول من الرسول صلعم في حق فاطمة عليها السلم
واما من جهة البنت فلتخيلها انها ضرة امها وتوهمها بسبب ذلك بغضها لها والابغض للام بغض البنت
لامها ويتاكد ذلك بالميل المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق عايشة وايثاره لها على ساير نسايه
والنفوس البشرية خصوصا نفوس النسا تغيظ على دون ذلك فكيف بذلك منه صلى الله عليه وآله
ولا شك في تعدي ذلك الى نفس بعلها عليه السلم فان النسا كثيرا ما يحصل بسببهن الاحقاد في قلوب الرجال
وعن بعض الحكما اذا رايت في الدنيا خصومة ليست بسبب امراة فاحمد الله تعالى فانها امر عجيب وكثيرا ما كانت
فاطمة عليها السلم تشكو الى بعلها من عايشة ومنها ما كان من امر قذف عايشة ونقل ان عليا عليه السلم كان اشار
بطلاقها تنزيها لعرض الرسول صلى الله عليه وآله من اقوال المنافقين وقال له لما استشاره ان هي الا شسع
نعلك وقال اسال الخادمة وخوفها فان اقامت على الجحود فاضربها وبلغها كل ذلك الكلام وسمعت
اضعافه من الغير ما جرت عادة الناس ان يتداولوه في مثل هذه الواقعة ونقل النسا اليها ان
عليا عليه السلم وفاطمة سرا بذلك فتفاقم الامر وغلظ ثم لما نزلت براتها وصالحها الرسول صلى الله عليه وآله

ثم منها

ثم منها ما جرت العادة بظهوره ممن انتصر بعد ظلمه وينتصر بعد غلبه من بسط اللسان والتبجح بالبراة من
العيب ومقامات القول في اثنا ذلك فبلغ ذلك عليا عليه السلم وفاطمة عليها السلم ومنها كون النبي صلعم سد باب ابي بكر
من المسجد وفتح باب صهره ومنها بعثه اياه بسورة براة ثم اخذها منه ورده الى غير ذلك من
الاسباب الجزئية التي تشهد بها قراين الاحوال ولا تكاد تنضبط بالاقوال فان كل ذلك مما يثير الاحقاد
ويوكد الاضغان وقوله ولو دعيت الخ كلام حق لمكان الباعث لها على حقده دون غيره وقوله ولها بعد
حرمتها الاولى وجه اعتذاره في الكف عن اذاها بعد استحقاقها للاذى في نظره وحرمتها بنكاح رسول الله صلعم
وكونها زوجة له وقوله والحساب على الله شبه على انه وان سامحها في الدنيا بما فعلت فان الله تعالى
هو المتولي لحسابها في الآخرة ولعل هذا الكلام منه قبل اظهارها للتوبة وعلمه بذلك لانه في معنى
الانذار والوعيد لها من الله **منها** سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل على
الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت
تختم الدنيا وبالدنيا تحرز الآخرة وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق لا مقصر
لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها الى الغاية القصوى **اقول** ازلفت قدمت وقربت والارقال ضرب من
الخبب ولا مقصر له عن كذا اي لا محبس ومبدا الفصل في وصف الايمان والمراد بالايمان التصديق
القلبي بالتوحيد وبما جا به الرسول صلعم ولا شك في كونه سبيلا ابلج واضح المسلك الى الجنة انور السراج
في ظلمات الجهل ولفظ السراج مستعار والصالحات هي الاعمال الصالحة من ساير العبادات ومكارم
الاخلاق التي وردت بها الشريعة وظاهر كونها معلولات للايمان وثمرات له يستدل بوجوده
في قلب العبد على ملازمته لها استدلالا بالعلة على المعلول ويستدل بصدورها من العبد على وجوده
في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة واما قوله فبالايمان يعمر العلم فلان الايمان بالتفسير المذكور اذا عضده
البرهان كان علما وهو روح العلوم ويطلق اسم الايمان عليه مع ثمراته وهي الاعمال الصالحة لانها
من كمالاته ولا تمام له ولا منفعة بدونها فان العلم اذا لم يعضد بالعمل فهو قليل الفايدة في الآخرة
بل لا ثمرة له فهو كالخراب الغير الصالح للاقتنا فكما لا يصلح الخراب للسكنى فكذلك العلم الخالي عن الاعمال الصالحة
ولذلك قال عليه السلم في موضع آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل واما
قوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم بالله تعالى وغاية خلقه للانسان وملاحظة نسبة الدنيا الى الآخرة
والعلم باحوال المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام ملاحظته وذلك يستلزم رهبته والعمل له ولما بعده
وقوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ الدنيا عبارة عما فيه الانسان قبل الموت من التصرفات البدنية
وقوله وبالدنيا تحرز الآخرة اشارة الى ان الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وهنا
تحصيل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الآخرة وقد سبق بيانه وقوله بالقيامة تزلف الجنة للمتقين
وتبرز الجحيم للغاوين اشارة لطيفة ذكرناها غير مرة وهو ان بالموت وطرح جلباب البدن يتبين ما
للانسان وما عليه مما قدم من خير وشر وان كانت ثمرة ذلك اثرا حاصلا للنفس في الدنيا لان التام

والالتذاذ انما يحصل لها بعد طرح البدن واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من
خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولفظ الازلاف والبروز يشهد
بذلك لان معنى الظهور اي ظهور الادراك اذن وقوله وان الخلق لا مقصر لهم عن القيمة اه كلام في غاية
الحسن مع غزارة الفائدة وهو اشارة الى انه لا بد لهم من ورود القيمة ومضمار هذه الحيوة الدنيا
وهو لفظ مستعار ووجه المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس للسباق الى حضرة الله كما ان المضمار
محل استعداد الخيل للسباق وقد سبق بيان ذلك في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق ومن قلعها
حال وارقال لهم كناية عن سيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الآخرة وسرعة حثيث الزمان بهم في اعداد ابدانهم
للخراب والغاية القصوى هي السعادة او الشقاوة الاخروية **منها** قد شخصوا من مستقر
الاجداث وصاروا الى مصاير الغايات لكل دار اهلها لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها وان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله تعالى لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم
بكتاب الله فانه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة
للمتعلق لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن
عمل به سبق وقام اليه عليه السلم رجل فقال اخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال عليه السلم لما انزل الله سبحانه قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون
علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين اظهرنا فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها
فقال يا علي ان امتي سيفتنون بعدي فقلت يا رسول الله اوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد
من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة من ورائك
فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن
البشرى والشكر وقال يا علي ان القوم سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته
ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ
والسحت بالهدية والربا بالبيع فقلت يا رسول الله فبأي المنازل انزلهم عند ذلك ابمنزلة فتنة ام
بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة **اقول** صدر هذا الفصل صفة حال اهل القبور في القيمة ومصاير الغايات
الجنة والنار وظاهر ان لكل دار منهما اهل لا يستبدلون بها ويجب ان يعني باهل النار الكفار ليتم قوله
لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها فان العصاة من اهل القبلة وان صح انهم يعذبون لكن ثبت انهم
ينقلون عنها وقوله وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى قوله من رزق حث عليهما بذكر كونهما
خلقين من خلق الله واعلم ان اطلاق لفظ الخلق على الله استعارة لان حقيقة الخلق انه ملكة نفسانية يصدر
عن الانسان بها افعال خيرية او شرية واذ قد تنزه قدسه تعالى عن الكيفيات والهيآت لم يصدق هذا
اللفظ عليه حقيقة لكن لما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاخلاق الفاضلة اشبه ما تعتبره له تعالى
من صفات الكمال ونعوت الجلال ان يصدر عنه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والافعال

وانهما

الخيرية

الخيرية التي بها نظام العالم وبقاؤه لحكمته وقدرته وجوده وعنايته وعدم حاجته ما يتعارف من الاخلاق
الفاضلة التي يصدر عنها الافعال الخيرية البشرية فاستعير لها لفظ الاخلاق واطلق عليه فاما كونهما لا يقربان من
الاجل ولا ينقصان الرزق فلان كثيرا من ضعفاء الاعتبار العقلي يمنعهم من الامر بالمعروف او النهي عن المنكر
توهم احد الامرين وخصوصا ترك نهي الملوك عن المنكرات ثم شرع في الحث على لزوم كتاب الله باوصاف
نبه بها على فضيلته الاول كونه الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار له ووجه المشابهة كونه سببا للنجاة للمتمسك
به من الهوى في دركات الجحيم كالحبل في نجاة المتمسك به ورشح بذكر المتانة الثاني كونه نورا مبينا ولفظ النور
ايضا استعارة له باعتبار الاهتداء به الى المقاصد الحقيقية في سلوك سبيل الله الثالث كونه الشفاء النافع
اي من ام الجهل وكذلك الري الناقع اي للعطشان من ماء الحيوة الابدية كالعلوم والكمالات الباقية الرابع
كونه عصمة للمتمسك ونجاة للمتعلق ومعناه كالذي سبق في كونه حبلا الخامس لا يعوج فيقام اذ ليس هو
كساير الآلات المحسوسة السادس ولا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق كما يطلب
ساير الحكام من الناس السابع كونه ولا تخلقه كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج الاسماع وهو من
خصايص القرآن الكريم فان كل كلام نثرا او نظما اذا كثرت تلاوته مجته الاسماع واستهجن الا القرآن الكريم
فانه لا يزال غضا طريا يزداد على طول التكرار في كرور الاعصار محبة في القلوب وحسنا والذي
يلوح من سر ذلك كثرة اسراره وغموضها التي لا يطلع عليها الا الافراد مع كونه في غاية من فصاحة الالفاظ
وعذوبة المسمع فاما ما حكاه من سؤاله رسول الله صلعم وجواب الرسول له فقد روى كثير من المحدثين عنه
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال
فقلت يا رسول الله وما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله
واني رسول الله وهم مخالفون لسنتي فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما اشهد قال
على الاحداث في الدين ومخالفة الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسأل الله ان
يعجلها لي بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين اما اني وعدتك الشهادة وستشهد
تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر
قال اجل اصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا فقال ان امتي ستفتن
من بعدي فيتأول القرآن ويعمل بالرأي ويستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع ويحرف
الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليك الصدور
وقلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية دون حالهم
الاولى فقلت يا رسول الله فبأي المنازل انزل هؤلاء المفتونين ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة
فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يا رسول الله ايدركهم العدل منا ام من غيرنا قال بل منا بنا
فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلف القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب
لنا من فضله وليس في هذا الفصل غريب ينبه عليه سوى قوله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن الشكر

فالك علمت فيما سلف ان الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية لسالك الى الله تعالى لكن علمت
ان مقام الشكر ارفع من مقام الصبر ولما كان هو عليه السلم سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه
وآله لا جرم كان اولى من صدرت عنه هذه الاشارة فاما اخبار الرسول صلى الله عليه وآله بان الناس
سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته وساير ما اخبر به الى قوله
بالسيف فكل ذلك مشهور في زماننا وقبله بقرون واما كون ذلك منزل فتنة لا منزل ردة فلتبقيهم على
الاقرار بالشهادتين وان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا الشبه عظمت على امين لصايرهم وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله ودليلاً على آلائه
وعظمته عباد الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى سرمداً ما فيه
آخر فعاله كأوله متشابهة اموره متظاهرة اعلامه فكأنكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل
نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في طغيانه وزينت له
سيء اعماله فالجنة غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن عزيز
والفجور دار حصن ذليل لا يمنع اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين تدرك
الغاية القصوى عباد الله الله الله في اعز الانفس عليكم واحبها اليكم فان الله تعالى قد اوضح سبيل
الحق وانار طرقه فشقوة لازمة او سعادة دائمة فتزودوا في ايام الفناء لايام البقاء فقد دللتم
على الزاد وامرتم بالظعن وحثثتم على المسير فانما انتم كركب وقوف لا تدرون متى تؤمرون بالمسير
الا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه وتبقى عليه تبعته وحسابه عباد الله
انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الاعمال
ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال اعلموا عباد الله ان عليكم رصداً من انفسكم وعيوناً من جوارحكم
وحفاظ صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج
وان غداً من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقاً به فكأن كل امرئ منكم قد بلغ من
الارض منزل وحدته ومخط حفرته فيا له من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكأن الصيحة
قد اتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل واضمحلت عنكم العلل
واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر

اقول الشول النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من نتاجها سبعة اشهر الواحدة
شائلة على غير قياس والارتباك الاختلاط وحمة العقرب ابرتها وهي محل سمها والرتاج الغلق وقد
حمد الله تعالى باعتبارات احدها جعله الحمد مفتاحاً لذكره في عدة سور الثاني كونه سبباً للمزيد من فضله
والمراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وقد عرفت اعداده لزيادة النعم الثالث
ودليلاً على الآية لاختصاص الشكر بوصول النعم وعلى عظمته لاختصاصه باستحقاق ذلك لذاته اذ هو
مبدأ لكل نعمة ولان الحمد لا ينبغي الا له ثم اخذ في الموعظة فنبه السامعين على جعل الدهر بالماضين ليتذكروا

انهم

انهم اشباههم ولاحقون بهم فيتفقدوا من خيتهم ويعملوا لما بعد الموت ثم نبه على حاله في تقضيه بان كل وقت
مضى منه لا يعود واذ كل وقت منه له اهل وتمتع من الدنيا انما يكون في الوجود بوجود ذلك الوقت
وظاهر انه ينقضي بتقضيه ولا يبقى سرمداً ما فيه وان آثاره متشابهة آخرها كاولها اي يوجد ما يكون بامداد
وقت منه بوجود ذلك الوقت وينقضي بانقضائه فحاله دائماً على وتيرة واحدة وكذلك قوله متشابهة اموره
فانه كما كان اولاً يعد قوماً للفقر وقوماً للغنى وقوماً للضعة وقوماً للرفعة وقوماً للوجود واخرين للعدم كذلك
هو آخراً وقوله متظاهرة اعلامه اي دلالاته على شيمته وطبيعته وافعاله التي يعامل الناس بها ظاهرة او
عديها معاضدة يتبع بعضها بعضاً ونسبة هذه الامور الى الدهر جرياً على ما في اوهام العرب وان كان
الفاعل هو الله تعالى وانما الدهر من الاعداد كما سبق ثم نبه على قرب الساعة وشبه حدوها اي سوقها لهم
بسوق الزاجر لنوق في حثه لها وقد عرفت كيفية ذلك السوق ووجه الاستعارة ونحو قوله وان الساعة
من ورائكم تحدوكم فاما وجه الشبه فهو السرعة والحث وانما خص الشول من النوق لخلوها من الاثقال فيكون
سوقها بعنف واسرع ولما نبههم على قربها وانها تحدوهم نبههم على وجوب اشتغال كل نفس اذ كان المشتغل
نفسه بغير نفسه غير محصل لنور يهتدي به في ظلمات طريق الآخرة بل انما يحصل على اغطية وغشية من الهيئات
البدنية المكتسبة عما اشتغل به من تمتع الدنيا والعمل لها وعلمت ان تلك الاغطية مغشية لنور البصيرة
فلا جرم يتحير في تلك الظلمات ويرتبك في مهالك تلك الطريق ومغاويها وتمد به شياطينه ونفسه
الامارة في طغيانه وتزين له سيئ اعماله ثم ذكر غاية وجود الانسان فخص الجنة بالسابقين والنار
بالمفرطين وقد كان ذكر الجنة كافياً في الجذب اليها والنار كافياً في الجذب عنها فقرن ذكر الجنة بذكر
فضيلة السبق وذكر النار برذيلة التفريط ليقوى الباعث على طلب اشرف الغايتين والهرب من
اخسهما وايضاً فلان السبق والتفريط علتان للوصول الى غايتيهما المذكورتين فهدى الى طلب احدهما
والهرب من الاخرى بذكر سببيهما ثم عاد الى التنبيه على فضيلة التقوى واستعار لفظ الدار الحصينة
التي تحرز من تحصن بها ووجه الاستعارة كونها تحصن النفس اما في الدنيا فمن الرذائل الموبقة المقتضية
الموجبة لكثير من الهلكات الدنيوية واما في الآخرة فمن ثمرات الرذائل وملكات السوء المستلزمة للعذاب
الاليم ثم على رذيلة الفجور وهو طرف الافراط من فضيلة العفة واستعار لفظ الدار بقيد كونها حصناً
ذليلاً ووجه الاستعارة كونه مستلزماً لضد ما استلزم التقوى ويجب ان تخص التقوى هنا بفضيلة
القوة البهيمية وهي العفة والزهد لمقابلة الفجور للعفة ثم نبه على فضيلة اخرى للتقوى وهي كونها قاطعة
لحمة الخطايا ولفظ الحمة مستعار لها باعتبار كونها اسباباً مستلزمة للاذى في الآخرة كما يستلزم ابرة
العقرب ادمتها للاذى ومن روى حمة مشددة اراد شدة الخطايا وبأسها لان حمة الحر معظمه وظاهر
كون التقوى قاطعاً لباس الخطايا وماحياً لآثارها ولما اشار الى كون التقوى حاسماً لمادة الخطايا
وكان بذلك اصلاح القوة العملية اشار الى ان اليقين الذي به اصلاح القوة النظرية سبب لادراك
الغاية القصوى فان الانسان اذا حصل على كمال القوة النظرية باليقين وعلى كمال القوة العملية بالتقوى

بلغ الغاية القصوى من الكمال الانساني ثم عقب بتحذير السامعين من الله تعالى في اعزاز نفس عليهم وايجابها اليهم وفي
الكلام اشارة الى ان للانسان نفوسا متعددة وهي باعتبار مطمئنة وامارة بالسوء ولوامة وباعتبار عاقلة وشهوية
وغضبية والاشارة الى الثلث الاخيرة وانفسها النفس العاقلة اذ هي الباقية بعد الموت ولها الثواب وعليها
العقاب وجنا الوصية وغاية هذا التحذير حفظ كل نفسه عما يوبقها في الآخرة وذلك بالاستقامة على سبيل الله
ولذلك قال فقد اوضح لكم سبيل الحق وابان طرقه وروى وانار طرقه اي بالآيات والنذر ثم نبه على
ان سبيل الحق وسبيل الباطل بقوله فشقوة لازمة او سعادة دائمة ثم عاد الى الحث على اتخاذ الزاد بعد
ان ذكر التقوى شبهها على ان الزاد هو التقوى كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وايام الفناء
ايام الحيوة الدنيا وايام البقاء الحال التي بعد الموت ودلالتهم على الزاد في الآية التي دلهم الله تعالى بها عليه وامرهم
بالظعن كقوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية وقوله ففروا الى الله وبالجملة فكل امر بالاعراض
عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم للحث على الظعن والامر بالمسير عن الدنيا بالقلوب لان الظعن هاهنا
قطع درجات المعارف والاعمال في سبيل الله وصراط المستقيم والمسير هنا ويحتمل ان يريد بالحث
على المسير حث الليل والنهار بتعاقبهما على الاعمار فهما سائقان حثيثان عنيفان ثم شبههم لسوقهما على اتخاذ
الزاد لما يسوقان اليه وقوله وانما انتم كركب الى آخره فوجه التشبيه ظاهر فالانسان هو النفس والمطايا
هي الابدان والقوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي والعقلي والسير الذي ذكره قبل الموت
هو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية واما السير الثاني
الذي هم وقوف ينتظرون ولا يدرون متى يؤمرون به فهو الرحيل الى الآخرة من دار الدنيا وطرح البدن
وقطع عقبات الموت والقبر اذ الانسان لا يعرف وقت ذلك ووجه تنبيهه لك من سر هذا الكلام ان
قرن الظعن مع قوله لا تدرون متى تؤمرون بالسير غير متناقض كما ظنه بعضهم ثم اخذ في تزهيد الدنيا
والتنفير عنها بذكر ان الانسان غير مخلوق لها بل لغيرها ومقتضى العقل ان يعمل الانسان لما خلق له وفي
تزهيد المال بتذكير سلبه عن قليل بالموت وبقاء الحساب عليه وتبعاته من عقارب الهنات الحاصلة بسبب
محبته وجمعه والتصرف الخارج عن العدل فيه لا سيما لمقتنيه ثم عقب بالترغيب في وعد الله بانه ليس منه
ترك اي ليس منه عوض وبدل في النفاسة وبالتنفير عما نهى الله عنه بكونه لا مرغب فيه اي ليس فيه مصلحة
ينبغي ان يجعلها العاقل غاية مقصودة له اذ هو تعالى اعلم بالمصالح فلا يليق بجوده ان ينهى العبد عما فيه مصلحة
راجحة ثم عقب بالتحذير من يوم الوعيد ووصفه بالصفات التي باعتبارها يجب الخوف منه والعمل له
وهي فحص الاعمال فيه ونقاش الحساب فيها كقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون وظهور الزلزال كقوله تعالى
اذا زلزلت الارض زلزالها وشيب الاطفال كقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا واعلم ان هذه
الصفات في يوم القيمة ظاهرة في الشريعة وقد سلط التأويل عليها بعض من تحذلق فقال اما الفحص عن الاعمال
فيرجع الى احاطة اللوح المحفوظ بها وظهورها للنفس عند مفارقتها البدن او الى انتقاش النفوس بها
كما تقدم شرحه كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية واما ظهور الزلزال فيحتمل ان يريد التغير

الذي

الذي لا بد منه والاضطراب العارض للبدن عند مفارقة النفس والتشويش لها ايضا على ما تقدم من الاشارة
الى ان الدنيا هي مقبرة النفوس واجداثها واما شيب الاطفال فكثيرا ما يكنى بذلك عن غاية الشدة يقال هذا
امر يشيب فيه النواصي ويهرم فيه الاطفال اذا كان صعبا ولا اصعب على النفس من حال المفارقة وما بعدها
ثم عقب بالتحذير من المعاصي بالتنبيه على الرصد القريب الملازم واشار بالرصد الى الجوارح كما قال تعالى يوم
تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الآية
والشهادة هنا بلسان الحال والنطق به فان كل عضو لما كان مباشر الفعل من الافعال كان حضور ذلك العضو
ما صدر عنه في علم الله تعالى منزلة الشهادة القولية بين يديه والكد في الآثار واشار بحفاظ الصدق الى الكرام
الكاتبين وقد سبقت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وظاهر كونهم الستر منهم ساترا ثم بالتحذير بقرب غد
وكنى به عن وقت الموت ثم بلفظ منزل الوحدة وكنى به عن القبر ووصفه باوصاف الموحشة المنفرة المستلزمة
لعمل للحلول وما بعده ثم بالصيحة وهي الصيحة الثانية ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون
والنفخة الثانية من نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم بالفزع الاكبر والبروز لفصل القضاء وهو حال
استحقاق كل نفس ما لا بد لها منه من دوام عذاب او دوام نعيم بحكم القضاء الالهي وذلك بعد زوال الهيئات
الباطلة الممكنة الزوال من النفوس التي لها استكمال بما لحقها مما لها واضمحلال العلل الباطلة للنفوس
واستحقاق الحقائق بالحق ورجوع كل امرئ الى ثمرة ما قدم ثم عاد الى الموعظة الجامعة الكلية فامرنا بالاتعاظ
بالعبر وكل ما تقدم شبهها على احوال الآخرة فهو عبرة وبالاعتبار بالغير وهي جمع غيرة فلا من التغير والاعتبار
طرق الاتعاظ والانزجار بالانتفاع بالنذر جمع نذير وهو اعم من الانسان بل كل امر افاد تخويفا باحوال
الآخرة فهو نذير والانتفاع به حصول الخوف عنه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** ارسله على حين
فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك
القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم ما ياتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم
ونظم ما بينكم **اقول** الهجعة النومة والمبرم الحبل المحكم الفتل وثمرة الفصل التنبيه على فضل الرسول صلى الله عليه وآله
والفترة الزمان بين الرسولين وكنى بالهجعة من الامم عن رقدتهم في مراقد الطبيعة ويوم الغفلة عما خلقوا لاجله
في مدة زمان الفترة واشار بالمبرم الى ما كان الخلق عليه من نظام الحال بالشرائع السابقة وابرام
امورهم بوجودها وانتقاضه فساد ذلك النظام بتغير الشرائع واضمحلالها والذي صدقه بين يديه والتورية
لفظ النور للقرآن ووجه الاستعارة ظاهر ثم امر باستنطاقه وفسر ذلك الاستنطاق باستماع خبره
عنه اذ هو لسان الكتاب والسنة وكرر اوهامهم التي هي فتشكر امره باستنطاقه بقوله فيه علم ما ياتي ونبه
على ما فيه من علم الاولين وحديث عن القرون الماضية وعلم ما ياتي من الفتن واحوال القيمة وان فيه دواء
دائهم وذلك الداء هو الرذائل المنقصة ودواء ذلك الداء هو لزوم الفضائل العلمية والعملية التي اشتمل
عليها القرآن الكريم ونظام ما بينهم اشارة الى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعية والحكم السياسية التي بها
نظام العالم واستقامة اموره **منه** فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا وادخله الظلمة ترحة واولجوا

عيشهم حتى يكونوا كما قيل لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الارض ناصر اصفيتم بالامر غير اهله واوردتموه غير مورده وسينتقم الله ممن ظلم ماكلا بماكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم ومشارب الصبر والمقر ولباس شعار الخوف ودثار السيف وانما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام فاقسم ثم اقسم لتنخمنها امية من بعدي كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها ابدا ما كر الجديدان **اقول** الترح الحزن والمقر المر والزاملة الجمل يستظهر به الانسان في حمل متاعه وتنخمت النخامة لفظتها وسياق الكلام الاخبار عن حال بني امية وما يحدث في دولتهم من الظلم وكنى ببيت المدر والوبر عن البدو والحضر وعن استحقاقهم عند فعلهم ذلك للتغيير وزوال الدولة بعدم العاذر في السماء والناصر في الارض ثم عقب بتوبيخ السامعين على اصفائهم بامر الخلافة غير اهله والخطاب عام خص العقل بجزئه راضي بدولة معوية ودولة بنيه وربما لحق من تقاعد عن القيام معه في قتال الظالم فقتاله مستلزم لقوته وجار مجرى نصرته واعانته على ظلمه وان لم يقصد القاعد عنه ذلك ثم اخبر ان الله سينتقم منهم وما كلا ومشربا منصوبان بفعل مضمر والتقدير ويبدلهم ماكلا بماكل واستعار لفظ العلقم والصبر والمقر لما يتجرعونه من شدائد القتل واهوال الحرب ومرارات زوال الدولة وكذلك لفظ الشعار للخوف ورشح بذكر اللباس ولفظ الدثار للسيف ووجه الاستعارة الاولى ظاهر ووجه الثانية ملازمة الخوف لهم كملازمة الشعار للجسد ولقد قال بعض الشارحين انه انما خص الخوف بالشعار لانه باطن في القلوب والسيف بالدثار لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار ما كان يلي الجسد والدثار ما كان فوقه واستعار لهم لفظ المطايا والزوامل ووجه الاستعارة حملهم للآثام واشار بلفظ انما اشارة الى ان جميع حركاتهم وتصرفاتهم على غير قانون شرعي فيكون خطيئة واثاما ثم اقسم لتنخمنها امية من بعده فاستعار لفظ التنخم لزوال الخلافة منهم وكانهم قاوها وقذفوها من صدورهم ملاحظة لشبهها بالنخامة وكنى بعدم ذوقها وتطعمها عن عدم رجوعها اليهم وما هنا بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار وكنى بذلك عن الابد وهو اخبار منه عما سيكون وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله اخبار بني امية تملك الخلافة بعده مع ذم منه لهم نحو ما روي عنه عليه السلم في تفسير قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن قال المفسرون تلك الرؤيا انه رأى بني امية ينزون على منبره نزو القردة وهذا اللفظ فسر عليه السلم الآية وساه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو امية وبنو المغيرة وروي عنه انه قال اذا بلغ بنو ابي العاص ثلثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا وكما روي عنه في تفسير قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال الف شهر يملك فيها بنو امية ونحو قول البغض الاحياء الى الله الحكم وهشام والوليد الى غير ذلك **ومن خطبة له عليه السلم** ولقد احسنت جواركم واحطت بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا مني للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير **اقول** احاطته بجهده من ورائهم اشارة الى حفظه وحراسته لهم واعتاقهم من ربق الذل وحلق الضيم حمايته من عدوهم واعزازهم به ثم نبههم على شكره القليل من برهم اي مقدار طاعتهم له وتغافله واطراقه عن كثير منكرهم مما شاهده منهم بالمسامحة والعفو فان

بلغ

فكيف يجوز ان يسكت عن انكار المنكر مع قدرته قلت يحمل ذلك منه على عدم التمكن من ازالته باللطف والقهر لجواز ان يستلزم ذلك مفسدة اكبر مما هم عليه من المنكر وظاهر انهم غير معصومين ومحال ان يستقيم دولة او يتم ملك بدون الاحسان الى المحسنين من الرعية والتجاوز عن بعض المسيئين وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة يقضي بعلم ويعفو بحلم اللهم لك الحمد على ما تاخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل الحمد عندك صح اللهم لك الحمد حمدا يملا ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حي قيوم لا تاخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت الابصار واحصيت الاعمال واخذت بالنواصي والاقدام وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت عرشك وكيف ذرات خلقك وكيف علقت في الهواء سمواتك وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه والها وفكره حائرا **اقول** امره هو حكم قدرته الالهية وكونه قضاء كونه حكما لازما يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام الاكمل ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له وفق امره ونهيه وقوله يقضي بعلم اعادة لمعنى قوله امره قضاء وحكمة يجري مجرى التفسير له وقوله يعفو بحلم فالعفو يعود الى الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب وانما يتحقق العفو مع تحقق القدرة على العقاب اذ العاجز لا يسمى عفوا فلذلك قال يعفو بحلم ثم عقب بخطاب الله بالاعتراف بنعمته والحمد له باعتبار ضروب من السراء والضراء اشارة الى حمده على كل حال وهي الاخذ والاعطاء والعافية والابتلاء ثم باعتبار كيفيته وهو كونه ارضى الحمد له واحبه اليه وافضله عنده اي اشده وقوعا على الوجه اللائق المناسب لعظمته ثم باعتبار كميته وهو كونه يملا ما خلق ويبلغ ما اراد وكونه لا يحجب عنه ولا يقصر دونه ثم باعتبار مادته وهو كونه لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده وقد يكون التفصيل في القول في بعض المواضع ابلغ وقعا في النفوس والذ وقد يكون الاجمال والاختصار انفع وابلغ ثم شرع في الاعتراف بالعجز عن ادراك كنه عظمته وفي بيان وجه معرفة الممكنة للخلق وهي اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات السلبية او الاضافية واشار الى الاعتبارات الثلثة فكونه حيا قيوما اشارة الى الصفات الحقيقية وقد عرفت انها تستلزم الوجود اذ كل حي موجود والقيوم هو القايم بذاته المقيم لغيره وكل قايم بذاته فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تاخذه سنة ولا نوم ولا ينتهي اليه نظر عقلي او بصري ولا يدركه بصر اعتبارات سلبية وكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال آخذا بالنواصي والاقدام اي محيط القدرة بها اعتبارات اضافية ثم عاد الى استحقار ما عدده مما ادركه بالنسبة الى ما لم يدركه من عظيم ملكوته وما في قوله وما الذي استفهامية على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه وما الثانية في قوله وما يغيب عنا منه بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو في فما للحال ثم عقب بالحكم على من فرغ قلبه واعمل فكره ليصل الى كنه معرفته وكيفية نظامه للعالم الاعلى والاسفل برجوع كل من آلات ادراكه حسيرا مقهورا عن ادراك ما كلفه من ذلك وقد سبقت الاشارة الى براهين هذه الاحكام غير مرة وبالله التوفيق **منها** يدعي بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم

ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا عرف رجاؤه في عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف
محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله في الكبير ويرجو العباد في الصغير فيعطي العبد ما لا يعطي الرب فما بال
الله عز وجل يقصر به عما يصنع لعباده اتخاف ان تكون في رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا
وكذلك ان هو خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقه
ضمارا ووعدا وكذلك من عظمت الدنيا في عينه وكبر موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها
ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها
ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها وفطم من رضاعها وزوي عن زخارفها وان شئت
ثنيت بموسى كليم الله اذ يقول رب اني لما انزلت الي من خير فقير والله ما سأله الا خبزا يأكله لانه كان يأكل
بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت
بداود عليه السلم صاحب المزامير وقارئ اهل الجنة ولقد كان يعمل سفايف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم
يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت في عيسى بن مريم عليه السلم فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن
وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه
ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله دابته رجلاه وخادمه
يداه فتأس بنبيك الاطهر صلى الله عليه وآله فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله
المتأسي بنبيه والمقتص لاثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا اهضم اهل الدنيا كشحا واخمصهم من الدنيا
بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله ابغض شيئا فابغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا
فصغره ولو لم يكن فينا الا حبنا ما ابغض الله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن امر الله
ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه
ويركب الحمار العاري ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فيكون فيه التصاوير فيقول
يا فلانة لاحدى ازواجه غيبيه عني فاني اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا
بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا
ولا يرجو فيها مقاما فاخرجها من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئا
ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوي
الدنيا وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله
محمدا بذلك ام اهانه فان قال اهانه فقد كذب والعظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث
بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص اثره وولج مولجه والا فلا
يأمن الهلكة فان الله تعالى جعل محمدا صلى الله عليه وآله علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من
الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله
عندنا حين انعم به علينا سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها

(هامش: فلقد كان ح — الاطيب — والله العظيم بالافك العظيم ح)

ولقد

ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى **اقول** المدخول
الذي فيه شبهة وريبة وكذلك المعلول الغير الخالص والضمار الذي لا يرجى من الموعود والمقتص للاثر اي
المتبع له والقضم الاكل باطراف الاسنان والهضم الخميص لطفا الاكل والمحادة المعاداة والرياش الزينة والمدرعة
الدراعة واغرب اي تباعد وسياق الكلام يقتضي ذم من يدعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيهه ان رجاءه ليس
بخالص بتكذيبه وبيان تقصيره في العمل فقوله يدعي بزعمه انه يرجو الله ذكر صورة الدعوى الحالية او المقالية
وقوله كذب والعظيم رد لتلك الدعوى مؤكدا بالقسم البار وانما قال والعظيم دون الله لان ذكر العظمة هنا
انسب للرجاء وقوله ما باله الى قوله عرف رجاؤه في عمله قياس من الشكل الثاني ينتج فيه انه غير راج وتلخيصه
ان هذا المدعي لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا تبين رجاؤه في عمله فينتج ان هذا المدعي للرجاء غير راج
ومراده الرجاء التام الذي يجتهد في العمل له ولذلك قال الا رجاء الله فانه مدخول فيه فيه بأن دخلته وجوه
الا انه غير خالص وبيان الدليل ان كل من رجا امرا من سلطان او غيره فانه يخدمه الخدمة التامة ويبالغ
في طلب رضاه ويكون عمله له بقدر قوة رجائه له وخلاصه ونرى هذا المدعي للرجاء غير عامل فيستدل بتقصيره
في الاعمال الدينية على عدم رجائه الخالص في الله وكذلك قوله وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول توبيخ
للسامعين في رجاء الله وقطع تقصيرهم في الاعمال الدينية وتقدير الاستثناء الاول مع المستثنى منه وكل رجاء
لراج يعرف في عمله اي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه الا رجاء الراجي لله فانه غير خالص ومردود وكل رجاء
الا رجاء الله فانه مدخول والتقدير وكل رجاء محقق او خالص لتطابق الكلمتين على مساق واحد وفيه على
الاضمار في الكلية الاولى قوله في الثانية محقق فانه يفسر المضمر هناك وقوله يرجو الله في الكبير الى قوله يعطي
الرب في قوة قياس ضمير صغراه فهو يرجو الى قوله الصغير وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يعطي الله
الذي هو ربه من رجائه والعمل له ما لا يعطي المخلوقين الذين هم عباده والصغرى مسلمة فان الحس يشهد بالكثرة
اعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبة الى اعمالهم لما يرجونه من الله تعالى واما الكبرى فبيانها ان المقرر
في الفطر ان المرجو الاكبر يستدعي ما يناسبه مما هو وسيلة اليه كمية وكيفية وقوله فيعطي العبد ما لا يعطي
الرب نتيجة للكبرى وقوله فما بال الله الى قوله بعباده توبيخ وتشنيع على من يخالف العمل بالنسبة المذكورة
وقوله اتخاف الى قوله موضعا استفسار عن علة التقصير المذكور في الرجاء لله والعمل له بالنسبة الى رجاء
العباد والعمل لهم استفسارا على سبيل الانكار والتقريع لها فما سواه يدعي من احد العلتين المذكورتين وهما
خوف الكذب في رجاء الله او ظنه غير اهل للرجاء والاول جهل عظيم لزم عن التقصير في معرفة الله والثاني
كفر صراح وانما خص هاتين العلتين بالذكر لانهما المشهورتان في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض او ضعفه و[illegible]
في حق الله تعالى ظاهر فانه تعالى الغني المطلق الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته فان العبد اذا استعد بقوة الرجاء
والعمل لما يرجوه منه وجب افاضته بجوده عليه ما يرجوه فلا يكذب رجاؤه وهو الله تعالى الموضع التام له
وقوله وكذلك ان هو خاف الى قوله يعطي ربه قياس ضمير استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف من الله
بالنسبة الى خوفه من بعض عبيده والضمير في عبيده لله وفي خوفه للخائف ويحمل عوده الى العبد والملازمة

في الشرطية ظاهرة وكبرى القياس استثنائية المقدم لينتج عين التالي وقوله فليقل الى قوله وعدا تجريح وتشنيع على من زعم
ذلك الاحتجاج وان من اليقين المشهور ان يكون خوفه من عبد مثله نقدا حاضرا وخوفه من خالقه وعدا غير حاضر وقوله
ولكن من عظمت الدنيا الى آخره اشارة الى علة ايثار الناس لمحبة الدنيا على ما عند الله مما وعد به وانقطاعهم اليها
وصيرورتهم عبيدا لها وذكر جزء العلة القريبة وهو عظم الدنيا في اعينهم وتمام هذه العلة حقارة ما تصوروه
من الوعد الاخروي بالنسبة الى الدنيا وعلة هذه العلة هو تصورهم للذات العاجلة كما هي وحسنوية اللذات
الموعودة وتصورها الضعيف بحسب الوصف الذي غايته ان يوجب في اذهانهم مشابهة ما وعدوا به لما حضر
لهم الآن فلذلك كانت العاجلة اعظم في نفوسهم واكبر وقعا في قلوبهم ولذلك آثروها وانقطعوا اليها مستعبدين
وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا والجذب عنها الى الرغبة فيما وعد الله ولذلك عقب بالتنبيه على ترك الدنيا
من الرسول صلى الله عليه وآله وساير الانبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق واعراضهم عنها وشكوتهم
محل الاسوة الكافية لهم في ذلك وهو كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الآية والدليل التام
على ذمها وخبثها وكثرة مساويها ومخازيها واشار بقوله اذ قبضت عنه اطرافها الى مقدمة من مقدمات الدليل
على حقارتها وخبثها وذلك الى قوله وخادم بيده وقبض اطرافها عنه كناية عن منعها عنه بالكلية لعدم استعداده
لها وقبوله اياها وتوطئة جوانبها لغيره كناية عن اعطائها اياه وتذليلها له كالملوك واستعار لفظ الفطم منعه منها
ولفظ الرضيع لما لاحظه من شبهها بالام والابن ووجه المشابهة ظاهر والذي ذكره عليه السلام والد
ما سال الاجزاء هو تفسير الآية ولفظ الادام للجوع والسراج للقمر والظلال لمشارق الارض ومغاربها
والفاكهة والريحان لما ينبت الارض والدابة لرجليه والخادم ليديه ووجه الاول ما اشار اليه حضرته عليه السلام
من ما روي الاثار التي يزمر بها في الحسن روي ان الوحش والطير كانت تقع عليه حال القراءة في محرابه
لاستغراقه في لذة صوته ونغمته ووجه الثانية قيام بدنه عليه السلام بالجوع كقيامه بالادام ووجه الثالثة تركه
القمر سراجا في الضوء ووجه الرابعة استتاره عن البرد بالمشارق والمغارب كاستتاره بالظلال ووجه
الخامسة التذاذه وقوته وتتمة بما ينبت الارض كالتذاذه بالفاكهة والريحان ووجه السادسة والسابعة
قيام اشتغاله برجليه ويديه كقيامه بالدابة والخادم وبالجملة فحال الانبياء المذكورين سلام الله عليهم اجمعين
في التقشف وترك الدنيا والاعراض عنها ظاهر معلوم بالتواتر فاما كون داود قاري اهل الجنة كما ورد
في الخبر فلان كل امر حسن ينسب الى الجنة في العرف او لانه مع حسنه جاذب الى الجنة وداعي الى الله
تعالى ولما وصف حالهم عاد الى الامر بالتاسي بالرسول صلى الله عليه وآله لانهم المامورون بوجوب الاقتداء به
مطلقا وفيه الاسوة الكافية لمن تأسى به ولانه اقرب عهدا ممن سبق وحث على التأسي به بكون المتاسي به
المقتص لاثره احب العباد الى الله وذلك من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم
عاد الى اقتصاص حاله صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا والاقتصار منها على قدر الضرورة ليتبين ما يكون فيه
التاسي به وكنى عن ذلك بقضمها ثم كنى عن عدم التفاته اليها بعدم اعارتها طرفه وعن كونه اقل الناس شبعا
منها والتفاتها الى ماكلها ومشاربها بكونه اهضمهم خاصرة وبطنا روي عنه عليه السلام انه كان اذا اشتد

جوعه يربط حجرا على بطنه وبعبارة المشبع مع ملكه قطعة واسعة من الدنيا وروي انه ما شبع آل محمد من خبز بر وان
فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يجوعون على اقراص من الشعير كانوا يعدونها لافطارهم وربما آثروا بها السائلين
وطووا كما روي انهم فعلوا ذلك ثلث ليال طووا فيها حتى كان ذلك سبب نزول سورة هل اتى في حقهم
كما هو المشهور في التفسير واما قوله وعرضت عليه فابى ان يقبلها فكما ورد عنه صلى الله عليه وآله انه قال
عرضت على كنوز الارض ودفعت الي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الآخرة وقوله وعلم ان الله
ابغض شيئا الى قوله فصغره فبغض الله لها عدم ارادتها ولتابة دارا واشارة الى انها مقصودة بالعرض
وتحقيرها وتصغيرها بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة ثم نفر عن محبتها بعد ان اشار الى بغض الله لها وتصغيره
اياها بحجة اقترانية تلخيص منها قياس هكذا اقل معايبنا محبتنا لما ابغض الله وتعظيمنا لما صغر وكل محبة وتعظيم
كذلك فكفى به شقاقا ومحادة عن امره فينتج ان اقل ما فينا من المعايب يكفينا في مشاقة الله ومحادته ثم اردف
ذلك بتمام اوصافه في ترك الدنيا والتخلف لها فقوله ولقد كان ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد كما
روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال انما انا عبد آكل اكل العبيد واجلس جلسة العبيد وغاية ذلك هو التواضع
وكذلك غاية خصف نعله بيده وترقيع ثوبه بيده وركوبه للحمار العاري وارداف خلفه واما امره بتغييب
التصاوير محافظة من حركة الوسواس الخناس وكان الانبياء عليهم السلام كانوا كاسرين للنفس الامارة بالسوء
وقاهرين لشياطينهم كانوا ابدا متحاجين الى مراعاتهم ومراقبتهم وتفقد احوال نفوسهم في كل لحظة وطرفة فانها
كالصبي المخادعين لنفوس المطمئنة متى تركت وغفل عن قهرها وانحفظ منها عادت الى طباعها وقوله فاعرض
عن الدنيا بقلبه الى قوله وان تذكر عنده اشارة الى الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن
النفس وما قبله من الاوصاف اشارة الى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجية عنه ثم عاد الى التذكير
بالمقدمة السابقة للدليل على حقارة الدنيا وخبثها فاعاد ذكر جوعه هو وخاصته من اهل بيته مع عظيم زلفته
ورفعة منزلته عند الله وازوائها عنه ولما ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله فلينظر ناظر
الى قوله اقرب الناس اليه وهو بقياس شرطي متصل مقدمه حملية وتاليه قضية شرطية منفصلة ملخصه
اذا كان محمد صلى الله عليه وآله جاع في الدنيا مع خاصته وزوى الله عنه زخارفها مع عظيم زلفته
منه فلا يخلو حاله به ذلك اما ان يكون اكرامه او اهانة له والقسم الثاني ظاهر البطلان اذ ثبت انه
صلى الله عليه وآله احب خواص الله واذا كان احقر ملك في الدنيا لا يقصد باحد من خاصته اذا كان
مطيعا له اهانة فكيف يقصد ذلك من جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة واحكم الحكماء وارحم الرحماء
في حق اخص خواصه واشدهم طاعة له واجل ومع ذلك اقتصر على تكذيب من قال به واكده بالقسم
البار واما القسم الاول وهو انه اكرمه بذلك فمن المعلوم ان الشيء اذا كان عدمه اكراما وكان
وجوده نقصا واهانة فكان وجود الدنيا في حقه عليه السلام وازواؤها عنه مع قرب منزلته اهانة لذلك
الغير وذلك يستلزم حقارتها وبعث العاقل على النفار عنها ثم عاد الى الامر بالتاسي به صلى الله عليه وآله
في ترك الدنيا تاكيدا لما سبق بعد بيان وجوه التاسي وهو امر في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على ان

الميل اليها محل المكلف فمن لم يتاس بالنبي صلى الله عليه وآله في اخراجه الدنيا وخالفه في الميل الى شيء منها لم يامن الهلكة
اذ قد عرفت ان حب الدنيا راس كل خطيئة وهي الجاذبة عن درجات دار النعيم الى دركات دار الجحيم وقوله
فان الله جعل محمدا الى قوله داعيا بربه صورة احتجاج على قوله والا فلا يامن الهلكة وتقريره ان الله تعالى جعله علما
للساعة وامارة على قربها ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة واطلعه على احوال الآخرة ثم خرج من الدنيا بهذه الحال
المعدودة المستلزمة للفرار منها والبغض لها والحذر منها فلم يكن الركون اليها والارتكاب لضد هذه الاحوال
مما مظنة الهلكة لكن النبي صلى الله عليه وآله خرج منها ولم يركن اليها لكنه فر عنها فكانت مظنة الهلكة فوجب التاسي به
في الفرار منها والا لم يامن من لم يتاس به الهلكة فيها وروي علما للساعة بكسر العين وهو مجاز اطلاقا لاسم المسبب
على السبب اذ هو صلى الله عليه وآله سبب للعلم بالساعة وكنى بوضع الحجر على الحجر عن البناء ثم عقب بتعظيم منة الله تعالى
على الناس حين انعم عليهم به سلفا يتبعونه وقائدا يقتفون اثره واردف ذلك بذكر بعض احواله التي هي به
عليه السلم فيها من ترك الدنيا والاعراض عن الاستمتاع بها الى غاية ترقيع مدرعته حتى استحيا من راقعها وقول
من قال له الا تنبذها وتجتنبها وجوابه بالحسن وقوله عند الصباح يحمد القوم السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل
الى الراحة واصله ان القوم يسيرون في الليل فيحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل اذا اصبحوا ومطابقه
الصباح لمفارقة النفس البدن او لها عراضها عنه واتصالها بالملأ الاعلى بسبب ملكاتها بانسة الكاملة واشراق
انوار العالم العلوي عليها التي عنده يحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدايدها
مطابقة ظاهرة واضحة موضحا وروي انه سئل عليه السلم لم رقعت قميصك فقال يخشع له القلب ويقتدي بها
المومنون ومما نقل من زهده عليه السلم ما رواه احمد في مسنده عن ابي النوار بياع الكرابيس بالكوفة قال جاءني علي بن ابي
طالب عليه السلم الى السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين وقال لغلامه اختر ايهما شئت فاخذ
احدهما واخذ علي الآخر ثم لبسه ومد يده فوجد كمه فاضلا فقال اقطع الفاضل فقطعه ثم كفه وذهب وروي
احمد ايضا قال لما ارسل عثمان الى علي وجده موتزرا بعباءة محتجزا بعقال وهو يهنأ بعيرا له اي يطليه بالقطران
وهذا المثال والاخبار في ذلك كثيرة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** ابتعثه بالنور المضيء والبرهان
الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة
مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية
اظهر به الشرايع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام دينا تتحقق شقوته
وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل واتوكل على الله توكل الانابة
اليه واسترشده السبيل المودية الى جنته القاصدة الى محل رغبته اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته فانها
النجاة غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها
فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوان الله فغضوا عنكم عباد الله
غمومها واشغالها لما قد ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها فاحذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح
واعتبروا بما قد رايتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت اوصالهم وزالت اسماعهم وابصارهم وذهب

شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم ونعيمهم فبدلوا بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا يتفاخرون
ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر
بعقله فان الامر واضح والعلم قائم والطريق جدد والسبيل قصد **اقول** اسم طابة وطيبة المدينة و
طابة اسم المدينة سماها به رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان اسمها يثرب وروي ان يزيد بن معوية سماها
خبيثة وتلافيت الشيء استدركته والكبوة العثرة والوبيل المهلك والكدح السعي والعمل وخلاصة الفصل
ذكر مدايح النبي صلى الله عليه وآله ثم الموعظة الحسنة والتنفير عن الدنيا والنور المضيء نور النبوة والبرهان
الجلي المعجزات والآيات الموضحة لنبوته والمنهاج البادي هو شريعته ودينه الواضح والكتاب الهادي القرآن
لهدايته الى سبيل الجنة وظاهر كون اسرته خير الاسرة ولفظ الشجرة مستعار لاصله وظاهر كون قريش
افضل العرب ولفظ الاغصان مستعار لاشخاص بيته صلى الله عليه وآله كعلي واولاده وزوجته واعمامه
واخوته واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل والشرف وثمارها مستعار لفضائلهم العلمية والعملية
وتهدلها كناية عن ظهورها وكثرتها وسهولة التناول بها وذكر مولده بمكة وهجرته بالمدينة في معرض مدحه لشرف
مكة ببيت العتيق وشرف المدينة باهلها حيث آووه ونصروه حين اخرجوه فعلا بها ذكره وانتشر فيها
صيته وامتدت دعوته ولانه اخرجها وهي بلد مجدب قليل الخصب ضعيف الاهل مع غلبة خصومه وقوة
المشركين عليه في ذلك الوقت ثم انه مع ذلك علا بها ذكره وانتشر فيها صيته كان ذلك من آيات نبوته
ايضا والحجة الكافية ما جاء به من الآيات التي قهر بها اعداء الله والموعظة الشافية ما اشتمل عليه القرآن
العظيم والسنة الكريمة من الوعد والوعيد وضرب الامثال والتذكير بالقرون الماضية والاراء المحمودة
الجاذبة للناس الى ارشد الطرق الى جناب ربهم وكفى بها شفاء للقلوب من ادواء الجهل والدعوة المتلافية
فانه استدرك بها ما فسد من نظام الخلق وتلافى بها ما هلك من قلوبهم واسود من الواح نفوسهم والشرايع
المجهولة طرايق دينه وقوانين شريعته التي لم يكن ليهتدى اليها الا بظهوره والبدع ما كانت عليه اهل الجاهلية
من الاثام والفساد في الارض والاحكام المفصولة ما فصله وبينه لنا من احكام دين الاسلام الذي من ابتغى
غيره دينا ضل عن سواء طريق النجاة فتحققت شقوته في الآخرة وانفصمت عروته اي انقطع متمسك النجاة
غيره فعظمت عثرته في سفره الى الآخرة وكان مرجعه الى الحزن الطويل على ما فرط في جنب الله ومصيره
الى العذاب المهلك في دار البوار ثم اشار بتوكل على الله توكل المنيب اليه اي الملتفت بقلبه عن غيره المسلم
لجميع اموره اليه وطلب منه الارشاد الى سبيله القاصدة الى جنته التي هي محل الرغبة اليه ثم عقب بالموعظة
فبدا بالوصية بتقوى الله وطاعته واطلق عليها لفظ النجاة مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب المادي
لكونها معدة لافاضة النجاة من عذاب يوم القيمة وقيل النجاة الناقة التي ينجى عليها فاستعار لفظها للطاعة
لانها كالمطية ينجو بها المطيع من العطب ولفظ المنجاة اذ هي محل النجاة دايما والضمير في رهب ورغب لله
اي فابلغ في وعيده واسبغ الترغيب فاتمه ووصف الدنيا بالاوصاف الموجبة للرغبة عنها ثم امر عليه السلم
بالاعراض عن زينتها وعلل حسن ذلك الاعراض بقلة ما يصحب الانسان منها الى الآخرة واراد الاعراض

بالعبث الذي هو الزينة الحقيقي وانما قال لغفلة ذلك ولم يقل لعدمه لان السالكين لابد ان يستمتعوا منها شيئا
وهو ما يكتسبه احدهم من الكمالات الى الآخرة لكن القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات اذا اقتصدوا بالنوم
وساير زينة الحيوة الدنيا الوصول الى الله تعالى قليل نزر ومع ذلك فهم في غاية الخطر من زلة القدم في كل حركة
وتصرف بخلاف اهل التقشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنية ويحتمل ان يريد بالقليل الذي
يصحبهم منها كالكفن ونحوه وانما كانت اقرب دار من سخط الله وابعدها من رضوانه لان الميل فيها الى اللهو
واللعب والاستمتاع بزينتها المستلزم لسخط الله اغلب من الاشتغال بها في سلوك سبيل الله وقوله فغضوا اي
فكفوا عن انفسكم الغم لاجلها والاشتغال بها لما تيقنتم من فراقها لان الغم انما ينبغي ان يوجه نحو ما يبقى ثم حذر منها
حذر الشفيق على نفسه الناصح المجد الكادح لها ثم اخذ في الامر باعتبار ما هو مشاهد من مصارع القرون الماضية
واحوالها الخالية من تفرق اوصالهم وزوال اسماعهم وابصارهم الى ساير ما عدده من الاحوال التي نزلت بهم
واستبدلوا بها من احوالهم الدنيوية التي كانوا عليها ثم حذر منها حذر الغالب لنفسه الامارة بالسوء الناظر
بعين عقله الى شهوته الدافع لها عن العبور الى حد الافراط من فضيلة العفة فان امر الدنيا والآخرة واضح
لمن اعتبر حالها وعلم الشريعة الهادي الى الحق قايم والطريق الى الله سهل مستقيم قاصد اي فلا يكن امركم عليكم غمة

ومن خطبة له عليه السلام لبعض اصحابه وقد ساله كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم احق به فقال عليه السلام يا اخا
بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسالة وقد استعلمت فاعلم
اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول صلى الله عليه وآله نوطا فانها
كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود اليه القيمة ودع عنك
نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل وهلم الخطب في ابن ابي سفيان فلقد اضحكني الدهر بعد
ابكائه ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد
فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه وان
تكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون **اقول** الوضين بطان القتب وحزام
السرج والقلق الاضطراب والذمامة بالكسر الحرمة ويروى ماتة الصهر اي وسيلته وهي المصاهرة والنوط
التعلق والاثرة بالتحريك الاستبداد والاستيثار والحجرة بفتح الحاء الناحية والجمع حجرات بفتح الجيم وسكونها
وهلم يستعمل بمعنى تعال كقوله تعالى هلم الينا وقد يستعمل بمعنى هات كما هي هنا متعدي كما قال تعالى هلم شهداءكم
ولا غرو اي لا عجب والاود الاعوجاج والجدح بالجيم بعدها الحاء الخلط والتحريض والتكدير والشرب بالكسر
الحظ من الماء والوبيء ذو الوباء المرض فاما جوابه للاسدي فانه يقال للرجل اذا لم يكن ذا ثبات في عقله واموره
بحيث يسال عما لا يعنيه او يضع سؤاله في غير موضعه ويستعجل انه قلق الوضين واصله ان الوضين اذا قلق
اضطرب القتب فلم يثبت فطابق حال من لا يثبت في مقاله وحركاته فضرب مثلا وكذلك قوله ترسل في غير
سدد اي تتكلم في غير موضع الكلام لا على استقامة وهذا تاديب له وقوله ولك بعد الى قوله استعلمت ابتداء
للعذر في حسن جوابه فان للمصاهرة حقا وللسائل على المسؤول حق الارشاد والسؤال فاما كونه صهرا فلان

زينب

زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسدية وهي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة
ابن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
فهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا والمصاهرة المشار اليها هي هذه ونقل القطب الراوندي ان عليا عليه السلام
كان تزوج في بني اسد وانكره الشارح ابن ابي الحديد معتمدا على انه لم يبلغنا ذلك وهو محتمل والانكار في محله
اذ ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقا ويلزم ان لا يصل الى غيرنا وقوله اما الاستبداد شروع في الجواب
والضمير في انها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد والقوم الذين شحوا عليها هم عند الامامية من تقدم عليه في
الامامة وعند غيرهم قريش قالوا المراد بهم اهل الشورى بعد مقتل عمر وقوله والحكم الله والمعود اليه اي المرجع
في يوم القيمة في معنى التظلم والتشكي والمعود مبتدأ خبره القيمة فاما البيت فهو لامرئ القيس واصله انه تنقل في
احياء العرب بعد قتل ابيه فنزل على رجل من جديلة طيء يقال له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه
خاف ان لا يكون له منعة فتحول عنه ونزل على خالد بن سدوس من بني نبهان فاغارت بنو جديلة عليه وهو في
جوار خالد فذهبوا بابله فلما اتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له اعطني رواحلك الحق عليها فارد اليك ابلك ففعل
فركب خالد في اثر القوم حتى ادركهم فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري قالوا ما هو لك بجار قال بلى والله
وهذه رواحله فرجعوا اليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرؤ القيس القصيدة التي اولها البيت
فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل والنهب ما ينهب وحجراته جوانبه وحديث الثاني
مبتدأ والاول خبره وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما كقولك لامر ما جدع قصير انفه والبيت في
ذكر الابل فانه مفهوم ولكن حديث الرواحل حديث ما اي حديث مبهم لا تدري كيف هو وذلك انه قيل لخالد
هو الذي ذهب بالرواحل فكان عنده لبس في امرها فاما استشهاده عليه السلام به فالمروي في استشهاده النصف
الاول من البيت ووجه مطابقته لما هو فيه ان السابقين من الائمة وان كانوا قد استبدوا بهذا الامر فقد مضوا
مفهوم اذ لهم الاحتجاج بالتقدم في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول وكونهم من قريش فدع ذكرهم وذكر
نهبهم هذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الآن من خطب معوية بن ابي سفيان والخطب هو الحادث الجليل
واراد هات ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به واشار به الى الاحوال التي ادت الى ان كان معوية منازعا له
في هذا الامر مع بعده عنه حتى صار قائما عند كثير من الناس مقامه وقوله فلقد اضحكني الدهر بعد ابكائه اشارة
الى بكائه ممن تقدم عليه في هذا الامر وضحكه بعد ذلك تعجب مما حكمت به الاوقات والاقدار ثم قال ولا عجب اي ذلك
امر يجل عن التعجب ثم اخذ في استعظامه فقال يا له خطبا يستفرغ العجب اي يفنيه حتى صار كل عجب دونه وهو من
باب الاغراق والمبالغة كقول ابن هاني: قد سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت لا اتعجب
ويحتمل ان يكون قوله ولا غرو والله اي اذا نظرنا الى حقيقة الدنيا وتصرف احوالها فليكن قوله بعد ذلك
فيا له استيناف لاستعظام هذا الامر وكونه يكثر الاعوجاج ظاهر فان كل امري بعد عن الشريعة ازداد الامر به
اعوجاجا وقوله حاول القوم الى قوله ينبوعه فالقوم قريش ومصباح انوار الله استعارة لخاصة الرسول
صلى الله عليه وآله وكذلك ينبوعه استعارة لهم باعتبار كونهم معدنا لهذا الامر ولوازمه ووجه الاستعارة ظاهر

يريد انهم عادوا الى ان هذا الامر مستقره ومعدنه الاحق به وهو بيت الرسول صلى الله عليه وآله ثم استعار
لفظ الشرب الوبيل لذلك الامر ولفظ الجرع الكدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الامر واستعار وصف الوبيل
لاعتبار كونه سببا للهلاك والقتل بينهم وقوله فان ترتفع الى آخره اي فان يجتمعوا على وترتفع بيني وبينهم
ما ابتلينا به من هذه المحن والاحن اسلك بهم محض الحق وان ابوا الا البقاء على ما هم عليه فلا اسف عليهم واقتبس
الآية المشتملة على تأديب نفسه وتطييبها على ترك الاسف عليهم ان لم يؤمنوا وعلى تهديدهم ووعيدهم
باطلاع الله على اعمالهم السيئة

ومن خطبة له عليه السلم

الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل الوهاد ومخصب
النجاد ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته انقضاء هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته الشفاه
حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات
لا يقال له متى ولا يضرب له امد بحتى الظاهر لا يقال مما والباطن لا يقال فيما لا شبح فيتقصى ولا محجوب فيحوى
لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا
ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيأ عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات
النور في الافول والكرور وتقلب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل كل غاية
ومدة وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار ونهايات الاقطار وتأثل المساكن
وتمكن الاماكن فالحد لخلقه مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل ابدية
بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه
بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى

اقول الساطح
الباسط والمهاد الارض والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن والنجاد جمع نجد وهو المكان المرتفع وازدلاف
الربوة تقدمها والساجي الساكن ويتفيأ القمر اي يرجع عليه حالتي اخذه في التبدد واخذه في النقصان الى المحاق
ونحله قولا اي نسب اليه قولا وتأثل اصل قديم وقد اشتملت الخطبة من علم التوحيد على مباحث قدم الحمد لله تعالى باعتبارات
الاول كونه خالق العباد اي موجدهم وفيه اشارة الى كونه مبدأ لجميع الموجودات وبيانه ان لفظ العباد مشتمل
على من في السموات ومن في الارض لقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ويدخل
في ذلك الاجسام الفلكية لكونها اجساما للملائكة وساطح المهاد اشارة الى خلق الارض وجعلها مهادا والملائكة في الكون
ومسيل الوهاد ومخصب النجاد اشارة الى ايجاده لسائر ما ينتفع به الخلق في الدنيا واذا عرفت ذلك فقد اشتملت
هذه الالفاظ على ايجاده لجميع الموجودات الممكنة وقد ثبت ان خالق جميع الموجودات الممكنة لا يكون ممكنا فيستلزم
ذلك كونه تعالى واجب الوجود الثاني من الاعتبارات السلبية كونه تعالى لا ابتداء لاوليته اي لا حد لكونه اولا
ولا انقضاء لازليته اي لا غاية ينتهي عندها وينقضي ولا يقبل العدم فلم يكن واجب الوجود وهو ثالث
لم يزل والباقي بلا اجل تأكيد للاعتبارين الثاني والثالث بعبارة الاثبات الرابع خرت له الجباه و
وحدته الشفاه هو اشارة الى كمال الوهيته واستحقاقه العبادة الخامس انه لا يشبهه شيء اذ كل شيء ماله

محدود بتقدير العقل والوهم ولشيء ان يبدو له حد ويحيطان به فيما وهو متعال عن ذلك اذ كل وهم قدره
بحد او بحركة او جارحة او اداة كما هو مقتضى الوهم في ادراكه لمدركاته فقد ضل ضلالا بعيدا عن تصوره وقد سبقت
الاشارة الى ذلك السادس انه منزه عن لحوق الزمان فلا يسأل عنه بمتى ولا عن غاية الزمان فلا يضرب له امد بحتى
السابع كونه ظاهرا ومع غاية ظهوره لا مادة له ولا اصل يستند اليه فلا يقال مما هو موجود الثامن كونه باطنا ومع
غاية بطونه وخفائه لا جزء له فيقال فيم بطن وخفي كساير الخفيات من الاجسام والجسمانيات وقد سبق بيان كونه
باطنا وظاهرا فيما مر التاسع كونه ليس بشخص فيلحقه التغير والانقضاء العاشر ولا محجوب فيحويه الحجاب اذ الشخص
للناظر والحجاب من لواحق الاجسام التي تنزه قدسه عنها الحادي عشر من الاعتبارات الاضافية كونه تعالى قريبا من
الاشياء لا بالالتصاق الثاني عشر كونه بعيدا عنها لا بالافتراق وقد عرفت معنى قربه وبعده في الخطبة الاولى
ولما كان الالتصاق والافتراق من لواحق الاجسام لا جرم تنزه قربه وبعده من الاشياء عنهما الثالث عشر كونه لا يخفى
عليه من عباده شخوص لحظة الى قوله وادبار نهار مدبر اشارة الى احاطة علمه بكل المعلومات وشخوص اللحظة مد البصر الى جهة
جهة وكرور اللفظة رجوعها وازدلاف الربوة تقدمها واراد الربوة المتقدمة اي في النظر والبادية عند الذين
فان الربوة اول ما يقع في البين من الارض والضمير في عليه للغسق وقوله وتعقبه الشمس اي وتعقبه فحذف احد
الثانيين كقوله تعالى ثم فاهم الملائكة وروى يتعقبه والضمير المنصوب فيه للقمر وقوله من اقبال ليل متعلق بتعقب والمعنى
ان الشمس يعاقب القمر فيطلع هذا ويغرب ذاك ويطلع عند افولها الرابع عشر كونه قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة لانه تعالى
خالق الكل ومبدأه فوجب تقدمه وعليه الخامس عشر تنزهه وتعاليه عما يصفه به المشبهة المشبهون لكمال اوهامهم من جلاله
المقدس من صفات المقادير كالاقطار والنهايات والجوانب واصالة البيوت وقدمها والاستقرار في المساكن
وساير ما هي حدود ولواحق يتقيد بها ذوات الاجسام كان كل ذلك الحدود مضروبة منه للخلق ومنسوبة اليهم
دونه السادس عشر كون الممكنات صادرة عنه من غير اصول ازلية ولا اوائل ابدية لها اي اولية سابقة وفي
هذا الكلام انه لم يخلق ما خلق على مثال سبق ليكون اصلا لا اول له حذا حذوه وقيل معناه انه ليس لما خلق اصل
ازلي ابدي خلق منه من مادة وصورة كما زعمت الفلاسفة وروى ولا من اوائل ابدية وقوله بل خلق ما خلق
فاقام حده بل هو المخترع لما له حد وهي ما له من المقادير والاشكال والنهايات والآجال والغايات على
الحكمة الالهية وكذلك صور ما صور فاحسن صورته اي اتى به على وجه الاحكام والاتقان السابع عشر كونه ليس لغيره منه
امتناع اشارة الى كمال قدرته واحاطة علمه الثامن عشر كونه لا انتفاع له بطاعة شيء لان الانتفاع من لوازم الحاجة
الممتنعة عليه وهو اشارة الى وصف الغني التاسع عشر كون علمه تعالى بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه
بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى وهو اشارة الى ان علمه غير مستفاد من غيره ولا يلحقه تغير وتجدد
فلا يتجدد له علم لم يكن بل علمه تعالى ازلي ابدي تام لا يلحقه نقصان ونسبة جميع الممكنات اليه على سواء وقد علمت تحقيق هذه المباحث
الالهية في مظانها وبالله التوفيق

منها

ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات
الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا
لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء

من ثرى اليك وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك واراد بذلك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات
فهو عن صفات خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد **اقول** السوي المستوي والمرعي المعتنى بامره
والخطاب للانسان ونبهه بكونه سويا مرعيا على وجود خالقه الحكيم اللطيف وقد عرفت كيفية تخليق الانسان
وتصويره شيئا فشيئا الى حال كماله وصغره وكذلك نبهه بتقلبه في حالاته واطوار خلقته وباستهدائه
لاحراز غذائه من ثدي امه ومن عرفه عند الحاجة مواضع طلبه وهي الاغذية على وجود خالق هداه الى جميع حاجاته
فهذا القدر من العلم بالصانع امر ضروري في الفطرة وان احتاج الى ادنى تنبيه وما وراء ذلك من صفات
الكمال ونعوت الجلال فامور لا يطلع عليها العقول البشرية بالكنه وانما يطلع منها على اعتبارات ومقايسات الى
الى خلقه ويحتاج فيها الى الدليل والبرهان وقد اشار الى ذلك من قبل ونبه على بعد ادراكها والعجز عنها بقوله
هيهات الى قوله والادوات اي من يعجز عن صفات نفسه في حال تخليقه والاطلاع على كيفية جزئيات اعضائه
مع كونها محسوسة مشاهدة له فهو عن صفات خالقه التي هي ابعد الاشياء عن مناسبة اعجز وعن ادراكها باعتبار ما
والتشبيه بحدود المخلوقين وصفاتهم ابعد وبالله العصمة والتوفيق **ومن كلام له عليه السلم** لما اجتمع الناس *(في الهامش: استسفاره لعثمن وكلامه له)*
اليه وشكوا ما نقموه على عثمن وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمن فقال ان الناس ورائي وقد استسفروني
بيني وبينك ووالله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه انك لتعلم
ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت
رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله
ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق لواضحة وان اعلام الدين لقائمة واعلم ان افضل عباد الله عند الله
امام عادل هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان البدع لظاهرة
لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة ماخوذة واحيا بدعة متروكة واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يؤتى يوم القيمة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم
فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها واني انشدك الله ان لا تكون امام هذه الامة المقتول
فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيمة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن
فيها فلا يبصرون الحق من الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك
حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر فقال له عثمن كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم
فقال عليه السلم ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول امرك اليه **اقول** استسفروني
اتخذوني سفيرا اي رسولا والوشيجة عروق الشجرة والسيقة بتشديد الياء ما يسوقه العدو في الغارة
من الدواب وجلال السن علوه وحاصل الكلام استعتابه باحسن من القول فاثبت له منزلته من العلم
اي باحكام الشريعة والسنن المتداولة بينهم في زمان الرسول صلى الله عليه وآله والظهور على كل ما ظهر عليه
منها من رؤية وسمع والصحبة المماثلة لصحبته وذكر ان الشيخين ليسا باولى منه بعمل الحق ثم فضله عليهما بقرب الرحم

من رسول الله

من رسول الله صلى الله عليه وآله والمصاهرة من دونهما ولفظ الوشيجة مستعار لما بينه وبينهم من القرابة واما كونه
اقرب وشيجة منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما ثم حذره الله وعقب التحذير بتنبيهه على انه غير محتاج الى تعليم فيما
يراد منه مع وضوح طريق الشريعة وقيام اعلام الدين ثم نبهه على افضلية الامام العادل بالصفات المذكورة وعلى
قيام اعلام السنن وقيام اعلام البدع ليهتدي بتلك ويجتنب عن هذه ثم على حال الامام الجائر يوم القيمة بالنقل عن خبر
عن سيد البشر صلى الله عليه وآله ثم ناشده الله تعالى محذرا ان يكون الامام المقتول في هذه الامة وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله
اخبر بذلك بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله يقال او ما يناسبها ثم نهاه ان يكون سيقة لمروان بن الحكم اي
يصرفه حيث مقاصده بعد بلوغه معظم السن وتقضي عمره وقد كان مروان من اقوى الاسباب الباعثة على قتل
عثمن وكان يعكس الآراء التي يشار على عثمن بها من علي عليه السلم وغيره مع كونه بغيضا الى المعتبرين من الصحابة
وكونه طريدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وقوله في جوابه ما كان بالمدينة فلا اجل فيه الى آخره كلام جزل حاسم لما عسى
يكون مما طلب من التأجيل لان الحاضر لا ينبغي تأجيله والغائب لا عذر في تأخيره بعد بلوغ امره اليه كالذي اعطاه
اقرباءه من اموال بيت المال على غير وجه وقد سبق في الفصول المتقدمة من امر عثمن مع الصحابة وما نقموه عليه ما فيه
كفاية وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات
وساكن وذي حركات واقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول
معترفة به ومسلمة له ونعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور الاطيار التي اسكنها
اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي اعلامها من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة في زمام
التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة
وركبها في حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها بعبالة خلقه ان يسمو في السماء خفوفا وجعله يدف دفيفا ونسقها
على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس
فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن اعجبها خلقا الطاوس الذي اقامه في احكم
تعديل ونضد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج قصبه وذنب اطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه
وسما به مطلا على رأسه كانه قلع داري عنجه نوتيه يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤر *(في الهامش: ويؤر بملاقحه أر الفحول المغتلمة)*
بملاقحه احيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة
تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس
لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها من عجيب داراته
وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبتت الارض قلت جنى جني من زهرة كل ربيع وان
ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او كمونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان
قد نطقت باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ
وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه
لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف

قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة مرآة
ذات صقال وكانه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع
فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق وقل صبغ
الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم
تربها امطار ربيع ولا شموس قيظ وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعا فينحت
من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف الوانه
ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة
زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول او
تستنظم وصفه اقوال الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة ان تصفه فسبحان الذي
بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا واعجز الالسن عن تلخيص
صفته وقعد بها عن تأدية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان
والفيلة ووأى على نفسه الا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته

اقول نعت صفات والاخاديد شقوق الارض وشعابها والفجاج جمع فج وهي الطريق بين الجبلين
والعبالة امتلاء الجسد ونسقها نظمها ويختال يعجبه الخيلاء وزيفانه تمايله وتبختره وهو تمايل والازر
النكاح والحركة فيه وملاقحه آلات اللقاح واعضاء التناسل والاغتلام شدة الشبق والقلع الداري الشراع
المنسوب الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال ان الطيب كان يجلب اليها
من الهند وهي الآن خراب لا عمارة بها ولا مسكن وفيها آثار قديمة وعنجه عطفه والنوتي ربان السفينة
وصفقتي جوزه جانباه والمنبجس المتفجر والمداري جمع مدرى وهي خشبة ذات اطراف كاصابع الكف
محددة الرؤوس ينقى بها الطعام ودارات الخطوط المستديرة منه والعقيان الذهب وفلذ جمع فلذة
وهي القطعة والزبرجد قيل هو الزمرد وقيل يطلق على البلخش والجنى فعيل بمعنى المجني وهو الملتقط و
العصب برود باليمن والمضاهاة المشابهة واللجين الدقاق ونطقت في اللجين اي شدت فيه
ورصعت والوشاح ينسج من اديم ويرصع بالجواهر فتجعله المرأة على عاتقيها الى كشحيها وزقا صاح
والمعول الصارخ والديكة الخلاسية هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي ونجمت ظهرت
والظنبوب حرف الساق والصيصية الشوكة التي في مؤخر رجل الديك والقنزعة الشعر المجتمع في وسط
من الراس والوسمة بكسر السين وسكونها نبت العظلم يخضب به والاسحم الاسود والتلفع التلحف واليقق
خالص البياض ويأتلق يلمع والبصيص البريق وتترى تسقط منها شيء عقب شيء وادمج احكم والذرة
النملة الصغيرة والهمجة ذبابة صغيرة كالبعوضة ومقصود الخطبة التنبيه على عجائب صنع الله لغاية
الالتفات اليه والتفكر في ملكوته وقد عرفت معنى الابتداع والمراد بالموات ما لا حيوة به والساكن
كالارض وذوات الحركات كالافلاك وشواهد البينات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات فاستدلت بها

في لطف

في لطف صنعته وكمال قدرته فانقادت تلك الدلائل والطرق الواضحة الى معرفته والاقرار به والتسليم لامره
واستعار لفظ النعيق في الاسماع لظهور تلك الدلائل في مسامع العقول وما لا وسط منقول لاقام والضمير في لزم برهانه
الى ما ونعت به ولو اشار به الى انه ونعت دلائله لتحمل العود الى كل واحد منهما وما ان به محلها الجر بالعطف على الضمير المجرور
اليه في دلائله اي نعقت في اسماعنا دلائله على وحدانيته ودلائل ما خلق وقد عرفت فيما سبق كيفية الاستدلال
بكثرة ما خلق واختلافه في وحدانيته والاطيار التي اسكنها اخاديد الارض كالقطا والصدا والتي اسكنها خروق
فجاجها كالبوم والتي اسكنها رؤوس الجبال كالعقبان والصقور ثم اخذ يصف اختلافها بالاجنحة وهيئاتها وكيفيات
خلقها تحت تصريف قدرته وحكمته ثم اشار الى اعتبار لكونها واحداثها في عجائب صور والوانها وتركيب خلقها
من ثقل الجثة يمنع سموه في الهواء كالنعام ثم نبه على لطيف حكمته في صبغها مختلفة الالوان والاصباغ فمنها مغموس في
قالب لون واحد قد طوق بخلاف ما صبغ به كالفواخت وشرع في التنبيه بحال الطاوس على لطف الصنع واشتماله
على جميع الالوان وكفى بوصفه عليه السلم شارحا فانه لا ابلغ منه ولا اجمع لتفاصيل الحكمة الموجودة في هذا الموصوف غير انه
قد يحتاج بعض الفاظه عليه السلم الى بيان فاراد بقصبه قصب ريش ذنبه وجناحيه واشرجها ضبط اصولها بالاعصاب
والعظام وشرج بعضها ببعض ووصفه عليه السلم لسحبه ودرجه الى الانثى حال ارادة السفاد وصف من شاهد ذوات
البنية وحسن تشبيه ذنبه عند ارادة السفاد بالقلع الداري فانه في تلك الحال يبسط ريشه وينشره ثم يرفعه
وينصبه فيصير كهيئة الشراع المرفوع وفي وجه التشبيه زيادة على ذلك اشار اليها بقوله عنجه نوتيه وذلك ان
الملاحين يصرفون الشراع تارة بالجذب وتارة بالارخاء وتارة يحولونه يمينا وشمالا وذلك بحسب اغراضهم
من بعض الجهات الى بعض فشبههم في الطائر عند حركته لارادة السفاد وزيفانه في تصريف ذنبه وتحويله
وارخائه ذلك لتستبين وجه الشبه فيها كما هو الا من شاهد مع مشاهدة المشبه به ولذلك قال احيلك
من ذلك على معاينة لا كمن يحيلك على ضعيف اسناده وانما خص دارين بالذكر لانها كانت المرسى القديم في زمانه
عليه السلم حيث كانت معمورة وقوله ولو كان كزعم من يزعم الى قوله المنبجس اي لو كان حاله في النكاح كزعم من يزعم
وهو اشارة الى زعم قوم ان الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين اجفانه فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة
ولو قيل فيها مدامعه اي تنضح بها وهي رجعنا وهو عليه السلم لم يحل ذلك وانما قال ليس ذلك باعجب من مطاعمة
الغراب والعرب تزعم ان الغراب لا يسفد ومن امثالهم اخفى من سفاد الغراب ويزعمون ان اللقاح من مطاعمة
الذكر والانثى وايصال جزء من الماء الذي في قانصته اليها وهو ان يضع كل منهما منقاره في منقار صاحبه ويتزاقا
وذلك مقدمة للسفاد في كثير من الطير كالحمام ونحوه وهذا وان كان ممكنا في بعض الطير كالطاوس والغراب
فيران ذلك بعيد على انه قد نقل الشيخ في الشفاء ان القبج تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل ومن سماع صوته قال
والنوع المسمى ما لاچيا يتلاصق بافواهها ثم تتشابك فذلك سفادها ونقل الجاحظ في كتاب الحيوان ان الطاوس
قد يبيض من الريح بان يكون في سفاد الريح وفي حال الذكر يحمل ريحه فيبيض منها قال وبيض الريح قل ان يخرج منه فرخ وقوله
قد يوجد في الدجاج ذلك الا انه قل ما يفرخ كما ذكره ثم شبه عليه السلم قصب ذنبه بالمداري من الفضة ومن شاهد
صورة قيام ذنبه حال اصول ريشه وتفرقها عند نشره للسفاد عرف موقع التشبيه المذكور ووقوعه

موقعه وكذلك شبه خطوط الصفرة المستديرة في شاره وهي ريش الذنب بخالص العقيان في الصفرة الفاقعة مع
ما يعلوها من البريق وما في وسط تلك الدارات من الدواير الخضر بقطع الزبرجد في الخضرة واستعار لها لفظ
الشموس ملاحظة لمشابهتها لها في الاستدارة والاستنارة ثم قال وان شبهته بما انبتت الارض الى قوله كل ربيع
ووجه الشبه اجتماع الالوان مع نضارتها وبهجتها وكذلك وجه الشبه في تشبيهه بموشي الحلل او المونق من برود اليمن
وكذلك ان شاكلته بالحلي ووجه شبهه بالفصوص المختلفة الالوان المنطقة في الفضة اي المرصعة في مثل اللجين
والمكلل الذي جعل كالاكليل بذلك الترصيع ثم حكى صورة مشيته وصورة قهقهته عند نظره الى حسن سرباله واجابه
بجمال كسوته ولفظ الضحك والقهقهة والسربال مستعار وكذلك حاله في نظره الى قوايمه فانه يصيح كالمتوجع من قبح ساقيه
ودقتها ويخضع ويتوجع بعد تعظمه ونخوته بنفسه ووجه تشبيه قوايمه بقوايم الديكة الخلاسية الدقة والطول والتشنج
ونتو العرقوب ثم اخذ في وصف صيصيته وقنزعته وهي ريشات كبيرة طوال في مؤخر راسه نحو الثلث
بارزة عن ريش راسه خضر موشاة ثم اخذ في وصف عنقه وشبه مخرجه بالابريق ووجه الشبه البين المعلوم
بالمشاهدة وكذلك مغرزه من راسه الى حيث بطنه شبه في لونه صبغ الوسمة في السواد المشرق او الحريرة السوداء
الملبسة مرآة ذات صقال في سوادها ومخالطة بصيص المرآة لها او المجزى اسود الا ان ذلك السواد لكثرة مائه
وشدة بريقه يخيل للناظر انه ممتزج بخضرة ناضرة ثم وصف الخط الابيض عند محل سمعه وشبهه في دقته واستوائه
بخط القلم الدقيق وفي بياضه بلون الاقحوان ثم اجمل في تعديد الالوان فقال وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه
اي وزاد عليه الصبغ بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ولفظ الديباج مستعار لريشه ثم رجع الى التشبيه بالازاهير
المبثوثة وبين كمال قدرة صانعها بانها مع ذلك لم تربها امطار الربيع اي لم تغذ تلك الالوان امطار
ربيع ولا شموس قيظ لانه لما جعل انها ازاهير وكان من شان الازاهير المختلفة الالوان ان تكون الا عن الصحو
بامطار وحرارة الشمس المعدة لتنويره اراد ان يبين عظمة صانعها بانها مع كونها ازاهير خلقها بغير مطر ولا
شمس ثم اخبر عن حالة اخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصانع وقدرته وهو انه يتحسر ويعرى من ذلك الريش
الحسن شيئا بعد شيء ثم ينبت جميعا كل ريشة موضع ريشه ويعود الى الاول من غير زيادة او نقصان حتى كانها هي
وشبهه في سقوطه ونباته بتحات اوراق الشجر من الاغصان ونباتها ثم نبه على وجه حكمة الصانع في الشعرة
الواحدة من شعرات ريشه بانك اذا تاملتها اريتك من شفافيتها وشدة بصيصها تارة حمرة كحمرة الورد وتارة
خضرة كخضرة الزبرجد وتارة صفرة كصفرة الذهب ثم عقب ذلك الوصف البليغ باستبعاد وصول
الفطن العميقة الى صفته هذا واراد العجز عن وصف علل هذه الالوان واختلافها واختصاص كل من مواضعها بلون
جزء الاخر وعلل هيئاتها وساير ما عدده فان اقل جزء منه مما يعجز الاوهام في درك علته وتقصر الالسنة عن
وصفه ويحتمل ان يريد العجز عن استثبات جزئيات اوصافه الظاهرة وتشريحه فان ما ذكره عليه السلم
وان كان في غاية البلاغة الا ان خلف وراء ذلك جزئيات لم يستثبتها الوصف وهو الاقرب وقوله
تنزيه لله تعالى باعتبار قهره عقول عن وصف هذا المخلوق الذي جلاه واظهره للعيون فادركته محدودا ملونا
ومؤلفا مكونا واعجز الالسن عن تلخيص وصفه وتادية نعته ثم نزهه باعتبار امر اخر وهو احكامه قوايم الذرة

والهمجة

والهمجة وما فوقها كالحيتان وكبار حيوان البر كالفيلة ثم باعتبار حكمه وتقديره على كل حي منها من ورود الموت
وفيه تنبيه على ذكر هادم اللذات واعلم انه قد ذكرت للطاوس احوال اخرى تحفظ الكتب قالوا انه غاية ما يعيش
خمسا وعشرين سنة ويبيض في السنة الثالثة من عمره ويبيض في السنة مرة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلثة ايام
ويحضنها ثلثين يوما فيفرخ ويلقي ريشه عند سقوط ورق الشجر ويشرع مع ابتداء نبات ورقه منه
فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما اخرج الى الدنيا من شهواتها
ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في اصطفاق اشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل
انهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وافنانها وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف اكمامها تجنى
من غير تكلف فتاتي على منية مجتنيها ويطاف على نزالها في افنية قصورها بالاعسال المصفقة والخمور المروقة
قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وامنوا نقلة الاسفار فلو شغلت قلبك ايها المستمع بالوصول
الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقا اليها ولتحملت من مجلسي هذا الى مجاورة اهل القبور
استعجالا بها جعلنا الله واياكم ممن يسعى بقلبه الى منازل الابرار برحمته اقول عزفت زهدت والعزوف
والكبائس جمع كباسة وهي العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج وكذلك الافنان جمع فنن والاكمام جمع
كمة بكسر الكاف وهي غلاف الطلع والعسل المصفق المصفى وقوله فلو رميت ببصر قلبك استعارة لطيفة
اي لو نظرت بعين بصيرتك وفكرت في معنى ما وصف لك من متاع الجنة لم تجد لشيء من بدائع ما اخرج الى
الدنيا من متاعها الى شيء من متاع الجنة الا نسبة وهي اذا لاحظتها نفسك عزفت واعرضت عن متاع الدنيا
وما يعقد بها من لذة وغابت في فكرها في اصطفاق الاشجار الموصوفة فيها وتمايل اغصانها ثم وصف اشجارها وانهارها
وساير ما عدده من متاع الجنة وصفا لا مزيد عليه فهذه هي الجنة المحسوسة الموعودة وانت بعد ما عرفت قواعد
التاويل وحقائق الفاظ العرب ومجازاتها واستعاراتها وتشبيهاتها وتمثيلاتها وساير ما عددناه لك
في صدر الكتاب من قواعد علم البيان وكان لك مع ذلك ذوق طرق من العلوم الالهية امكنك ان تجعل هذه
الجنة المحسوسة سلما ومثالا تتعقل الجنة المعقولة ومتاعها لك وبك مثلا اشجار الجنة استعارة لملائكة السماوية
والاصطفاق ترشيح لتلك الاستعارة وكثبان المسك استعارة لمعارف والكمالات التي لهم من واهب
الجود وهم مغمورون فيها قد وجدوا لها وفيها كما تنبت الاشجار في الكثبان ولفظ الانهار استعارة للملائكة
المجردين عن التعلق بالاجرام الفلكية باعتبار كون هذه الملائكة اصولا ومبادي للملائكة السماوية كان الانهار
مبادي مادة لحيوة الاشجار واسباب لوجودها واللؤلؤ الرطب كما يفيض من تلك الانهار من العلوم والكمالات على
النفوس القابلة لها من غير بخل ولا منع فهي ثمارها تاتيها على منية مجتنيها بحسب استعداده لكل منها والقوة المتخيلة
تحكي تلك الاضافات في هذه العبارات والظواهر المحسوسة المعدودة وتكسوها صورة ما يشتهي المتخيل
كل بحسب شهوته ولذلك كان في الجنة كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ويتابل الصورة فيحضر لها عند ارادتها
اياه وكذلك لفظ العسل والخمر استعارة لتلك الاضافات المشتهاة الملذة فالنفس بحسب محاكاة المتخيلة
لها بصورة هذا المشروب المحسوس المشتهى لبعض النفوس فتصوره بصورته وقوله قوم لم تزل الكرامة الى قوله

والثمار استعارة م

الاستعار واستعار لفظ التمادي الذي هو من افعال العقلاء لتأخر الكرامة عنهم وانتظارهم لها في الدنيا الى غاية حلولهم دار القرار
وحصول الكرامة لهم هناك وانهم من تعلق الاستعارة ثم عقب بتشويق السامع الى ما هناك بقوله فلو شغلت قلبك ايها المخاطب
في اعداد نفسك الموصول الى ما يهجم عليك اي يفاجئ عقلك من تلك الصورة البهية المعجبة لزهقت نفسك اي ذهبت شوقا
اليها ولرحلت الى مجاورة اهل القبور واستعجالا لقربهم الى ما يشتاق اليه ثم ختم الخطبة بالدعاء لنفسه وللسامعين ان
يعدهم الله تعالى لسلوك سبيله وقطع منازل طريقه الموصلة الى منازل الابرار وهي درجات الجنة ومقاماتها وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** ليتأس صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في
الدين يتفقهون ولا عن الله يعقلون كقيض بيض في اداح يكون كسرها وزرا ويخرج حضانها شرا **اقول** قيض البيض
كسره تقول قضت البيضة كسرتها وانقاضت تصدعت من غير كسر وتقيضت تكسرت فلقا والاداحي جمع ادحي افعول
من الدحو وهو الموضع الذي يفرخ فيه النعامة وقد امر عليه السلم صغيرهم بالتأسي بكبيرهم لان الكبير اكثر تجربة وممارسة
ما يلبس واحزم فكان بالقدوة اولى وامر كبيرهم ان يرأف بصغيرهم لان الصغير مظنة الضعف واهل لان
يرحم ويعذر لقلة تجربته للامور ولانه ابدا يامر الصغير فيه احوج الى التأديب والغاية من هذا الامر انتظام امورهم
وحصول الفتهم بما امرهم به ثم نهاهم ان يشبهوا جفاة الجاهلية في عدم تفقههم في الدين وعدم عقليتهم لاوامر الله
فيشبهون اذن بيض الافاعي في اداحيها ووجه الشبه انها ان كسرها كاسر اثم لان ذي الحيوان به وقيل انه يظن
بيض القطا فيأثم كاسره وان لم يكسر يخرج حضانها شرا اذ يخرج افعى قاتلة فكذلك هؤلاء اذا اشبهوا جفاة الجاهلية
لا يحل ايذاؤهم واهانتهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم وان اهملوا وتركوا على ما هم عليه من الجهل وقطع الادب خرجوا
شياطين وبالله التوفيق **منها** افترقوا بعد الفتهم وتشتتوا عن اصلهم فمنهم آخذ بغصن اينما مال مال معه
على ان الله سيجمعهم لشر يوم لبني امية كما تجتمع قزع الخريف يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح
لهم ابوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين حيث لم تسلم عليه قارة ولم تثبت عليه اكمة ولم يرد سننه رص
طود ولا حداب ارض يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم ويمكن
لقوم في ديار قوم وايم الله ليذوبن ما في ايديهم بعد العلو والتمكين كما تذوب الالية على النار ايها الناس لو لم
تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل
ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما خلفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد واعلموا
انكم ان اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الاعناق **اقول**
القزع قطع السحاب المتفرقة ومستثارهم موضع ثورانهم والقارة الاكمة والحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض
والذعذعة بالذال المعجمة التفريق وتهنوا تضعفوا وتوهين الباطل اضعافه والفادح المثقل والاشارة في هذا
الفصل الى اصحابه واهلهم الذي تشتتوا عنه عليه السلم وافتراقهم بعد الفتهم هو افتراقهم الى خوارج وغيرهم بعد
اجتماعهم عليه وقوله فمنهم آخذ بغصن اي يكون منهم من يتمسك بمن اخلفه بعدي من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله اينما سلك
سلك معه كالشيعة وتقدير الكلام ومنهم من ليس كذلك الا انه استغنى بالقسم الاول لدلالته عليه وقوله على ان الله
يجمعهم الخ كان ذلك حين ما فيه لشر يوم لبني امية وشبه جمعهم وتألفهم بجمع تقزع السحاب في الخريف

مثلكم

وتراكمهم

وتراكمهم في ذلك بجمع تراكم ذلك القزع ووجه الشبه الاجتماع بعد التفرق والابواب التي يفتحها لهم اشارة الى وجوه
الآراء التي تكون اسباب الغلبة والانبعاث على الاجتماع او الى ما هناك من الاسباب الخفية من اعانة بعضهم لبعض
بالانفس والاموال وغير ذلك واستعار لخروجهم لفظ السيل وشبهه بسيل جنتي مأرب وهما اللتان حكى
شأنهما في القرآن الكريم فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين الآية ووجه الشبه الشدة في الخروج والاتيان
بما يأتون عليه كقوة ذلك السيل حيث لم يسلم عليه من نتوء من الارض ولم يرد طريقه وجريه جبل مرصوص اي شديد الالتصاق
ثم قال يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض وهو من الفاظ القرآن والمراد كما ان الله ينزل الماء من
السماء فيكنه في اعماق الارض ثم يظهر منها ينابيع الى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون الاودية وغوامض
الارض ثم يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ويمكن قوما من ملك قوم وديارهم ثم اقسم ليذوبن ما في
ايدي بني امية بعد علوهم وتمكنهم كما تذوب الالية على النار ووجه الشبه الفناء والاضمحلال ومصداق هذه الاخبار ما كان
من امر الشيعة الهاشمية واجتماعها على ازالة ملك بني امية من كان منهم ثابتا ومن كان ولي الجند ومن جاء منهم عن ذلك
في اواخر ايام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ثم عاد الى توبيخ السامعين بالاشارة الى سبب الطمع فيهم
ممن دونهم في القوة والمنزلة وقوته عليهم والاشارة الى معاوية واصحابه وذلك السبب هو تخاذلهم عن نصرة
الحق وتقاعدهم عن اضعاف الباطل وهو في معرض التوبيخ والملامة لهم ثم شبههم بتيه بني اسرائيل ووجه
الشبه كون الضعف والذلة والمسكنة لهم حيث لم يجمعوا على العمل بما امر الله فرماهم بالتيه وضرب عليهم الذلة
والمسكنة ثم اخبرهم بعاقبة امرهم في التخاذل وهو اضعاف التيه والتفرق بعده لانقطاعهم عن الحق ومقاطعة
بعضهم له مع دنوه وقربه من الرسول صلى الله عليه وآله ووصلهم لمعاوية وغيره مع بعده عنه ثم اخذ في ارشادهم
وجذبهم الى اتباعه فقال ان اتبعتم الداعي وعنى نفسه سلك بكم منهاج الرسول صلى الله عليه وآله وطريقته وكفيتم
مؤونة الاعتساف في طرق الضلال ونبذتم ثقل الاوزار في الآخرة عن اعناق نفوسكم وظاهر كونها فادحة
ويحتمل ان يريد بالثقل الفادح الآثام مع ما يلحقهم في الدنيا من الخطوب الفادحة بسبب عصيان الامام والخروج
عن امره وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** في اول خلافته ان الله سبحانه انزل كتابا هاديا
بين فيه الخير والشر فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض الفرائض ادوها الى الله
تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حراما غير مجهول واحل حلالا غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص
والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا
بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم وهو الموت فان الناس امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا
تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله
ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فاعرضوا عنه **اقول** اصدفوا اعرضوا وتقصدوا
تعدلوا ومعاقدها مواضعها وصدر الفصل بالتنبيه على فضيلة الكتاب وهي كونه هاديا الى طريق الخير والشر
ثم امر باخذ طريق الخير لكونه طريق الهدى الى المطالب الحقيقية الباقية وبالاعراض عن طريق الشر وسمته
لاستلزام الاعراض عنه لزوم طريق الحق والاستقامة فيه ثم امر باداء الفرائض فانها اقوى طرق الخير وذلك

قال تؤذكم الى الجنة شئ الخير كله ثم بين ان الله حرم حراما غير مجهول بل هو فى غاية الوضوح وكذلك احل حلالا غير مدخول اى معيب فيه ولا شبهة فلا عذر لمن تركه وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وهذا لفظ الخبر النبوى حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وعرضه وماله وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها اى ربطها بها فاوجب على المخلصين المتوحدين بوصايته المحافظة على حقوق المسلمين ومراعاة مواضعها وقرن توحيده بذلك حتى صار فضله كفضل التوحيد ثم عرف المسلم ببعض صفات المسلم الحق وهو من سلم المسلمون من يده ولسانه الا ان يكون بحق او لسان حق وهو لفظ الخبر النبوى ايضا وقوله يحل اذى المسلم الا بما يجب كقوله الا بالحق او رد تاكيد له ثم عقب بتنبيههم على امر العامة وخاصة احدهم وهو الموت اى ذلك الامر هو الموت وانما كان مع عمومه لكل الحيوان خاصة احدهم لان لمع كل شخص خصوصية وكيفية تخالف حاله مع غيره وامر بمبادرته اى بمبادرة العمل له وما بعده قبل سبقه اليهم ونبههم على ان الناس امامهم اى قد سبقوهم الى الآخرة والساعة تحدوهم من خلفهم وامر بالتخفيف لحاق بهم وختم على ذلك بقوله فانما ينتظر باولكم آخركم اى السابقين الى الآخرة لاجتماع الكل للبعث وقد سبقت هذه الالفاظ بعينها وشرحها مستوفى ثم امر بتقوى الله فى عباده وذلك بلزوم خوفه فى مراعاة ما ينبغى لكل احد مع غيره وفى بلاده بترك الفساد فى الارض ونبه على وجوب ذلك باستعقاب كل عمل وان قل سؤال عنه ومناقشة حساب عليه حتى عن البقاع فيقال لم استوطنتم هذا المكان وزهدتم فى ذلك وعن البهائم فيقال لم ضربتم هذه وجعتم هذه ولم ارحتموها واليه الاشارة بقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون وقوله ولتسئلن يومئذ عن النعيم قيل هو شبع البطن وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا فيقال لم استعملت فيه سمعك وبصرك وفى الخبر الصحيح النبوى ان الله عذب انسانا بهرة حبسها حتى ماتت وجاعت حتى هلكت ثم اجمل القول بعد تفصيله وامر بطاعة الله ونهى عن معصيته وارشد الى الاخذ بالخير عند رؤيته والاعراض عن الشر عند رؤيته

ومن خطبة له عليه السلم بعدما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمن فقال يا اخوتاه انى لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لى بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا وهل ترون موضعا لقدرة على شئ تريدونه ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة ان الناس من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤا عنى وانظروا ماذا ياتيكم به امرى ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة وتورث وهنا وذلة وسامسك الامر ما استمسك فاذا لم اجد بدا فآخر الدواء الكى

اقول اجلب عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بتشديد الدال وتخفيفها وكسر العين وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم ومسمحة مسهلة والالف فى اخوتاه هى المنقلبة عن ياء النفس المضاف اليه والهاء للسكت واعلم ان هذا الكلام اعتذار منه عليه السلم فى تاخير القصاص من قتلة عثمن وقوله انى لست اجهل ما تعلمون دليل على انه كان ذلك فى نفسه وحاصل هذا العذر عدم التمكن كما ينبغى ولذلك قال وكيف لى بقوة والقوم

على حد شوكتهم وصدقه عليه السلم ظاهر فان اكثر اهل المدينة كانوا من المجلبين عليه وكان من اهل مصر ومن الكوفة خلق عظيم حضروا من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك وانضم اليها اعراب اجلاف من البادية وعبدان المدينة كانوا فى غاية من شدة الشوكة حال اجتماعهم وثاروا ثورة واحدة ولذلك قال والقوم مجتمعون الى قوله يسومونكم ما شاؤا وروى انه عليه السلم جمع الناس ووعظهم ثم قال لتقم قتلة عثمن فقام الناس باسرهم الا القليل وكان ذلك الفعل منه استشهادا على صدق قوله والقوم على حد شوكتهم ومع تحقق هذه الحال لا يبقى له موضع قدرة على شئ من امرهم ثم قال على سبيل قطع لجاج الطالبين مخاطبا لهم ان هذا الامر امر الجاهلية يريد امر المجلبين عليه اذ لم يكن قتلهم اياه بمقتضى الشريعة اذ الصادر عنه من الاحداث لا يجب به قتل وان لهؤلاء القوم مادة اى معينين وناصرين ثم قسم حال الناس على تقدير الشروع فى امر القصاص الى ثلثة اقسام وهو احتجاج منه على الطالبين وتضعيف لرايهم بقياس ضمير من الشكل الاول مركب من شرطيتين متصلتين صغراهما قوله ان هذا الامر اذا حرك كان الناس فيه على امور وتقدير الكبرى واذا كان الناس فيه على امور لم يتمكن من اتمامه وفعله فينتج ان هذا الامر اذا حرك لا يتم فعله ثم عدد تلك الامور وهى ان فرقة ترى كونه مصيبا كما راى الطالبون وفرقة ترى انه مخطئ وهم الانصار المنتقمون منهم وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك بل تتوقف كما جرى ذلك فى امر التحكيم ثم امرهم بالصبر الى غاية هدو الناس اذ بين لهم انه لا مصلحة فى تحريك الامر فان الحقوق عند هدو الناس واستقرار القلوب اسهل ماخذا وقوله فاهدؤا وانظروا ما ياتيكم به من امرى يدل على ترصده وانتظاره للفرصة من هذا الامر ثم خوفهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنا فانه لو شرع فى عقوبة الناس والتفتيش عليهم لم يؤمن من تجدد فتنة اخرى اعظم من الاولى وهو غالب الظن فكان الاصوب فى التدبير والذى يقتضيه العقل والشرع الامساك الى حين سكون الفتنة وتفرق اولئك الشعوب ورجوع كل قوم الى بلادهم وربما كان عليه السلم ينتظر مع ذلك ان يحضر بنو عثمن الطلب بدمه ويعينون قوما باعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم للحصار كما جرت عادة المتظلمين الى الامام فيتمكن من العمل بحكم الله فلم يقع الامر كذلك وعصى معوية واهل الشام والتجا اليه ورثة عثمن وفارقوا حوزة امير المؤمنين عليه السلم ولم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وانما طلبوه مغالبة وجعلها معوية عصبية جاهلية ولم يات احد منهم الامر من بابه وقبل ذلك ما كان من امر طلحة والزبير ونقضهما البيعة ونهبهما اموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من اهلها وكل تلك الامور التى جرت مانعة للامام عن التصدى للقصاص ولذلك قال عليه السلم لمعوية فى بعض كلامه فاما طلبك بدم عثمن فادخل فى الطاعة وحاكم القوم الى واحملهم على كتاب الله وسنة رسوله فاما قوله وسامسك الامر ما استمسك الى آخره فاعلم ان هذا الكلام انما صدر منه عليه السلم بعد اكثار القول عليه فى امر عثمن واضطراب الامر من قبل طلحة والزبير ونكثهما البيعة بسبب هذه الشبهة مع كونهما من اكابر الصحابة وتشتت قلوب كثير من المسلمين عنه فى اشار بعض الصحابة وباخذ القصاص من قتلة عثمن نكثا نقضه طلحة والزبير ومعوية لغلبة الظن حج بمخالفته واضطراب امر الشام فقال الكلام اى قد ابديت هذا العذر فان لم يقبلوا منى فساسك الامر اى امر الخلافة بجهدى فاذا لم اجد بدا اى من قتال من بغى ونكث فآخر الدواء الكى اى الحرب والقتال وهذا الغاية التى ينتهى امر العصاة اليها ومداواة امراض

فلو هم كالمشي مداواة المريض الى ان يكوى وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة
إن الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق وأمر قائم لا يهلك عنه إلا هالك وإن المبتدعات المشبهات هن
المهلكات إلا ما حفظ الله منها وإن في سلطان الله عصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله
لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يأرز الأمر إلى غيركم إن هؤلاء قد تمالؤوا على سخطة
إمارتي وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم فإنهم إن تمموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين وإنما طلبوا
هذه الدنيا حسدا لمن أفاءها الله عليه فأرادوا رد الأمور على أدبارها ولكم علينا العمل بكتاب الله وسيرة رسوله
والقيام بحقه والنعش لسنته أقول يأرز ينحاز وينقبض وتمالؤوا اجتمعوا والفيالة الضعف والنعش الرفع
وقوله ان الله بعث الى قوله هالك تصدير للفصل بالامور التي منها للمسلمين التي هي اصول دينهم وتذكير لهم بها
ليرجعوا اليها وامر قائم مستقيم وقوله لا يهلك عنه الا هالك اي لا يهلك عن مخالفته الا اعظم الهالكين كقوله
لا يعلم هذا الفن من العلم الا عالم اي من بلغ الغاية من العلم وقوله وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات
الا ما حفظ الله مخالفة الكتاب والسنة الجامعين لحدود الله وخروجها عنهما واراد المهلك الاخروي وقوله
الا من حفظ الله استثناء من المهلكات اي الا ما حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها اذ لا يكون مهلكا الا لمن
ارتكبها والمشبهات ما اشبه السنن وليس منها وروي المشبهات بتشديد الباء وفتحها وهو ما شبه
على الناس ولبس وروي المشتبهات اي الملتبسات وسلطان الله هو سلطان الاسلام فحذف المضاف
واراد سلطان دين الله ويحتمل ان يريد بسلطان الله نفسه لكونه خليفة له في ارضه وانما اضافه اليه
اعزازا به وظاهر ان فيه منفعة وعصمة لهم فان الذي نصرهم وهم قليلون حمى حوزهم عن الاوطان يحفظهم
على كثرتهم بشرط طاعته الخالصة والدخول تحت امر سلطانه ولذلك قال فاعطوه طاعتكم غير ملومة اي غير
ملوم صاحبها بالنسبة الى النفاق والريا ولا مستكره عليها ويروى غير ملوية اي غير معوجة ثم اخذ في
وعيدهم ان لم يطيعوه بنقل الله عنهم سلطان الاسلام الى غيرهم ان يرده اليهم ابدا حتى يصير الامر لسط
غيرهم واراد امر الخلافة ثم ان جعلنا حتى وما بعدها غاية لنقل السلطان منهم لم يلزم منها عوده اليهم وان
جعلناها غاية من عدم نقله اليهم لزم منها ذلك فان قلت لم قال لا يرجع اليهم ابدا وقد عاد بالدولة العباسية
قلت اجيب من وجوه الاول ان القوم الذين خاطبهم من اصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدولة اليهم ابدا فان
اولئك بعد انقضاء دولة بني امية لم يبق منهم احد ثم لم يرجع الى احد من اولاده اصلا الثاني انه قيد بالغاية
فقال لا يصير اليكم حتى يصير في قوم آخرين ومعلوم انه لك باشعار الى بني امية الثالث قال بعض الشارحين
انما عاد لان الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة فان اكثرهم اطاعه طاعة غير ملومة ولا مستكره بها الرابع
قال قوم اراد بقوله ابدا المبالغة كما تقول لغريمك لاحبسنك ابدا والمراد بالقوم الذين يأرز اليهم هذا الامر
بنو امية كما هو الواقع وقوله ان هؤلاء قد تمالؤوا اشارة الى طلحة والزبير وعايشة واتباعهم واومى الى ان
مسيرهم لسخطهم من امارته لا ما اظهروه من الطلب بدم عثمان ثم وعد بالصبر عليهم ما دام لا يخاف على حوزة الجماعة
واخبر انهم ان تموا على ضعف رايهم في مسيرهم ومخالفتهم قطعوا نظام المسلمين وفرقوا جماعتهم وقوله وانما

طلبوا

طلبوا الى قوله عليه بيان لعلة سخطهم لامارته وهي الحسد على الدنيا لمن افاءها الله عليه والاشارة الى بيت الرسول صلى
وقوله فارادوا رد الامور على ادبارها اي ارادوا اخراج هذا الامر من اهل بيت الرسول آخرا كما اخرجوه
اولا او صرف هذا الامر عنهم بعد اقباله الى ما كان عليه من ادباره عنهم ثم اخبر بما لهم عليه من الحق ان اطاعوه
الطاعة غير المدخولة وهي ان يعمل فيهم بكتاب الله وبسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والقيام بحقوقه التي
اوجبها واقامة سنته وذلك هو الواجب على الامام وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم لما قال
لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل بايع فقال اني رسول قوم ولا احدث حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال عليه السلم
ارأيت لو ان الذين وراءك بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم فاخبرتهم عن الكلأ والماء
فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا قال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلأ والماء فقال له
عليه السلم فامدد اذا يدك فقال الرجل فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته عليه السلم
أقول الجرمي منسوب الى بني جرم وكان قوم من اهل البصرة بعثوه اليه عليه السلم ليستعلم حاله في امر على
حجة ام على شبهة فلما رآه وسمع لفظه لم يتخالجه شك في صدقه فبايعه وكان بينهما الكلام المنقول ولا الطف
من التمثيل الذي جذبه به عليه السلم فالاصل في هذا التمثيل هو حال هذا المخاطب في وجدانه الماء والكلأ تقديرا
كونه رائدا لهما والفرع هو حاله في وجدانه للعلم والفضائل والهداية عنده والحكم في الاصل هو مخالفة صحابه
الى الماء والكلأ تقديرا وجدانه لهما ومخالفة اصحابه له وعلة ذلك الحكم في الاصل هو وجدانه للكلأ والماء ولما كان
المشبه لهذه العلة هو وجدانه الفضائل والعلوم التي هي غذاء النفوس ومادة حياتها كان الكلأ والماء غذاء
للابدان ومادة حياتها موجودا لهذا الرائد في الفرع وهو حاله في وجدانه العلم والفضل والهداية وجب
تلك العلة مثل الحكم في الاصل وهو مخالفة اصحابه الى الفضل والعلم والهداية عنده عليه السلم ولزم من ذلك ان يبايع
ولذلك قال له فامدد يدك اذن وهو تمثيل لا يكاد النفس السليمة عند سماعه ان تقف دون الانفعال عنه
والاذعان له ولذلك اقسم الرجل انه لم يستطع الا ان تبايع عند قيام هذه الحجة عليه فبايع وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلم لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف الذي جعلته
مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك
لا يسأمون من عبادتك ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى
مما يرى وما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا على عدونا
فجنبنا البغي وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغائر
عند نزول الحقائق من اهل الحفاظ العار وراءكم والجنة امامكم أقول مغيضا لهما اي منبعا والسبط القبيلة
وقد دعا الله سبحانه باعتبار كونه ربا للسماء والارض وباعتبار ما فيهما من الآيات المنبهة على كمال عظمته
ولطفه بخلقه وهذا الدعاء مما تستعد به القلوب والابدان لاستفاضة الغلبة والنصر على العدو والسقف
المرفوع السماء وكذلك الجو المكفوف وقد مرت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وكونه مغيضا لليل والنهار
لان الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس الى وجه الارض يكون سببا لغيبوبة الليل وباستلزام حركته

لحركتها على وجه الارض يكون سببا لعفونة البخار فكان كالمغيض لها فاستعار لفظ المغيض وكونه مجاري
الشمس والقمر ومحل اختلاف النجوم السيارة ظاهر وليس فيه دلالة على ان النجوم تتحرك فيه بذاتها من دون
حركته والطائفة من الملائكة اشارة الى الارواح الفلكية المحركة لاجرامها وقد سبقت الاشارة اليهم وبيان انهم
لا يسامون من العبادة في الخطبة الاولى ثم دعاه باعتبار كونه ربا للارض وباعتبار ما بسطها لاجله من كونها
قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى مما يرى ومما لا يرى من انواع الحيوان قال بعض العلماء
من اراد ان يعرف حقيقة قوله عليه السلم ما يرى وما لا يرى فليوقد نارا صغيرة في فلاة في ليلة صيفية وينظر
ما يجتمع عليها من غرائب انواع الحيوان العجيبة الخلق ويشاهد ما هو ولا غيره واقول يحتمل ان يريد بقوله وما
لا يرى ما ليس من شانه ان يرى اما لصغره او لشفافيته ثم باعتبار كونه ربا للجبال وقد علمت كونها
اوتادا للارض فاما كونها اعتمادا للخلق فلانهم قد يتخذون بها المساكن ويقوم فيها من المنافع ما لا يقوم في
الاودية لكثير من الاشجار والثمار ولانها معادن الينابيع ومنابع المعادن وظاهر كونها اذن
معتمد الخلق في مرافقهم ومنافعهم ثم سال على تقدير نصره ان يجنبه البغي وهو العبور الى طرف الافراط
من فضيلة العدل ثم التسديد والاستقامة على فضيلة العدل وهو الحق وعلى تقدير اظهار عدوه عليه
الشهادة والعصمة من فتنة الفتح والا فهو فتنة المغلوب اذا كان معتقدا انه على الحق فقلما يسلم من التسخط
على البخت والتسخط على ربه وربما كفر كثير من الناس عند نزول البلاء بهم وظاهر كونه فتنة اي صارفا
عن الله واستعصم عليه السلم من تلك الفتنة واشباهها استثباتا لنفسه على الحق وتاديبا للسامعين ثم اخذ
في ما العادة ان يستحث به الانسان اصحابه في الحرب ويستثير به طباعهم من الاستفهام عن حامي الذمار
والذي تغيره الغيرة من اهل المحافظة عند نزول الحقائق اي عظائم الامور وشدائدها ثم قال النار
وراءكم اي ان رجوعكم القهقرى هربا من العدو يستلزم لدخولكم النار واستحقاقكم لها والجنة امامكم
اي في اقدامكم على العدو والتقدم الى مناجزته وهو كلام في غاية الوجازة والبلاغة ومن خطبة له عليه السلم
الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضا اقول حمد الله تعالى باعتبار احاطة علمه بالسموات والارضين
واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن وصف المخلوقين اذ كانوا في ادراكهم لبعض الاجرام السماوية والارضية
محجوبين عما وراءها وعلمه تعالى هو المحيط بالكل الذي لا تحجبه السواتر ولا يخفى عليه السرائر ومنها وقال لي
قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر لحريص فقلت بل انتم والله احرص وابعد وانا اخص واقرب
وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه فلما قرعته بالحجة في الملا الحاضرين هب كانه
لا يدري ما يجيبني به اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي
واجمعوا على منازعتي امرا هو لي ثم قالوا الا ان في الحق ان تاخذه وفي الحق ان تتركه اقول هذا الفصل من
خطبة يذكر فيها عليه السلم ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل عمر والذي قال له هذا القول هو سعد بن ابي
وقاص مع روايته فيه انت مني بمنزلة هارون من موسى وهو محل التعجب فاجابه بقوله بل انتم والله احرص
وابعد اي احرص على هذا الامر وابعد من استحقاقه وهو في صورة احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول

صغراه

صغراه ما ذكر وتقدير كبراه وكل من كان احرص على هذا الامر وابعد منه فليس له ان يعير الاقرب اليه
بالحرص عليه وقوله وانا اخص واقرب صغرى قياس ضمير احتج به على اولويته بطلب هذا الامر وتقدير كبراه
وكل من كان اخص واقرب الى هذا الامر فهو اولى بطلبه وروي ان هذا الكلام قاله يوم السقيفة وان الذي
قال له انك على هذا الامر لحريص هو ابو عبيدة الجراح والرواية الاولى اظهر واشهر وروي موضع بهت
هب اي انتبه كانه كان غافلا ذاهلا عن الحجة فاستيقظ من غفلته ثم اخذ في استعانة الله تعالى على قريش
ومن اعانهم عليه وشكا امورا منها قطع رحمه فانهم لم يراعوا قربه من رسول الله صلى الله عليه واله ومنها تصغير
عظيم منزلته بعدم التفاتهم الى ما ورد من النصوص النبوية في حقه ومنها اتفاقهم على منازعته امر الخلافة الذي
يرى انه احق به منهم وقوله ثم قالوا الى اخره اي انهم لم يقتصروا على اخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم
ولكنهم اخذوه مع دعواهم ان الحق لهم وانه يجب علي ان اترك المنازعة فيه فليتهم اخذوه معترفين انه حقي
فكانت المصيبة اهون وروي ناخذه ونتركه بالنون في الكلمتين وعليه نسخة الرضي رض والمراد انا نتصرف
فيه كما نشاء بالاخذ والترك دونك وهذه شكاية ظاهرة لا تاويل فيها منها في ذكر اصحاب الجمل فخرجوا
يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه واله كما تجر الامة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما
وابرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه واله لهما ولغيرهما في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة
وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة
صبرا وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره لحل لي قتل ذلك
الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة
التي دخلوا بها عليهم اقول جرم جناه ومقصود الفصل اظهار عذره في قتال اصحاب الجمل وذكر لهم ثلث
كبائر من الذنوب تستلزم اباحة قتالهم وقتلهم الاولى خروجهم بحرمة رسول الله صلى الله عليه واله وحبيسه
يجرونها كما تجر الامة عند شرائها مع حبسهما لنسائهما ومحافظتهما عليهن ووجه التشبيه في حسبان طلحة والزبير ووجه
الشبه انتهاك الحرمة ونقصانها في اخراجها وفي ذلك جراة على رسول الله صلى الله عليه واله وروى عكرمة
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه واله قال يوما لنسائه وهن عنده جميعا ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل
الادبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم في النار وتنجو بعد ما كادت وروى حبيب بن
عمير قال لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة الى البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم
الكلاب فنفرت صعاب ابلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوأب فما اكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب
قالت اهذا ماء الحوأب قالوا نعم قالت ردوني ردوني فسالوها ما شانها وما بدا لها فقالت اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه واله يقول كاني بكلاب الحوأب قد نبحت بعض نسائي ثم قال لي يا حميرا اياك ان تكونيها
فقال لها الزبير مهلا يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة فقالت اعندك من يشهد بان هذه
الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين اعرابيا جعلا لهم فحلفوا لها وشهدوا
ان هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه اول شهادة زور في الاسلام فسارت عائشة لوجهها

ولدتها الحرب جذعا بعد ما كادت تقال الاماتة معناه جذعا من القتل بعد ما كادت ان تقتل وقال المعتذرون ان معناه
جذعا من النار بالتوبة بعد ما كادت ان تدخلها بما فعلت الثانية نكثهم بيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة نتوجا ضد ما منهم
الامر اخذ بيعته الثالثة قتلهم لعامله بالبصرة وخزان بيت مال المسلمين بها بعضهم صبرا اي بعد الاسر وبعضهم غدرا
اي بعد اعطائهم الامان وخلاصة القصة ما روي ان طلحة والزبير وعائشة لما انتهوا في مسيرهم الى حفر ابي
موسى قريب البصرة كتبوا الى عثمن بن حنيف الانصاري وهو يومئذ عامل علي على البصرة ان اخل لنا دار الامارة
فلما قرأ كتابهم بعث الى الاحنف بن قيس والى حكيم بن جبلة العبدي فاقرأهما الكتاب فقال الاحنف انهم ان جاؤوا
بهذا الطلب بدم عثمن وهم الذين البوا على عثمن وسفكوا دمه فاراهم والله لا يزايلونا حتى يلقوا العداوة بيننا
ويسفكوا دماءنا واظنهم سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به والرأي ان تتأهب لهم بالنهوض اليهم فيمن
معك من اهل البصرة فانك اليوم الوالي عليهم وانت فيهم مطاع فسر اليهم بالناس وبادرهم قبل ان يكونوا
معك في دار واحدة فيكون الناس لهم اطوع منهم لك وقال حكيم مثل ذلك فقال عثمن بن حنيف الرأي ما رأيتما
لكني اكره الشر وان ابدأهم به وارجو العافية والسلامة الى ان يأتيني كتاب امير المؤمنين ورأيه فاعمل به فقال
له حكيم فأذن لي حتى اسير اليهم بالناس فان دخلوا في طاعة امير المؤمنين والا نابذتهم على سواء فقال عثمن لو كان
ذلك لسرت اليهم بنفسي فقال حكيم اما والله ان دخلوا عليك هذا المصر لينقلن قلوب كثير من الناس اليهم
وليزيلنك عن مجلسك هذا وانت اعلم فابى عليه عثمن ثم كتب علي عليه السلام الى عثمن بن حنيف لما بلغه مسير القوم
الى البصرة من عبد الله علي امير المؤمنين الى عثمن بن حنيف اما بعد فان البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا
الى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله اشد بأسا واشد تنكيلا فاذا قدموا عليك فادعهم
الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه فان اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك
وان ابوا الا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت
كتابي هذا اليك من الربذة وانا معجل المسير اليك ان شاء الله وكتب عبيد الله بن ابي رافع في سنة ست وثلثين
فلما وصل الكتاب الى عثمن بعث ابا الاسود الدؤلي وعمران بن الحصين اليهم فدخلا على عائشة فسألاها عما جاءت فقالت لهما
القيا طلحة والزبير فقاما ولقيا الزبير فكلماه فقال جئنا للطلب بدم عثمن وندعو الناس الى ان امر الخلافة شورى ليختار
الناس لانفسهم فقالا ان عثمن لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وانت تعلم قتلة عثمن واين هم وانك وصاحبك
وعائشة كنتم اشد الناس عليه واعظمهم اغراء بدمه فاقيدوا من انفسكم واما اعادة امر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم
عليا طائعين غير مكرهين وانت يا ابا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله
عليه وآله وانت آخذ قائم سيفك تقول ما احد احق بالخلافة منه وامتنعت من بيعة ابي بكر فاين ذلك الفعل
من هذا القول فقال لهما اذهبا الى طلحة فقاما الى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد العريكة قوي العزم في اثارة الفتنة
فانصرفا الى عثمن بن حنيف فاخبراه بما جرى وقال له ابو الاسود يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالد
واصبر وابرز لها مستلئما وشمر فقال ابن حنيف اي والحرمين لافعلن وامر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح
فاجتمعوا اليه واقبلوا حتى انتهوا الى المربد فلاذوه مشاة وركبانا فقام طلحة فاشار الى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا

بعد

بعد جهد فقال اما بعد فان عثمن بن عفان كان من اهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين الذين رضي الله عنهم
ورضوا عنه ونزل القرآن ناطقا بفضلهم واحد الائمة الوالين عليكم بعد ابي بكر وعمر صاحبي رسول الله صلى الله عليه
وآله وقد كان احدث احداثا نقمناها عليه فاتيناه واستعتبناه فاعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الامة امرها غصبا
بغير رضى ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير اتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريئا تائبا وقد جئناكم ايها الناس
نطلب بدمه وندعوكم الى الطلب بدمه فان نحن امكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين
وكانت خلافة رحمة للامة جميعا فان كل من اخذ الامر من غير رضى العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا
عضوضا وحدثا كبيرا ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من اهل البصرة فقالوا لهما الم تبايعا عليا
فيمن بايعه ففيم بايعتما ثم نكثتما فقالا ما بايعناه وما لاحد في اعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعته فقال ناس
قد صدقا ونطقا بالصواب وقال آخرون ما صدقا ولا اصابا حتى ارتفعت الاصوات فاقبلت عائشة على جملها
فنادت بصوت مرتفع ايها الناس اقلوا الكلام واسكتوا فسكت الناس فقالت ان امير المؤمنين عثمن قد كان
غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وانما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبان
وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما في حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل الا وان قريشا رمت غرضها
بنبالها وادمت افواهها بايديها وما نالت بقتلها اياه شيئا ولا سلكت به سبيلا قاصدا اما والله ليرونها
بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب ايها الناس انه ما بلغ
من ذنب عثمن ما يستحل به دمه مصتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه
وبايعتم ابن ابي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا اتراني اغضب لكم من سوط عثمن ولسانه ولا اغضب
لعثمن من سيوفكم الا ان عثمن قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط
الذين اختارهم امير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمن قال فماج الناس واختلطوا فمن
قائل يقول القول ما قالت ومن قائل يقول وما هي من هذا الامر انما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات
وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصباء ثم انهم تمايزوا فرقتين فرقة مع عثمن بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير
ثم اقبلا من المربد يريدان عثمن بن حنيف فوجده واصحابه قد اخذوا بافواه السكك فمضوا حتى انتهوا الى
موضع الدباغين فاستقبلهم اصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل
هو واصحابه يقاتلونهم حتى اخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فاخذوا الى مقبرة
بني مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت اليهم خيلهم ثم اخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الزابوقة ثم اتوا سبخة
دار الرزق فنزلوها واتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة بكتب كتباها اليه فقال لطلحة يا ابا محمد اما هذه
كتبك الينا قال بلى قال فكتبت امس تدعونا الى خلع عثمن وقتله حتى اذا قتلته اتيتنا ثائرا بدمه فلعمري ما هذا
رأيك ولا تريد الا هذه الدنيا مهلا اذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا
راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك فقال ان عليا دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت
اني لو لم اقبل ما عرضه علي لم يتم لي ثم يغري بي من معه ثم اصبحا من غد فصفا للحرب وخرج اليهما عثمن في اصحابه

فناشدهما الله والاسلام واذكرهما بيعتهما فشتماه شتما قبيحا وذكرا امه فقال للزبير اما والله لولا صفية
ومكانها من رسول الله فانها ادنتك الى الظل وان الامر بيني وبينك يا ابن الصعبة يعني طلحة اعظم من القول
لاعلمتكما من امركما ما يسوءكما اللهم اني قد اعذرت الى هذين الرجلين ثم حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا
ثم تحاجزوا واصطلحوا على ان يكتب بينهم كتاب صلح فكتب هذا ما اصطلح عليه عثمن بن حنيف الانصاري ومن معه من
المؤمنين من شيعة علي بن ابي طالب وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين المسلمين من شيعتهما ان لعثمن بن
حنيف الانصاري دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة والزبير ومن معهما ان ينزلوا
حيث شاؤوا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا سوق ولا فرضة ولا مشرعة ولا مرفق حتى يقدم
امير المؤمنين علي بن ابي طالب فان احبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة وان احبوا لحق كل قوم بهواهم وما
احبوا من قتال او سلم او خروج او اقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه واشد ما اخذه على نبي
من انبيائه من عهد وذمة وختم الكتاب ورجع عثمن حتى دخل دار الامارة وامر اصحابه ان يلحقوا باهلهم ويضعوا
سلاحهم ويداووا جراحاتهم فمكثوا كذلك اياما ثم خاف طلحة والزبير من مقدم علي وهما على تلك القلة والضعف فراسلوا القبائل
يدعونهم الى الطلب بدم عثمن وخلع علي ونفيه فبايعهم على ذلك الازد وضبة وقيس عيلان كلها الا الرجل والرجلين
من القبيلة كرهوا امرهم فتواروا عنهم وارسلوا الى هلال بن وكيع بن معمر من بني عمرو بن تميم والمنذر بني حنظلة
وبني دارم فلما استوسق لهما امرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما اصحابهما وقد البسوهما الدروع
وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمن بن حنيف اليه واقيمت الصلوة
فتقدم عثمن ليصلي بهم فاخره اصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت الشرط حرس بيت المال واخروا
الزبير وقدموا عثمن فغلبهم اصحاب الزبير فقدموه واخروا عثمن فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع
فصاح بهم اهل المسجد الا تتقون الله اصحاب محمد قد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف
من صلوته صاح باصحابه المستلئمين ان خذوا عثمن فاخذوه بعد ان تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما
فلما اسر ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه واشفار عينيه وكل شعرة في راسه ووجهه واخذوا السبابجة
وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمن بن حنيف الى عائشة فقالت لابان بن عثمن اخرج اليه فاضرب عنقه
فان الانصار قتلت اباك واعانت على قتله فنادى عثمن يا عائشة ويا طلحة ويا زبير ان اخي سهل بن حنيف
خليفة علي بن ابي طالب على المدينة واقسم بالله ان قتلتموني ليضعن السيف في بني ابيكم واهليكم ورهطكم
فلا يبقي منكم احدا فكفوا عنه وخافوا ان يوقع فتركوه وارسلت عائشة الى الزبير ان اقتل السبابجة فانه
قد بلغني الذي صنعوا بك قال فذبحهم والله كما يذبح الغنم ولي ذلك عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا
وبقيت منهم طائفة متمسكين ببيت المال قالوا لا نسلمه حتى يقدم امير المؤمنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا فاوقع
بهم واخذ منهم خمسين اسيرا فقتلهم صبرا فكان الغدر من السبابجة يومئذ اربعمائة رجل وكان غدر طلحة والزبير
بعثمن بن حنيف اول غدر كان في الاسلام وكانت السبابجة اول قوم ضربت اعناقهم من المسلمين
صبرا وخيروا عثمن بن حنيف بين ان يقيم او يلحق بعلي فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام فلما راه

لي وقال له شيخا وجئتك امرد فقال علي عليه السلام انا لله وانا اليه راجعون قال الشارح فان قلت فما معنى قوله
فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين الى آخره ثم اقسم عليه السلام انهم لو لم يصيبوا من المسلمين
الا رجلا واحدا متعمدين قتله بغير ذنب جناه لحل له قتل ذلك الجيش كله وان زيادة كان قلت المفهوم من هذا الكلام
تعليل جواز قتله لذلك الجيش كله بعدم انكارهم منكرا فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر قلت اجاب الشيخ عبد الحميد
بن ابي الحديد عنه فقال انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا مع انه مما حرمه الله فجرى ذلك مجرى
اعتقادهم اباحة الزنا وشرب الخمر واجاب القطب الراوندي بان جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية وان هؤلاء
القوم قد حاربوا رسول الله لقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي وسعوا في الارض بالفساد واعترض
المجيب الاول عليه فقال الاشكال انما هو في تعليله قتل الجيش المذكور لكونه لم ينكر على من قتل رجلا واحدا
من المسلمين فالتعليل بعدم انكار المنكر لا بعموم الآية واقول الجواب الثاني اشد والاول ضعيف لان
القتل وان وجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزنا فلم قلت انه يجب على
من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين بالتاويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا وخروجهم على الخرجاء فان جميع
ما فعلوه كان بتاويل لهم وان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر والزنا وبين اعتقاد
هؤلاء اباحة ما فعلوه واما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف ايضا لان له ان يقول ان قتل المسلم الذي
لا ذنب له عمدا اذا صدر من بعض الجيش ولم ينكر الباقون مع تمكنهم وحضورهم كان ذلك قرينة الرضا
من جميعهم والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصا اذا كان معروفا بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش
ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام العادل محاربة لله ولرسوله وقتلهم لعامله وخزان بيت مال
المسلمين ونهبهم له وتفريق كلمة اهل المصر وفساد نظامهم سعيا في الارض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية
وقوله يعني الى آخره اي لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا لحل لي قتلهم فكيف وقد قتلوا منهم عدة مثل عدتهم
التي دخلوا بها البصرة وما بعد مع زائدة وما ثانية [illegible] الكثرة وصدق عليه السلام فانهم قتلوا من اولياء
وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا كما ذكرناه على الوجه الذي ذكره بعض غدرا وبعض صبرا وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام أَمِينُ وَحْيِهِ وَخَاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ
بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ وَلَعَمْرِي لَئِنْ
كَانَتِ الإِمَامَةُ لا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا
ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ أَلا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ
الَّذِي عَلَيْهِ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ
وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَلا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً أَلا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا
الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَلا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ

ولا الذي دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها
فدعوا غرورها لتحذيرها واطماعها لتخويفها وسابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها
ولا يخنن احدكم خنين الامة على ما زوي عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة
على ما استحفظكم من كتابه الا وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم
بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر

اقول صدر هذا الفصل من مدائح الرسول صلى الله عليه وآله فشهادة كونه امينا على التنزيل من التحريف
والتبديل العصمة وشهادة ختامه الرسل قوله تعالى وخاتم النبيين وكونه بشير رحمة بالثواب الجزيل
ونذير نقمة بالعذاب الوبيل قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم اردفه ببيان احكام
الاول بيان احكام الذي هو احق الناس بامر الخلافة وحصر الاحق به في امرين احدهما اقوى الناس
عليه وهو الاكمل قدرة على السياسة والاكمل علما بواضحها وكيفياتها وكيفية تدبير المدن والحروب
وذلك يستلزم كونه اشجع الناس والثاني اعلمهم باوامر الله فيه ومفهوم الاعمل باوامر الله يستلزم
الاعلم باصول الدين وفروعه يبعض الاعمال مواضعها ويستلزم اشدهم حفاظا على مراعاة حدود الله والعمل بها
وذلك يستلزم كونه ازهد الناس واعبدهم واعفهم واعدلهم ولما كانت هذه الفضائل مجتمعة له عليه السلام
كان ذلك اشارة الى نفسه وروي عوض اعلمهم اعملهم الثاني بيان حكم الشاغب للامام بعد انعقاد بيعته
وهو انه يستعتب اي انه في اول وهلة يستعتب فتطلب منه العتبى والرجوع الى الحق والطاعة بلين
القول فان ابى قوتل وذلك الحكم مقتضى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية
الثالث بيان كيفية انعقاد الامامة بالاجماع حيث يقول ولعمري الى قوله وما الى ذلك سبيل ان الاجتماع
لا يعتبر فيه دخول جميع الناس حتى العوام اذ لو كان ذلك شرطا لادى الى ان لا ينعقد اجماع قط فلم تصح امامة
احد ابدا لتعذر اجتماع المسلمين باسرهم من اطراف الارض بل المعتبر في الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد
من امة محمد صلى الله عليه وآله على بعض الامور وهم العلماء وقد كانوا باسرهم مجتمعين حين بيعته عليه السلام فليس
لاحد منهم بعد انعقادها ان يرجع ولا لمن عداهم من العوام ومن غاب عنها ان يختار ردا غير ما اجمعوا عليه
فان قلت انه عليه السلام انما احتج على القوم بالاجماع على بيعته ولو كان له تمسك آخر من نص او غيره لكان
احتجاجه بالنص اولى فلم يعدل الى دعوى الاجماع قلت احتجاجه بالاجماع لا يعرض نفي النص ولا اثباته
بل يجوز ان يكون النص موجودا وانما احتج عليهم بالاجماع لاتفاقهم على العمل به حين سبق من الائمة ولانه يحتمل
ان يكون سكوته عنه لعلمه بانه لا يلتفت الى ذكره على تقدير وجوده لانه لم يلتفت اليه من بعد موت
الرسول فيه ولا اذ لا يلتفت اليه الآن وقد طالت المدة وبعد العهد فلم يكن في ذكره فائدة الرابع بيان
حرب من قاتله وهو احد رجلين الاول رجل خرج على الامام العادل بعد تمام بيعته وادعى ان الامامة حق له
وقد ثبت بالاجماع لغيره انها ليست له والثاني رجل خرج عن الامام ولم يتمسك له بشيء من الاحكام والاول
اشارة الى اصحاب الجمل والثاني الى معاوية واصحابه ثم عقب بالوصية بتقوى الله فانها خير زاد عند الله

الاان

الا ان من حركاته وسكناته ولما كان لذلك كان خيرا تواصى به عباد الله وقوله وقد فتح باب الحرب بينكم
وبين اهل القبلة اي قول غير اعلام الصحابة بحكم البغاة من اهل القبلة على سبيل الاجمال واما التفصيل فلا واما
حال الحرب وقد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفية قتال اهل القبلة ولا كيف السنة فيهم الى ان علموا
ذلك منه عليه السلام ونقل عن الشافعي انه قال لولا علي ما عرف شيء من احكام اهل البغي وقوله ولا يحمل هذا العلم
الا اهل البصر اي اهل البصائر والعقول الراجحة والصبر اي على المكاره وعن الشيعة الى الوساوس والعلم
بمواضع الحق وذلك ان المسلمين عظم عندهم حرب اهل القبلة واكبروه والمقدمون منهم على ذلك انما اقدموا
على خوف وحذر فقال عليه السلام ان هذا العلم لا يدركه كل احد بل من ذكره وروي العلم بفتح اللام وذلك ظاهر
فان حامل العلم هو مدار الحرب وخوض العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة ليضع الاشياء
مواضعها ثم امرهم بقواعد كلية عند عزمه على المسير الى الحرب وهي ان يمضوا فيما يؤمرون به ويقفوا عندما
ينهون عنه ولا يعجلوا في امر اي لا يسرعوا الى انكار امر فعله او يامرهم به حتى يتبينوا عن فائدته وبانه كان له
عند كل امر ينكرونه تغييرا اي قوة على التغيير ان لم يكن في ذلك الامر مصلحة في نفس الامر وفائدة لهم
بالتبين عند استنكاره امرا انه يحتمل ان لا يكون ما استنكروه منكرا في نفس الامر فيكون تجويزهم كونه منكرا
لعدم علمهم بوجهه ويسرعون الى انكاره لما كان اويه فيقعون في الخطأ قال بعض الشارحين وفي قوله
فان لنا عند كل امر ينكرونه تغييرا ايماء الى انه ليس كعثمان في صبره على ارتكاب الناس لما كان ينهاهم عنه
بل يغير كل ما ينكره المسلمون ويقتضي العرف والشرع تغييره ثم اخذ في التنفير عن الدنيا بامور
الاول التنفير عن تمنيها والرغبة فيها وعن الغضب لفوتها والرضى بحصولها بكونها ليست الدار والمنزل
الذي خلقوا له ودعوا اليه واستلزم ذلك التنفير التشبيه على ورائها والعمل له الثاني نهى عنها بفنائها
منهم وفنائهم عنها الثالث بانه لا فائدة فيها فانها وان كانت تغر وتخدع بما فيها مما يعتقد خيرا وكمالا
فان فيها ما يقابل ذلك وهو التحذير بما فيها من الآفات والتغيرات المعدودة شرا فينبغي ان يتركوا
خيرها القليل لشرها الكثير واطماعها لتخويفها وتسابقوا الى الخير الخالص في الدار التي دعوا اليها وخلقوا لها
وينصرفوا بقلوبهم عنها اي يزهدوا الزهد الحقيقي فيها فان الزهد الظاهري مع الحنين الى ما زوي منها
عن احدكم غير منتفع به وخص حنين الامة لان الحنين اكثر ما يسمع من الامة لان العادة ان تضرب وتؤذى
فيكثر حنينها ورد حنين باء الهجمة والحنين كالبكاء في الانف واذا امر بالزهد الحقيقي امر بالصبر على طاعة الله
وعبادته والمحافظة على اوامر كتابه ونواهيه اذ بالزهد يكون حذف الموانع الداخلة والخارجة وبالطاعة
والعبادة يكون تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وهما جزءا الرياضة والسلوك لسبيل الله
ورغب في الصبر على طاعة الله بان فيه استتمام نعمة الله وظاهر ان طاعة الله سبب عظيم لافاضة نعم الله الدنيوية
والاخروية ثم اكد الامر بالمحافظة على ما قام من الدين بانه لا مضرة في ترك شيء من الدنيا وتضييعها مع
المحافظة على الدين لان في المحافظة على الدين من الخير الدائم التام الاخروي الذي لا نسبة لخير الدنيا اليه وبانه
لا منفعة في المحافظة على ما فيها اي في الدنيا مع تضييع الدين واهماله وذلك امر مفروغ عنه ومستغنى عن بيانه

الى غايته ان ينتبهوا

ثم ختم بالدعاء لهم ولنفسه باخذ الله بقلوبهم الى الحق اي الهامهم لطلبه وهدايتهم اليه وجذبهم الى سلوك سبيله ثم
الهامهم الصبر اي على طاعته وعن معصيته وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم في معنى طلحة بن عبيد الله
قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما قد وعدني ربي من النصر والله ما استعجل متجردا
للطلب بدم عثمن الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه منه فاراد ان
يغالط بما اجلب فيه ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمن واحدة من ثلث لئن كان ابن
عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه ولئن كان مظلوما لقد كان
ينبغي له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله
ويركد جانبا ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره
اقول هذا الفصل من كلام قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهم له بالحرب ونهنه
عنه كف وزجر والمعذرين بالتخفيف المعتذرين عنه وبالتشديد المظهرين العذر مع انه لا عذر لهم
يمكن فقوله قد كنت الى قوله النصر جواب لتهديدهم وقد مرت هذه الالفاظ بعينها مشروحة الا ان هناك
وانه على يقين من ربه وهنا وانا على ما وعدني ربي من النصر وذلك الذي هو عليه هو اليقين بالنصر
على لسان الرسول صلى الله عليه وآله والواو في قوله وما اهدد للحال وكان تامة وقوله والله ما استعجل الى
قوله ويقع الشك اشارة الى شبهتهم في الخروج الى البصرة وهي الطلب بدم عثمن ثم الى معارضته هذه
الشبهة وهي ان خروجه ليس الا خوفا من ان يطالب بدمه لانه مظنة ذلك وقد سبقت منا الاشارة
الى دخول طلحة في تحريض الناس على قتل عثمن وجمعه لهم في داره وروي انه منع الناس من دفنه ثلثة ايام
وان حكيم بن حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي في دفنه فاقعد لهم طلحة في الطريق اناسا يرمونهم بالحجارة
فخرج به نفر من اهله يريدون به حائطا في المدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم
فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه فارسل اليهم علي عليه السلم فكفهم عنه حتى دفن بحش كوكب وروي
انه جادل في دفنه بمقابر المسلمين وقال ينبغي ان يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود وبالجملة فحيث كان على
لم يكن في القوم احرص منه على قتله لكنه اراد ان يغالط بما اجلب في الطلب بدمه ليلتبس الامر ويقع
الشك في دخوله في قتله وقوله والله ما صنع في امر عثمن الى آخره صورة احتجاج عليه وقطع لعذره في الخروج
والطلب بدمه بقياس شرطي منفصل وتقريره ان حاله في امر عثمن وخروجه في طلب دمه لا يخلو من امور
ثلثة فانه اما ان يعلم انه كان ظالما او يعلم انه كان مظلوما او يشك في الامرين ويتوقف فيهما فان كان
الاول فقد كان الواجب عليه ان يساعد قاتليه ويوازرهم وينابذ ناصريه لوجوب انكار المنكر عليه
وهو قد عكس الحال لانه نابذ قاتليه وثار في طلب دمه مع ناصريه مع توهم فيه ذلك وان كان الثاني
فقد كان يجب عليه ان يكون ممن يكف الناس عنه ويعتذر عنه فيما فعل لوجوب انكار المنكر ايضا مع انه
ممن وازر عليه الناس واظهر احداثه وعظمها كما هو المنقول المشهور عنه وان كان الثالث فقد كان
الواجب عليه ان يعتزله ويسكن عن الخوض في امره ولم يفعل ذلك بل ثار في طلب دمه كما في هذه الحال

الثلث فجوابه في خروجه وتكثيره لتبعته فاذن ما جاء به من ذلك امر لا يعرف بابه اي وجه دخوله فيه ولم يسلم له فيه
عذر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون والمأخوذ
منهم ما لي اراكم عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبي ومشرب دوي
انما هي كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها امرها
والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا في
برسول الله صلى الله عليه وآله الا واني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه
على الخلق ما انطق الا صادقا ولقد عهد الي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الامر وما
ابقى شيئا يمر على راسي الا افرغه في اذني وافضى به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة
الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم عنها اقول السائم الراعي والوبي محل الوباء
والدوي محل الداء والمدى جمع مدية وهي السكين والخطاب عام وكونهم غافلين اي عما يراد بهم من امر
الآخرة وغير مغفول عنهم اي ان اعمالهم محصلة في اللوح المحفوظ وتاركين اي لما امروا به من الطاعة ومأخوذا
منهم اي منتقص من اعمارهم وقنياتهم الدنيوية من مال واهل ثم نبههم على ذهابهم عن الله وهو التفاتهم عن
طاعته ورغبتهم في غيره وهو الحيوة الدنيا وزينتها ثم شبههم في ذلك بالنعم التي اراح بها راعيها الى
مرعى كثير الوباء والداء ووجه الشبه انهم لغفلتهم كالنعم ونفوسهم الامارة بالسوء القائدة لهم الى المعاصي
كالراعي القائد للنعم الى المرعى الوبي ولذات الدنيا ومشتهياتها وكون تلك اللذات والمشتهيات محل
الآثام التي هي مظنة الهلاك الاخروي والداء الدوي تشبه المرعى الوبي والمشرب الدوي وقوله انما
هي كالمعلوفة تشبيه آخر لهم بمعلوفة النعم ووجه الشبه انهم لعنايتهم بلذات الدنيا من المطاعم والمشارب
كالنعم المعتنى بعلفها وكون ذلك التلذذ غايته الموت تشبه غاية المعلوفة وهي الذبح وكونهم غافلين
عن غاية الموت وما يراد بهم يشبه غفلة النعم عن غايتها من الذبح وكونهم يظنون ان الاحسان اليهم ببسط
اللذات الدنيوية في بعض الاوقات دائم في جميع اوقاتهم وان شبعهم في هذه الحيوة وريهم هو غايتهم
التي خلقوا لاجلها وتمام امرهم يشبه غفلة النعم في حال حضور علفها في بعض الاوقات عما بعده من الاوقات
وتوهمها ان ذلك غايتها التي خلقت لاجلها ووجه هذا الشبه مركب من هذه الوجوه ثم اقسم انه لو شاء لاخبر
كل رجل منهم بمواضع تصرفاته وحركاته في جميع احواله وهو كقول المسيح عليه السلم وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم وقد علمت امكان ذلك العلم وسببه في حق الانبياء والاولياء في مقدمة الكتاب وقوله ولكن اخاف
ان تكفروا في برسول الله اي اخاف ان تغلوا في امري وتفضلوني على رسول الله بل كان يخاف ان يكفروا
فيه بالله كما ادعت النصارى في المسيح حيث اخبرهم بالامور الغائبة ثم قال الا اني مفضيه الى الخاصة اي
اهل العلم والثبات من اصحابه ممن يؤمن ذلك الكفر منه وهكذا شان العلماء واساطين الحكمة ورايهم ان لا يضعوا
العلم الا في اهله فانه مع ان من الناس من يدعي فيه النبوة وانه شريك محمد في الرسالة ومنهم من ادعى انه الاله
وهو الذي ارسل محمدا الى غير ذلك من الضلال ومنه يقول بعض شعرائهم ومن اهلك عادا وثمودا بدواهيه

ومنهم كليم موسى فوق طور اذ ينادى به • ومنهم قال على البشر يوما وهو راقبه • سلوني ايها الناس فاروا انه معاينة • وقول
الآخر: انا قاتل الخلائق من • رفيع اركان خيبر جذبا • فدر منبابه اماما ومولى • وسجد ما لاله الآتي وربا • ثم اقسم
انه ما نطق الا صادقا فيما اخبر به من هذه الامور وان الرسول صلى الله عليه وآله عهد اليه بذلك وبهلاك من هلك
الى قوله واقضي به الى اي القاه الي واعلمني به وذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزئي اعني ان يخبره بواقعة واقعة
ومنه ما يكون على وجه كلي اي يلقي اليه امورا كلية يقتدر ذهنه بها على استنباط الصور الجزئية من واهب الصور كما سبق
تقريره ومما نقل عنه من ذلك في بعض خطبه التي يشير فيها الى الملاحم يومي به الى القرامطة ينتحلون لنا الحب والهوى
ويضمرون لنا البغض والقلى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثنا وصح ما اخبر عنه لان القرامطة قتلت
من آل ابي طالب خلقا كثيرا واسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصبهاني ونقل بعض الشارحين
ومن هذه الخطبة وهو يشير الى السارية التي كانت يستند اليها في مسجد الكوفة كأني بالحجر الاسود منصوبا ههنا
ويحهم ان فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه واسه يمكث ههنا مدة ثم ههنا مدة واشار الى مواضع ثم يعود الى
مأواه ويأتم مثواه • ووقع من القرامطة في الحجر الاسود بموجب ما اخبر به عليه السلام واقول في هذا النقل نظر لان
المشهور ان القرامطة نقلوا الحجر الاسود الى ارض بحرين وبنوا له موضعا وصنعوه فيه يسمى الى الآن بالكعبة وبقي هناك
مدة ثم اعيد الى مكة وروي انه مات في المجيء به خمسة وعشرون بعيرا وعاد به الى مكة بعير ليس بالقوي وذلك من
اسرار دين الله تعالى ولم ينقل انهم نقلوه مرتين والله اعلم ومن خطبة له عليه السلام انتفعوا ببيان الله واتعظوا
بمواعظ الله واقبلوا نصيحة الله فان الله تعالى قد اعذر اليكم بالجلية واخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال
ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان
النار حفت بالشهوات واعلموا انه ما من طاعة الله شيء الا يأتي في كره وما من معصية الله شيء الا يأتي في شهوة
فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى نفسه فان هذه النفس ابعد شيء منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية
في هوى واعلموا عباد الله ان المؤمن لا يصبح ولا يمسي الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها
فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض الراحل وطووها طي المنازل واعلموا ان
هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن
احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة في هدى ونقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من
فاقة ولا لاحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لاوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء
وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسألوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه انه ما توجه العباد
بمثله الى الله واعلموا انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ومن محل به القرآن
يوم القيامة صدق عليه فانه ينادي مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن
فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه
اهواءكم العمل العمل ثم النهاية النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع الورع ان لكم نهاية
فانتهوا الى نهايتكم وان لكم علما فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا الى الله مما افترض

عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيامة عنكم الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء
الماضي قد تورد واني متكلم بعدة الله وحجته قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه
وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها فان اهل المروق
منقطع بهم عند الله يوم القيامة ثم اياكم وتهزيع الاخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليختزن الرجل لسانه
فان هذا اللسان جموح بصاحبه والله ما ارى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه فان لسان المؤمن من وراء
قلبه وان قلب المنافق من وراء لسانه لان المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام تدبره في نفسه فان كان خيرا ابداه
وان كان شرا واراه وان المنافق يتكلم بما اتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله
لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله سبحانه
وهو نقي الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم فليفعل واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل
العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم
عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الامور وضرستموها ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت
الامثال لكم ودعيتم الى الامر الواضح فلا يصم عن ذلك الا اصم ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب
لم ينتفع بشيء من العظة واتاه النقص من امامه حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما الناس رجلان متبع شرعة
ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة فان الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن
فانه حبل الله المتين وسببه الامين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع انه قد ذهب
المتذكرون وبقي الناسون او المتناسون فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه واذا رأيتم شرا فاذهبوا عنه فان رسول الله
صلى الله عليه وآله كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر
وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه ان الله لا يغفر ان
يشرك به واما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات واما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم
بعضا القصاص هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه فاياكم
والتلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه لم يعط احدا
بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته
واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة اقول الظنون المتهمة والزاري
العائب وتقويض البناء نقضه واللاواء الشدة ومحل به الى السلطان كاده وقال فيه ما يضره وتورد الخيل
البلدة دخلها قطعة وتهزيع الاخلاق تكسيرها وتفريقها وضربت الامر الحكمة بحربه وقد امر السامعين ان ينتفعوا
ببيان الله في كتابه وعلى لسان رسوله ويتعظوا بمواعظه ويقبلوا نصيحته فيما لا جله خلقوا واتما عداهم امر كلي
دون الضمير للتعظيم ثم اشار الى وجه وجوب الامتثال عليهم وهو اعذاره اليهم بالجلية اي الامر الظاهر بصورة
العذر من الآيات والنذر الجلية الواضحة واتخاذه الحجة ببعث الرسل وبيان محابه من الاعمال الصالحات ومكارهه

من المحرمات في كتابه العزيز لغاية اتباع محابه واجتناب مكارهه ثم نبه على ما في الطاعة وامتثال التكليف
من الشدة والكره بذكر الصبر ونعم ما تضمنه الصبر وانه لم ينبه على الشدة مجردة بل قرنها بذكر الجنة وجعلها مجوبة
بها لتحصل الرغبة في الجنة فيتم السعي في قطع تلك الحجب المكروهة وكذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفة
بها النار لتنفر عنها ثم بعد تسهيل المكاره التي يشتمل عليها الطاعات بذكر الجنة وتحقير الشهوات التي يريد
الجذب عنها بذكر النار رصع بانه لا ما من طاعة الا في كره ولا معصية الا في شهوة وقد عرفت سر ذلك وان
النفس للقوة الشهوية الجمع منها للعقل خصوصا فيما هو اقرب اليها من اللذات المحسوسة التي تلحقها العقاب
عليها ثم عقب ذلك بدعائه ان يرحم امرأ انزع من شهوته اي اشتغل من الانهماك فيها وقمع نفسه الامارة
بالسوء فانها ابعد شيء منزع عن الله ثم فسر منزعها الذي ينزع اليه وهي المعصية في هواها وما تميل اليه ثم نبه
على حال المؤمن الحق وتهمته نفسه في جميع اوقاته من صباح ومساء وانه لا يزال عايبا عليها ومراجها لا حوالها
ومواخذا لها بالزيادة في الاعمال الصالحة وقد سبقت الاشارة الى ذلك ثم امرهم ان يكونوا كالسابقين
من اكابر الصحابة والماضين امامهم الى الجنة في الاعراض عن الدنيا واستعار لفظ التقويض والطي
لتقطيعهم علايق الدنيا ورحيلهم الى الاخرة كما يقوض الراحل متاعه للسفر ويطوي خيامه للرحيل ثم عقب
بذكر القرآن ومادحه ترغيبا في الاقتداء به واستعار وصف الناصح له ووجه الاستعارة ان القرآن
يرشد الى وجوه المصالح كما ان الناصح كذلك ورشح بكونه لا يغش معه وكذلك كونه هاديا لا يضل اي لا طريق ..
ورد ولا يضل اي لا يضل غيره وكذلك استعار وصف المحدث له ورشح بكونه لا يكذب ووجه الاستعارة
اشتماله على الاخبار والقصص الصحيح وفهمه واستفادته منه كالمحدث الصادق وكنى بمجالسة القرآن
عن مجالسة حملته وقراءته لاستماعه منهم وتدبره عنهم فان فيه من الآيات الباهرة والنواهي الزاجرة ما يزيد
بصيرة المستبصر من الهدى وينقص من عمى الجهل ثم نبههم على انه ليس بعده على احد فقر اي ليس بعد نزول الكتاب
وبيانه الواضح حاجة بالناس الى بيان حكم في اصلاح معاشهم ومعادهم ولا لاحد قبله من غنى اي قبل نزوله
لا غنى عنه للنفوس الجاهلة واذ كان بهذه الصفة امرهم باخذ الشفاء منه لادوائهم اي ادواء الجهل وان
يستعينوا على شدتهم وفقرهم الى ان يسئلوا منه وجوه المصالح الدنيوية والاخروية ثم عدا كبر ادواء الجهل
واعاد ذكر كونه شفاء منها اولها الكفر بالله وهو عمى القوة النظرية من قوى النفس عن معرفة صانعها ومبدعها
الى غاية الكفارة او اتخاذ ثان له او الحكم عليه بصفات المخلوقين المحدثين والثاني النفاق وهو مستلزم رذيلة
الكذب المقابلة لفضيلة الصدق ثم رذيلة الغدر المقابلة لفضيلة الوفاء وقد سبق بيان حال النفس في ذلك
الرذيلتين الثالث الغي وهو رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة الرابع الضلال وهو الانحراف عن فضيلة العدل
والى كونه شفاء الاشارة بقوله عليه السلم ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها
قال قراءة القرآن وذكر الموت وقد علم استماله على ذكر الموت في مواضع كثيرة ثم امرهم ان يسئلوا الله
به والمراد الحكم اعدوا انفسكم وكلوا لاستنزال الطاف من الله بما اشتمل عليه القرآن من الكمالات
النفسانية وتوجهوا اليه بحبه لان من احبه استكمل بما فيه فتوجه الى الله وقوله ولا تسألوا به خلقه اي

ابتغوا فضلكم لطلب الرزق به من خلق مثلكم فانه لم ينزل لذلك وقوله فانه ما توجه العباد الى الله بمثله وذلك
لاشتماله على جميع الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق والنهي عن جميع الرذائل الموبقة ثم استعار لفظي
الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيئات الردية من المعاصي
وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع اثر الذنب عن قلب المشفوع اليه وذلك سر الخبر المرفوع ما من شفيع
من ملك ولا نبي ولا غيرهما افضل من القرآن وكذلك لفظ القايل المصدق ووجه الاستعارة كونه ذا الفاظ اذا
نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقايل الصادق ثم اعاد وصف كونه شافعا مشفعا يوم القيمة ثم استعار لفظ المحل للقرآن
ووجه الاستعارة ان لسان حال القرآن شاهد في علم الله وحضرة ربوبيته على من اعرض عنه بعدم اتباعه وفي نفسه
لما اشتمل عليه وتلك شهادة لا يجوز عليها الكذب فبالواجب ان يصدق فاشبه الساعي الى السلطان في حق غيره
بما يضره وقوله فانه ينادي مناد يوم القيمة الى آخره فالمنادي هو لسان حال الاعمال والحرث كل عمل يعقب به
غاية وتستخرج منه ثمرة والابتلاء هنا ما يلحق النفس على الاعمال ومواقعها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعة
وظاهر ان حرث القرآن والبحث عن مقاصده لغاية الاستكمال به برئ من لواحق العقوبات ثم حثهم على ان يكونوا
من حرثته واتباعه وان يسدلوه اي يتخذوه دليلا قائدا الى ربهم وان يستنصحوه على انفسهم اي يتخذوه ناصحا
على نفوسهم الامارة بالسوء لكونها هي الغاشة لهم في قودها الى معصية الله وكون القرآن زاجرا لهم عما تامرهم به تلك
النفوس فيجب ان تقبل نصيحته عليها وكذلك اتهموا عليه اراءكم اي اذا رايتم رايا يخالف القرآن فاتهموا ذلك الراي
فانه صادر عن النفس الامارة بالسوء وكذلك قوله واستغشوا فيه اهواءكم وانما قال هنا استغشوا وقال في
الاراء اتهموا لان الهوى هو ميل النفس الامارة من غير مراجعة العقل فاذا حكمت عن متابعتها لحكم فهو غش صريح
واما الراي فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون بدونه فجاز ان يكون حقا وجاز ان يكون باطلا فكان بالتهمة
اوسط ثم امر بلزوم العمل الصالح ثم بحفظ النهاية المطلوبة منهم بالعمل والوصول اليها منه اي راعوا عاقبتكم ونهاية
اعمالكم وغايتها فان الامور بخواتيمها ثم امر بالاستقامة اي على العمل ثم بالصبر عليه وحقيقته مقاومة الهوى لئلا ينقاد
الى قبايح اللذات فيخرج عن الصراط ثم بالورع وهو لزوم الاعمال الجميلة وانما عطف النهاية والصبر ثم تاخر نهاية
العمل عنه وكون الصبر امرا عدميا هو في معنى التراخي والتنكب عن العمل الذي هو شيء وجودي بخلاف الاستقامة
على العمل فانها كجنسه والورع فانه جزء منه وكرر تلك الالفاظ تاكيدا والنصب في جميعها على الاغراء ثم اشار
الى ان تلك النهاية هي النهاية التي لهم وامرهم بالانتهاء اليها وهي الامر الذي خلقوا لاجله اعني الوصول الى الله
طاهرين عن رجس الشيطان وهو لفظ الخبر النبوي ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم غاية
فانتهوا الى غايتكم فان المراد بالغاية والنهاية واحد والمراد بالمعالم حظاير القدس ومنازل الملائكة وكذلك
ان لكم علما فاهتدوا بعلمكم اي الى تلك النهاية واستعار لفظ العلم لنفسه ثم اخبران للاسلام غاية وامرهم بالانتهاء
اليها وتلك الغاية هي النهاية المشار اليها وقوله واخرجوا الى الله الى قوله وظايفه فالتقدير اخرجوا فيما افترض
عليكم من حقه في فرايضه ووظايفه الاخلاص بها لوجهه ثم رغبهم في طاعته واتباع اوامره بكونه شاهدا لهم يوم
القيمة ومحاجا قال بعض الشارحين وانما ذكر الاحتجاج وان كان ذلك الموقف ليس موقف حاجة الا اذا اشهدهم

مكانه اثبت الحجة لهم فاشبه المحاج واقول لما كان امام كل قوم هو المخاطب عنهم والشهيد لهم كما قال تعالى يوم ندعو
كل اناس بامامهم وقوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم وكان ذلك اليوم
هو موقف السؤال والجواب كان ذلك في المحاجة والمجادلة فالمخلص من الاسوة باجوبتها شبه غلب السائل
بالحجة وهو البرهان المطلوب وجرت العادة بان البرهان يكون عند المحاجة وكذلك الانقطاع عن الجواب
يشبه كون المسؤل محجوجا وهذا الاحتجاج والشهادة مقالية عند القائلين بحشر الاجساد وحالية عند غيرهم
ثم اخبر ان القدر السابق في علم الله قد وقع والقضاء الماضي اي النافذ قد تورد اي دخل في الوجود
شيئا فشيئا وقد علمت فيما سلف ان القضاء هو العلم الالهي بما يكون وما هو كائن وان القدر تفصيل الجزئي
على وفقه لكنه اشار بوقوع القدر هنا الى واقع خاص وهو خلافته وما يلزمها من الفتن والوقائع وروى
ان هذه الخطبة من اوايل الخطب التي خطب بها ايام بويع بعد قتل عثمن قال بعض الشارحين وفي هذا الكلام
اشارة الى ان الرسول صلى الله عليه وآله اخبره ان الامر سيصل اليه في آخر وقته واقول لا شك ان وقوع
هذا الامر من القدر السابق على وفق القضاء وليس للفظ اشعار بما قال هذا الفاضل اذ كان عليه السلم عالما
بان كل واقع في الوجود فبقضاء من الله وقدر وقوله وانا متكلم بعدة الله وحجته اي لما وقع هذا الامر الى
فانا المتكلم بهذا وعدة الله ما وعد به عباده الذين اعترفوا بربوبيته واستقاموا على سلوك سبيله
بطاعته من تنزل الملائكة عليهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنة واما حجته التي تكلم بها فقوله وقد
قلتم ربنا الله اي اعترفتم بالربوبية فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته
اي التي هي عن علم والخالصة من الريا والنفاق من غير ان تمرقوا منها اي تخرجوا عنها بالتخاذل والتشدد الى
طرف الافراط الذي هو ثمرة الجهل ولا تحدثوا فيها بدعة ولا تخالفوا عنها وتحيدوا يمينا وشمالا فتقعوا في مهاوي
الهلاك فانكم متى فعلتم ذلك فقدتم شرط استحقاقكم لانجاز عدته المذكورة فان ذلك الشرط مركب من الاعتراف
بربوبيته والاستقامة على الامور المذكورة في بعض خواص تلك العدة ومع فوات جزء من ذلك الشرط
لا يقع المشروط اعني الموعود به وذلك معنى كون اهل المروق منقطعا بهم اي لا يجدون بلاغا يوصلهم الى المقصد
لان ذلك الشرط هو البلاغ الى المقصد الحقيقي ثم شرع في النهي عن النفاق لان تهزيع الاخلاق تغيرها ونقلها
من حال الى حال وهو معنى تصريفها وذلك هو النفاق اذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تارة يكون
صادقا وتارة كاذبا وتارة وفيا واخرى غادرا ومع الظالمين ظالم ومع اهل العدل عادل ولذلك
قال واجعلوا اللسان واحدا وهو شروع في الوصية بحال اللسان وعدله اي لا يكون لاحدكم ذا لسانين
وهو المنافق ثم امر بخزنه واستلزم النهي عن امور وهي الفضل من القول ووضعه في غير مواضعه والغيبة
والنميمة والسعاية والمسابة والقذف ونحوه وكلها رذايل في طرف الافراط من فضيلة العدل وقوله
فان اللسان جموح بصاحبه تعليل لذلك النهي واشارة الى خروجه بصاحبه عن فضيلة العدل الى الرذايل
التي هي موارد المهلكة في الآخرة والدنيا كان الفرس الجموح يجمح بصاحبه الى المهالك ولفظ الجموح مستعار
لهذا الاعتبار ثم اخبر انه لا متقي ينفعه تقواه الا بخزن لسانه وهو حق لان التقوى التام هو التقوى التام

وحزن

وحزن اللسان وكفه عن الرذايل المذكورة جزء عظيم من التقوى لا يتم بدونه فهي اذن لا ينفع الا به ثم نبه على ما ينبغي
عند ارادة القول من التثبت والتامل بما يراد النطق به وعلى ما لا ينبغي من القول بغير مراجعة الفكر وقرن الاول
بالايمان ترغيبا فيه والثاني بالنفاق تنفيرا عنه وقوله ان المؤمن الى قوله وما ذا عليه بيان لكون اللسان
وراء واماما وتلخيص هذا البيان ان الوراء في الموضعين كناية عن التبعية لان لسان المؤمن تابع لقلبه فلا ينطق
بقدر تقديم الفكر فيما ينبغي ان يقوله وقلب المنافق وفكره متاخر عن نطقه فكان لفظ الوراء استعارة من
الخلف المحسوس للمعقول فاما الخبر النبوي المذكور فهو استشهاد على ان الايمان لا يتم الا باستقامة اللسان على ما
وخزنه عن الرذايل التي عددناها وذلك عين ما ادعاه في قوله ان التقوى لا ينفع العبد حتى يخزن لسانه فاما
برهان الخبر فهو ان استقامة القلب عبارة عن التصديق بالله ورسوله واعتقاد حقية ما وردت به الشريعة
من المامورات والمنهيات وذلك عين الايمان وحقيقته فاذن لا يستقيم الايمان حتى يستقيم القلب واما انه
لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان فلان استقامة اللسان على الاقرار بالشهادتين ولوازمها وعلى الامساك عما ينبغي من الامور
المعدودة من لوازم استقامة القلب لكنا على غير المفترض تلك الامور والقائل بها بعدم الايمان الكامل ودوام
امر من ومن لازمه وقوله فمن استطاع الى قوله فليفعل امر بالاجتهاد في لقاء الله تعالى على احوال وهي نقاء الراحة
من دماء المسلمين واراد السلامة من قتل النفس واموالهم واراد السلامة من الظلم وان يكون الانسان سليم اللسان
من اعراضهم واراد الكف عن الغيبة والسب وشرط ذلك بالاستطاعة لعسره وشدته وان كان واجب
الترك على كل حال واشدها الكف عن الغيبة فانه يكاد ان لا يستطاع والى نحو هذا اشارة الرسول صلى الله عليه وآله
المسلم من سلم وقال بعض الحكما من علم ان لسانه جارحة من جوارحه اقل من اعمالها واستشنع ادامة تحريكها كما يستشنع
ان يحرك راسه او منكبه دايما وقوله واعلموا الى قوله حرم عليكم قال بعض الشارحين هو اشارة الى ان ما ثبت
من طريق النص او العادة التي شهد بها النص في زمان الرسول صلى الله عليه وآله لا يجوز ان ينقض بالقياس
والاجتهاد بل كل ما ورد به النص فيتبع فيه مورد النص فما كان حلالا بمقتضى النص وعمومه في العام الماضي
فهو في هذا العام حلال وكذا في الحرام وعموم هذا الكلام يقتضي عدم جواز نسخ النص وتخصيصه بالقياس وهو
مذهب الامامية لاعتقادهم بطلان القول بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الاصوليين مع اقرارهم
بحجية القياس ومن يجوز تخصيصه به يحمل هذا الكلام على عدم قبول القياس في نسخ النص من كتاب او سنة
وما احدثه الناس اشارة الى القياس وقوله ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله تاكيد لاتباع النص
وما كان عليه الصحابة من الدين مما هو معلوم بينهم دون ما احدث من الآراء والمذاهب وقوله فقد جربتم
الامور وضرستموها الى قوله الامر الواضح اشارة الى وجوه العلم وماخذه وهو الدين وطرايقه فلا بد
ان تكون نفوسكم قد استعدت بذلك لعلم الاحكام الشرعية ومقاصدها من الكتاب والسنة وعادات
الرسول والصحابة فلا يخفى عليهم ما ابتدع بعدها وان كل بدعة حرام فضلا ان ترفع حكم نص او سنة بقي العلم
بها ولا يعمى عن هذه المواعظ والامثال والدعوة الى الدين الا اصم اي من هو شديد الصمم كما يقال ما يجهل هذا الا
الا جاهل اي اشد الناس جهلا وكذلك لا يعمى عنها اي لا يعمى عنه بصيرة الا بصيرة اشتد عماها وقوله ومن لم ينفعه

الى قوله من امامه كلام حق وذلك ان الانسان في مبدأ الفطرة خال عن العلوم وانما خلقت له هذه الآلات البدنية
لينتفع بها صور المحسوسات ومعانيها وتنبّه لمشاركات بينها ومباينات فيحصل له التجربة وساير العلوم
الضرورية والمكتسبة فمن لم ينتفع بالبلاء اي بامتحان الامور وتجاربها وهو اشارة الى اختبار الامور
والتفكر فيها والابتلاء بها كالوقوع في المكاره ومعاناة الاعمال ولم يستفد منها علما فظاهر انه لا ينفعه العظة
لان العظة فرع تصفح الامور واعتبار آيات الله منها ومحال ان يحصل فرع من دون اصله ومن باب التنقص
في كمال نفسه ووجوه مصالحه ويحتمل ان يريد بالعظة الا تعاظ بل الموعظة وظاهر ان الموعظة ايضا لا تنفعه
لان البلاء بالمكاره والوقايع النازلة اقوى فعلا في النفس واكثر تاثيرا فاذا لم ينتفع بها ولم يستفد منها
علما فبالاولى ان لا ينتفع بالموعظة وقوله من امامه لان الكمالات التي يتوجه اليها بوجه عقله تفوته لنقصان
تجربته ووقوف عقله عنها فاشبه فوتها له مع طلبه لها اتيان النقصان له من امامه وقوله حتى يعرف ما انكر
وينكر ما عرف اشارة الى غاية نقصانه وهي الاختلاط والحكم على غير بصيرة فتارة يتخيل فيما انكره وجهله
انه عارف بحقيقته وتارة ينكر ما كان يعرفه ويحكم بعجزه لخيال يطرأ عليه ثم قسم لهم الناس الى صنفين فصنف متبع
شرعة اي طريقة ومنهاجا وهو منهاج الدين وصنف متبع بدعة بغير برهان سنة من الله يعتمد عليه ولا ضياء
حجة يقوده في ظلمات الجهل ليلحقوا بافضل الصنفين وقوله ان الله سبحانه لم يعظ احدا مثل هذا القرآن رجع
الى مدح القرآن واستعار له الفاظا الاول لفظ الحبل ورشّح بالمتين وقد عرفت وجه هذه الاستعارة
مرارا الثانية وكذلك سببه الامين الثالثة لفظ الربيع ووجهها ان القلوب تحيى به كما تحيى الانعام بالربيع الرابع
لفظ الينابيع ووجهها ان العلوم عند تدبره والتفهم عنه تفيض عنه وينتفع بها كما يفيض الماء عن الينابيع الخامس
لفظ الجلاء ووجهها ان الفهم عنه يكشف عن القلب صداء الجهل كما يجلو الصيقل المرآة فان قلت لم قال وليس
للقلب جلاء غيره مع ان ساير العلوم جلاء له فالجواب من وجهين احدهما ان العلوم الجالبة للقلب هي المعدة
لسلوك سبيل الله والوصول الى الغاية من الكمال النفساني كالعلوم الالهية وعلم الاخلاق واحوال المعاد
ولا علم منها الا وفي القرآن اصله ومادته فهو مقتبس من القرآن الثاني ان هذا الكلام صدر عنه عليه السلام ولم
يكن في ذلك الزمان علم مدون ولا استفادة للمسلمين الا من القرآن الكريم فلم يكن اذن جلاء للقلب غيره
وقوله مع انه قد ذهب المتذكرون اي المتدبرون لمقاصد القرآن وبقي الناسون له او المتناسون
المتعمدون للتشاغل والنسيان للجواذب الخارجة وهو في معنى التوبيخ لهم ثم امرهم باعانة من يعمل الخير على فعله
ووجوه الاعانة كثيرة ثم بالاعراض عن الشر والكف عنه عند رؤيته واستشهد على وجوب امتثال امره
بالخبر النبوي وقد نبّه الخبر على وجوب عمل الخير والانتهاء عن الشر باستلزام ذلك لكون فاعله جوادا قاصدا
واستعار وصفي الجواد القاصد ووجه المشابهة ان العامل للخير المنتهي عن الشر مستقيم على طريق الله
فلا تعريج في طريقه ولا اعوجاج فيكون سيره في سلوك سبيل الله اسرع سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق
ثم قسم عليه السلام الظلم الى ثلثة اقسام الاول الظلم الذي لا يغفر اصلا وهو ظلم النفس بالشرك بالله وبرهانه
النص والمعقول اما النص فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به واما المعقول فلان المغفرة عبارة

اما عن محو آثار الجرايم من الواح النفوس او عما يلزم ذلك من ستر الله على النفوس ان يحترق بنار جهنم والهيآت البدنية
التي حجبت نفوس المشركين عن معرفة الله هيآت متمكنة من تلك النفوس قد صارت ملكات لا يمكن زوالها
مع عدم سكينتهم بالمعارف الالهية فهم في العذاب ماكثون وفي سلاسل تلك الهيآت واغلالها مكبلون فان
لا يحق المغفرة في حقهم لعدم مخلّصهم منها وجاذبهم عنها وهي عصمة المعرفة الثاني ظلم لا يترك اي لا بد من اخذ فاعله
بالعقوبة والقصاص به وهو ظلم العباد بعضهم لبعض واليه الاشارة بقوله يوم يقتص للجماء من القرناء وهذا الظلم
ان كانت له ملكة بعض عصم النجاة من المعارف الالهية وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن يتفاوت
مكثه بحسب تفاوت شدة تمكن تلك الهيآت الردية من نفسه وضعفها واليه اشار الخبر النبوي يخرجون من النار
بعد ما يصيرون حمما وفحما والثالث الظلم الذي لا يغفر ولا يطلب وهو ظلم العبد نفسه عند ارتكابه بعض
صغاير الزلات وهي التي لا تكسب النفس هيئة ردية باقية بل حالة يسرع زوالها واليه الاشارة بقوله تعالى
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي في حال كونهم ظالمين ثم اخذ في التحذير من الظلم بذكر شدة
القصاص في الآخرة وصدق انه ليس جرحا بمدية ولا ضربا بسوط كقصاص الدنيا ولكنه ما يستصغر ذلك
معه من العقوبات بالنار المشهورة اوصافها وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله انه كان جالسا في اصحابه
فسمع هدة فقال هذا حجر ارسله الله تعالى من شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين خريفا حتى بلغ الآن قعرها
هذا بعض اوصافها المحسوسة واعلم ان لهذا الخبر تماما يكشف سره وهو ان الراوي قال فسمعنا بعد ذلك
صيحة وصراخا فقلنا ما هذا فقالوا ان فلان المنافق مات وكان عمره يومئذ سبعين سنة قال بعض من لطف
ان المراد بجهنم المشار اليها هي الدنيا وشهواتها وبالحجر هو ذلك المنافق استعارة ووجه المشابهة
ان ذلك المنافق لم ينتفع بوجوده مدة حيوته ولم يكسب نفسه خيرا فاشبه الحجر في ذلك ارسال الله تعالى له
هو امتنانه عليه بما استعد له من اتباع هواه فيها والانهماك في شهواتها والميل عن سبيل المشار اليه بقوله
يضل من يشاء وشفير جهنم اوائلها بالنسبة اليه وذلك حين استعداده للانهماك فيها واول الامور التي
في طرق الضلال من شهواتها ولذاتها وهويه فيها سبعين خريفا هو انهماكه فيها مدة عمره وبلوغه قعرها هو وصوله
بموته الى غاية العذاب بسبب ما اكتسب منها من ملكات السوء كما اوما اليه غير مرة ثم نهى عن التلون في
دين الله وكنّى به عن منافقة بعضهم لبعض فان ذلك يستلزم الفرقة ولذلك قال فان جماعة فيما تكرهون من الحق
خير من فرقة فيما تحبون من الباطل اي فان الاجتماع على الحق المكروه اليكم كالحرب مثلا خير لكم من الافتراق في الباطل
المحبوب عندكم كمتاع الدنيا ثم تمم النهي عن الفرقة وقال فان الله لم يعط احدا بالفرقة خيرا لا من الماضين ولا من
الباقين ولما كان الخير في الاجتماع والالفة والمحبة حتى يصير الناس كرجل واحد ويتم نظام العالم بذلك كان
في الفرقة اضداد ذلك ولذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه وقد سبق بيان فضيلة الاجتماع ثم اعاد النهي عن الغيبة للناس بذكر معايبهم ونبّه
من عساه ان يستحيي من نفسه بان الكامل ينبغي ان يشتغل به وطوبى فعلى من الطيب ماؤها واو منقلبة عن ياء
وقيل هي اسم شجرة في الجنة وعلى التقدير فهي مبتدأ ثم نبّه على فضل العزلة ولزوم البيت للاشتغال بطاعة الله

والبكاء على الخطيئة والندم عليها وقوله وكان من نفسه في شغل الى آخره ذكر ثمرة العزلة واعلم ان الناس
قد اختلفوا في ان العزلة افضل ام المخالطة ففضل جماعة من شيوخ الصوفية والعارفين العزلة منهم ابرهيم
بن ادهم وسفيان الثوري وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمن الخواص وبشر الحافي وفضل
الآخرون المخالطة وهم الشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وابن عيينة وابن المبارك
واحتج الاولون بالنقل والعقل اما النقل فقوله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عامر الجهني لما سأله عن طريق
النجاة فقال ليسعك بيتك امسك عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وآله اي الناس
افضل فقال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وآله
ان الله يحب التقي النقي الخفي واما العقل فهو ان في العزلة فوايد مطلوبة لا تكاد توجد في المخالطة فكانت
اشرف منها الفراغ لعبادة الله والذكر له والاستيناس بمناجاته والاستكشاف لاسراره
في امور الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه يتعبد بجبل حرا
ويعتزل به حتى اتته النبوة واحتج الآخرون بالقرآن والسنة اما القرآن فقوله تعالى والف بين
قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان العزلة تنفي تألف
القلوب وتوجب تفرقها واما السنة فقوله صلى الله عليه وآله من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وما روي ان رجلا اتى جبلا يعبد الله فيه فجاء به اهله الى الرسول صلى الله عليه وآله فنهاه
عن ذلك وقال له ان صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين سنة
واقول ان كلا الاحتجاجين صحيح لكنه ليس افضلية العزلة مطلقا ولا افضلية المخالطة مطلقا بل كل في حق
بعض الناس بحسب مصلحته وفي بعض الاوقات بحسب ما يشتمل عليه من المصلحة واعلم انه من اراد ان يعرف
مقاصد الانبياء عليهم السلم في اوامرهم وتدبيراتهم فينبغي ان يعرف طرفا من قوانين الاطباء ومقاصدهم
من العبارات المطلقة لهم فانه كما ان الاطباء هم المعالجون للابدان بانواع الادوية والعلاجات لغاية
بقائها على صلاحها او رجوعها الى العافية من الامراض البدنية كذلك الانبياء عليهم السلم ومن يقوم مقامهم فانهم
اطباء النفوس والمبعوثون لعلاجها من الامراض النفسانية كالجهل وساير رذايل الاخلاق بانواع الكلام
من الآداب والمواعظ والاوامر والنواهي والضرب والقتل وكما ان الطبيب قد يقول الدواء الفلاني
نافع من المرض الفلاني ولا يعني به في كل الامزجة بل في بعضها كذلك الانبياء والاولياء اذا اطلقوا القول في شيء
انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون انها نافعة لكل انسان وكما ان الطبيب قد يصف لبعض المرضى
دواء ويرى شفاءه فيه ويرى ان ذلك الدواء بعينه لمريض آخر كالسم القاتل ويعالجه بغيره كذلك الانبياء
قد يرون ان بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه وقد يرون ان بعض الاوامر علاج
لبعض النفوس كالامر بالعزلة والحث عليها لبعض الناس وقد يرون ان ذلك العلاج بعينه مضر بغير تلك
النفس فيامرونها بضد ذلك كالامر بالمخالطة والمعاشرة واكثر ما يختارون العزلة لمن بلغ رتبة من
الكمال في قوتيه النظرية والعملية واستغنى عن مخالطة كثير من الناس لان اكثر الكمالات الانسانية من العلوم

والاخلاق

والاخلاق انما تحصل بالمخالطة خصوصا اذا كان ذلك الانسان اعني المامور بالعزلة خاليا عن عايلة يحتاج ان
يهتم بها واكثر ما يختارون المخالطة لهم والاجتماع لتحصيل الالفة والاتحاد والمحبة فلما كان الغالب كل انسان احدهما حفظ
اصل الدين وتقويته بالجهاد والاعانة على تحصيل الكمالات التي بها نظام امر الدارين لان اكثر العلوم والاخلاق
تستفاد من العشرة والمخالطة كما بيناه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في معنى الحكمين فاجمع رأي ملئكم
على ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن ولا يجاوزاه وتكون السنتهما معه وقلوبهما تبعه
فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج رأيهما وقد سبق استثناؤنا عليهما
في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في ايدينا لانفسنا حين خالفا سبيل الحق واتيا
بما لا يعرف من معكوس الحكم **اقول** هذا الفصل من خطبة خطبها بعد ما لحقه امر الحكمين والاجماع تصميم العزم
ويجعجعا يحبسا نفسيهما على القرآن والخطاب لمن انكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد الرضا به وقد حكى فيه اجماع
رأي جماعتهم على اختيار رجلين وهما ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص واخذه عليهما ان يحبسا نفسيهما
على العمل بالقرآن ولا يجاوزاه ويكون السنتهما وقلوبهما معه واطلق لفظ القلوب على الميول والارادة مجازا
اطلاقا لاسم السبب على المسبب كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما وذلك هو شرط رضاه عليه السلم بالتحكيم ثم حكى
خروجهما عما اشترط عليهما وتيههما من الكتاب وتركهما الحق مع ابصارهما له وخروجهما عن فضيلة العدل بجذب
الهوى الى رذيلة الجور والاعوجاج عن طريق الحق وقوله وقد سبق استثناؤنا اعادة لذكر سبق الشرط
في الحكم بالعدل وسوء رأيهما منصوب لانه مفعول سبق وقوله والثقة في ايدينا لانفسنا اي انا على برهان
وثقة من امرنا وليس بلازم لنا حكمهما لانهما خالفا الشرط واتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس وقد حكينا فيما سبق
طرفا من حال التحكيم وخداع عمرو بن العاص لابي موسى الاشعري وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**
لا يشغله شأن عن شأن ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه عدد قطر الماء
ولا نجوم السماء ولا سوافي الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء يعلم مساقط
الاوراق وخفي طرف الاحداق واشهد ان لا اله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه
ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته وصفت دخلته وخلص يقينه وثقلت موازينه واشهد ان
محمدا عبده ورسوله المجتبى من خلايقه والمعتام لشرح حقايقه والمختص بعقايل كراماته والمصطفى لكرايم رسالاته
والموضحة به اشراط الهدى والمجلو به غربيب العمى ايها الناس ان الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد اليها ولا
تنفس بمن نافس فيها وتغلب من غلب عليها وايم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم الا
بذنوب اجترحوها لان الله ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا
الى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد واني لاخشى عليكم ان
تكونوا في فترة وقد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين ولئن رد عليكم امركم انكم لسعداء
وما علي الا الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عما سلف **اقول** هذه الخطبة خطبها بعد مقتل عثمان في
اول خلافته والدخلة بالكسر والضم باطن الشيء والمعتام المختار وعقايل الشيء نفايسه واشراط الهدى علاماته

والغربيب الاسود والمخلد اليها المستمد ابدا اموره ولا تنفس لا تضن وتبخل وغض النعمة طراوتها وصدر الخطبة بالاشارة
الى اعتبارات توجب تنزيهه الاول انه لا يشغله شان عن شان وذلك لان الشي يشغل عن شي اما لقصور القدرة او
العلم وقدرته تعالى وعلمه المحيطان بكل مقدور ومعلوم فاذن لا يشغله مقدور عن مقدور ولا معلوم عن معلوم
وتقرير ذلك بين المسلمين في الكتب الكلامية والحكمية الثاني انه لا يغيره زمان واذ ثبت انه تعالى خالق الزمان
ولا زمان يلحقه فلا تغير يلحقه تغيره ولانه واجب الوجود ولا شي من المتغير في ذاته او صفاته بواجب الوجود
فلا شي منه يلحقه التغير الثالث ولا يحويه مكان لبرائته عن الجسمية ولواحقها وكلما كان كذلك فهو بري عن المكان
ولواحقه فيمتنع انه بري عن المكان ولواحقه الرابع ولا يصفه لسان اي لا يعبر اللسان عن حقيقة وصفه وبيان
ماهو وذلك انه تعالى منزه عن وجوه التراكيب فمحال ان يقع العقول على حقيقة وصفه فكيف باللسان الذي
هو المعبر عنها الخامس ولا يعزب عنه عدد قطر الما الى قوله الاخلاق وهو اشارة الى احاطة علمه القدسي
بكليات الامور وجزئياتها وهذه مسئلة عظيمة حارت فيها العقول وقد اشرنا اليها في المختصر الموسوم
بالقواعد الالهية ثم عقب هذا التنزيه بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر سبحانه تعالى احوالا تشهد بوحدانيته عليها
الاول كونه غير معدول به اي لا عديل له ولا مثل الثاني ولا مشكوك فيه اي في وجوده فان ذلك
ينافي الشهادة بالوحدانية الثالث ولا مكفور دينه لان الجحود لدينه يستلزم النقصان في معرفته فكان
الاعتراف به كمالا لمعرفته وللشهادة بوحدانيته الرابع ولا مجحود تكوينه اي ايجاده للموجودات وكونه
ربا لها ثم عقب وصف المشهود له بحال تلك الشهادة باوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته وهي كونه
صادق النية في تلك الشهادة اي باعتقاد جازم وصافي الدخلة اي نقي الباطن من الريا والنفاق
وخالص اليقين بوجود المشهود له وكمال وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه وثقيل الموازين بكمال
تلك الشهادة والقيام بحقوقها من سائر الاعمال الصالحات الواردة باثباتها وذكر المشهود بنبوته ورسالته
اوصافا اخرى كونه مجتبى من خلائقه ومصطفى منهم وذلك يعود الى اكرامه باعداد نفسه لقبول انوار النبوة
الثاني والمعتام لشرح حقايقه اي لايضاح ما خفي من الحقايق الالهية والشرعية التي فيها الثالث المختص
بعقايل كراماته وهي الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق التي اختص منها على كمال الناقصين
الرابع والمصطفى لكرائم رسالاته اي لرسالاته الكريمة وجمعه لها باعتبار تعدد نزول الامر عليه
فان كل امر امر بتبليغه الى الخلق رسالة كريمة الخامس الموضحة به اعلام الهدى وهي قوانين الشريعة وآيات
الكتاب والسنة السادس والمجلو به غربيب العمى واستعار لفظ الغربيب لشدة ظلمة الجهل ولفظ الجلا
لزوال تلك الظلم بانوار النبوة ثم اتبعه بالناس ينبههم على معايب الدنيا وذامها فيها انها تغر المؤمل لها
والراكن اليها وذلك ان المؤمل لبعض مطالبها لا يزال يتجدد له امارات خيالية على مطالب وحصولها
ممكنة التحصيل فاخذه فيجد له الى ان يجزم بدون بلوغها وقد ينكشف بطلان تلك الامارات
بعد العنا الطويل ومنها انها لا تنفس بمن نافس فيها واحبها بل تسمح به لهلاكه وترميه بنوايب من
النوايب ومنها انها تغلب من غلب عليها اي من طلبها واخذها بالغلبة فمن قريب تقهره وتهلكه ولا

المذكورة

المذكورة التي من شانها ان تكون للعدو القوي الداهي وهي كونها تغر المؤمل لها وتغلب مطالبها ولا تنفس بها
مجاز استعارة ووجه المشابهة استلزام الكون فيها والاغترار بها ومحبتها والتملك لها الهلاك فيها وفيما
في الآخرة كما يستلزم المغرور بالعدو الداهي الذي لا يحب احدا والركون اليه الهلاك ثم اخذ عليه السلام في التنبيه
على وجوب شكر النعم واستدراكها بالفزع الى الله واقسم ان زوالها عنهم ليس الا بذنوب اجترحوها وذلك
اشارة الى ان الذنوب تعد لزوال النعم وحلول النقم لانهم لو استحقوا افاضة النعم مع الذنوب لكان منعهم
اياها منافيا للمستحق المستعد وذلك عين الظلم وهو من الجود الالهي محال كما قال تعالى وما ربك بظلام للعبيد
والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي ما استعدوا لتغييره
بالمعاصي وقوله ولو ان الناس الى قوله كل فاسد اشارة الى ان الفزع الى الله بصدق النية ووله القلب
وتحيره وذهوله عن كل شي سوى الله يعد الاعداد التام لافاضة المطالب سواء كانت عود نعمة او استعدادها
او زوال نقمة او استنزالها عدد ورد الشارد اي من النعم واصلاح الفاسد اي من ساير الاحوال وقوله
واني لاخشى ان تكونوا في فترة كنى بالفترة عن امر الجاهلية كناية بالمجاز اطلاقا لاسم الظرف على المظروف
اي اخشى ان يكون احوالكم احوال الجاهلية في العصبيات الباطلة وتجاذب الاهواء المختلفة وقوله وقد كانت
امور الى قوله محمودين كانت الاشارة الى تلك الامور التي مالوا فيها هي تقديمهم عليه من سبق من الائمة وقال غيرهم
هي حركاتهم وميلهم عليه في تقديم عثمن وقت الشورى واختيارهم له وما جرى فيها من الاقوال والافعال
وقوله ولئن رد عليكم امركم اي صلاح احوالكم واستقامة سيرتكم التي كنتم عليها في زمن الرسول صلى الله
عليه وآله انكم لسعداء عند الله وفي الدنيا وما علي الا الجهد اي في عود ذلك الامر عليكم وقوله ولو اشاء
ان اقول لقلت فهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من تقدم عليه الى الظلم له وتخطئتهم في التقدم
عليه وذكر معايب يقتضي وجوب تاخرهم في نظره وتقدير الكلام ولكني لا اقول فلم اكن مريدا للقول
وقوله عفا الله عما سلف اشارة الى مسامحته لهم بما سبق منهم اذ العادة جارية بان يقول الانسان مثل ذلك
فيما يتعلق بغيره من الذنوب وحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قاله لذعلب اليماني وقد ساله هل رايت ربك فقال افاعبد ما لا ارى فقال وكيف
تراه قال لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملابس
بعيد منها غير مباين متكلم بلا روية مريد بلا همة صانع بلا جارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف
بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته اقول
تعنو تخضع وتجب القلوب تخفق والفصل فصل شريف من التوحيد والتنزيه فقوله عليه السلام افاعبد ما لا ارى
استفهام على سبيل الانكار لعبادة ما لا يدرك وجهه ازرا على السائل وقوله لا تدركه العيون الى آخره
تنزيه له عن الرؤية بحاسة البصر وشرح لكيفية الرؤية الممكنة له ولما كان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها من الجهة
وتوجيه البصر اليه وادراكه به وانما يرى ويدرك بحسب ما يمكن بصيرة العقل لا جرم نزهه عن ذلك
واثبت له هذه فقال لا تدركه العيون الى قوله بحقائق الايمان واراد بحقائق الايمان اركانه وهي التصديق

بوجوداته ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات اسمائه الحسنى وعدم حجب اعتبارات مدركيها احدا لكونه قريبا
من الاشياء ولما كان المفهوم من القرب المطلق الملابسة والالتصاق وهما من عوارض الجسمية نزهه قربه عما هنالك
غير ملابس فاخرجت هذه القرينة ذلك اللفظ عن حقيقته الى مجازه وهو اتصاله بالاشياء وقربه منها بعلمه المحيط
وقدرته التامة الشاملة لكونه بعيدا منها ولما كان البعيد يستلزم المباينة وهي ايضا من لواحق الجسمية نزهه عنها بقوله
غير مباين وقد سبق بيان ذلك مرارا الثاني بعده عنها اشارة الى مباينة بذاته الكاملة عن مشابهة شيء منها
الثالث كذلك قوله متكلم بلا روية وكلامه يعود الى علمه بصور الاوامر والنواهي وسائر انواع الكلام عند قوم
والى الحروف والاصوات عند الاشعري والى خلقه الكلام في جسم النبي عند المعتزلة وقوله بلا روية تنزيه له عن كلام الخلق
لكونه تابعا للافكار والتروي الرابع وكذلك مريد بلا همة تنزيه لارادته عن مثلها ارادة تنافي سبق العزم والهمة
الخامس صانع بلا جارحة وهو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحة التي هي من لواحق الجسمية السادس
وكذلك لطيف لا يوصف بالخفاء واللطيف يطلق ويراد به رقيق القوام ويراد به صغير الحجم المستلزم للخفاء
وعديم اللون من الاجسام والمحكم من الصنعة وهو تعالى منزه عن اطلاقه باحد هذه المعاني لاستلزامها الجسمية
والامكان فبقي اطلاقها عليه باعتبارين احدهما تصرفه في الذوات والصفات تصرفا خفيا بفعل الاسباب
المعدة لها لافاضة كمالاتها والثاني جلالة ذاته وتنزيهها عن قبول الادراك البصري السابع رحيم لا يوصف
بالرقة تنزيه لرحمته عن رحمة احدنا لاستلزامها رقة الطبع والانفعال النفساني وقد سبق بيان كونه تعالى
رحيما الثامن كونه عظيما تخضع الوجوه لعظمته اذ هو الاله المطلق لكل موجود وممكن فهو العظيم المطلق الذي تفرد
باستحقاق ذل الكل وخضوعه له ووجب القلوب واضطرابها من هيبته عند ملاحظة كل منها ما يمكن له من تلك
العظمة **ومن كلام له عليه السلم** في ذم اصحابه احمد الله على ما قضى من امر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم ايتها
الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت لم تجب ان اهملتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس
على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل
لكم فوالله لئن جاء يومي وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية
تشحذكم اوليس عجبا ان معوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة
الاسلام وبقية الناس الى المعونة او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون علي انه لا يخرج اليكم من امري
رضى فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب ما انا لاق الى الموت قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج
وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معوية
ومؤدبهم ابن النابغة **اقول** الخور الضعف ويحتمل ان يكون من الخوار وهو الصياح واجئتم جذبتم وذهبتم
والنكوص الرجوع على عقبه والتالي المبغض والطغام اوغاد الناس والتريكة بيضة النعام وتجه القاه من فيه وقد
حمد الله تعالى على ما قضى وقدر ولما كان القضاء هو الحكم الالهي بما يكون فحال الحمد على ما قضى من امر ان الامر من ان
يكون فعلا ولما كان القدر هو تفصيل القضاء وايجاد الاشياء وفقه قال وقدر من فعل وقوله وعلى ابتلائي
بكم تخصيص لبعض ما قضى وقدر وقوله اذا امرت الى قوله نكصتم شرح لوجوه الابتلاء بهم وحاصلها يعود الى تخاذلهم

فرجع

فجمع ما يريده منهم من انتظام حالهم وقوله الى مشاقة اي الى مشاقة عدو وقوله لا ابا لغيركم دعاء بالذل لغيرهم وفيه
نوع تلطف لهم والاصل لا اب والالف مزيدة اما لاستثقال توالي اربع حركات فاشبعوا الفتحة فانقلبت الفا
او لانهم قصدوا الاضافة واتوا باللام تأكيدا ثم استعمل ان جاء يومي اي وقت موته ليفرقن بينهم وبينه وهو تهديد لهم
بفراقه وانشعاب امورهم بعده وقوله وليأتيني حشوة لطيفة في الكلام واكد بها لوكيده لان اتيان الموت امر محقق
وكانه زوديها ما يقتضيه ان من الشك فحسنت هذه الحشوة بعدها ثم اخذ في التضجر منهم واخبرهم انه لصحبتهم مبغض وانه
غير كثير بهم لان الكثرة انما تراد لمنفعة فحيث لا منفعة فكانه لا كثرة وقوله لله انتم جملة استعمل هنا معنى التعجب من حالهم
ومثله لله ابوك ولله درك ثم اخذ في استفهامهم عما يجوز ان يوجد فيهم وهو الدين والحمية والانفة من شان الدين
ان يجمع على انكار المنكر والحمية ان تشحذ وتثير القوة الغضبية لمقاومة العدو استفهاما على سبيل العجب والانكار
عليهم وقوله اوليس عجبا الى قوله وتختلفون علي استفهام تقرير التعجب من حاله معهم في تفرقهم عنه حتى عند الدعوة
الى العطاء ومن حال معوية مع قومه في اجتماعهم عليه من غير معونة ولا عطاء فان قلت المشهور ان معوية انما استجلب
استجلب من العرب بالاموال والرغائب فلم قال فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء قلت ان معوية لم يكن يعطي
جنده على وجه المعونة والعطاء المتعارف بين الجند وانما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن والشام الاموال
الجليلة يستعبدهم بها ويدعو اولئك الرؤساء اتباعهم من العرب فيطيعونهم فصادق اذن انهم يتبعونه على غير
معونة وعطاء واما هو عليه السلم فانه كان يقسم بيوت الاموال بالسوية بين الاتباع والرؤساء ولا يرى الرزق والعطاء
ولا يرى للشريف على مشروف فضلا وكان الاكثرون يتعدون عن نصرته من الرؤساء لما يجدونه في انفسهم من المساواة
بينهم وبين الاتباع واذا احس الاتباع بذلك تخاذلوا ايضا متابعة لرؤسائهم والمعونة هي ما يطلق للجند من وقت
لحاجة ترميم اسلحتهم واصلاح دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض شهرا فشهرا واستعار لهم لفظ التريكة ووجه المشابهة
انهم خلف الاسلام وبقية اهله كالبيضة التي تركها النعامة وقوله انه لا يخرج الى قوله فترضونه اي انه لا يخرج اليكم
من امري امر من شانه ان يرضى به او يسخط منه فترضونه وتجتمعون عليه بل لابد لكم من التفرق والمخالفة علي
ثم نبههم على سوء صنيعهم معه بان احب الاشياء اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال ابو الطيب فقال: كفى بك داء ان
ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن امانيا * تمنيتها لما تمنيت ان ارى صديقا فاعيا او عدوا مداجيا
وقوله قد دارستكم الكتاب الى قوله مججتم اشارة الى وجوه الاحسان عليهم وهي مدارستهم الكتاب اي تعليمه ومفاتحتهم
الحجاج اي محاكماتهم وتعريفهم وجوه الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اي الامور المجهولة لهم وتسويغهم ما مجوه واستعار
وصف التسويغ اما لاعطائه لهم العطيات والارزاق التي كانوا يجرعونها من يد غيره لو كان كمعوية واما لادخالهم
العلوم في افواه اذهانهم وكذلك لفظ المج لما طرحوه من يد غيره او لعدم العلوم عن اذهانهم ونبوا اذهانهم عنها كما نبهم
القوة لعدم صلوحها للاساغة ووجه الاستعارتين ظاهر وقوله لو كان الاعمى الى قوله يستيقظ اشارة الى انهم
جهال لا يلحظون باعين بصائرهم ما اوردته من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم به من المواعظ
ونحوه ولفظ الاعمى والنائم مستعاران والقوم في قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من شدة قربهم
من الجهل بالله اذ كان قائدهم في الطريق معوية ومؤدبهم ابن النابغة اي عمرو بن العاص وهو رئيس الناصحين

واهل العذر والخلاع واذا كان الرئيس القائد والمودب في تلك الطريق من الجهل والجور كان الرجلين اليهما
فاقرب ابتاعهما من البعد عن الله وجعل به واقرب صيغة التعجب وتقديم معرفة جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم
وفصل بين الموصوف والصفة بالجار والمجرور كما في قوله تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل
المدينة مردوا على النفاق فجملة مردوا الرفع صفة لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض من ذكرهم
ووصفهم باوصاف التنفير منهم ومن كلام له عليه السلم لرجل من اصحابه وقد ارسله ليعلم له علم قوم من جند الكوفة
هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه فلما عاد قال أأمنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال بل ظعنوا
يا امير المؤمنين فقال بعدا لهم كما بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد
ندموا على ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم
في الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه اقول قطنوا اقاموا وبعدت بالكسر هلك واشرعت الحربة
سددتها وصوبتها نحو من تريد ضربه واستفلهم اي طلب منهم التفرق والهزيمة ومن هناهم والفل التفرق والانهزام
والارتكاس الرجوع في الشيء مقلوبا والفصل يشتمل على السؤال عن ظعنهم واقامتهم وعلتيهما وهما الجبن ثم على
الدعاء عليهم بالهلاك وانتصب بعدا على المصدر ثم على انه لو فعل لكان سببا لندمهم على ما فعلوا وهو الهجوم عليهم
بالقتل والاذلال على ما كان منهم من الخروج باغواء الشيطان ثم على علة توجهه لهم وهي استفلال الشيطان
لهم وتفريقه لجماعتهم وروي استفزهم اي استخفهم وروي استغلهم اي تملكهم ورضي منهم وهي اقوى
القرينة قوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اي تارك لهم فان التبري في مقابلة الاستغلال وذلك كقوله تعالى
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله اني بريء منكم وقوله فحسبهم بخروجهم من الهدى اي يكفيهم ذلك عذابا
وشرا والباء في بخروجهم زائدة كهي في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وارتكاسهم في الضلال والعمى رجوعهم الى
الضلال القديم وعمى الجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم
في تيه الجهل والهوى بعد الاستقرار في مدينة العلم والعقل ولفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى
رذيلة الافراط منها كما سبق والغلو في طلب الحق الى حد الجور عن الصراط المستقيم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
روي عن نوف البكالي قال خطبنا امير المؤمنين وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة
من صوف وحمائل سيفه من ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير فقال الحمد لله الذي اليه مصائر
الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء
والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف له
بالطول مذعن له بالعمل والقول ونؤمن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه مؤمنا وخنع له مذعنا واخلص له
موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم
يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا من علامات التدبير المتقن
والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فاجبن طائعات مذعنات
غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا

لملائكته

لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج
الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع
في السموات من تلالؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين المتطأطئات
ولا في يفاع السفع المتجاورات وما يتجلجل به الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة
تزيلها عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة
من قوتها وما تحمل من انثى في بطنها والحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس
لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا ينظر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج
ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من آياته عظيما بلا جوارح
ولا ادوات ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل
وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات
ذوو الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل
نور اوصيكم عباد الله [2] الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت
سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود عليهما السلم الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى
طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت فاصبحت الديار منه خالية والمساكن معطلة وورثها
قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة اين
اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين ساروا
بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن اقول نقل الجوهري في الصحاح ان نوفا البكالي
بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي عليه السلم ونقل عن ثعلب انه منسوب الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي
هو منسوب الى بكال وبكيل وبكال شيء واحد وهو اسم حي من همدان قال وبكيل اكثر وقال الشيخ عبد الحميد بن ابي الحديد
والصواب غير ما قالاه وانما هو بكال بكسر الباء من حمير منهم هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب علي عليه السلم
والاقوال محتملة واما جعدة بن هبيرة فهو ابن اخت امير المؤمنين عليه السلم ام هاني بنت ابي طالب بن عبد المطلب
ابن هاشم وابوه هبيرة بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهو صحابي وثفنة البعير واحدة الثفنات
وهي ما يقع على الارض من اعضائه والخنوع الخضوع وتعاوره تختلف عليه والموطدات الممهدات والتلكؤ التوقف
والطواعية الطاعة والفجاج الطرق بين الجبال والادلهمام شدة الظلمة والسجف الستور والحندس بكسر الحاء الليل
الشديد الظلمة والسفع الجبال والسفعة سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال في الاكثر واليفاع المرتفع من الارض
والجلجلة صوت الرعد وتلاشي اضمحل والانواء جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب
مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة
ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما ومرجحنين مائلين الى جهة تحت والرياش اللباس والطعمة الماكلة فقوله الحمد لله
الى قوله الامر حمد له باعتبار كونه منتهى جميع آثاره في عالمي الخلق والامر انتهاء في اوليتها بالصنع والابداع وانتهاء

[2] بتقوى الله

نه آخر بها لانه غاية مطلوب السالكين وهو الباقي بعد كل شيء منها باعتبار وجوب وجوده فهو مستحق الثناء لذاته وهي
المكنة والمستحق منها باعتبار كونه ممكنا لها ولما كان الحمد قد يكون للاداء حق ما سبق من النعم وقد يكون للاستزادة
منها كان قوله الحمد الى قوله ادا نظرا الى ما سبق من انواع نعم الله وهي عظيم احسانه بالخلق والايجاد وفي الحكم
والمنفعة ثم بانارة برهانه في متقن صنعه ومحكمه وبشارة السنة رسله لسوقنا في صراط المستقيم الى جنات النعيم
وهدايتنا اليها ثم بافاضته نوامي فضله وامتنانه بكفايتنا في حيوتنا الدنيا ثم بافاضة اسباب معاشنا
ومعادنا وكان قوله والى ثوابه الى قوله موجبا نظرا اشارة الى ما يستزاد منها وهو اقرب من ثوابه الاخروي
لاستكمال النفس بذلك وحسن مزيده من نعمه الحاضرة كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ثم اردف ذلك
الشكر بطلب المعونة منه استعانة بالصفات المعدودة الى قوله والقول فان استعانة من هذه صفته لكونه
اقرب الاستعانات الى اجابة المستعان بالعون لقوتها باستجماعها قوة الرجاء والامل له تعالى وحسن
اليقين في قدرته على بذل النفع ودفع الضر والشكر والاذعان بالطاعة العملية والقولية ثم اردف ذلك
بالاقرار بالايمان الكامل وهو ايمان من استكمل الاوصاف المعدودة آنفا وهي رجاء المطالب العالية
منه حال اليقين التام بانه اهلها والرجوع اليه عن جميع الفرطات وفي سائر المهمات حال الايمان به والخضوع
حال انقياده لعزته ثم الاخلاص له حال توحيده ثم تعظيمه حال تمجيده واللوذ به حال الرغبة اليه والاعتماد عليه
وظاهر ان ذلك الايمان كامل ثم اخذ في تنزيهه تعالى باعتبارات سلبية واضافية هي غاية الواصفين منها
انه لم يكن له والد فيكون لشريكه في العز اذ العادة ان يكون والد العزيز عزيزا ومنها انه لم يلد فيكون
موروثا هالكا وهو تنزيه له عن صفات البشر اذ العادة ان الانسان يهلك فيرثه ولده وبين انهما
من لواحق الحيوانية المستلزمة للجسمية المنزه قدسه عنها ومنها انه لم يتقدمه وقت ولا زمان والوقت جزء
الزمان واذ كان خالق الوقت والزمان فبالحري ان يتقدمهما ومنها انه لم يختلف عليه الزيادة والنقصان
لان الزيادة والنقصان من لواحق الممكنات لاستلزامهما التغير المستلزم للامكان المنزه قدسه عنه ومنها
انه ظاهر للعقول في علامات التدبير وهي الاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة فيها وفي القضاء
المحكم فمن جملتها خلق السموات كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض الاية وقوله اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وقد مر بيان كونها بلا عمد وقيامها بلا سند في الخطبة الاولى وطوعهن حكم سلطان
القدرة الالهية عليهن واجابتهن دعوتهن في الوجود عن ذلك الحكم وطوعهن واذعانهن من غير تلكؤ ولا ابطاء
اجابتهن خضوعهن في رق الحاجة والامكان لواجب وجوده وسلطانه وقوله ولولا اقرارهن الى قوله
والعمل الصالح من خلقه كلام حق فان الاقرار بالربوبية راجع الى شهادة لسان حال الممكن بالحاجة الى
الرب والانقياد لحكم قدرته وظاهر انه لولا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش
ولم يكن اهلا لقبول تدبير احوال الملائكة وسكناها ولم يكن قابلا لصعود الملائكة بالكلم الطيب والاعمال الصالحة
للخلق وقد سبقت الاشارة الى بيان الصعود بالاعمال وغيرها في الخطبة الاولى بحسب الامكان ولفظ الدعاء
والاقرار والاذعان مستعارة ويحتمل ان يكون حقيقة نظرا الى ان لها ارواحا مدبرة عاقلة وقوله وجعل

نجوما الى قوله الاقطار اشارة الى بعض غايات وجود النجوم وقد سبق بيان ذلك وقوله لم يمنع الى قوله والقمر استعار
لفظ السجف والجلابيب لما ستر من سواد الليل ووجه الاستعارة ظاهر وخص القمر بالذكر لكونه من آيات
العظيمة والمقابلة بين الضياء والظلمة مقابلة العدم والملكة وكل منهما يوجد بوجود سببه ويعدم بعدم سببه فلا يكون
رفع احدهما بالآخر وظاهر اذن ان نور القمر والنجوم لا يمنعه من الوجود والتحقق ظلمة ليل بل يتعاقبان بحسب
تعاقب اسبابهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم جلت قدرته وقوله فسبحان الى قوله في بطنها تنزيه له بحسب
احاطة علمه بكليات الاشياء وجزئياتها والمتطأطئات من بطن الارض وما يجلجل به الرعد اشارة الى ان تسبيح
في قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح يعود الى شهادة لسان حاله في ذلك الصوت على كمال القدرة وتسخير
السحاب ومؤلفه والمقدر لتصويته وقد عرفت سببه وما تلاشت عنه بروق الغمام اشارة الى علمه بكشف
الابصار باضائتها وانما خص ذلك دون ما اضاءته لان العلم هناك اشرف لتعلقه بما لا يدركه ابصار المخلوقين
دون ما تضيئه لادراك الكل له وانما اضاف العواصف الى الانواء لان العرب تضيف الاثار العلوية الى ارباب
والامطار والحر والبرد اليها ثم عاد الى حمده تعالى باعتبار تفرده في الوجود على سائر مخلوقاته وقد عرفت بيان حال
الكرسي والعرش ثم نزهه تعالى باعتبارات سلبية الاول انه لا يدرك بوهم الثاني انه لا يقدر بفهم اي لا يحد
بفهم والفهم من صفات العقل وقد مرت الاشارة الى عجز العقول والاوهام عن وصفه تعالى الثالث ولا يشغله
سائل لاحاطة علمه وقدرته وقد سبق بيانه ايضا الرابع ولا ينقصه نائل لان النقصان يتوجه نحو ذي الحاجة وقد
تنزه قدسه تعالى عنها الخامس كونه لا يبصر بعين اي ان ادراكه ليس بحاسة البصر وان كان بصيرا وذلك لتنزه
قدسه عن الحواس السادس ولا يحد باين اي لا تحده العقول بالاين والمكان ويحيط به باعتبار اين براءته عن التحيز وهو
نفي الجسمية المستلزمة عنه السابع ولا يوصف بالازواج وهو نفي الكم المنفصل عنه اي ليس فيه اثنينية وتعدد
الثامن ولا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطة الالة والحيلة كما تزاوله اصحاب الصنائع التاسع ولا يدرك بالحواس
تخصيص ادراكها بالاجسام وكيفياتها وتنزهه تعالى عن الجسمية ولواحقها العاشر ولا يقاس بالناس تنزيه له عن الشبيه
بخلقه في كمالاتهم كما توهمه اهل التجسيم الحادي عشر كونه متكلما بلا جارحة ولا لهوات وهو تنزيه له عن حال البشرية.
وعلمت في المقدمات كيفية سماع الانبياء عليهم السلام للوحي فاما قوله واراه من آياته عظيما فقيل اراد آياته في كلامه
لئلا يصير بين قوله تكليما وقوله بلا جوارح اعتراض غير مناسب والذي رآه من تلك الآيات ما روي انه كان
يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد سماع البشر من جهة مخصوصة وله دوي كوقع السلاسل العظيمة على الحصا
الاصم وفي هذه الكيفية سر لطيف وكونه يسمع من الجهات الست اشارة الى ان الكلام كان بابته فينتقش في لوح
خياله لا من جهة بل نسبة الجهات الست اليه على سواء وعدم سماعه منها فلاجرم قيل يسمع من الجهات الست وهو اولى
من ان يقال يسمع لا من جهة لبعد ذلك عن اوهام الخلق فاما كونه كوقع السلاسل في القوة فاشار الى عظمته بالنسبة
الى شبهه باشد الاصوات جرسا وقيل اراد بها آيات الاخر كانشقاق البحر وقلب العصا ثعبانا وغيرهما
ثم نبه على عجز القوة البشرية عن وصفه كما هو تعالى بقوله بل ان كنت صادقا الى قوله احسن الخالقين وهي صورة قياس
استثنائي متصل نبه به على عجز من يدعي وصف ربه كما هو وتقديره ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك

في وصفه حيث بعض خلقه وهو جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين ونبه باستثنائهم تفيض تابعها اي الملك
لا يملك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يملك وصفه تعالى بيان الملازمة ان وصفه تعالى اذا كان ممكنا لكن وصف
بعض آثاره اسهل عليك واما بطلان التالي فلان حقيقة جبرئيل وميكائيل وساير الملائكة المقربين غير معلومة
لاحد من البشر ومن عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه اعجز وحجرات القدس مقار الطهارة عن الهيئات
البدنية والتعلقات الخالية عن شوائب النفس الامارة بالسوء واستعار لفظ المرجحنين لخضوعهم تحت سلطان
هيبته وعظمته وقوله هو ولهم حيرة اي تاهت عقولهم عن ادراك حقيقته لجد تعذر عنه عظمته ثم نبه على ما يدرك من جهة
الوصف وهو ذو الهيئات والادوات التي تعرف بها وتحيط به الاوهام من جهتها ومن جهة الفناء فيقتضي اذا بلغ
امد حده ويقف الاوهام على ذلك الحد ويتحلل الى اجزائه فخلق على كنهه ثم عقب ذلك التنزيه بتوحيده ونفي
الكثرة عنه وقوله اضاء بنوره كل ظلام فالظلام اما محسوس فاضاءه بانوار الكواكب او معقول وهو ظلام الجهل
فاضاءه بانوار العلم والشرائع وقوله واظلم بنوره كل نور اذ جميع الانوار المحسوسة او المعقولة بغيره متلاشية
مضمحلة في نور علمه وظلام بالنسبة الى ضيائه براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده وكمال جوده ثم شرع
في الموعظة مبتدئا بالوصية بتقوى الله باعتبار سلب امرين هما سبب البقاء في الحيوة الدنيا وهما الملبوس
والمطعوم ويحتمل ان يريد بالمعاش ساير اسباب البقاء ونبه بذكره انه لا سبيل الى البقاء ودفع الموت
لوجد تعالى به واقع عليه بقياس استثنائي تقريره لو ان احدا يجد سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان عليه السلام
وتقرير الاستثناء لكنه لم يجده فلم يجده احد بعده اما الملازمة فلان سليمان عليه السلام كان اقوى سلطان وجد
في العالم لاستيلاء حكمه على ملك الجن والانس مع النبوة وعظم الزلفة عنده تعالى فكان اولى بدفعه لو كان يمكن دفعه
واما بطلان التالي فلانه عليه السلام لما استوفى طعمته واستكمل مدته مات فلو وجد مدفعا لدفعه عن نفسه
فقوله فلو ان الى قوله سبيلا هو مقدم الشرطية وقوله لكان ذلك الى قوله عليه السلام هو التالي وقوله الذي
الى قوله الزلفة بيان لوجه الملازمة وقوله فلما استوفى الى قوله قوم آخرون هو بيان بطلان التالي ولفظ القسي
والنبال استعارة لمرامي الامراض واسبابها التي هي نبال الموت ووجهها ظاهر ثم شرع في التنبيه
على الاعتبار باحوال القرون السالفة واستفهم عن قرن قرن تنبيها على فنائهم واستفهاما على سبيل التقرير
والعمالقة اولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم فمن اولاده
عملاق وطسم وجديس وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ في طسم فلما ملكهم عملاق بغى واكثر العبث والفساد
في الارض حتى كان يطأ العروس ليلة هدائها الى بعلها وان كانت بكرا اقتضها قبل وصولها اليه ففعل ذلك
بامرأة من جديس فغضب لها اخوها وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم واهل بيته فقتل اخوها عملاقا ودخل
على الملك اليه ثم وثب بطسم فاتى على روسائهم ونجا منهم رباح بن مرة فسار الى ذي جيشان
ابن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس واسرى ذو جيشان في حمير بلاد جو وهي
قصبة اليمامة فاستاصل جديسا واخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك
بعد طسم وجديس وبار بن اميم بن لاوذ بن ارم بن نوح واهله فنزل بارض وبار وهي المعروفة الآن

برمل

برمل عالج فنعوا في الارض حتى تم افناهم الله ثم ملك بعد وبار عبد ضخم بن آسف بن لاوذ فنزلوا بالطائف
حتى ثم بادوا واما الفراعنة فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب
فرعون موسى ومنهم فرعون الاعرج الذي غزا بني اسرائيل واخرب بيت المقدس واما اصحاب مدائن الرس
فقيل انهم اصحاب شعيب النبي عليه السلام وكانوا عبدة اصنام ولهم مواشي وآبار يسقون منها والرس بئر
عظيم جدا انخسفت بهم وهم حولها وقيل الرس نهر خلف اذربيجان والابواب مبدؤه من مدينة طراز ومنتهى الى
نهر الكر فيختلط به حتى يصب في بحر الخزر وكان هناك ملوك اولوا باس وقدرة فاهلكهم الله ببغيهم وبالله
التوفيق **متن** قد لبس للحكمة جنتها واخذها بجميع ادبها من الاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها فهي عند
نفسه ضالته التي يطلبها وحاجته التي يسأل عنها فهو مغترب اذا اغترب الاسلام وضرب بعسيب ذنبه والصق
الارض بجرانه بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف انبيائه ثم قال عليه السلام ايها الناس اني قد بثثت لكم المواعظ
التي وعظ بها الانبياء اممهم واديت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم
بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم اتتوقعون اماما غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل الا انه قد ادبر من
الدنيا ما كان مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال عباد الله الاخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بكثير
من الآخرة لا يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين الا يكونوا اليوم احياء يسيغون الغصص ويشربون
الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم واحلهم دار الامن بعد خوفهم اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا
على الحق اين عمار واين ابن التيهان واين ذو الشهادتين واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية
وابرد برؤوسهم الى الفجرة ثم ضرب بيده الى لحيته فاطال البكاء ثم قال اوه على اخواني الذين تلوا القرآن فاحكموه
وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه ثم
نادى باعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي هذا فمن اراد الرواح الى الله فليخرج قال نوف
وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف ولقيس بن سعد في عشرة آلاف ولابي ايوب الانصاري ولغيرهم
على اعداد اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت
العساكر فكنا كاغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان **اقول** جرانه صدره وعسيب ذنبه طرفه
واستوسق الامر انتظم واجتمع والرنق بكسر النون الكدر وابرد ارسل واوه ساكنة الواو
مكسورة الهاء كلمة توجع والاختطاف والتخطف الاخذ بسرعة والاشارة الى العارف مطلقا وقال بعض الامامية
الاشارة الى الامام المنتظر وليس براسخ من هذا الكلام ولفظ الجنة مستعار في الاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة
الحقيقيين والمواظبة على العمل باوامر الله ووجه الاستعارة ان بذلك الاستعداد يأمن اصابة سهام الهوى
وثوران دواعي الشهوات القائدة الى النار كما يأمن لابس الجنة من اذى الضرب والجرح واخذه لها
بجميع آدابها من الاقبال عليها والمعرفة بها اي بقدرها والتفرغ لها عن العلائق الدنيوية بالزهد عن جملة الاستعداد
لها ايضا واستعار لها لفظ الضالة لمكان انشاده لها وطلبه كما يطلب الضالة من الابل واليه الاشارة بقوله عليه السلام
الحكمة ضالة المؤمن وقوله فهو مغترب اذا اغترب الاسلام اشارة الى اخفائه نفسه وايثاره العزلة عند اغتراب الاسلام

وضعفه وظهور البدع والمنكرات كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ
واستعار لفظ العيب والذنب والجران ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وكنى بذلك عن ضعفه وقلة نفعه لان
البعير اقل ما يكون نفعه حال بروكه وقوله بقية من بقايا حججه اي على خلقه اذ العلماء العارفون حجج الله في الارض على عباده
وظاهر كونه خليفة من خلائف انبيائه لقوله صلى الله عليه وآله العلماء ورثة الانبياء وقوله ايها الناس الى قوله
تذكير بموعظة لهم واعذار اليهم باداء ما كلف به في حقهم مما كلفت به الانبياء مع اممهم والاوصياء الى من بعدهم وما
لهم وتوبيخ على عدم استقامتهم واجتماعهم على اوامره مع تاديبه لهم بالضرب والتحذير بالزواجر وقوله لله انتم
الى قوله السبيل استفهام لهم عن توقعهم اماما هاديا مرشدا غيره استفهاما على سبيل الانكار لوجود سبيل كذلك الامام
واكد ذلك الانكار المفهوم من الاستفهام بقوله الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا اي من الخير وصلاح اهلها واقبل
منها ما كان مدبرا اي من الشرور والتي ادبرت بقدوم الرسول صلى الله عليه وآله وظهور الاسلام وان مع الترحال
عباد الله الاخيار المتوقع فيهم امام لمثله عليه السلم في الهداية لسبيل الله واذ ما هم للترحال كناية عن اقتضاء الزمان
لفنائهم من الدنيا والرحيل عنها ثم استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل الفاني من متاع الدنيا والكثير الباقي
من متاع الآخرة ثم اخذ في التذكير بمعنى حضر الموت وعدم الحيوة عن اخوانه من الصحابة الذين قتلوا بصفين
وزهدهم في تلك الحيوة لكونها محل تجرع الغصص وشرب الكدر من الآلام والاعراض وحدوث هذه المنكرات وما
زهدهم في تلك الحيوة بنبيها ما هم فيه وعدهما من الفائدة وهي لقاء الله وتوفيته اجورهم على الاعمال الصالحة وحلولهم
دار الامن اي الجنة بعد خوفهم من فتن اهل الضلال ثم اخذ في الاستفهام عمن ركب طريق الحق ومضى عليه مستعجبا
له استفهاما على سبيل التوجع لفقدهم والتوحش لفراقهم ثم من اعيان اكابرهم فذكر عمار بن ياسر وفضله في الصحابة
مشهور وابوه عربي قحطاني وامه امة لابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وولدت عمارا فاعتقه ابو حذيفة فمن هناك
كان عمار مولى لبني مخزوم واسلم هو وامه سمية فعذبهما بنو مخزوم في الله فاعطاهم عمار ما ارادوا بلسانه مع اطمئنان
قلبه بالايمان فنزلت فيه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وهاجر الى ارض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين
الاولين وشهد بدرا والمشاهد كلها وابلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فابلى فيها ايضا ويومئذ قطعت اذنه وعن ابن
عباس في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال هو عمار بن ياسر وعن
عائشة انها قالت ما من احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اشاء ان اقول فيه الا قلت الا عمار بن ياسر فاني
سمعته صلى الله عليه وآله يقول انه ملئ ايمانا الى اخمص قدميه وعنه صلى الله عليه وآله عمار جلدة ما بين عيني
تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي وعنه صلى الله عليه وآله من ابغض عمارا ابغضه الله واما ابن التيهان
بالياء مشددة مفتوحة بنقطتين من فوق بعدها ياء مشددة مكسورة بنقطتين من تحت ويروى بتخفيف الياء ساكنة
فهو من الانصار كنيته ابو الهيثم واسمه مالك بن مالك وقيل بل اسم ابيه عمرو بن الحرث وهو التيهان كان
احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا والمشهور انه ادرك صفين مع علي عليه السلم وقتل بها وقيل توفي في زمن
الرسول صلى الله عليه وآله واما ذو الشهادتين فكنيته ابو عمارة واسمه خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة
الخطمي الانصاري من الاوس جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين لقصة مشهورة وشهد

بدرا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الاوس يوم الفتح بيده وشهد صفين مع علي عليه السلم فلما قتل
عمار قاتل هو حتى قتل معه ونظراؤهم من اخوانه اي الذين قتلوا بصفين معهم من الصحابة كابن بديل وهاشم بن عتبة
ونحوهما وتعاقدهم على المنية اتفاقهم على المقاتلة الى غاية ان يقتلوا وروي تعاهدوا والفجرة الذين حملت رؤوسهم
اليهم امراء الشام ثم اخذ في التشكي والتوجع على فقدهم ثم اشار الى فضائلهم التي هي غاية الشريعة المطلوبة
منهم بها وهي تلاوة القرآن واحكامه بفهم مقاصده ومعانيه والتدبر للفرض اي فهم ما لاجله العبادات واتى
بها والمواظبة عليها نظرا الى اسرارها واحياء السنن النبوية واماتة البدع المخالفة لها واجابتهم للدعوة الى
الجهاد لاقامة الدين ووثوقهم بقائدهم اليه في سبيل الله يعني نفسه واتباعهم له والرواح الى الله الخروج الى الجهاد
الذي هو سبيله الموصل اليه والى ثوابه وقيس بن سعد الخزرجي صحابي كنيته ابو عبد الملك روى عن رسول الله
احاديث وابوه سعد من رؤساء الخزرج وهو سعد بن عبادة الذي حاولت قومه اقامته خليفة بعد رسول الله
وكان قيس هذا من كبار شيعة علي ومحبيه وشهد معه حروبه كلها وكان مع الحسن ابنه وتم عليه صلح معوية واما
ابو ايوب الانصاري فهو خالد بن زيد بن كليب الخزرجي من بني النجار شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد وعليه
نزل رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج من بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا فلم يزل عنده حتى بنى مسجده
ومساكنه ثم انتقل اليها وشهد مع علي مشاهده كلها الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق الخلائق بقدرته واستعبد الارباب
بعزته وساد العظماء بجوده وهو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث الى الجن والانس رسله ليكشفوا لهم عن غطائها وليحذروهم
من ضرائها وليضربوا لهم امثالها وليبصروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف مصاحها واسقامها وحلالها وحرامها
وما اعد الله سبحانه للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه وجعل
لكل شيء قدرا ولكل قدر اجلا ولكل اجل كتابا **اقول** المنصبة التعب وحمداه باعتبار كونه معروفا بآيات
اثاره عند العقول المعرفة المنزهة عن ادراك البصر المختص بالاجسام ولواحقها ثم باعتبار كونه خالقا موجدا
الاكوان المنزه عن المتاعب واستلزامها الآلات المستلزمة جسمية التي من شانها الضعف والنهاية في القوة ثم نبه
على استناد الخلائق والنعم الفائضة الى قدرته ليعتبر السامعون نسبتهم اليه وباعتبار استعباده الارباب
على كمال عزه المطلق الواجبي المستلزم لخضوع كل موجود في ذل الامكان والحاجة اليه وبسيادته للعظماء على كمال عظمة
وجوده الواجبي المطلق المستلزم لفقر كل اليه وتعبده له ثم نبه باسكانهم الدنيا وبعثه رسله الى الجن والانس
منهم كما قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي الآية على كمال لطفه بخلقه وحكمته في ايجادهم
في الدنيا وغاية ذلك ان يكشفوا لهم ما يغطي بحب الدنيا من اعين ابصارهم من احوال الآخرة التي خلقوا لها وان يحذروهم
بالتحذير من ضرر الدنيا وعواقبها وضرب الامثال في شبهها كما في القرآن الكريم انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
الآية واشباهها وان يبصروهم عيوبها وان يهجموا عليهم بما في تصاريفها من العبرة وهي الصحة والسقم وما احل وحرم
على طريق الابتلاء به وحلالها معطوف على تصرف ويحتمل ان يكون عطفا على اسقامها باعتبار ان الحلال والحرام
من تصاريف الدنيا وبيانه ان كثيرا من المحرمات التي كانت حلالا من نبي قبله وبالعكس وذلك كان في مصالح

الخلق بمقتضى تصاريف اوقاتهم واحوالهم التي هي تصاريف الدنيا وقوله وما اعدامه اما عطف على معشرا وعلى
هو بها اي ويبصرونهم بما اعده الله للمطيعين والعصاة الى آخره وقوله احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه اي احمده
حمدا يكون في الكيفية والكمية على الوجه الذي طلب الحمد لنفسه من خلقه وقوله جعل لكل شيء قدرا كقوله تعالى قد جعل الله
لكل شيء قدرا اي مقدارا من الكيفية والكمية ينتهي اليه وحدا يقف عنده ولكل قدر اجلا اي ولكل مقدار
وقت يكون انقضاؤه فيه وفناؤه ولكل اجل كتابا واراد بالكتاب العلم الالهي المعبر عنه بالكتاب المبين
واللوح المحفوظ المحيط بكل شيء وفيه رقم كل شيء وبالله التوفيق **منها** في ذكر القرآن فالقرآن آمر زاجر وصامت
ناطق حجة الله على خلقه اخذ عليهم ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض نبيه صلى الله عليه وآله
وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك
الا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه او تدعو اليه فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد واعلموا انه لن
يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون في اثر بين وتتكلمون
برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤنة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من السنتكم الذكر واوصاكم بالتقوى
وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته ان اسررتم علمه
وان اعلنتم كتبه وقد وكل بكم حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا
من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلها عرشه
ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فان الناس يوشك ان
ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عنهم باب التوبة فقد اصبحتم في مثل ما سأل اليه الرجعة من كان قبلكم وانتم
بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر
على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا افرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه
والرمضاء تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار
حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير
كيف انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر
العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها
اسهروا عيونكم واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم تجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا
بها عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم وله جنود السموات والارض
وهو العزيز الحكيم واستقرضكم وله خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن
عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم ان تسمع
حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
اقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل **اقول** اليفن الشيخ الكبير والقتير الشيب

ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهي الغل لجمعها اليدين الى الاعناق واللغوب التعب وقد وصف القرآن
الكريم بالاعذار والمقابلة باختلاف الاعتبارات فالآمر الزاجر واطلاقهما عليه مجاز من باب اطلاق اسم
السبب على المسبب اذ الآمر والناهي هو الله تعالى والصامت الناطق واطلاق لفظ الناطق عليه مجاز
اذ الناطق هو المتكلم به من باب اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة لله على خلقه لاشتماله على وعدهم ووعيدهم
وبيان غاية وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وانه خلاصة
ما بعث به الرسول صلى الله عليه على الخلق في صدقه وقوله اخذ عليهم ميثاقه الضمير في اخذ لله وفي ميثاقه للكتاب
وذلك الاخذ هو خلقهم وبعثهم الى الوجود على ان يعملوا بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة وهو ما اشار
اليه القرآن الكريم واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية والتقدير اخذ عليهم الميثاق
باخذه وقوله وارتهن عليه انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل باخذه والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نور هدايته للخلق والنور التام هو نور النبوة
وهو المشار اليه بقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره و
اطفاؤه بما كانوا يقولونه من كونه صلى الله عليه وآله معلم مجنون وساحر كذاب وكون القرآن اساطير الاولين
اكتتبها وكذلك اكرم به دينه وقوله وقبض نبيه الى قوله به كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية واحكام الهدى
بيان طرقه وكيفية سلوكها وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم امر بتعظيم الله سبحانه وتعالى يقال عظمت فلانا من فلان
كما يقال عظمته وما هنا مصدرية اي عظموه كتعظيمه لنفسه اي اطلبوا المناسبة في تعظيمكم له لتعظيمه نفسه ثم اشار
الى وجه وجوب تعظيمنا له وهو قوله لم يخف عنكم شيئا من دينه بل كشفه لنا ووجه بالحجة بقدر الامكان ولم
يترك شيئا من مراضيه ومكارهه الا نصب عليه علما ظاهرا وآية واضحة من كتابه يشتمل على امر بما يرضيه
او زجر عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له من الاحكام او المسخوط
فيما مضى هو المرضي او المسخوط فيما بقي من الاوقات والمستقبل من الزمان وحكمه في كونه مرضيا او مسخوطا واحد
في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينقص وفيه ايماء الى ان رفع شيء من الاحكام السابقة بالقياس والرأي لا يجوز كما
سبق بيان مذهبه عليه السلام في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم الى قوله قبلكم تاكيد
وتقرير لما سبق اي ان ما سخطه ونهى عنه الصحابة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه وتحللوه باجتهاد
وكذلك ما رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهادكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه فيما بقي
واحد وسخطه فيما بقي واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى اجتهاد في
الحاقها بالمنصوص وادراجها تحت النصوص وبين وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب او المكروه فيها
واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم المجتهدين في الشيء الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة ويختلف الفتاوى
بل الحكم في تلك القضية اما مسخوط او مرضي فيكون ذلك نهيا منه عليه السلام عن الاختلاف في الفتيا كما علمت في ذلك
فيما سبق من الفصول ويكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الى قوله قبلكم في معنى النهي عن رفع الاحكام الشرعية
بالاجتهاد والقياس كما قررناه وقيل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي انه لن يرضى عنكم بالاختلاف

الخلق بمعنى تصاريف اوقاتهم واحوالهم التي هي تصاريف الدنيا وقوله وما اعده لهم عطف على معشرا وعلى
فيه بها اي وبعزونهم باعداده للمطيعين والعصاة الى آخره وقوله احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه اي احمده
حمدا يكون في الكيفية والكمية على الوجه الذي طلب الحمد لنفسه من خلقه وقوله جعل لكل شيء قدرا كقوله تعالى قد جعل الله
لكل شيء قدرا اي مقدارا من الكيفية والكمية ينتهي اليه ويقف عنده ولكل قدر اجلا اي ولكل مقدار
وقت يكون انقضاؤه فيه وفناؤه ولكل اجل كتابا واراد بالكتاب العلم الالهي المعبر عنه بالكتاب المبين
واللوح المحفوظ المحيط بكل شيء وفيه رقم كل شيء وبالله التوفيق **منها** في ذكر القرآن والقرآن آمر زاجر وصامت
ناطق حجة الله على خلقه اخذ عليهم ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض نبيه صلى الله عليه وآله
وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك
شيئا رضيه او كرهه الا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه او تدعو اليه فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد واعلموا انه لن
يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون في اثر بين وتتكلمون
برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم قد كفاكم مؤونة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من السنتكم الذكر واوصاكم بالتقوى
وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته ان اسررتم علمه
وان اعلنتم كتبه قد وكل بكم حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا ان من يتق الله يجعل له مخرجا
من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ظلها عرشه
ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فان الناس يوشك ان
ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عنهم باب التوبة فقد اصبحتم في مثل ما سأل اليه الرجعة من كان قبلكم وانتم
بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم منها بالارتحال وامرتم فيها بالزاد واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر
على النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا افرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه
والرمضاء تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار
حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير
كيف انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر
العباد وانتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها
اسهروا عيونكم واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم تجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا
بها عنها فقد قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له وله اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم وله جنود السموات والارض
وهو العزيز الحكيم واستقرضكم وله خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد وانما اراد ان يبلوكم ايكم احسن
عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسله وازارهم ملائكته واكرم اسماعهم ان تسمع
حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
اقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل **اقول** اليفن الشيخ الكبير والقتير الشيب

ولهزه

ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهي الغل لجمعها الايدي الى الاعناق واللغوب التعب وفيه وصف القرآن
الكريم بالاضداد المتقاربة لاختلاف الاعتبارات فالآمر مع الزاجر واطلاقهما عليه مجاز من باب اطلاق اسم
السبب على المسبب اذ الآمر والناهي هو الله تعالى والصامت مع الناطق واطلاق لفظ الناطق عليه مجاز
اذ الناطق هو المتكلم به من باب اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة الله على خلقه لاشتماله على وعدهم ووعيدهم
وبيان غاية وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وانه خلاصة
ما بعث به الرسول صلى الله عليه وآله الى الخلق في صدقه وقوله اخذ عليهم ميثاقه الضمير في اخذه وفي ميثاقه للكتاب
وذلك الاخذ هو خلقهم وبعثهم الى الوجود على ان يعملوا بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة وهو ما اشار
اليه القرآن الكريم واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية والتقدير اخذ عليهم الميثاق
بالاخذ وقوله وارتهن عليها انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل بما فيه والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نور هدايته للخلق والنور التام هو نور النبوة
وهو المشار اليه بقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره و
اطفاؤه بما كانوا يقولون من كونه صلى الله عليه وآله معلم مجنون وساحر كذاب وكون القرآن اساطير الاولين
اكتتبها وكذلك اكرم به دينه وقوله وقبض نبيه الى قوله به كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية واحكام الهدى
بيان طرقه وكيفية سلوكها وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم امر بتعظيم الله سبحانه وتعالى يقال عظمت فلانا من فلان
كما يقال عظمته وما هنا مصدرية اي عظموه كتعظيمه لنفسه اي اطلبوا المناسبة في تعظيمكم له لتعظيمه نفسه ثم اشار
الى وجه وجوب تعظيمنا له وهو قوله لم يخف عنكم شيئا من دينه بل كشفه لنا وبينه باجمعه بقدر الامكان ولم
يترك شيئا من مراضيه ومكارهه الا نصب عليه علما ظاهرا وآية واضحة من كتابه يشتمل على امر بما يرضيه
او زجر عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له من الاحكام او المسخوط
فيما مضى هو المرضي او المسخوط فيما بقي من الاوقات وما يستقبل من الزمان وحكمه في كونه مرضيا او مسخوطا واحد
في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينقص وفيه ايماء الى ان رفع شيء من الاحكام السابقة بالقياس والرأي لا يجوز كما
سبق بيان مذهبه عليه السلام في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم الى قوله قبلكم تأكيد
وتقرير لما سبق اي ان ما سخط ونهى عنه الصحابة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه وتحلوه باجتهاد
وكذلك ما رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهادكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه فيما بقي
واحد وسخطه فيما بقي واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى اجتهاد في
الحاقها بالمنصوص وادراجها تحت النصوص وبيان وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب او المكروه فيها
واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم احد المجتهدين في الشيء الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة ويختلف الفتاوى
بل الحكم في تلك القضية اما مسخوط او مرضي ويكون ذلك بيانا منه عليه السلام عن الاختلاف في الفتيا كما علمت في ذم ذلك
فيما سبق من الفصول ويكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الى قوله قبلكم في معنى النهي عن رفع الاحكام الشرعية
بالاجتهاد والقياس كما قررناه وقيل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي انه لن يرضى عنكم بالاختلاف

الذي سخط من كان قبلكم كما اشار اليه تعالى بقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ولكن ليس
يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع المرضي من كان قبلكم وقيل بل المراد انه لن يرضى عنكم بشيء من سخط من كان
قبلكم من الاعتقادات الباطلة في المسائل الالهية ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات
الحقة فيها ويكون ذلك مختصا بالاصول دون الفروع وقوله وانما تسيرون في اثر بين الى قوله قبلكم اشارة
الى ان الادلة لكم واضحة وقد تداولها الاولون قبلكم فانتم تسلكون بها وترددونها ورجع القول المراد منه وقوله
قد كفاكم مؤنة دنياكم كقوله تعالى واتاكم من كل ما سألتموه وتلك الكفاية اما بخلقها وايجادها واما برزقه لكل ما كتب
في اللوح المحفوظ وحثه على الشكر في تكرار اوامره به ونقل عن الحسن البصري انه قال ان الله كفانا مؤنة دنيانا
وحثنا على القيام بوظايف ديننا فليته كفانا مؤنة ديننا وحثنا على القيام بوظايف دنيانا وهو اشارة منه
الى شدة التحفظ في الدين والاحتراز عليه وقوله وافترض من السنتكم الذكر ولما كان الكل من الجوارح عبادة كانت
العبادة المفروضة باعتبار اعمال الذكر وقد علمت انه باب عظيم من ابواب السلوك الى الله بل هو روح العبادات
كلها اذ كل عبادة لم يشفع بالذكر فهي خداج ثم نبه على التقوى بوصيته الله تعالى فيها ثم بكونها منتهى رضاه وحاجته
من خلقه ولفظ الحاجة مستعار اذ تنزه قدسه تعالى عنها ووجه المشابهة ان المحتاج هو المتحث والطلب المتكرر منه
حتى كانه محتاج الى عبادة العباد وتقويهم ولما استلزمت التقوى المحبة الوصول الى الله لاجرم كانت
منتهى رضاه من خلقه ثم امرهم بها بعد التنبيه عليها ونبه على الوجوه التي لاجلها تحصل تقوى الله وخشيته وهي
كونهم بعينه اي بحيث يعلم ما يعملون ولفظ العين مجاز في العلم اطلاقا لاسم السبب على المسبب لاستلزامها
اياه وكون نواصيهم بيده اي في قدرته وانما خص الناصية اشارة الى ان اعظمية الانسان واشرف
ما فيه مملوك واليد مجاز في القدرة اطلاقا لاسم السبب القابلي على المسبب وكذلك كون تقلبهم في قبضته اي
تصرفهم في حركاتهم وسكناتهم بحسب تصريف قدرته وحكمه لا خروج عنه في شيء وقوله ان اسروا علمه وكونه تعالى
يعلم ما يسرون وان اعلنوا كتبه الى قوله بالحلال وقد سبقت الاشارة الى الجنة غير مرة ثم اكد القول في التقوى
بقوله واعلموا الى قوله من الفتن وهو لفظ القرآن وقوله من الفتن تفسير لقوله مخرجا وقوله نورا من الظلم اي من
ظلم الجهل بانوار العلوم الحاصلة عن الاستعداد بالتقوى وقوله ويخلده فيما اشتهت نفسه كقوله تعالى
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ومنزل الكرامة هو المنزل المبارك المأمور بطلبه في قوله تعالى
وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين والدار التي اصطنعها لنفسه كناية عن الجنة ونسبها
الى نفسه تعظيما لها وترغيبا فيها وظاهر حسن تلك النسبة فان الجنة المحسوسة اشرف دار وزينت لاشرف
المخلوقات واما المعقولة فيعود الى درجات الوصول والاستغراق في المعارف الالهية التي بها السعادة
والبهجة واللذة التامة وهي جامع الاعتبار العقلي لمنازل اولياء الله وخاصته ومقامات ملائكته ورسله
ومن المتعارف ان الملك العظيم اذا صرف عنايته الى بناء دار يسكنها هو وخاصته ان يقال انها تخص الملك
وانه بناها لنفسه وظاهر الكلام يدل على انها في السموات وان العرش عليها وفي هذه الكلمة لطيفة وذلك
علمت ان العرش يطلق ويراد به الفلك التاسع ويطلق ويراد به العقل الاول باعتبار احاطة علمه بجميع

الموجودات وباعتبار حمله لمعرفة صانعه الاول جلت عظمته ويطلق ويراد به سلطانه وعظمته واستعار لفظ الظل
للعرش بالمعنى الاول باعتبار ان حركة الفلك من الاسباب المعدة لوصول النفوس البشرية والفلكية
الى كمالها بالمعارف الالهية التي بها الراحة الكبرى من حرارة نار الجهل كما ان بالظل تكون الراحة من حرارة
الشمس وبالمعنى الثاني فيه ايضا هو ان المعارف الالهية الفائضة على اسرار المستعدين من قبل ذلك الملك القدسي
يكون بها الراحة الكبرى كما يكون بالظل ايضا وبالمعنى الثالث ان سلطانه تعالى وعلوه هو المستولي على كل سلطان
والعالي العلو المطلق واذ هو مبدأ راحة جميع النفوس بجميع كمالاتها العقلية فهو ظلها الذي اليه ملجأها واطلاق لفظ
الظل على النعمة والسلطان في العرف ظاهر يقال انا في ظل فلان وفي ظل الملك وعدله اذا كان في نعمته
وعنايته وقوله ونورها بهجته يحتمل ان يعود الى بانيه وكماله المشرق في اقطار العالمين على اسرار النفوس
وظاهر كونه نور الجنة الذي تغشى منه ابصار البصائر وتستغرق في الابتهاج به الملائكة المقربون وقوله
وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فيه لطيفة وذلك انه لما كانت النفوس البشرية متحدة كانت متقاربة
المنازل في الكمال ويمكن لها ذلك عبر عن الرسل بالرفقاء في الجنة لسكانها ولما خالفت انواع الملائكة السماوية
والمجردين عن علايق الاجسام في الحقايق وتفاوتت في الكمالات لاجرم خصص الملائكة بكونهم زوارها اي
زوار ساكنيها اذ كان الرفيق الصق واقرب من الزائر وعبر بتلك الزيارة عن حضور الملأ الاعلى عند النفوس
الكاملة حين انقطاعها عن العلايق البدنية والتفاتها عنها ولما كان ذلك الحضور غير دائم بل بحسب فلتات
النفس اشبه الزيارة فاستعير لفظها وانما كان الملك هو الزائر دون النفس لان صورته ومثاله
هو الواصل الى النفس عند استعدادها لتصوره من فيض واهب الصور ثم عاد الى التذكير بامر المعاد فامر
بمبادرته اي المعاجلة الى ما يصلحه ويخلص منه هو الزهد من سائر القربات الى الله وذلك مسابقة الاجال وقوله
فان الناس يوشك ان ينقطع بهم الامل اي امل الدنيا والتفاتهم فلاجل ذلك الانقطاع وقربه يجب ان ينتبه
الى صلاح المعاد ويرهقهم الاجل اي يلحقهم فلاجل ذلك الخوف يجب ان يبادر الى العمل ما بقي ويسد عنهم
باب التوبة بادراك الاجل فيجب مبادرتها وقوله فقد اصبحتم الى قوله قبلكم اي اصبحتم في حال الحيوة والصحة والامن
وساير الاسباب التي تمنى من كان قبلكم الرجعة اليها ويمكنكم معها العمل وقوله وانتم بنو سبيل الى قوله بالزاد
فالواو في وانتم للحال واستعار لهم وصف بني السبيل لكونهم في هذه الدار بالعرض وقصدهم الغاية الالهية
غاية اخرى وتحثهم بالشريعة على الرحل من الدنيا فهم فيها كالمسافرين فابواب سفرهم جود الله واقرب الابواب
الى الدنيا الارحام التي منها يخرجون اليها وابواب الخروج منها هي الموت ولفظ السفر مستعار مشهور
يقرب من الحقيقة وظاهر ان دارا لا يبقى الانسان فيها بل يكون مرافقا لطريق دار اخرى ليست بدار الملك
الى تلك الدار ونبه على ايذانهم فيها بالرحيل منها تنفيرا عن الركون اليها واتخاذها وطنا وعلى امرهم باتخاذ الزاد
فيها تنبيها على ان هناك غاية لما يجب ان يستعد للسلوك اليها فيها ولفظ الزاد مستعار لتقوى الله وطاعته
التي هي زاد النفوس الى حضرة رب العالمين وقوله واعلموا الى قوله نفوسكم تذكير بالوعيد على المعاصي وامرهم
برحمة نفوسهم وذلك بالاعمال الصالحة واتباع اوامر الله وقوله فانكم قد جربتموها الى قوله شيطان في قوة احتجاج

على وجوب تلك الرحمة وتمحيصه الكم جرتم انفسكم في هذه الامور المحقرة فجزعتم وكل من جزع من امثال هذه بلاء وسلامه كونه
بين طابقين من نار ضجيع حجر قرين شيطان وقد علمت فيما سلف ان للنار سبع طبقات وهي دركاتها وضجيع
حجر من قوله تعالى وقودها الناس والحجارة وقرين شيطان من قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون
وهم الشياطين وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى قوله ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم
في العذاب مشتركون وقد اعلمت ان ما كان الى قوله زجرة من صفات النار المحسوسة ذكرها للتخويف والتحذير وقوله
ايها اليفن الكبير الى قوله السواعد خطاب للشيخ الكبير وانما خصه بالذكر تنفيرا عن المعصية لقربه من الآخرة وسؤاله عن حاله سؤال
تقريع وتوبيخ على المعصية واطواق المحسوسة ظاهرة واطواقها المعقولة تمكن الهيئات البدنية من اعناق النفوس واغلالها
من سواعدها ثم اخذ في التحذير من الله لغاية العمل بما يرضيه حال الصحة والنشو قبل لحوق ضديهما ثم في الامر بالسعي لغاية
فكاك رقابهم من النار قبل ان تغلق رهائنها بها وقد علمت وجه الاستعارة هناك ثم في الامر بالسهر وكنى به
عن قطع الليل بالعبادة لقوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وانما خص الليل لانه مظنة الخلوة بالله
والفراغ من الناس ودون النهار محل عبادة اخرى كالجهاد والكسب لعيال ثم بتضمير البطون وكنى به عن صيام النهار
ثم باستعمال اقدامهم وكنى به عن القيام في الصلوة ثم بانفاق اموالهم وكنى به عن الصدقات والزكوات في سبيل الله
ثم بالاخذ من اجسادهم وكنى به عن اذابتها بالصيام والقيام للصلوات وايثار التقشف المستلزم للاعراض عن زينة
هذه الاجساد لاستلزام ذلك حب الدنيا والاقبال على لذاتها ولا شك ان الاخذ من الجسد بهذه العبادات جود على
النفس بالكمالات المجردة والقرب من الله ولذلك قال فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها وفي ذلك ان اتعاب الجسد
جود على النفس ترغيب فيه ثم استشهد بالآيتين على وعد الله بالنصر لمن نصره وبالاجر لمن اقرضه بعد امره
بنصر الله بامتثال اوامره واقراضه بالصدقات ووجه استعارة لفظ القرض كثرة الاوامر الالهية الطالبة للصدقات
فاشبهت طلب المحتاج المستقرض وفائدة هذا الاستشهاد الى قوله ايكم احسن عملا اعلامهم بان الغني المطلق
عن عباده فيما طلبه منهم من نصرة وقرض وبيان غاية الآية منهم بذلك وهو الابتلاء وقد علمت ابتلاء الله تعالى
لخلقه غير مرة ثم اعاد الامر بالمبادرة الى الاعمال للآخرة لغاية الكون مع جيران الله في جنته مع رافقه رسله كانه
تعالى فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ومرافقة رسله كقوله تعالى اولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
وزائرين الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
واكرمه اسماعهم ان تسمع حسيس نار ابدا لقوله تعالى لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
وصيانة اجسادهم ان يلقى لغوبا ونصبا كقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقوله ذلك
فضل الله الآية اقتباس وجه الاقتباس ظاهر وقوله اقول الى آخره خاتمة الخطبة وفيها الاستعانة بالله على
النفوس الامارة بالسوء في قهرها وتطويعها لنفوس المطمئنة فانه نعم المعين ونعم الوكيل ومن كلام له عليه السلم
للبرج بن مسهر الطائي وقد قال بحيث يسمعه لا حكم الا لله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد ظهر الحق
فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى اذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز اقول هو البرج بالباء المضمومة والجيم

وتوجه اليه كلامه عن الخير والاثرم ساقط الثنية والضئيل الصغير الحقير النحيف ونعر صاح ونجم طلع وكان البرج شاعرا
مشهورا من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه عليه السلم فزجره وقبحه ودعاه بآفته اهانة له واستخفافا كما هو
العادة في اهانة ذوي العاهات بذكر آفاتهم وكنى بخفوته شخصه عند ظهور الحق عن حقارته في زمن العدل بين الحاج
وخمول ذكره وظهور الحق زمان قوة الاسلام وقبل ظهور الفتن وقوة الباطل وبخفاء صوته عن عدم الالتفات
الى اقواله وحقارته واستعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوته وظهوره بالرجل الصائل الصائح
بكلامه عن جراءة وشجاعة وشبه ظهوره بين الناس وارتفاع ذكره عند ظهور الباطل وقوته بظهور قرن الماعز
في السرعة بغتة اي طلعت بلا شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة كنبات قرن الماعز ومن البلاغة في تشبيه
من يراد اهانته بالشيء الحقير وتشبيه من يراد تعظيمه بالعظيم الخطير وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
روي ان صاحبا لامير المؤمنين عليه السلم يقال له همام كان رجلا عابدا فقال له يا امير المؤمنين صف لي المتقين
حتى كاني انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال عليه السلم يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون فلم يقنع همام بذلك حتى عزم عليه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي وآله ثم قال عليه السلم اما بعد فان الله
سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة
من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم
الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت
انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء لولا الاجل الذي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين
شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها
منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم
خفيفة وانفسهم عفيفة صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا ولم
يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا يحزنون به انفسهم
ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا
انها نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول
آذانهم فهم حانون على اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى
في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى
وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير
فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احدهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسي من غيري وربي
اعلم مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة احدهم انك
ترى له قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم وعلما في حلم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في
فاقة وصبرا في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي
وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة وفرحا بما اصاب من الفضل والرحمة

ويرتلونها
وعلما في حلم
ومزينة

ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم
والقول بالعمل تراه قريبا امله قليلا زلله خاشعا قلبه قانعة نفسه منزورا اكله سهلا امره حريزا دينه ميتة شهوته
مكظوما غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين
لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه
مقبلا خيره مدبرا شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم
فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب ولا يضار
بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل
صوته وان بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب نفسه
لآخرته واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده
بكبر وعظمة ولا دنوه بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام اما والله لقد كنت
اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال ويحك
ان لكل اجل وقتا لا يعدوه وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك **اقول**
ومن هنا اختلف نسخ النهج فكثير منها يكون هذه الخطبة فيها اول المجلد الثاني منه بعد الخطبة المسماة بالقاصعة ويكون
عقيب كلام للبرج بن مسهر الطائي قوله ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد
وكثير من النسخ يكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه عليه السلام للبرج بن مسهر وتتأخر تلك الخطبة فيكون بعد قوله
ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ويتصل ذلك الى تمام الخطبة المسماة بالقاصعة
ثم يليه قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام ورسائله وعليه جماعة من الشراح كالامام قطب الدين
ابي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ
الصحيحة فاما همام هذا فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن عوف الاصب وكان من شيعته
عليه السلام واوليائه ناسكا عابدا وتثاقله عليه السلام عن جوابه لما راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه عليه
ان يخرجه خوف الله الى انزعاج نفسه وصعوقها فامره بتقوى الله اي خوفه ان يصيبها فانه سبب سؤاله واحسن
اي احسن اليها بترك تكليفها فوق طوقها ولذلك قال عليه السلام حين صعق همام اما والله لقد كنت اخافها
عليه فلما لم يقنع همام الا بما سأل وعزم عليه بذلك اي الح عليه في السؤال واقسم اجابه فان قلت كيف
جاز منه عليه السلام ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالسبب فيه على كلام المرتضى يجب احتمال الصعقة من الاول
قلت انه لم يكن يغلب على ظنه عليه السلام الا الصعقة عن الوجد الشديد فاما ان تلك الصعقة فيها موته فلم يكن مظنونا له
وانما قدم بيان كونه تعالى غنيا عن الخلق وطاعتهم وامنا من معصيتهم لانه لما كانت اوامره تعالى بأسرها او اكثرها
يعود الى الامر بتقواه وطاعته وكان اشرف ما يتقرب اليه البشر بالتقوى وهو في موضع صفة المتقين فربما
خطر ببعض اوهام الجاهلين ان الله تعالى في تقواه وطاعته منفعة ولمعصيته مضرة فصدر الخطبة بتنزيهه تعالى عن الانتفاع
والتضرر وقد مر برهان ذلك غير مرة وقوله فقسم الى قوله مواضعهم تقرير وتأكيد لكمال غناه عنهم لانه اذا كان جوده

هو مبدأ

هو مبدأ خلقهم وقسمة معايشهم ووضعهم من الدنيا مراتبهم ومنازلهم من غني وفقير وشريف ووضيع فهو الغني
المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات ثم اخذ في غرض الخطبة وهو وصف المتقين فوصفهم بالوصف المجمل فقال فالمتقون فيها هم اهل الفضائل
اي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوى العلم والعمل ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل وتشعبها فالاولى
الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان وحاصله ان لا يسكت عما ينبغي ان يقال فيكون مفرطا
ولا يقول ما ينبغي ان يسكت عنه فيكون مفرطا بل يضع كلا من الكلام في موضعه اللائق به وهو اخص من الصدق
لجواز ان يصدق الانسان فيما لا ينبغي من القول الثانية ملبسهم الاقتصاد وهو فضيلة العدل في الملبوس فلا يلبس
ما يلحقه بدرجة المترفين ولا ما يلحقه باهل الخسة والدناءة مما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا الثالثة مشي
التواضع والتواضع ملكة تحت العفة يعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي التواضع مستلزم للسكون
والوقار عن تواضع نفوسهم الرابعة غض الابصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة الخامسة وقوفهم اسماعهم على سماع
العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع والعلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية من العلم الالهي وما يناسبه
وما هو كمال القوة العملية وهي الحكمة العملية كما سبق بيانها السادسة نزول انفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء
اي لا تنفعل من بلاء ينزل بها ولا تبطر برخاء يصيبها بل مقامها في الحالين مقام الشكر والذي صفة مصدر محذوف
والضمير العائد اليه محذوف ايضا والتقدير نزلت كالنزول الذي نزلته في الرخاء ويحتمل ان يكون المراد بالذي
الذين فحذف النون كما في قوله تعالى كالذي خاضوا ويكون المقصود تشبيههم حال نزول انفسهم منهم في البلاء
بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء والمعنى واحد السابعة غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم
الى غاية ان ارواحهم لا تستقر في اجسادهم من ذلك لولا الآجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف انما يبلغ
الى حد الملكة فانه يستلزم دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا ومبدأهما تصور عظمة الخالق وبقدر ذلك يكون
تصور عظمة وعده ووعيده وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان عظيمان للجنة الثامنة
عظم الخالق في انفسهم وذلك بحسب الجواذب الالهية الى الاستغراق في معرفته ومحبته وبحسب تفاوت ذلك الاستغراق
يكون تفاوت تصور العظمة وبحسب تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لاصغرية ما دونه ونسبته اليه في اعين بصائرهم
وقوله فهم والجنة كمن قد رآها الى قوله معذبون اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده فهو مشاهد بعين
بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعموا فيها وكالذين
شاهدوا النار وعذبوا فيها وهي مرتبة عين اليقين وبحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة وشدة خوفهم من
النار التاسعة حزن قلوبهم وذلك ثمرة الخوف الغالب العاشرة كونهم مأمونا شرورهم وذلك ان مبدأ الشرور
محبة الدنيا واباطيلها والعارفون بمعزل عن ذلك الحادية عشر نحافة اجسادهم ومبدأ ذلك كثرة الصيام والسهر
وجشوبة المطعم وخشونة الملبس وهجر الملاذ الدنيوية الثانية عشر خفة حاجاتهم وذلك لاقتصارهم من حوائج
الدنيا على القدر الضروري من ملبس ومأكل ولا اخف من هذه الحاجة الثالثة عشر عفة انفسهم وملكة العفة فضيلة
القوة الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور الرابعة عشر الصبر على المكاره ايام حياتهم فترك

اللذات الدنيوية واحتمال اذى الخلق وقد عرفت ان الصبر مقاومة النفس الامارة بالسوء لئلا تنقاد الى جواذب اللذات
وانما ذكر قصر مدة الصبر واستعقابه للراحة الطويلة ترغيبا فيه وتلك الراحة بالسعادة في الجنة كما قال تعالى وجزاهم
بما صبروا جنة وحريرا الآية وقوله تجارة مربحة استعارة لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال الاوامر
ووجه المشابهة كونهم متعوضين بمتاع الدنيا وحركاتهم في العبادة متاع الآخرة ورشح بلفظ الربح لافضلية
متاع الآخرة وزيادته في النفاسة على ما تركوه وظاهر ان ذلك تيسير الله لاسبابه واعداده لهم بالجواد
الالهية الخامسة عدم ارادتهم للدنيا مع ارادتها لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقي وهو ملكة تحت العفة وكنى بارادتها
لهم عن كونهم اهلا لان يكونوا فيها رؤساء واشرافا كقضاة ووزراء ونحو ذلك وكونها بمعرض ان يصل اليهم
لو ارادوها ويحتمل ان يريد ارادهم اهل الدنيا فحذف المضاف السادسة عشر افتدى من اسرته لنفسه منها
وهو اشارة الى من تركها وزهد فيها بعد ان تمكن فيها وان استمتع بها ففك بذلك الترك والاعراض
والتمرن على طاعة الله اغلال الهيئات الردية المكتسبة منها عن عنقه ولفظ الاسر استعارة في تمكن تلك
الهيئات من نفوسهم ولفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالاعراض عنها والمواظبة على طاعة
ابه وانما عطف بالواو في قوله ولم يريدوها وبالفاء في قوله لان زهد الانسان في الدنيا كما يكون متاخرا
عن اقبالها عليه كذلك قد يكون متقدما عليه لقوله صلى الله عليه وآله ومن جعل الآخرة اكبر همه جمع الله عليه وأتته
وهي راغمة فلم يحسن العطف هنا بالفاء واما الفدية فلم يكن الا بعد الاسر لا جرم عطفها بالفاء السابعة عشر كونهم
صافين اقدامهم بالليل تالين القرآن يرتلونه الى قوله اذانهم وذلك اشارة الى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء
بالعبادات وشرح لكيفية استشارهم لدواء دائهم ولما كان داؤهم هو الجهل وساير رذائل الخلقية كان دواء
الجهل بالعلم ودواء كل رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة فهم بتلاوة القرآن يستثيرون بالتحزين الخوف من
وعيد الله المضادة للانهماك في الدنيا ودواؤه والعلم الذي هو دواء الجهل وتلك فضيلة حث القرآن عليها في دواء
لما يجاورها من الرذائل وباقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق وقوله فاذا مروا باية الى ذكر كيفية كونهم
وقوله مفترشون لجباههم الى قوله اقدامهم اشارة الى كيفية سجودهم وذكر الاعظم السبعة وقوله يطلبون الى قوله رقابهم
اشارة الى غايتهم من عبادتهم تلك الثامنة عشر من صفات النهار كونهم حلماء واراد الحكمة الشرعية وما فيها من كمال القوة
العلمية والعملية لكونها المتعارف بين الصحابة والتابعين ورودي حلماء والحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين
رذيلتي المهانة والافراط في الغضب وانما خص الليل بالصلاة لكونها اوسط بها من النهار كما سبق التاسعة عشر
كونهم علماء واراد كمال القوة النظرية بالعلم النظري وهو معرفة الصانع وصفاته العشرون كونهم ابرارا والبر
يعود الى العفيف المقابلة الفاجر الحادية والعشرون كونهم اتقياء والمراد بالتقوى هنا الخوف من الله وقد مر
ذكر العفة والخوف وانما كررهما هنا في عداد صفاتهم بالنهار وذكرهما هناك في صفاتهم المطلقة وقوله قد براهم
الخوف الى قوله خولطوا شرح لفعل الخوف الغالب بهم وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن به
عن النظر في صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل وشبه بري الخوف لهم بري
القداح ووجه الشبه شدة النحافة وتبع ذلك تغير السحنات والضعف عن الانفعالات النفسانية من الخوف

تصال
والحزن فتحسبهم الناظر مرضى وان لم يكن بهم مرض ويقول قد خولطوا اشارة الى ما يعرض لبعض العارفين عند اتصال
نفسه بالملأ الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط حركاته ان يتكلم بكلام خارج عن المتعارف مستبشع بين اهل
الشريعة فينسب ذلك منه الى الاختلاط والجنون وتارة الى الكفر والخروج عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلاج
وغيره وقوله ولقد خالطهم امر عظيم وهو اشتغال اسرارهم بملاحظة جلال الله ومطالعة انوار الملأ الاعلى الثانية
والعشرون كونهم لا يرضون القليل الى قوله الكثير وذلك لتصورهم شرف غايتهم المقصودة باعمالهم وقوله فهم لانفسهم
متهمون الى قوله ما لا يعلمون فتهمتهم لانفسهم وخوفهم من اعمالهم يعود الى شكهم فيما يحكم به اوهامهم من حسن عباداتهم وكونها
مشبوترا او واقعة على الوجه المطلوب الموصل الى الله فان هذا الوهم يكون مبدأ العجب بالعبادة والتقاصر عن
الازدياد من العمل واشتكاك في ذلك وتهمة النفس باتباعها في ذلك الحكم لنفس الامارة تستلزم خوفها ان
تكون تلك الاعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه وذلك باعث على العمل وكاسر للعجب به وقد
عرفت ان العجب من المهلكات كما قال عليه السلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكذلك
خوفهم من تزكية الناس لهم هو الداء الذي ينشأ عن تلك التزكية من الكبر والعجب بانه كون به فيكون جواب احدهم
عند تزكيته انا اعلم بنفسي من غيري الى آخره ثم شرع بعد ذلك في علاماتهم التي بحكمها يعرف احدهم والصفات
السابقة وان كان اكثرها مما يخفى احدهم ويعرف به الا ان بعضها قد يخلو زيا فلا يدل على التقوى الخفية
فمنها هنا ومنها فلا وسط القوة في الدين وذلك ان يقاوم في دينه الوسواس الخناس ولا يدخل فيه خضوع
الناس وهذا انما يكون في الدين العالم الثانية الحزم في الامور الدنيوية والدينية والتثبت فيها من وجانا باللبس
الخلق وعدم المضايقة عليهم كما في المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ وهي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق
وقد علمت ان اللين قد يكون هو التواضع المطلوب بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد يكون
من مهانة وضعف يقين والاول هو المطلوب وهو المقارن للحزم في الدين ومصالح النفس والثالثة في زوايا
ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب الثالثة الايمان في اليقين ولما كان الايمان عبارة عن التصديق
بالصانع وبما وردت به الشريعة وكان ذلك التصديق قابلا للشدة والضعف فتارة يكون عن التقليد وهو
الاعتقاد المطابق الموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل وتارة عن العلم
مع العلم بانه لا يكون الا كذلك وهو علم اليقين ومحققوا السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون عين اليقين
بالمشاهدة بعد طرح حب الدنيا والاعراض عنها اراد ان علمهم علم يقين لا يتطرق اليه احتمال الرابعة الحرص
في العلم والازدياد منه الخامسة مزج العلم وهو فضيلة القوة الحكمية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية السادسة
القصد في الغنى وهو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة السابعة الخشوع
في العبادة وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة عظمته الذي هو روح العبادة الثامنة التجمل في الفاقة
وذلك بترك الشكوى الى الخلق والطلب منهم واظهار الغنى عنهم وينشأ عن القناعة والرضا بالقضاء وعلو الهمة
ويعين على ذلك ملاحظة الوعد الآجل وما اعد للمتقين التاسعة وكذلك الصبر في الشدة العاشرة الطلب في الحلال
وينشأ عن العفة الحادية عشر النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله وينشأ عن قوة الاعتقاد فيها وعد المتقون

وتصور شرف الغاية الثانية عشر عمل الصالحات على وجل اي خوف ان يكون على غير الوجه اللايق على ما نقل كما روي عن زين العابدين عليه السلم انه كان في التعبد وهو على راحلته فوقعت على عنقه فما افاق قيل له ذلك وقال خشيت ان يقول

لا لبيك ولا سعديك الثالثة عشر ان يكون همهم عند المسألة الشكر على ما رزقوا بالنعم وما لم يرزقوا ويجعلوا

وهمهم الذكر تذكير لهم الله فيرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا

لي ولا تكفرون الرابعة عشر ان يبيت حذرا ويصبح فرحا اي قوله الرحمة غير محمودة وما به الفرح وليس مقصوده

تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح بل كما يقول احدا يمسي فلان ويصبح حذرا فرحا وكذلك تخصيص الشكر بالمسا

والذكر بالصباح يحتمل ان لا يكون مقصودا الخامسة عشر قوله ان استصعب الي قوله اشارة الى معاودته نفسه الامارة

بالسوء عند استصعابها عليه وقدره لما على ما تكره وعدم مطاوعته لها فيما تدعو اليه الطبيعة وهي السادسة عشر

ان يرى قرة عينه فيما لا يزول اي من الكمالات النفسانية الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الاخلاق المستلزمة للذات

الباقية والسعادة الدايمة وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه لاستلزامها قرار العين وبرودها برؤية المطلوب

وزهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا السابعة عشر ان يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول بالعمل فلا يقول

ما لا يفعل فيأمر بمعروف ويقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعله ولا يعد فيخلف فيدخل تحت مقت الله كما قال تعالى

كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الثامنة عشر قصر امله وقربه وذلك لكثرة ذكره الموت والوصول

الى الله التاسعة عشر قلة زلله وقد عرفت ان زلل العارفين يكون من باب ترك الاولى ولان صدور الخيرات

عنهم صار ملكة والجواذب منهم الى الزلل والخطيئات نادرة لكون الضرورة منهم او سهو ولا شك في ذلك العشرون

خشوع قلبه عن تصور عظمة المعبود وجلال الحادية والعشرون قناعة نفسه وذلك من ملاحظة حكمة الله في قدرته

وقسمة الارزاق وبين عليها تصور فوايدها الحاضرة وغاياتها في الآخرة الثانية والعشرون قلة اكله وذلك لما

يتصور في البطنة من ذهاب الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة والكسل عن العمل الثالثة والعشرون سهولة امره

اي لا يتكلف لاحد ولا يكلف احدا الرابعة والعشرون حرز دينه فلا يحمل منه شيا ولا يطرق اليه خللا الخامسة والعشرون

موت شهوته ولفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما حرم عليه ويعود الى العفة السادسة والعشرون كظم غيظه وهو

من فضايل القوة الغضبية السابعة والعشرون كونه مامول الخير وذلك لاكثرية خيريته مامون الشرور وذلك

لعلم الخلق بعدم قصده شرورا الثامنة والعشرون قوله ان كان من الغافلين الى قوله الغافلين اي ان راه الناس

نوعدا والغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر وان تركه بلسانه

وان كان من الذاكرين بلسانه فهم ظاهرا نه لا يكتب من الغافلين وذكر الله حلاوة كثيرة وهي باب عظيم من ابواب

الجنة ولا اتصال بجناب الله وقد اشرنا الى فضله واسراره التاسعة والعشرون عفوه عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت

الشجاعة وحصر من ظلمه ليتحقق عفوه مع قوة الداعي الى الانتقام الثلثون ويعطي من حرمه وهي فضيلة تحت السخا الحادية

والثلثون ويصل من قطعه والمواصلة فضيلة تحت العفة الثانية والثلثون بعد فحشه وارادوا بعيد الفحش عنه انه

قلما يخرج في اقواله الى ما لا ينبغي الثالثة والثلثون لينه في القول عند محاورات الناس ودعوتهم ومعاملتهم وهو من

اجزاء التواضع الرابعة والثلثون غيبة منكره وحضور معروفه وذلك لعزمه عدوا لله الخامسة والثلثون اقبال

جزه

خيره واد بار شره وهو كقوله الخير منه مامول والشر منه مامون ويحتمل باقبال خيره اخذه في الازدياد من الطاعة

وتنميره فيها وتقدير ذلك يكون ادباره عن الشر ان من استقبل امرا وسعى فيه بعد عما يضاده وادبر عنه السادسة

والثلثون وقاره في الزلازل وكنى بها عن الامور العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب واحوال

الناس والوقار ملكة تحت الشجاعة السابعة والثلثون كثرة صبره في المكاره وذلك عن ثباته وعلو همته عن احوال

الدنيا الثامنة والثلثون كثرة شكره في الرخاء وذلك لمحبة المنعم الاول وطلب قدرته في زيادة شكره في رخايه

وان قل التاسعة والثلثون كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب للحيف والظلم مع قيام الداعي اليهما وهو البغض

ان يحكم من حيفه وظلمه الاربعون كونه لا ياثم فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب

اما بعطاية ما لا يستحق او دفع ما يستحق عليه عنه كما يفعل قضاة السوء وامراء الجور فلا يتقي الا بالاثم بشي من ذلك مع قيام

الداعي اليه وهو المحبة لمن يحب بل يكون على فضيلة العدل في الكل على السواء الحادية والاربعون اعترافه بالحق قبل ان

يشهد عليه وذلك لتحرزه في دينه من الكذب اذ الشهادة انما تحتاج اليها مع الانكار للحق وذلك كذب الثانية والاربعون

كونه لا يضيع امانته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه وذلك لورعه ولزوم حدود الله الثالثة والاربعون

ولا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وامثاله ولا يترك العمل بها وذلك لمداومته ملاحظتها وكثرة اخطارها بالبال والعمل

بها لغايته المطلوبة منه الرابعة والاربعون ولا ينابز بالالقاب وذلك لملاحظته النهي والذكر الحكيم ولا تنابزوا

بالالقاب وتسر ذلك النهي وهو كون ذلك مستلزما لاثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة المضادة لمطلوب

الشارع الخامسة والاربعون ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب وتبنيه

رسول الله صلى الله عليه واله في المرحوم اليه اوصاني في ربي بالجار حتى ظننت انه يورثه والغاية ذلك وهي الالفة

والاتحاد في الدين السادسة والاربعون ولا يشمت بالمصايب وذلك لعلمه باسرار القدر وملاحظته اسباب

المصايب مما في معرض ان تصيبه فيتصور اشتاتها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره السابعة والاربعون انه

لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحق اي لا يدخل فيما بعد عن الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب اليه من مطالبه

الحقه وذلك لتصور شرف غايته الثامنة والاربعون كونه لا يغمه صمته لوضعه كلا من الصمت والكلام في موضعه

وانما يستلزم الغم الصمت عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه التاسعة والاربعون كونه لا يعلو ضحكه وذلك

لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه وهما نقل من صفات الرسول صلى الله عليه واله كان اكثر ضحكه التبسم وقد يفتر احيانا

ولم يكن من اهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان للضحك المحسوس صبره في البغي عليه الى غاية انتقام الله وذلك منه

نظرا الى ثمرة الصبر والوعد الكريم وذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله الآية وقوله وليغ

صبر ثم هو خير للصابرين الحادية والخمسون كون نفسه منه في عناء اي نفسه الامارة بالسوء لمقاومته لها وقهرها

ومراقبته اياها والناس من اذاه في راحة لذلك الثانية والخمسون كون بعده عمن تباعد عنه لزهده فيما ايدي الناس

ونزاهته عنه لا عن كبر وتعظم عليهم وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة لهم لا بمكر بهم وخديعة لهم وبعض الخطاب

كما هو عادة الخبث المكار وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها ولكن تورد بعبارة اخرى او يذكر

مفردة ثم يذكر ثانيا مركبة مع غيرها وبالجملة فهذه الخطبة من جليل خطبه وبليغ وصفه ولذلك خلت بهمام ما خلت

فاما جوابه عليه السلم لمن سأل بقوله ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه اي يتجاوزه ويكون غاية لا يتجاوزها وهو بآخر
عمره والضمير في يعدوه للاجل وسببا لا يتجاوزه اي وذلك الاجل سببا علة لا يتعداها الى غيرها من الاسباب
فهذا يكون موعظة بالغة كمنه فهو جواب مقنع للسائل مع انه حق وصدق وهو اشارة الى السبب الابعد لتعلقه
عند سماع المواعظ البالغة وهو الاجل المحكوم به بقضاء الله … واما السبب القريب ففرق بينه وبين همام … …
نفسه القدسية على قبول الواردات الالهية وتعوده بها وبلوغ رياضته حد السكينة عند ورود الآثار وضعف
نفس همام عما ورد عليه من خوف الله ورجائه ولم يجب عليه السلم بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه وتقصير
فهم السائل وبنهره عن مثل هذا السؤال والتنفير عنه لكونه من نفثات الشيطان لوضعه في غير موضعه … …
الشيطان وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلم يصف فيها المنافقين نحمده على ما وفق له من
الطاعة وذاد عنه من المعصية ونسأله لمنّته تماما وبحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله خاض
الى رضوان الله كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون وتألب عليه الاقصون وخلعت اليه
العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار واسحق المزار
اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون يتلونون الوانا
ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية وصفاحهم نقية يمشون الخفاء ويدبون
الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء ومقنطو الرجاء لهم بكل طريق
صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء ان سألوا الحفوا وان عذلوا كشفوا
وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلا ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا
يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا به اعلاقهم يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون
قد هونوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون **اقول** ذاد طرد والغمرة من كل شيء معظمه واسحق المزار ابعده والسحق بضم السين البعد ويعمدونكم
… ويعمدونكم … ويفدحونكم والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم المراصد وينتظرونكم
والضراء ما واراك من الشجر الملتف والالحاف الاستقصاء في السؤال والشجو الحزن والاعلاق جمع علق وهي
السلعة الثمينة والتمويه التزيين والتلبيس واضلعوا المضيق اضلعوه اي عوجوه واما لوه وهو ضلع اي مائل وضلع
قوم … اي متبع خلقه … بالتخفيف الجماعة وحمة النيران بالتشديد معظم حرها وبالتخفيف سم العقرب وقد حمد الله
تعالى باعتبارين وهما التوفيق لطاعته التي هي سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته التي هي سبب الخسران الاخر
وذلك الفوز والاول باعتبار … او بحسم اسباب المعاصي وعدم الاعداد لها والكل منه سبحانه ثم سأله امرين اتمام
ما شكره من النعم نظرا الى قوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والاعتصام بحبله المتين هو الدين القويم العاصم لمن
تمسك به عن الهوى في مهاوي الهلاك ودركات الجحيم واردف ذلك بشهادة الرسالة وشرح حال الرسول صلى الله
عليه وآله في اداء رسالته واستعار لفظ الغمرة لعظم الشرور والمكاره الملاقاة المجتمعة في بعثته صلى الله عليه وآله
ملاحظا لشبهها بغمرة الماء ورشح بذكر الخوض وكنى بجرعه الغصة عن … وملاقاته لشدائد من المشركين في …

دعوته

دعوته وكنى بالغصص عن عوارض الغموم له من ملاقاة تلك المكاره وكنى بتلون الادنين له عن تقلب اقربائه في
… التغيرات وتألب الاقصين عليه اجتماع الاباعد من العرب وانضمامهم من اقصى البلاد الى حربه وقوله وخلعت
العرب الى قوله رواحلها مثلان كنى بهما عن المسارعة الى حربه لان اقوى عدو الخيل اذا خلعت اعنتها واقوى عدو الابل
اذا ضربت بطونها … اي انهم اتوه فرسانا وركبانا مسرعين الى حربه وقوله حتى انزلت بساحته عداوتها اي
حروبها وشرورها التي هي ثمرة العداوة واطلق لفظ العداوة على الحرب مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن
طالع كتب السير علم ما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وآله من ذوات الله سبحانه من المشاق كاستهزاء قريش به في اول
الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى ادموا عقبه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على راسه وفتلهم الثوب في عنقه
وحصره هو واهله في شعب بني هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يتلفون جوعا
لولا بعض من كان يحنو عليهم لرحم او لسبب آخر فكان يسرق لهم القليل من الدقيق او التمر فيلقيه اليهم ليلا ثم ضربهم
اصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق في الشمس وطردهم اياهم عن شعاب مكة حتى خرج بعضهم الى الحبشة وخرج هو
مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببني عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم اجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى
هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا اولاده واهله ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه
الحرب ورموه بالكتائب وضربوا اليه اباط الابل حتى اكرمه الله تعالى ونصره وايد دينه واظهره ثم عقب عليه السلم
بالوصية بتقوى الله والتحذير من المنافقين وتعديد مذامهم ليعرفوا فيجتنبوا ويحصل النفار عنهم فانهم الضالون اي
المنحرفون عن سبيل الله لعدم الاهتداء اليها المضلون لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذلك الزالون المزلون
وكنى بتلونهم الوانا عن تغيراتهم في اقوالهم وافعالهم من حال الى حال بحسب اغراضهم الفاسدة فيلقون كلا بوجه ولسان
غير الآخر وكذلك تفننهم اي تشعب اقوالهم واحوالهم بحسب تشعب اغراضهم وارادتهم وعمدهم لهم قصدهم بكل مكروه على
وجه الحيلة والخديعة ورصدهم لهم بكل مرصاد تتبع وجوه الحيل في هلاكهم واذاهم وكون قلوبهم دوية وصفاحهم نقية
اشتمال نفوسهم على الداء النفساني من الحسد والحقد والمكر والخديعة واعمال الحيلة مع اظهار البشاشة والصداقة
والمحبة والنصيحة لهم وهذا هو الحاصل من النفاق … … محمودا وبطن خلافه واراد
بصفاحهم وجوههم وبنقائها سلامتها من شر ظاهر وقوله يمشون الخفاء كناية عن كون حركاتهم … والغيلة …
بريبة ونية خفية من اعين الناس وكذلك قوله يدبون الضراء والخفاء والضراء منصوبان على الظرف وهما مثلان
لمن يختل غيره ويخدعه وقوله وصفهم دواء اي قولهم العياء اي اقوالهم اقوال الزاهدين العابدين من المواعظ والامر
بالتقوى ومخافة الله الذي هو دواء الغي والضلال وشفاء منهما وافعالهم افعال الفاسقين الضالين من معصية الله
التي هي الداء الاكبر والعياء الذي لا طبيب له وقوله حسدة الرخاء اي ان راوا لامرئ رخاء حسدوه ومؤكدو البلاء
اي ان راوا به بلاء اكدوه بالسعاية والتألب عليه … وهو ظاهر ومقنطو الرجاء اي اذا رجا مرتج
امرا في طلب … ان يقنطوه ويؤيسوه منه وهكذا شأن المنافق الكذاب ان يبعد القريب ويقرب البعيد وقوله لهم بكل
طريق صريع كناية عن كثرة من يقتلونه او يؤذونه بخداعهم ومكرهم وكنى بالطريق … من كل مقصد يقصدونه … كل حيلة
اغراضها ومكروه فانه بدان يستلزم اذى وقوله والى كل قلب شفيع اي ان من شأن المنافق ان يتخذ الى كل قلب ذريعة

[illegible]

ووجا فيرالاخر فيكون مسرتي الكل حتى المتعادين ليتوصل بذلك الى اثارة الفتن وايقاع الشر بينهم وهو [illegible]
عدوا الكل ولكنهم لكل شجو ومع كناية عن توجههم لكل شجو وتوصلهم بذلك الى اغراضهم وان كان اهل الشجو اعداء وقوله
يتعارضون الثناء ويتراجعون الجزاء اي يثني احدهم على الاخر ليثني الاخر عليه ويترقب كل منهم الجزاء من صاحبه على ثنائه
وقوله ان سألوا الحفوا اي الحوا في السؤال وهو من المذام كما قال تعالى لا يسئلون الناس الحافا وقوله وان عذلوا
كشفوا اي اذا عذل احدهم كشف عيوبك في ذلك العذل وجبهك بها [illegible]
[illegible]

[illegible]

ومن خطبة له عليه السلام

[illegible]

من المعلومات ومع كل انس وجان بعلمه وهو معكم اينما كنتم وقوله لا تلمه العقال الى قوله بل فاستحقا انما لم
يحجبه الجود من اقصى مقدوره وبرهان تلك الاحكام ان الشم والنقصان والاستفادة والاستغناء مقدور
يستلزم النهاية والحاجة المستلزمين للامكان ولا شيء من واجب الوجود بممكن وكل من لحقته هذه الاحوال ممكن
فواجب الوجود لا تلحقه هذه الاحوال وكذلك قوله ولا يلويه شخص عن شخص اي لا يصرفه الى قوله عقاب وبرهان
هذه الاحكام ان الصرف واللهو يستلزمان الغفلة عن امر والتفطن لغيره بعد الغفلة عنه وكذلك … السه
ومنعا اياه عن سلب نعمة اخرى وشغل الغضب له عن الرحمة يستلزمان قصور القدرة وضعفها وتعلقها بمحل
جسماني وذلك مستلزم للنقصان المستلزم للحاجة والامكان المنزه قدس الله تعالى عنه وكذلك قوله ولا تولهه الرحمة
عن العقاب يستلزم رقة الطبع ورحمة النفوس البشرية المستلزمة لعوارض الجسمية وجلال الله منزه عنها
وقوله ولا تجنه البطون عن الظهور يحتمل وجهين احدهما لا تحجبه بطون حقيقته عن العقول وخفاؤه عن العيون
عن ظهوره لبصاير بصور آثاره وملكوت قدرته اذ ليس في شيء شيء يختفي فيه عن الظهور للعقول
او عن الظهور على الاشياء والاطلاع عليها ولا يقطعه الظهور عن البطون اي لا يقطعه كونه ظاهرا او عالما
بالامور الظاهرة عن ان يكون باطنا لا يطلع العقل عليه او عن علمه ببواطن الامور وحقايقها وقوله قرب
اي بعلمه وقدرته من الاشياء قرب العلة من المعلول فنأى اي بعد بحقيقته عن ادراك العقول والحواس
وقوله وعلا فدنا علوه بالقياس الى آثاره شرف العلة على المعلول ودنوه منها وقوله وظهر فبطن
وبطن فعلن تأكيد لما قبله وقد سبق بيانه غير مرة وقوله لم يذرأ الخلق باحتيال الى قوله الكلال تنزيه له
لاشارة عن استخراج الحيل واجالة وجوه الآراء في استخراجها ثم عن الاستعانة بغيره في شيء من آثاره
ثم عن مبدأ الاستعانة وهو الكلال والاعياء لاستلزام ذلك تناهي القوة المستلزم للجسمية واذ قدم تنزيه
الحق سبحانه عما لا ينبغي له ووصفه بما ينبغي له شرع في الوصية بتقواه ثم في التنبيه على فضايلها واستعار
لفظ الزمام لها باعتبار كونها قايدة للعبد الى طريق الحق مانعة له عن الجور الى طرف … كالزمام للناقة
والقوام لكونها قواما كونها مقيمة للعبد في سلوك سبيل الله ايضا اقام للمصدر مقام اسم الفاعل وقوله فتمسكوا
بوثائقها اي بما به يوثق منها وهو ساير انواع العبادات التي هي اجزاؤها والتمسك بها يعود الى لزومها
والمواظبة عليها واعتصموا بحقايقها اي بالخالص منها دون المشوب بالرياء والنفاق فان التقى
خالصها هو المخلص من عذاب الله وقوله تؤل بكم الجزم تؤل لكونه جواب الامر بالتمسك والاعتصام
ما كنان الدعة مواطن الراحة من الآلام الحسية والعقلية وهي غرفات الجنة ومنازلها وهي اوطان
السعة ايضا من ضيق الابدان وضنك بيوت النيران وهي معاقل الحرز المانعة من عذاب الله وهي منازل
العز في جوار الله وقوله في يوم متعلقة بتؤل واليوم يوم القيمة وساير ما عدده من صفات ذلك اليوم
مما نطق به الكتاب الكريم كقوله تعالى انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله واذا العشار
عطلت وقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض وقوله ويسئلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها الآية وقوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

وقوله

وقوله فيبس ليس لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم فهذه بعض احوال القيمة المحسوسة واما المعقولة فقال بعض
السالكين ان الانسان اذا حضرته الوفاة شخص ببصر عقله الى ما انكشف له من الاطوار الاخروية واظلمت عليه
اقطار الدنيا وغاب عنها ما كان يشاهده وتعطلت عنه حواسه ونادت داعي الاجل الى الآخرة فرنت
نفسه واجابت الداعي وبكت الجنة وذلت شوامخ الجبال وورد اسمها في نظره لعظم الله عند مشاهدة كبريائه
فيصير لا نسبة لها في نظره الى ما شاهده من عظيم ملكوته فكانها انمحقت وغابت وصارت في نظره كالسراب
المترقرق الذي لا اصل له بعد ما كان يراها عليه من العلو والعظمة وكذلك ينقطع نظره من عالم الاجسام والجسمانيات
عند التوجه الى عالم الملكوت وكذلك يرى ما كان معمورا منها كالقاع الصفصف المستوي تحت سلطان الله
وقدرته فيقطع عن الشفيع الشافع والصديق الدافع والعذر النافع وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم الدنيا فانها
دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها باين تميد باهلها ميدان السفينة تقصفها العواصف في لجج
البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجي على بطون الامواج تحفزه الرياح باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق
منها فليس بمستدرك وما نجا منها فالى مهلك اقول الساطع المرتفع والوبق الهالك والقذف الرمي
والارهاق الالحاق وقد ذكر البعثة حين ظهور الاحوال التي كان العالم عليها اذ ذاك تنبيها على فضلها وفضيلة
الرسول صلى الله عليه واله وقوله حين لا علم قائم استعار لفظ العلم والمنار للهداة الى الله الداعين اليه
وعدم قيامهم وسطوعهم لعدمهم زمان الفترة وقوله ولا منهج واضح اي لا طريق الى الله خالص عن شوب
الاباطيل بينه ثم عقب بالوصية بتقوى الله ثم بالتحذير من الدنيا وقد نبه بذكر عيوبها للتنفير عنها وكونها دار
شخوص اشارة الى ضرورة الارتحال عنها بالموت ومحلة تنغيص اي تنغيص لذاتها بالآلام والامراض حتى
قيل ان اللذة فيها انما هي الخلاص من الالم وقوله ساكنها ظاعن وقاطنها باين كالتفسير لقوله دار شخوص وقوله
تميد باهلها الى قوله الى مهلك ضرب لها ولاحوال اهلها فيها مثلها بالسفينة عند عصف الريح ومثل تصرفاتها
وتغيراتها بميدان السفينة ورميهم فيها بالامراض والحوادث التي هي مظنة الهلاك بالاحوال التي تلحق
اهل السفينة عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار ومثل انقضاء عمر بعض تلك الحوادث
ونزولها بهم الى موت بها لا يرجى له عوده ولا يستدرك بها فارطه بانقسام ركاب السفينة عند عصف
الريح عليها الى غريق هالك والى ناج ومثل الناجي من بعض الامراض الذي تأخر موته الى مرض آخر فلا بد
من احوال الدنيا في تلك المدة ما لا بد ثم لحقه الموت بالآخرة بالناجي من الغرق الذي تحمله الامواج وتدفعه
الرياح وتقاسي اهوال البحر وشدايده ثم بعد خلاصه منه لا بد له من وقت هو اجله ومرض هو المهلك اي محل
هلاكه ثم امر بالعمل وذكر الاحوال التي يمكن فيها ومنها العمل تنبيها على انتهاز الفرصة وتلك الاحوال صحة الالسن
والامكان ذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وساير التكاليف المتعلقة بها وكذلك صحة الابدان ولدونة
الاعضاء ومطاوعتها للعمل قبل جفافها بالسقم والامراض وفسح المنقلب وهو محل التصرف والتقلب وكنى به
عن وقت الصحة والشبيبة ويقرب منه عرض المجال وذكر ارهاق الاجل وحلول الموت تحذيرا منه وحثا

عباد الله الآن فاعملوا والألسن مطلقة والأبدان صحيحة والأعضاء لدنة والمنقلب فسيح والمجال عريض قبل إرهاق الفوت وحلول الموت فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه
صح

الى العمل لما بعده ثم امرهم ان يحتفوا انه ولم يقل نه ولا اى تبذكره ويخطر ببالهم انه حق ويقدروا انه واقع يكون الكسل عن العمل ولذلك قال صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات ونهاهم عن انتظاره قد وهو استلزام انتظارهم له توهمهم لبعده منهم وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انّى لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ تَعالى وَلا عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَاعَةً قَطُّ وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ مَلَأٌ يَهْبِطُ وَمَلَأٌ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ **اقول** الهينمة صوت خفي يسمع ولا يفهم وحاصل الفصل التنبيه على فضيلته لغاية قبول قوله فيما يامرهم به فذكر منها انه لم يرد على الله ولا على رسوله في وقت قط فيما صدر من الامر عنهما واستشهد على ذلك بما علمه منه المستحفظون من الصحابة وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه اى حملوا حفظه له وادعوا اياه قال بعض الشارحين وحينئذ اشارة الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض على الرسول صلى الله عليه وآله في مواضع كما نقل عن عمر يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح انه انكر ذلك وقال لرسول الله السنا على الحق قال بلى قال او ليسوا الكاذبين قال بلى قال فكيف نعطي الدنية في ديننا فقال صلى الله عليه وآله انا اعمل بما اومر به فقام عمر فقال لقوم من الصحابة الم يكن قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد ان اعطينا الدنية في ديننا والله لو وجدت اعوانا لم اعط الدنية ابدا فقال له ابو بكر ويحك الزم غرزه فوالله انه لرسول الله وان الله لا يضيعه ثم قال له اقال لك انه سيدخل مكة هذا العام فقال لا قال فسيدخلها فلما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة واخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال هذا الذي وعدتم به ومنها مواساته لرسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه وهو مما اختص به عليه السلم وذلك في مواطن فمنها يوم احد وفرار الناس روى المحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما ارتث يوم احد ونادى الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى الا انه حي فصمدت له فقال لعلي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له اخرى فقال يا علي اكفني هذه فحمل عليها وقتل رئيسها ثم صمدت له ثالثة فكذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول قال لي جبرئيل يا محمد هذه المواساة فقلت وما يمنعه وهو مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وروى المحدثون ايضا ان المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل السماء ينادي لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فقال الرسول صلى الله عليه وآله الا تسمعون هذا صوت جبرئيل وكذلك ثبت معه يوم حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد ان ولى المسلمون الادبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثاب اليه الانصار وانهزمت هوازن وغنمت اموالها واما يوم خيبر فقصته مشهورة وذلك قوله ولقد واسيته الى قوله الاقدام وقوله نجدة اكرمني الله بها فالنجدة فضيلة تحت الشجاعة

وقد

وقد يعبر بها عن الشجاعة ومنها انه قبض رسول الله صلى الله عليه وآله من تولى امره ومباشرة ما يختص من الاحوال حالة وفاته من وضع رأسه على صدره وقيل اراد بذلك ان رأسه كان على ركبته وعلى ذلك يكون في صدره عند اكبابه عليه والاشبه انه اراد تسنيده حين اشتداد علته ثم سيلان نفسه في كفه وامرارها على وجهه واراد بنفسه دمه يقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله قاء وقت موته دما يسيرا وان عليا عليه السلم مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يخصص دم الرسول صلى الله عليه وآله كما روي ان ابا طيبة الحجام شرب دمه حين حجمه فقال اذن لا تيجع بطنك ومنها توليه لغسله باعانة الملائكة وكان الذي يعينه والفضل بن عباس يصب الماء عليه وروي انه عصب عيني الفضل حين صب الماء ونقل عنه انه قال لا يبصر عورته احد غيري الا عمي وروي انه عليه السلم قال ما قلبت منه عضوا الا وانقلب لا اجد له ثقلا كان معي من يساعدني عليه وما ذلك الا الملائكة وحيا وميتا منصوبان على الحال من الضمير المجرور في به واما دفنه فتنازع الصحابة في انه يلحد او يضرح له فارسل العباس الى ابي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لاهل مكة ويضرح لهم على عادتهم وارسل الى ابي طلحة الانصاري وكان يلحد لاهل المدينة على عادتهم فقال اللهم اختر لنبيك فجاء ابو طلحة فلحد له وتنازعوا فيمن يدخل القبر معه فقال علي عليه السلم لا ينزل معه احد غيري وغير العباس ثم اذن في نزول الفضل واسامة بن زيد ثم ضجت الانصار وسألوا ان ينزل منهم رجل فانزلوا اوس بن خولي وكان بدريا وقد يعبر بالضريح عن القبر فيكون اعم من الشق واللحد فانضجيج الدار والافنية باصوات الملائكة التي تهبط منهم والتي تصعد بحيث لا يفارق سمعه هينمتهم في حال صلوتهم عليه الى ان واراه في ضريحه فقد عرفت كيفية سماع البشر لاصوات الملائكة في مقدمات الكتاب وكذلك صلوتهم تعود الى وساطتهم في افاضة الرحمة من الله تعالى على العباد وكذلك علمت معنى الصعود والهبوط منهم فيما سبق واعلم ان حمل الكلام على ظاهره عند الامكان اولى من التعسف في التأويل وذكر هذه الفضيلة بهذه المقامات يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول استدل به على انه احق منه به وتقدير كبراه وكل من كان كذلك معه صلى الله عليه وآله فهو احق به وحج بين انه احق به منه واراد انه احق بالقرب منه في حيوته بالاخوة والوزارة وبعد موته بالوصية والخلافة اذ لا يريد انه احق بذاته فبقي ان يريد كونه احق به في المنزلة وولاية امره بعده ثم عقب ذكر فضيلته بامرهم ان يمضوا في جهاد عدوهم على بصائرهم اي عقايدهم انهم على الحق وان عدوهم على الباطل والذي نعت العقايد بالعشر البصائر ان ذكرها يامرهم به على طريق الحق وان خصومهم على مزلة الباطل وذكر الجادة للحق جذبا اليه والمزلة للباطل تنفيرا عنه ولان الباطل لا طريق واضحة يعلم الحق او برهان صدق كما عليه طريق الحق وباقي الكلام خاتمة الخطبة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَجِيبُ اللهِ تَعالى وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرُ

مى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس أنفسكم وجلاء عشا أبصاركم وأمن فزع
جأشكم وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا طاعة الله شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين أضلاعكم
وأميرا فوق أموركم ومنهلا لحين ورودكم وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا
لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فإن طاعة الله حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة وأوار نيران
موقدة فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها واحلولت له الأمور بعد مرارتها وانفرجت عنه الأمواج
بعد تراكمها وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها
وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته
وامتن عليكم بنعمته فعبدوا أنفسكم لعبادته واخرجوا إليه من حق طاعته ثم إن هذا الإسلام دين الله الذي
اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه وأصفاه خيرة خلقه وأقام دعائمه على محبته أذل الأديان بعزته ووضع
الملل برفعه وأهان أعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم أركان الضلالة بركنه وسقى من عطش
من حياضه وأتأق الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لأساسه ولا زوال لدعائمه
ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل في عوده
ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم أساخ في الحق أسناخها وثبت لها أساسها
وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها سفارها وأعلام قصد بها فجاجها ومناهل
روي بها ورادها جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الأركان
رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوز المثار فشرفوه واتبعوه
وأدوا إليه حقه وضعوه مواضعه ثم إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالحق حين دنا من الدنيا الانقطاع
وأقبل من الآخرة الاطلاع وأظلمت بهجتها بعد إشراق وقامت بأهلها على ساق وخشن منها مهاد وأزف منها
قياد في انقطاع من مدتها واقتراب من أشراطها وتصرم من أهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها
وعفاء من أعلامها وتكشف من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لأمته وربيعا
لأهل زمانه ورفعة لأعوانه وشرفا لأنصاره ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه وسراجا لا يخبو
توقده وبحرا لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا لا يخمد برهانه وتبيانا لا تهدم
أركانه وشفاء لا تخشى أسقامه وعزا لا تهزم أنصاره وحقا لا تخذل أعوانه فهو معدن الإيمان وبحبوحته
وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه وأثافي الإسلام وبنيانه وأودية الحق وغيطانه وبحر
لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها
المسافرون وأعلام لا يعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء
وربيعا لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته
ومعقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن تكلم به
وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن أعمله وآية لمن توسم وجنة لمن استلأم

ولا انقلاع لشجرته ولا انقطاع لمدته ولا عفاء لشرائعه

وعلما

وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى **اقول** العج رفع الصوت والنينان جمع نون وهو الحوت
والجأش القلب ولا دار حولها زاوالشمس غربت غابت وانصابها اتعابها وتحدبت عطفت وحدب واروا ذ
ضعيف المطر وعبد وا ذللوا والمائح المستقي وأتأق الحياض ملأها والمائح المستقون والوعوثة كثرة السهولة
توجب صعوبة المشي كالرمل والوضح الباطن والعوج بالفتح فيما كان قائما ينتصب كالنخل وبالكسر فيما ليس كذلك
كالطريق والعصل الاعوجاج والسنخ الاصل وازف دنا والبحبوحة الدار ووسطها والغيطان
المواضع المطمئنة من الارض والمحاج جمع محجة وهي جادة الطريق والمعقل الملجأ والفلج الفوز والتوسم التفرس
والاستلام لبس لامة الحرب وهي الدرع وصدر الفصل تنبيه على احاطة علمه بجزئيات الموجودات على اختلافها
وكثرتها ونبه بعج الوحوش على انه تعالى يعلمها حين تجأر اليه من جدب الارض وذلك العج كانها تضرع
اليه بالعجيج ليكون الانسان اولى بذلك التضرع اليه وبعلمه بمعاصي العباد في الخلوات تنفيرا عنها في الخلوات التي
هي مظنتها واختلاف النينان بالبحر والماء وتلاطم البحار ثم عقب بالشهادة بالرسالة ثم بالوصية
بتقوى الله وقربها باعتبارات من صفاته تعالى توجب الفزع اليه وهي كونه سبحانه مبدأ الخلق ومنتهاهم
الحسي والعقلي كقوله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقد بينا فيما مضى ان به نجاح طلبهم
واليه منتهى رغبتهم ونحوه مقصدهم وسلوكهم فانه تعالى غاية الكل واليه مرامي مفزعهم بحال الخلق من اضطرارهم
اي اليه مفزعهم في الحاجات ونحوه قوله تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم باعتبارات من صفات
التقوى توجب الفزع اليها فاولها كونها دواء داء قلوبكم وقد عرفت كونها دواء لادواء الرذائل النفسانية
الموبقة ب وبصر عمى افئدتكم اي ابصار افئدتكم من عمى الجهل ج وشفاء مرض اجسادكم وذلك ان التقوى
تستلزم قلة الاكل والشرب واستعمالها بقدر الحاجة كما قال في صفات المتقين منزورا اكله وقد علمت
ما تحدث البطنة من الامراض البدنية ولذلك قال عليه السلم واستعمالها بقدر الحاجة كما قال في صفات
المتقين منزورا اكله وقد علمت ما تحدث البطنة من الامراض البدنية ولذلك قال عليه السلم المعدة بيت الداء
د وصلاح فساد صدوركم اي من الغل والحسد والحقد وآفات المخالفة وامراضها فان التقوى تستلزم نفي
ذلك كله وصلاح الصدور منه لان مبادي تلك الشرور كلها محبة الدنيا وباطلها والمتقون بمعزل عن ذلك
ه وطهور دنس انفسكم اي من نجاسات الرذائل المهلكة وهو كقوله دواء داء قلوبكم لكن اعتبار كونها
دواء يخالف اعتبار كونها طهورا اذ في الاول ملاحظة كون الرذائل امراضا تؤدي الى الهلاك السرمدي وفي
الثاني اعتبار كونها نجاسات تمنع من دخول حظيرة القدس ومقعد الصدق و وجلاء عشا ابصاركم
استعار لفظ العشا لما يعرض عن ظلمة الجهل وسائر الرذائل من عدم ادراك الحقايق ويروى غشا بالغين
المعجمة وهو الظلمة المتوهمة من الجهل التي هي حجاب الغفلة وبهذا الاعتبار فالتقوى جلاء تلك الظلمة لاستلزامها
من اعداد النفس للكمال وكونها نفسها هي الجلاء مجاز اطلاقا لاسم المسبب على السبب ز وامن فزع جأشكم
اذ قد علمت ان بها الامان من عذاب الآخرة وقد يكون بها الامان من فزع الدنيا لان اكبر مخاوف الدنيا
الموت وما يؤدي اليه والمتقون العارفون بمعزل عن تقية الموت بل هو يكون محبوبا لهم لكونه وسيلة لهم

الى اللقاء لخالص محبوبهم الاقصى واليه الاشارة بقوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين دلت الآية على ان الصادق في دعوى الولاية يتمنى
الموت وكذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ج وضيا سواد ظلمكم واستعار لفظ الظلمة للجهل وتغطيته للقلب ورشح بذكر السواد
لاستلزام الظلمة السواد وهو كقوله وجلاء غشاء ابصاركم وراعى في هذه القراين كلها المضادة ثم اكد الوصية
بطاعة الله تعالى بآداب احدها ان يجعلوها شعارهم وكنى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار الجسد ثم عن
كونها في الباطن دون الظاهر لعلة فايدته وهو المشار اليه بقوله دون دثاركم الثاني اكد امرهم بالطاعة
بامرهم باتخاذها خيلا تحت الشعار لا لمكان ذلك فيها دون الشعار المحسوس ثم فسر ذلك بقوله ودخيلا بين
اضلاعكم وكنى بلطفها عن اعتقادها وعقليتها وبكونها بين اضلاعهم عن ابدائها القلوب الثالث ان يجعلوها ابرا
واستعار لها لفظ الامير باعتبار امرائهم لها وتقديمها على سائر مهامهم الرابع ان يجعلوها منهلا لحين ورودهم
الى يوم القيمة واستعار لفظ المنهل لها ووجه المشابهة ان التقوى والطاعة مظنة التروي من شراب
الابرار يوم القيمة كما ان موارد الابل مظنة ريها الخامس ان يجعلوها شفيعا الى الله ووسيلة الى مطالبهم
منه وظاهر كون المطيع يستعد بطاعته لدرك بغيته من الله تعالى ولفظ الشفيع مستعار للوسيلة والقربة
السادس وجنة ليوم فزعهم وظاهر كون الطاعة ساترا يوم القيمة من الفزع الاكبر من عذاب الله السابع
ومصابيح لبطون قبورهم وقد عرفت كيفية اعداد الطاعة لقبول الانفس الانوار العلوية والاسرار
الالهية المخلصة من ظلمة القبور والعذاب الاخروي وفي الخبر ان العمل الصالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح
الظلمة واستعار لها لفظ المصابيح مستلزما لها الانارة الثامن وكذلك سكنا لطول الوحشة في القبور
تستانس به النفوس كما روي ان العمل الصالح والخلق الفاضل يراه صاحبه بعد الموت في صورة شاب
حسن الصورة والثياب طيب الريح فيسلم عليه فيقول له من انت فيقول انا خلقك الحسن او عملك الحسن
وحاصله يعود الى كون الطاعة سببا للاستيناس من وحشة الآخرة وذلك ان الوحشة انما تعرض في المكان
لمن كان غافلا عنه وغير متوقع له ولا متهيئ للانتقال اليه ومطمئن بوطنه الاول وباهله وجاهلهم كل الانس
فاما اهل الطاعة فانهم ابدا متفكرون فيما ينتقلون اليه ويتذكرون له والقون بالانس بربهم ومشتقون
اليه فانسهم ابدا به وفرحهم دايما بلقائه واعتقادهم في الدنيا انهم لاهلها باجرامهم مجاورون فهم يهربون
والى العزلة ينقطعون فبالحري ان لا تعرض لهم وحشة وان يكون اعمالهم سببا لعدم الوحشة التي عساها
تعرض لهم ولما كان الانسان في الدنيا لا يتصور ما بعد الموت بالحقيقة لا جرم لا بد له من وحشة ما الا
الانوار الالهية والانس بالرفيق الاعلى مزيل لها التاسع وكذلك ونفسا لكرب مواطنكم اي سعة وروحا
لما يعرض من كرب منازل الآخرة واهوالها العاشر كونها حرزا من متالف مكتنفة وتلك المتالف هي
الرذايل الموبقة التي هي محال الهلاك والتلف واكتنافها احاطتها بالنفس بحيث لا يخلصها الا طاعة الله
وسلوك سبيله والمخاوف المتوقعة مخاوف الآخرة وحرزا منها الحادي عشر كون التقوى مستلزمة لبعد

الشدايد

الشدايد عن المتقي بعد دنوها منه وكثيرا ما يعبر بالتقوى عن الطاعة وان كانت اخص في بعض المواضع اما في
بعد شدايد الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان المتقين هم اسلم الناس لبعدهم عن مخالطتهم ومجاذباتهم لمتاع
الدنيا وبغضهم لها اذ كانت محبتها والحرص عليها منبعا لجميع الشرور والشداید الثاني عشر كونها مستلزمة لحلاوة
الامور بعد مرارتها اما امور الآخرة فكالتكليف الوارد عليهم لها بالعبادات وظاهر انها عند المتقين احلى
او الذ من كل شيء بعد مرارتها في اوائل مبدأ سلوكهم وثقلها عليهم وعلى غيرهم من الجاهلين واما المر من امور
الدنيا فكالفقر والعري والجوع وكل ذلك شعار المتقين وهو احلى في نفوسهم وآثر من كل شعار وان كان مرا
في ذوقهم في مبدأ السلوك وقبل وصولهم الى ثمرات التقوى الثالث عشر وانفراج الامواج عنه بعد تراكمها
واستعار لفظ الامواج للهيات البدنية الردية والملكات السوء التي اذا كانت وتوالت على النفس
اغرقتها في بحار عذاب الله وظاهر كون لزوم التقوى سببا لتفرج باستعداد النفوس به عنها تلك الهيات
وتمحي من لوحها وان كثرت الرابع عشر كون لزومها سببا لتسهيل صعاب الامور على النفس بعد اتعابها لها
وذلك ان المتقين عند ملاحظة غايتهم من تقواهم يسهل عليهم كل صعب من امور الدنيا مما يشتد على غيرهم
كالفقر والمرض وكل شديد وكذلك يسهل عليهم كل صعب من مطالب الآخرة بعد اتعاب تلك المطالب لهم قبل
تصورها التام في اول التكليف الخامس عشر كونه سببا لهطل الكرامة عليهم والكرامة تعود الى الكمالات
النفسانية الباقية والالتذاذ بها ولاحظ في ذلك شبهها عليهم مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل
واسنده اليها وكذلك لفظ القحوط وكنى به عن منعهم اياها قبل استعدادهم بالتقوى لها السادس عشر كونه
سببا لتعطف الرحمة الالهية بافاضة الكمالات عليهم بعد نفورها عنهم لعدم الاستعداد ايضا ولفظ التحدب
مستعار للارادة او لاثر الرحمة وكذلك لفظ النفور لعدم اثرها فيهم قبل ذلك السابع عشر كونه سببا
لتفجر النعم بعد نضوبها ولفظ التفجر مستعار لانتشار وجوه افاضات النعم الدنيوية والاخروية كما قال
تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وكذلك لفظ النضوب لعدمها
قبل الاستعداد لها ملاحظة لشبه النعم بالماء في الاستعارتين الثامن عشر كونه سببا لوبل البركة بعد رذاذها
ولفظ الوبل مستعار للفيض الكثير من البركة بعد الاستعداد بالتقوى ولفظ الرذاذ للقليل قبل ذلك الاستعداد
ملاحظة لشبهها بالغيث ايضا وظاهر كون التقوى سببا لمزيد الفيض على كل من كان له بعض الكمالات لكن
بالعلوم دون الزهد والعبادة ثم يسلك بهما ثم بعد الفراغ من فضايلهما والترغيب فيها من تلك الجهة اخذ
الامر بها والترغيب فيها باعتبارات اخر من انعام المنعم وهي كونه تعالى نفعهم بموعظته اي جاذبا لهم الى جنته
ورغبهم في كرامته وواعظا لهم برسالته اليهم وتفضلا عليهم بنعمته كقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم في غير
موضع من كتابه ثم امرهم بتعبيد انفسهم وتذليلها لعبادته والخروج اليه من حقه الذي يطلبه منهم وهو طاعته ثم ذكر
الاسلام وفضايله مرغبا فيه وهو كالتفسير لطاعته وعبادته كانه قال واخرجوا اليه من حق طاعته الذي
هو الاسلام فانه وذكر فضايل فاولها كونه اصطفاه لنفسه اي طريقا الى معرفته ونيل ثوابه الثاني كونه صنعه
على عينه وهو كقوله تعالى لموسى وكانه للصنعة التي يختارها من عظمته ويشاهدها بعينه ولفظ العين مجاز عن العلم

وفي قوله الحال اي فالعالم منه بشرفه وفضيلته ووجه الكناية وكونه نور تحت لشعشع فطلع عيني ج واصفاه من خلقه
اي اصطفى لمحبته وابه خير خلقه محمد وآله د واقام دعائمه على محبته ولفظ الدعائم مستعار لما لاهل الاسلام
او لاركانه ووجه المشابهة قيامه بها في الوجود كقيام الشيء المدعوم بدعائمه وكونه على المحال والعبير في محبته لاهل
اي اقام دعائمه على حال المحبة له وقيل بل منه كما نقل عليه السلام في محبته ه اذل الاديان بعزه ووضع الاديان
يعود الى عدم الالتفات اليها فيكون مجازا من باب اطلاق اسم السبب على المسبب او ذوي اهلها فيكون من باب
حذف المضاف وظاهر ان عز الاسلام سبب لذلك ولك اطلاق لفظ الغير للاسلام و وذلك وضع الملل
برفعه من ذلك الامة اعدائه وهم المشركون والمكذبون له من الملل السابقة واهانتهم بالقتل واخذ الجزية
والصغار لهم وكرامته اجلاله واجلال اهله وتعظيمهم في النفوس ح وهذا لمحادّيه محادّوه اي مخالفوه اهله
منه القرائن الاربع المتضادة لعز للذل والرفع للوضع والكرامة للاهانة والنصر للخذلان ط وهدم اركان
الضلالة بركنه وقوته واركان الضلالة تعود الى العقائد المضلة في الجاهلية او الى اهل الضلالة وهو مستعار
ووجه الاستعارة قيام الضلالة بتلك العقائد او باهلها كقيام ذي الاركان بها وذلك لفظ الهدم
لزوال الضلالة بقوة الاسلام واهله ى وسقى من عطش من حياضه فاستعار لفظ السقي لافاضته
علوم الدين على نفوسهم وكمالها بها ولفظ العطش لما كانوا عليه من الجهل البسيط وعدم العلم وكذلك استعار
لفظ الحياض لعلماء الاسلام الذين هم اوعيته وحياضه التي ترده العطاش من العلوم والحكمة الدينية يا
واتاق الحياض بمواتحه واستعار لفظ المواتح ايضا للائمة من القران الادل اهل الدين للاسلام عن الرسول
صلى الله عليه وآله الذي هو الينبوع او لافكار العلماء وسؤالاتهم وبحثهم عن الدين واحكامه واستفادتهم
بها ووجه الاستعارة كونهم مستخرجين للعلم والدين من مظانه كما يستخرج الماتح الماء من البئر ولفظ
الحياض للمستفيدين يب جعله امة لا انفصام لعروته ولفظ العروة مستعار لما يتمسك الانسان
به منه ورشح بذكر الانفصام ولما كان التمسك به ناجيا من الهلاك الاخروي والشرور اللاحقة للسالك
وكان عدم الانفصام مظنة سلامة التمسك من الهلاك كنى به عن دوام السلامة به يج ولا فك لحلقته كناية
عن عدم انتقاض اهله وجماعته يد ولا انهدام لاساسه استعار لفظ الاساس للكتاب والسنة الذين هما
اساس الاسلام ولفظ الانهدام لاضمحلالهما يه ولا زوال لدعائمه استعار لفظ الدعائم لعلمائه او
للكتاب والسنة وقوانينهما واراد بعدم زوالها عدم انقراض العلماء او عدم القوانين الشرعية يو ولا انقطاع
لمدته اشارة الى بقائه الى يوم الدين يز ولا عفاء لشرايعه وشرايعه قوانينه واصوله وهو كقوله لا انقلاع
لشجرته يط ولا جذ لفروعه اي لا ينقطع التفريع عليه بل كل ذهن مستقيم نظر في اصوله وهي الكتاب والسنة
استخرج منها ما لم يستخرجه غيره ك ولا ضنك لطرقه وكنى بعدم الضيق عن عدم صعوبة قوانينه على فعل
المكلف او عن لازم الضيق وهو مشقة السالكين به الى الله كما قال صلى الله عليه وآله بعثت بالحنيفية السهلة
السمحة كا ولا وعوثة لسهولته كناية عن كونه في غاية العدل بين الصعوبة وبين السهولة المفرطة كما عليه اكثر
الاديان السابقة من التشبيه والتجسيم فان سلوكها مع ذلك وتصورها في غاية السهولة كمن طرق بعد حصول

المطالب

المطالب الحقيقية والوصول الى التوحيد الخالص منها فكانت في سهولتها بهذه الوعوثة كب ولا سواد لوضحه
استعار لفظ الوضح لصفائه عن كدر الباطل الذي هو سواد الوضح في نفوس الكافرين والمنافقين كج ولا عوج
لانتصابه واستعار لفظ الانتصاب لاستقامته في اداء الى الله تعالى اذ هو الصراط المستقيم في الدنيا
كد ولا عصل في عوده كه ولا وعث لفجه كو ولا انطفاء لمصابيحه عبر بالمصابيح عن علمائه استعارة
ولعدم الانطفاء بها عن عدم خلو الارض منهم كز ولا مرارة لحلاوته وذلك ان حلاوة الاسلام المعنوية في
قلوب المتقين لا يشوبها مرارة من مشقة تكليف ونحوها لما يتصورونه من شرف غاياته كح فهو دعائم اي
فالاسلام دعائم وذلك اشارة الى تعريفه باجزائه وهي كالشهادتين والعبادات الخمس كما ورد في الخبر
بني الاسلام على خمس وقوله اساخ في الحق اسناخها اشارة الى كونه تعالى بناها على اسرار من الحق عميقة لا يهتدي
اليها الا آحاد الخلق وهي اسرار العبادات كط قوله وينابيع غزرت عيونها اشارة الى تعريفه من قبل
مادته وهي الكتاب والسنة واستعار لهما لفظ الينابيع نظرا الى فيضان العلوم الاسلامية النقلية والعقلية
عنهما كفيضان الماء عن الينابيع ولفظ العيون لما صدرا عنه وهو علم الله تعالى ونفوس ملائكته ونبيه صلى الله
عليه وآله وظاهر غزارة تلك العلوم وكثرتها ل ومصابيح شبت نيرانها اشارة الى مادته ايضا باعتبار ان
في الكتاب والسنة ادلة احكامه وبراهينها واستعار لهما لفظ المصابيح باعتبار كونهما تضيء الطريق الى الله
الى الله ورشح بذكر اضرام نيرانها وعبر به عن غاية اضاءتها لا ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها
فجاجها اشارة الى تلك المادة باعتبار ان فيها امارات على احكام الله الخفية يهتدي بها المسافرون الى الكون
الى قصدها والقاصدون لطرقها التي هي مضروبة عليها لب ومناهل روي بها ورادها استعار لفظ المناهل لتلك المواد
ايضا باعتبار كونها مروية من العلم لوارديها ومقتبسيه منها كما تروي وراد الحياض بها لج جعل الله فيه
منتهى رضوانه وذلك في نحو قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ان الدين
عند الله الاسلام وان فيه اتم وسيلة الى غاية الكمالات الانسانية التي هي منتهى ما يرضاه الله ويحبه من
عباده لد وذروة دعائمه والضمير في دعائمه لله اي الدعائم التي جعلها عمدة له في اصلاح خلقه وهي الشرايع
وقوانينها وظاهر ان الانوار التي جاء بها الاسلام والهداية التي به اشرف واعلاها في سائر الشرايع
فهو كالذروة لها له وسنام طاعته ولفظ السنام مستعار لجميع ما اشتمل عليه من الديانات والعبادات
ووجه المشابهة شرفها ايضا وعلوها بالنسبة الى الطاعات السابقة عليه كشرف السنام بالنسبة الى بقية الاعضاء
لو فهو عند الله وثيق الاركان واركانه اجزاؤه ووثاقتها يعود الى بنائها على الاسرار الحقيقية والعلم التام
لواضعها بكيفية وضعها وكمال فائدتها بحيث لا يمكن انتقاضها ولا زوالها لز رفيع البنيان اي ما ارتقى اليه
اهله من المجد والفضيلة وظاهر علو قدره وقدر اهله وتعظيمهم في النفوس على سائر الاديان واهلها لح
منير البرهان واراد برهانه الذي دعي الخلق اليه وهو القرآن وسائر المعجزات ولا شك في انارتها واضاءتها
في اقطار العالم واهتداء اكثر الخلق بها لط مضيء النيران واستعار لفظ النيران للانوار من العلوم والاخلاق
الفضيلة على ابنه وابنيته م عزيز السلطان واراد قوته وغلبة اهله ودولته ومنعة من التجأ اليه به ما

مشرف المنار وكنى به عن علو قدره وعلائه وانتشار فضله والهداية به ب معوز المثار اي يعوز الخلق
اثارة دفائنه وما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاء ذلك منه ورد في المثال اي يعجز الناس اما باتيان
مثله او باستقصاء حكمه واسراره ورد في المثال وهو ظاهر ثم لا يبقى فضيلة من تعظيمه واتباعه والاخذ به
والعمل به مع اعتقاد شرفه وكونه مؤديا الى الجنة ثم وصفه مواضعه وهي القلوب لا الالسن والاشعار الالفاظ
فقط ثم لا يخفى من ذلك شيء من فضائل من بعث به لتذكرهم نعمة الله بعد نعمه وقرن ذلك بذكر احوال
الدنيا حين البعثة ليظهر شرفها فا كونها قد دنا انقطاعها واقبال الآخرة واطلاعها وقد سبق ذلك في قوله
الا وان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وهذه الجملة فيحتمل ان يريد قرب انقطاع الدنيا وزوالها
بالكلية وحضور الآخرة والقيامة الكبرى كما عليه ظاهر الشريعة ويحتمل ان يريد قرب انقطاع الدنيا
كل امة منهم وحضور آخرتهم بموتهم وانقراضهم ولفظ الاطلاع استعارة كما سبق ب كونها قد اظلمت
بهجتها بعد اشراق واراد اشراق بهجتها بانوار الانبياء السابقين وضياء الشرائع واظلامها حين بعثة الرسول
صلى الله عليه وآله باندراس تلك الآثار وضياعها ج قيامها باهلها على ساق كناية عن ظهور شدائدها وانما فتن
الفتن بين اهلها وما كانت العرب عليه من الخبط والاختلاط ونواهب الحروب والغارات المؤدية الى الفناء
د خشونة مهادها وكنى بها عن عدم الاستقرار بها وطيب العيش فان ذلك انما يتم ويعتدل بنظام الشرائع
والنواميس الالهية ه وازف منها قيادا اي قرب منها انقيادا للانقطاع والزوال والانخراط في سلك
الفنى واقتراب علامات ذلك بها وعلامات زوالها هي علامات الساعة واشراطها وكذلك تصرم
اهلها وانفصام حلقتها وكنى بالحلقة عن نظامها واجتماع اهلها بالنواميس والشرائع وبانفصامها عن فساد
ذلك النظام بانتشار سببها عن فساد اسباب ذلك النظام فان اسباب التصرف النافع فيها انما تتم
بالنواميس الشرعية وقوانينها واستعار لفظ الاعلام للعلماء والصلحاء بها وكان عفاؤها موتهم وكذلك
كنى بعوراتها عن وجوه الفساد فيها وبتكشفها عن ظهورها بعد اختفائها وكذلك القصر من طولها فان الدنيا انما
يكون طولها وطول مدتها عند صلاحها بالشرائع فاذن قصرها يكون عند فسادها وعدم النظام الشرعي فيها ثم رجع
الى تعديد فوائد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله فا ان الله تعالى جعله بلاغا لرسالته وهو كقوله تعالى يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك الآية ب وكرامة لامته لكونه داعيا لهم الى الكرامة الابدية التامة وسبب
الكرامة الدائمة ج وربيعا لاهل زمانه واستعار لفظ الربيع له ووجه المشابهة كونه يحيي قلوب المسلمين وعلمائهم
وسببا لبعضهم من العلم والحكمة كما ان الربيع سبب لحياة الحيوان بمراعيها ولبعضهم ومتعتهم د ورفعة لاعوانه
اي لاعوان الله وانصاره وهم المسلمون وظاهر كونه صلى الله عليه وآله سبب رفعتهم وشرفهم ثم عقب
بذكر بعض الانوار التي بعث بها صلى الله عليه وآله وهو الكتاب العزيز وعدد فضائله فا كونه نورا
لا يطفى مصابيحه واراد نور العلم والاخلاق المشتمل عليها واستعار لفظ المصابيح اما لما اشتمل عليه من علومه
وحكمه فاقتدى بها الناس واما لعلمائه وحاملي فوائده ب كونه سراجا لا يخبو توقده واراد انه لا ينقطع
هداية الناس بنوره وهو كالاول ج وبحرا لا يدرك قعره ولفظ البحر مستعار له باعتبار [illegible] اسراره

بحيث لا يحيط بها الافهام ولا تصل الى اغوارها العقول كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق والاشتراك كونه معدنا
لجواهر العلوم النفيسة والفضائل كما ان البحر معدن الجواهر د ومنهاجا لا يضل نهجه وظاهر كونه طريقا واضحا
لمن سلك به الى الله ونيل مقاصده لا يضل قصده ه وشعاعا لا يظلم ضوؤه اي لا يخفى الحق الوارد به فلا يشتبه
ولا يلتبس بالباطل ولفظ الشعاع والضوء والظلمة مستعار ز وفرقانا لا يخمد برهانه اي فيه براهين
يفرق بين الحق والباطل لا يخمد ولفظ الخمود مستعار ملاحظة لشبه البرهان بالنار في الاضاءة ح تبيانا
وصفها ط وبنيانا لا تهدم اركانه واستعار لفظ البنيان لما انتظم من الكتاب ورسخ في القلوب ورشح بذكر
الاركان لاستلزام البنيان لها ي وشفاء لا تخشى اسقامه كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين وظاهر كون تدبره واسراره شفاء للنفوس من امراض الجهل ورذائل الاخلاق وذلك شفاء
لا يخاف استعقابه بمرض وذلك ان الفضائل النفسانية اذا صارت ملكات لم تزل ولم تتبدل
باضدادها وان كان ايضا شفاء للابدان كما سبق يا وعزا لا تهزم انصاره يب وحقا لا تخذل اعوانه و
انصاره واعوانه هم المسلمون المتعززون به والمتحيزون اليه العاملون عليه وفيه السالكون به الى الله
وظاهر ان اولئك الانصار والاعوان لا تهزمهم احد ولا يخذلهم الله ابدا يج فهو معدن الايمان الذي يستخرج
منه الايمان الكامل بالله ورسوله وبحبوحته وظاهر كون الاعتقادات الحقة ومقاصده والعمل بها
واسطة عقد الايمان يد وينابيع العلم وبحوره واللفظان استعارة له باعتبار كونه محل فيض العلوم
النفيسة واستفادتها يه ورياض العدل وغدرانه واللفظان مستعاران ايضا باعتبار كونه موردا يؤخذ
منه العدل بالكلية فهو مورده الذي لا يجور عن سنن الحق الى ان يبلغ به صاحبه السالك به الى الله تعالى يو واثافي
الاسلام وبنيانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه اصلا للاسلام تبتني به وعليه يقوم كما ان الاثافي
للقدر والبنيان لما يحمل عليه كذلك يز واودية الحق وغيطانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدنا
للحق ومظنة له كما ان الاودية والغيطان مظان الكلا والماء يح وبحر لا ينزفه المستنزفون يط وعيون
لا ينضبها الماتحون انما كرر استعارة البحر والعيون له باعتبار آخر وهو كونه لا تفنى فوائده والمقاصد المستنبطة
منه ك ومناهل لا يغيضها الواردون وخص العيون بالغيض لامكان ذلك فيها دون البحر والورود
بالمناهل لكون النهل وهو الري غاية وارد الماء كا ومنازل لا يضل نهجها المسافرون اي مقامات من
العلوم اذا نزلتها العقول المسافرة الى الله لا تضل لاستنارتها وشدة اضاءتها كب واعلام
لا يعمى عنها السائرون كج وآكام لا يجوز عنها القاصدون استعار لفظ الاعلام والآكام للآيات
والامارات فيه على طريق الى معرفته واحكامه باعتبار كونها هادية اليها كما يهتدى بالاعلام والجبال على الطرق
كد جعله الله ريا لعطش العلماء استعار لفظ الري له باعتبار كونه دافعا لالم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء
الم العطش ولفظ العطش للجهل البسيط والاستعداد الطالبين للعلوم واشتياقهم الى الاستفادة واطلق
لفظ الري على المروي مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه كه وربيعا لقلوب الفقهاء ولفظ الربيع مستعار له
باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء تستثمر منه الاحكام وتبتهج بها كالربيع للحيوان كو ومحاج لطرق الصلحاء

كونه طريقا وامنى للسالكين الى الله كه وقوله ليس بعده اى كقوله شفاء لا يخشى سقامه كو وقوله ليس معه ظلمة اى
لا يبقى مع هدايته الى الاحكام ظلمة على البصيرة وهو كقوله وشعاعا لا يظلم نوره كز وحبلا وثيقا عروته استعار
لفظ الحبل له والعروة لما يتمسك به منه وكنى بوثاقة عروته عن كونه منجيا لمن تمسك به كح ومعقلا منيعا ذروته
استعار لفظ المعقل باعتبار كونه ملجأ من الجهل ولوازمه وهو العذاب ورشح بذكر الذروة وكنى بمنعتها
عن كونه حرزا يمنع من لجأ اليه كط وعزا لمن تولاه اى اتخذه وليا يلتجئ اليه مقلدا امره ولا يخالفه وظاهر
كونه سبب عزه في الدارين ل وسلما لمن دخله اى اتاه ودخول الخوض في تدبر مقاصده واقتباسها وبذلك
الاعتبار يكون امانا من عذاب الله ومن الوقوع في الشبهات التي هي مهاوي الهلاك لا وهدى لمن ائتم به
وهو ظاهر لب وعذرا لمن انتحله اى من نسبه الى نفسه بدعوى حفظه او تفسيره ونحو ذلك معتذرا بذلك
من تكليف لا يليق به او يشق عليه كان ذلك عذرا مقبولا ونحوه كما يقول لمن يقصده اذانا بأذى لا ينبغى لك
ان تؤذيه فانه من حملة القرآن الكريم او ممن يعلم علومه فيكون ذلك سببا لتركه اذاه لج وبرهانا لمن تكلم به
لد وشاهدا لمن خاصم به له وفلجا لمن حاج به الثلثة متقاربة واطلق لفظ الفلج عليه من جهة ما يحصل به اطلاقا
لاسم الغاية على ذى الغاية اذ غاية الاحتجاج به الفوز والظفر به والحجة اعم من البرهان لو وحاملا لمن حمله اى
يحمل يوم القيمة حملته وحفظته الآن وعن تحمله عن اثقاله من العذاب اطلاقا لاسم السبب على المسبب لز
ومطية لمن اعمله استعار لفظ المطية باعتبار كونه منجيا لمن عمل به ولفظ الاعمال لتتبع قوانينه والعمل
عليها المنجية من العذاب كما يحمى اعمال المطية في الطريق البعيد لح وآية لمن توسم وذلك باعتبار تدبر امثاله
وقصصه فان فيها آيات وعبرا كما قال تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين لط وجنة لمن استلأم
اى لمن استلمه ولبسه كالدرع واستعار لفظ الجنة لوقايته من استعد بعلمه من عذاب الله وكنى باستلامه
عن ذلك الاستعداد به م وعلما لمن وعى اى لمن حفظه وفهم مقاصده ما وحديثا لمن روى وذلك باعتبار
ما فيه من القصص واخبار القرون الماضية فان اصدق حديث يروى منها ما اشتمل عليه القرآن ويحتمل
ان يريد بكونه حديثا كونه قولا وكلاما ليس بقديم كما قال تعالى الله الذى نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثانى ويكون فائدة هذا الوصف ان فيه تنبيها لمن اراد ان يتحدث بحديث غيره مما لا يفيد
فائدة فينبغى ان يعدل اليه ويشتغل بتلاوته والتحدث به مب وحكما لمن قضى اى فيه الاحكام التى يحتاج
اليها القضاة ويروى وحكما اى حاكما يرجع اليه القضاة ولا يخرجون عن حكمه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
كان يوصى به اصحابه تَعَاهَدُوا اَمْرَ الصَّلٰوةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَاِنَّهَا كَانَتْ
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا اَلَا تَسْمَعُونَ اِلَى جَوَابِ اَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ
الْمُصَلِّينَ وَاِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا اِطْلَاقَ الرِّبَقِ وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى اَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ
وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ يَقُولُ اللّٰهُ
سُبْحَانَهُ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَاِقَامِ الصَّلٰوةِ وَاِيتَاءِ الزَّكٰوةِ وَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ

نصبا

نَصِبًا بِالصَّلٰوةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَاْمُرْ اَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا فَكَانَ يَاْمُرُ بِهَا
اَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ ثُمَّ اِنَّ الزَّكٰوةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلٰوةِ قُرْبَانًا لِاَهْلِ الْاِسْلَامِ فَمَنْ اَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَاِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ
كَفَّارَةً وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوِقَايَةً فَلَا يُتْبِعَنَّهَا اَحَدٌ نَفْسَهُ وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ فَاِنَّ مَنْ اَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا
يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ اَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الْاَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ ثُمَّ اَدَاءُ الْاَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ
مَنْ لَيْسَ مِنْ اَهْلِهَا اِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمٰوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ وَالْاَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ فَلَا اَطْوَلَ
وَلَا اَعْرَضَ وَلَا اَعْلَى وَلَا اَعْظَمَ مِنْهَا وَلَوِ امْتَنَعَ شَىْءٌ بِطُولٍ اَوْ عَرْضٍ اَوْ قُوَّةٍ اَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ وَلٰكِنْ اَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ
وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ اَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْاِنْسَانُ اِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا اِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ
مُقْتَرِفُونَ فِى لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطُفَ بِهِ خُبْرًا وَاَحَاطَ بِهِ عِلْمًا اَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ
عُيُونُهُ وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ اقول الربق جمع ربقة وهى الحلقة في الحبل والحمة بالجيم الحفيرة يجتمع فيها الماء ويروى
بالحاء والمعنى واحد والدرن الوسخ والنصب التعب والاقتراف الاكتساب وحاصل الفصل الوصية بالمحافظة
على امور ثلثة والحث عليها اولها الصلوة فامر بتعاهد امرها والمحافظة عليها وذلك باستحضار ان لا حول
نفسه حال الصلوة ومراقبتها حذرا ان يشوبها نزغات الشيطان برياء او التفات عنها ثم بالمحافظة
على اوقاتها واداء اركانها كما هى ثم بالاستكثار منها والتقرب بها الى الله لكونها افضل العبادات واقرب
اليه ثم اشار الى فضيلتها ووجه وجوبها من وجوه احدها قوله فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهو لفظ
القرآن الكريم وموقوتا مفروضا وقيل منجما في كل وقت صلوة معينة الثانى التحذير من تركها بالتنبيه
على استلزام تركها لدخول النار بقوله الا تسمعون الى قوله من المصلين الثالث انها تحت الذنوب حت
الورق وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس ووجه الشبه ظاهر وكذلك وتطلقها اطلاق الربق اى وتطلق
اعناق النفوس من اغلالها كما يطلق الربقة من عنق الشاة الرابع تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله لها
بالحمة يكون على باب الرجل وصورة الخبر عنه صلى الله عليه وآله ايسر احدكم ان على بابه حمة يغتسل منها
كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه من درنه شىء فقالوا نعم قال فانها الصلوات الخمس الخامس شهادة بذكر
عرفان رجال من المؤمنين وهم الموصوفون في الآية بقدرها السادس نصب الرسول صلى الله عليه وآله بها
وامر الله تعالى له بالمواظبة عليها بعد تبشيره بالجنة وذلك في قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
وامتثاله لذلك الامر في نفسه واهله وروى انه صلى الله عليه وآله قام في الصلوة حتى تورمت قدماه
فقيل له في ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا وذلك من ارجح الدلائل على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها
واعلم انه قد ورد في فضلها اخبار كثيرة بعد تأكيد القرآن الكريم للامر بها وقد بينا ذلك واشرنا
الى فضيلتها اشارة مستوفاة في الفصل الذى اوله ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه
الايمان به وبرسوله الثانية مما امر بالمحافظة عليه الزكوة وهى قرينة الصلوة في الذكر في الكتاب العزيز
وفي الفضيلة ولذلك قال جعلت مع الصلوة ثم اشار الى سرها وهو كونها قربانا لاهل الاسلام وبين
ذلك واشار بقوله فمن اعطاها الى قوله طويل الندم الى شرط كونها مقربة الى الله تعالى وجاز كون قبولها

شروط طيب النفس بيان شرح وقد عرفت ايضا في ذلك الفصل وعلمت ان من اقسام الممتنعين عن المال
من اقتصر منه على اداء الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهم العوام لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال
وميلهم اليه من ضعف حبهم للآخرة قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا وطهارة الفرق الذين ذكرناهم
مما يستنزل في المال وكلاسبهم وقربهم من الله وبعدهم بقدر طيب انفسهم عن بذل المال والاعراض عنه
ومحبته وهذه الفرقة اعني من اقتصر منهم على اداء الواجب فقط ينقسم الى مؤد لذلك الحق بطيب نفس وسماحة
والى مؤد له مع بقاء محبته وتكدير النفس ببذله وتمنن عليه او انتظار جزائه وباعتبار القسمين الاولين
في القسم الاول من هذه الفرقة يكون بذل المال والزكوة قربة الى الله تعالى وهو الذي اشار اليه امير
المؤمنين عليه السلم بقوله ان الزكوة الى قوله وقاية وان كان قد خصص الزكوة هنا وانما يكون قربة
لاستلزامه رفض هذا المحبوب الذي يتصور بازاله ان جميع الكمالات الدنيوية ليستغني منه رغبة عنه
ومحبته ورغبته فيما عنده وتكون كفارة ماحية لرذيلة البخل وما يستلزمه من الذنوب ويكون حجابا
بين العبد وبين عذاب الله اذ علمت ان مبدأ العذاب في الآخرة حب الدنيا واعظم حب المال فاذا كان
بذل المال مستلزما لزوال حبه كان بذلك الاعتبار حجابا من العذاب ووقاية منه واما ايتاء الزكوة
على الوجه الثاني فهو المذموم والمنهي عنه بقوله ولا يكثرن عليها لهفه بعد امره بها في قوله فلا يتبعها
احد نفسه ويلزم باذنها على ذلك الوجه النقايص المذكورة وهي الجهل بالسنة فان السنة في ادائها
ان يؤدي بطيب نفس وسماحة وان يكون مغبونا في الاجر فان ايتاها على ذلك الوجه يخرج جزاءها
لا على وجه القربة الى الله غير مستلزم لرضوانه وذلك هو الغبن وان حصل لها جزاء غير رضوان الله
فان الحصول على كل جزاء غير رضوانه جزاء ناقص وغبن فاحش بالنسبة اليه وان يكون ضال العمل وهو
اعطائه ذلك المال وبذله على غير وجهه وقصده به غير سبيل الهدى الى رضوان الله وان يكون
طويل الاسف اي في محبته المال وفيما يرجوه به من الجزاء الثالثة مما وصى به اداء الامانة وهي التي اشار
القرآن الكريم اليها بقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية وقد بينا
فيما سلف انها تعود الى العبادة والطاعة المطلوبة من الانسان بما هو انسان وظاهر ان تلك العبادة
لا يمكن من غيره فانه انما خلق من حيث خلق مستعدا للدارين وبيان ذلك ان مخلوقات الله تعالى
اما جمادات او ذوات حيوة وذوات الحيوة اما الملائكة او الحيوان الارضي والحيوان الارضي اما اعجم
او ناطق فالحيوان منها وهو الانسان هو القابل لعمارة الدارين والكون فيهما وهو الواسطة بين
خلقين وضيع وهو الحيوان الاعجم وشريف وهو الملك وقد اجتمع فيه قوة العالمين فهو كالحيوان
في الشهوة والغضب وقوة التناسل وساير القوى البدنية المختصة بالحيوان وكالملك في القوة المجردة
والعقل والعلم والعبادة وساير الكمالات النفسانية ووجه الحكمة في ذلك ان الله تعالى لما اقتضت عنايته
ايجاد هذه العبادة المخصوصة ان يجعل في الارض خليفة لعمارتها جمع له بين القوتين فانه لو كان
كالبهيمة خاليا عن العقل لم يتأهل لمعرفته وعبادته الخاصة ولو خلق كالملك معرى عن الشهوة والغضب

وسائر

وساير القوى البدنية لم يصلح لعمارة ارضه وخلافته فيها ولذلك قال للملائكة اني اعلم ما لا تعلمون
فاذن هذه العبادة الخاصة وهي الامانة المشار اليها لا يصلح لها الا الانسان ولا يمكن من غيره وعلمت ايضا
فيما سلف ان اباء السموات والارض والجبال عن حملها يعود الى امتناع قبولها بحال حضورها وعدم
صلاحيتها لها واشفاقها من عقوبة الله على التقصير عن ادائها كما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلم بقوله
اشفقن من العقوبة ولم يكن ذلك اباء استكبار لحضورها على ذل الحاجة اليه ولفظ الاشفاق مجاز في
ثمرته ولازمه وذلك ان السلطان مثلا اذا كلف بعض رعيته حمل امانة تكليف تخيير فخاف ذلك المكلف
العقوبة في تقصيره في اداء تلك الامانة فان خوفه يستلزم تركه وامتناعه من حملها فكان الامتناع من الامانة
مسببا عن الاشفاق فاطلق الاشفاق هنا على اباء السموات والارض عن حملها مجازا اطلاقا لاسم السبب
على المسبب وقيل ان ذلك الاباء والاشفاق على وجه التقدير وانما جيء بلفظ الواقع لان الواقع ابلغ من
المقدر اي لو كانت هذه الاجرام عاقلة ثم عرضت عليها وظايف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك
مع كبر اجرامها وشدتها ولا شفقت من حملها اشفاق من القصور عن ادائها ثم ان مخاطبة الجماد واجابته
عنها نظرا الى قرينة الحال طريقة مشهورة للعرب ومستحسنة في تعارفهم كقولهم يا دار ما صنعت بك الايام
ونحوه بل مخاطبة بعض الجمادات لبعض بلسان احوالها كقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني
ونحو ذلك كثير فاما قوله عليه السلم وقد خاب من ليس من اهلها فتلك المحنة تعود الى حرمان ثمرة هذه العبادة
وما يستلزمه من الحصول على الكمالات اذ ليست من اهلها وذكر كون السموات مبنية والارض مدحوة و
الجبال باطوالها وعرضها وعلوها وعظمها تنبيه للانسان على جرائته على المعاصي وتضييع هذه الامانة
اذ اهل لها وحملها وتعجب منه في ذلك فكأنه يقول اذا كانت هذه الاجرام العلوية التي لا اعظم منها
قد امتنعت من حمل هذه الامانة حين عرضت عليها فكيف حملها من هو اضعف منها وقوله ولو امتنع شي بطول
الى قوله منعن اشارة الى امتناعهن لم يكن لعزة وعظمة اجساد ولا استكبار عن الطاعة وانه
لو كان لذلك لكانت اولى بالمنع لعظمة اجرامها على كل المخلوقات بل انما ذلك عن ضعف
واشفاق من خشية الله وعقلهن ما جهل الانسان قيل ان الله تعالى عند خلقه لها خلق فيها فهما وعقلا
وقيل ان اطلاق العقل مجاز في سببه وهو الامتناع عن قبول هذه الامانة كلفظ الاشفاق فان عاقبة
المكلف العقوبة على التقصير في تكليف يخير فيه ويخاف التقصير فيه يستلزم تركه لذلك التكليف
واستقالته منه واذا لم يكن لها عقل من جهة انها اجرام اطلق لفظ العقل على لازمه وثمرته وهو الامتناع
والاباء مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كاطلاق لفظ الارادة على ميل الحائط في قوله تعالى جدارا يريد
ان ينقض واقول يحتمل ان يعود الضمير في اشفقن وعقلن الى من يعقل من الملائكة السماوية اذ لكل
جرم سماوي ملك يدبره هو كالبدن له لامكان ذلك فيها دون ساير الاجرام الارضية وما جهله الانسان
هو عظم الله وغاية هذه الامانة وتقصيره في ادائها واجابتها المستلزم لعقوبته واستحقاق سخط الله
وكونه جهولا اي كثير الجهل باسرار هذه الامانة والغفلة عما يستلزمه فعلها وتركها من الوعيدات الواردة

على التقصير فيها وقوله إن الله لا يخفى عليه آه تنبيه لهذا الظلوم الجهول على إحاطة علم الله تعالى بجميع أحواله واكتساباته
في ليله ونهاره وأنه لطيف الخبر والمعرفة بها ينفذ علمه في البواطن كما ينفذ في الظواهر وقوله وأعضاؤكم شهوده أي
رعيكم من قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وجوارحكم جنوده وذلك باعتبا
ر كونها معينة عليهم وضمائركم عيونه أي طلائعه وجواسيسه كقوله تعالى وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
وذلك الشهادة والإعانة بلسان الحال وقد عرفت كيفية إنطاق الجوارح وشهادة النفوس على أنفسها وكنى بالخلوات
عما يفعل فيها من معاصي الله مجازا وإنما خصصها لأنها مظنة المعصية ويحتمل أن يريد بالخلوة مصدر قولك خلوت
أخلو لا المكان فيكون حقيقة وظاهر كونها عيانا لله أي معاينة له وكل ذلك تحذير وتنفير عن تحريك الجوارح
والخلوة بها فيما لا ينبغي من المعاصي وبالله العصمة

ومن كلام له عليه السلم

والله ما معوية بأدهى مني ولكنه يغدر
ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به
يوم القيمة والله ما أستغفل بالمكيدة ولا أستغمز بالشديدة

أقول

الدهاء استعمال العقل والرأي الجيد فيما يراد
فعله مما لا ينبغي مع إظهار إرادة غيره ويسمى صاحبه داهيا وداهية للمبالغة وخبثا ومكرا وحيلة وهو داخل تحت
رذيلة الجربزة وهي طرف الإفراط من فضيلة الحكمة العملية ويستلزم رذائل كثيرة كالكذب والغدر وهو المقابل
لفضيلة الوفاء بالعهود التي هي ملكة تحت العفة والفجور المقابل لفضيلة العفة فقوله عليه السلم ما معوية بأدهى مني أي
ليس بأقدر مني على فعل الدهاء والحذق بالعمل والإدارة وقوله ولكنه يغدر ويفجر إشارة إلى لوازم الدهاء
التي لأجلها تركه وهو الغدر وبواسطته الفجور فإن الوفاء لما كان نوعا تحت العفة كان الغدر الذي هو رذيلته
نوعا تحت ما يقابل العفة وهو الفجور ولذلك نفى الدهاء عن نفسه لكراهية الغدر ونفيه له عن نفسه لأن نفي اللازم
يستلزم نفي الملزوم ثم جعل الغدر أوسطا في إثبات الفجور لمعوية بقياس من الشكل الأول فقوله ولكنه يغدر
في قوة صغرى القياس وقوله ويفجر في قوة النتيجة هو أن يفجر ثم نبه على لزوم الكفر بقياس آخر من الشكل الأول بين
على صغراه بقوله وكل غدرة فجرة وعلى كبراه بقوله وكل فجرة كفرة وإذ ثبت في القياس الأول أنه فاجر واستلزم
قوله وكل فجرة كفرة أن كل فاجر كافر ثبت بهاتين المقدمتين أنه كافر وروي غدرة وفجرة وكفرة وهو كثير الغدر
والفجور والكفر وذلك أصرح في إثبات المطلوب قال بعض الشارحين ووجه لزوم الكفر هنا أن الغادر على وجه
لزوم للكفر هنا أن الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما كان هو المشهور من حال عمرو بن العاص ومعوية
في استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وجحده هو عين الكفر ويحتمل أن يريد كفر نعم الله
وسترها بإظهار معصيته كما هو المفهوم اللغوي من الكفر وأما وحدة الكفرة لتعدد الكفر بحسب تعدد الغدر فيكون
أدعى إلى النفار عن الغدر إذ هو في معرض التنفير عنه وقوله ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة لفظ الخبر النبوي
وفيه تنفير عن رذيلة الغدر وقوله والله ما أستغفل بالمكيدة تقرير وتأكيد لما ذكره من معرفته بوجوه الآراء
وكيفية الدهاء للداهي فإن من يكون كذلك لا يجهله غفلته عما يفعل عليه من الحيلة والمكيدة وقوله ولا أستغمز بالرأي المحكم
أي لا يطلب غمزي واستضعافي فإنه لا أضعف عما يرمى به من الشدائد وروي بالرأي أي لا أستجهل بشديد المكائد
وهذا القول صدر منه عليه السلم كالجواب لما كان يسمعه من أقوال الجاهلين بحاله ونسبتهم له إلى قلة التدبير وسوء الرأي

ولنسبة

ونسبة معوية إلى استخراج وجوه المصالح والآراء الصحيحة في الحروب وغيرها واعلم أن الجواب عن هذا الخيال الذي
هم حال علي عليه السلم وحال معوية وغيره ممن نسب إلى جودة الرأي وبيان التفاوت بينهم وبينه وذلك راجع إلى حرف واحد
وهو أنه عليه السلم كان ملازما في جميع حركاته قوانين الشريعة مدفوعا إلى اتباعها ورفض ما العادة أن يستعمل
في الحروب فالتدبير من الدهاء والخبث والمكر والحيلة والاجتهادات في النصوص وتخصيص عموماتها بالآراء
وغير ذلك مما لم ترخص فيه الشريعة وكان غيره يعتمد جميع ذلك سواء وافق الشريعة أو لم يوافق فكانت وجوه الحيل
والتدابير عليهم أوسع وكان مجال ما عليه أضيق ونقل عن أبي عثمن عمرو بن بحر الجاحظ في هذا المعنى كلام طويل خلاصته
أن قال إنه ربما رأيت بعض من يظن نفسه العقل والعلم وأنه من الخاصة وهو من العامة ويزعم أن معوية كان
أبعد غورا وأصح فكرا وأجود مسلكا منه عليه السلم وليس الأمر كذلك وسأومي إلى موضع غلطه وذلك أن عليا عليه السلم
كان لا يستعمل في حروبه إلا ما يوافق الكتاب والسنة وكان معوية يستعمل ما يخالفهما كاستعماله ما يوافقهما ويسير
في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى وكان عليه السلم يقول لأصحابه لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم ولا تتبعوا مدبرا ولا
تجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي أبي الأعور السلمي وفي عمرو بن العاص وفي حبيب
ابن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والأتباع وأصحاب الحروب إنما يقصدون الوجه الذي به هلاك الخصم
وينظرون وجه الفرصة سواء كان مخالفا للشريعة كالحريق والتغريق ودفن السموم والتضريب بين الناس بالكذب
وإلقاء الكتب في العسكر أو موافقا لها ومن اقتصر في التدبير على الكتاب والسنة فقد منع نفسه الطويل العريض من
التدبير وما لا يتناهى من المكايد والصدق والكذب أكثر من الصدق وحده والحلال والحرام أكثر من الحلال وحده
فعلي عليه السلم كان ملجما بلجام الورع عن جميع القول إلا ما فيه لله رضى وممنوع اليدين من كل بطش إلا ما دل عليه
الكتاب والسنة دون أصحاب الدهاء والمكر والمكايد فلما رأت العوام نوادر معوية في المكايد وكثرة محاسنه في
الخديعة وما تيسر له ولم يروا مثل ذلك من علي عليه السلم ظنوا بقصور فطنتهم أن ذلك من رجحان عند معوية ونقصان
في علي عليه السلم ثم انظر بعد ذلك كله هل يعد لمعوية من الخداع أكثر من رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى
رأي علي عليه السلم وخالف أمره من أصحابه فإن زعمت أنه قد نال ما أراد وبلغ مرامه من الاختلاف على علي فقد صدقت
ولكن ليس ذلك محل النزاع ولم يختلف في غرارة أصحاب علي وعجلتهم وتسرعهم وإنما كان البحث في التمييز بينه
بين معوية في الدهاء والمكر وصحة العقل والرأي هذه خلاصة كلامه ومن تأمله بعين الإنصاف علم صحته وصدقه ومن
هذا تبين لك الجواب عن كل ما نسب إليه من التقصير في خلافته كعدم إقراره لمعوية على الولاية في أول خلافته ثم نزوله
بعد ذلك على ما يستلزم تقريره له من الظلم وكنسبة التحكيم وكنسبتهم له إلى التوحش لبعض أصحابه حتى فارقوه إلى
معوية كأخيه عقيل وشاعره النجاشي ومصقلة بن هبيرة وكتركه لطلحة والزبير حتى فارقاه وخرجا إلى مكة
وإذنه لهما في العمرة وذهب عن الرأي في ارتباطهما عنده ومنعهما من البعد عنه وأمثال ذلك فإن الإنصاف
عند اعتبار حاله في جميع ما نسب إليه يقتضي موافقته للشريعة وعدم خروجه عنها وتفصيل الأجوبة عن ذلك مما يخرج
عن الغرض وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم

أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله فإن
الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا والسخط وإنما عقر

فأخذهم العذاب ٢

ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا فقال سبحانه فعقروها فأصبحوا نادمين فما كان الا ان
خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الارض الخوارة ايها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن خالف
وقع في التيه الاول السكة الحديدة لكون خوار اي خبث الغذاء شاربها الارض وخوارها صوتها في الارض والارض
الخوارة الضعيفة وحاصل الفصل ترغيب اصحابه السالكين لطريق الهدى في اتباع ما هم عليه بذكر كونه طريق الهدى
ومن العادة ان يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في الطريق الطويل الصعب فنهى عن الاستيحاش في
تلك الطريق وكنى به عما عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بانهم ليسوا على الحق لقلتهم وكثرة مخالفيهم لان قلة العدد
في الطريق مظنة الهلاك والسلامة مع الكثرة ومن ذلك حثهم على انهم في طريق الهدى وان كانوا قليلين وقوله
فان الناس اجتمعوا الى قوله طويل شبه على غير اهل الهدى وهو اجتماع الناس على الدنيا واستعار لها لفظ المائدة
ملاحظة لشبهها بها في كونها مجمع اللذات وكنى عن قصر مدتها بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب
الطويل في الآخرة بطول جوعها ولفظ الجوع ايضا ويحتمل ان يكون مستعارا لما يلحق النفس من التأسف بعد
المفارقة من اللذات الدنيوية التي لا تحصل عليها بعد الموت ابدا فيطول جوعها منها وراعى المقابلة فالجوع
بازاء الشبع والطول بازاء القصر وقوله ايها الناس الى قوله السخط اي انما يجمع الناس في عذاب الله رضاهم
بالمنكرات ومعاصي الله وان لم يباشره كلهم وسخطهم لما به من الاعمال ومصداق ذلك قصة ثمود في عموم
العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فانهم باسرهم لما رضوا ذلك مع [illegible] الفعل الى جميعهم كما قال فعقروها
الآية وعمّهم العقوبة لما عمّوه بالرضى والضمير في عمّوه يعود الى الرجل والى العقر الذي دل عليه قوله عقر اي
لما عمّوا فعله برضاهم به واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
ونظيره ان الراضي بفعل شريك فاعله في خوضه وكذلك انما يجمع الله الناس في رحمته باجتماعهم على الرضا بمحابّه
والسخط لمكارهه وقوله فما كان الا ان خارت ارضهم الى قوله الخوارة تفسير للعذاب اللاحق لهم المشار اليه
بقوله فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب وقد فسره القرآن الكريم ايضا في قوله فاخذتهم الرجفة
فشبه عليه السلام كيفية ذلك وشبه صوت ارضهم في خسفها وذهابها في الارض بصوت السكة المحماة في
الارض عند حرثها وانما زاد صفة المحماة شبها لقوة تصويتها وسرعة غوصها لان المحماة يكون لها
في الارض نشيش زائد على ما يقتضيه حركتها ويعينها الحمى على الغوص في ما قصة ثمود في المنقول انهم خلف عاد
في ارضهم بعد هلاكهم عنها فكثروا وعمروا اعمارا طويلة حتى كان الرجل يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا
البيوت في الجبال وكانوا في سعة ورفاهية من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون
فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم من
السنة تدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرج
معهم ودعوا اربابهم وسألوها فلم تجب فقال كبيرهم واشار الى صخرة مفردة في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة اخرج
لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ عليهم المواثيق بذلك ثم صلى ودعا

فتمخضت

فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما طلبوا وعظماؤهم ينظرون ثم
نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به رئيسهم ونفر من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسائهم ان يؤمنوا فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يوم شربها وضعت راسها في الماء فما ترفعه
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفجج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون فاذا وقع الحر تصيفت
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما كانت تضر بمواشيهما
لما اضرت بمواشيهما فعقرها قدار الاحمر واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا يقال له قارة
فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وهي محمرة واليوم الثالث
وهي مسودة ثم يغشاكم العذاب فلما راوا العلامات هموا بقتله فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان
اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم الصيحة وخسف شديد وزلزال فتقطعت قلوبهم
فهلكوا وبالله العصمة والتوفيق
هذا اخر المجلد الثالث ويتلوه المجلد
الرابع من هذا الكتاب والحمد لله وحده

تم

[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بعونك

ومن كلام له عليه السلام

روي عنه انه قال عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلم كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُ الذِّكْرُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ **اقول** مسهد مورق واحفها السوال استقص عليها فيه فاما قول السيد رضه سيدة النساء فقد جاء في الخبر انه صلى الله عليه وآله رآها تبكي عند موته فقال لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة وروي انه قال سادات نساء العالمين اربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران والسلام منه عليه السلم على الرسول صلى الله عليه وآله كعادة الزاير لكن الزيارة هنا خاصة بها كالمستاذن لها في الدخول عليه وجوارها اي في منازل الجنة واما سرعة لحاقها به فاية في ذلك التشكي اليه من سرعة لحاق المصاب عليه بموته وموتها عقيبه والمنقول ان مدة حياتها بعده صلى الله عليه وآله اربعة اشهر وقيل ستة اشهر ثم اخذ في التشكي اليه كالمخاطب له من قلة صبره ورقة تجلده وتحلّه مصيبته بها وفي قوله صفيتك اشارة الى ما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من التبجيل والمحبة والاكرام وقوله الا ان لي الى قوله موضع تعز كالعذر والتسلية وان كانت هذه المصيبة عظيمة يقل لها الصبر ويرق لها التجلد فان المصيبة بفراقك اعظم وكما صبرت في تلك فالي بها اشد فان اصبر على هذه اولى واتاسي الا في بالصبر في هذه المصيبة كالصبر في تلك وقوله ولقد وسدتك الى قوله نفسك كالشرح لمصيبته به صلى الله عليه وآله وتقاساتها عند تجهيزه وعند فيضان نفسه وهي دم بين صدره ونحره وكالتذكير لنفسه بها وقوله فانا لله وانا اليه راجعون امتثال لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله ولقد

استرجعت الوديعة الى قوله الرهينة استعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس ووجه الاستعارة الاولى ان النفوس في هذه الابدان اشبه الودائع والامانات في كونها سترجع الى عالمها في وجوب المحافظة عليها من الهلكات ويحتمل ان يريد ما هو المتعارف بين الناس من كون المراة وديعة الرجل كما يقال النساء ودايع الكرام ووجه الثانية ان كل نفس رهينة على الوفا بالميثاق والعهد الذي اخذه الله تعالى عليها حين الاهباط الى عالم الحس وبقائها ان ترجع اليه سالمة من سخط عالمها وامره بخروجها من صراط الوهمي على لسان رسوله صلى الله عليه وآله فان وفت بعهدها خرجت من وثاق الرهن واستوجبت الاجر كما قال تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وان نكثت وارتكبت ما نهيت عنه بقيت رهينة بعملها كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة والرهينة تصدق على الذكر والانثى وفي قوله سيتّت الاشارة الى ذلك وقوله اما حزني الى قوله مقيم صورة حال بعدها على سبيل الشكاية وكني بالدار عن الجنة لانه مبشر بها وقوله وستنبئك ابنتك الى قوله الذكر رمز في الشكاية الى الرسول صلى الله عليه وآله من امته بعده فيما كان يعتقده حقا له من الخلافة وما يمكن ان ذلك لفاطمة عليها السلم من حرمانها من النحلة ومن الاختصام فيه والتغليظ عليه في القول على قرب عهدهم بالرسول صلى الله عليه وآله وطراوة الذكر الذي هو القران الكريم بمودة القربى وقوله والسلم عليكما الى آخره صورة وداع المحبين على مجاري العادة وقوله وان اقم الى قوله الصابرين تنزيه لنفسه عما عساه يعرض لبعض من ملازمة القبور لشدة الجزع والاسف عن وهم انه لا عوض عن ذلك الغائب ولا جزاء على التعزي والصبر عنه وما وعد الله به الصابرين على نزول المصايب هو صلواته ورحمته في قوله تعالى قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم واولئك هم المهتدون وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً وَلَا تُخْلِفُوا كُلّاً فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ **اقول** حاصل الفصل التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة بذكر الغاية من وجودها فتكون الدنيا مجازا اي يسلك بها الى الآخرة سلوكا اختياريا كسلوك عباد الله الصالحين اليه واضطراريا كعبور الكل الى الآخرة بالموت واراد هنا الاضطراري وقوله فخذوا الى قوله لمقركم وقوله ولا تهتكوا الى قوله استاركم اي بالمجاهرة بالمعصية فانه اذا كان يعلم اسراركم فهو يعلم ظواهركم اولى وقوله واخرجوا الى قوله ابدانكم امرهم بالزهد في الدنيا قبل الموت وكنى عنه باخراج القلوب منها يقال اخرج فلان عن كذا واخرج نفسه من كذا اذا اعرض عنه وتبرأ منه وقوله ففيها اختبرتم اشارة الى ضد الغاية الالهية منها وقد عرفت معنى الاختبار ولغيرها خلقتم اي لنيل السعادة في الآخرة بالذات او الشقاوة لمن حرمها بالعرض وقوله ان المرء الى قوله قدم اي ما ترك من متاع الدنيا او ما قدم من الاعمال الصالحة وانما قرن ذكر الناس وما

الجزء

يسألون عنه بذكر الملائكة وما يسألون عنه لينبه على شرف الأعمال المسعدة في الآخرة على متاع الدنيا
لكون الأول مطلوب الملائكة وما يتمنون بالمنهي عنه وكون الثاني متمنى الناس الغافلين وفي لفظ
ما ترك وما قدم لطف تنبيه على أن متاع الدنيا مفارق متروك والأعمال الصالحة مقدمة باقية
نافعة لمن في معاده فينبغي أن تكون العناية بها دون المفارق المتروك وقوله لله آباؤكم كلمة تقولها
العرب لتعظيم المخاطب بنسبه أو نسبة أبيه إلى الله يقال لله أنت ولله أبوك وقيل اللام بمعنى
أي إلى الله مصير آبائكم لكن بذلك يخرج الكلام عن معنى التعجب والاستعظام وقوله فقدموا بعضا
إلى آخره أي قدموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقات ونحوها ليكن لكم ثوابها في الآخرة كقوله صلى الله عليه
وآله يا ابن آدم ليس لك من دنياك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت
ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم وزره وقد علمت كيفية استلزام الصدقة والزكوة ونحوها للملكات
الفاضلة والثواب الأخروي واستلزام البخل وادخار المال للشقاوة الأخروية وإنما خص
البعض بالتقديم لأن حرمان الورثة لا يجوز ونهى عن تخليف الكل لأن ترك الزكوة والصدقة لا يجوز
وروي يكن لكم قرضا ولا يكن عليكم كلا وهو كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ولفظ القرض
مستعار ووجه الاستعارة أن القرض يستلزم في العادة الطلب من المقترض وشكره لمقرضه
وأداءه إليه فأشبه ذلك طلب أوامر الله الطالبة من الزكوة والصدقة وشكر الله للمنفق في سبيله
وجزاؤه للمتصدق في الآخرة بأضعاف ما بذله وأفضل كمية وكيفية والكل الذي لا منفعة فيه
مع وجود مضرته ولما كان حفظ المال وتخليفه بعد الموت كذلك لا جرم كان كلا وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام كان كثيرا ما ينادي به أصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل
وأقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فإن أمامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة
مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف عندها واعلموا أن ملاحظ المنية نحوكم دانية وكأنكم بمخالبها
وقد نشبت فيكم وقد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ومعضلات المحذور فقطعوا علائق الدنيا
واستظهروا بزاد التقوى قال السيد وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية
أقول العرجة والتعريج الإقامة في المكان والاحتباس به وعقبة كؤود شاقة المصاعد والملاحظ
جمع ملحظ وهو مصدر أو محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين ودانية قريبة ومفظعات الأمور شدائدها
وشدائد المجاوزة حد المقدار المعتاد ومعضلات المحذور ما ثقل منها وأعيا وصدر الفصل
على الأمر بالتجهز من الدنيا وهو الاستعداد للسفر إلى الله بما يحتاج إليه المسافرون إلى حضرته
من الزاد البليغ وهو التقوى والرحيل يحتمل أن يريد به السفر بالموت فيكون المنادي هو حوادث
الأيام الداعية بضرورتها للمزاج إلى الانهدام ويحتمل أن يريد به السفر إلى الله بالرياضة
الكاملة والمنادي بذلك هو الرسول صلى الله عليه وآله والكتاب العزيز وأولياء الله ثم على الأمر
بإقلال التعريج على الدنيا أي بقلة الالتفات إليها إلا القدر الضروري منها وهو الزهد ثم بالانقلاب

منها بصالح ما بحضرتهم من الزاد أي ما يحضرهم في الدنيا ويمكنهم إعداده والاستعداد به وهو الأعمال
الصالحة والتقوى وقوله فإن أمامكم عقبة كؤودا استعار لفظ العقبة بوصف الكؤود ووجه المشابهة
شدة الملاقاة وقطع مسافة الارتحال بألم النفوس إلى آخر الموت وأراد بالمنازل المخوفة المهولة منازل
الآخرة بعده من القبر وسائر درجات النفوس في الشقاوة والأهوال الأخروية وظاهر أنه لا بد
من ورود تلك المنازل والوقوف عندها إلى حين عبورها خصوصا أصحاب الملكات الردية والعلائق
الدنية البدنية فإن وقوفهم في تلك المنازل أطول وشدائدهم فيها أهول وقوله واعلموا إلى قوله فيكم
أخذ بعض لوازم المستعار وهو الملاحظة ودنوها وكنى بذلك عن كونها لهم بالرصد لا تنقطع عنهم
وروي دانية أي قريبة منهم وكذلك المخالب ونشبها كناية عن لحوق الآفات والأمراض المهلكة
لهم ومعنى التشبيه هنا تشبيه المحذور القريب وقوعه وهو لحوق الموت لهم ونشب مخالب المنية
فيهم بوقوع ذلك في السرعة والباء في بمخالبها للإلصاق والواو في قوله وقد للحال وقوله وقد
دهمتكم إلى قوله المحذور كناية عن لحوق شدائد الموت ومفظعات الأمور المحذورة وهي الذنوب
وقوله وقطعوا علائق الدنيا أمر بالزهد الحقيقي فيها والتخفيف منها بترك الفضول والاستكثار من متاعها
واستظهروا بزاد التقوى أي اتخذوه ظهيرا لكم على مشاق السفر إلى الآخرة وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشاورتهما
والاستعانة في الأمور بهما لقد نقمتما يسيرا وأرجأتما كثيرا ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه
أو أي قسم استأثرت عليكما به أم أي حق رفعه إلي أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت
بابه والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها
فلما أفضت إلي نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استن النبي
فاقتديته فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما ولم يقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين
ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه
برأيي ولا وليته هوى مني بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه
فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى
أخذ الله بقلوبكم وقلوبنا إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر ثم قال رحم الله رجلا رأى حقا فأعان عليه
أو رأى جورا فرده وكان عونا بالحق على صاحبه أقول أرجأتما أخرتما واستأثر استبد
والإربة الحاجة وأفضت وصلت والعتبى الرجوع عن الإساءة واعلم أن الرجلين كانا يؤملان الأمر
لأنفسهما فلما صار إليه عليه السلام عادا إلى رجاء أن يدخلهما في أمره وأن يرجحهما في العطاء على غيرهما
كما فضل بعض الأئمة من قبله وأن يشاركهما في أكثر الآراء المصلحية محبة منهما للجاه ونظرا إلى محلهما
وشرفهما لكن الرجل لما جعل دليله الكتاب العزيز والسنة النبوية وكان هو القوي على تفريع
الأحكام منها دون غيره وصاحب أسرارها كما علمت رجوع أكابر الصحابة وخلفاء السابقين

الیه فی کثیر من الاحکام اجمع لم یکن به حاجة الی الاستشارة فیما یقع الیه من الوقایع واشار بالیسیر الذی
نقماه الی ترک مشورتهما وتسویتهما بغیرهما فی العطا فانه وان کان عندهما صعبا فهو لکونه عنده حقا
فی غایة من السهولة والکثیر الذی ارجاه ما اخراه من حقه ولم یوفیاه ایاه وروی لکثیر بالثا
المثلث نقط واشار به الی ما یعود الی صلاح المسلمین من الآراء التی ینبغی ان تجدث فیها ویحتمل ان
یرید ان الذی ابدیاه ونقماه بعض ما فی انفسهما وقد دل ذلک علی ان فی انفسهما اشیاء کثیرة
ورا ما ذکراه لم یقولاه وقوله الا تخبرانی الی قوله بابه استفسار عن الحق الذی نقما ترکه واشار
الی وجوه الحق وجهاته المتعارفة المعتادة وتلخیصه ان الحق الذی نقمتما ترکه اما ان یکون
متعلقا بکما او بغیرکما من المسلمین والاول اما ان یکون قسما استاثرت به او غیره من الحقوق
دفعتکما عنه ظلما والثانی اما ان یکون ترکی من ضعف عنه او جهلا به او خطا الدلیل الحکم فیه والاستفهام
فی الاقسام کلها استفهام انکار لها وستنده منع وانکاره لها ظاهر فان التسویة فی العطا سنة
الرسول صلى الله علیه وآله یجب اتباعها والاستشارة فی الحوادث ونحوها انما یجب مع عدم الحکم
فی الواقعة او مع جهله ولم یکن علیه السلم عادما لاحکام الوقایع الواردة علیه ولا جاهلا بها وکذلک
لم یترک حقا لاحد من المسلمین من ضعف منه لانه کان خلیفة الوقت ولا من جهل بالحکم ولا بدلیله
لانه کان اعلم الامة باحکام الله وما کان الذی نقماه علیه فی تلک الحال من الاقسام المذکورة انما
هو ترک مشورتهما والتسویة فی العطا بینهما وبین غیرهما اشار الی الجواب عن الاول بقوله والله
ما کانت الی قوله ولا عن غیرکما فقوله والله الی قوله حملتمونی علیها کالمقدمة فی الجواب الکاسرة
من توهمهما رغبته فی الخلافة ومحبته للملک والسلطان للاستبداد علیهما ونحو ذلک فانه اذا انجبر
ذلک الوهم لم یبق علة طلبه للولایة الا نصرة الحق واقامته کما صرح هو به فی غیر موضع ونزه نفسه
شبهتها عنه وقوله فلما افضت الی قوله فاقتدیته وجه الجواب ودلیله شکل صغری القیاس فیه و
خلاصته ای انما احکم بالکتاب فاتبعه واقتدی بالسنة وتقدیر الکبری وکل من فعل ذلک
فلا حاجة به فی الحکم الی الرای وقوله فلم احتج الی قوله غیرکما کالنتیجة وقوله ولا وقع حکم جهلته الخ
الاقسام التی استفهم عنها علی سبیل الانکار ولا قد صرح بانکاره هنا ومنعه علی تقدیر دعواهما
لزم تفسیله تسلیم جدل انه لو وقع لم یکن یرغب عنهما ولا عن غیرهما من المسلمین فی الاستشارة
فیه ثم ذکر الامر الثانی فیما نقماه علیه فقال واما ما ذکرتما من امر الاسوة ای اسوتکما بغیرکما فی
العطا واجاب عنه بقوله فان ذلک امر الی قوله حکمه فقوله ولا ولیته هوی منی ای لم احکم
الحکم فی ذلک بهوای ورایی ولا ولیته هوی منی حتی ان یکون هوی متبوعا له وخلاصته ان حکمی
بالتسویة فی القسمة لم یکن عن رای منی ولا هوی اتبعته ولکن وجدته انا وانتم قد فرغ الله
ای من القضا به فی اللوح المحفوظ وانزاله ویقال للامر الثابت الذی لا یحتاج الی ایجاد او تکمیل
مفروغ منه ونسبة الفراغ الی الله مجاز لمناسبة ما قضاه بفعل العبد الذی فرغ من عمله وقوله

فلم ارجع الیکما الی قوله حکما ای لما وجدته کذلک لم امل الیکما بما رضیتما من مخالفته لما جاء به الرسول
وروی فلم احتج الیکما ای فی الارشاد الی احکام الله بعد فراغه منها وقوله فلیس لکما الی قوله عتبی
لازم تسلیمی ما سبقه فی جوابهما فانه لما ثبت انه لا حق لهما فیما نقماه علیه لم یکن علیه ان یعتب
ثم اخذ فی الدعا لهما ولنفسه بان اخذ الله قلوبهم الی الحق والهامهم الصبر عن المیول الباطلة وعلی الحق
ثم دعا برحم الله لرجل رای حقا وعدلا واعان علی العمل به او رای جورا وظلما فرده واعان
علی صاحبه جذبا لهما الی ذلک وبالله التوفیق **وقال علیه السلام** وقد رای قوما من اصحابه
یسبون اهل الشام ایام حربهم بصفین انی اکره لکم ان تکونوا سبابین ولکنکم لو وصفتم
اعمالهم وذکرتم حالهم کان اصوب فی القول وابلغ فی العذر وقلتم مکان سبکم ایاهم اللهم احقن
دماءنا ودماءهم واصلح ذات بیننا وبینهم واهدهم من ضلالتهم حتی یعرف الحق من جهله ویرعوی عن
الغی والعدوان من لهج به **اقول** لهج به اولع وحرص علیه ویجامل الفصل تادیب قومه
وارشادهم الی السیرة الحسنة وجذبهم عن تعوید السنتهم کلام السفها الی تعویدها وتمرینها
بکلام الصالحین وتنبیه لمراعاتهم ... والنهی عنه علی تحریمه ونحوه اشارة الرسول صلى الله علیه وآله
بقوله ما بعثت لعانا ولا سبابا وقوله اللهم انما انا بشر فاذا دعوت علی انسان فاجعل دعائی له
لا علیه واهده الی الصراط المستقیم وقوله لو وصفتم الی قوله فی العذر ای لو عدلتم عن السباب
الی وصف اعمالهم لهم وتذکیرهم بکونهم ضالین لکم وصادین عن السبیل ذکرا علی وجه النصیحة والهدایة.
لهم ثم قلتم مکان سبکم ایاهم هذا الدعا لکان اصوب فی القول مما ذکرتموه من رذیلة السباب
ولان فی تذکیرهم باحوالهم ونصیحتهم ایاهم فایدة وهی رجا ان یعودوا الی الحق وان ذلک
ابلغ فی العذر الیهم من غیره اذ لکم ان تقولوا بعد ذلک انا نصحناهم وطلبنا منهم الفیء فلم یستجیبوا
وقوله وقلتم عطف علی قوله وصفتم ولو مقدرة علیه وجوابها مقدر بعد تمام الدعا وحذفه
لدلالة لو الاولی علیها والتقدیر لو قلتم هذا الدعا لکان اصوب وابلغ فی العذر والدعا الذی
علمهم علیه السلم ایاه مطابق لصورة حال الحرب واشتمل علی طلب حقن الدما اولا لان سفک الدما
هو المخوف الحاضر وعلی طلب علته وهی اصلاح ذات البین ای ما بیننا وبینهم من الاحوال الموجبة
للافتراق حتی یکون احوال الفة واتفاق ولما کانت الاحوال ملابسة للبین قیل لها ذات البین
کقولک اسقنی ذا انائک ای ما فی انائک من الشراب وقیل ذات البین حقیقة الفرقة ای اصلح
حقیقة الفرقة بیننا وبینهم وبدلها بالالفة ثم علی طلب العلة الماحیة للفرقة الموجبة لاصلاحها وهی هدایتهم
من ضلالتهم بمعرفة من جهل الحق له وارعوائه من غباوته وهی طرف التفریط من فضیلة الحکمة وعدوانه
وهو طرف الافراط من فضیلة العدل وقد کانت الرذیلتان فی اصحاب معاویة فانه لما قصرت
فطنتهم عن وجه الحق وغلبت علیهم الشبهة بغوا وتعدوا ولجوا بعدوانهم وروی عوض الغی
العمی وهو عمی البصیرة وعنادها **وقال علیه السلم** وقد رای الحسن علیه السلم یتسرع الی الحرب

املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام على الموت لئلا ينقطع بهما نسل
رسول الله صلى الله عليه وآله اقول املكوه شدوه واضبطوه ويهدني يكسرني ونفست بالكسر
النفس بالشيء اي اظن وابخل ولما كان وجود الولد المشفق به مما يشد القوة ويقوي النفس خصوصا
مثل الحسن عليه السلام كنى بقوله لا يهدني عن تقدير هلاكه عن اضعاف ركنه والكسار رغبته بذلك ثم نبه
على علة اخرى لوجوب المحافظة عليه مع اخيه عليهما السلام وهي المحافظة على نسل الرسول صلى الله عليه
وآله وقال عليه السلام لما اضطرب عليه اصحابه في امر الحكومة ايها الناس انه لم يزل امري
معكم على ما احب حتى نهكتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك لقد كنت
امس اميرا فاصبحت اليوم مأمورا وكنت امس ناهيا فاصبحت اليوم منهيا وقد احببتم البقاء وليس
لي ان احملكم على ما تكرهون اقول نهكتكم خلقتكم فقوله على ما احب اي من الطاعة ولفظ النهك
واسناده الى الحرب استعارة لاضعافها لهم ملاحظة لشبههم بالثوب الذي اخلقه اللبس
وتشبيها باستعماله كونها سببا لذلك الاضعاف اي لم ازل كذلك الى تلك الغاية وقوله والله
اخذت منكم وتركت كناية عن تصرفها فيهم بوجوه التصرف وهو كالعذر لهم وارد في قوله وهي
لعدوكم انهك لكي لا يتخاذلوا بعد رايتهم كمالهم ثم اخذ في الشكوى منهم اليهم وعتابهم على عصيانهم
له وحكمهم عليه بالرجوع الى التحكيم حتى صار مأمورا لهم ومنهيا بعد كونه آمرا لهم وناهيا وذلك من
معكوس الحكم ومضاده لما ينبغي لهم وقوله وقد احببتم البقاء اي بترك القتال وهو كالتوبيخ لهم
على ذلك وقوله وليس الى آخره اي ليس لي قدرة على ذلك وان كان لازما بحسب المصلحة والشرع
وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من
اصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا اما انت اليها
في الآخرة كنت احوج وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم
وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا انت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو
اليك اخي عاصم بن زياد قال وما له قال لبس العباء وتخلى من الدنيا قال علي به فلما جاء قال يا عدي
نفسه لقد استهام بك الخبيث اما رحمت اهلك وولدك أترى الله احل لك الطيبات وهو
يكره ان تأخذها انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك
وجشوبة مأكلك قال ويحك اني لست كانت ان الله تعالى فرض على ائمة الحق ان يقدروا انفسهم
بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره اقول استهام بك اي اذهب لوجهك وزين
لك الهيام وهو الذهاب في التيه وجشوبة المأكل غلظه وخشونته وقيل الطعام الجشب الذي
لا ادام معه ويتبيغ يهيج وقد استفهم عن غرضه في توسعة داره استفهام توبيخ وانكار على
ان ذلك ينافي الزهد في الدنيا والحرص في الآخرة ثم عن كونه احوج اليها في الآخرة استفهام
تثبت وتقرير واراد انك لو كنت انفقت ما اخرجته على بنائها من المال في سبيل الله لكان

اولى وكنت اليه احوج منها في رواية باثبات الهمزة مع ما في قوله اما انت وقوله وبلى آه هداية الى وجوه
استعمالها في مرضات الله والتقرب بها اليه بعد التفريط في بنائها وعد وجوه الانفاق المتعلقة بها
ومطالع الحقوق وجوهها الشرعية المتعلقة به كالزكوة والصدقة وغيرها وظاهر كونها مبلغة الى الآخرة
عند اخراج تلك الحقوق منها وجهاتها ومقربة الى الله وقوله علي به ينوب مناب فعل الامر اي جئني به
وعدي تصغير عدو واصله عديو وحذفوا احدى الواوين وقلبوا الثانية ياء تخفيفا وادغموا فيها ياء
التصغير وانما صغره استصغارا له باعتبار ان شيطانه لم يقده الى كبيرة بل قاده الى امر وان
كان خارجا به عن الشريعة الا انه قريب من السلامة اذ دخل عليه بالخديعة في راي الصالحين وكان
شيطانه بذلك الاعتبار صغيرا بالنسبة الى شيطان آخر وهو باعتبار القيادة لذلك الوسواس
عدي نفسه وقيل بل صغره من جهة حقارة فعله ذلك لكونه عن جهل منه وانما منعه من هذه الطريقة لكونه
لم يترك الدنيا على وجه الترك بل كان لمشاركة هواه لعقله وكان تركه ذلك مستلزما لاهمال
حقوق يجب عليه في الشريعة ونبه على خبثه بقوله لقد استهام بك الخبيث على ان فعله ذلك كان
عن مشاركة الشيطان ولم يكن عن عقلية خالصة وبقوله اما رحمت اهلك وولدك على الحقوق اللازمة
له من قبلهم وقد اهملها بفعله ذلك وبقوله ترى الله الى قوله ذلك في مقام التوبيخ له على ذلك الترك
وهو كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية والحاصل
ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام
العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح ليتم بقاء النوع الانساني وترك الدنيا
واهمالها بالكلية يعدم ذلك النظام وينافيه بل الذي يأمر به الشارع القصد في الدنيا واستعمال
متاعها على القوانين التي وردت بها الرسل والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرائعهم
دون التعدي فيها كما اشار اليه عليه السلام من منع هذا الرجل واما السالكون من الصوفية بعد عصر الصحابة
فهم على الطريقين فمنهم من يختار التقشف وترك الطيبات وهجر اللذات راسا ومنهم من يؤثر الترف
والذي يفعله المحققون من السالكين من التقشف فلانه في الشريعة لعلمهم باسرارها وطريقهم تلك
اقرب الى السلامة من طريق المترفين لكون الترف مجال الشيطان وقد كان سلوك الرسول صلى الله
عليه وآله وعلي عليه السلام وجماعة من اكابر الصحابة اميل الى طريق التقشف لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا
في تدبير احوال المدن وصلاح العالم غير منقطعين عن اهلها ولا معتزلين فاما اعتراض عاصم على
في تنزيله في صلاته قياس نفسه في ترك الدنيا عليه وتقديره انك اذا نهيتني عن ذلك فكيف لبست الخشن
اي فكيف بالاولى من هذه الحال وانت المقتدى به او فكيف اصنع بك مع الحال التي انت عليها وانما
فعلي ما ان اقتدي بك فاجابه عليه السلام بالجواب الفارق بين فيه الفرق بينه وبينه وهو اني انما فعلت
ذلك لكوني اماما وكل امام فقد فرض الله عليه ان يقدر نفسه بضعفة الناس اي يشبهها بهم في حالهم
كيلا يهيج بالفقير فقره فيضعف عن حمله فيكفر او يفسق وقد كان عليه السلام قبل الخلافة كذلك والجواب الحقيق

هو ما قلناه من كون هذه الطريق اسلم واما الغرق فيها فيخرج الى ان ماضى سلك بغير علم بكيفية السلوك مع ترك الحقوق التى تلزمه لاهله وولده ومكانة حاله التى فارقها او سلبه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن احاديث البدع وعما فى ايدى الناس من اختلاف الخبر ان فى ايدى الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وانما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا فلو علم الناس انه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده عليه السلام فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو فى يديه يرويه ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون انه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شئ ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو يعلم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا لله وتعظيما لرسول الله ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه وحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شئ موضعه وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول الله الكلام له وجهان فكلام خاص وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى به رسول الله فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من اجله وليس كل اصحاب رسول الله ص كان من يسأله ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجئ الاعرابى او الطارئ فيسأله حتى يسمعوا وكان لا يمر بى من ذلك شئ الا سألت عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس فى اختلافهم وعللهم فى رواياتهم

اقول احاديث البدع اى الاحاديث المبتدعة بعد الرسول ص المقول عنه وما بنى عليها من الافعال المبتدعة فى الدين بدعا ايضا وتبوأ مقعده نزله واستقر فيه ولقف عنه تناول بسرعة والوهم بالكسر غلط وبالفتح ذهب وهمه الى شئ وهو يريد غيره وجنب عنه اخذ عنه جانبا وقوله ان فى ايدى الناس الى قوله وحفظا ووهما تقديد الكلام الواقع الى الناس نقلا عن الرسول ص والصدق والكذب من خواص الخبر والحق والباطل اعم منهما لصدقهما على الافعال ومثال الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمتشابه وقد مضى تفسير

هذه المفهومات واما الحفظ فهو لما حفظ عن رسول الله ص كما هو والوهم ما غلط فيه فتوهم مثلا انه عام وهو خاص او انه ناسخ وهو منسوخ الى غير ذلك وقوله وقد كذب على رسول الله ص على عهده الى قوله النار فذلك الكذب نحو ما روى ان رجلا سرق رداء رسول الله وخرج الى قوم وقال هذا رداء محمد ص اعطانيه لتمكنونى من تلك المرأة واستنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول ع عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات وكان النبى ص حين سمع بتلك الحال قال لعلى خذ السيف وانطلق فان وجدته وقد كفيت فاحرقه بالنار فجاء وامر باحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم ان العلماء ذكروا فى بيان انه لا بد ان يكذب عليه دليلا فقالوا انه نقل عنه صلى الله عليه وآله انه قال سيكذب على فان كان الخبر صدقا فلا بد ان يكذب عليه وان كان كذبا فقد كذب عليه ثم شرع فى قسمة رجال الحديث وقسمهم على اربعة اقسام ودل على الحصر بقوله ليس لهم خامس ووجه الحصر فى الاقسام الاربعة ان الناقل للحديث عنه ص المتسمين بالاسلام اما منافق او لا والثانى اما ان يكون قد وهم فيه او لا والثانى اما ان لا يكون قد عرف ما يتعلق به من شرائط الرواية او يكون فالاول هو المنافق ينقل كما اراد سواء كان اصل الحديث كذبا او ان له اصلا حرفه وزاد فيه ونقص بحسب هواه فهو ضال مضل تعمدا او قصدا والثانى يرويه كما فهم ووهم فهو ضال مضل سهوا والثالث يروى ما سمع فضاله اما له عوض والرابع يؤديه كما سمعه وكما هو فهو مهتد فاشار عليه السلام الى القسم الاول بقوله رجل منافق الى قوله فهذا احد الاربعة فقوله متصنع بالاسلام اى يظهر شعاره وقوله لا يتأثم اى لا يعترف بالاثم ولزوم العقاب عليه فى الآخرة فلا يحذر منه ووجه دخول الشبهة فى قبول قوله كونه ظاهر الاسلام والصحبة للرسول ص وسماع قوله مع كون الناس لا يعلمون باطنه ونفاقه وما اخبر به الله تعالى عن المنافقين كقوله ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وما وصفهم به كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآية ودلت على وصفهم بالكذب فى مطابقة عقايدهم لالسنتهم فى الشهادة بانه رسول حق ومن كان يعتقد انه غير رسول فانه مظنة الكذب عليه وائمة الضلالة بنو امية ودعاؤهم الى النار ودعاؤهم الى اتباعهم فيما يخالف الدين وذلك الاتباع مستلزم لدخول النار والزور والبهتان اشارة الى ما كانوا يتقربون به الى بنى امية من وضع الاخبار عن الرسول ص فى فضلهم واخذهم على ذلك الاجر من اولئك الائمة وتوليتهم الاعمال والامارة على الناس وقوله وانما الناس الى قوله الا من عصم اشارة الى علة فعل المنافق لما يفعل فظاهر ان حب الدنيا هو الغالب على الخلق من المنافقين وغيرهم لقربهم من المحسوس وجهلهم باحوال الآخرة وما يراد بهم من هذه الحياة الا من هدى الله فعصمه بجذبه فى طريق هدايته اليه عن محبة الامور الباطلة وفيه ايماء الى قلة الصالحين كما قال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادى الشكور وانما قال ثم بقوا بعده فتقربوا مع حكمه عليهم بتقربهم الى ائمة الضلال وان كانت الائمة المشار اليهم لم يوجدوا بعده الا متراخيا لما لا بد منه فى ذلك المعلوم له منزلة الواقع فاشبه الحاضر بقربهم بعد الرسول ص وتقربهم الى معاوية لانه اذ ذاك امام ضلالة واشار الى القسم الثانى بقوله ورجل سمع من رسول الله ص شيئا لم يحفظه الى قوله لرفضه وذلك ان يسمع من الرسول كلاما فيتصور منه معنى غير ما يريده الرسول ثم لا يحفظ

اللفظ بعينه فيورده بعبارته هو الدالة على ما تصوره من المعنى فلا يكون قد حفظ ولا تصوره على وجه المقصود فيرسله
فوهم فيه ولم يتعمد كذبا لو علمه فهو في يديه يرويه ويعمل به على وفق ما تصوره منه وينسبه الى الرسول صلى الله عليه وآله وعلة دخول
الشبهة على المسلمين فيه اى عدم علمهم بوهمه وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل بوهمه حين السماع حتى لو علم
ذلك لترك روايته والعمل به واشار الى القسم الثالث بقوله ورجل سمع الى قوله لرفضه وعلة دخول الشبهة على الراوى
وعلى المسلمين واحدة وهو عدم علمهم بانه منسوخ واشار الى القسم الرابع بقوله وآخر رابع الى قوله وحكى قوله
وعرف الخاص والعام فوضع كل شىء موضعه اى عمل بالعام فيما عدا صورة التخصيص وقوله وقد كان يكون من رسول الله
الى قوله من اجله تنبيه على صحة القسم الثالث وداخل فيه فان كان منهم من كان يسمع الكلام ذا الوجهين منه خاص وآخر
عام فلا يعرف ان احدهما مخصص للآخر او يسمع العام دون الخاص فينقل العام بوجهه على غير معرفة معناه او لم
خرج على سبب خاص فهو مقصور عليه والمنقل سببه فيعتقده عاما او انه عام فيعتقده مقصورا على السبب ولا يعمل
به فيما عدا صورة السبب فيتبعه الناس في ذلك كما عليه من يعتقد وجوب العمل بمذهب الراوى وان خالف ظاهرا
وقوله وليس كل اصحاب رسول الله الى آخره جواب سؤال مقدر كان يقال فكيف يقع الاشتباه عليهم في
قوله مع كثرتهم وتواضعه لهم فلا يسئلونه فاجاب بانهم ليسوا باسرهم كانوا يسئلونه لاحترامهم له وتعظيمه في قلوبهم
وانما كان يسئله احادهم حتى كانوا يحبون ان يجىء الاعرابى او الطارى فيسئله حتى يسمعوا ويفتح لهم باب السؤال
وبين انه عليه السلم كان يستقصى في سؤاله عن كل ما يشتبه ويحفظ جوابه ليرجع الناس الى فضيلته والاقتباس من
انواره **ومن خطبة له عليه السلم** وكان من اقتدار جبروته تعالى وبديع لطائف صنعته ان جعل من ماء
اليم الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا ثم فطر منه اطباقا ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها فاستمسكت
بامره وقامت على حده يحملها الاخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لامره واذعن لهيبته و
وقف الجارى منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها واطوادها فارساها في مراسيها والزمها
قراراتها فمضت رؤوسها في الهواء ورست اصولها في الماء فانهد جبالها عن سهولها واساخ
قواعدها في متون اقطارها ومواضع انصابها فاشهق قلالها واطال انشازها وجعلها
للارض عمادا وارزها فيها اوتادا فسكنت على حركتها من ان تميد باهلها او تسيخ بحملها او تزول
عن مواضعها فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها واجمدها بعد رطوبة اكنافها فجعلها لخلقه
مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجى راكد لا يجرى وقائم لا يسرى تكركره الرياح العواصف
وتمخضه الغمام الذوارف ان في ذلك لعبرة لمن يخشى **اقول** قاصفه تراد امواجه وتلاطمها وكسر
بعضها بعضا والمثعنجر السيال الكثير الماء والقمقام البحر قيل سمى بذلك لاجتماعه وجبل خلق والجلاميد
الصخور وانهد رفع واساخ ادخل والانصاب جمع نصب وهو ما انتصب منها والانشاز جمع نشز وهو العوالى منها
وارزها اى ركزها وغرزها وروى وارزها مخففا اى اثبتها وعليه نسخة الرضى والاول اصح الاكثر
والاكناف الاقطار وكركره ترديده وتصرفه وقد اشار في هذا الفصل الى ان اصل الاجرام الارضية

والسماوية

والسماوية وما فوقها هو الماء ووصف كيفية خلقها عنه وكيفية خلق الارض والسموات والجبال وقد مر
بيان كل ذلك مستقصى في الخطبة الاولى ونختم الفصل فوائد الاولى انه لما كانت هذه الاجرام
في غاية القوة والعظمة ومع ذلك ففيها من عجائب الصنع وبدائعه ما يبهر العقول ويعجز عن
كيفية شرحه لا جرم نسبها الى اقتدار جبروته وعظمته وبديع لطائف صنعته بها باعتبار
الاول على انه الاعظم المطلق وباعتبار الثانى على لطفه وحكمته الثانية وكنى باليبس الجامد عن الارض الثانية
الضمير في منه للبحر وفي حده اما لله او لامره ووقوفها على حده كناية عن وقوفها على ما حده من المقدار
والشكل والهيئة والنهايات ونحوها وعدم خروجها عن ذلك وتجاوزها له والضمير المنصوب في
يحملها يعنى اليبس الجامد وهو الارض وكذلك في جلاميدها وما بعده في ارساها وما بعده للجبال
وفي جبالها وسهولها واقطارها للارض وفي قواعدها وقلالها وانشازها للجبال وقد عرفت
كيفية ذلك الخلق فيما حكاه عليه السلم في الخطبة الاولى من ثوران الزبد بالريح وارتفاعه الى الجو
الواسع وتكوين السماوات عنه الثالثة ذل البحر لامره واذعانه لهيبته دخوله تحت الامكان
والحاجة الى قدرته وتصريفها له وهو من باب الاستعارة الرابعة قوله على حركتها اى حال
حركتها لانها تميد الحال وقوله تسيخ بحملها فيفهم منه انه لولا الجبال وكونها اوتادا للارض لمادت
وساخت باهلها فاما كونها مانعة لها من الميدان فقد عرفت وجهه في الخطبة الاولى واما كونها مانعة من السيخ
لولاها فلانها اذا مادت انقلبت باهلها فغاص الوجه الذى هم عليه وذلك مراده بسيخها فالمانع
لها من الميدان هو المانع لها ان تسيخ او تزول عن موضعها الخامسة اشار بجمادها بعد رطوبة
اكنافها الى ان اصلها من زبد الماء كما اشير اليه من قبل ويحتمل ان يشير بذلك الى ما كان مغمورا
بالماء منها ثم سال الماء عنه الى مواضع اسفل منه فجف وهى مواضع كثيرة مسكونة وغير مسكونة
السادسة قوله تمخضه الغمام الذوارف اشارة الى ان البحر اذا وقع فيه المطر القوى بريح
وتمخض ويضطرب كثيرا وذلك لتحريك وقع المطر له لكثرته وقوته او لكثرة اقتران المطر بالرياح
فموجه واغلبها تحريكا له الرياح الجنوبية لاتكاثفها وقد شاهدنا ذلك كثيرا السابعة لما عدد
المخلوقات المذكورة وتصريف القدرة الربانية لها قال ان في ذلك لعبرة لمن يخشى تنبيها
على وجوه الاعتبار بها لمن يخشى الله واراد العلماء لانحصار الخشية فيهم بقوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** اللهم ايما عبد من عبادك سمع مقالتنا
العادلة غير الجائرة والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة فابى بعد سمعه لها الا النكوص عن
نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك فانا نستشهدك عليه يا اكبر الشاهدين شهادة ونستشهد
عليه جميع من اسكنته ارضك وسماواتك ثم انت بعد المغنى عن نصره والآخذ له بذنبه **اقول**
النكوص الرجوع على الاعقاب وهذا الفصل من خطبة كان يستنهض بها اصحابه الى جهاد اهل
الشام قاله بعد تقاعد الكرام عن صورة استشهد فيه الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقالته

العادلة المستقيمة التي هي طريق الله القايدة للناس الى الرشاد في دينهم ودنياهم المصلحة لهم المعدّة
لهم وهي دعوته اياهم الى جهاد اعداء الدين والبغاة عليه ثم اعرض عنها وقعد عن نصرته وتباطأ عن اعزاز
دينه وابدأ الا التأخر عن طاعته وفي ذلك الاستثناء ترغيب الى الجهاد وتنفير عن التأخر عنه اذ كان
كانه اعلام بتعجيل المتثاقلين عن نصرة دينه وقعودهم عما امرهم به من الذب عنه فيتوكل لاجلهم
لذلك بالتوجه الى طاعته وذلك في وصفه لمقالته بالعدل والاصلاح ترغيب في سماعها وجذب اليها
وفي قوله ثم انت بعد اي بعد تلك الشهادة عليه المغني له عن نصرته شبه خاطر ملك الله وتحقير المتوانين
المتخاذلين عن نصرة الدين وفي ذلك الاخذ بالذنب تذكير بوعيد الله وان في ذلك التخاذل ذنب
عظيم يؤخذ به العبد وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين
الغالب لمقال الواصفين الظاهر بعجايب تدبيره للناظرين الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين
العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدر لجميع الامور بلا روية ولا ضمير الذي
لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس ادراكه بالابصار
ولا علمه بالاخبار **اقول** حمد الله تعالى باعتبارات اضافية وسلبية اولها العلي عن شبه المخلوقين
اي في ذاته وصفاته وافعاله واقواله وقد علمت كيفية ذلك غير مرة الثاني الغالب لمقال
الواصفين وذلك الغلب اشارة الى تعاليه عن احاطة الاوصاف به وفوته لها وعدم القدرة
على ذلك منه وقد اشرنا الى ذلك مرارا الثالث الظاهر بعجايب تدبيره للناظرين باعين
بصايرهم وابصارهم الرابع الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين وقد عرفت معنى ظهوره وبطونه
وفايدة قوله بجلال عزته تنزيه بطونه عن الفكر باعتبار جلالته وعزته عن ان ينالها باعتبار
حقارة وصغر وانما قال فكر المتوهمين لان النفس الانسانية حال التفاتها الى استلاحة
الامور العلوية المجردة لابد ان تستعين بالقوة المتخيلة بباعث الوهم في ان تصور تلك الامور
بصور خيالية مناسبة لتشبهها بها وتحطها الى الخيال وقد علمت ان الوهم انما يدرك ما كان
متعلقا بمحسوس او متخيل من المحسوسات فكل امر يتصوره الانسان وهو في هذا العالم سواء
كان ذات الله سبحانه او صفاته او غير ذلك فلابد ان يكون مشوبا بصورة خيالية او متعلقا
بها وهو تعالى منزه بجلال عزته عن تكيف تلك الفكر له وباطن عنها الخامس العالم المنزه
في كيفية علمه عن الاكتساب له بعد جهل او ازدياد منه بعد نقصان او استفادة له عن غيره كما عليه
علم المخلوقين السادس المقدر لجميع الامور اي الموجد لجميع الامور على وفق قضائه كما قدر
معلوم تنزيهه فيه عن الفكر والضمير واراد بالضمير ما اضمر من الروية السابع الذي لا تغشاه
الظلم ولا يستضيء بالانوار لتنزهه عن الجسمية ولواحقها الثامن ولا يرهقه اي يدركه ليل
ولا يجري عليه نهار وذلك لتنزهه عن احاطة الزمان التاسع ليس ادراكه بالابصار لتقدس
ذاته عن الحاجة الى الآلة في الادراك وغيره العاشر ولا علمه بالاخبار اي كما عليه كثير من علومنا

تقدس

تقدس عن حاشية السمع وبالله التوفيق **ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله** ارسله بالضياء
وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلل به الصعوبة وسهل به الحزونة
حتى سرح الضلال عن يمين وشمال **اقول** المساورة المواثبة وسرح فرق وقد اشار الى بعض
فضايل النبي صلى الله عليه وآله وبعض فوايده فمن فضايله ارساله بالضياء ولفظ الضياء مستعار لانوار الاسلام
الهادية الى سبيل الله ومنها تقديمه على ساير الانبياء في الفضيلة وان كان الكل منهم مصطفى وذكر
من فوايده كونه رتق به المفاتق وكني بها عن امور العالم المتفرقة وسبب مصالح زمان الفترة
ورتقها كناية عن نظمها بعد تفرقها كناية بالمستعار ومنها كونه ساور به المغالب واسند
المساورة اليه مجازا باعتبار بعثه النبي بالدين عن امره لمواثبة مغالبيه من المشركين وغيرهم
ومنها كونه ذلل به الصعوبة اي صعوبة اهل الجاهلية واعداء دين الله ومنها كونه سهل به الحزونة
اي حزونة طريق الله بهدايته فيها الى غايته ان سرح الضلال والجهل عن يمين النفوس وشمالها
وهو اشارة الى الغاية رذيلتي التفريط والافراط عن ظهور النفوس كتسريح جنبتي الحمل عن ظهر
الدابة وهو من الطف الاستعارات وابلغها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** واشهد انه
عدل عدل وحكم فصل واشهد ان محمدا عبده وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما
لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر الا وان الله قد جعل للخير اهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما
وان لكم عند كل طاعة عونا من الله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة فيه كفاء لمكتف وشفاء
لمشتف واعلموا ان عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية
ويتلاقون بالمحبة ويتساقون بكأس روية ويصدرون بريّة لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم
الغيبة على ذلك عقد خلقهم واخلاقهم فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل البذر ينتقى
فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ كرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها
ولينظر امرؤ في قصير ايامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوله ومعارف
منتقله فطوبى لذي قلب سليم اطاع من يهديه وتجنب من يرديه واصاب سبيل السلامة ببصر من بصّره
وطاعة هاد امره وبادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه وتقطع اسبابه واستفتح التوبة واماط الحوبة
فقد اقيم على الطريق وهدي نهج السبيل **اقول** نسخ ازال وغير والعاهر الزاني ويصدق على
الذكر والانثى وكذلك الفاجر والكفاء الكفاية والمكافاة والرية بالكسر الفعلة من الري وهي الهيئة
التي عليها المرتوي والريبة الدغل والغل والتمحيص الابتلاء والاختبار والقارعة الشديدة
من شدايد الدهر ويرديه يوقعه في الردى واماط ازال والحوبة الاثم واطلق لفظ العدل
على العادل مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه والباري تعالى عادل بالنظر الى علمه وقضائه اي
لا يتعدى في حكمه بامر الا وهو على وفق النظام الكلي والحكمة البالغة ويدخل في ذلك جميع اقواله وافعاله
فانه لا يصدر منها شيء الا وهو كذلك واما الجزئيات المعدودة شرورا وصورة جور في هذا العالم

الا بذكر الله تطمئن القلوب ١٢

وهم اصلون بالرهبانية اى نصرة بعضهم لبعض في دين الله واقامة ناموس شريعته الرابع ويتلاقون
بالمحبة فيه اى في مطلوب الشارع من شريعته حتى يصيروا كنفس واحدة الخامس ويتساقون
بكاس روية واستعار لفظ الكاس للعلم اى يستفيد بعضهم من بعض ورشح بذكر الروية ورويها
تمام الافادة السادس ويصدرون بريئة اى يصدر كل منهم من الاخر بفايدة قد ملات نفسه
كمالا ولفظ الرية مستعار السابع كونهم لا تشوبهم الريبة اى لا يتداخل بعضهم شك في بعض وتهمة
نفاق او سوء باطن له من غل او حسد الثامن ولا تسرع فيهم الغيبة وانما نفى عنهم سرعة الغيبة لان
فيهم من ليس بمعصوم فلم يمكن نفيها عنهم بالكلية بل استبعد وقوعها منهم ويحتمل ان يريد انهم لقلة
عيوبهم لا يكاد احد يتسرع فيهم بغيبة التاسع كونهم على ذلك عقد الله خلقهم اى على ذلك الوصف
والكمال قد خلقهم على وفق قضائه لهم بذلك واوجدهم فعليه اى فعلى ما عقد خلقهم عليه من الكمال
يتحابون وبه يتواصلون العاشر كونهم في ذلك كتفاضل البذر اى كانوا في فضلهم بالقياس
الى الناس كتفاضل البذر واشار الى وجه الشبه بقوله ينتقى الى قوله التمحيص وتقريره انهم
خلاصة الناس ونقاوتهم الذين صفاهم منهم وميزهم عنهم تخليص عناية الله لهم بافاضة رحمته
وهدايته الى طريقه وخلصهم ابتلاؤه واختباره باوامره كما ينتقى البذر الى آخره وعود الى النصيحة
والموعظة وارادة كرامة الله تعالى كما قال تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وبالتقرب الى الله منها
قبل حلول اجلها فارجع الموت ثم امران يعتبر المرء قصر ايام حياته وقلة مقامه في منزل يستلزم الاقامة
القليل فيه بهذه الغاية وهى ان يستبدل به منزلا اخرى يجعل محل خبرته اقامة المقيم في هذه الدنيا
المستلزمة لاشتغاله بها الى الآخرة فانه في تصوره قلة المقام في هذا المنزل مستعد الى منزل اخر
خيرة تامة ويحتمل ان تكون حتى غاية من امره بالنظر في الاعتبار اى فليعتبر في ذلك المنزل المستبدل به
غيره واذا كان كذلك فينبغى ان يعمل لذلك المنزل المتحول اليه ومعارف منتقله اى المواضع التي
يعرف انتقاله اليها وطوبى لذى قلب سليم من العيب فطوبى لها واو الضمير قبلها وقيل هى اسم شجرة في الجنة
وقلب سليم اى لم يتدنس برذائل الجهل المركب ولا بنجاسات الاخلاق الردية ومن يهديه اى يرشده
الى نفسه عليه السلام وائمة الدين ومن يرديه في مهاوى الهلاك المنافقون وائمة الضلالة واطاع
لسبل السلامة وتوفيقه على سبل الله عند هداية هداية من هداه وطاعته لما امره بسلوكها
وبادرته الهدى مسارعته اليه قبل غلق ابوابه واستعار لفظ الابواب لوجوه الدين
من قبله ورشح بذكر الغلق واراد به عدمهم او موت الطالب وكذلك استعار لفظ الاسباب
لهم ووجه الاستعارة كونهم وصلة الى المراد كالحبال ورشح بذكر القطع واراد به ايضا موتهم
واستفتح التوبة استقبالها والشروع فيها واماط الحوبة اى ازال الاثم من لوح نفسه بتوبته
وقوله فقد اقيم الى آخره اشعار منه باقامة اعلام الله وهم العلماء والكتاب المنزل والسنة النبوية
والهداية بها الى واضح سبيله ليهتدى الناس بها ويسلكوا على بصيرة وبالله التوفيق والعصمة

فانها اذا اعتبرت كانت شرورا ومع ذلك فهى من لوازم الخير والعدل لابد منها ولا يمكن
ان يكون العدل والخير من دونها كما لا يمكن ان يكون للانسان الا وهو ذو شهوة وغضب
نزهها العقل والشرع الجزوى لما كان الخير اكثر وكان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شرا كثيرا
في الجود والحكمة وجب وجود تلك الشرور الجزئية لوجود ملزوماتها واشار بقوله عدل الى ايجاد
العدل بالفعل وبقوله في وصف الرسول صلى الله عليه وآله سيد عباده الى قوله انا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله
كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما الخلق قسمة كل قرن وفرقة الاخيار والاشرار والقسمة تمييز المقسوم
واجزاء عن حال اتحاده وقوله جعله في خيرهما اشارة الى ما روى عنه صلى الله عليه وآله قال المطلب بن
ابى وداعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلنى
في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلنى في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبايل فجعلنى في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلنى في
خيرهم فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا وقوله لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر اى لم يضرب
فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في اصله شرك يقال ضرب في كذا بنصيب اذا كان له فيه شرك
وهو اشارة الى طهارته من قبل اصله عن الزنا كما روى عنه صلى الله عليه وآله لم يزل ينقلنى الله تعالى من
اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال صلى الله عليه وآله لما خلق الله آدم اودع نوري في جبينه
فما زال ينقله من الاباء الاخاير الى الامهات الطواهر حتى انتهى الى عبد المطلب وقال انا ولدت
من نكاح لا من سفاح وقوله الا وان الله الى قوله عصم ترغيب للسامعين ان يكونوا اهل الجنة
ودعايم الحق وعصم الطاعة وكذلك قوله وان لكم الى قوله من الله تعالى جذب لهم الى طاعته
بذكر العون منه وكانه عنى بالعون القرآن الكريم وقوله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة
تفصيل لوجوه العون منه تعالى وعونه من جهة القول على الالسنة وعده المطيعين بالثواب
العظيم على الطاعة ومدحه لهم وتبشيره لهم بالجنة والرضوان منه على السنة الرسل فان كل ذلك
مقو على الطاعة ومعين عليها واما تثبيت الافئدة فمن جهة الاستعداد لطاعة الله واستلامه
انواره من كتابه العزيز واستكشاف اسراره كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله
كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وان في القرآن الكريم من المواعظ والزواجر
المخوفة ما يوجب الفزع الى الله وثبات القلوب على طاعته للخلاص منها وقوله فيه كفاء لمكتف
اى في ذلك القول كفاية لطالبى الاكتفاء اى من الكمالات النفسانية وشفاء لمن طلب الشفاء
من امراض الرذايل الموبقة ثم نبه على عباد الله الصالحين ووصفهم ليقتفوا آثارهم ويكونوا
منهم فاعلم انهم هم الذين استحفظهم علمه واسرار خلقه فمن صفاتهم امور احدها انهم يصونون
ما وجب صونه من غير اهله ولا يصيبون اسراره الا الى اهله الثانى يفجرون عيونه ولفظ
العيون مستعار لمادته وهى اذهان الانبياء والاولياء وائمة العلماء واما لاصوله
الطيبة وحملة التى علموها ويكون لفظ التفجير مستعار لافادتها وتفريقها وتفصيلها الثالث

ذو وجهين

ومن دعائه عليه السلام كان يدعو به كثيرا الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقي بسوء ولا مأخوذا باسوإ عملي ولا مقطوعا دابري ولا مرتدا عن ديني ولا منكرا لربي ولا مستوحشا من ايماني ولا ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب الامم من قبلي اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة علي ولا حجة لي لا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك او اضل في هداك او اضام في سلطانك او اضطهد والامر لك اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك او نفتتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك

اقول الدابر بقية الرجل من ولده ونسله والدابر الظهر والالتباس الاختلاط والاضطهاد الظلم والتتابع التهافت في الشر والقاء النفس فيه وقد حمد الله تعالى باعتبار ضروب من النعم اعترف بها وعد منها عشرة وهي الحيوة والصحة والسلامة من آفات العروق وامراضها ومن الاخذ بالجريمة وقطع النسل ويحتمل ان يريد بالدابر الظهر وكنى بالقطع عن الرمي بالدواهي العظيمة التي من شانها قصم الظهر وقطع القوة ثم عن الارتداد عن الدين ثم عن جحود ربوبيته ثم عن الاستيحاش من الايمان واستثقاله والنفرة عنه ثم من اختلاط العقل ثم من التعذيب بعذاب الامم السالفة بالصواعق والخسف ونحوها وعقب ذلك الحمد بالاقرار على نفسه بصفات الخضوع والذل المستلزمة لاستنزال الرحمة وعد منها خمسة وهي كونه عبدا مملوكا لله تعالى ثم كونه ظالما لنفسه ثم كونه معترفا بحجة الله عليه منقطع الحجة في نفسه ثم كونه معترفا بعدم الاستطاعة ان يأخذ الا ما قسم الله له وسبب له الوصول اليه وانه لا يقدر ان يتقي من المضار الا ما وقاه الله اياه ثم لما اعد نفسه بهذه الاقرارات لقبول الرحمة من الله استعاذ به من امور وهي ان يفتقر في غناه تعالى اي ان يفتقر مع انه الغني المطلق وان يضل في هداه اي مع ان له الهدى الذي لا ضلال معه وان يظلم في سلطانه اي مع ان له السلطان الظاهر وان يضطهد وله الامر القاهر ثم سال ان يجعل نفسه اول كريمة ينتزعها من كرائمه واراد بكرائمه قواه النفسانية والبدنية واعضاءه وغرض السؤال بقيته بجميعها سليمة من الآفات الى حين الممات فتكون نفسه اول منتزع من كرائمه قبل ان يفقد شيئا منها ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اي اجعلهما باقيين صحيحين الى حين وفاتي واستعار لفظ الوديعة للنفس باعتبار انها في معرض الاسترجاع كالوديعة ثم استعاذ به من الذهاب عن قوله تعالى والافتتان عن دينه وقد روى الرضي رحمه الله يفتتن بالبناء للفاعل على ان تكون الفتنة من النفس الامارة وروي يفتتن بالبناء للمفعول فيكون المستعاذ منه الفتنة بالغير ثم من الانخراط في سلك الاهواء وتتابعها به في مراقي الشقاوة دون الهدى الذي جاءت به الكتب الالهية من عند الله وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين

اما بعد

اما بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقا بولاية امركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناصف لا يجري لاحد الا جرى عليه ولا يجري عليه الا جرى له ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه وادى الوالي اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعية واليها او اجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار وتعظم تبعات الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه فليس احد وان اشتد على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه

فاجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال عليه السلام ان من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وان احق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظما وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان يكون جال في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي الى الله واليكم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها وفرائض لا بد من امضائها فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ ولا آمن

ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب
غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى
وأعطانا البصيرة بعد العمى **أقول** إذ لا لها وجوهها وطرقها وأجحف بهم ذهب بأصلهم والإدغال
الإفساد والخديعة أدغلت فيه بالإفساد والإزراء والتحقير أضعف وأصغر والبادرة الحدة وخرفي
الفضل جمع كلمتهم وأعانهم على أوامره فأشار أولا إلى أن الكل منه ومنهم على الآخر حق يجب أن
يجمع إليه منه فيقوم عليهم حق ولايته أمرهم وحقهم عليه حق الرعية على الوالي وهو مثله في وجوب
مراعاته وفي استلزامه للوازم التي سنذكرها وقوله فالحق أوسع إلى قوله قضاه تقرير لوجوب
حقه عليهم وكالتوبيخ لهم على قلة الإنصاف فيه ومعناه أنه إذا أخذ الناس في وصف الحق وبيانه
كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على ألسنتهم وإذا حضر التناصف بينهم وطلب منهم ضاق عليهم
المجال لشدة العمل بالحق وصعوبة الإنصاف لاستلزامه ترك بعض المطالب المحبوبة لهم وإطلاق
السعة والضيق على الحق استعارة ملاحظة لشبهه بما يتوهم فيه [illegible] القول وضيقه عن العمل
بالمكان الذي يتسع لشيء ويضيق عما هو أعظم منه وقوله لا يجري لأحد إلا جرى عليه تقرير لحقه
عليهم وتوطين لنفوسهم عليه ولا يجري عليه إلا جرى له تسكين لنفوسهم بذكر الحق لهم ثم أعاد تقرير
الحق عليهم بحجة في صورة متصلة وهي لو كان لأحد أن يجري له الحق ولا يجري عليه لكان الله تعالى
هو أولى بخلوص ذلك له دون خلقه ثم بين الملازمة بقوله لقدرته إلى قوله صروف قضائه
أي لكونه قادرا على عباده ولا ينتصف منهم مع كونه لا يستحق عليه شيء لعدله فيه وفي كل
ما جرت به مقاديره التي هي صروف قضائه كان أولى بخلوص ذلك له دون خلقه ثم استثنى
نقيض التالي باستثناء ملزومه وهو قوله ولكنه تعالى جعل إلى قوله أهله ومعناه لكنه تعالى جعل نفسه
على عباده حقا هو طاعتهم له ليثبت لهم بذلك حقا يكون جزاء طاعتهم له فقد ثبت أنه لم يخلص ذلك
له تعالى بل كما أوجب على عباده حقا له أوجب لهم على نفسه حقا فإذن لا يجري لأحد حق
إلا جرى عليه وهو نقيض المقدم وفي قوله مضاعفة الثواب إلى قوله أهله تنبيه لهم على أن الحق
الذي أوجبه على نفسه أعظم مما أوجب لها مع أنه ليس بحق وجب عليه بل تفضل منه عليهم بما هو
أهله من مزيد النعم ليتخلقوا بأخلاق الله في أداء ما وجب عليهم من الحق بالفضل وجوده ويقابلوا
ذلك التفضل بمزيد الشكر وتلك المضاعفة كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
ونحوه وقوله ثم جعل سبحانه إلى قوله بعض كالمقدمة لما يريد أن يبينه من كون حقه عليهم واجبا
من قبل الله تعالى وهو حق من حقوقه فيكون أدعى لهم إلى أدائه وبين فيها أن حقوق الخلق بعضهم
على بعض هي من حق الله تعالى من حيث أن حقه على عباده هو الطاعة وأداء تلك الحقوق طاعات له
كحق الوالد على ولده وبالعكس وحق الزوج على الزوجة وحق الوالي على الرعية وبالعكس
وقوله فجعلها تتكافأ في وجوهها أي جعل كل وجه من تلك الحقوق مقابلا بمثله فحق الوالي وهو الطاعة

من الرعية

من الرعية مقابل بمثله منه وهو العدل فيهم وحسن السيرة ولا يستوجب كل منهما الحق إلا بالآخر ثم قال
وأعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي لأن في هذين الحقين
أمرين كليين تدور عليهما أكثر المصالح في المعاش والمعاد وأكد ذلك بقوله فريضة فرضها الله سبحانه
لكل على كل أي ذلك فريضة وقوله فجعلها نظاما إلى قوله عند العباد إشارة إلى لوازم حق الوالي
على الرعية وحق الرعية على الوالي إذا أدى كل إلى كل حقه فإن الله تعالى جعل تلك الحقوق سببا
لألفتهم وقد بينا فيما سلف غير مرة أن الألفة من أعز مطالب الشارع وإنما مطلوبة من اجتماع الخلق
على الصلوة في المساجد في كل يوم خمس مرات وفي كل أسبوع مرة في المسجد الأعظم وفي كل سنة
مرتين في الأعياد والتناصف والاجتماع في طاعة الإمام العادل من موجبات الأنس والألفة والمحبة
في الله حتى يكون الناس كلهم كرجل واحد عامل بأصوله وفروعه وبما فيه وتجنب عنه ب
أنه جعل تلك الحقوق عزا لدينهم وظاهر أن الاجتماع إذا كان سببا للألفة والمحبة كان سببا عظيما
للقوة وقهر الأعداء وإعزاز الدين ثم أكد القول في أن صلاح الرعية منوط بصلاح الولاة وهو أمر
قد شهدت به العقول وتواطأت عليه الآراء الحقة وإليه أشار القائل تهدى الرعية ما استقام
الرئيس وقول الآخر تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد
وكذلك صلاح حال الولاة منوط بصلاح الرعية واستقامتهم في طاعتهم وفساد أحوالهم بعصيانهم
ومخالفتهم فإذا أدى كل من الوالي والرعية الحق إلى صاحبه عز الحق والدين فيهم ولم يكن لهم خلاف
ج من لوازم ذلك قيام مناهج الدين وطرقه بالاستقامة على قوانينه والعمل بها د واعتدال
معالم العدل ومظانه بحيث لا جور فيها ه وجريان السنن على وجوهها ومسالكها بحيث لا تحريف
فيها ولا تبديل و صلاح الزمان بذلك ونسبة الصلاح إليه مجاز إذ الصلاح في الحقيقة يعود إلى حال
أهل الزمان وانتظام أمورهم في معاشهم ومعادهم وإنما يوصف بالصلاح والفساد باعتبار
وقوعها فيه وكونه من الأسباب المعدة لها ز من لوازم ذلك الطمع في بقاء الدولة ويأس مطامع
الأعداء في فسادها وهدمها وقوله وإذا غلبت إلى قوله عند العباد إشارة إلى ما يلزم عصيان
الرعية للإمام أو حيفه هو عليهم وإجحافه بهم من المفاسد فا اختلاف الكلمة وكني به عن اختلاف الآراء
والتفرق بسببه ب ظهور معالم الجور وعلاماته وهو ظاهر لعدم العدل لعدم أسبابه ج
كثرة الإفساد في الدين وذلك لتبدد الأهواء وتفرقها عن رأي الإمام العادل الجامع لها وأخذ
كل فيما يشتهيه مما هو مفسد للدين ومخالف له د ترك محاج السنن وطرقها من الإمام الجائر
ومن الرعية لتبدد نظام آرائها ه العمل بالهوى وعلته ما مر و تعطيل الأحكام الشرعية
وهو لازم للعمل بالهوى ز كثرة علل النفوس وعللها أمراضها بملكات السوء كالغل والحسد
والعداوات والعجب والكبر ونحوها وقيل عللها وجوه ارتكابها المنكرات فيتأول في كل منكر
بوجه وعلة ورأي فاسد ح فلا يستوحش لعظيم حق عطل وذلك لأنس النفس بتعطيله ولا لعظيم باطل فعل

وذلك لاتباده والاتفاق عليه وكونه منتهى الاهوية ط فما لكم لا تنزل الابرار لنزاهة الحق المطل الذي اهم
وكان غيرهم بعزة ى وتنزاه شرار لعزة الباطل الذي هم عليه بعد ذلكم بعزة الحق ياء وبعظم تبعات
الله على العباد اي عقوباته بسبب خروجهم عن طاعته وما يتبع لوازم طاعته وعصيانه قال فعليكم بالتناصح
في ذلك اي في ذلك الحق وحسن التعاون عليه وقوله فليس احد الى قوله من الطاعة له تاكيد لامره بما
في طاعة الله اي فليس احد من الناس يبلغ بطاعته لله ما هو اهله منها وان اشتد حرصه على رضاه وطال
فيه اجتهاده ولكن على العباد من ذلك يبلغ جهدهم في النصيحة والتعاون على اقامة حق الله بينهم
بقدر الامكان لا بقدر ما يستحقه هو تعالى فان ذلك غير ممكن وقوله وليس امرء وان عظمت
الى قوله حمله اي ليس احد وان بلغ المرء اي درجة كانت من طاعة الله فهو محتاج الى ان يعان
عليها وليس هو بان يعان على ما حمله الله منها وذلك ان التكليف امر تعالى بطاعته بحسب وسع المكلف
والوسع في بعض العبادات قد يكون شروطها معونة الغير فيها فلا يستغني احد عنها وقوله ولا امرء
وان اصغرته النفوس الى قوله او يعان عليه اشارة الى انه لا ينبغي ان يزدري احد عن الاستعانة به
في طاعة الله او ان يعان عليها فانه وان احتقرته النفوس فليس بدون ان يعين على طاعة الله
واداء حقه ولو بقبول الصدقات ونحوها او يعاون عليها باعطاء ما يسد خلتهم او يدفع عنهم ضررا
كالجاه ولفظ الاقتحام استعارة ووجهها ان الذي تحتقره النفوس تجترئ عليه وتعبره العيون
عبور الاحتقار فكانها قد اقتحمته وغرضه من هذا الكلام الحث على استعانة بعض ببعض وعلى الالفة
والاتحاد في الدين وان لا يزدري فقير لفقره ولا ضعيف لضعفه وان المستغني غني عن فقير
فلا يلتفت اليه ولا قوي عن ضعيف فيحقره بل ان يكون الكل كنفس واحدة واما قوله لمن اكثر
عليه الثناء فاصله التاديب على الاطراء والنهي عن الغلو في الثناء على الانسان في وجهه بالفضائل
وان كانت حقة وسره ان ذلك يستلزم في كثير من الناس الكبر والعجب بالنفس والعمل فقوله
ان من حق من عظم الى قوله احسانه اليه مقدمة في الجواب بين فيها ان من عظمت نعم الله عليه ولطف
احسانه اليه فحقه ان يصغر عنده كل ما سواه بقياس من الشكل الاول وتقدير صغراه ان من عظمت
نعم الله عليه ولطف احسانه اليه فهو احق الناس بتعظيم جلال الله في نفسه واجلال موضعه من قلبه
وتقدير كبراه وكل من كان احق بذلك فمن حقه ان يصغر كل ما سواه عنده ودل على الكبرى بقوله
لعظم ذلك اي لعظم جلال الله في قلبه يجب ان يصغر عنده كل شيء سواه وهذه المقدمة وان
كانت عامة الا ان الاشارة الخاصة بها الى نفسه وذلك ان اعظم نعم الله في الدنيا ظاهرا عليه
وفي الآخرة ما هو عليه من الكمالات النفسانية فكان احق الناس بتعظيم جلال الله في نفسه وكان
بذلك من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه ثم قال ومن اسخف حالات الولاة الى قوله الكبر
فكانه قال ومن كان من حقه ان يصغر كل ما سوى الله في قلبه فكيف يليق به ان يحب الفخر او يوضع
امره على الكبر الذين لا يليقان الا بعظمة الله او يظن به ذلك ويعامل بما يعامل به الجبابرة من الخطب

وصح

وصح بان المراد نفسه في قوله وقد كرهت الى آخره وقوله ولو كنت احب ان يقال في ذلك يجري
مجرى تسليم الجدل اي وهب اني احب ان يقال ذلك في باعتبار ما فيه من اللذة لكني لو كنت
لك لتركته باعتبار اخر وهو الانحطاط والتصاغر عن تناول ما انا احق به من العظمة والكبرياء
في ذلك على ان الاطراء يستلزم التكبر والتعظم فكان تركه وكراهته لكونه مستلزما لهما وقوله
وربما استحل الناس الثناء بعد البلاء يجري مجرى تمهيد العذر لمن اثنى عليه فكانه يقول وانت معذور
في ذلك حيث رايتني اجاهد في الله واحث الناس على ذلك ومن عادة الناس ان يستحلوا الثناء عند
ان يبلو بلاء حسنا في جهاد وغيره من سائر الطاعات ثم اجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله فلا تثنوا
علي بجميل ثناء الى قوله من اخراجها واراد فلا تثنوا علي لاجل ما ترونه مني من طاعة الله فان ذلك انما
اخراج لنفسي الى الله من حقوقه الباقية علي لم اخرج بعد من ادائها وهي حقوق نعمه ومن فرائضه التي
لا بد من المضي فيها وكذلك اليكم من الحقوق التي اوجبها الله علي لكم من النصيحة في الدين والارشاد الى
الطريق الاقصد والتعليم لكيفية سلوكه وفي خط الرضي رحمه من التقية بالتاء والخاء فان الذي افعله
من طاعة الله انما هو اخراج لنفسي الى الله واليكم من بقية الحقوق فيما يجب علي من الحقوق اذ كان عليه السلم
انما يعبد الله لله غير ملتفت في شيء من عبادته واداء واجب حق الى احد سواه خوفا منه او رغبة اليه وكانه
قال لم افعل شيئا الا وهو اداء حق وجب علي واذا كان ذلك كذلك استحق ان يثنى علي لاجله ثناء جميل
واقابل بهذا التعظيم وهو من باب التواضع لله وتعليم كيفيته وكسر النفس عن محبة الباطل والميل اليه وقوله
فلا تكلموني الى قوله بعدل ارشاد لهم الى ما ينبغي ان يكونوا عليه من السيرة عنده ونهاهم عن امور فان
ان لا يكلموه بكلام الجبابرة لما فيه من اغراء النفس ولانه عليه السلم ليس بجبار فيكون ذلك منهم وضعا
للشيء في غير موضعه ب ان لا يتحفظوا منه بما يتحفظ به عند اهل البادرة وسرعة الغضب من الملوك
وغيرهم وذلك التحفظ كتكلف ترك المسارة والحديث اجلالا وخوفا منه او كترك مشاورته
او اعلامه ببعض الامور او كالقيام بين يديه فان ذلك التحفظ قد يفوت به مصالح كثيرة ولانه مما
يغري النفس بحب الفخر والعجب ولانه وضع للشيء في غير موضعه ج ان لا يخالطوه بالمصانعة و
النفاق لما فيه من فساد الدين والدنيا د ان لا يظنوا به استثقالا للحق يقال له وان كان فيه مرارة
واستعار لفظ المرارة لشدة الحق وصعوبته فان عدله عليه السلم يستلزم قبول الحق كيف كان
ه ان يظنوا به انه يلتمس الاعظام لنفسه وذلك لمعرفته بمن هو اهله دونه وهو الله تعالى وقوله
فانه من استثقل الى قوله اثقل قياس ضمير من الشكل الثاني بين فيه انه لا يستثقل قول الحق له وعرض
العدل عليه لنزول الحق من ظن ذلك به والمذكور هو صغرى القياس وتلخيصها ان من استثقل
قول الحق له وعرض العدل عليه كان العمل بالحق والعدل عليه اثقل بطريق الاولى وتقدير الكبرى
ولا شيء من العمل بهما بثقيل علي اما الصغرى فظاهرة لان تكلف فعل الحق اصعب على النفس من سماع
وصفه واما الكبرى فلانه عليه السلم يعمل بهما من غير تكلف ولا استثقال كما هو المعلوم من حاله فينتج انه

لا شيء من قول الحق له وعرض العدل عليه ثقيل فلا تكفوا عن قول حق ومشورة بعدل فانه لست
من ذلك من المفسدة. وقوله فاني لست الى قوله مني من قبيل التواضع الباعث لهم على الانبساط معه
بقول الحق وفي قوله الا ان يكفي الله من نفسي اي من نفسي الامارة بالسوء ما هو اقوى مني على دفعه و
كفايته من شرورها وهو اسناد العصمة الى الله تعالى. وقوله فانما انا وانتم الى آخره تاديب في
الانقياد لله وتذليل لعظمته وظاهر كونه تعالى يملك منا من انفسنا ما لا نملك وخواطرنا اذ الكل منه
وهو مبدأ خلقه والاستعداد له. وقوله واخرجنا مما كنا فيه اي من الضلالة في الجاهلية وعمى الجهل
بحيث عن ادراك الحق وسلوك سبيل الله الى ما صلحنا عليه اي من الهدى لسبيل الله والبصيرة لما
ينبغي من مصالح الدارين وذلك ببعثة الرسول صلى الله عليه وآله وظهور نور النبوة عنه. **ومن كلام له عليه السلام**

اللهم اني استعديك على قريش فانهم قد قطعوا رحمي واكفأوا انائي واجمعوا على منازعتي حقا كنت
اولى به من غيري وقالوا الا ان في الحق ان تأخذه وفي الحق ان تمنعه فاصبر مغموما او مت متأسفا
فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل بيتي فضننت بهم عن المنية فاغضيت
على القذى وجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على امر من العلقم والم للقلب من حز الشفار
قال السيد رضه وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة متقدمة الا اني كررته هاهنا لاختلاف الروايتين

اقول استعديك استعينك والاسم العدوى وهي الاعانة واكفأت الاناء وكفاته كببته
والرافد المعاون والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغم والحزن
من الم فيكون الانسان كالمغتص بلقمة ونحوها والعلقم شجر مر والشفار جمع شفرة وهي السكين
وغرض الفصل التظلم والتشكي والاستعانة بالله على قريش فيما دفعوه عنه من حق الامامة
الذي هو اولى به وكنى عن ذلك بقطع الرحم وكذلك كنى بقلب انائه عن اعراضهم وتفرقهم عنه
فان ذلك من لوازم قلب الاناء كما ان من لوازم بغضهم له وبعدهم اجتنابهم واجتماعهم عليه وقوله
اجمعوا الى قوله غيري قالت الشيعة الاشارة بالمجمعين الى قريش حين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك
الغير الذي كان هو اولى منه هم الخلفاء الثلثة قبله وقال غيرهم بل اشار بالمجمعين اليهم وقت
الشورى واتفاقهم بعد التردد الطويل على عثمان فلا يدخل الشيخان الاولان في هذه الشكاية
والقول الاول اضعف اذ صح نقل هذه الشكاية من الائمة الثلثة قبله في الخطبة الشقشقية كما بينا
وبالجملة مراده من هذا الكلام وامثاله بعد استقراء اقواله وتتبع احواله لا يخفى على عاقل ويشبه
ان يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة والزبير الى البصرة تظلما عليهما فيكون المفهوم
من قوله واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري انكارا لاجماعهم منازعته ذلك الحق
فانه اذا كان اولى به ممن سبق من الائمة على جلالة قدرهم وتقدمهم في الاسلام فكيف لا يكون
مع كونهم ادون حالا منهم وهو كقوله فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم
حتى صرت اقرن الى هذه النظائر. وقوله وقالوا الا ان في الحق الى قوله متأسفا حكاية لقولهم

بلسان

بلسان حال فعلهم لا انهم قالوا ذلك. وقوله فنظرت الى آخره قد مضى تفسير مثله في الشقشقية وفي
فصل بعد ثلثة وعشرين فصلا. وقوله والم للقلب من حز الشفار ظاهر فان تألم النفوس بما يفوتها
من الكمالات النفسانية اشد بكثير من الالام الحسية من حز السكين وغيره ومن طالع الفصلين المتقدمين
علم التفاوت في الرواية لهما وبالله الفضل. **ومن هذا الكلام في ذكر السائرين الى البصرة لحربه عليه السلام**

فقدموا على عمالي وخزان بيت مال المسلمين الذي في يدي وعلى اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا
كلمتهم وافسدوا علي جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة عضوا على اسيافهم
فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين.

اقول عضوا على اسيافهم اي لزموها واشار بالمصر الى البصرة
وبالذين قدموا على عماله الى طلحة والزبير وعايشة واتباعهم فما حالهم مع عماله وما فعلوا بهم وبخزان
بيت المال بالبصرة فقد مر ذكره مستوفى وبالله التوفيق. **ومن كلام له عليه السلام** لما مر بطلحة وعبد الرحمن
ابن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل. لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريبا اما والله لقد
كنت اكره ان تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ادركت وتري من بني عبد مناف وافلتتني
اعيان بني جمح لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه.

اقول هو عبد الرحمن بن عتاب
ابن اسيد بن ابي العاص بن امية شهد واقعة الجمل وقتل بها وروي ان عقابا احتمل كفه فاصابت
باليمامة في ذلك اليوم وعرفت بخاتمه وكان يدعى يعسوب قريش واعيان جمح خيارهم وهم سادات
القوم واوتادهم وجمح قبيلة واتلعوا مدوا اعناقهم كالمتطلعين الى الامر ووقصوا كسرت
اعناقهم وابو محمد كنية طلحة. وفي الفصل اشارات فالاولى انه تكلم عليه السلام لمن قتل من مخالفيه
ومن قتل من عسكره لم يكن الا اقامة للدين ونظام العالم فان قلت ان قتل هؤلاء على كثرتهم فساد
حاضر قلنا انه وان كان فسادا الا انه جزئي بالنسبة الى صلاح جمع المسلمين في مصر حرسها بالنسبة
الى صلاح اكثر بلاد المسلمين وقتل ما هو بصورة جزئية من الفساد لمصلحة كلية واجب في الحكمة كقطع
عضو فاسد لاصلاح باقي البدن. الثانية قوله تحت بطون الكواكب كناية لطيفة عن الفلوات واراد
اني كنت اكره ان يكونوا بهذه الحالة في الفلوات بحيث لا كن ولا ظل يواريهم. الثالثة قائل ان
يقول لم قال عليه السلام ادركت وتري من بني عبد مناف والوتر الحقد وهو رذيلة فكيف يجوز
منه عليه السلام ان ينسبه الى نفسه ويقول قد ادركته والجواب ان الحقد تعود حقيقته الى ثبات
الغضب وبقاء صورة المؤذي في الخيال ومن حيث ان ذلك الغضب مقصور على المؤذي في الدين
لا يكون رذيلة ولا يكون اخذ الحق به والنصرة لمكروهه. الرابعة ان طلحة والزبير كانا من بني عبد مناف
من قبل الام دون الاب فان ابا الزبير من بني عبد العزى بن قصي بن كلاب واما طلحة فمن بني سعد
ابن تيم بن مرة وكان في زمن امير المؤمنين عليه السلام من بني جمح عبد الله بن صفوان بن امية بن
خلف وعبد الرحمن بن صفوان وقيل كان مروان بن الحكم منهم اخذ اسيرا يوم الجمل واستشفع
بالحسين الى ابيه عليهما السلام وروي عوض اعيان اعيار بني جمح وهم السادات ايضا والاكابر

اللامع رقابهم استعارة كنى بها عن تقاعدهم لامر الخلافة مع كونهم ليسوا اهلا لها وقصهم كناية عن
منعهم دون ذلك الامر وقصورهم عنه **ومن كلام له عليه السلم** قد احيا عقله وامات نفسه حتى
دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته
الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما
استعمل قلبه وارضى ربه **اقول** هذا الفصل من اجل كلام له في وصف السالك المحقق الى الله وفي
كيفية سلوكه المحقق وافضل اموره فاشار باحياء عقله الى صرف همته في تحصيل الكمالات العقلية
من العلوم والاخلاق واحياء عقله النظري والعملي بها بعد الرياضة بالزهد والعبادة واشار
باماتة نفسه الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتطويعها بالعبادة للنفس المطمئنة بحيث لا يكون
لها تصرف بمقتضى طباعها الا باذن العقل وباعثه فكانت في حكم الميت عن الشهوات و
الميول الطبيعية الذي لا تصرف له من نفسه وقوله حتى دق جليله اي حتى انتهت به اماتته
لنفسه الشهوية الى ان دق جليله وكنى بجليله عن بدنه فانه اعظم ما يرى منه ولطف غليظه
اشارة الى لطف بدنه ايضا ويحتمل ان يشير به الى لطف قواه النفسانية بتلك الرياضة وكسر
الشهوة فان اعطا القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك في الماكل والمشارب مما يثقل
البدن ويكدر الحواس ولذلك قيل البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة والغلظ فاذا
حضرت مشاهد العقل لها لطفت الحواس عن ظلمة الابخرة المتولدة عن التملي بالطعام والشراب
ولطف للطف ذلك ما غلظ من جوهر النفس بالهيات البدنية المكتسبة من متابعة النفس
الامارة بالسوء كلطف المراة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف سببا لاتصالها بعالمها
واستشراقها للانوار من الملا الاعلى وقوله وبرق له لامع كثير البرق اشار باللامع الى ما
يعرض للسالك عند بلوغ الارادة بالرياضة به حدا ما من الخلسات الى الجناب الاعلى من خطرات
انوار الهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع مسماة عند اهل
الطريقة بالاوقات وكل وقت فانه محفوف بوجدين وجد اليه ما قبله ووجد عليه بعده لانه لما
ذاق تلك اللذة ثم فارقها حصل فيه حنين وانين الى ما فات منها ثم ان هذه اللوامع في مبدا
الامر تعرض له قليلا فاذا امعن في الارتياض كثرت فاشار باللامع الى نفس ذلك النور
وبكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد الامعان في الرياضة ويحتمل ان يكون قد استعار لفظ
اللامع للعقل الفعال ولمعانه لظهوره للعقل الانساني وكثرة برقه اشارة الى كثرة فيضان
تلك الانوار الشبيهة بالبروق عنه عند الامعان في الرياضة وقوله فابان له الطريق
اي ظهر له بسبب ذلك ان الطريق الحق الى الله هي ما هو عليه من الرياضة وسلك به السبيل
اي كان سببا لسلوكه في سبيل الله اليه وقوله وتدافعته الابواب اي ابواب الرياضة وهي
ابواب الجنة اعني تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقي والاسباب الموصلة اليها كالعبادات

وترك

وترك الدنيا فان كل تلك ابواب يعبر منها السالك حتى ينتهي الى باب السلامة وهو الباب الذي
اذا دخله السالك تيقن فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله بمعرفته ان تلك هي الطريق
وذلك الباب هو الوقت الذي اشرنا اليه وهو اول منزل من منازل الجنة العقلية وقوله
وثبتت رجلاه الى قوله والراحة في قرار الامن متعلق بثبتت وهو اشارة الى الطور الثاني
للسالك ما دام في مرتبة الوقت فانه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق في سره اضطراب
وقلق يحس بها خلسة لان النفس اذا فاجاها امر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت
تلك الغواشي الفتها فصارت بحيث لا تنزعج عنها ولا تضطرب لورودها عليها البدن بل تسكن
وتطمئن لثبوت قدم عقله في درجة عالية من درجات الجنة التي هي قرار الامن والراحة من عذاب الله
وقوله بما استعمل الى آخره فالجار والمجرور متعلق بثبتت ايضا اي وثبتت رجلاه بسبب استعمال
قلبه ونفسه في طاعة الله وارضائه بذلك الاستعمال وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
قاله بعد تلاوته الهيكم التكاثر يا له مراما ما ابعده وزورا ما اغفله وخطرا ما افظعه لقد استخلوا
منهم اي مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون
يرتجعون منهم اجسادا خوت وحركات سكنت ولان يكونوا عبرا احق من ان يكونوا مفتخرا
ولان يهبطوا بهم جناب ذلة احجى من ان يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم بابصار العشوة
وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية
لقالت ذهبوا في الارض ضلالا وذهبتم في اعقابهم جهالا تطؤن في هامهم وتستثبتون في اجسادهم
وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام بينهم وبينكم بواك ونوائح عليكم اولئكم
سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا سلكوا في
بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا في
فجوات قبورهم جمادا لا ينمون وضمارا لا يوجدون لا تفزعهم ورود الاهوال ولا يحزنهم تنكر
الاحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا ياذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون
وانما كانوا جميعا فتشتتوا والافا فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت
ديارهم ولكنهم سقوا كاسا بدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا فكانهم في ارتجال
الصفة صرعى سبات جيران لا يتانسون واحباء لا يتزاورون بليت بينهم عرى التعارف
وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء لا يتعارفون لليل
صباحا ولا لنهار مساء اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من اخطار دارهم افظع
مما خافوا وراوا من آياتها اعظم مما قدروا فكلا الغايتين مدت لهم الى مباءة فاتت مبالغ الخوف
والرجاء فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت
اخبارهم لقد رجعت فيهم ابصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق

وايقاظا ع

فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجساد النواعم ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع و
توارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن اجسادنا وتنكرت معارف
صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم
بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت
ابصارهم بالتراب فخسفت وتقطعت الالسنة في افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم
بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات
فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرايت اشجان قلوب واقذاء عيون لهم في كل فظاعة صفة حال
لا تنتقل وغمرة لا تنجلي فكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذي ترف
وربيب شرف يتعلل بالسرور في ساعات حزنه ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به
ضنا بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه فبينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش غفول
اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف من كثب فخالطه بث لا يعرفه
ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده
الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا
حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى
فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا اهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا
دونه شجي خبر يكتمونه فقائل يقول هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم اسى
الماضين من قبله فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عرض له عارض من
غصصه فتحيرت نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده ودعاء
مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي افظع
من ان تستغرق بصفة او تعتدل على عقول اهل الدنيا **اقول** المرام المطلوب والزور الزائر
والخطر الاشراف على الهلاك والتقطيع الشديد الذي جاوز الحد في شدته واستخلوا
اي اتخذوا مخلية الذكر اباهم وشانهم وقيل استخلوا اي وجدوه خاليا والتناوش
التناول والرجي اولا بالجيم وهو العقل والعشوة ركوب الامر على جهل به ويرتعون ينتجعون
وتعطوا رعوا وتركوا والفارط السابق الى الماء والمورد وحلبات الفخر جماعاته و
السوق جمع سوقة وهي الرعية والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث
والفجوات جمع فجوة وهي المتسع من الارض والضمار الغائب الذي لا يرجى ايابه ويحلون
بالون والرواجف الزلازل ويأذنون يسمعون وارتجال الصفة انشاؤها والسبات
النوم واصله الراحة وافظع اشد والباءة الموضع يبوء الانسان اليه اي يرجع وعي عن الكلام
اي عجز عنه والكلوح تكشر في عبوس والاهدام جمع هدم وهو الثوب البالي وتكاءدنا شق علينا

وصعب وتهكمت تهدمت وارتسخت ثبتت في قرارها والهوام واستكت انسدت وذلاقة اللسان
حدته وسهولة الكلام به وهمدت سكنت وبليت وعاث افسد وسمجها قبحها والاشجان الاحزان
والانيق المعجب للناظر وغضارة العيش طيبه والكثب القرب والبث الحال من هم وحزن والقار
والقرور البارد   وفي الفصل فوائد فالاولى اللام في قوله يا له اللام الجر للتعجب كقولهم يا للدواهي
والجار والمجرور في محل النصب لانه المنادى وروي بامراما ومراما وزورا وزورا وخطرا منصوبات
على التمييز المعنى التعجب من بعد ذلك المرام وهو التكاثر فان الغاية المطلوبة منه لا يدركها الانسان
لان كل غاية بلغها ففوقها غاية اخرى قدر ما حيزه خمس تطلع اليها وذلك التعجب من شدة
غفلة الزور اي الزائرين المقابر لان الكلام خرج بسبب الآية وظاهر ان غفلة الانسان
عما يرد اليه ويقدم تلك الزيارة عليه غفلة عظيمة وهي محل التعجب وكذلك التعجب من فظاعة
الخطر والاشراف على شدائد الآخرة فان كل خطر دنياوي يستحقر في جنبه والضمير في قوله
استخلوا للاحياء وفي منهم للاموات ومعنى بالذكر ما خلفوه من الآثار التي هي محل العبرة وقوله
اي مدكر استفهام على سبيل التعجب من ذلك المذكر في حسن افادته العبرة ولما الاعتبار وتناوشوهم
من مكان بعيد اي تركهم ما ينتفعون به وهو المذكر من جهة الاعتبار به وتناولهم من جهة بعيدة والذي
تناولوه هو افتخار كل منهم بآبائه وجملته ومكاثرته بالماضين من قومه الذين هم بعد الموت ابعد
الناس عنه او الذين كانوا هم ابعد الكمالات عنه وكني بالمكان البعيد عن ذلك الاعتبار فان الاموات
وكانوا هم في ابعد الاعتبارات عن الاحياء والانبياء ولذلك استفهم عن ذلك استفهام انكار وتوبيخ
فقال افبمصارع ابائهم يفخرون اي قوله سكت وذلك الارتجاع بالمفاخرة بهم فكانهم مذكرهم
لهم في الفخر قدر اجتماعهم بعد موتهم ويحتمل ان يكون ذلك استفهاما عنه ايضا على سبيل الانكار له
وان لم يكن حرف الاستفهام والتقدير ايجعلون منهم بفخرهم لهم اجسادا خوت وقوله ولان
يكونوا عبرا اي ان يكونوا عبرا تقرير في كونه لتوبيخهم على ترك العبرة بالمذكر الذي هو وجه
النفع واخذهم بالوجه البعيد وهو الافتخار وكشف معناه وكذلك قوله ولان يهبطوا بهم جناب
ذلة اي بالاعتبار بمصارعهم فانه يستلزم الخشوع لعزة الله والخشية منه وذلك اولى بالعقل
والتدبر من ان يقوموا بهم مقام عزة بالمفاخرة والمكاثرة واضاف الابصار الى العشوة
لنسبتها اليها اي نظروا اليها بابصار قلوب غطى عليها الجهل باحوالهم فساروا في تلك الاحوال
بجهالة غامرة لهم وقوله ولو استنطقوا الى قوله لقالت اي لو طلبت منها النطق لقالت بلسان
حالها كذا وكذا الى قوله وتسكنون فيما خربوا ويحتمل ان يكون باقي الفصل كلاما مقولا بلسان حال
تلك الديار والضلال الغيب في قوله ضلالا وجالا على الحال اي ذهبوا في الارض هائمين و
ذهبتم بعدهم جاهلين باحوالهم تطؤون رؤوسهم وتستنبتون الاشجار في اجسادهم وذلك في
المواضع التي بليت فيها الاجساد واستعار لفظ البواكي والنوائح لايام الحيوة ملاحظة شبهها

في مقارهم لما بالاجساد التي فارقتها ارواحها بالموت وقوله اولئك سلف غايتكم وفراط مناهلكم السابقون
لكم الى غايتكم وهي الموت وما بعده والى مناهلكم وهي تلك الموارد ايضا ومقاوم جمع مقام لان الهم
عز واو ملوكا وسوقا نصب على الحال ويطون البرزخ ما غاب وبطن منه عن علومنا ومشاهداتنا
والسبيل فيه هي مسلك القدر بهم الى غاياتهم الاخروية من سعادة او شقاوة ونسبة الاكل و
الشرب الى الارض مجاز يقارب الحقيقة في كثرة الاستعمال وانما سلب عنهم النمو والفزع من ورود
اهوال الارض عليهم والحزن من تغير الاحوال بهم وخطر زلازل الارض وسماع الرياح القاصفة
والانتظار لكون ذلك من توابع الحيوة وصفاتها فان قلت فهذا ينافي ما نقل من عذاب القبر فانه
يستلزم الفزع والحزن قلت انما سلب عنهم الفزع والحزن من احوال الدنيا المشاهدة لنا وذلك
لعلمه بانه الها وسماعها وعذاب القبر ليس من ذلك القبيل بل من احوال الاخرة واهوالها ولا يلزم
من سلب الفزع الخاص سلب العام وقوله غياب لا ينتظرون وشهود لا يحضرون اهل الدنيا وشهودهم
او كان الغائب في الدنيا من شانه ان ينتظر والشاهد فيها حاضر فهم شاهدون بابدانهم مع صدق
الغيبة عليهم عنا اي بانفسهم ولما انقطع ذلك العود لا جرم صدق انهم غيب لا ينتظرون وشهود
لا يحضرون وقوله وما عن طول عهدهم الى قوله سكونا اي عدم علمنا باخبارهم وعمى ديارهم
عنه ذنا ليس لاجل طول عهدنا بهم ولا من بعد محلهم ومستقرهم فان الميت على قرب هو وهو
بعد مطروح الجسد مشاهد لنا تعمى علينا اخباره ولا نسمع نداء ديارة ولكن ذلك لاجل انهم سقوا
كاس المنية فبدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا واسناد العمى الى الاخبار
والصمم الى الديار مجاز كقولهم نهاره صائم وليله قائم وقوله كانهم الى قوله سبات اي
اذا اراد احد ينعتهم صفة حالهم شبههم بالصرعى عن النوم ووجه الشبه عدم الحركات والسماع والنطق
مع الهيئة المشاهدة من المستغرق في نومه ثم نبه على انهم في احوالهم الاخروية من تجاورهم مع وحدتهم
وتهاجرهم ليس كتلك الاحوال في الدنيا اذ من شان الجيران فيها ان يانس بعضهم ببعض والاحباب
ان يتزاوروا والوحدان لا يكون في جماعة والشار بالجوار الى تقاربهم في القبور
وبالمحابة الى ما كانوا عليه من التحاب في الدنيا وبهجرهم الى عدم تزاورهم وكذلك كلهم الى ما
كانوا عليه من المودة في الدنيا وكونهم لا يتعارفون الليل صباحا ولا نهارا مسا لكون الليل والنهار
من لواحق الحركات الدنيوية الغائبة عنهم فكل من الليل والنهار بالنسبة اليهم وكذلك قوله اي
الجديدين الى قوله سرمدا والجديدان الليل والنهار لتجدد كل منهما ابدا واستعار وصف اللعين
لاشغالهم الى الدار الاخرة وكون ذلك الجديد الذي ظعنوا فيه سرمدا عليهم ليس حقيقة لعدم
عوده بعينه بل اسناد السرمدية اليه لكونه جزءا من الزمان الذي يلزمه السرمدية لذاته حقيقة
وقوله شاهدوا الى قوله خافوا في اشارة الى صعوبة اهوال الاخرة وعظم احوالها بالنسبة
الى ما كانوا يخافون منه في الدنيا وذلك امر معروف باخبار الشريعة الحقة وتاكد باستقراء الاذات

والالام العقلية ونسبتها الى الجنة ثم ان الخوف والرجا للامور الاخرة انما يحصلان بسبب وصف
تلك الامور وانما يفعل من تلك الاوصاف ما كان فيه مناسبة وتشبيه بالامور المخوفة والمرجوة
في الدنيا فيقع تصور تلك على قياس هذه فلذلك يسهل علينا ويضعف خوفنا منها ورجاؤنا لها
حتى لو شاهدنا احضار تلك الدار شاهدنا اشد مما نخافه الان ونتصوره ونقدره باوهامنا فلا جرم
لما وصل السابقون شاهدوا افظع مما خافوا ولو الهمهم النطق لعبروا بصفة ما شاهدوا واقاموا
شرحها وقوله وكلتا الغايتين اي غاية المؤمنين والكافرين من سعادة وشقاوة مدت اي جعلتهم
اجل يبقون فيه الى غاية ويرجع وهي الجنة او النار وذلك المرجع يفوت مبالغ خوفنا ورجائنا
اي هو اعظم مما نخافه ونرجوه واسند المد الى الغاية مجازا وقوله وان عميت الى قوله النطق
من فصح الكلام والبلغ والابصار العبر الابصار البصائر التي يعتبر بها واذان العقول مجاز في علمها
باحوالهم التي من شانها ان تسمع اطلاق اسم السبب على المسبب وقوله وتكلموا من غير جهات
النطق اي من غير افواه والسنة لحالية ولكن بالسنة احوالهم وقوله فقالوا الى قوله اشارة
الى ما نطق به السنة احوالهم وحكيه مشاهدة القبور وروى عوض خلت خوت واستعار لفظ الاهدام
للتغير والتكشف والتمزق العارض لجسم الميت لشبهها العظم البالي ويحتمل ان يريد بها الاكفان
والمضجع القبر وتوارث الوحشة اي وحشة القبر واستعار لفظ التوارث لكون تلك الوحشة
كانت لابائهم قبلهم فصلت لهم بعدهم والربوع الصموت ايضا القبور وتلك مساكن الوحشة
ومعارف صورهم ما كان معروفا منها في الدنيا وقوله فلو شكلتهم بعقلك اي تخيلت صورهم
واستحضرتها في خيالك وكشف عنهم محجوب الغطاء لك اي ما حجب باغطية التراب والسواتر
لاجابهم عن بصرك والواو في قوله وقد ارتسخت للحال وتنفظ فلو بهم استعارة لموتهم وحركاتها
واسناد العيث الى جديد البلى مجاز واستعمال للجوارح والعامل لحاث وسهل والكلام
في قوله رايت جواب لو واحسن بقولهم في كل فظاعة صفة حال لا تنقل وغمرة لا تنجلي وصفا
اجماليا فانه لا مزيد عليه في البلاغة اللذيذة واراد بالغمرة من الفظاعة ما يغمرهم من الشدائد
والغذي فعيل بمعنى مغذول اي مغذى بالترف وقوله ويفزع الى السلوة اي عن المصيبة
النازلة له الى المسرات والمتنزهات وضحك الدنيا كناية عن ابتهاجه بها وما فيها من اقبالها
وغاية اقبالها عليه لان غاية المبتهج بالشيء ان يضحك له وذلك ضحك الدنيا مجاز في اقبالها عليه
اطلاق لاسم السبب الغائي على مسببه واصل ظل ابن والالف عن اشباع الفتحة والعيش المغفول
الذي يكثر الغفلة فيه لطيبه واستعار لفظ الحسك للالام والامراض ومصائب الدهر ووجه
المشابهة استلزامها الاذى كاستلزام الحسك له ورشح بذكر الوطي وكذلك استعار وصف النظر
لاقبال المخوف اليه واستعداده لها فشابت في ذلك الاصد شيء المصوب اليه نظره لتقنصه
والبث والنجي من الهم الحال التي لا يجدها الانسان عنده هم الموت من الوسواس والتخيلات والهموم

والاحزان التي لم تكن تعرض له وقوله فتولت بجمع غمرات علل الانس بما كان بصحته وانتصاب الانس على
الحال وما يلي الزمان وكان تامة وبصحته متعلق بالانس اي حال ما هو انس زمان مدة صحته وقيل مصدرية
والتقدير انس لكونه على احوال بصحته وقوله فطفق يطفي ببارد الا ثور حرارة الى قوله داء اشارة الى
لوازم العلاج عند سقوط القوة من المرض الحار والبارد المتقادم لها وليس العلاج بالبارد هو المثور
لحرارة ولا بالعكس لان الدواء معين للطبيعة على مقاومة المرض فلا يكون مثورا له ولكن لما كان مع ذلك
العلاج وتلك الاعانة تغلب الحرارة والبرودة ويضطرب بسبب ذلك الى الدواء وكذلك قوله ولا اعتدل
بممازج تلك الطبايع الا امد منها كل ذات داء اي ولا اعتدل المريض في علاجه نفسه بما يمازج تلك
الطبايع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الا كان مادة لكذا منها وليس مادة على الحقيقة ولكن
لما كان يغلب معه المرض على القوة فكانه مادة له فنسب اليه وهي امور عرضية تقال بالكثرة والكلام هنا
على المتعارف وقوله حتى فتر معلله غاية تلك اللوازم ومعلله طبيبه وممرضه وخرس اهله عن جواب
السائل اشارة الى سكوتهم عند السؤال عن حاله وذلك انهم لا يخبرون عن حاجته لعدمها وكرهوا
الاخبار عنه بما هو عليه من الحال لشدة تهالكهم فيكون شانهم في ذلك السكوت عن حال المشبه بالخرس
فوته فذلك استعارة له وقوله وتنازعوا الى قوله من قبله اشارة الى ما يجاراه اهل المريض المشرف
على الموت من احواله وصوره ما العادة جارية ان يقولوه وقوله فبينا هو كذلك على جناح الاخذ في الموت
المعتاد للناس وقوله وان للموت لغمرات وكونها افظع من ان تحيط بها وصف الانسان
او تستقيم بشرحها على الانسان كما اخبر عليه السلم ويعلم ذلك على سبيل الجملة وبالحدس والقياس اهل
الامراض الصعبة التي يمارسها الناس ويشتد عليهم فيعرف عند مقاساتها ومعاناة شدايدها وكان
يقول لشدة سكرات موته اللهم اعني على سكرات الموت وما يستعين عليه الرسول صلعم مع كمال اتصاله بالعالم
الاعلى فلا شك في شدته وبالله التوفيق وهو المستعان **ومن كلام له عليه السلم** قاله عند تلاوته قوله
تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاَءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ
وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلاَؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي
أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ
وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ
حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ
وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً
فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَوةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ
الْغَافِلِينَ وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ
فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيٰمَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى النَّاسُ

ويسمعون

وَيَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ
أَعْمَالِهِمْ وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَ
حَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ فَضَعُفُوا عَنِ الْاسْتِقْلاَلِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ
مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ لَرَأَيْتَ أَعْلاَمَ هُدًى وَمَصَابِيحَ دُجًى قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ
وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ
يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ وَطُولُ
الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ وَلاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ
فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ **اقول** الوقرة الثقل في الاذن وهو
الصمم والعشوة العشا وهو ظلمة العين بالليل دون النهار والبرهة المدة الطويلة من الزمان
ويهتفون يصيحون والبرزخ ما بعد الموت من مكان وزمان والنشيج الصوت في ترديد النفس مع البكاء
والمنادح جمع مندح وهو المتسع فقوله ان الله سبحانه الى قوله بعد المعاندة انما تنبيه بالاشارة الى الذكر
وفضيلته وفايدته والذكر هو القران الكريم لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه ونحوه وقيل هو
اشارة الى تحميده تعالى وتسبيحه وتكبيره وتهليله والثناء عليه ونحو ذلك واما فضيلته في القران فقوله تعالى
فاذكروني اذكركم وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله ولذكر الله اكبر من غيره على ذكر الله
وقوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله الاية واما من الاخبار فقوله صلى الله عليه وآله ذاكر الله في
الغافلين كالمقاتل في الفارين وقوله صلى الله عليه وآله يقول الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي
شفتاه وقوله ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد
في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك الى ان ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع
ثلثا وقوله من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله ونحو ذلك فاما فايدته فاعلم ان المؤثر
من الذكر والنافع منه ما كان على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور القلب وبدونهما فهو قليل
الجدوى وبذلك الاعتبار هو المقدم على ساير العبادات بل هو روح العبادات العملية وغاية
ثمرتها وكذا اول يوجب الانس بالله واخر يوجب الانس بالله وذلك ان المريد في مبدا امره قد
يكون متكلفا الذكر الله ليصرف اليه قلبه ولسانه عن الوسواس فان وفق للمداومة انس به وانغرس
في قلبه حب المذكور ومما ينبه على ذلك ان احدنا يمدح بين يديه شخص ويذكر بحميد الخصال فيحبه ويعشقه
بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر اضطر الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من
احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر من ذكر شيء وان كان متكلفا احبه وكذلك في اول
ذكر الله متكلف الى ان يثمر الانس به والحب له ثم يمتنع الصبر عنه اخرا فيصير الثمرة مثمرا ولذلك
قال بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس
والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة حتى يصير التكلف طبعا ثم اذا حصل الانس بالله

انقطع عن غير الله وما سوى الله هو يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا [illegible]
ولا يبقى الا المحبوب المذكور فيتمتع به ويتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه من اسباب الدنيا والحجب بها
اذا عرفت ذلك فقوله جعله جلاء اشارة الى غاية ما هي استعداد النفوس بها ومنعها على الوجه الذي
ذكرناه للمحبة المذكور والاعراض عما سواه واستعار لفظ الجلاء لازالة كل ما سوى المذكور عن لوح القلب
بالذكر كما يزال خبث المرآة بالصقال وتجوز بلفظ السمع في اجابتها لما ينبغي ان يسمع من اوامره ونواهيه
وسائر كلامه والوقرة لاعراضها عنها وكذلك بلفظ البصر في ادراكها للحقائق وما ينبغي لها ولفظ العشوة
لعدم ذلك الادراك اطلاقا في المجازات الاربعة لاسم السبب على المسبب والانقياد لها اي للحق و
سلوك طريقه بعد المعاندة فيه والانحراف عنه وقوله وما برح الى قوله عقولهم اشارة الى انه لم يخل
المدد وازمان الفترات قط من عباد لله واوليائه الهمهم معرفته وافاض على افكارهم وعقولهم
صور الحق وكيفية الهداية اليه مكاشفة وتلك الافاضة والالهام هو المراد بالمناجاة والتكليم
وقوله فاستصبحوا الى قوله والافئدة اي استضاؤوا بمصباح نور اليقظة والتيقظ في الافئدة لطافتها
واستعدادها الكامل لما ينبغي لها من الكمالات العقلية ونور تلك اليقظة هو ما يفاض عليها بسبب
استعدادها بتلك الفطانة ويقظة الابصار والاسماع تتبعها لابصار الامور النافعة المحصلة
مباشرة وكذلك سماعها وسماع النافع من الكلام وانوار اليقظة فيها ما يحصل بسبب ذلك الابصار
والسماع من انوار الكمالات النفسانية ثم شرع في وصف حالهم في هدايتهم لسبيل الله بالتذكير بايام
وهي كناية عن شدائده النازلة بالماضين من الامم واصلها انما يقع في الايام ويحتمل ان يكون مجازا
اطلاقا لاسم المحل على الحال ومقام الله كناية عن عظمته وجلاله المستلزم للهيبة والخوف وشبههم بالادلة
في الفلوات ووجه الشبه كونهم هادين لسبيل الله كما تهدي الادلة وكان الادلة يحمد من اخذ القصد
في الطريق طريقه وتبشره بالنجاة ومن انحرف يمينا وشمالا ذموا اليه طريقه وحذروه من الهلكة
كذلك الهداة الى الله من سلك سبيل العدل اليه وقصده حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة من المهالك
ومن انحرف يمينا وشمالا اي سلك احد طرفي الافراط والتفريط ذموا اليه مسلكه وحذروه
من الهلاك الابدي وقوله كانوا كذلك اي كذا وصفناهم واستعار لهم لفظ المصابيح باعتبار انهم
يكشفونهم لطريق الله ولفظ الادلة باعتبار هدايتهم الى الحق وتميزه عن شبهات الباطل وقوله وان
للذكر لاهلا الى قوله في ايام الحياة فالمراد من ذكر انهم اشتغلوا بحب المحبوب المذكور ونسوا ما دونه
من المحبوبات الدنيوية وان حب محبة المذكور محبة ذكره وملازمته حتى اتخذوه بدلا من متاع
الدنيا وطيباتها ولم يشغلهم عنه تجارة ولا بيع وقطعوا به ايام حياتهم الدنيا وقوله يهتفون
الى قوله ويتناهون عنه اشارة الى وجوه طاعتهم لله وعبادتهم له وهي من ثمرات الذكر ومحبة المذكور
لان من احب محبوبا سلك مسلكه ولم يخالف رسمه وكان له في ذلك الابتهاج واللذة وقوله فكأنما
قطعوا الى قوله عداتها شبه لهم في ثقتهم بالله وبما جاءت به كتبه ورسله وتحققهم لاحوال القيمة

ووعدها ووعيدها بعين اليقين عن قطع الدنيا من احوال اهل البرزخ وطول اقامتهم فيه فكشفوا غطاء ذلك
الاحوال لاهل الدنيا بالعبارات الواضحة والاشارات اللايحة حتى كانهم في وصفهم لما عن صفا سرايرهم
وصقال جواهر نفوسهم بالرياضة التامة يرون بابصارهم ما لا يرى الناس ويسمعون باذانهم
ما لا يسمعون الناس اذ يخبرون عن مشاهدات ومسموعات لا يدركها الناس ولما كان السبب
في قصور النفوس عن ادراك احوال الآخرة هو تعلقها بهذه الابدان واشتغالها بتدبيرها والانغماس
في اللذات الدنيوية المكتسبة فيها وكان هؤلاء الموصوفون قد غسلوا درن تلك اللذات عن الواح
نفوسهم بمداومة ذكر الله وملازمة الرياضة التامة حتى صارت نفوسهم كمرآة مجلوة حوذي بها شطر
الحقائق الالهية فتجلت فيها وانتقشت بها لاجرم شاهدوا بعين اليقين سبل النجاة وسبل الهلاك
وما بينها فسلكوا على بصيرة وهدوا الناس على يقين واخبروا عن امور شاهدوها باعين ابصارهم و
سمعوها باذان عقولهم فكانهم في وضوح ذلك لهم وظهوره واخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهدوه الى
بحواسهم فشاهدوا ما لم يشاهده الناس وسمعوا ما لم يسمعوه وقوله فلو مثلتهم لعقلك اي استحضرت
صورهم واحوالهم في مقاومهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وهي مقامات العبادة ومجالسها ودواوين
اعمالهم اذ انهم ومحاسبتها من اعمالهم ونشرها تتبع نفوسهم باذكارها وتخيلها تصور تلك الاعمال
وتصفحها لها المشبهة لتصفح الاوراق والواو في قوله وقد للحال وقوله وفرغوا لمحاسبة انفسهم
على كل صغيرة وكبيرة يستدعي بيان معنى المحاسبة ولما كان معناها يستدعي محاسبا حتى يكون النظر
معه في راس المال وفي الربح والخسران ليتبين الزيادة والنقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه
وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك العبد معامل نفسه الامارة بالسوء
وراس ماله الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة
النهار فينبغي ان يكون للعبد في آخره ساعة يطالب بها نفسه ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها
فان كان قد ادى الفرائض على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها طالبها
بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها بالجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها
ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به تفريطها كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب
الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان كذلك ينبغي ان يتقي غبينة النفس و
مكرها فانها مخادعة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عما تكلم به طول نهاره وليتول من حسابها
بنفسه ما يتولاه غيره في محل القيامة وكذلك عن نظره وخواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله
وشربه وحتى عن سكونه وسكوته فاذا عرف انها ادت الحق في الجميع كان ذلك القدر محسوبا لها فيظهر
لها اثر في تقريره عليها وكتبه على صحيفة قلبه ثم ان النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون
اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها بردها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا
بعد تحقق الحساب وتمييز باقي الحق الواجب عليه ثم يشتغل بعده بالمطالبة وينبغي ان يحاسب الانسان

النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة
وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون
الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى القى الملك باحد وعشرين الف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا
هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان تكون المحاسبة ولو رمى العبد
بكل معصية حصاة في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظها والملكان
يحفظان عليه كما قال تعالى احصاه الله ونسوه واذا عرفت ذلك فقوله وفرغوا المحاسبة انفسهم
الى قوله ندمهم واعتراف اشارة الى حال وجدانهم عند محاسبة انفسهم تقصيرا والخسران في رديء
اعمالهم التي هي الطاعات ونشيجهم ونحيبهم في الندم والاعتراف بالذنب اشارة الى حالهم
في تدارك ذلك الخسران بالشروع في جبرانه فاول مقامات التوبة ولوازمها المذكورة ثم العلى وقوله
لرأيت الى قوله الاعلون صفات احوالهم المحمودة واللام في قوله لرأيت جواب لو في قوله فلو مثلتهم
واستعار لهم لفظ الاعلام والمصابيح باعتبار كونهم ادلة الى طريق الله وذوي انوار يستضاء بها
وحفوف الملائكة بهم كناية عن احاطة عنايتهم به وذلك لكمال استعدادهم لقبول الانوار عن الله بواسطة
الملائكة المكرمين ووجوب فيضها عليهم منهم وفي ذلك الاشارة الى اكرامهم بذلك وقوله وتنزلت عليهم
السكينة اشارة الى تجرد استعداد نفوسهم لافاضة السكينة عليها وهي المرتبة الثالثة من احوال السالك
بعد الطمأنينة وذلك ان تكثر تلك البروق واللوامع التي كانت تغشاه حتى يصير ما كان مخوفا منها
مالوفا وكانت تحصل لا من السالك فيصير حصولها بمشيته وارادته وفتح ابواب السماء لهم اشارة الى
فتح ابواب سماء جود الله لهم بافاضة الكمالات عليهم كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ومقاعد
الكرامات مراتب الوصول اليه وتلك المقاعد التي اطلع الله تعالى عليهم فيها في سعيهم بالاعمال الصالحة
المبلغة اليها وحمد مقامهم فيها وقوله يتنسمون بدعائه روح التجاوز اي يدعونه ويتوقعون بدعائه
تجاوزه عن ذنوبهم وان لا يجعل تقصيرهم فيما عساهم قصروا فيه سببا لانقطاع فيضه وقد علمت ان
سيئات هؤلاء تعود الى ترك الاولى بهم ثم استعار لهم لفظ الرهائن لكونهم في محل الحاجة الى فضله
لا عدول ولا ملجأ لهم عنه كالرهائن في يد المسترهن ورشح بلفظ الاسارى ووجه المشابهة كونهم في مقام
الذلة تحت عظمته كالاسير بالنظر الى عظمة من اسره وقوله جرحوا الى قوله عيونهم فذلك الجرح من لوازم
الاطلاع على خيانة انفسهم وخسرانهم في معاملتهم لما بعد محاسبتها وقوله لكل باب الى قوله يد قارعها اشارة
بقرعهم لكل باب من ابواب الرغبة الى الله الى توجه اسرارهم وهممهم الى القبلة الحقيقية استمطارا
لانوار الله واستسماحا لجوده وقوله يسألون الى قوله المنائح اشارة الى سعة جوده وفضله انه
اكرم الاكرمين يتبين اذ اجمع مسؤول باعطاء سؤال واوسع مرغوب اليه باسداء مرغوب وقوله فحاسب
نفسك الى آخره اي فتول انت حساب نفسك فان حساب غيرها من النفوس وهي التي لم تحاسبها
صاحبها يتولاه غيرك وهو اسرع الحاسبين وذلك في معنى تهديد الانسان على ترك محاسبة نفسه وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة و
اقطع مغتر معذرة لقد ابرح جهالة بنفسه يا ايها الانسان ما جرأك على ذنبك وما غرك بربك وما انسك
بهلكة نفسك اما من دائك بلول ام ليس من نومتك يقظة اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى
الضاحي لحر الشمس فتظله او ترى المبتلى بألم يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على دائك وجلدك
على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهي اعز الانفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة
وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة في
ناظرك بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه
ويتغمدك بفضله وانت متول عنه الى غيره فتعالى من قوي ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجرأك
على معصيته وانت في كنف ستره مقيم وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره
بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك او سيئة يسترها عليك او بلية يصرفها عنك فما ظنك
لو اطعته وايم الله لو ان هذه الصفة كانت في متفقين في القوة متوازيين في القدرة لكنت اول حاكم
على نفسك بذميم الاخلاق ومساوي الاعمال وحقا اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد
كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك
اصدق واوفى من ان تكذبك او تغرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من خبرها مكذب ولئن
تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق
عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا ومحل من لم يوطنها محلا وان السعداء بالدنيا غدا هم
الهاربون منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحقت بجلائلها القيامة ولحق بكل منسك اهله وبكل معبود
عبدته وبكل مطاع اهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ولا همس قدم في
الارض الا بحقه فكم حجة يوم ذاك داحضة وعلائق عذر منقطعة فتحر من امرك ما يقوم به عذرك
وتثبت به حجتك وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير
اقول حجة داحضة باطلة وابرح جاء بشيء اي بالغ في تحصيل جهالتها واعجبه ذلك والبلول الصحة
والضاحي البارز للشمس والممض المولم والسطوة البطش والقهر والسطوة المرة منه والجمع سطوات
والتجلد التقوي والتصبر والورطة الهلاك وتعمدك قصدك والكنف الحائط والكنف الجانب
واذنتك اعلمتك والمنسك موضع العبادة واصله كل موضع تردد اليه وتقصد والتحري طلب
الاحرى والاولى وشم برق النجاة اي انظر اليه فقوله ادحض خبر مبتدأ محذوف والتقدير
الانسان عند سؤال ربه له ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة واشده انقطاعا في عذره
ومبالغته في تحصيل نفسه كثرة اهمالها في متابعة هواها وتركها عن الاصلاح والمنصوبات الثلثة
تميزات وقوله يا ايها الانسان الى قوله بهلكة نفسك استفهامات عن اسباب جرأته على الذنوب و
اسباب غرته بربه وغفلته عن شدة بأسه وعن اسباب انسه بهلكة نفسه بورطها في المعاصي

والثانية معها استفهامات على سبيل التقريع والتوبيخ ويحتمل ان يكون قوله ما انسك فيها وكل الاستفهام
عن بلوغ من ذا الجهل وتعطيه من نوم الغفلة ورحمة لنفسه كما يرحم غيره الا ان الاستفهامات الثلثة الاول
لطلب فيها تصور تلك الاسباب وذم عقيبها على سبيل تجاهل العارف وفي هذه الثلثة الاخيرة لطلب
فيها التصديق ثم نبهه على وجوب رحمته لنفسه كما يرحم غيره بقوله فربما ترى الضاحي الى قوله رحم له وهي
في قوة صغرى قياس اضمر كبراه ووجه ذلك انك قد ترحم من تراه في حر الشمس مختطفا ومبتلى بالم يحسن
رحمته له وكل من كان كذلك فاولى ان يرحم نفسه بانقاذها من بلاء نقع فينتج انك اولى ان ترحم نفسك
من دائها وقوله فما صبرك الى قوله الا نفس عليك استفهام عن اسباب صبره على دائه وتجلده
على مصائبه التي تحقه بسبب ذلك الداء او تعزيه على البكاء على اعز الانفس عليه استفهام توبيخ وذم
حسنها بعد ذلك الاحتجاج ظاهر ونبه بقوله وكيف لا يوقظك الى قوله سطواته على بعض اسباب
التيقظ لعظم اله عن الغفلة فهنا وهي خوف بيات نقم ان يوقعها به ليلا كقوله تعالى افأمن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون ومدارج سطواته مجاري بطشه وقدرته وهي مجال
المعاصي واسبابها والتورط فيها الحصول فيها المستلزم للهلاك الاخروي وقوله فتداو الى قوله
بتيقظ شبه على الدواء من الفترة في القلب عن ذكر الله وهو العزيمة على طاعته والاجماع على ملازمة
ذكره ومن يوم الغفلة في ناظر القلب عن ذلك بالتيقظ له ثم امر بما ينبغي ان يكون تلك العزيمة عليه
وتلك التيقظ له وهما طاعة الله وتحصيل الانس به ودوام ذكره وقوله فتمثل الى قوله بسرها فنيك
شبه لك على ضروب نعم الله عليه ومقابلته لها بالكفران والمعصية لعله يتذكر او يخشى فامره ان يتمثل
في ذهنه في حال اعراضه عن ربه وانهاكه في معصيته اقباله عليه بضروب نعم من دعوته له بكلام
على السنة خواص رسله الى عفوه وتغمده اياه بفضله واقامته في كنف ستره وتقلبه في سعة
فضله لم يمنعه فضله ولا هتك عنه ستره لمقابلته تلك النعم بالكفران والمعصية بل لم يخل من لطفه مقدار
طرفة عين وذلك اللطف في نعمة يحدثها او سيئة يسترها عليه او بلية يصرفها عنه فحسن بهذا التشبيه
فان استحضار ذهن العاقل لضروب هذه النعم في حال الاقبال على المعصية من اقوى الجواذب
الى الله عنها وانما قال وتمثل لان الحاضر في الذهن ليس هو نفس اقبال الله على العبد بل مثاله
ومثاله ويدعوه في موضع الحال وكذلك الواو في قوله وانت في الموضعين للحال وقوله فما ظنك
به لو اطعته صورة احتجاج للترغيب في الطاعة بعد التوبيخ على تركها وتلخيصه انك لو اطعته لكان تفضله
عليك اكبر واتم وظنك به اقوى بيان الملازمة ان فضله كان عليك حال معصيتك له كما تقدم
بيانه فبطريق الاولى ان يتم فضله عليك حال طاعتك اياه وحسن ظنك به وقوله وايم الله الى قوله
لما عمل اي لو كان هذا الوصف الذي ذكرناه من اقبال الله عليك بضروب نعم ومقابلتك له بالاعراض
عنه والاقبال على معاصيه وصف شخصين من الناس في القوة والقدرة والمنزلة وكنت انت المسيء
منهما لكان فيما ينبغي لك من الحيا والانفة ان تكون اول حاكم على نفسك بتقصيرها ودنيء اخلاقها ومساوي

اجمالها وهي صورة احتجاج تقرير عليه فيه مساوي اعماله ويجذب فيه بذلك الى تبديلها بمحاسنها في جانبي
خيرمن الشكل الاول ذكر في الكلام صغراه وتلخيصها انك اول حاكم على نفسك بتقصيرها على تقدير ان كون
مولك بهذه النعم مثالك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فاولى به ان يكون اول حاكم عليها بتقصيرها
على تقدير ان يكون موليه تلك النعم خالقه ومالك رقه فينتج انك اولى بان تكون اول حاكم على نفسك
بتقصيرها على تقدير ان يكون مولى تلك النعم خالقك ومالك رقك وقوله وحقا اقول ما الدنيا غرتك
ولكن بها اغتررت تقدير منع لما عساه ان يجيب به الناس سؤال الله اياهم بقوله ما غرك بربك الكريم
وهو كثير في كلامهم ان الدنيا هي الغارة لاهلها وكما نسب القرآن الكريم اليها ذلك بقوله وغرتهم
الحيوة الدنيا وكلامه عليه السلام حق منع وجميع احد هما ان الاستغرار من لواحق العقل وليست الدنيا ذات
عقل والثاني انا لم نخلق لان نستغر بها اذ كان مقصود العناية الالهية بوجود الانسان فيها تحصيل الكمالات
المسعدة له فيها ومنها فلا يجوز ان ينسب اليها الاستغرار حقيقة لكن لما كانت سببا ماديا للاغترار بها
جاز ان ينسب اليها الاستغرار مجازا وصدق قوله انه ولكن بها اغتررت وقوله ولقد كاشفتك
العظات تقرير لمنع نسبة الاستغرار اليها بنسبة ضده اليها وهو النصيحة له بما كاشفته بالمواعظ
وهي محال الاتعاظ من تصاريفها وعبرها ومجاهرتها وباعلامها له على عدل منها اذ خلقت لاجل التغير
والاعلام وفي ذلك التعريف وهو يحتمل ان يكون الالك ظلم لكن تصاريفها لك جورا عليك وقوله
ولهي بما تعدك الى قوله تغرك زيادة تاكيد لنصيحتها وتخويف منها واستعار لفظ الوعد لاشعارها
في تغيرها بما يتوقع من مصائبها كان الوعد اشعار بامر مطلوب واستعمل الوعد في مكان الوعيد
مجازا اطلاق لاسم احد الضدين على الاخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك استعار لها لفظ الصدق والوفا
ملاحظة لشبهها بالصادق الوفي في انه لابد من ايقاع ما وعدت به من تصاريفها ومصائبها كما ان
الصادق الوفي بوعده لابد له من ايقاع ما وعد به وقوله اصدق واوفى قوله من ان تكذبك
او تغرك من باب اللف والنشر وفيه المقابلة وقوله ورب الى قوله متهم تقرير لبعض لوازم
الغفلة عليه وهي تهمة الناصح منها وتكذيبه لصادق خبرها واطلق لفظ التهمة والتكذيب مجازا في عدم
الالتفات الى نصيحتها بتصاريفها وما يعلم من صادق تغيراتها وعدم اعتبار ذلك منها اطلاقا لاسم
ذي الغاية على غايته وكانت غاية التهمة والتكذيب عدم الالتفات الى المتهم والمكذب والاعراض
عنها وقوله ولئن تعرفتها الى قوله الشحيح بك صورة احتجاج به فيه على صدقها في نصيحتها كي تنتفع
بهم وهو قياس شرطي متصل وتقريره ولئن تعرفتها اي طلبت معرفة حالها في نصيحتها وغشها من الديار
الخاوية والربوع الخالية للامم السالفة والقرون الماضية لتعرفتها بمنزلة الشفيق عليك والشحيح بك ووجه
شبهها بذلك حسن تذكرها لك وبلاغ موعظتك وجريك منها كما ان النوع الشفيق عليك لك
وبيان الملازمة يحال الوجدان بعد تعرفها والاستثناء في هذه المتصلة لعين المقدم لينتج عين التالي
وقوله ولنعم الى قوله محلا مدح للدنيا باعتبار استعمالها على الوجه المقصود بالعناية الالهية وهو الاعتبار بها

دون الرضا بها لذاتها واتخاذها وطنا ودار اقامة واسم نعم هو دار من لم يرض والمخصوص بالمدح هو
الدنيا ودارا ومحلا منصوبان على التمييز تقول نعم اسم الجنس الذي هو اسم نعم اذا حذف وهاهنا
مستعملان احدهما ان اسم الجنس الذي هو اسم نعم وبئس يضاف في العادة الى ما فيه الالف واللام
كقولك نعم صاحب القوم وقد اضافه هاهنا الى ما ليس فيه الالف واللام وقد جاء مثله في الشعر كقوله
فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم الثانية انه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه وقد جاء مثله في قوله
فنعم الزاد زاد ابيك زادا وانما اضاف دارا الى من لم يرض بها ومحلا الى من لم يوطنها لان الدنيا
انما تكون دارا محمودة باعتبار كونها دار من لم يرض بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاهم بها الاطلاع
بالعبرة بها واتخاذ زاد التقوى واولئك هم المتقون السعداء بها ويحتمل ان يكون دارا ومحلا منصوبين
على التمييز عن قوله لم يرض بها ولم يوطنها وقوله وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم
فوجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المسعدة في الآخرة منها ولن يحصل ذلك الا بالهرب
منها اليوم وكنى بالهرب منها عن الاعراض الحقيقي عن لذاتها والتباعد عن اقتنائها لذاتها لاستلزام
الهرب عن الشيء التباعد عنه والزهد فيه وظاهر ان التباعد منها بالقلوب الا ما دعت الضرورة
اليه واتخاذها مع ذلك سبيلا الى الآخرة من اسباب السعادة وسلوك سبلها كما اشار اليه سيد المرسلين
من حالها بقوله ما انا والدنيا انما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فنزل
فقعد في ظلها ساعة ثم راح وتركها وقوله اذا رجفت على الوقت المذكور المدلول عليه بقوله غدا
وهو يوم القيمة كقوله تعالى يوم ترجف الراجفة قال المفسرون الراجفة هي النفخة الاولى في الصور
وهي صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد يصعق فيها الخلائق وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية
تردف الاولى وجلائل القيمة مهماتها الجليلة العظيمة وقوله ولحق بكل منسك اهله اشارة الى لحوق كل
نفس يوم القيمة بمعبودها ومطاعها وما الفته واحبته من امر دنيوي او اخروي فاجتذبت عليه وقد
دل عليه اشارة الرسول صلى الله عليه وآله يحشر المرء مع من احب ولو احب احدكم حجرا لحشر معه وقوله
الى قوله بحقه تقرير لعدل الله تعالى في ذلك اليوم والمعنى ان كل حركة ولو طرفة عين في الهواء او همس قدم
في الارض فانها لا تجري في عدله الا بحقها لا يزاد عليه ولا ينقص منه ثم اشار الى كثرة الحجج الباطلة يومئذ
والاعذار المنقطعة ترغيبا في تحصيل الكمالات البرهانية ولزوم آثار المرسلين والاولياء الابرار
في سلوك سبيل الله وانما ذكر مخاوف ذلك اليوم واهواله بعد ذكر السعداء فيه وتعيين انهم
هم الهاربون من الدنيا اليوم ليرغب الى الاقتداء بهم في ذلك الهرب لغاية تلك السعادة ثم امر
ان يطلب الانسان من اموره واحواله احوالها واودها ما يقوم به عذره في ذلك اليوم
ويثبت به حجته في محفل القيمة وذلك الامر هو ما اشرنا اليه من البرهان واقتفاء آثار المرسلين
وذلك امره ان يأخذ ما يبقى له من الكمالات المسعدة في الآخرة مما لا يبقى له وهو الدنيا ومتاعها
وقد جاء لكيفية ذلك الاخذ غير مرة وان تيسر لسفره اي ليستعد لسفره الى الله بالرياضة بالزهد

والعبادة

والعبادة وان ليشم برق النجاة اي يوجه سره الى ان يطلع بعد الزهد الحقيقي والعبادة الكاسرة
للنفس الامارة بالسوء لتستشرق لوامع الانوار الالهية وبروقها التي هي بروق النجاة وابواب
السلامة كما اشار اليه فيما قبل هذا الفصل بفصلين بقوله وتدافعته الابواب الى باب السلامة وان يرحل
مطايا التشمير وهو اشارة الى الجد في سلوك سبيل الله والاجتهاد في العمل لما بعد الموت واستعار
لفظ المطايا لآلات العمل ولفظ الارحال لاعمالها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** والله لان ابيت
على حسك السعدان مسهدا واجر في الاغلال مصفدا احب الي من ان القى الله ورسوله يوم القيمة ظالما
لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى
حلولها والله لقد رايت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا ورايت صبيانه شعث الالوان
من فقرهم كانما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فاصغيت
اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع قياده مفارقا طريقتي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه
ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل
اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه
اتئن من الاذى ولا ائن من لظى واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها
كانما عجنت بريق حية او قيئها فقلت اصلة ام زكوة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت فقال لا ذا
ولا ذاك ولكنها هدية فقلت هبلتك الهبول اعن دين الله اتيتني لتخدعني امختبط انت ام ذو جنة ام تهجر
والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته
وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ
بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين **اقول** السعدان نبت شوكي ذو حسك له ثلاث
اروس محددة على اي وجه وقع من الارض كان لها راسان قائمان والمصفد الموثوق شدا بغل
او قيد ونحوهما والقفول الرجوع من السفر والاملاق الافتقار والاستماحة طلب المنح وهو العطا
والعظلم نبت وهو بالعربية النيل وقيل نبت اخر يصبغ به والدنف شدة المرض والميسم المكواة
ونحوها وحدها واحاها وشنئتها ابغضتها وهبلته الهبول ثكلته الثواكل والخباط مرض كالجنون
وليس به والمختبط الذي يطلب معروفك من غير سابق معرفة بينكما من رحم او مودة سابقة او سابق
معروف لك عنده والجنة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعيرة قشرها وغرض الفصل التبري
من الظلم وذلك ان احدهم كان يأتيه فيسأله العطاء وهو عليه السلم لم يكن يستبقي لنفسه شيئا
ولا يرى ان يعطي من بيت المال احدا دون غيره بغرضه وربما كان في غاية الحاجة فينسبه الى الظلم
والتخصيص بالمال دونه فنبه بهذا الكلام على ما نسب اليه من ذلك فقوله والله الى قوله الحطام بيان
لمقدار نفرته عن الظلم وغايتها وعلة ترجيحها اختياره لاحد الامرين المذكورين على الظلم مع ما يلزمهما
من الالم والعذاب ان ما يستلزم الظلم من عذاب الله اشد خصوصا في حق من نظر بعين البصيرة
تفاوت العذابين مؤكدا لذلك البيان بالقسم البار ولفظ الحطام مستعار لمتاع الدنيا باعتبار

خارته واصلها ما تكسر من نبت الارض وغيرها وعاصيا حالان وقوله وكيف الى قوله اما استفهام
عن وجه ظلمه لاحد استفهام انكار عن نسبته اليه ذلك مع ذكر سببين يمنعان العاقل من الظلم وهما
الرجوع الى البلى من السفر في الدنيا وطول الحلول في الثرى وقوله والله لقد استماحني الى قوله لنفى
شبهة لنفى الظلم عنه بلوغه في المحافظة على المال ومراعاة العدل الى الحد الذى فعله مع اخيه عقيل
مع شدة فاقته وفاقة عياله وكونه ذا حق في بيت المال ومعلوم ان من لم تدعه هذه الاسباب المشتملة
وهى الاخوة والفاقة والحق الموجود لذى الفاقة الى ان يدفع اليه او بعضه خوفا من شبهة الظلم فهو
انزه الناس ان يظلم ويحوم حول الظلم بوجه واستعار لفظ السح لما يتوهم من استعافته لذة العطا
على الفقير بما يفوت من الدين بسبب الظلم في عطيته على غير الوجه الشرعى وقياده ما يقوده به من الاستعطاف
والرحم وطريقة العدل وانما احمى له الحديدة لينبهه بها على النار الاخروية ولذلك اتبع عليه عنده انينه
من حرها بقوله اتئن من حديدة الى قوله لغضبه ووجه الاحتجاج انك اذا كنت تئن من هذه فبالاولى
ان ائن من لظى وانما قال ولا ائن من لظى مع ان لظى غير حاصلة الا ان تنزيلا للمتوقع الذى لا بد منه
بسبب الظلم منزلة الواقع ليكون ابلغ في الموعظة وانما اضاف الانسان الى الحديدة لا نار ادانها
فاما هو المتوسط لا من تلك الحديدة معرفة باضافته اليها وكذلك الاضافة في جبارها وانما قال
للعبه استهانة وتحقيرا لما فعل لغرض ان يكبر فعل الجبار في نيران النار وكذلك جعل العلة الحاملة على تسجير
النار هو غضب الجبار تعظيما لشانه وقوله واعجب من ذلك الى قوله ام تهجر اى واعجب من عقيل
وحاله طارق طرقنا والطارق الآتى ليلا وكنى بالملفوفة في وعائها عن الهدية قبل كان شيئا
من الحلوا كالفالوذق او الخبيص ونحوه وقوله لعقول وشنيتها بغضه للامور اللذيذة الدنيوية
ونفرته عنها بعد اجتنابه وجه تشبيهها بما عجن بريق الحية او قيئها هو ما في تصوره في حتى لها من الغش
وما قصد بها صاحبها من طلب الميل اليه المستلزم للظلم والجور عن سبيل الله فان القصد الذى اشتمل
عليه كالسم المهلك واما وجه كون هذا المهدى اعجب من عقيل فلان عقيلا جاء بشئ وسائل كل منهما
يستلزم العاطفة عليه وهى الاخوة والفاقة وكونه ذا حق في بيت المال وهذا المهدى انما ادلى
بهديته فاما قوله في جوابه اصلة الى قوله اهل البيت فانه اراد به حصر وجوه البر في الرف
لان التقرب الى الله ببذل المال لعباده اما صلة رحم اوله وانثى فاما على وجه الصدقة او
الزكوة الواجبة ولم يذكر الهدية لانه لم يكن في وهم عاقل قبول مثلها خصوصا زمان خلافته
وذلك ان مطلوب العاقل منه بالهدية اما حق او باطل والحق لا يحتاج فيه الى الهدية والباطل
لا يفعله بوجه ولذلك لما قال له الطارق انها هدية دعا عليه ونسبه الى الجنون والهذيان ولما
قسم عليه وجوب البر ابطل قسمين منها بقوله فذلك محرم علينا اهل البيت واراد الصدقة والزكوة
واما صلة الرحم فلم يحتج الى ابطالها لان الطارق لم يكن ذا رحم له وقول الطارق لا هذا ولا ذاك
يجرى مجرى ابطال الحصر باثبات قسم رابع هو الهدية وقوله عليه السلم هبلتك الهبول الى قوله تهجر

وكاد ان يدرار

جواب

جواب لقوله ولكنها هدية فرد عليه ما فهم من غرضه بالهدية وهو خداعه عن دينه اذ الهدية لغرض حرام
صورة استنزال وخداع وذكر الخداع عن الدين تنفيرا لصاحب الهدية عن فعله ذلك ولما كان ذلك
الامر لو تم الغرض به استلزم نقصان الدين كالمخداع عن الدين فاطلق عليه لفظ الخداع استعارة
وقوله امختبط ام ذو جنة ام تهجر استفهام على سبيل الانكار والتوبيخ على ذلك الخداع بعد تقريره عليه
اذ كان المخادع لمثله عليه السلم عن دينه لا يكون الا على احد الوجوه المذكورة غالبا ولا يتصور ان يصدر
منه ذلك الخداع عن روية صحيحة وقد ذكر وجوه الخروج عن الصواب مما يتعلق بالعقل واللسان
وقوله والله الى قوله ما فعلته يحتمل ان يكون ردا لوهم الطارق فيه انه يفعل مطلوبه الحرام بتلك الهدية
وابطالا لذلك الوهم عنه والاقاليم السبعة اقسام الارض وهو دليل منه على غاية العدل وقوله وان
دنياكم الى قوله تقضمها دليل على غاية الزهد منه في الدنيا كقوله في الشقشقية ولالفيتم دنياكم هذه اهون
عندى من عفطة عنز وقوله ما لعلى ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى استفهام انكار لملائمة نعيم الدنيا
ولذاتها الفانية والحال ان حال على يناف ذلك النعيم واختياره يضاد تلك اللذة ثم تعوذ بالله
من سيئات العقل وهى اختياراته تلك اللذات ولذلك النعيم وميله في مطاوعة النفس الامارة
بالسوء ومن قبح الزلل وهو في محض الانحراف عن سبيل الله الموقع في مهاوى الهلاك واستعان به
على دفع ما تعوذ به منه وبالله التوفيق والعصمة ومن دعائه عليه السلم اللّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ وَلا تَبْذُلْ
جَاهِي بِالإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي
وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اقول
اليسار بالفتح الغنى والاقتار ضيق الرزق والفقر وحاصل الفصل التجاء الى الله في طلب الغنى
وعدم الابتلاء بالفقر ولوازمه واعلم ان الغنى المطلوب لمثله عليه السلم هو ما دفع ضرورة حاجته
بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم المتعارف بين ارباب الدنيا من جمع المال وادخاره والتوسع
به فوق الحاجة وطلب الغنى على ذلك الوجه محمود وعلى الوجه الثانى هو المذموم والفقر هو ما احتاج
الانسان معه الى سؤال الناس ويلزمه بذلك الاعتبار لوازم صوارف عن وجه الله وجهاده ونادلها
ابتذال الجاه ونقصان الحرمة ولما كان الجاه والغنى كالمتلازمين لا يلبث احدهما الا باخر جعل
من زيل الجاه الفقر لانه مزيل الغنى وال وجوب تلازمهما اشار ابو الطيب بقوله
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ؛ ولا مال في الدنيا لمن قل مجده ؛ والجاه ايضا له اعتبارات فاراد
منه وكان شرفه به واعتزازا بدينه واريد الاستعانة به على اداء حقوق الله وطاعته فهو الجاه
المحمود الذى سال الله حفظه عليه بالغنا عن الناس وهو الذى امتن الله تعالى به على الانبياء في قوله
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والاخرة وما
اريد به الفخر والتراس في الدنيا فهو المذموم الثانى من لوازمه استرزاق الخلق الذين من شانهم
ان يسالوا الرزق لا ان يطلب منهم ونحو ذلك من الذل والخضوع للمطلوب منه ومهانة النفس واشتغالها

عن التوجه الى المعبود ما لجأ ان يستغنى بالله وعن ادعية زين العابدين عليه السلم تمدحت بالغنى عن خلقك
وانت اهل الغنى عنهم ونسبتهم الى الفقر وهم اهل الفقر اليك فمن حاول سد خلته من عندك ورام صرف
الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته من مظانها واتى طلبته من وجهها ومن توجه بحاجته الى احد من خلقك او جعله
سبب نجاحها دونك فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان وانما حكم عليه باستحقاق فوت
الاحسان لعدم استعداده لنفحات الله بالتوجه الى غيره واشتغال نفسه بذلك الغير وتنبيه بقوله طالبي
رزقك على عدم اهليتهم لان تطلب منهم الثالث استعطاف شرار خلقه وظاهر ان الحاجة قد تدعو الى
ذلك والتجربة تقضي بان طلب العاطفة من الاشرار والحاجة اليهم يستلذ معه ذو المروة طعم العلقم وتجرع
مذاق الصبر الرابع الابتلاء والامتحان بذم المانع وذلك يستلزم الصرف عن الله والتوجه الى القبلة
الحقيقية والواو في قوله وانت المحال اي لا تبدل جاهي بالامتحان فيقتضي بسببه ما يقتضي من المكاره
المعدودات وانت من وراء ذلك كله اولى من اعطى ومنع بان تعطي وتمنع لقدرتك على كل شيء ومنهم
كونه وراء ذلك كله احاطته وكونه مستند الغنى واهله المحتاج اليهم من الخلق واولى بالفقر ولوازمه لقدرته
على صرفه والاغناء عن الخلق لان كونه محيطا وكونه مستندا استلزم ان الوراثة فالمستند والورا المعقول
للمعقول والمحسوس للمحسوس وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة
لا تدوم احوالها ولا يسلم نزالها احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والامان منها معدوم
وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه
الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان اطول منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت اصواتهم
هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور
المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة والقبور اللاطئة الملحدة التي قد بني على الخراب
فناؤها وشيد بالتراب بناؤها لا يستانسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من
قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى
وكان قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم
الامور وبعثرت القبور هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا
يفترون **اقول** الثارة المرة والمستهدفة التي جعلت هدفا ينصب لترمى وعفت الآثار درست
والنمارق جمع نمرق ونمرقة وهي وسادة صغيرة والكلكل الصدر وبعثرة القبور بحثها واخراج
ما فيها وبعثرها يقال بعثر الرجل متاعه اذا فرقه وقلب اعلاه اسفله وغرض الفصل التحذير من الدنيا
والاشتغال بها عن الله والتنفير عن ذلك بذكر معايبها والجذب به الى استعمال الوجه المطلوب
الذي لاجله وجدت فقوله دار خبر مبتدأ محذوف هو الدنيا وذكر من معايبها عشرة احدها كونها محفوفة
بالبلاء ملازما لها فكنى عن ذلك بالحفوف الذي هو الاحاطة من الجوانب لانه ابلغ الثاني كونها معروفة
بالغدر واستعار لفظ الغدر لتغيرها عما يتوهم الانسان دوامها عليه من حسن احوالها المعجبة كالمال

فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل محلة موحشين واهل فراغ متشاغلين صح

والعقو

والعقود والشباب لكاره نضرة فان تلك الاحوال عليه قد اخذتها منه عدا فكان التغير العارض لها المستلزم
لزوال تلك الاحوال عنه اشبه شيء بالغدر ولما كان ذلك كثيرا منها صارت معروفة به وثالثها كونها
لا تدوم احوالها ورابعها لا يسلم نزالها من آفاتها وخامسها اختلاف احوالها واحوال خبر مبتدأ محذوف
تقديره احوالها احوال كذا وسادسها تصرف تاراتها وهو تغير احوالها تارة بعد اخرى وسابعها
كون العيش فيها مذموما ولما كان العيش فيها كناية عن الالتذاذ بها والتنعم فيها واستلزم ذلك
العاقبة المهلكة لا جرم لزمه الذم ولانه مشوب بتكدير الامراض والاعراض فلا يزال مذموما على السنة
حتى على لسان صاحبه والمستمتع اليه عند معاناته بعض مراتب الكدر وثامنها عدم الامان فيها اي
من فساده وما يلزم تصرفاتها من البلاء وكل ذلك من جهة وراثها واختلاف استعدادات القوابل
فيها عن حركات الافلاك وكواكبها وكون المبادي المفارقة مقتضية على كل قابل منها ما استعد له وتاسعها
كون اهلها فيها اغراضا مستهدفة واستعار لفظ الاغراض ورشح بذكر الاستهداف وكنى باستعارة
لفظ الرمي لايقاع المصائب بهم ورشح بذكر السهام وعاشرها كونهم معهم على سبيل من قد مضى من القرون
الخالية ممن كان اطول اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اي كانت آثارهم لا يقدر على مثلها ولا تنال
لعظمه وكونهم معهم على ذلك السبيل اشارة الى اخذ بنائهم كاخذ اولئك والحاقهم باحوالهم وقوله اصبحت
ديارهم الى قوله والثرى تفصيل لاحوال اولئك ووعيد للسامعين بلحوقهم بهم اذ كان سبيل الدنيا مع
الجميع واحدا وركود رياحهم كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصدور وقوله
قد بني على الخراب فناؤها اي على خراب ما كان معمورا من الابدان والمساكن وظاهر ان القبور انما
على ذلك وبنيت عليه وراعى في قوله فناؤها وبناؤها ومغترب ومقترب السجع المتوازي مع المطابقة
في التقريب مع الاغتراب واراد ان ساكنها وان اقترب محله فهو غريب عن اهله وكنى بقوله موحشين
ومتشاغلين وكونهم لا يستانسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ان احوالهم تجاوزهم
وفراغهم ليس كاحوال اهل الدنيا المالوفة لهم تخوف بها وينفر عنها ثم اشار الى عدم علة المزاورة واستعار
لفظ الطحن لافناء البلى لاجسادهم ورشح بلفظ الكلكل وكذلك استعار لفظ الاكل لافنائها وقوله
وكان قد صرتم الى قوله المستودع كان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والتقدير فكانه
قد صرتم الى مصيرهم واحوالهم ويقرب من ذلك لان مشابهة الاحوال المستلزم قرب بعضها من بعض
وارتهنكم ذلك المضجع اي صار لكم دار اقامة واتخذكم سكانه المقيمين به واطلق عليه لفظ المستودع
باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيمة وقوله فكيف بكم الى قوله القبور سؤال لهم عن كيفية حالهم عند تناهي
امورهم واحوالهم في يوم البعث سؤالا على سبيل التذكير بتلك الاحوال والتخويف بتلك الاهوال
ليذكروا شدتها فيفزعوا الى العمل وذكر منها امرا واحدا وهو اطلاع النفوس على ما قدمت واسلفت
في الدنيا من خير وشر فاردها الى الموطن الحق الذي ضل مع الرجوع اليه كل ما كان يفترى من دعوى
حقيقة سائر الاباطيل المعبودة وبالله التوفيق **ومن دعاء له عليه السلم** اللهم انك آنس الآنسين لاوليائك

واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم
فاسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان اوحشتهم الغربة انسهم ذكرك وان صبت عليهم المصائب
لجأوا الى الاستجارة بك علما بان ازمة الامور بيدك ومصادرها عن قضائك اللهم فان فههت
عن مسألتي او عمهت عن طلبتي فدلني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي فليس ذلك بنكر من هداياتك
ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك اقول الفهاهة العي والعمه التحير
وقد جمع الى الله تعالى باعتبارات من الصفات الاضافية والحقيقية الاول كونه آنس الآنسين
لاوليائه وقد علمت ان اولياءه هم السالكون لطريقه عن المحبة الصادقة والرغبة التامة فيما عنده
ولما كان الانس هو الذي يرفع الوحشة ويسكن اليه النفس في الوحدة والغربة وكانت اولياءه
في الحيوة الدنيا غرباء فيما بينها منفردين عنهم في سلوك سبيل الله مولين وجوههم شطر كعبة وجوب
وجوده مبتهجين بمطالعة انوار كبريائه لا جرم كان اشد الآنسين لهم انسا اذ ما من احد يعبد لغير الله
واستانس به كالولد بوالده وبالعكس الا كان لكل واحد منهما من صاحبه نفرة من وجه واستيحاش
باعتبار لم يكن لهم انس في الحقيقة الا هو اذ كانوا في الالتفات اليه منقطعين عما عداه مستوحشين
من غيره الثاني كونه تعالى احضرهم بالكفاية للمتوكلين عليه اذ كان تعالى هو الغني المطلق والجواد
الذي لا بخل من جهته ولا منع والعالم المطلق بحاجة المتوكلين وحسن استعدادهم فاذا استعد المتوكلون
عليه بحسن توكلهم لقبول رحمته افاض على كل منهم قدر كفايته من الكمالات النفسانية والبدنية بلا تعويق
عايق من ترك وفي استحقاق مستحق او مقدار كفايته او حاجته الى تحصيل ذلك المقدار الى غير ذلك
مما هو منسوب الى غيره تعالى من سلوك الدنيا فلا جرم كان اقوم من توكل عليه لكفاية المتوكلين واسرعهم
احضارا لما استعد كل منهم له من الكمال الثالث كونه تعالى يشاهدهم الى قوله مكشوفة اشارة الى علمه
باحوالهم الباطنة الذي هو من لوازم كونه احضر لكفايتهم كما بيناه والاطلاع عليهم في ضمائرهم اعتبار
لكمال علمه تعالى وبرائته عن النقصان وكذلك علمه بمبلغ بصائرهم اي بمقادير عقولهم وتفاوت استعداد
نفوسهم لدرك الكمالات والاكمل يقول فاسرارهم لك مكشوفة ما سبق من الاشارة الى احاطة علمه
تعالى باحوالهم الباطنة في معرض الاقرار بكمال العبودية والخضوع له والاعتراف بانه لا يخفى عليه منهم شيء
ولهف قلوبهم اليه تحسرها على الوصول اليه والحضور بين يديه وهو اعتبار لكمال محبتهم له ورغبتهم فيما
عنده وقوله ان اوحشتهم الغربة انسهم ذكرك اي الغربة في هذه الدار كما بيناه وهو اعتبار
لحصول الاستيناس من جهتهم به والاول اعتبار لكونه تعالى انيسا لهم وقوله وان صبت الى قوله
بيدك اعتبار لتحقق توكلهم عليه تعالى في دفع ما يكرهون من مصائب الدنيا عنهم وانهم اذ سبق
اعتبار كونه تعالى احضر من توكل عليه لكفاية المتوكلين ولجأهم الى الاستجارة به يعود الى توجيه
وجوه نفوسهم اليه تعالى في دفع ذلك المكروه دون غيره وهو التوكل الخالص وقوله علما الى قوله
قضائك فعلما مفعول له اي لاجل علمهم بان الامور كلها مربوطة باسبابها تحت تصريف قدرتك

وان

وان مصادرها وهي اسبابها القريبة منتهية الى قضائك وهو حكم علمك الازلي ومنه كانت اسبابا
ومصادر تلك المصائب كان لجاؤهم في الاستجارة بك ويحتمل ان يكون علما مصدرا سد مسد الحال
وهو يستلزم كونهم في عباداتهم واحوالهم منقطعي النظر عن غيره تعالى ولفظ الازمة مستعار لاسباب
الامور ووجه المشابهة كونها متابعة لها وبها يجوز نظام وجودها كالازمة وكذلك لفظ اليد مجاز في
القدرة وقوله اللهم الى آخره شرع في المطلب وجه كلي وهو طلب الدلالة على مصالحه والى امركان وجذب
قلبه بالهداية الى مواضع رشده من العقايد والآراء الصحيحة التامة على تقدير ان عي عن مسألته او تحير
في وجه معرفة مصالحه وقوله فليس ذلك الى قوله كفاياتك استعطاف بما في العادة وان تنعطف به
اهل العواطف والرحم من الكلام اي ان هداياتك لخلقك الى وجوه مصالحهم وكفاياتك لهم ما يحتاجون
اليه امور متعارفة جرت عادتك بها والنعمة منك لعبادك وقوله اللهم احملني الى آخره سؤال ان يحمله تعالى
على عفوه عما عساه صدر عنه من ذنب ولا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل حرمانا او عقوبة وهو من لطيف
ما تعذر به النفس لاستنزال الرحمة الالهية وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم لله بلاد فلان فلقد
قوم الاود وداوى العمد واقام السنة وخلف الفتنة ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها
وسبق شرها ادى الى الله طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال
ولا يستيقن المهتدي اقول الاود العوج والعمد مرض وهو انشداخ داخل سنام البعير من الحمل
ونحوه مع صحة ظاهره وقوله لله بلاد فلان لفظ يقال في معرض المدح كقولهم لله دره ولله ابوه
واصله ان العرب اذا ارادوا مدح شيء وتعظيمه نسبوه الى الله تعالى بهذا اللفظ وروى لله بلاء فلان
اي عمله الحسن في سبيل الله والمنقول ان المراد بفلان عمر وعن القطب الراوندي انه اراد بعض
اصحابه في زمن رسول الله صلعم ممن مات قبل وقوع الفتن وانتشارها وقال ابن ابي الحديد ان
ظاهر الاوصاف المذكورة في الكلام يدل على انه اراد رجلا ولي امر الخلافة قبله لقوله قوم الاود
وداوى العمد ولم يرد من لو وقع في الفتنة وتشعبها بسببه ولا ابا بكر لقصر مدة خلافته وبعد عهده
عن الفتن فكان الاظهر انه اراد عمر واقول ارادته لابي بكر اشبه من ارادته لعمر لما ذكره في خلافة
عمر وذمها به في خطبته المعروفة بالشقشقية كما سبقت الاشارة اليه وقد وصفه بامور احدها
تقويمه للاود وهو كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن سبيل الله الى الاستقامة فيها الثاني مداواته
للعمد واستعار لفظ العمد للامراض النفسانية باعتبار استلزامها للاذى كالعمد ووصف المداواة
لمعالجة تلك الامراض بالمواعظ البالغة والزواجر القارعة القولية والفعلية الثالث اقامته السنة
ولزومها الرابع وتخليفه للفتنة اي موته قبلها ووجه كون ذلك مدحا هو اعتبار عدم وقوعها به
وفي زمنه لحسن تدبيره الخامس ذهابه نقي الثوب واستعار لفظ الثوب لعرضه ونقاءه لسلامته
عن دنس الذام السادس قلة عيوبه السابع اصابته خيرها وسبق شرها والضمير في الموضعين يشبه ان يرجع
الى المعهود مما هو فيه من الخلافة اي اصاب بما فيها من الخير المطلوب وهو العدل واقامة دين الله الذي

يكون الثواب الجزيل في الآخرة والشرف الجليل في الدنيا وسبق شرها اي مات قبل وقوع الفتنة فيها
وسبقه الى ما لاجلها الثامن اداؤه الى الله طاعته التاسع اتقاؤه بحقه اي ادى حقه خوفا من عقوبته
العاشر رحيله الى الآخرة تاركا للناس بعده في طرق متشعبة من الجهالات لا يهتدي فيها من ضل عن
سبيل الله ولا يستيقن المهتدي في سبيل الله انه على سبيله لاختلاف طرق الضلال وكثرة الاختلاف فيها
والواو في قوله وتركهم للحال واعلم ان الشيعة قد اوردوا هنا سؤالا فقالوا ان هذه الممادح التي
ذكرها عليه السلام في حق احد الرجلين تنافي ما اجمعنا عليه من تخطئتهم واخذهما لمنصب الخلافة فاما ان يكون
هذا الكلام من كلامه عليه السلام وان يكون اجابوا عنه ثم اجابوا من وجهين احدهما لا ثم انه في المذكور
فانه جاز ان يكون ذلك المدح منه عليه السلام على وجه استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب
قلوبهم بمثل هذا الكلام الثاني انه جاز ان يكون مدحه ذلك لاحدهما في معرض توبيخ عثمان بوقوع الفتنة
في خلافته واضطراب الامر عليه واستيثاره بيت مال المسلمين هو وبنو ابيه حتى كان ذلك سببا
لثوران المسلمين من الامصار اليه وقتلهم له ويشهد لذلك قوله وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب
قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها وقوله وتركهم في طرق متشعبة آه فان مفهوم ذلك يستلزم
ان الوالي بعد هذا الموصوف قد اتصف باضداد هذه الصفات والله اعلم ومن كلام له عليه السلام
في وصف بيعته وقد تقدم مثله بالفاظ مختلفة وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ثم تداككتم علي
تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف وبلغ
من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت
اليها الكعاب اقول التداك الازدحام القوي والهيم العطاش والتحامل تكلف المشي مع مشقة
والكعاب الجارية حين نهد ثديها وحسرت كشفت وجهها وحاصل الفصل الاحتجاج على من خالفه من اهل
البغي فذكر حال الناس في بيعتهم له وكيفيتها الدالة على شدة حرصهم عليه واجماعهم عن رضى واختيار
على تسليم الامر اليه وشبه ازدحامهم عليه بازدحام الابل العطاش يوم ورودها على الحياض ووجه
الشبه شدة الازدحام ويمكن ان يلاحظ في وجه هذا الشبه كون ما عنده من الفضائل الجمة العلمية والعملية
تشبه الماء وكون المزدحمين عليه في حاجتهم وتعطشهم الى استفادة تلك الفضائل النافعة لغليلهم
كالعطاش من الابل حين ورودها وقوله حتى الى قوله ووطئ الضعيف كقوله في الشقشقية حتى لقد
وطئ الحسنان وشق عطفاي وباقي الفصل ظاهر وهو في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول
وتلخيصها انكم بلغتم في طلبكم لي وحرصكم على بيعتي الى هذه الغاية حتى اجبتكم وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فليس له ان ينكث ويغدر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فان تقوى الله مفتاح سداد
وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب
فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع والدعاء يسمع والحال هادئة والاقلام جارية وبادروا بالاعمال
عمرا ناكسا او مرضا حابسا او موتا خالسا فان الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم

زائر

زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب قد اعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله واقصدتكم
معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عدوته وقلت عنكم نبوته فيوشك ان تغشاكم دواجي ظلله
واحتدام علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته واليم ارهاقه ودجو اطباقه وجشوبة مذاقه فكان
قد اتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق نديكم وعفى آثاركم وعطل دياركم وبعث وراثكم يقتسمون
تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع فعليكم بالجد والاجتهاد
والتأهب والاستعداد والتزود في منزل الزاد ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الامم
الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها واصابوا غرتها وافنوا عدتها واخلقوا جدتها
اصبحت مساكنهم اجداثا واموالهم ميراثا لا يعرفون من اتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم
فاحذروا الدنيا فانها غدارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها
ولا يركد بلاؤها اقول الحابس المانع والخالس المختطف والتكنف الاحاطة والغيلة جمع غيلة بالكسر
وهي منزل السفر والواتر الذي يوجب لغيره الوتر وهو الذحل والحقد والغوائل المصائب التي
تأتي غرة جمع غائلة والمعابل جمع معبلة بكسر الميم وهي نصل طويل عريض وعدوته بفتح العين ظلمه
ونبا السيف اذا لم يؤثر في الضربة والظلل جمع ظلة وهو السحاب والاحتدام شدة الحر والغيظ
والارهاق الاعجال ويروى بالزاي والجشوبة بالجيم غلظ الطعام والنجي القوم يتناجون والندي
القوم يجتمعون في النادي وهو المجمع ولا يحفلون لا يبالون والاحتفال بالشيء الاعتناء به وفي
الفصل مقاصد الاول التنبيه على فضيلة تقوى الله باوصاف الاول كونها مفتاح سداد ولما كان
السداد هو الصواب والعدل في القول والعمل وكان ذلك هو غاية الدين والطريق المسلوك
الى الله تعالى وكانت تقوى الله تعود الى خشيته المستلزمة للاعراض عما سواه استعار لها لفظ
المفتاح باعتبار كونها سببا للاستقامة على الصواب والقصد في صراط الله المستقيم الى ثوابه العظيم
الذي هو افضل المطالب كما ان المفتاح سبب للوصول الى ما يخزن من الاموال النفيسة الثاني كونها
ذخيرة معاد وظاهر ان الاستعداد بخشية الله وما يستلزمه من الكمالات النفسانية من انفس
الذخائر المنتفع بها في المعاد الثالث كونها عتقا من كل ملكة استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقلة
من استيلاء ملكات شياطينها المطيعة بها كخلاص العبد من استيلاء سيده ثم جعل التقوى عتقا مجازا اطلاقا
لاسم المسبب على السبب اذ كانت التقوى سببا لذلك الخلاص المستعار له لفظ العتق الرابع ونجاة من كل
هلكة اطلق عليها لفظ النجاة مجازا كالعتق لكونها سببا لنجاة النفس من الملكات الاخروية وعقوبات
الآثام وربما كانت التقوى سببا للنجاة من مخاوف دنيوية لولاها لحقت الخامس بها ينجح الطالب
اما لثواب الله في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان هذه من اكثر ذكره من الناس شعار المتقين
وذريعة الى مطالبها ونجاح مساعيهم واقبال الدنيا عليهم السادس وينجو الهارب اي من عذاب الله
وهو ظاهر السابع وتنال الرغائب وهو كقوله ونجح المطالب وفي كل ذلك ترغيب من القرآن الحث

من اول الفصل السجع المتوازي المقصد الثاني التنبيه على وجوب العمل الصالح المطلوب منه ومبادرته
باعتبارات الاول انهم في وقت العمل والامكان رخصة الى انه ادون ما بعد الموت والواو في قوله
والعمل للحال الثاني انه في وقت قبول التوبة منهم والاقلاع من موبقات الآثام الثالث وقت سماع
الدعاء وقبوله فان شيئا من ذلك لا ينفع بل لا يمكن بعد الموت الرابع والحال هادية اي حال الانسان
في الدنيا فان حاله بين الموت وما بعده في غاية الاضطراب الخامس والاقلام جارية اي اقلام
الحفظة دفاية في الاعلام بالعمل في حال جريان الاقلام التنبيه على وقت الاعمال الخيرية والامكان بها حين
تكتب وترفع الى الله اي في هذه الاحوال المذكورة ما دامت اقلام الكرام الكاتبين جارية لكتب
اعمالكم المقصد الثالث التنبيه على المبادرة الى الاعمال الخيرية باعتبارات احدها ان اعمارهم
التي هي محل الاعمال في معرض الانتكاس والرجوع الى الحالة المنافية للتكليف وهي الهرم المستلزم
لضعف العقل والبنية ونقصانهما والرجوع الى حال الطفل في ذلك كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه
في الخلق فينبغي ان يبادر ذلك بالاعمال الصالحة الممكنة فيه الثاني ان ابدانهم في معرض التغير
والتبديل بالصحة التي هي مظنة العمل مرضا وهو مظنة بطلان العمل وامتناعه فينبغي ان يبادر
الصحة بالعمل قبل الحبس عنه بالمرض الثالث ان يبادر ما هو اعظم من ذلك وهو الموت الذي
لا بد منه واستعار لفظ الخالس له باعتبار اخذه الاعمار على غرة وغفلة من اهلها كالمختلس للشيء من
يد غيره ثم نبه على وجوب العمل للموت ولما بعده باوصافه المخوفة احدها كونه هادم اللذات الدنيوية
وهو ظاهر ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات الثاني كونه مكدر شهواتهم الثالث
كونه مباعد طياتهم واستعار لفظ الطيات لمنازل السفر الى الآخرة بالموت عن الدنيا واهلها
فان الآخرة ابعد منزل عن الدنيا الرابع استعار لفظ الزائر باعتبار هجومه على الانسان ولما
كان من شأن الزائر ان يكون محبوبا بينه بكونه غير محبوب لتحصيل النفرة عنه والفزع الى العمل له
الخامس استعار له لفظ القرن بوصف كونه غير مغلوب ليتم بالاستعداد له السادس استعار
لفظ الواتر بوصف كونه غير مطلوب اي من شأنه ان يوتر القلوب ولا يمكن ان يطلب بوتره
ولا ينتصف منه ملاحظة لشبهه بالرجل البالغ في الشجاعة بحيث لا يغلب السابع استعار لفظ
الحبائل للاوصاب والامراض البدنية التي هي داعية الموت ومودية اليه لحبائل الصائد ورشح
بوصف الاعلاق الثامن وتكنفتكم غوائله اي احاطت بكم مصائبه التاسع استعار لفظ المعابل
للآفات الداعية الى الموت ايضا باعتبار كونها مؤذية او قاتلة كالنصال ورشح بذكر الاقصاد
العاشر استعار لفظ السطوة له ملاحظة لشبهه بالسلطان القاهر او السبع الضاري في قوة
اخذه وشدة بطشه الحادي عشر وكذلك لفظ العدوة له باعتبار كون اخذه على غير حق كالظالم
فان قلت اذا كانت حقيقة الظلم هي الاخذ بغير حق وهذا الحد صادق في حق الموت فوجب ان
يكون اطلاق لفظ العدوة هنا حقيقة لا استعارة قلت لفظ الاخذ انما يصدق حقيقة على ذي الحيوة

وان

وان سلمنا صدقه على غيره لكن الاخذ بغير حق ليس هو حقيقة الظلم بل الاخذ بغير حق لمن يكون من شأنه
ان يكون له حق وذلك مختص بالعقلاء فسلب الحق عمن له التلفظ حقيقة هو سلب الملكة ومجازا للفظ استعار
هو السلب المطلق الثاني عشر وكذلك لفظ البوق لعدم تأثره ملاحظة لشبهه بالسيف القاطع ووصفها
بالقلة وراعي في كل ثلث قرائن من هذه السجع المتوازي الثالث عشر استعار لفظ الظلل
للامراض والعلل الداعية الى الموت استعارة للمحسوس بالبصر فتخيل ملاحظة لشبهها
بالسحاب المظل واصفها بالدواجي اذ كان الكلام في معرض التخويف والسحاب المظلم اشد رهبة
في القلوب من غيره ويقرب منه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله وهو شروع
في التخويف بنزول الموت الرابع عشر وكذلك استعار وصف الاحتدام لعلله ملاحظة لشبهها
في نزولها بالرجل المستشيط غضبا في قوة الاخذ الخامس عشر استعار لفظ الحنادس لما يتوهم
الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي لما يعرض عند
سكرات الموت من العوارض المانعة من الادراك المغشية السابع عشر والم ارهاقه اي اعجاله
المولم الثامن عشر ودجو اطباقه استعار لفظ الاطباق لحالاته المتزايدة وسكراته المتضاعفة
التي تتضاعف بزوال الآت الادراك بعدا وانقطاعا عن المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع
الادراك بسبب تلك الحالات وصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد باطباقه اطباق
القبور الحاصلة بسببه التاسع عشر استعار لفظ مذاقه لوجدانه باعتبار المشاركة في الادراك
وباعتبار شدة ايلامه وصفه بالجشوبة العشرون التخويف باتيانه بغتة وكان هي المخففة
من كأن والاسم ضمير الشأن ولما كانت كان للتشبيه وكان التشبيه يستلزم المقاربة بين المشبه
والمشبه به في وصف ما هو وجه الشبه كان المشبه هنا هو حال الموت من جهة ما هو منتظر لا بد منه
والمشبه به هو باعتبار اتيانه ومواجهته لهم ووجه الشبه هو القرب اي قرب المنتظر الذي لا بد منه
من الواقع الموجود اذ هو كل ما هو آت قريب ثم اردف التخويف منه بذكر لوازمه المخوفة وهي اسكات
المناجين وتفريق المجتمعين وتعفية الآثار وتعطيل الديار وبعث الوارث لاقتسام التراث
واسند اليه البعث باعتبار انه سبب يلزمه انبعاث دواعي الورثة الى اقتسام التراث
لزوما عرفيا وقوله بين حميم متعلق باتاكم بغتة مع ما بعده من الاحوال اي كانه قد اتاكم بغتة ففعل
بكم ما فعل من اسكات المناجين وغيره بين صديق خاص لاحد لا ينفع صداقته وقريب
محزون لا ينفع حزنه ولا يقدر على المنع عنه وآخر عدو شامت لا يجزع عليه ثم اردف ذكر الموت
ولوازمه بالحث على العمل والجد فيه والتأهب والاستعداد لنزول الموت وما بعده والتزود
اي بالتقوى في منزل الزاد وهو الدنيا لانها المنزل الذي لا يمكن تحصيل الزاد الى الآخرة الا فيه
ولذلك اضافه اليه ثم بالنهي عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين والقرون الماضين
واستعار لفظ الدرة لمنافع الدنيا وخيراتها ولفظ الاحتلاب لجمعها واقتنائها اي الذين قد زودا

بجزائها وحصلوا عليها ولذلك استعار لفظ الغرة لعدم وصول حوادثها اليهم في مدة استمتاعهم
بها لكأنها غافلة عنهم لا ترميهم بشيء من المصائب فلما وجدوا ذلك منها اخذوا منها ما اخذوا وحصلوا
على ما حصلوا واقتنوا من لذاتها اقتناء ثم لما تعدوا فيها من مأكول وملبوس وغيرهما مما يستمتع به
يغني ولكن اخلاقهم لجدتها كأنه يعز استمتاعهم بما اخذوا منها من صحة ومال وغيرهما الى غاية انقضائه
واثبتها مدته حتى كأنهم لم يتمتعوا من محاسنها شيئا الا اخلقوه ولما وصف حالهم فيها بما وصف اردف
ذلك بذكر غايتهم منها وهي الاحوال المذكورة بقوله اصبحت مساكنهم اجداثا الى قوله دعاهم وخلاصة
الكلام انكم لا تغتروا بالدنيا كما اغتر بها من كان قبلكم فان اولئك مع انهم كانوا اقدم حصادا فوائدها
وحصلوا امثال ما حصلوا من خيراتها كانت غايتهم منها ان وصلوا الى ما وصلوا من العدم فلذلك
انتم بطريق الاولى ثم اكد التحذير منها بذكر اوصافها المنفرة عنها فاستعار لها لفظ الغرارة باعتبار
كونها سببا ماديا للاغترار كالسبب ولما كان الخداع هو المشورة بما ظاهره مصلحة وباطنه
مفسدة وكان ظهور زينة الحيوة الدنيا للناس يشبه الراي المحمود في الظاهر باتباعها وكانت
تلك الزينة واتباعها سببا للغفلة بها عن سبيل الله الذي هو عين المفسدة يشبه المفسدة في باطن
الراي لا جرم اشبه ظهور زينتها الخداع فاستعار لها لفظ الخدوع بذلك الاعتبار ولذلك استعار
لفظ المعطية ولفظ المنوع باعتبار كونها سببا ماديا للاشتغال بما فيها من خيراتها وسببا ماديا
للمنع ولذلك لفظ الملبسة النزوع وراعى في هاتين القرينتين المقابلة وفايدتها هنا التنفير عما
يتوهم فيها خيرا مما تعطيه وتلبسه بذكر استعقابها لمقابلتها من منعها لما تعطيه ونزعها لما تلبسه
ولذلك اكده بقوله لا تدوم رخاؤها الى آخره ولما كان رخاؤها من صحة وشباب ومال وجاه
ونحوها من ساير الملذات البدنية حوادث مشروطة باستعدادات سابقة عليها ومعدات
غير مضبوطة كثيرة حادثة وغير حادثة سريعة التغير او بطيئة لا جرم كان من شان ذلك الرخاء
التغير والانقطاع وظاهر ان انقطاع رخائها حال فيه استلزم لعدم انقطاع بلائها وعنائها
وتواتر بلائها واستعار لبلاء الدنيا وصف عدم الركود ملاحظة لشبهه بالريح الدائمة الحركة لكونه
دائما **منها في صفة الزهاد** كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها عملوا
فيها بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون تقلب ابدانهم بين ظهراني اهل الآخرة ويرون اهل الدنيا
يعظمون موت اجسادهم وهم اشد اعظاما لموت قلوب احيائهم **اقول** هذا الفصل في النون والشاهد
الى بعض اصحابه الذين درجوا قبله وقوله كانوا قوما الى قوله اهلها قضيتان ظاهرهما التناقض
لكن قد علمت ان المطلقتين لا تتناقضان واختلافهما يحتمل ان يكون بالموضوع او بالاضافة فانهم
من اهل الدنيا بابدانهم ومشاركتهم الضرورية لاهلها في الحاجة اليها وليسوا من اهلها بقلوبهم
اذ خرجوا عن ملاذها ونعيمها واستغرقوا في محبة الله وما اعد لاوليائه الابرار في دار القرار
فهم ابدا متطلعون اليه ومشاهدون لاحوال الآخرة بعيون بصائرهم كما قال عليه السلام فيما قبل

فهم

فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ومن كان
كذلك فحضوره القلبي انما هو في تلك الدار فكان بالحقيقة من اهلها وقوله عملوا فيها بما يبصرون اي كان
سعيهم وحركاتهم البدنية والنفسانية في سبيل الله ببصيرة ومشاهدة لاحوال تلك الطريق وما يفضي
اليه من السعادة الباقية وعلم بما يستلزمه الانحراف عنها من الشقاوة اللازمة الدائمة وان تقلب
وما مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي اي بالذي يبصرونه ويشاهدونه من تلك الاحوال
فان علمهم اليقين بما هو السبب القايد والحامل لهم في تلك الطريق وعلى سلوكها وقوله وبادروا
فيها ما يحذرون فالمبادرة المسابقة والمعاجلة وهي مفاعلة من الطرفين والمراد انهم سابقوا
ما يحذرون من عذاب الله المتوعدين به في الآخرة كانه سابق لهم الى انفسهم وهم سابقوه
الى خلاصها فسبقوه الى النجاة اذ كانوا راكبين مطايا متمسكين بعصمها وهي اوامر الله وحدوده
وقوله تقلب الى قوله الآخرة اي تتقلب فحذف احدى التائين تخفيفا فالمعنى انهم معاشرة
اهل الآخرة والعاملين لها دون اهل الدنيا وقيل يحتمل ان يريد باهل الآخرة ساير الناس لان
مستقرهم الاصلي ودار قرارهم هي الآخرة كما قال تعالى وان الآخرة هي دار القرار والمعنى انهم
مع الناس بابدانهم فقط في تقلب منهم واراد انهم في مقام آخر وقوله يرون الى آخره الغرض الفرق
بينهم وبين اهل الدنيا اذ كان اهل الدنيا لا يرون ان وراء ابدانهم كمالا آخر فكانوا غافلين
عن احوال الآخرة من سعادة او شقاوة فكان اعظم محبوباتهم بقاء اجسادهم وتكميلها واعظم
منفور عنه لهم نقصانها وموتها اما المتقون فهم وان كانوا يرونهم بتلك الحال الا انهم يرون
لهم افضل مما يرون وهو ان موت قلوبهم وفقدانها الحيوة بالعلم والحكمة اعظم من موت اجسامهم
وذلك لعلمهم بفناء الحيوة البدنية وانقطاعها وكدرها بعوارض الامراض وساير المنغصات
الدنيوية وبقاء الحيوة النفسانية وشرف كمالها وصفاء لذاتها عن الاقذاء والاكدار وانما قال قلوب
احيائهم ولم يقل قلوبهم لان موت القلوب قد يكون حقيقة بموت الاجساد وقد يكون مجازا وهو
فقدان العلم ونور الحكمة مع حيوة الاجساد فكان ذكر الاحياء كالقرينة المعينة لمراده بذلك الموت
مجازا والضمير في قوله احيائهم يعود الى اهل الدنيا لان موت القلوب هو الواقع بهم حال حيوة
ابدانهم ويحتمل عوده الى قوله وهم الذي هو ضمير المتقين وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام**
خطبها بذي قار وهو متوجه الى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل فصدع بما امر به وبلغ رسالات
ربه فلم الله به الصدع ورتق به الفتق والف به بين ذوي الارحام بعد العداوة الواغرة في
الصدور والضغائن القادحة في القلوب **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة وفيه كانت
وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام والصدع الشق والواغرة ذات الوغرة وهي شدة
توقد الحر وفي صدره وغر اي عداوة وضغن وتوقد من الغيظ وعداوة واغرة شديدة والضغن
الضغاين والاحقاد والاشارة الى اوصاف الرسول صلى الله عليه وآله فالاول استعار لفظ الصدع

بما امر به من تبليغ الوحي ووجه المشابهة انه شق بما جاء به الرسالة عصا الكفر وكلا ابله وفرق ما اتصل من
اغشية الجهل في نفوس الكافرين وحجب الغفلة التي رانت على قلوبهم كما يصدع البحر بالمعول ونحوه والثاني
ذكر تبليغه رسالات ربه في معرض مدحه لكونه اداء امانة عظم تبليغها وقدرها وذلك فضيلة تحت ملكة العفة
الثالث كونه قد لم الله به الصدع ورتق به الفتق واستعار لفظي الصدع والفتق لما كان بين العرب
من الافتراق وتشتت الاهواء واختلاف الكلمة والعداوات والاحقاد حتى ان احدهم كان يقتل
اباه وابنه وذوي رحمه لهوى يقوده او صغر يحمله فجمع الله بمحمد صلى الله عليه وآله اشتاتهم والف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولذلك استعار
لفظ القادحة للضغاين لاستلزامها اثارة الغضب والفتن والشرور كما يثير القادح النار
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته ان هذا المال ليس لي
ولا لك وانما هو فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة
ايديهم لا تكون لغير افواههم **اقول** هو عبد الله بن زمعة بفتح الميم بن الاسود بن المطلب بن اسد
ابن عبد العزى بن قصي وكان من اصحاب علي وشيعته وطلب المال المجلوب وروي بالجنا وجناة
الثمر ما يجنى منه وظاهر الكلام يقتضي انه استماحه عليه السلم مالا فاعتذر اليه ووجه العذر انه لم يكن
يجمع لنفسه مالا يخصه وانما يجمع له معه ما كان لبيت مال المسلمين من غنيمة وهو ما جلبته اسيافهم من
مال الكفار غنيمة ونطق القران الكريم بقسمة خمسه بين من ذكر في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاقسام الاربعة
الباقية للغانمين الذين باشروا القتال فعند الشافعي للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهم وعند ابي
حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم وهو مذهب اهل البيت عليهم السلم ويحمل منعه عن الخمس
على انه طلب من مال المقاتلة او على ان الخمس كان قد قسم او على انه لم يكن من المساكين وهم اهل
الفاقة والفقر ولا ابن سبيل وهو المنقطع في سفره واما سهم الله فانه [illegible] فان ذكر الله
هنا للتعظيم وان اختلفوا في قسم الخمس فمنهم من قال يقسم خمسة اقسام لان سهم الله وسهم الرسول
للرسول فهو خمس واحد وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وجماعة من اهل التفسير ومنهم من قال
يقسم اربعة اقسام ومنهم من قال ثلثة اقسام والمروي عن اهل البيت عليهم السلم انه يقسم ستة اقسام
منهم الله ورسوله للرسول عليه السلم وبعده مع سهم ذوي القربى للقايم مقامه ينفقها على نفسه
واهل بيته من بني هاشم والثلثة الاسهم الباقية ليتامى والمساكين وابناء السبيل من اهل بيت الرسول
لا يشركهم فيها باقي الناس عوضا من الصدقات المحرمة عليهم والايمة الاربعة على ان سهم الرسول
كان يصرف بعد عهده الى ما اهم من مصالح المسلمين من السلاح والكراع فاذن لم يكن له ان
يعطيه من سهم الرسول ع وظاهر انه ليس من اولي القربى ولا اليتامى واما منعه من الاخماس
الاربعة فلما كانت للمقاتلة خاصة ولم يكن هو منهم ولذلك قال له وانما هو فيء المسلمين وجلب

اسيافهم

اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وقد نطق كلامه هنا بان الفيء والغنيمة واحد وان
كان قد يخص الفيء عند بعضهم بما اخذ من مال الكفار بغير قتال وهو قول الشافعي والمروي في اخبار الايمة
وقوله والا اي وان لا يكون قد شركتهم واستعار لفظ الجناة لما اكتسبوه بايديهم من ذلك المال
ملاحظة لشابهته بالتقاط الثمر واجتنائها وهو من افصح الاستعارات وجرى مجرى المثل يضرب لمن
يطلب مشاركة غيره في ثمرة فعل فعله ذلك الغير وتعب فيه ولما كان قوله والا والا شرطا مقدم شرطية
متصلة وتقديره والا تكن قد شركتهم في حربهم ثبته بقوله فجناة ايديهم الخ على تاليها اذ كان مفهوم هذا
القول دالا على عدم استحقاق غير الجاني نصيبا مما جناه يد الجاني فكانه قال والا تشركهم في حربهم
فلا يكون لك نصيب فيما كسبته ايديهم والفا لجواب الشرط المقدر وبالله التوفيق **ومن كلام له**
عليه السلم الا وان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده القول اذا امتنع ولا يمهله النطق اذا اتسع
وانا لامراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه واعلموا رحمكم الله انكم في زمان
القايل فيه بالحق قليل واللسان عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل اهله معتكفون على العصيان
مصطلحون على الادهان فتاهم عارم وشائبهم آثم وعالمهم منافق وقارئهم مماذق لا يعظم صغيرهم
كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم **اقول** روي ان امير المؤمنين عليه السلم قال هذا الكلام في واقعة
اقتضت ذلك وهي انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي يوما ان يخطب الناس فصعد
المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام عليه السلم وتسنم ذروة المنبر ثم خطب خطبة طويلة ذكر الرضي رح
منها هذا الفصل والبضعة القطعة وتنشبت تعلقت وتهدلت تدلت والعارم الشرس سيئ
الاخلاق والمماذق الذي يمزج الود ولا يخلصه وهو نوع من النفاق والضمير في يسعده ويمهله
للسان وفي امتنع واتسع للانسان والمعنى ان اللسان لما كان آلة للانسان يتصرف بتصريفه اياه
فاذا امتنع الانسان عن الكلام لشاغل او صارف لم يسعد اللسان القول ولم يواته واذا دعا
واذا دعاه الداعي الى الكلام وحضره واتسع الانسان له لم يمهله النطق بل يسارع اليه ويحتمل
ان يعود الضمير في امتنع الى القول وفي اتسع الى النطق اي فلا يسعد القول اللسان اذا امتنع
القول من الانسان ولم يحضره لوهم او نحوه او وجب حصره وعيه ولم يمهله النطق اذا اتسع عليه
وحضره وقوله وانا لامراء الكلام استعار لفظ الامراء لنفسه واهل بيته ملاحظة لكونهم مالكين
لازمة الكلام يتصرفون فيه تصرف الامراء في ممالكهم واستعار لفظ العروق لمواد الكلام
واصوله وملكاته المتمكنة من قلوبهم واستعار لفظ التنشب وكذلك استعار لفظ الغصون
لما امكنهم من تناوله وقوله ورشح بذكر التهدل لان من شان الغصن ذلك ثم عقب بذكر الزمان
واهله وليشبه ان يكون هذا الفصل منقطعا عما قبله وذكر اوصافا اربعة قلة القايلين فيه بالحق وذلك
من الشرور اللاحقة لاهل الزمان فيه وقد علمت ما قلناه في كون الزمان شيئا بالشر والخير عند قوله
ايها الناس انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود الثاني كون اللسان فيه كليلا عن الصدق

والسبب القريب للوصفين استيلاء الجهل والغفلة على اكابرهم واهل الدنيا فيهم الثالث ذكر الاذى من عجز منه
وهو لازم عن قلتهم وضعفهم بالنسبة الى اعدائهم الرابع كون اهله متكلفين في الادهان اي المصانعة باللسان
دون الاتفاق بالقلوب ويحتمل ان يريد بالادهان الغش وهو لغة قوم الخامس ذمهم بسبب اسنانهم
فشبابهم شرس الاخلاق لنشوهم في غير ادب وشايبهم آثم لجهله وغفلته عما يراد به وعالمهم منافق لاستعماله
فطنته في طرف الشر واعراضه عن اوامر الله وطريق الآخرة وقارئهم مماذق يظهر التودد الى الناس رياء
السابع كونهم لا يعظم صغيرهم كبيرهم وذلك لنشوهم في قلة الآداب الشرعية وعدم التفاتهم اليها الثامن
ولا يعول غنيهم فقيرهم وصفهم بالقساوة والبخل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** روى ابو محمد
اليماني عن احمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلام فقال وقد ذكر
عنده اختلاف الناس وانما فرق بينهم مبادي طينهم وذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن
تربة وسهلها فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافها يتفاوتون فتام الرواء ناقص
العقل وماد القامة قصير الهمة وزاكي العمل قبيح المنظر وقريب القعر بعيد السبر ومعروف الضريبة
منكر الجليبة وتائه القلب متفرق اللب وطليق اللسان حديد الجنان **اقول** ثعلب واحد وعبد الله
ومالك من رجال الشيعة ومحدثيهم والفلقة القطعة والشق من الشيء والرواء المنظر الجميل وسبرت الرجل
اسبره اختبرت باطنه وغوره والضريبة الخلق والطبيعة والجليبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه والكلام
اشارة الى السبب المادي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق فقوله وانما فرق بينهم الى قوله
يتفاوتون فطينتهم اشارة الى التربة التي اشار الى جمع الله اياها في قوله في الخطبة الاولى ثم جمع سبحانه
من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة الى قوله واصلدها حتى استمسكت والمعنى ان تقاربهم
في الصور والاخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه من السهل والحزن والسبخ والعذب
وتفاوتهم فيها تابع لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة قال اهل التاويل اضاف المبادي هنا الى الطين
اضافة بمعنى اللام اي المبادي لطينهم والاشارة بطينهم الى اصولهم وهي الممتزجات المتكونة في اطوار
الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانساني القابل
للنفس المدبرة قالوا ولما كانت مبادي تلك الطين في ظاهر كلامه عليه السلام هي السبخ والعذب
والسهل والحزن كان ذلك كناية عن الاجزاء العنصرية التي هي مبادي الممتزجات ذوات الامزجة
كالنبات والغذاء والنطفة وما بعدها اذ كل ممتزج منها لا بد فيه من اجزاء تتفاعل فيحصل بواسطتها
استعدادها وتفاعلها لمزاج هو نطفة وغيرها فتلك الاجزاء المتفاعلة المستعدة لمزاج مزاج
هي مبادي تلك الامزجة والممتزجات ولما كانت السبخية والعذوبة والسهولة والحزونة امورا
تلحق الممتزجات الارضية التي هي مبادي الطين وهما اثر عن اختلاف مزاجه وسائر الامزجة المركبة
منه وكان اختلاف استعدادات تلك الامور الممتزجة لقبول الامزجة التي هي السبب في اختلاف
الامزجة وذلك اختلاف الامزجة واستعداداتها لقبول الاخلاق والصور هو السبب في اختلاف

الاخلاق

الاخلاق والصور لاجرم كان السبب في تفرق الناس في اخلاقهم وخلقهم انما هو اختلاف مبادي طينهم
وقد علمت فيما سلف في الخطبة الاولى لطيفة تخصيصه عليه السلام بعض الاجزاء العنصرية بالذكر فيها ويحتمل ان
يشير بالسبخ والعذب والسهل والحزن الى الاجزاء الارضية من حيث هي ذوات امزجة عن الحار الرطب
والسهل كناية عن البارد الرطب والحزن كناية عن البارد اليابس قالوا ويعاضد الحمل قول الرسول صلى الله عليه وآله
ان الله سبحانه لما اراد خلق آدم امر ان يؤخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على قدر طينها الاحمر والابيض
والسهل والحزن والطيب والخبيث فالقبضة من كل ارض اشارة الى الاجزاء الارضية المذكورة وكون
الناس مختلفين فيها بالابيض والاحمر اشارة الى اختلاف خلقهم وكونهم مختلفين بالسهولة والحزونة
والطيب والخبث اشارة الى اختلاف اخلاقهم عن اختلاف تلك الاستعدادات السابقة في كل
مزاج من اطوار خلقتهم قالوا وقد بان بذلك معنى قوله فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون اي على حسب
قرب مبادي طينهم المذكورة وتشابهها في استعداداتها واعدادها يتقاربون ويتشابهون
في الصور والاخلاق وعلى قدر اختلاف تلك المبادي وتباينها في ذلك يتفاوتون ويتضادون اخلاقهم
وتباين خلقهم قالوا ويجب التاويل هاهنا لانا لو حملنا الكلام على ظاهره لاقتضى ان كلا منهم قد خلق من
الطين فقوله فتام الرواء الى آخره تفصيل لهم في تفاوتهم وذكر اقساما سبعة فبدأ بالاقسام التي تتضاد
خلقها لاخلاقها او بعض اخلاقها لبعض وهي خمسة الاول من استعد مزاجه لقبول صورة كاملة حسنة
وعقل ناقص فهو اهل لذلك رذيلة الغباوة الثاني من المستعد لامتداد القامة وحسنها لكنه
ناقص في همته فهو اهل لذلك رذيلة الجبن وكلاهما مشترك في مخالفة ظاهرهما لباطنهما وتفاوتهما
في الاستعداد الباطن الثالث المستعد لقبح صورته الظاهرة وحسن باطنه باعتدال مزاج ذهنه المستلزم
للاعمال الزاكية الرابع قريب القعر اي قصير بعيد السبر اي داهية بعيد اختبار باطنه والوقوف
على اسراره فمخالفة ظاهره بقرب القعر لباطنه ظاهر الخامس معروف الضريبة منكر الجليبة
اي يكون ذا خلق معروف يتكلف ضده فيستنكر منه ويظهر عليه التكلف كان يكون مستعدا للجبن
فيتكلف الشجاعة او بخيلا فيتكلف السماحة فيستنكر منه ما لم يكن معروفا منه فهذه هي الاقسام الخمسة
والقسم الاول والثالث قليلان فان الاغلب على المستعد لحسن الصورة وجمالها واعتدال الخلقة
ان يكون فطنا ذكيا لدلالة تلك العوارض على استواء التركيب واعتدال المزاج والاغلب على
المستعد لقبح الصورة عكس ذلك واما القسم الثاني والرابع فهو اكثر فان الاغلب على طول القامة
نقصان العقل والبلادة ويتبع ذلك خور العزم وقصور الهمة وعلى القصير الفطنة والذكاء وحسن
الآراء والتدابير وقد نبه بعض الحكماء على ذلك فقال حين سئل ما بال القصار من الناس ادهى
واحذق قال لقرب قلوبهم من ادمغتهم ومراده ان القلب لما كان مبدأ للحار الغريزي وكانت
الاعراض النفسانية من الفطنة والفهم والاقدام والوقاحة وحسن الظن وجودة الرجاء والنشاط
ورجولية الاخلاق وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء وكل ذلك يدل على الحرارة وتوفرها

والاضداد في هذه الامور يدل على البرودة كان قرب القلب من الدماغ في القصير لكونه سببا لتوفر
الحرارة في الدماغ وجودة استعداد القوى النفسانية فيه للاعراض المذكورة وكان بعده منه
في الطويل سببا لقلة الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك الاعراض الاستعداد
واستعدادها لاضدادها وان كانت الحرارة ليست هي كمال السبب المادي والعلم الحاصل
الكثير وذلك بحسب النفوس فكان من قرى البخيل يجب ان يعد كريما فيتكلف الكرم والجبان يجب
ان يعد شجاعا فيتكلف الشجاعة وقد راعى في هذه القرائن المطابقة فالتام بازاء الناقص وحمالة
القالة بازاء القصير والزاكي بازاء القبيح والقريب بازاء البعيد والمعروف بازاء المنكر واما
القسمان الباقيان فاحدهما آنية القلب متفرق اللب وهم العوام والغاغة اتباع كل ناعق
التائهون في تيه الجهل المتفرقة اهواؤهم بحسب كل سانح من المطالب الدنيوية والخواطر الشيطانية
والثاني في طليق اللسان حديد الجنان وهو الفطن الذكي وهذان القسمان مختلفان لان الاقسام الاول
في مناسبة ظاهرهما لباطنهما وراعى في كل قرينتين من هذين القسمين السجع المتوازي وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي انت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع
بموت غيرك من النبوة والانباء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمن سواك وعممت حتى صار
الناس فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون
ولكان الداء مماطلا والكمد محالفا وقلا لك ولكنه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه بأبي انت
وأمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك اقول روى عوض الانباء الانبياء والاخبار والشؤون
مواصل قطع الرأس المشعوب بعضها مع بعض وملتقاها والعرب تقول ان الدموع تجئ منها
وقال ابن السكيت الشأنان عرقان ينحدران من الرأس الى الحاجبين ثم الى العينين والكمد الحزن
المكتوم والمحالف الملازم والبال القلب وقوله بأبي انت وأمي يتعلق بمحذوف تقديره افديك
وانما قال له لقد انقطع بموتك الى قوله السماء لانه صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء واراد باخبار السماء
الوحي قال اهل التأويل ولفظ السماء مستعار لما علا في المعنى من سماء عالم الغيب ومقامات
الملائكة وقوله خصصت الى قوله سواء اي خصصت في مصيبتك من حيث انها مصيبة فادحة عظيمة
لا يصاب الناس في الحقيقة بمثلها فلذلك كانت مسلية لهم عن المصاب بمن سواك وعممت بمصيبتك
حتى استووا فيها واضاف الخصوص والعموم اليه وان كانا للمصيبة لكونه سببها وقوله ولولا
الى قوله وقلالك اشارة الى العذر في ترك البكاء الكثير ومماطلة الداء وملازمة الحزن وهو
امره عليه السلام بالصبر في مواطن المكروه والنهي عن الجزع عند نزول الشدائد وكنى عن كثرة البكاء
بانفاد ماء الشؤون وبالداء عن الم الحزن لفقده صلى الله عليه وآله واستعار لفظ المماطلة لكون
الحزن والملاثاة ونحوه لا يكاد يفرق مع ان من عادته ان يفارق فهو كالمماطل بالمفارقة
والضمير في قوله وقلالك يعود الى انفاد ماء الشؤون الذي دل عليه انفدنا والى الكمد الحالف

وما كان

وما كان هو الداء المماطل اي بصيرا الاثنين ويحتمل ان يعود الى الداء المماطل والحزن الملازم رجعا
للقرب والضمير في قوله ولكنه ما لا يملك يعود الى الموت في قوله بموتك وتقديره ولكن الموت
الذي لاجله البكاء والحزن ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه فلم يكن في البكاء والجزع فائدة وكان
لزوم الصبر اولى ثم عاد الى التفدية وهي كلمة معتادة للعرب تقال لمن يعز عليهم فان قلت
كيف تحسن التفدية هنا بعد الموت وهي غير ممكنة قلت انه لا يشترط في اطلاقها في عرفهم
امكان التفدية اذ ليس الغرض منها تحقيق التفدية بل تخييل التفدية وايهامها لاستحقاق
وتخيل المفدي له انه عزيز في نفس القائل الى غاية انه ارجح من ابيه وامه بحيث يفديه بهما
وظاهر ايهامها يفعل في الطبع ميلا من المقول له ثم سأله ان يذكره عند ربه وان يجعلهم من باله اذ
السابق اليه مع كونه رئيس الخلق ومقدمهم فكان اولى من يسأل ذلك منه واراد اذكرنا عنده
بما لنا عليه من طاعته فهو كالسفير يبعثه الملك الى اهل مدينة ليصلح حالهم ويعظهم في سلوك طاعة الملك
بالترهيب من وعيده والترغيب فيما عنده من الكرامة فلا بد ان يعلم طاعة المطيع وعصيان العاصي
حتى اذا عاد رجوعه الى حضرة الملك احب عقلاؤهم واهل الطاعة منهم ان يذكر طاعتهم عند الملك
بين يديه فيتقربون الى قلبه ويسألونه ان يجعلهم من باله اي من همته يقال هذا من بال فلان
اي مما يباليه ويهتم به ويحتمل ان يريد من مهمات بالك فحذف المضاف وقبض صلى الله عليه وآله
بعد الهجرة بعشر سنين وكان مولده عام الفيل وبعث وهو ابن اربعين سنة بعد بناء
الكعبة وهاجر الى المدينة وهو ابن ثلث وخمسين سنة وكان سنه يوم قبض ثلثا وستين سنة و
يقال انه ولد يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين ودفن ليلة الاربعاء
بحجرة عائشة وفيها قبض وتولى غسله علي عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وولده الفضل
وقد اشرنا الى ذلك في كيفية دفنه صلى الله عليه وآله في قوله ولقد علم المستحفظون وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر
الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على ان لا شبه له الذي
صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه مستشهد بحدوث
الاشياء على ازليته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد
ودائم لا بامد وقائم لا بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة لم تحط به
الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته
تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل كبر شأنا وعظم سلطانا واشهد
ان محمدا عبده الصفي وامينه الرضي صلى الله عليه وآله ارسله بوجوب الحجج وظهور الفلج وايضاح
المنهج فبلغ الرسالة صادعا بها وحمل على المحجة دالا عليها واقام اعلام الاهتداء ومنار الضياء وجعل
امراس الاسلام متينة وعرى الايمان وثيقة اقول المشاهد المحاضر والمجالس والمرائي جمع

مرآة بفتح الميم وهي المنظر يقال فلان حسن في مرآة العين وفي رأي العين اي في المنظر والفتح الظفر
واصله السكون والامراس جمع مرس بفتح الراء جمع مرسة وهي الحبل وقد حمد الله تعالى باعتبارات
من التنزيه الاول كونه لا تدركه الشواهد واراد الحواس وسماها شواهد لكونها تشهد ما تدركه وتحضر
معه وقد علمت تنزيهه تعالى عن ادراك الحواس غير مرة الثاني نفي ان تحويه المشاهد وقد علمت تنزيهه تعالى
عن الامكنة والاحياز الثالث ولا تراه النواظر اي نواظر الابصار وانما خص البصر بالذكر
بعد ذكر الشواهد لظهور تنزيهه تعالى عن سائر الحواس ووقوع الشبهة وتوهم ادراكه اذ ان كثيرا من الخلق
في جواز ادراكه تعالى بهذه الحاسة حتى ان مذهب كثير من العوام ان تنزيهه تعالى عن ذلك ضلال بل كفر تعالى الله
عما يقول العادلون الرابع ولا تحجبه السواتر وقد علمت ان السواتر الجسمانية انما تعرض للاجسام
وعوارضها وحققت تنزيهه تعالى عن ذلك الخامس كونه دالا على قدمه بحدوث خلقه واعلم انه عليه السلم
جعل حدوث خلقه هنا دالا على امرين احدهما قدمه تعالى والثاني وجوده وقد سبق تقرير ذلك
في قوله عليه السلم الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته غير انه جعل هناك الدليل
على الوجود هو نفس الخلق وجعله هنا هو الحدوث ولما كان مجرد الوجود للممكنات وخلقها يدل
على وجود صانع لها فاولى ان يدل حدوثها على قدمه وازليته واحد السادس وكذلك من
تقرير قوله وباشتباههم على ان لا شبه له في الفصل المذكور السابع الذي صدق في ميعاده وصدقه
تعالى يعود الى مطابقة ما نطقت به كتبه على السنة رسله الصادقين عليهم السلم للواقع في الوجود اما وعده
اما في الدنيا كما وعد رسوله والمؤمنين بالنصر والاستخلاف في الارض كقوله تعالى وعدكم الله
مغانم كثيرة تأخذونها الآية وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض واما في الآخرة كما وعد عباده الصالحين بما اعد لهم في الجنة من الثواب الجزيل والخلف
في الوعد كذب وهو على الله سبحانه محال وهو كقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد الثامن وارتفع
عن ظلم عباده وهو تنزيه له عن حال ملوك الارض الذين من شانهم ظلم رعيتهم اذا ارادوا ذلك
او لطبهم (؟) وان حيث منفعة ولذة اذ في تركه ضرر وتألم وكل ذلك من توابع الامزجة وعوارض
البشرية المحتاج الى تحصيل الكمال الحقيقي او الوهمي وجناب الحق تعالى منزه عن ذلك التاسع وقام
بالقسط في خلقه فقيامه بالقسط وهو العدل هو اجراؤه لاحكامه في مخلوقاته على وفق الحكمة والنظام
الاكمل الكلي وهو امر ظاهر وكذلك عدله عليهم في حكمه العاشر كونه يستشهد بحدوث الاشياء
على ازليته الاستشهاد الاستدلال وكرره هنا تاكيدا باختلاف العبارة الحادي عشر وبما
وسمها به من العجز على قدرته والعجز عبارة عن عدم القدرة عما من شانه ان يقدر اذ لا يقال للجدار
انه عاجز وقد علمت ان كل موجود سواه فهو موصوف وموسوم بعدم القدرة على ما يختص به
قدرته تعالى من الموجودات بل بعدم القدرة على شيء اصلا اذ كل موجود فهو منته في سلسلة الحاجة
اليه وهو تعالى مبدأ وجوده وسائر ما يعد سببا له فانما هو واسطة معدة كما علمته في مواضع اخر

فان

فان لا قدرة في الحقيقة الا له ومنه ووجه الاستدلال انه لو كان موسوما بالعجز عن شيء لما كان مبدأ له
لكنه مبدأ لكل موجود فهو ثابت القدرة تامها الثاني عشر وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه فاضطرارها
الى الفناء حكم قدرته القاهرة على ما استعد منها للعدم بافاضة صورة العدم عليه حين استعداده
لذلك على وفق قضائه تعالى بذلك وهو المشار اليه بقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
الا من شاء الله ووجه الاستدلال انه تعالى لو كان مضطرا الى الفناء كسائر الاشياء لكان جائز
الفناء فكان ممكنا لكنه الثابت (؟) فهو واجب الوجود الثالث عشر كونه تعالى واحدا لا بعدد اي انه ليس
بواحد الحق (؟) انه مبدأ الكثرة يكون عادا لها ومكيالا وقد سبق بيان ذلك وبيان اطلاق وجه الوحدة
عليه وبالذي هي (؟) غير مرة فلا معنى لاعادته الرابع عشر كونه دائما لا بامد وقد سبق ايضا بيان
ان كونه دائما يعني ان وجوده مساوق لوجود الزمان اذ كان تعالى هو موجد الزمان بعد مراتب من خلقه
ومساوقة الزمان لا يقتضي الكون في الزمان ولما كان الامد هو الغاية من الزمان ومنتهى المدة
المضروبة لذي الزمان من زمانه وثبت انه تعالى ليس بذي زمان يعرض له الامد ثبت انه
دائم لا امد له الخامس عشر كونه قائما لا بعمد اي ثابت الوجود من غير استناد الى سبب يقيمه
عليه ويقيمه في الوجود كسائر الموجودات الممكنة وذلك هو معنى كونه واجب الوجود وقد اشرنا الى
برهان ذلك في قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وكثير من قرائن هذا الفصل موجود هناك السادس عشر
كونه تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتلقي الاذهان له يعود الى استثباتها ونعتها له بما يمكنها ان تتصوره
من صفاته السلبية والاضافية وكون ذلك لا بمشاعرة اي ليس تلقيها تلك التصورات من طريق
المشاعر وهي الحواس ولا على وجه شعورها بما يشعر به منها بل تلقاها على وجه الطف واشرف بعقل
صرف بريء عن علائق المواد مجرد عن ادراك الحواس وتوابع ادراكها من الوضع والاين
والمقدار واللون وغير ذلك السابع عشر كونه تشهد له المرائي لا بمحاضرة اشارة الى كون
المرائي والنواظر طرقا للعقول الى الشهادة بوجوده تعالى لما في آثار قدرته ولطائف صنعته
وما يدرك بحس البصر منها ولوضوح العلم به تعالى وشهادة العقول بوجوده في المدركات بهذه
الآثار صار كانه تعالى مشاهد مرئي لها وان لم يكن بهذه الآثار محاضرة له ولا تتعلق ادراكها به ويحتمل
ان يريد بالمرائي المرئيات التي هي محال ابصار الناظرين ومواقعها وذلك ان وجودها وما اشتملت
عليه من الحكم شاهدة بوجود الصانع سبحانه من غير حضور ومحاضرة حسية كما عليه الصانع في صنائعهم
من محاضرتها ومباشرتها الثامن عشر كونه تعالى لم تحط به الاوهام لما كان تعالى غير مركب لم يمكن ان تطلع
العقل او وهم الى (؟) والاوهام اولى بذلك اذ كانت انما تتعلق بالمعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات
والمواد الجسمانية قربت في تنزيهه تعالى عن احاطة الاوهام به قياس هكذا لا شيء من مسمى واجب الوجود
متعلق بمادة ووضع وكل مدرك للوهم فهو متعلق بذي مادة ووضع فلا شيء مما هو واجب الوجود
بمدرك الاوهام اصلا فضلا ان تحيط به وتطلع على حقيقته وقد مر ذلك مرارا التاسع عشر كونه تعالى

يتجلى لها وما يثبت انها لا تدرك الا ما كان منه جزئيا نحو محسوس فمعنى تجليه لها هو ظهوره لها نحو صورة
وجوده ووجود ساير مدركاتها من جهة ما هو صانعها وموجدها اذ كانت الاوهام عند اعتبارها
لاحوال انفسها من وجود ذاتها وعوارض وجود ذاتها والتغيرات اللاحقة لها مشاهدة لحاجتها الى موجد
ومقيم ومغير وصانع هذه المعقول في ذلك وان ادراكها لذلك نحو اقتضائها في وجه جرى مخالف
لادراك العقول وكانت مشاهدة له بحسب ما طبعت عليه وتقدر امكانها وهو متجلي لها لذلك
وانها نحو بها الصبية اذ وجودها هو السبب الذي نحو تجليه لها ويحتمل ان يكون بمعنى اي تجلى لها
نحو وجودها وبل هنا للاضراب عما اثبت منها من الاحاطة به والاثبات في الكن ووجب من تجليه لها
العشرون وبها امتنع منها اي لما خلقت قاصرة عن ادراك المعاني الكلية وعن التعلق بالمجردات
كانت بذلك مبدأ لامتناعه عن ادراكها وان كان لذلك الامتناع اسباب اخر وهو لكونه تعالى
بريا عن انحاء التراكيب ويحتمل ان يريد بقوله بها اي انها لما خلقت في ذلك القصور وكان هو تعالى
ممتنع الادراك بالكلية اعترفت عند توجهها اليه وطلبها لمعرفته بالعجز عن ادراكه وانه ممتنع عنها
فمنها اي بما عرفت منها امتنع منها الحادي والعشرون كونه اليها حاكمها اي جعلها حاكما بينها ومنه عند رجوعها
من توجهها نحو طلبه بحدبه خلف العقول حسيرة معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته
ولا يخطر ببال اولي الرايات خاطر من تقدير جلاله عزته لحاجتها واستغنائه ونقصانها وكماله
ومخلوقيتها وخالقيته الى غير ذلك مما لها من صفات المصنوعية وله من صفات الصانعية مواخذة العقول
نحو تلك الاحكام واسناد المحاكمة اليها مجاز لما سبقه بما ذكرناه وقال بعض الشارحين اراد
بالاوهام هنا العقول وظاهر انها لا تحيط به لكونه غير مركب محدود وعلمه بما هو كشف لا يمكن
ان تصل اليه العقول من صفاته الاضافية والسلبية قوله وبها امتنع منها اي بالعقول ونظرها
علم انها لا تدركه وقوله واليها حاكمها اي جعل العقول المدعية انها احاطت به وادركته كالخصوم له
سبحانه ثم حاكمها الى العقول السليمة الصحيحة فحكمت له العقول السليمة على المدعية بالبت ابطال له
وما ذكره هذا الفاضل محتمل الا ان اطلاق لفظ الاوهام على العقول ان صح فمجاز بغير قرينة وعدول
عن الحقيقة من غير ضرورة وقال غيره اراد لم تحط به اهل الاوهام فحذف المضاف وهذا
تامل ما جناه يجوز انه هو مراده عليه السلام او قريب منه وهذه الالفاظ اليسيرة من لطايف
اشاراته عليه السلام واطلاعه على اسرار الحكمة الثاني والعشرون كونه تعالى ليس بذي كبر امتدت به
نحيا الكبر يقال العظيم الحجم والمقدار ويقال لعالي السن من الحيوان ويقال لعظيم القدر رفيعه
ومراده نفي الكبر عنه بالمعنى الاول اذ من لوازم ذلك كون الكبير ممتدا نحو الجهات الثلث طولا
وعرضا وعمقا فيحصل التكثر الجسمي وقد تقدس تعالى عن ذلك وتقدسه عن الكبر بالمعنى الثاني
ظاهر ونحيا مصدر في موضع الحال اي ذو كبر نحيا له او محيه وانما اسند الامتداد الى النهايات
لانها غاية للطبيعة بالامتداد تقف عندها وتنتهي بها فكانت من الاسباب الغائية فلذلك اسند

اليها

اليها وكذلك اسناد التكبير اليها اذ كان التكبير من لوازم الامتداد او اليها الثالث والعشرون ولا بذي عظم
الى قوله تجسيدا والعظيم يقال على ما يقال عليه الكبر بالمعنى الاول والثالث دون الثاني ومراده
سلب العظيم عنه بالمعنى الاول لما مر واسناد التناهي الى الغايات ظاهر اذ كانت سببا لوقوفه
وبها انقطع واليها بلغ وكذلك اسناد التعظيم اليها كاسناد التكبير وان اسند التناهي اليه مجاز
الرابع والعشرون كونه كبر شانا الخامس والعشرون كونه عظم سلطانا لما سلب الكبر والعظم عنه
بالمعنيين الاول اشار الى ان اطلاقهما عليه بالمعنى الثالث ونصب شانا وسلطانا على التمييز فهو الكبير
شانا اذ لا شان اعظم من شانه والعظيم سلطانا اذ لا سلطان ارفع من سلطانه وهو مبدأ شان كل ذي
شان ومنتهى سلطان كل ذي سلطان لا اله الا هو الكبير المتعال ذو الكبرياء والعظمة والجلال ثم اردف
تمجيده تعالى بما هو اهله بالكلمة المتممة لكلمة الاخلاص والشهادة التي هي مبدأ كمال القوة العملية من النفوس
البشرية بعد كمال قوتها النظرية بالشهادة الاولى وظاهر كونه صلى الله عليه صفيا له وامينا على وحيه
ومرتضى لذلك ثم اردف ذلك بالاشارة الى كونه رسولا والى وجوه ما ارسل به وهو وجوب
الحجج واراد بها اما المعجزات او ما هو اعم من ذلك وهو ما يكون حجة لله على خلقه نحو تكليفهم ان يقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ويدخل نحو ذلك دلايل الاحكام وطرق الدين التفصيلية
وكونه ارسل بوجوبها اي وجوب تحو لها على الخلق ووجوب العمل بها وخفضا وظهور الفلج وهو
الظهور على ساير الاديان والظفر باهلها وبالعادلين بالله وبالجاحدين له وايضاح المنهج وهي
طريق الله وشريعته وظاهر كون ذلك بعثته بها وبينها والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ارسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فالهدى هو ايضاح المنهج وقوله ليظهره على الدين
كله اشارة الى بعض غايات بعثته وهي المراد بظهور الفلج وروي بضم الفاء واللام وهو بضم
الفاء وسكون اللام اسم للفوز ويجوز ضم اللام للشاعر والخطيب وقوله فبلغ الرسالة الى اخره
اشارة الى ادائه الامانة فيما حمل من الوحي وصدعه بالرسالة اظهارها والمجاهرة بها وقد ثبت
ان اصل الصدع الشق فكانه شق بالمجاهرة بها عصا المشركين وفرق ما اجتمع من شرهم وحمله
على المحجة وهي طريق الله الواضحة وشريعته دعوته اليها وجذبه الخلق الى سلوكها بالحكمة والموعظة
الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ثم بالسيف لمن لم تنفعه المجادلة واراد بالاعلام الاهتداء
وهي المعجزات وقواعد الدين الكلية وكذلك منار الضياء اقامته لها اظهارها والقادها لاهل
الخلق ولفظ المحجة والاعلام والمنار مستعارة كما سبق بغير مرة وصادعا وداعيا ونصب على الحال
واستعار لفظ الامراس والعرى لما يتمسك به من الدين والايمان ورشح بذكر الوثاقة
واشار بجعله لها كذلك الى تثبيت قواعد الاسلام وعقد اساسها نحو قلوب الخلق واحكم جليته بحيث تكون
عصمة للمتمسك بها نحو طلب النجاة من مخاوف الدارين وسببا لا ينقطع دون الغاية القصوى
وبالله التوفيق منها في صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا

منها في بيان [illegible] وغيرها

الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والابصار مدخولة الا ينظرون الى صغير ما خلق
كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر
جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على ارضها وصبت
على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي ورودها لصدرها مكفول
برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس
ولو فكرت في مجاري اكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الراس
من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي اقامها على قوائمها
وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه في خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب
فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شي وغامض
اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء
كذلك السماء والهواء والرياح والماء فانظر الى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف
هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات
والالسن المختلفات فالويل لمن جحد المقدر وانكر المدبر زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف
صورهم صانع ولم يلجاوا الى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما اوعوا وهل يكون بناء من غير بان او جناية
من غير جان وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين
وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين بهما تقرض ومنجلين
بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث
في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الله الذي يسجد له
من في السموات والارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقي اليه بالطاعة سلما وضعفا ويعطي
القياد رهبة وخوفا فالطير مسخرة لامره احصى عدد الريش منها والنفس وارسى قوائمها
على الندى واليبس قدر اقواتها واحصى اجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا
نعام دعا كل طائر باسمه وكفل له برزقه وانشا السحاب الثقال فاهطل ديمها وعدد قسمها
فبل الارض بعد جفوفها واخرج نبتها بعد جدوبها **اقول** الدخل العيب والبشرة ظاهر الجلد
والجامس الجامد والشراسيف سواد العين والقمر بياضها وضياؤها يقال حدقة قمراء مضيئة
واجلبوا جمعوا والنزوات الوثبات والتعفير التمريغ في العفر وهو التراب وقوله ولكن
الى قوله مدخولة وضع حرف لو ليدل على امتناع الشي لامتناع غيره لكن الاغلب عليه ان يستعمل الدلالة
على امتناع الملزوم لامتناع لازمه وذلك على وجهين احدهما ان يكون ذلك اللازم مساويا للملزوم
اما حقيقة او وضعا والثاني ان يكون الملزوم علة لذلك فيلزم من رفع الملزوم رفع اللازم ويكفي
الاستدلال به فاما اذا لم يكونا كذلك جاز ان يدل به على امتناع الملزوم لامتناع لازمه كما في قوله تعالى

لكان

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقد استعمله عليه السلم هنا بالوجه الثاني من الوجهين الاولين واستدل
على ان الخلق لم يرجعوا الى طريق الله منهم وجهالتهم لم يخافوا من وعيده بعذاب الحريق في الآخرة لانهم
لم يفكروا فيما عظم من قدرته في خلق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وما جسم من نعمته على عباده ويحتمل
ان يريد بالقدرة المقدور مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق وكان ذلك من باب الاستدلال
بعدم العلة على عدم المعلول اذ كان الفكر في ذلك سببا عظيما في الجذب الى اتباع شريعته وسلوك
سبيله اليها واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شي وقوله اولم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الآية ونحوه وقوله ولكن القلوب الى قوله
مدخولة بيان لعدم العلة المذكورة منهم وهو الفكر واشار الى عدمها بوجود ما ينافي وجود شرطها
اذ كان كون القلوب عليلة وكون الابصار معيبة منافيان صحتها وسلامتها الذين هما شرطان
في وجود الفكر الصحيح ورفع وجود المنافي لصحة قلوبهم وسلامة ابصار بصائرهم لا يحصل الصحة التي هي
شرط الفكر فلا يحصل الفكر فلا يحصل معلوله وهو الرجوع الى الله وعلل القلوب وما يلحق الابصار البصائر
من العيوب يعود الى الجهل واعشية الهيئات البدنية والاخلاق الردية الدنية المكتسبة من جواذب
الشهوات الى خسائس اللذات المعطية لانوار البصائر الحاجبة لها عن ادراك واضح الطريق الحق
وقوله الا ينظرون الى قوله البشر شبه لهم على بعض مخلوقاته تعالى ومقدوراته التي اشار الى عظم القدرة
فيها وحسن هذا الترتيب والتدريج الحسن فان ذلك من آداب الخطيب اذا اراد القول في امر نبه
عليه اولا على سبيل الاجمال بقول كلي ليستعد السامعون بذلك لما يريد قوله وبيانه ثم شرع في
تفصيله وهاهنا اراد عليه السلم ان ينبه على عظمة الله سبحانه بتفصيل بعض مخلوقاته كالنمل والنخل والجراد
ونحوه اشار اولا الى عظيم القدرة ووبخ السامعين على اغفالهم الفكر فيها ليعلم انه يريد ان ينبه
على تفصيل امر ثم تلاه بالتنبيه على لطيف الصنع في صغير ما خلق وكيف احكم خلقه واتقن تركيبه على صغره
وفلق له البصر وسوى له العظم والبشر ولم يعين الى ان استعدت بذلك لتعظيم الله القلوب
واقبلت باذهانها النفوس فتلاه بذكر النملة وذلك قوله انظروا الى النملة الى قوله تعبا ونبها على كيفيتها
التي عليها صورتها وصور اعضائها وظاهر ان الانسان يكاد لا يدركها بلحظ البصر الا ان يعيد
النظر اليها بغاية ولا يكاد عند مراجعة فكره واستدراك اذله وبادية بامعان فيه وتدقيق
يعلم حقيقتها وكيفية خلقها وتشريح اعضائها في التفكر في ذلك على ان في قوله بمستدرك يتعلق بينال
ولا ينبغي ان يفهم من قوله ولا ينال بمستدرك الفكر اي في صورتها الظاهرة التي يدركها البصر
فربما يسبق ذلك الى بعض الاوهام لمكان العطف بل ما ذكرناه من شرح حقيقتها فانه ليس على الفكر
ان يدرك صورتها المحسوسة بالبصر بل ان يبحث عن عجائب صنعها ليستدل بذلك على حكمة صانعها
جلت عظمته ومحل قوله لا يكاد تنال يحتمل ان يكون نصبا على الحال والعامل انظروا ويحتمل ان يكون
مستانفا وكيف في محل الجر بدل من النملة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا وفيه معنى التعجب وكيف

في صفة الحيوانات النملة والجراد وغيرها

الى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والابصار مدخولة الا ينظرون الى صغير ما خلق
كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر
جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على ارضها وصبت
على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي ورودها لصدرها مكفول
برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس
ولو فكرت في مجاري اكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الراس
من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي اقامها على قوائمها
وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه في خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب
فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شيء وغامض
اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء
كذلك السماء والهواء والرياح والماء فانظر الى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف
هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات
والالسن المختلفات فالويل لمن جحد المقدر وانكر المدبر زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف
صورهم صانع ولم يلجأوا الى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما اوعوا وهل يكون بناء من غير بان او جناية
من غير جان وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين
وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين بهما تقرض ومنجلين
بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث
في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الله الذي يسجد له
من في السموات والارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقي اليه بالطاعة سلما وضعفا ويعطي
القياد رهبة وخوفا فالطير مسخرة لامره احصى عدد الريش منها والنفس وارسى قوائمها
على الندى واليبس قدر اقواتها واحصى اجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا
نعام دعا كل طائر باسمه وكفل له برزقه وانشأ السحاب الثقال فاهطل ديمها وعدد قسمها
فبل الارض بعد جفوفها واخرج نبتها بعد جدوبها اقول الدخل العيب والبشرة ظاهر الجلد
واللامس الجلد والشراسيف سواد البعير والقمر بياضها وضياؤها يقال حدقة قمراء مضيئة
واجلبوا جمعوا والنزوات الوثبات والتعفير التمريغ في العفر وهو التراب وقوله ولو فكرت
الى قوله مدخولة وضع حرف لو ليدل على امتناع الشيء لامتناع غيره لكن الاغلب عليه ان يستعمل للدلالة
على امتناع اللازم لا امتناع ملزومه وذلك على وجهين احدهما ان يكون ذلك اللازم مساويا لملزومه
اما حقيقة او وضعا والثاني ان يكون الملزوم علة لذلك ليلزم من رفع الملزوم رفع اللازم ويكفي
الاستدلال به فاما اذا لم يكونا كذلك جاز ان يدل به على امتناع الملزوم لامتناع لازمه كما في قوله تعالى

لو كان

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقد استعمله عليه السلم هنا بالوجه الثاني من الوجهين الاولين واستدل
على ان الخلق لم يرجعوا الى طريق الله منهم وجهالتهم لم يخافوا من وعيده بعذاب الحريق في الآخرة بانهم
لم يفكروا فيما عظم من قدرته في خلق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وما جسم من نعمته على عباده ويحتمل
ان يريد بالقدرة المقدور مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق وكان ذلك من باب الاستدلال
بعدم العلة على عدم المعلول اذ كان الفكر في ذلك سببا عظيما في الجذب لهم الى اتباع شريعته وسلوك
سبيله اليها واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء وقوله اولم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الآية ونحوه وقوله لكن القلوب الى قوله
مدخولة بيان لعدم العلة المذكورة منهم وهو الفكر واشار الى عدمها بوجود ما ينافي وجود شرطها
اذ كان كون القلوب عليلة وكون الابصار معيبة ينافيان صحتها وسلامتها الذين هما شرطان
في وجود الفكر الصحيح ومع وجود المنافي لصحة قلوبهم وسلامة ابصار بصائرهم لا يحصل الصحة التي هي
شرط الفكر فلا يحصل الفكر فلا يحصل معلوله وهو الرجوع الى الله وعلل القلوب وما يلحق الابصار
من العيوب يعود الى الجهل واغشية الهيئات البدنية والاخلاق الردية الدنية المكتسبة من جواذب
الشهوات الى خسائس اللذات المعطية لانوار البصائر الحاجبة لها عن ادراك واضح الطريق الحق
وقوله الا ينظرون الى قوله البشر نبههم على بعض مخلوقاته تعالى ومقدوراته التي اشار الى عظم القدرة
فيها وحسن هذا الترتيب والتدريج الحسن فان ذلك من آداب الخطيب اذا اراد القول في امر نبه
عليه اولا على سبيل الاجمال بقول كلي ليستعد السامعون بذلك لما يريد قوله وبيانه ثم شرع في
تفصيله وهاهنا اراد عليه السلم ان ينبه على عظم الله سبحانه بتفصيل بعض مخلوقاته كالنمل والنحل والجراد
ونحوه اشار اولا الى عظيم القدرة ووبخ السامعين على اغفالهم الفكر فيها ليعلم انه يريد ان ينبه
على تفصيل امر ثم تلاه بالتنبيه على لطيف الصنع في صغير ما خلق وكيف احكم خلقه واتقن تركيبه على صغره
وفلق له البصر وسوى له العظم والبشر ولم يبق الا ان استعدت بذلك لتعظيم الله القلوب
وابتلت باعجابها النفوس فتلاه بذكر النملة وذلك قوله انظروا الى النملة الى قوله تعبا ونبه بها كيفية
التي عليها صورتها وصور اعضائها وظاهر ان الانسان يكاد لا يدركها بلحظ البصر الا ان يبعد
النظر اليها بغاية ولا يكاد عند مراجعة فكره واستدراكه اوله وبادية بامعان فيه وتدقيق
يعلم حقيقتها وكيفية خلقها وتشريح اعضائها فينظر في ذلك واياه في قوله بمستدرك يتعلق ينال
ولا ينبغي ان يفهم من قوله ولا ينال بمستدرك الفكر اي في صورتها الظاهرة التي يدركها البصر
فربما يسبق ذلك الى بعض الافهام لمكان العطف بل ما ذكرناه من شرح حقيقتها فانه ليس من حظ الفكر
ان يدرك صورتها المحسوسة بالبصر بل ان يبحث عن عجائب صنعها ليستدل بذلك على حكمة صانعها
جلت عظمته ومحل قوله لا يكاد تنال يحتمل ان يكون نصبا على الحال والعامل انظروا ويحتمل ان يكون
مستأنفا وكيف في محل الجر بدل من النملة ويحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وفيه معنى التعجب وكيف

في صغر الحيوانات النملة والجراد وغيرها

على عظمها وطولها واحد وهو المدبر الحكيم وقوله حتى تفصيل كل شيء الى قوله حتى الى اوسط الجرم على ما
ادعاه من اشتراك النملة والنخلة في الاستناد الى صانع واحد مدبر حكيم ومعنى ما ذكر ان لكل شيء من
الموجودات الممكنة تفصيل لطيف خفي واختلاف شكل وهيئة ولون ومقدار ووجه من الحكمة دل
على صانع حكيم خصصه بها دون غيره وتقرير الحجة ان وجود النملة والنخلة اشتمل كل منهما على دقيق
تفصيل الخلقة وغامض اختلاف شكل وهيئة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم خصصه بذلك
ينتج انهما يشتركان في الحاجة الى صانع مدبر حكيم خصص كلا منهما بما يشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في
عرف المتكلمين بالاستدلال بامكان الصفات كما نبهناه قبل في قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وقوله
وما الجليل واللطيف الى قوله سواء مؤكد لما سبق من الدعوى وكالسر لما عساه يعرض لبعض الاوهام
من استبعاد نسبة الخلقة العظيمة والخلقة اللطيفة الحقيرة كالنملة الى صانع واحد فاشار الى ان كل المخلوقات
وان تباينت اوصافها وتضادت صورها واشكالها فانه لا تفاوت بالنظر الى قدرته وكمالها بين ان
تفيض عنه صورة النخلة او صورة الذرة وليس بعضها بالنسبة اليه اولى واقرب من بعض ولا هو
اقوى على بعضها من بعض والا لكان ناقصا في ذاته وكان بما هو اولى به مستفيدا الكمال القوة بعدم
عنه وقد ثبت تنزيه جنابه المقدس عن ذلك في مظانه من الكتب الحكمية والكلامية بل ان كان تفاوت
واختلاف ففي جانب القابل واختلاف استعدادات المواد بالشدة والضعف والاقدم والاحدث
على ما اشرنا اليه غير مرة واللطيف كما يراد به صغر الخلقة كذلك قد يراد به دقيق الصنعة وقد يراد به
الشفاف كالهواء والاول هو مراده ولذلك جعله مقابلا للجليل وقوله وكذلك السماء الى قوله والماء مشبه
به هو الامور المتضادة السابقة والمشبه هو السماء والماء والرياح والماء ووجه الشبه هو حاجتها في خلقها
وتركيبها واحوالها المختلفة والمتفقة الى صانع حكيم واشار الى الامور الاولى المتضادة اولا ونسبها
الى قدرته تعالى باعتبار كيفيتها ومن جهة تضادها لانها ادل على كمال قدرته واشار الى الثانية وهي السماء
وما عدده معها لا باعتبار تضادها بل باعتبار ما اشتمل عليه كل منهما من الحكمة والمنفعة وكونها مواد
الاجسام المركبات والمراد من الرياح تخصيص مسمى الرياح بالحركة دون الهواء وقوله فانظروا الى
قوله المختلفات امر باعتبار حال ما عدد من المخلوقات وما اختص به كل منها من الصفات والاشكال
والمقادير والاضواء والالوان والمنافع الى غير ذلك مما يدل على حاجة كل منها الى مخصص حكيم خصصه
بما هو ابلغ واوفق لحاجته اللازمة له وانسب الى استعداده بعد اشتراك جميعها في الجسمية وهو
امر بتقرير الحجة التي ذكرناها في كل واحد من الامور المذكورة ولما كان حال اكثر هذه الاجسام المذكورة
منقوا الى تقديم النظر البصري لغاية التفكر والاعتبار بها امر به واما وجوه الاعتبارات
فاكثر ان تحصى فانك اذا اعتبرت حال الشمس والقمر في عظم اجرامها والضياء الصادر عنهما و
حركاتها وتنقلها في منازلها وما تستلزمه تلك الحركات من اختلافات والاعدادات لوجود
المركبات العنصرية من المعدن والنبات والحيوان ثم اعتبرت ما يختص به احدهما عن الاخر من

وزمان البدر وكون القمر مستفيدا النور من الشمس وغير ذلك مما لا يعلم تفصيله الا الله سبحانه وكذلك
اذا نظرت الى النبات والشجر وجواهرها واشكالها واختلاف اجزائها في الالوان والمقادير
والثمار وما يستلزمه من المنفعة لوجود الحيوان والمضرة لبعضها الى غير ذلك مما علمته فيما سلف وكذلك
الماء وكونه على غاية من الرقة واللطافة وكون الحجر بعكس الوصفين مع ان اكثر المياه انما تنبع من الاحجار
ثم نظرت الى المنافع الموجودة فيها والمضار العارضة عنها وكذلك النظر الى هذا الليل والنهار و
اختلافهما في هذا العالم وتعاقبهما وما يستلزمانه من المنفعة المختصة بكل منهما مما امتن الله تعالى على عباده
بها حيث قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون الاية وقال قتل الانسان ما اكفره الى قوله متاعا لكم ولانعامكم
الى غير ذلك من الآيات وقال انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض وقال وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا الى قوله الفافا وكذلك اذا اعتبرت تفجر هذه البحار وما تستلزمه
من المنفعة كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان وقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكذلك اذا اعتبرت
كثرة الجبال وقلالها وعروضها واطوالها وما اشتملت عليه من معادن الجواهر وغيرها وكذلك تفرق
اللغات واختلاف الالسنة وجدت ذلك التكثر والاختلاف شاهدا بوجود صانع حكيم وتقريره
كما علمت ان نقول ان هذه الاجسام كلها مشتركة في الجسمية واختصاص كل منها بما يميزه من الصفات
المتعددة ليس لجسميته ولوازمها والا وجب لكل منها ما وجب للآخر ضرورة اشتراكها في علة الاختصاص
فلا يميز له حينئذ ولا لشيء من عوارض الجسمية لان الكلام في اختصاص كل منها بتلك العوارض كالكلام
في الاول ويلزم التسلسل فبقي ان يكون لامر خارج عنها هو الفاعل الحكيم المخصص لكل منها بما يخصه من الحكمة
والمصلحة وقد مر تقرير هذه الحجة مرارا ثم لما نبه على وجود الصانع سبحانه اردف ذلك بالدعاء
على جاحده او الاخبار عن لحوق الويل له قال سيبويه الويل مشترك بين الدعاء والخبر ونقل عن عطاء
ابن يسار ان الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره وارتفاعه بالابتداء والخبر
لمن انكر والمدبر هو العالم بعواقب الامور وما يشتمل عليه من المصلحة ويعود الى القضاء والمقدر هو
الموجد على وفق ذلك العلم كما سبق بيانه وتاخير الدعاء على الجاحدين بعد ايضاح الحجة عليهم هو الترتيب
الطبيعي والاشارة بالجاحدين الى صنف من العرب انكروا الخالق والبعث وقالوا بالدهر المفني
كما حكاه عنهم في الخطبة الاولى وهم الذين اخبر القران المجيد عنهم بقوله وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقوله زعموا الى قوله صانع اشارة الى شبهتهم وهي من باب التمثيل
فالاصل فيها هو النبات والفرع انفسهم والحكم هو ما توهموه من كونهم بلا صانع كما ان النبات بلا زارع
والعلة الجامعة في اعتبارهم هو اختلاف الحياة والموت عليهم كما اشار اليه القران الكريم حكاية عنهم
نموت ونحيا او نحوه من الامور المشتركة وان كانوا لا يتفطنون لتلك الجامع اذ مراعاة هذه الامور
وتحقيق اجزاء التمثيل من صناعة هم عنها بمعزل وقد علمت ان التمثيل بعد تمام اجزائه انما يفيد ظنا يختلف

بالشدة والضعف وحلت وجوه المنادية وقوله ولم يجلفوا الى قوله جان الكفار وبيع مادعوه وانهم
لم يأتوا فيه بحجة ولا بحيثي برهان ويحتمل ان يكون قوله بل يكون الى قوله جان شبهات وجود نقيض الحكم
المدعا وهو كون خلقهم وخلق النبات شاهدة بوجود صانع لها وذلك الشبه بالاشارة الى اوسط
قياس من الشكل الاول وكبراه في صورة الاستفهام وتقرير القياس انهم صنعة ولا شي مما هو صنعة
بلا صانع ينتج فلا شي منها بلا صانع وهو نقيض المدعى ولما كانت الكبرى ضرورية اقتصر في الشبه
عليها بامتناع وجود البناء من غير بان والجناية من غير جان فان ترجيح احد طرفي الممكن على الاخر من
غير مرجح محال بالبديهة ومثله في فطر الصبيان والبهايم اذ كان الحمار عند صوت الخشبة يعدو
خوفا من الضرب وذلك لما تقرر في فطرته ان حصول صوت الخشبة بدونها محال ثم لو سلم انهم ثبوت
الحكم في الاصل وهو كون النبات بلا زارع ظن كان عدم الزارع يدل على ان النبات لا فاعل له
وانما يلزم ذلك ان لو كان الفاعل انما هو الزارع وذلك ممنوع الا وهم الظاهرة كذبها بادنى تامل
اذا استعقب بالنظر اذ كان الزارع ليس له الا اعداد ما بالعرض والبذر واما وجود الزرع والنبات
فمستند الى مدبر حكيم متعال عن الحس والمحسوس لا تدركه الابصار ولا تكتنفه الاوهام والافكار
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله وان شئت قلت في الجرادة الى قوله مستدقة تنبيه
اخر على وجود الصانع الحكيم جلت عظمته في وجود بعض جزئيات مخلوقاته وصغرها وهي الجرادة
اي وان شئت قلت فيها ما قلت في النملة وغيرها حين نبهنا على شواهد وجوه الحكمة فيها بحيث يشهد ذلك
بوجود صانع حكيم لها خبير على بعض دقايق الحكمة في خلقها وهي خلق العينين الحمراوين مع كون حدقتيهما
قمراوين واستعار لفظ السراج للحدقتين باعتبار الحمرة الغاربة والاضاءة ثم خلق السمع الخفي
اي عن اعين الناظرين وقيل اراد بالخفي اللطيف السامع لخفي الاصوات فوصفه بالخفا مجازا
اطلاقا لاسم المقبول على قابله ثم فتح الفم السوي فعيل بمعنى مفعول اي المسوى والتسوية التعديل
بحسب المنفعة الخاصة بها ثم خلق الحس القوي واراد بحسها قوتها الوهمية وتقويته حذقها فيما الهمت
اياه من وجوه معاشها وتصرفها يقال لفلان حس خارق اذا كان ذكي فطنا دراكا ثم خلق النابين
واستعار لفظ المنجلين ليديها ووجه المشابهة تعوجهما وخشونتهما وقرن بذكر النابين والمنجلين
ذكر غايتهما وهما القرض والقبض ومن لطيف حكمته تعالى في الرجلين ان جعل نصفهما الذي يقع
عليهما اعتمادها وجلوسها شوكا كالمنشار ليكون لها معينا على النهض ووقاية لذنبها عند جلوسها
وعمدة لها عند الطيران وقوله ترهبها الزراع الى قوله شهواتها اي انها اذا توجهت بعساكرها
من انحا نوعها الى بقعة وهجمت على زروعها واشجارها المختلفة ولم يستطع احد دفعها حتى لو ان
ملكا من الملوك اجلب عليها بخيله ورجله يحمي بلاده منها لم يتمكن من ذلك وفي ذلك شهادة على
عظم الخالق سبحانه وتدبير حكمته اذ كان بعث اضعف خلقه على اقوى خلقه وهي الضعيف
من اسباب الغلبة ما لا يستطيع دفعه عنها حتى ترد ما تريد وروده وتقضي منه شهواتها

فعل باختيار منه ومن عجايب الخواص المودعة في الجراد انها تمشي بينها المواضع الصلدة والصخور
الملس فتقبها بذنبها اذا ضربت فيها باذنابها انفرجت لها ومعلوم ان ذلك ليس لقوة اذ ليس في ذنب
الجرادة من القوة ان يخرق الحجر الذي يعجز عنه المعول بمجرد قوته لولا خاصية لها هناك ثم اذا ضربت
في تلك البقاع والقت بيضها وانضمت عليها تلك الاخاديد التي احدثتها وصارت لها كالافاحيص
صارت حاضنة لها ومربية وحافظة وواقية حتى اذا جاء وقت دب الروح فيها خرجت من البيض صهبا
الى البياض ثم تصفر وتتلون فيه خطوط الى السواد ثم يصير فيه خطوط سود وبيض ثم يبدو حجم
جناحيه ثم يستقل فيموج بعضه في بعض وقيل ان الجراد اذا اراد الخضرة ودونه نهر جاز صار
بعضه جسرا لبعض ليعبر عليها فمن الناس من جعل ذلك حيلة لها الهمت اياها واباه قوم وقالوا بل
الرجل الاول من الدبا اذا اراد الخضرة ولا يقدر عليها الا بالعبور اليها عبرها فاذا صارت تلك القطعة
فوق الماء طافية صارت للزحاف في الذي يريد الخضرة كالارض وربما نقل لها خواص اخرى
لا تعلق لها بما نحن بصدده وقوله وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة الواو للحال اي انه تعالى
خلقها على ما وصفت واودعها من عجايب الصنع ما ذكرت بحيث يخاف منها كالزارع مع ان خلقها
كله دون الاصبع المستدقة وهذه الكلمة مستغرقة تمام التعجب من خلق اشرفها الامور الموصوفة
حتى لو قدرنا انا وصفت لمن لم يرها فربما اعتقد ان لها خلقا عظيما تستند اليه هذه الاوصاف
ولم يكن عنده تعجب حتى يتبين مقدار خلقها وصغر صورتها ثم تابع بعض مبدعاته وكونها تحت
نوه بزيادة عظمته تعالى وتركه باعتبار كونه معبودا لمن في السموات ومن في الارض ظل يسجدون
طوعا وكرها كل لخضه وسجوده لا يخلو من غيره مع اشتراك الكل في الدخول تحت ذل الحاجة الى كمال
قدرته وخضوع الامكان بين يدي رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وكذلك قوله وتعفر له خدا ووجها كان ذا وجه وخد حقيقة فلفظ التعفير
صادق عليه حقيقة وما لم يكن فلفظ السجود صادق عليه استعارة للخضوع الخاص به ولفظا التعفير
والخد والوجه ترشيحات على ان موضع السجود في المعنى هو الخضوع وكذلك اطلاق اعطاء القياد ومن
الرهبة والخوف وتضعيفها المعقول له وقوله الطير مسخرة لامره كقوله تعالى والطير مسخرات
في جو السماء ما يمسكهن الا الله وكونها مسخرة يعود الى دخولها تحت حكم تصرفه العام فيها قدرة
وعلما وخاص تخصيصا وتعينا واحصا الريش منها والنفس باعتبار تسخيرها تحت تصرفه العام
بعلمه تعالى وارساوها اي تثبيتها على قوايمها في الندى كطير الماء واليبس كطير البر باعتبار دخولها
تحت قدرته وخلقها الكل وتقدير اقواتها وما يصلح منها وما يكفيه باعتبار دخولها تحت قدرته
وعلمه اذ كان التقدير هو انزال تلك الاقوات بمقادير واعدادها على وفق العلم الالهي واحصائها
باعتبار علمه تعالى وقوله فهذا غراب الى قوله نعام تفصيل لانواعها ولم يرد الجنس بالاصطلاح
الخاص بل اللغوي وهو النوع في المصطلح العلمي ووراء في كل قرن شيء من الاربع السبع المتوازي

وقوله دعا كل طاير باسمه فالدعا استعارة في امر كل نوع بالدخول في الوجود وقد عرفت ان ذلك
الامر يعود الى حكم القدرة الالهية العظيمة عليه بالدخول في الوجود ووجه الاستعارة ما يشترك
فيه معنى الدعا والامر من طلب دخول جهة المطلوب بالدعا والامر في الوجود وهو كقوله تعالى
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن الآية ولما استعار لفظ
الدعا رشح بذكر الاسم لان الشي انما يدعى باسمه ويحتمل ان يريد الاسم اللغوي وهو العلامة فان
لكل نوع من الطير خاصة وسمة ليست للآخر ويكون المعنى انه تعالى اجرى عليها حكم القدرة بما لها من
السمات والخواص في العلم الالهي واللوح المحفوظ وقال بعض الشارحين اراد اسما لها خاص دون
ان امر تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر الاسما التي يتواضعون
عليها وذكر لكل اسم مسماه فعند ارادة خلقها نادى كل نوع باسمه فاجاب دعوته واسرع في اجابته
واعلم انك اذا تاملت حكمة الصانع الحكيم في خلق الطاير شاهدت عجبا فانه حين اقتضت الحكمة
الالهية ان يكون طايرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر من القوايم على اثنتين ومن الاصابع
على اربع ومن منفذين للزبل والبول على منفذ ثم خلق تعالى له جوجوا محدبا ليسهل عليه خرق الهوا
كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة لتشق الما وخلق في جناحيه وذنبه ريشات طوالا لينتهض بها
الى الطيران وكسى جسمه كله ريشا ليتداخله الهوا فيقله ولما كان طعامه الحب او اللحم يبلعه بلعا من غير
مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقارا صلبا واعانه بفضل حرارة في جوفه يستغني بها
عن المضغ ثم خلق تعالى بعضه بيضا ولا يلد كيلا يثقل فيكون الفراخ في جوفه عن الطيران وجعل فيه
استعداد الولد في البطن استعداده في البيضة بحرارة الحضن لمشاركة من الذكر والانثى في ذلك
ومن العناية الالهية بدوام نسله وبقايه ان الهمه العطف على فراخه فيسقط اليه فيغذيه برزقه
بعد استقراره في حوصلته لئلا يلين واذا نظرت في الحوصلة وجدتها كالمخلاة المعلقة امامه فهو يعني
جنبا مما اراد من الطعم بسرعة ثم ينفذ الى القانصة على مهل وذلك ان مسلك الطعم الى القانصة ضيق
لا ينفذ فيه الطعم الا قليلا قليلا فلو كان هذا الطاير لا يلتقط حبة ثانية حتى تصير الاولى الى القانصة
لطال ذلك عليه فخلق تعالى له الحوصلة لذلك ثم انظر الى الريش الذي تراه في الطواويس و
الدراريج وغيرها على استوا وتقابل كانها خطت بالاقلام وكذلك انظر الى العمود الجامع من ريشه
الذي يجري مجرى الجدول المد لريشه والمغذي لها وخلق عصبي الجوهر صلبا متينا ليحفظ الريش
ويمسكه بصلابته فسبحان الذي خلق الازواج كلها واحصى كل شي عددا واحاط بكل شي علما
وقوله وانشا السحاب الى آخره اشارة الى كمال قدرته باعتبار خلقه السحاب الثقال بالما وارسال
ديمها وهي امطارها وتقديره قسمها وهي ما يصيب كل بلد وارض منها من القسم وظاهر انه تعالى
يعد الارض بتلك البلة بعد الجفاف ليخرج منها النبات بعد الجدب والى ذلك اشارة بقوله تعالى
اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم

اولا

افلا يبصرون وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم في التوحيد للسيد رضي وتجمع هذه الخطبة
من اصول العلم ما لم تجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده
من اشار اليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قايم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة
مقدر لا بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات
كونه والعدم وجوده والابتدا ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الامور
عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشيا عرف ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والوضوح
بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مولف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها مقرب بين
متباعداتها مفارق بين متدانياتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير
الالة الى نظايرها منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول
وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه
ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو احدثه اذا لتفاوتت ذاته ولتجزا كنهه ولامتنع من الازل معناه
ولكان له ورا اذ وجد له امام ولالتمس التمام اذ لزمه النقصان واذا لقامت اية المصنوع
فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وخرج بسلطان الامتناع من ان يوثر فيه ما يوثر في غيره
الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الافول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن
اتخاذ الابنا وطهر عن ملامسة النسا لا تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه
الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتمسه ولا يتغير بحال ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام
ولا يغيره الضيا والظلام ولا يوصف بشي من الاجزا ولا بالجوارح والاعضا ولا بعرض من الاعراض
ولا بالغيرية والابعاض ولا يقال له حد ولا نهاية ولا انقطاع ولا غاية ولا ان الاشيا تحويه
فتقله او تهويه او ان شيا يحمله فيميله او يعدله ليس في الاشيا بوالج ولا عنها بخارج يخبر لا بلسان
ولهوات ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب
ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب من غير مشقة يقول لمن اراد كونه كن فيكون لا بصوت ولا
يقرع
نيدا يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاه ومثله لم يكن من قبل ذلك كاينا ولو كان قديما لكان
الها ثانيا لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل
ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافا المبتدع والبديع خلق الخلايق على غير مثال
خلا من غيره ولم يستعن على خلقها باحد من خلقه وانشا الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها
على غير قرار واقامها بغير قوايم ورفعها بغير دعايم وحصنها من الاود والاعوجاج ومنعها من التهافت
والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها واستفاض عيونها وخد اوديتها فلم يهن ما بناه
ولا ضعف ما قواه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته والعالي على كل
شي منها بجلاله وعزته لا يعجزه منها شي طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج

إلى أي مال جزرت فخضعت الأشياء له وذلت مستكينة لعظمته لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره
فتمتنع من نفعه وضره ولا كفؤ له فيكافئه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها
كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها
من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتبلدة أممها وأكياسها
على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها ولتحيرت عقولها
في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها
مقهورة مقرة بالعجز عن إنشائها مذعنة بالضعف عن إفنائها وإنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا
وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان
عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء إلا الواحد القهار
الذي إليه مصير الأمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت
على الامتناع لدام بقاؤها ولم يتكاءده صنع شيء منها إذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقه
ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا
للاحتراز بها من ضد مثاور ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة
كانت منه فأراد أن يستأنس إليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها
وتدبيرها ولا لراحة واصلة إليه ولا لثقل شيء منها عليه لا يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة
إفنائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وأمسكها بأمره وأتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء
من غير حاجة منه إليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال
استئناس ولا من حال جهل وعمى إلى علم والتماس ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة ولا من
ذل وضعة إلى عز وقدرة أقول صمده أي قصده وتردده بعينه والوضح
البياض والبهم السواد والحرور هنا الحرارة والصرد البرد والأفول الغيبة والوالج الداخل
وظلام ... وسبق والأود الاعوجاج والتهافت التساقط والأسداد جمع سد
وهو كل ما حال وحجز بين شيئين وهذا شيء ومراحها ما يراح منها نحو مرابطها ومعاطنها
وسائمها ما أرسل منها للرعي وأسناخها أصولها والمتبلدة ذو البلادة وهي ضد الذكاء
والأكياس ذوو الذكاء والفهم وتكأده الأمر شق عليه وصعب وآده أثقله والمثاور
المواثب. واعلم أن مدار هذه الخطبة على التوحيد المطلق والتنزيه المحقق وقد أشار إلى توحيده
تعالى وتنزيهه باعتبارات من الصفات الإضافية والسلبية فالأول قوله ما وحده من كيفه
ودلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد لمن وصفه بكيفية وبالالتزام على أنه لا يجوز
تكيفه لمنافاة ذلك توحيد الواجب تعالى ولنشر إلى معنى الكيفية ليتبين أنه لا يجوز وصفه بها
فنقول الأمر ... قيل إنها هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها نسبة إلى أمر خارج

عنه

عنه ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في أجزائه وبهذه القيود يفارق سائر الأعراض وأقسامها أربعة
لأنها إما أن تكون مختصة بالكم من جهة ما هو كم كالمثلثية والمربعية وغيرها من الأشكال للسطوح وكالاستقامة
والانحناء للخطوط وكالفردية والزوجية للأعداد وإما أن لا تكون مختصة به وهي إما أن تكون محسوسة
كالألوان والطعوم والحرارة والبرودة وهذا ينقسم إلى راسخ كصفرة الذهب وحلاوة العسل
وتسمى كيفيات انفعالية إما لانفعال الحواس عنها وإما لانفعالات حصلت في الموضوعات عنها أو غير
راسخة إما سريعة الزوال كحمرة الخجل وتسمى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها تشبيها بسرعته
وهذا القسم ثالث وإما أن لا تكون محسوسة وهي إما استعدادات إما لكمالات كالاستعداد للمقاومة
والدفع وإما للانفعال وتسمى قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة أو نقايص مثل الاستعداد لسرعة
الإذعان والانفعال وتسمى ضعفا ولا قوة طبيعية كالممراضية وإما أن لا يكون استعدادا لكمالات
أو نقايص بل تكون في أنفسها كمالات أو نقايص وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها فما كان منها ثابتا
يسمى ملكة كالعلم والعفة والشجاعة وما كان سريع الزوال يسمى حالا كغضب الحليم ومرض المصحاح فهذه
أقسام الكيف إذا عرفت ذلك فنقول إنما قلنا إنه يلزم من وصفه بالكيفية عدم توحيده لما بينا في الخطبة
الأولى من قوله عليه السلام فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وكما سبق تقريره فيتبين
أن من وصف الله سبحانه فقد ثناه فيتبين أن من كيفه لم يوحده لأن توحيده ونفي الشريك عنه مما لا يجتمعان
الثاني ولا حقيقته أصاب من مثله أي جعل له مثلا وذلك أن كل ما له مثل فليس بواجب الوجود
لذاته لأن المثلية إما أن تتحقق من كل وجه فلا تعدد إذن لأن التعدد يقتضي المغايرة بأمر ما
وذلك ينافي الاتحاد والمثلية من كل وجه هف وإما أن تتحقق من بعض الوجوه فيكون ما به التماثل
إما الحقيقة أو جزؤها أو أمر خارج عنها فإن كان الأول كان ما به الامتياز عرضيا للحقيقة لازما أو
زائلا لكن ذلك باطل لأن المقتضي لذلك العرضية إما الماهية فيلزم أن يكون مشتركا بين المثلين
لأن مقتضى الماهية الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لأحد المثلين عن الآخر حاصل للآخر هف أو غيرها
فيكون ذات واجب الوجود مفتقرة في تحصيل ما يميزها عن غيرها إلى غير خارجي هذا خلف وإن كان
ما به التماثل والاتحاد جزءا من المثلين لزم كون كل منهما مركبا فكل منهما ممكن هف وبقي أن يكون
التماثل بأمر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل أما أولا فلأنه لا يصح وصف واجب
الوجود بأمر خارج عن حقيقته لاستلزامه إثبات الصفة له وتركيبه على ما مر وأما ثانيا فلأن
ذلك الأمر الخارجي المشترك إن كان كمالا لذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفيد
الكمال من غيره هف وإن لم يكن كمالا كان إثباته له نقصا لأن الزيادة على الكمال نقص فثبت
أن كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته فالطالب لمعرفته إذا أصاب له مثلا فقد أصاب
ما ليس بواجب الوجود لذاته فلم يصب صانع العالم ومقصود الكلمة نفي المثل له تعالى في مقام التوجه
إليه والنظر لطلب معرفته الثالث ولا إياه عنى من شبهه ومعنى هذه القرينة كالتي قبلها

الرابع ولا حد له من اشار اليه وتوهمه وذلك لان الاشارة اليه اما حسية او عقلية والاولى تستلزم كونه ذا وضع
والهيئة والشكل والتحيز كما علمته في غير هذا الموضع وذلك على واجب الوجود محال واما الثانية فقد علمت ان
النفس الانسانية ما دامت في عالم الغربة اذا توجهت لاقتناص امر معقول من عالم الغيب فلابد ان تستتبع
القوة الخيالية والوهمية لاستعانتها بهما على استثبات ذلك المعقول وضبطه فاذن يستحيل ان يشير العقل
الانساني الى شيء من المعاني الالهية الا بمشاركة من الوهم والخيال واستثباته هذا ولكنه يكون حينئذ لكن
قد علمت تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات والحدود والنهايات فكان المشير اليه والمدعي للاشارة.
جبهته في صدا نفسه تلك الاشارة الى ذي كيفية ومحال ان يكون هو واجب الوجود فلم يكن قاصدا لواجب الوجود
وقد بينا فيما سلف امتناع الاشارة اليه الخامس قوله كل معروف بنفسه مصنوع صغرى قياس من الشكل
الاول استغنى معها عن ذكر الدعوى لدلالتها عليها وهي انه تعالى ليس معلوما بنفسه اي ليس معلوم الحقيقة
بالكنه وتقدير الكبرى ولا شيء مما هو مصنوع بباري العالم واجب الوجود لذاته وانما ينتج انه لا شيء من المعلوم
نفسه بواجب الوجود والاله العالم دائما وينعكس لا شيء من واجب الوجود معلوم بنفسه او من الشكل الثاني
ويكون تقدير الكبرى ولا شيء واجب الوجود بمصنوع وينتج النتيجة المذكورة وينعكس ويحتمل ان يبين
المطلوب المذكور بقياس استثنائي متصل ويكون المقدمة المذكورة تنبيها على ملازمة المتصلة وبيانها
لها وتقديرها لو كان تعالى معلوما بنفسه لكان مصنوعا لان كل معلوم بنفسه مصنوع لكن التالي باطل فالمقدم
كذلك فاما بيان ان كل معلوم بنفسه مصنوع فهو ان كل معلوم بحقيقته فانما يعلم من جهة اجزائه وكل ذي جزء
فهو مركب فكل معلوم الحقيقة مركب وكل مركب فمحتاج الى مركب يركبه وصانع يصنعه فاذن كل معلوم
الحقيقة فهو مصنوع واما بطلان التالي فلانه تعالى لو كان مصنوعا لكان ممكنا مفتقرا الى الغير فلا يكون
واجب الوجود لذاته هف السادس وكل قائم في سواه معلول كالمقدمة التي قبلها فانها تحتمل ان تكون
صغرى قياس من الشكل الاول او الثاني ويدل بها على انه تعالى ليس بقائم في سواه اي ليس بعرض
فيحتاج الى محل يقوم به وتقديره ان كل قائم في سواه فهو معلول ولا شيء من المعلول بواجب الوجود او لا شيء
من واجب الوجود بمعلول فينتج انه لا شيء من القائم في سواه بواجب الوجود وينعكس كنفسها لا شيء من
واجب الوجود بقائم في سواه ويحتمل ان يكون كبرى القياس ولا حاجة الى عكس النتيجة ويحتمل ان يكون ذكرها
تنبيها على ملازمة قياس استثنائي اي لو كان قائما في سواه لكان معلولا لكن التالي باطل فالمقدم كذلك
وبيان الملازمة ان القائم بغيره مفتقر الى محل وكل مفتقر الى غيره ممكن وكل ممكن معلول فهو واجب
وحده واما بطلان التالي فلانه لو كان معلولا لما كان واجب الوجود السابع فاعل لا باضطراب
آلة اما انه فاعل فلانه موجد العالم واما انه منزه في فاعليته عن اضطراب الآلة فلتنزهه عن الآلات التي
هي من عوارض الاجسام وقد سبق بيانه الثامن مقدر لا بجول فكرة ومعنى كونه مقدرا كونه معطيا
لكل موجود المقدار الذي يستحقه من الكمال من الوجود ولواحق الوجود كالاجل والرزق ونحوهما على
وفق القضاء الالهي وكون ذلك لا بجول فكرة لان الفكر من لواحق النفوس البشرية بالآية وقد نزه

قدسه تعالى عن ذلك التاسع كونه غنيا لا باستفادة وكونه غنيا يعود الى عدم حاجته في شيء من الاشياء
اذ لو حصل له شيء باستفادة من خارج كسائر الاغنياء لزم كونه ناقصا بذاته مفتقرا الى ذلك المستفاد
موقوفا على حصول سببه فكان ممكنا هف وهو تنزيه له عن الغنى المشهور المتعارف العاشر كونه لا تصحبه
الاوقات وذلك ان الصحبة الحقيقية تستدعي المعية والمقارنة اللذين هما من لواحق الزمان الذي هو من
لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم المتاخر وجوده عن وجود بعض الملائكة المتاخر وجوده عن وجود
الصانع الاول جلت عظمته فكان وجود الزمان والوقت متاخرا عن وجوده تعالى بمراتب من الوجود
فلم تصدق صحبة الاوقات لوجوده ولكونها ظرفا له والا لكان مفتقرا الى وجود الزمان فكان يمتنع
استغناؤه عنه لكنه سابق عليه فوجب استغناؤه عنه نعم قد يحكم الوهم بصحبة الزمان للمجردات
ومعيته لها حيث تقيسها الى الزمانيات اذ كان لا تعقل المجردات الا كذلك الحادي عشر كونه لا ترفده
الادوات وظاهر ان المفتقر الى المعونة باداة وغيرها ممكن لذاته فلا يكون واجب الوجود ولانه تعالى
خالق الادوات فكان سابقا عليها في تاثيره فكان غنيا عنها فيمتنع عليه الحاجة الى الاستعانة بها
الثاني عشر سبق الاوقات كونه اي وجوده وقد مر بيانه الثالث عشر و العدم وجوده اي سبق
وجوده العدم وبيانه انه تعالى مخالف لسائر الموجودات الممكنة فانها محدثة فيكون عدمها سابقا على
وجودها ثم ان لم يكن لها وجودها وعدمها بالنسبة الى ذواتها سواء كانت في منطقة انما
انما تستحق وجودها وعدمها لذواتها وذلك عدم سابق على وجودها فعلى تقدير وجودها يكون مسبوقا
بعدم بخلاف الموجود الاول جلت عظمته فانه لما كان واجب الوجود لذاته كان كما هو موجود فكان
لحوق العدم له محالا فكان وجوده سابقا على العدم المعتبر لغيره من الممكنات ولان عدم العالم
قبل وجوده كان مستندا الى عدم الداعي الى ايجاده المستند الى وجوده فكان وجوده تعالى سابقا
على عدم العالم ثم تبين الرابع عشر والابتداء ازله وذلك ان الازل عبارة عن عدم الاولية والابتداء
وذلك امر يلحق واجب الوجود كما هو بحسب الاعتبار العقلي وهو ينافي لحوق الابتداء والاولية له
فيستحيل ان يكون له ابتداء لامتناع اجتماع النقيضين بل سبق في الازلية ابتداء ما كان له الابتداء او وجود
من الممكنات اذ هو مبدؤها ومصدرها الخامس عشر تشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وذلك انه
تعالى لما خلق المشاعر واوجدها وهو المراد بتشعيره لها امتنع ان يكون له مشعر وحاسة والا لكان وجودها له
اما من غيره وهو محال اما اولا فلانه مشعر المشاعر واما ثانيا فلانه
يكون محتاجا في كماله الى غيره فهو ناقص بذاته هذا محال واما منه وهو ايضا محال لانها ان كانت من كمالات
الالهية كان موجدا لها من حيث فاقد لها فكان ناقصا بذاته هذا محال وان لم يكن كمالا كان اثباتها له
نقصانا لان الزيادة على الكمال نقصان فكان ايجاده لها مستلزما لنقصانه وهو محال السادس عشر
ومضادته بين الامور عرف ان لا ضد له لانه لما كان خالق الاضداد فلو كان له ضد لكان خالقا لنفسه
ولضده وذلك محال ولانك قد علمت ان المضادة من باب المضاف وعلمت ان المضاف ينقسم الى حقيقي وغير حقيقي

فالحقيقي هو الذي لا تعقل مهيته الا بالقياس الى غيره وغير الحقيقي هو الذي له في ذاته مهية غير الاضافة
تعرض لها الاضافة وكيف ما كان لا بد من وجود الغير حتى يوجد المضاف من حيث هو مضاف فيكون
وجود احد المضافين متعلقا بوجود الآخر فلو كان لواجب الوجود ضد لكان متعلق الوجود بالغير
فلم يكن واجب الوجود لذاته هف ولان الضدين هما الامران الثبوتيان اللذان يتعاقبان على محل
واحد ويمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان محتاجا الى محل يعاقب ضده عليه
وقد ثبت انه تعالى اغنى من كل شي عن كل شي السابع عشر وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له
وبرهانه اما اولا فلانه تعالى خلق المقترنات ومبدا المقارنة بينها فلو كان تعالى مقارنا لغيره
لكان خالقا لنفسه ولقرينه وذلك محال ولان المقارنة من باب المضاف ويمتنع ان يتصف بها لما تقدم
الثامن عشر كونه تعالى مضادا بين الامور المتضادة تاكيد القول وتعداده للاشيا فمنها النور والظلمة
وفي كونهما ضدين خلاف بين العلما مبني على كون الظلمة امرا وجوديا او عدميا والاقرب انها امر
وجودي مضاد للنور وقال بعضهم انها عبارة عن عدم الضوء عما من شانه ان يضي وليت شعري ا
القول عدما صرفا فيجوز ان يطلق عليها انها ضد مجازا ومنها البياض والسواد والجمود والبلل اي اليبوسة
والرطوبة والحرارة والبرودة ومضادته بينها خلقه لها على ما هي عليه من الطبايع المتضادة التاسع عشر
كونه مؤلفا بين متعادياتها فانه امزجة المركبات من العناصر الاربعة فانه جمع بينها جميعا وجعلها ممتزجة
حتى حصل بينها كيفية متوسطة على ما مر بيانه في الخطبة الاولى العشرون كونه مفرقا بين متدانياتها
اي بالموت والفنا لهذه المركبات في هذا العالم اليه اشار باسناد فسادها اليه لانه مسبب
الاسباب وقد طابق عليه السلم المطابقة في هذه القراين والتاليف بازاء المعاداة والمقارنة
بازاء المباينة والقرب بازاء البعد والتفريق بازاء التداني الحادي والعشرون كونه تعالى
لا يشمل بحد والمراد اما الحد الاصطلاحي وظاهر كونه تعالى لا حد له اذ لا اجزاء له فلا يشمل ويحاط حقيقته
بحد واما الحد اللغوي وهي النهاية التي يحيط بالجسم فلا يتصف هنا وينتهي بها وذلك من لواحق
الكم المتصل والمنفصل وهما من الاعراض ولا شي من واجب الوجود سبحانه بعرض او محل لها فاستحال
ان يوصف بالنهاية واما وصفه بلا نهاية فعلى سبيل سلب النهاية عنه مطلقا لسلب معروضها كالمقدار
مثله لا على سبيل العدول بمعنى ان له معروض النهاية واللانهاية لكن ليست النهاية حاصلة له الثاني والعشرون
كونه لا يحسب بعد اي لا يلحقه الحساب والعد فيدخل في جملة المحسوبات المعدودة وذلك ان العد
من لواحق الكم المنفصل الذي هو العدد كما هو معلوم في مظانه والكم عرض وقد ثبت انه تعالى ليس
بعرض ولا محل له فاستحال ان يكون معدودا وقوله وانما تحد الادوات انفسها الادوات اشارة
الى الآلات البدنية والقوى الجسمانية وقد ثبت انها لا تتعلق ادراكها الا بما كان جسما او جسمانيا لما
علم في موضعه فمعنى قوله وانما تحد الادوات انفسها اي انما تدرك الاجسام والجسمانيات بما هو مثلها
من الاجسام والجسمانيات ومثل الشي هو هو في النوع او الجنس ويحتمل ان يدخل في ذلك العقل والفكر

الاشياء

الاشياء المحاكية من الوهم والخيال حين توجهها الى المعقولات فانها من حاجتها الى التصوير والتشبيه
فكان لا يتعلق الا بمماثل ممكن ولا تحيط الا بما هو في صورة جسم او جسماني وكذلك قوله وتشير الآلات
الى نظايرها وقوله منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة الضماير المتصلة بالافعال
الثلثة تعود الى الآلات والادوات وهي مفعولات اول والقدمة والازلية والتكملة مفعولات ثانية
ومنذ وقد ولولا محلها الرفع بالفاعلية وفي الكلام الا وصلا ان اطلاق لفظة منذ على الآلات والادوات
في مثل قولنا هذه الآلات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة اذ كان وضعها لابتداء الزمان وكانت
لا طلاقها عليها متضمنة الابتدا ولا شي من القديم بمتضمن الابتدا فيمتنع انه لا شي من هذه الادوات والآلات
بقديم وكذلك اطلاق لفظة قد عليها يمنعها ويحميها من كونها ازلية اذ كانت قد تفيد تقريب الماضي من الحال
فاطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الآلة وقت كذا يحكم بقربها من الحال وعدم ازليتها ولا شي
من الازلي بقريب من الحال فلا شي من هذه الآلات بازلي وكذلك اطلاق لفظة لولا على هذه الآلات يجنبها
التكملة اذ كان وضع لولا للدلالة على امتناع الشي لوجود غيره فاطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك
الى بعض الآلات المستحسنة والخلقة العجيبة ولاذان المتوقدة ما احسنها واكملها لولا ان فيها كذا
يجنبها الكمال لما وجد نقصان فيها فهي مانعة لها من الكمال المطلق وانما اشار الى حدوثها ونقصانها
ليوكد كونها غير متعلقة بتحديده سبحانه وانها في ابعد بعيد عن تقديره والاشارة اليه اذ كان القديم
الكامل في ذاته التام في صفاته ابعد الاشيا عن مناسبة المحدث الناقص في ذاته فكيف يمكن ان يدركه
او يليق ان يطلع في ذلك وقال بعض الشارحين المراد بالادوات والآلات اهلها وقد روي
برفع القدمة والازلية والتكملة على الفاعلية والضماير المتصلة بالافعال مفعولات اول ومنذ وقد
ولولا مفعولات ثانية ويكون المعنى ان قدمه تعالى وازليته وكماله منعت الادوات والآلات
من اطلاق منذ وقد ولولا عليه سبحانه لدلالتها على الحدوث والابتدا المنافيين لقدمه وازليته
وكماله والرواية الاولى اولى لوجودها في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه وقوله بها تجلى صانعها للعقول
اي بوجود هذه الآلات ظهر وجوده تعالى للعقول اذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضرورة
واحكامها واتقانها شاهد بعلمه وحكمته شهادة تضطر الى الحكم بها العقول وكذلك تخصيصها بما تخصصت
به من الكمالات شاهد بارادته وكمال عنايته فيكون ما شاهدته وجوده من وجود صانعها اجلى واوضح
من ان يقع فيه شك او يلحقه شبهة وتفاوت ذلك الظهور والتجلي بحسب تفاوت صقال النفوس
وجلائها فمنها من يراه بعده ومنها من يراه قبله ومنها من يراه لا شي معه واولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقوله وبها امتنع عن نظر العيون اي بالآلات وخلقها بحيث
تدرك بحاسة البصر علم انه تعالى يمتنع ان يكون من سنخها وبان ان تلك الآلات انما كانت
متعلقة حس البصر باعتبار انها ذات وضع وجهة ولون وغيره من شرايط الرؤية ولما كانت تلك
الامور ممتنعة في حقه تعالى لا جرم امتنع ان يكون محلا لنظر العيون وقال بعض الشارحين في بيان ذلك ان

لما كان بالمشاعر والحواس التي هي الآلات المشار اليها الحكمت عقولنا ويعقون استخرجنا الدليل
على انه لا يصح رؤيته فاذن يخلق بهذه الادوات والآلات لنا عرفناه عقلا وعرفنا انه يستحيل ان
يعرف بغير العقل الخامس والعشرون كونه تعالى لا يجري عليه السكون والحركة وقد اشار عليه السلام
الى بيان امتناعهما عليه من اوجه احدها قوله وكيف يجري عليه ما هو اجراه وهو استفهام على سبيل
الاستنكار لجريان ما اجراه عليه وعود ما ابداه وانشاه اليه وحدوث ما احدثه فيه وبيان
بطلان ذلك ان الحركة والسكون من آثاره سبحانه في الاجسام وكل ما كان من آثاره يستحيل ان
يجري عليه ويكون من صفاته اما المقدمة الاولى فظاهرة واما الثانية فلان المؤثر واجب التقدم
بالوجود على الاثر فذلك الاثر اما ان يكون معتبرا في صفات الكمال فيلزم ان يكون تعالى باعتبار
ما هو موجد له ومؤثر فيه ناقصا بذاته مستكملا بذلك الاثر والنقص عليه تعالى محال وان لم يكن معتبرا
في صفات كماله فلخلو الكمال المطلق بدون ذلك الاثر فكان اثباته صفة له نقصانا في حقه لان الزيادة
على الكمال المطلق نقصان وهو عليه تعالى محال الثاني انه لو كان كذلك لزم التغير في ذاته تعالى ولحوق
الامكان له ودل على ذلك بقوله اذن لتفاوتت ذاته اي تغيرت لطريان الحركة عليها تارة والسكون
اخرى لان الحركة والسكون من الحوادث المتغيرة فيكون تعالى بعروضهما محلا للحوادث فيه التغير
فكان متغيرا لكن التغير مستلزم للامكان والواجب لذاته ممتنع لذاته هف الثالث لو كان كذلك
لزم حقيقته التجزية والتركيب لكن التالي فالمقدم كذلك اما الملازمة فلان الحركة والسكون من
عوارض الجسم الخاصة به فلو اتصف تعالى بهما لكان جسما وكل جسم فهو مركب قابل للتجزية واما بطلان
التالي فلان كل مركب مفتقر الى اجزائه وممكن والواجب ممكن هف الرابع انه لو كان كذلك لزم
ان يبطل من الازل معناه اما على طريق المتكلمين فظاهر لان الحركة والسكون من خواص الاجسام
الحادثة فكان الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل من الازل معناه ولم يكن
ازليا واما على راي الحكماء فلانه تعالى لكونه واجب الوجود لذاته يستحق الازلية لذاته ولكون الممكن
ممكنا لذاته فهو انما يستحق الازلية لا لذاته بل لازلية علته ومهما ازالها حتى لو توقفت على شيء امر ما
في موثر بها لزم حدوث الممكن ولم يكن من ذاته الا كونه لا يستحق لذاته وجودا ولا عدما وهو معنى
الحدوث الذاتي عندهم فعلى هذا لو كان تعالى قابلا للحركة والسكون لكان جسما ممكنا لذاته فكان
مستحقا للحدوث الذاتي بذاته فلم يكن مستحقا للازلية بذاته فيبطل من الازلية معناه وهو استحقاقه
للازلية بذاته لكن التالي باطل [illegible] الخامس انه لو كان كذلك لزم ان يكون له وراء اذ وجد له
امام ووجه الملازمة انه لو جرت عليه الحركة لكان له امام يتحرك اليه ومع ذلك يلزم ان يكون له وراء
اذ له امام لانهما اضافتان لا ينفك احدهما عن الاخرى لكن ذلك محال لان كل ذي وجهين
فهو منقسم وكل منقسم فهو ممكن على ما مر السادس لو كان كذلك لالتمس التمام اذ لزمه النقصان
وبيان الملازمة ان جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها الى غاية اما جلب منفعة او دفع مضرة

اذ من

اذ من لوازم حركات العقلاء ذلك وعلى التقديرين فهو كمال مطلوب والنقصان لازم لذاته لكن النقصان
بالذات والاستكمال بالغير مستلزم للامكان فالواجب ممكن هف السابع لو كان كذلك لتعالت
انه المصنوع فيه وبيان الملازمة انه يكون قادرا على الحركة والسكون فقدرته عليهما ليست من خلقه
والا لافتقر ايجاده لهما الى قدرة اخرى سابقة عليها ولزم التسلسل وكان قادرا قبل ان كان قادرا
وهما محالان فهي اذن من غيره فهو اذن مفتقر فيها الى غيره فهو مصنوع وفيه آيات الصنع وعلامات
التاثير فليس هو بواجب الوجود هف الثامن لو كان كذلك لتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه
وذلك ان يكون مصنوعا على ما مر وكل مصنوع فيستدل به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال
بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه ولانه يكون جسما فيكون مصنوعا فكان دليلا على الصانع
لكنه هو الصانع الاول للكل وهو المدلول عليه فاستحال ان يكون دليلا من جهة آثار الصنع فيه فاستحال
ان يكون قابلا للحركة والسكون فاستحال ان يجريا عليه فانظر الى هذه النفس الملكية عليها السلام كيف
يفيض عنها هذه الاسرار الالهية فيضانا من غير تقدم من اولية الصنائع العقلية وممارسة البحث في
هذه الدقايق الالهية واما قوله وخرج بسلطان الامتناع الى قوله غيره فقد يسبق الى الوهم عطفه
على الادلة المذكورة والظاهر انه ليس كذلك بل هو عطف على قوله امتنع اي بها امتنع عن نظر العيون
وخرج بسلطان ذلك الامتناع اي الامتناع ان يكون مشاهدا كونها مرئية للعيون ومحلا للنظر اليها
عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المرئيات من الاجسام والجسمانيات والظاهر انه تعالى لما امتنع
من نظر العيون لم يكن جسما ولا [illegible] فخرج بسلطان استحقاق ذلك الامتناع عن ان يؤثر فيه
ما يؤثر في غيره من الاجسام والجسمانيات وعن قبول ذلك وقال بعض الشارحين انه عطف
على قوله يتجلى اي بها تجلى للعقول وخرج بسلطان الامتناع كونه مثلا لها اي لكونه واجب الوجود
ممتنع العدم عن ان يكون ممكنا فيقبل اثر غيره كما يقبل الممكنات السادس والعشرون كونه تعالى
لا يحول اي لا ينتقل ويتغير من حال الى حال لما علمت من استلزام التغير للامكان الممتنع عليه
السابع والعشرون ولذلك لا يزول الثامن والعشرون وكذلك لا يجوز عليه الافول والغيبة بعد
الظهور لما يستلزم من التغير ايضا التاسع والعشرون كونه لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيكون
محدودا فالجملة الاولى تشتمل على دعوى الاشارة الى البرهان وهو في صورة قياس استثنائي
تقديره لو كان له ولد لكان مولودا [illegible] يكون الجملة الثانية وهي قوله ولم يولد في قوة استثناء
نقيض التالي وقوله فيكون محدودا في قوة قياس استثنائي يدل على بطلان التالي وتقديره
انه لو كان مولودا لكان محدودا واعلم انه يحتمل ان يريد بقوله مولودا ما هو المتعارف فيكون
قد سلك في ذلك مسلك الخطابة والظاهر في بادي النظر ويجب الاستقراء ان كل ما له ولد فانه
يكون مولودا وان لم يجب ذلك في العقل وقد علمت ان الاستقراء مما يستعمل في الخطابة و
يحتج به فيها فيكون مقنعا اذ كانت غايتها الاقناع ويحتمل ان يريد به ما هو اعم من المفهوم المتعارف

اعني التولد عن آخر مثله من نوعه فان ذلك غير واجب كما في اصول انواع الحيوان الحادثة وقع تكليا
بيان الملازمة الاولى سلمنا الاحتمال الاول ظاهر واما على تقدير الثاني فنقول في بيانها ان مفهوم
الولد هو الذي يتولد وينفصل عن آخر مثله من نوعه لكن اشخاص النوع الواحد لا يتعين في الوجود
ويتشخص الا بواسطة المادة وعلاقاتها ما علم ذلك في مظانه من الحكمة وكل ما كان ماديا او علاقة
بالمادة كان متولدا عن غيره وهو مادته وصورته واسباب وجوده وتركبه وبيان الملازمة
الثانية في برهان بطلان التالي فلانه يلزم من كونه ذا ولد ان يكون مشاركا في النوع لغيره
ثبت انه متولد من مادة وصورة ومركب منهما ومن جزئي ماهيته اي ركن انه نوعه وينفصل
بآخر عن اجزائه منتهيا الى حدود وهي اجزاؤه التي يقف عندها وقد يثبت في التحليل اي البحث انه
تعالى لو كان مولودا لكان محدودا وانه لو كان مولودا لكان محاطا محدودا باحتمال التولد
منه لكن كل محدود فليس هو بمولود فليس هو بذي ولد وان شئت ان تجعل المقدمتين في قوة
قياس حملي مركب من شرطيتين متصلتين والشركة بينهما في جزئية تام وتقديره لو كان تعالى
ذا ولد لكان مولودا ولو كان مولودا لكان محدودا او النتيجة لو كان تعالى ذا ولد لكان محدودا
ثم يستنتج من استثناء نقيض تالي هذه النتيجة عين المطلوب وبيان الملازمتين ونقيض تالي النتيجة
ما سبق الثلاثون كونه جل عن اتخاذ الابناء اي علا وتعالى عن ذلك وهو تأكيد لما سبق
وبيانه انه يستلزم لحوق مرتبته بمراتب الاجسام التي هي في معرض الزوال وقبول التغير
والاضمحلال الحادي والثلاثون كونه طاهرا عن ملامسة النساء وذلك لما تستلزمه الملامسة من الجسمية
والتركيب الذي تنزه قدسه عنه وطهارته تعود الى تقدسه عن المواد وعلاقاتها من الملامسة
والمماسة وغيرهما الثاني والثلاثون كونه لا تناله الاوهام فتقدره اي لو نالته الاوهام لقدرته
لكن التالي باطل فالمقدم مثله بيان الملازمة انك علمت ان الوهم انما يدرك المعاني المتعلقة
بالمادة ولا تنتزع ادراكه عن المعاني المتعلقة بالمحسوسات وشأنه فيما يدركه ان يستعمل
المتخيلة في تقديره بمقدار مخصوص وكمية معينة وهيئة معينة ويحكم بانها مبلغه ونهايته فلو ادركته
الاوهام لقدرته بمقدار معين وفي محل معين فاما بطلان التالي فلان المقدر محدود ومركب
ومحتاج الى المادة والتعلق بالغير وقد سبق بيان امتناعه الثالث والثلاثون ولا يتوهمه الفطن
فتصوره وفطن العقول سرعة حركتها في تحصيل الوسط في المطالب وانما قال لا تتوهمه الفطن
لان القوة العقلية عند توجهها في تحصيل المطالب العقلية المجردة لا بد لها من استتباع الوهم
والمتخيلة والاستعانة بهما في استثباتها بالشبح والتصوير لصورة يحطها الى الخيال لما علم
ذلك في موضعه ولذلك ما كانت رؤيتها لجبرئيل في صورة دحية الكلبي وكذلك المعاني المدركة
للنفوس في النوم من الحوادث فانها لا تمكن من استثباتها عند اقتناصها من عالم التجريد ونقلها
الى حال اليقظة الا في صور خيالية شاهدة كما علمت ذلك في صدر الكتاب فظهر اذن في قوله

لا توهم

لا يتوهمه الفطن فتصوره اي لو ادركته لكان ذلك بمشاركة الوهم فكان يلزم ان تصوره بصورة خيالية
لكنه تعالى منزه عن الصورة فكان منزها عن ادراكها الرابع والثلاثون لا تدركه الحواس فتحسه واراد
لو ادركته الحواس لصدق عليه انها تحسه ولزم كونه محسوسا وبيان ذلك ان الادراك وان كان
اعم من الاحساس لكن بالاضافة الى الحواس صار مساويا وملازما فان قلت انه لا معنى للاحساس
الا ادراك الحواس فيكون كانه قال لا تحسه الحواس فتحسه وذلك تكرار غير مفيد قلت ليس مقصوده
انه يلزم من نفي الادراك نفي الاحساس بل مراده ان الذي يصدق عليه انه ادراك الحواس هو المسمى
بالاحساس فيكون التقدير ان الحواس لو ادركته لصدق انها حسته اي لصدق هذا الاسم ولزم من صدقه
عليها ان يصدق عليه كونه محسوسا وانما الزم ذلك لكون الاحساس اشهر وانسب في الاستحالة عليه
تعالى من الادراك فجعله كالاوسط في نفي ادراكها عنه لشنعته واما بيان انه تعالى ليس بمحسوس فلانه
تعالى ليس بجسم ولا جسماني وكل محسوس فاما جسم او جسماني فينتج انه تعالى ليس بمحسوس الخامس والثلاثون
كونه تعالى لا تلمسه الايدي فتمسه اي لو صدق عليه انها تلمسه لصدق انها تمسه وهو ظاهر اذ كان
المس اعم من اللمس وكلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسمية الممتنعة عليه تعالى السادس والثلاثون
كونه لا يتغير بحال اي ابدا او انه ولا وجه من الوجوه السابع والثلاثون ولا يتبدل في الاحوال
اي ينتقل من حال الى حال وقد سبق بيان ذلك الثامن والثلاثون كونه لا تبليه الليالي والايام
اما اولا فلانه تعالى ليس بزماني يدخل تحت تصريف الزمان حتى تبليه واما ثانيا فلان لحوق
الابلاء تغير في ذاته وقد علمت امتناع التغير عليه واما ثالثا فلان الابلاء من الامور اللاحقة لكل
ذي مادة فهو مركب ممتنع عليه التاسع والثلاثون كونه لا يغيره الضياء والظلام وذلك لامتناع التغير عليه
الاربعون كونه لا يوصف بشيء من الاجزاء ان كل ذي جزء مفتقر الى الجزء الذي هو غيره فكان
مفتقرا الى غيره فكان ممكنا في ذاته هف الحادي والاربعون ولا بالجوارح والاعضاء لما يلزم من
الجسمية والتركيب والتجزئة الثاني والاربعون ولا بعرض من الاعراض اقول الاعراض تنحصر في
تسعة اجناس كما هو معلوم في مظانه وذلك ان كل الموجودات سوى الله تعالى منقسم بعشرة اقسام
واحد منها جوهر والتسعة الباقية اعراض ويظهر منه لم كل ما عداه سبحانه فوجوده زائد
على ماهيته بالبراهين القاطعة فيه اما ان تكون بحيث اذا وجدت كان وجودها لا في موضوع
وهو المعني بالجوهر او يكون وجودها في موضوع وهو المعني بالعرض ونعني بالموضوع المحل الذي
لا يتقوم بما يحل فيه بل يتم حقيقته كما كانت قبل حلوله كالجسم الذي يحله السواد ثم العرض ينقسم الى
اقسامه التسعة وهي الكم والكيف والمضاف والاين والمتى والوضع والملك وان يفعل وان ينفعل
وتسمى هذه الاقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر المقولات العشر والاجناس العالية ولنرسم
كل واحد منها ليظهر انه تعالى منزه عن الوصف بشيء منها فنقول اما الجوهر فقد عرفت رسمه واما
الكم فرسم بانه العرض الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزي ويقبل الجوهر به

هذه الصفات واما الكيف فقد عرفته وعرفت اقسامه واما الاضافة فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره
في مقابلته ولا يعقل وجودها الا بالقياس الى ذلك الغير كالابوة والبنوة وقد عرفتها وعرفت
اقسامها من قبل واما الاين فهي حالة وهيئة تعرض للجسم بسبب نسبته الى المكان وكونه فيه وليس مجرد
النسبة اليه واما متى فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه فيه او في طرفه وهو الآن واما
الوضع فهو هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة اجزائه بعضها الى بعض نسبة تختلف الاجزاء لاجلها بالقياس الى
سائر الجهات كالقيام والقعود واما الملك فقد عرف بانه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ما هو
منسوب اليه كالتسلح والتقمص واما ان يفعل فهو كون الشيء بحيث يؤثر في غيره ما دام مؤثرا فيه كالتقطيع
حال التاثير واما ان ينفعل فهو كون الشيء متاثرا عن غيره ما دام متاثرا كالتقطع اذا عرفت ذلك
فنقول اما البرهان الجملي على امتناع اتصافه تعالى بهذه الاعراض واستحالة كونه موضوعا لها فاستحق
بانه عليه السلم يقول من وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وذلك بانا بينا من استلزام
وصفه بشيء حصول التغير في ذاته وامتناع التغير عليه واما التفصيل ففي امتناع وصفه بالكم فلانه لو صدق
عليه الكم لصدق عليه قبول المساواة والمفاوتة والتجزي وكلما قبل التجزية كان متكثرا وكان متكثرة
وقد ثبت انه تعالى واحد من كل وجه فيمتنع عليه الكم واما امتناع وصفه بالكيف فقد علمته في اول الخطبة
وكذلك امتناع وصفه بالمضاف واما وصفه بالاين فلانه يستلزم ان يكون متحيزا محويا لكونه كذلك
مع تكونه في المكان مرة واما وصفه بمتى فقد عرفته انه تعالى ليس بزماني فاستحال ان يوصف بنسبة
الى زمان يكون له واما وصفه بالوضع فلان الوضع من خواص المتحيزات فان الجسم المتناهي يحيط به
سطح لا محالة او سطوح ينتهي عندها فيكشف حدا او حدودا ونهايات ويكون له شكل وهيئة لكنه تعالى
ليس بمتحيز فاستحال ان يكون ذا وضع واما الملك فلانه ايضا من خواص الاجسام المحاط بها اذ
ما ليس بجسم لا يحاط بشيء ينتقل بانتقاله وقد تنزه تعالى عن الجسمية وان يحيط به شيء واما ان يفعل فلان
الفعل لا يصدق عليه الا بطريق الابداع ومحض الاختراع والابداع هو ان يكون من شيء وجود من غيره
متعلق به فقط دون توسط مادة او آلة او زمان والفعل اعم من الابداع اذ المفهوم من الفعل هو ان
يوجد بسبب وجوده شيء آخر سوا كان ذلك بسبب حركة من الفاعل او آلة او مادة او زمان او
اختياري فيقال للنجار انه فاعل وللسرير انه فعل ويقال لما لا يتوسط بشيء من ذلك بل بالطبع وتولد كالشمس
فانها علة للنور والنور فعلها فالفعل اذن ينقسم الى ما يكون بقصد واختيار والى ما لا يكون كذلك
بل يصدر عنه لانه ذات ينبغي عنها ذلك الشيء ثم ان كان عالما بصدور الشيء عنه سميت تلك الافاعيل
جودا والفاعل بذلك الاعتبار جوادا وان لم يكن عالما به سمي تلك الافاعيل طبعا وتوليدا كانبعاث
النور عن الشمس فالفاعل اما ان يفعل بالقصد والغرض او بالجود المحض او بالطبع المحض والباري تعالى
لا يجوز ان يفعل لغرض لان الغرض والقصد ان كان اولى به لذاته كانت ذاته مستكملة
بتلك الاولوية ناقصة بعد عدمها هذا خلف وان لم يكن اولى به كان ترجيحا من غير مرجح ثم لا يجوز ان يكون

اولا

اولى بالنظر الى العبد لان تلك الاولوية وعدمها ان كانا بالنسبة اليه تعالى سواء فلا ترجيح او لا فهو سوا
فيعود حديث النقصان والكمال فكان تعالى منزها عن الفعل بهذا الوجه بل انما يصدر عنه على وجه الابداع
بجوده المحض وفي هذه المسالة بحث طويل ليس هذا موضعه واما وصفه بانه ينفعل فلان الانفعال يستلزم
التغير في ذاته المستلزم للامكان وقد تنزه قدسه عنه الثالث والاربعون ولا بالغيرية والابعاض
اي ليس له ابعاض تغاير بعضها بعضا لان ذلك يستلزم للتجزية والتركيب الممتنعين عليه وامتناع
اللازم يستلزم امتناع الملزوم الرابع والاربعون ولا يقال له حد ولا نهاية لان الحدود والنهايات
من عوارض الاجسام ذوات الاوضاع ولواحقها كما سبق الخامس والاربعون ولا انقطاع
ولا غاية اي لا انقطاع لوجوده ولا غاية له وذلك لان الانقطاع عند الغايات من لواحق الامور
الزمانية المحدثة الكائنة الفاسدة وقد بينا امتناع كونه تعالى زمانيا وكونه ماديا ولانه تعالى واجب الوجود
فيستحيل ان يلحقه العدم او يتناهى وجوده وينقطع عند غاية السادس والاربعون ولا ان الاشياء
تحويه فتقله او تهويه روي ما بعد الفاء منصوبا وعليه نسخة الرضي رة وذلك باضمار ان عقيبها
في جواب النفي وروي مرفوعا عطفا على العطف والمعنى انه ليس بذي مكان تحويه فيرتفع بارتفاعه ويخفض
بانخفاضه لان ذلك من لواحق الجسمية وكذلك او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله السابع والاربعون
ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج لان الدخول والخروج من لواحق الاجسام ايضا فليس بجسم ولا بجسماني
فهما مسلوبان عنه سلبا مطلقا لا السلب المقابل للملكة الثامن والاربعون يخبر لا بلسان ولهوات
لان اللسان واللهوات من لواحق الاجسام الحيوانية المنزه قدسه عنها والسلب هنا كالذي قبله
والاخبار هو النوع الاكثر من الكلام ولذلك خصه هنا بالذكر وزعمت الاشعرية ان الخبر هو اصل
الكلام كله واليه يرجع انواعه كالامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي وغيرها ثم اختلف المتكلمون
في حقيقة الكلام فعرفت المعتزلة على انه المركب من الحروف والصوت وجمهور الاشعرية على ان ورا
الكلام اللساني معنى قائم بالنفس يعبر عنه بالكلام النفساني ولفظ الكلام حقيقة فيه وفي اللساني
مجاز ومنهم من جعله حقيقة في اللساني مجازا في النفساني ومنهم من جعله مشتركا بينهما فكون الله تعالى
متكلما يعود الى خلقه الكلام في جسم الشيء عند المعتزلة وعند الاشعرية انه معنى قائم بذاته وهذه
الاصوات والحروف المسموعة دلالات عليه وسيفسر عليه السلم معنى كلامه تعالى التاسع والاربعون
يسمع بلا خروق وادوات اي ليس سمعه باداة هي الاذان والصماخات كما يسمع الانسان
لتنزهه تعالى عن الآلات الجسمانية وقد كان هذا البرهان كافيا في منع اطلاق السمع عليه تعالى لكن لما
ورد الاذن الشرعي باطلاقه عليه ولم يمكن حمله على ظاهره وحقيقته وجب صرفه الى مجازه وهو
العلم بالمسموعات اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كان السمع من اسباب العلم فاذن كونه تعالى
سميعا يعود الى علمه بالمسموعات الخمسون يقول ولا يتلفظ واطلاق لفظ القول عليه كاطلاق
الكلام في ما التلفظ فلما كان عبارة عن اخراج الحروف من آلة النطق وهي اللسان والشفة لا جرم

لم يسبق في حقه العدم الا كذ هنالك وكان الشارع لم يأذن في اطلاقه عليه تعالى لما ان دلالته على الالذكرة
اقوى من الكلام وما تقول الحادي والخمسون كونه يحفظ ولا يحفظ وحفظ يعود الى علم بالاشياء ولما كان المعروف
من العادة ان الحفظ يكون بسبب التحفظ وكان ذلك في حقه تعالى محالا لاستلزامه الآفات الجسمانية لا جرم احترز
عنه وقال بعض الشارحين انما يريد بالحفظ انه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يحفظ منهم اي لا يحتاج الى حراسة
نفسه منهم وهذا بعيد الارادة هنا الثاني والخمسون يريد ولا يضمر فارادته تعالى تعود الى اعتبار كونه
تعالى عالما بما في الفعل من الحكمة والمصلحة الذي هو مبدأ الفعل ولا ذلك في حقه تعالى من الارادة والداعي
ولما كان المتعارف من الارادة انما هو ميل القلب نحو ما يتصور كونه نافعا ولذيذا وذلك الميل من
المضمرات المشتكلة في القلب لا جرم كان اطلاق الارادة في حقه يستلزم تصور الاضمار وهو تنزيه بجانبه
عن الاضمار لا جرم احترز عنه في اطلاق المريد عليه تعالى فكان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة للفظ عن
حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور الثالث والخمسون كونه يحب ويرضى من غير رقة فالمحبة منه تعالى
ارادة هي مبدأ فعلها فمحبته للعبد ارادة ثوابه وتكميله وما هو خير له واما من العبد فهي ارادة تقوى وتضعف
بحسب تصور المنفعة واللذة واعتقاد كمالها ونقصانها ومحبته تعالى ارادة طاعته واما الرضا فقريب
من المحبة ويشبه ان يكون اعم منها لان كل محب راض عما احبه ولا ينعكس فرضاه تعالى عن العبد يعود الى علمه
بموافقته لامره وطاعته له والمفهوم منه في حق العبد هو سكون نفسه بالنسبة الى موافقه وما ينفعه بتصور
كونه موافقا وملائما ولما كان الرضا والمحبة من الانسان لغيره يستلزم الرقة القلبية والانفعال النفساني
عن تصور النفع الذي لاجله حصلت المحبة والميل اليه والداعي الى الرضا عنه وكان الباري سبحانه منزها
عن الرقة والانفعال لتنزهه عن قوابلها لا جرم احترز بقوله من غير رقة الرابع والخمسون يبغض ويغضب
من غير مشقة فالبغض منه تعالى للعبد نقيض محبته له ويعود الى كراهة ثوابه وكراهة يعود الى علمه بعدم
استحقاقه للثواب وانه لا مصلحة في ثوابه ويلزمها ارادة اهانته وتعذيبه والبغض من العبد هو كراهة
الغير وميل نفسه عنه لتصور كونه مضرا ومؤلما ويلزم ذلك النفرة الطبيعية منه وثوران القوة الغضبية
عليه وارادة اهانته واما الغضب فيعود من الله تعالى الى علمه بمخالفة اوامره وعدم طاعته له والمفهوم منه
في حق العبد ثوران النفس وحركة قوتها الغضبية عن تصور المؤذي والضار لارادة مقاومته ودفعه
ولما كان البغض والغضب يستلزمان ثوران دم القلب وكان اذى النفس يستلزم مشقة وكلفة
لا جرم احترز هنا في اطلاق لفظ البغض والغضب عليه تعالى من غير مشقة واعلم ان اطلاق لفظ المحبة
والرضا على ما ذكرناه من الاعتبارات في حقه مجاز اذ كانت حقيقة الرضا هي سكون النفس الى ما يناسبه
والمحبة ميلها الى الملائم فاطلاقها عليه تعالى اطلاق لاسم الملزوم على اللازم وكذلك اطلاق لفظي البغض والغضب
في حقه تعالى على المخصوص الخامس والخمسون يقول لما اراد كونه كن فيكون فارادته لكونه هو علمه بما هو
في وجوده من الحكمة وقوله كن اشارة الى حكم قدرته الازلية عليه بالايجاد ووجوب الصدور عن تمام
مؤثريته وقوله فيكون اشارة الى وجوده ودل على اللزوم وعدم التأخر والتراخي بالفاء المقتضية للتعقيب

بلا مهلة

بلا مهلة السادس والخمسون لا بصوت يقرع اي ليس بذي حاسة سمع يقرعها الصوت وذلك لان الصوت
كيفية تحدث في الهواء عن قلع او قرع ويقرعها ما يصل اليه من الصماخ او جسم آخر هو وقوعه عليه بشدة وعنف
وذلك محال تعرض للاجسام فلو كان تعالى ذا سمع لكان جسما لكن التالي باطل فالمقدم كذلك السابع والخمسون
ولا نداء يسمع اي ليس في القرينة الا وطأة انه لا سمع له يقرع بصوت بين في الثانية انه لا يخرج منه الصوت
لان النداء صوت مخصوص والصوت يستلزم المصوت هو جسم لما مر من استلزام الصوت القرع او القلع
المستلزمين الجسمية وقوله وانما كلامه تعالى الى قوله كائنا فاعلم ان هذا الكلام مما استفادت المعتزلة منه
كون كلامه تعالى محدثا وفيه تصريح بصحة ما ذهبوا اليه فقوله فعل منه انشاه اي اوجده في لسان النبي فيما
قاله ومثله فاراد صورة في لسان النبي وسوى مثاله في ذهنه وقال بعض الشارحين مثله لجبرئيل
في اللوح المحفوظ حتى بلغه محمدا وسائر الرسل صلى الله عليه وآله ودل بقوله لم يكن من قبل ذلك كائنا انه
محدث مسبوق الوجود بالعدم واشار بقوله ولو كان الى قوله ثانيا الى برهان حدوثه وهو قياس
استثنائي وتقريره لو كان كلامه تعالى قديما لكان كلامه الها ثانيا لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فاما
بيان الملازمة فلانه لو كان قديما لكان اما واجب الوجود واما ممكن الوجود والتالي باطل لانه لو كان ممكنا
مع انه موجود في الازل لكان وجوده مفتقرا الى مؤثر فذلك المؤثر ان كان غير ذاته فهو محال لوجهين
احدهما انه يلزم افتقاره تعالى في تحصيل صفته الى غيره وهو محال الثاني انه يلزم ان يكون في الازل مع
غيره يكون مستندا اليه في حصول تلك الصفة فيكون الها ثانيا بل هو اولى بالالهية فتدبر وان كان المؤثر
في كلامه ذاته فهو محال ايضا لان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر فالكلام اما ان يكون من صفات
كماله او لا يكون فان كان الاول فتأثيره فيه ان كان وكل كماله حاصلا بالفعل فقد كان وصف
الكلام حاصلا قبل ان كان حاصلا هف وان كان تأثيره في حال ما هو خال عن صفة الكلام فقد كان
خاليا عن صفة كماله فكان ناقصا بذاته هف واما ان لم يكن الكلام من صفات كماله كان اثباته له في الازل
اثباتا لصفة زائدة على الكمال نقصان فتعين انه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الها ثانيا
واما بطلان الثاني فظاهر مما مر من كونه تعالى واحدا فثبت بهذا الدليل الواضح انه لا يجوز ان يكون كلامه
قديما الثامن والخمسون لا يقال الى قوله لم يكن اشارة الى انه ليس بمحدث اي كون الشيء بعد ان
لم يكن هو معنى حدوثه وقوله فتجري عليه الصفات المحدثات فالفاء في جواب النفي لتقدير الشرط اي
لو صدق عليه انه محدث لحقته الصفات المحدثة والا لكانت صفاته قديمة فكان الموصوف بها قديما
هف والتقدير لكن لحوق الصفات المحدثة له باطل فكونه محدثا باطل واشار الى بطلان التالي بقوله ولا يكون
بينها وبينه فصل الى قوله والبديع والتقدير انه لحقته الصفات المحدثات وجرت عليه تقدير كونه
محدثا لكانت ذاته مساوية لها في الحدوث المستلزم للامكان المستلزم للحاجة الى الصانع فلم يكن بينها
وبينه فصل في ذلك ولا له عليها فضل لاشتراكهما في الحاجة وقوله فيستوي الى قوله المبتدع اشارة
الى ما يلزم تلك المساواة من المحال اذ كان استواء الصانع ومصنوعه ظاهر الفساد واصل البديع من الفعل

ما لم يسبق في علم الله شكله وهي الفعل الحسن بديعاً لمشابهته ما لم يسبق إليه في كونه محل التعجب منه والمبدع
هو فاعل البديع والمصدر الإبداع وقد عرفت معناه فيما قبل وفي نسخة الرضي البديء بفتح الدال وهو البديع
بالمعنى الذي ذكرناه ويكون مراده بالبديع الصانع وهو فعيل بمعنى فاعل كقوله تعالى بديع السموات
والأرض وإذا ثبت أنه المجري جميع الأمور المحدثة ولواحق الحدوث من سبق العدم والتغير والإمكان
والحاجة إلى المؤثر وغير ذلك ويلزم الكمال المذكور أولاً والتنزيه ثانياً وفي خط الرضي ره الثالث والستون
كونه تعالى خلق الخلق إلى قوله غيره وقد سبق بيانه في الخطبة الأولى وهو تنزيه له عن صفات الصانعين
من البشر فإن صنايعهم تحذوا حذو أمثلة سبقت من غيرهم أو حصلت في أذهانهم الستون كونه لم
يستعن على خلق ما خلق بأحد من خلقه وإلا لكان ناقصاً بذاته مفتقراً إلى ما كان هو مفتقراً إليه وهو محال
الحادي والستون كونه أنشأ الأرض فأمسكها أي أوجدها فقامت في حيزها بحسب قدرته ولما
كان شأن من أمسك شيئاً ويحفظه من سائر أفاعيله الامتناع عن كلفة وشغله في حفظه واشتغال الحفظ
عن غيره من الأفعال نزه حفظه تعالى لها عما يلزم حفظ غيره لمحفوظه من تلك الكلفة والاشتغال بحفظها
الثاني والستون كونه أرساها أي أثبتها في حيزها على غير قرار اعتمدت عليه فأمسكها وكل رفعها
بغير دعائم بل بحسب قدرته وأيده الثالث والستون كونه حصنها من الأود والاعوجاج
أي من الميل إلى أحد جوانب العالم عن المركز الحقيقي وذلك مما ثبت في موضعه من الحكمة الرابع والستون
كونه منعها من التهافت والانفراج أي جعلها كرة واحدة ثابتة في حيزها ومنعها أن تتساقط
قطعاً أو يخرج بعضها من بعض الخامس والستون كونه أرسى أوتادها أي أثبتها وأوتادها
جبالها وقد بينا في الخطبة الأولى وجه كونها أوتاداً لها السادس والستون كونه ضرب أسدادها
وأراد بأسدادها ما أحاط بها من الجبال أو التي تحجز بين بقاعها وبلادها السابع والستون كونه
استفاض عيونها واستفاض بمعنى أفاض كما قال تعالى وفجرنا الأرض عيوناً وقد سبقت الإشارة
إلى ذلك الثامن والستون كونه خد أوديتها أي شقها وبين جبالها وتلالها وقوله فلم يهن ما بناه
ولا ضعف ما قواه بعد تعديد ما عدد من الآثار العظيمة إشارة إلى كمال هذه المخلوقات وقربها
لبيان عظمة الله سبحانه بالقياس إليها التاسع والستون كونه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وأشار
بقوله هو إلى هويته التي هي محض الوجود الحق الواجب ولما لم يمكن تعريف تلك الهوية إلا باعتبارات
خارجة عنها أشار إلى تعريفها بكونه ظاهراً عليها أي غالباً قاهراً لها ولما كان الظهور يحتمل الظهور
الحسي لا جرم قيده بسلطانه وعظمته إذ كان ظهوره عليها ليس ظهوراً مكانياً حسياً بل بوجوده وملكه و
استيلاء قدرته وعظم سلطانه السبعون كونه هو الباطن لها أي الداخل في بواطنها بعلمه ولما
كان البطون يحتمل البطون الحسي قيده بعلمه تنزيهاً له عن سوء الأفهام وأحكام الأوهام والضماير
في قوله عليها ولها يعود إلى الأرض وما بناه وسواه الحادي والسبعون كونه عالياً على كل
شيء أي من الأرض وسائر مخلوقاته بجلاله وعزته فجلاله وعزته بالنسبة إليها هو اعتبار كونه تعالى

منزه

منزه عن كل ما لها من الصفات المحدثة والكمالات المستفادة من الغير المستلزمة لنقصان الذات ولما كانت
هذه الاعتبارات التي تنزه عنها في حيز النقصان كان هو باعتبار تنزيهه عنها في أوج الكمال الأعلى كان
عالياً عليها بذلك الاعتبار ولأنه تعالى خالقها وموجدها فعلوه عليها بجلال سلطانه وعزته عن خضوع
الحاجة وذلتها الثاني والسبعون كونه لا يعجزه شيء منها طلبه إلى قوله فيسبقه وذلك لكونه تعالى واجب
الوجود تام العلم والقدرة لا نقصان فيه باعتبار وكون كل ما عداه مفتقراً في وجوده وجميع أحوال
وجوده إليه فلا جرم لم يتصور أن يعجزه شيء طلبه أو يمتنع عليه شيء بقوته فيغلبه أو يفوته سريع بحركته
فيسبقه لاستلزام ذلك العجز في الحاجة والإمكان الممتنعين عليه الثالث والسبعون كونه
لا يحتاج إلى ذي المال فيرزقه لاستلزامه الحاجة من الإمكان وكل ذلك نفي الأحوال البشرية عنه
الرابع والسبعون قد خضعت الأشياء إلى قوله لعظمته فخضوعها وذلها يعود إلى دخولها في ذل
الإمكان تحت سلطانه وانقيادها في أسر الحاجة إلى كمال قدرته وبذلك الاعتبار لم يستطع الهرب
من سلطانه لعدم الحاجة لذواتها إليه واستنادها كلها إلى جوده في الانتفاع لها بإفاضة كمالاتها والضار
لما يمنع ذلك فإن قلت إن النفع لا يهرب منه ولا يتكلف ذكره هنا قلت المراد منه سلب قدرته
عليها تقدير امتناعها منه وهذا كما تقول لمن يعجز عنك إن فلاناً لا يقدر على نفع ولا ضر ولأن
النفع جاز أن يمتنع منه لأنفة واستغناء بالغير ولا شيء من الموجودات يمتنع من سلطانه ونفعه باستغنائه
عنه وأنفة ونحوها الخامس والسبعون كونه لا كفو له فيكافيه أي ليس له مثل فيقابله ويفعل بإزاء فعله
وقد علمت تنزيهه تعالى عن المثل ولكنه لا نظير له فيساويه السادس والسبعون هو المفني لها إلى قوله
كمفقودها عرف هويته باعتبار كونه معدماً للأشياء بعد وجودها وقد ورد في القرآن الكريم
إشارات إلى ذلك كقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده
ومعلوم أن الإعادة إنما تكون بعد العدم وقوله إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت
وأمثالها وقد اختلف الناس في ذلك وظن الشيخ عز الدين محمد عبد الحميد أنه سيكون وهو الذي
عليه جمهور المتكلمين والخلاف في جواز خراب العالم مع الحكماء فإنهم اتفقوا على أن الأجرام العلوية
والعقول والنفوس الفلكية وكذلك هيولى العالم العنصري وأجرام العناصر واجبة بقدمها يمتنع
عدمها لا لذاتها بل لدوام علة وجودها وما عدا ذلك فحوادث وليس كل ما يعاد بالاتفاق بل الخلاف
في المعاد الإنساني البدني فأنكره بعضهم والإسلاميون منهم قالوا ليس للعقل في الحكم بوجوده أو لا
وجوده مدخل بل إنما يعلم بالسمع ثم اتفقوا على القول بامتناع إعادة المعدوم فإن المحكي عن
القول بامتناع إعادة المعدوم فيكون على ما ذهب إليه أبو الحسين البصري من المعتزلة وهو قوله إن
الأجزاء تتشذب وتتفرق بحيث تخرج عن حد الانتفاع بها ولا تدخل في العدم الصرف لكن في
ذلك نظر لأن بدن زيد مثلاً ليس عبارة عن تلك الأجزاء المتشذبة والمتفرقة فقط فإن القول
بذلك مكابرة للعقل بل مع سائر الأعراض والتأليفات المخصوصة ولا وجه لإذا تشذب البدن

وتفرق فلا بد ان يعدم تلك الاعراض ويفنى فيلزم فناء البدن من حيث هو ذلك البدن فحينئذ اعاده

ان اعيد بعينه وجب اعادة تلك الاعراض بعينها فلزمت اعادة المعدوم وان لم يعد بعينه وجب

اعادة تلك الاعراض بعينها فلزمت اعادة المعدوم وان لم يعد بعينه عاد غيره فيكون الثواب

والعقاب على غيره وذلك تكذيب للقران الكريم في قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها الاية

الا ان يقال ان الانسان المثاب والمعاقب انما هو النفس الناطقة وهذا البدن كالالة فاذا

عدم لم يلزم عوده بعينه بل جاز عود مثله لكن هذا انما يستقيم على مذهب الحكماء القائلين بالنفس الناطقة

واما على راي ابي الحسين البصري فلا وهو مذهب اكثر المحققين من علماء الاسلام يؤول الى هذا القول

وقوله وليس فناء الدنيا اي فناؤها واختراعها دفع لما يعرض لبعض الاذهان من التعجب بفنائها بعد العالم

بعد ابتداعه وخلقه بالنسبة الى حال انشائه واختراعه اي ليس صيرورته ما خلق الى العدم بقدرته

بعد الوجود باعجب من صيرورته الى الوجود بعد العدم عنها اذ كانت كلها ممكنة قابلة للوجود والعدم

لذواتها بل صيرورتها الى الوجود المشتمل على اعاجيب الخلقة واسرار الحكمة التي لا يهتدي لها ولا يقدر

على شيء منها اعجب واغرب من عدمها الذي لا كلفة فيه وقوله ولا يجتمع اي قوله انا بيانا لكونه ليس

كون عدمها بعد وجودها اعجب من ايجادها بالنسبة الى عظم مخلوقاته تعالى وكونه ما اشتملت عليه

من اسرار الحكمة المنسوبة الى قدرته والحفي وكيف يكون عدمها اعجب وهو ايجاد اضعف حيوان

واصغره مما خلق كالبعوضة من العجايب والغرايب والاعجاز ما يعجز عن تكوينه وايجاده قدرة

كل من نسب اليه القدرة وتقصر عن معرفة الطريق الى ايجاده الباب الالباء وتتحير في كيفية خلقها

حكم الحكماء ويقف دون علم ذلك وتتناهى عقول العقلاء وترجع خاسية حسيرة مقهورة معترفة

بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه وانشائها مقرة بالضعف عن افنائها فان قلت كيف تقر العقول

بالضعف عن افناء البعوضة مع امكان ذلك وسهولته قلت ان العبد اذا نظر الى نفسه بالنسبة

الى قدرة الصانع الاول جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شيء الا باذن الحق وانه ليس له

الا الاعداد لحدوث ما نسب اليه من الاثار فاما نفس وجود الاثر فمن واهب العقل عز سلطانه

فالعبد العاقل لا يقدر ان يعترف بالضعف عن ايجاد البعوضة واعدامها وما هو ايسر من ذلك

عند مقايسة نفسه الى موجده وواهب كماله كما عرفت ذلك في موضعه وايضا فان الله سبحانه

كما خلق للعبد قدرة على الفعل والترك والايذاء والاضرار بغيره كذلك خلق للبعوضة قدرة على

الامتناع والهرب من ضرره بالطيران وغيره بل ان تؤذيه ولا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف

يستسهل العاقل افناءها من غير معونة صانعها له عليه وقوله وانه سبحانه يعود الى قوله الامور

اشارة الى كونه تعالى باقيا ابدا حقيقيا بعد فناء الاشياء وحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجوده

كذلك بريا عن لحوق الوقت والمكان والحين والزمان وقوله يعود فيه اشعار بتغير من حالة

سبقت الى حالة لحقت وهما ليعودان الى ما يعتبره اذهاننا له من حاله تقدمه على وجودها وحالة تأخره

عنها بعد عدمها وهما اعتباران ذهنيان يلحقانه بالقياس الى مخلوقاته وقوله عدمت عند ذلك الى قوله

الساعات ظاهر لان كل ذلك اجزاء الزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فيلزم من عدم

الاجسام عدم عوارضها وقوله فلا شيء الى قوله الامور اي لا شيء يبقى بعد فناء العالم الا هو وذكر

الواحد القهار لكنه واحدا قهارا باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم والفناء وكونه اليه مصير جميع الامور يعني

مصيرها اليه اخذه لها بعد هبته لوجودها وقوله بلا قدرة الى قوله فناؤها اشارة الى انه لا قدرة لشيء

منها على ايجاد نفسه ولا على الامتناع من لحوق الفناء له وقوله ولو قدرت الى قوله بقاؤها استدلال قياسي

شرطي متصل على عدم قدرة شيء منها على الامتناع من الفناء واخص الحكم بالاستدلال دون الاول

لكون الاول ضروريا وبيان الملازمة ان الفناء مهروب منه لكل موجود فلو امكن الامتناع منه

يستلزم عدا اي الامتناع المستلزم لا يمتنع منه المستلزم للبقاء واما بطلان التالي فلما ثبت انه

تعالى يفنيها فلزم ان لا يكون لها قدرة على الامتناع وقوله لم يتكاده الى قوله خلقه ظاهر لان المشقة

في الفعل وثقله انما يعرض لذي القدرة الضعيفة من الحيوان لنقصانها وقدرته تعالى بريئة عن انحاء

النقصان لاستلزامه الامكان والحاجة الى الغير وقوله ولم يكونها اه اشارة الى تعديد وجوه

الاغراض المتعارفة لنفاعلين في ايجاد ما يوجدونه واعدامه ونفي تلك الاغراض عن فعله في ايجاده

ما اوجده واعدامه ما اعدم من الاشياء اما الاغراض المتعلقة بالايجاد فهو اما جلب منفعة كتشديد

السلطان وجمع الاموال والقنيات وتكثير الجند والعدة والازدياد في الملك باخذ الحصون

والقلاع ومكاثرة الشريك في الملك كالمكاثر للانسان غيره ممن يشاركه في الاموال والاولاد

او دفع مضرة كالتخوف من العدم والزوال فلعلها ليتحصن بها من ذلك او خوف النقصان فلعلها ليستكمل

بها او خوف الضعف عن مثل مكاثرة فلعلها ليستعين بها عليه او خوف ضد يقاومه فاوجدها ليتحرز بها منه

وبدفع مضرته او لوحشة كانت له قبل ايجادها فاوجدها ليدفع ضرر استيحاشه بالانس بها واما

الاغراض المتعلقة بعدمها اما الى دفع المضرة كرفع السأم اللاحق له من تصريفها وتدبيرها والثقل

في شيء منها عليه والملال من طول بقائها فيدعوه ذلك الى افنائها او جلب المنفعة كالراحة والاستراحة

فان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق الامكان الذي تنزه قدسه عنه وقوله لكنه سبحانه

الى قوله بقدرته فدبرها بلطفه اشارة الى ايجاده لها على وجه الحكمة والنظام الاتم الاكمل الذي ليس في

الامكان ان يكون مخلوقات اتم منه ولا الطف واسالها بامره فيما هو في الوجود بحكم سلطانه و

اتقنها بقدرته احكاما على وفق منفعتها وان كان من قدرته على وفق علمه بوجوه الحكمة كل ذلك

بمحض الجود من غير غرض من الاغراض المذكورة يعود اليه وقوله ثم يعيدها بعد الفناء تصريح

باعادة الاشياء بعد فنائها وفنائها اما عدمها كما هو مذهب من جوز اعادة المعدوم او تشذيبها

وتفرقها وحرزها عن حد الانتفاع بها كما هو مذهب ابي الحسين البصري من المعتزلة وقوله

من غير حاجة اه ذكر وجوه الاغراض الصالحة في الاعادة والاشارة الى نفيها عنه تعالى وهو انه

كالحاجة اليها والاستعانة ببعضها على بعض او انصراف من حال وحشة الى حال استيناس او انصراف من حال جهل وعمى فيه الى حال علم والتماسه وكذلك من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ومن ذل وضعف الى عز وقدرة. وقد عرفت ان كل هذه الاغراض من باب دفع المضرة المنزه قدسه تعالى عنها وعرفتنا بما سلف البراهين الاجمالية على تنزيهه تعالى في افعاله من الاغراض بل ايجاده محض الجود الالهي الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته فهو الجواد المطلق والملك المطلق الذي يوجد ما ينبغي لا لغرض ويوجد ما يوجد لا لفائدة تعود اليه ولا غرض وهو مذهب جمهور اهل السنة والفلاسفة والخلاف فيه مع المعتزلة. فان قلت ظاهر كلامه عليه السلم مشعر بان الدنيا كما تفنى تعاد والذي وردت به الشريعة وفيه الخلاف بين جمهور المتكلمين والحكماء هو اعادة الابدان البشرية قلت الضمير في قوله يعيدها سواء كان راجعا الى الدنيا او الى الامور في قوله يصير جميع الامور فانه يحتمل كما يرجع الى الكل جاز ان يرجع الى البعض وهي الابدان البشرية قال بعضهم ان للسالكين في هذا الكلام تاويلا عقليا وان جزموا بكون مراده عليه السلم هو ما ذكرناه من الظاهر فانهم قالوا يحتمل ان يشار بقوله وانه يعود سبحانه الى قوله الامور الى حال العارف اذا حق له الوصول التام حتى غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق سبحانه بعد حذف كل قيد دنياوي او اخروي عن درجة الاعتبار وملاحظة جلال الواحد القهار ليس الا هو. وقوله ثم يعيدها بعد الفناء فذلك عودها الى اعتباره اذا عاد العارف من عروجه من الجناب المقدس الى الجنبة السافلة واشتغل بمصالح ابدانهم والكل منسوب الى تصريف قدرته تعالى بحسب استعداد الاذهان لتبولها وحفظها. وقد علمت من باطنها ان هذه الخطبة من اصول العلم ما لا يجمعه غيره في بابه حيث قال ويجمع هذه الخطبة من اصول العلم ما لا يجمعه خطبة غيرها فانها بالغة في علم التوحيد كما هو في علم التنزيه والتقديس لجلال الواحد الحق جلت عظمته وبالله التوفيق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلم يختص بذكر الملاحم: الا بابي وامي هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة وفي الارض مجهولة. الا فتوقعوا ما يكون من ادبار اموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث يكون ضربة السيف على المؤمن اهون من الدرهم من حله ذاك حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطي ذاك حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير احراج ذاك اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء ايها الناس القوا هذه الازمة التي تحمل ظهورها الاثقال من ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا غب فعالكم ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة واميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل لها فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن ويسلم فيها غير المسلم انما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة يستضيء به من ولجها فاسمعوا ايها الناس وعوا واحضروا آذان قلوبكم تفهموا

مثلي

اقول احرج الجاء وضيق عليه وتصدعوا تفرقوا وغب كل شيء عاقبته وفور النار لهبها وشدة حرها واماطت عن كذا وعطت تنحت عنه والسنن القصد والاقتحام الدخول

فى الشى

في الشيء لشدة. فقوله بابي وامي تسمى ابابة والجار والمجرور في تقدير خبر المبتدأ وهو قوله هم وقد سبقت الاشارة الى مثله في قوله مخاطبا للرسول عليه السلم عند توليه غسله والضمير اشارة الى اولياء الله فيما يستقبل من الزمان بالنسبة الى زمانه عم وقالت الشيعة انه اراد الائمة من ولده عليهم السلم. وقوله اسماؤهم في السماء معروفة اشارة الى علو درجتهم في الملأ الاعلى واثبات اسمائهم وصفاتهم الفاضلة في ديوان الصديقين وفي الارض مجهولون بين اهل الدنيا الذين يرون انه ليس وراءها كمال ومن سيما الصالحين بمجرى العادة التقشف والاعراض عن الدنيا وذلك يستلزم قلة مخالطة اهلها ومكاثرتهم وهو مستلزم لجهلهم بهم وعدم معرفتهم لهم. ثم شرع في التنبيه على الاحوال الردية المستقبلة المضادة لمصالح العالم التي تجمعها سوء التدبير وتفرق الكلمة وهي ادبار ما اقبل من امورهم وانقطاع ما اتصل من وصلهم واسبابهم والوصل جمع وصلة وهي الانتظامات الحاصلة لاسبابهم في المعاش والمعاد بوجود الرسول صلى الله عليه واله وتدبيره ثم استعمال صغارهم وارذالهم فانه من جملة اسباب الفساد ومن اسباب صلاح العالم استعمال اهل الشرف واكابر الناس على الاعمال ومن كلامه عليه السلم في ذلك قوله لمالك الاشتر في عهده اليه تخير الى العمال وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا وصغار الناس مظنة اضداد الامور المذكورة وبسببها يكون خراب العالم وفساد نظامه. ثم اشار الى اوقاتها وعلامات وقوعها فمنها حيث يكون ضربة السيف على المؤمن اهون واقل عنده مشقة من المشقة الحاصلة له في اكتساب درهم حلال وذلك ان المكاسب تكون قد اختلطت وغلب الحرام الحلال فيها واراد بقوله من الدرهم اي من كسب الدرهم فحذف المضاف ومنها حيث يكون المعطى اعظم اجرا من المعطي وذلك ان الاكثر ممن يعطي حج ويتصدق يكون ماله مشوبا بالحرام فيقل اجره ولان الاكثرين يعطي ويقصد باعطائه الرياء والسمعة او الهوى نفسه او لخطرة من خطرات وسواسه من غير خلوص لله سبحانه في ذلك واما المعطى فقد يكون فقيرا مستحقا للزكوة ذا عيال لا يلزمه ان يبحث عن اصل ما يعطاه فاذا اخذه لسد خلته كان في ذلك اعظم اجرا ممن يعطيه ولان المعطي قد يكون اكثر ما ينفق من ماله في غير طاعته في الوجوه المحظورة فاذا اخذ الفقير منه على وجه الصدقة فوت على المعطي صرف ماله في تلك الوجوه فكان الفقير بذلك المنة عليه اذ كان سببا في منعه عن صرف ماله فيما لا ينبغي فكان اعظم اجرا منه. ومنها حيث يسكرون من غير شراب فاستعار وصف السكر لهم باعتبار غفلتهم عما ينبغي لهم اللازمة عن ابطارهم واستغراقهم في اللذات الحاضرة كما يلزم السكر الغفلة عن المصالح وقرينة الاستعارة قوله من غير شراب بل من النعم فان السكر حقيقة انما يكون عن الشراب ومنها حيث يحلفون من غير اضطرار الى اليمين بل غفلة عن عظمة الله سبحانه حتى يتوصلوا باليمين به الى اخس المطالب ومنها حيث يكذبون من غير احراج اي من غير ان يلجئهم

الى الكذب ضرورة بل يصير الكذب ملكة وخلقا ومنها اذا عضكم وستعار لفظ العض لايلام البلا الذي ينزل بقلوبهم وشبهه بعض القتب لغارب البعير ووجه المشابهة هو شدة الايلام وهذا التشبيه هو استعارة العض للبلا وقوله ما اطول هذا العنا وابعد هذا الرجا كلام منقطع عما قبله كما هو عادة الرضي رضي الله عنه في التقاط في الفصول والحاق بعضها ببعض ووجدت هذا الفصل بخط في حاشية نسخة الاصل منقطعا يقتضي انه ذكر فيها كان متصلا بالكلام ما ينال شيعته من البوس والقنوط وشدة انتظار الفرج من قوله ما اطول الى قوله الرجا كلام شيعته فعلى هذا يكون المعنى انهم يجيبون بالبلا حتى يقولوا ما اطول التعب الذي نحن فيه وما ابعد رجانا للخلاص منه بقيام القايم المنتظر ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون قوله ما اطول هذا العنا كلاما مستانفا في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا والقائهم انفسهم في طلبها وتنفيرا لهم عنها بذكر طول العنا في طلبهم وبعد الرجا لما يرجا منها اي ما اطول هذا العنا اللاحق لكم في طلب الدنيا وما ابعد هذا الرجا الذي يرجونه منها وظاهر ان متاعب الدنيا لطالبها اطول المتاعب ومطالبها ارجاها ابعد المطالب كما قال عليه السلم من قبل من ساعاها فاتته وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم ياته منها الا ما كتب له وهذا الكلام يقتضي ان المتجرد لطلب الدنيا لا يزال ملاحظا لفقره مستحضرا له فهو حامل لاعبا التعب في تحصيلها والكدح لها ويحتمل ان يريد بالعنا المشار اليه عناه في جذبهم الى الله ودعوته لهم الى الآخرة في اكثر اوقاته لا يرجعون الى دعوته ولا يفقهون عنه كلمته وظاهر انه عنا طويل وتعب عظيم وبالرجا المشار اليه رجاوه لصلاحهم واستبعده ثم ابدلهم واستعار لفظ الازمة للآرا الفاسدة المتبعة والاهوا القايدة لهم الى الاثم ووجه المشابهة كونها قايدة لهم كما يقود الازمة الجمال ولفظ الالقا للاعراض عن تلك الآرا الباطلة وترك العمل لها ولفظ الظهور لانفسهم ولفظ الاثقال لمعقول من اثقال الذنوب ووجه المشابهة الاول كونها حاملة لاثقال الخطايا والاوزار كما يحمل الظهور الاثقال المحسوسة كما قال تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ووجه الاستعارة الثانية ان الملكات الردية الحاصلة من اقتراف الاثم تثقل النفوس عن النهوض الى حظاير القدس ومنازل الابرار كما تثقل الاثقال المحسوسة الظهور الحاملة لها وعلا استعار لفظ الايدي والازمة الذي من شانها ان يكونا باليد وفي اليد رشح بذكر الايدي فقال من ايديكم والحاصل نهاهم عن ترك الآرا الفاسدة وما يلزم من متابعتها ونبه على وجوب تركها بانهم اذا لزموها وحملوا عليها ودخلها فادتهم الى حمل اثقال الخطايا ثم اردف ذلك بالنهي عن التفرق عنه بعد تقديم النهي عن اتباع الآرا الفاسدة المستلزمة للهلاك تنبيها على ان آراهم في التقصير عنه من تلك الآرا غير المحمودة وقوله فتذموا غب فعالكم تنفير عن التفرق عنه بذكر ما يلزمه من العاقبة المذمومة وهي غلبة العدو عليهم واستيلاؤه على احوالهم وتعوضهم عن عزهم ذلا ورخايهم وتنعمهم بوسا وبقوله والفاء هي التي في جواب النهي

اى

اي ان تصدعتم عن سلطانكم ذممتم غب فعالكم ثم اردف النهي عن التفرق عنه بالنهي عن اقتحام ما استقبلوا من الفتنة المنتظرة تنبيها على ان التفرق عنه سبب الدخول في نار الفتنة وتنفيرا عن مخالفته لكونها اقتحاما لنار الفتنة وتسرعا الى دخولها ولفظ النار مستعار لاحوال الفتنة من الحروب والقتل والظلم ووجه المشابهة كونها مستلزمة للاذى كالنار ووصف الاقتحام لمخالفته والتفرق عنه ووجه الاستعارة اسراع تفرقهم عنه الى الوقوع في الفتنة كاسراع المقتحم ورشح باستعارة النار بالفور والتسعر ثم امرهم بالنهي عن قصدها وطريقها وتخليته قصد السبيل لها اي خلوا لقصد سبيلها ولا تتعرضوا لمادة بتقحمها فتكونوا حطبا لنارها ثم اقسم بهلاك في لهبها المؤمن وسلم فيها غير المسلم وذلك ظاهر الصدق وهو من كراماته عليه السلم واخباره عما سيكون فان الدايرة في دولة بني امية كانت على من لزم دينه واشتغل بعبادة ربه دون من وافقهم على اباطيلهم واجاب دعوتهم وتقرب الى ظهورهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وظلم العباد كما تعرف عليه من اخبارهم في قتل كثير من اولياء وذرية رسوله وصحابته رضي الله عنهم وتقريبهم للمنافقين وتوليتهم الاعمال واعلم انه ليس مراده انه يهلك فيها كل مؤمن ولا يسلم فيها الا غير مسلم بل الغرض منها ان الاكثر من يهلك فيها المؤمنون والاكثر من يسلم فيها المنافقون ومن ليس له قوة في الاسلام ولفظ اللهب ترشيح لاستعارة لفظ النار ثم مثل نفسه فيهم بالسراج في الظلمة واشار الى وجه شباهته للسراج بقوله فيستضئ به من ولجها وتقديره ان الطالبين للهداية منه عليه السلم المتبعين لاثره يستضيئون بنور علومه وهدايته الى الطريق الارشد كما يهتدي السالكون في الظلمة بالسراج وهذا التمثيل يستلزم تشبيه احوالهم بالظلمة وتشبيههم بالمتورطين فيها لولا وجوده عليه السلم فيهم وقد علمت في المقدمات حقيقة التمثيل ثم لما قدم فضيلته في التمثيل المذكور اردفه بامرهم على قوله وان يحضروا آذان قلوبهم ليفهموا ما يلقيه اليهم من الحكمة والموعظة الحسنة كما هو المعلوم من حال الخطيب واستعار لفظ الآذان هنا للقلوب ووجه الاستعارة ان الاذن لما كانت مدركة للاقوال اشبهتها افهام القلوب المدركة للاقوال وطلب احضارها اذ كان هو المنتفع به دون احضار الآذان المحسوسة وظاهر ان احضار العقول وتوجيهها الى الفكر في المسموع يستلزم لحصول الفهم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم اوصيكم ايها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه اليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصكم بنعمة وتدارككم برحمة اعورتم له فستركم وتعرضتم لاخذه فامهلكم واوصيكم بذكر الموت واقلال الغفلة عنه وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا الى قبورهم غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين كانهم لم يكونوا للدنيا عمارا وكان الآخرة لم تزل لهم دارا اوحشوا ما كانوا يوطنون واوطنوا ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما فارقوا واضاعوا ما اليه انتقلوا لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا انسوا بالدنيا فغرتهم ووثقوا بها

نزل بهم فتزودوا رحلكم الى منازلكم التي امرتم ان تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم اليها واستتموا نعم الله عليكم
بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته فان غدا من اليوم قريب ما اسرع الساعات في اليوم واسرع
الايام في الشهر واسرع الشهور في السنة واسرع السنين في العمر **اقول** امرهم ابتداء بامور اولها الحذر من
السوء وكل ما يستحى منه والفصل يشتمل على الوصية بامور اولها تقوى الله تعالى فانها الثمرة الكبرى
فيما يوصى به ثم بكثرة حمده تعالى على الائه اليهم ونعمائه عليهم وبلائه لديهم وقد علمت معنى بلائه وانه يكون
بالخير والشر كما قال تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة واردف ذلك بتذكيرهم بتخصيصهم بنعمته تعالى عليكم
وتداركهم برحمته والرحمة كما يراد بها منه تعالى انما يراد بها اثارها الخيرية كما هو مراده هنا
من حق جاداه واثنا حفظكم فسترتم ثم اردف بذكر ضروب الرحمة والنعم فمنها ستره عليهم حيث يجاهرونه
بالمعصية التي ينبغي ان يستحيوا منها ومواقعتهم لها بمرأى منه ومسمع ومنها امهالهم ان يعاجلهم بالنقمة
ويعاجلهم بالعقوبة حيث تعرضوا لاخذه بارتكاب مناهيه ومخالفة اوامره الثالث امرهم به
ذكر الموت واقلال الغفلة عنه وذلك لما يستلزم ذكره من الانزجار عن المعاصي وذكر المعاد الى الله
سبحانه ووعده ووعيده والرغبة عن الدنيا وتنغيص لذاتها كما قال الرسول صلى الله عليه واله اكثروا من ذكر هادم
اللذات وانما استلزم ذكره ذلك لكونه مما يساعد العقل فيه الوهم على ضرورته ووقوعه فيتباعد
عما فيه من المشقة الشاقة ثم استفهم عن غفلتهم عنه وطمعهم فيه مع كونه لا يغفلهم ولا يمهلهم استفهام
تعجب على ذلك ولا جل ما فيه من شدة الاعتبار قال فكفى بموت عاينتموهم الى قوله حضرتهم وخذا
القول زيادة موعظة في ذكر الموت وهي شرح احوال من عاينوه من الموتى وذكر منها احوالا احدها
كيفية حملهم الى قبورهم غير راكبين مع كونهم في صورة ركوب متوقع منه الثانية انزالهم الى القبور
على غير عادة النزول المتعارف المقصود فكانهم في تلك الحال مع طول مددهم في الدنيا وعمارتهم لها
وركونهم اليها لم يكونوا لها عمارا وكان الاخرة لم تزل لهم دارا ووجه التشبيه الاول انقطاعهم عنها
بالكلية وعدم خبرهم عنها فاشبهوا بذلك من لم يكن فيها ووجه الثاني كون الاخرة هي مستقرهم الدايم
الثابت الذي لا معدل عنه فاشبهت في ذلك المنزل الذي لم يزل لهم دارا الثالثة انهم كانوا
يوطنون من منازل الدنيا ومساكنها الرايقة ايحاشهم ما كانوا يوحشون من القبور التي هي اول منازل
الاخرة الخامسة اشتغالهم بما فارقوا وذلك ان النفوس الراكنة الى الدنيا العاشقة لها المتشبثة لا تشتغل
عنها انها يتمكن في جواهرها ذلك العشق لها وتصير محبتها ملكة وخلقا فيحصل لها بعد المفارقة لها احسن
من العذاب به والشقاء الاشقى بالنزاع اليه وعدم التمكن من الحصول عليه اعظم شغل واقوى شاغل
واصعب بلا اهل بلا يذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع فيه كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد السادسة اضاعتهم ما اليه انتقلوا وهي دار الاخرة
ومعنى اضاعتهم لها تركهم الاسباب الموصلة الى ثوابها والمبعدة من عقابها السابعة كونهم لا يستطيعون
الانتقال عما حصلوا عليه من الافعال القبيحة التي الزمتهم العذاب واكتسبت نفوسهم ملكات السوء وذلك

ظاهر

ظاهر اذ لا انتقال عن ذلك ولا يمكن الا في دار العمل وهي الدنيا الثامنة وكذلك لا من حسن يستطيعون ازديادا
اي من الاعمال الحسنة الموجبة للكمالات الخيرية والثواب الدايم كما قال تعالى حكاية عنهم قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا الاية التاسعة انهم انسوا بالدنيا حتى غرتهم العاشرة كونهم وثقوا بها
حتى صرعتهم والسبب في الاغترار بها وغرورها لهم حصول لذاتها المحسوسة مع قربهم من المحسوس وهو يستلزم
الانس بها المستلزم لغرورها والغفلة عما ورائها وهو يستلزم الوثوق بها وهو يستلزم صرعهم في مهاوي
الهلاك حيث لا يقال عثرة ولا ينفع ندامة واعلم ان ذكر الموت وان كان يستلزم الاتعاظ والانزجار
الا ان شرح الاحوال التي تعرض للانسان في موته ابلغ في ذلك لان كل حال منها منفور عنها طبعا وان
كانت انما تحصل النفرة عنها لكونها حالا تعرض للميت والتوحش بالمولم والمكروه لكونه مولما ومنفور
عنه طبعا الثالث امرهم بعد ان طرحوا الرحمة ان يسابقوا الى منازلهم التي امروا ان يعمروها والتي
رغبوا فيها ودعوا اليها وهي منازل الجنة ومراتب الابرار فيها وعمارتها بالاعمال الصالحة الموافقة
لمقتضى النواميس الالهية وتحصيل الكمالات النفسانية فيها والحث لسابق بعضكم بعضا الى منازلكم
ومراتب درجاتكم من الجنة وعمارتها بتحصيل الكمالات النفسانية وموافقة الشرايع الالهية واليه اشار
بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
والترغيب فيها كقوله تعالى وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ونحوه الرابعة امرهم به
الصبر على طاعته وعلى مجانبة المعصية ورغب لكونه سببا لتتمة نعم الله عليهم ولما كان استتمامه
لها كالثمرة له وكانت ثمرة الصبر حلاوة قد تحلى الصبر بذكرها وقوله فان غدا من اليوم قريب
تخويف من الساعة وقربها ولم يرد بغد ولا اليوم حقيقتهما بل اراد بغد القيمة وباليوم مدة الحيوة لكون
فيما سبق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق وهو يجري مجرى المثل لكون غد ما هو اقرب اليوم
من غد وقوله ما اسرع الساعات في اليوم اه بيان لقرب الغد الذي كنى به عن القيمة من اليوم فان
الساعات سريعة الاتيان والانقضاء وسرعتها مستلزم لسرعة اليوم وانقضائه وسرعتهما مستلزم
لسرعة الشهر وانقضائه المستلزمين لسرعة السنة وانقضائها المستلزمين لسرعة انقضاء العمر
القايلين فيه لكن انقضاؤه بالقيمة فاذن الساعات مستلزمة لسرعة انقضاء العمر وقرب غده من يومه
واستلزم الكل لفظ التعجب تاكيدا لبيان تلك السرعة وهو كلام شريف بالغ في الفصاحة والموعظة
وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون
عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم ~~فاذا كانت عواري بين القلوب والصدور الى~~
اجل معلوم فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت فعند ذلك يقع حد البراءة قال
والهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من مستسر الامة ومعلنها لا يقع اسم الهجرة
على احد الا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر ولا يقع اسم الاستضعاف على من
بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه ان امرنا صعب مستصعب لا يحمله الا عبد امتحن الله قلبه للايمان

ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فلانا بطرق
السماء اعلم مني بطرق الارض قبل ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب باحلام قومها
اقول العواري بالتشديد جمع عارية قيل كانها منسوبة الى العار اذ في طلبها عار والبراءة التبري
وشغرت البلدة اذا خلت عن مدبر وفي الفصل مسائل الاولى قوله فمن الايمان الى قوله الى اجل معلوم
قسم الايمان الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع سبحانه
وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال والاعتراف بصدق الرسول صلى الله عليه وآله وما جاء به فتلك
الاعتقادات ان بلغت حد الملكات في النفوس فهي الايمان الثابت المستقر في القلب وان لم تبلغ
حد الملكة بل كانت بعد حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري المتزلزلة واستعار لها
لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما ان العواري في معرض الاسترجاع والرد
وكنى بكونها بين القلوب والصدور عن كونها غير مستقرة في القلوب ولا متمكنة من جواهر النفوس
وقال بعض الشارحين اراد ان من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص ومنه ما يكون على سبيل
النفاق وقوله الى اجل معلوم ترشيح لاستعارة العواري اذ كانت من شانها ان تستعار الى وقت
معلوم ثم ترد فكذلك ما كان بمعرض الزوال والتغير من الايمان وهذه القسمة الى هذه النسخ الموجودة
في نسخة الرضي وفي نسخ كثيرة الشارحين ونسخ كثيرة معتبرة ونقل الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد
في النسخ التي شرح الكتاب عليها ثلثة اقسام هكذا فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه
ما يكون عواري في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم ثم قال
في بيانها ما هذه خلاصته ان الايمان اما ان يكون ثابتا مستقرا في القلوب بالبرهان وهو الايمان
الحقيقي او ليس ثابتا بالبرهان بل بالدليل الجدلي كايمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ويعتقد
ما يعتقده من اقيسة جدلية لا تبلغ درجة البرهان وقد سماه عليه السلام عواري في القلوب اي انه
وان كان في القلب الذي هو محل الايمان الحقيقي الا ان حكمه حكم العارية في الشبه فانها بعرضية
الخروج منه واما ان لا يكون مستندا الى برهان ولا الى قياس جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظن
بالاسلاف او بامام يحسن الظن به وقد جعله عليه السلام عواري بين القلوب والصدور لانه دون
الثاني فلم يجعله حالا في القلب لكونه اضعف مما قبله واقرب الى الزوال ثم رد قوله الى اجل معلوم
الى القسمين الاخيرين لان من ثبت ايمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ الى درجة البرهان اذا اتم النظر
ورتب المقدمات اليقينية ترتيبا منتجا وقد تضعف مقدماته في نظره فينحط الى درجة المقلد
فيكون ايمان كل منهما الى اجل معلوم لكونه في معرض الزوال واقول ان صحت هذه الرواية فالاشبه
يعود الى ما قلناه من القسمة فان العلم بما يستلزمه البرهان او غيره من الايمان ان بلغ الى حد الملكة
فهو الثابت المستقر والا فهو العارية والذي اراه ان القسم الثالث تكرار وقع من قلم الناسخ سهوا
والله اعلم الثانية قوله فاذا كانت لكم براءة الى قوله حد البراءة معلوم معناه اي اذا اردتم

البرى

التبري من احد من اهل الكبائر فقفوه اي احبسوه موقوفا الى حال الموت ولا تبادروا الى البراءة
منه قبل الموت فان اشد الكبائر واعظمها الكفر وجائز من الكافر ان يسلم فاذا بلغ منتهى الحيوة
وحدها ولم يقلع عن كبيرته فذلك الحد هو حد البراءة الذي يجوز ان يوقعوها معه اذ ليس بعد الموت
حالة ترجى وتنتظر قال بعض الشارحين والبراءة التي اشار عليه السلام اليها هي البراءة المطلقة كل
براءة اذ يجوز لنا ان نتبرأ من الفاسق صاحب الكبيرة في حيوته براءة مشروطة اي ما دام مصرا
على كبيرته الثالثة قوله والهجرة قائمة على حدها الاول لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل الى
منزل اخر لكن تخصيصها عرفا بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله ومن تبعه من اهل مكة الى المدينة
مخرجا لها عن حقيقتها وحدها اللغوي اذ كان ايضا كل من ترك منزله الى منزل آخر مهاجرا
اذا عرفت ذلك فنقول ان مراده عليه السلام من بقاء الهجرة على حدها ان قاصده من اهاجر اليه والى
الائمة من اهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية السلوك لصراط المستقيم كقاصده من المهاجرين
الى الرسول صلى الله عليه وآله وفي معناه ترك الباطل الى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول
اما المنقول ففي وجهين احدهما قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة
فقد سمى من فارق وطنه وعشيرته في دين الله وطاعته مهاجرا وقد علمت في اصول الفقه ان من
للعموم فوجب ان يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا الثاني قول الرسول صلى الله عليه وآله
المهاجر من هجر ما حرم الله عليه وظاهر ان من هجر معصية الائمة الى طاعتهم والاقتداء بهم فقد هجر
ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقا عليه واما المعقول فلان المفارق لوطنه الى الرسول صلى الله عليه وآله
مهاجر فوجب ان يكون المفارق لوطنه الى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرا لصدق حد
الهجرة في الموضعين ولان المقصود من الهجرة ليس الا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله
وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله من الائمة الطاهرين بحيث لا فرق الا النبوة والهجرة
ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول صلى الله عليه وآله دون من قصد
الائمة فوجب عموم صدقها على من قصدهم فان قلت هذا معارض بقوله صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد
الفتح حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثنيه فاستثناه قلت يحمل ذلك على انه
لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام فاعلم ان
فائدة هذا القول الدعوة الى الدليل واقتباسه منه ومن اهل بيته عليهم السلام بذكر الهجرة والتشبيه بها
وما تستلزمه من الفضيلة على ان تارك الاهل والوطن اليهم طلبا للدين منهم يلحق بالمهاجرين الاولين
في مراتبهم وثوابهم الرابعة قوله ما كان لله في اهل الارض الى قوله دينا قال قطب الدين الراوندي
ما ههنا نافية اي لم يكن لله في اهل الارض ممن اسر دينه او اعلنه واظهره حاجة ومن ههنا لبيان
الجنس وانكر الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كون ما نافية وقال يلزم منه كون الكلام منقطعا بين
كلامين متواصلين وجعلها هو بمعنى المدة اي والهجرة قائمة على حدها مدام لله في اهل الارض ممن

اسر دينه او اعلنه حاجة اي ما دامت العبادة مطلوبة لله تعالى من اهل الارض بالتكليف وهو كقولك
في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تعالى باعتبار طلبه العبادة
بالامر والنهي وغيرهما كطلب ذي الحاجة لها واقول انه غير بعيد ان يكون ما خبره مع اتصال الكلام بما قبله
ووجهه انه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة فكانه اراد ان يرفع حكم الوهم بما سواه بحكم به
عند تكرار طلب الله الدين والعبادة من حاجته تعالى اليها من خلقه حيث كرر طلبها منهم بتواتر الرسل
والاوامر الشرعية ويصير معنى الكلام ان الهجرة باقية على حدها الاول في حصة ما في المنازل
لطلب الدين فينبغي ان يهاجروا في طلبه الى ائمة الحق وليس ذلك لان لله تعالى الى اهل الارض
من اسر دينه واظهره حاجة فانه تعالى الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء الخامسة قوله لا يقع اسم
الهجرة الى قوله قلبه اشارة بالحجة في الارض الى امام الوقت لانه حجة الله في ارضه على عباده
يوم القيمة شاهدة عليهم وهذا الكلام تفسير لمواقع اسم الهجرة وبيان لمن يصدق عليه فشرط
صدقها على الانسان بمعرفته امام وقته وذلك لان الامام هو الحافظ للدين ومعدنه الذي يتعلم
منه فيكون قصده لذلك مشروطا بمعرفته فاذن اطلاق اسم الهجرة عليه مشروط بمعرفة امام الوقت
فلذلك قال لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض وقوله فمن عرفها واقر بها فهو
مهاجر يحتمل ان يريد به ان شرط اطلاق اسم المهاجرة على الانسان مشروط بمعرفة امام الوقت
المستلزمة للسفر اليه كما هو الظاهر من لفظ المهاجرة ويحتمل ان يريد مجرد معرفة الامام والاقرار
بوجوب اتباعه والاخذ عنه وان كان بالاخبار عنه دون المشاهدة كاف في اطلاق اسم الهجرة
على من عرفه لكن دون السفر اليه كما كفى في اطلاقه على ترك ما حرم الله بمقتضى قول الرسول صلى
والمهاجرين ترك ما حرم الله عليه وقوله ولا يصدق اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة اي
اخبار الحجة فحذف المضاف ويحتمل ان يريد بالحجة نفس الاخبار التي تنقل عن الامام ويجب العمل بها
قال قطب الدين الراوندي يمكن ان يشير بهذا الكلام الى احد شيئين احدهما قوله تعالى ان الذين
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم فيكون مراده عليه السلم بهذا انه لا يصدق
اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته احكامه ووعاها قلبه وان بقي في وطنه ولم يخرج للسفر
الى الامام كما صدق على هؤلاء المذكورين في الاية والثانية قوله تعالى بعد ذلك الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله
ان يعفو عنهم فيكون مراده على هذا ان من عرف الامام وسمع مقالته ووعاها قلبه لا يصدق عليه
الاستضعاف كما صدق على هؤلاء اذ كان المفروض في الموجودين في عصر الرسول صلى المهاجرة
بالابدان دون من بعدهم بل يكتفي منه بمعرفته والعمل بقوله بدون المهاجرة اليه بالبدن
واقول يحتمل ان يريد بقوله ذلك انه لا عذر لمن بلغته دعوة الحجة فسمعها في تأخره عن النهوض

والمهاجرة

والمهاجرة اليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له بل يكون في تأخره ملوما مستحقا للعقاب كالذين
قالوا انا كنا مستضعفين في الارض ويكون مخصوصا بالقادرين على النهوض كما قلناه دون العاجزين
فان اسم الاستضعاف صادق عليهم وهذا الاحتمال انما يكون جائز الارادة من هذا الكلام على تقدير
ان يكون اطلاق اسم المهاجر على الانسان في الكلام المتقدم مشروطا بمعرفة الامام بالمشاهدة والسفر
اليه اذ لو جاز ان يطلق عليه المهاجرة مع عدم السفر الى الامام لما كان ملوما في تأخره عنه السادسة
قوله ان امرنا صعب مستصعب فامرهم شانهم وما هم عليه من الكمال الخارج عن كمالات من عداهم
من الامة والاطوار التي تختص بها عقولهم وراء عقول غيرهم فيكون ايم من ذلك القدرة على ما لا يقدر
عليه غيرهم والادراكات الغيبية بالنسبة الى غيرهم والاخبار عنها كالوقايع التي حكى عنها عليه السلم
ثم وقعت وفي قوله وكالاحكام والقضايا التي اختص بها ونقلت عنه فان هذا الشان صعب
في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء والاوصياء الانبياء ومستصعب الفهم على الخلق معجوز عن احتمال ما يلقى
منه من الاشارات والاخبارات على ما يكون والقدرة على ما يخرج عن وسع مثلهم ولا يحمله
ويقبله الا نفس عبد امتحن الله قلبه للايمان كقوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
اي اعدها بالامتحان والابتلاء بالتكاليف العقلية والنقلية لحصول الايمان الكامل اليقيني بالله
ورسوله وكيفية سلوك سبيله والتحلي بالكمالات العلمية والفضايل الخلقية حتى عرفت مبادي
كمالاتهم ومقاديرها وكيفية صدور مثل هذه الغرايب عنها فلا يستنكر ما ياتون به من قول او فعل
ويتلقاه بالتكذيب كما كانت جماعة من اصحابه عليه السلم يفعلون ذلك معه فيما كان يخبر به عن الغيب
حتى نم ذلك منهم فقال يقولون يكذب قاتلهم الله تعالى فعلى من اكذب ءا على الله وانا اول من امن
به او على رسوله وانا اول من صدقه كما حكيناه ذلك فيما سبق بل يحتمل كل ما ياتون به على وجه
ويسنده الى مبادئه ويقنع بوصول ما يرد عليها من اسرارهم الالهية فاولئك واشباههم
هم اصحاب الصدور الامينة التي يلقى ما يلقى اليها من تلك الاسرار وتصونها عن الاذاعة الى
من لا ينتفع بها وليس باهل لها في ما لا مؤنة عليها واولوا الاحلام الرزينة التي لا يستفزها سماع
تلك الغرايب ومشاهدتها منهم حتى يلزم ذلك على اذاعتها واستنكارها بل تحملها على الصواب
ما وجدت لها محملا فاذا عجزت عن معرفتها ثبتت فيها وامنت بها على سبيل الاجمال ووقفت
على كنهها الى الله سبحانه واراد قلوب صدور امينة او اصحاب صدور امينة واصحاب احلام
رزينة فحذف المضاف ويحتمل ان يكون قد اطلق اسم الصدور والاحلام مجازا من اهلها
اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق وقد نقل عنه عليه السلم مثل هذا الكلام في غير هذا الموضع من جملة خطبة
لان قريشا طلبت السعادة فشقيت وطلبت النجاة فهلكت وطلبت الهدى فضلت الم يسمعوا
ويحهم قوله تعالى الذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم فاين المعدل

والمنع ممن في ذريته الرسول صلى الله عليه وآله الذين شيد الله بنائهم فوق البنيان واعلى رؤسهم فوق
رؤسهم واختارهم عليهم الا ان الذرية افنان انا شجرتها ودوحة انا ساقها واني من احمد بمنزلة الضوء
من الضوء كنا اظلالا تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر اشباحا
عالية لا اجساما نامية ان امرنا صعب مستصعب لا يعرف كنهه الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد
امتحن الله قلبه للايمان فاذا انكشف لكم سر او وضح لكم امر فاقبلوه والا فاسكتوا تسلموا وردوا
علمها الى الله سبحانه فانكم في اوسع مما بين السماء والارض ونحو قوله واني من احمد بمنزلة الضوء من الضوء
وقوله كنا اظلالا الى قوله نامية اشارة لطيفة اما الاول فاشار الى ان الكمالات التي حصلت
لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي صلى الله عليه وآله اشبه الاشياء بالضوء والضوء من الضوء
كشعلة مصباح اقتبست من شعلة مصباح اكبر ولذا ومن العادة في عرف المجردين والاولياء الله وكناية
تمثيل النفوس الشريفة والعلوم بالانوار والاضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنها مع
لطفها وصفائها واما الثاني فيحتمل ان يكون قد اشار بكونهم اظلالا تحت العرش قبل خلق البشر
اشباحا لا اجساما الى وجودهم في العلم الالهي فانه قد يعبر عنه في بعض المواضع بالعرش واستعار
لفظ الاظلال لهم باعتبار كونهم مرجعا للخلق وملجا كالاظلال وقد سبقت الاشارة الى ذلك او قرب
منه بيان اوضح في الخطبة الاولى السابعة اية بالناس وقال سلوني قبل ان تفقدوني الى قوله
الارض واجمع الناس على انه لم يقل احد من الصحابة واهل العلم سلوني غيره عليه السلام ذكر ذلك ابن
عبد البر في كتاب الاستيعاب واراد بطرق السماء وجوه الهداية الى معرفة منازل سكان السموات
من الملأ الاعلى ومراتبهم من حضرة الربوبية ومقامات انبياء الله وطلعا به من حظاير القدس و
اطلاع نفسه القدسية عليهم باحوال الفلك ومدبراتها والامور الغيبية مما يتعلق بالفتن و
الوقايع المستقبلة اذ كان عليه السلام الاتصال التام بتلك المبادي فلا جرى ان يكون علمه بها
اتم والكل من علمه بطرق الارض الى منازلها وقد سبق شكل لقوله سلوني قبل ان تفقدوني فوالله
لا تسألوني عن فتنة تضل مائة وتهدي مائة الا انبأتكم بسائقها وقائدها وقد حمله قوم على وجه اخر
وقالوا اراد بطرق السماء الاحكام الشرعية والفتاوى الفقهية اي انا اعلم بها من الامور الدنيوية
فعبر عن تلك بطرق السماء لكونها احكاما الهية وعبر عن هذه بطرق الارض لانها من الارضية وكره
ما نقل عن الامام الوبري انه قال اراد ان علمه بالدين اوفر من علمه بالدنيا وقوله قبل ان تشغر
برجلها فتنة اه اراد فتنة بني امية واحكامهم العادلة عن العدل وما يلحق الناس في دولتهم من البلاء
وكني بشغر رجلها عن خلو تلك الفتنة عن مدبر يدبرها ويحفظ الامور وينظم الدين حين وقوع الجور
وقوله وتطأ في خطامها استعارة لوصف الناقة التي ارسل خطامها وخلت عن القائد فهي تخبط في مشيها وتطأ
في خطامها وتعثر فيه وتقاتل لتعثر الناس على غير نظام من حالها وهذا هو وجه
الاستعارة اذ كانت هذه الفتنة تقع في الناس على غير قانون شرعي ولا طريق مرضي والله اعلم

ينظم

ينظم امور الخلق فيها وقوله وتذهب باحلام قومها قال البعض ان يرجح اي تحير اهلها فيها وتذهب بهم
لشدة تناهي لا يشتغلون فيها بل تغشى الباهم فلا يهتدون الى الطريق التخلص عنها ووجه السلامة
فيها ويحتمل ان يريد بذلك انها تستخف اهل زمانها فيكون ايها شراعا ويحتمل ان الداعي بها
والداعي اليها رغبة ورهبة فلا يتابعون في ذلك وهو مخصوص عن كونها فتنة لتقلبهم عن وجه الحق
فيها وشدة وقوعها على الناس وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام احمده شكرا لانعامه واستعينه
على وظايف حقوقه عزيز الجند عظيم المجد واشهد ان محمدا عبده ورسوله دعا الى طاعته وقاهر اعداءه
جهادا عن دينه لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه والتماس لاطفاء نوره فاعتصموا بتقوى الله
فان لها حبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وبادروا الموت وغمراته وامهدوا له قبل حلوله
واعدوا له قبل نزوله فان الغاية القيامة وكفى بذلك واعظا لمن عقل ومعتبرا لمن جهل وقبل
بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الارماس وشدة الابلاس وهول المطلع وروعات الفزع
واختلاف الاضلاع واستكاك الاسماع وظلمة اللحد وخيفة الوعد وغم الضريح وردم الصفيح
فالله الله عباد الله فان الدنيا ماضية بكم على سنن وانتم والساعة في قرن وكانها
قد جاءت باشراطها وازفت بافراطها ووقفت بكم على صراطها وكانها قد اشرفت بزلازلها
واناخت بكلاكلها وانصرفت الدنيا باهلها واخرجتهم من حضنها فكانت كيوم مضى وشهر انقضى
وصار جديدها رثا وسمينها غثا في موقف ضنك المقام وامور مشتبهة عظام ونار شديد كلبها
عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوف وعيدها عمي
قرارها مظلمة اقطارها حامية قدورها فظيعة امورها وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قد امنوا
العذاب وانقطع العتاب وزحزحوا عن النار واطمأنت بهم الدار ورضوا المثوى والقرار الذين
كانت اعمالهم في الدنيا زاكية واعينهم باكية وكان ليلهم في دنياهم نهارا تخشعا واستغفارا وكان
نهارهم ليلا توحشا وانقطاعا فجعل الله لهم الجنة ثوابا وكانوا احق بها واهلها في ملك دائم ونعيم
قائم فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم وباضاعته يخسر مبطلكم وبادروا آجالكم باعمالكم
فانكم مرتهنون بما اسلفتم ومدينون بما قدمتم وكان قد نزل بكم المخوف فلا رجعة تنالون ولا عثرة
تقالون استعملنا الله واياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته الزموا الارض
واصبروا على البلاء ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم في هوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فانه
من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته مات شهيدا ووقع اجره
على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته لسيفه فان لكل
شيء مدة واجلا اقول الوظيفة ما يقدر للانسان في كل يوم من طعام او رزق او عمل ونحوه
يصرفه والمعقل الملجأ وذروته اعلاه وامهدوا اي اتخذوا له مهادا وهو الفراش والارماس
جمع رمس وهو القبر والابلاس الانكسار والحزن والمطلع الاطلاع من اشراف الى سفل وهو موضع

السنن

وفزعه وازدحم الفزعة واشتكاك الاسماع صمها والصيحة الجازة العراقى ودمد جاسد القبر بها و الطرقة والقرن الجبل يقرن به البعيران واشراطها علاماتها وازفت دنت وافراطها مقدماتها ومنه افراط الصبح اوايل تباشيره والرث الخلق والغث الهزيل والضنك الضيق والكلب الشر واجب الصوت والساطع المرتفع وسعيرها لهبها وتاججها اشتداد حره ووقودها بضم الواو هو لهب وذكاه مقصورا اشتعاله وفظاعة الامر شدته ومجاوزته للمقدار والزمر الجماعات واحدتها زمرة وزحزحوا بعدوا واطمأنت سكنت والمثوى المقام والمآب المرجع وهم بنون مجزون واصلاته لسبقه تجرده به واعلم انه عليه السلام انشأ حمد الله تعالى ونصب شكرا على المصدر عن قوله احمده من غير لفظه اذ المراد بالحمد هنا الشكر بقرينة ذكر الانعام ثم اردفه بطلب المعونة على اداء علمه من حقوقه واجباتها ونوافلها كالصلوات والعبادات التى ارتضاها منهم شكرا لنعمائه واذا اعتبرت كانت نعمة تستحق الشكر لاستلزامها المواظبة عليها من السعادة الحقيقية الباقية كما سبق بيانه وقوله عزيز الجند حال والاضافة غير محضة والعامل استعينه وكذلك قوله عظيم المجد اى استعينه على اداء حقوقه حال ما هو بهذين الاعتبارين فانه باعتبار ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون مالك الملك قديرا على ما يشاء فكان مبدأ الاستعانة به على اداء وظايف حقوقه ثم اردفه بشهادة برسالة نبيه صلى الله عليه وآله وذكر احواله التى كانت مبادى لظهور الدين الحق لتعدى السامعون به صلى الله عليه وآله فى تلك الاحوال وهى دعوته الى الدين ومقاهرته اعدائه وهم الكفار على اديانهم ونصب جهادا على انه مصدر سد مسد الحال او نصب المصادر عن قوله قاهرا من غير لفظه اذ في قاهر معنى جهاد وعن دينه متعلق بجهادا اعماله للاقرب ويحتمل التعلق بقاهر وقوله لا يثنيه اى لا يصرفه عن دعوته ومقاهرته لاعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه والتماسهم اطفاء نوره ولفظ النور مستعار لما جاء به من الكمالات الهادية الى سبيل الله ثم لما نبههم على تلك الاحوال التى مبدأها تقوى الله تعالى امرهم بالاعتصام بها فاعتصموا بتقوى الله كما اعتصم نبيكم بها نوا من اظهار دينه ومواظبته على ذلك والاوازهر عدو مع كثرتهم كما لم تختلف حرمع وحدته فان للتقوى حبلا وثيقا عروته من تمسك به واعتصم لم يضره عدو ومعقلا منيعا ذروته من لجأ اليه لم يصل اليه سوء ولفظ الحبل والمعقل مستعاران للتقوى وقد سبق بيان هذه الاستعارات ثم اكد ذلك الامر بالامر بمبادرة الموت وغمراته ومعنى مبادرته مسابقته الى الاستعداد بالاعمال الصالحة كانهم يسابقون الموت وغمراته وما يلحقهم من العذاب فيه وفيما بعده الى الاستعداد بالاعمال الصالحة محصلوا بها ملكات صالحة يكون جهادا قبل حلوله بهم كيلا يغذهم فدها وبجعلونها عدة لانفسهم قبل نزوله عليهم ممتنعون بها كيلا يورثهم نفوسهم لجزائه كانه يسابقهم الى انفسهم ليقطعهم عن ذلك الاستعداد ويكون سببا لوقوع العذاب بهم وقوله فان الغاية القيمة تحذير بذكر الغاية وتذكير بما هو المنا الموعودة اى فان غايتكم القيمة بدلكم فيما اذا كانت تلك الغاية هى لازم الموت كما قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته كان امره بالاستعداد

للموت امرا بالاستعداد لها وذلك انه بعد الامر بالاستعداد له بقوله فان منها على وجوب ذلك الاستعداد بغير ذكر صغراه وتقدير الكبرى وكل من كانت غايته القيمة فواجب ان يستعد لها وقوله وكفى بذلك اى بذكر الموت وغمراته والقيمة واهوالها وعظا من عقل لكونه المقصود بالخطاب الشرعى ومعتبرا اى محلا للاعتبار والعلم وظاهر كون الموت ونزوله بهذه البنية الثابتة التى احكم بنيانها ووصفت بالوضع العجيب والترتيب اللطيف وهدمه لها واعطا بليغا يزجر النفوس عن اتباع هواها ومعتبرا فقف منه على ان وراء هذا الوجود وجودا واشرف منزلة لما عطلت هذه البنية المحكمة المتقنة ولكان ذلك بعد احكامها واتقانها سفها ينافى الحكمة كان الانسان اذا بنى دارا واحكمها وزينها بزينة الالوان المعجبة فلما تمت وحصلت غايتها عمد اليها فهدمها فانه يعد في العرف سفيها عابثا اما لو كان غرضه من ذلك الوصول الى غاية تحصل بوجودها وفيها ثم يستغنى عنها جاز هدمها فكذلك هذه البنية لما كانت الغرض منها استكمال النفوس البشرية بالكمالات التى تستفاد من جهتها وهى العلوم ومكارم الاخلاق ثم الانتقال منها الى عالمها جاز لذلك خرابها وفسادها بعد حصول ذلك الغرض منها وقوله وقبل بلوغ الغاية تقول عطف على قوله قبل نزوله وقوله من ضيق الارماس الى قوله الصفيح تفصيل لما يعلمونه من احوال الموت واهواله وظاهر ان للقبور ضيقة بالقياس الى الدنيا وان النفوس عند مفارقتها تجد فيها شديدا وحزنا قويا على ما فارقته ومالاقته من الاهوال التى كانت غافلة عنها وان لم اشرفت عليه من احوال الآخرة هولا وفزعا نظيرهما في الدنيا ومنه المرجع والمطلع بلك من هول المطلع وانما حسن اضافة روعات الى الفسح وان كان الروع هو الفسح باعتبار تعدده وهى من حيث هى آحاد مجموع افراده فجازت اضافتها اليه واختلاف الاضلاع كناية عن ضغطة القبر اذ يحصل بسببها تداخل الاضلاع واختلافها واستكاك الاسماع ذهابها بشدة الاصوات الهايلة ويحتمل ان يريد به ذهابها بالموت وانما قال خيفة الوعد لان الوعد قد يستعمل في الشر والخير عند ذكرهما كما قال ولا تعد انه الخير والشر مقبل فاذا اسقطوا ذكرهما قالوا للخير العدة والوعد وفى الشر الايعاد والوعيد وههنا وان سقط ذكرهما الا ان قوله خيفة يدل على وجود الشر فكان كالقرينة وغم الضريح الغم الحاصل والوحشة المتوهمة فيه اذ كان النفوس من الهيئات المتوهمة كونها مقصورة مضيقا عليها بعد فسح المنازل الدنيوية وساير ما ذكره عليه السلام من الاهوال وانما عدد هذه الاهوال لكون الكلام في معرض الوعظ والتخويف ولكون هذه الامور مخوفة منفورا عنها طبعا ثم اكد ذلك التخويف بالتحذير من الله وعلل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن اى طريقة واحدة لا يختلف حكمها كما كان من شانها ان اهلكت القرون الماضية وخلت بهم وبانت بهم عما خلت وصيرتهم الى الاحوال التى عددها وكذلك خلفها بكم وقوله وانتم والساعة في قرن كناية عن قربها القريب منهم حتى كانهم معها في قرن واحد وقوله وكانها قد جاءت باشراطها تشبيه لها في سرعة مجيئها بالتى جاءت وحضرت والمراد ذلك التشبيه تقدا بعيده المحقق المجئ وعلاماتها كظهور الدجال

ودابة الارض وظهور المهدي عليه الصلوة والسلم وعيسى عليه السلم الى ذلك وقوله وآذنت بانقضائها
ووقفت بكم على صراطها اى قوله ومنها اشفائها اى وتحقق وقوفها بكم على صراطها وهو الصراط المعهود جنبا
بتوقع منها من هذه الاحوال في خطكم عليها اذ ابقائها بكم وبعينها فيكم واستعار لفظ الكلاكل لها هو اما
الثقيلة ووصف الاناخة لتوجهها بتلك الاهوال عليهم ملاحظة في ذلك تشبيهها بالناقة وانما حسن تعدد
الكلاكل لها باعتبار تعدد اهوالها الثقيلة النازلة بهم ولما كانت الافعال من قوله وانها حتى الى قوله وصاحبها
منها فقط معطوفا بعضها ببعض دخلت في حكم الشرط اى وكان الدنيا قد انصرفت باهلها وكانكم قد
اخرجكم من حضنها الى آخر الافعال والمشبه الاول هو الدنيا باعتبار حالها الحاضرة والمشبه به انصرافها
باهلها وذو الهم ووجه الشبه سرعة المضي اى كانها من سرعة احوالها الحاضرة كالتى مرعة انصرافها وكذلك
الوجه في باقى التشبيهات واستعار لفظ الحضن لها ملاحظة لشبهها بالام التى تحضن ولدها فينتزع من حضنها
والسمين والغث تحتمل ان يريد بها الجنة وتحتمل ان يكنى به عما كثر من لذاتها وخيراتها وتغيرها بالموت
وزوالها وقوله في موقف يتعلق باخبارها والموقف هو موقف القيامة وظاهر ان كل جديد للدنيا يوم منذرث
وكل سمين كان بها غث ومعنى الموقف الكثرة الخلق به منذ ودادها منه او لصعوبة الوقوف به وطوله
مع ما يتوقف الخلق الامن من انفسهم من انزال المكروه بهم والامور المشتبهة العظام اهوال الآخرة واشباهها
لكونها مشتبهة نخيرة في وجه الخلاص منها والاعتبار بحكم كونها عظيمة وظاهر كون النار شديدة الشر وقد نطق
القرآن الكريم باكثر ما وصفها عليه السلم به هنا من علو اصواتها وسطوع لهبها وتغيظ زفيرها كقوله تعالى
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ وقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا
ولفظ التغيظ مستعار للنار باعتبار حركتها بشدة وعنف كالغضبان او باعتبار استلزام حركتها
للاذى والشر وقوله عم قرارها اسند العمى الى قرارها مجازا باعتبار انه لا يهتدى في ظلمته او ان
عمقها لا يوقف عليه لبعده ولما استعار لفظ العمى رشح بذكر الظلمة وظاهر فظاعة تلك الامور وشدتها
وكل تلك الامور عدها في معرض التخويف لكونها مخوفة تنفيرا لما يلزم عنه من ترك التقوى واتباع الهوى
ثم ساق الآية اقتباسا وشفع بعدها احوال المتقين في الآخرة اللازمة عن تقواهم وهي امنهم من العذاب
وانقطاع العقاب عنهم وابعادهم عن النار ودخولهم الدار التي هي الجنة بهم ورضاهم بها شوقا وترغيبا
ترغيبا في التقوى بذكر لوازمها ثم اردف ذلك بصفات المتقين ايضا مما ساقه ويعرفنا فقال هم الذين
كانت اعمالهم في الدنيا زاكية اى طاهرة من الرياء والشرك الخفى واعينهم باكية اى من خشية الله وخوف
عقابه وحرمانه وكان ليلهم في دنياهم نهارا في كونه محل حركاتهم في عبادة ربهم وتخشعهم له واستغفارهم
اياه فاشبه النهار الذى هو محل حركات الخلق ولهذا الشبه استعار لفظ النهار لليل وكذلك استعار
لفظ الليل للنهار ووجه الاستعارة كون النهار محلا لتوحشهم من الخلق وانقطاعهم عنه واعتزالهم اياهم
كالليل الذى هو محل انقطاع الناس بعضهم عن بعض وافتراقهم وفي نسخة الرضى رضه بخطه كان ليلهم
في نهار في القرينة الاولى وفي ليل في الثانية ووجه الشبه هو ما ذكرناه وكانه قيل فلما استعدوا

بتلك الصفات لحصول تلك الفضائل والكمالات واستوجبوا رضى الله تعالى عنهم جعل الله لهم الجنة مرجعا
ومآبا وما اعد فيها من جزاء النعيم ثوابا وكانوا احق بها واهلها وهو اقتباس وقوله في ملك الى قوله
قائم اى مقيم غير منقطع الجزاء ثم اكد الامر بالتقوى برعايتها في عبارة اخرى بقوله فيما بعض لازمها وذلك
ان الفوز انما يتبين انما يكون بالتقوى ولزوم الاعمال الصالحات والمبطلون هم الذين لا حق لهم في الخارج
عن التقوى الخ وانما لحقهم الخسران بالخروج عنها وقوله بادروا آجالكم باعمالكم كقوله بادروا الموت
اى وسابقوا آجالكم بالاعمال الصالحات اى الاستعداد بها قبل ان يسبقكم الى انفسكم فتقطعكم عن الاستعداد
تحصيل الازواد ليوم المعاد ونبههم بقوله فانكم الى قوله قدمتم على ارتهانهم في ذنوبهم السالفة وجزاء عليها
في القيمة ليبادروا الى فكاكها بالاعمال الصالحة والسلامة من الجزاء عليها ولفظ المرتهن مستعار للنفوس الآثمة
باعتبار تقيدها بالسيئة واطلاقها بالحسنة كتقييد الرهن المتعارف بما عليه من المال وفكاكه باداءه واطلاق
لفظ الجزاء العقاب مجاز اطلاق لاسم احد الضدين على الآخر وقوله وكان قد نزل اى المخوف من كان شبه
واسمها ضمير الشان والمقصود تشبيه حالهم وشانهم الحاضر بحال نزول المخوف وهو الموت بهم وتحققه في
حقهم الذى لا يزوه ما ترتب عليه عدم تمكنهم من الرجعة واقالتهم للعثرة ثم عقب ذلك بالنفس والهم باستعمال
اياهم في طاعته وطاعة رسوله وذلك الاستعمال بتوجيههم لاسباب الطاعة واعدادهم لها وان حقيقة
صورة الطاعة قواهم العقلية والبدنية وجوارحهم التى بسببها تكون السعادة القصوى ثم بالتزام ذلك
الاستعمال من العفو عن جرائمهم وانما نسبها الى فضل رحمته لكونه مبدأ العفو والمسامحة في جنبة ما هو رحيم
وذلك من الاعتبارات التى تحدثها عقولنا الضعيفة وتجعلها من صفات كماله كما سبق بيانه في الخطبة الاولى
ثم عقب وعظهم وتحذيرهم والدعاء بامرهم ان يلزموا الارض ويصبروا واظهارا لحقهم من بلاء اعدائهم
ومخالفيهم في العقيدة كالخوارج والبغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاص بمن يكون بعده
بدلالة سياق الكلام ولزوم الارض كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض للجهاد والقتال
في زمن عدم قيام الامام الحق بعده عليه السلم وقوله ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم نهى عن
الجهاد من غير امر احد من الائمة من ولده بعده وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الامر فانه لا يجوز
اجراء هذه الحركات الا باشارة من امام الوقت وهوى الالسنة ميلها الى السب والشتم موافقة لهوى
النفوس والباء في بايديكم زائدة ويحتمل ان يكون مفعول تحركوا محذوفا تقديره شيئا ولا تحركوا
بهوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم من ذلك الجهاد وقوله فانه من مات منكم الى قوله لسيفه
لكم في زمان عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الامر وشبه لهم على ثمرة الصبر وهو ان من مات منهم على
معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء
ووقع اجره على الله بذلك واستحق الثواب منه على ما اتى به من الاعمال والصبر على المكاره من الاعداء
وقامت نيته انه من انصار الامام لو قام لطلب الامر وانه معه مقام تجريده لسيفه في نيل الاستحقاق
الاجر وقوله فان لكل شئ مدة واجلا شبه على ان لكل من دولة العدو الباطلة ودولة الحق العادلة مدة

تنفي بانتفائها وأجل شيء به فإذا حضرت مدة دولة عدو فليس ذلك وقت قيام لهم ونهوضهم فإذا استعجلوا به

هذا هو المبادر إلى الفهم من هذا الكلام والخطبة من فصيح خطبه عليه السلام وقد أخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا

من ألفاظها في خطبة له كقوله شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها إلى قوله

في خطبة أخرى وكقوله هول المطلع وروعات الفزع إلى قوله وردم الصفيح فإنه أخذ كل هذه الألفاظ

ورصع بها كلامه وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الفاشي حمده والغالب جنده

والمتعالي جده أحمده على نعمه التؤام وآلائه العظام الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم

ما يمضي وما مضى مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا اقتداء ولا تعليم ولا احتذاء لمثال صانع حكيم ولا إصابة

خطأ ولا حضرة ملأ وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة

ويموجون في حيرة قد قادتهم أزمة الحين واستغلقت على أفئدتهم أقفال الرين عباد الله أوصيكم

بتقوى الله فإنها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم وأن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله

فإن التقوى في اليوم الحرز والجنة وفي غد الطريق إلى الجنة مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها

حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غدا إذا أعاد الله ما أبدى وأخذ

ما أعطى وسأل عما أسدى فما أقل من قبلها وحملها حق حملها أولئك الأقلون عددا وهم أهل صفة الله سبحانه

إذ يقول وقليل من عبادي الشكور فأهطعوا بأسماعكم إليها وألظوا بجدكم عليها واعتاضوها من كل

سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا أيقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم وأشعروها قلوبكم وارحضوا

بها ذنوبكم وداووا بها الأسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن أضاعها ولا يعتبرن بكم من

أطاعها ألا فصونوها وتصونوا بها وكونوا عن الدنيا نزاها وإلى الآخرة ولاها ولا تضعوا من رفعته

التقوى ولا ترفعوا من رفعته الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيئوا

بإشراقها ولا تفتنوا بأعلاقها فإن برقها خالب ونطقها كاذب وأموالها محروبة وأعلاقها مسلوبة

ألا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها

انتقال ووطأتها زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب وسلب ونهب وعطب

أهلها على ساق وسياق ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها وأعجزت مهاربها وخابت مطالبها

فأسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل وأعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم

مسفوح وعاض على يديه وصافق بكفيه ومرتفق بخديه وزار على رأيه وراجع عن عزمه وقد أدبرت الحيلة وأقبلت

الغيلة ولات حين مناص هيهات هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال

بالها فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين أقول الفاشي الذائع والمنتشر والجد ههنا

العظمة ومنه حديث أنس كان أحدنا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم والتؤام جمع تؤام

وحقيقته الولد يقارنه ولد آخر في بطن واحد قال الخليل أصله وأم على وزن فوعل فأبدلوا

من إحدى الواوين تاء كما قالوا تولج من ولج وآلاء النعم واحدها إلى بالفتح وقد يكسر كحرف الجر

والحرز

والحرز الحصن والجنة ما يستر العقل من الجهل والقوة الشدة أيضا والحين بالفتح الهلاك والرين الطبع

وغلبة الذنوب حتى تغطي عن البصيرة والغابر الباقي والماضي أيضا وأسدى أرسل معروفه وأهطع

أسرع وألظ بكذا لازمه وداوم عليه والملاظة المداومة ويروى الظوا أي الزموا ولزوم

الشيء في معنى المداومة عليه والشعار ما يلي الجسد تحت الدثار وهو العلامة أيضا والرحض الغسل

والنزه جمع نزيه وهو المتباعد عما يوجب الذم والوله جمع واله وهو المتحير من شدة الوجد والشيم النظر

إلى البرق أين تمطر سحابه والناعق المصوت والأعلاق جمع علق وهو الشيء النفيس وبرق

خالب وخلب لا مطر معه ومال محروب مأخوذ بكليته والمتصدية المتعرضة والعنون كثيرة العنن

وهو الاعتراض والعنون أيضا الدابة المتقدمة في السير والجموح الدابة التي تغلب الفارس فلا يملكها

والحرون الذي إذا اشتد به السوق وقف والمائنة الكاذبة والكنود الكفور للنعم والعنود المائل

عن الطريق وعن المرعى والصدود المعرضة والحيود أيضا المائلة والميود المتمايلة والحرب بفتح الحاء أخذ

المال والسلب ما يسلب من الرمح ونحوه في الحرب والعطب الهلاك والساق الشدة والسياق

نزع الروح والسياق مصدر ساقه سوقا وسياقا والمعاقل الحصون وما يلجأ إليه ولفظتهم ألقتهم

والمحاول جمع محاولة وهي الحيلة والمعقور المجروح والمجزور المقطوع والشلو العضو من اللحم بعد البلى

والأشلاء الأعضاء المتفرقة في البلى والمسفوح المسفوك والغيلة الأخذ على غرة والمناص

مصدر قولك ناص ينوص نوصا أي فر وراغ ولات حرف سلب قال الأخفش شبهوها بليس

وأضمروا فيها اسم الفاعل قال ولا يكون لات إلا مع حين وقد تحذف حين كما حذفت في قول

مازن بن مالك حنت ولات هنت فحذف حين وهو يريده وقال قرأ بعضهم ولات حين مناص

برفع حين وأضمر الخبر وقال أبو عبيدة هي لا والتاء إنما زيدت في حين وإن كتبت مفردة كما قال

أبو وجزة العاطفون تحين ما من عاطف وقال المؤرج زيدت التاء في لات كما زيدت في ثمت

وربت والبال الحال في الشأن والأمر والبال أيضا القلب وقد حمد الله سبحانه باعتبارات

لا تنفك أولها أنه الفاشي حمده أي في جميع خلقه ومخلوقاته إذ كان شيء منها لا يخلو من نعمة له وظهر

وجوده فلا يخلو من حمده بلسان الحال أو المقال وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون

الثاني الغالب جنده وجند الله ملائكته وأعوان دينه من أهل الأرض لقوله تعالى وإن جندنا

لهم الغالبون وقوله فإن حزب الله هم الغالبون وفي هذه القرينة جذب للسامعين

إلى نصرة الله ليكونوا من جنده وتثبيت لهم على ذلك الثالث المتعالي جده أي علاه وعظمته

كقوله تعالى وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وفي هذه القرينة تناسب ما قبلها لأن ذلك

من إيهام الحاجة إلى الجند والنصرة وفي إثباته تعاليه وعظمته عن كل حال يحكم بانتفاء الرافع

لذلك الإيهام ثم عقبه بذكر سبب الحمد وهو نعمه التؤام وآلاؤه العظام ومعنى كونها تؤاما

ترادفها على العبد وتواترها فإنه ما من وقت يمر عليه إلا وهذه الأنواع من نعم الله تعالى لا تكاد تجد

الرابع من الاعتبارات الذي عظم حلمه فعفا فالحلم في الانسان فضيلة تحت الشجاعة يعبر بها عن عدم انفعال
النفس عن الواردات المكروهة المؤذية له واما في حق الله تعالى فيعود الى عدم انفعاله عن مخالفة
عبيده لاوامره ونواهيه وكونه لا يستفزه عند مشاهدة المنكرات منهم غضب ولا يحمله على المسارعة
الى الانتقام منهم مع قدرته التامة على كل مقدور غيظ ولا طيش والفرق بينه تعالى وبين العبد
في هذا الوصف ان سلب الانفعال عنه سلب محقق وسلبه عن العبد سلب عما من شأنه ان يكون له ذلك
فكان عدم الانفعال عنه تعالى ابلغ واتم من عدمه عن العبد وبذلك الاعتبار كان اعظم ولما كان
الحلم يستلزم العفو عن الجرائم والصفح عنها سمي اهماله تعالى العبد وعدم مؤاخذته بجرائمه عفوا فلذلك
اردف وصفه بعظم الحلم بذكر العفو وعطفه بالفاء لاستعقاب الملزوم لازمه بلا مهلة الخامس
وعدل في كل ما قضى ولما كان العدل عبارة عن التوسط في الافعال والاقوال بين طرفي التفريط
والافراط وكان كل ما قضاه تعالى وحكم عليه بوقوعه او عدم وقوعه جاريا على وفق الحكمة ونظام
الكل لا جرم ذلك في مظانه من العلم الالهي لا جرم لم يكن يقع في الوجود شيء من افعاله واقواله
منسوبا الى احد طرفي التفريط والافراط بل كان على حاق الوسط منهما وهو العدل وقيل قضى
بمعنى امر كقوله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وهو داخل فيما قلناه فان ما امر به
او نهى عنه داخل فيما حكم عليه بوقوعه او عدم وقوعه السادس وعلم ما يمضي وما مضى
اشارة الى احاطة علمه بكل الامور مستقبلها وماضيها وكليها وجزئيها وقد اشرنا الى ذلك
فيما قبل السابع مبتدع الخلائق بعلمه ظاهر كلامه عليه السلم ناطق بان العلم ههنا سبب لابتداع الخلق
ولا شك ان السبب له تقدم على المسبب من جهة ما هو سبب وهذا هو مذهب جمهور الحكماء والخلاف فيه
مع المتكلمين اذ قالوا ان العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع ان يكون سببا فان بنا على رايهم اذن لا يستقيم
هذا الراي الاول مذهب ولكن اذا حققنا القول وفهمنا انه لا صفة له تعالى زائدة على ذاته كانت
ذاته وعلمه وقدرته وارادته شيئا واحدا وانما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفة
بالقياس الى المخلوقات كما سبق بيانه في الخطبة الاولى وحينئذ لم يبق تفاوت في ان تسند المخلوقات
الى ذاته او الى علمه او الى قدرته او غيرهما واما بان ان العلم تابع للمعلوم حتى يمتنع سببا له
حتى لا يمتنع ذلك فيما حقق في مظانه والمسئلة مما طال الخبط فيها بينهم ويحتمل ان يريد بالابتداع
احكام الاشياء واتقانها بحيث يكون محل التعجب يقال هذا فعل بديع ومنظر بديع اي معجب
حسن فظاهر ان ذلك منسوب الى العلم ولذلك يستدل باحكام الفعل واتقانه على علم فاعله
الثامن وانشاهم بحكمه اي بحكمته وهو قريب من الذي قبله ويحتمل ان يريد حكم قدرته على الموجودات
بالوجود وهو ظاهر وقوله بلا اقتداء ولا تعليم اي لم يكن ابداعه وانشاؤه للخلق على وجه
اقتدائه بغيره ممن سبقه الى ذلك ولا على وجه التعلم منه والاقتداء اعم من التعلم وقوله
ولا اصابة خطا اي لم يكن انشاؤه للخلق اولا اتفاقا على سبيل الاحراز والخطأ من غير علم ثم

ثم علم بعد ذلك فاستدرك خطأه واحكمه فاصاب وجه المصلحة فيه ولاضافة بعض الكلام كان الاتيان
من لواحق ذلك الخطأ وقيل هذا اعتراض المتكلمين على الفلاسفة حيث استدلوا على كونه تعالى عالما بكل
معلوم فقالوا انه تعالى علم بعض الاشياء لا من طريق اصلا لا من حس ولا نظر واستدلال فوجب ان يعلم
سائر ذلك لانه لا تخصيص ثم سالوا انفسهم فقالوا لم زعمتم ذلك ولم لا يجوز ان يكون قد فعل افعاله
مضطربة ثم ادركها فعلم كيفيتها بطريق كونه مدركا لها فاحكمها بعد اختلالها واضطرابها ثم اجابوا
عن ذلك بانه لا بد ان يكون قبل ذلك عالما بمفرداتها من غير طريق فوجب ان يعلمها بارتباطها لذلك
لعدم التخصيص وهذا الجواب فاسد لان مفرداتها ان لم تكن من فعله كالاجزاء التي لا تتجزى على راي
المثبتين فليس كلامنا في علمها بل فيما كان في فعله ولا يلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل
وان كانت من فعله فقولكم لا بد ان يكون عالما بمفرداتها قبل فعلها مصادرة على المطلوب والجواب
الحق انه لو علمها بعد ان لم يعلمها لكان علمه بها حادثا في ذاته فكان محلا للحوادث وهو محال لما سبق
وقوله ولا حضرة ملا اي ولم يكن خلقه لما خلق بحضرة جماعة من العقلاء بحيث يشير كل منهم عليه براي في نفسه
يقول في كيفية خلقه حتى يكون اقرب الى الصواب لان كل جماعة حضرت في خلقه فلا بد ان تصدر
عنه الامور لا تحضره احد ولان ذلك يستلزم حاجته الى المعين والظهير والحاجة تستلزم الامكان
المنزه قدسه عنه واليه الاشارة بقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا وكل ذلك تنزيه لفعله عن كيفيات افعال عباده ثم اردف
ذلك باقتصاص احوال الخلق حال ابتعاث الله رسوله صلى الله عليه وآله وانهم كانوا في قوله والناس
ضلال والناس يسيرون عند حقيقته في حيرة وهو كناية عن تفرقهم وتيههم جهلهم بما ينبغي لهم من
وجوه التصرف ويحتمل ان يريد يسيرون في شدة وذلك ان العرب كانت في شدائد
من ضيق المعاش والنهب والغارات وسفك الدماء كما قال عليه السلم فيما قبل ان الله بعث محمدا
صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار
الفصل وكذلك قوله وموجون في حيرة كناية عن ترددهم في حيرة الضلال والجهل او في حيرة من الشدائد
المذكورة وقوله قد قادتهم ازمة الحين اي قد تداعوا الموت والفناء من كثرة الغارات وشدائد
سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض لان الناس اذا لم يكن فيهم نظام عدل ولم يجر في امورهم قانون
شرعي اسرع فيهم ظلم بعضهم لبعض واستلزم ذلك فناءهم وعلى استعار لفظ الازمة ورشح بذكر
القود وقوله واستغلقت على قلوبهم اقفال الرين اراد رين الجهل وتغطيته لقلوبهم عن انوار الله تعالى والاستضاءة
بانوار الشريعة واستعار لفظ الاقفال لغواشي الجهل والهيئات الردية المكتسبة من الاقبال
على الدنيا ووجه المشابهة ان تلك الغواشي مانعة للقلب وحاجبة له عن قبول الحق والاهتداء به كما تمنع الاقفال
ما يغلق عليه من التصرف ورشح بذكر الاستغلاق وانما اتى بلفظ الاستفعال لان ذلك الرين
كان اخذا في الزيادة ومنتقلا من حال الى حال فكان فيه معنى الطلب للتمام ثم عقب بالوصية بتقوى الله

فى جارى عادته انها راس كل مطلوب ورغبتها لكونها حق الله عليهم اى الامر المطلوب له المستحق عليهم ويكونها موجبة لله اعد لهم وهو جزاءا عنهم له الذى اوجبه على نفسه ولزوم من كمال ذاته الفياضة بالخيرات بحسب استعدادهم له بالتقوى ثم اشار الى ما ينبنى للمتصدى الى التقوى وهو ان يستعين فى قطع عقباتها بالله والانقطاع اليه ان يعينه عليها ويرفقه لها فان الانقطاع الى معونته والالتجاء اليه مادة كل مطلوب ثم الى غايتها وهى الاستعانة بها لله تعالى ولما كان المطلوب منه الوصول الى ساحل عزته والنظر الى وجهه الكريم والسلامة من غضبه ونقاش حسابه اذ هو تعالى احكم الاول كانت التقوى اجل ما يستعد به لحصول تلك المطالب وكان السعيد من استعان بها على دفع شدائد تعالى فى الآخرة فانه الا خلاص منها الا بها ثم عقب ذكرها ببيان ما يستلزم من الامور المرغوب فيها منها كونها فى اليوم اى فى مدة الحيوة حرزا وجنة اى من المكاره الدنيوية لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفى غدا اى فى يوم القيمة الطريق الى الجنة وهو ظاهر ومنها كون سالكها واضحا وظاهر ان الشارع صلى الله عليه وآله اوضح طرق التقوى وكشف سبلها حتى لا يجهلها الا جاهل ومنها كون سالكها رابحا واستعار لفظ الربح لما يحصل عليه المتقى من ثمرات التقوى فى الدنيا والآخرة ووجه الاستعارة انه بحركاته وتقواه التى تشبه راس مال يستفيد الثواب كما يستفيد التاجر مكاسبه ومنها كون مستودعها حافظا والمستودع بالفتح قابل الوديعة ولكسر فاعلها والمراد على الرواية بالفتح كون قابلها حافظا لنفسه بها من عذاب الله او يكون حافظ بمعنى محفوظ وعلى الثانية فالمستودع الله سبحانه اذ هى الامانة التى عرضها على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان والظاهر انه تعالى حافظها على العبد المستودع اجرها من تفريطه وتقصيره او امانته ومحافظته عليها واما الملائكة التى هى وسايط بين الله تعالى وبين خلقه وظاهر كونهم حفظة كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله لم تبرح عارضة نفسها الى قوله الغابرين كلام لطيف واستعار وصف كونها عارضة نفسها ووجه الاستعارة كونها حسنة لان تقبل وتعبد وان ينتفع بها كالمراة الصالحة التى تعرض نفسها لتتزوج وان ينتفع بها ثم علل كونها لم تبرح كذلك بحاجة الخلق اليها غدا اى يوم القيمة حيث يكونوا محتاجا اليها ويحتمل ان يدخل ذلك فى وجه الشبه وقوله اذا اعاد الى قوله اسدى كالتفسير له المخرج لغد من حقيقته الى مجازه وهو يوم القيمة ويتبين له بانه الوقت الذى يعيد الله فيه ما كان ابداه من الخلق ويأخذ فيه ما كان اعطاهم من الوجود الدنيوى ولواحقه ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفى الحديث ان الله تعالى يجمع كل ما كان فى الدنيا من الذهب والفضة فيجعله امثال الجبال ثم يقول هذا فتنة بنى آدم ثم يسوقه الى جهنم فيجعله مكاوى لجباه المجرمين ويسالهم فيه عما اسدى اليهم فيه من نعمه فيسال من ادخرها لم ادخرها ولم ينفقها فى

وجوبها

وجوبها المطلوبة منه ويسال من انفقها فى غير وجهها فيقول اذهبتم طيباتكم فى حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها ويجازى الاولين بادخارها كما قال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم الآية ويجازى الاخرين بصرفها فى غير وجهها كما قال فاليوم تجزون ما كنتم تعملون وقوله فما اقل من قبلها تعجب من قلة من قبل التقوى منهم وحملها حق حملها اى اخذها وحفظها بشرائطها واستعد بها ليؤدى امانة الله فيها التى هى الامانة المعروضة ثم حكم بكون قابلها وحامليها هم اقل الناس عددا وانهم اهل صفة الله اى الذين وصفهم الله بقوله وقليل من عبادى الشكور ثم امرهم فيها باوامر احدها ان يسطعوا باسماعهم اليها اى يصرفوا الى سماع وصفها وشرحها ليعرفوها فيعملوا على بصيرة الثانى ان يواكظوا عليها بجدهم اى يداوموا عليها ويلازموها باجتهادهم وروى وانقطعوا باسماعكم اليها اى انقطعوا عن علائق الدنيا واجمعوا اسماعكم الى سماع وصفها لكان احدى الروايتين تصحيف الاخرى لان النون والقاف اذا تقاربتا اشبها الهاء فى الكتابة الثالث ان يعتاضوها خلفا عن كل محبوب فى الدنيا سلف لهم وفوتهم الخلف عما سلف اذ كانت المطالب الحاصلة بها انفس المطالب وهى السعادة الابدية وخلفا مصدر سد مسد الحال الرابع ان يعتاضوها عن كل مخالف لهم موافقا والمراد ان كل من كان موافقا لك فانك فى امر من الامور ينبغى ان يكون على طريق الحق والتقوى فى ذلك الامر والا يبدل شاكا فان التقوى نعم العوض ممن خالفك ونحوه ما قال افلاطون الحكيم سقراط حبيبنا والحق حبيبنا واذا اختلفا كان الحق احب الينا الخامس ان يوقظوا بها نومهم قال بعض الشارحين اراد يوقظوا بها نومكم فاقام المصدر مقام اسم الفاعل مجازا لما فيه من التضاد فى القرينة قلت ويحتمل ان يريد بقوله ايقظوا اى اطردوا بتقوى الله وعبادته نومكم فى ليلكم واجيوه بها فاستعمل لفظ الايقاظ لافادته ذلك المعنى اذ كان الامر بايقاع احد الضدين فى محل يستلزم الامر بنفى الضد الآخر عن ذلك المحل مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم على لازمه ولما فيه من التضاد ويحتمل ان يريد بالنوم نوم الغفلة والجهل وبايقاظ النائمين منهم بها تنبيههم بها من مراقد الطبيعة واعدادهم بها الى العبادة وقوانينها لحصول الكمالات العلمية والعملية وعلى سبيل الاستعارة ووجهها ظاهر مما سبق السادس وان يقطعوا بها يومهم اى يقطعوا بالاشتغال بها نهارهم السابع ان يشعروها قلوبهم اى يجعلوها شعارا لقلوبهم ويلبسوها اياها كما يلبس الشعار ولفظ الشعار مستعار لها ووجه الاستعارة كون التقوى الحقيقية تلازم النفس وتتصل بالقلب كما يتصل الشعار بالجسد ويحتمل ان يريد اشعروها قلوبكم اى اعلموها بها واجعلوها شاعرة بتفاصيلها ولوازمها الثامن ان يرحضوا بها ذنوبهم اى يغسلوها بالاشتغال بالتقوى ولفظ الرحض مستعار باعتبار كون التقوى ماحية لدرن الذنوب والهيئات البدنية عن الواح النفوس كما يمحو الغسل درن الثوب واوساخه التاسع ان يداووا بها الاسقام اى اسقام الذنوب وامراض القلوب كالجهل والشك والنفاق والرياء والحسد

عمال

والكبر والبخل وجميع رذايل الاخلاق التي هي في الحقيقة الاسقام المهلكة واشتمال التقوى على جميع الا
الجميلة والملكات الفاضلة كانت دوا لهذه الاسقام وشفا لا يعقبه دا العاشر ان يبادروا بها
الحمام اي يسارعوه ويسابقوه بها وقد سبق بيانه في الخطبة السابقة الحادي عشر ان يعتبروا بمن
اضاعها اي ينظروا الى الامم السابقة قبلهم ممن اضاع التقوى ويتفكروا في حال كيف اضاعها
لامر لم يتم له فاته ما طلب ولم يدرك ما فيه رغب ثم حصل بعد الهلاك على سوء المنقلب فحصلوا
من ذلك عبرة لانفسهم فيحملهم على التقوى خوفا مما نزل بمن اضاعها من الخيبة والحرمان والرجوع الى
دار الهوان الثاني عشر ان لا يجعلوا انفسهم عبرة لمن اطاعها اي انقاد للتقوى ودخل فيها او اطاع
موجبها فحذف المضاف والمراد نهيهم ان يدخلوا في زمرة من اضاعها فيكونوا عبرة لمن اطاعها
فنهى عن لازم الاضاعة وهو اعتبار غيرهم بهم وصورة ذلك النهي وان كانت متعلقة بغيرهم الا انه
كناية عن نهيهم عما يستلزم عبرة الغير بهم وهو اضاعة التقوى لان النهي عن اللازم يستلزم النهي عن الملزوم
وهذا كما تقول لمن تنصحه لا يضحك الناس منك اي لا تفعل ما يستلزم ذلك ويوجبه منهم الثالث عشر
ان يصونوها وصيانتها شدة التحفظ فيها من خلطها بريا او سمعة ومن جانبتي من الرذايل والمعاصي
الرابع عشر ان يتصونوا بها اي يتحفظوا بها عن الذنوب والرذايل وثمراتها ويحترزوا بها باستعداد
بها من لحوق العذاب في الآخرة الخامس عشر ان يكونوا عن الدنيا نزاها اي متنزهين عما حرم الله
عليهم وكرهه مما يوجب لهم الذم عاجلا والعقاب آجلا وهو امر بالتقوى ايضا السادس عشر
ان يكونوا الى الآخرة ولاها اي متحيرين من شدة الشوق اليها وذلك يستلزم الامر بالتقوى والانقطاع
عن الدنيا الى الاعمال الصالحة لانها هي السبب في محبة الآخرة والرغبة التامة فيما عند الله السابع عشر
ان لا يضعوا من رفعته التقوى ووضعها اما بقول كذم واستهزاء او بفعل كضرب او فعل
ما يستلزم اهانته او ترك قول او ترك فعل يستلزم ذلك وما كان كل ذلك منافيا للتقوى
وداخلا في ابواب الرذايل لا جرم نهى عن لازمه وهو وضع من رفعته التقوى لاستلزام رفع اللازم
رفع الملزوم الثامن عشر ان لا يرفعوا من رفعته الدنيا واراد من كان ارتفاعه ووجاهته عند الخلق
بسبب الدنيا واقتنائه شيئا منها والتقدير من رفعته اهل الدنيا فحذف المضاف او اسند الرفع الى الدنيا
مجازا لان الرافع والمعظم له هم الناس ولما كان من رفعته الدنيا عاريا عن التقوى كان الميل اليه
واحترامه ومحبته يستلزم المحبة للدنيا والميل اليها وكان منهيا عنه وكان الانحراف عنه وعدم
توقيره زهدا في الدنيا واهلها وهو من جملة التقوى فكان مامورا به التاسع عشر نهى عن شيم بارقها
استعار لفظ البارق لما يلوح للناس في الدنيا من مطامعها ومطالبها ووصف الشيم لتوقع تلك
المطالب وانتظارها ووجه الاستعارة ما سبق في الكناية عن كونها كالسحابة التي بارقها يلوح فيتوقع منها
المطر العشرون وعن سماع ناطقها وكنى بناطقها عن مادحها وما يكشف من محاسنها وزينتها من قول
او فعل او زينة او متاع وسماعه عن الاصغا والميل اليه وتصديق مقاله وتصويب شاهد فانها

هي التي ينبغي ان يتقى ويحذر ويتقى بها الى غير ذلك فان كل ذلك سبب العدول عن التقوى و
طريق الآخرة الى طريق الهلاك الحادي والعشرون وعن اجابة ناعقها وكنى بناعقها عن الداعي
اليها والجاذب مما ذكرنا وباجابته عن موافقته ومتابعته الثاني والعشرون والاستضاءة باشراقها
واستعار لفظ الاشراق لوجوه المصالح الداعية اليها وآثارها الهادية الى طرق تحصيلها وكيفيته
السعي فيها ووصف الاستضاءة لاهتداء تلك الآثار في طلبها ووجه المشابهة ان تلك الآثار يهتدى
بها في تحصيلها كما يهتدى بالاشراق المحسوس وهذه القرينة قرينة المعنى من القرينتين قبلها ويحتمل ان
يريد باشراقها ما يتبع بها من زينتها وانوارها بها وبالاستضاءة ذلك الابتهاج والالتذاذ على
سبيل الاستعارة ووجهها مشاركة زينتها للضياء في كونه سببا لملاذ الارواح بابطالها الثالث
والعشرون وعن الفتنة باعلاقها واعلاقها ما يعد فيها نفيسا من جواهرها ومتاعها وهو يستلزم
نهيهم عن محبة الدنيا ولا تهالك في لذاتها لان ذلك هو الفاتن لهم والمضل عن سبيل الله وهو
سبب بلائهم ومحنتهم واليه الاشارة بقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة قال المفسرون
بلاء ومحنة وشغل عن الآخرة والانسان بسبب المال والولد يقع في العظائم ويتناول الحرام الا من
عصمه الله وعن ابي بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب يوما فجاء الحسن والحسين
عليهما السلم وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر
فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين
الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى نزلت اليهما ورفعتهما ثم اردف ذلك بتعداد معايب
واوصاف لها منفرة عنها معللا بها ما سبق من نواهيه عنها فقوله فان برقها خالب تعليل لنهيه
عن شيم بارقها واستعار وصف الخالب لما لاح من مطامعها ووجه المشابهة كون مطامعها
وآمالها غير مدركة وان ادرك بعضها ففي معرض الزوال كان لم يحصل فاشبهت البرق الذي
لا ماء فيه وان حصل معه ضعيف فغير منتفع به فلذلك لا ينبغي ان يشام بارقها وقوله ونطقها
كاذب تعليل لنهيه عن سماع نطقها اي النطق الحاصل في معناها في مدحها وانها مما ينبغي ان يطلب ويدخر
ووصف نطقها ولذاتها بلسان حالها الذي تغتر به الاوهام الفاسدة وكونه كذبا كناية عن عدم
مطابقة ذلك الوصف لها في نفس الامر وقوله واموالها محروبة كالتعليل لنهيه عن الاستضاءة
باشراقها اي لا ينبغي ان يستعمل الآراء الحسنة والحيل في تحصيل اموالها او لا ينبغي ان تحب زينتها
واموالها والتبهج بها فانها ماخوذة وقوله واعلاقها مسلوبة تعليل لنهيه عن الافتتان باعلاقها
ويحتمل ان تكون هذه القرينة مع التي قبلها تعليل النهي عن الفتنة باعلاقها ثم اردف ذلك اوصافا
بالشبه اوصاف اخرى ونقايض لها استعارة في بيانها الا وهي المتصدية العنون
قال بعض الشارحين هو استعارة وصف المرأة الفاجرة التي من شانها التعرض للرجال لتخدعهم
عن انفسهم ويحتمل ان يكون استعارة لوصف الفرس او الناقة التي تمشي في الطريق معترضة

خابطا وقوله الخؤون استعارة لوصف الدابة المتقدمة في السير كنى بها عن لحوق الدنيا بالدابة لكون
تلك ووجه الشبه بهذا الوصف الاول ان الدنيا في تغيراتها واحوالها غير مضبوطة ولا جارية على
الانسان على حال واحد فاشبهت الناقة التي تعترض في طريقها وتمشي على غير استقامة ووجه
الثاني ان مدة الحيوة الدنيا في غاية الاسراع وشدة السير باهلها الى الآخرة فاشبهت السريعة
من الدواب المتقدمة في سيرها الثاني الجامح الحرون استعار وصف الجماح لها باعتبار كونها
لا تملك لاهلها ولا تنقاد لهم كما لا تنقاد الحرون لراكبها وكذلك وصف الحرون باعتبار عدم انقيادها
لاهلها وعدم قدرتهم على تصريفها احوج ما يكون اليها الثالث المائنة الخؤون فاستعار
وصف الكاذبة لها باعتبار عدم مطابقة اغرارها للناس بزينتها ومتاعها وتوهمهم عن ذلك
بقاؤها ونفعها لما عليه الامر في نفسه اذ كان عن قليل ينكشف كذبها فيما غرتهم به وكذب اوهامهم
فيها وكذلك وصف الخؤون باعتبار عدم وفائها لمن عزته وخدعته عن نفسه بزينتها فكانها
لذلك اعطته عهدا ابدا واعمالا فخانته بزوالها عنه ولم تف بعهده الرابع والجحود الكنود واستعار
لها هذين الوصفين ملاحظة لشبهها بالمرأة التي تكفر نعمة زوجها وشكر صنيعه ويكون من شانها
الغدر وذلك ان الدنيا من شانها ان تنفر عمن رغب فيها وسعى لها واجتهد في عمارتها واظهار
زينتها ويكون سبب هلاكه ثم تنتقل عنه الى غيره الخامس والعنود الصدود فاستعار وصف
العنود لها باعتبار عدولها عن حال استقامتها على الاحوال المطلوبة للناس وانحرافها عن سنن
قصودهم منها كالناقة التي تنحرف عن المرعى المعتاد للابل وترعى جانبا وكذلك الصدود باعتبار
كثرة اعراضها عن طلبها وراغب فيها السادس والحيود الميود فاستعارة وصف الحيود
ظاهرة واما وصف الميود فباعتبار ترددها وميلها بالنسبة الى بعض اشخاص الناس من حال
الى آخر فتارة لهم وتارة عليهم ويحتمل ان لا يكون قد اعتبر فيه التردد بل اراد مطلق الحركة استعارة
لكثرة تغيرها وانتقالها السابع حال لها انتقال اخبار عن حالها بانها انتقال اي من شخص الى آخر ومن
حال الى حال وظاهر انها كذلك قال بعض الشارحين يجوز ان يريد به ان شيمتها وسجيتها الانتقال
والتغير ويحتمل ان يعني بالحال الحاضرة من الزمان وهو الآن ويكون مراده ان الذي يحكم عليه
العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيال متغير لا ثبوت له في الحقيقة كما لا ثبوت للماضي و
المستقبل الثامن ووطاتها زلزال استعارة لفظ الوطاة لاصابتها بعض شدائدها ووجه
الاستعارة استلزام اصابتها بذلك لمن اصابته والثقل عليه كما يستلزم وطاة الثقيل
من الحيوان ذلك واستعار لفظ الزلزال لاضطراب احوال من تصيبه بمكروهها كاضطراب الارض
بالزلزال التاسع وعزها ذل اي العز الحاصل فيها لاهلها بسبب كثرة قنياتها للعزة لمن كان منهم
ذل في الآخرة واطلق عليه لفظ الذل اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه او تسمية الشيء باسم ما يؤول
اليه اذ كان التعزز بالدنيا واحوالها مستلزما للانحراف عن الدين والتقوى الحقة وذلك يستلزم

الذل

الذل لا محالة عند لقاء الله واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن المنافقين لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون
ونقل المفسرون ان القائل لذلك عبد الله بن ابي واراد بالاعز يعني نفسه والاذل يعني رسول الله
فرد الله تعالى عليه بقوله فلله العزة ولرسوله الآية العاشر وجدها هزل استعار لفظ الجد وهو
القيام في الامر بعناية واجتهاد لاقبالها على بعض اهلها بخيراتها كالصديق المعتني بحال صديقه والذاب
عن بعضهم واصابتها بمكروهها كالعدو والقاصد لهلاك عدوه واستعار لجدها لفظ الهزل الذي
هو ضده ووجه الاستعارة كونها عند اقبالها على الانسان كالمعتنية بحاله وعند اعراضها عنه ورميه
بالمصائب كالقاصدة لذلك ثم بسرعة انتقالها عن تلك الحال الى ضدها في ذلك كالهازل اللاعب
ويحتمل ان يريد جد اهلها هزل اي عنايتهم بها واجتهادهم في تحصيلها يشبه الهزل واللعب لسرعة
تغيرها والانتقال عنهم وزوالها فاستعار له لفظ الهزل الحادي عشر وعلوها سفل اي العلو الحاصل بسببها
او علو اهلها فيها تقدير حذف المضاف واخبر عنه بانه سفل لاستلزامه السفل والانحطاط المرتبة
في الآخرة بين اهلها وهو كقوله وعزها ذل الثاني عشر كونها دار حرب كقوله انها المحروبة واراد
كونها مظنة ان تسلب فيها ما عن اهلها بالموت وغيره واستعار لفظ السلب لما فيها من [illegible]
ووجه المشابهة كون ما فيها يسلب عن اهلها في كل زمان ويصير الى من بعدهم كدار الحرب وكذلك
ونهب وعطب الثالث عشر كون اهلها على ساق اي على شدة وهو ظاهر اذ كل ما عدد من احوالها
من الحرب والسلب والعطب شدائد على اهلها وقال قطب الدين الراوندي اراد كونها على
ساق ان بعضهم يتبع اثر بعض الى الآخرة فاشبه ذلك قولهم ولدت فلانة ثلثة بنين على ساق
اي ليس بينهم انثى وانكره ابن ابي الحديد وكنى بالساق عن الامر الشديد قال بعض الشارحين
ويحتمل ان يكون مصدر ساق يسوق ساقا وسياقا اي انهم مساقون الى الآخرة ولحاق [illegible] اي
لحق بعضهم بعضا في الوجود والعدم وفراق لمفارقة بعضهم بعضا وهو كقولهم الدنيا مولود
يولد ومفقود يفقد ويحتمل ان يريد باللحاق لحاق الاجال الموتى في العدم الرابع عشر كونها قد تحيرت
مذاهبها ولم يرد بمذاهبها طرقها المحسوسة ولا الاعتقادات بل الطرق العقلية في تحصيل خيرها
ودفع شرها واسند الحيرة الى المذاهب مجازا اقامة للعلة القابلة مقام العلة الفاعلة اذ الاصل تحير
اهلها في مذاهبها الخامس عشر واعجزت مهاربها اي واعجزت من طلبها فحذف المفعول لان الغرض
ذكر الاعجاز ومهاربها مواضع الهرب من شرورها السادس عشر وخابت مطالبها استعار وصف
الخائبة لمطالب ووجه المشابهة عدم حصولها بعد ظهورها للاوهام وتعلق الآمال بها فاشبهت
من وعد بحصول شيء لم يف به ثم عقب بذكر بعض لوازم خيانة مطالبها وهي اسلام المعاقل اهلها
واستعار لها لفظ الاسلام باعتبار كونها لا تحفظهم من الرزايا ولا تحصنهم من سهام المنايا فاشبهت
في ذلك من اسلم الملتجي اليه وخلى بينه وبين عدوه ويكون ذلك لازما عطفه بالفاء وكذلك لفظ المنازل لهم

مستقر باعتبار خروجهم منها بالموت فهي كالالفاظ اللغوية لهم ثم قسمهم باعتبار لحوق شرها بهم جانبهم ولموافاتهم
الى اصناف احدها ناج مقهور واراد بالناجي هنا وكنى بالمقهور عمن رمته بالمصائب فيها المشبه
للمقهور الثاني ولحم مجزور واراد منهم من صار لحما مجزورا الثالث وشلو مذبوح واراد ذي شلو مذبوح
اي قد صار بعد الذبح اشلاء متفرقة ويحتمل ان يكون مذبوح صفة الشلو واراد بالذبح مطلق الشق كما هو
في اصل اللغة الرابع ودم مسفوح اي وذي دم مسفوح الخامس وعاض على يديه وهو كناية عن ندم الظالمين
بعد الموت على التفريط والتقصير اذ كان من شان النادم ذلك السادس وصافق بكفيه اي ضارب
احديهما على الاخرى ندما السابع ومرتفق لخديه فعل النادم الثامن وزار على رايه اي
رايه الذي اقتضى له السعي في جمع الدنيا والالتفات اليها بالكلية حتى لزم من ذلك اعراضه عن الآخرة فكان
سيئ منقلب اذا انكشف له بعد الموت لزوم العقاب وظهرت له سلاسل الهيئات البدنية واغلالها
في عنقه علم ان كل ذلك ثمرة ذلك الراي الفاسد فازرى عليه وعابه والكره التاسع وراجع عن عزمه
اي ما كان عزم عليه من عمارة الدنيا والسعي في تحصيلها وبالموت تحلل ذلك العزوم ويرجع عنها وقوله
وقد ادبرت الحيلة الواو للحال من الضمير في راجع اي وراجع عن عزمه حال ما قد ادبرت حيلته وهذه
الحال معتبرة لمثلها من الضمائر المرفوعة في عاض وصافق ومرتفق وزار وقوله واقبلت الغيلة اي
اخذتهم الى جهنم واهلكتهم فيها على غرة منهم بذلك الاخذ وقال بعض الشارحين يحتمل بالغيلة الشر
الغائلة وقوله ولات حين مناص في موضع الحال والعامل اقبلت واقبل الهلاك والشر حال انه ليس
لهم وقت فرار ولا تاخر عنه كقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص اي
فنادوا واستغاثوا حال انه ليس الوقت وقت مخلص ومفر وقوله هيهات هيهات اي بعد الخلاص
والفرار واتى به مكررا للتاكيد وهو في مقابلة قول الكفار المنكرين لاحوال المعاد هيهات هيهات
لما توعدون وكالجزاء بعد الموت وقوله قد فات ما فات اي قد ذهب اي فات ما كنتم
فيه من احوال الدنيا التي تتمنون الرجعة اليها طلبا رجوع لها ونحوه قوله تعالى قال رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا الآية وقوله وذهبت الدنيا لحال بالها كلمة تجري مجرى مثل او نحو بالمضي اي
ومضت عنهم الدنيا لحال بالها ونحوه قوله عليه السلام حتى اذا مضى الاول لسبيله وقوله امض لشانك
الكلام للعرض كانه استعار لها لفظ البال بمعنى القلب ملاحظة لشبهها بمن يمضي لغرض نفسه وما
يهواه قلبه ويحتمل ان يريد بالبال الحال الحسنة وجاز الاضافة لاختلاف اللفظين وقال بعض الشارحين
اراد بحال بالها ما كانت عليه من رخائها وسهولة تداولها وقوله واقبلت الآخرة اي بشدتها
وصعوبتها ثم ختم بالآية اقتباسا والمعنى انهم لما ركنوا الى الدنيا خلت بهم ما فعلت وحصلوا لما حصلوا
عليه من البداهة وذهبت عنهم لشانها فما بكت عليهم السماء والارض قال بعض المفسرين اراد اهل
السماء وهم الملائكة واهل الارض فحذف المضاف وهو كناية عن كونهم لا يستحقون ان يتاسف
عليهم ولا ان يبكى وقيل اراد المبالغة في تحقير شانهم لان العرب كانت تقول في عظيم القدر يموت

بكته السماء والارض فنفى عنهم ذلك واراد ليسوا ممن يقال فيهم مثل هذا القول وعن ابن عباس رضي
لما قيل له اتبكي السماء والارض على احد فقال يبكيه مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء فيكون نفي البكاء
عنهم كناية عن انه لم يكن لهم في الارض موضع عمل صالح حتى يكون له مصعد في السماء فتبكي عليهم ونحوه عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من مسلم الا وله بابان باب يصعد فيه عمله وباب ينزل
منه رزقه الى الارض فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله عز وجل فما بكت عليهم السماء والارض واعلم ان
اطلاق لفظ البكاء على السماء والارض مجاز في فقدهما لما ينبغي ان يكون فيهما من مساجد المؤمنين ومصاعد
اعمالهم فناسب في ذلك من فقد شيئا يحبه ويبتغي له فاطلق عليها اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام ومن الناس من يسمي هذه الخطبة القاصعة وهي تتضمن ذم ابليس على استكباره
وترك السجود لآدم عليه السلام وانه اول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته
وفيها فصول **الفصل الاول** في صدر الخطبة قوله الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه
دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده
ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات
القلوب ومحجوبات الغيوب اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته الحمية فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لاصله
فعدو الله امام المتعصبين وسلف المستكبرين الذي وضع اساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية
وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل الا ترون كيف صغره الله بتكبره ووضعه بترفعه فجعله
في الدنيا مدحورا واعد له في الآخرة سعيرا ولو اراد الله سبحانه ان يخلق آدم من نور يخطف الابصار
ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب ياخذ الانفاس عرفه لفعل ولو فعل لظلت له الاعناق
خاضعة ولخفت البلوى فيه على الملائكة ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله تمييزا
بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء منهم **اقول** نقل في سبب هذه الخطبة ان اهل
الكوفة كانوا في آخر خلافته عليه السلام قد فسدوا وكانوا قبائل متعددة فكان الرجل يخرج من منازل
قبيلته فيمر بمنازل قبيلة اخرى فيقع به ادنى مكروه فيعتزي الى قبيلته وينادي باسمها مثلا يا للنخع
او يا لكندة نداء عاليا يقصد به الفتنة واثارة الشر فيتالب عليه فتيان القبيلة التي قد مر بها و
ينادون يا لتميم يا لربيعة فيضربونه فيمر الى قبيلته ويستصرخ بها وتسل بينهم السيوف وتثور
الفتنة ولا يكون لها اصل في الحقيقة ولا سبب يعرف وكثر ذلك منهم فخرج عليه السلام اليهم على ناقة
فخطبهم هذه الخطبة اذا عرفت ذلك فنقول القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعت الرجل قصعا صغرته
وحقرته وقصعت هامته اذا ضربتها ببسط كفك وقصع الله شبابه اذا بقي قميئا لا يزداد
واصل هذه الكلمة التصغير والتحقير والجبرية والجبروت الكبر وادرع لبسه كالدرع والدحر الطرد
وخطف بالكسر يخطف اخذ البصر بسرعة استلابا وبهر العقول اي غلب نوره انوارها وحجبها

والزوا المنظر الحسن والعرف الرائحة الطيبة والخيلاء الكبر والاحاط الابطال والجد نقع بجم الاجساد
والسوارة الصلح وقد ذكر الشارحون في تسمية هذه الخطبة القاصعة وجوها احدها وهو اقربها انه
كان يخطبها على ناقته وهي تقصع بجرتها فجاز ان يقال ان هذه الحال لما نقلت عنه في اسناد هذه
الخطبة نسبة خطبة الى الناقة القاصعة فقيل خطبة القاصعة ثم كثر استعمالها فجعلت من صفات الخطبة
نفسها او لان الخطبة عرفت بهذه الصفة لملازمة قصع الناقة لانشائها والعرب تسمي الشي باسم لازمه
الثاني انها سميت بذلك لان المواعظ والزواجر فيها متتابعة فاشبهت جرات الناقة وتتابعها
الثالث سميت بذلك لانها هاشمة كاسرة لابليس ومصغرة له ومحقرة لكل جبار وهو وجه حسن
الرابع لانها تسكن نخوة المتكبرين وكبرهم فاشبهت الماء الذي يسكن العطش فيكون من قولهم
قصع الماء عطشه اذا سكنه واذهبه واعلم ان مدار هذه الخطبة على النهي عن الكبر والتوبيخ عليه وعلى
ما يلزمه من الحمية والعصبية لغير الله تعالى ليكون الناس على ضد ذلك من التواضع والرفق وقد علمت
في المقدمات ان من شأن الخطيب ان يورد في صدر الخطبة ما ينبه على المطلوب الذي يورده بقول
كلي لينبه السامعون لما يريده اجمالا فلذلك صدر عليه السلم الخطبة بنسبة العز والكبرياء والعظمة الى
من هو اولى به وهو الله تعالى واشار الى ان ذلك خاصة له وحرام على غيره وذكر ابليس وقصته
مع آدم عليه السلم في معرض الذم بتكبره عليه ليترتب على ذكره وذم تلك الرذيلة النهي والتحذير عن
ارتكابها وليحصل التنفير بحاله اذ كان بذلك ملعونا مطرودا على السنة الانبياء باسرهم واذ كان
مدار الخطبة على ذم الكبر والنهي عنه فلنشر الى حقيقته في الانسان اولا ثم الى ما يلزمه من الآفات
ثم الى المذام الواردة فيه فنقول اما حقيقته فهي هيئة نفسانية تنشأ عن تصور الانسان نفسه اكمل
من غيره واعلى رتبة وتلك الهيئة تعود الى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من النفخ والهزة والتعزز
والتعظم والركون الى ما تصوره من كماله وشرفه على الغير ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله
اعوذ بك من نفخة الكبر وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع وما يلزم عن ذلك التصور
اعني تصور الانسان لفضيلته على الغير ان قطع النظر فيه عن قياسه على المتكبر عليه وعن اضافته الى الرب تعالى
باعتبار انه منه ولم يلحظ ما يمكن فوت تلك الفضيلة بل كان ساكنا اليها معتمدا فذلك هو العجب
فاذن العجب هيئة تلزم عن تصور الكمال في النفس واستعظامه والفرح به والركون اليه والفرح
به مع الغفلة عن قياس النفس الى الغير بكونها افضل منه وبهذا القيد الاخير ينفصل عن الكبر اذ كان
لابد في الكبر من ان يرى الانسان لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبته فوق مرتبة غيره
واما آفاته وهي ثمراته وما يلزم عنه من الاعمال والتروك فان هذا الخلق يوجب اعمالا اذا
ظهرت على الجوارح قد تسمى كبرا فمنها باطنة كتحقير الغير وازدرائه واعتقاد انه ليس اهلا للمجالسة
والمواكلة والانفة عن ذلك واعتقاد انه يصلح ان يكون ماثلا بين يديه قائما بل قد يتقدم من
هو اشد كبرا الى ان ذلك لا يصلح للمثول بين يديه ولخدمته والحقد عليه وكنظر العالم المتكبر الى الجاهل

العالي

العالي بعين الاستخفاف والاستجهال واما الظاهرة فكما تقدم عليه في الطرق والارتفاع عليه في المجالس
وكابعاده عن مجالسته ومواكلته والعنف به في النصح والغضب عند رد قوله والغلظة على المتعلمين واذلالهم
واستخدامهم والجفوة والتطاول بالقول واما التروك فكترك التواضع والاستنكاف عن مجالسة
من دونه ومعاشرته وعدم الرفق بذوي الحاجات ونحو ذلك مما لا يحصى من الرذائل واما المذام الواردة
فيه فهي كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقوله
عليه السلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق
المؤمنين التي هي ابواب الجنة فالكبر والعجب يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين
ما يحب لنفسه وفيه شي من العزة ولا يتمكن من ترك هذه الرذائل وفعل اضدادها من الفضائل كالتواضع
وكظم الغيظ وقبول النصح والرفق في القول وغيرها وفيه شي من العزة والكبر وما من خلق ذميم الا و
صاحب العزة والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق فاضل الا وهو عاجز عنه خوفا ان يفوته عزه
فلذلك لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر وبعض الاخلاق الذميمة مستلزم لبعض وشر انواع
الكبر ما منع العلم واستعماله وقبول الحق والانقياد له اذا عرفت ذلك فنقول انه عليه السلم حمد الله تعالى
باعتبارات احدها لبسه العز والكبرياء وقد علمت ان الكبرياء لابد فيه من امرين احدهما العلو في
الذات والثاني في اعتبار الشرف والعلو على الغير فكان ذانك الاعتباران صادقين عليه تعالى اتم
من صدقهما على كل موجود لاجرم كان بالكبرياء والعظمة احق من كل موجود اما الاول فلانه لما كان كمال
الذات عبارة عن الوجود وكان كمال وجوده تعالى اتم الوجودات بحيث لم يفته من كماله شي بل كل
ما ينبغي له فهو حاصل بالفعل لاجرم صدق عليه هذا الاعتبار اتم صدق واما الثاني فلان وجوده تعالى
هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود عداه وهو تعالى عالم بجميع المعلومات كلياتها وجزئياتها فهو اذن
عالم بكماله وشرفه على عبيده واستعار لفظ اللبس باعتبار احاطة كماله بكل اعتبار له كما يحيط القميص
والرداء الجسد للابس الثاني كونه تعالى اختارهما لنفسه دون خلقه ومعنى اختياره هنا تفرده باستحقاقهما
لذاته فان المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو ودل على ذلك المنقول والمعقول اما المنقول
فقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه واما
المعقول فلانه تعالى انما استحق ذلك الاعتبار لذاته لا بامر خارج والا لكان مفتقرا الى الغير ثم ذم
المتكبرين وتوعدهم في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه عليه السلم حيث قال حكاية عنه الكبرياء ردائي
الخبر علمنا انه قد اختارهما اختصاصه بهما دون خلقه الثالث وجعلهما حمى وحرما على غيره واستعار
لفظ الحمى والحرم باعتبار اختياره لهما وتحريمهما على خلقه كالحمى الملك المرعى والحرم الرابع
واصطفاهما لجلاله اي لتقدسه وعلوه عن شبه مخلوقاته استحق الانفراد بهذين الوصفين فتفرد بهما
وهو معنى اصطفائه لهما الخامس جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده اشارة الى قوله في الخبر
المذكور فمن نازعني فيهما القيته في جهنم ولا شك ان الملقى في جهنم مبعد مطرود عن الخير والرحمة ولفظ

المنازعة في الخبر مجاز في مجادلة المتكبرين لله ومجانبتهم له ومخالفتهم لامره في الاتصاف بالكبر فكأنهم
يجاذبونه ما اختص به ومن لوازم المجاذبة المنازعة القولية فاطلقت هنا اطلاقا لاسم اللازم على الملزوم
السادس اختباره بذلك ملائكته المقربين الى قوله ساجدين اي ابتلاهم بالكبر وعدمه وقد علمت
معنى ابتلائه واختباره تعالى للخلق فيما سبق ونزيده بيانا فنقول لما كانت حقيقة الاختبار طلب الخبر
بالشيء ومعرفته لمن لا يكون عارفا به وكان هو تعالى عالما بمضمرات القلوب وخفيات الغيوب
فتميز المطيعين من عبده من العصاة لم يكن اطلاق هذا اللفظ في حقه حقيقة بل على وجه الاستعارة
باعتبار انه لما كان ثوابه وعقابه يتعلق بوقوع ما كلفهم بما كلفهم به فان اطاعوه فيما امرهم اثابهم
وان عصوه عاقبهم اشبه ذلك اختبار الانسان لعبيده وتمييزه لمن اطاعه منهم ممن عصاه فاطلق
عليه لفظه وقوله تمييز المتواضعين منهم من المتكبرين ترشيح لاستعارة الاختبار لان التمييز من لوازمه و
عوارضه ويحتمل ان يريد تمييز المطيعين عن العصاة باعطاء الثواب لهم دونهم فلا يكون التمييز
بمعنى العلم بل الانفصال الخارجي لكل من المطيعين والعصاة بما يستحقه من ثواب وعقاب وقوله
وهو العالم الى قوله الغيوب قرينة مخرجة للاختبار عن حقيقته وهي جملة معترضة بين القول والمقول
للملائكة وهو قوله تعالى اني خالق الخ والخبر هو قوله فقعوا له ساجدين وقال بعض الشارحين
انما اخبرهم مع علمه بمضمراتهم لان اختباره تعالى ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان
من يعصي قال وقوله تعالى لنعلم اي الحزبين وقوله لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
اي لتعلم انت وغيرك كما انت علم وفيه بعد وقد شرحنا قصة الملائكة وابليس وآدم في الخطبة
الاولى بقدر الوسع فلا حاجة الى التطويل بالاعادة غير ان هنا الفاظا تحتاج الى الايضاح فافتخار
ابليس وتعصبه وتكبره على آدم في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله أأسجد لمن خلقت
طينا ولم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فكان تعصبه عليه واستكباره نظرا الى اصله
وكونه امام المتعصبين باعتبار كونه المثال الاول للعصبة في غير الحق والمقتدى به فيها واما العصبة
في الحق فهي محمودة كما جاء في الخبر العصبة في الله تورث الجنة والعصبة في الشيطان تورث النار
وكذلك كونه سلفا للمتكبرين باعتبار تقدمه عليهم بالاستكبار على آدم والسلف هو المتقدم وقوله
ووضع اساس العصبية اذ كانت عصبته الاصل كالاساس يتعلق ويبنى عليه الخلق سائر العصبات
ويقتدي به فيها وقوله ونازع الله رداء الجبرية اي تجبره وتكبره وقد عرفت وجه الاستعارة
في المنازعة والرداء وكذلك قوله وادرع لباس التعزز فانه استعار لفظ الادراع لابليس من جهة
اشتماله وتلبسه بالتعزز ورشح بذكر اللباس وكذلك قوله وخلع قناع التذلل استعار لفظ
الخلع ورشح بذكر القناع وقوله الا ترون الى قوله بترفعه شبه على كيفية تصغير الله اياه
ووضعه بسبب تكبره وتعظمه وذلك التصغير والوضع هو جعله في الدنيا مدحورا بعد اخراجه
من الجنة بقوله تعالى اخرج منها مذؤوما مدحورا واعداده له في الآخرة سعيرا بقوله تعالى

لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ونحوه وقوله ولو اراد الله الى قوله على الملائكة في
صورة قياس استثنائي مركب من متصلتين صغراهما قوله ولو شاء الله الى قوله لفعل وكبراهما قوله
ولو فعل الى آخره ونتيجته الكبرى مركب من حمليتين علقت احديهما على الاخرى ومعنى الصغرى انه
تعالى لو اراد قبل خلق آدم ان يخلقه من نور شفاف لطيف كلطف الانوار وبهر العقول حسنه
وطيب اخذ الانفاس رائحته ولم يخلقه من طين ظلماني كثيف لفعل لان ذلك امر ممكن مقدور له
ويحتمل ان يريد يخلقه من النور خلقه روحانيا مجردا عن علائق المواد المظلمة وقد توصف المجردات
بالنور فيقال انوار الله وانوار جلاله وانوار حضرته وقد امدنا بنور علمه ويوصف بالرائحة
ايضا فيقال فلان لم يشم رائحة العلم وبالطعم فيقال فلان لم يذق حلاوته وكل ذلك استعارة
لفظ المحسوس للمعقول تقريبا للافهام ومعنى الكبرى انه لو فعل ذلك وخلقه كذلك لظلت اعناق
الملائكة وابليس خاضعة له وذلك لشرف جوهره على الطين وفضل خلقته على ما يخلق منه ولم يكن
ممن يفسد في الارض ويسفك الدماء حتى يقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ولا من طين منتن حتى يفخر عليه ابليس باصله ويقول انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين لا اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ولخفت البلوى فيه على الملائكة وبيان الخضوع
من وجهين لشرف جوهره فانه ليس العادة ان يستنكف الشريف من الخضوع لمن هو دونه
في اصله ويشق عليه التكليف بذلك في حقه فاما اذا كان اصله مناسبا لاصله ومقاربا في الشرف
فلا شك ان التكليف بخدمته يكون عليه اسهل واخف والثاني انهم ما كانوا عالمين بالسر الذي خلق له
آدم وهو كونه صالحا لخلافة الله سبحانه في عمارة الارض واصلاح ابناء نوعه واعدادهم لكمالات
وغير ذلك مما لا يعلمونه كما قال تعالى في جواب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها الى اني اعلم ما لا
تعلمون وكما علمه الاسماء وامره بعرضها عليهم فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا وظاهر ان تكليف النفس بما يطلع على سره ويعلم وجه الحكمة فيه اسهل عليها
من تكليفها بما تجهله فلو خلقه تعالى من نور مناسبا لخلقهم لعلموا نوعيته وسر خلقته فلم يشق عليهم التكليف
بالسجود له ويؤيد هذا الوجه قوله ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله وفي هذا الاستثناء
تنبيه على عدم ارادة خلق آدم من نور وذلك العدم هو نقيض مقدم نتيجة القياس المذكور اللازم
عن استثناء نقيض تاليها وتقدير النتيجة انه لو اراد خلقه من نور لظلت الاعناق له خاضعة
وخفت البلوى فيه على الملائكة لكن الامر لكنه فاستلزم انه لم يرد خلقه من نور فكان معنى قوله
ولكن الله يبتلي خلقه انه لم يرد خلقه من نور بل اراد ان يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله وهو تكليفهم
بالسجود لآدم مع جهلهم باصل ذلك التكليف والغرض منه او جهلهم بآدم وسر خلقته الذي هو
اصل لذلك التكليف ونصب قوله تمييزا او نفيا وابعادا على المفعول له اي لتميز بذلك التكليف
وبما يستلزمه من الذلة والانقياد والخضوع المطيع من العاصي ولينفي رذيلة الكبر والخيلاء عنهم وبالله التوفيق

الفصل الثاني في امر السامعين بالاعتبار بحال ابليس وما لزمه من اللعنة وبطلان اعماله الصالحة في المدة المتطاولة بسبب الكبر والعصبية الفاسدة والتحذير من سلوك طريقته واقتفاء اثره في الكبر ولوازمه من الرذائل التي عددناها وذلك قوله عليه السلام فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس اذ احبط عمله الطويل وجهده الجهيد وقد كان عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى امن سني الدنيا ام من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة فمن ذا بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بامر اخرج به منها ملكا ان حكمه في اهل السماء واهل الارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة في اباحة حمى حرمه على العالمين فاحذروا عدو الله ان يعديكم بدائه وان يستفزكم بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد واغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب فقال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين قذفا بغيب بعيد ورجما بظن مصيب صدقه ابناء الحمية واخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى اذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفي الى الامر الجلي استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فاقحموكم ولجات الذل واحلوكم ورطات القتل واوطؤوكم اثخان الجراحة طعنا في عيونكم وحزا في حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم وسوقا بخزائم القهر الى النار المعدة لكم فاصبح اعظم في دينكم جرحا واورى في دنياكم قدحا من الذين اصبحتم لهم مناصبين وعليهم متالبين فاجعلوا عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على اصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم واجلب بخيله عليكم وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فاطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية واحقاد الجاهلية وانما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم والقاء التعزز تحت اقدامكم وخلع التكبر من اعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم ابليس وجنوده فان له من كل امة جنودا واعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا كالمتكبر على ابن امه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما الحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ونفخ الشيطان في انفه من ريح الكبر الذي اعقبه الله به الندامة والزمه آثام القاتلين الى يوم القيامة الا وقد امعنتم في البغي وافسدتم في الارض مصارحة لله بالمناصبة ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فانه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان التي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية حتى اعنقوا في حنادس جهالته ومهاوي ضلالته ذللا عن سياقه سلسا في قياده امرا تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت الصدور به الا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم والقوا الهجينة على ربهم و

[margin: مناصبين ن د]

[margin: الشيطان ... ن]

جاهروا

جاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ومغالبة لآلائه فانهم قواعد اساس العصبية ودعائم اركان الفتنة وسيوف اعتزاء الجاهلية فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم اضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الادعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم في حقكم باطلهم وهم اساس الفسوق واحلاس العقوق اتخذهم ابليس مطايا ضلال وجندا بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على السنتهم استراقا لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثا في اسماعكم فجعلكم مرمى نبله وموطئ قدمه ومأخذ يده **اقول** الاحباط الابطال والجهد بفتح الجيم الاجتهاد والهوادة الصلح واستفزه استخفه وازعجه وفوق السهم جعل له فوقا وهو موضع الوتر منه ونزع في القوس نزعا اي مدها والاغراق في المد استيفاؤه واستيعابه والقذف الرمي والطماعية الطمع ونجمت ظهرت ودلف مشى ودنا واقحموكم ادخلوكم قهرا والولجات جمع ولجة بفتح الجيم وهي الموضع كالكهف ونحوه يستتر به المارة من المطر وغيره والورطات جمع ورطة وهي الارض المطمئنة لا طريق فيها والورطة الهلاك ايضا والحز القطع والخزائم جمع خزامة بكسر الخاء وهي حلقة من شعر في انف البعير يشد فيها الزمام واورى اشعل من الورى وهو اظهار النار والمناصبة المعاداة والمقابلة في الحرب لان كلا قد نصب نفسه وسره لآخر والتالب الاجتماع وحد الرجل باسه وفخر عليه من مفاخر آبائه واجلب عليهم جمع واصل الجلبة الاصوات والحرب والغارة وحومة الشيء معظمه وما استدار منه ... والحلقة للقوم وعرصة موت اي معرض له ولصدده والجولة كالحلقة والنخوة الكبر والنزغ الافساد والنفث كالنفخ وهو اقل من التفل والمسلحة قوم ذو سلاح يحفظون الثغور والمراقب وقد يطلق على مكان الا ماكن انفسها والامعان في الشيء الابعاد فيه والايغال والمصارحة المكاشفة والمجاهرة والملاقح الفحول واحدها ملقح بفتح الميم ويحتمل ان يكون مصدرا والشنآن بفتح النون وسكونها البغضاء واعنق الجمل في السير مد عنقه وخطوه والحنادس جمع حندس بكسر الحاء والدال الليل شديد الظلمة والذلل جمع ذليلة فعيلة بمعنى مفعولة والسلس جمع سلسة وهي سهلة المقاد والهجينة الفعل القبيح فعيلة بمعنى مفعول والاعتزاء الانتماء والانتساب الى اب او قبيلة والادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى الى غير ابيه وينتسب اليه والحلس ما يلزم الشيء واصله من حلس البعير وهو كساء رقيق يجعل تحت برذعته وقاية لظهره والعقوق مشاقة الوالد وذي الرحم وقطع بره. قوله فاعتبروا امر السامعين باعتبار حال ابليس في الكبر بعد شرح حاله من طاعة الله وطول مدة عبادته له وما لزمه بسبب كبر ساعة واحدة من احباط عمله ولعنته والبعد عن رحمة الله لينتهوا ويتخلوا عن هذه الرذيلة ووجه الاعتبار ان يقال اذا كان حال من تكبر من الملائكة بعد عبادة ستة آلاف سنة كذلك فكيف بالمتكبرين من البشر مع قصر مدة عباداتهم وكونهم شرا منه فاولى ان يكونوا كذلك وجهده الجهيد اي اجتهاده الذي جهده وشق عليه. وقوله وكان قد عبد الله الى قوله الآخرة فيشبه ان يكون قد اشار بسني الآخرة الى السنين الموهومة من مثل اليوم

الى رايه بقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وقوله في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة وتقديره ان الايام في الآخرة لا يمكن حملها على حقايقها لان اليوم المعهود عبارة عن
زمان طلوع الشمس الى غروبها وبعد خراب العالم على ما نطقت به الشريعة لا يبقى ذلك الزمان ولا شيء
من اثار الافلاك لكون القيمة عبارة عن مفارقة النفوس لابدانها او عن احوال النفوس لما بعد المفارقة
والمجردات المفارقات لا يكون لاحوالها زمان ولا مكان حتى يجري فيه يوم او سنة فتعين حمل اليوم
على مجازه وهو الزمان المقدر بحسب الوهم القايس لاحوال الآخرة الى احوال الدنيا وايامها اقامة
لما بالقوة مقام ما بالفعل وكذلك السنة وهذه الازمنة هي التي اشار الى مثلها المتكلمون بقولهم ان تقدم
الباري تعالى على وجود العالم مقدر بازمنة لا نهاية لها اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله تعالى في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة وفي موضع كان مقداره الف سنة اشارة الى تفاوت تلك الازمنة
الموهومة لشدة احوال اهل الآخرة وضعفها وطولها وقصرها وسرعة حساب بعضهم وخفته
وثقل اوزار قوم آخرين وطول حسابهم كما روي ابن عباس في قوله كان مقداره خمسين الف
سنة قال هو يوم القيمة جعله الله على الكافرين خمسين الف سنة واراد ان اهل الموقف لشدة اهوالهم
يستطيلون لقاءهم فيها وشدتها عليهم حتى يكون في قوة ذلك المقدار وعن ابي سعيد الخدري قال
قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم فقال والذي
نفسي بيده انه ليخف على المؤمنين حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وهذا يدل على
انه يوم موهوم والا لما تفاوت في الطول والقصر الى هذه الغاية اذا ثبت هذا فنقول يحتمل ان
يكون مراده عليه السلم ان عبادة ابليس في الملائكة الذين نقلنا في الخبر في الخطبة الاولى انهم اهبطوا الى
الارض وطردوا الجن الى البحار ورؤس الجبال وعبدوا الله في الارض زمانا كانت عبادة
روحانية لا تستدعي زمانا موجودا بل احوالا موهومة تشبه الزمان وان ابليس عبد الله في تقدير
ازمنة مبلغها ستة الف سنة قبل خلق آدم ويحتمل ان يقال انها كانت جسمانية في زمان من ازمنة الدنيا
ولكن يكون في كل سنة كمقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا ما قوله لا يدري في نسخة السيد الرضي
بالبناء للفاعل وفي غيرها من النسخ بالبناء للمفعول والرواية الاولى تستلزم انه عليه السلم ممن لا يدري
ان تلك السنين من اي السنين والثانية يحتمل عدم كونه ممن يدري ذلك وبالجملة فلما كانت عبادة ابليس
قبل آدم يحتمل ان تكون روحانية وان تكون جسمانية ويحتمل ان تكون بحسب ذلك في زمان موهوم
او موجود وعلى تقدير ان يكون موجودا يحتمل ان تكون ستة الف سنة من السنين المعهودة المتعارفة لنا
ويحتمل ان يكون من سني كانت قبل ذلك مصطلحا على تقدير كل منها بالف سنة او بخمسين الف سنة من سنينا
لا جرم لم يمكن الجزم بواحد من هذه الاحتمالات فلذلك قال لا يدري قال بعض الشارحين وجهه
من تقديره عليه السلم تلك المدة بستة آلاف سنة لا يدري من اي السنين هي انه سمع فيها من رسول الله
مجملا لم يعينه له او انه سمعه وعلم تفصيله لكنه لم يفصله للناس بل ابهم القول فيه تنبيها لهم ان تعيين

سنى

سني الآخرة مما يستعظمونه ولا تحتمله اذهانهم فان عادته اذا كانت ستة آلاف سنة وكل يوم منها خمسين الف
سنة من سني الدنيا كان مبلغ ذلك ما يخرج من ضرب ستة الف سنة في ثلثمائة وستين مضروبا في خمسين
الفا وهو مائة وثمانية الف الف الف بتكرير لفظ الالف ثلث مرات وعلى تقدير مقدار ان يكون مقدار
كل يوم الف سنة يكون مبلغها ما يخرج من ضرب ستة الف في ثلثمائة وستين الفا وهو الف الف سنة
بتكرير الالف ثلث مرات وستة الاف ومائة الف الف بلفظين وستون الف الف بلفظين الف
وذلك مما لا تحتمله اذهان السامعين فلذلك ابهم القول فيه وقوله فمن ذا الى قوله معصيته استفهام انكار
لوجود من يسلم من لعنة الله وعقوبته ممن يكون فيه رذيلة الكبر وقوله يسلم على الله في معنى يرجع اليه
سالما من طرده ولعنته وعذابه يقول سلم على هذا الشيء اذا رجع اليك سالما ولم يلحقه تلف وابانه
قوله بمثل معصيته لاستحقاب اي فمن يرجع الى الله سالما من عذابه وقد استصحب مثل معصية ابليس
اي الكبر مثل تكبره وخالف امر ربه وقوله كلا رد لما عساه يدعي من تلك السلامة التي استنكر وقوعها
باستفهامه وفسر ذلك الرد بقوله ما كان الله الى قوله ملكا والبانه في قوله بامر على استحقاب اقتضاء
ما كان الله ليدخل الجنة بشرا مستصحبا لامر اخرج به منها ملكا وذلك الامر هو رذيلة الكبر التي استصحبها
الانسان بعد الموت لكونه متخلقا في جوهر ذهنه والقضية سالبة عرفية عامة اي لا يدخل الجنة بشر
بوصف الكبر ما دام له ذلك الوصف فان كان ذلك الوصف به ودم كان في حق الكافر لم يدخل الجنة
ابدا وان كان لا يدوم جاز ان يدخل بعد زواله الجنة فاذن لا مسك للوعيدية القائلين بتخليد
الفاسق من اهل القبلة في هذا الكلام واما حديث الاحباط فنقول انما كان بسبب الكفر كما قال تعالى
الا ابليس استكبر وكان من الكافرين فان قلت الكلام يقتضي ان احباط عمله واخراجه من الجنة
كان بسبب تكبره لا بسبب كفره قلت الاصل هو الكبر الا ان تكبره كان تكبرا على الله وآباء للطاعة
واستصغارا لما امر به حيث قال اسجد لبشر خلقته من صلصال اسجد لمن خلقت طينا وذلك
محادة لله وكفر به ومعارضة وكان ذلك مستلزما للكفر ولا شك ان الكفر يستلزم احباط العمل
واللعن والخروج من الجنة وقوله ان حكمه في اهل السماء الى قوله لواحد اي في اباحة الخير والشر
على من يستعد لاحدهما في استعد من اهل السماء واهل الارض لخير او شر فحكمه فيه ان يفيض على ما
استعد له وذلك حكم لا يختلف اعتباره من جهته تعالى وقوله وليس بين الله الى قوله العالمين اي
ليس بينه وبين احد من خلقه صلح فيخصه باباحة حكم حرمه على ساير خلقه فيختلف بذلك حكمه فيهم
لان الصلح من عوارض الحاجة والخوف المحالين عليه تعالى وقال بعض الشارحين كل ما جاء من الاحباط
في القرآن والاثر محمول على ان ذلك الفعل المحبط قد اخل فاعله ببعض شرايطه اللازمة اذ لم يوقعه
على الوجه المامور به المرضي او خلطه لا على بصيرة ويقين بل على ظن وتخمين وبالجملة فلم يوقعه
وجه يستحق به ثوابا لا على انه استحق به ثوابا ثم احبط فان ذلك مما قام البرهان على استحالته
ثم حذرهم من ابليس باعتبار كونه عدو الله بعد امرهم باعتبار حاله وما لزمه من الشقاوة بسبب

معصيته له ان يعديهم بذلك الداء وهو الكبر الذي بسببه لزمه ملك الشقاوة ومعنى عداوته تمرد مجانبته
لاوامره ومجاوزته لطاعته الى معصيته وهو مستعار ولفظ الداء ايضا مستعار للكبر يقرب من الحقيقة
فان ادواء النفوس اشد من ادواء الابدان ومحل ان يعديكم نصب على البدل من عدو ونقل عن القطب
الراوندي ره انه مفعول ثان من قوله احذروه وهو سهو اذ هذا الفعل لا يتعدى الى مفعولين وقوله بخيله
ورجله كناية عن اعوانه من الضالين المضلين الذين يستغوون الناس بالوسوسة والدعوة الى طرق
الضلال وقوله فلعمري الى قوله السديد استعار لفظ السهم لوساوسه ورشقه والوعيد المحكي عنه بقوله
لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين ووجه الاستعارة كونه يرمي بتلك الوساوس وجوه
نفوسهم فيكون سببا لهلاكها في الاخرة كما يكون السهم سببا للقتل ورشح بذكر النزع والاغراق
والرمي واما المكان القريب فكانه يعني به الخبر النبوي في قوله ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
وقوله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقرب منه كان ذلك
ظاهر والكلام في قوله فلعمري في معرض اغرائه بعداوته والتنفير عنه وقوله قال رب بما اغويتني
اقتباس للاية وهو من جملة الاغراء وفي الباء وما يتعلق به وجوه احدها قال ابو عبيدة معناها القسم فان قلت
كيف نسب الاغواء اليه تعالى وكيف يصح الاغواء منه تعالى به قلت على الاول لما كان من توسط خالق اسباب
الغواية فيه كالقدرة والعلم وغيرهما كانت له تعالى سببية في ايجاد الغواية وان كانت بعيدة فلذلك
صح اسنادها اليه تعالى وعلى الثاني انه يجوز ان يكون ما بمعنى الذي والعائد من الصلة محذوف وتقديره
بالذي اغويتني به لازينن لهم وذلك هو الامر بالسجود لآدم اذ كان لسببه التكبر وعصى فغوى والقسم جائز
بامره تعالى وتكليفه ومن جعل ما مصدرية فله ان يقول ان ابليس اطلق على الامر والتكليف الذي حصل له
بسببها الغواية لفظ الاغواء مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب ثم اقسم به باعتبار ما هو امر وتكليف
لا باعتبار ما هو غواية والثالث قال غيره هي سببية اي بسبب اغوائي لازينن كما تقول لطاعة الله لندخلن
الجنة ولمعصيته ليدخلن النار ومفعول التزيين محذوف اي لازينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه الثالث
قال بعضهم يجوز ان يكون الباء للسببية وتقدير قسم محذوف والمعنى بسبب ما كلفتني فاستلزم غوايتي
اقسم لازينن لهم وقوله قذفا بغيب بعيد كقوله تعالى ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وهو مصدر
حذف فعله او سد مسد الحال قال المفسرون والغيب هنا بمعنى الظن وفيه نظر لان اطلاق لفظ الغيب
على الظن مجاز والعدول عن الحقيقة انما يكون بعد تعذر حمل اللفظ عليها ولا تعذر هاهنا وذلك لان
مفهوم الغيب هو ما غاب عن الخلق ثم علمه وكان القذف بكل ما لا يعلم والحكم به قذفا بالغيب وكما به
وكان ابليس لا يعلم ما حكم بانه يفعله في الخلق من التزيين والاغواء وهو بعيد عن علمه ثم حكم به كان حاكما
بما هو غائب عن علمه وعازب عنه وهو معنى قذفه بالغيب البعيد وفي نسخة الرضي ره بظن مصيب
وفي اكثر النسخ غير مصيب وهو المناسب لقوله بغيب بعيد لان ما يقال عن غيب بعيد فلا يصيب ظنه
فان قلت ثم قال غير مصيب مع ان ابليس صدق ظنه في اغواء الناس ثم رماهم كما قال تعالى ولقد

صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الاية قلت الجواب عنه من وجوه احدها انه يريد بالظن المصيب العلم لانه
هو المصيب الحق كما انه قال ظن ابليس بعلم اتاه قال بعض الشارحين انما كان غير مصيب لانه ظن ان
اغواهم يكون منه فظهر حال الا غويهم وهذا الظن فاسد لان اغواهم كان منهم اختيارا لانهم اختاروا العمى
على الهدى فغووا عن طريق الله وتصديق ابليس ظنه لهم في ذلك يعود الى وقوع الغواية منهم وفي ظنه
لانه لما ظن انه يغويهم فقد ظن ان الغواية تحصل منه فصدق في الغواية واخطأ ظنه في سببيته الثاني
ان الكلام لما كان في معرض ذم ابليس واغراء الخلق بعداوته وقف عليه السلم في الاية على قوله اجمعين
فيكون المعنى ان ابليس ظن انه يغوي جميع الخلق واما استثناؤه لعباد الله المخلصين فذلك ليس بسبب
ظنه بل تصديقا لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومعلوم ان ذلك الظن فاسد وغير مصيب
اذ كان انما قدر على اغواء البعض الرابع قال بعض الشارحين يحتمل ان يكون اراد بالاغواء الذي ظن انه
يفعله بالخلق هو اغواء الشرك وبالاخلاص في قوله الا عبادك منهم المخلصين العصمة من المعاصي فيكون الناس
اذن في ظنه اما معصوم او مشرك وهذا الظن غير مصيب اذ وجد من ليس بمشرك ولا معصوم وقوله
صدقه به ابناء الحمية فالحمية لازم من لوازم الكبر لانها ماخوذة من قولك حميت اذا غضبت وكانت حقيقتها
تعود الى الغضب عن تصور المؤذي مع الترفع على فاعله واعتقاد الشرف عليه واستعار لفظ الابناء لاصحاب
هذه الرذيلة واهل الكبر من الناس ووجه الاستعارة ملازمتهم لها كما يلازم الولد امه حتى صاروا كانهم
خلقوا منها وهي اصل لهم وتصديقهم له بذلك الظن هو ارتكابهم للرذائل والمعاصي اتباعا لاغوائه
بها عن سبيل الله قال بعض الشارحين والباء في قوله به يعني اي في ظنه فصدقه فيه وصدقه في موضع الجر صفة
لظن وقوله اخوان العصبية يحتمل ان يريد اخوانها فيكون قد جعل لها اخوانا على سبيل الاستعارة
وهم ملازموها كما جعل للحمية ابناء ويحتمل ان يريد الاخوان فيها اي الذين عقدوا الاخوة بينهم على العصبية
الباطلة فيها وكذلك فرسان الكبر والجاهلية يحتمل انه قد يكون استعار لفظ الفرسان لمرتكبي الكبر والافعال
الجاهلية ووجه الاستعارة ظاهر ويحتمل ان يريد فرسان الجاهلية الموصوفين بالكبر وقوله حتى الى قوله
الجلي غاية من قوله فوق واغرق وربما كم واستعار وصف الجامحة للنفوس التي كانت طامحة لابليس
ابية عن الانقياد له وقوله فنجمت الحال اي ظهرت الحال التي كان يرومها منكم ويطلبها فيكم وهي
الغواية والضلال من السر الخفي الى الامر الجلي اي من القوة فيكم الى الفعل وقوله استفحل جواب
الشرط واستعار لفظ الاستفحال لشدة سطوته وسلطانه اشارة الى كمال قدرته على تطويع النفوس
وقدره وجنوده كناية عن اهل الفساد في الارض كما علمته فيما سبق ودلفه بهم دخولهم بالفساد على الناس
وتزيينهم لهم رذائل الاخلاق فما غراؤهم اياهم ومن لوازم ذلك التحاسد والتباغض والتقاطع
والتدابر وتفرق الكلمة ومن لوازم تفرق الكلمة انهزام العدد ولجأت الذل وتلم ورطات
القتل وبوطئهم اثخان الجراحة ويحتمل ان يريد سلطانه الذي استفحل عليهم هو سلطان عدوهم ومن
غالبهم كمعوية وغيره وتوثبهم عليهم بعد تفرق كلمتهم وقطع طاعتهم له عليه السلم واضافة ذلك السلطان

وجنوده الى الشيطان ظاهرة لان سلطان الحق وجنوده يقابل لسلطان الله وجنود الله وسلطان الباطل
يقال لسلطان الشيطان وجنود الشيطان واوليائه واعوانه وظاهر انهم عند تفرق كلمتهم قد استحل
عليهم سلطان ابليس ودلف بجنوده اليهم وهم مخالفوه عليه السلم وانتصب اثخان الجراحة ظرفا لانه مفعول
ثان لاوطأكم ولفظ الولجات والورطات مستعاران للاحوال التي هي مظان الذل والقتل
كالاماكن التي يتردون اليها من عدوهم ذلة والمواطن التي قتلوا فيها او ظلموا فيها والاستسلام لهم و
الحاقهم واعلائهم اياها الجاؤهم الى تلك الاحوال او الاماكن ولذلك استعار وصف ايطائهم
اثخان الجراحة ملاحظة لشبهه وقوعهم بهم بالوطي في استهزائه للاذى وكنى بوطئ المستعار عن
ايقاعهم في حرارات الجراح واثخان مصدر قولك اثخن في الجراح اذا اكثر فيه وبالغ حتى خشا لكانه
نحو وقوله طعنا الى قوله مقاتلكم حيل حمل الطعن العيون والحز الحلوق والدق المناخر والقصد
المقاتل لاناسب لها المقارنة عند ارادة الاذلال والاهانة والاهلاك لان الطعن وان كان
قد يقع في ساير البدن الا انه ابلغ في العيون وافحش ولذلك فيه باجمعها قال بعض الشارحين
انتصب طعنا وحزا ودقا وقصدا وسوقا المصادر عن افعالها المقدرة ومن روى لاثخان
الجراحة بوجود اللام فيحتمل ان يجعل طعنا مفعولا ثانيا لاوطأكم ويكون اللام في لاثخان لام الغرض
اى اوطأكم طعنا وحزا ودقا لتثخنوا الجراحة فيكم قال ويكون قصدا وسوقا فالصيغ المصدرية
لبعدهما عن المفعول به والاظهر هو الوجه الاول اعني كون كل منها مصدرا لفعله ولما كان الفاعل لهم
هذه الافعال كلها هو ابليس وجنوده فان كان المراد بجنوده الساعين بين الناس بالوسوسة
والفساد في الارض فمعنى فعلهم بهم هذه الافعال كونهم اسبابا معدة لهم بالوسوسة المستلزمة لتفرق
الكلمة ومخالفة الامام لوقوع هذه الافعال بهم من اعدائهم ومحاربيهم ثم ضرج فعل العدو بهم ان سوقهم
الى النار بخزائم القهر ولفظ الخزائم مستعار للتمكن في جواهر نفوسهم من الرذائل الموبقة وملكات
السوء التي هي المحبس لهم عن النار بسببها لمشابهتها الخزائم التي يقاد بها الابل في كونها لا مخلص لها
عما تقاد اليه بسببها ولفظ السوق ترشيح للاستعارة وان كان المراد بجنوده هم المخالفون
له عليه السلم والمحاربون لاصحابه ففعلهم بهم تلك الافعال ظاهر واما السابق لهم الى النار فيحتمل
ان يكون هؤلاء وذلك باذلالهم لهم وادخالهم في باطلهم عن قهر وذلة ولا شك ان الدخول
في باطلهم سبب جاذب الى النار ولفظ الخزائم مستعار اذن لما لا يتمكن من باطلهم ومحبة النفوس
واهلالا وامرهم بالباطل وحملهم على ارتكاب المنكر ويحتمل ان يكون السابق لهم هو ابليس و
جنوده من اهل الوسوسة ثم رجع الى افراده بالفعل نظرا الى قوله ودلف بجنوده فقال بعده
فاصبح اعظم في دينكم جرحا فاستعار لفظ الجرح للفساد المعقول الحاصل بسبب ابليس في دينهم
ووجه المشابهة كون الجرح فسادا في العضو [illegible] واستعار لفظ القدح لوساوس ابليس
المستلزمة لوجود الاحن والتباغض والتحاسد بينهم الموجب لتفرق كلمتهم المستلزم لتشتت سلطانهم

وعناد

وعنادا ونفاقهم وما هم عليه من الاذية واستقامة المعاش في الدنيا ووجه المشابهة افساد ذلك
الوساوس لاحوال معاشهم كافساد قدح النار لما يقع فيه [illegible] في دينهم وافساد دنياهم اشد
من اعدائهم الذين هم مناصبون لهم والحكم ظاهر الصدق اذ كانت فتنة ابليس لهم في دينهم ودنياهم
اصلا لكل فتنة لحقتهم من اعدائهم باعتبار انها سبب تفرقهم كما سبق ثم امرهم ان يجعلوا عليه حدهم اى
باسهم وسطوتهم لان حد الرجل باسه وشدته ودفعهم وان يجعلوا له جدهم اى جهدهم والتخلص من فتنته
بمعاودته وقهره وقوله فلعمر الله الى قوله بلا عود الى الاغراء بعداوته بذكر اسباب العداوة
المنفرة وهي كونه فخر على اصلهم وذلك قوله تعالى حكاية عنه انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم وذلك قوله ءاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون
فبين بذكر اصلهم وهو الصلصال والحما المسنون المنتن ونسبهم منه انه ساقط عن درجة الافتخار
وخيله ورجله كناية عن جنوده من اهل الباطل واجلابه بخيله عليهم جمعه لجنوده ومحاربتهم او وسوستهم
لهم والاضلال وقصده لسبيلهم اى السبيل الحق الذى هم سالكوه الى الله كقوله تعالى حكاية عنه لاقعدن
لهم صراطك المستقيم وهو كناية عن جذبه لهم الى طرف الباطل عند توجههم الى طرف الحق وسبل الدين
واقتناصهم لهم بكل مكان كقوله ثم لآتينهم من بين ايديهم الآية وهو كناية عن اخذه بوسوسته لهم
من كل وجه واغوائه لهم عن كل سبيل حق وضربهم منهم كل بنان كناية ايضا عن كونه هو وجنوده
اسبابا معدة لقتلهم وقطعهم بايدى اعدائهم ويحتمل ان يريد بجنوده هم مخالفوه عليه السلم
من اهل الضلال يعني قصدهم لسبيلهم ابتلاؤهم بالقتل والقتال ومنعهم لهم بذلك عن اقامة حدود الله
والاستقامة على سبيله واقتناصهم لهم بكل مكان وضربهم منهم كل بنان كناية عن استيصالهم و
قتلهم واذاهم ولفظ الاقتناص مستعار وظاهر انهم لا يمتنعون من افعاله بعد استحكام طمعه
فيهم واستعمال سلطانه عليهم بحيلة ولا يدفعون عن انفسهم بعزيمة اى بجد واجتهاد وصرامة امر
لما سبق منهم من التخاذل والانفعال عنه والحومة والحلقة والعرصة والجولة الفاظ كنى بها عن الدنيا
اذ كانت محل ذلهم والضيق عليهم وعرصة موتهم [illegible] والاضافات [illegible] ثم عاد
الى امرهم بتطهير قلوبهم من رذيلة العصبية واحقاد الجاهلية واستعار لفظ النيران لما يثور
من حرارة الغضب عند العصبية وقد علمت ان مبدا تلك الحرارة القلب ورشح بذكر الايقاد وكذلك
ان تسمى تلك النيران حمية كما سبق فلذلك فسرها بها فقال وانما تلك الحمية وهي من الحمية اسما خبر
المبتدا وقوله تكون خبر بعد خبر ويحتمل ان تكون صفة لتلك والخبر تكون وظاهر ان الحمية والعصبية
الباطلة من خطرات الشيطان التي يخطرها للنفوس ونخواته التي يهيجها بها عند الغضب والاعجاب
والتبجح والترأس على الخلق ومن نزغاته التي يفسد بها بين الناس ونفثاته التي يلقيها الى اذهانهم
لغرض الافساد والاضلال واراد باضافتها الى الشيطان التنفير عنها ثم اردف بالامر بالتذلل
واراد به التواضع وامرهم ان يعتمدوا وضعه على رؤوسهم وهو كناية عن اعزازهم والعناية به لكونه

فتبينوا وان يلقوا التعزز تحت اقدامهم وهو كناية عن اطراحهم وعدم العناية به لكونه رذيلة وان يخلعوا الكبر
من اعناقهم واستعار لفظ الخلع لطرح الكبر ونسبه الى الاعناق ملاحظة لشبهه بما يلبس من قميص
او طوق خارجهم كقوله اذ لبسوا الجلالة ولبس ما جنى لهم وان يتخذوا التواضع واستعار لفظ المسلحة
ووجه المشابهة انه لما كان المتواضعون بسبب تواضعهم وتخلقهم به حافظين لدينهم وانفسهم من دخول
ابليس وجنوده عليهم برذيلة الكبر وما يلزمها من ساير الرذايل المعدودة المهلكة اشبه تواضعهم
المسلحة التي هي محل الحفظ بها من غارات العدو ولما علمت ما يلزم الكبر من الرذايل فلا يخفى عليك ما يلزم
التواضع من اضداده ؛ ولقد بضها وقوله فان له من كل امة الى قوله فرسانا بيان لجنوده واشارة
الى ان له من هذه الامة جنودا واعوانا ورجالا وفرسانا اشعوا بصفته واستشعروا شعاره وهو
الكبر فينبغي ان يجتنبوهم ويطرحوا شعارهم وقوله ولا تكونوا كالمتكبر على ابن امه الى قوله الاراد
بذلك المتكبر قابيل حين قتل اخاه هابيل عن كبر وحسد وهو نهي عن الكبر المستلزم لبغي بعضهم على بعض والى
قصة هابيل وقابيل اشار القرآن الكريم بقوله واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا
الى قوله جزاء الظالمين والمنقول في سببه ان حوا كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فولدت في اول
بطن قابيل واخته ثم مكثت سنين ثم ولدت هابيل واخته فلما ادركوا امر الله آدم ان ينكح قابيل
اخت هابيل وينكح هابيل اخت قابيل فرضي هابيل بذلك ولم يرض قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال
آدم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه زوجتها وقيل بل قال آدم لهابيل وقابيل ان ربي عهد الي
انه يكون من ذريتي من يقرب القربان فقربا قربانا حتى تقر عيني اذا تقبل قربانكما وكان قابيل صاحب
زرع وهابيل صاحب ضرع فقرب قابيل ارذل زرعه وقرب هابيل اجود جمل عنده ووضعا
قربانهما على الجبل فدعا آدم فنزلت نار بيضاء من السماء فرفعت قربان هابيل دون قابيل لانه
لم يكن خالصا في قربانه وقيل انه قرب اخس ما عنده وقيل لانه كان مصرا على كبيرة لا يقبل الله معها
طاعة فذلك قوله تعالى نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر فحسده
قابيل وكان اكبر منه سنا فقال لاقتلنك قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك
الآية الى قوله فاصبح من الخاسرين اي خسر في الدنيا والآخرة وروي انه بقي زمانا يحمله
على ظهره لا يدري ما ذا يصنع به حتى بعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه
وروي انه كان غرابان قتل احدهما الآخر واحتفر له ودفنه فقال قابيل يا ويلتا اعجزت ان اكون
مثل هذا الغراب الآية اذا عرفت ذلك فنقول قال الثعلبي انما اضافه الى الام دون الاب لان
الولد في الحقيقة من الام اي الولد بالفعل فان النطفة في الحقيقة ليست ولدا بل جزء مادي له ونسبة
الولد اليه في الحكم دون الحقيقة وقيل قابيل بقتله هابيل كانه قطع نسبه عن ابيه كما قال تعالى في حق
نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وقيل لان شفقة الاخ من الام اشد من شفقة الاخ من الاب
لزيادة شفقة الام والاول الحق وقد اشار بهذه الاضافة الى جهة مساواته له في كونهما من محل واحد

يتبين

يتبين قبح تكبره عليه وليتنبه السامعون للنهي عن التكبر على غيره من ابناء نوعه واكد ذلك بقوله من غير
ما فضل جعله الله فيه وقوله سوى ما الحقت العظمة الى قوله ريح الكبر اشارة الى جهات تكبره عليه واسبابه
وهي العداوة عن حسد وجعل تلك العداوة مسببة عن العظمة وهو ظاهر كما علمت من ان المعظم المعتقد
لكمال نفسه وانه اولى بكل كمال يليق به من غيره وانه لا ينبغي ان يشاركه فيه احد وذلك يستلزم
حسده لغيره فيما يعتقده كمالا يميل اليه كاعتقاد قابيل انه اولى بالاخت الحسناء من اخيه لكونه اكبر سنا
منه الى غير ذلك من الاسباب وعن ذلك الحسد تكون الحمية وثوران نار الغضب والعصبية ولفظ
النار مستعار كما سبق ولفظ القدح ترشيح وكذلك لفظ الريح مستعار لتلك الوساوس والخطرات
التي ينشاها ابليس في روع المتكبر من كونه اولى واحق بذلك الكمال ونحوه وكذلك لفظ النفخ لالقاء تلك
الخطرات ونفثها وقوله الذي اعقبه اي البذاة المشار اليها كما ذكرناه وقوله والزمه آثام القاتلين
الى يوم القيامة اشارة الى مقتضى قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
فكانما قتل الناس جميعا اي يكون عقابه في الغلظ والشدة واستحقاقه كعقاب قاتل الناس جميعا كما قال
تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية وكذلك مقتضى قول الرسول صلى الله عليه وآله من سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقابيل هو اول من سن القتل فلا جرم لزمه آثام القاتلين الى
يوم القيمة وكذلك قوله صلى الله عليه وآله ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها
ذلك بانه اول من سن القتل ثم شرع في تنبيههم على امعانهم وتشميرهم في البغي والافساد في الارض
واعلامهم بذلك من انفسهم والخطاب يشبه ان يكون للبغاة من اصحاب معوية وهم الذين كاشفوا
الله تعالى بمحاددة اوليائه ومعاداة دينه وبارزوا المؤمنين بالمحاربة ومصارحة ومبارزة
مصدران سدا مسد الحال ثم كرر التحذير من الله تعالى في الكبر واضافه الى الجاهلية ليتميز عن الكبر المحمود
وكذلك اضافة الفخر الى الجاهلية فان من الكبر والفخر ما هو محمود كتكبر الفقراء على اهل الدنيا وفخرهم
كما ورد في الخبر مرفوعا ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء واحسن منه تكبر الفقراء على الاغنياء ثم اخذ
في ذكر ما ينفر عنه من الاوصاف وهو كونه ملاقح الشنآن وهو البغض والعداوة ولفظ الملاقح
مستعار من الفحول للكبر والفخر ووجه المشابهة كونهما مظنة وجود البغضاء بين الناس وسبب
كما ان الفحول سبب اللقاح واما على تقدير كونه مصدرا فاستعارة لاثمار الفخر للبغضاء بينهم
المذكورة ثم انه اخبر بذلك المصدر نفسه عن الفخر حيث جعله خبرا كانه قال فان الفخر لقاح الشنآن
ولقاح الشنآن نفسه ليس عن الفخر بل من ثماره ولوازمه فكان اطلاق اسم السبب على المسبب وهو
في الدرجة الثانية وانما ذكره بلفظ الجمع نظرا الى تكثر معنى الفخر في موارده وهي انه ان المتكبرين
ومنافخ الشيطان الجمع منفخ مصدر نفخ والظاهر ان افراد جنبه الفخر المنتشرة في الاذهان نفخات
ونفثات من ابليس ويقال في الوصف للمتكبر والمترفع عن قدره قد نفخ الشيطان في انفه
ووصف تلك المنافخ بانها اللاتي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية وصورة الخدع هنا

كونهم ارائهم الباطل في صورة الحق كثرة الكبر وحسبه لوازمه ويحتمل ان ذلك هو الاصلح والانفع
مع انه في نفس الامر ليس كذلك حتى كان ذلك سببا لاركابهم في ظلمات الجهالات ومهاوي الضلالات
واستعار وصف الاعناق لما يتوهم من شدة دخولهم في ظلمات الجهالات وقوة سيرهم فيها وكذلك
لفظ الحنادس مستعار لما يتخيل من ظلمة الجهل ولفظ المهاوي مستعار لما يتخيل من كون الضلالة مطرحا
مجال للهوي عن افق الكمال ومدارج السعادة واضاف الجهالة والضلالة اليها اضافة المسبب الى
السبب وسلس جمع سلس وهما سهلا الانقياد وانتصابها على الحال من الضمير في اعنقوه اي اسرعوا
سهلي الانقياد لسوقه وقوله امرا منصوب بفعل مضمر تقديره في قصد وامرا ثم ابتعتها بعده
وتتابعت القرون الماضية منهم على اعتقاده وهو الفخر من نزغ الشيطان والاعتناق في جهالته وضلالته
وكبرا عطف عليه وكنى بتصافق الصدور به عن كثرته وعظمته ثم عقب بالتحذير من طاعة ساداتهم وكبرائهم
تذكيرا بما نبه عليه القرآن الكريم بذم المطيعين لساداتهم وكبرائهم على طاعتهم فيما حرم الله عليهم واخرجهم
بذلك عن سبيل الله وذلك قوله تعالى حكاية لما يقولونه يوم القيمة قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وذم التابعين على
متابعة متبوعيهم في قوله حكاية عنهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقوله الذين
تكبروا عن حسبهم وترفعوا عن نسبهم وحسبهم ونسبهم اشارة الى الطين والصلصال من الحمأ المسنون
وانما الطين الذي هو اصلهم ولما كان من شانه ان لا فخر فيه ولا تكبر لمن هو اصل له ثم تكبروا وافتخروا
تكبروا عن ذلك الاصل وترفعوا عليه وتركوا ما ينبغي لهم من النظر اليه والتواضع فيه واليه
اشار القائل ما بال من اوله نطفة وجيفة اخره يفخر يصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تاخير
ما يحذر وقوله والقوا الهجنة على ربهم اي نسبوا ما في الانسان من القبائح بزعمهم الى ربهم كما قال
بعض الشارحين كان يقول احدهم في الافتخار على غيره انا عربي وانت عجمي فان ذلك عيب
وازراء بخلق الله فهو عيب على الله ونسبة قبيح اليه وهم في ذلك مقتفون لاثر ابليس حيث
قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال اذ كان ذلك عيبا لخلق الله ونسبة للفعل القبيح اليه وقوله
وجاحدوا الله ما صنع بهم ووجه المجاحدة هنا انهم لما غفلوا عن استناد وجود احوالهم لم يشكروا
على نعمائه وصنعه بهم ولما كان الشكر يعود الى الاعتراف بالنعمة كان الجحد والانكار منهم عبارة
عن عدم ذلك الاعتراف لغفلتهم وايضا فان الشكر كما يكون بالاعتراف بالنعمة كذلك يكون بالاتيان
بما يوافق ذلك الاعتراف ويدل عليه من الاقوال والافعال الصالحة المطلوبة للمنعم والموافقة
لاوامره ونواهيه ويسميان شكرا ايضا فكان الاصرار على تركها وعدم الاتيان بها جحدا للنعمة
وذلك هو مجاحدتهم لله فاما مجاحدة الله لهم فيعود الى ما يتخيل من انكاره عليهم جحدهم وتقريره
عليهم صنعه بهم وتذكيره نعمه في حقهم وما مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي والعائد من الصلة
محذوف اي ما صنعه بهم وقوله مكابرة لقضائه اي مقابلة لحكمه عليهم بوجوب شكره ولزوم طاعته

ترد ذلك الحكم والمكابرة وعدم الانقياد له وحقيقة المكابرة يعود الى المقابلة بالقول في الامر والمنازعة
فيه على وجه المغالبة والتكبر من الطرفين وهي هنا ترشيح لاستعارة المجاحدة وكذلك المغالبة لالائه
والنصب في جهات المفعول له والمغالبة هنا تشبه الغاية من المجاحدة وليست غاية في الحقيقة وبيان
ذلك انه لما كان من لوازم المجاحدة وكفران النعمة زوالها وانقطاعها كانوا بفعلهم تلك المجاحدة
وذلك الكفران كالمغالبين للنعم والقاصدين لزوالها وعدمها اذ كان زوالها لازما لفعلهم وقوله
فانهم اي قوله الجاهلية شبههم في الحزم ساداتهم من الرذائل المذكورة واستعار لفظ الاساس للكبر
اذ كان مبدأ للعصبية واصلا لها ولفظ القواعد لهم باعتبار قيام الكبر منهم وثباته فيهم كما يقوم
الاساس بالقواعد وهي الصخور العظيمة ونحوها وكذلك استعار لفظ الاركان لاجزاء الفتنة وابعاضها
ولفظ الدعائم لهم باعتبار قيام الفتن بهم واعتمادها عليهم كما يعتمد اركان البيت وجوانبه على دعائمه
واستعار لفظ السيوف لهم باعتبار صرامة عزمهم ومضيهم في الاعتزاء فيما يعتزي اليه كمضي السيوف
وصرامتها في مضاربها قال بعض الشارحين ويحتمل ان يريد واصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية وذلك
عند قولهم يال فلان كما نقل في سبب الخطبة والاعتزاء منهي عنه لكونه مبدأ للفتن وروي ان ابي بن
كعب سمع رجلا يقول يال فلان فقال عضضت بهن ابيك فقيل له يا ابا المنذر ما كنت فحاشا قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا والعزاء الاسم من
الاعتزاء ثم عاد الى الامر بتقوى الله فقوله ولا تكونوا لنعمه اضدادا اي لهم عن ارتكاب ما يزيل نعمه
عنهم وتضادها فان الجحد معاصي كفرانها ومقابلتها بسائر المعاصي التي تستلزم تبديل النعمة نقمة وكذلك
قوله ولا لفضله عندكم حسادا استعار لفظ الحساد هنا باعتبار كفرهم للنعم المزيل لها فاشبه الحساد باعتبار
حسدهم المزيل لها وقوله ولا تطيعوا الادعياء قال بعض الشارحين مراده بالادعياء الذين ينتسبون
الى الاسلام ظاهرا وهم منافقون باطنا ويحتمل ان يريد بهم حقيقة الادعياء وهم الذين ينتسبون الى
غير آبائهم ممن لا دين له وقد تراهم في جملة التي ذهب اليها ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم
كدرهم فاستعار لفظ الصفو وهو خالص الشراب اما لخالص دينهم وايمانهم او لخالص دنياهم
وصافيها ولفظ الكدر للنفاق وسائر الرذائل النفسانية التي تخالط ايمان المرء كالحسد ونحوه
فتكدره بكدره بسبب ذلك ما صفا من دنياه بسبب ثوران الفتنة هنا ورشح بذكر الشرب والخلط
الكدر منهم بايمانكم فانهم في شربتموه به كما يمزج بالماء الشراب فيشرب به وانما قال شربتم بصفوكم
كدرهم ولم يقل كدرهم صفوكم لان غرضه ان تقرن عليهم شرب الكدر بالقصد الاول ولانه في ذلك
الغرض الابعارة في السلم وانما هنا للمصاحبة وكذلك قوله وخلطتم بصحتكم مرضهم واراد بمرضهم
نفاقهم وكبرهم وسائر الرذائل النفسانية فيهم وبالصحة سلامة نفوس المؤمنين بايمانهم عن شوب
تلك الرذائل وقد تجمع تخلطهم ايمانهم بها وكذلك قوله وادخلتم في حقكم باطلهم واراد بالحق الايمان
والجد في العمل الصالح او ما يستحقونه من الملك والخلافة في الارض وبالباطل اولئك الكذب والنفاق

واللعب وسائر الرذائل او ما لا يستحق لهم من امر الدنيا وذلك الخلط والادخال بسبب تخاذلهم عن حقهم وتحاملهم
عن نصرته عليه السلم وعدم اجتماعهم على ما ينبغي لهم من طاعته ثم عاد الى وصف اولئك الكبرا باوصاف
الاول استعار لهم لفظ الاساس باعتبار كونهم اصلا للعقوق تقوم بهم كما تقوم البنا بالاساس الثاني
لفظ الاحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق وترك الرحم كما يلازم حلس البعير ظهره وروى اساس بكسر
السين بوزن احلاس وهو جمع اسس كحمل واحمال وهو الاس الثالث كون ابليس اتخذهم مطايا ضلال
فاستعار لهم لفظ المطايا باعتبار كونهم اسبابا موصلة الى الضلال لمن اتبعهم واعتقدوا لهم نيابة
عن ابليس وكما ان تلك المطايا التي يركبها الناس ويقودها بهم في طرق الضلال الرابع كونهم جندا بهم
يصول على الناس وذلك باعتبار كونهم جاذبين للخلق الى طريقه واعوانا لهم الى الهلاك الابدي من جهة الخامس
كونهم تراجمة ينطق على السنتهم ولفظ التراجمة مستعار لهم باعتبار نطقهم بما يريده ابليس من الوساوس
للناس فاشبهوا التراجمة له ثم اشار الى كيفيات اتخاذهم مطايا وجندا وتراجمة فيها استراق لعقول الناس
بالاقوال الكاذبة والافعال الباطلة والعادات المنفرة جذبا الى محبة الدنيا وباطلها والقاء لهم اليها عما
لاجله خلقوا اليه دعوا ومنها دخول في عيونهم بزينة الحيوة الدنيا وسائر ما يجذب اليها من جهة حس البصر
ومنها النفث في اسماعهم والقى الوساوس بالاقوال الواصفة لها وباطلها والمنفرة عن الاخرة وسائر
ما يجذب عن الله تعالى من الجواذب السمعية وانتصب استراقا ودخولا ونفثا على المصدر لكل من فعل اي
ليسترق عقولكم استراقا وكذلك الاخران وقوله جعلكم مرمى نبله اي غرضا واستعار لفظ النبل
لجزئيات وساوسه المردية لكل من اصابته الى حادي الهلاك كما يردي النبل من رمي به ولفظ المرمى
باعتبار كونهم مقصدا لوساوسه كالهدف وكذلك استعار لهم لفظ الموطى باعتبار كونهم محلا لاذلاله
واهانته ورشح بذكر القدم اذ الموطى لا بد له من موطأ به هو القدم وكذلك استعار لفظ الماخذ باعتبار كونهم
تقتنصهم حبايل وساوسه ورشح بذكر اليد اذ من شان الماخوذ ان يكون اخذه باليد **الفصل الثالث**
في امرهم بالاعتبار بحال الماضين بما اصاب الامم المستكبرين منهم من باس الله وصولاته وعقوباته وحالهم
وكمال الانبياء على جلالة قدرهم في التواضع لمن ارسلوا اليه من المستكبرين وحال اختبار الله تعالى خلقه بحجار
نصبها بيتا لعبادته اختبارا للمتواضعين له وتمييزا لهم من المستكبرين عن عبادته الى غير ذلك وذلك قوله
فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من قبلكم من باس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي
خدودهم ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر فلو رخص الله
في الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه واوليائه ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر ورضي لهم التواضع فالصقوا
بالارض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين وكانوا اقواما مستضعفين
قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم بالمكاره فلا تعتبروا الرضا
والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنى والاقتار فقد قال سبحانه وتعالى
في اعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هرون صلى الله عليهما على فرعون وعليهما مدارع

ايحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون فان الله سبحانه
يختبر عباده المستكبرين في انفسهم
باوليائه المستضعفين
صح

الصوف

الصوف وبايديهما العصي فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال الا تعجبون من هذين يشرطان لي
دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القي عليهما اساورة من ذهب اعظاما
للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ولو اراد الله سبحانه لانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان
ومعادن العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء ووحوش الارضين لفعل ولو فعل لسقط
البلاء وبطل الجزاء واضمحل الانباء ولما وجب للقابلين اجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين
ولا لزمت الاسماء معانيها ولكن الله سبحانه جعل رسله اولي قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين
من حالاتهم مع قناعة تملا القلوب والعيون غنى وخصاصة تملا الابصار والاسماع اذى ولو كانت الانبياء
اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال لكان ذلك اهون على الخلق
في الاعتبار وابعد لهم من الاستكبار ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم فكانت النيات
مشتركة والحسنات مقتسمة ولكن الله سبحانه اراد ان يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه
والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته امورا له خاصة لا تشوبها من غيرها شائبة وكلما كانت البلوى
والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل الا ترون ان الله سبحانه اختبر الاولين من لدن ادم
الى الاخرين من هذا العالم باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس
قياما ثم وضعه باوعر بقاع الارض حجرا واقل نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية قطرا بين
جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ثم امر ادم
وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوي اليه ثمار
الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوي فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون
لله حوله ويرملون على اقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن
خلقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سببا لرحمته ووصلة الى جنته
ولو اراد الله سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وانهار وسهل وقرار جم الاشجار
داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين برة سمراء وروضة خضراء وارياف محدقة وعراص مغدقة
وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء ولو كانت الاساس المحمول
عليها والاحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مصارعة الشك
في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب من الناس ولكن الله سبحانه يختبر عباده
بانواع الشدائد ويتعبدهم بالوان المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم
واسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا لعفوه فالله الله فالله الله
في عاجل البغي واجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر فانها مصيدة ابليس العظمى ومكيدته الكبرى التي
تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة فما تكدي ابدا ولا تشوي احدا لا عالما لعلمه ولا مقلا
في طمره وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام

المفروضات تنكيساً لاطرافهم وتخشعاً لابصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم واذهاباً للخيلاء عنهم
لما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعاً والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغراً ولحوق
البطون بالمتون من الصيام تذللاً مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الارض وغير ذلك الى اهل
المسكنة والفقر انظروا الى ما في هذه الافعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر اقول المثلات
العقوبات والمثاوي جمع مثوى وهو المقام والتكابر التعاظم والتعفير الصاق الخدود بالعفر وهو
التراب والمخمصة المجاعة والمجهدة المشقة والاقتار الفقر والاساور جمع اسورة جمع سوار ويجوز
ان يكون جمع اساور وقال ابو عمرو بن العلاء جمع اسوار وهو السوار والذهبان جمع ذهب كخرب
لذكر الحبارى وخربان والعقيان خالص الذهب واحتمل في والانباء الاخبار والخصاصة الجوع
والشوب الخلط والوعر بالتسكين الصعب والبلاد جمع تبعة [illegible] معقول والتي الجدب
وسمت المدن والاماكن المشهورة والمرتفعة تابى لارتفاع بنائها وشرفها وعلوها عن غيرها من الارض
كانها جذبت ورفعت والقطر الجانب والدمثة اللينة والوشلة قليل الماء والمثابة المرجع والمنتجع
اسم المفعول من الانتجاع وهو طلب الكلأ والماء والمفاوز الفلوات الواسعة والقفار جمع قفر وهي
المفازة التي لا نبت فيها ولا ماء وسحيقة بعيدة والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين ويهلون
يرفعون اصواتهم بالتلبية والاهلال رفع الصوت والرمل بالتحريك الهرولة والاشعث المغبر الراس
المتفرق الحال والنبذ الالقاء والسرابيل القمصان والتشويه تقبيح الخلقة والتمحيص الابتلاء والاختبار واصله
التخليص والتمييز والمشاعر مواضع المناسك والقرار المستقر من الارض والجم الكثير والنبي جمع نبتة
بالضم والارياف جمع ريف بالكسر وهي الارض ذات الزرع والخصب المحدقة والمغدقة كثيرة الماء
والخصب والمتقلقل اسم المفعول من الاقلاق وهو التغالب والاضطراب يقال اقلق الموج تلاطمت
واضطربت وقفا قفل يعني معقول اي متوجهة موسعة [illegible] ذلك مسلك ووخامة الظلم ووباء وسوء
عاقبته والمصيدة لجر البغي الشبكة وما يصاد به والمساورة المواثبة والكرى الالاف اذا بلغ خزرة
الى موضع صلب لا يمكنه خرقه والكدت المطالب اذا صعبت في وجه طالبها فخرجت واشوت الغرض
تشوى اذا لم تصب المقتل يقال اشواه يشويه اذا رماه فلم يصب مقتله والطراثيث الحلقى ونحوها
جمع عتيقة وهي كرائم الوجوه وحسانها والقع الزاد والنواجم الطوالع جمع ناجمة والقدع الكف وامرهم
انه عليه السلام امرهم بالاعتبار بما اصاب المتكبرين من سابق الامم من عقوبات الله
ووجه الاعتبار ان ينظر العاقل في حال اولئك فيرى ما اصابهم انما هو بسبب استعدادهم لها باستكبار
عن طاعة الله والترفع على عباده كما اشار اليه تعالى قال الذين استكبروا للذين استضعفوا للذين
آمنوا منهم الى قوله فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ونحوه في القرآن كثير فيتقل ذهنه
منهم الى نفسه وتنفس حال استكباره على استكبارهم فيجد نفسه من امثال العقوبات التي نزلت بهم
الشيئ ان يتخلطوا بتمادي خدودهم ومصارع جنوبهم اي يخلطوا مقاماتهم من التراب ومحال انفاسهم

في البور يحصل لهم بذلك الانزجار عن الكبر اذ كانت عاقبته وغايته ذلك الهوان والذل في تلك
المثاوي والمصارع الثاني ان يستعيذوا بالله من لواقح الكبر واستعار اللواقح لما يستلزم الكبر من
اسبابه واراد استعاذة كثيرة خالصة كما يستعاذ بكم من طوارق الدهر وآفاته وقوله فلو رخص
الى قوله التواضع استدلال على تحريم الكبر مطلقاً وانه لا رخصة فيه لاحد من خلق الله بقياس شرطي متصل
ووجه الملازمة فيه ان الانبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعته فلو كان له فيه رخصة
لم يجعلها الا لهم وتقدير الاستثناء فيه لنقيض التالي لكنه لم يرخص فيه لهم فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباده
لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستثنى بعض لوازمه وهو كرهه التكابر اليهم وذلك بوعيده
للمتكبرين على الكبر ثم يرضى التواضع لهم وذلك بامرهم فيه كما قال تعالى واخفض جناحك للمؤمنين ونحوه
وقوله فالصقوا الى قوله مستضعفين اشارة الى امتثالهم لما امرهم به من التواضع وهو انهم اخفوا جنوبهم
كالصاق خدودهم بالارض وتعفير وجوههم اشارة الى معاملتهم له في عبادته مع انفسهم وخفض اجنحتهم
للمؤمنين وكونهم اقواماً مستضعفين اشارة الى امتثالهم ومعاملتهم له في خلقه ولفظ الاجنحة مستعار من
الطائر ليد الانسان وجانبه باعتبار ما هو محل البطش والنفرة وخفض الجناح كناية عن لين الجانب
وقال ابن عباس في قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين اي ارفق بهم ولا تغلظ عليهم قال والعرب
تقول لمن كان ساكناً وقوراً انه خافض الجناح وقوله قد اختبرهم الى قوله بالمكاره اشارة الى انه
اعدهم بانواع الشقاوة الدنيوية من الجوع والمشاق والخوف والمكاره والتنفير بها من الدنيا
للاقبال عليه تعالى ومحبة ما عنده من الثواب الجزيل وقد عرفت معنى ابتلائه تعالى لعباده واختباره
لهم غير مرة وقوله فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد الى قوله الاختيار اي لا تعتبروا رضاه تعالى
عن عباده باعطائه لهم المال والولد وسخطه عليهم بمنعهم ذلك وكانه جواب اعتراض مقدر كان
قائلاً قال فاذا كانوا هؤلاء خواصه واهل طاعته ورضاه فلم امتحنهم بالشدائد وابتلاهم بالمخاوف
والمكاره ولم يعطهم الاموال والاولاد كما قال فرعون لموسى عليه السلام فلولا القي عليه اسورة من ذهب
وكما قالت كفار قريش او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها فاجاب عليه السلام بان ذلك الوهم
لجهل بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والافتقار اي ان الاختبار كما يكون بالفقر والمشاق
والمكاره كذلك يكون بالمال والولد وليس المال والولد من الخيرات التي يعجل في الدنيا لمن يعطى اياها
كما يزعمون واستشهد على ذلك بقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم
في الخيرات بل لا يشعرون اي يحسبون انا نعجل في تقديم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم حتى بسطنا لهم الرزق
واكثرنا لهم الاولاد وهم بل لا يعلمون ان ذلك استدراج لهم من الله ومحنة وابتلاء وجملة نسارع المفعول له
وقوله فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين الى قوله في اعينهم كلام منقطع يستدعي ابتداء يكون معللا به
وقد ضل الرضي رحمه الله فيه وبين ما قبله فصل لكنه يبان النتيجة آخر من ابتداء الله تعالى عباده المستكبرين
في انفسهم واختبارهم باوليائه المستضعفين وهم الانبياء في اعينهم اي في اعين المتكبرين فهو في معنى

المكبرين في هذه معنى ما قبله وفيه تنبيه على بعض اسراره تعالى في خلقه لسائر انبيائه واوليائه مستضعفين
وهو ان يبتلي بهم المتكبرين عن عبادته في ارضه كما سيشير اليه عليه السلم من الحكمة في خلقهم كذلك ثم ضرب
مثل ذلك الابتلاء في موسى وهرون عليهما السلم حين دخلا على فرعون يدعوانه الى الله تعالى وذلك
قوله ولقد دخل الى قوله ولبسه روى الطبري في تاريخه ان موسى وهرون قدما مصر حين بعثهما
الله الى فرعون فمكثا سنتين يغدوان على بابه ويروحان يلتمسان الاذن عليه فلا يعلم بهما ولا
يجترى احد ان يخبره بشأنهما وكانا يقولان في الباب انا رسول رب العالمين الى فرعون حتى دخل
عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال ايها الملك ان بالباب رجلا يقول قولا عجيبا ويزعم ان له الها غيرك
فقال ادخلوه فدخل وبيده عصاه ومعه اخوه هرون فقال انا رسول رب العالمين وذكر تمام الخبر
وصرح قصتهما ومحاورتهما مستوفي في القرآن الكريم كسورة الشعراء والقصص وغيرهما والذي
ذكره عليه السلم منها واضح وبين وقال كعب كان موسى عليه السلم من رجال شنوءة وكان آدم طوالا
وكان اخوه هرون اطول منه واكثر لحما واشد بياضا واغلظ الواحا واسن من موسى بثلث سنين
وكانت في جبهة هرون شامة وفي طرف ارنبة موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم يعرف احد
قبله ولا بعده كذلك وهي العقدة التي ذكرها الله تعالى قال وفرعون موسى هو فرعون يوسف عم
عمر اكثر من اربعمائة سنة واسمه الوليد بن مصعب واكثر غيره ذلك وقالوا هو غيره وقبض هرون
قبل موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة وبقي موسى بعده ثلث سنين ومات في سنة يوم مات
فاما شرطهما لفرعون بقاء ملكه باسلامه فلما علمه من كون النواميس الشرعية والتمسك بها والعمل بقوانينها
نافعا لحال ابناء النوع الانسان وسببا لصلاح معاشهم ومعادهم وبانتظام شمل مصلحتهم باستعمال
تلك القوانين يكون بقاؤهم وثبات دولهم وملكهم ودوام عزهم فاما استنكاره فشرطهما دوام
العز والملك باسلامه وتعجبه منهما في ذلك فمنشؤه اعتقاده الجهل ان مبدأ التمكن من ذلك الشرط
والقدرة على الوفاء به هو الغنى وجمع المال فلذلك احتقرهما من حيث كانا بزي الفقر والذل ولبس
الصوف وليس عليهما آثار الغنى والمال وهو التحلي باساورة الذهب فكان اعظام الذهب
ولبسه الذي هو شعار الغنى واحتقار الصوف ولبسه مما هو شعار الفقر سببا لما لزم عن ذلك
الاستنكار والتعجب وقوله ولو اراد الله سبحانه بانبيائه الى قوله معاينتها قياس اقتراني من الشكل
الاول من متصلتين احديهما قوله ولو اراد الله الى قوله لفعل والثانية قوله ولو فعل لسقط البلاء الى
آخره والنتيجة انه لو اراد الله بانبيائه ذلك لزمت المحالات المذكورة وبيان الملازمة في الصغرى
ان الامور المعدودة وهي فتح كنوز الذهب ومعادنه ومغارس الجنان وحشر الطير والوحش
امور ممكنة في انفسها والله سبحانه قادر على جميع الممكنات وعالم بها فلو حصل مع قدرته عليها الارادة
وقوعها عن قدرته كان مجموعها مستلزما لوقوعها عنها واما الكبرى فانه جعل مقدمها وهو فعله
لتلك الامور ملزوما لامور ثلثة احدها انه كان يسقط البلاء اي ذلك البلاء المشار اليه وهو بلاء

المكبرين

المكبرين بالمستضعفين من اولياء الله وهو ظاهر الاستخفاف يقبلون به اذن وذلك ان الانبياء
كانوا ينقطعون الى الدنيا عن جناب الله فينقطع عنهم الوحي كما سيشير اليه عليه السلم وحتى ينقطع الابتلاء بهم
وبما انواع من التكليف ولذلك يسقط عن الانبياء بالفقر والصبر على اذى المشركين من المكذبين لهم بالضرب
والقتل الثالث وكان يبطل الجزاء اي جزاء العبادات والطاعات اما لسقوط البلاء بها او لان الطاعات
اذن تكون عن رهبة او رغبة فيسقط الجزاء الاخروي عليها ولذلك يبطل جزاء الانبياء الذين كانوا يستحقونه
بجب فقرهم وصبرهم عليه الثالث وكان يضمحل الانباء اي الاخبار الواردة من قبل الله تعالى على السنة
رسله والوحي اليهم وذلك لما علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما تبعد من الاخرى
والانبياء عليهم السلم وان كانوا اكمل الخلق نفوسا واقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانية كما
اشرنا اليه الا انهم محتاجون ايضا الى الرياضة التامة بالاعراض عن الدنيا وطيباتها وهو الزهد الحقيقي
والى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء لنفوسهم المطمئنة بالعبادة التامة كما هو المشهور من احوالهم صلى الله
عليهم فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يربط على بطنه الحجر من الجوع وبجبينه المشبع لانه كان لا يقدر
على شيء بالكلية وكان يرقع ثوبه لعدم قدرته على ثوب يلبسه وكان يركب الحمار العاري ويردف
خلفه لا بعجزه عن فرس يركبه وغلام يمشي معه وكيف وقد تورد ويده هذه القطعة العظيمة من المعمورة
بل ذلك وامثاله مما سيحكيه عنه عليه السلم في آخر هذه الخطبة زهادة في الدنيا واعراض عن متاعها
وزينتها لانه صلى الله عليه وآله وجد من الكمالات العقلية والموعودة ما هو اشرف واعلى من هذه الكمالات
الحسية الفانية وعلم ان الوصول الى تلك الكمالات لا يتم ولا يتحقق الا بالاعراض عن هذه فرفض ما هو
اخس في جنب ما هو اشرف ولذلك قام صلى الله عليه وآله في العبادة حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول
الله اليس قد بشرك الله بالجنة فلم تفعل ذلك قال افلا اكون عبدا شكورا وذلك لعلمه ان الاستعداد
بالشكر يفيد كمالا اعلى وازيد مما اوتيه واذا كان حال اشرف الانبياء واكملهم كذلك فما ظنك بسائرهم
مع علمهم ان تركهم للدنيا وعدم اشتغالهم بها شرط في بلوغهم درجات الوحي والرسالة وتلقي اخبار
السماء وانهم لو خلقوا منغمسين في الدنيا وفتحت عليهم ابوابها فاشتغلوا بتبعاتها لانقطعوا اليها عن حضرة
جلال الله واضمحل بسبب ذلك عنهم الانباء وانقطع عنهم الوحي وانحطوا عن مراتب الرسالة وقال بعض
الشارحين اراد باضمحلال الانباء سقوط الوعد والوعيد والاخبار عن احوال الجنة والنار واحوال القيمة
وهو لازم من لوازم سقوط النبوة فيكون راجعا الى ما قلناه الرابع ولكان لا يجب للقابلين اجور المبتلين
اي قابلي النبوة منهم اجور المبتلين بالتكذيب والاذى الخامس وكان لا يستحق المؤمنون ثواب
المحسنين بمجاهدة الشيطان عنها وتطهيرها عن الرذائل والتحلي بالفضائل وذلك لان ايمانهم بهم يكون
عن رغبة او رهبة كما علمته لا عن حقيقة واخلاص لله السادس ولا لزمت الاسماء معانيها روي
بنصب الاسماء على ان تكون هي المفعول ومعانيها الفاعل والمعنى انه لم تكن المعاني لازمة للاسماء
فمن سمي بها مثلا من سمي مؤمنا لا يكون معنى الايمان الحق لازما لمسمى هذا اذ كان ايمانه لحفظ

عن ربه او رهبة وذلك من يرى مسلما او نرى ابدا بل من يرى متنا او مرسولا لايكون من الحقيقة لا انقطاع النبوة
والرسالة عنه ومن ثم لسنح الرضى به يبرح الاسماء والمراد انها كانت تنفك عنها فصدق الاسماء بدون نسبتها
وهو كالاول وبيان هذه اللوازم طرف كبرى القياس والنتيجة اذن متصلة مقدمها قوله لو اراد الله
الى قوله الا رضيتم وتاليها قوله لسقط البلاء الى قوله معا بينا وحاصل النتيجة انه كان يلزم من ارادته تعالى
بانتيابه تلك الامور وقوع جميع هذه المفاسد ثم يرجع البيان الى استثناء نقيض تالي هذه النتيجة لاستثناء
نقيض مقدمها وهو ان هذه المفاسد لم توجد وليس مما ينبغي ان توجد فلذلك لم يرد بهم تلك الامور
وقوله ولكن الله سبحانه جعل رسله الى قوله الذي كان اللازم لنقيض مقدم النتيجة المذكورة ذكره بعد
بيان انه اذ كان الله تعالى لم يرد بعث انبيائه في ذلك الوجه اراد بعثهم في هذا الوجه وهو ان
جعلهم اصحاب قوة في عزائمهم واجماع في انفاذ ما امروا به وتبليغ رسالات ربهم ولذلك سموا
اولو العزم لمضاء عزائمهم وقوتهم في دين الله بالقتال والمجاهدة والصبر على الاذى وجعلهم مع ذلك
ضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم من المسكنة والذل والفقر والقناعة والصبر على العري والجوع
واستعار وصف الملا للقناعة باعتبار استلزامها لقوة غناهم وقلة حاجتهم الى شيء من متاع الدنيا
بحيث لا تميل نفوسهم ولا تحنو عيونهم الى شيء من زينتها وقيناتها كأنها قد امتلأت فلا تسع شيئا من
ذلك فتطلبه وكذلك الخصاصة باعتبار استلزامها لقوة الاذى في اسماعهم وابصارهم اذ الجوع المفرط
مستلزم للاذى في القوتين لتحلل الارواح الحاملة لهما وضعفهما فكان الاذى حشو ابصارهم واسماعهم
بحيث لا يتسع لغيره كل ذلك طلب لكمال الاستعداد لما علمت ان البطنة تذهب الفطنة وتورث
القسوة وتزيل الرقة وتستلزم رذائل كثيرة لا دواء لها الا بالخصاصة والقناعة فضيلة تحت العفة
وقوله ولو كانت الانبياء مقدمة متصلة اخرى هي كبرى قياس من الشكل الاول ايضا من متصلتين مقدم
مقدم الصغرى منها مقدم كبرى القياس الاول وهو قوله ولو فعل وتاليها مقدم هذه الكبرى
وتقدير الكلام وانه تعالى لو فعل بانبيائه ما ذكرناه لكانوا اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام و
قد نحوه الاعناق ولو كانوا كذلك لكان في كونهم كذلك مفاسد اخرى فينتج انه لو فعل بانبيائه ما ذكرناه
لزمت مفاسد اخرى احدها ان يكون ذلك اي ما حصلوا عليه من العز والملك اهون على الخلق
واسهل من حيث ان اعتبارهم لما يدعونهم اليه اسهل واجابتهم الى دعوتهم اسرع اذ كانت الملوك
في اعتبار الخلق اجلاء ان يطاعوا فلا تصعب عليهم اجابتهم كما تصعب اجابة الفقراء الذين يدعونهم
المتكبرين الثاني وابعد لهم عن الاستكبار وهو ظاهر لان الملوك ابعد من ان يتكبر عليهم الناس
وما تقدم من طاعتهم فيقع لم يكن للخلق ثواب من نزل رذيلة الكبر عن مجاهدة نفسه في نزل تلك الرذيلة
الثالث ولامنوا عن رهبة قاهرة لهم اي كان الايمان او رغبة مائلة بهم اليه فلم تكن نياتهم وحسناتهم
خالصة لله بل هي مشتركة ومقسمة بعضها له وبعضها للرغبة وبعضها للرهبة ومع ذلك لا يكون لهم ثواب
من جاهد ابليس فقهره وقمع نواجم وسوسته وجاذبته عن سبيل الله فاستعد بذلك لخيرات الباقية

دوز

وقوله وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه عقد الرحال كنايتان عن قوته وعظمته لان الملك اذا
كان عظيما قويت الامال فيه وتوجهت نحوه وامتدت اعناق الرجال اليه بالرجاء وشدت عقد الرحال
اليه وقوله ولكن الله سبحانه الى قوله شائبة كالمقدمة الصغرى في بيان ان القسم الاخير من التالي
ليس مما ينبغي ان يكون ويراد منه تعالى كانه قال لو جعل الله تعالى الانبياء اهل الملك والعز لكان ايمان
الخلق بهم اما لرغبة او رهبة فكانت النيات والايمان والعبادة منهم مشتركة غير خالصة لله وذلك
مفسدة ليس مما ينبغي ان تكون ولا ان تراد منه تعالى لانه تعالى انما اراد ان يكون ايمانهم بالرسل
واتباعهم لهم وتصديقهم لما جاءوا به من كتبه وامروا به من الخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام
لطاعته امورا له خاصة لا يشوبها من غيره شائبة رغبة ورهبة وتقدير الكبرى وكل ما اراده
اخلاصه له فليس مما ينبغي ان يكون مشتركا بينه وبين غيره ولا مشوبا بشائبة غيره فينتج ان ايمانهم
باقسامه ليس مما ينبغي ان يكون مشتركا او مشوبا بشائبة رغبة او رهبة وقوله وكلما كانت البلوى
الى قوله اجزل يحتمل ان يكون كبرى قياس بين به ان الاجزاء الثلاثة للتالي وهو قوله لكان ذلك
اهون الى آخره ليس مما ينبغي ان يكون وتقدير البيان ان ذلك مستلزم كون الاعتبار معا اهون
على الخلق وان يكونوا معه ابعد عن الاستكبار وان يؤمنوا عن رغبة او رهبة وهذه الامور ليس مما
ينبغي ان تكون وانما قلنا ذلك لان نقائضها وهي مشقة الاعتبار على الخلق وقربهم من الاستكبار
وخلوص ايمانهم لله مما ينبغي ان يكون وبيان ذلك ان مع هذه الامور يكون البلوى والاختبار
عليهم اعظم وذلك هو صغرى القياس ثم نقول وكلما كانت البلوى والاختبار لهم اعظم كانت
المثوبة والجزاء على الايمان والطاعة مع تلك البلوى اجزل فينتج ان مع الاعتبار والقرب من
الاستكبار واخلاص الايمان تكون المثوبة لهم والجزاء على الايمان والطاعة اجزل ويحتمل ان يكون
من تمام البيان الاول كانه قال ولكنه تعالى اراد ان تكون هذه الامور خالصة له لا يشوبها شائبة
وذلك الاخلاص وان كانت فيه مشقة وكانت البلوى فيه عظيمة الا انه كلما كانت البلوى اعظم
كان الثواب فيها اجزل ثم اردف ذلك بالشبه على صدق هذه المقدمة بالمثال وذلك قوله الا
ترون الى قوله ووصلا الى حرمه واراد بالاحجار التي بني بها البيت الحرام وقوله جعله للناس
قياما اي مقيما لاحوالهم في الآخرة يقال فلان قيام اهله وقوام بيته اذا كانت به استقامة احوالهم
وكونه كذلك اقل بقاع الارض مدرا لان الحجرية اغلب عليها وانما اتى بارمال اللينة في معرض الذم
لانها ايضا مما لا يزكو بها الدواب لان ذوات الحافر ترسخ فيها وتتعب في المشي بها قال
الشارحون واراد بالخف والحافر والظلف ذواتها وهي الجمال والخيل والغنم والبقر مجازا
اطلاقا لاسم الجزء على الكل او على تقدير ارادة المضاف واقامة المضاف اليه مقامه واراد
بكونها لا تزكو اي لا تسمن وتزيد للجدب وخشونة الارض والضمير في به راجع الى ما دل عليه
او عن الموصوف فانه اراد بواد او عن بقاع الارض حجرا كما قال اني اسكنت من ذريتي بواد

غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقوله ثم امر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه قد دل كلامه عليه السلام على ان
البيت الحرام كان منذ آدم عليه السلام والتواريخ شاهدة بذلك وقال الطبري روي عن ابن عباس
ان الله تعالى اوحى آدم لما اهبطه الى الارض ان لي حرما حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم طف به
كما رايت ملائكتي تحف بعرشي فهنالك استجيب دعاءك ولا اهتدي اليه فبعث الله تعالى ملكا
فانطلق به نحو مكة فكان آدم كلما راى روضة او مكانا يعجبه سال الملك ان ينزل به هناك ليبني فيه
فيقول له الملك ليس هنا حتى اقدمه مكة فبنى البيت من خمسة جبال طور سينا وطور زيتون ولبنان
والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات واراه المناسك كلها
التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند وقيل انه
حج على رجليه الى الكعبة اربعين حجة وروي عن وهب بن منبه ان آدم دعا ربه فقال يا رب اما لارضك
هذه عامر يسبحك فيها ويقدسك غيري فقال له تعالى اني ساجعل فيها من ولدك من يسبح
ويقدسني وساجعل فيها بيوتا ترفع لذكري يسبحني فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وساجعل من تلك البيوت
بيتا اخصه بكرامتي واوثره باسمي فاسميه بيتي واعليه بعظمة جلالتي وخصصته بعظمتي وانا مع ذلك
في كل شيء ومع كل شيء اجعل ذلك البيت حرما امنا يحرم بحرمته من حوله وما حوله ومن تحته ومن فوقه فمن
حرمه بحرمتي استوجب كرامتي ومن اخاف اهله فقد اباح حرمتي واستحق سخطي واجعله بيتا مباركا
يأتيه بنوك شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا من اعتمده
لا يريد غيره ووفد الي وزارني واستضاف بي اسعفه بحاجته وحق على الكريم ان يكرم وفده
واضيافه تعمره يا آدم ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا
بعد قرن ثم امر آدم ان ياتي البيت الحرام فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش
وبقي اساسه بعد طوفان نوح حتى بواه الله لابراهيم فبناه ولنرجع الى المتن فنقول انه كنى بثني اعطافهم
نحوه عن التفاتهم اليه وقصدهم له وقوله فصار مثابة لمنتجع اسفارهم اي مرجعا لمنتجع من اسفارهم
اي يطلب منه النجعة والخصب كما قال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وكقوله تعالى
ليشهدوا منافع لهم وذلك انه مجمع الخلق وبه يقام الموسم ايام الحج فيكون فيه التجارات والارباح
كما اشار اليه في الخطبة الاولى وقوله كونه غاية لملقى رحالهم اي مقصد القصد وقوله تهوي اليه
ثمار الافئدة [illegible] تميل وتسقط وهوى الافئدة ميلها ومحبتها الا انه لما كان الذي يميل الى الشيء
ويحبه كانه يسقط اليه ولا يملك نفسه استعير لفظ الهوى لحركة الى المحبوب والسعي اليه واما ثمار
الافئدة فقال بعض الشارحين ثمرة الفؤاد سويداء القلب ولذلك يقال ثمرة الفؤاد واقول
يحتمل ان يكون لفظ الثمار مستعارا للخلق باعتبار ان كلا منهم محبوب لاهله واباءه فهو كالثمرة للاجلة
لافئدتهم من حيث هو محبوب لهم كان افئدتهم ومحبتهم له قد اثمرته من حيث انها اكادت تربيته والقيام
به حتى يستوي انسانا كاملا ويحتمل ان يريد بثمار الافئدة الاشياء المحبة من كل شيء كما قال تعالى يجبى

اليه

اليه ثمرات كل شيء ووجه اضافتها الى الافئدة انها لما كانت محبوبة مطلوبة للافئدة التي هي محبها تحصل
كما تحصل الثمرة من اصلها اضيفت اليها والاضافة يكفي فيها ادنى سبب ونحوه قوله تعالى فاجعل افئدة من
الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات ولما استعار لفظ الهوى رشح بذكر المهاوي اذ من شان
الهوى ان يكون له موضع وعميقة صفة للفجاج كما قال تعالى ياتين من كل فج عميق ووصف العمق لها باعتبار
طولها والانحدار فيها من اعالي البلاد الى مكة ووصف الجزائر بانها تنقطع لان البحر يقطعها عن سائر الارض
والبحار وتحيط بها وحتى غاية من قوله تهوي ومعنى اللام وكنى بهز مناكبهم عن حركاتهم نحو الطواف بالبيت
اذ كان ذلك من شان المتحرك بسرعة و[illegible] ذلول والنصب على الحال من الضمير في تهز وقال بعضهم
يحتمل ان يكون من مناكبهم وذلك موضع يكون النصب على الحال وكذلك شعثا وغبرا من الضمير في يهلون
وكنى بنبذهم السرابيل وراء ظهورهم عن طرحها ولبسها وتشويههم باعفاء الشعور محاسن خلقهم لان حلق
شعر المحرم او نتفه والتنظف منه حرام يجب فيه الفدية وظاهر ان اعفاء الشعور يستلزم قبح الخلقة
وتشويهها وتغيرها عما هو معتاد من تحسينها بحلقه وازالته وقوله ابتلاء وامتحانا واختبارا وتمحيصا
منصوبات على المفعول له والعامل فيه قوله امر الله آدم ويحتمل ان يكون على المصدر كل عن فعله
وعدد هذه الالفاظ وان كانت مترادفة على معنى واحد تاكيدا وتقريرا لكون الله تعالى شدد عليهم
في البلوى بذلك ليكون استعدادهم بتلك التقوى العظيمة لثواب اتم واشد فيكون الجزاء لهم افضل
واجزل فلذلك قال جعله سببا لرحمته ووصلة الى جنته اي سببا معدا لافاضة رحمته المستلزم
الوصول الى جنته وقد تاكد بهذا المثال صدق قوله وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كان الثواب
اجزل لان الله سبحانه لما اختبر عباده بامر الحج ومناسكه التي تستلزم شغل الابدان واحتمال المشاق
الكثيرة المتعبة في الاسفار من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا عنده ونزع التكبر حتى
كانه لم يوضع الا لقلع الكبر من الاعناق مع ما في حركات مناسكه ومباشرته من المشاق المتكلفة
مع كونه كما ذكر احجارا لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ولا جرم كان الاستعداد بتقبل آثار
وافاضة رحمته اتم من اكثر وجوه الاستعدادات لسائر العبادات فكان الثواب عليه وارجح
النازل بسببه اتم واجزل وقوله ولو اراد الله الى قوله ضعف البلاء صغرى قياس ضمير استثنائي
حذف استثناؤه وهي نتيجة قياس آخر من متصلين تقدير صغراها انه لو اراد ان يضع بيته الحرام
بين هذه المواضع الحسنة المبهجة لفعل وتقدير الكبرى ولو فعل لكان يجب منه صغر قدر الجزاء
على قدر ضعف البلاء وتقدير استثناء هذه المتصلة لكنه لا يجب منه ذلك ولا يجوز لان مراد الله
الاكثر مضاعفة الثواب وبلوغ كل نفس غاية كمالها وذلك لا يتم الا بكمال الاستعداد بالشدائد
والمشاق فلذلك لم يرد ان يجعل بيته الحرام في تلك المواضع لاستلزامها ضعف البلاء وكنى
بدنو الثمار عن سهولة تناولها وحصولها بالتفاف البنى عن تقارب بعضه من بعض والبرة
واحدة البر وقد يقام مقام اسم الجنس فيقال هذه برة حسنة ولا يراد بها الحبة الواحدة

واعتبار الثمرة لها لان وصفها بعد الخضرة الثمرة وقوله ولو كانت الاساس الى قوله من الناس في تقدير جار مع
ضمير آخر استثنائي كالذي قبله وتلخيصه انه تعالى لو جعل الاساس المحمول عليها بيته الحرام من هذه الاحجار
المنيرة المضيئة الثمينة لخفف ذلك مضارعة الشك في الصدور وايراد شك الخلق في صدق الانبياء
وعدم صدقهم وشكهم في ان البيت بناه الله اوليس فانه على تقدير كون الانبياء عليهم السلام بالحال الموصوفة
من الفقر والذل وكون البيت الحرام من هذه الاحجار المعتادة يقوى الشك في كونهم رسلا من عند الله
وفي كون البيت بناه وعلى تقدير كونهم في الملك والعز وكون البيت من الاحجار النفيسة المذكورة
ينتفي ذلك الشك اذ يكون ملكهم ونفاسة تلك الاحجار من الامور الجاذبة اليهم والداعية الى المجيء والمسارعة
الى تصديقهم والحكم لكون البيت بيت الله لمناسبة في كمال ما نسبه الانبياء الى الله سبحانه من الوصف بالكمال
طرف النقيض ولكون الخلق اميل الى المحسوس واستعار لفظ المصارعة هنا لمغالبة بين الشك واليقين في صدق
الانبياء والشك في كذبهم فان كلا منهما يترجح على الآخر ولذلك كان وضع مجاهدة ابليس عن القلوب لان
الايمان لكونه بناه يقتضي حجه والقصد اليه لا يكون من مجاهدة ابليس في تصديق الانبياء في ذلك
وفي وجوب عبادة الله بل لعزة البيت وحسن بنائه وميل النفوس الى شريف جواهره لكن هذه
الامور وهي مضارعة الشك ومجاهدة ابليس معتلج الريب لا يخف ولا تنتفي لكونها مرادة من الحكمة
الالهية لاعداد النفوس بها لتدرك الكمالات الباقية والسعادات الدائمة فلذلك لم يجعل تعالى بنيان
بيته من تلك الاحجار النفيسة وقوله ولكن الله تعالى يختبر عباده الى قوله المكاره استثناء لعلة النقيض المذكورة
فيقوم مقام استثناء مضارعة الشك ومجاهدة ابليس من جملة انواع الشدائد والوان المجاهدة والمشاق
والاختبار لعباده بها على وجوهها وقوله اخراجا للتكبر الى قوله لعفوه اشارة الى كونها اسبابا
غائية من العناية الالهية لاعداد النفوس لاخراج الكبر منها واخاضة ضده وهو التذلل والتواضع عليها
والى كونها اسبابا معدة لفضله وعفوه واستعار لفظ الابواب لها باعتبار الدخول منها الى
رضوان الله وثوابه ولفظ الذلل لكون الدخول منها الى ذلك سهلا محسوسة لا مانع عادي التحذير
من الله تعالى في البغي والظلم وعاقبته وحاصل الكلام انه جعل عاجل البغي واجل الهلاك الحاصل
عنه وسوء عاقبة الكبر محلا للحذر من الله تعالى وذلك باعتبار وعيده تعالى عند التلبس بالبغي والظلم
في تلك الحال اي ما يستلزمه من الهلاك في الآخرة وما يستلزمه الكبر من سوء العاقبة والضمير في قوله
فانها المصيدة ابليس فضل الله اراد في رته يعود الى الجميع من البغي والظلم والكبر وان لم يجر لها ذكر وقال
هذه الضمير بكبر وانما انثه باعتبار جعله مصيدة فكبر باعتبار انه يصير الداخل فيه من حزب ابليس
وفي حقيقته كالشبكة وحبائل الصائد ووصفها بالعظم باعتبار قوته وكثرة ما يستلزمه من الرذائل
ولذلك استعار لفظ المكيدة الكبرى باعتبار ما هو سبب قوي في جذب الخلق الى الباطل و
ضلالهم عن طريق الله كالحيلة والخدعة واستعار وصف المساورة لها باعتبار موانية النفوس
ومغالبته لها بالكبر وذلك انه اشارة يلقي اليها تحسين الكبر وتزيينه فتنفعل عنه وتقبل الكبر وتلك

هي الوثبة من جانبه وتارة يقوي النفس عليه فيرده وسوسته ويقمعه وتلك الوثبة من قبلها ثم شبه مساورته
للقلوب بالكبر بمساورة السموم القاتلة للطبيعة البدنية وكنى من وجه الشبه بقوله فما يكدي ابدا ولا يشوي احدا
اي ان مساورته بالكبر لا تكاد تقابلها بالقاء دفعها من العقول ويمنع تأثيرها في النفوس كما لا يكاد يقاوم مواد
السموم القاتلة شيء من طبائع الحيوان ولا تكاد تخطئ المقاتل كما لا تخطئ السموم وحركاتها في الابدان مقاتلها وتحمل
ان يكون وجه الشبه كون مساورته غالبة قوية كمساورة السموم للابدان ويكون قوله لا يكدي ابدا ولا يشوي
احدا استعارتين لوصف السم الذي لا يكاد يقف دون المقاتل ولا تخطئها تلك المساورة باعتبار انها
لا تخطئ رميها القلوب بسهام الكبر والبغي وساير ما يلقي من الوساوس المهلكة وقوله لا عالما لعلمه ولا مقلا
في طمره اي ان هذه الرذيلة تؤثر في نفس العالم في علمه والفقير في فقره فلا يرد في العالم علمه اثارها فيه
ولا المقل الفقير في طمره لمنافاة حاله في فقره وقوة الكبر وقوله وعن ذلك ما حرس الله الى قوله لا تشبه
في الامور التي حرس الله تعالى بها عباده من هذه الرذيلة وجعلها اسبابا للتحرز من نزغات الشيطان بها
واشار الى ثلثة منها وهي الصلوات والزكوة ومجاهدة الصيام في الايام المفروض صومها اما الصلوات
فلكونها باجزائها واوضاعها منافية للكبر اذ كان مدارها على التخضع والخضوع والخشوع والركوع وكل واحد من
هذه الاجزاء بكيفياته وهيآته موضوع على التذلل والتواضع والاستسلام لعزة الله وعظمته وتصور كماله
وتذكر وعده ووعيده واهوال الموقف بين يديه وكل ذلك ينافي الكبر والتعظم والى ذلك اشار بقوله
تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم الى قوله تصاغرا ونصب تسكينا وتصغيرا وتخشيعا وتذليلا وتخفيضا
وادهابا على المفعول له والعامل ما دل عليه قوله حرس من معنى الامر اي حرسهم بهذه وامرهم بكذا
وكذا وانتصب تواضعا وتصاغرا على المصدر ان لعقوا الصاق فاما الزكوات فوجه منفعتها
في رفع هذه الرذيلة امران احدهما انها شكر النعم المالية كما ان العبادات البدنية شكر النعم البدنية
والظاهر ان شكر النعم مناف للتكبر على المنعم والاستنكاف عن عبادته الثاني ان من اوجب عليه
الزكوة يتصور قدرة موجبها وسلطانه وقدره على اخراجها فينفعل عن حكمه ويتصور تحت اوامره مع
تصوره لغايته المطلق وذلك مناف لتكبره واستنكافه عن عبادته واما مجاهدة الصيام فلما فيها
من المشقة الشاقة ومكابدة الجوع والعطش في ايام الصيفية كما كنى عنه عليه السلم بقوله والصاق
البطون بالمتون من الصيام والانسان في كل تلك الاحوال متصور لجلال الله وعظمته وانما يفعل
ذلك امتثالا لواجب امره وخضوعا تحت سلطانه وذلك مناف للكبر والترفع وقد علمت ما في الصوم
من كسر النفس الامارة بالسوء كما قال صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم
فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك ان وسيلة الشيطان هي الشهوات ومبدأ الشهوات وقوتها مداوة
الاكل والشرب وتضييق مجاريه بتقويته ويكسر نواجم وسوسته بالرذائل من العبد وتسكين حركات
الاطراف التي مبادئها تلك الوساوس وتخشع الابصار وذل النفوس وتخفيض القلوب وقوله
مع ما في الزكوة الى قوله الفقير اشارة الى سر آخر من اسرار الزكوة وهو ظاهر وقد ذكرنا اسرارها

مستقصاة في الفصل الذي اولا ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله اه باعتبار ما تنخذه الافعال
اي التي تقع في الصلوة والزكوة والصيام من تعفير عتائق الوجوه والصاق كرائم الجوارح وهي الايدي
والارجل ولحوق البطون بالمتون الى غير ذلك من الافعال المستلزمة للتواضع والتذلل تاكيدا لما قرره اولا
من كون هذه العبادات حارسة لعباد الله عن رذيلة الكبر وبالله التوفيق **الفصل الرابع**
في توبيخهم على العصبية من غير سبب يعرف او حجة يقبلها عقل وامرهم بالتعصب لمحامد الاخلاق
ومكارمها وتحذيرهم من العقوبات النازلة بمن قبلهم من الامم والنظر في عاقبة امرهم وغير ذلك من الامور
الواعظة وذلك قوله ولقد نظرت فما وجدت احدا من العالمين يتعصب لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل
تمويه الجهلاء او حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة اما ابليس
فتعصب على آدم عليه السلام لاصله وطعن عليه في خلقته فقال انا ناري وانت طيني واما الاغنياء من مترفة
الامم فتعصبوا لآثار مواقع النعم فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فان كان ولا بد
من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الاخلاق ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء
والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل بالاخلاق الرغيبة والاحلام العظيمة والاخطار
الجليلة والآثار المحمودة فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية
للكبر والاخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب
الفساد في الارض واحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكروا
في الخير والشر احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم فاذا تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كل امر لزمت
العزة به حالهم وزاحت الاعداء له عنهم ومدت العافية فيه عليهم وانقادت النعمة له معهم ووصلت
الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للالفة والتحاض عليها والتواصي بها واجتنبوا كل
امر كسر فقرتهم واوهن منتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الايدي
وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء الم يكونوا اثقل الخلائق
اعباء واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم
المرار فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة في امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى
اذا راى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق
البلاء فرجا وابدلهم العز مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وائمة اعلاما و
بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة و
الاهواء مؤتلفة والقلوب معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة
الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين وملوكا على رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه في آخر امورهم
حين وقعت الفرقة وتشتتت الالفة واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين
قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين منكم

واعتبروا

فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق وبني اسرائيل عليهم السلام فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال
تاملوا امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم يحتازونهم عن ريف
الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين
اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا لا ياوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل
الفة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل واطباق جهل
من بنات موؤودة واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله
سبحانه عليهم حين بعث اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم
جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها والتفت الملة بهم في عوائد بركتها فاصبحوا في نعمتها غرقين
وعن خضرة عيشها فكهين قد تربعت بهم الامور في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال الى كنف عز غالب
وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون
الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم
صفاة الا وانكم قد نفضتم ايديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم باحكام الجاهلية
فان الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة التي ينتقلون في ظلها
وياوون الى كنفها بنعمة لا يعرف احد من المخلوقين لها قيمة لانها ارجح من كل ثمن واجل من كل خطر
واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة اعرابا وبعد الموالاة احزابا ما تتعلقون من الاسلام الا باسمه
ولا تعرفون من الايمان الا رسمه تقولون النار ولا العار كانكم تريدون ان تكفؤا الاسلام
على وجهه انتهاكا لحريمه ونقضا لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرما في ارضه وامنا بين خلقه وانكم ان
لجاتم الى غيره حاربكم اهل الكفر ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا مهاجرين ولا انصار ينصرونكم الا
المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم وان عندكم الامثال من باس الله تعالى وقوارعه وايامه ووقائعه
فلا تستبطؤا وعيده جهلا باخذه وتهاونا ببطشه وياسا من باسه فان الله سبحانه لم يلعن القرن
الماضي بين ايديكم الا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصي والحلماء
لترك التناهي الا وقد قطعتم قيد الاسلام وعطلتم حدوده وامتم احكامه **اقول** التمويه التلبيس
ولاط يليط بلصق ويختلط والسفه خفة العقل والمجداء جمع ماجد وهو كريم الآباء شريفهم والنجداء جمع نجيد
وهو ذو النجدة وهي خصلة تحت الشجاعة ويعاسيب القبائل ساداتها وزاحت بعدت والتحاض
التحاث والفقرة الواحدة من خرزات الظهر وروي فقرهم جمع فقرة والمنة القوة والتضاغن
التحاقد والتشاحن التعادي والتدابر التقاطع والتخاذل عدم التناصر والعباء الحمل واحدها عبء
وسمته كذا اولته اياه والمرار شجر مر اذا اكلت منه الابل قلصت عنه مشافرها والترادف
التعاضد والتعاون وغضارة النعمة طيبها والاحتياز الانقطاع عن الشيء والاخذ عنه والريف
الارض ذات الزرع والخصب ومهافي الريح جمع مهفاة وهي محل هفو الريح اي حركتها وهبوبها ونكد

المعاش ثقله وشدته والعائل جمع عائل وهو ذو العيلة وهي الفقر والوتر الحقد وفي بعض النسخ دبر
ودبر والدبر الجمع في ظهر البعير والاذل الضيق والموؤدة البنت تدفن في التراب حية وشن الغارة
فرقها من كل جانب واطراب العيش للسرور والفكر الاشرابط وتربيت احاديث واصلاح في
في السيح ويحتمل ان يريد تمك كالمترع بحلبته المخصوصة لكونها ذات ثلج والذرى جمع ذروة وهي
اعلى الجبل وعطف عليه وتعطف اذا اشفق عليه والتفت اليه باحسانه والخطر المنزلة والقدر والاعراب
سكان البادية وكف الاذى قطعه لوجه وانتهاك الحرمة اخذها بلا حل والمقارعة المضاربة فقوله
ولقد نظرت الى قوله عجبت في معرض التوبيخ لهم على تعصبهم الباطل الذي يتوربه الفتى مع انه
ليس لامر يعرف من وجه المنفعة والمصلحة الحاملة عليه ولفظ الا يقتضي حصر وجدانه لمن يتعصب
لشيء في وجدانه لم متعصبا عن علة بحيل لشبه الامر على الجهل بحيث لا يعلم شيئا يحمل التعصب
او عن حجة لمتعصق بقول السفها فقلها وهو مقتضى العقل اذ كان التعجب من غير موجب محال في
بداية العقول وتقدير الكلام فما وجدت احدا يتعصب الا وجدته يتعصب عن علة وقوله
عن كم استثناء من معنى الاثبات في الجملة المفيدة للحصر كانه قال وجدت كل احد يتعصب عن علة
الا انتم وقوله يتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة اي سبب يحمل التمويه على الجهل وعلة الحمق
بقول السفها ولم يرد نفي مطلق السبب اذ سبب تعصبهم وقد راى العصبية منهم هو الامر الذي
كان منهم وكان يقع من جاهلهم كما ذكرناه في باب الخطبة لكنه ترك الوصف هنا لتقدمه ثم اخذ
في تفصيل وجوه العصبية واسبابها فبدأ بذكر مبدأ العصبية ابليس وسبب عصبيته لاصل اعتقاده
لطف جوهره وشرفه اذ النار اشرف من الطين مع جهله بسر البشرية ووضع آدم علاقة للخلقة
وخلقته هيئته التي وضع عليها خلقه فلذلك فضل نفسه قياسا للفرع على الاصل في الشرف و
فقال انا ناري وانت طيني ولذلك قيل ان اول من قاس ابليس ثم تعصب الاغنياء والجهال
من مترفة الامم لكونهم تلامذة ابليس في العصبية واشار الى علة تعصبهم وهي آثار مواقع النعم و
مواقعها هي الاموال والاولاد وسائر ما يتمتع به كما قال تعالى حكاية عنهم نحن اكثر اموالا
واولادا وآثار تلك المواقع هي الغنى والترفه بها والتنعم والالتذاذ وكان تعصبهم لذلك
وفخرهم به ويجب ان يعلم ان الاموال والاولاد ليست نعما مطلقا لان النعم من الامور
الاضافية انما يقال بالنسبة الى منعم ومنعم عليه وليس المال مطلق لك ولا الولد باعتبار ذاته
بل انما يطلق عليها لفظ النعم باعتبار انتفاع الانسان بها حتى لو كانا سببا لهلاكه واذاه لم يكونا
بذلك الاعتبار نعما عليه وفتنة له فلذلك جعلها مواقع النعم اي محال قابلة لكونها نعما ويحتمل
ان يريد بالنعم الاموال والاولاد وبمواقعها وقوعها فانه كثيرا ما يريد بمفعل المصدر وآثارها
هي الغنى والترفه كما قدمناه ثم لما وبخهم على التعصبات الباطلة نبههم على مواقع العصبية وما ينبغي
ان يكون له وهي مكارم الاخلاق ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها اهل المجد

والشرف

والشرف والنجدة من بيوتات العرب وسادات القبائل والبا في قوله بالاخلاق متعلقة بتفاضلت فان
المذكورين تفاضلوا في محاسن الامور بالاخلاق الرغيبة اي المرغوب فيها وقد علمت فيما سبق اصول
الاخلاق الفاضلة وما تحتها من انواعها والحلم ملكة تحت الشجاعة وهي الاناة والرزانة عند الغضب
وموجباته والمفاضلة بالاخطار الجليلة مراعاة المراتب المحمودة ومنازل الشرف بالمحافظة على تلك
الاخلاق المحمودة وملازمتها وتلك المفاضلة بالآثار المحمودة يعود الى ملازمة الافعال الجميلة الموافقة
للاخلاق النفسانية كفعل البذل عن السخا وكفعل القرب مثلا مراعاة للعدل والوفا ثم امرهم بعد التنبيه
على تلك المكارم بالعصبية لها فقال فتعصبوا لخلال الحمد واشار الى تفصيلها فمنها حفظ الجوار وهي فضيلة
تتشعب عن فضيلتين لان حفظه يكون بالكف عن اذاه وذلك فضيلة تحت العدل ويكون بالاحسان اليه
ومصادقته ومسامحته ومواساته وتلك امور تحت العفة ومنها الوفا بالذمام وهو تحت العفة ومنها
الطاعة للبر والاولى ان يريد بالبر هنا ما اراد به القرآن الكريم بقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله الى قوله واولئك هم المتقون ولكن البر من اتقى
فان المراد في الآيتين القرينتين بالبر كمال الايمان والتقوى والاعمال الجميلة ومعنى طاعة البر التلبس
بهذه الافعال وملازمتها واعتقاد وجوبها ويحتمل ان يريد والطاعة للامر بالبر فحذف
الامر للعلم به وقد يطلق البر ويراد به العفة بذلك الاعتبار مقابلة الفجور ويحتمل ان يريد به هنا
ما يقابل العقوق وهو الشفقة على ذوي الرحم والاحسان الى الوالدين وهو داخل تحت العفة ومنها
المعصية للكبر والمراد معصية الكبر مجانبته مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب او معصية الامر
بالكبر وهو كناية عن التواضع وهو فضيلة تحت العفة والمعصية هنا مقابلة الطاعة ومنها الاخذ بالفضل
واراد استكمال الفضيلة ولزومها ويحتمل ان يريد بالفضل التفضل على الغير والاحسان اليه والخدمة
فيكون امرا بالاحسان والجود وهو فضيلة تحت العفة ومنها الكف عن البغي ويعود الى فضيلة العدل
ومنها تعظيم القتل وهو كناية عن تركه لما يستلزمه من رذيلة الظلم للوعيد عليه في الآخرة ويعود الى
فضيلة العدل ايضا وكذلك الانصاف للخلق هو لزوم العدل في معاملاتهم ومنها كظم الغيظ وهو فضيلة
تحت فضيلة الشجاعة ومنها اجتناب الفساد في الارض ويجري لوازم فضيلة العدل ثم لما امر
بلزوم مكارم الاخلاق والاعمال الجميلة اردفه بالتنفير عن الكون على اضداد ذلك من رذائلها وذمائمها
وذلك التنفير بتذكير السامعين حال الامم الماضين وما اصابهم من عقوبات الله بسبب افعالهم
وذميم اعمالهم وتحذيرهم ان يرتكبوا تلك الرذائل فيصيبهم ما اصاب اولئك من بأس الله وامرهم
ان يتذكروا حالهم في الخير والشر كما توخذ ما عن ابنائهم والالفة الجامعة بينهم وحالهم في السراء التي
انقلبوا اليها عن تلك الحال حين خالفوا صالح الاعمال وخالفوا ذميم الافعال وحذرهم ان يكونوا
امثالهم اي في ذلك الانقلاب واستبدال الشر بالخير وان يلزموا عند تفكرهم في تفاوت حاليهم
كل امر لزمت العزة به حالهم وازالت الاعدا عنهم ومدت العافية فيه بهم [illegible]

اى مدت مستقيمة لهم وهو نسو الرضى ره وحدث بالنوع الثانى مقابل كقوله تعالى اى جرى وسال
انقادت النعم لذلك الامر معهم اى بسبب اذ كان سببا معدا لافاضة النعم عليهم ووصلت الكرامة عليهم
واستعار لفظ الوصل لاجتماعهم عن كرامة اسبابهم حال كونهم على ذلك الامر ورشح بذكر الحبل دوام
الاجتناب الى قوله والتواصى بها وظاهر ان لزوم الالفة بسبب الامور التى عددها وقوله واجتنبوا
الى قوله وتخاذل الايدى اى واجتنبوا كل امر استند كونه تلك الامور التى اوجب لهم الفرقة والكراهة
وكان سببا لكسر فقرتهم ووهن قوتهم وهو التضاغن والتشاحن والتقاطع والتخاذل لانها امور
تضاد الالفة وتنافيها فكانت مضادة لما يستلزمه الالفة واراد والتخاذل المطلق واضافه الى الايدى
كناية لان الاغلب ان يكون التناصر بالايدى وهولاء الذين امر باعتبار حالهم لا يريد بهم امة معينة
بل الحال عام فى كل امة تسببت فى كل انه ترافدت ايديهم وتعاونوا وتناصروا كان ذلك
سببا لعزة حالهم ودفع الاعداء عنهم وكل قوم تفرقوا وتقاطعوا استلزم ذلك ذلهم وقهر الاعداء لهم
وقوله وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين الى قوله اليهم امرهم باعتبار هذه الاحوال فهى حين
وهم المؤمنين من الماضين فى زمان الانبياء السابقين فانهم حيث كانوا مع كل نبى فى مبدأ امرهم فى حال
التمحيص والاستخلاص لقلوبهم بالبلاء اثقل اهل الارض احمالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء
العذاب وهو كما ليوسف عليه السلم مع فرعون زمانه ولموسى وهرون ومن آمن معهما من بنى اسرائيل
فى مبدأ امرهم فانهم كانوا حال التمحيص والابتلاء بالصفات التى ذكرها عليه السلم قد اتخذتهم الفراعنة
عبيدا يسومونهم سوء العذاب ويجرعونهم المرار فلم يزالوا كذلك مقهورين حتى اذ راى الله صبرهم
بالصبر على البلاء فى محبته رحمة عليهم افاضها عليهم وجعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم بالعز مكان
الذل والامن مكان الخوف كما اثنى عليهم تعالى فى كتابه حيث قال واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم
سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا
بكم البحر الآية وقيل ذلك كان المؤمنين مع نوح وابرهيم عليهما السلم وغيرهما فانما كونهم ملوكا حكاما
وائمة اعلاما وبلوغهم الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الامال اليه فان موسى وهرون عليهما السلم بعد هلاك
فرعون ملكا مصر واستقر لهما الملك والدين وكطالوت وداود بعد مجاهدتهما لجالوت وجنده
وذلك ان طالوت لما جاوز النهر ومن معه لقتال جالوت كان معهم داود عليه السلم فرماه من مقلاعه
بحجر فقتله واكثر اصحابه وكان الملك والغلبة لطالوت واصحابه وكان الملك بعده لداود عم
كما قال تعالى واتاه الله الملك والحكمة ولم يزل الملك والنبوة فى سليمن وولده واولادهم
الى الاخير من ولده فظلمت الملوك فى بيت المقدس لضعفه وزمنه وانه لم يكن فيها احد له ملك
الجزيرة وكان يملك بيته سنجاريب وكان بخت نصر كاتبه فارسل الله تعالى عليه ريحا فاهلك
جيشه وافلت هو وكاتبه فقتله ابنه فغضب لبخت نصر فقتله حتى قتله وملك بعده وكان ذلك
اول ملك بخت نصر وقوله فانظروا حيث كانوا الى قوله المعتبرين منكم امرهم باعتبار حالهم فى انهم

واجماعهم

الية
واجماعهم واشارة الى ان المستلزم لتلك الخيرات كلها انما كان هو الالفة والاجتماع وباعتبار ما صاروا
فى آخر امورهم حين وقعت الفرقة بينهم وتشتت الفتهم واختلفت كلمتهم وافئدتهم فخلع الله عنهم لباس كرامته
وسلبهم غضارة نعمته وبقى قصص اخبارهم عبرة للمعتبرين وهو اشارة الى ان المستلزم لتلك الشرور
التى حلت عليهم من نزع الكرامة وذلك صادق فى كل قرن وفى كل امة آمنوا ولقيتهم الجبابرة من الفراعنة
والجبابرة ثم صبروا فانتصروا على اعدائهم واراد باعتدال القلوب استقامتها على الحق وقوله والسيوف
متناصرة قال بعضهم اراد اهل السيوف فحذف المضاف ويحتمل ان يكون قد استعار وصف التناصر
لها باعتبار كونها اسبابا يقوى بعضها بعضا فصارت كالجماعة التى ينصر بعضها بعضا ونفوذ البصائر
خرقها حجب الشبهات عن الحق واصلة اليه واتحاد العزايم اتفاق الارادات الجازمة على طلب الحق وتخلصهم
وتقاربهم مضروبا فى ذلك الكلام وكذلك هو موضع قوله فخلع وكذلك جرا وقوله فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبنى
اسحق واسرائيل الى قوله منها امرهم باعتبار احوال ولد اسمعيل اشارة الى العرب وهو يعرب من آل
قحطان وآل معد ومن بنى اسحق اولاد روم بن عيص بن اسحق وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق فحال
حال تشتتهم وتفرقهم واستيلاء الاكاسرة والقياصرة عليهم وخفض بهم ما ذكر فتفرق كلمة العرب قبل
ظهور محمد عليه السلم ايضا ظاهر معلوم لكل من طالع كتب السير وبسبب ذلك كانت الاكاسرة اربابا لهم تحتازهم
وتبعدهم عن ريف الافاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى البادية واما حال بنى اسحق واسرائيل فى
ذلك فنحو ما جرى لاولاد روم بن عيص من اختلاف النسطورية واليعقوبية والملكانية حتى كان ذلك
سببا لضعفهم واستيلاء القياصرة عليهم فى الروم ومثل بنى اسرائيل فى الشام وازعاج بخت نصر لهم عن
بيت المقدس حتى غزاهم المرة الثانية كما اشار اليه القرآن الكريم بقوله فاذا جاء وعد الآخرة
ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد الآية وقد كان غزاهم مرة اولى حين احدثوا وغيروا فرجعوا
الى الله تعالى وتابوا فرده عنهم وهى المرة الاولى التى حكى الله تعالى عنها بقوله فاذا جاء وعد اوليهما
الآية ثم احدثوا بعد ذلك فبعث الله اليهم ارميا فقام فيهم بوحى الله فضربوه وقيدوه وحبسوه فغضب الله
عليهم فبعث اليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم وصلب واحرق وجدع وبلغ ذراريهم ونساءهم وصار
منهم طائفة الى مصر ولجاؤا الى ملكها فسار اليه بخت نصر فاسره واسر بنى اسرائيل والذين فروا منهم
ارتحلوا الى حدود المدينة كيهود خيبر وبنى قريظة والنضير ووادى القرى وقينقاع اذا عرفت ذلك
انه عليه السلم امر باعتبار حالهم وتامل امرهم فى حال تشتتهم وتفرقهم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله
وفعل الاعداء بهم ما كانوا يفعلون كيف فرج الله عنهم من تلك الشدائد بظهور محمد صلى الله عليه وآله لهم
امنا واعلم ان غاية عليه السلم من امره باعتبار حال الماضين من الامم الماضية قبلهم الاقتداء بهم فى الصبر
على المكاره ولزوم الالفة والاجتماع مع ذلك واشعار الفرج به وقوله فما اشد اعتدال الاحوال
الى قوله وبها واراد ان احوالكم شديدة المماثلة لاحوالهم لانكم امثالهم وهو اشارة الى وجه الاعتبار
فانهم اذا كانوا امثالهم واعتدلت احوالهم وتشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم وذلك

بالقتل فتعيل وقوله تعالى فامرهم فيه حال تشتتهم الى آخر الكلام اشارة الى حال شدتهم ورخائهم لتسلق
اذهان السامعين الى اثبات تلك الحال لانفسهم فان هؤلاء اصل ذلك الاعتبار والسامعون فرعهم وحكم
الاصل احوالهم حضرية والشربة وعلى ذلك الحكم كونهم اشباههم وقوله بانا ما كانت الاكاسرة والجبابرة
ابا بالهم اى ما لكون لامورهم يجتازونهم اى كانت الجبابرة يجتازون بنى اسرائيل وبنى اسحق والاكاسرة
يمتازون بنى اسمعيل ويغيرونهم من اعمال العراق فصار الجمع مطرودا لجمع من حضرة الافاق ومجانب الشام
وبحر العراق واراد دجلة والفرات وقوله الى منابت الشيح ومنابت الريح كنايتان عن البرية وعطائها
انها محل نكد العيش وضيقه كما وصفه عليه السلم بوصف معاشهم فى الفصول السابقة وخص الاكاسرة وهو
جمع كسرى بملوك الفرس واتباعهم بملوك الروم ومنهج على غير قياس وكنى بالدبر والوبر عن الجمال ذي
ايضا اى فقرهم وضيق معاشهم لان دبر الجمال واستعمال الوبر واكله بالدم من لوازم الفقر وضيق الحال
حينئذ الرواية الثابتة فالدين كناية عن الفقر ايضا وظاهر انهم اذل الامم دارا لان اهل البادية ليسوا
اصحاب حصون وقلاع يعتصمون بها وان كان لبعضهم حصون فما لجميعهم من اشباههم فيما يجرى بينهم من
الغارات وليس ذلك مما يدفع عدوا ذاقوة او يحمل حصارا وقوله واجدبهم قرارا اى مستقرا
اذ كانت البادية لا تقاس الى المدن فى الخصب واستعار لفظ الجناح لما ينهض به دعوتهم ويتقوى اذا
دعوا وكنى بذلك عن كونهم لا يأوون الى من يجيب دعوتهم فيعتصمون به وكذلك استعار لفظ الظل لما
يستلزم الالفة من التعاون والتعاضد والتناصر ووجه المشابهة هو ما يستلزمه هذه الامور من الراحة
والسلامة من حرارة نار العدو والحرب كما يستلزمه الظل من الراحة من حر الشمس وقوله فالاحوال
مضطربة يشير الى انهم يومئذ وكونهم على غير نظام وكنى باختلاف ايديهم عن عدم اتفاقهم على التناصر
وتفرق كلمتهم عن عدم اتفاقهم واجتماعهم على مصالحهم واضافة بلاء الى الازل يعنى من ذلك اضافة الحق
وقد علمت ان الجهل صفات ودركات متراكم بعضها فوق بعض اوله عدم العلم بالحق وفوقها الاعتقاد
لغير الحق وفوقها اعتقاد شبهة يقوى ذلك ويعضده مع تجويز نقيضه وفوقها اعتقاد تلك الشبهة
جزما وفى نسخة الرضى رحمه الله واطباق بكسر الهمزة على انه مصدر والمعنى وجهل مطبق عليهم وقوله من
بنات فصل لوازم ذلك الجهل وذكر منها اربعة انواع احدها واد البنات واشار اليه القرآن ﴿و
اذا الموءودة سئلت باى ذنب قتلت﴾ قيل كان ذلك فى بنى تميم وقيس واسد وهذيل وبكر
بن وائل قالوا والسبب فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى اكلوا الوبر بالدم وكانوا
يسمونه العلهز فوأدوا البنات لاملاقهم وفقرهم ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق﴾ وقال قوم بل كان واد بعضهم البنات انفة وذلك ان تميما منعت النعمان الاتاوة سنة من
السنين فوجه اليهم اخاه الريان بن المنذر وجل معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبا الذرارى
فوفدت بنو تميم الى النعمان فاستعطفوه لهم واعاد عليهم السبى وقال كل امرأة اختارت اباها ردت اليه

وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اخترن اباءهن الا ابنة قيس بن عاصم فانها اختارت من سباها
عمرو بن عاصم التميمى انه لا يولد له بنت الا وادها ففعل ذلك ثم اقتدى به كثير من بنى تميم الثانى عبادة
الاصنام وقد كان لكل قبيلة صنم يعبدونه فكان لهذيل سواع ولبنى كلب ود ولمذحج يغوث وكان
لحمير ولذى الكلاع نسر ولهمدان يعوق ولثقيف اللات والعزى ولقريش ولبنى كنانة
وللاوس والخزرج مناة وكان هبل على الكعبة واساف ونائلة كانا على الصفا والمروة ومن نوادر
حلمهم المشهورة ان بنى حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم اصابتهم مجاعة
فاكلوه فقال بعضهم فى ذلك: اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة: لم يحذروا من ربهم سوء العواقب
والتبعة الثالث قطع ارحامهم وقد كان احدهم يقتل اباه واخاه عند الحمية لادنى سبب كما هو
معلوم من حالهم الرابع وشن الغارات والحروب كيوم ذى قار وكايام حرب بكر وتغلب بنى
وائل وكحرب داحس والغبراء الى غير ذلك من الايام المشهورة ووقائعهم فى الحروب والغارات
اكثر من ان تحصر وكل ذلك من لوازم الجهل وقوله فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم الى اخر احوالهم
عند مقدم محمد صلى الله عليه واله وبعثته فيهم بعد تلك الاحوال السيئة والضيق فى عقد وجمع راجعا الى الله
لشهادة القرآن الكريم نسبة الالفة فيهم اليه فى قوله لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت ولكن الله الف
بينهم انه عزيز حكيم ومعنى عقده لطاعتهم جعلهم مجتمعين عليها بعد الانتشار وجمعها بعد التفرق اذ كانت طاعتهم
فى الجاهلية موافقة لاهوائهم المختلفة بسبب اختلافها واستعار لفظ الجناح لما انبسط عليهم من رحمة الله ونعمه
وحفهم به من الكرامة ورشح بذكر النشر وكنى به عن عمومهم بها وكذلك استعار لفظ الجداول وهى الانهار
لانواع نعمها وسيول الخيرات التى جرت عليهم من الكمالات النفسانية والبدنية ملاحظة لشبهها فى العطاء
وانسياب الجداول فى جريان الماء ورشح بذكر الاسالة وقوله والتفت الملة بهم فى عوائد بركتها
اى اجتمعت بهم وضمتهم فى منافعها التى حصلت ببركتها يقال التف فلان فى موضع كذا اى اجتمع وقيل
فى موضع عوائد نصب على الحال اى الحال كونها كذلك ولفظ الالتفاف كناية عن ورود الدين عليهم وتلبسهم
به وكذلك استعار لفظ الغرق ملاحظة لشبههم بالغرق فى شمول نعم الدين لهم وغمر نعمة الاسلام اياهم
حتى كانهم استولت عليهم كالغرق فاستلزم ذلك ملاحظة شبهها بالماء الغامر وكنى بخضرة عيشها
عن سعة المعاش بسبب الخصب واراد بالسلطان هنا الحجة والبرهان او الاجتماع والغلبة والدولة
واستعار لفظ الظل لما يستلزمه ذلك السلطان من التوقى والتمكن بهم الامور والاسباب التى اعطتهم
ونحو ذلك الظل وكذلك قوله وآوتهم الحال اى الجاتهم وضمتهم الحال التى كانوا عليها الى كنف غالب
وهو عز الاسلام ودولته ملاحظة لشبهه بالجبل المنيع فى علوه ومنعته وكذلك استعار لفظ التعطف
لاقبال السعادات الدنيوية والاخروية عليهم بالاسلام وهى التى عنى بالامور ولاحظ فى ذلك
مشابهة ذلك الاقبال بتعطف ذى الرحمة والشفقة على غيره وقوله فهم حكام الى قوله ملوك الاطراف
وكنى بكونهم لا تغمز قناتهم عن قوتهم وعدم انكسارهم للغير ولذلك بكونهم لا تقرع لهم صفاة وبجريان الحكم

ثم عقب تبويخهم على نفاقهم واستعار لفظ الحبل لما نظم منهم من طاعتهم له ورسوله وكنى بوصف نقض الايدي
عن خروجهم من الطاعة وشدة اطراحهم لما يخشاه من اذى لهم وكذلك استعار لفظ الحصن للاسلام ووجه المشابهة
كونه حافظا لهم من اعدائهم الظاهرة والباطنة كالحصن المضروب على اهله ورشح بذكر الضروب وكذلك
استعار لفظ الثلم لكسرهم الاسلام باحكامهم الجاهلية ومخالفتهم لكثير من احكامه وتفرعهم عنه التي لعنه
بما يستلزمه من ذلك الثلم وقوله وان الله سبحانه قد امتن الى قوله كل خطر ترغيب لهم في لزوم حبل الالفة و
التمسك به والنعم التي امتن الله تعالى بها هو عقد حبل الالفة التي لا يعرف احد لها قيمة هي الالفة نفسها باعتبار
ما يستلزمه من المنافع العظيمة ودفع المضار وعلل عدم معرفة الخلق قيمتها لكونها اربح من كل ثمن واجل من
كل خطر وهي صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك لم يعرف احد قيمته وصدق الصغرى
ظاهر اذ كانت تلك الالفة والاجتماع على الدين سببا عظيما لاستعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة
وقوله واعلموا الى قوله من خلفه توبيخ لهم بانتقالهم عن الاحوال والاقوال الاسلامية الى الاحوال الجاهلية
اي قد صرتم بعد كونكم مهاجرين اعرابا ولما كانت الاعراب انقص رتبة من المهاجرين واهل المدن
لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن الفضائل النفسانية وتعلمها وعن سماع الفاظ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
واقتباس الآداب من اهل الحضارة كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا الآية لاجرم وبخهم بذلك
وليس كل الاعراب بالصفة المذكورة لقوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية
وكونهم بعد الموالاة احزابا فان الاحزاب الفرق التي تجتمع لمحاربة الرسل واوصيائهم وتجتمع لمخالفتهم
وظاهران هؤلاء كذلك لقتالهم وتشعبهم الى ناكثين ومارقين وقاسطين وشاقين ومحاربتهم له حتى
ليس لهم اذن جامع من الاسلام يتعلقون به الا اسم الاسلام ولا يعرفون من الايمان الا رسمه واثره
وشعاره الظاهر بالشهادتين وحضور الصلوة دون الشرائط الحقة وما ينبغي له وقولهم النار ولا
العار كلمة يقولها اهل الكبر والانفة من احتمال الاذى والضيم لا نفسهم ولقومهم من الاستنكاف الى
الانفة والنار والعار منصوبان بفعلين مضمرين تقديرهما ادخلوا النار ولا تحملوا العار ثم شبههم
بحالهم وقولهم ذلك بمن قصد من قلب الاسلام على وجهه وكنى بذلك عن افساده كناية بالمستعار
ملاحظة لشبهه بالاناء ينقلب فيخرج ما فيه من الاشياء به ووجه الشبه المذكور ان افعالهم المذكورة كانت
من مقصد ذلك من اعداء الاسلام لارادة افساده وقوله انتهاكا ونقضا منصوبان على المفعول له
والعامل قوله تكفؤا وميثاقا فاستعير قيميه كل شيء لنسبه اليهم بينهما ذكرها هنا وشياقا اخذ
عليهم فيه واسلموا عليه من حرمانه وهي الايمان الصادق بالله ورسوله وبما جاء به من القواعد الشرعية
ثم وصف ذلك الميثاق بكون الله تعالى قد وضعه لهم حرما في ارضه يأمنهم من كل عدو واشار بن خلقه
لمن دخله واراد محل الامن فحذف المضاف او تجوز بلفظ الامن في الامن اطلاقا لاسم الحال على المحل
وقوله وانكم الى قوله بينكم تحذير من الجهاد على غير الاسلام والالتجاء اليه من شجاعة او حمية او كثرة في قبيلة
مع الخروج عن طاعة سلطان الاسلام والتفرق عنه فان ذلك يستلزم طمع الكفار فيهم وعدم نصرة الملائكة

والمهاجرين والانصار لهم اما لان تلك النصرة كانت مخصوصة بوجود الرسول صلى الله عليه وآله والاجماع
على طاعته وقد زالت بفقده او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والالفة فيه والذب عنه فاذا التجأوا
الى غيره وحاربهم الكفار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والانصار
لفقدهم وهذا اللازم مخوف ينبغي ان يحذر منه فالملزوم وهو الالتجاء الى غير الاسلام يجب ان يكون
كذلك والضمير المضاف اليه في حرمه وميثاقه وغيره يعود الى الاسلام وقال بعض الشارحين الضمير
في غيره يعود الى الله والاول الذي يساق الكلام والنصب في جبرئيل وميكائيل على انهما اسمان الا ان لا
فيهما التنكير ولذلك اتى عنهما بعده بالنكرة وخبره لكم محذوف بحرف الملك يعني للكون هنا وقوله
الا المقارعة بالسيف استثناء منقطع وحكم الله الذي حمله غاية للمقارعة هو الحكم الصورة النصر على احد
الفريقين ولا تهاوروا على الآخر وقوله وان عندكم الامثال الى قوله ووقايعه تذكير لهم بما ضرب الله لهم من
الامثال بالقرون الماضية وما اصابهم من باس الله وقوارعه وهي الدواهي العظام وايامه وهي كناية
عن الايام التي اوقع بهم فيها عقوباته وباسه حتى استعدوا لذلك بمعصيته وتهديد لهم بذلك ان خالفوا
امره وقوله فلا تستبطئوا الى قوله باسه تهديد لهم ايضا وتوعد بقرب العقوبة على المعصية واطلاقا
لفظ الاستبطاء هنا مجاز لان الاستبطاء للشيء استبعاد لوقوعه مع انتظار وتوقع المستلزم لطلبه وطلب
تحقق الوعيد ليس من مقاصد العقلاء حتى ينهون عنه لكن لما كان الانسان اذا هم بالمعصية قد يستبعد تحقق
الوعيد وقربه عليها فيكون ذلك مما يقوي صدور اعيه وشهوته لفعلها كان لذلك الاستبعاد سببا لتوجهه
للمعصية ولما كان ذلك الاستبعاد جزءا من الاستبطاء اطلق عليه اطلاقا لاسم الجزء على الكل فيكون التهديد
والتوبيخ عليه لمنع من ان الذي يقدم على المعصية مع علمه بالستر به من الاعداد لنزول العذاب نازل
منزلة من يستبطئ العقوبة ويطلب تعجيلها بفعلها وكانوا بمعصيتهم كالمستبطئين للوعيد فاطلق عليهم
لفظ الاستبطاء ونهاهم عنه ونصب جهلا وتهاونا وباسا على المفعول له ليصلح التنبيه على غاية الاستبطاء
الوعيد يعني استبعاده لان جهل العبد بكيفية اخذ الله تعالى بالمرت واهوال يوم القيامة والآخرة وما يتبعه
بعد وقوع تلك الامور وخدعه كان يقع ذلك تهاونه بعلمه واملائه وعدم علمه بانه وقت المبطل من الاستبطاع
مما يحمله على استبعاد وعيده وتعريه بالمعصية وكذلك يأسه من باسه سبب ذلك الجهل وذلك البسط
مما يحمله على ذلك الاستبعاد ايضا وقوله وان الله الى قوله التناهي تنبيه لهم على ان لعنة الله للقرن الماضي
بين ايديهم قبل الاسلام كان لانهم تساهلوا بتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم واخبروا كانت
لعنة لسفهائهم وناقصي عقولهم لركوبهم المعاصي المنكرة واما الحكماء منهم ولذوي العقول فلعدم الكرامة
وتناهيهم عما شاهدوه من ذلك المنكر وذلك اللعن هو قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
ونبههم بقوله الا وقد قطعتم قيد الاسلام الى قوله احكامه على انهم من جملة الخلف بذلك الملزوم اعني ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وركوب المعاصي فلزمهم الدخول في زمرة من لعنه الله بذلك الترك

وغاية هذا الشبه الجذب عن ركوب المعاصي الى انتهائها والتناهي عنها واستعار لفظ قيد الاسلام للانقياد
والاجتماع عليه وعلى امتثال اوامره ونواهيه باعتبار كون ذلك حافظا للاسلام عليهم ومانعا لهم عن التشرد والخروج
كما يمنع الجمل قيده عن الشرود والنشوز وحدود الله احكامه التي حدها للناس ومنعهم من تجاوزها وتعطيلهم لها
باطراحها وتجاوزها وكذلك اماتة احكامه وعدم العمل بها ووصف الاماتة مستعار لتركهم واهمالهم لها باعتبار
انهم اخرجوها بذلك الاهمال عن انتفاعهم بها كما ان مميت الشي يخرجه عن حد الانتفاع وبالله التوفيق

الفصل الخامس في اختصاصه عليه السلام بما له من فضيلة وموافقته لاوامر الله بلا بد بحسن
فضيلة وشرف حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله والشبه بما هو منه ومنه وكيفية تربيته له من اول امره والاشارة
الى قوته في دين الله وذلك قوله الا وقد امرني الله تعالى بقتال اهل البغي والنكث والفساد في الارض
فاما الناكثون فقد قاتلت واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت واما شيطان
الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره وبقيت بقية من اهل البغي ولئن اذن الله
في الكرة عليهم لاديلن منهم الا ما يتشذر في اطراف الارض تشذرا انا وضعت بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون
ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني
في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشي ثم يلقمنيه وما وجد
لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك
من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل
اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا
يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة عليها السلام
وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي
عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع
ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله
لما اتاه الملأ من قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه اباؤك ولا احد من بيتك ونحن نسألك
امرا ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب فقال
صلى الله عليه وآله لهم وما تسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك
فقال صلى الله عليه وآله ان الله على كل شي قدير فان فعل الله لكم ذلك اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا
نعم قال فاني سأريكم ما تطلبون واني لاعلم انكم لا تفيئون الى خير وان فيكم من يطرح في القليب ومن
يحزب الاحزاب ثم قال عليه السلام يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين اني رسول الله
فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله فوالذي بعثه بالحق نبيا لانقلعت بعروقها وجاءت
ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة
والقت بغصنها الاعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وببعض اغصانها على منكبي وكنت عن يمين رسول الله

فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فامرها بذلك فاقبل اليه نصفها
كأعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف
فليرجع الى نصفه كما كان فامره عليه السلام فرجع فقلت انا لا اله الا الله اني اول مؤمن بك يا رسول الله
واول من اقر بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تعالى تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم
كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك الا مثل هذا يعنونني واني لمن قوم
لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الابرار عمار الليل ومنار النهار متمسكون
بحبل الله القرآن يحيون سنن الله وسنن رسوله عليه السلام لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون
قلوبهم في الجنان واجسادهم في العمل **اقول** النكث نقض العهد والقسوط الجور ودوخت القوم قهرتهم
وقهرتهم والردهة نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء والصعقة الغشية من صيحة ونحوها والوجبة واحدة الوجيب
وهو اضطراب القلب والرجة واحدة الرج وهي الحركة والزلزلة والكرة الرجعة لاديلن منهم اي لاقهرنهم
والكون ذا دولة منهم وغلبة عليهم والتشذر التفرق والكلكل الصدر والنواجم جمع ناجمة وهو الطالع
والخارج ويكنفني في فراشه اي يحفظني فيه ويحوطني ويلفني وعرفه رائحته والخطلة الخفة والتسرع من قول
او فعل والفصيل المفطوم وحراء بالمد والكسر جبل بمكة يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف والرنة
صوت يصدر عند حصول المكاره كالحزن ونحوه والقليب البئر قبل ان تطوى يذكر ويؤنث وقال
ابو عبيدة هي البئر القديمة العادية والدوي صوت حفيف الريح والنحل والقصف صوت جناح الطير
واصطفاقه في الهواء والسيماء مقصورا وممدودا العلامة والاثر في الشي يعرف به والمنار الاعلام
وغل من الغنم يغل بالضم اذا خان فيه قال ابو عبيدة يقال منه يغل بالضم ومن الحقد يغل بالكسر ومن الخيانة
المطلقة اغل يغل واعلم انه عليه السلام نبه في هذا الفصل على ان قتاله لهذه الفرق كان بامر الله على لسان
رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك الامر اما من القرآن الكريم من قوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او من السنة بامر خاص وهو من اوامر الله ايضا وقد ثبت عن
رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فكان الناكثون
اصحاب الجمل لنكثهم بيعته عليه السلام وكان القاسطون اهل الشام والمارقون الخوارج بالنهروان
والفرق الثلاث يصدق عليهم انهم اهل البغي والقاسطون لخروجهم عن سواء العدل الى طرف الظلم والجور
وتخصيص كل فرقة منهم باسمها بعرف شرعي فاما وصف الخوارج بالمارقين فمستنده قول
الرسول صلى الله عليه وآله في ذي الثدية يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية وقد ذكرناه قبل والضئضئ الاصل وهذا الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله وقوله
عليه السلام واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت يدل على ان هذه الخطبة في آخر
خلافته بعد وقايع صفين والنهروان واما شيطان الردهة فلا شبهة ان المراد به ذو الثدية
من الخوارج لما ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله ذكره فقال شيطان الردهة يحتذره

رجل من بجيلة فاما كونه شيطانا فباعتبار كونه ضالا مضلا واما نسبته الى الردهة فنسبة الى كونه هاربا
اذ حين طلبه عليه السلام في القتلى وجده في حفرة دالية جدا خربا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله
انه انما كان يعلم من كيفية حاله في قتله وروي عن يزيد بن رويم قال قال علي عليه السلام في ذلك اليوم
نقتل اليوم اربعة الف من الخوارج احدهم ذو الثدية فلما طحن القوم ورام استخراج ذي الثدية فاتبعه
امرني ان اقطع اربعة الف قصبة وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم امرني ان اضع على كل رجل
منهم قصبة فلم ازل كذلك وهو راكب خلفي والناس حوله حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت اليه وقد اربد
وجهه وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت فاذا انا بخرير الماء في حفرة عند موضع دالية فقال لي
فتش هذا ففتشته فاذا قتيل قد صار في الماء واذا رجله في يدي فجذبتها وقلت هذه رجل انسان
فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الاخرى وجررناه فاذا هو المخدج فكبر عليه السلام ثم سجد وكبر الناس
باجمعهم واما الصعقة التي اشار اليها فهي ما اصاب ذا الثدية من الغشي والموت لضربته عليه السلام
حتى استلزم ذلك ما حكاه من سماع رجة صدره ووجيب قلبه وقال بعضهم المراد بالصعقة هنا
الصاعقة وهي صيحة العذاب وذلك انه روي ان عليا عليه السلام لما قاتل القوم صاح في القوم فكان
ذو الثدية ممن هرب من صيحته حتى وجد قتيلا في الحفرة المذكورة وقال بعضهم يحتمل ان يشير بذلك
الى ابليس المقارن كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى وهو القوة الوهمية فاستعير لفظ الردهة
وهي النقرة في الجبل للبطن الاوسط من الدماغ الذي هو محل هذه القوة لمكان المشابهة وقد يعبر
بالجبل عن الدماغ في عرف المجردين وعن القوى فيه وبالجن والشياطين تارة وبالملائكة اخرى ولما
كانت الانبياء عليهم السلام والاولياء قد يشاهدون الامور المجردة والمعاني المعقولة كالملائكة والجن
والشياطين في صورة محسوسة باستعانة من القوة المتخيلة كما علمت في المقدمات وكما سنشير اليه
عن قريب احتمل ان يقال انه عليه السلام راى الشيطان المذكور بصورة محسوسة ذات صدر وقلب
وانه عليه السلام لما كان في مقام العصمة وملكه القهر على الشيطان وقهره والعادة رجع من الجناب
الالهي صوت العذاب ارسلت على الشيطان فسمع لها وجيب قلبه ورجة صدره كما سمعت رنته فهكذا
في باقي الكلام والله اعلم واما البقية من اهل البغي فمعاوية ومن بقي من جند الشام حيث وقعت الحرب
بينهم وبينه بمكيدة التحكيم وحكمه عليه السلام بانه ان اذن الله سبحانه في الرجوع اليهم ليغلبنهم ولتكونن
الدائرة عليهم ثقة بوعده تعالى في قوله ومن بغي عليه لينصرنه الله وقوله تعالى يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم وقوله ان تنصروا الله ينصركم وامثاله ولكن باذن الله من توفيق اسباب
العود اليهم واتمامها من الفسحة في الاجل وغيرها واستعمل ها هنا بغى من اطلاق اسم العام على الخاص
او يكون بمعنى الذي وقوله انا وضعت بكلاكل العرب اه شرع في فضيلته في النجدة والنجدة
لغاية ان كان ذا اعداء وتقوى به قلوب اولياء الاسلام على سبيل الفخر الجود وقال ذلك ردا لمن
قدح في الخطبة في النهي عنها واستعار لفظ الكلاكل لجماعة من اكابر العرب الذين قتلهم وصدر [illegible]

وفرق

وفرق بالجمع ووجه المشابهة كونهم محل قوة العرب ومقدمتهم كما ان الصدر من الحيوان كذلك ومن روى كلاكل
بلفظ الجمع فهو استعارة لساداتهم واشرافهم ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة ما ذكرناه ويحتمل ان
يكون مجازا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل والباء في قوله بكلاكل زائدة والمراد بوضعهم اذلالهم واهانتهم
يقال وضعه فاتضع اذا اخس منه وحط منزلته ويحتمل ان تكون للالصاق اي خلطت بهم الوضع والاهانة
وكذلك استعار لفظ القرون لاكابر ربيعة ومضر ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة كون كل واحد
منهم لقبيلته كالقرن الظاهر منها يصول به ويمنع عن عدوها كذي القرن من الحيوان بقرنه واراد بالنواجم
من علا منهم وظهر امره وشرع في ذكر الكبر وكنى به عن قتلهم وقتل الاكابر من مضر معلوم في بدو الاسلام
فاما القرون من ربيعة فاشارة الى من قتله منهم في وقايع الجمل وصفين وغيره وجيشه كما يعرف اسمائهم
من تتبع تلك الوقايع وقوله وقد علمتم موضعي آه شرع في تربية الرسول صلى الله عليه وآله من اول
عمره واعداده لتلك التربية للكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة وعد احوالا التي
هي وجود ذلك الاستعداد واسبابه احدها القرابة القريبة واشار بها الى النسبة القريب منه
وكان عليه السلام ابن عمه دنيا وابواهما اخوان لاب وام دون غيرهما من بني عبد المطلب الا الزبير
الثانية منزلته الخصيصة به واشار بها الى ما شرحه من خلطه به صلى الله عليه وآله وهو وضعه له في حجره
وليدا وساير ما ذكره ومبدأ ذلك ما روي عن مجاهد قال كان من نعمة الله على علي عليه السلام ما صنع الله
له واراده به من الخير ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابو طالب ذا عيال كثيرة فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال وقد ترى
ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق بنا لنخفف عنه من عياله فآخذ واحدا من بنيه وتاخذ واحدا
فنكفيهم عنه فانطلقا اليه وقالا له فقال ان تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام واخذ العباس جعفرا فكفلاهما وقد كان ابو طالب كفل رسول الله صلى الله عليه وآله
دون غيره من اعمامه ورباه في حجره ثم حماه من المشركين في مبدأ امره ونصره عند ظهور دعوته
وذلك مما يؤكد اختصاص منزلته عليه السلام عنده ومن منزلته الخصيصة به ما كان بينهما من المصاهرة
التي افضت الى النسل الاطهر دون غيره من الاصهار وفي معنى قوله وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه
ما رواه الحسن بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال سمعت زيدا ابي يقول كان رسول الله صلى الله
عليه يمضغ اللحم او التمرة حتى تلين ويجعلها في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره الثالثة انه لم يجد له
كذبة في قول ولا خطلة في فعل وذلك لما استعد به من تربيته صلى الله عليه وآله وساير متممات
الرياضة واعراضها الاصلية وهي تطويع القوة الحافظة لقوة شهوته وغضبه وقهر نفسه الامارة التي هي مبدأ
خطل الاقوال وخطل الافعال حتى حصلت له من ذلك ملكة في ترك الرذائل واجتناب المآثم والمعاصي
فصار له ذلك خلقا وطبعا واذا حقق معنى العصمة في حقه عليه السلام وفي حق من اوجب له العصمة
من اولاده يعود الى هذه الملكة لتكرارها في حقهم عليهم السلام معنى واشار بالملك الذي قرن الله

به الی جبرئیل وهو العقل الفعال فی عرف قوم واشار انه به اشارة الی تولیته تربیة نفسه القدسیة باقتناء
العلوم ومکارم الاخلاق وسایر الطرق المؤدیة الی الله سبحانه من حین فطم صلی الله علیه وآله لما عجب
حسن استعداد مزاجه وقوة عقله الطفولیة ثم اشار الی نحو ذکره من احواله مع تربیة الملک له صلی الله
علیه وآله لیعلم انه حصل بتعلیمه له تلك المکارم ومما روی من حاله مع الملک وحضانته له ما روی
الباقر محمد بن علی علیهما السلام انه قال وکل الله بمحمد صلی الله علیه وآله ملکا عظیما منذ فصل عن الرضاع یرشده
الی الخیرات ومکارم الاخلاق ویصده عن الشر ومساوی الاخلاق وهو الذی کان ینادیه السلام علیك
یا محمد یا رسول الله وهو شاب لم یبلغ درجة الرسالة بعد فیظن ان ذلك من الحجر والارض فیتأمل
فلا یری شیئا وروی انه صلی الله علیه وآله قال اذکر وانا ابن سبع سنین وقد بنی ابن جدعان
دارا بمکة فجئت مع الغلمان ناخذ التراب والمدر فی حجورنا فننقله فملأت حجری ترابا فانکشفت
عورتی فسمعت نداء من فوق رأسی یا محمد ارخ ازارك فجعلت ارفع رأسی فلا اری شیئا الا انی
اسمع الصوت فتماسکت ولم ارخه فکأن انسانا ضربنی علی ظهری فخررت لوجهی فانحل ازاری
فسترنی وسقط التراب الی الارض فقمت الی دار عمی ابی طالب ولم اعد الرابعة اشار الی اتباعه
له وملازمته ایاه بقوله ولقد کنت اتبعه اتباع الفصیل اثر امه ووجه الشبه فی اتباعه کونه لا ینفك
عنه کالفصیل لامه الخامسة اشار الی ثمرة ذلك الاتباع بقوله یرفع لی فی کل یوم علما من اخلاقه
ویأمرنی بالاقتداء به واستعار لفظ العلم لکل من اخلاقه باعتبار کونه هادیا الی سبیل الله کالهادی
العلم السادسة انه کان یجاور معه فی کل سنة بحراء فیراه دون غیره وروی فی الصحاح انه کان
صلی الله علیه وآله یجاور بحراء فی کل سنة شهرا وکان یطعم فی ذلك الشهر من جاءه من المساکین فاذا قضی
جواره وانصرف الی مکة وطاف بها سبعا قبل ان یدخل بیته حتی جاءت السنة التی اکرمه الله
فیها بالرسالة فجاور بحراء شهر رمضان ومعه اهله خدیجة وعلی وخادم وروی الطبری وغیره
ان رسول الله صلی الله علیه وآله قبل مبعثه کان اذا حضرت الصلوة یخرج الی شعاب مکة ویخرج معه
علی علیه السلام مستخفیا عن ابی طالب ومن سایر اعمامه وقومه فیصلیان الصلوات فاذا امسیا
رجعا فمکثا کذلك ما شاء الله ثم ان ابا طالب عثر علیهما یوما وهما یصلیان فقال لرسول الله صلی الله علیه وآله
یا ابن اخی ما هذا الذی اراك تدین به فقال یا عم هذا دین الله ودین ملائکته ورسله ودین
ابینا ابرهیم بعثنی الله رسولا الی العباد وانت یا عم احق من بذلت له النصیحة ودعوته الی
الهدی واحق من اجابنی الیه واعاننی علیه فقال ابو طالب یا ابن اخی انی لا استطیع ان افارق
دینی ودین ابائی وما کانوا علیه ولکن والله لا یخلص الیك شیء تکرهه ما بقیت وروی انه
قال لعلی یا بنی ما هذا الذی تدین به فقال یا ابة انی امنت بالله ورسوله وصدقته فیما جاء به
وصلیت معه قال فقال له اما انه لا یدعو الا الی خیر فالزمه السابعة اشار الی کونه اول
من اسلم من الذکور بقوله ولم یجتمع بیت واحد الی قوله وانا ثالثهما وقد مضی منه علیه السلام مثل ذلك

حیث

حیث قال اکذب علی الله وانا اول من آمن به وقوله فلا تبرءوا منی فانی ولدت علی الفطرة وسبقت
الی الاسلام والهجرة وروی الطبری فی تاریخه عن عباد بن عبد الله قال سمعت علیا علیه السلام یقول
انا عبد الله واخو رسول الله وانا الصدیق الاکبر لا یقولها بعدی الا کاذب مفتری صلیت قبل
الناس بسبع سنین وفی روایة اخری انا الصدیق الاکبر والفاروق الاول اسلمت قبل اسلام
ابی بکر وصلیت قبل صلوته بسبع سنین وروی ذلك ایضا من وجوه اخر منها عن ابن مسعود قال قدمت
الی مکة فانتهیت الی العباس بن عبد المطلب وهو یومئذ عطار جالس الی زمزم ونحن عنده اذ اقبل
رجل من باب الصفا علیه ثوبان ابیضان علیه وفرة جعدة الی انصاف اذنیه اشم اقنی ادعج
العینین کث اللحیة ابلج براق الثنایا ابیض تعلوه حمرة وعلی یمینه غلام مراهق او محتلم حسن الوجه
تقفوهم امرأة قد سترت محاسنها فقصدوا نحو الحجر فاستلم الرجل ثم الغلام ثم المرأة ثم طافوا
بالبیت ثم استقبلوا الحجر وقام الغلام الی جانب الرجل والمرأة خلفهما فاتوا بارکان الصلوة
مستوفاة فلما راینا ما لا نعرفه بمکة قلنا للعباس انا لا نعرف هذا الدین فیکم فقال اجل والله
فسالناه عن هؤلاء فعرفنا ایاهم ثم قال والله ما علی وجه الارض احد یدین بهذا الدین الا هؤلاء
الثلثة وروی مثله عن عفیف بن قیس الثانیة روی عن معقل بن یسار قال کنت عند النبی صلی الله علیه وآله
فقال لی هل لك ان نعود فاطمة فقلت نعم یا رسول الله فقمنا فدخلنا علیها فقال لها صلی الله علیه وآله
کیف تجدینك قالت والله لقد طال سقمی واشتد حزنی وقال لی النساء زوجك ابوك فقیرا
لا مال له فقال لها اما ترضین انی زوجتك اقدم امتی سلما واکثرهم علما وافضلهم حلما قالت
بلی رضیت برسول الله وروی هذا الخبر عن ابی ایوب الانصاری وعن الصادق جعفر بن محمد ع
والسدی وابن عباس وجابر بن عبد الله الانصاری واسماء بنت عمیس وام ایمن الثالث
روی عن ابی رافع قال اتیت ابا ذر بالربذة اودعه فقال لی ستکون فتنة فاتقوا الله
وعلیکم بالشیخ علی بن ابی طالب فاتبعوه فانی سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول له انت اول
من آمن بی واول من یصافحنی یوم القیمة وانت الصدیق الاکبر وانت الفاروق الذی تفرق
بین الحق والباطل وانت یعسوب المؤمنین الرابع عن ابی ایوب الانصاری ان رسول الله ص
قال لقد صلت الملائکة علی وعلی علی سبع سنین وذلك انه لم یصل معی رجل فیها غیره واعلم
انه ربما اعترض بعض الجهال فقال ان اسلامه علیه السلام لم یکن معتبرا لکونه کان دون البلوغ
فجوابه من وجوه احدها لا نم انه کان دون البلوغ وسند هذا المنع وجوه احدها روایة شداد
بن اوس قال سالت خباب بن الارت عن سن علی یوم اسلم فقال اسلم وهو ابن خمس عشرة
سنة وهو یومئذ بالغ مستحکم البلوغ الثانی ما رواه ابو قتادة عن الحسن ان اول من اسلم
علی بن ابی طالب وهو ابن خمس عشرة سنة الثالث عن حذیفة بن الیمان قال کنا نعبد الحجارة
ونشرب الخمر وعلی من ابناء اربع عشرة سنة یصلی مع رسول الله لیلا ونهارا وقریش یومئذ

سابعها ما ذهب هذه الامة الثامن ان المتبادر الى الفهم من اطلاق لفظ المسلم والكافر انما هو البالغ دون
الصبي والمبادرة الى الذهن دليل الحقيقة فالواجب اذن ان يرجع الى اطلاق قولهم اسلم فلان ذلك فنسبه
بكونه كان بالغا عاقلا لا سيما خصوصا في البلاد الحارة مثل مكة فان العادة في المزاج الصحيح فيها ان يبلغ
صاحبه فيما دون خمس عشرة سنة وربما احتلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة الثالث وهو الحاسم لمادة
الاشكال انه عليه السلام اما ان يكون اسلم وهو بالغ او لم يبلغ فان كان الاول فقد حصل الغرض وان لم يكن
فلا معنى للكفر في حقه اذ كان عليه السلام مولودا على الفطرة فمعنى الاسلام في حقه اذن دخوله في طاعة الله ورسوله
والاستسلام لاوامرهما فاذن الاسلام الفطري والايمان الخالص الوارد على نفس قدسية لم تتدنس
بادناس الجاهلية وعبادة الاصنام والاعتقادات الباطلة المضادة للحق التي صارت ملكات في نفس
من اسلم بعد علو السن فكان ايمانه بالله ورسوله واردا على نفس صاف لوحها عن كدر الباطل فهي منتقشة
بالحق متمكنة به وكانت غاية اسلام غيره ان يمحو طول الرياضة من نفوسهم آثار الباطل وملكات
السوء فاين احدهما من الآخر الثامنة كونه عليه السلام يرى نور الوحي والرسالة ويشم ريح النبوة وسماعه رنة
الشيطان وهذه الاشارات الاولى والباقية استعار لفظ النور لما يشاهده بعين البصيرة الباطنة من اسرار
الوحي والرسالة وعلوم التنزيل ودقائق التاويل واشراقها على لوح نفسه القدسية ووجه الاستعارة
كون هذه العلوم والاسرار هادية في سبيل الله من ظلمات الجهل كما يهدي النور في الطرق المحسوسة
ورشح تلك الاستعارة بذكر الرؤية لان النور حظ البصر وكذلك استعار لفظ الريح لما ادركه من مقام
النبوة واسرارها ورشح بذكر الشم لان الريح حظ القوة الشامة واما سماعه رنة الشيطان فقد علمت
كيفية سماع الانسان لصوت الملك والشيطان وكيفية رؤيته لصورته وان ذلك باستعانة من النفس
بالقوة المتخيلة في اقتناص المعاني المعقولة وحطها الى لوح الخيال ثم الى الحس المشترك مسموعة ومشاهدة
استلزمت هذه الاشارة انه عليه السلام مستعد لسماع صوت الشيطان في حين ايس من اتباع
الخلق له وانقيادهم لامره وهو معنى عبادته اذ اصل العبادة الخضوع وكيفية ذلك ان نفسه القدسية
اخذت معنى الشيطان مقرونا بمعنى الياس والحزن وكسته المتخيلة صورة حزين صائح وحطته الى لوح
الخيال فصار مسموع الرنة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله حين سأله عن ذلك انك تسمع ما اسمع
وترى ما ارى الا انك لست بنبي فانه شهد له بالوصول الى مقام سماع الوحي وكلام الملك
وصوت الشيطان وسائر ما يراه صلى الله عليه وآله ويسمعه مما قويت عليه نفسه القدسية الا كونه
نبيا فان مقام النبوة انما يتحقق للانسان الا بالشرط الذي اشرنا اليه في المقدمات وفرقنا بين النبي
وغيره من سائر النفوس الكاملة وهو كون الانسان مخاطبا من السماء باصلاح امر ابناء نوعه في معاشهم
ومعادهم وذلك مقام لم يصل اليه كل من كل مقام بلغه الانسان بقوته وقد روى عن الصادق عليه السلام انه
قال كان علي عليه السلام يرى مع النبي صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت وقال له الرسول
صلى الله عليه وآله لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكا في النبوة فان لا تكن نبيا فانك وصي نبي ووارثه

بل انك

بل انك سيد الاوصياء وامام الاتقياء ثم لما نفى عنه مقام النبوة اثبت له مقام الوزارة اشارة الى انه القائم
له بامر احوال الخلق في معاشهم ومعادهم من وزارته صلى الله عليه وآله وبعده المعين له على ذلك ثم شهد له بانه على
خير واشار به الى ما هو عليه من الطريقة المحمودة واستقامة السيرة في حياته وتربيته وذلك خير كثير وفي
مسند احمد بن حنبل رضه عن علي عليه السلام قال كنت مع رسول الله صبيحة الليلة التي اسري به فيها وهو بالحجر يصلي فلما
قضى صلوته وقضيت صلوتي سمعت رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة قال الا تعلم هذه رنة الشيطان
علم اني اسري بي الليلة الى السماء فايس من ان يعبد في هذه الارض واما حديث الوزارة فروي انه لما نزل
قوله وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وامرني ان اصنع صاعا من طعام واجعل
عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ففعلت ما امرني به ثم امرني بجمع بني عبد المطلب فجمعتهم يومئذ وهم اربعون
رجلا فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعته فجئته
ثم تناول مضغة من لحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة وقال كلوا باسم الله فاكلوا حتى ما بهم الى
شيء من حاجة والذي نفس محمد بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمته لجميعهم ثم قال اسق القوم يا علي
فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله ثم قال لهم
يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا و
الآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي
فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت انا وانا لاحدثهم سنا وارمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا
انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاعاد القول فامسكوا واعدت ما قلت فاخذ برقبتي ثم قال
لهم هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب
قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع التاسعة كونه مع جماعة الملأ من قريش وسؤالهم ما سألوا من
دعوة الشجرة وتصديقه عليه السلام له في ذلك وايمانه به وقد علمت فيما سلف ان نفوس الانبياء عليهم السلام
لها تصرف في هيولى عالم الكون والفساد مستعد من نفوسهم لقبول الامور الخارقة للعادات الخارجة
عن وسع غيرهم من ابناء نوعهم وصورة الحال في سؤالهم وكيفية دعوته صلى الله عليه وآله الشجرة واجابتها
وتكذيبهم بذلك وتصديقه عليه السلام له مستوفى في كلامه وذلك من قوله ولقد كنت الى قوله فيهم فاما
حكمه صلى الله عليه وآله بانهم لا يفيئون الى خير وان منهم من يطرح في القليب ومنهم من يحزب الاحزاب فمن
باب الله الذي اطلعه عليه وارتضاه له فعلم بقوته القدسية والقليب هو قليب بدر
ومن طرح فيه كعتبة وشيبة ابني ربيعة وامية بن عبد شمس وابو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهم طرحوا
فيه بعد انقضاء الحرب وكان ذلك الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله ومن حزب الاحزاب هو ابو
سفيان وعمرو بن ود وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم واما حديث
الشجرة فمشهور مستفاض رواه المحدثون في كتبهم وذكره المتكلمون في معجزاته صلى الله عليه وآله ومنهم
من روى ذلك مختصرا انه دعا شجرة فاقبلت تخد الارض خدا ونقله البيهقي في كتاب دلائل النبوة واما ذكره

منهم وقوله ان كنت تؤمنين بالله الى قوله باذن الله فقد علمت ان الخطاب مخصوص في عرف العقلاء بالعقل لكنه صلى الله عليه وآله لما وجه نفسه القدسية من اعداد الشجرة لما يريد منها وعلم انها واجبة الاستعداد بذلك القبول لما اراده بها من ارادها خاطبها خطاب من يعقل استعارة ملاحظة لشبهها بمن يعقل في اجابة نداءه واتباع وقاية ذلك الخطاب ان يكون وجود ما رام منها عقيب خطابه اغرب وفي نفوس الحاضرين ابلغ واعجب فاذا كان وقوع تلك الحال بها غريبا كان كونها على تلك الحال وفق خطابه ودعائه لها اغرب لزيادة ايهام كونها سمعت ذلك النداء وعقلت ذلك الخطاب مع ايناس من شأنها ذلك واعجب في نفوس السامعين وذلك جميع في هذا عن كونه سمعا وحسا وقال الامام الوبري ره ونحو ذلك قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي واعلم ان ذلك على رأي الاشعرية امر ظاهر لان البنية المخصوصة ليست شرطا في حصول الحيوة وما يكون مشروطا بها من السمع والفهم فلذلك جاز ان يكون الله تعالى خلق في الشجرة علما وسمعا جعلت بها خطابه عليه السلم وقال الامام الوبري الخطاب في الاصل مع الله تعالى فكانه قال اللهم ان كانت هذه الشجرة من آثار ركن لك بنية بوجودك وانت مرسل لها فاجعل ما سألت منها شاهدا على صدق دعواي ولما كانت الشجرة محل ما سأل من الله خاطبها لذلك فعلى هذا يكون مجازا من باب اقامة السبب مقام المسبب قال ويحتمل ان يكون الخطاب في الاصل للملائكة الموكلين بالشجرة وقوله وانهم لمن قوته اهل قوله لايم كناية عن بلوغه في طاعة الله الغاية المطلوبة منه فانه عليه السلم لم يقف دون غاية منها حتى يلام على النقص فيها وقوله سيماهم سيما الصديقين الى اخر الصفات فالقوم هم المتقون الذي سأل همام عنهم والصفات المذكورة بعض صفاتهم وقد سبقت مستوفاة في خطبة مفردة وذكر منها هنا عشرا احدها ان علاماتهم علامات الصديقين وهم الملازمون للصدق في اقوالهم وافعالهم طاعة لله تعالى وقد عرفت علاماتهم في خطبة همام الثانية وذلك كلامهم كلام الابرار من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والذكر الدايم لمعبودهم الحق الثالثة كونهم عمار الليل وكنى بعمارتهم له عن احيائهم اياه بالعبادة روي ان احدهم كان اذا كسل عن العمل علق نفسه بحبل حتى يصبح عقوبة لها الرابعة استعار لفظ المنار لهم بالنهار باعتبار كونهم يهدون الخلق الى طريق الله كما يهدي منار الطريق المحسوس وكذلك لفظ الحبل بالقرآن باعتبار كونه سببا للتعلق وسببا الى الترقي من الهوة الباطنة كالعلوم والاخلاق الفاضلة كالحبل الذي هو سبب للارتقاء والاستنقاذ او باعتبار كونه عصمة لمن تمسك به من الهلاك وكذلك الحبل الى اقصى درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل الى العلو ولفظ القرآن مجرور بعطف البيان الخامسة وكذلك استعار وصف احياء السنن لهم باعتبار اقامتها والعمل بها السادسة عدم الاستكبار والعلو منهم ولما كان الاستكبار في الانسان رذيلة كان عدمه فضيلة السابعة عدم الغلول وهو فضيلة لكون الغلول مستلزما لرذائل كالشره والخيانة والحرص والدناءة وغيرها وكان عدمه كمالا الثامنة كونهم لا يفسدون ولما كان كل فساد مستلزما لرذيلة او رذائل كان الزنا المستلزم لرذيلة الفجور وكالقتل المستلزم لرذيلة الظلم وكذلك سائرها كان عدمه كمالا العاشرة كون قلوبهم في الجنان وذلك انك اذا علمت

ان اشرف ثمرات الجنان ودرجاتها هي المعارف الالهية والقعود في مقاعد الصدق عند المليك المقتدر وذلك من مقامات العارفين واولياء الله الصديقين العاشرة كون اجسادهم في العمل فالواو في قوله واجسادهم للحال اي تكون الحال اي انهم قلوبهم في الجنان حال ما يكون اجسادهم مستغرقة في الحركات والسكنات في الاعمال الصالحات اولئك الذين صدقوا واولئك هم المفلحون ومن كلام له عليه السلم قال لعبد الله بن العباس وقد جاءه برسالة من عثمن وهو محصور يسأله الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه بالخلافة بعد ان كان سأل مثل ذلك من قبل فقال عليه السلم يا ابن عباس ما يريد عثمن الا ان يجعلني جملا ناضحا بالغرب اقبل وادبر بعث الي ان اخرج ثم بعث الي ان اقدم ثم هو الآن يبعث الي ان اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثما اقول ينبع قرية صغيرة من اعمال المدينة وهتف الناس صياحهم ودعاؤهم باسمه والناضح الجمل يستقى عليه والغرب الدلو العظيمة وسبب الرسالة ان القوم الذين حصروه كانوا يكررون نداءه والصياح به وتوبيخ على احداثه من تفريق بيت المال على غير مستحقه ووضعه في غير مواضعه وساير الاحداث التي ذكرنا انها نسبت اليه واستعار لفظ الجمل الناضح ورشح بذكر الغرب واشار الى وجه الشبه بقوله اقبل وادبر وقوله بعث الى قوله اخرج شرح لكيفية تصريفه له في حال حصره ومضايقة الناس له وبعثه الى الناس في امره كما اشرنا اليه من قبل وقد كان قصده بتلك الرسالة من بين ساير الصحابة لاحد امرين احدهما اعتقاده انه كان اشرف الجماعة والناس له اطوع وان طلب الجماعة معه والثاني انه كان يعتقد ان له شركة مع الناس في حصره وكانت بينهما نبوة فكان بعثه له من بين الجماعة مناسبا لانهم ان رجعوا بواسطته فهو الغرض وان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد ايضا وهو تأكد ما نسبه اليه من المشاركة في امره وبقاء ذلك حجة عليه لمن بعده ممن يطلب به حتى كان بسبب هذا الغرض الثاني ما كان من الوقايع بالبصرة وصفين وغيرهما وقوله والله الخ يحتمل وجوها احدها قال بعض الشارحين انه بالغ في الذب عنه حتى خشي لكثرة اعوانه ان الكون ان يكون في الذب عنه والاجتهاد في ذلك والثاني يحتمل ان يريد اني خشيت الاثم في تغريري بنفسي لان دفع الجمع العظيم في هذا الامر العظيم مظنة الخوف على النفس فيكون الاقدام عليه اثما الثالث يحتمل انه يريد انه خشي الاثم من الافراط في دفعهم كان يضرب احدهم بسوطه ويغلظ له في القول والشتم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به فجعلت اتبع مأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج في كلام طويل قال السيد الرضي ره قوله فاطأ ذكره من الكلام الذي رمى الى غاية الايجاز والفصاحة واراد اني كنت اعطى خبره من بدء خروجي الى ان انتهيت الى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة اقول هذا الفصل من كلام يحكي فيه عليه السلم ما كان جرى له حال خروجه من مكة الى المدينة بعد ان هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عزم على الهجرة اعلم عليا عليه السلم بخروجه وامره ان يبيت على فراشه خدعة للمشركين الذين كانوا عزموا على قتله في تلك الليلة واعلمه انهم لن يصلوا اليه فلا يطلبونه حتى بعد مسافته عنهم وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودايع التي كانت عنده للناس وكان جماعة

من اهل مكة استودعوه ودايع لما رأوا من امانته وكانوا قد اجمعوا على ان يضربوه باسيافهم من ايدي
جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه بين بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد مناف وكان ممن اجمع على ذلك
النضر بن الحرث من بني عبد الدار وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب
الثلثة من بني اسد بن عبد العزى وابو جهل بن هشام واخوه الحرث وخالد بن الوليد بن المغيرة
والثلثة من بني مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص والثلثة من بني سهم وامية بن خلف
واخوه ابي من بني جمح فنما هذا الخبر من الليل الى عتبة بن ربيعة فلقي قوما منهم ونهاهم عن ذلك وقال ان
بني عبد مناف لا تمسك عن دمه ولكن صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من دوركم وتربصوا
ان يصيبه من الموت ما اصاب امثاله من الشعراء وكان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس فاحجم ابو جهل
واصحابه تلك الليلة عن قتله احجاما ثم تسوروا عليه وهم يظنونه في الدار فرأوا انسانا مسجى بالبرد الحضرمي
فلم يشكوا انه هو فكانوا يهمون بقتله ثم يحجمون لما يريد الله من سلامته عليه السلم ثم قال بعضهم لبعض ارموه
بالحجارة فرموه فجعل علي يتضور منها ويتأوه تأوها خفيا ولا يعلمهم بحاله خوفا على رسول الله صلى الله عليه وآله من
ان يطلب فيدرك فلم يزالوا كذلك حتى الصبح فوجدوه عليا ثم تخلف عنه عليه السلم بمكة حتى قضى ما امره
ثم لحق به فجاء الى المدينة راجلا قد تورمت قدماه وصادف رسول الله صلى الله عليه وآله نازلا بقبا
على كلثوم بن الهدم فنزل معه في منزله ثم خرج معه من قبا حتى نزلا بالمدينة على ابي ايوب الانصاري
بقوله عليه السلم فجعلت اتبع مأخذ رسول الله الى الخبر والطريق التي اخذ فيها وسار حتى انتهى الى
الموضع المعروف بالعرج وقوله فاطأ ذكره استعار وصف الوطي لرقمه ذكره على ما ذكره صلى الله عليه وآله
وجعله من ان يمس في تلك الطريق كوقع القدم على الارض ووجه المشابهة ان الخبر عنه صلى الله عليه وآله
وذكره طريق لحركات قدم عقله الى معرفة حاله صلى الله عليه وآله كما ان المحسوس طريق لحركات قدمه
الى الوصول اليه وقيل اراد بذكره ما ذكره له وصفه من حال الطريق والاول اسبق الى الفهم وبالله
التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** فاعملوا وانتم في نفس البقاء والصحف منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر
يدعى والمسيء يرجى قبل ان يخمد العمل وينقطع المهل وينقضي الاجل ويسد باب التوبة وتصعد الملائكة
فاخذ امرؤ من نفسه لنفسه واخذ من حي لميت ومن فان لباق ومن ذاهب لدائم امرؤ خاف الله
وهو معمر الى اجله ومنظور الى عمله امرؤ الجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها فامسكها بلجامها عن معاصي الله
وقادها بزمامها الى طاعة الله **اقول** يقال فلان في نفس من امره اي في سعة والفصل في غاية الفصاحة
وقد امرهم بالعمل حال ما هم في خمسة من الاحوال التي اشار اليها احدها كونهم في نفس البقاء وحسنه ان
الموت مستلزم لانقطاع العمل وعدم امكانه الثاني كون الصحف منشورة اي صحف الاعمال فانها
انما تطوى بانقطاع الاعمال بالموت وقد عرفت وجه الاشارة الى الصحف ونشرها الثالث
كون التوبة مبسوطة واستعار لفظ البسط ملاحظة لشبهها بالبساط في كونها ممدودة القبول لجرم
مناخذة العرب لها من اراد ها كالبساط وانما تطوى بالموت كما قال تعالى وليست التوبة للذين

يعملون

يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار
الرابع حال كون المدبر يدعى اي حال كون المدبر عن طاعة الله المعرض عنها يدعى اليها من الانبياء والرسل
والنواميس الشرعية وذلك منقطع بالموت الخامس حال كون المسيء يرجى اي يرجى صلاحه وعوده
وذلك حال البقاء في الدنيا ولما ذكر هذه الاحوال فرغب في العمل فيها والتذكير بكونها احوالا يمكن معها
اردفها باحوال يمتنع معها العمل تنفيرا عنها وهي خمود العمل واستعار لفظ الخمود لتوقفه ملاحظة لشبهه
بالماء في جموده وعدم الجريان وذلك انقطاع العمل وانقضاء المدة اي مدة البقاء وسد ابواب التوبة
ولفظ الابواب مستعار لطرق الاعتبار التي يرجع بها الى الله تعالى وذلك صعود الملائكة اي الكرام
الكاتبين فان الملائكة الموكلين تضبط اعمال كل شخص يصعدون الى السماء بعد بطلان الاعمال وقوله
فاخذ امرؤ من نفسه امر في صورة الخبر اي فليأخذ المؤمن لنفسه اي لبعض نفسه بالاجتهاد والنصب في
العبادة فانهما يهزلان البدن ويأخذان من النفس لذاتها ومشتهياتها البدنية ويجوز ان يريد بالنفس
هنا الشخص والاخذ منه ظاهر وقوله لنفسه اي ليكون ذلك كمالا لنفسه وذخرا لها في معادها وقوله
فاخذ من حي لميت اي قوله امرؤ وامثاله في صورة الخبر وفاعل اخذ هو قوله امرؤ والحي والميت
هو المرء نفسه اي فليأخذ امرؤ من نفسه باعتبار ما هي حية باعتبار ما يصير اليه من حال الموت
وقوله ومن فان لباق اي فليأخذ من الامر الفاني وهي دنياه ومتاعها للامر الباقي وهو النعيم
الباقي الابدي في الآخرة ومعنى ذلك الاخذ ان الانسان يكتسب من الدنيا ومتاعها الفاني كمالا
باقيا يوصل الى نعيم دائم وذلك بالصدقات والزكوات والانفاق في وجوه البر والقربات
وكذلك قوله ومن ذاهب لدائم ثم اخذ في وصف ذلك المرء كانه سئل عنه فقال امرؤ خاف الله
في حال ما هو معمر الى اجله ومنظور الى عمله ونبه بغاية اجله وكون عمله منظورا اليه اي منظورا فيه ومرعيا له
تخويفا من هجوم الاجل وجذبا الى صالح الاعمال بتذكير اطلاعه عليها وعلمه بها وقوله امرؤ الجم نفسه
بدل من امرؤ الاول واستعار لفظ اللجام للزهد الحقيقي والعفة ووجه المشابهة كونهما مانعين للنفس
الامارة من جماحها في سبل الهوى ومعاصي الله كما يمنع اللجام الدابة عن الجماح ورشح بذكر الالجام وكنى به
عن ردع النفس بالزهد واشار الى ذلك الوجه من المشابهة بقوله فامسكها بلجامها عن معاصي الله
وكذلك استعار لفظ الزمام للعبادة باعتبار ما هي قائدة للنفس الامارة بالسوء الى موافقة النفس
المطمئنة في طاعة الله كما تقاد الناقة بزمامها اذ علمت ان العبادة انما وضعت لتطويع النفس الامارة
للعقل وانقيادها تحت اسره وانجذابها خلفه عند توجهه في المعارج القدسية الى حضرة ذي الجلال
والاكرام والى ذلك الوجه من المشابهة اشار بقوله وقادها بزمامها ورشح بذكر الزم والقود
وكنى بها عن انقطاع العبادة وتطويع النفس لها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** في شأن
الحكمين وذم اهل الشام جفاة طغام عبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل شوب ممن
ينبغي ان يفقه ويؤدب ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار

ولو الذين تبوؤا الدار الا وان القوم اختاروا لانفسهم اقرب القوم مما يحبون واخترتم لانفسكم
اقرب القوم مما تكرهون وانما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا
سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فادفعوا في صدر
عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس وخذوا مهل الايام وحوطوا قواصي الاسلام الا ترون الى بلادكم
تغزى والى صفاتكم ترمى اقول جفاة جمع جاف وهو غليظ الطبع قاسي القلب والطغام والطغامة
اراذلهم والاقزام جمع قزم بفتح الزاي وهو الرذال الدني من الناس ويطلق على الواحد والجمع والذكر
والانثى ويقال جاؤوا من كل اوب اي من كل ناحية والشوب الخلط ويدرب يعود بالعادات
الجميلة ويجرب في الامور وتبوء الدار نزولها وتحت السيف غمده وصدر الفصل بذكر خدام اهل
الشام تنفيرا عنهم ووصفهم بكونهم عبيدا اما لانهم عبيد الدنيا واهلها او لان منهم عبيدا واللفظ يحتمل
الصدق بالبعض والمرفوعات الاربعة الاوسط اخبار المبتدأ محذوف اي هم جفاة ومحل قوله جمعوا
الرفع صفة للاقزام ويحتمل ان يكون خبرا خامسا ولذلك قوله ممن ينبغي وقوله وليسوا وقوله يولى عليه
ويؤخذ على يديه كناية عن كونهم سفهاء يعملون لان يلوا امرا ويفوض اليهم بل ينبغي ان يحجر عليهم ويمنعون
من التصرف لعبادتهم وسفههم وذكر كونهم ليسوا من المهاجرين والانصار في معرض الذم لهم
لكون ذلك نقصانا لهم من تلك الجهة بالنسبة الى المهاجرين والانصار وكذلك نفي كونهم ليسوا من
الذين تبوؤا الدار واراد بالدار مدينة الرسول عليه السلم والذين تبوؤها هم الانصار من اهلها الذين
اسلموا بها قبل هجرة الرسول اليهم بسنتين وابتنوا بها المساجد واليهم اشار تعالى في كتابه العزيز و
اثنى عليهم فقال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم الآية الى قوله فاولئك هم
المفلحون وفي نسخة الرضي رحمه تبوؤا الدار فقط وفي سائر النسخ والايمان ووصف الايمان بكونه متبوأ لهم
مستعار ملاحظة لشبهه بالمنزل باعتبار انهم ثبتوا عليه واطمأنت قلوبهم به ويحتمل ان يكون نصب
الايمان هنا كما في قوله وراءيت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا اي لازموا الايمان
كما اراد القائل ومعتقلا رمحا وقوله الا وان القوم الى قوله تكرهون والقوم هم اهل الشام
والذي اختاروه لانفسهم وكان اقرب القوم مما يحبون هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة
وعينوا عليه من قبلهم وكونه اقرب القوم مما يحبون لكثرة خداعه ودهائه وميله الى معوية وعطائه
والذي يحبونه مما هو اقرب اليه هو الانتصار على اهل العراق وصيرورة الامر الى معوية والذي
اختاره اهل العراق للحكومة هو ابو موسى الاشعري وكان اقرب القوم مما يكرهون من صرف
الامر عنهم وكونه اقرب الى ذلك اما لغفلته وبلاهته او لانه كان منحرفا عنه عليه السلم وذلك انه
كان في زمن الرسول عاملا له على زبيد وآخر واليا من قبله على زبيد من اعمال اليمن ثم ولاه عمر البصرة لما
عزل المغيرة عنها فلما عزله عثمن سكن بالكوفة فكره اهلها سعيد بن العاص ودفعوه عنها وولوا ابا موسى
وكتبوا الى عثمن يسألونه ان يوليه فاقره على الكوفة فلما قتل عثمن عزله علي عليه السلم فلم يزل واجدا لذلك

عليه حتى كان منه ما كان في الكوفة وقوله وانما عهدكم بعبد الله الخ احتج عليهم في اختيارهم لعبد الله بن
ابن قيس وهو ابو موسى الاشعري للحكومة وصورة الاحتجاج ان ابا موسى كان يقول لكم يا اهل الكوفة
عند مسيري الى اهل البصرة انها فتنة من الفتن التي وعدنا بها وامرنا باعتزالها فقطعوا اوتار قسيكم
واغمدوا سيوفكم فلا يخلو اما ان يكون صادقا في ذلك او كاذبا فان كان صادقا لزمه الخطأ بمسيره معنا
غير مستكره الى فتنة امرنا بالاعتزال عنها وحضوره صفوف اهل العراق وتكثير سوادهم وان كان
كاذبا فقد لزمته التهمة وصار فاسقا بكذبه وعلى التقديرين لا ينبغي ان يعتمد عليه في هذا الامر الجليل و
اقول ومما يناسب هذا الاحتجاج ما روي عن سويد بن غفلة قال كنت مع ابي موسى على شاطي الفرات
في خلافة عثمن فروى لي خبرا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل
الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا واضلا من اتبعهما ولا تنفك امور امتي تختلف حتى يبعثوا
حكمين يضلان ويضلان من اتبعهما فقلت له احذر يا ابا موسى ان تكون احدهما قال فخلع قميصه وقال
ابرأ الى الله من ذلك كما ابرأ من قميصي هذا فنقول لا يخلو اما ان يكون صادقا في ذلك الخبر او كاذبا
فان كان صادقا فقد اخطأ في دخوله في الحكومة وشهد على نفسه بالضلال والاضلال وان كان كاذبا
فقد لزمته التهمة فلا ينبغي ان يعتمد عليه في هذا الامر وقوله فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله
ابن عباس كناية عن جعله مقابلا له في الحكومة ودافعا له عما يريد ولما وقع في ابي موسى اشار الى عدم
صلاحيته لهذا الامر كان رأيه ان يبعث الحكم من قبله عبد الله بن عباس فابى قومه عليه وروي
بعبارة اخرى انه قال لهم لما الجأوه في بعث ابي موسى وتعيينه حكما ان معوية لم يكن ليختار لهذا الامر
احدا هو اوثق برأيه ونظره الا عمرو بن العاص وانه لا يصلح للقرشي الا قرشي وهذا عبد الله بن
عباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها ولا يبرم امرا الا نقضه ولا ينقض امرا الا ابرمه
فقال الاشعث ومن معه لا والله لا يحكم فيها مضريان ابدا حتى تقوم الساعة ولكن يكون
رجل من مضر ورجل من اليمن فقال عليه السلم اني اخاف ان يخدع يمانيكم فان عمرو بن العاص ليس من الله
قرشي فقال الاشعث والله لئن يحكما ببعض ما نكره واحدهما من اليمن احب الينا من ان يكون ما نحب
وهما مضريان فقال عليه السلم واذا ابيتم الا ابا موسى فاصنعوا ما شئتم اللهم اني ابرأ اليك من
صنيعهم وقوله وخذوا مهل الايام امرهم باغتنام مهل الايام عنهم وفسحتها مما ينبغي ان يعملوا فيها
ويدبروه من احوالهم في وفق الآراء الصالحة وكذلك امرهم بحياطة قواصي الاسلام وهي اطراف
العراق والحجاز والجزيرة وما كان في يده عليه السلم من البلاد ثم استثار طباعهم وحرك بها
ذلك بعدم على ان بلادهم تغزى وصفاتهم ترمى وكنى بصفاتهم عن حوزتهم التي استقروا عليها من
بلاد الاسلام واصل الصفاة الحجر الاملس الاسود الذي لا ينفذ فيها السهم بل تكسره وترفعه فاشبهها
الحوزة في منعتها فيقال لا ترمى صفاتهم ولا تقرع صفاتهم وكنى بذلك عن منعتهم وقوتهم فلذلك
كنى عن رمي صفاتهم بالطمع فيهم وقصد العدو لبلادهم ورميها بالكتائب وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد عليهم السلام هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم
منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل
عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة
العلم كثير ورعاته قليل **اقول** الولائج جمع وليجة وهي الموضع يعتصم فيه بدخوله والنصاب
الاصل وذكر لهم اوصافا احدها عيش العلم اي حيوته وقد جعل له حيوة ملاحظة لشبهه بالحي في
وجوده والانتفاع به ثم اطلق عليهم لفظ الحيوة مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب الثاني
كونهم موت الجهل جعل للجهل موتا استعارة باعتبار عدمه بهم واطلق عليهم لفظه مجازا كالذي
قبله الثالث كونهم يخبر حلمهم عن علمهم لعلمهم بمواقع الحلم وفي ذلك اشارة الى تلازم فضيلتي الحلم والعلم
فيهم فهم لا يحلمون الا عن علم بمواقع الحلم الرابع كونهم يخبر صمتهم عن حكم منطقهم اذا تكلموا لان من علم مواقع
السكوت وما ينبغي ان يسكت عنه وذلك يستلزم حكمة نفوسهم في منطقهم اذا تكلموا لان من علم
مواقع السكوت وما ينبغي ان يسكت عنه علم مواقع المنطق وما ينبغي ان يسكت عنه ولو لم يعلم
ذلك لجاز ان يتكلم بما لا ينبغي وذلك هو موضع السكوت فلا يكون عالما بمواضع السكوت وقد
فرض كذلك هف الرابع كونهم لا يخالفون الحق اي لعلمهم به وبطرقه ووقوفهم له فلا يتجاوزونه
الى رذيلة الافراط ولا يقصرون دونه في مقام رذيلة التفريط الخامس وكذلك لا يختلفون
فيه لعلمهم بحقيقته السادس كونهم دعائم الاسلام واستعار لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له وعلمهم
وحراسته وقيامه في الوجود بهم كما يحفظ البيت بالدعائم ويقوم بها السابع استعار لهم لفظ
الولائج باعتبار كونهم مرجعا للخلق يعتصمون بعلمهم وهدايتهم واتباعهم من الجهل ولواحقه وعذاب الله
في الآخرة كما يعتصم بالوليجة من دخلها الثامن كونهم بهم عاد الحق الى نصابه اي بولايته عليه السلام
وخلافته عاد الحق الى اهله وانزاح الباطل عن مقامه وهو اشارة الى ان الاحكام كانت قبله
في ايام عثمن جارية على غير قانون شرعي لما نقل عنه من الاحداث واستيلاء بني امية في
زمانه على بيت مال المسلمين والكلام له يفرغ(?) كما سبق شرحه فعاد بولايته عليه السلام كل حق الى اهله
وهو اصله ومستقره والحق اذا كان في غير اهله فهو الباطل ومقامه غير اهله وبولايته عليه السلام
انزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه اي الشان الذي ينصر الباطل والناطق به واستعار وصف
الانقطاع له باعتبار سكوته ملاحظة لشبهه بالمنقطع في عدم القول ورشح بقوله من منبته تاكيدا
لذلك الانقطاع التاسع كونهم عقلوا الدين عقل دراية ورعاية لا عقل سماع ورواية وذلك
انك علمت ان للادراك ثلث مراتب ادناها تصور الشيء بحسب اسمه واعلاها تصور الشيء بحسب
حقيقته وكنهه واوسطها تعقله بحسب صفاته ولوازمه الخاصة به وتمامه مع اخواته فكان عقلهم
للدين وعلمهم به على اكمل المراتب وهو معنى الرعاية ورعايتهم له بدراسته وتذكره والاستمرار(?)
عليه وليس علمهم به من جهة اسمه وسماع الفاظه فقط وقوله فان رواة العلم كثير اي ليس كل من

ولا يختلفون
ح

روى العلم وسمعه كان عالما به ومراعيا له فان ذلك اعم من العالم به والعام لا يستلزم الخاص فنبه
بذلك على غفلة منهم في رعاية العلم واستجماع الفضائل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام**
يحث فيه اصحابه على الجهاد والله مستأديكم شكره ومورثكم امره وممهلكم في مضمار محدود لتتنازعوا
سبقه فشدوا عقد المآزر واطووا فضول الخواصر لا تجتمع عزيمة ووليمة ما انقض النوم لعزائم اليوم
وامحى الظلم لتذاكير الهمم **اقول** المضمار المدة تضمر فيها الخيل قيل انها اربعون يوما وقد سبق بيانه
والتنازع التجاذب في الخصومة والمآزر جمع مئزر والفصل في غاية من الفصاحة والجزالة والحث
على الاستعداد ليوم المعاد فقوله والله مستأديكم شكره على نعمه وذلك في اوامر القرآن كثير
كقوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون واشكروا لي ولا تكفرون وقوله ومورثكم امره اي سلطانه
في الارض الذي كان فيمن سلف من اهل طاعته من الامم السابقة كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وقوله واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم الآية وقوله وممهلكم الى قوله سبقه استعار لفظ المضمار لمدة الحيوة
الدنيا ووجه المشابهة ان الناس يستعدون في تلك المدة جوتهم(?) بالرياضات والمجاهدات في سبيل الله
وتحصيل الكمالات النفسانية لغاية السبق الى حضرة جلال الله كما تضمر الخيل لغاية السبق واشار
الى غاية ذلك الامهال وهي تنازع السبق اليه تعالى واراد به ما يعرض للسالكين في حال اعدادهم
لانفسهم بالرياضات وجدهم وتشميرهم في طاعة الله من منافسة بعضهم لبعض في التقدم بالفضل
وسبقه بذلك وحرص كل امرئ منهم ان يكون هو الاكمل ليفوز بقصب السبق الى حضرة قدسه تعالى
والمنافسة في الفضائل والغبطة بها محمودة لا داعيا لها يطالي(?) كماله وذلك هو اقصى مطلوب
الشارع من امته ويحتمل ان يريد بالسبق ما يسبق اليه من الفضيلة او الجنة كما سبقت الاشارة
الى مثل ذلك ولفظ التنازع ترشيح لاستعارة المضمار والمسابقة لان من شان ذوات التنازع
في السبق والمحاولة في الفوز بالسبق وخلاصة المعنى انه تعالى امهلكم في الدنيا للاستعداد فيها
وتجاذب السبق اليه وقوله فشدوا واعقدوا المآزر كناية عن الامر بالتشمير والاجتهاد في طاعة الله
والاستعداد بها بعد ان بين ان ذلك الغاية من الامهال في الدنيا اذ كان من شان من يهتم بالامر
ويتحرك فيه ان يشد عقدة مئزره كيلا يشغله عما هو بصدده وقوله واطووا فضول الخواصر
كناية عن الامر بترك ما يفضل من متاع الدنيا على قدر الحاجة من الوان الطعوم والملابس وسائر
قنيات الدنيا واصله ان الخواصر والبطون احتمال ان يتسع لما فوق قدر الحاجة من الماكول
فذلك القدر المتسع لما فوق الحاجة هو فضول الخواصر وكنى بطيها عما ذكرناه اذ كان من لوازم ذلك
الطي ترك تلك الفضول وقوله لا تجتمع عزيمة ووليمة اراد بالعزيمة على اقتناء الفضائل واكتسابها
والعزيمة هي الارادة الجازمة للامر بعد اختياره وكنى بالوليمة وهي طعام العرس ونحوه عن
خفض العيش والدعة لاستلزام الوليمة ذلك والمعنى ان العزيمة على تحصيل المطالب الشريفة وكرائم

الامور بالدعة وخفض العيش والحصول مع الهوينا مما يستلزم تحصيل تلك المطالب والعزم عليها من
المشاق واتعاب النفس وكذا البدن بالرياضات والمجاهدات المنافية للدعة والراحة وتقريب
منه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ثم اكد ذلك بقوله ما انقض النوم لعزائم اليوم
واصله ان الانسان يعزم في النهار على المسير بالليل ليقرب المنزل فاذا جاء الليل نام الى الصباح
فانتقض بذلك عزمه فضرب به مثلا لمن يعزم على تحصيل الامور الكبار والسعي فيها ثم يلزم الاناة والدعة
ومراده انكم مع هذه الدعة وحب الراحة من المتاعب والجهاد لا يتم لكم ما تريدونه وتعزمون عليه
من تحصيل السعادة في دنيا او آخرة وكذلك قوله وامحى الظلم لتذاكير الهمم واصله ان الرجل تبعثه همته
في مطالبه على المسير بالليل فاذا جن الظلام ادركه الكسل وغلبه حب النوم عن تذكار مطالبه وصرفه
عنها فكان الظلام سببا لمحو ذلك التذكار من لوح الذكر فضرب به مثلا لمن يدعوه الداعي الى امر
ويهتم به ثم يعرض له ذاهل فينصرف به عنه وهو كالذي قبله وبالله التوفيق وهذا اخر الخطب
والاوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل ان شاء الله تعالى بعونه وعصمته وتوفيقه وهدايته

باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلم ورسائله الى اعدائه وامراء بلاده

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عماله ووصاياه لاهله واصحابه ومن كتاب له عليه السلم
الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة من عبد الله علي امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة
الانصار وسنام العرب اما بعد فاني اخبركم عن امر عثمن حتى يكون سمعه كعيانه ان الناس
طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه واقل عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما
فيه الوجيف وارفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب فاتيح له قوم فقتلوه و
بايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين واعلموا ان دار الهجرة قد قلعت
باهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فاسرعوا الى اميركم وبادروا
جهاد عدوكم ان شاء الله اقول كتب هذا الكتاب حين نزل بماء العذيب متوجها الى البصرة وبعثه
مع الحسن عليه السلم وعمار بن ياسر رضه وعبارة رويته والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واضطراب
والعنف ضد الرفق والفلتة البغتة من غير روية واتيح قدر وقلع المنزل باهله اذا نبا بهم فلم
يصلح لاستيطانهم وقلعوا به اذا لم يستقروا فيه ولم يثبتوا وجاشت القدر غلت والمرجل
القدر من نحاس واعلم انه صدر الفصل بمدحهم جذبا لهم الى ما يريده من نصرته على اهل البصرة
واستعار لهم لفظ الجبهة باعتبار انهم بالنسبة الى الانصار كالجبهة بالنسبة الى الوجه في القوة والشرف
والعلو وكذلك استعار لفظ السنام باعتبار علوهم وشرفهم في العرب بالاسلام والقوة في
الدين كشرف السنام وعلوه في الجمل وقال قطب الدين الراوندي المراد بجبهة الانصار رجالهم
وسنام العرب نجدهم ومن ارتفع منهم حقيقة في الموضعين والمعنى قريب مما قلناه الا ان اللفظين
ليسا حقيقة لان من علامات الحقيقة السبق الى الفهم ولا واحد من المعنيين المذكورين يسبق من هذين اللفظين

الى الفهم

الى الفهم ثم ثنى بذكر الشبهة التي جعلها اصحاب الجمل واهل الشام ومن اراد الفساد في الارض حجة حتى كانت
مبدأ لكل فتنة نشأت في الاسلام وهي شبهة قتل عثمن مع الجواب عنها وهو قوله اما بعد الى قوله عيانه وامر
عثمن شأنه وحاله التي جرت له وقوله حتى يكون سمعه كعيانه كناية عن تمام البيان في ذلك الامر لمن لم يشهده
من اهل الكوفة وقوله ان الناس طعنوا عليه اشارة الى مبدأ قتله وهو طعن الناس عليه بالاحداث
التي نقموها منه يقال طعن فيه بالقول وطعن عليه اذا ذكره قبيحا وقد ذكرنا تلك المطاعن وهذا القول
كالمقدمة للجواب عن نسبته الى قتله وكذلك قوله فكنت رجلا الى قوله عتابه كصغرى قياس ضمير من الشكل
الاول بين فيه انه برئ من دم عثمن ومعنى قوله اكثر استعتابه اي اكثر طلب العتبى منه والرجوع
الى ما يرضى به القوم منه واقل عتابه اي ذكر ما اجده منه قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة
الموجدة وانما كان يقل عتابه لانه عليه السلم كان مخاطبته فيما هو اهم من ذلك وهو ارضاؤه للقوم واستعتابه
لهم ليدفعوا عنه ويطفئوا نائرة الفتنة او لان حوله جماعة كمروان وغيره فكان عليه السلم اذا عاتبه
وصفا له حتى كدرته تلك الجماعة وقيل اراد انك كنت اكثر طلب رضاه واقل لائمته وتقدير كبرى
القياس وكل من كان من المهاجرين بالصفة المذكورة فهو ابرأ الناس من دمه واقواهم عذرا
في البعد عن قتله وقوله وكان طلحة والزبير الى قوله غضب كصغرى قياس ضمير ايضا من الاول الزم
فيه القوم السائرين الى حربه وهم طلحة والزبير وعائشة مما نسبوه اليه من الدخول في دم عثمن
وكنى بقوله اهون سيرهما فيه الوجيف الى قوله العنيف عن قوة سعيهما في قتله وشدة تحريضهما على ذلك
وقد ذكرنا طرفا من حال طلحة معه وجمعه الناس في داره ومنعه من الماء وقد روي ان عثمن قال
وهو محصور ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة اعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمي ويحرض
على اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه وقد روي انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار
حملهم طلحة الى دار بعض الانصار واصعدهم الى سطحها وتسوروا منها عليه وقد روي ان مروان
قال يوم الجمل والله لا اترك ثاري من طلحة وانا اراه ولاقتلنه بعثمن ثم رماه بسهم فقتله واما
الزبير فروي انه كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا له ان ابنك يحامي عنه بالباب فقال ما اكره
ان يقتل عثمن ولو بدئ بابني وحالهما في التحريض مشهور واما عائشة فروي انها كانت
تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا واما الغضب الذي وقع منها فلتة في حقه فالسبب الظاهر فيه
هو اختصاصه بمال المسلمين قرابته وبني ابيه وهو السبب العام في قيام الناس عليه ونقمتهم
منه وسائر الاحداث مقويات لذلك وروي انه صعد المنبر يوما وقد غص المسجد باهله فمدت
يدها من وراء ستر فيها نعلان وقميص وقالت هذان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه
بعد لم تبل وقد بدلت دينه وغيرت سنته واغلظت له في القول فاغلظ لها وكان ذلك القول
منها من اشد ما حرض الناس على قتله وبالجملة فحال هؤلاء الثلثة في التحريض على قتله كان اشهر
من ان يحتاج الى ذكر وتقدير كبرى القياس وكل من كان كذلك كان اولى بالدخول في دمه وانت

الى التحريض عليه وقوله فانه لقوم قتلوه يفهم منه نسبة اجتماع الناس على قتله الى التقصير الا انه لم يصرف اذان
السامعين بهذه النسبة الصادقة عن نسبة ذلك اليه عليه السلم وافاد القطب الراوندي انه عليه السلم انما نفى
القتل المعقول ولم يقل امر الله به او امر الشيطان لئلا يرضى بذلك الفريقان وقوله وبايعني الى قوله
مجبرين صغرى قياس ضمير بين فيه خروج اصحاب الجمل عن طاعة الله ودخولهم تحت رذيلة الغدر ونكث العهد
المستلزم لدخولهم تحت عموم قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض الآية وقوله فمن نكث فانما ينكث على نفسه الآية وتقدير الكبرى
وكل من بايعه الناس طائعين مخيرين فلا يجوز لهم ان ينكثوا بيعته [illegible]
مستكرهين مجبرين اراد به كارهين يقال استكرهت الشيء اي كرهته وقوله واعلموا الى قوله المرجل
اعلام لاهل الكوفة باضطراب حال المدينة واهلها بخروج القوم الى البصرة للفتنة وغرضه من ذلك
الاعلام ان يهتموا بامر اخوانهم المؤمنين وقيل يحتمل ان يريد بدار الهجرة دار الاسلام وبلاده وكنى
بقلعها باهلها وقلعهم بها عن اضطراب امورهم بها وعدم استقرار قلوبهم من ثوران هذه الفتنة واستعار
لفظ الجيش [illegible] شبهها بالقدر في حال غليانها فان اضطراب الناس وحركاتهم من هذه الفتنة يشبه
ذلك ولكنه نبههم بذكر الفتنة والحرب وقيامها على قطبها ليستعدوا لها وينفروا اليها ولذلك اردفه
بالامر بسرعة المسير الى اميرهم يعني نفسه وان يبادروا جهاد عدوهم وذكر لفظ القطب وقيامها عليه
تشبيها به على المقصود وعلمت ان وجه استعارة الرحى للحرب هو مشابهتها في دورانها [illegible]
كالمشتمل ودوران الرحى على القطب وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** بعد فتح البصرة وجزاكم الله
من اهل مصر عن اهل بيت نبيكم احسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتم
فاجبتم **اقول** يشبه ان يكون الخطاب لاهل الكوفة ومن هنا لبيان الجنس من المصر المخوف بجزاكم
وقد دعا الله لهم ان يجزيهم بنصرة اهل بيت نبيه احسن الجزاء وشكرهم لنعمته من جهة علمهم بطاعته وقوله
فقد سمعتم اي امر الله والحق ودعيتم الى نصرة دينه فاجبتم داعيه وانما حذف المفعولات هنا
لان الغرض ذكر الافعال دون نسبتها الى مفعول تنبيها على علمها **ومن كتاب له عليه السلم** لشريح بن
الحرث قاضيه روى ان شريح بن الحرث قاضي امير المؤمنين عليه السلم اشترى على عهده دارا بثمانين
دينارا فبلغه عليه السلم ذلك فاستدعى شريحا وقال له بلغني انك ابتعت دارا بثمانين دينارا وكتبت
لها كتابا واشهدت فيه شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين قال فنظر اليه عليه السلم نظر مغضب
ثم قال له يا شريح اما انه سياتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسالك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا
ويسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن
من غير حلالك فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك
ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة
هذه هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد ازعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين

وخطة الهالكين وتجمع هذه الدار حدود اربعة الحد الاول ينتهي الى دواعي الآفات والحد الثاني ينتهي
الى دواعي المصيبات والحد الثالث ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه
يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من هذا المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة
والدخول في ذل الطلب والضراعة فما ادرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك فعلى مبلبل اجسام الملوك
وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن جمع المال على المال فاكثر
ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه للولد اشخاصهم جميعا الى موقف العرض
والحساب وموضع الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون شهد على
ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى وسلم من علائق الدنيا **اقول** هو شريح بن الحرث الكندي استقضاه
عمر على الكوفة ولم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل فيها الا سنتين وقيل اربع سنين
استعفى الحجاج فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير فاعفاه والبتة الجزم وبحس من البلاد رحل منها والخطة
بالكسر الارض يختطها الرجل ويعلمها بخط ليبني بها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة والمردي المهلك والضراعة
مصدر قولك ضرع ضراعة اي ذل وخضع والدرك التبعة واصل البلبلة الاضطراب والاختلاط و
الفساد والشيء بحيث يخرج عن حد الانتفاع به وكسرى لقب ملك الفرس كالاسم الجنسي لكل ملك منهم وكذلك قيصر
ملك الروم وتبع ملوك اليمن وحمير ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
وشيد رفع البناء وزخرف زين البناء بالزخرف ونجد زين ارضه والتنجيد التزيين بالفرش
والبسط ونحوها واعتقد المال والضيعة اتخذها وغرضه من الفصل التنفير عن متاع الدنيا ومن الركون
الى خضرتها وبهائها وتوبيخه باستثبات الامر منه بقوله بلغني الى قوله شهودا وكان يحتمل قول شريح
قد كان ذلك [illegible] ثم اخذ في تنفيره عن محبة هذه الدار واقتنائها بتذكيره الموت ووعيده باتيانه
وانه يخرجه منها ويشخصه ويسلمه الى قبره خالصا مجردا من تلك الدار وعن كل قنية اقتناها من الدنيا ثم خوفه
من وجه ثمنها وان يكون فيه شائبة حرام وارشاده الى الاحكام بما يستلزمه ذلك من خسران الدنيا
بالموت وخسران الآخرة [illegible] باعتبار ما يلزمه من الآثام باكل الحرام وابتغائه واشتريته يعني [illegible]
اما محققه فان قلت كيف قال فما فوقه ومعلوم انه اذا رغب عنها بدرهم فما دونه اولى ان لا يرغب
فيها بما فوقه قلت لما كان الدرهم هنا اقل [illegible] به وكان الغرض انك لو اتيتني عند
شرائك هذه الدار لما اشتريتها بشيء اصلا لم يحسن ان يذكر دون الدرهم الا ما فوقه ونحوه قول المتنبي
ومن جسدي لم يترك السقم شعرة فما فوقها الا وفيه له فعل وكان قياسه ان يقول فما دونها وعليه السلم
ان هذه النسخة كما اعدها خص المشتري بصفة العبودية والذلة كسرا لما عساه يعرض لنفسه من العجب
والفخر بشرائه هذه الدار الثاني انه اطلق لفظ الميت على من سيموت يعني البايع مجازا اطلاقا لما بالفعل
على ما بالقوة وتنزيلا لما [illegible] منزلة الواقع لغرض التحذير من الموت وازعاجه للرحيل الى الآخرة
اما ترشيح للاستعارة او اشارة الى ايقاظه وتنبيهه بالاعراض والامراض وكل ذلك من العبر الآتية

كنى بدار الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها وغفلتهم بالجنبة عما ورائها وقوله من جانب الفانين اخص
من دار الغرور وكذلك خطة الهالكين اخص من جانب الفانين على ما جرت العادة به في كتب البيع من الابتدا
بالاعم والانتهاء في تخصيص المبيع الى امور تميزه وان لم يكن بها غرض في ذكر التخصيص في ذكر الفانين
والهالكين والتذكير بالهلاك وان هذه الدار من جانب كانوا يسكنونه وخطة كانت لهم الرابع اشار
الى حدوده الاربعة وجعلها كنايات عما يلزمها من الامور المنفرة عنها وتنتهي اليه منها فجعل الحد الاول
ينتهي الى دواعي الآفات واشار بها الى ان تلك الدار لما كانت يلزمها كمالات لابد منها وعلامات
كالمرأة والخادم والدابة وما يلزم ذلك ويكون بسببه من الاولاد والاتباع والاقيات وسائر
فضول الدنيا التي يعد بعضها محتاجا الى بعض حتى يكون اغنى الناس فيها اكثرهم حاجة وفقرا لان كل
واحد من هذه الامور في معرض الآفات كالامراض والموت كانت تلك الامور هي دواعي الآفات
التي تعود اليها وتستلزمها وهي مما تنتهي اليه الدار وتستلزمه وانما جعله حدا اول لانها اول اللوازم
التي تحتاج اليها الدار وتعود اليها والحد الثاني ما تنتهي اليه ويلزمها من دواعي المصيبات واشار
بها الى الامور الاولى التي تحتاج الدار اليها وتستلزمها لكن باعتبار كونها مستلزمة لما يعرض لها من
الآفات لا يخلو بسبب ذلك من المصيبات فان كل واحد منها لما كان في معرض الآفة كان المتنعم بها
في معرض نزول المصيبات به وكان الحاله وقد تبدأ اليها والاستلزام دواعي الآفات لدواعي المصيبات
اردفها بها وجعلها حدا ثانيا منها ويحتمل ان يكون تسميتها في الموضعين دواعي باعتبار ان شهواتها تدعوا الى
حفظها والكد وذلك الانجاد يلزمه الآفات والمصيبات والحد الثالث ما ينتهي اليه ويلزمها الهوى
المردي والاتباع اذ كان اقتناء الدار في الدنيا مستلزما لمحبتها ومحبة كمالاتها ومتابعة الميول الشهوية
بغير هدى من الله وهو المراد بالهوى وظاهر كونه مرديا في حضيض جهنم ومهلكا فيها وجعل الهوى
هو الحد الثالث لكون تلك الدار وكمالاتها وما تدعو اليه كلها امورا مستلزمة للهوى والميول الطبيعية
المهلكة التي لا تنال تلك كلها بعضها بالبعض ويدعو بعضها الى البعض والحد الرابع ما ينتهي به الى الشيطان
المغوي وانما جعله الحد الاخير لانه الحد الذي ينتهي اليه تلك الحدود والدواعي وهو بعد الحد
الثالث اذ كان الشيطان من جهة الغواية مبدأ لميل النفس الى الدنيا وبعثها على متابعة هواها
واغواؤه يعود الى القائه الى النفس ان الاصلح لها كذا مما هو جاذب عن سبيل الله واشار بقوله
وفيه شرع باب هذه الدار الى كونه مبدأ باغوائه الى دواعي الاباحة المستلزمة للدخول
في شرائها واقتنائها وما تستلزمه ويدعو اليه والدخول في متاع الدنيا وباطلها فالشيطان
كالباب وما يصدر عنه والعقيدة بسببه من الدخول في امر الدار وشرائها كالباب فانظر الى ما اشتمل
عليه هذا الترتيب في كلامه عليه السلام من الحكم التي بها تميز عن كلام من سواه وهو في غاية التنفير عن الدنيا
وسد ابواب طلبها والجذب الى الله تعالى والارشاد الى لزوم الزهد الحقيقي الخامس وصف المشتري
بالمغتر بالامل باعتبار نظره الى امر في الدنيا هو الذي استلزم غفلته عن الآخرة وما خلق لاجله

وكان

وكان ذلك الاغترار سببا لشرائه لتلك الدار وجعل الثمن هو الخروج من عز القناعة والدخول في ذل
الطلب والضراعة باعتبار استلزام شرائه لذلك كما يستلزمه الثمن ووجه استلزامه انه لما كانت تلك
الدار كانت بالنسبة الى حال شريح فضلة زائدة على قدر الحاجة وكل فضل اقتناه الانسان زيادة
على قدر ضرورته فقد خرج به عن حد القناعة اذ القناعة هي الرضا والاقتصار على مقدار الحاجة من المال
وما يحتاج اليه وعلمت ان القناعة مستلزمة لقلة الاحتياج الى الخلق والغنى عنهم وطلب الغنى عنهم واطراح الحاجة
يكون عز القناعة والخارج عن القناعة خارج عن عزها وداخل في ذل الطلب والضراعة لانه باعتبار
ما هو خارج عن القناعة يكون كثير الحاجة الى الخلق وباعتبار ذلك يكون داخلا في الذل والضراعة اليهم
وغاية ذلك التنفير عن اقتناء فضول الدنيا بما يستلزمه من ذل الحاجة الى الخلق السادسة على الدرك
والتبعة الا انه في هذا البيع ملك الموت قطعا لامل الدرك وتذكيرا بالموت لغاية العمل له والاقتصار
على قدر الحاجة من متاع الدنيا وكنى عنه بمبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة
ببلبلته لنفوسهم وفي تخصيص مثل هؤلاء الملوك باخذ الموت لهم في معرض تعليق الدرك به تنبيه لهذا
المشتري على وجوب تقصير الامل قبل هذه الدار ونحوه من الآمال المتعلقة بمطالب المنقطعة بالموت فانه
اذا كان قد قطع آمال مثل هؤلاء ولم يدركوا معه تبعة جاههم وسلطانهم ايها القاضي السابع قوله ونظر
بزعمه لولده اي نظر في جمع المال لولده ورآه مصلحة لزعمه وزعمه وانما قيد به اذ كان في نظر جودة الراي
الاصلح سببا له الثامنة ذكر اشخاصهم ومنتهاه وهو موقف العرض والحساب وموضع الثواب
والعقاب ترهيبا من تلك الامور والتبعات وترغيبا في العمل للآخرة والامن من شرورها
التاسعة قوله اذا وقع الامر بفصل القضاء اي اذا وقع امر الله في محفل القيامة بفصل القضاء وقطع الحكم
بين اهل الحق والباطل منهم وربح المحقون وخسر هنالك المبطلون وهذا الختام مقتبس من القرآن
الكريم العاشرة قوله في الشهادة على ذلك العقل الخ في غاية الشرف وذلك ان الشاهد بما ذكره
في هذا الكتاب من اوصاف المبيع وحدوده والبيع ومن يلحقه دركه وغير ذلك مما عدده ليس
الا صرف العقل المبرأ من حظ الوساوس المطلق من اسر الهوى السالم من محبة الدنيا وما يتعلق به منها
اذ كان بتجرده عن هذه العلائق صافيا من كدر الباطل فيرى الحق كما هو ويحكم به فاما اذا كان اسيرا
في يد الهوى مقهورا تحت سلطان النفس الامارة لم يكن نظره الى الحق بعين صحيحة بل بعين غشت
ظلمات الباطل انواره فلذلك لم يشهد بمحض الحق اذ لم يره من حيث هو حق خالص بل شهد بالباطل
في صورة الحق كشهادته بالمصلحة في اقتناء الدنيا نظرا لعاقبة الولد او خوف الفقر ونحوه مما ينبغي
لاجله الطلب في ظاهر الشرع ولو نظر الى الحق بعين الصدق لعلم ان الجمع للولد ليس يكفله لان
رازق الولد هو خالقه وان الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر واشتغال عن الواجب عليه بغيره وبالله
التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى بعض امرائه فَإِنْ عَادُوا اِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ
وَاِنْ تَوافَتِ الْاُمُورُ بِالْقَوْمِ اِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ اَطَاعَكَ اِلَى مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَغْنِ

بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه اقول
روى ان الامير الذي كتب اليه هو عثمن بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين انتهت اصحاب
الجمل اليها وعزموا على الحرب فكتب عثمن اليه عليه السلم يخبره بحالهم فكتب عليه السلم اليه كتابا فيه الفصل المذكور
وقوله انفر اي انهض وانف حس التاخر والقعود واستعار لفظ الظل لما تستلزمه الطاعة من السلامة
والراحة من حرارة الحرب ومتاعبها التي هي ثمرات الشقاق كما يستلزم الظل الراحة من حر الشمس
وقوله وان توافت بهم الامور اي تتابعت بهم المقادير واسباب الشقاق والعصيان اليها
واعلم انه لما كان مقصوده عليه السلم ليس الا اجتماع الخلق على طاعته ليسلك بهم سبيل الحق كما هو مقصود الشارع
صلى الله عليه واله نبه على ذلك بقوله فان عادوا الى قوله نحب وقوله نعود الى المصدر الذي دل
عليه عادوا ويفهم من قوله فذاك الذي نحب حصر محبوبه في عودهم اي لا نحب الا ذلك ولذلك امره
بمحاربة العصاة والاستعانة بمن اطاعه عليهم على تقدير شقاقهم وعصيانهم وعلل تعيين الغرض
بالمطيعين دون المتكارهين وبالمنقادين دون المتقاعسين بان المتكاره في ذلك مغيبه
خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه وذلك لما يقع بسبب المتكاره من تخاذل الناس عند رؤيته
كك واقتدائهم به حتى ربما لا يكتفي بعدم منفعته بل يذكر المفاسد في الحرب وما يستلزمه من هلاك
المسلمين وكون ذلك منه ونحوه كما وقف بسببه كثير من الصحابة وابتعد عن وقايع الجمل وصفين
والنهروان فيكون في حضوره عدم المنفعة ومفسدة هي تخاذل الناس بسببه بخلاف مغيبه اذ ليس
فيه الا عدم الانتفاع به وروى خير من شهوده وكلاهما مصدر وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم
الى الاشعث بن قيس وهو عامله على اذربيجان وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك امانة
وانت مسترعى لمن فوقك ليس لك ان تفتات في رعية ولا تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال من
مال الله عز وجل وانت من خزانه حتى تسلمه الي ولعلي الا اكون شر ولاتك لك والسلم اقول روى
عن الشعبي ان عليا عليه السلم لما قدم الكوفة وكان الاشعث بن قيس على ثغر اذربيجان من قبل عثمن
ابن عفان فكتب اليه بالبيعة وطالبه بمال اذربيجان مع زياد بن مرحب الهمداني وصورة الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى الاشعث بن قيس اما بعد فلولا هنات
كن منك كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس ولعل اخر امرك يحمد اوله وبعضه بعضا ان اتقيت الله
انه قد كان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير اول من بايعني ثم نقضا بيعتي
عن غير حدث واخرجا عايشة فساروا بها الى البصرة فسرت اليهم في المهاجرين والانصار
فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا فابلغت في الدعاء واحسنت في البقية
واعلم ان عملك الى اخر الفصل وكتب عبد الله بن ابي رافع في شعبان سنة ست وثلثين والمسترعى
من جعل راعيا والطعمة المأكلة والرعية المرعية فعيلة بمعنى مفعولة والافتيات تفتات بالامر اذا استبد
بالامر والمخاطرة التقدم في الامور العظام والاشراف بها على الهلاك والوثيقة ما يرتقي به في الدين

وقوله وان عملك الى قوله بوثيقة اشارة الى قياس ضمير من الشكل الاول بين فيه انه ليس له ان يستبد في رعيته
بامر من الامور دون من استرعاه وان لا يخاطر في شيء من امور ولايته من مال وغيره الا بوثيقة ممن ائتمنه على
البلاد واسترعاه عليها ودل على الصغرى بقوله وان عملك الى قوله بوثيقة وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فليس له ان يستبد بامر دون من ائتمنه واسترعاه ولا يخاطر الا بوثيقة تخلصه وينبه بها على
ان بعض ما لا يجوز له الاستبداد به والمخاطرة فيه وهو مال الله في البلاد ونبه على وجوب حفظه بامرين احدهما
انه مال الله الذي افاءه على عباده المؤمنين والثاني انه من خزانه عليه الى غاية ان يسلمه اليه ومن شان
الخازن الحفظ وعدم التصرف فيما يخزنه الا باذن وامره ويلحق به رعيته وقد كان الاشعث متهوما
من علي عليه السلم حين ولي الامر وجانبا ما نسبه الى بني العمل في يده لهنات سبقت منه في الدين وقد
قد اشرنا الى بعضها فيما سبق في قوله وما يدريك ما علي مما لي ثم اراد عليه السلم تذكيره فقال ولعلي ان لا اكون
شر ولاتك لك اي شر من ولي عليك واتى بلفظ الترجي ليقيمه بين طوري الخوف والرجاء وانما يكون شر
ولاته عليه لو خالف الدين والاشعث يعلم ذلك فهو جاذب له الى لزوم الدين وقد روي انه لما اتاه كتاب
علي عليه السلم دعا بثقاته وقال لهم ان علي بن ابي طالب قد اوحشني وهو اخذي بمال اذربيجان لا محالة
وانا لاحق بمعوية فقال له اصحابه الموت خير لك من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل
الشام فاستحيا من ذلك وبلغ قوله اهل الكوفة فكتب اليه علي عليه السلم كتابا يوبخه فيه ويامره بالقدوم عليه
وبعث به حجر بن عدي الكندي فلامه حجر على ذلك وناشده الله وقال له اتدع قومك واهل مصرك وامير المؤمنين
وتلحق باهل الشام ولم يزل به حتى اقدمه الى الكوفة فعرض علي عليه السلم اثقاله فوجد فيها مائة الف درهم وروي
اربعمائة الف فاخذها وكان ذلك بالنخيلة فاستشفع الاشعث بالحسن والحسين عليهما السلم وبعبد الله بن
جعفر فاطلق له منها ثلثين الفا فقال لا يكفيني فقال لست بزايدك درهما واحدا وايم الله لو تركتها لكان خيرا
لك وما اظنها تحل لك ولو تيقنت ذلك لما بلغتها عندي فقال الاشعث خذ من خدعك ما اعطاك وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلم الى معوية انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمن على ما بايعوهم
عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فان اجتمعوا على رجل
وسموه اماما كان ذلك لله رضا فان خرج من امرهم خارج بطعن او بدعة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه
على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني
ابرا الناس من دم عثمن ولتعلمن اني كنت في عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسلم اقول هذا الفصل
من كتاب كتبه الى معوية مع جرير بن عبد الله البجلي حين نزع من همدان وصدره اما بعد فان بيعتي يا معوية
لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم ثم يتلو قوله وولاه الله ما تولى تمام الاية ويتصل بها ان قال
وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله
وهم كارهون فادخل يا معوية فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض
للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمن فادخل فيما دخل فيه الناس

فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك
واكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريدها فهي
خدعة الصبي عن اللبن ثم يتصل به قوله ولعمري الى قوله ما بدا لك ثم متصل به واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل
لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان
والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله الغرض الاهم من الاعتزال والتجني ان يدعيك ذنب لم تفعل قوله ابايعه
الى قوله الشام صورة الدعوى وقوله انها بيعة الى قوله صورة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول ونتيجته
منه لزوم تلك الدعوى لغاية صدقها بصدق لزومها وتقدير الكبرى وكل من بايعه القوم فليس لمن
شهد بيعتهم ان يختار غيره من بايعوه ولا الغائب عنها ان يرده فينتج انه ليس لاحد ممن حضر او غاب ان
يرد بيعتهم له وذلك يستلزم كونها لازمة لمن حضر او غاب وهذه الشبهة هي قوله لكن الى قوله يرد وقوله
وانما الى قوله نوسا تقرير لكبرى القياس وحصر للشورى والاجماع في المهاجرين والانصار لانهم اهل الحل
والعقد من امة محمد صلى الله عليه وآله فاذا اتفقت كلمتهم على حكم من الاحكام كاجماعهم على بيعته وتسميته اماما كان
ذلك اجماعا حقا هو رضى لله اي مرضي له وسبيل المؤمنين الذي يجب اتباعه فان خالف امرهم وخرج منه
بطعن فيهم او بدعة اخرجوا عليه كخلاف معوية وطعنه فيه عليه السلام بقتل عثمان ونحوه او بدعة كخلاف اصحاب
الجمل وبدعهم في ذلك بعضه ردوه الى ما خرج عنه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين حتى يفئ
اليه وولاه الله ما تولاه واصلاه جهنم وساءت مصيرا ثم اقسم انه على تقدير نظره بعقله دون هواه
ليجده ابرأ الناس من دم عثمان وانه كان بمعزل عنه والعزلة والاعتزال الا يفعل او
يقول ولم ينل من علي عليه السلام في امر عثمان الا انه لزم بيته واعتزل عنه بعد ان دافع عنه طويلا بيده ولسانه
فلم يمكن الدفع وقوله الا ان تجني الاستثناء منقطع اي الا ان تدعي علي ذنبا لم افعله فافعل ما بدا لك اي
ما ظهر لك من الذنوب والجنايات فان ذلك باب مفتوح لكل احد وعمل بالغيب المعلوم وانما
احتج عليهم بالاجماع والاختيار بحسب اعتقاد القوم ان المعتبر في نصب الامام اذ لم يكن عندهم انه
منصوص عليه ولو ادعى ذلك لم يسلم له وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام ايضا
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ وَكِتَابُ
امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ فَهَجَرَ
لَاغِطاً وَضَلَّ خَابِطاً وَمِنْ هَذَا الْكِتَابِ لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ
الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ أقول هذا جواب كتاب كتبه اليه معوية صورته من معوية
ابن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب اما بعد فلو كنت على ما كان عليه ابو بكر وعمر اذن ما قاتلتك
ولا استحللت ذلك ولكنه انما افسد عليك بيعتي خطيئتك في عثمان وانما كان اهل الحجاز الحكام
على الناس حين كان الحق فيهم فلما تركوه صار اهل الشام الحكام على اهل البصرة ولا حجتك على حجتك
على طلحة والزبير بايعاك ولم ابايعك واما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله

وموضعك

وموضعك من بني هاشم فلست ادفعه فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن صخر اما بعد
فانه اتاني منك كتاب امرئ الى قوله خابطا ثم يتصل به ان قال زعمت انه انما افسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان
ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما اوردوا واصدرت كما اصدروا وما كان الله
ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وانما زعمت ان اهل الشام الحكام على اهل الحجاز فهات رجلين من قريش
الشام يقبلان في الشورى او تحل لهما الخلافة فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار والا فانا
آتيك بهما من قريش الحجاز واما ما ميزت بين اهل الشام واهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري
ما الامر في ذلك الا واحد ثم يتصل به قوله لانها بيعة عامة الى آخره ثم يتصل به واما فضلي في الاسلام وقرابتي
من الرسول وشرفي في بني هاشم فلو استطعت دفعه لدفعت والسلام واما قوله اما بعد فقد آتتني الى قوله بسوء
رأيك فهو صدر كتاب اخر جاء به معوية من كتاب كتبه اليه بعد الكتاب الذي ذكرناه وذلك انه
لما وصل اليه هذا الكتاب منه عليه السلام كتب اليه كتابا يعظه فيه وصورته اما بعد فاتق الله ودع الحسد
فانه طالما لم ينتفع به اهله ولا تفسد سابقة قديمك بشاغر من حديثك فان الاعمال بخواتيمها ولا تلحدن بباطل
في حق من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل ذلك لا تضل الا نفسك ولا تمحق الا عملك ولعمري ان ما مضى
لك من السوابق الحسنة لحقيق ان تردك وتردعك عما اجترأت عليه من سفك الدماء واجلاء اهل الحق
عن الحل والحرام فاقرأ سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر نفسك الحاسد اذا حسد فقل الله
قلبك واخذ بناصيتك وعجل توفيقك فاني اسعد الناس بذلك والسلام فكتب اليه علي عليه السلام
اما بعد فقد اتتني منك موعظة الى قوله رأيك ثم يتصل به وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك
على الوثوب على ما ليس لك فيه حق ولولا علمي بك وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك مما لا مرد له
دون انفاذه اذن لوعظتك لكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو
لله وقارا ولم يخف له حذارا فشأنك وما انت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة تجد الله في ذلك بالمرصاد
من دنياك المنقطعة وتمنيك الاباطيل وقد علمت ما قال النبي صلى الله عليه وآله فيك وفي امك وابيك والسلام
وها هنا ان هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الاول ان الاول لم يكن فيه ذكر موعظة حتى يذكر انه
عليه السلام في جوابه غير ان السيد رحمه الله اضافه الى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعاة ذلك واشاله
ولنرجع الى المقصود فنقول الحبرة المزينة والتنميق التزيين بالكتابة وهجر يهجر اذا هذى او
افحش في منطقه واللغط الصوت والجلبة واصل الخبط الحركة على غير نظام ومنه خبط عشواء الناقة
التي ضعف بصرها والمروي المفكر والمداهنة المصانعة والجار الرضي بالامر مع اضمار خلافه و
الفصل من باب المنافرات واراد بكونها موصلة اي ملفقة من كلام الناس ملتقطة وقد زينت بالكتابة
ونسب تنميقها الى ضلالة لان موعظته وتكلفه اياها له عليه السلام عن الحق وهو انه على خطأ في دفع
علي المنطق كما زعم وظاهر ان ذلك الاعتقاد ضلال عن سبيل الله اوجب له تكلف تلك الموعظة ولا
لما كان جاهلا بسبك الكلام ووضعه مواضعه وجاءت موصلة ملفقة نسب ذلك الجهل الظاهر عليها اثر الكلفة

نه النهي فاستدل به على ضلاله واستعار لفظ البصر للعقل باعتبار ان له نورا يدرك به صور المعقولات
كما يدرك البصر بنوره صور المحسوسات ثم سلب عنه البصر الذي يهتدي به في سبيل الله اذ كان غافلا قاصرا
عن ادراك حقائق الدين ومقاصده ووجه المصالح الكلية المطلق بها شرع فلم يكن لعقله بصر يهتدي به في
تلك الامور ولذلك لم يكن له امام حق يرشده الى سبيل الله فلا جرم كان مجيبا لهواه اذ دعاه
ومنقادا للضلال في اجابة المخطئة لوجه المصلحة المطلق به عند تعليقه بالعناد واستلزم ذلك ان يهجر
فيقول ما لا ينبغي من القول لغطا وتخليطا وان يضل في سبيل الله خابطا في التيه لا يتبع مصالح العوالم
في دين الله ولا غلطا وخابطا حالان وقوله لانها ... قبل الذكر لانه ضمير القصة كقوله تعالى فانها
لا تعمى الابصار ويحتمل ان يرجع الى ما علم من حالها في قوله ظهورا الا واحدا اما شأن
اهل البصرة وشأن اهل الشام وشأن طلحة والزبير يعني الا واحدا والمعنى انها كانت لزمتك
فقد لزمتكم اية ثم اشار الى الحجة في ذلك بقياس مضمر من الشكل الاول صغراه هي كونها بيعة واحدة
باتفاق المهاجرين والانصار الذين هم اهل الحل والعقد من امة محمد صلى الله عليه وآله وتقدير كبراه وكل بيعة وقعت
كذلك فلا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها خيار ونبه بالكبرى على ما سبق من حاله الا بعد انه عليه السلم
اذ لم يكن لاحد ان يستثني في بيعتهم نظرا ولا يستأنف خيارا بعد ان عقدها المهاجرون والانصار لاجلهم
ثم اشار الى حكم من لم يدخل في بيعته وهم قسمان لان من لم يدخل فيها اما ان يخرج عنها او يقف فيها فحكم
الخارج عنها ان يكون طاعنا في صحتها وانعقادها فيجب ان يجاهد ويقاتل حتى يرجع الى سبيل المؤمنين
كما سبق وحكم الواقف فيها والمتروي في صحتها انه مداهن وهو نوع من النفاق ويستلزم عدله عن
سبيل الله والمؤمنين ووجوب اتباعه وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام
الى جرير بن عبد الله البجلي لما ارسله الى معوية اما بعد فاذا اتاك كتابي فاحمل معوية على الفصل
وخذه بالامر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ بيعته
والسلم اقول روي ان جريرا اقام عند معوية حين ارسله عليه السلم اليه حتى اتهمه الناس وقال عليه السلم
قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او عاصيا وابطأ حتى ايس منه فكتب اليه بعد ذلك
هذا الكتاب فلما انتهى اليه اتى معوية فاقرأه اياه وقال يا معوية انه لا يطبع على قلب الا بذنب
ولا يشرح الا بتوبة ولا اظن قلبك الا مطبوعا اراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئا
في يد غيرك فقال معوية القاك بالفصل في اول مجلس ان شاء الله ثم اخذ في بيعة اهل الشام فلما
انتظم امره لقي جريرا وقال له الحق بصاحبك واعلمه بالحرب فقدم جرير الى علي عليه السلم والبجلي منسوب
الى بجيلة قبيلة والمجلية من الاجلاء وهو الاخراج عن الوطن قهرا والمخزية المهينة والمذلة وروي مجزية
بالجيم اي كافية والحرب والسلم مؤنثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة والنبذ الالقاء والرمي
وحاصل امره لجرير ان يحمل معوية على فصل الامر وقطعه وجزم الحال معه بتخييره في احد امرين الحرب
يكون معها اجلاؤه والسلم يكون فيها ذليلا مهانا مقهورا وفي ذكر الاجلاء والخزي مع التقدير تخويف

وتهديد

وتهديد واشعار بانه عليه السلم في الامرين ظاهر ظافر وغالب قاهر ليلا يتعدى او يخشى ثم امره في تقدير
اختياره الحرب ان يرسيه بالاعلام بها ويلقي الوعيد اليه بافتتاحها من قبله عليه السلم ويجهر له بذلك من غير مداهنة
ومداراة كقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء وفي تقدير اختياره السلم بان يأخذ
بيعته ومن كتاب له عليه السلام الى معوية فاراد قومنا قتل نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا
الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر واوقدوا لنا
نار الحرب فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا يبغي بذلك الاجر وكافرنا
يحامي عن الاصل ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان
امن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر البأس واحجم الناس قدم اهل بيته فوقى بهم اصحابه
حر السيوف والاسنة فقتل عبيدة بن الحرث يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم مؤتة
واراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا من الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته اجلت
فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي احد بمثلها الا ان يدعي
مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال واما ما سألت من دفع قتلة عثمن اليك فاني
نظرت في هذا الامر فلم اره يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك
لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل الا انه طلب يسوؤك وجدانه
وزور لا يسرك لقيانه والسلم لاهله اقول هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه الى معوية جواب كتابه
اليه وصورة كتاب معوية من معوية ابن ابي سفيان الى علي بن ابي طالب سلام عليك فاني احمد اليك الله
الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله اصطفى محمدا بعلمه وجعله الامين على وحيه والرسول الى خلقه واجتبى له
من المسلمين اعوانا ايده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام فكان افضلهم في الاسلام
وانصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة الخليفة من بعد خليفته والثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلهم
حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك الهجر وفي تنفسك الصعداء وابطائك
عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وانت كاره ثم لم تكن لاحد منهم اشد حسدا
منك لابن عمك عثمن وكان احقهم ان لا تفعل ذلك به لقرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه
والبت عليه الناس وبطنت وظهرت حتى ضربت اليه آباط الابل وقيدت اليه الخيل العتاق وحمل
عليه السلاح في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقتل معك في المحلة وانت تسمع في داره الهائعة
لا تردع عن نفسك فيه بقول ولا فعل واقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من امره مقاما واحدا تنهنه الناس
عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس احدا ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمن والبغي
عليه واخرى انت بها عند انصار عثمن ظنين ايواؤك قتلة عثمن فهم عضدك وانصارك ويدك
وبطانتك وقد ذكر لي انك تتنصل من دمه فان كنت صادقا فامكنا من قتلة عثمن نقتلهم به ونحن من
اسرع الناس اليك والا فانه ليس لك ولا لاصحابك الا السيف والذي لا اله غيره والذي لا اله غيره

لتطحنن منه حين في الجبال والرمال والبر والبحر حتى تقتلهم الله أو تلحقن أرواحنا بالله والسلام ثم دفع الكتاب
إلى أبي مسلم الخولاني فقدم به الكوفة فكتب عليه السلام جوابه من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان
أما بعد فإن أخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمداً صلى الله عليه وآله وما أنعم الله عليه من الهدى
والوحي فالحمد لله الذي صدق له الوعد وتمم له النصر ومكن له في البلاد وأظهره على أهل العداوة والشنآن
من قومه الذين وثبوا به وشنفوا له وأظهروا له التكذيب وبارزوه بالعداوة وظاهروا على إخراجه
وعلى إخراج أصحابه كل الجهد وقلبوا له الأمور حتى ظهر أمر الله وهم كارهون وكان أشد الناس عليه أسرته
والأدنى فالأدنى من قومه إلا من عصم الله منهم يا ابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ولقد قدمت
فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلاء الله تبارك وتعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله وفينا فكنت في ذلك
كجالب التمر إلى هجر أو كداعي مسدده إلى النضال وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعواناً أيدهم به
فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام وكان أفضلهم في الإسلام كما زعمت وأنصحهم لله ورسوله
الخليفة الصديق وخليفة الخليفة الفاروق ولعمري إن مكانهما في الإسلام لعظيم وإن المصاب بهما
لجرح في الإسلام شديد يرحمهما الله وجزاهما بأحسن ما عملا وذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله
وإن نقص لم يلحقك ثلمه وما أنت والصديق فالصديق من صدق بحقنا وأبطل باطل عدونا وما أنت
والفاروق فالفاروق من فرق بيننا وبين أعدائنا وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثاً فإن يك
عثمان محسناً فسيلقى رباً غفوراً لا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمري إني لأرجو إذا أعطى الناس على قدر
فضائلهم في الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا في ذلك الأوفر إن محمداً صلى الله عليه وآله
لما دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنا أهل البيت أول من آمن به وصدق ما جاء به فلبثنا أحوالاً مجرمة
وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا ثم يتصل به قوله فأراد قومنا إلى قوله نار الحرب ثم يتصل به
إلى أن قال وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا ولا يشاربونا ولا يناكحونا ولا يبايعونا ولا نأمن فيهم حتى
ندفع إليهم النبي صلى الله عليه وآله فيقتلوه ويمثلوا به فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم ثم يتصل به قوله فعزم الله
إلى قوله بمكان أمن ثم يتصل به إلى أن قال فكان ذلك ما شاء الله أن يكون ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله
بالهجرة ثم أمره بعد ذلك بقتال المشركين ثم يتصل به قوله فكان صلى الله عليه وآله إذا احمر البأس
إلى قوله الحرب ويتصل به أن قال والله ولي الإحسان إليهم ولا تسأل عنهم بما قد سلفوا من الصالحات
فأسمعت بأحد هو أنصح لله في طاعة رسوله ولا أطوع لرسول الله صلى الله عليه وآله في طاعة ربه
ولا أصبر على الأذى والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وآله من هؤلاء النفر الذين
سميت لك وفي المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم الله بأحسن أعمالهم ثم ما أنت والتمييز بين المهاجرين
الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من
عليه الحكم لها ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القدر
فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد ألا ترى غير مخبر

لك

لكن بنعمة الله أحدث ثم يتصل به أول الكلام المذكور في كتابه إلى معاوية وهو من محاسن الكتب إلى
قوله عليه توكلت ثم يتصل به قوله ولعمري إلخ وهذا أخبط عجب من السيد رحمه في وجوه كتبه عليه السلام في كثير
من المواضع ولنرجع إلى الشرح فنقول الاجتياح الاستئصال والهموم المقصود والحلس كساء رقيق
يجعل تحت قتب البعير والوعر الصعب المرتقى والحوزة الناحية وحوزة الملك بيضته والحلف العهد
بين القوم والإجذام الكف عن الأمر وأحد جبل بالمدينة ومؤتة بالضم أرض بأدنى البلقاء دون دمشق
والإدلاء بالشيء التقرب به والتنحي عن الأمر التنحي عنه والغي الضلال والشقاق الخلاف والأزور الأبرد
واعلم أنه عليه السلام أجاب عن كل فصل من كلام معاوية بفصل وهذا الفصل يشتمل على ذكر إجابته دعاء من قرب
إليه من بني هاشم وفضيلتهم في الإسلام والكفر في جواب تفضيل معاوية لغيره عليه حيث قال في صدر كتابه
في ذكر محمد صلى الله عليه وآله واجتبى له من المسلمين أعواناً أيده بهم إلى قوله والثالث الخليفة المظلوم عثمان
وصدر هذا الفصل من قوله ولعمري إني لأرجو فيه إلى قوله الأوفر إيماء إلى أنه أفضل الجماعة كان نصيبه
الأوفر من الثواب إذا كان على قدر الفضل كان مستلزماً للأفضلية وقوله إن محمداً صلى الله عليه وآله إلى قوله
ونعيته آخرت شرح لفضيلته وفضيلة أهل بيته وتقرير لما أشار إليه من دعوى الأفضلية وهو يجري مجرى
قياس ضمير من الشكل الأول وتقديره أن هذه الحال المشروحة من كوننا من آمن بالله وصدق ما جاء به
وعبده وصبرنا على مجاهدة أعدائه مع رسوله صلى الله عليه وآله الصبر المشروح إلى الغاية المذكورة وقد سبقت
منا الإشارة إلى أنه عليه السلام أول من عبد الله تعالى مع الرسول صلى الله عليه وآله هو وخديجة ومن لحق بهم من المسلمين
وأنهم بقوا على ذلك عدة سنين يتعبدون بشعاب مكة وغيرها سراً وكانت المشركون يبالغون في
أذاهم وقيل إن المشركين بعد ظهور النبي صلى الله عليه بالنبوة لم تنكر عليه قريش حتى سب آلهتهم فأنكروا
عليه وبالغوا في أذاه وأغروا به صبيانهم فرموه بالحجارة حتى أدموا عقبه وبالغوا في أذى المسلمين فأمرهم
رسول الله صلى الله عليه بالخروج إلى الحبشة فخرج في الهجرة إليها أحد عشر رجلاً منهم عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن
ابن عوف وعبد الله بن مسعود وخرجت قريش في طلبهم ففاتوهم فخرجوا في طلبهم إلى النجاشي فلم يمكنهم
منهم فلم يزالوا يبالغون في أذى الرسول صلى الله عليه وآله ويعملون الحيلة في هلاكه روى أحمد في مسنده
عن ابن عباس قال إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتى نقتله قال فأقبلت فاطمة عليها السلام حتى دخلت عليه
فأخبرته بقولهم وقالت لو قد رأوك لقتلوك وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك فقال
يا بنية أريني وضوءاً فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه غضوا أبصارهم ثم قالوا ها هو ذا ثم لم يقم إليه
أحد فأقبل صلى الله عليه وآله حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شاهت الوجوه فما
أصاب رجلاً منهم شيء منه إلا قتل يوم بدر كافراً وقوله فأراد قومنا إهلاك نبينا واجتياح أصلنا
إلى قوله نار الحرب وقوله هموا بنا الهموم أي أرادوا بنا الإرادات والأفاعيل إرادات إيقاع السوء
بهم والأفاعيل القبيحة وقيل أراد بالهموم الأحزان أي هموا أن يفعلوا بنا ما يوجب الأحزان وقوله

وشنوا الغضب اي طلب الحرب وهو استعارة لفظ الاغلاس لازامهم الخوف واشعارهم اياه ملاحظة لشبهه
بالملبس في لزومه لهم وكذلك استعارة لفظ النار للحرب ملاحظة لشبهها بالنار في الاذى والافناء بما يقع فيها
ومنح نبذكر الايقاد فاما قوله واضطرونا الى جبل وعر فقوله وكتبوا علينا بينهم كتابا وروي انه لما اسلم
حمزة وعمر وحمى النجاشي من عنده من المسلمين وحامى ابو طالب عن رسول الله صلعم فشا الاسلام في القبايل
واجتهد المشركون في اطفاء نور الله واجتمعت قريش وايتمروا بينهم ان يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه على
ان لا ينكحوا الى بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك وختموه
وتواثقوا عليها وعلقوها في جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على انفسهم فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم
الى ابي طالب وظاهر المشركين وخلوا عنهم البررة بنسبتهم وخرج من بني هاشم ابو لهب والغادرة وحصروهم
في ذلك الشعب في اول سنة سبع من النبوة فكانوا لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع صوت
صبيانهم من وراء الشعب من شدة الجوع فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه فاقاموا على ذلك ثلث
سنين حتى اوحى الله الى رسوله ان الارضة قد اكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان فيه ظلم وجور وبقي فيها
ما كان ذكر الله فاخبر بذلك عمه ابا طالب فامره ان ياتي قريشا فيعلمهم بذلك فجاءهم وقال ان ابن اخي
اخبرني بكذا وكذا فان كان صادقا فانزعوا عن سوء رايكم وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه او
استحييتموه فقالوا قد انصفتنا فارسلوا الى الصحيفة فوجدوها كما اخبر صلعم فسقط في ايديهم وعرفوا انهم
بالظلم والقطيعة فذلك معنى قوله واضطرونا الى جبل وعر ال‌ه وقوله حتى انثنى اي ارادوا ذلك ايه
الحاجة منه واشار بذلك الى مذهب عن حوزة الاسلام ومحو حرمه ان يتنكب ولكن عزمهم بالدين حين رآنا
وقوله يوم ثنا الى قوله من الاصل وكنا بمعنا هذا عن دين الله ومحمى رسوله فكان من آمن منا يريد بذلك
الاجر من الله ومن كان منا على كفره كالعباس وحمزة وابو طالب في قول فانهم كانوا يحمون عن رسول
الله صلعم على وقوله ومن اسلم من قريش الى قوله فالوا وغلظ ذلك قوله ومن عمالا اي كما نقاتل لاجل الحرب
عن دين الله فالذي كان من اسلم من قريش عدا بني هاشم وبني عبد المطلب فانهم ما كان فيه من البلاء امنين
من الخوف والقتل فمنهم من كان له حلف وعهد من المشركين يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه وبذلك
يظهر فضله عليه السلام وفضيلة بني هاشم وبني المطلب وبلاءهم في حفظ رسول الله صلعم ثم لما امر الله بقتال
المشركين كان يقدم اهل بيته فيقي بهم اصحابه حد السيوف واسنة الرماح وكنى بحمرة الباس عن شدة
الحرب اذ الباس فيها يستلزم ظهور حمرة الدماء وان كان استعمال هذا اللفظ في تلك الملاحظة
في الكناية وهو استعمال مجاز لغة عن شدته وذلك في الحرب ايضا مما يستلزم ظهور الدما وبدرا سم
حيث يحاذى واما عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فقتل يوم بدر عتبة بن ربيعة وذلك انه لما التقى المسلمون
والمشركون يوم بدر برز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة وابنه الوليد وطلبوا المبارزة فخرج اليهم رهط
من الانصار فقالوا نريد الاكفاء من المهاجرين فقال رسول الله صلعم قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا علي
فبارز عبيدة وهو اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فقتل علي وحمزة قرنيهما

ونبو المطلب الى ابي طالب
في ظلال الشعب وخرج
من بني هاشم ابو لهب

واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما اثبت صاحبه واجتز حمزة وعلي باسيافهما عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة
فجاءا به الى رسول الله صلعم وقد قطعت رجله ومخها يسيل فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى فقال ابو عبيدة
لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول ⁂ ونسلمه حتى نصرع حوله ⁂ ونذهل عن ابنائنا والحلائل
واما حمزة بن عبد المطلب فقتله وحشي في وقعة احد بعد وقعة بدر في سنة ثلث من الهجرة وكان سبب ذلك
ان من حضر بدرا من المشركين لما رجعوا وجدوا العير التي قدم بها ابو سفيان موقوفة في دار الندوة فمشى اشراف
قريش وشكوا الى ابي سفيان فقالوا نحن طيبوا الانفس بان نجهز بربح هذه العير الى محمد فقال ابو سفيان انا اول
من اجاب الى ذلك ومعي بنو عبد مناف فباعوها وكانت الف بعير فكان المال خمسين الف دينار فسلم الى اهل
العير رؤوس اموالهم وعزلت الارباح وبعثوا الرسل الى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا في ثلثة الاف فيهم
سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلثة الاف بعير وبات جماعة على باب رسول الله صلعم ورأى في نومه كانه في
درع حصينة وكان سيفه ذا الفقار قد انفصم وكان بقرا تنحر وكان مردف كبشا فقال اما الدرع فالمدينة
والبقر قتل بعض اصحابه وانفصام سيفه مصيبة في نفسه والكبش كبش الكتيبة يقتله الله فكان المصاب ان رباعيته
كسرها عتبة بن ابي وقاص بحجر فدق رباعيته وهشم انفه وكلم وجهه وقيل الذي فعل ذلك عمرو بن قمئة وكان
ذلك اليوم صعبا على المسلمين وروي ان هندا قامت في ذلك اليوم في نسوة معها تمثل بقتلى المسلمين وتجدع
الاذان والانوف حتى اتخذت منها قلايد وبقرت عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها وهي
معاوية ابن آكلة الاكباد واما جعفر بن ابي طالب فقتل في وقعة مؤتة وكانت هذه الوقعة في جمادى الاولى
سنة ثمان من الهجرة وكان من سببها ان رسول الله صلعم بعث الحرث بن عمير الازدي الى ملك بصرى فلما
نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله رسول قبل ذلك فشق عليه صلعم ذلك فندب
المسلمين وعسكر في ثلثة آلاف وقال اميركم زيد بن حارثة فان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل
فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا وامرهم ان ياتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا
من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا قاتلوهم فسمع العدو بهم فجمعوا لهم وجمع لهم شرحبيل اكثر من مائة
الف فمضوا الى مؤتة فوافاهم المشركون فاخذ اللواء زيد فقاتل حتى قتل ثم اخذه جعفر فقاتل حتى قطعت
يداه وقيل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه اثنان وثمانون جرحا وسماه رسول الله
ذا الجناحين يطير بهما في الجنة تقطع به يد يونيه وقوله واراد من لو شئت ذكرت اسمه الى قوله وقرابة
اشارة الى نفسه اذ كان لكل اجل كتاب فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
ولما اشار الى دليل الفضيلة واهل بيته اردفه بالتعجب من الدهر حيث انتهى في اعداده وعظامه الى ان
صار بحيث يقرن به في الذكر والمرتبة من ليس له مثل سابقته في الفضيلة التي يتقرب بها الى الله تعالى
وقوله الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه اراد بالمدعي معاوية وبما لا يعرفه ما ساء يدعيه من الفضيلة في الدين
والسابقة في الاسلام وقوله ولا اظن الله يعرفه نفي لمعرفة الله لذلك المدعى لانه لا يعني ان يكون
لذلك المدعي فضيلة بعرفها نفي الفضيلة من طريق معرفة الله لها وهو اشارة الى انه لا وجود لتلك الفضيلة

وما هو جواز ان يمنع ان يعرف استحقاقه وجوده. وهنا اشار الى افضليته وعدم الفضيلة لطالب فوق حسن اداء
كما اسلفه فيه على كل حال وانه هنا منقطع لان الدعوى ليست من جنس البينة واما جوابه لسؤاله قتلة
عثمن فاصله يعود الى انه ذكر في ادبهم قولان انه لا يسعه تسليم المعترضين بذلك الى معوية ولا الى غيره
وذلك من وجوه احدها ان تسليم الحق الى ذي الحق عند المنازعة انما يكون بعد تعيين المدعى عليه وثبوت الحق
عليه وانما يكون ذلك بعد مرافعة خصمين الى الحاكم واقامة البينة بالدعوى او الاعتراف من المدعى عليه ومعلوم
ان معوية ومن طلب بدم عثمن لم يفعل شيئا من ذلك ولذلك قال عليه السلام لمعوية في موضع آخر واما طلبك الي
قتلة عثمن فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على الحق الثاني ان القوم الذين حضروا
قتله او شركوا فيه كانوا خلقا عظيما من الكثرة وفيهم المهاجرون والانصار كما روي ان ابا هريرة وابا
الدرداء اتيا معوية فقالا له علام تقاتل عليا وهو احق بالامر منك فضلا وسابقة فقال لستا اقول انه
افضل مني ولكن ليدفع الى قتلة عثمن فخرجا من عنده واتيا عليا فقالا ان معوية يزعم ان قتلة عثمن عندك
وفي عسكرك فادفعهم اليه فان قاتلك بعد ذلك علمنا انه ظالم لك فقال عليه السلام اني لم احضر قتل عثمن يوم قتل
ولكن هل تعرفان من قتله فقالا بلغنا ان محمد بن ابي بكر وعمارا والاشتر وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق
وفلانا وفلانا ممن دخل عليه فقال عليه السلام فامضيا اليهم فخذوهم فاقبلا الى هؤلاء النفر وقالا لهم انتم من قتل عثمن
وقد امر امير المؤمنين باخذكم قال فوثبت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكره عليه السلام اكثر من عشرة الف
رجل في ايديهم السيوف وهم يقولون كلنا قتله فبهت ابو هريرة وابو الدرداء ثم رجعا الى معوية وهما
يقولان لا يتم هذا الامر ابدا فاخبراه بالخبر واذا كان القاتلون والمعصبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه
تسليمهم ولا يمكن احد منهم الثالث انه كان في جماعة الصحابة المشهود لهم بالجنة من يرى ان عثمن كان يستحق
القتل باحداثه كما روي ان نصر بن مزاحم ان عمارا في بعض ايام صفين قام في اصحابه وقال امضوا معي
عباد الله الى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم انما قتله الصالحون المنكرون للعدوان والامرون بالاحسان
فقال هؤلاء الذين لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه فقالوا انه ما احدث
شيئا وذلك لانه كان مكنهم من الدنيا فهم ياكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال واذا
اعترف مثل هذا الرجل عليه السلام بانه شارك في قتله وعلل ذلك باحداثه احتمل ان يقال انه عليه السلام
لما نظر في هذا الامر فراى ان هذا الجمع العظيم من المهاجرين والانصار والتابعين لا يجوز ان يقتلوا رجلا الا وقد
احدث احداثا نقموا عليه جملة المسلمين وقد استعتب مرارا فلم يرجع فادى ذلك الى قتله ولم يسعه
تسليمهم الى من يطلب بدمه لما يستلزمه ذلك من ضعف الدين ووهنه ثم انه عليه السلام عدد الى بني طلب
من القوم ان لم يرجع عن ضلاله الى طريق الحق عن طرق الباطل وينزل فلانه فيكونوا هم الطالبين له وجعل
يطلبونك النصب مفعولا ثانيا لتعرف بمعنى تعلم وباقي الكلام من تمام التهديد ومراده بالزور المصدر
ولذلك افرده في غيره في مثله ويحتمل ان يريد الزائرين وافرد الضمير نظرا الى افراد اللفظ وبالله التوفيق
ومن كتاب له عليه السلام الى معوية وكيف انت صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه

من دنيا

من دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه
يوشك ان يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر وخذ اهبة الحساب وشمر لما قد
نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك والا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك مترف قد اخذ الشيطان
منك ماخذه وبلغ فيك امله وجرى منك مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية وولاة
الامر بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء واحذرك ان تكون متماديا
في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا واخرج الي واعف
الفريقين من القتال ليعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن قاتل جدك وخالك واخيك
شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت
نبيا واني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمن
ولقد علمت حيث وقع دم عثمن فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك
ضجيج الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد
مصارع الى كتاب الله وهي كافرة جاحدة او مبايعة حائدة اقول اول هذا الكتاب من عبد الله علي
امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان سلام على من اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو
اما بعد فانك رايت من الدنيا وتصرفها باهلها فيما مضى منها وخير ما بقي من الدنيا ما اصاب العباد
الصادقون فيما مضى منها ومن نسي الدنيا نسيان الآخرة يجد بينهما بونا بعيدا واعلم يا معوية انك قد ادعيت
امرا لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية ولست تقول فيه بامر بين يعرف لك به اثر
ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعيه من رسول الله ثم يتصل بقوله فكيف انت الفصل
والجلباب الملحفة وتبهجت تحسنت وتزينت ويوشك بالكسر يقرب ووقفه على دنياه اي اطلعه عليه
والمجن الترس ويروى منج وقعس اي تاخر والاهبة العدة وهو ما يهيا للامر ويستعد به له وشمر
ثوبه رفعه والاغفال الاهمال والترك والمترف الذي اطغته النعمة والباسق العالي والتمادي في الامر
تطويل المدة فيه والغرة الغفلة والامنية ما يتمنى والرين الغلبة والتغطية والمرين على قلبه من غلبت عليه
الذنوب وغطت عين بصيرته الملكات الردية والشدخ كسر الشيء الاجوف والثائر الطالب بالدم
والضجيج الصياح والحائدة العادلة وقد استفهم عن كيفية صنعه عند مفارقة نفسه لبدنه استفهام تنبيه له
على غفلته عما وراءه من احوال الآخرة وتذكيرا بها واستعار لفظ الجلابيب للذات التي اشتملت الدنيا
عليها وزينتها ووجه الاستعارة كون تلك اللذات ومتعلقاتها احوالا ساترة بينه وبين ادراك
ما وراءه من احوال الآخرة ما تغطي من ذلك كالساتر الجلباب ما وراءه ورشح الاستعارة بذكر التكشف
ولفظ ما مجمل بينه بقوله من دنيا مع ساير صفاتها وهي تحسنها وزينتها واسند اليها التبهج مجازا اذ اهل
لها ذات تبهج ليس نفسها بل الله تعالى ونحوه وخدعت مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد
فلان حقيقة الخدع ان يكون من انسان لغيره فاستعملها هنا في كون الدنيا سببا لما فيها من اللذات

ولا وجوداً لم يستطع ان يعرف استحقاقه وجوده ولهذا اشار الى افضليته وعدم المفضول لقاعدة حسن الردافه

كما سوء فهمه على كل حال وايضاً فانا لا نستطيع ان الدعوى ليست من جنس السابق واما جوابه لسؤاله قتله

عثمان فاصله يعود الى انه ع ذكر في امرهم قرأ انه لا يسوغ تسليم المعترضين بذلك الى معوية ولا الى غيره

وذلك من وجوه احدها ان تسليم الحق الى ذي الحق هنا انما قرة انما يكون بعد تعيين المدعى عليه وثبوت الحق

عليه وانما يكون ذلك بعد مرافعة الخصمين الى الحاكم واقامة البينة بالدعوى او الاعتراف من المدعى عليه ومعلوم

ان معوية ومن طلب دم عثمان لم يفعل شيئاً من ذلك ولذلك قال ع لمعوية في موضع آخر واما طلبك الى

قتلة عثمان فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكم القوم الى احملك واياهم على الحق الثاني ان القوم الذين حضروا

قتله او شركوا فيه كانوا عدداً من الكثرة وفيهم المهاجرون والانصار كما روى ان ابا هريرة وابا

الدرداء اتيا معوية فقالا له علام تقاتل علياً وهو احق بالامر منك لفضله وسابقته فقال لستا اقاتله لانه

افضل منه ولكن ليدفع الى قتلة عثمان فخرجا من عنده واتيا علياً فقالا له ان معوية يزعم ان قتلة عثمان في

عسكرك فادفعهم اليه فان قاتلك بعدها علمنا انه ظالم لك فقال لهما انا لم احضر قتل عثمان يوم قتل

ولكن هل تعرفان من قتله فقالا بلغنا ان محمد بن ابي بكر وعماراً والاشتر وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق

وفلاناً وفلاناً ممن دخل عليه فقال لهما فامضيا اليهم فخذوهم فاقبلا الى هؤلاء النفر وقالا لهم انتم من قتلة عثمان

وقد امر امير المؤمنين باخذكم قال فوثبت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر علي اكثر من عشرة الف

رجل في ايديهم السيوف وهم يقولون كلنا قتلة عثمان فبهت ابو هريرة وابو الدرداء ثم رجعا الى معوية وهما

يقولان لا يتم هذا الامر ابداً فاخبراه بالخبر واذا كان القاتلون والمعصبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه

تسليمهم وتمكين احد منهم الثالث انه كان في جماعة الصحابة المشهود لهم بالجنة من يرى ان عثمان كان يستحق

القتل باحداثه كما روى ان نصر بن مزاحم ان عماراً في بعض ايام صفين قام في اصحابه وقال امضوا معي

عباد الله الى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم انما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالاحسان

فقال هؤلاء الذين لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه فقالوا انه ما احدث

شيئاً وذلك لانه كان المكنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدمت عليهم الجبال واذا

اعترف مثل هذا الرجل على جلالته بان شارك في قتله وعلل ذلك باحداثه احتمل ان يقال انه عليه السلم

فكر في هذا الامر فرأى ان هذا الجمع العظيم من المهاجرين والانصار واتباعهم لا يجوز ان يقتلوا برجل واحد

احدث احداثاً نقموها عليه جملة المسلمين وقد استحب ما رآه ان يرجع في ذلك الى الله ولم يسعه

تسليمهم الى من يطلب بدمه لما يستلزمه ذلك من ضعف الدين ووهنه ثم انه عليه السلم عدد الى من طلب

من القوم ان لم يرجع عن ضلاله الى طريق الحق عن طرق الباطل وينزل عن خلافه ليكونوا هم الطالبين لو حمل

يطلبونك النصب مغفولاً بما تعرف بمعنى نعم وما في الكلام من تمام التهديد ومراده بازور المصدر

والذي اذ وجبره في لماه ويحتمل ان يريد الزائرين وافرد الضمير نظراً الى افراد اللفظ وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلم الى معوية وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ

من دنيا

مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا وَإِنَّهُ

يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ

نَزَلَ بِكَ وَلَا تُمَكِّنِ الْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ

مِنْكَ مَأْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوُلَاةَ

الْأَمْرِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً

فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ وَأَعْفِ

الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ

شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَلَا اسْتَحْدَثْتُ

نَبِيّاً وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثْمَانَ

وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ

ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ

مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ أقول اول هذا الكتاب من عبد الله علي

امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان سلام على من اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو

اما بعد فانك قد رأيت من الدنيا وتصرفها باهلها فيما مضى منها وخير ما بقي من الدنيا ما اصاب العباد

الصادقون فيما مضى منها ومن يقس الدنيا بشأن الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً واعلم يا معوية انك قد ادعيت

امراً لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية ولست تقول فيه بامر بين يعرف لك فيه اثر

ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعيه من رسول الله ثم يتصل بقوله فكيف انت الفصل

والجلباب الملحفة وتبهجت تحسنت وتزينت ويوشك بالكسر يقرب ووقفه على دينه اي اطلعه عليه

والمجن الترس ويروى منج وقعس اي تأخر والاهبة العدة وهو ما يهيأ للامر وليستعد به وشمر

ثوبه رفعه والاغفال الاهمال والترك والمترف الذي اطغته النعمة والباسق العالي والتمادي في الامر

تطويل المدة فيه والغرة الغفلة والامنية ما يتمنى والرين الغلبة والتغطية والمرين على قلبه من غلبت عليه

الذنوب وغطت عين بصيرته الملكات الردية والشدخ كسر الشيء الاجوف والثائر الطالب بالدم

والضجيج الصياح والحائدة العادلة وقد استفهم عن كيفية صنعه عند مفارقة نفسه لبدنه استفهام تنبيه له

على غفلته عما وراءه من احوال الآخرة وتذكيراً بها واستعار لفظ الجلابيب للذات الحاصلة له في الدنيا

من اموالها وزينتها ووجه الاستعارة كون تلك اللذات ومتعلقاتها احوالاً ساترة عنه وبين ادراك

ما وراءه من احوال الآخرة ما تعقله من ذلك كالساتر الجلباب ما وراءه ورشح الاستعارة بذكر التكشف

ولفظ ما يحل منه بقوله من دنيا مع سائر صفاتها وهي تحسنها وزينتها واسند اليها التبهج مجازاً اذ المحل

للذات تبهج ليس نفسها بل انه تعالى ونحوه وخدعت مجازاً في الاقراد والتركيب اما في الافراد

فلان حقيقة الخدع ان يكون من انسان لغيره فاستعملها هنا في كون الدنيا بسبب ما فيها من اللذات

موجبة لكونها مقصودة بالذات وانما كال حيوة مع انابت لك وذلك لشبه الخدعة واما في التركيب فلان
كونها موجبة لذلك ليس من فعلها بل من اسباب اخرى تنتهى الى الله سبحانه وذلك المجوز في قوله خدعتك وقادتك
وامرتك فان الدعاء والقود والامر لها حقايق معلومة لكن لما كانت تصورات كلها اسبابا جاذبة لما
استثبت تلك التصورات الدعا في كونها اسبابا جاذبا الى الداعي فاطلق عليها لفظ الدعاء وكذلك اطلق على
تلك التصورات لفظ القود والامر باعتبار كونها اسبابا مستلزمة لاتباعها كان الامر والقود يوجبان
الاتباع واما في التركيب فلان تلك التصورات التي اطلق عليها لفظ الدعاء والقود والامر مجاز ليس
فاعلها وموجبها هو الدنيا بل واهب العلم وما كانت اجابة الدنيا واتباعها وطاعتها معاصي يخرج الانسان
بها عن حدود الله ذكر انه في معرض توبيخه وذمه وقوله وانه يوشك الى قوله تذكير بقرب اطلاعه على ما يخاف من الهلاك
الآخرة والوصول اليه اللازم عن لزوم المعاصي وهو في معرض التحذير له والتنفير عن اضراره على معصية
باد غاية ماليس لراى تقرب ان اطلعك مطلع على ما لا بد لك مما تخاف من الموت وما تستلزمه من عقاب
من لحوق العذاب وظاهر ان تلك امور غفلت عنها العصاة في الدنيا واموا في حجب الابدان فاذا
نزعت عنهم تلك الحجب اطلعوا على ما قدموا من خير او شر وما اعد لهم بسبب ذلك من سعادة او شقاوة
كما اشار اليه سبحانه بقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقد مرت الاشارة
الى ذلك غير مرة وذلك المطلع والموقف هو الله سبحانه ويحتمل ان يريد به نفسه عليه السلم اي لو توصل
لو اتصل به بالفعل المستلزم لذلك الاطلاع ان دام على غيه وظاهر ان تلك الامور التي تقف عليها
لا ينجيه منها منج ثم اردف ذلك التوبيخ والتهديد بالغرض له منها وهو امره بان تخرج عن امر الخلافة ثم اردف
ذلك بما يستلزم التخويف والتهديد فامره بالاخذ الاهبة للحساب والاستعداد له بعدته ونبه على انه
ونقواه ومجانبة معاصيه وبالتشمير لما قد نزل به وكنى بالتشمير عن الاستعداد ايضا وما نزل به اما
الموت او القتل وما بعده تنزيلا لما لا بد من وقوعه او هو في مظنة الوقوع منزلة الواقع ويحتمل ان يريد به
الحرب التي يريد ان يوقعها به ثم نهاه عن تمكين الغواة من سمعه وكنى به عن اصغائه اليهم فيما يشيرون به
عليه من الاراء المستلزمة للبقاء على المعصية اذ من شان الغاوي الاغواء والغواة كعمرو بن العاص ومروان
ومن كان يعتضد به في الراي وقوله والا تفعل اي ان لم تفعل ما امرتك به اعلمك ما تركت من
نفسك ومفعول تركت محذوف وقوله من نفسك بيان لذلك الضمير وتفسير له واعلام النفس بذلك الغدا
بما يخلصه من اهوال الحرب وعذاب الآخرة وهو ملازمة طاعة الله واقتناء الفضايل النفسانية
ويفهم من ذلك الاعلام الذي توعده الاعلام بالفعل فان مضايقته بالحرب والقتال يستلزم اعلامه
ما اغفل من نفسه من طاعة الله المستلزمة لخلاصه وقوله فانك الى قوله العزم وصف له بذام يستلزم
اعلامه بالقول ما اغفل من نفسه فالترف يستلزم تجاوز الحد الذي ينبغي وتركه وذلك الحد فضيلة
العفة لكون الشيطان قد اخذ منه ماخذه وبلغ فيه امله وجرى منه مجرى الروح والدم في القرب
يستلزم وصفه بكل الرذايل المستلزمة لترك اضدادها من الفضايل ثم اخذ في استفهام عن وقت كون

بني امية

بني امية ساسة الرعية وولاة امر الامة استفهاما على سبيل الانكار لذلك والتقريع بالخمول والقصور
عن رتبة الملك والولاة والقدم السابق كناية عن التقدم في الامور والاهلية لذلك وشبهه بقوله بغير
قدم سابق على ان سابقة الشرف والتقدم في الامور شرط لتلك الاهلية في المتعارف وهو في قوة
صغرى ضمير من الشكل الاول تقديرها وانتم بغير قدم سابق وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس
باهل لسياسة الرعية وولاة امر الامة فينتج انكم لستم اهلا لذلك وهو عين ما استنكر نقيضه وظاهر انهم
لم يكن فيهم من اهل الشرف اهل لذلك ثم استعاذ من لزوم ما سبق في القضاء الالهي من الشقاء بها على ان
معوية في معرض ذلك وتصدده لما هو عليه من المعصية وتغيير الدنيا ثم حذره من ان يمادي
في غفلة الاطلاع والامال في الدنيوية واشار الى كونه مختلف العلانية والسريرة وكنى بذلك عن النفاق
ووجه التحذير ما يستلزمه من لزوم الشقاء في الآخرة وقد كان معوية دعاه الى الحرب واجابه بجواب
سكت وهو قوله فدع الناس الى قوله ورده عنه واننسب جانب الطرف واعاجل بالمبارزة له سببا
لعله بانه مغطى على قلبه وبصر بصيرته بحجب الدنيا وجلابيبها فان من لوازم العلم باحوال الآخرة
وفضايل الدنيا الثبات عند المبارزة في طلبها وان ادى الى القتل حتى ربما تكون محبة القتال من لوازم
ذلك العلم ايضا وقد كان عليه السلم يعلم من حاله انه لا يثبت له وهو منه محبة لبقائه في الدنيا فلذلك دعاه الى
المبارزة ليعلم باقدامه عليه وفراره منه انه ليس على الحق وطريق الآخرة في حاله وان حجب الشهوات
الدنيوية قد غطت عين بصيرته عن احوال الآخرة وطلبها فكان فراره منه مستلزما لعدم علمه بالآخرة
المستلزم للرين على قلبه وعلامة دالة عليه وفي ذلك تهديد وتحذير وكذلك في افتخاره له وانتسابه
وتذكيره بكونه قاتل من قتل من اهله يوم بدر في معرض التخويف والتحذير له ان يصيبه ما اصابهم
ان اصر على المعصية وجده المقتول هو جده لامه عتبة بن ابي ربيعة فانه كان ابا هند وخاله الوليد
بن عتبة واخوه هو حنظلة بن ابي سفيان قتلهم جميعا عليه السلم يوم بدر وكذلك تذكيره ببقاء ذلك السيف
والقلب معه يلقى بهما عدوه وبكونه لم يستبدل دينا ولا نبيا وانه على المنهاج الذي تركه عليه
وهو طوعا ومكرهين وهو طريق الاسلام الواضح كل ذلك في معرض التخويف والتحذير والتوبيخ بالنفاق
ثم اشار الى الشبهة التي كانت سببا لثوران الفتن العظيمة وانقلاب امر الدين وهي شبهة الطلب
بدم عثمن التي كانت عمدته في عصيانه وخلافه واشار الى الجواب عنها بوجهين احدهما انه عليه السلم ليس
من قتلة عثمن فلا مطالبة عليه وانما توجه المطالبة على قاتليه وهو يعلم الثاني انه مع تقدير ان كنت طالبا
فان ايقاع الشك هنا بان ليستلزم عدم تسليم كونه طالبا بدم عثمن ثم عقب تخويفه بالحرب وما تستلزمه
من القتل الى الغاية المذكورة وهنا ثمة تشبيهات احدها المدلول عليه بقوله فكاني قد رايتك
والمشبه به هنا نفسه عليه السلم في حال كلامه هذا والمشبه هو ايضا نفسه لكن من حيث هي رايته رؤية
محققة وتحقيق ذلك ان نفسه لكمالها واطلاعها على الامور التي ستكون كانها مشاهدة لها ووجه الشبه
بينها بالقياس الى حالتها على المعلوم وظهوره له في الحالتين الثانية قوله تضج من الجلاد فانه ووجه الشبه

شدة برمه وضجره من ثقل كشدة تبرم الجمل المثقل بالحمل وضجيجه كناية عن تبرمه واستعار لفظ العض لفعلها على حظ
لشبهها بالسبع العقور ووجه المشابهة استلزام تلك الافعال الالم كاستلزام العض الالم والاذى فكانه قال وكان بجماعتك
والمشبه هنا ايضا نفسه والمشبه به ما دلت عليه بالسياق كانه قال كانه متصل او ملتصق بجماعتك عاض عليهم
ومحل به هو النصب على الحال والعامل ما في كان من معنى الفعل اي اشبه نفسي بالحاضر حال دعائهم له وجزعا
مفعول له وتجوز بلفظ التشبيه في المعنى من الامور التي توجد عن القضاء الالهي اطلاقا لاسم السبب على المسبب في قوله
ومصارع بعد مصارع والصريع ما صدر اي جزعا من مصارع تلحق بعضهم بعد بعض او تلحقهم بعد مصارع اخوانهم
السابقة وقد كان اعلامه عليه السلم بدعائهم له الى كتاب الله قبل وقوعه من ايامه الباهرة والواو في قوله وهي
للحال والعامل فيه هو ما في الكاف من معنى التشبيه واشارة الى انهم يدعونهم وقد كان يعلمهم بذلك
والمبالغة الجاحدة الدين بالجحود ولواحق بيته الى معوية ومن وصية له عليه السلم وصى بها جيشا بعثه الى العدو
فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً
وَدُونَكُمْ مَرَدّاً وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ
مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ
فَانْزِلُوا جَمِيعاً وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً
أَوْ مَضْمَضَةً اقول هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السلم الى زياد بن النضر الحارثي حين سرحه الى مقدمة
الى الشام من النخيلة لما اراد الخروج من الكوفة اليها وكان قد بعث معه شريح بن هانئ فاختلفا فكتب كل منهما اليه
يشكو من صاحبه فكتب عليه السلم اليهما اما بعد فاني وليت زياد بن النضر مقدمتي وامرته عليها وشريح على طائفة
منها امير فان جمعكما باس فزياد على الناس وان افترقتما فكل واحد منكما امير على الطائفة التي وليته عليها واعلما
ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلايعهم فاذا انتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما
من توجيه الطلايع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كيلا يغتركما عدو او يكون لهم كمين ولا تسيرا
الكتايب الا من لدن الصباح الى المساء الا على تعبية فان دهمكم داهم او غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبية ثم
يتصل بقوله فاذا نزلتم الى قوله او اثنين ثم يتصل بقوله واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم
فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم
وما اقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفلة ولا تلقى لكم غرة فما من قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترستهم من ليل
او نهار الا كانهم في حصون واحرسا عسكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوما حتى تصبحا الا غرارا او مضمضة
ثم ليكن ذلك شانكما ودابكما الى ان تنتهيا الى عدوكما وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فاني ولا شيء
الا ما شاء الله حثيث السير في اثركما عليكما في حربكما بالتؤدة واياكما والعجلة الا ان تمكنكما فرصة بعد الاعذار
والحجة واياكما ان تقاتلا حتى اقدم عليكما الا ان تبدءا او ياتيكما امري ان شاء الله ولنرجع الى الشرح فنقول
العين الجاسوس وطليعة الجيش الذي يبعث ليطلع على العدو ونفض الشعاب استقراؤها والخمر ما وارى
من شجر او جبل ونحوهما والكمين الواحد او الجمع يستخفون في الحرب حيلة لايقاع بالعدو والكتيبة الجيش والتعبية

جمع

جمعه واعداده والدهم العدد الكثير والعسكر بفتح الكاف موضع العسكر والاشراف جمع شرف بفتح الراء وهو المكان
العالي وقبلها بضم القاف وسكون الباء قدامها وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء واثناء الانهار جمع ثني وهو منعطفها
والرد العون والمرد المقاتل والرقبا المحافظون وصياصي الجبال وهي اعاليها واطرافها والهضاب جمع هضبة وهي
الجبل المنبسط على وجه الارض وكفة بالكسر اي مستديرة والغرار النوم القليل والمضمضة حركة النعاس في العين
وهو كناية عن قلة النوم ايضا والترسة جمع ترس واعلم ان صدر الكتاب ظاهر الا ان فيه نكتة وهي انه كرر لفظ
الامير الذي من شانه الكتاب وهما ليعلم ان الحصر لما الا وليتقيد حصر السيرة الوقت الذي ذكره واما الشايع
فتقيد حصره في حال التعبية وفي هذا الكتاب من تعليم كيفية الحرب قوانين كلية عظيمة النفع يستلزم استعمالها الظفر
بالعدو وفيه ما يخرج من تكذيب من ادعى انه لا علم له بالحرب كما حكاه عليه السلم من قريش فيما مضى وفي هذا الفصل جملة منها
احدها ان يختاروا المعسكرهم عند منازلة العدو قدام الاماكن العالية وسفوح الجبال واثناء الانهار وكشف على العلة
في ذلك ووجه المصلحة فيه بقوله كما يكون ردءا لكم اي تكون هذه الاماكن حافظة لكم من ورائكم مانعة من العدو ان
ياتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت معينة الثاني ان تكون مقاتلتهم من وجه واحد فان لم يكن فمن وجهين حيث
يحفظ بعضهم ظهر بعض وسره انه يستلزم الثبات الجيد واما القتال من وجوه كثيرة فمستلزمة لتفرق واضعف
الثالث ان يجعلوا لهم حفظة في الاماكن العالية وعلته ذكره وهو ان لا ياتيهم العدو من مكان يخافون منه او يامنون
على غرة وغفلة من الاستعداد له الرابع ان يعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلايعهم فلا يهملوا
الشايب عند روية المقدمة والطليعة وان قل عددهم لان من ورائهم ما يشعر بهجوم العدو وقربه الخامس
التحذير من التفرق ومن لوازمه الامر بالاجتماع حالتي النزول والارتحال وسره ظاهر السادس ان يجعلوا
الرماح مستديرة عليهم وان لا يستغرقوا في النوم كما يفعل الغار المطمئن وسرهما الحراسة والتحفظ خوف
هجوم العدو على الغرة وحال النوم ومن وصية له عليه السلم لمعقل بن قيس الرياحي حين انفذه الى الشام في ثلثة الاف مقدمة له
اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ
وَرَفِّهْ فِي السَّيْرِ وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَناً وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعْناً فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ
فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً وَلَا تَدْنُ
مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ
شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ اقول روى انه عليه السلم بعثه من المداين في ثلثة الاف وقال له
امض على الموصل حتى توافيني بالرقة ثم قال له اتق الله الفصل فخرج حتى اتى الحديثة وهي اذ ذاك منزل الناس
انما بنا الموصل بعد ذلك محمد بن مروان ثم مضوا حتى لقوه عليه السلم بالرقة والبردين الغداة والعشي وكذلك
الابردان والتغوير القيلولة وغور اي نزل في الغايرة وهي القايلة نصف النهار والترفيه الارفاق
والسكن ما يسكن فيه واليه والظعن الارتحال والانبطاح الاتساع والانبساط وانبث الشيء بالشيء علقه
والشنآن البغض والعداوة ولما كان معقل بن قيس متوجها للسفر الى الشام في جهاد اعداء امره
بتقواه الذي هو خير زاد في الطريق اليه ونبه بقوله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه على فوايد احدها

جذبه الى التقوى بالتخويف من لقاء الله اشار به تسهيل الجهاد عليه فانه لما كان مقصد ان الجهاد وحافظة مقرب الى الله
اشعره بوجوب تقاته ليستعد بتلك الطاعة التي هو بصددها لما يضطر اليه من تقاته اتى لقائه اذ امره بتقوى الله خوفه
لضرورة تقاته تعالى ليكون اسرع الى ما يامره به وينهاه عنه من الامور المذكورة منها وصيته فيها ان لا يقاتل
الا من قاتله فان قتال غير المقاتل ظلم ومنها ان يسير طرفي النهار بردهما ويغور في وسط غالب الشمس لقائل
من شدة الحر والمتاعب فيه وان يرفق في السير ليلحق الضعيف القوي ولا يظهر التعب على الناس لاجتماعهم
الى فضل القوة واستحسانها وان لا يسير في اول الليل لان الله جعله سكنا ومنها ما يستراح فيه من المتاعب
ويكون اليه بعد النفرة ثم اوّله لم يجعله محل الظعن وامره وان الراحة فيه بدنه ويتروح ظهره اي جمله واطلق عليه
لفظ الظعن مجازا اطلاقا لاسم المظروف على الظرف وان يجعل سيره بعد وقوفه في ليله حين ينبلج الفجر
او حين ينفجر الفجر لانها منفذ طيب السير وان يقف من اصحابه عند لقاء العدو وسطا ليكون نسبة الطرفين
في الرجوع اليه والاستمداد سماع اوامره على سواء ومن النواهي ان لا يدنو من القوم دنو قريب ما يشعرهم
بارادة ابتداء القتال ليكون اعذر عند الله والى القوم في دعايتهم الى الحق ولا يتباعد عنهم تباعد الشعر بخوفه
ورهبته من عدوه لئلا يطمع فيه العدو وضرب له غاية هي ورود امره عليه بالعدو
وان لا يحملهم بغضهم وعداوتهم على قتالهم قبل دعايتهم الى الامام الحق والاعذار اليهم بذلك فيكون قتالهم
على ذلك الوجه لغير الله بل لمجرد الهوى والعداوة فيخرج عن كونه طاعة وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى اميرين من امراء جيشه وَقَدْ اَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْاَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَهُ وَاَطِيعَا
وَاجْعَلَاهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً فَاِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْاِسْرَاعُ اِلَيْهِ اَحْزَمُ وَلَا اِسْرَاعُهُ
اِلَى مَا الْبُطْؤُ عَنْهُ اَمْثَلُ **اقول** الاميران المشار اليهما هما زياد بن النضر وشريح بن هاني وذلك انه حين
بعثهما في مقدمته في اثني عشر الف الى الشام اخذا على طريق فلقيا جند اهل الشام فكتبا اليه يعلمانه بذلك
فارسل الى الاشتر فقال له ان زياد بن النضر وشريحا ارسلا الي يعلمان انهما لقيا ابا الاعور في
جند من اهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول انه تركهم متواقفين فالنجا النجا اليهم فاذا اتيتهم
فانت عليهم واياك ان تبدا القوم بقتال الا ان يبداوك حتى تلقاهم وتسمع منهم ولا يحرمنك شنآنهم
على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف
من اصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب الناس
حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك ان شاء الله وكتب اليهما عليه السلام اما بعد فاني قد امرت عليكما
الفصل والسقط الزلة والحزم ضبط الرجل امره واخذه بالوثاقة واقرأ واقوالها الى الصواب والامثل
الاقرب الى الخير وقد امرهما بالاستماع منه بسماع امره وجعله لهما درعا يراه اصلح ويطيعا امره في ذلك
ليكون به نظام امورهم في لقاء عدوهم المستلزم لظفرهم وان يجعلاه درعا ومجنا في الحرب والراي
فانه ممن لا يخاف ضعفه في حرب ولا زلته في راي ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم واوسط بالراي
من الافعال ولا اسراعه فيما البطؤ عنه اولى بالتدبير واقرب الى الخير بل يضع كل شيء موضعه ولفظ الدرع

الى ما البطؤ

والعين مستعاران باعتبار وقايته لهم من شر عدوهم كما يقي الدرع والمجن صاحبهما وبالله التوفيق
ومن وصية له عليه السلام لعسكره بصفين قبل لقاء العدو لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ فَاِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللّٰهِ عَلَى حُجَّةٍ
وَتَرْكُكُمْ اِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَؤُوكُمْ حُجَّةٌ اُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ فَاِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِاِذْنِ اللّٰهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِراً وَلَا تُصِيبُوا
مُعْوِراً وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَلَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِاَذًى وَاِنْ شَتَمْنَ اَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ اُمَرَاءَكُمْ فَاِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ
الْقُوَى وَالْاَنْفُسِ وَالْعُقُولِ اِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَاِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْاَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ
اَوِ الْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ **اقول** روي انه عليه السلام كان يوصي اصحابه بذلك في كل موطن يلقون
العدو فيه وهذه الوصية الشريفة الهرب واعور الصيد امكن من نفسه واعور الفارس ظهر فيه موضع خلل
للضرب فهو معور واجهز على الجريح قتله واجهزت الشيء اثبته والفهر الحجر المستطيل الاملس والهراوة خشبة
كالدبوس والعقب الولد ذكرا وانثى وقد وصى في هذا الفصل بامور احدها ان لا يقاتلوهم الى ان يبدؤوهم
بالقتال واشار الى ان ذلك يكون حجة ثانية عليهم والاولى بالحجة الاولى قوله تعالى فان بغت احداهما على
الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله وبيان انها هي الباغية على الامام الحق فوجب قتالهم والثانية
ان تبينوا تركهم حتى يبدؤوا بالحرب وبيان هذه الحجة من وجهين احدهما انهم اذا ابتدؤوا بالحرب فقد تحقق
دخولهم في حرب الله وحرب رسوله لقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي وتحقق سعيهم في الارض
بالفساد وبقتلهم النفس التي حرم الله ابتداء بغير حق وكل من تحقق دخوله في ذلك دخل في عموم قوله تعالى
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية الثاني ان البادي بالحرب معتد ابتداء وكل معتد
فيجب الاعتداء عليه لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه الآية فوجب الاعتداء عليهم اذا ابدؤوا بالحرب
الثاني نهاهم على تقدير وقوع الهزيمة منهم باذن الله ان لا يقتلوا مدبرا اي موليا هاربا ولا يصيبوا
معورا وهو الذي امكنتهم الفرصة في قتله بعد انكسار العدو كالمعور من الصيد وقيل اراد بالمعور المريب
وهو الذي وقع فيه الشك انه محارب ام لا اي لا تقتلوا الا من علمتم انه محارب لكم الثالث ان لا يجهزوا
على جريح وهذه الامور الاربعة المنهي عنها هي من احكام الكفار رجال الحرب ففرق عليه السلام بين هؤلاء
البغاة وبينهم فيها وان اوجب قتالهم وقتلهم ويلحق بذلك من احكامهم ما نقل انه ضرب من اجم تماما انه الافضل
بعد قوله ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رجال القوم فلا تهتكوا
سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تاخذوا شيئا من اموالهم ثم يتصل بقوله ولا تهيجوا النساء والمراد
بذلك ان لا تثيروا شرورهن باذى وان بلغن الغاية المذكورة من شتم الاعراض وسب الامراء
وعلل اولوية الكف عنهم بكونهن ضعيفات القوى اي ضعيفات القدر عن مقاومات الرجال وحربهم
وسلاح الضعيف والعاجز لسانه وبكونهن ضعيفات الانفس اي لا صبر لنفوسهن على البلاء فيجد بهن
ذو قوة بالكف من سب وغيره وبكونهن ضعيفات العقول اي لا قوة لعقولهن ان ترى عدم الفائدة
في السب والشتم وانه من رذائل الاخلاق وانه يستلزم زيادة الشرور واثارة الطباع التي يراد
تسكينها وكفها وقوله ان كنا الخ تنبيه على الامر بالكف عنهن لانه اذا امر بالكف عنهن حال كونهن مشركات

وانهن لمشركات

في حال احتضاره من الاسلام اوسط والاوادنه وادنى مجال وقوله وكان الرجل الى آخره شبه ما كان اذاهم من المستمدة
وهي المشبه الازمة لما عنوه في حيوته وبعد وفاته وذلك تنفيرهم عن اذاهم له في معرض النهي عنه وتناولهما
بالقهر والعداوة كناية عن ضربها بها وان نحو قوله وان كنا ونحو قوله وان كان هي المخففة من الثقيلة ولزم اللام
جزءا فرقا بينها وبين ان النافية **وكان عليه السلام يقول اذا لقي العدو محاربا** اللهم اليك افضت القلوب
ومدت الاعناق وشخصت الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنآن
وجاشت مراجل الاضغان اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين **اقول** روي انه كان عليه السلام اذا اشتد القتال ذكر اسم الله
حين يركب ثم يقول الحمد لله على نعمه علينا وفضله العظيم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى
ربنا لمنقلبون ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول اللهم اليك نقلت الاقدام الفصل الى قوله خير الفاتحين
ثم يقول سيروا على بركة الله ثم يقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر يا الله يا احد يا صمد يا رب
محمد بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اياك نعبد واياك نستعين اللهم كف عنا
ايدي الظالمين وكان هذا شعاره بصفين وافضت خرجت اليه عن كل شيء ووصلت اليه خالصة سرها
وشخوص البصر ارتفاعه نحو الشيء يطلب له بطرف وانضاء الابدان هزالها وصرح ظهر وهو فعل لازم والشنآن
العداوة والبغضاء ومكنونه المستور منه والمراجل القدور وجيشها غليانها والضغن الحقد والفتح اي
الحكم والفاتح الحاكم ولما كان مراده عليه السلام جهادا خالصا نيته وعبادته له من كل العبادات ان يشفع ذكره
وتوجيه السر اليه اذ كان ذلك هو سر العبادة وغايته لا جرم كان وابنه ذا جادة التضرع والالتفات
الى الله بهذا الفصل واشاره مع ما يستلزم من طلب النصر وامداده له فاشار بافضاء القلوب الى اخلاص
من تلك الحال وبمد الاعناق وشخوص الابصار الى ما يستلزمه الاخلاص من الالتفات البدنية وبنقل الاقدام
وانضاء الابدان الى كان ذلك السفر وما يستلزمه في معرض الشكاية الى الله تعالى وهي التضرع بما كان مستورا
في صدورهم من عداوة الرسول صلى الله عليه وآله من العداوة والبغضاء ولجيش اضغانهم السابقة مما فعل
بهم ببدر واحد وغيرهما من المواطن فلفظ المراجل مستعار ووجه المشابهة غليان ما في قلوبهم من الاحقاد
كغليان المراجل ولفظ الجيش ترشيح ثم لما كانت غيبة النبي صلى الله عليه وآله وفقده هو السبب الذي استلزم
تصريح الشنآن وظهور الاضغان وكثرة العدو وتفرق الاهواء لاجرم شكا الى الله من فقده وما يستلزمه
من هذه الشرور ثم سأله ان يحكم بينه وبينهم بالحق اقتباسا من القرآن الكريم لان ايقاع الحكم الحق بينهم يستلزم
نصرته عليهم وظفره بهم اذ كان هو المحق في جهاده وبالله التوفيق **وكان عليه السلام يقول لاصحابه عند الحرب**
لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة واعطوا السيوف حقوقها ووطئوا للجنوب مصارعها
واذمروا انفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل والذي فلق
الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا اعوانا عليه اظهروه **اقول** الفرة
المرة من الفرار والكرة العطفة من الكر وهو الرجوع على العدو والجولة الدورة والمصارع مواضع الصرع

[هامش: من اتباعه انما هو لوجهه وغاية الوصول الى مرضاته واشار الى علة قتاله لهم]

للقتلى

للقتلى وذمرته اذمره اي حثثته والدعسي منسوب الى الدعس وهو الاثر والطلحفي الشديد وانما اليا للغو والفخم
الحق وقوله لا تشتدن عليكم الى قوله حملة اي اذا رايتم فرارا نحو فراركم مصلحة في خدعة العدو كالجذب له نحو حيث
يتمكن منه ويقع الفرصة فيكروا عليه جملة فلا تشتدن عليكم الفرة ووجه الشدة هنا ان الفرار من العرب
سبب شديد لما يستلزم من العار والسبة فاشار الى وجه تسهيله عليهم بانه اذا كان بعده كرة فلا باس به فانه من
الصبر ونحمل ان يريد انكم اذا اتفق لكم ان فررتم فرة فاتبعوها بكرة فلا تشتدن عليكم تلك الفرة فتفشلوا او
تستحيوا فان تلك الكرة كالماحية لها وفيه تشريع الامر بالكرة على تقدير الفرة وكذلك قوله ولا جولة بعدها حملة
ويحتمل ان يريد فلا تشتدن عليكم فرة من عدوكم بعدها كرة منه عليكم فان تلك الكرة لما كانت عقيب الفرة لم تكن
الا عن قلوب مدخولة ونيات غير صحيحة وانما قدم الفرة نحو بها الاحتمال ان مقصوده تحقير تلك الكرة بذكر الفرة
وكان ذكرها اهم فلذلك قدمت وكذلك قوله ولا جولة بعدها حملة ثم امرهم باوامر احدها ان يعطوا السيوف
حقوقها وهو كناية عن الامر بفعل ما ينبغي ان يفعل ولفظ العطاء مستعار لما تصل اليه السيوف من الافعال التي
ينبغي ان تفعل بها الثاني ان يوطئوا الجنوب مصارعها اي تجدوا مصارع جنوبهم ووطئها لها وهو كناية عن الامر
بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله والاقدام على اهوال الحرب اذ كان اتخاذ المصارع ووطئها للجنوب
مستلزما لذلك العزم والاقدام وروي ووطئوا بالياء الثالث ان يحثوا انفسهم على الطعن الذي يؤثر اثره
والضرب الشديد اي يحملوها على ذلك ويبعثوها بالدواعي العادية التي نبه عليها رضي الله عنه في ذكرها وعداته
جهاد الصابرين الرابع ان يميتوا الاصوات اي لا يكثروا الصياح فانه من علامات الفشل وعدمه يكون علامة
ثبات الشاذ والجبن وقد سبقت الاشارة الى ذلك ثم اقسم بالقسم البار ان القوم لم يسلموا
بقلوبهم حين اظهروا الاسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله بالسنتهم ولكنهم استسلموا خوفا من القتل
واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه وهو اشارة الى المنافقين من بني امية كعمرو بن العاص و
مروان ومعوية واشباههم وروي مثل هذا الكلام لعمار بن ياسر رضي الله عنه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام**
الى معوية جوابا عن كتاب منه اليه واما طلبك الي الشام فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك امس واما
قولك ان الحرب قد اكلت العرب الا حشاشات انفس بقيت الا ومن اكله الحق فالى الجنة واما استواؤنا في
الحرب والرجال فلست بامضى على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق
على الاخرة واما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان
كابي طالب ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف
خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل
ولما ادخل الله العرب في دينه افواجا واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة
واما رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك
نصيبا ولا على نفسك سبيلا **اقول** روي ان معوية استشار عمرو بن العاص في ان يكتب الى علي ع كتابا
يسأله فيه الشام فضحك عمرو وقال اين انت يا معوية من خدعة علي قال انا بنو عبد مناف فقال بلى ولكن لهم

[هامش: فالجنة ومن اكله الباطل فالى النار]

البنوة وذلك وان شئت ان تكتب فاكتب فكتب معوية اليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة
اما بعد فانك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعض على بعض وانا وان كنا
قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سالتك الشام على ان لا يلزمني
لك طاعة ولا بيعة وابيت ذلك علي فاعطاني الله ما منعت وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك اليه امس
فانك لا ترجو من البقاء الا ما ارجو ولا اخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال
واكلت الحرب العرب الا حشاشات انفس بقيت وانا في الحرب والرجال سوا ونحن بنو عبد مناف ليس
لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر والسلم فلما قرا علي عليه السلم كتابه تعجب منه
ومن كتابه ثم دعا عبد الله بن ابي رافع كاتبه وقال له اكتب اليه اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت
وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا واياك في غاية لم نبلغها بعد واما طلبك
الى الشام الفصل الذي شرحه بقية الروح والطليق الاسير الذي اطلق من اسره وخلي سبيله والصريح الرجل
خالص النسب واللصيق الدعي الملصق بغير ابيه والمدغل الذي اشتمل باطنه على نفاق وكره وسلف
الرجل اباؤه المتقدمون وخلفه من يجي بعده وتختار بغضا والمنزع المكانة وقد اجاب عليه السلم عن امور ذكرها
تضمنها كتاب معوية احدها انه استعطفه الى البقية واستدرجه لوضع الحرب بقوله انك لو علمت الى قوله
ما بقي وفيه اشعار بالجزع من عض الحرب والخوف من دوامها فاجابه عليه السلم بقوله وانا واياك في غاية لم نبلغها
بعد ويفهم منه انه يريد بقاء الحرب الى الغاية التي هي الظفر به وهلاكه وهو مستلزم لتخويفه والتهويل عليه
من ما طلب من البقية ووضع الحرب الثاني انه سال اقراره على الشام مع نوع من التشنيع الموهم لعدم الانفعال
والضراعة وذلك في قوله وقد كنت سالتك الشام الى قوله امس وقوله فانك لا ترجو الى قوله ما تخاف
اشارة الى كونهما سوا في رجاء البقاء والخوف من القتل ومقصوده ذلك ان يوهم انه لا انفعال له عن تلك الحرب
البتة وقوله وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك اليه امس اي من طلب اقراره على الشام وذلك انه عليه السلم حين بويع
بالخلافة كان معوية سال منه اقراره على امرة الشام ونقل عن ابن عباس انه قال له عليه السلم وله شهرا واعزله
دهرا فانه بعد ان يبايعك لا يقدر على ان يعدل في امرته ولا بد ان يجور فتعزله بذلك فقال عليه السلم
كلا وما كنت متخذ المضلين عضدا وروي ان المغيرة بن شعبة قال له عليه السلم ان لك حق الطاعة والنصيحة
اقرر معوية على عمله والعمال على اعمالهم حتى اذا اتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت او تركت فقال حتى
انظر فخرج من عنده ثم عاد اليه من الغد فقال اني اشرت عليك امس براي وان الراي ان تعاجلهم
بالنزوع فيعرف السامع من غيره ويستقبل امرك ثم خرج من عنده فلقيه ابن عباس فاخبره بما اشار اليه المغيرة
من الراي فقال اما امس فقد نصحك واما اليوم فقد غشك وقد كان الراي الدنياوي في الصلح حفظ
الملك ذلك لكنه عليه السلم لما لم يكن ليتاول في شي من امر الدين اصلا وان قل وان كان اقرار معوية ونظايره
على الاعمال يستلزم العدول في كثير من قضاياهم عن سبيل الله لا جرم لم ير اقراره على العمل ومنعه ما سال
وما كان منه اولا اما سال منه فاعطانيه الله عز من رك الهوى والميول الطبيعية لم يكن سواله ثانيا والاستعطاف

اباه

اباه مقربا له الى اجابته خصوصا وقد احدثت فيه الحروب الشديدة من العرب ما احدثت وقتل من المهاجرين
والانصار وساير العرب من قتل بل اجابه بعين ما اجابه اولا من الرد والمنع في قوله فلم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك
امس اذ العلة في المنع قايمة في كل حين وزمان وهي المحافظة على دين الله الثالث حفظ الرجال والتنبيه على الاجناد
لحفظ الاسلام وتقويته امر واجب فلا جرم استعطفه واستدرجه الى التنبيه عليهم للشبهة على ذلك بقوله وقد
والله ان قد رقت فاجابه عليه السلم بقوله الا ومن اكله الحق فالى النار وهو كبرى قياس حذفت صغراه للعلم بها
وتقديرها ان هذه الاجناد والذين قتلنا هم انما قتلهم الحق اي كان قتلهم بحق لبغيهم وتقدير هذه الكبرى وكل من قتله الحق
فمصيره الى النار فينتج ان مصير من قتل من هذه الى النار ثم هذه النتيجة تنبه على الجواب وهي قوة صغرى قياس ضمير
تقدير كبراه وكل من كان من اهل النار فلا يجوز التنبيه عليه ولا الاسف لفقده الرابع قوله وانا في
الحرب والرجال سوا على انه ممن لا ينفعل من هذه الحروب وان اشتدت ولا الضعف والانكسار من جرى
مثلا العسكرين وفيه نوع تخويف وتهويل فاجابه عليه السلم بقوله لست بامضى الى قوله على الاخرة ووجه كون الاول جوابا
انه يقول انك في طلبك للامر انت طالب له على شك من استحقاقه وانا على يقين في ذلك وكل من كان في شك
من امره فليس بامضى في حربه وقيامه عليه ممن هو على ثقة في امره فينتج انك لست امضى في امرك على الشك مني
على اليقين في امري ويفهم من ذلك انه يقول بل انا امضى في امري واولى بالغلبة لكوني على بصيرة ويتضمن ذلك
تكذيب المساواة بينهما لكون المتيقن ابلغ في خطره من الشاك ووجه كون الثاني جوابا انه يقول ان اهل الشام يطلبون
بقتالهم الدنيا واهل العراق يطلبون بقتالهم الاخرة وليس اهل الشام باحرص على مطلوبهم من الدنيا من اهل العراق
على مطلوبهم من الاخرة ويفهم من ذلك انه يقول بل اهل العراق احرص على الاخرة من اهل الشام على الدنيا لشرف الاخرة
وتيقنهم حصولها وانقطاع الدنيا وشك اهل الشام في حصولها كما قال تعالى فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله
ما لا يرجون ويتضمن تكذيب المساواة في الحرب والرجال لشرف اهل الاخرة على اهل الدنيا ولكون الاحرص اولى بالغلبة
والقهر الخامس انه نبه بقوله ونحن بنو عبد مناف على المساواة في الشرف والفضيلة وهو في قوة صغرى قياس
ضمير من الاول وتقدير كبراه وكل قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر فاجابه عليه السلم بالفرق
بينهما بعد ان سلم له الاشتراك بينهما في كونهما من بني عبد مناف وذكر الفرق من وجوه خمسة بين اجدادهما وهو تفاخر
اولا من كمالاته وفضايله ورذايل خصمه ثم درجها الى الاقرب فالاقرب فالاول شرفه من جهة اباه المتفرعين
على عبد مناف وذلك ان سلسلة ابايه عليه السلم ابو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وسلسلة ابا
معوية ابو سفيان بن حرب بن امية بن عبد مناف وظاهر ان كل واحد من اولئك اشرف ممن هو في درجته
من ابا معوية وقد ذكرنا طرفا من فضلهم على غيرهم الثاني شرفه من جهة هجرته مع الرسول صلى الله عليه واله وخسة
خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق وهذه فضيلة وان كانت خارجية الا انها تستلزم فضيلة نفسانية وهي حسن
الاسلام والنية الصادقة الحقة وكذلك ما ذكر من رذيلة خصمه برذيلة عرضية الا ان هذه الفضيلة والرذيلة اقرب
من الاعتبارين الاولين لكونهما متعلقين بالاب نفسه وحسبيهما لا بابايهما دون الثالث وذلك شرفه من جهة صراحة
النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعيا وهذان الاعتباران اقرب مما قبلهما لكونهما اعتبارين لازمين لهما دون الاولين

الرابع شرفه من جهة كونه محافظا بقوله وتقصه ورذيلة خصمه من جهة كونه مبطلا وهذان الاعتباران اقرب لكونهما
من الكمالات والرذائل الذاتية دون ما قبلها الخامس شرفه من جهة كونه مؤمنا والمؤمن الحق هو المستكمل للكمالات
الدينية النفسانية وخسة خصمه من جهة كونه مدغلا اي خبيث الباطن مشتملا على النفاق والرذائل الموبقة وهذان
الاعتباران اقرب الكمالات والرذائل الى العبد وانما ابتدأ بذكر الكمالات والرذائل الخارجية لكونها
مشتملة عند الخصم والجمهور والخفي من الامور الداخلية ثم لما ذكر الرذائل المتعلقة بخصمه اشار الى كونه في افعاله
ورذائله خلفا للسلف هوى في نار جهنم ثم رتب الذم على ذلك وقوله ولبئس الخلف الى قوله جهنم في قوة صغرى
قياس استغنى بذكرها عن صغراه وتقديرها فانت خلف تبع سلفا وكل خلف تبع في افعاله ورذائله سلفا
هوى في نار جهنم وكل من كان كذلك فبئس به السادس ان معاوية لما ادعى ما يلزمه من المساواة في الفضل
في قوله وليس لبعض على بعض واستثنى من ذلك فقال الا فضلا لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر اشار
عليه السلام الى كبرى لهم هي كالجواب لذلك وهو قوله وفي ايدينا بعد فضل النبوة الى قوله الذليل وظاهر
ان هذا الفضل الذي حصل في هذا البطن منهم ثم هو سبب اذلالهم الاعزاء وانعاشهم وتقويتهم الاذلاء
واسترقاقهم الاحرار وذلك فضل عرفت عنه بنو امية وغيرهم فاذن قوله وليس لبعضنا على بعض
فضل الا فضل لا يستذل به عزيز الى آخره قول باطل ثم اردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة لخصمه بالنسبة
الى فضيلة تمدحت كثيرا من العرب وذلك هي دخولهم في الاسلام لا لشيء بل اما رغبة او رهبة على حين
فاز اهل السبق بسبقهم الى الله وحصل المهاجرون والانصار على ما حصلوا عليه من الفضائل السعيدة ثم لما
ظهر هذه الفرق من فضائله ورذائل خصمه نهاه عن امرين احدهما ان يجعل للشيطان في نفسه نصيبا وهو
كناية عن النهي عن اتباع الهوى والثاني ان لا يجعل له سبيلا وهو كناية عن النهي عن الانفعال عنه وفتح باب
الوسوسة عليه وهذا النهي يفهم منه انه قد جعل للشيطان في نفسه نصيبا وله عليه سبيلا وان ذلك النهي
في معرض التوبيخ له على ذلك وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة**

وَاعْلَمْ اَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ اِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ الْفِتَنِ فَحَادِثْ اَهْلَهَا بِالْاِحْسَانِ اِلَيْهِمْ وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ
وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ وَاِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ اِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ وَاِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ
فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا اِسْلَامٍ وَاِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِمًا مَاسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى
قَطِيعَتِهَا فَارْبَعْ اَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ اللهُ فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَاِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ
وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ وَالسَّلَامُ **اقول** روي ان ابن عباس كان قد اضر ببني تميم
حين ولي البصرة من قبل علي عليه السلام الذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير
وعائشة فحمل عليهم ابن عباس فاقصاهم وتنكر عليهم وعيرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل وانصار عسكر
وهو اسم جمل عائشة وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام فكتبوا اليه ابن عباس
من بني تميم منهم جارية بن قدامة وغيره فكتب بذلك جارية الى علي عليه السلام يشكو اليه ابن عباس فكتب
الى ابن عباس اما بعد فان خير الناس عند الله غدا اعلمهم بطاعته فيما عليه وله واقولهم بالحق وان كان مرا

الا وانه

الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلا وليكن حكمك واحدا وطريقتك
مستقيمة واعلم ان البصرة مهبط ابليس الفصل والتنمر تنكر الاخلاق وتغيرها والوغم الحقد والماسة القريبة
ومأزورون اي ملحق بنا الوزر وهو الاثم واربع اي توقف وتثبت وفال الرأي يفيل اي ضعف واخطأ
واعلم انه عليه السلام كنى بكون البصرة مهبط ابليس عن كونها مبدأ للآراء الباطلة والاهواء الفاسدة الصادرة عن
ابليس المستلزمة لاثارة الفتن وكثرتها لان مهبط ابليس ومستقره محل لذلك واراد مهبطه من الجنة واستعار
لفظ المغرس للبصرة باعتبار كونها محلا تنشأ فيه الفتن الكثيرة كما ان مغرس الشجر من الارض محل لنشوه ونمائه
قال بعضهم وفي قوله مهبط ابليس نوع لطف فان الوهم الذي هو ابليس النفس الحافظ اذا انفرد بحكم خرج عن
العقل وخرج عن موافقة العقل العملي فيما يراه ويحكم به فقد هبط من عالم الكمال في موافقة العقل وتلقي اوامره
العالية التي هي ابواب الجنة الى الجنة السافلة وشارك الشهوة والغضب في حكمها باصلية الآراء الفاسدة ولما
احاط القضاء الالهي بما جرى على اهل البصرة من نكث بيعته عليه السلام ومخالفته وكانوا ممن عزلوا عقولهم عن الآراء
المصلحية رأسا وهبط ابليس وجنوده بارضهم فاوردهم الآراء الباطلة في صور الحق فطمعوا بهم فكان منهم ما كان
ونزل بهم ما نزل من سوء القضاء ودرك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط ابليس ومغرس الفتن الكائنة
عن وسوسته وآرائه الفاسدة ثم امره ان يحادثهم بالاحسان اليهم اي يعدهم بذلك وان يحل عقدة الخوف
عن قلوبهم واستعار لفظ العقدة لما لزمهم من المخافة بالغلظة عليهم وكثرة الاذى لهم ووجه المشابهة كون
ذلك الخوف لازما لهم معقودا لقلوبهم كالعقدة للحبل وكذا رشح بلفظ الحل وكنى به عن ازالة الخوف عنهم ورفع
بهم الا وامره ان لا ينفرهم منه وتثور اضغانهم فيعاودوا الخروج عن طاعته واثارة الفتنة ثم اطلعه بما بلغه
الكاره عليه مما بلغه من تنمره لهم واردف ذلك بذكر احوال لهم تجب مراعاتهم وحفظ قلوبهم لاجلها احدها
انه لم يغب لهم سيد الا قام لهم آخر مقامه واستعار لفظ النجم ووجه المشابهة كون سيد الجماعة وكريمهم
قدوة يهتدون به ويقتدون بارائه في الطرق المصلحية ورشح بذكر المغيب والطلوع الثاني انهم لم يسبقوا
ويحمل وجهين احدهما انه لم يسبقهم احد الى الثار والاحقاد حيث كانوا في جاهلية او اسلام لشرف
نفوسهم وقلة احتمالهم للاذى وذلك ان الابي المقتدر في نفسه لا يكاد يغضب ويحقد ما يفعل به من الاذى وان
غضب في الحال الا انه لا يدوم ذلك الغضب ولا يصير حقدا الثاني يحتمل ان يريد انهم لم يسبقوا الى حقد
من عدو وذلك لقوتهم ونجدتهم فحذف المضاف الثالث ان لهم منا قرابة قريبة اذ قبل تلك القرابة
لاتصالهم في الياس بن مضر لان هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وتميم بن مر بن طابخة بن الياس
بن مضر وزاد ترغيبا في مواصلتهم ومداراتهم بكون صلتهم مستلزمة للاجر في الآخرة وتركها مستلزم للوزر
وقال مأزورون والاصل موزورون طلبا للمجانسة في قوله مأجورون وفي الحديث ارجعن مأزورات
غير مأجورات ثم اردف ذلك بالاحوال التي تقتضي الرفق بهم بامره بالتوقف والتثبت فيما يجري على يده
ولسانه من فعل وقول هو خير او شر لان التثبت في الامور ادعى لاصابة وجه المصلحة واراد بالشر ما يجري

على ما رجيه من عقوبة فعله أو قوله. وقوله فإنا شركاؤك في ذلك كما تقول العرب أمرها بأنت في ذلك لأنه لما كان واليا من قبله فكل حسنة أو سيئة محدثة في ولايته فهو عليه السلام شريك في إحداثها إذ هو السبب البعيد والسبب القريب. وأبو العباس كنية عبد الله بن العباس والعرب تدعو من تكرمه بالكنى فقال الكنية حين أتاديه لأكرمه ولما كان عليه السلام قد استصلحه لولايته ورآه أهلا لها أمره أن يلازم ظنه الصالح فيه ولا يكشف عن ضعف ذلك الرأي وعدم مطابقته فيه بسوء صنيعه وبالله التوفيق. ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ قَسْوَةً وَغِلْظَةً وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ. أقول الدهقان معرب يحمل الصرف إن كانت نونه أصلية وإلا فلا ينصرف للوصف والألف والنون الزائدتين. والقسوة غلظ القلب وشدته والإقصاء الإبعاد والجفاء ضد البر والجلباب الملحفة والمداولة تغليب كل واحد من القسوة والرأفة على الآخر والأخذ بكل منهما مرة من الأدوار وهي الإدارة. والمنقول أن هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا وطالما شكوا إليه غلظة عامله فكتب إليه أمورهم فلم يرهم أهلا للإدناء الخالص لكونهم مشركين ولا الإقصاء لكونهم معاهدين فإن إدناءهم وإكرامهم خالصا يهضم ويضعف من الدين وإقصاءهم بالكلية منافية معاهدته ثم أمرهم بالعدل فيهم ومعاملتهم باللين المشوب ببعض الشدة كلا في موضعه وكذلك استعمال القسوة مرة والرأفة أخرى والمزج بين التقريب والإبعاد ولما في طرف اللين والرأفة والتقريب من استقرار قلوبهم في أعمالهم وزرائعهم التي بها صلاح المعاش وما في طرف الشدة والقسوة والإبعاد من كسر عاداتهم ودفع شرورهم والإهانة المطلوبة في الدين ويستلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدة والقسوة والإبعاد وحدهم وإيجاد اللين والرأفة والإدناء خالصا واستعار لفظ الجلباب لما أمره بأن يتصف به وهو تلك الهيئة المتوسطة من اللين المشوب بالشدة بين اللين الخالص والشدة الصرفة ورشح بذكر اللبس وبالله التوفيق. ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس رضي الله عنه على البصرة وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الْأَمْرِ وَالسَّلَامُ. أقول زياد هذا هو زياد بن سمية أم أبي بكرة ودعي أبي سفيان قد يعد في أولاده من غير صحة بنوة وروي أن أول من دعاه ابن أبيه عائشة حين سئلت لمن يدعى وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثم كتب لأبي موسى ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس وكان مع علي عليه السلام فولاه فارس فكتب إليه معاوية يتهدده فكتب إليه أتتوعدني وبيني وبينك ابن أبي طالب أما والله لئن وصلت إلي لتجدني أحمر ضرابا بالسيف ثم ادعاه معاوية أخا وولاه بعده عليه السلام البصرة وأعمالها وجمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقين وكان أول من جمعا له والشدة الحملة والوفر المال والضئيل الحقير وحاصل الفصل تحذيره من خيانة ما يليه من مال المسلمين ووعيده إن وقفت منه بالعقوبة عليها وكنى عنها بالشدة ووصف شدة

تلك الشدة باستلزامها أمورا ثلاثة هي سلب الكمالات الدنيوية والأخروية أحدها نقصان ماله وفقره والثاني نقصان جاهه وكنى عنه بقوله ضئيل الأمر وهما سالبان لكمال الدنيوي الثالث ثقل ظهره بالأوزار والتبعات وهو دال على سلب كماله الأخروي فإن قلت كيف يريد بثقل الظهر بالأوزار وليس ذلك بسبب شدته عليه السلام وإنما الأوزار من اكتساب نفسه قلت إن مجموع هذه الأمور الثلاثة هي سلب ماله وجاهه مع ثقل ظهره بالأوزار عائد عليه وهي عائد مجموع ذكره من شدة بها وأيضا إن تلك الحالة من فعله وإن لم يكن بعض أجزائها من فعله أو نقول الثلاثة أحوال متعددة والحال لا يلزم أن تكون من فعل ذي الحال ويحتمل أن يكون ثقل الظهر كناية عن الضعف وعدم النهوض بما يحتاج إليه [illegible] أي يدعك ضعيف الحركة في الأمور والسلام. ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضا

فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ. أقول التمرغ التملك والتقلب ومدار هذا الفصل على أمره بأمور أحدها ترك الإسراف وهو رذيلة الإفراط من فضيلة الاقتصاد المتوسط فيه بين الإجحاف بالنفس وهو طرف التفريط من هذه الفضيلة والأمر بترك الإسراف مستلزم للأمر بهذه الفضيلة لأن الأمر بالشيء نهي عن الأمر بما يلزم. الثانية أن يذكر في اليوم غدا أي يذكر في حاضر أوقاته مستقبلها من يوم القيامة. الثالث أن يمسك من المال بقدر ضرورته وهو تفسير الاقتصاد في تناول الدنيا وحفظها. الرابع أن يقدم الفضل منها ليوم حاجته وهو يوم القيامة وما بعد الموت وفيه استدراج لإنفاق المال في سبيل الله فإن كل عاقل يعلم أن أسلاف ما لا يحتاج إليه من فضول [illegible] سبيل الله. ثم أنكر عليه رجاءه أن يؤتيه الله ثواب المتواضعين حال ما هو مكتوب عنده من المتكبرين [illegible] أن ثواب كل فضيلة إنما ينال بالكسب لها والتخلق بها لا بالكون [illegible] من الواجب إذن أن يتخلق بفضيلة التواضع لينال ثوابها ولن يحصل التخلق بها إلا بعد الانحطاط عن درجات التكبر فهو إذن من الواجبات. وكذلك استنكر من طمعه في ثواب المتصدقين حال اختصاصه بالمال وتمرغه ومنعه الضعيف والأرملة ذلك الطمع لأن ثواب كل حسنة بقدرها ومن لوازمها وجزاء كل حسنة بحسبها ونبه على ذلك بقوله وإنما المرء مجزي بما أسلف الخ وفي قوله وقادم على ما قدم من محاسن الكلام وفيه الاستيفاق. ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس رحمه الله وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. أقول الدرك اللحوق ولا تأس لا تحزن وحاصل الفصل النهي عن شدة الفرح بما يحصل من المطالب الدنيوية وشدة الأسف على ما يفوت منها وبيان ما ينبغي للإنسان أن يسر بحصوله ويأسف لفقده مما لا ينبغي ثم أشار إلى الأول بقوله فإن المرء إلى قوله ليدركه وهو خبر في معنى النهي ولفظ ما في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيوية

وبينه بقوله ما لم يكن ليفوته اي ان ما يحصل من المطالب الدنيا امر واجب في القضاء الالهي وصوله الى من يحصل له فهو كالحاصل
فلا ينبغي ان يشتغل به عن حصوله وبقوله ما لم يكن ليدركه اي ان ما يفوت منها فهو امر واجب فوته فلا اسف عليه فما كان كذلك
فعاقبة هو ضرر عاجل ثم خصصه بالخطاب على سبيل الوصية والموعظة وفصل له ما ينبغي ان يسر وياسف عليه مما
لا ينبغي له فكلما ينبغي ان يسر به هو ما ناله من آخرته وما ينبغي ان ياسف عليه هو ما فاته منها واما ما ينبغي ان لا يفرح
بما ناله من دنياه لما عرفت من وجوب فنائها وكون القرب منها مستلزما للبعد عن الآخرة وما ينبغي ان لا ياسف
عليه مما لم ينله منها لكون البعد منها مستلزما القرب من الآخرة فان قلت كيف قال ما نلت من آخرتك ومعلوم
انه لا ينال شيء من الآخرة الا بعد الموت قلت يحتمل وجهين احدهما انه لما ثبت ان مطالب الآخرة انما تحصل له بعد الموت
كان الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة والفرح بها من الكمالات الاخروية وان كان الانسان
في الدنيا الثاني يحتمل ان يريد فليكن سرورك بما نلت من اسباب آخرتك فحذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه وكذلك بين له ما ينبغي ان يكون همه متوجها نحوه وحصره متعلقا به وهو ما بعد الموت من احوال الآخرة من سعادة
واليه يبين في تحصيلها او شقاوة لا ازدياد يعمل على الخلاص منها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله قبل
موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته
اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس كنت صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي
دمي وان افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم
والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب وجد وما عند
الله خير للابرار وقد مضى بعض هذا الكلام فيما مضى من الخطب الا ان فيه هاهنا زيادة اوجبت تكريره اقول
هذا الفصل قاله عليه السلام في بعض ايام مرضه قبل موته وصية ثم شرع في وصيته في فصل اطول من هذا
والتي نذكرها عنه ان شاء الله بعده وخبر الامر آماه نفسه والقارب طالب الماء وقيل هو الذي يكون
منه وبين الماء ليلة والاسم القرب وحزن ايضا وقد وصى عليه السلام بامرين هما عمود الاسلام وبهما قوامه احدهما
ان لا يشركوا بالله شيئا وهو التوحيد الخالص والشهادة به اول مطلوب لسان الشريعة كما سبق بيانه
والثاني الاهتمام بما سنه محمد صلى الله عليه وآله والمحافظة على سنته وقد علمت ان من سنته وجوب اتباع كتاب الله
والمحافظة عليه فاذن المحافظة على كتاب الله من الواجبات المامور بها بالالتزام وظاهر ان اقامة هذين
الامرين يستلزم الخلو عن الذم ولفظ مستعار لهما لاحظ شبههما بعمودي البيت في كونهما سببين لقيام الاسلام
وعليهما مداره كالبيت وعامده وخلاكم ذم كالمثل يقال افعل كذا وخلاك ذم اي فقد اعذرت وسقط
عنك الذم ثم نعى نفسه اليهم واشار الى وجه العبرة بحاله فذكر نقلها وتغيرها في الازمان الثلاثة ففي الماضي
كان صاحبهم الذي يعرفونه بالقوة والشجاعة او قهر الاعداء وعليه مدار امور الدنيا والدين وفي الحاضر
صار عبرة اي محل عبرة فحذف المضاف او معتبرا فاطلق اسم المتعلق على المتعلق مجازا وفي المستقبل مفارق
لهم ثم اردف ذلك ببيان امره مع قاتله على تقديري فنائه وبقائه وشبه ان يكون في هذا الكلام تقديم
وتاخير والتقدير فان ابق [illegible]

ولي دمي

ولي دمي ودمي ولي بدمي فان شئت اقتص القصاص وان شئت عفوت فان اعف فالعفو لي قربة و
ان افن فالفناء ميعادي فان شئتم فاقتلوا قاتلي وان شئتم ان تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا الخ فذكر
قسمي بقائه وفنائه ثم عقبهما بذكر حكمهما مقترنين واقتبس الآية في معرض الندب الى العفو ترغيبا فيه ثم قسم انه
ما اتاه من بغتة الموت وارد كرهه ولا طالع انكره وصدقه في ذلك ظاهر اذ كان سيد الاولياء بعد
سيد الانبياء ومن خواص اولياء الله شدة محبة الله والشوق البالغ الى ما اعد لاوليائه في جنات
عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب وصوله الى محبوبه واشرف مطالبه التي قطع
وقته في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وكيف ينكره وهو دائم الترصد والاشتغال والتذكر ثم شبه
نفسه في هجوم الموت عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء ووجه
الشبه مقارنته لتلك الخيرات ووثوقه بها واستهاله بسببها آفات الدنيا وشدائد الموت كما يستقبل
القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق وفيه ايماء الى تشبيه تلك الخيرات
بالماء وكذلك شبه نفسه بالطالب الواجد لما طلبه ووجه الشبه كونه فرحا بما ظفر به من مطالبه الاخروية كما
يلتذ نفس الطالب ويتعشق بما ازداد وجده وظاهر ان طيب النفس وبهجتها بالقضية من مطالبها ما يتفاوت المطالب
في العزة والنفاسة ولما كانت المطالب الاخروية اتم المطالب واعظمها قدرا واعزها جوهرا وجب ان يكون
بهجة نفسه بها وقرة عينه باصابة منها اتم كل بهجة بمطلوب ثم اقتبس الآية في سياق الاشارة بوجدان مطلوبه منبها
بها على ان مطلوبه في الدنيا لم يكن الا ما عند الله الذي هو خير لاوليائه الابرار من كل مطلوب يطلب

ومن وصية له عليه السلام بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما امر به عبد الله علي بن ابي طالب
امير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويعطيني به الامنة منها وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه
بالمعروف وينفق منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالامر بعده واصدره مصدره
وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي واني انما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على الذي يجعله اليه ان يترك
المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي له والا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل
ارضها غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها ولد او هي حامل فتمسك على ولدها وهي
من حظه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق قال السيد رضي الله عنه قوله
وان لا يبيع من نخلها ودية فان الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله حتى تشكل ارضها غراسا هو من افصح
الكلام والمراد به ان الارض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيظنها غيرها

اقول روت هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيد منها فصولا ونحن نوردها
برواية يغلب على الظن صدقها عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث الي بهذه الوصية ابو ابراهيم عليه السلام هذا ما اوصى
به وقضى في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه
ان ما كان لي من مال بينبع يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير ان رباحا وابا نيزر وجبيرا عتقاء

ليس

ليس لاحد عليهم سبيل فهم مراتي يعلمون في المال خمس حج وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق اهاليهم ومع ذلك ما كان
بوادي القرى كله مال بني فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي لبني ورقيقها صدقة غير ان رقيقها لهم مثل ما كتبت
لاصحابهم وما كان لي بارية واهلها صدقة والعصد كما هو علمتم صدقة في سبيل الله وان الذي كتبت من اموالي
هذه صدقة وجبة بكة حيا انا كنت او ميتا ينفق في كل نفقة ابتغى بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي
الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد وانه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفقه
حيث يريد الله في كل محلل لا حرج عليه فيه وان اراد ان يبيع نصيبا من المال فيقضي بالدين فليفعل ان شاء لا حرج
عليه فيه وان شاء جعله خير الملك وان ولد علي اموالهم الى الحسن بن علي وان كانت دار الحسن غير دار الصدقة
فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء لا حرج عليه فيه وان باع فانه يقسمها ثلاثة اثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله
ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل ابي طالب وانه يضعهم حيث يريد الله ثم يقول وان
ان حدث بحسن حدث وحسين حي فانه الى حسين بن علي وان حسينا يفعل فيه مثل الذي امرت به حسنا
له مثل الذي كتبت للحسن وعليه مثل الذي على الحسن ثم يقول وان الذي لبني فاطمة والى ولد نشر فاطمة
لوصلته ثم يقول وان حدث بحسن وحسين حدث فان الآخر منهما ان ينظر في بني علي فان وجد فيهم من يرضى
بهديه واسلامه وامانته منهم فانه يجعله اليه ان شاء وان لم ير فيهم بعض الذي يريد فانه يجعله في بني ابي
فاطمة ويجعله الى من يرضى بهديه واسلامه وامانته منهم وانه شرط على الذي جعل اليه ان يترك المال على اصوله
وينفق من ثمره حيث امره الله من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب
والبعيد وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى الى نجره ثم يقول ليس لاحد عليها سبيل بذا قضى علي في اموال
هذه يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث وانه المستعان على كل
حال ولا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يغير شيئا مما اوصيت به في مالي ولا يخالف فيه امري
من قريب ولا بعيد وشهد بهذا ابو سمر بن ابرهة وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهياج بن ابي الهياج
وكتب علي بن ابي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلثين يرجى به طلق والا من الامن و
هو واجبها جوه والاكثر هذه الوصية وقع عن الشرح عراق فيها نكتا الاولى وجواز الوصية ووقت علي
الوجه وتعليم الناس كيفية ذلك الثانية قوله ياكل منه بالمعروف اي على وجه الاقتصاد والذي يحل ومن غير
اسراف وتبذير ولا بخل وتقتير وينفق منه في المعروف اي وجوه البر المتعارفة عن المنكرة في الدين الثالثة
قوله فان حدث بحسن حدث كناية عن الموت والامر يحتمل ان يريد به امره بما امره به وقيامه به
واجراؤه في موارده ويحتمل ان يريد به جنس الامور التي امر بتصرف فيها وبها الرابعة الضمير في قوله
صدره الحسن وفي اصداره للامر الذي يقوم به فان الضمير الذي في مصدره فيحتمل وجهين احدهما عوده
الى الحسن وتقديره واصدار الحسين الامر كاصدار الحسن له ورضي في المال كفضائه والمصدر بمعنى الاصدار
كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اي انباتا ويحتمل ان يكون المصدر محل الاصدار اي
واصدره في محل اصداره الثاني ويحتمل ان يعود الى الامر الذي وصى به ويكون المعنى وضع كل شيء موضعه

الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية عن عدم اخراجه ببيع او هبة او بوجه من وجوه التمليكات الهادية
قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى يشكل ارضها غراسا والحكمة في ذلك وجهان احدهما
ان الارض قبل ان تشكل غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى علاف فينبغي ان لا يباع من فسيلها شيء حتى يكمل
غراسا وتثبت بحيث لا يحتاج الى شيء آخر ان النخل قبل ان يشكل ارضها يكون بعد غير مستحكمة الجذوع والشدة
فلو قلع فسيلها من تحتها ضعف جدا حتى لا تكاد تحب فاما اذا قويت واشتدت لم يكن عليها بقلع فسيلها كثير
مضرة وذلك حين يشكل ارضها ويتكامل غراسها ويتبس على الناظر حسبا فتره السيدة **السابعة** كني ما
عن امائه من كان يطوف عليهن ولكن يرويه سبع عشرة امهات اولاد احياء معهن اولادهن ومنهن حبالى ومنهن من
لا ولد لها فقضى فيهن ان حدث به حادث الموت ان من كانت منهن ليس لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل
لاحد عليها ومن كان منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه اي قرابته وتحسب شيئا من
حصته وتعتق عليه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل لاحد عليها وقضاؤه عليه السلام بكون ام الولد الحي
محسوبة من حظ ولدها وتعتق من مات من امائه بعد موته بناء على مذهبه في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها
المستولد ويصح بيعها وهو مذهب الامامية وقول قديم للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد
ولا يجوز بيعها وعليه اتفاق فقهاء الجمهور حتى لو بيعت وقضى قاض بصحة بيعها فالمختار من مذهب الشافعي
نقض قضائه والله ولي التوفيق **ومن وصية له** كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما
ذكرنا منها جملا ليعلم بها انه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في
صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروعن
مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تاخذن منهم اكثر من حق الله تعالى في ماله فاذا قدمت على
الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم
بينهم فتسلم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته
لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه الى وليه فان قال قائل
لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه
فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها
له فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها
فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين
ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في
ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا
حتى تاخذ حق الله في ماله ولا تاخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات
عوار ولا تامنن عليها الا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله الى وليهم فيقسمه
بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا امينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا
متعب

متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث امر الله به فاذا اخذها امينك فاوعز
اليه الا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنّها ركوبا
وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفّه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع
وليوردها ما تمرّ به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جوادّ الطرق وليروّحها
في الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى تأتينا باذن الله عز وجل بدّنا
منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمد
صلى الله عليه وآله فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك **اقول** روي ان فرحة ولا تخرجه
اي انقصها وروي تخرج التحية من اخذت التحابر اذا اقل قطرها وهم لراى قال يوم ومعها لاخذ بقدره
وعلى غير وجه والارهاق تكليف العسر والماشية الغنم والبقر والحيف الذي لا رفق له وصدع المال صدعين
قسمه قسمين والعود المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل والمدرة العالية السن والمكسورة التي
انكسرت احدى قوايمها والمهلوسة التي بها الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب وقد نعيم والمجحف الذي
يوقع المال بوقع عنيفا يذهب بجملة الملغب المتعب واللغوب الاعياء واوعزت اليه بكذا اي امرته به وحال
بين الشيئين حجز والمصر حلب كل ما في الضرع من اللبن والمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة والاستيناء
الارفق والنقب البعير الذي رقّ خفه والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع
عشب وهو النبات والبدن السمان الواحد بادن والمنقيات التي صارت من سمنها ذات نقي وهو مخ العظام
وشحم العين والنقو كل عظم ذي مخ وهذه الوصية تشتمل على تعليم عامله على جباية الصدقات قوانين العدل في اخذها
من اهلها وداره وامره على الشفقة عليهم والرفق بهم واعلم ان الرفق بالرعية وان كان من اهم المطالب
للشارع لاستلزامه تالف قلوبهم واجتماعهم عليه وعلى ما جاء به من الحق الا انه هيهنا اهم والحاجة اليه اشد
وذلك ان الغرض هنا اخذ بعض ما هو اعز المطالب عند الناس من ايديهم وهو المال ومشاركتهم فيه
فقلوبهم هنا اقرب من النفار مما يعرض اليه من سائر التكاليف وهم الى المداراة والرفق احوج
فلذلك اكد وصية العامل بالرفق بهم والمسالمة معهم حفظا لقلوبهم وفي الوصية مراتب الاول امره بالانطلاق
معتمدا على تقوى الله عز وجل شركه في تقواه غيره ولا توجه نية في انطلاقه الى مراءات حركة هذه حركة دينية
من جملة العبادات يجب توجيهها اليه بالاخلاص الثاني لا يروع مسلما كما هو عادة الولاة الظلمين و
ان لا يختار عليه كارها اي لا يختار شيئا من اموالهم ومواشيه وهو كاره لاختياره وروي ولا يجتاز
بابهم اي ولا يمرن على ارض انسان ومواشيه وهو كاره لمروره عليها وايضا انتصب كارها على الحال من
الضمير المجرور الثالث امره اذا نزل بحيهم ان ينزل بمائهم لان من عادة الاعراب ان تكون مياههم بارزة
من بيوتهم وان لا يخالط بيوتهم لما في ذلك من المشقة عليهم والتكلف لهم الرابع قوله ثم امض عليهم الى قوله
تؤدي حاجتها فيها تاديب له بما ينبغي ان يعامل في حقهم مما يستلزم المصلحة بتعليم الاسباب المشفقة عليهم
من الافعال كالسكينة والوقار والقيام فيهم من الاقوال كالتسليم واداء الرسالة واحوال الاقوال كالتمام

الخ

الخشية والرفق في القول ومن الترك كان لا يخيف المسلم ولا يوعده ولا يعيفه ولا يرهقه عسرا ولا يدخل
ابله وماشيته من غير اذنه ولا دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفرها بهيمة ولا يفزعها
ولا يسوء صاحبها فيها بضرب ونحوه لما في ذلك كله من اذى صاحبها وتغير قلبه المضاد للمطلوب
الشارع الخامس انه علل نهيه عن دخولها بغير اذن صاحبها فان اكثرها له والكلام في قوة صغرى
قياس من ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن هذه النهي وتقدير كبراه وكل من كان اكثر المال
فهو اولى بالتصرف والحكم والمال فيلزم ان لا يصح تصرف غيره فيه دون اذنه الا باذنه **السادس**
قوله واصدع المال الى قوله في ماله تعليم الكيفية استخراج الصدقة التي في الابل والماشية
وهو ان يفرق الابل والماشية عند اختلاط الكل فرقتين ثم يخيره فان اختار قسما فلا ينازعه
فيه وليس له ان يستانف فيه نظرا آخر وكذلك تقسيم الصدع الباقي صدعين ولا يزال يفعل كذلك
حتى يبقى احد الصدعين الى مقدار الواجب من حق الله تعالى في ذلك المال اوفوقه بقليل فيأخذ
منه مقدار الواجب او دونه بيسير فيتمم ويجعل لرب المال اختيارا احد الصدعين والاقالة
ان استقال من اخذ ذلك القسم تسكينا لقلبه وجبرا من نقص ماله السابع نهاه ان ياخذ
في مال الله ما كان احد الصفات المذكورة كالعود والهرمة والمكسورة والمهلوسة وذات العيب
لجباذ ونحوه مراعاة لحق الله تعالى وجبر الحال مصارفه وهم الاصناف الثمانية الذين عدهم
الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم قال قطب الراوندي رحمه الله الظاهر
من كلامه عليه السلام انه كان يأمر باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعينة من
المال قبل ان يصدع صدعين الثامن انه نهاه ان يامن عليها ويوكل بحفظها وسوقها الا من يثق
بدينه وامانته واشفاقا من نفسه بحفظه حتى يسلمه الى وليهم يعني نفسه عليه السلام ويكون ناصحا اي بتدبره
وبرسوله شفيقا اي على ما يقوم عليه واسينا حفيظا عليه غير ضعيف ولا مجحف ولا متعب ولا ذلك
من الامور اللازمة في حفظ الواجب فانه حق تعالى **التاسع** امره ان يعجل اليه ما يجتمع معه ولا
يؤخره الامرين من جهة بها الحاجة الى صرفه في مصارفه الثاني الخوف من تلفه باحد اسباب
التلف قبل الانتفاع به **العاشر** انه عاد الى الوصية بحال البهائم وهو ان يامر امينه عند تسليم
المال ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يحلب جميع لبنها لان الامرين اضرار بالولد ولا يجهدنها
ركوبا وتخصيصها به دون صواحباتها لان ذلك مما يضر بها والعدل بينها في ذلك ما يقل معه ضرر الركوب
هو ايضا من الشفقة الجبلية وكذلك الترفيه على اللاغب والتأني بالنقب والظالع وكذلك ان
يوردها ما تمر به من الماء والكلأ وان يروّحها في ساعات الرواح للغاية التي ذكرها وهو ان تاتي
بحال السمن والراحة وانما قال لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك امرا معلوما من حاله

فان ما يقع في الوصية بما يعاقب ربما سبق الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض مخصوص
به يخالف الكتاب والسنة ثم رغب في ذلك بكونه اعظم لاجره عند الله واقرب لهداه ورشده لكن
الله وهو ظاهر اما انه اعظم لاجره فلكونه اكثر مشقة والاكثرية الثواب تابعة لاكثرية المشقة واما انه
اقرب لرشده فلسلوكه في ذلك على اثره واقتدائه بهداه الذي لم يكن ضالا به والله الموفق

ومن عهد له عليه السلام الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة آمره بتقوى الله
في سرائر امره وخفيات عمله حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وآمره
ان لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم يختلف
سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وآمره
ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا بالامارة عليهم فانهم الاخوان
في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيبا
مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل المسكنة وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك
حقك فوفهم حقوقهم والا تفعل فانك من اكثر الناس يوم القيمة خصوما وبؤسا لمن
خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل
ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد
انزل نفسه في الدنيا وهو في الآخرة اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة
وافظع الغش غش الائمة والسلام **اقول** يقال جبهه بالمكروه اذا استقبله به وعضهه عضها
رميه بالبهتان والكذب والفاقة والبؤس الشدة والفظع الشدة وقد امره عليه السلام اوامر بعضها
يتعلق باداء حق الله وبعضها باداء ما يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم لغاية نظام حالهم وتدبير امورهم
فالذي يتعلق بحق الله امران احدهما ان يتقيه فيما يسر من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقيقية المستلزمة
بها وقوله حيث اشارة الى موضع السر العمل واخفاء الامور واتى بقوله لا شهيد غيره ولا وكيل دونه في
معرض الوعد له والتوعيد بالاطلاع على سرائر العباد وخفيات اعمالهم وتوليه لها دون غيره ونبه
بكونه هو الشهيد دون غيره على عظمته مع الرد لما عسى ان يحكم به الوهم مطلقا من ان اسرار الامور
لا يطلع عليها غيره من بني الثاني ان يوافق في طاعة الله تعالى بين ما اظهره وما ابطنه ويخلص اعماله
الظاهرة من الرياء والسمعة وذلك قوله وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسره وما في قوله فيما ظهر الذي
يحتمل ان يكون مصدرية وفيما اخفى اي للناس من طاعة الله وقوله ومن لم يختلف الى قوله العبادة ترغيب
فيما امره به من عدم اختلاف السرية والعلانية والفعل والقول لكون ذلك مستلزما للاخلاص عبادة الله

والخزي

أحل بنفسه
خ

ولاداء الامانة التي كلفنا عباده على السنة رسله وائمة دينه فلكون ذلك مستلزما لثواب الله والامن
من سخطه واما ما يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم فمنها ما يتعلق بحال ارباب الاموال التي يستحق عليهم
الصدقة ومنه ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها اما الاول فان لا يلقاهم بمكروه ولا يرميهم
ببهتان وكذب وان لا ينقص عنهم ويترفع عليهم تفضلا لنفسه بالامارة ونصب تفضيلا على المفعول له
وقوله فانهم الاخوان الى قوله الحقوق اشارة الى احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن ما امر به
عما امر بالانتهاء عنه ووجوبه والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق
فيجب ان لا يفعل في حقه شيء مما امرت بالانتهاء عنه واما انهم الاعوان على استخراج الحقوق فلان الحقوق
منهم انما تحصل وبطاعتهم حصولها منهم انما تتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيء مما نهى عنه فان كل تلك الامور
مما ينفر طباعهم ويبتت نظام شملهم ومنه يكون قلة مال الصدقة المستحقة عليهم ويحتمل ان يدخل في هؤلاء ارباب
واما ما يتعلق بالمستحقين للصدقة فان يوفيهم حقوقهم منها واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله وان
لك الى قوله وانا موفوك حقك وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول وتقدير كبراه وكل من
كان له نصيب مفروض وحق معلوم في شيء وله شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب
عليه ان يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فاشار الى بيانها بقياس آخر من الشكل الاول
مركب من متصلتين فاشار الى الصغرى بقوله والا الى قوله يوم القيمة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسا الى قوله وابن
السبيل وهي في قوتها اي الاصناف المذكورون من مستحقي الصدقة وهم خصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط
متحدا وصار تقدير القياس ان لا توفهم حقهم فانك ممن خصومه اكثر الناس اي الفقراء والمساكين وسائر الاصناف
يوم القيمة وكل من كان خصومه اكثر الناس وهم الاصناف المذكورة عند الله وهو يوم القيمة فبؤسا له عند الله
يوم القيمة ينتج متصلة مركبة من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي ان لا توفهم حقوقهم فبؤسا لك وهو في معرض التهديد له
من ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة وشركاء عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة صفة له وبؤسا نصب
على المصدر واما الاصناف المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء
الى قوله وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذي لا يسأل والمسكين هو الذي
يسأل وعن الاصمعي ان الفقير هو الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له واما العاملون عليها فهم السعاة
في جباية الصدقات ويعطيهم الامام منها بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا قوما من اشراف
العرب يتألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله في مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة ليدفعوا
عنه قومهم ويعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة بن حصين وغيرهما ثم استغنى المسلمون
من ذلك عنه قومهم واما في الرقاب اي في فك الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين
وكانوا يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين لزمتهم الديون في غير معصية ولا اسراف
واما في سبيل الله فهم الغزاة والمرابطون واما ابن السبيل فهو المنقطع به في سفره ويعطى من الصدقة وان
كان غنيا في بلده وقد ذكرهم هاهنا في معرض ايجاب الشفقة والرحمة لهم وهم الفقراء والمساكين

فيه السائلون فيه ثم المدفوعون وشبه ان يريد بهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون
لجباية الصدقات او لانهم اذا اتوا الى من لا زكوة عليه فسئلوه هل عليه زكوة ام لا دفعهم عن نفسه وذكر
مناسبة هذا الوصف لكونه وصف ذل سهادا نفعها وكونه هو في معرض الامر بالشفقة عليهم قال بعض الشارحين
اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكر هؤلاء الخمسة او
الاربعة لكونهم اضعف حالا من الباقين وقوله ومن استهان الى قوله واخزى اشبه ان يكون كبرى قياس
ضمير احتج به في معرض الوعيد والتخويف من الخيانة على لزوم الذل والخزى له في الدارين على تقدير
لا يوفيهم حقوقهم وتقدير القياس وان لا توفهم حقوقهم تكن مستهينا بالامانة واتفاق الخيانة غير منزه
نفسك ودينك عنها وكل من كان كذلك فقد احل نفسه في الدنيا الذل وهو في الاخرة اذل واخزى او
روى حل نفسه اى ترك ما ينبغى لها وروى احل نفسه اى اباحها الذل على ان في الروايتين مبتدء
خبره في الدنيا والخيانة اعم من الغش وهي رذيلة التفريط من فضيلة الامانة والغش رذيلة تقابل
فضيلة النصيحة وهما داخلان تحت رذيلة الفجور وقوله وان اعظم الخيانة الى اخره شبه على عظم الخيانة مهما
اذا كانت خيانة كلية عامة الضرر لاكثر المسلمين ومستلزمة لغش الامام الذي هو افضل الناس لانهم
فانه كان مطلق الخيانة ولو في حق اقل الخلق واحقر الاشياء مستتبعا عقابا وخزيا فالعقاب والخزى عليها فبالاولى
مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة والله الموفق

ومن عهد له عليه السلام الى محمد بن ابى بكر رحمه الله لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك
وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس
الضعفاء من عدلك عليهم وان الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من اعمالكم و
الكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد
الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم
ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل
ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون
ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم
وتيقنوا انهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من
لذة فاحذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه يأتى بامر عظيم وخطب
جليل بخير لا يكون معه شر ابدا او شر لا يكون معه خير ابدا فمن اقرب الى الجنة
من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم
وان فررتم منه ادرككم وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم
والدنيا تطوى من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها
جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة وان استطعتم

ان يشتد خوفكم من الله وان يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما
يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم
خوفا لله واعلم يا محمد بن ابى بكر انى قد وليتك اعظم اجنادى في نفسى اهل
مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح عن دينك ولو لم يكن لك الا
ساعة من الدهر فلا تسخط الله برضا احد من خلقه فان في الله خلفا
من غيره وليس من الله خلف في غيره صل الصلوة لوقتها الموقت لها
ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء
من عملك تبع لصلوتك **اقول** فلذة الاكر جبلة في شقه كالفلذة و
اللفظ مستعار وخلى بين كذا اى صار له منه خلوة وهي المنزلة والحظ الوافر وحبا
البال سه الكبر والكرار جمع طره بد وهو ما يطرد من صيده والخلف العوض وهذا الفصل من
العهد منتقط من كلام طويل ومداره على امور الاول وصيته محمد رضى الله عنه بمكارم الاخلاق في
حق رعيته وذكر اوامر احدها امره بخفض الجناح قيل واصله ان الطائر يبسط جناحيه
ويخفضهما ليجمع فراخه تحتهما اظهارا للشفقة عليهم فاستعمل كناية عن التواضع الكائن عن الرحمة
والشفقة كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد
بينا ان التواضع ملكة تحت فضيلة العفة الثانى امره بالانة جانبه كناية عن الرفق في
الاقوال والافعال وعدم الغلظة عليهم والجفاوة في حقهم في كل الاحوال وهو فضيلة
من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم
بالبشاشة والطلاقة من غير تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان
يواسى بينهم في النظرة واللحظة وهى اخف من النظرة وهو كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم
في جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع الى قوله عليهم بيان وجه الحكمة
في امره بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة على حقارتهما فان قلت لم خص العظماء با
لطمع في الحيف والضعفاء باليأس من العدل قلت لان العادة ان الولاة والامراء
انما يخصصون بالنظرة والاقبال والبشاشة الاغنياء والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص
مستلزم لطمعهم ان يحاف لهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس من العدل في حقهم
والضمير في قوله عليهم يرجع الى العظماء الثانى الوعيد للعباد بسؤال الله لهم عن صغير
اعمالهم وكبيرها وظاهرها ومستورها والاعلام بانهم مظنة عذابهم لبداءتهم بمعصيته
والبادى اظلم قال الراوندى رحمه الله المراد بظلم الظالم هنا ويحتمل ان يكون قد سمى مجازاتهم
به من العدل ظلما مجازا للمشابهة لظلم في الكمية والصورة كما سمى في القصاص اعتداء في
قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم نسب اليه ظلمهم فقال

اذن خلا التفضيل باعتبار كونه مراداً بالمعصية ولكنا لا نعلم بانه تعالى منعه الكرام
بالعفو عنهم الثالث اعلامهم بما ينبغي لهم من استعمال الدنيا وبقية نصيب على
كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها لبقية واتحالهم وهي ما اخبر عنه بقوله ذهبوا
بعاجل الدنيا الى قوله ولا ينقص لهم من لذة وخلاصته ما هو المذكور انهم
الكثر فائدة من اهل الدنيا اذ حصلوا من اللذة شيئاً دنياهم على افضل كمال
لا هنا من لذتهم بها مع زيادة الكرامة الكبرى في الآخرة ما اعد فيها المتقون واعلم
ان الذي يشير اليه من عاجل الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا اهلها فيها وحظوا
به منها ما حظي به المترفون واخذ كجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه من لذات
الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم وحاجتهم كما روي عنه في صفتهم فقط اختصر شاركوا اهل
الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم اباحهم الله في الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم
قال الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
الآية سكنوا من هذه الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا اهل
الدنيا في دنياهم فاكلوا معهم من طيبات ما ياكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من
افضل ما يلبسون وتزوجوا من افضل ما يتزوجون وركبوا من افضل ما يركبون اصابوا لذة الدنيا
مع اهل الدنيا وهم غدا جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا ترد لهم دعوة ولا
ينقص لهم نصيباً من لذة فاما وجه كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت
فلانهم استعملوها على الوجه الذي ينبغي لهم وقد امروا باستعمالها عليه وخاصة في
ذلك الوجه افضل الوجوه واما انهم شاركوا اهل الدنيا في طيباتها فقط بل نقول
ان لذتهم بما استعملوا منها اتم واكمل وذلك ان كل ما استعملوه منها من ماكول ومشروب
ومنكوح ومركوب انما كان عن الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان الحاجة الى
الملك كلما كانت اشد واقوى كانت اللذة بعد حصوله اتم واعلى وذلك من الامور الوجدانية
فثبت اذن انهم حصلوا منها بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون
مع ما حصلوا به من الحصول على اجل الآخرة الذي لم يشاركهم اهل الدنيا فيه كقوله تعالى
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب و
اما الزاد المبلغ لهم الى منازل العزة وحضرة الجلال فهو التقوى الذي اختصوا به كما قال تعالى
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد علمت معنى كونه زاداً غير مرة واستعار للتقوى الطاعة لفظ المتجر
باعتبار كونها الغاية المقصودة منها استعاضة ثواب الآخرة للتقي ورشح بذكر الربح اي
المكسب للربح وذلك باعتبار زيادة فضل ثواب الله في الآخرة على ما بذله العبد من

العبد من نفسه من العمل وقوله اصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم اشارة الى بعض ما يزود به من اللذات في الدنيا
وهو لذة الزهد اذ كان لهم بطرح الدنيا من اعناق نفوسهم ووصولهم بسبب ذلك الى ما وصلوا اليه من الكمالات العالية
ابتهاجات عظيمة اجل واشد مما يجده المترفون والمتكبرون لذة وجزاء وهم الذين يحق لهم ان يتكبروا لا المتكبرون
اذ كان الكمال الذي يتكبر به المتكبرون امرا خيالياً ضعيفاً بالقياس الى الكمال الحق الذي حصل عليه هؤلاء وقوله وتيقنوا
انهم جيران الله غداً اي يوم القيامة وهو اشارة الى جهة فرحهم بكونهم ابرار الله والتذاذهم به المضاف الى ما اصابوه
من لذة زهد الدنيا وذلك الجوار هو ما حصلوا عليه من اليقين بالله والوصول التام اليه بعد مفارقة الابدان وذلك
معنى جواره وقوله لا ترد لهم دعوة اشارة الى بعض فضائلهم التي انفردوا بها ايضاً المتفرعة على كمال نفوسهم
وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم مجابي الدعوة مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذة في الدنيا
وانفردوا به من تمامها في الآخرة الرابع تحذيرهم من الموت وقربه وتنبيههم على غاية من ذلك التحذير وهو ان
يعدوا له عدته التي يلقى بها وهي لا يكون الا بكثرة ذكره وقد علمت ان التقوى والعمل الصالح واكد الامر باعداد عدته
بالتشبيه على عظيم ما ياتي به من الامر والخطب الجليل واشار الى ان ذلك الامر قد يكون خيراً خالصاً ابداً وقد يكون
شراً خالصاً ابداً لتشتد الرغبة وتقوى في الكمال العدة المستلزمة لتحصيل ذلك الخير ودفع ذلك الشر ثم نبه
على ان ذلك الخير الذي ياتي به الموت هو الجنة وذلك الشر هو النار وان المقرب الى كل منهما والمستلزم
لحصول عليه هو العمل له بقوله فمن اقرب الى الجنة من عاملها ثم نبه بقوله وانتم الى قوله ظلكم على ان هذا الامر المستصعب
واحدى الغايتين العظيمتين وهو الموت لابد من لقائه تنبيهاً لهم عليه بالاستعداد له واستعار لهم
لفظ الطرداء ملاحظة لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولشبهه بالفارس المجد في الطلب الذي لابد من ادراكه
الطريدة وظاهر انه الزم لكل امرئ من ظله اذ كان ظل المرء قد ينفك عنه حيث لا ضوء والموت امر لازم
لابد منه وقوله والموت معقود بنواصيكم كناية عن لزومه وكونه لابد منه اقتضاه اي مشدود ومربوط بنواصيكم
وذلك الربط اشارة الى حكم القضاء الالهي به وكونه ضروريا للحيوان وانما خص الناصية لانها اعز في الانسان
واشرف والالزم لها المالك له واقدر على ضبطه ونحوه قوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام واستعار
لفظ الطي لتقضي احوال الدنيا واياماه التي يقطعها الانسان وقتاً فوقتاً ملاحظة لشبه احوالها بما يطوى من
بساط ونحوه وظاهر ان ذلك الطي من خلفهم خفايا بالنسبة الى ما يستقبلونه من احوالها الموجودة امامهم ثم
لما كرر ذكر الموت واكد لزومه بعثهم على ذكر الدنيا رجع الى التحذير من غايته وهي النار ووصفها باوصاف شدة
الحذر منها وهي بعد قعرها وما نبه عليه ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله سمع هدة فقال للصحابة هذا حجر
القي من شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين خريفا والآن حين وصل الى قعرها وكان ذلك اشارة منه الى
منافق مات في ذلك الوقت وعمره سبعون سنة وقد اشير الى ذلك من قبل وشدة حرها كقوله تعالى
قل نار جهنم اشد حرا وجدة عذابها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب وكونها ليس بدار رحمة ولا يسمع بها دعوة لقوله تعالى ربنا اخرجنا منها الآية الى قوله ولا تكلمون
وكونها لا تفرج كربتها لقوله تعالى في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقوله ونادوا

بالملك الى قوله لكن من احسن قولا وان استعظم الى قوله منها امرهم بالجمع من شدة الخوف من الله وحسن الظن به
مرهما بان عظمهما من ابواب الجنة كما مر فيما سلف ثم اشار الى انهما متلازمان بقوله فان العبد الى قوله خوفا
اى ان مقدار حسن الظن العبد بربه مطابق وملازم لمقدار خوفه منه وان زيادته مع زيادته ونقصانه
مع نقصانه واعلم انه عليه السلم لم يجعل احدهما علة للآخر بل جعلهما معلولي علة واحدة مساويا بهما وهي معرفة الله تعالى فانها
كانت معرفة الله تعالى متفاوتة بحسب الشدة والضعف كان حسن الظن به ورجاؤه وشدة الخوف منه تابعة لها
شدة وضعفا بحسب قوة المعرفة وضعفها الا ان كل واحد منهما يستند الى صنف من المعرفة واعتبار خاص
يكون هو مبدأه القريب اما حسن الظن والرجاء فان لحظ العبد من ربه وتتبع جميع اسباب النعم على خلقه
حتى اذا علم لطائفها في جملتها ما هو ضروري لهم كآلات الغذاء وما لهم اليه حاجة كالاظفار وما هو زينة كتقويس
الحاجبين واختلاف الوان العينين وبالجملة ما ليس بضروري علم ان العناية الالهية اذا لم تقصر عن افاضة
امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان تفوتهم المزايا والمزايا من الزينة والحاجة كيف يرضى لهم بسياقهم
الى الهلاك الابدي بل اذا ادار اعتبار اخذ هذا الباب علم تعالى لما هيأه لاكثر الخلق اسباب السعادة في الدنيا
حتى كان الغالب على اكثرهم الخير والسلامة سنة الله التي قد خلت في عباده علم ان الغالب في الآخرة ذلك
ايضا لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو اللطيف بعباده وهو الغفور الرحيم فيصح لكون هذه الملاحظات
والاعتبارات مستلزمة لحسن الظن وبالحقيقة الرجاء ومن هذه الاعتبارات النظر في حكمة الشريعة وسياق مصالح
الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها وبالجملة ان تعتبر صفات الرحمة واللطف واما الخوف فاقوى اسبابه ان
تعرف الله تعالى وصفات جلاله وعظمته وتعاليه وسطوته واستغناءه وانه لو اهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه
مانع وكذلك سائر اعتبارات الصفات التي تقتضي العنف وايقاع المكاره كالسخط والغضب ولذلك قال
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه وآله انا اخوفكم لله وكلما اشتدت المعرفة بتلك
الاعتبارات كمل حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر ذلك على البدن فيحصل النحول والصفار والغشية
والرعدة والرهبة وعلى الجوارح فتكفها عن المعاصي وتقيدها بالطاعات استدراكا لما فرط منه وعلى الصفات
فيقمع الشهوات ويكدر اللذات ويحترق القلب بالخوف فيحصل له ذبول وذلة فيفارقه مع ما كثر من
الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وغيرها ثم ان الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضائل وذلك ان معرفة الله تعالى
واليقين به اذا حصل مع الخوف من عقابه والرجاء لثوابه بالضرورة وهما يفيدان الصبر اذ حفت الجنة
بالمكاره فلا صبر على تحملها الا بقوة الرجاء وحفت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي مقام الصبر
الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهي مؤدية الى كمال المعرفة المؤدي الى الانس
المؤدي الى المحبة المستلزمة لمقام الرضا والتوكل اذ من ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته
ولما ثبت انهما معلولا علة واحدة ثبت انهما متلازمان وليسا متضادين وان ظن ذلك في ظاهر الامر
بل ربما غلب احدهما على الآخر بحسب غلبة اسبابه فيشتغل القلب به ويغفل عن الآخر فيظن انه يضاده

ولذلك انه عليه السلم نبهه بان المنصب الذي هو فيه ليس منصب طعمة بل منها ثم نبهه على احسانه اليه اعظم اجاده وكتسرعه
الله كبر تلك النعم بان يريد ان يوصيه به السادس نبهه على ما ينبغي له وهو ان يرد على الناس ان خالف على نفسه الامارة
بمقاومة من السوء والفحشاء وسائر مناهي الله الى الحكم به العقل والشرع من طاعته وان ينازع عن دينه وكذا
شياطين الانس والجن عند لزوم الجن امر الله سبحانه فينبغي ان لا يشغله الا بالمجاهدة عن دينه وان لا يسخط
برضا احد من خلقه اي لمتابعة احد من خلق الله فيما يسخط الله وقوله فان في الله الى قوله غيره احتج على وجوب
مراعاة رضاه تعالى دون غيره بقياس ضمير من الاول المذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكلما كان في الله
خلف من غيره وليس في غيره خلف منه فالواجب اتباع رضاه وان لا يسخط برضا غيره ثم امره ان يصلي الصلوة
لوقتها الموقت لها اي المعين واللازم للتخصيص والتمليك وان لا يقدمها في وقتها لفراغه في ذلك الوقت
ولا يؤخرها عن وقتها لشغله عنها بغيرها فانها اهم من كل شغل واوسط ثم اعلم ان كل شيء من الاعمال الصالحة تبع
للصلوة والمراد ان الانسان اذا حافظ على صلوته واتى بها في اوقاتها يوشك ان يكون على غيرها
اوسلم بالمحافظة واذا تساهل فيها فهو في غيرها اكثر تساهلا وذلك انها عمود الدين وافضل العبادات كما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل عن افضل الاعمال فقال الصلوة لاول وقتها وقال صلى الله عليه وآله
اول ما يحاسب به العبد الصلوة فمن تمت صلوته سهل عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلوته فانه يحاسب
فيما بعد غيرها وعلم انه ذكر امر الصلوة في هذا العهد بكلام طويل تركه السيد رحمه وفيه بيان فعل الصلوة
لوقتها واولها ان قال وانظر الى صلوتك كيف هي فانك امام لقومك ان تتمها او تخففها فليس من امام
يصلي بقوم يكون في صلوتهم نقصان الا كان عليه لا ينقص من صلوتهم شيء وان تممها وان تحفظ فيها يكن لك مثل
اجورهم ولا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وانظر الى الوضوء فانه من تمام الصلوة تمضمض ثلثا واستنشق
ثلثا واغسل وجهك ثم يدك اليسرى ثم اليمنى ثم امسح رأسك ورجليك فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله
يصنع ذلك واعلم ان الوضوء نصف الايمان ثم ارتقب وقت الصلوة فصلها لوقتها ولا تعجل بها قبله ولا
ولا تؤخرها عنه لشغل فان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وآله عن اوقات الصلوة فقال صلى الله عليه وآله
اتاني جبرئيل فارانا وقت صلوة الظهر حين زالت الشمس وكانت على حاجبه الايمن ثم ارانا وقت العصر
وكان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين غربت الشمس ثم صلى العشاء الاخرة حين غابت الشمس ثم صلى الصبح
فاغلس بها والنجوم مشتبكة فصل لهذه الاوقات والزم السنة المعروفة والطريق الواضح ثم انظر ركوعك
وسجودك فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اتم الناس صلوة واخفهم عملا فيها واعلم ان كل شيء من عملك
تبع لصلوتك فمن ضيع الصلوة فانه لغيرها اضيع اسال الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى ان يجعلنا
واياك ممن يحب ان يرضى حتى يعينا واياك على شكره وذكره وحسن عبادته واداء حقه وعلى كل شيء اختار لنا
في ديننا ودنيانا وآخرتنا ومن هذا العهد ايضا فَإِنَّهُ لَا سَوَاءٌ إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى وَوَلِيُّ النَّبِيِّ
وَعَدُوُّ النَّبِيِّ وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلَا مُشْرِكاً أَمَّا الْمُؤْمِنُ
فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ

ويفعل ما ينكرون. اقول هذا الفصل متصل بقوله واخر ما من فصل الصلوة واوله وانتم يا اهل مصر فليصدق قولكم
فعلكم وسركم علانيتكم ولا تخالف السنتكم قلوبكم انه لا يستوي الى قوله تنكرون ثم يتصل به يا محمد بن ابي بكر اعلم ان
افضل الفقه الورع في دين الله والعمل بطاعته وانا اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتك وعلى اي
حال كنت عليه الدنيا دار بلاء ودار فناء والآخرة دار الجزاء ودار البقاء فاعمل لما يبقى واعدل عما يفنى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اي اوصيك بسبع هي جوامع الاسلام اخش الله عز وجل في الناس ولا تخش الناس في الله
وخير العمل ما صدقه القول ولا تقض في امر واحد بقضائين مختلفين فيختلف امرك وتزيغ عن الحق واحب لعامة
رعيتك ما تحب لنفسك واهل بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك واهل بيتك فان ذلك اوجب للحجة واصلح
للرعية وخض الغمرات الى الحق ولا تخف في الله لومة لائم وانصح المرء اذا استشارك واجعل نفسك
اسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله مودتنا في الدين وخلفنا واياكم وخلة المتقين وابقى لكم طاعتكم
حتى يجعلنا بها اخوانا على سرر متقابلين احسنوا اهل مصر موازرة اميركم واثبتوا على طاعتكم تردوا حوض
نبيكم صلى الله عليه وآله اعاننا الله واياكم على ما يرضيه والسلم عليكم ورحمة الله وبركاته والنجع الظهر الازل
واعلم انه لما امرهم بترك النفاق وموافقة الفعل الجميل للقول الجميل استدرجهم الى ذلك وجذبهم اليه
بالفرق بينه وبين غيره من الائمة فاشار بامام الهدى ووصي النبي الى نفسه وبامام الردى وعدو
النبي الى معوية واسند الخبر المشهور الى النبي صلى الله عليه وآله واراد بمنافق الجنان عالم اللسان معوية
واصحابه وكل ذلك ليفيئوا الى طاعته عليه السلم وينفروا عن خصمه واما سر الخبر فظاهر ان المؤمن لا يجانه
لا يخاف منه على المسلمين واما المشرك فان الله يقمعه ويذله بشركه ما دام مشركا متظاهرا بالشرك
لظهور الاسلام وغلبة المسلمين واتفاقهم على مباينته ومعاداته وعدم الاصغاء الى ما يقول واما الخائف
عليهم المنافق الذي من شانه اسرار الكفر واظهار الاسلام وتعلم احكامه وفالظاهر فهو يقول بلسانه
ما يعرفون ويفعل ما ينكرون ووجه المخافة منه ان في لطفه لاهل الاسلام مع اظهاره له يكون سببا
لاصغائهم اليه ومجالستهم له والاغترار بما يدعيه من صداقة وصدق وعلم اللسان وقدرته على الشبه
الخفية وتمويها بالاقوال المزوقة يكون سببا لانفعال كثير من عوام المسلمين وفتنتهم عن الدين. وقوله
ان افضل الفقه الورع لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة وهو ملكة تحت فضيلة العفة وهي من انواع الفضائل
التي تحت الحكمة فتكون افضل من كل منها. وقوله واخش الله في الناس اي خف سخطه فيما تفعله بهم من شر
تغضبه به. وقوله ولا تخش الناس في الله اي لا تخف اعداءهم ولا تراقبهم فيما تفعله من طاعة الله فتعدل
عن طاعته لخوف منهم وبالله التوفيق. ومن كتاب له عليه السلم الى معوية جوابا وهو من محاسن
الكتب: اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وآله لدينه وتاييده اياه بمن ايده
من اصحابه فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا اذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك
كناقل التمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال وزعمت ان افضل الناس فلان وفلان فذكرت امرا
ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء

في الاسلام

وابناء

وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح
ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر
حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد
الا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله احدث ان قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل حتى
اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه اولا ترى
ان قوما قطعت ايديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى اذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في
الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين
ولا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا
قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الاكفاء ولستم هناك وانى يكون
ذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ومنا سيدا شباب اهل الجنة ومنكم
صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم فاسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا لا تدفع
وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
وقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فنحن مرة
اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله
فلجوا عليهم فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت
وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع ولعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت وان تفضح
فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجتي الى
غيرك قصدها ولكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان فلك ان
تجاب عن هذه لرحمك منه فاينا كان اعدى له واهدى الى مقاتله امن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه
امن استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه حتى اتى قدره عليه كلا والله لقد يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم عليه احداثا فان
كان الذنب اليه ارشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح وما اردت الا
الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وذكرت انه ليس لي ولاصحابي عندك
الا السيف فلقد اضحكت بعد استعبار متى الفيت بني عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيف مخوفين
فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين
والانصار والتابعين لهم باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت احب اللقاء اليهم لقاء
ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدك واهلك
وما هي من الظالمين ببعيد. اقول هذا الكتاب ملتقط من كتاب اليه [illegible] منه فصلا سابقا وهو وقد اراد [illegible]

الملك بينا وقد ذكرنا كتاب معوية الذي هذا الكتاب جوابه وذكرنا الكتاب باسره هناك وان كان فيه اختلاف الفاظ بسبب الروايات وخبأت الشي سترة وطفق مثل اقبل وجعل والهجرة البلد ذو التمر

البحرين والنضال المراماة والمسدد الذي يقوم غيره بامر يسدده اليه وامتريك تباعد عنك والظلع العرج

والطليق من اطلق بعد الاسر والربع الوقوف والظلع العرج والذرع بسط اليد والتيه الضلال والتجرد الانفراد

والرواغ كثير الميل عن القصد والجمّ الكثير ومج القاه من فيه القاه والرمية الصيد يرمى والصنيعة الحسنة والنائع

الفخر والشكاة والشكاية ظاهرة والظاهر الزائل والمخشوش الذي جعل في انفه خشاش وهو خشبة

تدخل في انف البعير ليقاد بها والغضاضة الذلة والمنقصة وسنح اعترض واهدى اشد عدوانا والموقين

المتيقنين والظنة التهمة والمنيع البالغ في النصيحة والاستبعار البكاء والنيث كذا وجدته والنكول التاخر

جبنا والارقال ضرب من السير السريع والجحفل الجيش العظيم والساطع المرتفع والقتام الغبار والسرابيل

القمصان والنصال السيوف وقد اجاب عليه السلم عن كل فصل من كتاب معوية بفصل والكتاب اخرج

ما اختاره السيد رضه من الخطب وفيه نكت الاولى انه استعار لفظ الخبي لما ستره الدهر في وجود معوية

من العجب ثم فسر العجب فقال اذ طفقت اي في النضال ووجه العجب هنا انه اخبر اهل بيت النبي بحال النبي

وما انعم الله به عليه من اصطفاية له لدينه وتاييده باصحابه مع علمهم البالغ بحاله وكونهم اولى باخبار غيرهم

لذلك ثم ذكر مثلين احدهما قوله كناقل التمر الى هجر واصل هذا المثل ان رجلا قدم من هجر الى البصرة بمال اشترى

به شيئا ليربح فلم يجد فيها اكسد من التمر فاشترى بماله تمرا وحمله الى هجر وادخره في البيوت ينتظر به السعر فلم

يزدد الا رخصا حتى فسد جميعه وتلف ماله فضرب مثلا لمن يحمل الشي الى معدنه لينتفع به فيه ووجه مطابقة المثل

هنا ان معوية حمل الخبر بما اخبر به الى معدنه الذي هو اولى به منه كحامل التمر الى معدنه وهجر معروفة بكثرة التمر

حتى انه ربما بلغ خمس جلة بدينار ووزن الجلة مائة رطل فذلك خمسة الف رطل ولم يسمع مثل ذلك في بلاد

اخرى وجواهر قد يذكر لتقدير الموضع ولذلك مرجحا شاعرهم حيث يقول وحقا ابطا ارقالا وقال

فلي اوال لا ما داوا هجر قربي هجرا ان نا انه شبهه بداعي مسدده الى النضال ووجه التشبيه هنا ايضا

انه حمل الخبر الى من هو اولى به منه كما يدعو الانسان مسدده ومسانده في الرمي الى المراماة ويسدده او ليس

بان يدعوه الى ذلك الثانية ان معوية لما اقتص حال الصحابة وذكر الافضل اجابه بان ذلك ان يفضل

واترتب اما ان يتم اولا فان تم فهو بمعزل عنك اذ ليس لك نصيب ولا شرك في درجاتهم ومراتبهم

وسابقتهم في الاسلام فيكون اذن خوضك فيه خوضا فيما لا يعنيك وان نقص فليس عليك من نقصانه

عار ولا يلحقك منه وهن فخوضك فيه ايضا فضول وقوله وما انت استفهام على سبيل الاستحقار

والانكار عليه ان يكون من اهل معرفة ذلك وتجارته فيه فهذه الامور الكبار والمنقول ان ابا سفيان

كان من الطلقاء فلذلك معوية فهو طليق وابن طليق وقوله هيهات استبعاد لاهلية مثله لهذا الحكم وترتيب

طبقات المهاجرين في الفضل ثم ضرب له في ذلك مثلين آخرين احدهما قوله لقد حن قدح ليس منها

واصل ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقي القداح ثم اجاله المفيض خرج له صوت يخالف

اصواتها فيعرف به انه ليس من جملتها فضرب مثلا لمن يمدح قوما ويطريهم ويفتخر بهم مع انه ليس منهم وقيل ان عمر

قال الوليد بن عقبة بن معيط فمثل من دون قريش فقال عمر حن قدح ليس منها اثني في قوله وطفق يحكم فيها من عليه

الحكم لها يضرب لمن يحكم على قوم وفيهم وهو من اراذلهم وليس للحكم باهل بل هم اولى منه اذ شان الاشراف ان

يكونوا حكاما ومراده ان معوية ليس من القوم الذين لهم تفضيل بعضهم على بعض في شي وليس اهلا للحكم فيهم الثالثة

قوله الا تربع ايها الانسان على ظلعك استفهام على سبيل التنبيه له على قصوره عن درجة السابقين والتقريع له

على ذلك وغاية ذلك انه يرفق بنفسك ولا يكلفها عنه ويقف بها عن مجاراة اهل الفضل على ظلعك واستعار

لفظ الظلع لقصوره ووجه المشابهة قصوره عن لحوق رتبة السابقين في الفضل كقصور الظالع عن شاو الضليع

وكذلك قوله وتعرف قصور ذرعك وقصور الذرع كناية عن قصور قوته وعجزه عن تناول تلك الرتبة وحيث

اخره القدر اشارة الى مرتبته النازلة التي جرى القدر بها ان تكون نازلة عن مراتب السابقين وقوله

باتاخرها والوقوف عندها تقريعا وتوبيخا بها وقوله فما عليك الى قوله الظافر في قوة احتجاج على وجوب تاخره

بحيث هذه المرتبة بقياس ضميري من الشكل الاول والمذكور في قوة صغراه وتقدير الكبرى في المطلوب في هذا

الامر الكبير ليس عليك منه شي وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب تاخره عنه واعتزاله اياه ولا لكان

سفيها بدخوله فيما لا يعنيه الرابعة قوله وانك لذهاب في التيه اي كثير الذهاب والتوغل في الضلال عن

معرفة الحق كثير العدول عن العدل والصراط المستقيم في حقنا وعن الفرق بيننا وبينكم ومعرفة فضائلنا

ورذائلكم ثم نبهه على وجه الفرق بينهم وبين من عداهم من المهاجرين والانصار بذكر افضلية بيته التي

انفردوا بها دونهم في الحيوة وبعد الممات بعد ان قرر ان لكل من الحي به فضلا ثبتت الافضلية لبيته

بالقياس اليهم وذلك قوله الا ترى اي قوله اجماعين فمن ذلك افضليتهم في الشهادة وشهيدهم الذي

اشار اليه عمه حمزة بن عبد المطلب رضه واشار الى وجه افضليته بالنسبة الى ساير الشهداء من وجهين

احدهما قوله وهو تسمية الرسول صلى الله عليه واله سيد الشهداء والثاني فضل وهو ان رسول الله صلى الله عليه

واله خصه بسبعين تكبيرة عند صلوته عليه في اربع عشرة صلوة وذلك انه كان كلما كبر عليه جماعة حضرت

جماعة اخرى من الملائكة فصلى بهم عليه ايضا وذلك من خصائص حمزة رضه وشرف بني هاشم في جوهم ومنهم

ومنها افضليتهم فيما فعل ببعضهم من التمثيل به كما فعل باخيه جعفر بن ابي طالب من قطع يديه يوم مؤتة وسماه رسول الله

بذلك الطيار ذا الجناحين والطيار في الجنة ومن المنقول عنه عليه السلم من الشعر فيه والفخر الى معوية

وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن امي وقد ذكرنا قصتهما وقتالهما من قبل ثم اشار الى انه

فضايل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها اذانهم وانما ترك تعديدها وذكرها في معرض الفخر بما نهى الله

سبحانه عن تزكية نفسه والذاكر يعني نفسه وانما نكره ولم يات بالالف واللام ولم ينسبه الى نفسه

لان في ذلك صريح الدلالة على تزكيته لنفسه واستعار لفظ المج لكراهية النفس لبعض ما يكرر سماعه

واعراضها عنه فانها تصير كالقاذف له من الاذن كما يقذف المج الماء وقوله فدع عنك من مالت به

الرمية اي ضع عنك اصحاب الاغراض والمقاصد الفاسدة ولا تلتفت الى ما تقولون في حقنا كعمرو بن العاص

ويحتمل ان تكون الاشارة اليه بعينه على طريقة قولهم اياك اعني فاسمعي يا جارة واستعار لفظ الرمية وكنى بها عن الامور
التي مقصدها النفوس وربما تقصدها ونبه بالنبل ايضا على انها ليست بالقريبة للانسان واليها اشار بالكلم على الفعل وقوله
فانا صنائع ربنا الى قوله لنا شبه في وجه آخر على افضليتهم من جهة اختصاص الله سبحانه اياهم بالنعم الجزيلة في نعم
الرسالة وما يستتبعه من الشرف والفضل حتى كان الناس عيالا لهم فيها اذ كانت تلك النعم ولوازمها انما وصلت
الى الناس بواسطتهم ومنهم واكرم بها فضيلة وشرفا على سائر الخلق وهذا الشبه في قوة صغرى من الشكل الاول
في معرض الافتخار والحجة على انه لا ينبغي لاحد ان يجاريهم في شرف او يفاخرهم ويناضلهم في فضيلة وتقدير
الكبرى وكل من كان لصنائعه صنيعة ربه بلا واسطة والناس بعده صنائع له وبواسطته فلا ينبغي لاحد من الناس
ان يجاريه في فضل او يباريه في شرف ويجوز بلفظ الصنائع في الموضعين اطلاقا لاسم المقبول على القابل
والاثر على المحل ثم كثر ذلك الى ان يقال فلان صنيعة فلان اذا اختصه لموضع نعمته كقوله تعالى واصطنعتك لنفسي
وقوله لم يمنعنا الى قوله هناك امتنان في معرض الافتخار ايضا وعادي منسوب الى عاد قوم هود والنسبة
اليه كناية عن القدم ووجه الامتنان هو انهم لم يمنعوا فضلهم عليهم من خلطهم اياهم بانفسهم في مناكحتهم وفعل
الاول منصوب على المصدر عن فعل مضمر وقوله هناك كناية عن مرتبة الكفاءة في النكاح اي ولستم اهلا لتلك
المرتبة والواو في ولستم للحال والحال محلها لكم ثم اشار الى بيان ما ادعاه من نفي كونهم اهلا لخلطهم بانفسهم
بين حال بني هاشم وحال بني امية ليظهر من تلك المقابلة رذيلة كل واحد ممن ذكر من بني امية بازاء فضيلة كل واحد
ممن ذكر من بني هاشم ويظهر فضائل الافراد ورذائلهم فيتبين نسبة البيتين في الشرف والخسة فذكر النبي صلعم
وقابله بالمكذب له من بني امية وهو ابو جهل بن هشام واليه الاشارة بقوله فذرني والمكذبين الآية
قيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة وهم ابو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه
ابنا الحجاج وابو البختري ابن هشام والنضر بن الحرث والحرث بن عامر وابي بن خلف وزمعة بن الاسود
فذكر النبي صلى الله عليه وآله لفضيلة النبوة وذكر ابا جهل برذيلة التكذيب ثم اسد الله وهو حمزة بن
عبد المطلب وسماه رسول الله صلعم بذلك لشجاعته وذبه عن دين الله وقابله باسد الاحلاف وهو اسد
ابن عبد العزى والاحلاف هم عبد مناف وزهرة واسد وتيم والحرث بن فهر وسموا الاحلاف لان بني
قصي ارادوا ان ينتزعوا بعض ما كان بايدي عبد الدار من اللواء والندوة والحجابة والرفادة وهي
كل شيء كان فرضه قصي على قريش لطعام الحاج في كل سنة ولم يكن لهم الا السقاية فتحالفوا على حربهم واعدوا
للقتال ثم رجعوا عن ذلك واقروا ما كان بايديهم ثم سيدا شباب اهل الجنة وهما الحسن والحسين عم
وقابلهما بصبية النار فقيل هم صبية عقبة بن ابي معيط حيث قال له النبي لك ولهم النار وقيل هم ولد مروان بن
الحكم الذين صاروا اهل النار عند البلوغ وكانوا صبيانا حين اخبر عليه السلم بذلك ثم خير نساء العالمين
واراد فاطمة عليها السلم وقابلها منهم بحمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب عمة معاوية كانت تحمل حزم الشوك
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله ليعقره وعن قتادة انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة
وتهيج نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة لمشابهتها المذكورة وقوله ومنا قولهم فلان

بجيب

بجيب فلان اذا كان يغري به وقوله في كثير الى قوله عليكم وهذا الذي ذكرناه من فضائلنا ورذائلكم قليل في كثير
مما لنا من الفضائل وعليكم من الرذائل حتى الشخص منها وتجاهلها وقوله فاسلامنا الى قوله جوع اشارة الى ان
شرف بيته على غيره ليس في الاسلام فقط فان شرف بني هاشم في الجاهلية ايضا مشهور ومكارم اخلاقهم
ايد هنا دافع وقد نبه على ذلك في المنامات وكان نقل من جعفر بن ابي طالب انه لما اسلم قال له النبي صلعم ان الله
شكر لك ثلث خصال في الجاهلية فما هي قال يا رسول الله ما زنيت قط لاني قلت في نفسي ان ما لا يرضاه العاقل
لنفسه لا ينبغي ان يرضاه لغيره كرما وما كذبت كذبة قط تأثما وما شربت الخمر قط لاني رأيته يذهب العقول وقوله
وقوله وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا اي يوجب لنا بجمعه حكم وحجة لنا ما شذ عنا من هذا الامر وسلبناه وهو
شروع في الاحتجاج على اولويته من غيره بهذا الامر من الخلفاء ومن جملتهم في الخلافة وبين ذلك من وجوه آخرها قوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وجه الاستدلال انه عليه السلم من اخص اولي الارحام برسول الله
وكل من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام مقامه مع كمال استعداده لذلك اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فللآية
الثاني قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه الآية وجه الاستدلال انه عليه السلم كان اقرب الخلق الى
اتباع رسول الله صلعم واولهم ايمانا به وتصديقا وافضل من اخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب كما بيناه وكل من كان
كذلك فهو اولى بخلافته والقيام مقامه بما جاء به الآية فظهر انه عليه السلم اولى برسول الله صلعم وبمنصبه تارة من
جهة قرابته وتارة من جهة طاعته واتباعه اياه ثم قوله ولما احتج الى قوله دعواهم وهو الزام لهم وصورته ان
الانصار لما طلبوا الامامة لانفسهم قالوا للمهاجرين منا امير ومنكم امير احتجت المهاجرون عليهم برسول الله صلعم
بانهم من شجرته التي اشار الى كون الائمة منها بما روي من قوله الائمة من قريش فسلموا لهم ذلك وغلبوا عليهم
ذلك الغلب اما ان يكون لكونهم اقرب اليه صلعم من الانصار او بغير ذلك فان كان الاول فالحق له دون غيرهم
لذلك الحق لانه اقرب اليه صلعم ممن عاداهم وهو ثمرة تلك الشجرة وغصنها وان كان بغيره فحجة الانصار قائمة
وهو قولهم لا امامة باقية اذ لم يكن ما روي من الخبر دافعا لقولهم الا من جهة كونهم من قريش الموجب لقربهم
وبعد الانصار عنه وقد فرض ان جهة الاقربية غير معتبرة فها انا سائر جوابهم باد ادعاه بزعمهم من حسده ع
لسائر الخلفاء وبغيه عليهم وتقرير الجواب انه لا يخلو اما ان يكون هذه الدعوى صادقة او كاذبة فان كانت
صادقة كما زعمت فليست جنايتي عليك حتى يكون عذري عندك اليك بل ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك
واكد ذلك بالمثل وبيت ابي ذؤيب واوله وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها
ويضرب لمن ينكر امرا ليس منه في شيء ولا يلزمه منه الكذب والشك جوابه ما ادعاه توبيخا لهم ونفيا للعيب
وهو قوله الى البيعة كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع وانه لا وجه للشبهة والعيب على المسلم
في الدعوى وبين ان ذلك ليس بذاته بل منصوب ومنه واشار الى كونه مظلوما
بقوله وما على المسلم الى قوله مرتابا ووجه ذلك انه عليه السلم كان ثابتا في اليقين التام في دينه بريا عن الريب
والشبهة في دينه فكان ذلك هو الكمال الحق والفضل المبين الذي لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضة
في ظلم غيره له ولم يلحقه بذلك نقصان ولا ذم بل كان ذلك ازدياده باثبات على الدين الخالص مع الاجتماع

عاقلا ضنينا بنفسه فيكون ذكرها مستلزما لمدحه وتعظيمه وليس ذلك في ذكر فضيلة غيره اذ الفضيلة هي الجاذبة للانسان
ونفسه وحيث لا يجب فاحش واما انها فضيلة لمعوية فظهور نقصانه في عدم الفرق بين ما يمدح به ويذم وقوله
ونهره حتى الى قوله ذكرا اي ان حتى نهره بما كان في منظومه اغنى لسعة بغي لست انت المقصود بها اذ لست
في الامر في شيء فخاطب في مثل القصد بها غيرك واراد الذين ظلموا وانما ذكر ذلك هنا بقدر ما دعت الحاجة
اليه وسيح لان اذكره في جوابك الاتي من جوابه لما ادعاه عليه في امر عثمان وتانيبه وعقابه وذلك قوله
فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه فيه الكاره عليه ما سبق من الكلام فان فيه ارشادا واعظا لوضع الكلام
مواضعه وشبه لها انه لا يجوز ان يجوز الانسان بخطاه بعينه وقرب رحمه منه لكونه من بني امية وحاصل جوابه
انه عكس عليه ما ادعاه وبين انه الذي كان عدوه وخاذله فانه كان ناصره ومعرض نفسه للذب عنه
فاستفهم عن ايهما كان اعدى عليه واهدى لمقاتله اي لوجوه قتله ومواضعه من الآراء والجل استفهام توبيخ له
واراد بقوله من بذل نصرته الى قوله فاستقعده واستكفه نفسه وذلك ان عثمان كان متهما لعلي عليه السلم
بالدخول في امره فلما اشتد عليه الحصار بعث اليه وعرض عليه نصرته فقال لا احتاج الى نصرتك لكن اقعد
عني وكف شرك وذكر نفسه صفة بذل النصرة ليظهر خروجه عما نسب اليه من دمه وهو في قوة صغرى
قياس ضمير تقديرها انا بذلت له نصرتي وتقدير كبراه وكل من بذل لغيره نصرته فليس من شأنه ان يتهم
بخذلانه وقتله ثم اشار الى دخول معوية في دمه بقوله امن استنصره فتراخى عنه
وبث المنون اليه وذلك انه بعث حال حصاره الى الشام مستصرخا بمعوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه
لطمعه في الامر الى ان قتل وذكر القدر ولفظة القتل انه مناسب لتبرئه من دمه والكلام ايضا في قوة
صغرى قياس ضمير احتج به على ان معوية هو الساعي في قتله وتقديرها انك ممن استنصره واستغاث به فتراخى
وقعد عنه وبث المنون اليه وعوق عنه وثبط عن نصرته واشار الى ذلك بقوله قد علم الله المعوقين
رد دعواه عن نفسه بقوله كلا اي كلام الكل ان اعدى عليه واهدى لمقاتله منك وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فهو اولى بالنسبة الى دمه والسعي في قتله والآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يثبطون
اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله عن الاتباع وقوله وما كنت اعتذر اشارة الى ما عساه كان سببا لتوهم كثير من
الجهال انه دخل في دمه وهو ما كان ينكره عليه ما كان من نقوله ومن عليه من احداثه التي اشرنا اليها قبل وبيان
ان ذلك ليس مما يعتذر منه لان ذلك كان ارشادا له وهداية فان كان ذلك هو الذي توهمته ذنبا اليه
فلا معنى عليه فرب ملوم لا ذنب له وانا ذلك الملوم اذ لم يكن ما فعلته ذنبا وقد يستفيد الظنة المتنصح وانا
ذلك المتنصح اذ لم يكن قصدي الا الاصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة وقوله فرب ملوم لا ذنب له
مثل لاكثم بن صيفي ويضرب لمن قد ظهر للناس منه امر انكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه وكذلك
قوله وقد يستفيد الظنة المتنصح يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتى يتهم انه غاش وصدر البيت
وكم سقت في آثاركم من نصيحة ٭ وقد يستفيد الظنة المتنصح ٭ العاشر جوابه عن وعيده له بالحرب الذي كنى
بالسيف عنه فقوله فلقد اضحكت بعد استعبار كناية عن ان وعيده مثله من اعجب الاسباب المستلزمة

للضحك اذ كان الضحك بعد البكاء انما يكون لتعجب بالغ غريب وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به وقيل معناه
لقد اضحكت من سمع منك هذا الوعيد بعد بكائه على الدين لتصرفك فيه وقوله متى الفيت استفهام له عن وقت
وجدانه لبني عبد المطلب بصفة النكول عن الحرب والخوف من السيف استفهام انكار لوقت وجدانه كذلك وفي معرض
التنزيه لهم عن الجبن والفشل وقوله فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل يضرب للوعيد بالحرب واصله ان حمل بن بدر رجل
من قشير اغير على ابل له في الجاهلية في حرب داحس والغبراء فاستنقذها وقال لبث قليلا يلحق الهيجا حمل
ما احسن الموت اذا الموت نزل وقيل اصله ان مالك بن زهير توعد حمل بن بدر فقال حمل لبث قليلا يلحق
الهيجا حمل البيت فارسل مثلا ثم اتى وقتل مالكا فظفر اخوه قيس بن زهير به وباخيه حذيفة فقتلهما وقال
شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني وقوله فسيطلبك اه شروع في المقابلة بالوعيد
بالسير اليه في الجيش العظيم ووصفه باوصاف ترغيبه اذ كان الله ومن شدة الزحام وسطوع القتام
الى آخره وشدة [illegible] وسرابيل معقول به لمسربليه وسرابيل الموت كناية عن الاجزاء الروع
والعدة التي يلقون بها الموت ويكونون [illegible] من الثياب والهيئات والاحوال التي
وطنوا انفسهم على القتل فيها فكانها اكفان لهم وانما كان احب اللقاء اليهم لغاية كمال يقينهم بما هم عليه من الدين
الحق وثقتهم بالوعد الالهي الصادق والذرية البدرية التي صحبتهم اشارة الى اولاد من كان من المسلمين
مع النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر وقد ذكرنا ان اخاه المقتول حنظلة بن ابي سفيان وخاله الوليد بن عتبة وجده عتبة
ابن ربيعة اذ هو ابو هند ام معوية وكنى بالظالمين في الآية عن معوية واصحابه وجميع ما ذكره من اوصاف
الجحفل وما يصحبه من الذرية البدرية والسيوف الهاشمية والتذكير بمواقعها في [illegible] من اهله ووعيده
ان يصيبه منها ما اصابهم من ابلغ ما يقذ به الخطيب للانفعال والخوف وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم**
الى اهل البصرة وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم
وقبلت من مقبلكم فان خطت بكم الامور المردية وسفه الآراء الجائرة الى منابذتي وخلافي فها انا ذا قد قربت
جيادي ورحلت ركابي ولئن الجأتموني الى المسير اليكم لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها الا كلعقة
لاعق مع اني عارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما الى بري ولا ناكثا الى وفي
اقول [illegible] والمردية المهلكة والجائرة المنحرفة عن الصواب والمنابذة
المخالفة والملاطمة بالعهد والبيعة وقد بدأ في هذا الفصل بوضع ذنوبهم وتقريرها عليهم ليحسن عفوه عنها والعفو
او المؤاخذة واستعار لفظ الحبل لسعتهم ايام ولفظ الانتشار لتفرقهم ووجه الاستعارة ان الحبل لما كان السبب
[illegible] الامور هم وصحتها يوصل الى رضا الله كالحبل [illegible] ووجه الثانية [illegible]
وقوله ما لم تغبوا عنه اي علمتم ما فعلوه وقصدهم لعلها ليتذكروا حمد الحلم ثم لما قرر ذنوبهم اردفها بذكر
امور قابلها بها كرما وهي العفو عن مجرمهم ورفع السيف عمن ادبر منهم وقبول من اقبل اليه منهم والرضا
عنه ثم اردف ذلك بوعيدهم بكونه مستعدا لقتالهم والايقاع بهم وقصد لتصويرها وهو قوله فان
عادوا الى الفتنة ثانيا واستعار لفظ الخطو لسوق الامور المهلكة وسفه الآراء لهم الجائرة بهم الى [illegible]

ومحاربته ثم بين وجه المشابهة بينهما بانه كما ذكره في القدم لعبا جهالة غاية وتقدير الشرط فان عدتم
الى خلافة فانا مستعد لكم وكني بجرب جيادة وترجيل ركابه عن كونه مستعدا لكرة عليهم وعلقها شدت
ارحالها فورا وكني ذلك في وعيده بهم على خلافه ان يجردوا ملازم عليه لانه يستلزم وجوب ايقاع الوقعة بهم لاحتمال
ان يرجعوا ويتوبوا بوعيده او يعلمهم بتجاية على الاستعداد لحربهم والايقاع بهم فلذلك جعل الشرط فيه وعيده
بالايقاع بهم ان يعودوا الى المسير اليهم ومحاربتهم وذلك بان يعلم ان الامر لا يستقيم الا بالايقاع بهم فحينئذ
حفظ الدين على ذلك وقوله وصف تلك الوقعة لا يكون يوم الجمل الى قوله لاحق كناية عن شدة غاية ايقاعه
بهم ووجه تشبيه وقعة الجمل بالنسبة اليها بالعلقة هو الحقارة والصغر ثم لما توعدهم بالحتف من الوعيد اردفه
بما يرجى معه من ذكر اعترافه بفضل ذي الطاعة وحق ذي النصيحة منهم وانه غير متجاوز الى متهم منهم بعقوبة الى برئ
ولا ناكث لعهده الى وفي به لئلا تشتد عليهم وطاة فينفروا عن رحمته فتشتد نفرتهم منه ويكون ذلك
داعية فسادهم **ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية** فاتق الله فيما لديك وانظر في حقه عليك وارجع الى معرفة
ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة اعلاما واضحة وسبلا نيرة ومحجة نهجة وغاية مطلبة يردها الاكياس ويخالفها
الانكاس من نكب عنها جار عن الحق وخبط في التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله
لك سبيلك وحيث تناهت بك امورك فقد اجريت الى غاية خسر ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك شرا
واقحمتك غيا واوردتك المهالك واوعرت عليك المسالك **اقول** هذا الكتاب ايضا بعد قد تقدم بعض فصوله
تذكرة بما في ذلك من وعظ ووعيد وتخويف من عاقبة المعاصي كيف يتغير النعمة ويتحقق
العقوبة الى من ارتكب الاوامر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجر الا بما رق او لم يدع او نافق ولم افلح
ذلك الا بقول الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم واما التقصير في حق الله فهذا الاصل ما لا بد من علم
الحقوق المؤكدة وركن الى الاهواء المبتدعة واخلد الى الضلالة الجهرة ومن العجب ان اتصف بمعوية الاحسان
وتخلف عن الاتباع وتلك الوثائق التي هي لله عز وجل على عباده حجة مع تقدم الاسلام ونسخ الاحكام
وطمس الاعلام وتحري هوى الهوا واتبع سبيل الردى ثم فصل بقوله فاتق الله الفصل المذكور ومن هذا الكتاب
ايضا ما قاس فيها جنة يراد به عباد عقبا له عالم فالها فنفسك نفسك جعل حلول رسك فالمالك الله
راجع والى حشره مطلع وستنتهك كربه ويجل بك غمه يوم لا يغني الا دم نفعه ولا يقبل من المعتذر عذره
يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون والعصية الاكياس والاتباع والطمس الغفلة ونحو ذلك
ومطلبة بتشديد الطاء وفتح اللام اي مطلوبة جدا منهم والاكياس العقلاء والانكاس جمع نكس وهو الدنيء من الرجال
ونكب عدل والخبط المشي على غير استقامة والخسران والاقحام الدخول في الامر بشدة والوعر ضد
السهل المسيع وضده الامر المتعذر والفصل موعظة فاتق الله عليه السلام بتقوى الله فيما لديه من اموال المسلمين
وفيهم وان ينظر في حقه عليهم وآثار نعمته فيقابله بالشكر والطاعة وان يرجع الى معرفة ما لا عذر له في الجهل
من وجوب طاعة الله ورسوله وطاعة الامام الحق وقوله فان للطاعة اعلاما واضحة اي للطاعة الله ولرسوله
لفظ الاعلام كما يدل على الطريق الى الله من الكتاب والسنة القولية والفعلية ومن جملتها ائمة الحق والهدى فانهم

اصل

اصل تلك الاعلام وحاملوها وعنى بالسبل النيرة والمحجة النهجة الطرق الى الله المدلول عليها بالاعلام المذكورة
وبالغاية المطلوبة من الخلق ووصولهم الى حضرة قدس الله طاهرين مجردين عن الهيئات البدنية الرديئة مستجمعين
لكمالات الانسانية النفسانية واعلم ان الطاعة اسم لقصد تلك الاعلام وسلوك تلك المحجة طلبا لتلك الغاية
والضمير في قوله يردها ويخالفها راجع الى المحجة والاعلام الواضحة عليها وظاهر ان العقلاء هم الذين يردون
ورود تلك المحجة وقصد اعلامها وان الادنياء اليهم يخالفون الى غيرها فيعدلون عن صراط الله الحق ويخبطون
في تيه الجهل ويغير الله بذلك نعمته عليهم ويبدلهم بها نقمته في دار الجزاء ثم اشار عليه بما اشار واوضح له سبيل
السلامة وما يلزم مخالفها من تغير نعمة الله وحلول نقمته امره ان يحفظ نفسه بسلوك تلك السبل بما يلزم من
والعدول عنها من الامور المذكورة ثم اعلمه بان الله بين له سبله واراد سبيل طاعته الامور بسلوكها
وهو في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول اوجب عليه به سلوك تلك السبل وتقدير الكبرى وكل
من بين الله له سبله التي اوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها وقوله وحيث تناهت
بك امورك في بك ما تناهت بك اليه ثم فسر ذلك الحيث الذي امره بالوقوف عنده وهو غاية الخسر
اي الغاية المستلزمة للخسر والتي هي منزلة من منازل الكفر واخبره انه قد اجرى اليها وكنى بها غاية شر
واجراؤه الى تلك الغاية كناية عن سعيه وعمله المستلزم لوصوله اليها تعالى اجرى فلان الى غاية كذا اي
قصدها بفعله واصله من اجراء الخيل للسباق ولفظ الخسر مستعار لفقدان رضوان الله والكمالات الموصلة اليه
وانما جعل تلك الغاية التي اجرى اليها منزلة كفر لان الغايات الشريرة التي عن قصدها من منازل الكفار
ومقاماتهم في سلك اليها فقد قصدا وبلغها اعتبارا فقد لحق بمنازل الكفر ومحاله وقوله ان نفسك
قد اولجتك شرا اي ادخلتك في شر الدنيا والآخرة واراد نفسه الامارة بالسوء بما سولت له من معصية
ومخالفة الامام الحق وبه وهي قد اوقعتك اي القتك في الوحل وهو مستعار لما وقع فيه من المعصية الاختلاط
من الجهل واقحمتك غيا اي وقعتك في الغي والضلال عنفا واوردتك المهالك اي الموارد المهلكة من شبهات
والمعاصي واوعرت عليك المسالك اي مسالك الهدى وطرق الخير لان النفس الامارة بالسوء اذا اوردت
الانسان سبل الضلالة وسهلت عليه سلوكها بوسوستها وتحسينها للغايات الباطلة لزم بسبب ذلك البعد عن
طرق الهدى ومسالك الخير واستصعاب سلوكها وبالله التوفيق والعصمة وبه الحول والقوة والعون والتسديد

تم المجلد الرابع من كتاب مصباح السالكين لنهج البلاغة بحول الله
وحسن توفيقه ويتلوه في المجلد الخامس ان شاء الله ومن وصية
له عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام وكتب العبد الفقير الى الله
ورضوانه ... بن عبد الوهاب بن ...
... في شهر شوال ختم بالخير والاقبال
سنة تسع وخمسين بعد الالف
من الهجرة النبوية عليه السلام والتحية
م

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين روى جعفر بن بابويه القمي
ان هذه الوصية كتبها عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح الكلام وابلغه واشمله لحقائق الحكم و
لطايفها والكل عبارة يجذب بها الى سبيل الله وحاضرين اسم موضع بالشام وهنا فصول الفصل الاول
قوله من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن
عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب
وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الآفات
وصريع الشهوات وخليفة الاموات اقول الرمية ما يرمى والرمية الهدف والتانقل الاسم من الوصفية
الى الاسمية الصرفة والحليف الحالف والنصب الشيء المنصوب وهذا الفصل كالعنوان للوصية وقد ذكر
لنفسه اوصافا سبعة ولولده اربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها وخص
الاوصاف لولده لانه المقصود بالوصية والموعظة فالاول من الفان واثبت الياء فيها لجاز تسميته لها باسم فاعله
ووقف على المنقوص بحذف الياء لمراعاة القرينة الثانية وقد علمت جوازه الثاني المقر للزمان اي بالحكم
والقهر المعترف بالعجز تحت تصرفاته كانه قد ره حقا لا باس تواة قرانه الثالث المدبر العمر
وذلك لانه كان عليه السلام قد ذرف على الستين الرابع المستسلم للدهر وهو قريب من المقر للزمان الخامس
الذام للدنيا ولم يزل عليه السلام ذاما لها ومنفرا بذكر معايبها السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير
عن الركون الى الدنيا والمقام بها بذكر كونها مساكن الموتى اذ من كان فيه مساكنهم يوشك ان يلحق ويترك
بهم ويقرب منه التنفير من قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم الآية السابع الظاعن عنها
غدا وهو تذكير بالمفارقة وهذا الكناية عن موته ولفظ الظاعن مستعار له واما اوصاف المولود فالاول
المؤمل ما لا يدرك وفيه تنفير عن طول الامل اذ كان ينسي الآخرة ووجه التنفير انه مؤمل ما لا يدرك
وظاهر ان الانسان ما دام في هذه الدار يرجو المكو معالجتها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله
يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك يستلزم انقضاء مدته دون بلوغها الثاني
السالك سبيل من قد هلك وسبيلهم سفرهم من الدنيا الى الآخرة وقطعهم المنازل الاعمار وانما
الهالك تذكيرا بالموت الثالث غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرميا بسهام
الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام واستعار له لفظ الرهينة باعتبار ان وجوده مربوط بالاوقات
وداخل تحت حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه الخامس ورمية المصائب وهو كقوله غرض الاسقام
السادس وعبد الدنيا ولفظ العبد مستعار باعتبار كون طالب الدنيا منقادا لطلبها مطيعا لها وعاملا لها كما ينقاد

العبد

العبد لسيده ويعمل له السابع وتاجر الغرور اي تجارته انما هي غرور وغفلة عن المكاسب الحقيقية الباقية ولفظ التاجر
مستعار له باعتبار بذله لماله في مشتهيات الدنيا وهو انما هي المطالب الحقة المربحة الثامن وغريم المنايا
ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت له كما تقاضي بالرجل كما يتقاضى الغريم التاسع استعار لفظ
الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكنه من الخلاص العاشر وحليف الهموم الحادي عشر وقرين الاحزان
واستعار لفظي الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن حليفه
وقرينه الثاني عشر ونصب الآفات كقوله ورمية المصائب الثالث عشر وصريع الشهوات ولفظ الصريع
مستعار له باعتبار كونه مغلوبا لشهوته ومقهورا لها كالقتيل الرابع عشر وخليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا
بتذكير الموت لان خليفة الاموات في معرض اللحوق بهم ونحوه قول بعض الحكماء ان امرأ ليس بينه وبين آدم
الا اب ميت لمعرق النسب في الموت الفصل الثاني قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني
وجموح الدهر علي واقبال الآخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث
تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدفني رأيي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى
جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئا لو اصابك
اصابني وكأن الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي مستظهرا
به ان انا بقيت لك او فنيت اقول جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني والمحض الخالص وافضى
اي انهى والشوب المزج والخلط وقابل بين لفظ بين الاقبال والادبار وبين الآخرة والدنيا وقد اشار الى
ادبار الدنيا واقبال الآخرة في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار
عدم تمكنه من ضبط تغيراته وتصريفاته الخارجة عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى بمعنى الذي ويحتمل
ان تكون مصدرية وعلى المعنى الاول يكون من تبيين وعلى الثاني لابتداء الغاية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها
الرفع بالابتداء وفيما تبينت خبره وستقف على حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في معرض الرحيل
عنه وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه وبحاله لنزوله منزلة نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله
لكون ذلك ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطئة والتمهيد لما ثم اعلمه انه فيما تبين له عليه السلام من الامور المذكورة
قرب رحيله الى الله وذلك هو الذي وزعه ومنعه عن ذكر ما سواه والاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلقة
بصلاح الخلق ونظام العالم اذ كان ذلك هو وقت التضييق على الانسان فيما هو اهم عليه من الاستكمال
بالفضائل والاستعداد للقاء الله دون ما سبق من اوقات الشباب واستقبال العمر والاشتغال بما يصلح
حال الغير والاشتغال بالامور المباحة وانه حيث تبين له ذلك وتفرد به هم نفسه دون غيره وصدقه
رايه بكشفه له ما ينبغي ان يكون اشتغاله به من امر نفسه ووجوب العمل لما فيها وصرفه عن هواه فيما
يخرج عنها اذ كان اجود الآراء واصدقها في الامر عند شدة الاهتمام به وصرح له خالص امره وما ينبغي له
وانتهى به الى جد وصدق خالصين من شائبة اللعب والكذب ووجده عليه السلام بعضا منه وهو كناية عن
شدة اتصاله وقربه منه ومحبته له كما قال وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجده كله اي

بعادته من كل ما كان هو المحفوظ له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله ودل على شدة قربه منه وانه بمنزلة نفسه بل
الغائبين منه حتى الى قوله آثاره ووجه الشبه بين ما يصيب ولده وبين ذلك الشيء وان لم يصبه شدة ما الم
واعلم ان ذلك الوجدان وان كان له طبعا كما يحصل للوالد من امر ولده لكنه من لوازم التعطف له في آخر العمر عند
ذكر انقطاع الدنيا فانه طبعه من محبة بقاء الذكر الجميل والحرص على دوام الخير والآثار الصالحة في العالم وذلك
جعله من انفراده نفسه به وصدق رايه له في النصيحة ودرء ما يخشى من وقوعه في الغفلة ونصبه بابا من ابواب الخير
والخير والتعبد به عن محض امر ثم نبه على ان من لوازم وجدانه له وجده من امره ان عناه واهمه منه ما يهمه من امر
نفسه فكتب اليه هذه الوصية ليكون له ظهرا ومستندا يرجع اليه العمل بها ونجاة في تقلبه له وغيابه عنه اذ كان ما
اشتملت عليه هذه الوصية من الحكم والاداب ومكارم الاخلاق وتعريف سلوك سبيل الله مما اراد به نفسه
في هذه مع انقطاعه [illegible] رسوله واقتدائه به في قصة عنايته به ان يكون العمل بها وبالله التوفيق **الفصل**
الثاني قوله عليه السلام فاني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب
اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين
ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي
والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم وآثارهم
فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة وكانك
عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب
فيما لم تكلف وامسك عن طريق المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا
تاخذك في الله لومة لائم وخض الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في الدين وعود نفسك الصبر على المكروه
ونعم الخلق التصبر في الحق والجئ نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص
في المسألة لربك فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا فان خير
القول ما نفع واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه **اقول** الغمرات الشدائد والمثوى محل
الثواء والاقامة وهذا حين اخذ فيما يريد ان يوصي به واشتمل هذا الفصل من ذلك على امور احدها تقوى
الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف ونبه ان يكون المراد بها هنا الخوف منه تعالى الثاني لزوم امره وهي من لوازم
تقواه الثالث عمارة قلبه بذكره واستعار لفظ العمارة لتكميل قلبه بذكر الله والاكثار منه في [illegible]
العبادات وكمال النفس كما ان العمارة كمال الدار وهو داخل في لزوم ذكره لقوله تعالى واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله واستعار لفظ الحبل لما يوصل اليه من دينه فيكون التمسك به
سببا للنجاة كالحبل واراد بالاعتصام الاستمساك والتمسك به من عذاب الله ثم استفهم عن سبب اوثق منه
استفهام انكار وتعجب من وثاقته ونحوه لزوم امره لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس
امره ان يحيي قلبه بالموعظة واستعار وصف الاحياء باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل من
الموعظة كما يكمل المرء بالحياة السادس ان يميته بالزهادة واستعار وصف الاماتة لقطع القلب عن متابعة

اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وامر بالمعروف تكن من اهله وانكر م

الدنيا

الدنيا والاعراض عن طيباتها فهو كالميت وقابل بين قوله احي قلبك وبين قوله امته السابع ان يقويه باليقين اي
من ضعف الجهل والصعود الى افق عليين والنهوض الى مقام الابرار ولما كان اليقين درجة اشتداد وقوة في
العلم ناسب ان يجعل تقوية للقلب الثامن ان ينوره بالحكمة واستعار لفظ التنوير بالحكمة لجعلها باعتبار
ان ذلك سبب هداية لسبيل الله في ظلمات الجهل كما في الانوار وقد عرفت الحكمة واقسامها التاسع ان يذلله بذكر
الموت وذلك ان كثرة اخطاره بالبال يستلزم الخوف ويكسر القلب عن جماحه في ميدان الشهوات ويذلل
من عزة الكبر ونخوة العجب وحمية الغضب العاشر ان يقرره بالفناء اي يحمله على الاقرار به عند ذكره له لتنكر
عنه [illegible] الحادي عشر ان يبصره فجائع الدنيا اي يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار برزايا الدنيا وآفاتها الثاني
عشر ان يحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي والايام ولفظ الصولة مستعار لما يلاحظ من شبهه بالسبع في
اخذه وما يكون بسببه من الاذى الثالث عشر ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكره ما اصابهم لينظر
ما فعلوا وعما انتقلوا من الاثار العظيمة والملك الجسيم ويحصل من ذلك عبرة وقياسا لحاله بحالهم وتشويق
لحاقه بهم وصيرورته كاحدهم فيما صاروا اليه ووجه الشبه قرب حاله من حال احدهم وادنى الاشارة بقوله عن قليل
اي لم يبق ما في الاماكن فيتطرق الاتيه الرابع عشر ان يصلح مثواه وهو الدار الآخرة بلزوم الاعمال الصالحة
ولا يبيع آخرته دنياه وعدم اغتنامه من الخيرات الباقية بما وجد في دنياه من اللذات الوهمية الفانية ولفظ البيع
مستعار الخامس عشر ان يترك القول فيما لا يعرفه اذ القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل ويحتمل به
الذم ونحوه قول الرسول ص لبعض اصحابه كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم
وصاروا هكذا وشبك بين اصابعه قال فقلت مرني يا رسول الله فقال خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف و
عليك بخويصة نفسك وكذلك قوله والخطاب فيما لا تكلف كقوله ص من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السادس
ان يمسك عن طريق اذا خاف ضلالته والمراد التوقف عند الشبهات وعدم التسرع الى سلوك طريق يشك
في ادائه الى الحق فان توقفه وتثبته عند طلب الحق الى ان يتضح له طريقه خير له من التعسف وركوب ما يخاف
الضلال به من الطرق السابع عشر ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فعلا وقولا ويباين من فعله بقدر الامكان
وهو من فروض الكفاية وعليهما مدار نظام العالم ولذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية مشحونين بهما
واستدرجه الى ذلك بقوله تكن من اهله لانهم اولياء الله الابرار المرغوب في الكون منهم الثامن عشر
ان يجاهد في الله اعداء دينه الجهاد الحق واضافة حق الى الجهاد اضافة الصفة الى الموصوف اي الجهاد الحق
الاهم التاسع عشر ان لا ياخذه في الله لومة لائم وهو كناية عن نهيه عن التقصير في طاعته اذ كان من لوازم
التقصير استحقاق لوم اللائمين العشرون ان يخوض الغمرات الى الحق حيث كان ولفظ الخوض مستعار لطلبه
الشدائد والدخول فيها لطلبه الحق الحادي والعشرون ان يتفقه في الدين ويتعلم الاحكام الشرعية ومبادئها
الثاني والعشرون ان يعود نفسه الصبر على المكروه وقد علمت ان احتمال المكروه فضيلة تحت الشجاعة وهو
من مكارم الاخلاق الثالث والعشرون ان يلجئ نفسه في اموره كلها الى الله تعالى وهو امر بالتوكل عليه
والانابة اليه في كل مرغوب او مرهوب وقد علمت حقيقة التوكل وما يستلزمه واستدرجه الى ذلك بقوله فانك

تجيها الى كنف حريز ومانع عزيز واستعار لفظ الكنف له تعالى باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما
يمنع الكنف من يلتجي اليه الرابع والعشرون ان يخلص في دعائه ومسئلة ربه اذ كان ذلك من شرايط الاجابة
واستدرجه الى الاخلاص بقوله فان بيده العطاء والحرمان ليشتد الانجذاب اليه والاعراض عن غيره والالتفات
اليه فقوله وقوله فان بيده جواب الامر الخامس والعشرون ان يكثر الاستخارة الى
الله تعالى ان يخير له فيما يأتي ويذر السادس والعشرون ان يتفهم وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن
الاعراض وترك العمل بها بالذهاب صفحا وانتصب صفحا على الحال وقوله تذهبن عنها صفحا واستدرجه للاتباع بها
بقوله فان خير القول ما نفع والتقدير فان وصيتي نافعة وما نفع فهو خير القول فاذن وصيتي خير القول ثم نبهه
بقوله واعلم الى قوله تعلمه ان من العلوم ما لا خير فيه لئلا يشتغل الى معرفته فيصده ذلك عن سلوك سبيل الله
والعلم المؤدي اليه وذلك هي العلوم التي نهت الشريعة عن تعلمها كالسحر والكهانة والنجوم والنيرنجات ونحوها
مما لا يكون سببا الى المقاصد الحقيقية النافعة وتقدير الكلام واعلم ان كل علم لا يحتاج اليه ولا تبعث الشريعة
على وجوبه او ندبه فهو علم لا ينتفع به في طريق الآخرة فلا خير فيه لان الخير الحقيقي هو المنتفع به فيه عند الله
فما لا منفعة فيه لا خير فيه ولذلك استعاذ الرسول منه فقال واعوذ بك من علم لا ينفع فثبت ان كل علم لا ينبغي
تعلمه فلا خير فيه وبالله التوفيق الفصل الرابع قوله اي بني اني لما رأيتني قد بلغت سنا ورأيتني ازداد
وهنا بادرت بوصيتي اليك خصالا منها قبل ان يعجل بي اجلي دون ان افضي اليك بما في نفسي او ان انقص في رأيي
كما نقصت في جسمي او يسبقني اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث
كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالادب قبل ان يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك
من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة
فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه اي بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان
قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم بل كأني بما انتهى
الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت
لك من كل امر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد
الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية
وان ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله وشرايع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز
ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس
عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك الى امر لا آمن عليك به الهلكة
ورجوت ان يوفقك الله فيه لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واعلم يا بني ان
احب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك والاخذ بما مضى عليه
الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا
كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل ذلك

تجربة

دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدأ قبل نظرك في
ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى ضلالة
فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك وان
انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء وليس طالب
الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة وان
الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله
عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا تعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك
اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك
فاعتصم بالذي خلقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبئ
عن الله سبحانه كما انبأنا عنه نبينا صلى الله عليه وآله فارض به رائدا والى النجاة قائدا فاني لم آلك نصيحة وانك لن تبلغ
في النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظري لك اقول الوهن الضعف والمبادرة المسارعة والسابقة والغلبة
وصل والبغية الطلبة والتوخي القصد واجمعت صممت العزم واسلمته الى كذا خليت بينه وبينه والامثل الاقرب
الى الخير وفي هذا الفصل مقاصد الاول انه اشار الى بعض العلل الحاملة له على هذه الوصية وهي كونه قد بلغ سنا
عاليا واخذ ازديادا في الضعف وذلك انه كان قد جاوز الستين فخاف من ذلك حدوث احد الخصال المذكورة
فبادر الى سابقها اليه وخصالا مفعول به وعدد من تلك الخصال ثلاثا احدها ان يعجل به اجله الى الآخرة قبل ان يوصل
اليه ما في نفسه من الحكمة الثانية ان ينقص في رأيه وذلك ان القوى النفسانية تضعف عند علو السن لضعف
الارواح الحاملة لها فتنقص بسبب ذلك تصرف العقل وتحصيل الآراء الصالحة الثالثة ان يسبقه اليه بعض غلبات
الهوى فان الصبي اذا لم يؤخذ بالادب في حداثته ولم ترض قواه لمطاوعة العقل وموافقته كان بصدد
ان يميل به القوى الحيوانية الى مشتهياتها وتجذبه جذبا الى الاستعمال بها فيغفل ويبعد عن قبول
الحكمة وما ينبغي له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الابل ووجه الشبه انه يعسر جذبه الى الحق ويعسر قياده كما يعسر
قود الجمل الصعب النفور لجهة المنفعة ثم نبهه على وجوب المبادرة اليه بالادب وزرعه في قلبه صغيرا
بقوله وانما قلب الحدث الى قوله قبلته واشار الى وجه الشبه بقوله ما القي فيها من شيء قبلته وذلك ان قلب
الحدث لما كان خاليا من الاشتغال بالعقائد وغيرها مع كونه قابلا لما يلقى اليه من خير او شر فينتقش به اشبه
الارض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر وتجذب الى الكبرى وكل قلب كان كذلك فيجب
ان يبتدر اليه ببذر الآداب وغرس الحكمة فلذلك بادره بالادب قبل ان يقسو قلبه من الانقياد ويحتاج الى الاشتغال
بالامور الباطلة ثم اشار الى علة اخرى من العلل الغائية لمبادرته بالادب وهي ان يستقبل بجد رأيه وقوة
فكره ما قد كفاه اهل التجارب بغيته من العلوم وعوفي فيه من علاج التجربة ومعاناتها فاتاه من ذلك العلم التجربي
ما كان اهل التجربة يأتونه ويطلبونه واستبان له ما ربما اظلم عليهم منه وفرق بين ما يأتيه العلم صفوا وبين
ما يأتيه هنا واضحا قد كفي فيه مؤونة الاكتساب وبين من سعى اليه وشق في تحصيله وما هي اليه غمرات الشكوك خلل

الشبهات وكل ذلك من الامور المعدة لقبول الوصية والعمل بها واشتملت عليه من الحكم والآداب ان اهل
التجارب اذا كانوا قد جدوا واجتهدوا في تحصيل ما وجدوه من المشقة فان كل ما هو بعينه حاصل من الكلفة اول
المقصود انك في اشارة الى فضيلة نفسه واستكمالها بالعلوم ثم الى كونه في غاية العناية والشفقة عليه والى
رآه اصلح في تعليمه اياه من العلوم الى غير ذلك وغايته من الجمع استدراجه لقبول قوله كما علمت من غرض الخطب
في ذكر فضيلته وما استدرج به لقبول اهل العبر به ان ينتفع به من الآراء وغيرها فتنبيها على فضيلته وقوله اي بني الى
قوله مجهوله وقوله وان لم اكن في قوة جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال كيف حصلت العلوم من تجارب
الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور وتقلبات الدهور فقال انه
وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي وشاهدت احوالهم لكني نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم المأثورة
وسرت في آثارهم سيرا محسوسا ومعقولا حتى صرت كاحدهم في عيان امورهم وقوله حتى عدت عطف على
قد نظرت وقوله ذلك اشارة الى ما انتهى الي من امورهم وكنى بالصفو عن الخير وبالكدر عن الشر اي عرفت
خير امورهم من شرها ونفعها من ضرها واستخلصت لك من كل امر جليله وهو خيره وما ينتفع به منه من
العلوم والعبر النوافع وروي نخيله اي خالصه وصرفت لك جميله اي الامر الحسن منه دون قبيحه وصرفت
عنك مجهوله اي ما اشتبه عليك امره والتبس الحق فيه وقوله ورأيت حيث عناني الى آخره اشارة الى
كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اعتباراته له بما هو الاولى به من العلوم واجمعت عطفا على يعني وان يكون
في محل النصب عطفا انه مفعول اول لرأيت وتكون ههنا تامة والواو في قوله وانت حال وان ابتدأتك عطف
على ان يكون والمفعول الثاني لرأيت محذوف تقديره انفع واصلح وتقدير الكلام ورأيت حيث عناني
من امرك ما يعني الوالد الشفيق من امر ولده من النظر في مصالحه والاهتمام باحواله واجمعت عزمي عليه من
تأديبك ان يكون ذلك الادب حال اقبال عمرك وحال كونك ذا نية سليمة من الامراض النفسانية
والاخلاق الذميمة وكونك ذا نفس صافية من كدر الباطل وان ابتدأتك بتعليم كتاب الله وتأويله وما
يشتمل عليه من شرائع الاسلام اي قوانينه واحكامه وحلاله وحرامه ولا اقصر بك في ذلك كما اقتصر
عليه كثير من السلف وقوله ثم اشفقت عطف على رأيت اي كنت رأيت ان اقتصر بك على ذلك ولا
اتجاوز بك الى غيره من العلوم العقلية ثم خشيت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم
مثل ما التبس عليهم اي التباسا مثل الالتباس عليهم فكان الحكام ذلك اي ما اختلف الناس فيه على ما كرهت
من تنبيهك له احب الي من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة في الدين وذلك الامر هو ما اختلف الناس
فيه من المسائل العقلية الالهية التي تكثر الناس في الخوض فيها بالباطل وكثيرا ما الشبهات المختلطة التي هي مظنة
الخطأ والانحراف بها عن سبيل الحق الى سبل الهلاك والحكام ذلك الامر بيان وجه البرهان فيه وكشف
الخلاص من شبهة الباطل ومزاجه وقوله ورجوت ان يوفقك عطف على اشفقت والضمير المجرور في
يوفقك اي لما اختلف الناس فيه المقصود الثالث الاشارة الى ما هو الاحب اليه ان يأخذ به من
وصيته والارشاد الى كيفية اخذه وما ينبغي ان يبدأ قبل الشروع من الاستعانة بالله والرغبة اليه في

التوفيق الى غير ذلك من الآداب التي يتم بها الاستعداد للبحث والتعلم فمن الاحب اليه تقوى الله التي هي
البلاغ اليه ثم الاقتصار على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر والخوض في الشبهات
مما لم يكلف به اخذا بما مضى عليه الصالحون من اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحارث وغيرهم
من بني هاشم وقوله فانهم الى قوله لم يكلفوا ترغيب له في الاخذ بمأخذهم وتنفير له عن التوغل والتعمق بغير
صغراه ما ذكر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي الاقتداء به في الاخذ بما عرف والامساك عما لم يكلف
وقوله فان ابيت الى آخره بيان للكيفية التي ينبغي ان يكون بها طلبه للعلوم العقلية والتدقيق فيها ان ابت
نفسه الاقتصار على ما افترضه الله عليه اي فليكن طلبك لما انت طالب له من ذلك على وجوه احدها انه
للمقاصد والتعلم للحق والطلب له لا على وجه تعلم الشبهات والتورط فيها والتشبث بها فان ذلك مما يبعد
عن تعلم الحق ويمنع من قبوله الثاني ان يبدأ قبل نظره في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في
توفيقه لاصابة طريق الحق والوصول اليه الثالث ان تترك كل شائبة اولجتك في شبهة كالعادات في
نصرة المذاهب الباطلة بحب اتباع الهوى والآراء التي يطلب بها الرياسات فان النفس اذا كانت
فيها شائبة محبة لامر حيث لم تتبع طريق الحق بل كانت الى الانحراف في طرق الضلال والشبه المناسبة
لمطالب الباطلة اقرب وتلك الطرق اعرف عندها لمكان تلك الشائبة فينبغي لسالك ان ينفض عن نفسه
كل شائبة تقود الى ضلالة ولفظ الاسلام مستعار لاهماله وعدم جذبه عما تورط فيه من الامور المضلة ثم قال
فاذا ايقنت اي فاذا اعددت نفسك للطلب والنظر بما ذكرت لك وتحققت ان قد صفا قلبك
من كل شائبة تمانع في النظر فخشع من خشية الله ان يؤاخذك بتركه وتم رأيك وعزمك عليه فاجتمع في
حتى لا يبقى لك الى ترك الالتفات وكان همك فيه هما واحدا لا ينقسم الى غيره فانظر فيما فسرت
لك ونبهتك عليه من المسائل العقلية الالهية كما سيأتي وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ
نظرك وفكرك عن الشوائب المنافية للعلم وطلبه ونظرت فاعلم انك في خوضك وطلبك انما تخبط
خبط عشواء وتتورط الظلماء وكل من كان كذلك فليس اهلا لطلب الدين من اصوله وحذف المضاف اي مثل
واقام المضاف اليه مقامه واستعار وصف الخبط له باعتبار انه طالب للعلم من غير استكمال شرائط
الطلب وعلى غير وجهه فهو متعسف سالك على غير طريق المطلوب كالناقة العشواء وكذلك لفظ الظلماء لشبه
باعتبار ان الذهن لا يهتدي فيها لطلب الحق كما لا يهتدي في الظلماء المقصود الرابع امره بتفهم وصيته ونبهه على جمله
من صفات الله وافعاله التي قد يتوهم التضاد في اسنادها الى مبدأ واحد واشار الى انها
ليست بمتضادة وان مبدأها واحد فاما الصفات فهو ان الذي بيده الموت ومن لا يميت هو القادر
على الحياة وان يحيي باعتبار اسباب الموت والحياة تنتهي اليه وكذلك الخالق هو المميت فان على الكل
هو مقدر الموت الذي تنتهي اليه اسبابها والى هذين الاعتبارين الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت
ربكم ورب آبائكم الاولين يحيي ويميت باعتبار انه الفاعل الاول لهما وباعتبار انه الرب المطلق
هو المالك الاول لهما وكذلك المغني هو المعيد والمبتلي هو المعافي باعتبار انتهاء اسباب الفناء والاعادة

والابتلاء والمعاد اليه وقد علمت ان كل هذه الامور اعتبارات عقلية تلحق معقولية الواجب سبحانه بالقياس
الى مخلوقاته وآثاره كما استقصيناه في الخطبة الاولى واما الافضال فهو انه تعالى لما خلق الدنيا لم يكن خلقها
واستقرار وجودها الا بما خلقها الله عليه من افاضته ما تقدم نحو حتى يعيش العبد ومن مال وصحة ونحوهما
والابتلاء بما تقدم ذكره من الفقر والمرض ونحوهما وان كانت النعم ايضا ابتلاء كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة والبلاء ... ثم لزوم الجزاء في المعاد لنفوس المبتلين والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في النعم
والابتلاء ولكن خلقها لما شاء مما لا يعلم وجه الحكمة فيه واعلم انه قد ثبت في اصول الحكمة ان المقصود من العناية
الالهية بالذات انما هو الخير واما الشرور الواقعة في الوجود فكائنة بالعرض من حيث انه لا يمكن نزع الخير
وتجريده عنها ولما كان الخير اغلب في الوجود وكانت الشرور امورا لازمة اقلية لم يكن ترك الخير
الكثير لاجلها لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير في الجود والحكمة وذلك معنى قوله عم وان الدنيا
لم يكن ليستقر الا على ما جعلها الله عليه مما لا تعلمه مما يعلم كونه خيرا او شرا او لا يعلم حاله اي لم يكن خلقها
الا لاجلهما من خير مراد بالذات وشر مراد بالعرض ولزوم الجزاء على الاعمال بحسب عقاب النفوس في المعاد
عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الردية في الدنيا كما يعلم ذلك
في موضعه وقوله فان اشكل الى آخره اي فان اشكل عليك شيء من اسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فلا
تتوهم خلوه عن حكمة بل احمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت كما قال تعالى والله اخرجكم من
بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الآية ونصب اول على الظرف وجاهلا على الحال وروي اول مرفوعا بانه مبتدأ
وجاهل بالرفع خبره ثم نبهه على كثرة ما يبقى جاهلا به من الامور ثم يدركه فيما بعد ليجعل ما لا يدرك
وجه الحكمة فيه من ذلك القبيل ثم امره بالاعتصام بالله والتجاء اليه في اموره وان يجعل له عبادته واليه
رغبته ومنه شفقته لانه تعالى موجود بذلك واوله بالامور المذكورة المقصود الخامس الاشارة
الى فضيلة الرسول صلعم على سائر الانبياء لزيادة حثه على اتباع الخبر عن الله تعالى وبيان المطالب الحقيقية
التي اشتمل عليها الكتاب العزيز من اسرار التوحيد والقضاء والقدر وامر المعاد فان احدا من الانبياء
ما تبين عليهم لم ينبئ عن هذه الامور كما انبأ هو ولذلك كانت هداية هذه الامة بما جاء به صلعم
اتم واكمل من هداية سائر الامم التي جاءت بها انبياؤها وكانت عيون بصائرهم ابسط انوارا
واكثر اشراقا وغاية ذكر فضيلته صلعم ههنا ان يرضى برائده ودلالته على طريق النجاة في الآخرة ويستعد
لطلب الرائد باعتبار انه قد اخبر عما في الآخرة من الثواب المقيم والسعادة الباقية وبشر بها
كما بشر الرائد اهله بوجود الكلأ والماء بعد ارتياده ثم اردف ذلك ببيان انه لم يزل ناصحا له
وانه لم يبلغ نظره لنفسه وان اجتهد في ذلك مبلغ نظره له ليكون ذلك اقنع برأيه ومشورته عليه فيما يراه
له ونصيحته ... **الفصل الخامس** قوله واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله
ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لا يضاده
في ملكه احد ولا يزول ابدا ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية وآخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم

ان تثبت

ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطره وقلة
مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم
يأمرك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح **اقول** اشار في هذا الفصل الى الحجة على وحدانية الصانع سبحانه وشرح
جملة من صفاته ثم الى ما ينبغي ان يفعل من لاحظ عظمته تعالى من الصفات المذكورة فاذن ههنا ابحاث **الاول**
الحجة على وحدة الصانع وهي شرطية متصلة مقدمها قوله لو كان لربك شريك وتاليها لاتتك رسله الى قوله
ولعرفت افعاله وصفاته ويستنتج منها استثناء نقيض اقسام التالي لينتج نقيض المقدم بيان الملازمة انه لو
كان له شريك لكان شريكه اما مستجمعا لجميع شرائط الالهية والا لم يصح شركته لكن من لوازم الالهية امور
احدها الحكمة في وجوب بعثة الرسل الى الخلق ووصولهم اليه لما علمت من برهان وجوب البعثة في موضعه الثاني
يلزم ان يكون آثار ملكه وسلطانه وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة الثالث ان يعرف افعاله وصفات
ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة اما الاول فلانه لم يأتنا رسول ذو معجزة يدلنا على الثاني ويخبرنا عنه
واما الثاني فلان آثار الملك والسلطان وعظم الملك والحكمة انما يدل على حكيم قادر واما التعدد
فلا واما الثالث فلان مجرد الافعال التي تشاهدها انما يدل على فاعل ما اما التعدد فلا وكذلك صفات
الالهية المكتسبة بواسطة الافعال من العلم والقدرة والارادة وغيرها انما يدل على صانع موصوف بها
فاما على ما ... او اكثر ... فلا فاذن القول بان لربنا شريك قول باطل لا برهان عليه كما قال تعالى
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الآية وقوله اله واحد كما وصف نفسه من لوازم النتيجة لانه
اذا بطل القول بثاني الاله ثبت انه اله واحد كما وصف هو نفسه بقوله قل هو الله احد وهو الله الواحد
القهار وانه لا يضاده في ملكه احد اي لا يعارضه في افعاله ولا ينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك واعلم
ان هذه الحجة اقناعية كما هو غاية الخطيب من خطابته وليست برهانية لانه ان اريد في الشرطية ان
وجود الثاني يستلزم وجود آثار وافعال وصفات تخصه ويعلم اختصاصه به فالملازمة ممنوعة
لان الالهين سواء كانا متفقي الحقيقة او مختلفي الحقيقة لا يلزم ان يختلف افعالهما ولوازمهما بالنوع ويختص
كل منهما بلازم خاص وفعل خاص لا يوجد للآخر بل جاز ان يتفقا في اللوازم والآثار وان اريد ان
وجوده يستلزم ان يعرف آثار وافعال ولوازم لا تخصه بل جاز ان يشاركه فيها الآخر فحينئذ نسلم
لكن لا يمكن الاستدلال ببطلان التالي ههنا وهو ظاهر لانا نرى آثار ملك وافعال ولوازم وصفات
لا تدل على احدية فاعلها والموصوف بها ولا على اثنينيته وانما يدل على مطلق فاعل ويلزم ما قلنا من نفيها
ورفعها لان رفعها يستلزم رفع وجود الاله المطلق لاستلزام عدم اللازم عدم الملزوم لا رفع الثاني
خاصة **البحث الثاني** كونه تعالى لا يزال ابدا وانه لم يزل وهو اشارة الى دوام وجوده وبقائه
ازلا وابدا وبرهانه انه تعالى واجب الوجود لذاته وكل واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود بقاء
ازلا وابدا اما الصغرى فقد مر برهانها واما الكبرى فلانه لو جاز عليه الزوال والعدم لما كان واجب
الوجود لذاته وهذا خلف ولاستلزم جواز العدم فاذن هو دائم الوجود ازلا وابدا **البحث الثالث**

كونه اولا قبل الاشياء بلا اولية لوجوده وكونه آخرا بعد الاشياء بلا نهاية لوجوده اما الاول فلانه لو كان لوجوده
اولية لكان مسبوقا بالعدم فكان محدثا فكان ممكنا هف واما الثاني فلانه لو كانت آخرية منقطعة بنهاية
لكان ملحوقا بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته هف **البحث الرابع** كونه اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة
قلب او بصر اي هو اعظم ان يطلع احد بقلبه او بصره على كمال صفات ربوبيته والاعتبارات المعتبرة فيها
ووجه الشبهة في ذلك انك علمت ان صفة الربوبية وساير صفات الالهية باعتبار الخارج نفس حقيقته تعالى
وباعتبار العقل امور يعتبرها لمعقولية ذاته بالقياس الى مخلوقاته وآثاره وعلى الوجهين فهو اعظم ان تثبت
ربوبيته باحاطة قلب او بصر اما في الخارج فلان صفة ربوبيته هي نفس ذاته فكانت احاطة العلم بها موقوفة
على احاطته بكنه ذاته وقد علمت انها بريئة عن وجوه التركيب فيمتنع الاحاطة بها لغيره واما في العقل فلان
اعتبار صفة الربوبية واحاطة العقول بها موقوف على الاحاطة بجميع اعتبارات صفات الكمال ونعوت
الجلال اذ اعتبار ربوبيته المطلقة يستلزم اعتبار الهيته المطلقة المستلزم لاعتبار جميع ما له من صفات الالهية
وقد علمت ان تلك الاعتبارات غير متناهية فهو اعظم ان يحيط بها عقل بشري فضلا ان يتعلق بها ادراك
بصري **البحث الخامس** اعلم انه لما نبه على عظمة الله سبحانه وكمال ذاته وذات الاعتبارات المذكورة امره
ان يفعل كما ينبغي ان يفعل من هو مثله في النقصان بالنسبة الى عظمة الله سبحانه فيطيعه حق طاعته ويعبده
بكمال عبادته وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وعدد له وجوه النقصان ليعتبر حاله في كل منها بالقياس الى
كمال ذاته تعالى فصغر منزلته بالنسبة الى عظمته تعالى وقلة مقدرته وكثرة عجزه بالنسبة الى كمال قدرته وكذلك
عظم حاجته الى ربه في كل حال من طلب توفيقه واعداده لطاعته والرهبة من عقوبته والاشفاق من سخطه
كل ذلك بالنسبة الى غنائه المطلق عن كل شيء وقوله فانه لم يامرك الا بحسن تنبيه اجمالي على وجوب طاعته
تعالى في كل ما امر به ونهى عنه وجذب الى فعل كل مأمور به لكونه حسنا والى الانتهاء عن كل منهي لكونه قبيحا وقد
علمت ان الغاية من بعثة الرسل ووضع الشرايع والسنن في نظام احوال الخلق في معاشهم ومعادهم فلا بد
اذن في كل امر او نهي من سر وحكمة يوجب حسن المأمور به وقبح المنهي عنه ولهذا الكلام ونحوه تعلقت
المعتزلة بمسألة الحسن والقبح العقليين وبالله التوفيق **الفصل السادس** يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا
وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا
وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيبًا وَجَنَابًا مَرِيعًا فَاحْتَمَلُوا
وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ وَخُشُونَةَ السَّفَرِ وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ
فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَمًا وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَمًا وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وَأَدْنَاهُمْ
مِنْ مَحَلَّتِهِمْ وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا
أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ
كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ

ولا تقل

وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ
فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ **اقول** يجدو
تبدّى والسفر المسافرون وامّوا قصدوا والجناب الفناء والمنزل والمريع ذو الكلاء والخصب ووعثاء
السفر مشقته وجشوبة المطعم غلظه وهجم دخل بغتة والكدح الكسب وهذا الفصل مطلوب ان اعد ما انبأه
على فاني الدنيا والآخرة وذكره بما اخبره به عنهما من ضرورة زوال الدنيا وانتقالها وبقاء الآخرة وما اعد
لاهلها فيها من السعادة الباقية التي اشتمل على تعديد انواعها الكتاب العزيز والسنة الكريمة وضرب لهما
مثلين ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فالمثل الاول مثل من خبر الدنيا وعرف زوالها و
انتقالها وخير الآخرة وبقاءها وما اعد فيها لاهلها ومثلهم بقوم مسافرين فارقوا منزلا جديبا الى منزل خصيب
ووجه مطابقة هذا المثل ان النفوس البشرية لما كانت من عالم المجردات وكانت الحكمة في هبوطها الى هذا العالم
ومقارنتها لهذه الهياكل الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها هو ان تحصل بواسطتها الكمالات
العقلية التي انما تمكن لها بواسطتها ثم سعي الاستكمال عنها الى عالمها الاعلى طاهرة عن علايق هذه الهياكل
وهيآتها الردية كما اخذ عليها في العهد القديم كانت كل نفس حفظت عهد ربها وثبتت على صراطه المستقيم
في هذه المدة المضروبة لها ناظرة بعين الاعتبار الى ان الدنيا كالمنزل الجديب خال عن المطاعم الحقيقية
والمشارب العذبة الهنية فهو لذلك غير صالح للاستيطان والاقامة وان عالم الآخرة كالمنزل الخصيب
والجناب المريع من وصل اليه مستقيما على اوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت
ابدا في طريق السفر في منازل طريق الله والاستعداد للوصول الى بهجة حضرته الشريفة محتملا لمشقة
ذلك السفر من معاناة الجوع والظماء ومقاساة السهر قصدا الى سعة الدار ومنزل القرار وما يلزم من ذلك
المال و[illegible] تعدما تنفقه من المال والعمر فيه مغرما ولا شيء احب اليها من وسيلة تقربها الى ذلك المنزل الذي
انه والجناب الذي قصدته فاستثبت في ذلك من وصل الى منزل جديب ثم علم ان امامه منزلا خصيبا
فاقتضى رايه الحسن ان يحتمل وعثاء السفر ومشقته اليه ليحصل على الراحة الكبرى واما المثل الثاني فهو مثل
اهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا عما ورائها ونسوا عهد ربهم واعرضوا
عما ذكروا به من آياته وشبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فالمنزل الخصيب
في هذا المثل هو الدنيا لانها محل سعادتهم ونعيمهم والمنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا قد استعدوا
لدرك السعادة فيها ووجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم الى آخره اي ليس شيء
اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما هم فيه من الدنيا الى ما يهجمون عليه بغتة من الاهوال ويصيرون
اليه من مقاساة السلاسل والاغلال كما انه ليس شيء اكره الى القوم من مفارقة منزل خصيب كانوا فيه
الى منزل جديب يهجمون عليه والى هذين المثلين اشارة الرسول صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
المطلوب الثاني من الوصية باصلاح معاملته مع الخلق فاشار عليه ان يجعل نفسه ميزانا فيما بينه وبين غيره
ووجه استعارة لفظ الميزان له انه يكون ذا عدل بين نفسه وبين الناس كالميزان ثم شرع وجوه

العدل والتسوية التي امره ان يكون ميزانا بما عبارة فيها امور ثبوتية ومنها امور سلبية فالاول ان يحب
لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها وهذا هو الحديث المرفوع لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
ويكره له ما يكره لنفسه وسر هذا الحديث ان ذلك من كمال فضيلة العدالة التي هي من كمال الايمان الثاني ان لا يظلم
كما لا يحب ان يظلم فيلزم من رذيلتي الظلم والانظلام الثالث ان يحسن الى الغير كما يحب ان يحسن اليه
فيدخل تحت العفة الرابع ان يستقبح من نفسه ما يستقبح من غيره فيخرج عن جميع مناهي الله ويحرز لوازم
المروة ولذلك قال احنف اذ سئل عن المروة هي ان تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك الخامس ان
يرضى من الناس بما يرضاه لهم من نفسه اي كل ما رضي ان يفعله بهم من خير او شر ان فعله فينبغي ان يرضى
بمثله منهم وفيه شبهة انه لا يجوز ان يفعل الشر لعدم لازمه وهو الرضا منهم به السادس ان لا يقول
ما لا يعلم وان قل ما يعلم وانما قال وان قل ما يعلم لان تصور قلة العلم قد يكون داعية لبعض الناس
الى ان يقول بغير علم لئلا ينسب الى الجهل فيضل ويضل كما قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم ولا هدى ولا كتاب منير الاية السابع ان لا يقول له ما لا يحب ان يقال له كالمواجهة بالعيوب
والالقاب المكروهة وكل كلام مؤذ الثامن فيه على وجوب ترك الاعجاب بانه ضد الصواب
ولما كان الصواب هو سلوك طريق الله باستجماع مكارم الاخلاق وكان الاعجاب من رذائل الاخلاق
كان مضادا للصواب بمضادة الرذيلة للفضيلة وبانه آفة للعقول اذ هو من اكبر امراض العقل و
آفاته المهلكة كما اشار اليه الرسول ص ثلث مهلكات الى ان قال واعجاب المرء بنفسه التاسع ان
يسعى في كدحه اي فيما ينبغي له من كسب الطاعات وقيل اراد بالكدح ما اكتسبه من المال وما ينبغي
فيه انفاقه في سبيل الله الحادي عشر ان يكون عند هداية الله اياه لرشده اخشع ما يكون لربه
وذلك ان الهداية لرشده هي العلم بالطريق الى الله تعالى في جميع ما عدد من مكارم الاخلاق والعلم
بالطريق المؤدية اليه حين سلوكها يستلزم ملاحظة جلاله وعظمته وهناك يكون الخشوع الحق ولذا
انه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء **الفصل السابع** قوله واعلم ان امامك طريقا
ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد وقدر بلاغك من الزاد
مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت
من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه
واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضك في حال غناك
ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة كؤودا المخف فيها احسن حالا من المثقل والمبطئ
عليها اقبح حالا من المسرع وان مهبطك بها لا محالة اما على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك و
وطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب ولا الى الدنيا منصرف واعلم ان الذي
بيده خزائن السموات والارض قد اذن لك بالدعاء وتكفل لك بالاجابة وامرك ان تسأله
ليعطيك وتسترحمه ليرحمك ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك ولم يلجئك الى
من يشفع لك اليه

ولم يعيرك

ولم يعيرك بالانابة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ولم يشدد عليك في قبول الانابة
ولم يناقشك بالجريمة ولم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة وحسب سيئتك واحدة
وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب فاذا ناديته سمع نداءك واذا ناجيته
علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك وابثثته ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستكشفته كروبك
واستعنته على امورك وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة
الابدان وسعة الارزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء
ابواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما
اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشيء فلا تؤتاه
واوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك
لو اوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له **اقول** الارتياد
الطلب والطوق والطاقة ما يتسع له قدرتك والوبال الهلاك والكؤود شاقة المصعد والمرتقى
والمخرج منه والافضاء الوصول والبث النشر والكشف والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة
من المطر والقنوط اليأس والاستعتاب طلب العتبى وهي الرجوع الى الرضا وفي الفصل مطالب
احدها الوصية بالسعي في تحصيل الكمالات النفسانية الباقية والانقطاع عن الرذائل المنقصة فنبهه
على الاول بان امامه اي في سفره الى الله طريقا طويلا شديدا وظاهر ان الطريق التي يكون
كذلك لا بد لسالكها من حسن طلب القصد فيه الى مطلوبه ومن قدر يبلغه من الزاد واستعار لفظ
الطريق لما يسير فيه الانسان من احوال الدنيا ويعبر منها الى الآخرة واشار بطولها وشدتها الى ان
النجاة فيها والسلامة من خطرها لما كان ذلك انما يكون بلزوم القصد والثبات على سنن العدل والاستقامة
على الوسط من مكارم الاخلاق اذ علمت ان لكل من القوة التمييزية والشهوية والغضبية طرفي
وتوسطا ان عنه وهو العدل وعلمت انه ادق الحدود واصعبها اذ هو محفوش بطرفي تفريط
وافراط كل منهما مهلك للانسان من الوقوع في احدهما وهما طريقان الى جهنم فبالحري ان يكون طريقا
ذا مسافة بعيدة لا يصل الانسان منها الى غايته الا بعد بعيد ولا يحصل منها على خير الا بجهد جهيد واستعار
لفظ الزاد للتقوى والكمالات التي هي بلغة الانسان في تلك الطريق الى الله تعالى وبها يكون النجاة
فيها والخلاص من مهالكها ونبه على الثاني بقوله مع خفة الظهر الى قوله وبالا عليك واستعار لفظ
الخفة لتقليل اكتساب الآثام وجمعها على النفس ولفظ الحمل لاكتسابها ووجه الاستعارة ان
المقل للآثام يسرع القطع لتلك الطريق وقرب الى النجاة فيها من غيره كما قال عليه السلام تخففوا تلحقوا
وكما اشار اليه الرسول ص نجا المخففون ووجه الثانية ان المكتسب للآثام يثقل بها ويبطئ عن لحوق
المخفين ويهلك بها في طريقه وكثرة تخلفه بقدر كثرة اكتسابه لها فيكون حال المثقل في الطريق البعيدة
ولفظ الظهر ترشيح المطلوب الثالث التنبيه على وجوب انفاق المال في وجوه الصدقة والبر على المحتاج اليه

من اهل الفاقة وذلك قوله واذا وجدت الى قوله عنك وجذبه واعده لذلك بامرين احدهما كون ذلك
زادا يحمله ذو الفاقة الى يوم القيمة ويلقاه به هناك في موضع الحاجة اليه واستعار لفظ الزاد هنا لما
يحصل من فضيلة السخا والكرم بالانفاق ووجه الاستعارة كونه سببا لسلامة النفس من الهلاك في طريق الآخرة
ووسيلة الى السعادة الباقية كالزاد المخلص للمسافر في طريقه والمبلغ له الى مطالبه واستعار للمتصدق
عليه وصف الحامل لذلك الزاد باعتبار انه سبب لحصول فضيلة تلك الصدقة ووصول ثوابها الى
المتصدق يوم القيمة فوجدانه تلك الفضيلة وظهورها في صحيفة اعمال المتصدق يوم القيمة هو المشار اليه
بالموافاة بها غدا ثم امره ان يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه وان يحمله ذلك الزاد وكثيرا من تزويده وتحميله
للزاد حال ما هو قادر على تحصيله وجذب الى اغتنامه والمسارعة الى الصدقة بقوله فلعلك تطلبه فلا
تجده لان الوسيلة الى امر عظيم اذا كانت في معرض ان يطلب فلا توجد ثم وجدت في وقت فمن
الواجب ان يغتنم تحصيلها ولا يهمل الثاني كون الصدقة على ذي الفاقة قرضا للمتصدق في حال غناه
بالمال يقضى له يوم عسرته وفقره واستعار وصف المستقرض هنا له باعتبار انه هو المجازي بالثواب
من انفق ماله في طاعته واليه الاشارة بقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم اضعافا
كثيرة وبه يكون القرض في حال الغنا والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء افضل فرغب في القرض
لغاية الربح المطلوب الرابع التنبيه على شدة طريق الآخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفة من
حمل الآثام والمسارعة فيها قبل انقضاء الايام واستعار لفظ العقبة لما فيها من الصعود والارتقاء في درجات
الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بشدة الصعود باعتبار ما في ذلك الارتقاء من العسر
وكثرة الموانع وجذب الى الاستعداد بامور ثلثة احدها كون المخف فيها احسن حالا من المثقل وهو
ظاهر كما قدمناه الثاني كون المبطئ فيها اقبح حالا من المسرع وهو ايضا ظاهر اذ كان المبطئ فيها واقفا
في طرفي الافراط والتفريط مشغولا بما يليه متلفتا عما بعينه (?) حتى اذا انصرم اجله بقي في مهاوي الهلاك
اسيرا وكان ما فاته من سرعة السير حسرات الثالث ذكر الغايتين منها وهي الجنة والنار وانه لا بد لسالكها (?)
وهو طالب للكمال على احدهما وهو ظاهر ايضا فان خوض الانسان في احوال الدنيا والتصرف فيها
الى غاية انقطاعها ووصول الآخرة اما ان يكون على وجه القصد ولزوم سمت العدل المستقيم و
تجنب طرفي الافراط والتفريط وبذلك يكون هجوم تلك الطريق وهو طالب للكمال الجنة (?)
واما ان يكون على وجه الانحراف عن ذلك القصد والتعريج عنه الى مناكب الطريق من شانئ (?)
وابواب محارمه وبذلك يكون هبوطها به لكمال النار ونسبة الهبوط اليها مجاز باعتبار ادنائها (?)
الى احدى الغايتين كالهابط بالشيء ليوصله الى قراره ثم امره ان يرتاد لنفسه ويطلب ما يكون
سببا لنجاته فيها وحسن حاله قبل نزوله احد المنزلين اللذين هما غايتاها لكون هبوطه بها على جنبه (?)
وان يوطئ المنزل الذي يريد سكناه بالاستعداد له وروي يوطن بالنون اي يتخذه وطنا
المطلوب الخامس التنبيه على الدعاء والترغيب فيه وسره دوام ملاحظة جلال الله والانقطاع

اليه اذ هو مبدأ كل محبوب ومعطي كل مطلوب ورغب في ذلك بامور احدها ان بيده تعالى خزائن السموات
والارض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك كان احق بالرغبة اليه من كل احد الثاني
انه تعالى اذن في الدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعوني استجب لكم وتقدير الكبرى كما مر والثالث انه
امر الخلق ان يسألوه ليعطيهم في قوله تعالى واسئلوا الله من فضله وكذلك ان يطلبوا منه الرحمة يرحمهم وذلك
ان افاضة الرزق والرحمة وكل فضل منه وانما يوجد بعد الاستعداد له بالاخلاص في الطلب والاسترحام
ونحوه كما علم في مظانه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان يسأل ويسترحم الرابع انه لم يجعل
بينه وبين الراغب اليه حاجبا ولا بوابا لتقدسه سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدثات بل تجلى لكل
شيء لكل من فتح عين بصيرته ووجهها الى مطالعة كبريائه وعظمته وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو
اولى من ان يسأل ويسترحم الخامس انه لم يلجئه الى من يشفع اليه لان الشفيع انما يضطر اليه عند تعذر
المطلوب من جهة المرغوب اليه اما لبخله او لحاجته او جهله باستحقاق الطالب والباري تعالى لا بخل فيه
ولا منع من جهته وانما يتوقف فيضه على استعداد الطالب له ولم يجعل سبحانه للراغبين اليه ضرورة
الى الشفيع اذ مكنهم من الاستعداد ونيل مطلوباتهم منه وهيأ لهم اسبابها وفتح لهم ابواب رحمته فان
عرضت لهم حاجة الى الشفيع فليس ذلك من ضرورة والجائه الى ذلك السادس انه لم يمنعه ان اساء من التوبة
بل امره بها ووعده عليها فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر
عنكم سيئاتكم ويدخلكم الجنة وقال بعد ان عدد الكبائر وتوعد عليها الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الآية السابع انه لم يعاجله بالنقمة مع اطلاعه عليه حين معصيته ولم
يفضحه في مقامه الذي تعرض فيه للفضيحة بل امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه الثامن انه لم يشدد
عليه في قبول الانابة والرجوع اليه كما يفعله الملوك في حق من اساء اذا طلب الاقالة ولم يناقشه بجريمته
وذنبه حتى يستقصي في حسابه بل سهل عليه في ذلك وقبل توبته متى شاء لانه تعالى لا مضرة عليه باساءة مسيء
ولا نفع يصل اليه من انابة منيب اذ هو الغني المطلق التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية العاشر انه جعل نزوعه عن ذنبه وتوبته
منه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وحسب سيئته واحدة وحسنته
عشرا حيث قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها الحادي عشر كونه
فتح له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو
عن السيئات وباب الاستعتاب حيث امره وارشده الى طلب الرضا منه بعد توبته الثاني عشر
كونه اذا ناداه سمع نداءه لقوله تعالى ان ربي لسميع الدعاء واذا ناجاه علم نجواه لقوله تعالى يعلم السر
واخفى فاوصل اليه حاجته ان شاء سرا وان شاء جهرا وطلب منه اعانته على اموره ونشر لما كان
في نفسه من همومه وسأله كشف كربه فوهب له من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة
الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق الثالث عشر انه جعل في يديه مفاتيح خزائنه بالاذن له في

مستفتح واستعار لفظ المفاتيح للادعية باعتبار انها اسباب لتحصيل النعم وكمال الرحمة حتى تستفتح بها ابواب
خزائنها وكذلك استعار لفظ الابواب لاسباب جزئيات النعم الواصلة الى العبد وخزائن النعم هي خزائن
السموات والارض اذ الكل منه وبيده ويحتمل ان يشير بها الى المعقول من سماء جوده وما يحويه قدرته من
الخيرات الممكنة واستعار وصف الاستمطار لطلب نعم الله تعالى ملاحظا لشبهها بالمطر لكونهما سببين
لحيوة وصلاح الحال في الدنيا وشبه طالبها بالمستمطر ورشح بذكر الشآبيب وتقدير الكبرى في كل واحد
من هذه الضماير وكل من كان كذلك فهو احق بان يرغب اليه ويدوم الطلب نحوه واعلم انه لما رغب في
الدعاء بهذه الجواذب نبه على ان الاجابة في الدعاء قد تتعجل وتتاخر ثم عدد ما يصلح اسبابا لتاخرها لئلا يقنط
عند تاخرها فلا يقنط منها احدها ان العطية على قدر النية اي ان الاجابة موقوفة على الاستعداد باخلاص
النية فاذا تاخرت الاجابة فلعل تاخرها لان النية لم تكن خالصة الثاني ربما اخرت لعلم الله تعالى
ان تاخيرها من اسباب استعداد السائل والمؤمل استعدادا اعظم لعطاء ما هو اعظم واشرف مما سال
فيعطاه عند كمال استعداده لانها على قدر اهل العزم تاتي العزائم وتقدر الكرام المكارم الثالث
ان المطلوب قد لا يكون فيه مصلحة للعبد لاشتماله على مفسدة في دينه لو اعطي اياه كالغنى والجاه مثلا
وساير المطالب الدنيوية الخالصة فلا يجيب الله سؤاله فيه بل يعطيه خيرا منه اما في عاجل دنياه او في آجل
آخرته ويصرف ذلك الامر عنه لما هو مصلحة له وخير ثم ختم ذلك بتعريفه مواقع مسالته مما ينبغي ان يساله
اياه وهو ما يبقى له جماله وينفى عنه وباله من التوفيق لاسباب السعادة الباقية وجميل الاحدوثة في
الاعقاب دون المال **الفصل الثامن** قوله واعلم انك انما خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء
وللموت لا للحيوة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو
منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك
منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم
عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك
بغتة فيبهرك واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها ونعت لك
نفسها وتكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها على بعض ويأكل عزيزها
ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة واخرى مهملة قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة
بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى واخذت بابصارهم عن
منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ما وراءها
رويدا يسفر الظلام كأن قد وردت الاظعان يوشك من اسرع ان يلحق **اقول** منزل قلعة لا يصلح
للاستيطان والبلغة ما يتبلغ به من العيش ولا يزيد عن القوة وبهره غلبه واتعبه واصل البهر تتابع
النفس من التعب واخلد الى كذا استند اليه والتكالب التواثب والمساوي المعايب والضراوة
تعود الصيد والجراة عليه والمعقلة المقيدة بالعقال والمجهول والمجهل المفازة التي لا اعلام فيها والواد

ولا يفوته طالبه ح

ولا ينجو منه هاربه ح

وعث

وعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي وقد نبه في هذا الفصل على امور احدها
ان العلة الغائية من خلقه ووجوده هي الآخرة دون الدنيا والموت والفناء دون الحيوة والبقاء
وهذه الامور علل عرضية من وجود الانسان لكونها من ضرورات وجوده واما العلة الحقيقية الاولى فهي
من وجوده في استكماله ووصوله الى حضرة ربه طاهرا عن علايق الدنيا وذكره بهذه الغايات التي
يجزم بالوصول اليها ليعمل بها ولما بعد الموت ويقل الحرص على الدنيا وعمارتها ولا يركن الى البقاء
فيها لكونها امورا عرضية زايلة الثاني نبهه بكون الدنيا منزل قلعة على انها منزل عبور لا يصلح للاستيطان
والاقامة وبكونها دار بلغة على انها انما خلقت ليتخذ منها الانسان بلاغا للوصول الى الآخرة وزادا لكونها طريقا
اليها الثالث نبهه على انه طريد الموت واستعار له لفظ الطريد ملاحظا لشبهه بالصيد يطرده الكلب ونحوه
ثم وصف الموت بكونه لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه تحذيرا منه وجذبا الى الاستعداد له بالاعمال
الفاضلة لاهواله وشدايده ولذلك قال فكن منه على حذر الى قوله نفسك اي يدركك على الحال السيئة
تحدث نفسك فيها بالتوبة الى ان يدركك ويحول عطف على يدركك واذا للمفاجاة الرابع امره بالاكثار
من ذكر الموت وما يهجم عليه فان ذلك يستلزم العبرة والانزجار والاخذ في الاهبة والاستعداد لما
بعده ولذلك قال حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له قوتك اي بالكمالات التي تستعد بها
ولا ياتيك بغتة فيبهرك وقوله ولا ياتيك عطف على قوله حتى ياتيك والواو في قوله وقد للحال وبغتة حال
ويبهرك منصوب باضمار ان بعد الفاء في جواب النفي الخامس نهاه ان يغتر بما شاهد من اخلاد اهل الدنيا اليها وتواثبهم
عليها ونبهه على انه لا ينبغي له ذلك الاغترار بقياسات ضمير فقوله فقد نباك الله الى قوله عنها هو صغرى القياس
الاول كقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو في مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله انما مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء الآية وامثاله وقوله ونعت لك نفسها صغرى القياس الثاني وروي ونعت
بمعنى ان الله وصفها ومعنى نعتها لنفسها وصفها بلسان حالها لنفسها وبيان انها محل الهموم والغموم والاعراض
والامراض ودار كل بلاء ومنزل كل فتنة وقوله وانما اهلها الى آخره صغرى القياس الثالث وتقدير
الكبرى في القياس الاول وكل من اخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغي ان يغتر به وتقديرها في الثاني وكل
من وصف نفسه كذلك فلا ينبغي ان يغتر به وتقديرها في الثالث وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يغتر بمعاملته
واعلم انه اشار بهذين التشبيهين الى قسمي اهل الدنيا اذ لاشتمالهم باعتبار قواهم الغضبية والشهوية
واتباعهم لها اي فمنهم من اتبع قوة الغضب واعطاها مقتضاها ومنهم من اتبع قوة الشهوية واسترسل في
قيادها وغفل عما خلق لاجله وضرب المثل للاولين بالكلاب العاوية او العادية والسباع الضارية
واشار الى وجه مطابقة المثل بقوله يهر الى قوله صغيرها ووصف الهرير مستعار لتنازعهم عليها وكذلك
لفظ الاكل لغلبة بعضهم على بعض وضرب للآخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عما يراد بهم ثم قسمهم الى قسمين
معقلة ومهملة واستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا بظواهر الشريعة والامام العادل فقيدهم بالدين عن
الاسترسال في اتباع الشهوات والانهماك فيها وان لم يعقلوا اسرار الشريعة فهم كالنعم التي عقلها راعيها

واشار بالجهال الى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة امامهم ولم يتقيدوا باوامره فهم كالبهائم
المرسلة واشار الى وجه المشابهة بقوله التي اضلت عقولها الخ ويحتمل ان يريد بعقولها عقلها جمع عقال فاستعير
الضمير وقلبها واو اشار بقوله مجهولها ويحتمل ان يريد به جمع عقل وهو الجامع اي انها ضلت عن مجاريها وجهلها
ووجه مطابقة هذا المثل ان جهالهم عدم اشتغالهم بعقولهم وركوبهم لاهوائهم الفاسدة وشرودهم في شعاب
الدنيوية كتشتيت الدواب والهات النفسانية ليس لهم امام يقيمهم على طريق الهدى الى مكارم الاخلاق
قد اشبهوا النعم المهملة التي اضلت عقلها وركبت المفازة في سروح مترددة متحيرة بواد وعث ليس لها
راع يرعاها ويقيمها الى المراعي وروي سروح عاهة اي في سارحة عن آفة قد خرجت بانفس الا تنتج اولادها
الاوسط اقرب الى الصواب واراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدي فيها شيء كما
لا يهتدي الاعمى للطريق ونسب السلوك بهم اليها باعتبار انها سبب لغرورهم عما وراءهم وكما اخذت باصارهم
اي باعتبار عقولهم عن منازل الهدى وهي آيات شانه ومنازل الطريق اليه واشار بمتيهم في حيرتها الى
ضلالهم عن طرق الحق واستعار لفظ الغرق باعتبار استيلاء نعيمها على عقولهم وتمكنها كما تغمر الماء الغريق
واتخاذهم لها ربا باعتبار خدمتهم لها لطلبهم اذ كانوا عبيدا لها ولعبوا بها اذ اشتغلوا بها عن مقتضى
وحسبوا ان ما وراءها ولعبهم بها ونسوا ما وراءها حاصلوا على **الفصل الثاني** قوله واعلم يا بني ان من كانت
مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا واعلم يقينا
انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب واجمل في المكتسب
فانه رب طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية وان
ساقتك الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله
حرا وما خير خير لا ينال الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل
الهلكة وان استطعت الا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك
فان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان كل منه وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من
ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء وحفظ ما في يديك احب الي من طلب ما في يد غيرك
ومرارة الياس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب
ساع فيما يضره من اكثر اهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم وباين اهل الشر تبن عنهم بئس الطعام
الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا ربما كان الدواء داء والداء دواء
وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى والعقل حفظ التجارب
وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب
ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف ياتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب
يسير انمى من كثير لا خير في معين مهين ولا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء
اكثر منه واياك ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف

والمقاربة

والمقاربة وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك
له عبد وكانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو صديقك
صديقا فتعادي صديقك وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلى منها
عاقبة ولا الذ مغبة ولن لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه احلى الظفرين
وان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق
ظنه ولا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق
بك ولا ترغبن فيمن زهد فيك ولا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على الاساءة اقوى
منك على الاحسان ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه
اقول تعدده تجاوزه والتخفيض التسهيل على النفس والحرب سلب المال والاجمال في الطلب التسهيل فيه
حتى يكون جميلا والدنية الخصلة الرديئة والمناهل المعاطش والحرفة الضيق في الرزق والحرمان واهجر الرجل
اذا افحش في منطقه والرفق اللين وضده الخرق والنوكى الحمقى جمع انوك والغصة [illegible]
والظنين المتهم والصرم القطع ومحض النصيحة اخلصها والمغبة العاقبة وقد اشتمل هذا الفصل على
لطائف من الحكم العملية ومكارم الاخلاق التي بها ينتظم امر المعاش والمعاد وصدره بالتنبيه على ضرورة
الموت ليبني عليه ما يريد ان يوصيه به من مفردات الحكم وذلك التنبيه بامرين احدهما ان الانسان في حركة
مسافر الى الآخرة وان ذلك السفر ليس على مطايا محسوسة ولا في طرق محسوسة بل المطية هي الليل والنهار
واستعار لفظ المطية لهما باعتبار انهما اجزاء اعتبارية للزمان يعقب بعضها بعضا وينقضي بانقضائها
الزمان فينتقل الشخص بحسابه في منازل مدته المضروبة المقدرة له الى ان تنقضي مدته ويتم سفره الى
الآخرة كما ينتقل في منازل طريقه المحسوسة الى ان يتم سفره فيها وكذلك لفظ المسافة مستعار لمدة العمر
وبذلك كان يسار الانسان به سيرا اعتباريا وان كان واقفا وقوفا المتعارف ويقطع مسافة اجله
راكبا تلك المطايا وان كان وادعا قارا في قراره الثاني انه امره ان يعلم يقينا انه لن يبلغ امله وذلك
ان الانسان ابدا ذو توجه الى المطالب كلما حصل مطلوب منها او احسن وجه الى مطلوب
آخر وان اختلفت المطالب فالامل ابدا متوجه الى مطلوب ليس مدركا في الحال والا لكان ذلك على الوجه
فان ليس كل ما يدرك ولذلك لا يمكن ان يتجاوز الانسان اجله المضروب له والا لكان اجلا له وهذان
الامران في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول وتقدير كبرى الاول وكل من يسير به كذلك
فيوشك ان ينقطع مدته ويصل الى الآخرة وتقدير كبرى الثاني وكل من لا يبلغ امله ولا يتجاوز اجله
وهو سالك لطريق من كان قبله فيوشك ان يلحق بهم وهاتان تنبهان على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول
الى الآخرة ورتب على ذلك الوصية بالحكم المذكورة وذكر منها جملة الاولى ان يخفض في طلب الدنيا
ولا يحرص عليها بل يجعل طلبه لها بقدر حاجته اليها الثانية ان يفعل الجميل فيما يكتسبه منها وذلك ان يضع كل شيء
منه موضعه فيطلب منه قدر ضرورته وينفق فاضله في وجوه البر ومعارف القرب ويحتمل ان يريد

بالكف الاكتساب فاطلق اسم المتوكل على الصدر مجازا ونحوه قول الرسول صلعم ان روح القدس نفث في روعي
انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقوله ما من رب طلب الى قوله محروم تنبيه عن الحرص في الطلب
بالمولفة آمده لا انه قد يجر الى الحرب وذلك كالمشهود في وقتنا ان تاجرا كان راس ماله سبعة عشر دينارا
فسافر بها الى الهند مرارا حتى بلغت سبعة عشر الف فعزم ان يترك السفر والاكتفاء بما رزقه الله فسولت له
نفسه الامارة بالسوء في العود وحببت اليه الزيادة فعاود السفر فلم يلبث ان خرجت عليه السراق في البحر
فاخذوا جميع ما كان معه فرجع وقد حرب ماله وذلك ثمرة الحرص المذموم وهو في تقدير صغرى ضمير وتقدير
كبراه وكل ما جر الى الحرب فلا ينبغي ان يحرص عليه الثالثة قوله وليس كل طالب بمرزوق وهو تمثيل تنبيه
على ان الطلب فلا الحرمان في بعض الطالبين حتى تنبس نفسه عليه فلا يحرص في الطلب الثالث قوله ولا كل
مجمل بمحروم تنبيه على تمثيل آخر كك تنبيه على ان الاجمال فلا يرزق في بعض الناس لتنبس نفسه عليه فيجمل
في الطلب الرابع ان يكرم نفسه عن كل دنية وان ساقتك وصولا الى ما يرغب فيه وتنافس فيه وذلك
كان يكذب مثلا او يعتذر ليصل الى الملك ونحوه والاكرام لها عن ذلك يستلزم فضائل كالسخاء والمروة وكرم النفس
اذ كل واحد من رذيلة البخل والدناءة وصغر الهمة يستلزم مفارقة الدنايا فاكرام النفس فيها يستلزم الاقدام
بالحصول على فضائلها وتنزيهه عن مفارقة الدنية بقوله فانك لن تعتاض اي عوضا ان ما تبذله من نفسك من الفضيلة
وتعدل عنه الى الرذيلة لتعادله عند الله وعند اهل الفضائل من خلقه شيئ وان جل وان يكون لك عنه
عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل له عوض تقابله وتساويه فلا ينبغي ان تبذل
في مفارقة الدنايا الخامس ان لا يكون عبد غيره اي لا يجعل لغيره عليه فضل احسان ينال لاجله وشرفه به
ويسترقه بذلك في نفسه حذقته والاشتغال بشكره عن الله وقوله وقد جعلك الله حرا في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من جعله الله حرا فينبغي ان لا يجعل نفسه عبدا لغيره وكك قوله وما خير خير الى قوله الا بيسر
استفهام في معنى الانكار اي لا خير في خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر وكنى بذلك الخير واليسر
عما يطلب في مفارقة الدنايا ويصير الانسان بسببه عبدا لغيره كالمال ونحوه وبالشر والعسر المقارن لهم
كبذل ماء الوجه في السؤال والذلة وغيرها من الدنايا وهو ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير فيه
فلا ينبغي ان يطلب وتنبيه عليه من اجله السادس حذره من الطمع واستعار لفظ المطايا للقوى الامارة
بالسوء كالوهمية والخيالية والشهوية والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة للنفس العاقلة وموصلة لها
الى المشتهيات وما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصلة لراكبها الى اغراضه وكك وصف الوجيف
لسرعة انقيادها بها الى المطامع الردية وقوله فتوردك مناهل الهلكة فاستعار لفظ المناهل لموارد
الهلاك في الآخرة كمنازل جهنم وطبقاتها ووجه المشابهة كونها موارد وشراب اهل النار الهلاك كما
قال تعالى فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وارج في جواب النهي الملازم تقدير الذكر
وهو في قوة متصلة هي صغرى ضمير تقديرها فانك ان اوجفت بك مطايا الطمع اوردتك مناهل الهلكة
وتقدير الكبرى وكل مطية كك فحرم ركوبها السابع ان لا يجعل بينه وبين الله واسطة في وصول نعمة اليه

ان استطاع ذلك وهو نهي عن مسئلة الغير والتعرض لنواله بل يطلب قسمه من رزق الله الموصوف له من فضل
ذي نعمة يكون فيه بذل ماء الوجه والذلة والمنة وان اعطى وبذله والحرمان والذل ان حرم ورغب في ذلك
بغيرين آمده قوله فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك اي من رزق الله وتقدير كبراه وكل من كان كك فينبغي
ان يجمل فيه ودين الله واسطة يطلب منه رزقه الثامنة قوله وان اليسير الى قوله خلقه اي ما حصل من جهة حصوله
منه وهي الجهة التي امر الله بطلب الرزق منها وان كان يسيرا اكرم عنده واشرف من الكثير من غيرها كالجهة
كسؤال الغير والتعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان اعظم فينبغي ان يكون هو المطلوب وقوله وان كان
لكل منه اي وان كان الرزق من خلق ايضا من الله الا انه ينبغي ان يوجه الرغبة اليه ابتداء دون غيره
اذ هو مبدأ الكل وغايته بالجملة واحدة التاسع قوله وتلافيك الى قوله منطقك تنبيه على وجوب ترجيح
الصمت وتغليبه على كثرة الكلام بضمير هذه صغراه وتقريرها ان التفارط من الصمت وان استلزم
فوات كالسكوت عما ينبغي ان يقال من الحكمة او ما يترتب عليه بعض المصالح الا انه يمكن استدراكه غالبا بما
ينبغي من القول واما افراط القول فان الخطاء فيه قد لا يمكن استدراكه وان امكن فعلى غاية من العسر
فلذلك كان تلافي افراط الصمت بالقول اسهل من تدارك افراط القول ولقوة الخطاء في القول كثرة الاسباب
في ذم الاكثار ومدح الصمت والمنطق هنا يحتمل ان يريد به المصدر فيكون لسان الحيس او محل النطق
فيكون اسنادا الغاية وتقدير كبرى الضمير وكل ما كان ايسر فهو اولى ان تلافيه افراط السمع او اسالة
بك وذلك يستلزم رجحان الصمت التاسع تنبيه على حفظ ما في يده من المال الحفظ الذي هو وسط
بين التبذير والبخل والكلام في قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل ما كان احب الي من طلب ما
بيد غيرك فهو اولى بك العاشر تنبيه على فضيلة قطع الطمع واليأس عما في ايدي الناس بضمير ايضا صغراه
قوله ومرارة اليأس الى قوله الناس وتقدير كبراه وكلما كان خيرا فهو اولى ان يلزم ويكرم النفس به
واطلق لفظ المرارة على الالم الذي تجده النفس بسبب اليأس من المطالب اطلاقا لاسم السبب على المسبب
وكونه خيرا لاستلزامه من اكرام النفس عن ذل السؤال ورذيلة المهانة واليه اشار الشاعر بقوله
وان كان طعم اليأس مرا فانه «الذ واحلى من سؤال الاراذل» الحادي عشر تنبيه على وجوب الصبر في ضيق
الرزق والحرمان اذا كان مع فضيلة العفة وان لزومه اولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير ايضا صغراه
ما ذكره وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا من الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى
مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى وانما كان كك لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة واستلزام ذلك
الغنى الرذيلة وقد علمت ان العفة فضيلة القوة الشهوية وانها بين رذيلتي تفريط يسمى خمود الشهوة وافراط
يسمى فجورا الثاني عشر تنبيه على انه لا يجوز افشاء سره لغيره لان احد المرء والغرض هو والحكم كونه احفظ لسره
كونه اكثر عناية بنفسه من غيره الثالث عشر تنبيه بطريق التمثيل ايضا على التوزع في السعي والتثبت في ارشاد
الصالح بقوله رب ساع فيما يضره فالاصل هو الساعي والفرع هو المخاطب والعلة هي السعي والحكم هو التضرر
الرابع عشر تنبيه على وجوب ترك الاكثار في القول تمثيل ايضا اصله المكثر وفرعه المخاطب وعلته الاكثار

وكما الهجو والغرض ان يعتبر نفسه في لحوقها بالمكثرين في لزوم الهجو لهم فيترك الاكثار مما يلزم من الهجو ولحوق الذم به
الخامس عشر نبه على فضيلة التفكر في الامور بقوله من تفكر ابصر اي ادرك بعين بصيرته حقائق الامور وعواقبها
السادس عشر امره بمقارنة اهل الخير بضمير دل على صغراه بقوله كن منهم وتقديرها ان مقارنتهم يستلزم
الكون منهم وتقدير الكبرى وكل ما استلزم الكون منهم فواجب ان يفعل السابع عشر وكذلك امره بمجانبة اهل الشر
ومفارقتهم كالمستلزمة المباينة لهم من عدم العداوة في جلبهم في الدنيا والآخرة ووجه الحجة كالذي قبله الثامن عشر
نبه على قبح اكل الحرام لغاية اجتنابه بضمير صغراه ما ذكر وانما كان اقبح الظلم لكون الضعيف في محل الرحمة فظلمه
لا يصدر الا عن قلب قاس ونفس بعيدة من الرقة والرحمة والعدل وهو في غير مقابل من الضعيف بمدافعة
ومانعة فكان ابعد عن العدل وتقدير كبراه وكلما كان افحش الظلم كان اولى اصناف الظلم بالترك
والاجتناب العشرون نبه على ان الخرق في بعض المواضع كالخرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا ومفوتا للغرض
كان استعمال الخرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في استلزامه للمصلحة وحصول الغرض غالبا فكان اولى
من الرفق في ذلك الموضع ولفظ الخرق الاول والرفق الثاني مستعاران للرفق الاول والخرق الثاني
لما ذكرناه من المشابهة والى هذا المعنى اشار ابو الطيب ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع
السيف في موضع الندى الحادي والعشرون نبه على ان بعض ما فيه مصلحة ربما تشتمل على مفسدة
بقوله ربما كان الدواء داء وعلى ان بعض ما هو مفسدة في الظاهر قد يستلزم مصلحة بقوله والداء دواء ولفظا
الدواء مستعاران للمصلحة ولفظ الداء للمفسدة ووجه الاستعارتين ان المصلحة من شانها نظام حال الانسان
ومن شان المفسدة فساده كالدواء والداء والى هذا المعنى اشار المتنبي فربما صحت الاجساد بالعلل الثاني
والعشرون نبه على انه ينبغي ان يعرض عن مشورة احد عليه بامر هو مظنة مصلحة وان كان من شانه انه غير
ناصح له بل ينظر في رايه ومشورته فربما كان نصحه ولذلك لا ينبغي ان يركن الى قول من يعتقده ناصحا مطلقا اذ
من الجائز ان يغشه الثالث والعشرون نهاه عن الاتكال على المنى وقوله هنا بضمير صغراه وقوله انها بضائع
النوكى واستعار لفظ البضائع لها باعتبار ان الاحمق يحصل منها على لذة خيالية من الامور المتمناة كما يحصل
من البضاعة الربح واضافها الى النوكى لعدم الفائدة في المنى كعدم الربح من بضائع النوكى الرابع والعشرون
رسم العقل بانه حفظ التجارب والاشارة الى العقل العملي وهو القوة التي للنفس بحسب حاجاتها الى تدبير بدنها
الموضوع لتصرفاتها وتكميله وهي التي بها تستنبط الآراء المصلحية فيما يجب ان يفعل من الامور اذ كان الراي
في العمل الاختياري المخصوص بالانسان انما يتم بادراك ما ينبغي ان يعمل في كل باب وهو ادراك راي
كلي او جزئي يستنبط من مقدمات بعضها جزئية محسوسة وبعضها كلية اولية او تجربية او ذائعة او ظنية
يحكم بها العقل النظري من غير ان يختص بجزئي دون غيره والعقل العملي يستعين بالنظري في ذلك ثم ينتقل
منه باستعمال مقدمات جزئية الى ان ينتقل الى الراي الجزئي الحاصل فيعمل بحسبه ويحصل بعمله مقاصده
في معاشه ومعاده وارادته بهذا العقل الرسم الاخلاقي المتعارف وانه في موضع الانسان تحصيل مكارم الاخلاق
التي هي كمال هذه القوة وحفظ التجارب اشارة الى ضبط هذه العلوم المنتزعة من مشاهدات متكررة

امور

امور جزئية تكرر حسبه فكلما كان كون السعي بما شاهده من شانه الاستدلال وعرف العقل بذلك لكونه من خواصه وكماله
الخامس والعشرون نبه على انه ينبغي ان ينتفع من التجارب بما وعظ اي كان من شانه ان يتنبه به ويتعظ واعتبار ما
كالمنقول حال من تكرر ظلمه في سرعة عقوبته او استئصاله او تكرر كذبه في ادراك المقت بضمير صغراه ما ذكر وتقدير
ما وعظك فهو خير التجارب وتقدير الكبرى وخير التجارب اولى ما ينتفع به فما وعظك من التجارب اولى بك
ونحوه قول افلاطون اذا لم تعظك التجربة لم تجرب بل انت ساذج كما كنت السادس والعشرون امره بانتهاز
الفرصة فيما ينبغي ان يفعل ونحوه من تركها بما يستلزمه من الاسف المقصود والحق اسم الغصة على الفرصة مجازا
تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه السابع والعشرون نبه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب
بضمير صغراه ما تضمنه هذا السلب من الايجاب وتقديره بعض الطالبين لا يصيب مطلوبه وتقدير الكبرى وكل
من لا يصيب مطلوبه فلا ينبغي ان ياسف على ما فاته بقدر السامع نفسه انه من ذلك البعض فلا ياسف على ما فات
وذلك قوله ولا كل غائب يؤوب الثامن والعشرون نبه على لزوم التقوى بضمير تقدير صغراه اضاعة الزاد
ومفسدة المعاد من الفساد وتقدير الكبرى وكل ما كان من الفساد وجب تركه ولفظ الزاد مستعار للتقوى
كما سبق التاسع والعشرون نبه على وجوب النظر في عواقب الامور واعتبار حسنها بضمير ذكر ما هو في قوة
صغراه وتقديرها كل امر له عاقبة نافعة او ضارة وتقدير كبراه وكل ما له عاقبة كذلك فينبغي الاحتياط في فعل
ما يوصل اليها او يجتنب الثلاثون نبه على وجوب ترك الحرص وكذا الغش في طلب المال ونحوه بضمير ذكر صغراه
وتقدير كبراه وكلما سوف ياتيك فينبغي ان لا تحرص في طلبه الحادي والثلاثون نبه على وجوب الاحتراز في المعاملات
كالبيع والشراء ونحوه بضمير صغراه ما ذكر ووجه كون التاجر مخاطرا انه لما كان مجتلب المال ومتوجها الى الكسب
كان حاله في مظنة ان يحيف فيتعدى حدا او يعمل ما يقتضي ان يتكلف لزوم العدل والاستقامة على سواء
الصراط فلا جرم كان على خطر من وقوعه في طرف التفريط والتقصير عن سواء السبيل وتقدير الكبرى والتي ظاهر
يجب ان يحترز في مثل هذه المخاطرة الثاني والثلاثون نبه على وجوب الاحتراز في التجارة والتحفظ من الظلم
وكان ذلك الظلم انما هو لغرض كثرة المال فنبه في هذه الكلمة على ان من المال اليسير ما هو انمى من الكثير بقصد
حبه واراد اليسير الحلال فانه انمى وعن قليل من الكثير الحرام في الآخرة باستلزامه زيادة الثواب بما في قوة
صغرى بضمير تقديره اليسير الحلال انمى من الكثير الحرام وتقدير الكبرى وكلما كان انمى من الكثير الحرام فيجب ان
يقتصر عليه الثالث والثلاثون نبه على ترك الاستعانة في المهمات بالمهين من الناس بضمير تقدير صغراه المهين
المهين لا خير في الاستعانة به وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فالاولى اجتناب الاستعانة به ونبه بالظنين
هو الظنين في الاستعانة به ومعلوم انه متهم [illegible] ان ما ثبته تضاد الظنين في حاجات الامور وعليها [illegible]
ذلك يستلزم نفرة ومنعه من المعاونة ونحوه قولهم اذا لم تجد بغيرك كاف وجه ثم [illegible] الرابع والثلاثون
نبه على انه الصديق المتهم بضمير تقدير صغراه كالذي قبلها واراد انه لا خير فيه لصديقه اذ كان من جهة الباطن
مظنة الشر الخامس والثلاثون امره ان يصبر على ما يتجشمه الدهر ويتحمل من ذلك وان كان دون رضاه
اذ كان ذلك هو الممكن في الطبع وما بقي المدة واستعار لفظ القعود للزمان الذي يسر فيه وقعد [illegible]

بعض حاجاته ووجه المشابهة ان ذلك الزمان يمكنه من بعض حاجاته وحوائجه وطلب ما لا يمكن فيه وما لم يعد لحصول المطالب
ربما يستلزم لتغيره وانتشاعها كان ممكنا فيه كما ان القعود من شانه ان يمكن من نفره واقتعاده وهو بعرض ان ينفر
براكبه او استزاده وشده عليه ولفظ القعود مستعار لسكون الزمان والمكان المطلوب فيه وارادة نساؤه
الجريان معه بقدر مقتضاه من دون تشدد وتشوط عليه فان ذلك يستلزم تعب النفس من غير فائدة والى مثله
اشار القائل ⁘ اذا الدهر اعطاك العنان فسر به ⁘ رويدا ولا تعنف فيصبح شاسا ⁘ السادس والثلثون
نهاه ان يخاطر بها بكل رجا الكرمة اذ كان فى مظنة ان لا يعود وفيه تنبيه ان يجمع الا مال ويحمل ذلك على كون
الانسان يبقى ما ذويه الغرض المذكور مع شكه فى سلامته الا مع ظن السلامة فلا خطر ونحوه قولهم من طلب الفضل
حرم الاصل السابع والثلثون حذره من اللجاج فى طلب الامر عند تعسره وتعذره منه بان استعار لفظ المطية
اللجوج ووجه المشابهة كونه يؤدى لصاحبه الى غاية ليست محمودة كاللجوج من المطايا الثامن والثلثون امره ان يحتمل
نفسه ويحملها فى حق صديقه الى غاية ان تجا به وتجازيه بهذه الفضايل كالقطيعة بالصلة وساير ما ذكر ليعود
الى العتبى وتدوم المودة وحذره ان يضع ذلك فى غير موضعه او يفعله بغير اهله من اللئام لان ذلك وضع
الشى فى غير موضعه وهو خروج عن العقل وقد عرفت ان الامور المذكورة من لوازم الصداقة الحقة والى نحوه
اشار الشاعر بقوله ⁘ وان الذى بينى وبين بنى ابى ⁘ وبين بنى امى لمختلف جدا ⁘ فان اكلوا لحمى وفرت
لحومهم ⁘ وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا ⁘ وان زجروا طيرا بنحس يمر بى ⁘ زجرت لهم طيرا يمر بهم سعدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم ⁘ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا ⁘ التاسع والثلثون نهاه ان يتخذ عدو صديقه
صديقا ونبه على ذلك بضمير استثنائى تقديره فانك ان فعلت ذلك عاديت صديقك ويستدل بنفيه
نفى اللازم على نفى ملزومه اى لكن معاداة الصديق قبيحة منهى عنها فاتخاذ عدو صديقك ووجه الملازمة ان
مصادقة عدو الصديق يستلزم نفرة الصديق عمن صادق عدوه لنفرته عن عدوه وان مصادقة عدوه
تستلزم مشاركة العدو وموافقته فى جميع احواله ومن جملة احواله معاداته فاذن توجب الموافقة عداوته
فتوجب النفرة والمجانبة واليه اشار القائل ⁘ تود عدوى ثم تزعم اننى ⁘ صديقك ان الراى عنك
لعازب ⁘ الاربعون ان يمحض نصيحته اخيه فى جميع احواله سواء كانت النصيحة حسنة او قبيحة اى مستقبحة فى
نظر المنصوح مضارة له فى العاجل باعتبار استثقاله والنفار من المواجهة بها ونحوه قوله تعالى فان تصبهم
سيئة بما قدمت ايديهم فقد يا لنسبة اليهم سيئة الحادى والاربعون امره بتجرع الغيظ وقد رغب
بانها الى ما سلك من المبادرة الى قضاء وطر الغضب فمن يجنى عليه جناية ليصل بكره بها اليه وقد يراد فيه
الحلم والكرم والصفح والثبت والعفو والتجاوز والاحتمال وربما فرق بعضهم بين هذه المفهومات واستعار
وصف التجرع لتصريح مضض الالم الموجود منه ملاحظة لما يشرب من مر واثم نبه على فضيلته بضميره
قوله فانى لم ارى الخ وفيه واستعار لفظ الحلاوة لما يستلزم من العاقبة الحسنة ووجه المشابهة ما يستلزم
من اللذة والعيش فى قوله ولا الذ مغبة اى ما دل عليه قوله تجرع من المصدر وتقدير الكبرى وكل ما يرى
من التجرع احلى منه فينبغى ان تتجرع وعن زين العابدين عليه السلم وصية لابنه الباقر عليه السلم يا بنى عليك بتجرع

الغيظ

الغيظ من الرجال فان اباك لا تسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم الثانى والاربعون امره ان
يلين لمن غالظه وخاشنه ونبه على حسن ذلك بضمير صغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اى بسبب لينك له ما
غلظته وتقدير كبراه وكل من قارب ان يلين لك بسبب لينك له فاولى ان تلين له ونحوه قولهم اذا عز اخوك
فهن واصله قوله تعالى ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم الثالث والاربعون امره ان
يأخذ على عدوه بالفضل من عوارفه ونبه على حسنه باستلزامه احد الظفرين فان الظفر يحصل باحد هما الغلبة
بالقهر والغلبة وهو الاخر [illegible] الرغبة بالافضال عليه بحيث يسترق به ويدخل فى الطاعة بسببه وقوله فانه
احد الظفرين صغرى ضمير وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه انه احد الظفرين فينبغى ان يفعل الرابع والاربعون
امره ان اراد مقاطعة اخيه ان يبقى له من نفسه بقية من صداقته وان فارقه مفارقة كلية ونبه على ذلك بضمير
اشار الى صغراه بقوله يرجع اليها ان فانه يرجع اليها لو بدا له الرجوع وتقدير الكبرى وكل ما يرجع له فواجب
ان يبقيه له ونحوه قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان
يكون حبيبك يوما ما وقولهم اذا هويت فلا تكن غاليا واذا تركت فلا تكن قاليا الخامس والاربعون ان يصدق
من ظن به خيرا ظنه وذلك التصديق بفعل ما ظنه فيه من الخير كان يظن به الجود فيتفضل عليه السادس والاربعون
نهاه ان يفعل ما يشتراه ونحوه بضمير تقدير صغراه فان الخرج يكون اسمى الخلق بك وذلك لانه لم يرد
منه وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغى عدم الشح السابع والاربعون ان لا يضيع حق اخيه اتكالا على ما بينهما اخوة
ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه ليس لك باخ من اضعت حقه والمعنى ان من اضعت حقه لا بد ان يفارقك لتضييعك حقه فلا
يكون اخا لك وتقدير كبراه وكل اخ يفارقك لتضييع حقه فلا ينبغى ان تضيع حقه لتسلم لك مودته واخوته
ونحوه قولهم اضاعة الحقوق داعية العقوق الثامن والاربعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد فيه واراد بمن زهد
فيه من ليس لصنيعه موضعا ولا لمودته اهلا وليس باخ قديم والاناض ما قبله وما بعده من الامر بصلة من قطعه
والدنو ممن تباعد عنه والاحسان الى من اساء اليه واشار الى وجوب ذلك بالتنفير عن نقيضه بضمير صغراه
شرطية متصلة تقديره فانك لا تفعل ذلك لكن اخوك اقوى على خلافه منك على فعل الاحسان وبيان
الملازمة ان الاساءة والشر لصوارف كثيرة تصرف عنه والاحسان وفعل الخير له بواعث كثيرة تبعث
عليه فاذا لم تفعل الاحسان مع كثرة البواعث عليه واساء اخوك مع كثرة صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى
على الاساءة منك على الاحسان وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو عاجز مذموم الخمسون نهاه عن استعظام ظلم
من ظلمه فى حقه ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه يسعى فى مضرته ونفعك اى ان سعيه فى ظلمك يستلزم
مضرته فى الاخرة بما توعده الله الظالمين ونفعك بما وعده الله الصابرين على بلاياهم وتقدير الكبرى وكل
من سعى فى مضرته ونفعك فلا ينبغى ان يكبر عليك صنيعه فى حقك الحادى والخمسون نبه على وجوب مقابلة
الاحسان بمثله او دونه بقوله ليس جزاء من سرك ان تسوءه وهو فى قوة صغرى ضمير تقديرها من سرك
فليس جزاؤه ان تسوءه وتقدير كبراه وكل من لم يكن جزاؤه ذلك فينبغى ان لا تسوءه وقيل ان هذه الكلمة من تمام
التى قبلها والتقدير لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى فى مضرته ونفعك وكل من كان كذلك فليس

جزاءه ان تعاملها باساءة **الفصل العاشر** قوله واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك
فان انت لم تأته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك
وان كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور
اشباه ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا
بالضرب اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار والصاحب مناسب
والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب
من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب
بينك وبين الله سبحانه ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون الياس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة
تظهر ولا كل فرصة تصاب وربما اخطأ البصير قصده واصاب الاعمى رشده اخر الشر فانك اذا شئت تعجلته
وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان
تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك
عن غيرك واياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن
بحجابك اياهن فان شدة الحجاب ابقى عليهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من
امرها ما جاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها ان تشفع لغيرها
واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك
عملا تأخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ويدك
التي بها تصول استودع الله دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة
ان شاء الله تعالى **اقول** المثوى المقام وتفلت تخلص وعزائم الصبر ما جزمت به منه وازمته والعورة ها
الاسم من اعور الصيد اذا امكنك من نفسه واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والافن الضعف
والقهرمان فارسي معرب وهذا الفصل يشتمل على لطائف من الحكمة ومكارم الاخلاق الاولى انه قسم
الرزق الى قسمين مطلوب وطالب واراد بالرزق المطلوب ما لم يحرزه القضاء الالهي كونه رزقا له وبالطالب
ما علم الله انه رزقه وانه لا بد من وصوله اليه وترك بيان حكم القسمين للعلم به ايجازا والتقدير فالذي
تطلبه فلا تدركه لكون القضاء الالهي لم يجر به وكل ما لا تدركه فينبغي ان لا تحرص عليه واما الذي يطلبك فانه
يأتيك وان لم تأته وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان يأتيك فينبغي ان لا تحرص في طلبه الثانية
نبه على فضيلة عزة النفس عند الحاجة وعلى مواساة الاخوان في الغنى بالتنبيه على قبح ضديهما وهما الخضوع عند
الحاجة والجفاء عند الغنى للتنفير عنهما اذ كانا رذيلتين وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها ان الذل عند الحاجة والجفاء للاخوان
عند الغنى قبيحان جدا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثالثة نبه على بذل المال في وجوه البر
والقربات لغاية اصلاح الآخرة بقوله انما لك الى قوله مثواك واراد بالذي لك من دنياك ما يبقى نفعه دائما ولك
حصره بالثمار الغذاء المنتفع به في الجنة والذي يبقى ثمرته لا يستلزم بذله وتحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة

وليس خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن خ
والتغاير خ
واصلك الذي اليه تصير خ

لمراتب

لمراتب الدائم والنعيم المقيم في الآخرة وهو صغرى ضمير تقديرها ما اصلحت به مثواك من دنياك هو الذي يبقى لك
منها وتقدير الكبرى وكل ما هو باق لك منها فينبغي ان تحصله بعنايتك ويحتمل ان يكون هذه الكلمة تنبيها على ما قبلها
من المواساة في الغنى والفقر اصلاح المثوى بالمال المبذول فيها الرابعة نبه على ترك الاسف والجزع على ما يخرج
من يده من المال بقياس استثنائي وذلك قوله فان جزعت الى قوله اليك وبيان الملازمة ان الذي خرج من يده
كالذي لم يصل اليه في انه ليس برزق وليس مما قضى الله له به وتقدير الاستثنائي لكن الجزع هناك قبيح وغير مستحق
فينبغي ان لا يحصل الجزع هنا الخامسة امره ان يستدل بقياس ما لم يكن من امور الدنيا واحوالها وتغيراتها
على ما كان وحدث منها وذلك ان يقيس نفسه وما يرغب فيه من متاع الدنيا على ما سبق من اهلها ومتاعها فيجده
شاملا حكمها لحوق حكمها وهو التغير والزوال فيستلزم ذلك الاعتبار الرغبة عن الدنيا ومتاعها ونبه على الحكم
ذلك بصغرى ضمير تقديره قوله فان الامور اشباه وتقدير الكبرى وكل ما هو متشابه فيحكم بقياس بعضه على البعض و
كان يقال اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظر اليها بعد غيرك السادسة حذره ان يكون ممن لا تنفعه النصيحة
فلا ينتفع بحسن الرأي الا اذا بالغت النصيحة والتوبيخ في ايلامه واذاه وروي بالغت بالمخاطب اي في ايلامه
بالقول وغيره وضرب له العاقل مثلا في اتعاظه بالادب وتذكره بالنصيحة ليقيس نفسه عليه فيتعظ بالادب
والبهائم مثلا في عدم اتعاظها وتذكرها الا بالضرب ليعتبر نفسه بالقياس اليها ويقدر رجوعه عنها بالفعل
ان ينزه نفسه عن هذه المرتبة فلا يحتاج الى ايلامه بقول او فعل وكان يقال اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة عتابها ضربها
السابعة ان يطرح عن نفسه ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الجازم الثابت عن حسن
اليقين بالله تعالى وباسرار حكمه وقضائه وقدره وذلك ان يعلم يقينا ان كل امر صدر عن الله وابتلى به عباده
من ضيق رزق او سعة وكل امر مرهوب او مرغوب فعلى وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض من ذلك
مما يعد شرا فامر عرضي ولكن تحت الخير المقصود منه فان ذلك اذا كان متيقنا استعدت النفس بحكم الصبر
ومقاومة الهوى في الغم والجزع ونحوه والغرض من الكلام الامر بالصبر وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها ان
عزائم الصبر وحسن اليقين مما يستلزم طرح واردات الهموم ودفعها عن النفس وتقدير الكبرى وكل
ما استلزم ذلك فينبغي ان تستعد به وتشتغل به عنك الثامنة نبه على لزوم القصد والعدل في افعاله واقواله
بتحذيره من ضده وتقدير كبراه ومن جار هلك التاسعة نبه على حفظ الصاحب الحق والرغبة فيه بتحذيره من ضده
واستعار له لفظ النسب باعتبار مودته وحسن معاضدته كالنسب وتقدير كبراه والمناسب ينبغي ان يحمى
عليه ويحافظ عليه العاشرة عرف الصديق الحق بعلامته ليعرف بها فيصادق واراد بصدق غيبه صدقه
في ضميره وما غاب من باطنه عن غيره الحادية عشر نبه على مجانبة الهوى والميول الطبيعية بتحذيره قوله
الهوى شريك العمى ووجه كونه شريكا له استلزامه الضلال وترك القصد كالعمى وتقدير الكبرى وكل
ما هو شريك العمى فينبغي ان يجتنب ونحوه قوله حبك الشيء يعمي ويصم الثانية عشر نبه على ان في البعداء
من هو اقرب وانفع من النسيب وفي الاقرباء من هو ابعد من البعيد وهو مشهور والى المعنى اشار
القرآن الكريم بقوله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الثالثة عشر نبه على ان الغريب

يا بس الغريب هو من لم يكن له نسب اي محب يحبه واليه اشار القائل اسوة المرء والداه وحيث ما حي جنسهما
الحبيب يطلب فان زاد لنا عن المرء فهو هو الناس اجنبي غريب وذلك باعتبار محبة الوالدين الا ان الحب هو
شبه [illegible] لزوم الحق بالملزم نقيضه وهو تعديه وتجاوزه الى الباطل من جنس الذنب ووعارة المسلك
وذلك ان طريق الحق واضح مأمور باتباعه وقد نصبت عليه اعلام الهداية اما طريق الباطل فهو صعب وعر
على سالكيه لما فيها من التحير والخبط وعدم الهداية الى المصلحة والمنفعة مع كونها محفوفة بحرسه طريق الحق من جاد ابنها
عنه اخذوا عليه مذاهبهم وضيقوا عليه مسالكهم حتى يعود الى طريق الحق وهو صغرى ضمير تقديره كبراه كأنه قيل
من ترك القصد جار الحادية عشر منه وجوب الاقتصار على قدره وهو مقداره وملاحظة حق الله
واقتصاره عليه مبني على معرفته به وهو ان يعلم الفطرة التي فطر الانسان عليها من الضعف والعجز والنقص
فيعلم انه لم يخلق فيتخرج عن التشخص باتباع نوعه والاستيلاء على احد منهم بفضل قوة او ايجاب نفسه حسبا
او نشأته ونحو ذلك ما دون ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه من العجز والنقص
وهو في قوة صغرى ضمير تقديره من اقتصر على قدره كان اقتصاره ابقى له وذلك ان المتعادل الى قدر
غيره والمتجاوز لقدره من نفسه ان يمكث لقصد الناس اياه بالمكاره والتكبر عليه من جهل قدره قتل
نفسه والاقتصار على القدر يستلزم عدم هذه الامور فكان ابقى على صاحبه واسلم وتقدير الكبرى وكل
من كان اقتصاره على قدره ابقى له فواجب ان يقتصر عليه السادس عشر منه لزوم سبب بينه وبين الله تعالى
وهو كل ما قرب اليه من علم وقول وعمل ولفظ السبب مستعار لذلك باعتبار ايصاله الى الله واقرب شبه
كالحبل الذي يتوصل به الى المقصود وظاهر انه اوثق الاسباب لثباته دائما ونجاة المتمسك به في
الدنيا والآخرة والكلمة صغرى ضمير تقديره السبب بينك وبين الله تعالى هو اوثق الاسباب المأخوذ بها
وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فينبغي ان يتمسك به ونحوه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها السابع عشر منه مجانبة من لا يبالي بك بضمير
ذكر صغراه وتقديرها من لا يبالك وقت حاجتك اليه وقد زهد فيك فهو عدوك ولفظ العدو
مستعار له باعتبار ان عدم المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو فينبغي مجانبته الثامن عشر
منه ان الياس من بعض مطالب الدنيا قد يكون سببا لسلامة من الهلاك وادراك النجاة منه وذلك
عند ما يكون الطمع في ذلك المطلوب مستلزما للهلاك كالطمع في نيل ملك ونحوه التاسع عشر منه قوله ليس
كل عورة الى قوله رشده ومعناه ان من الامور الحكمة والغرض ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه
ويهتدي له ويظفر به الاعمى واستعار لفظ البصير العاقل الذكي والاعمى الجاهل الغبي وغرض الكلمة
التسلية عن الاسف والجزع على ما يفوت من المطالب بعد امكانها العشرون امره بتأخير الشر وعدم
الاستعجال فيه ونبه عليه بضمير ذكر صغراه ومعناها انك قادر على تعجيله اي وقت شئت فتقدير الكبرى
وكلما كان كذلك فينبغي ان لا يعجل فيه اذ لا يفوتك ونحوه من الحكمة قولهم ابدأ بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع
للحسنة في كل وقت وانت على الاساءة متى شئت قادر الحادية والعشرون منه وجوب قطيعة الجاهل بضمير ذكر

صغراه

صغراه وتقدير كبراه وكلما يعدل صلة العاقل فينبغي ان يرغب عنها وقطعها وانما كانت قطيعته باعتبار
استلزامها المفسدة ومنفعتها قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة الثانية والعشرون منه وجوب
الحذر من الزمان ودوام ملاحظة تغيراته والاستعداد لحوادثه قبل نزولها بالاعمال الصالحة واستعار له
لفظ الخيانة باعتبار تغيره عند الغفلة عنه والاهمال فيه والركون اليه فهو في ذلك كالصديق والكلمة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل خوانة الزمان فينبغي ان يكون منه على حذر ونحوه الحكمة من امن الزمان ضيع ثغرا مخوفا
الثالثة والعشرون منه بقوله من اعظم الخطأ انه على وجوب ترك اعظامه ولم يرد الزمان المجرد بل من حيث
مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها ومعتدل طيب العيش بالصحة والشباب والامن ونحوها وبذلك الاعتبار
يكرم ويستعظم فيقال في العرف زمان طيب وزمان عظيم ولما استلزم ذلك الاعظام من يستعظمه اعظامه
ويستلزم انسانه اليه واشتغاله بما فيه من اللذات الدنيوية فيغفل بسبب حبها عن الاستعداد لما وراءه
ثم ان الزمان لم يبق مقتضى طباعه فيفرق بينه وبين ما كان يعده من مال او جاه او رجال فيفجع خيرا بعد
ان كان خيرا وصغيرا بعد ان كان كبيرا وقليلا بعد ان كان كثيرا والكلمة في قوة صغرى ضمير وتقدير كبراه
وكل من اعظم الزمان فينبغي ان يستهين به ولا يعظمه الرابعة والعشرون قوله ليس كل من رمى اصاب فيه
سبق مثله في قوله ليس كل طالب يصيب وغرضه التشبيه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب
والتسلي بين اخطأ فيه او توجيه العذر وتحسينه بانه ليس بأهل لذلك المطلوب وان لم توما الحزن والى نحوه
اشار ابو الطيب ما كل من طلب العلا نالها فذا جادوه كل الرجال قوله الخامسة والعشرون منه ان
تغير السلطان في رأيه ونيته وفعله في رعيته من العدل الى الجور يستلزم تغير الزمان عليهم اذ يغير من الاعداد
العدل الى الاعداد بجور وروي ان كسرى انوشروان جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها فقال اي شيء
اضر بارتفاع الاعمال وادعى الى محقها من اصابني بما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه فقال كل منهم قوله
من احتباس المطر والجراد واختلاف الهوا فقال لوزيره قل انت فانك اعقل فلعلك يعادل عقول الرعية
ويزيد عليها فقال انما يضر بارتفاعها تغير رأي السلطان في رعيته واضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال
لله ابوك بهذا العقل اهلك الملوك لما اهلك له ودفع اليه الدرة فجعلها في فيه السادسة والعشرون
امره بالسؤال عن الدار قبل سلوك طريق من الرفيق فيها لغاية ان يجتنبها ان كان شرا ويختارها ان كان
خيرا وعن الرفيق اما رجحي ولاحرني وذلك من اجل حذر الدار لسكنى الدار وغاية المذكورة وروي
هذا الكلام مرفوعا السابعة والعشرون منه تحذيره ان يذكر من الكلام ما كان مضحكا سواء كان عن نفسه او عن غيره
لما يستلزم ذلك من الهوان وقطع انه في النفوس الثامنة والعشرون ومعناه في الشأن باموراحداها الحذر
من غش ورتهم ونبه على وجوب الحذر بضمير صغراه قوله فان رأيتني الى قوله وهن وذلك لنقصان حقوق بعض
وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي ان يحذر من استشارته لان ضعف الرأي مظنة الخطأ وعدم
اصابة وجه المصلحة فالاستشارة فيه الثانية ان يكشف عليه من العيارين يجابه ايا هو وهو من انفع الكلمات
عن الحب ومن زايده وتحيل ان يكون [illegible] ونبه على وجوب [illegible] بضمير صغراه قوله فان شدة الحجاب ابقى عليهن

اى ابتى سنه والعقد من الجزوع والتسريح وادوم الحفظ وتقدير الكبرى وكلما كان ذلك وجب فعلا اقتات به فلا به
لا يجوز ان يرضى به او فال من لا يوثق به عليهن وهو اعم من الرجال والنساء والكلام فى قوة صغرى ضمير دليله فلا ذلك الخ
وتقديرها ان ادخال من لا يوثق به عليهن اما مساو لخروجهن فى المفسدة او اشد وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا يجوز
الرخصة فيه وانما كان اشد فى بعض الصور لان دخول من لا يوثق به عليهن امكن لخلوته بهن والحديث معهن خفيا دون
الناس والرابع امره ان لا يجعل اسباب المعرفة بينه وبين غيره لكون معرفتهن بغيره مظنة المفسدة وقرينه لكل من
غيرا وله الا ربه كالولد والمحرم وانما شرط فى ذلك الاستطاعة لانه قد لا يمكن الانسان فى نوع سوقهن لغيره مطلقا
الخامس نهاه ان يملك المراة من امرها ما جاوز من نفسها من ماكولها وملبوسها ونحوه وما جاوز ذلك كالشفاعات
ونبه على عدم صلوحها لذلك بضمير صغراه قوله فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة واستعار لها لفظ الريحانة
باعتبار كونها محلا للذة والاستمتاع بها ولعل تخصيص الريحانة بالاستعارة لان شان نساء العرب استعمال
الطيب كثيرا وكنى بكونها غير قهرمانة عن كونها لم تخلق للكون حاكمة متسلطة بل من شانها ان تكون محكوما عليها وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغى ان يجاوز بها امر نفسها ويمكن من التصرف فى امر غيره السادس ولك ينبه
ان لا يجاوز بكرامتها نفسها اى لا يكرمها بكرامة تتعدى صلاح نفسها وهو كقبول شفاعتها فى غيرها السابع ولك ينبه
ان يطمعها فى الشفاعة لغيرها لان ذلك مجاوزة بها لحد نفسها وقد نبه على انها ليست باهل لذلك فاى بليغ
نقصان الغريزة وضعف الراى الثامن نهاه عن التغاير فى غير موضع الغيرة ونبه على ما فى ذلك من المفسدة
بضمير صغراه قوله فان ذلك الى قول السقم وكنى بالسقيمة من البرية عن الجنابة والفساد وبالسقيمة وانما كان
كذلك لان المراة حين براءتها من الفساد تستنبع ذلك وتستنكره لمواجهة وتستشعر خوف الغيرة والغضب
فاذا نسبت الى ذلك مع براءتها منه هتك حجابها فى اول الامر ثم اذا تكرر ذلك من الرجل لان عليها امره وصار لومه
لها فى قوة الاغراء بها بذلك وقد علمت ان فى الطباع الحرص على ما منع منه فكانت الغيرة فى غير موضعها
والابنه بسبب التخيل الفاسد على الامر بفعل امرادها الى قوله وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك لم يجز فعله التاسع
والعشرون امره ان يجعل لكل انسان من خدمه شغلا مخصوصا يأخذه بفعله ويؤاخذه على تركه وذكر من حكمته فانه
ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه احرى الى قوله فذلك وذلك انهم اذا اشتركوا فى التكليف بفعل واحد
يقوم به كل واحد منهم فالغالب عليهم ان يتكل كل واحد منهم فعله الى الآخر فيستلزم ذلك ان لا يفعل وتقدير الكبرى
[illegible] ان لوله مثله وبه والنظر الى كمالك فمن كان منهم ذا صلاح فيه احسن عاريتها قوله فاخرج من كان منهم
ذا عيبه قوله بحثه ومن كان منهم ذا اسرار فيه احسن ايتام عليها قوله النفقات والقرينة وهذا فى نحو ما [illegible]
دارك ولا تجعل امرك فرضى بين ولدك فقيد عليك حالك الثلاثون امره باكرام عشيرته ونبه على ذلك
بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح باعتبار كونهم سببا لنهوضه وقوته على الحركة الى المطالب
كالجناح الطائر ورشح بذكر الطيران وكذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محل صولته على العدو وتقدير الكبرى وكل من
كان كذلك وجب عليك اكرامه ثم ختم الوصية بوداعه واستيداع الله دينه ودنياه وسؤاله خير القضاء له فى عاجله
وآجله ودار به دنياه وآخرته حسب ارادة فعله ومشيئته ولفظ الاستيداع مجاز فى طلب الحفظ من الله

اياه

اياه وبالله التوفيق والعصمة **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية وارديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك
والقيتهم فى موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولوا على ادبارهم
وعولوا على احسابهم الا من فاء من اهل البصائر فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ حملتهم
على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معوية فى نفسك وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة
عنك والآخرة قريبة منك والسلم **اقول** اول هذا الكتاب من عبد الله امير المؤمنين الى معوية بن ابى سفيان
اما بعد فان الدنيا دار تجارة وربحها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها الاعمال الصالحة ومن راى الدنيا بعينها
وقدرها بقدرها وانى لاعظك مع علمى بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى اخذ على العلماء
ان يؤدوا الامانة وان ينصحوا الغوى والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقارا ومن حقت عليه كلمة
العذاب فان الله بالمرصاد وان دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فاقلع عما انت عليه من الغى والضلال على كبر
سنك وفناء عمرك فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل الذى لا يصلح من جانب الا فسد من آخر ثم يتصل به وقد اردى
الفصل والمهيل المتداعى فى التمزق ومنه رمل مهيل اى ينهال ويسيل واردت اهلكت والجيل الصنف من الناس
جيلا وهو الخلق وجاروا عدلوا والوجهة القصد والنكوص الرجوع وعولوا كذا اعتمدوا عليه وفاء رجع والموازرة
المعاونة وفى الكتاب مقاصد الاول موعظته وتذكيره بحال الدنيا وكونها دار تجارة والغاية من التجارة فيها
الربح الآخرة بصلاح البضاعة وهى الاعمال والخسران الآخرة بفسادها الثانى نبهه على ان يرى الدنيا بعينها
اى يعرفها بحقيقتها ادراكا بالعين التى بها تعرف وهى عين البصيرة ويعلم ما هى عليه من التغير والزوال وانها
خلقت لغيرها ليقدرها بقدرها ويجعلها فى نفوسه كما خلقت له الثالث نبهه على ان موعظته اياه مع علمه بما
علم الله وقدره فى حقه [illegible] ووفاء بعهده على العلماء ان يؤدوا امانته ويبلغوا
احكامه الى خلقه وان ينصحوا ضالهم ورشيدهم الرابع امره بتقوى الله ونهاه ان يكون ممن لا يرجو لله وقارا
اى لا يترجى منه عظمته ويخشه والوقار اسم من التوقير وهو التعظيم وقيل الرجا هنا بمعنى الخوف يكون
مجازا اطلاقا لاسم احد الضدين على الآخر وان يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب وقوله فان الله بالمرصاد
تنبيه له على اطلاعه عليه وعلمه بما يفعل ليرتدع عن معصيته الخامس نبهه على ادبار الدنيا وعودها حسرة عليه يوم القيمة
عند فقدها مع مشقة بها وعدم تمسكه فى الآخرة بعصم النجاة وذلك زاده اليها السادس امره بالاقلاع من الغى
والجهل والضلال على حال كبر سنه وفناء عمره فان تلك الحال اوسط الاحوال بالانابة ونبه على انه غير قابل للاصلاح
فى ذلك السن بعد استحكام جهله وتمكن الهيئات الرديئة من جوهر نفسه وشبهه فى ذلك بالثوب الخلق الذى لا يمكن اصلاحه
بالمخياطة بل كلما خيط من جانب تمزق من آخر السابع اخذ فى معرض التوبيخ على ما فعل بامثال من خدعهم
والقاهم فى موج بحره [illegible] استعار لفظ البحر
لاحوال الدنيا والانحراف عن طريق الله باعتبار كثرتها وبعد غايتها ولفظ الموج لما يشتبهه من اغراض [illegible]
اليهم [illegible] فيها يريد من الاغراض الباطلة ورشح بها لموج فى تغشيها باذهانهم واضطراب احوالهم بسببها [illegible]
وكذلك استعار لفظ الظلمات لما يحجب الابصار عن ادراك الحق من تلك الشبهات ولفظ الغشيان [illegible]

علماؤهم وجهالهم لما وقع بينهم من الشبه على الأحوال وكذلك لفظ القتام في تلك الشبهات بعقولهم وقوله في رواية عطف
على التشبيه وأراد أنهم عدلوا عن الحق بسبب ما ألقاه إليهم من الشبه واعتمد والتوكل على أحسابهم حمية الجاهلية والذ
عن أصولهم ومفاخرهم دون مراعاة الدين والذهب عنه الأمن يرجع إلى الحق من أهل العقول فإنهم عرفوك وما أنت
عليه من الضلال فارقوك وهربوا إلى الله من موازرتك فيما تريده من هدم الدين حين حملتهم على الأمور الصعبة
المادية له وعدلت بهم عن قصد الحق وقد كان استغوى بالشبهة قليل عقولهم والطلب به [illegible] على عرف عقلائهم والمتمكن
بالدين منهم أن ذلك مذهب لا رادة له فارقوه وأقبلوا وقوله على أعقابهم وعلى أدبارهم ترشيح لاستعارة
لفظ النكوص والتوسل من المحسوسين المعقولين والاستثناء من الجيل الذين مدحهم ولفظ الصعب مستعار لما حملهم
عليه من الأمور المستصعبة في الدين باعتبار أن ركوبهم لها يستلزم عدولهم عن صراطه ووقوعهم في مهاوي
الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق وتقحم المهالك وكذلك لفظ
مستعار لطريق المعقول إلى الحق من الطريق المحسوس ثم كرر عليه الأمر بتقوى الله وأن لا يجاذب الشيطان بقياده
واستعار لفظ [illegible] المعقولة ولفظ القياد لما يقوده به من آرائه الباطلة وكونه قائدا إلى الهلاك وما يعتقد
الشيطان لذلك القياد بجذب النفس الأمارة فيما يوسوس به من ذلك الآراء وقوله فإن الدنيا إلى الآخرة
تنبيه له على وجوب قطع الآمال المرجوة له من متاع الدنيا وعلى العمل للآخرة بقربها وهو في قوة صغرى ضمير تقديره
كبرى الأول وكلما كان منقطعا زائلا وجب أن يقطع الأمل فيه المنقطع ولا يجاذب الشيطان في دعوته إليه وتقدير
كبرى الثاني وكلما كان قريبا فينبغي أن يستعد لوصوله بالعمل له وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام
إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ
مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ
فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ
وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ وَالنَّاصِحِ اللَّبِيبِ التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ
لِإِمَامِهِ وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ وَلَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً وَلَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً أقول هو قثم بن العباس بن عبد المطلب
ولم يزل واليا لعلي عليه السلم على مكة حتى قتل عليه السلم واستشهد بسمرقند في زمن معوية وسبب هذا الكتاب
أن معوية كان قد بعث إلى مكة في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون إلى طاعته ويثبطون العرب عن
نصرة علي عليه السلم ويلقون في أنفسهم أنه إما قاتل عثمان أو خاذل له وعلى التقديرين فلا يصلح للإمامة وينشرون
محاسن معوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته في الخلافة فكتب عليه السلم هذا الكتاب إلى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليتنبه
لما ينبغي من السياسة وقيل أن الذين بعثهم بعض السرايا التي كان يبعثها للغارة على أعمال علي عليه السلم والعين الجاسوس
والموسم مجمع الحاج والأكمه الأعمى خلقة والبطر شدة الفرح وكثرة النشاط والبأساء الشدة بني على فعلاء والفشل له
لانه أم غير صفة والفشل الجبن والضعف وحاصل الكتاب إعلام إليه بما كتب إليه عينه بالمغرب وأراد الشام
لأنها من البلاد المغربية وقد كان له عليه السلم في البلاد جواسيس تخبره بما يتجدد من الأمور عند معوية ولمعوية
عنده كما جرت عادة الملوك بمثله ثم وصف أهل الشام بأوصاف يستلزم البعد من الله لغرض التنفير عنهم لعدم

شمول الغفلة لهم من كل وجه على ما خلقوا لأجله واستعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم عقليتهم الحق وإدراكهم ما ينبغي من
طرق الآخرة كما لا يدرك الأعمى مقصده ولفظ الصم لأسماعهم والكمه لأبصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الأسماع
بالمواعظ والتذكر ومن جهة الأبصار بتحصيل العبرة بما من آثار رحمة الله سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقد هذه الآلات
الثانية كونهم يلبسون الحق بالباطل أي يخلطونه ويموهونه والمراد أنهم يعلمون أنه على الحق وأن معوية على الباطل
ثم يكتمون ذلك ويغطونه بشبهة قتل عثمان والطلب بدمه إلى غير ذلك من أباطيلهم وروي يلبسون الحق بالباطل
أي كأنوا يلبسون حقا جعلوا كالثوب الباطل الثالث كونهم يطيعون المخلوق أي معوية في معصية الخالق الرابع كونهم
يحتلبون الدنيا درها بالدين واستعار لفظ الدر لمتاع الدنيا وطيباتها ولفظ الاحتلاب لاستخراج متاعها
بوجوه الطلب عن مظانها ملاحظة لشبهها بالناقة ودرها المطلوب منها من الدنيا وإنما كان ذلك بالدين لأنه إظهارهم
لشعاره ونسكهم بظواهره لغرض تحصيل الدنيا وأخذهم بما يستحقونه فإنه كان محاربتهم له عليه السلم إنما كانت
كما زعموا للأخذ بثأر الخليفة عثمان والإنكار على قاتليه وخاذليه ولذلك تمكنوا من تألف قلوب العرب وأكثر
جهال المسلمين على حربه عليه السلم وأخذ البلاد الخامس شراؤهم عاجل الدنيا بآجل الأبرار وهو ثواب الآخرة
ولفظ الشرى استعارة لاستعاضتهم ذلك العاجل من ذلك الآجل وإنما كان ذلك في شعار الإسلام هو الخسران المبين
ذكره في معرض ذمهم ثم ذكر في مقام الوعد والوعيد لهم انحصار الفوز بالخير في عامل الخير ترغيبا فيه والمجازاة
بالشر في فاعله تنفيرا عنه ثم ختم بأمره وتحذيره أما أمره فبأن يقيم على ما في يده من العمل مقام من هو أهل ذلك
وهو الحازم الثابت في آرائه الصليب في طاعة الله الناصح اللبيب له ولأوليائه التابع لسلطانه المطيع لإمامه
وأما تحذيره فمما يعتذر منه وهو كل أمر يقدح في الشرع معصيته وتقصيرا عن أداء حقه وردي الكلمات فرغم
ثم من البطر في النعم والفشل والضعف عند البأساء والشدة لكون ذلك عند الزوال النعمة وطول النقم
والبطر رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر والعجب وتقابل فضيلة التواضع والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة
وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر
في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها وَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي
الْجَهْدِ وَلَا ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَأَعْجَبُ
إِلَيْكَ وِلَايَةً إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقَدِ
اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ وَلَاقَى حِمَامَهُ وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ وَامْضِ
عَلَى بَصِيرَتِكَ وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ وَأَكْثِرِ الِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ وَيُعِنْكَ
عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ وَالسَّلَامُ أقول السبب أن محمد بن أبي بكر كان يضعف عن لقاء العدو ولم يكن في أصحابه علي عليه السلم
أقوى بأسا في الحرب من الأشتر رحمه الله وكان معوية بعد وقايع صفين قد تجرد للغارة على أطراف بلاد المسلمين
وقد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم أنها لا تحفظ إلا بالأشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره
ووجهه إليها فبلغه أن محمدا تألم من ذلك ثم إن الأشتر مات قبل وصوله إليها فكتب عليه السلم إلى محمد هذا الكتاب وهو
يؤذن بإقراره على عمله واسترضائه وتعريفه وجه عذره في تولية الأشتر لعمله وأنه لم يكن ذلك لموجدة عليه

ولا تقصير منه والموجدة ما يجده الانسان من الغضب والاثم عنه والتسرع الى الارسال والاعجال الى الصحو والبصيرة بها
الحرو والمدى في الدين وحاصل الفصل امور الاول قوله فقد بلغني الى قوله عليك كان قد اراد به الاشباه التي
في حقه ترتب عليه ما يشبه الاعتذار اليه الثاني قوله وانا لم افعل ذلك الى قوله لما اغتد به الشبه العذر في
التقصير والاستبطاء في الجهاد وكره ما ساءه توجهه سبب العزل ثم وعده بما يقدر تمام عزله بما يتأمر هو اسهل
عليه كلفة واحب اليه ولذلك ثبتك لقلبه عن مصر بالترغيب بما هو خير منها ثم اشار الى وجه بعثه الاشتر في معرض
ذلك اثنا عليه بما استجمع من خصال الجنة المذكورة وهي كونه ناصحا وعلى عدوه شديدا ناقما الى حكم وغير
ومجده وان كان له الامر الاول الا انه في الثاني ضعيف الثالث قوله فرحم الله الى قوله الثواب اعلام بانه
مات وهو عنه راض لئلا يظن به شماتة الرابع قوله فاصحر الى آخره امر له بالاستعداد للعدو وامره بالاصحار له
لاشعاره بالقوة دون الاستتار في المدينة المشعر بالضعف وان يمضي في كاربه ما تجهز في الحق وان سرا
ينه وكني وصف التشمير عن الاستعداد للحرب وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي
احسن وان يكثر الاستعانة بالله فان الرغبة اليه والاستعانة به تعداد كاف ضد النصر وكفاية ما اهم من امر العدو
ومعونته على ما نزل من الشدايد وبالله التوفيق والعصمة **ومن كتاب له عليه السلام** الى عبد الله بن عباس رضي
بعد مقتل محمد بن ابي بكر بمصر أمّا بَعْدُ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَدِ اسْتُشْهِدَ فَعِنْدَ اللّٰهِ نَحْتَسِبُهُ
وَلَداً نَاصِحاً وَعَامِلاً كَادِحاً وَسَيْفاً قَاطِعاً وَرُكْناً دَافِعاً وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ
الْوَقْعَةِ وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً وَعَوْداً وَبَدْءاً فَمِنْهُمُ الْآتِي كَارِهاً وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً أَسْأَلُ اللّٰهَ
أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً فَوَاللّٰهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ لَأَحْبَبْتُ
أَنْ لَا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً **اقول** احتسبت كذا عند الله اي طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهي
الاجر والشهادة القتل في سبيل الله واستشهد كانه استحضر الى الله ومدار الكتاب على امور احدها اعلامه
بفتح مصر وقتل محمد بن ابي بكر لما هو في اهم هذه المصيبة ومدحه في معرض التفجع عليه والتوجع له ولدا وعاملا
وسيفا وركنا احوال ونسبه ولدا اما باعتبار تربيته في حجره كالولد وذلك انه كان ربيبه وامه اسماء
بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة ولما قتل جعفر تزوجها ابو بكر فولدت
له محمدا هذا فلما توفي عنها تزوجها علي عليه السلام فولدت له يحيى بن علي واستعار له لفظ السيف باعتبار كونه
يقطع به العدو ويصال به عليه ورشح بذكر القاطع وكذلك لفظ الركن باعتبار كونه يستند اليه في الحوادث
فيدفع به ورشح بقوله دافعا الثاني اعلامه بما لقي من الناس في معرض الشكوى منهم وانه قد حثهم على لحاقه
واغاثته فلم يسمعوا قوله واشار الى وجه تقصير كل منهم وقد كان حاله عليه السلام مع الناس كحال رسول الله صلى الله عليه وآله
مع قومه فالآتون كارهين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والمعتلون كذبا كالذين قالوا لو
استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ومن تأمل حالهما وسيرتهما الى آخر يجد
وجه الشبه بينهما في اكثر الاحوال وهذه القسمة لم تحصر ما وجد هم الثالث سؤاله ربه ان يجعل له منهم الفرج وهو
في معرض الشكوى منهم ايضا الاشارة الى وجه عذره في المقام بينهم على هذه الحال وهو طلبه للشهادة وتوطينه نفسه

في الموت

في الموت عند لقاء العدو ولولا ذلك لفارقهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** في ذكر جيش انفذه الى بعض
الاعداء وهو جواب كتاب كتبه اليه اخوه عقيل بن ابي طالب فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا بَلَغَهُ
ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً وَنَكَصَ نَادِماً فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلَا وَلَا فَمَا كَانَ
إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ الرَّمَقِ فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً
وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّٰهِ
قَبْلِي فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ
فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللّٰهَ لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ
أَبِيكَ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ وَلَا وَطِئَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ
الْمُتَقَعِّدِ وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ يَعِزُّ عَلَيَّ
أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ **اقول** طفلت الشمس بالتشديد اذا مالت للمغيب وآبت لغة
في غابت والجريض المغموم المهموم الذي يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد ويكاد يموت من ذلك والمخنق بالتشديد
موضع الخنق من العنق والرمق بقية النفس واللأي الشدة والعسر والجماح [illegible]
جمع جارية وهي النفوس تجري بالسنة والمحلين من نقض البيعة يقال لمن نقض عهده وبيعته محل ولمن حفظ
محرم والمتقعد الراكب لاقتعاده ظهر البعير وحاصل الفصل امور احدها قوله فسرحت الى قوله ما نجا حكاية
حال عدو قد اغار على بعض اعماله فبعث اليه جيشا من المسلمين فهرب حين علم بوجههم نحوه ثم لحقوه فقاتلوه
قليلا ثم افلت منهم على شدة وعسر من الخلاص والفاظه عليه السلام افصح العبارات عما ذكره [illegible]
احوال وقوله كلا ولا تشبيه بالقليل السريع واصله ان لا ولا لفظان قصيران سريعا الانقطاع
في المسموع من المتخاطبين فشبه بهما ما كان من محاربة العدو والجيش الذي نفذه ونحوه قول ابن هانئ المغربي
واسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا ولا وموقف مصدر اي فما كان ذلك القتال الا كوقوف
ساعة وروي [illegible] مصدر والعامل محذوف والمصدر في موضع الحال والتقدير فلأي لأيا
بجاوزه اي عسرا وابطاء وقوله بلأي كأنه اي لأيا مقرونا بلأي الثاني قوله فدع عنك الى قوله ابن امي كالجواب
لكلام ذكر فيه قريشا ومن انضم منهم الى معاوية فامره عليه السلام بالاضراب عن ذكرهم على سبيل الغضب منهم [illegible]
في قوله وتركاضهم [illegible] واستعار لهم لفظ التركاض باعتبار خبط
آرائهم في الضلال عن سبيل الله وخوضهم في الباطل مسرعا فيه من غير توقف وكذلك لفظ التجوال ولفظ الجماح
باعتبار كثرة خلافهم الحق وحركاتهم في تيه الجهل والخروج عن طريق العدل كالفرس الجموح وقوله فانهم الى
قوله صلى الله عليه وآله في قوة صغرى ضمير تنبيه على انه لا يعتد بهم ولا يجب الاعراض عنهم وتقدير الكبرى
وكل من كان كذلك فينبغي تركه والاعراض عنه اذ لا يرجى خيره واما حجة الصغرى فظاهرة لان قريشا [illegible]
على حربه منذ بويع لفضله وحسدا وحقدا عليه واتفقوا على ما تفعله كما كانت حالهم في بدو الاسلام مع
رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفترق الحالان في شيء من ذلك وقوله فجزت قريشا عني الجوازي دعاء عليهم

بان لهما زما ابتلى فعلهم به من قطيعة الرحم وسلب سلطان الاسلام والخلافة التي هو اولى بها وهي تجري مجرى المثل
وقوله هذه قطعوا رحمي كالتعليل لحسن الدعاء عليهم وهو في قوة صغرى ضمير اقيد وتقدير كبراه وكل من فعل ذلك
فهو حقيق بالدعاء عليه واراد بابن امه رسول الله صلى الله عليه وآله لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ
ابن مخزوم ام عبد الله وابي طالب ولم يقل ابن ابيه لان غير ابي طالب من الاعمام يشركه في النسب الى
عبد المطلب وقيل لان امه فاطمة بنت اسد كانت تربت رسول الله صلى الله عليه وآله حين كفله ابو طالب
فهي كالام له فاطلق عليها البنوة مجازا الثالث قوله واما ما سالت عنه الخ هو تقرير لسؤاله والجواب
عنه وفيه تنبيه على فضيلته من وجوه الاول قوته في الدين على من احل ذمة الله ونقض عهدا من عهوده الثاني
شجاعته التي لا يزيده معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة ولا توحد معها بالصفات
المذكورة من الجبن والعجز والانقياد للعدو ولكنه معها كالقائل والشعر منسوب الى العباس بن مرداس
السلمي وهو في قوة تمثيل اصله القائل وفرعه هو عليه السلم وعلته ما ذكر من الاوصاف وحكمه كونه شجاعا
يجب الحذر من صولته وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم الى معوية** فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء
المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك
الحجاج في عثمن وقتلته فانك انما نصرت عثمن حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له **اقول** اول
هذا الكتاب اما بعد فان الدنيا حلوة خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا شغلته بفتنتها
عما هو انفع له منها وبالآخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذي
اليه مصيرك والحساب الذي اليه عاقبتك واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيرا حال بينه وبين ما يكره
ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شرا اغراه بالدنيا وانساه الآخرة وبسط له امله وعاقه عما فيه
صلاحه وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط في عماية وتتيه
في ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ باضعف شبهة فاما سؤالك الي المتاركة والاقرار لك على الشام
فلو كنت فاعلا ذلك اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكها فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه
وعزل عثمن من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن كان
قبله او خفي عنهم عيبه والامر يحدث بعده الامر ولكل وال راي واجتهاد ثم يتصل بقوله فسبحان الله الى آخره
والفصل يشتمل على امرين احدهما التعجب من شدة لزومه للاهواء التي ابتدعها والحيرة جنابه عن قصد الحق
وذلك انه كان في كل وقت يرجع شبهة ويتبع رايا يغوي به اصحابه ويقرر في اذهانهم بذلك
ان عليا عليه السلم لا يصلح للامامة فتارة يقول انه قتل عثمن وتارة يزعم انه خذله وتارة انه قتل
الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة يصرف عنه بالعطاء وتفريق مال المسلمين على غير الوجه الشرعي وتارة
يعترف بكونه صالحا للامامة ويطلب اليه الاقرار على الشام الى غير ذلك مما يبتدعه في الدين من الاباطيل
ويتبع الحيرة فيها مع تضييعه لحقائق الامور التي ينبغي ان يعتقدها من كونه عليه السلم احق بهذا الامر واطراحه
لوثائق الله وعهوده المطلوبة المرضية له وهي على عباده حجة يوم القيمة كما قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق

الثاني جوابه عن خطابه في امر عثمن وقتله بنصرته وتبكيته عليه السلم بخذلانه اياه وقوله فانك الى آخره في قوة
صغرى ضمير بيانها ان معوية لما استصرخه عثمن تثاقل عنه وهو في ذلك يعده حتى اذا اشتد به الحصار
بعث اليه يزيد بن اسد القسري وقال له اذا اتيت ذا خشب فاقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب
فانني انا الشاهد وانت الغائب قال فاقام بذي خشب حتى قتل عثمن فاستقدمه معوية فعاد الى الشام
بالجيش الذي كان معه فكان نصرة لاجله بعث لنصرته انما كان على سبيل التعذير والتقاعد عنه لتقتيل
فيعود هو الى نفسه فكان ذلك النصرة الحقيقية لمعوية اذ كان فعل ذلك سببا لقتله وانتصاره هو مطالبه
من هذا الامر وكان خذلانه لاجل كان محتاجا الى النصرة وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يحتج
بنصرته ويعيب غيره الى خذلانه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رح
من عبد الله امير المؤمنين الى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه
على البر والفاجر والمقيم والظاعن فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم
عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروع اشد على الكفار من حريق النار
وهو مالك بن الحرث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة
ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر
ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته على عدوكم **اقول** السرادق البيت
من القطن والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد السيف ونبا السيف اذا لم يقطع والاحجام التأخر
وفلان شديد الشكيمة اذا كان ابيا قوي النفس واصل الشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس وخلاصة الكتاب
مقاصد الاول قوله من عبد الله الى قوله يتناهى عنه صورة عنوانه ووصف اهل مصر بالغضب لله استجلابا
لطباعهم واشارة الى انكارهم للاحداث التي نسبت الى عثمن وسيرهم لذلك الى المدينة غضبا لحدود الله
ان تعطل فان قلت فيلزم ان يكون عليه السلم راضيا بقتل عثمن اذ مدح القادمين المسير لقتله قلت لا يلزم
ذلك لجواز ان يكون مسيرهم انما كان للنكير عليه دون غرض قتله فمدحهم على ذلك النكير لا لما جرى وانما
قاتلوه والذين تسوروا عليه الدار كانوا قليلين ولعله لم يكن فيهم من اهل مصر الا النادر وليس
في كلامه عليه السلم ما يقتضي مدح اولئك باعتبار كونهم قتلة واستعار لفظ السرادق لما عم من الجور البر والفاجر
والمقيم والمسافر كالسرادق المحيط لاهله وقابل بين المعروف والمنكر ولم يرد نفي المنكر بل نفي تناهي الناس
عنه الثاني قوله اما بعد الى قوله اخو مذحج صدر الكتاب اعلمهم فيه ببعث الاشتر اليهم ووصفه بالصفات
المستلزمة لرغبتهم فيه وكنى بكونه لا ينام ايام الخوف عن علو همته وتيقظه حين الخوف بتدبير الحرب والاستعداد
للقاء العدو وبكونه لا ينكل عن الاعداء عن شجاعته وشدة بأسه واكد ذلك بوصف كونه اشد على الكفار من حريق
النار وهو وصف صادق مع المبالغة فيه اذ كان لقاؤه الكفار يستلزم غلبته لهم وتمكنه باهلاكهم وعدم السلامة
ولا كذلك وجود الحريق لطمعهم في الفرار من النار واطفائها ثم ذكره بعد تقديم اوصافه الحميدة وهو ابلغ في
الغرض الاهم وصفه وذكره فقط وفيه جرح نخع اليمن كسبه ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن ادد

ابن سبا وانه نفع قبله من هذه الفتنة واستشر تخفى ان تك امرهم بالمقصود وهو السمع له والطاعة لامره لا مطلقا بل فيما يطابق الحق ويوافقه من الاوامر واشار الى حسن امتثال امره بقيد بغير صغواه قوله فانه سيف الى قوله الضريبة واستعار لفظ السيف باعتبار كونه يصال به على العدو فيفلك كالسيف ورشح بذكر الظبة وكنى بكونه غير كليل ولا نابي الضريبة عن كونه ماضيا في الحوادث غير واقف فيها ولا راجع عنها ولا نافذ الى الضريبة اضافة اسم الفاعل الى المفعول اي ولا نابيا عن الضريبة وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب ان يقدم ويمتثل امره فيما يشير به من الحرب وغيرها الثالث امرهم ان يكونوا في نفارهم الى الحرب واحجامهم عنها واقفين على امره ونبه على ذلك بقيد بغير صغواه قوله فانه الى قوله امري وكنى بذلك عن كونه لا يامرهم بالحرب وغيرها بامر الا وهو ذو من عندي لان اوامره عليه السلام كانت كذلك فمن كان عنه قضايا فامره ايضا كذلك ولم يرد به ان كل ما يامر به مالك من الامور الكلية والجزئية فانه من امره عليه السلام بالتعيين والتفصيل بل اراد انه قد علمه قواعد كلية للسياسات وتدابير المدن والحروب واخذه اذاك بحيث يمكنه ان يجتهد فيها ويستخرج جزئياتها الخامس اعلمهم انه قد آثرهم به على نفسه مع حاجته اليه من الراي والتدبير في معرض الامتنان عليهم بذلك ليشكروه واشار الى علة ايثاره لهم به وهي كونه ناصحا لهم قوي النفس شديد الوطأة على عدوهم وكنى بشدة الشكيمة عن ذلك فان ما سلكه عليه السلام في ذلك الايثار حد استقامة الامر لصلاح عالم وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى عمرو بن العاص فإنك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق اخذت ادركت ما طلبت فان يمكني الله منك ومن ابن ابي سفيان اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر لكما **اقول** قد ذكر هذا الكتاب برواية تزيد على هذه واوله من عبد الله علي امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص شانئ محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك تركت مروتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما وافق شن طبقه فسلبك دينك وامانتك ودنياك وآخرتك وكان علم الله بالغا فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام اذا ما الليل دجى يلتمس ان يداوسه وكيف تنجو من القدر ولو بالحق طلبت ادركت ما رجوت وقد رشد من كان الحق قائده فان يمكن الله منك ومن ابن آكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله وان تعجزا وتبقيا بعدي فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وعقابه عقابا والسلام الكتاب على توبيخ عمرو ومتابعته لمعوية في باطله وتنفيره عما هو عليه ووعيده لهما على ذلك ومعنى جعله دينه تبعا لدنيا معوية انه لعرفه في مرضاته بحسب ما يتصور حصوله عليه من دنياه كما اشرنا اليه قبل من تعديه في المظاهرة على حربه عليه السلام لطمعه في مصر ثم وصف معوية باوصاف اربعة لغاية التنفير عنه احدها كونه ظاهر غيه وضلال معوية عن طريق الله اوضح من ان يبرهن الثاني كونه مهتوك الستر ومن المشهور عنه انه كان من لستر دين الله عنه فانه كان يكثر الحلف في الانزال صاحب سمار وصبا لهو ولعب وشرب وسماع وقد كان يسير به في زمان عمر وعثمان الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة في ايام عثمان فكان شديد التهتك واما في زمن الخلافة بعد حيث قد عطل عليه السلام لا يحتاج الى ان يستنفر الناس فيظاهر الثالث كونه يشين الكريم بمجلسه وذلك ان الكريم هو الذي يبسط نفسه وينزهها عما يشين العرض من الرذائل وقد كان مجلس معوية مشحونا ببني امية ورذائلهم ومجالسة الكريم لهم يستلزم نسبته اليهم والى قبائحهم وذلك يشين العرض ويصغر قدره الرابع كونه يسفه الحليم بخلطته وذلك انه كان دابه هو وندمائه شتم بني هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه وان اظهروا الانتماء اليه وذلك ما يستفز الحليم ويسفهه ويثير الضغائن عند مخالطتهم وسماعه منهم وكنى باتباعه لاثره عن متابعته له فيما يفعله واشار بقوله وطلبت فضله الى غرض اتباعه وشبه اتباعه له باتباع الكلب الاسد تحقيرا له وتنفيرا ووجه الشبه بقوله يلوذ الى قوله فريسته واراد ان اتباعه له على وجه الذلة والحقارة ودناءة الهمة لطمع فيما يعطيه من فضل ماله وانتظار ذلك منه كاتباع الكلب الاسد وفي مثل هذا التشبيه بلاغ لعمرو في التنفير لو كان له كرم ثم نبهه على لازم اتباعه له بقوله فاذهبت دنياك وآخرتك واراد بدنياه ما كان ليبتغي به من الرزق الحلال على وجه تميزه به طيب نفس وامن من الحروب التي تبعا لصفين والاهوال التي باشرها في موافقته لمعوية وتلك هي الدنيا الحقة اذ الدنيا انما يراد للذة بها والاستمتاع وذلك على الكمال عليه عمرو واما ذهاب آخرته فظاهر وقوله ولو اخذت الى قوله طلبت جذب له الى لزوم الحق وترغيب بذكر لازمه معه وهو ادراك ما طلب من دنيا وآخرة وظاهر انه لو لزم الحق لوصل الى دنيا كاملة وآخرة باقية كما قلنا وقوله فان يمكن الله الى آخره وعيد بعذاب واقع على تقدير كل واحد من النقيضين وذلك العذاب اما بواسطته في الدنيا بتقدير تمكين الله منهما وهو اجزاؤه لهما بما قدما من معصية الله واما من الله في الآخرة على تقدير ان يعجزاه ويبقيا بعده وهو عذاب النار ونبه عليه بقوله فما امامكما شر لكما وكنى بالعذاب الاخروي اشد وابقى واستعار لفظ الامام للآخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجهها نحوها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي فلما رايت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الامة قد فتنت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم عن فيئهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متاثم من اخذه كانك لا ابا لغيرك حدرت الى اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد او ما تخاف نقاش الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما

حلالا وتبتاع الاما وتنكح النسا من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال
واحرز بهم هذه البلاد فاتق الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن
الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احدا الا دخل النار ووالله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي
فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله
رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكانك قد بلغت
المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة ويتمنى المضيع
الرجعة ولات حين مناص **اقول** المشهور ان هذا الكتاب الى عبد الله بن عباس حين كان واليا على البصرة
والفاظ الكتاب تنبو عن ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن وقوله فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت
ان ابن عباس كتب اليه جوابا عن هذا الكتاب اما بعد فقد اتاني كتابك تعظم فيه ما اصبت من بيت مال
البصرة ولعمري ان حقي في بيت المال اكثر مما اخذت والسلام فكتب عليه السلام جواب ذلك اما بعد فان من
العجب ان تزين لك نفسك ان لك في بيت المال من الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك
الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من الاثم ويحل لك المحارم انك لانت المهتدي السعيد اذن وقد بلغني انك
اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن على عينك
وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى رشدك وتب الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم
فعما قليل تفارق من الفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد فارقت
الاحباب وسكنت التراب وواجهت الحساب غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت والسلام وانكر قوم ذلك وقالوا
ان عبد الله بن عباس [illegible] عبد الله قال وحمله على ذلك اشبه وهو به اليق واعلم ان هذين القولين
لها اما الاول فهو مجرد استبعاد ان يفعل ابن عباس ما نسب اليه ومعلوم ان ابن عباس لم يكن معصوما
وعلي عليه السلام لم يكن ليراقب في الحق احدا ولو كان اعز اولاده كما تمثل بالحسن والحسين عليهما السلام في ذلك
فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون اغلظ على الاقرب فان هذا الامر اشد ثم غلظته عليه وعتابه له لا يوجب
مفارقته اياه لانه عليه السلام كان اذا فعل احد من اصحابه ما يستحق به المؤاخذة اخذه به سواء كان قريبا
او ذليلا قريبا منه او بعيدا فاذا استوفى حق الله منه او تاب اليه مما فعل عاد في حقه الى ما كان عليه
كما قال العزيز عندي ذليل حتى آخذ الحق منه والذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له فلا يلزم اذن من غلظته
على ابن عباس ومقابلته اياه بما يكره مفارقته له وشقاقه لما بينهما من المحبة الوكيدة والقرابة واما القول
الثاني فان عبد الله كان عاملا له عليه السلام باليمن ولم ينقل عنه مثل ذلك ولنرجع الى المتن فنقول الشعار
ما يلي الجسد من الثياب وبطانة الرجل خاصته وكلب الزمان شدته وحرب العدو اشتد غضبه والفتك
القتل على غرة وشغرت تفرقت والمجن الترس والازل خفيف الوركين والهوادة المصالحة والمصانعة
وضح رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة واصله الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسرعا ليسير فلا تشبع
فيقال له ضح رويدا والمناص المهرب والمخلص والنوص الهرب والتخلص وفي الكتاب مقاصد الاول

انه

انه ذكر باحسانه اليه في معرض الامتنان عليه من وجوه الاول اشراكه اياه في امانته التي ائتمنه الله عليها وهي ولاية
امر الرعية والقيام باصلاح امورهم في معاشهم ومعادهم الثاني جعله من خاصته وبطانته واستعار له لفظ
الشعار لمباشرته وملازمته الجسد الثالث كونه اوثق اهله في نفسه وانما هو منه لمواساته و
موازرته واداء الامانة اليه المقصود الثاني انه بعد تذكيره باحسانه اليه ذكر مقابلته لذلك بالاساءة اليه
في مفارقته اياه وخذلانه وخيانته لما تحت يده من الامانة عند رؤيته شدة الزمان عليه وقيام العدو
في حربه وتفرق كلمة الامة من الحق ليتبين انه قابل احسانه اليه بالكفران ليجمع ذمه على ذلك وتوبيخه فيه
وتوبيخه وارادة مفارقته له في الطريقة ولزوم ضد الامانة وقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن يضرب مثلا
لمن يكون مع اخيه فيتغير عليه ويصير خصما له واصله ان الرجل اذا كان سلما لاخيه يكون بطن ترسه اليه فاذا
فارقه وصار حربا له قلب له ظهر ترسه ليترس به من نفسه ما يلقاه من شره فجعل ذلك كناية عن العداوة
بعد الصداقة وضرب مثلا لمن فعل ذلك الثالث الاخذ في تعنيفه وتوبيخه وحكاية حاله في خيانته في معرض
التوبيخ وذلك قوله فلا ابن عمك آسيت الى قوله هذه البلاد وشبهه بمن لم يرد الله بجهاده بل الدنيا وبمن لم يكن
على بينة من ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه الشبه مشاركته لطالبي غير الله والجاهلين به في
طلب غيره والاعراض عنه وكذلك شبهه بمن لم يكن له غرض من عبادته الا خدع المسلمين واستمالة وجوه
فلما امكنتك الشدة الى قوله الكسيرة اي كما ان غرض الذي يكيد غيره عن شيء ان يترصد الفرصة في خدعه
وينتهزها اذا وجدها فكذلك انت في اسراعك بالوثوب على الخيانة وشبه اختطافه لما اخذه من المال باخذ
الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة ووجه الشبه سرعة اخذه له وخفته في ذلك وخص الذئب
الازل لان خفة الوركين يعينه على سرعة الوثبة والاختطاف ودامية المعزى الكسيرة لانها امكن للخطف
لعدم الممانعة ثم اخذ في معرض التوبيخ انه حمله الى وطنه بمكة وكنى بكونه رحيب الصدر به اما عن سروره وفرحه
او عن كثرة ما حمل منه لان من العادة اذا اراد الانسان حمل شيء في صدره وباعه وحوى منه ما امكنه
حمله [illegible] رحيب وغير [illegible] تقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ والتقريع
في حمله بمن حمل تراثه الى اهله من والديه واستفهم على سبيل التعجب من حاله [illegible]
عن ايمانه بالمعاد وخوفه من مناقشة الله في الحساب تذكيرا له وتنبيها انه كان معدودا في ذوي
العقول [illegible] كان شبهه له فانه لم يبق عنده ذلك الثاني في [illegible] اساغته الشراب والطعام
مع علمه انما ياكله ويشربه وينكح به من هذا المال حرام لكونه مال المسلمين اليتامى منهم والمساكين والمجاهدين
افاءه الله عليهم بجهادهم وجلادهم استفهام انكار وتقريع بذكر معصيته لله المقصود الرابع امره بعد
التوبيخ الطويل بتقوى الله ورد اموال المسلمين عليهم وتوعده ان لم يفعل ثم امكن الله منه ان يعذر الى
الله فيه اي يبلغ اليه بالعذر فيه وقتله وذكر الضرب بالسيف الموصوف بالصفة المذكورة اغلظ في
الوعيد وابلغ في الزجر المقصود الخامس اقسم ان ولديه [illegible] منه وذكر انهما عليه لو فعلا كفعله من
الخيانة لم يراقبهما في ذلك حتى ياخذ الحق منهما ويزيح الباطل عن مظلمتهما اي محل ظلمهما من مال او غيره ومراده ان غرضه

بطريق الاوسط في صحم المراقبة له ثم اقسم القسم البار انه ما يسره ان يكون ما اخذه ابن عباس من اموال المسلمين
حلالا له يخلفه ميراثا لمن بعده لما علمت ان جمع المال وادخاره سبب العذاب في الآخرة كما قال والذين
يكنزون الذهب والفضة الآية وقسم الاول كالعذر له في شدة الانكار عليه والثاني في تحقير ما اخذه من
انه لو كان اخذه على وجه حلال فلا يصح لمثله ان يخلف به وهو حرام وذلك ليتركه ويخرج عنه الى اهله السادس
امره بالامهال على سبيل التهديد بقرب الوصول الى الغاية التي هي الموت والدفن وعرض اعماله عليه بالمحل
الذي ينادي فيه الظالم بالحسرة ويتمنى فيه المضيع امر الله والعمل الصالح الرجعة الى الدنيا حين لا مخلص لهم
فيه وذلك المحل هو عرصة القيمة وذكر النداء بالحسرة حين لا رجعة ليتاكد التخويف والله يد تبتدا الامور
النقرة واما قوله ولات حين مناص فانهم شبهوا لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل ولا يستعمل لات
الا مع حين مرفوعة بانها اسم لات وقيل ان التاء زايدة كما في ثمت وربت وقد مر ذلك قبل **ومن كتاب**
له عليه السلم الى عمر بن ابي سلمة المخزومي وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمن بن عجلان
الزرقي مكانه اما بعد فاني قد وليت النعمن بن عجلان الزرقي على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب
عليك فلقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم ولا متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير
الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معي فانك ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة عمود الدين ان شاء الله
اقول عمر هذا هو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد بن هلال
بن عمر بن مخزوم واما النعمن بن عجلان فمن سادات الانصار من بني زريق والتثريب التعنيف والاستقصاء
اللوم والظنين المتهم واستظهرت بفلان اتخذته ظهيرا ومدار الكتاب على اعلام عمر بن ابي سلمة بانفاذ
النعمن عوضا منه ثم اعلامه بان ذلك لم يكن عن ذنب صدر منه يستحق به الذم والعزل وانه شاكر له لكونه
احسن ولايته وادى امانته ثم اعلامه بغرضه من عزله واستدعائه وهو الاستعانة به على عدوه كل ذلك
ليطيب قلبه ويفارق الولاية عن طيب نفس ونبه على وجه رغبته في حضوره معه بقوله فانك اه وهو في قوة
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من استظهر به على العدو واقامة عمود الدين فواجب ان ارغب في حضوره
واشهده معي ولفظ العمود مستعار للاصول التي يحفظ بها يقوم كالعمود للبيت باعتبار الترتيب **ومن كتاب**
له عليه السلم الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خرة بلغني عنك امر ان كنت فعلته
فقد اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه
دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة وبرا النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن بك
علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين
اعمالا الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون
عنه والسلم **اقول** اعتامك اختارك من بين الناس وقد علم بما بلغه من الصفات [illegible] اجمالا ليشعر به
واشعره انه لكرهه بالجزم وهو سخط الله وغضب امامه وفيه يقول ان كنت فعلته على عدم تحققه لذلك
ثم بين له ذلك وهو عطاؤه مال المسلمين لمن اختاره من اعراب قومه ووصف المال بكونه حازته

رماحهم وخيولهم وعليه اريقت دماؤهم ليتاكد في النفوس ويتبين وجه استحقاقهم له وبقدر ذلك يتاكد قبح قسمته
في غيرهم ثم اقسم قسم البار في معرض الوعيد ان كان ذلك منه حقا ان يجد به هوانا وحقارة عنده وخفة
وزنه في اعتباره وكنى به عن سقوط منزلته وميزانا نصب على التمييز ثم نهاه عن استهانته بحق ربه وعن اصلاح
دنياه بفساد دينه بتبذير حقوق الله ووجوب المحافظة على طاعته ونبه على ما يلزم من ذلك من دخوله في زمرة
الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم نبهه على قبح ما فعل من تخصيص
قومه بذلك المال بقوله الا وان الى قوله سواء وهو في قوة صغرى ضمير وقوله يردون اليه ويصدرون عنه
تاكيد لتساويهم في الاستحقاق وانه لهم كالشريعة المشتركة وتقدير كبراه وكل حق سواء بين المسلمين فلا يجوز
تخصيص بعضهم به وقد ذكرنا حال مصقلة من قبل وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى زياد بن ابيه وقد بلغه
ان معوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك
فاحذره فانما هو الشيطان ياتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته
وقد كان من ابي سفين في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات
الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب فلما
قرا زياد الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معوية قوله عليه السلم كالواغل المدفع
الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ما
يناط برحل الراكب من قعب او قدح وما اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره **اقول**
زياد هذا هو دعي ابي سفيان ويقال زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان الثقفي والاكثرون على انه
كان عبدا وانه بقي الى ايام زياد فابتاعه واعتقه واما ادعاء ابي سفين له فروي انه تكلم يوما بحضرة عمر خطبة
اعجب الحاضرين فقال عمرو بن العاص لله ابوه لو كان ابوه قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفين انه لقرشي
ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله وضعته في رحم امه قال فهلا تستلحقه قال اخاف
هذا العير الجالس ان يخرق علي اهابي يعني عمر ولما ولي علي عليه السلم الخلافة ولى زيادا فارس فضبطها ضبطا حسنا
وحماها فكتب اليه معوية يخدعه باستلحاقه اخاه من امير المؤمنين معوية بن ابي سفين اما بعد فان المرء ربما
اهوى في مطاريح العطب وانك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بي
وبغضك لي على ان عققت قرابتي وقطعت رحمي وبتت نسبي وحرمتي كانك لست اخي وليس صخر بن حرب
اباك وابي وشتان بيني وبينك اطلب بدم ابن العاص وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق الرخاوة
من قبل النساء فكنت كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحها وقد رايت ان اعطف عليك ولا اواخذك
بسوء سعيك وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك واعلم ابا المغيرة انك لو خضت البحر في طاعة القوم
تضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم الا بعدا فان بني عبد شمس ابغض الى بني هاشم من الشفرة
الى الثور الصريع وقد اوثق للذبح فارجع رحمك الله الى اصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصول يطير
بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمري ما فعل ذلك بك الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة

من امرك ووضع من حجتك فان اجبت جانبي ودنت بما فارقته بامره وان كرهت جانبي ولم تنتهوا
فقتل جمل لا عقاد ولا اله وكلم وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة اليه وكان ذلك بعد قتادة عثمن
بعده عليه السلم وانتباذه الى معوية ولما منع عليا عليه السلم ذلك كتب اليه ما بعده فانه وتبك ما وتبك
وانا اراك لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى اخر الكتاب ولنرجع الى المتن فنقول غرب السيف حده
والاستفلال طلب الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على اعلامه بما علمه من كتاب معوية اليه ثم تنبيهه على قصده
من ذلك الكتاب وهو ان يستزل عقله ويستفله عما هو عليه من الراي الصحيح في نصرة الحق وولايته عليه السلم
ونهيه عن ذلك واستعار لفظ الغرب لعقله ورايه ولفظ الاستفلال لطلب صرفه عن ذلك
الراي الصالح ملاحظة لشبهه بالسيف ثم حذره عنه بقوله فانما هو الشيطان باعتبار وسوسته وصده
عن الحق ووجه الشبه بقوله ياتي المرء الى قوله شماله وهو كقوله تعالى لآتينهم من بين ايديهم الى قوله
شمائلهم اي انه ياتيه الانسان من كل جهة كاتيان الشيطان وخص الجهات الاربع لانها الجهات التي يعتاد الاتيان
منها وقال بعض المفسرين من بين ايديهم يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان ومن خلفهم يذكرهم مخلفيهم و
يحسن لهم جمع المال وتركه لهم وعن ايمانهم يحسن لهم الرياسة والثناء وعن شمائلهم اللهو واللذات وعن شقيق
قال ما من صباح الا ويقعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم
فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على من خلفي فاقرأ
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من جهة الثناء فاقرأ والعاقبة
للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ثم نبه على
وجه خداع حيلة معوية وذلك ان معوية انما اراد استفلاله بسبب انه اخاه عليه السلم على ان
ذلك الاستلحاق انما تم بعمر استلحاق ابي سفيان له ابنا ولم يصح تلك الدعوى وانما كان قولا منه كذا
فلتة من حديث النفس وقع منه من غير تثبت ولا روية ولا اقرار بالزنا ثم قولا او صفته نحو رجم امه
وذلك نزغة من نزغات الشيطان اذ لو علم انه لا يثبت به نسب ولا يستحق به ارث لقوله
الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم شبه المتعلق نسبه بهذه الفلتة والنزغة بالواغل المدفع ووجه الشبه
كونه لا يزال مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه الشبه اضطراب امره وعدم لحوقه بنسب معين واستقراره
كاضطراب النوط وعدم استقراره بالنسبة الى شيء **ومن كتاب له عليه السلم** الى عثمن بن حنيف الانصاري
وكان عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد يا ابن حنيف
فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل
اليك الجفان وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا
المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه الا وان لكل مأموم اماما يقتدي به
ويستضيء بنور علمه الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على
ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت من غنائمها

وفرا

ولا حزت من ارضها شبرا ولا اخذت منه الا كقوت اتان دبرة ولهي في عيني اوهى واهون من عفصة مقرة صح

وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى كانت في ايدينا فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم
وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث
تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها الحجر والمدر
وسد فرجها التراب المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب
المزلق ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات
ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع
او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد حرى او اكون كما قال القائل وحسبك داء ان تبيت ببطنة و
حولك اكباد تحن الى القد أأقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة
لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها او المرسلة شغلها تقممها
تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا او اجر حبل الضلالة او اعتسف طريق
المتاهة وكأني بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة
الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة ارق جلودا والنابتات العذية اقوى وقودا
وابطأ خمودا وانا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء والذراع من العضد والله لو تظاهرت
العرب على قتالي لما وليت عنها ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض
من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد اليك عني يا دنيا فحبلك
على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القرون
الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود والله
لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالاماني وامم القيتهم في المهاوي
وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق
ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه والدنيا عنده
كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك فتقوديني وايم الله يمينا استثني
فيها بمشية الله لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح
مأدوما ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع
الربيضة من عشبها فتربض وياكل علي من زاده فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة
بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل
غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم
وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم

فاتق الله يا ابن حنيف ولتكفك
اقراصك ليكون من النار
خلاصك

اقول المأدبة بالضم الطعام يدعى اليه والعائل الفقير والقضم الاكل باطراف الاسنان والطمر الثوب الخلق والوفر المال
الكثير والعفصة المرة وفدك اسم قرية كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله والجدث القبر واضغطها ضيقها والقمح

محتضة والشابع جمع منهوم بطنه منهوجة والجشع اشد الحرص على الطعام والمبطان عظيم البطن لكثرة الاكل وفرشا جانبه
والبطنة الكظة وهي الامتلاء من الطعام والنهم نتيج التامة وهي الكناسة وتكترش تملا كرشها والسدى المتعلق
المهمل والرابع الماشي راتعى ترعى بغضارتها والعذبة التي لا يستقى الا ماء المطر والمركوس المردود وجعلوها
كالمكوس والداحض المزلق واذور اخذ جانبا واغربوا ابعدوا يقال اغرب الرجل بالغين اذا ابعد وسلس
الرجل يلبس لبس اللجام في المستقبل سهل قياده والرياضة التاديب والتعويد والرجعة الجماعة الا اضعة من
الغنم وتجافت اي نبت وارتفعت والهمهمة الصوت الخفي وفي الكتاب مقاصد الاول اشار الى ما يرد به
عتابه عليه وهو اجابته الى المادبة سرعا يستطاب له الالوان وتنقل اليه الجفان واعلم انه لعبد ذلك
قرر العيب توجه عليه وذلك في قوله اما بعد الى قوله الجفان الثاني نبه اشار على وجه المعاتبة الى تجنبه
في ذلك بقوله وما ظننت انك تجيب الى كذا اي كان ظني بك من الورع انك تنزه نفسك عن الاجابة
الى طعام قوم لا يلتفتون الى فقرائهم ويقصرون الدعوة والكرامة على اغنيائهم وامرائهم ووجه الخطا في
اجابة داعي هؤلاء ان تخصيص الاغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح على انهم انما يريدون
بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى ومن كان كذلك فاجابته موافقة له على ذلك ورضى بفعله
وذلك خطا لم خصوصا من امراء الدين المتمكنين من انكار المنكرات الثالث امره ان يميز فيما يتناوله
ان يقع فيه من ذلك بالنظر الى ما يحضر من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يتحقق حاله فليتركه وما يتيقن
حله وطيب وجه اكتسابه براءة من الشبهة فليأكل منه وكنى عنه بالقضم تحقيرا له وتقليلا ويفهم منه تاديب
التاديب الاول ان التنزه عن هذا المباح افضل لمن شاء له الترجيح بينه بعد ذلك بقوله وان الى قوله
علمه الا ان لكل ماموم اماما يقتدى به وهو يشتمل في قوة قياس كامل حذفت صغراه واصل التمثيل معلق
الامام والماموم وعلة كونهما اماما وماموما وفرعه هو عليه السلام وعامله وحكمه وجوب الاقتداء وتقديره
القياس انك ماموم لامام وكل ماموم لامام فيجب عليه ان يقتدي بامامه فينتج انه يجب عليك ان تقتدي
بامامك وتستضيء بنور علمه الخامس اردف ذلك بالتنبيه على ما يجب ان يقتدى به فيه من حاله في دنياه
وهو اكتفاؤه من ملبوسها بطمريه ومن مطعومها بقرصيه فقوله ومن طعمه بقرصيه تنبيه على
بها لبسه الى زينته فان طمريه كانا شيئا خلقة وهو رعة قد استحيا من راقعها ولا لكثرت فيها طعم ولذة
وطيب فان قرصيه كانا من شعير غير منخول واحدا بالغداة وواحدا بالعشي السادس نبه اصحابه على ان
رياضته تلك لا يستطيعها لهم فانها قوة مشروطة باستعداد لم يحصلوا اليه ثم امرهم اذ كانت تلك الرياضة
ان يقصروا في معونته على انفسهم ورياضتها بالورع واراد به هنا الكف عن المحارم ثم بالاجتهاد في
ويحتمل ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة ثم الاجتهاد فيها التي هي بالفعل الباري وما رزقه ما ساه
يعرض لبعض الاذهان الفاسدة في حقه عليه السلام ان زهده في الدنيا مشوب برياء وسمعة وان ورعه
بحسنا وجها وانه حاز خصوصا وهو امام الوقت وخليفة الارض فعدد انواع ما افاء الله على المسلمين
منها ثم اقسم انه لم يوخذ منه الا قوته وشبهه في القلة والحقارة بقوت الاتان الدبرة وعضاه الله

منها

منها بالمدبر وشفقها بالمقبل قوتهم ثم بالغ في وصف حقارة دنياهم عنده فاخبر انها في نظره واقبلها
اهون من عفصة مرة وظاهر ان من كان كذلك كيف يتصور محبته للدنيا وعلمها احق من انه قال فيما اخر به
من الدنيا ولا حزت من ارضها شبرا استثنى من ذلك فدك بقوله بلى قد كانت لنا فدك من كل ما اظلته السماء
وذكرها في معرض حكاية حاله وحال القوم معه في سبيل التشكي والتظلم من اخذها منهم الى الله سبحانه وتسليم الامر
والرضا بكونه حكما واعلم ان فدك كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه لما فتح من امر خيبر
قذف الله في قلوب اهل فدك الرعب فبعثوا اليه صلى الله عليه وآله يصالحونه على النصف فقبل ذلك منهم
فكانت له خاصة اذ لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وروي انه صالحهم على كلها ثم المشهور بين الشيعة
والمتفق عليه عندهم ان رسول الله صلى الله عليه وآله اعطاها فاطمة عليها السلام ورووا ذلك من طرق مختلفة
منها عن ابي سعيد الخدري قال لما انزلت وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلعم فاطمة فدك
فلما تولى ابو بكر الخلافة عزم على اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها من رسول الله صلعم وتقول انه
اعطاها فدك في حياته واستشهدت على ذلك عليا عم وام ايمن فشهدا لها بها فاجابها عن الميراث
بخبر رواه وهو نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة وعن دعوى فدك انها لم تكن
وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وانا اليه كما كان يليه فلما بلغها
ذلك لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه وهو في حفل من المهاجرين
والانصار فضربت بينها وبينهم قبطية ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى سكتوا
من فورتهم وقالت ابتدئ بحمد من هو اولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت
خطبة طويلة قالت في آخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم فانما يخشى الله من عباده العلماء
واحمدوا الله الذي بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته
في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته في غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة بنت محمد اقول
عودا على بدء وما اقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دون
ابائكم واخا ابن عمي دون رجالكم ثم قالت ثم انتم تزعمون ان لا ارث لي افحكم الجاهلية تبغون ومن
احسن من الله حكما لقوم يوقنون ايها معشر المسلمة ابتز ارث ابيه ابالله ان ترث يا ابن ابي قحافة
اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله
والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها فتمثلت بقول هند بنت اثاثة · قد كان
بعدك انباء وهنبثة · لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب · ابدت رجال لنا نجوى صدورهم · لما مضيت
وحالت دونك الكتب · تجهمتنا رجال واستخف بنا · اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب · قال فلم ير
الناس اكثر باكيا ولا باكية منهم يومئذ ثم عدلت الى مسجد الانصار وقالت يا معشر الانصار واعضاد الملة

وحصنا للاسلام ماهذه الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغمزة في حقي والسنة عن ظلامتي اما قال رسول الله
المرء يحفظ في ولده سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الان مات رسول الله امتم دينه ها ان موته لعمري
خطب جليل استوسع وهيه واستبهم فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت الامال
اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة واذيلت المصونة وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته وانبأكم بها
قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى
ومسمع تبلغكم الدعوة وتشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وانتم نخبة الله الذي
انتجب وخيرة الله التي اختار فاديتم العرب وبادهتم الامور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام
ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين
افتاخرتم بعد الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد ايمانهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم الى الخفض وركنتم
الى الدعة وجحدتم الذي وعيتم وسغتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله غني حميد
الا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها
مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشنار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم رجعت الى بيتها واقسمت ان لا تكلم
ابا بكر ولتدعون الله عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة فاوصت ان لا يصلي عليها فصلى عليها العباس
ودفنت ليلا وروي انه لما سمع كلامها حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا خيرة النساء وابنة
خير الاباء والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب اهله
قد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله لنا ولك اما بعد فقد دفعت آلة رسول الله صلى الله عليه وآله
ودابته وحذاءه الى علي عليه السلم واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انا
معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان والحكمة
والعلم والسنة وقد عملت بما امرني ونصحت فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد وهبها لي قال
فمن يشهد بذلك فجاء علي بن ابي طالب وام ايمن فشهدا لها بذلك فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن
عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنة رسول الله وصدق
علي وصدقت ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان مالك لابيك كان رسول الله صلى الله عليه
يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله ولك على الله ان اصنع بها كما كان يصنع فرضيت
بذلك واخذت العهد عليه به وكان يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم ثم فعلت الخلفاء بعده كذلك الى
ان ولي معوية فاقطع مروان ثلثها بعد الحسن عليه السلم ثم خلصت له خلافته وتداولها اولاده الى
ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته على اولاد فاطمة عليها السلم فكانت الشيعة اول خلافة

ردها وقالت السنية بل استخلصها لنفسه ثم وهبها لهم ثم اخذت منهم بعده الى ان انقضت دولة بني امية فردها
عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها المنصور فردها ابنه المهدي ثم قبضها ولداه موسى وهرون ثم لم تزل في ايدي
بني العباس الى زمن المأمون فردها اليهم وبقيت الى عهد المتوكل فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وروي
انه كان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده فكانت بنو فاطمة يهدون تمرها
الى الحاج فيصلونهم عن ذلك بمال جليل فبعث البازيار رجلا فصرمها وعاد الى البصرة ففلج وفي هذه
القصة خبط كثير بين الشيعة ومخالفيهم ولكل من الفريقين كلام طويل ولنرجع الى المتن فنقول اشار بالنفوس
التي سخت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما وبالنفوس التي سخت بها الى وجوه بني هاشم ومن مال اليهم
استفهم عما يصنع بفدك وغيرها من القنيات الدنيوية استفهام الكار لوجه حاجته اليها وتسلية لنفسه
عنها وجذبا لها عن الدنيا الى الاعمال الصالحة بذكر غاية النفوس منها وهي صيرورتها الى الجدث ولوازم
تلك الغاية من انقطاع الآثار وغيبة الاخبار فيها وسائر ما عدده من صفات الجدث وانما عدده بهذه الامور
لان الاوهام تنفر منها وتخشع القلوب لذكرها فتفزع الى الله تعالى وتنجذب الى الاعمال الصالحة التي بها
الخلاص من اهوال الموت وما بعده والواو في قوله والنفس للحال اي اشار الى غاية بعده عن فدك وغيرها
من قنيات الدنيا لا حاجة اليها اشار الى حصر حاجته وغايته لنفسه وهي رياضتها بالتقوى والضمير كو
في قوله فيها سبق وانما هي الكناية والتقدير وانما همتي وحاجتي رياضة نفسي بالتقوى واعلم ان رياضة
النفس نهيها عن هواها وامرها بطاعة مولاها وهي ماخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن
الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها وموافقة لمراده وتمرينها على ما يوافق مراده من الحركات والقوة
الحيوانية التي هي مبدأ الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة العاقلة
ملكة كانت بمنزلة بهيمة لم ترض فهي تتبع الشهوة تارة والغضب اخرى وغالب احوالها ان تخرج في حركاتها
عن العدل الى احد طرفي الافراط والتفريط بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة والمتوهمة وتستخدم القوة العاقلة
في تحصيل مرادها فتكون هي امارة والعاقلة مؤتمرة لها اما اذا راضتها القوة العاقلة ومنعتها عن التخيلات
والتوهمات والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب ومرنتها على ما يقتضيه العقل العملي
وادبتها على حيث تأتمر بامرها وتنتهي لنهيها كانت العقلية مطمئنة لا تفعل افعالا مختلفة المبادي
وكانت باقي القوى مؤتمرة مسالمة لها واذا عرفت ذلك فنقول لما كان الغرض الاقصى من الرياضة
انما هو نيل الكمال الحقيقي وكان ذلك موقوفا على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد موقوفا
على زوال الموانع الخارجة والداخلة كان للرياضة اغراض ثلثة احدها حذف كل محبوب ومرغوب
عدا الحق الاول سبحانه عن درجة الاعتبار وسنن الايثار وهي الموانع الخارجة والثاني تطويع النفس
الامارة للنفس المطمئنة لينجذب التخيل والتوهم عن الجانب السفلي الى العلوي ويتبعهما ساير القوى
فتزول الدواعي الحيوانية المذكورة وهي الموانع الداخلية الثالث بعث السرور وتوجيهها الى الجنبة العالية
لتلقي السوانح الالهية ونفسه لقبولها ويعين على الغرض الاول الزهد الحقيقي وهي الاعراض عن متاع الدنيا

وطبائها بالقلب وعلى ان هذه العبادة المشوقة بالفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وعظم
فائق سببي زوال حال السالك المؤدية لوجه خالصا وجر عليه السلم بالتقوى التي روض بها نفسه عن هذه الامور المنفية
والاسباب المغيرة ونبه على غرضه الاقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي واللذة به بذكر بعض لوازمه وهي
ان يأتي نفسه آمنة من الفزع يوم الخوف الاكبر وهو يوم القيمة وان يثبت على جوانب المزالق وهو الصراط المستقيم
فلا تميل به الدواعي المختلفة عنه الى ابواب جهنم ومهاوي الهلاك واستعار لفظ المزالق لمظان زلل اقدام
العقول في الطريق الى الله وجذب الميول الشهوية والغضبية منها الى الرذائل المرتبة العاشرة على
ان زهده في الدنيا واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وترك ما سوى ذلك ليس عن عجزه عن تحصيل
طيبات مطعوماتها وملبوساتها وانه لو شاء لاهتدى الى تحصيل تلك الطيبات ولباب القمح ومصفى العسل
لان البر به والعسل من اشهر الطيبات بمكة والحجاز وانما تركها مع القدرة عليه رياضة لنفسه واعدادا
لها لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى هنا نقيض الملزوم وهو عدم غلبة هواه لعقله وعدم قوده بشهوته
الى تخير الاطعمة ونبه عن ذلك العدم بقوله هيهات فان ما استبعد وقوعه من نفسه والكره فقد نفاه عنها
وحكم ببعده واما ان ذلك العدم هو نقيض الملزوم بعينه فلان الملزوم هنا هو المشبه لتحري الطيبات
وغلبة الهوى للعقل على مقتضى رأيه في تركها والتنزه عنها وقود الشهوة له الى الموافقة على استعمالها
والمستثنى هنا هو عدم ذلك بعينه واما جواز استثنائه لنقيض المقدم فلان شبهة تلك شرط مساو لتخير
الطيبات ولا يتبدأ ابدا وكان عدمه مستلزما لعدم مشروطه والاكثر استعمال لو في لغة العرب على عدم
ان الملزوم علة لازمه او شرط مساو له ويستثنى نقيض الملزوم والواو في قوله ولعل للحال اي هيهات
ان يغلبني هواي الى تخير الاطعمة حال ما يحتمل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو صفته كذا وقوله او ابيت
عطف على يقودني داخل فيما استبعده من نفسه والواو في قوله وحولي للحال والعامل ابيت وذلك
قوله او ان اكون عطف على ابيت وهما لازمان من لوازم نتيجة القياس الاستثنائي فان عدم ارادته
لتخير الطيبات لا يستلزمه هنا عدم شبعه وامتلاؤه واستمتاعه بها استلزم ذلك ان لا يبيت مبطانا وحوله
اكباد جائعة وان لا يلحقه عار بذلك والبيت تمثيل غرضه التنفير عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات
مع وجود ذوي الحاجة الى يسير الطعام ومنه على حسن هذه اللوازم بما قارن نقائضها من الاحوال
المذكورة والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها * ايا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا
ابنة ذي البردين والفرس الهند * اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له * اكيلا فاني لست آكله وحدي
قصيا بعيدا او قريبا فانني * اخاف مذمات الاحاديث من بعدي * كفى بك عارا ان تبيت ببطنة * وحولك
اكباد تحن الى القد * واني لعبد الضيف ما دام نازلا * وما في الا تلك من شيمة العبد * ويروى حسبك
داء * واطلق عليه اسم الداء باعتبار انه رذيلة تنفر عنه وروى قوله او ابيت وقوله او اكون مرفوعين
والوجه فيه ان لا يكون او حرف عطف بل تكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها حرف كما في قوله
افاصفيكم ربكم بالبنين ويكون استفهام انكار لبيانه مبطانا ولكونه كما قال القائل وذلك الاستفهام

نحو

نحو قوله اقنع من نفسي في معرض الانكار لرضا نفسه بان يدعى امير المؤمنين ولا يشاركهم في مكاره الدهر
وجشوبة المطعم والواو في قوله وهمالي واو الحال اكون عطف على اشاركهم في حكم النفي الحادي عشر نبه على بعض
العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد في الدنيا وهو كونه لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما يراد منه
وذلك في قوله فما خلقت الى قوله التمائه ونفر عن الاشتغال باكل الطيبات بذكر ما يلزم المشتغل بذلك من
شبه البهيمة واشار الى وجه الشبه بقوله همها علفها الى قوله يراد بها وذلك ان المشتغل بها ان كان غنيا
اشبه البهيمة المعلوفة في اهتمامه بما يعتلفه من طعامه الحاضر وان كان فقيرا كان اهتمامه بالكسب وتحصيل حطام
الدنيا ثم يعتلفه ويملأ كرشه مع غفلته عما يراد منه كالسائمة التي همها الاكتراش تعمم من المكاسب مع غفلتها
عما يؤول اليه حالها ويراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ الحبل وجره وكنى بذلك عن الاهمال
والارسال كما ترسل البهيمة الثاني عشر اشار الى بعض ما عساه يعرض للاذهان الضعيفة من الشبهة وهي
اعتقاد ضعفه عن قتال الاقران بسبب ذلك القوت الرث وذلك بقوله وكاني الى قوله الشجعان ثم نبه
على الجواب عن ذلك من خمسة اوجه الاول التمثيل بالشجرة البرية وقياس نفسه عليها في القوة فالاصل هو
الشجرة البرية والفرع هو عليه السلم والمشترك الجامع بينهما هو قلة الغذاء وجشوبة المطعم كقلة غذاء الشجرة
البرية وسوء رعيها والحكم عن ذلك هو صلابة اعضائه وقوته كصلابة عود الشجرة البرية وقوتها في ذلك
دافع الشبهة المذكورة الثاني تمثيل خصومه واقرانه كحوته بالروائع الخضرة وهي الاصل في هذا التمثيل
والفرع هو خصومه واقرانه والمشترك الجامع بينهما هو الخضرة والنضارة الحاصلة عن الترفع ولين المطعم
والحكم اللازم عن ذلك هو رقة الجلود ولينها والضعف عن المقاومة وقلة الصبر على الشارة والميل الى
الدعة والرفاهية والغرض ان يعلم كون اقرانه اضعف منه فيندفع الشبهة الثالث تمثيله بالنابتات
العذية وهو كتمثيله بالشجرة البرية والحكم هنا هو كونه اقوى على سعير نار الحرب واصبر على وقدها
وابطأ خمودا فيها وخمودا كالنابتات العذية في النار الرابع تمثيله نفسه من رسول الله صلى الله عليه واله
بالضوء من الضوء واصل هذا التمثيل هو الضوء من الضوء وفرعه نسبة نفسه من رسول الله صلى الله عليه واله
وعلته الجامعة هي كون علومه وكمالاته النفسانية المشرقة مستفادة ومقتبسة من مصباح علم النبوة وكمالاتها
كالمعلول من العلة والمصباح من الشعلة الخامس تمثيله منه صلى الله عليه واله بالذراع من العضد والاصل
فيه الذراع مع نسبته الى العضد والفرع هو عليه السلم منسوبا الى رسول الله صلى الله عليه واله والعلة
الجامعة هي قربه منه وقوته به وكونه ظهيرا له ووسيلة الى حصول مقصوده من تمام الدين وكماله وكون
الرسول صلى الله عليه واله اصلا في ذلك كقرب الذراع من العضد وكون العضد اصلا له وكون الذراع
وسيلة الى التصرف والبطش بالعضد والحكم في هذين التمثيلين واحد وهو كونه عليه السلم لا يضعف عن قتال
الاقران ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا الحكم عن المشترك الاول انه لما كانت علومه اليقينية وبصيرته
في الدين من باب بصيرة رسول الله صلى الله عليه واله كان ذلك اعظم اسباب شجاعته وتقويته على قتال الاقران
حمية للدين وكذلك عن المشترك الثاني ثم لما اثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف المتوهم فيه اكد ذلك بالقسم البار

انه لو تفاوت ما قال لها وساعتها ولو املكت الفرصة من رقابها لساءتها ايها اي حين انتقال واستحقاقهم
للقتل بعداوتهم للدين ودفع العفو عنهم ملاحظة لشبهه برسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك في مبدأ الاسلام
فانه لم يكن ليشفع العفو الا في موضعه وروي انه قتل في يوم واحد الف انسان صبرا في مقام واحد
لما رأى في ذلك من مصلحة الدين الثالث عشر توعدان يجتهد في تطهير الارض من هذا الشخص المعكوس
والجسم المركوس اراد معوية وانما قال شخصا وجسما ترجيحا لجانب البدن على النفس باعتبار عنايته بكمال
بدنه دون كمال نفسه فكانه جسم وشخص فقط وانما ركونه معكوسا ومنكوسا الى التفاته عن الجهة العالية
وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية الى الجهة السافلة وارتكاسه في الدنيا وانعكاس وجه عقله الى
تحصيلها لذاتها واما تشبيهها فان غرض العناية الالهية من خلق الانسان ان يترقى في مدارج الكمال بعد
حفظ فطرته الاصلية عن الدنس برذايل الاخلاق فاذا جذبته دواعي النفس الامارة الى الدنيا وزينة
بها حتى التفت اليها لم يزل يتخطى دركات جهنم وبحسب ذلك يكون انتكاسه عن مراتب الكمال وارتكاسه
والرذايل ومهاوي الضلال وتقيده فيها بالسلاسل والاغلال وقوله حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد
استعار لفظ المدرة لمعوية وحب الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة انه مخلص المؤمنين من وجود معوية بينهم
ليزكوا ايمانهم ويستقيم دينهم اذ كان وجوده فيهم سببا عظيما لفساد عقايدهم وهلاك دينهم كما يفعل
اهل البادر من تصفية الغلال واخراج ما يشوبها ويفسدها من المدر وغيره وقال الشارح عبد الحميد بن
ابي الحديد كان الزراع يجتهدون في اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد منابته
فيفسد ثمرته وفيه نظر لانه لا معنى لاخراج الطين من الزرع وان لفظ حب الحصيد لا يفهم منه ذلك
تمثل الدنيا بصورة من يعقل وخاطبها بخطاب العقلاء ليكون ذلك اوقع في النفوس لغرابته ثم امرها
بالتنحي والبعد عنه كالمطلق لها وحبلك على غاربك كناية عن الطلاق تمثيل واصله ان الناقة اذا
اريد اهمالها للرعي وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكل من اهمل واطلق عن الحكم ثم جعلها ذات مخالب
استعارة بالكناية عن كونها كالاسد في جذبها للانسان بما فيها من الشهوات والقينات الى الهلاك
الابدي كما يجر الاسد فريسته وكذلك جعلها ذات حبايل وكنى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد
قلوب الرجال بشهواتها الوهمية فهي لها كالحبايل الصايدة واستعار لفظ مداحضها لشهواتها وملذاتها
ايضا باعتبار كونها مزالق اقدام العقول عن طريق الله ومصارع لها وعبر بجمع ذلك عن زهده فيها
وابعاده عن نفسه ثم اخذ في سوالها عن القوم الذين غرتهم بمداعباتها والامم الذين فتنتهم بزخارفها
سوالا على سبيل التوبيخ لها والذم على فعلها ذلك بهم في معرض التنفير عنها وهو من قبيل تجاهل العارف
واستعار لها لفظ المداعب جمع مدعبة بمعنى دعابة ووجه المشابهة انها عند صفائها لذاتها تملق
واغترارهم بها ثم كرها عليهم بعد ذلك بالامر الجد تشبه من يمزح مع غيره وينبسط معه بالاقوال والافعال
اللينة ليغتر به ثم يأتيه بعد ذلك بالامر الجد فيؤذيه او يهلكه وانما نسب الغرور اليها لكونها سببا
ماديا لذلك وفي نسخة الرهينة غررتهم بامانيك اينا ووجه انها حدثت عن اتباع الكرة

اشارة

اشارة الى فاتهم التي صاروا اليها وهي كونهم رهاين القبور ومضامين اللحود ونبه في ذلك على ان غرورهم
وفتنتهم بها لم يخلصهم من هذه الغاية كل ذلك لغرض التنفير عنها والتنبيه واستعار لفظ الرهاين لهم باعتبار
كونهم موثقين في القبور باعمالهم كالرهن ويحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينة بمعنى راهنة وهي الثابتة
المقيمة بقبورها السادس عشر اقسم انها لو كانت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقام عليها حدود الله في عباد
غرتهم بالاماني واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر اي ان تلك الموارد ليس من شأنها
ان يكون اليها ورود ولا عنها صدر ثم لما كان في هذا الخطاب كالمعلم بانه قد اطلع على ما هنالك
قال كلا موبس لها من نفسه هيهات اي بعدا اعتزاري بك وركوني اليك ثم نبه على بعض العلل الحاملة على البعد
عنها والنفرة عن قربها وهي ما يلزم من وطي دحضها من الزلق وركوب لججها من الغرق والازورار عن
حبالها من التوفيق للسلامة وما يلزم السالم منها من عدم مبالاته بضيق مناخه وكل مناخ المنخ به من ضيق
وسجن ومرض وبلا بعد السلامة منها في جنب رجب بالقياس الى ما يستلزم التنعم في سعتها والجري في
ميادين شهواتها من العذاب الاليم في الآخرة وهي عنده في القصر وعدم الالتفات اليها كيوم حان
انسلاخه والفاظ المداحض واللجج والحبال استعار لشهواتها ولذاتها فالاول باعتبار كون شهواتها
مظنة ان تجب في الانسان عند استعمالها الى الاستكثار منها او تجاوز القدر المعتدل الى المحرم فتزل اقدام
نفسه عن صراط الله فيقع في مهاوي الهلاك والثاني والثالث باعتبار ان مطالبها والاعمال فيها من شأنه
من لوازم المشتغل بها والمنهمك في الدنيا ان يغرق نفسه في بحر لا ساحل له فيقطع عن قبول رحمة
الى الهلاك الابدي كالملقي نفسه في بحر لجي والثالث باعتبار ان الانسان اذا اغتر بها وحصل في حبه
شبهاتها عاقته عن النهوض والتخلص الى جناب الله ومنعته ان يطير بجناحي قوته العقلية في حضرة
قدس الله ومنازل اولياء الابرار كما يعوق حبايل الصايد جناح الطاير ولفظ الوطي والركوب
والزلق والغرق ترشيح ثم كرر الامر لها بالبعد عنه واقسم انه لا يذل لها فيذله ولا يسلس لها قياده
فيقوده وفيه شبه على انها لا يذل فيها الا من اذل نفسه وعبدها لها ولا يملك القياد من اسلس لها قياده
وهو ظاهر اذ الانسان ما دام قامعا للقوة الحيوانية مصرفا لها بزمام عقله فانه من المحال ان يذلله الدنيا
وتستعبده اما اذا وجهها اتبع شهوته فيما تميل اليه فانها تذله اشد اذلال وتستعبده اقوى استعباد
كما قال عليه السلم عبد الشهوة اذل من عبد الرق واستعار وصف اسلاس القياد والتسهيل في متابعة النفس
العاقلة للنفس الامارة وعدم التشدد في ضبطها باستعمال العقل عن متابعتها السابع عشر اقسم قسما
ماهم عزمه عليه وهو لعبده من رياضة نفسه ووصف تلك الرياضة في قوتها باستلزام امرين احدهما
كون نفسه تهش معها الى القرص وتقنع به اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما وخص رياضة
القوة الشهوية ولما كانت الجرعدو للنفس واكثر الفساد يلحق بسببها خصها بالذكر وقوة العزم يحتمل
ان يريد رياضة جميع القوى وانما وصفها لكون النفس تهش معها الى القرص لان ضبط الشهوة
اعظم من ضبط ساير القوى واصعب وكانت الاشارة الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ في وصف الرياضة

بالشدة واستثنى فيه بمشيئة الله ادباً بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله
وتنبيهاً على استناد جميع الامور في سلسلة الحاجة الى الله تعالى الثاني كونه جعل مقلته في تلك الرياضة كعين ماء
نضب ماؤها ووجه الشبه ان تبقى دموعها ويستفرغها بالبكاء شوقاً الى الملأ الاعلى وما افقدها دنيا اعده
من السعادة الابدية وخوفاً من حرمانها ومن كان في مقام الغربة ومحل الوحشة كيف لا يشتاق الى وطنه
الاصلي ومقام انسه الاول ومطعمه ومأدبه ومستفرغة احوال ثم اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة
على تقدير ان يرضى بمثل حالها وغايتهما من الدنيا في معرض الانكار لذلك الرضا من نفسه والاصل في ذلك
التمثيل البهيمة والفرع هو عليه السلم والمشترك الجامع هو الرعي والشبع هو البروك والنوم والرضا وكان
الاصل المقيس عليه في غاية من الخسة بالقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه قوة النفرة
عما يستلزم التشبيه من الصفات وقوله قرت اذن عينه اخبار في معرض الانكار والاستهزاء بالنفس كقوله تعالى
ذق انك انت العزيز الكريم الثاني منشؤه فان النفس اذا كانت بالصفات المذكورة فهنيئاً لها
طوبى مرجع من تلك الصفات اكثر مكارم الاخلاق فالاولى القيام بواجب طاعة الله وما افترض عليها
قوله وعركت بجنبها بؤسها كناية عن الصبر على نزول المصائب يقال عرك فلان بجنبه الاذى اذا اغضى
عمن يؤذيه وصبر على خلقه ويلازم ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ
واحتمال المكروه والعفة ونحوها الثالث ان تهجر بالليل غمضها وهو كناية عن احيائها ليلها بعبادة ربها و
اشتغالها بذكره حتى اذا غلب النوم عليها افترشت ارضها وتوسدت كفها اي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش
وطيب وساد بل كانت بريئة عن كل كلفة عرية عن كل تجنبة منزهة عن كل ترفه وقوله في معشر متعلق
بكل من افعال النفس المذكورة اي فعلت هذه الافعال في جملة معشر من شأنهم كذا ووصفهم بصفات اربع
احدها كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم الثانية وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهو كناية عن اشتغالهم ليلاً
بعبادة ربهم كقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الثالث وهمهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعالى
يدعون ربهم خوفاً وطمعاً الرابع وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم وهو لازم عن الثلاثة الاول
او ثمرة لها واستعار لفظ التقشع لانمحاء ذنوبهم ووجه المشابهة ان الذنوب والهيئات البدنية
ذات سويه(?) لالواح النفوس وتغطيها وحجبها لها عن قبول انوار الله تشبه السحاب المتراكم الحاجب لوجه
الارض عن قبول نور الشمس والاستعداد بها للنبات وغيره فاستعار لزوالها وانمحائها عن الواح
النفوس لفظ التقشع كل ذلك الترغيب في طاعة الله والجذب الى الدخول في زمرة اولياء الله وبالله
التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى بعض عماله اما بعد فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع
به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث من اللين
وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك وابسط
لهم وجهك والن لهم جانبك وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس
الضعفاء من عدلك **اقول** النخوة الكبر والاثيم الآثم والضغث النصيب من الشيء المختلط بغيره والقبضة

من الحشيش

من الحشيش المختلط من رطبه ويابسه واعتزم كذا اي الزمه وافعل به وقد استماله اولاً بامور ثلاثة اعلمه بها في
نفسه واعده لقبول اوامره وهي كونه ممن يستظهر به على اقامة الدين ويقمع به نخوة الاثيم ويسد به الثغر
المخوف واستعار لفظ اللهاة للاعساء(?) بقبح من ... يفاسد الثغر فيحتاج الى سده بالعسكر والسلاح ملاحظاً
لشبهه بسد الفاتح فاه للافتراس ثم اردف ذلك بأوامره من مكارم الاخلاق اولها ان يستعين
بالله على ما اهمه من امور فان المرجع اليه والاستعانة به افضل ما اعان على حصول المهمات الثاني ان
يمزج الشدة بضرب من اللين ويضع كلاً موضعه فيرفق ويلين ما كان الرفق اولى به ويعتزم ويأخذ
بالشدة حين لا يغني الا الشدة الثالث ان يخفض جناحه لرعيته وهو كناية عن التواضع الرابع ان يبسط
لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك العبوس والتقطيب الخامس ان يلين لهم جانبه
وهو كناية عن الرفق بهم وعدم التشدد عليهم السادس ان يواسي بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة
واللحظة اخص من النظرة وهو امر بتفضيله(?) العدل بين الرعية لئلا يطمع عظيمهم في حيفه على الضعيف فيبسط عليه
ولا ييأس الضعيف من عدله على القوي فيضعف نفسه ويكل عما هو بصدده من الاعمال المصلحية وبالله التوفيق
ومن وصية له عليه السلم للحسن والحسين عليهما السلم لما ضربه ابن ملجم لعنه الله اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا
الدنيا وان بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق واعملا للاجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم
عوناً اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم وصلاح ذات بينكم فاني سمعت
جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين افضل من عامة الصلوة والصيام الله الله في الايتام
فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه
سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلوة فانها عمود دينكم والله الله في بيت
ربكم لا تخلوه ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله وعليكم
بالتواصل والتباذل واياكم والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم
اشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال عليه السلم يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً
تقولون قتل امير المؤمنين الا لا يقتلن بي الا قاتلي انظروا اذا انا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة
بضربة ولا يمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور **اقول** بغت
كذا اردته واغباب افواههم ان يطعموهم يوماً ويتركوهم يوماً والمناظرة المحافظة والمراقبة والتدابر
التقاطع والتعادي والمثلة التنكيل وقد اوصاهما بامور اولها تقوى الله التي هي رأس كل خير الثاني
الزهد في الدنيا وان لا يريداها وان ارادتهما اي احبت عليهما بما يعد فيها خيراً واستعار لفظ البغية
لها باعتبار رسوخها عليهما من توافي(?) اسباب خيراتها في بذلك الاعتبار كطالبة لهما الثالث ان لا
يأسفا على ما قبض وغيب عنهما من خيراتها وهو من لوازم الزهد الحقيقي فيها الرابع ان يقولا الحق وهو
ما ينبغي قوله من اوامر الله ونواهيه وان يعملا للاجر الآخرة اي يكون اقوالهما واعمالهما مقصودة
فيها الخامس ان يكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً وذلك من لوازم قول الحق والعمل للاخرة كان

خصما

على طاق العدل وابدا ان يجانب الظلم الخوف اى طرف الجور ونحامو برد والى فضيلة العدل فيكون ... للمظلوم
ثم عاود مؤكدا لوصيته مع جميع ولده واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى الله مكررا لها ومردفا بالامر
الاخرى احدها صلاح ذات البين وذات كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق وقيل هى الاحوال
التى بين القوم او الرجل واهله امرا باصلاح ما بينهم من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا الوصل
وبذات النفس اى اصلحوا انفسكم وصلاح ما بينكم من فساد ويقع فيه وقيل ان ذات هنا مقحم زايدة ونحوه قوله
تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات البين من لوازم الالفة والمحبة لله وهى فضيلة تحت
العفة ورغب فى ذلك بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله صلاح ذات البين افضل من عامة
الصلوة والصيام ووجه الافضلية هنا انك علمت فيما سلف ان اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله جمع
الخلق على سلوك سبيل الله واشتغالهم بسلوك دينه وان يتم ذلك مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران
الفتنة بينهم فكان صلاح ذات البين مما لا يتم اهم مطالب الشارع الا به وبهذا الاعتبار غير موجود فى الصلوة
والصيام لامكان المطلوب المذكور بدونها فتحققت افضليته من هذه الجهة والخبر فى قوة صغرى ضمير تقدير
كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يفعل الثانى حذره من الله تعالى فى الايتام ونهى عن اجاعتهم وكنى عنها باغباب
افواههم اذ هو مظنة جوعهم ثم عن اضاعتهم واستلزم ذلك النهى امرا ببرهم والاحسان اليهم وهو فضيلة
تحت العفة الثالث الوصية فى الجيران والتحذير من الله فيهم ونبه على حفظهم واكرامهم بوصية
الرسول صلى الله عليه وآله فيهم وجعلهم نفس الوصية تاكيدا فى حفظهم كما لو قطعنا وصية رسول الله والمجاز
من باب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق وقوله ما زال الى قوله سيورثهم تفسير لوصيته المذكورة وهى
انه فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اوصى النبى فى حقه كذلك فواجب ان يحفظ الرابع الوصية
بما اشتمل عليه القرآن الكريم من القوانين والقواعد والتحذير من الله سبحانه فى تركه والنهى عن ان يسبقهم
بذلك غيرهم المستلزم للامر بالمسارعة والسبق اليه الخامس الوصية بامر الصلوة والتحذير من الله
فى امرها ونبه على فضيلتها بخبر صغراه قوله فانها عمود الدين وهو فى معرض بيانه من الحديث قبل وتقدير
الكبرى وكل ما كان كذلك فواجب ان يقام الدين باقامته السادس الوصية ببيت ربهم والنهى عن ترك
زيارته مدة العمر وقد سبق سره ونبه على فضيلة اخرى له توجب ملازمته وهو ما يستلزمه تركه
من عدم مناظرة الله تاركه وترك محافظته عليهم ومراقبته لان من لا يحفظ الله فى بيته ويراعيه فى
مراعاة جانبه ولم يحفظ الله ولم يراقبه ويحتمل ان يريد لم يناظركم الاعداء ولم يراجعوكم اذ ذاك الاخذ
الى بيت الله والمحافظة عليه من باب التمسك والاعتصام به يوجب مراقبة الخلق المعتصمين به وانفعال القلوب
عنهم وعن كثرتهم ومناظرتهم السابع الوصية بالجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس واللسان والتحذير
من الله فى تركه وهو مما علمت فضيلته الثامن الوصية بالتواصل والتباذل اى بذل كل منهم النصرة
لصاحبه فى سبيل الله التاسع التحذير من التقاطع والتدابر وسره ظاهر العاشر النهى عن ترك الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر المستلزم للامر بهما ونفر عن ذلك الترك بما يستلزمه بعده من تولية الاشرار عليهم

وعدم

وعدم استجابة دعاء الداعين منهم ووجه اعداده لذلك ان ترك الاجتماع على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
يستلزم ثوران المنكر وخفاء المعروف من طباع الاشرار وبعده استيلاؤها وغلبتها وولاية اهلها وذلك
يستلزم كثرة الشر والاشرار وقلة الصالحين وضعف هممهم عن استنزال رحمة الله تعالى بادعيتهم فيه يكون
فلا يستجاب لهم ثم عقب ذلك بوصية اهل بيته من بنى عبد المطلب بالخصوص من امر دمه والوصية بامور احدها
نهاهم عن اثارة الفتنة بسبب قتله فقال لا اجدنكم تخوضون دماء المسلمين خوضا وكنى به عن كثرة القتل
وقوله تقولون قتل امير المؤمنين حكاية ما جرت به العادة ان يقول طالب الثار حين هياجه واظهار
لعذره والسبب الحامل له على اثارة الفتنة الثانى نهاهم ان يقتلوا الا قاتله اذ ذلك هو مقتضى العدل
الثالث نبههم بقوله انظروا الى قوله هذه على انه لا يجوز قتله بمجرد ضربته ان وصل الموت بسبب غيرها
الا ان يعلم ان موته كان بسببها الرابع امرهم ان يضربوه ضربة بضربة وذلك مقتضى العدل عليه السلام
الخامس نهى عن المثلة به معللا بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لان المثلة تعدى الواجب وتشفى
القلب وشفاء الغيظ وكل ذلك رذائل يجب الانتهاء عنها وهو فى قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما نهى
رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فواجب ان لا يفعل وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية وان البغى والزور
يوتغان المرء فى دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك غير مدرك ما قضى فواته
وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتاولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله ويندم
من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا
ولكنا اجبنا القرآن فى حكمه والسلام اقول الفصل من كتاب له اليه بعد التحكيم وفيه معرض جواب ما حكم به الحكمان ويحتمل
ان يكون عند اجابته الى التحكيم والوتغ بالتحريك الهلاك واوتغ فلان دينه بالاثم اهلكه وافسده
وفى نسخة الرضى رحمه الله يذيعان اى يظهران والغبطة السرور والغبطة تمنى مثل حال الغير وصدر الفصل
بذكر الظلم والكذب والتنفير عنهما بما يلزمهما من اهلاك دين المرء ودنياه وابداء خلله وعيبه لمن يعيبه
اما دينه فلكونهما رذيلتين مضادتين للعدل والعفة ومجانبتين للايمان والدين واما دنياه فلان
اعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل وانما يحصل بظهور مكارم الاخلاق ودون رذائلها واراد بما قضى
فواته ما جعله معاوية شبهة له فى محاربته وهو الطلب بدم عثمان وهو فى قوة صغرى ضمير احتج بها على وجوب
ترك المنافسة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغى عليه ان يترك ذلك الطلب ثم اعلمه بحال من طلب
امرا باطلا وتاول على الله فيه ذلك والاشارة الى اصحاب الجمل حيث كانوا طالبين للامر والملك
فتاولوا على الله اى على سلطان الله وهى الخلافة الحقة فجعلوا لخروجهم وبغيهم عليها تاويلا وهو الطلب بدم
عثمان ونحوه من الشبه الباطلة فاكذبهم الله بنصره عليهم ورد مقتضى شبههم والاكذاب كما يكون بالقول كذلك
يكون بالفعل وقال القطب الراوندى رحمه الله معناه وقد طلب قوم امر هذه الامة فتاولوا القرآن كقوله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فسموا من نصبوه من الامراء اولى الامر متحكمين على الله
فاكذبهم الله لكونهم طالبين بغاة ولا يكون الوالى من قبل الله كذلك ثم حذره يوم القيمة بما لا حاجة فيه من

سرور الذين حمدوا عاقبة اعمالهم بما حصلوا عليه من السعادة الباقية او اغتباط غيرهم لهم وتمني مثل مراتبهم
وندم من امكن الشيطان من قياده فصرفه كيف شاء ولم يجاذبه واستعار لفظ التمكين من القياد لمطاوعة
النفس الامارة وغرض التحذير ان لا يكون لمن سبق من طالبي هذا الامر بالتاويل على الله وقوله فحوشا
الى آخره صورة سؤال والجواب عنه وكونه ليس من اهله اذ لم يكن صالحا للامامة كما سبق بيانه مرارا وحيث
لم يكن اهلا لان يجاب الى الرضى بتحكيم الحكم بذلك وانه انما اجاب القرآن الى حكمه وذلك في قوله تعالى
في الزوجين وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله الآية فجعل عليه السلم هذا اصلا وقاس عليه
بطريق الاولى حال الامة عند وقوع الشقاق بينهم وبين ذلك لما احتج ابن عباس رضه على الخوارج حيث
انكروا التحكيم فقالوا كيف يجوز لعلي عليه السلم ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان ذلك ليس بامرنا
وانما هو بامر الله تعالى في كتابه اذ يقول في الزوجين وان خفتم الآية افترون ان الله امر تعالى بذلك
في الرجل وامرأته مراعاة لمصلحتهما ولا يامر بذلك في حق الامة رعاية لمصلحتهم فرجع كثير منهم الى قوله
وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم الى غيره اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها
شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق
ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلم اقول اللهج الحرص الشديد وصدر
الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا ليقلل الرغبة فيها وذكر منها امورا الاول كونها مشغلة عن غيرها اي عن
الآخرة وهو ظاهر الثاني كونها لم يصب صاحبها منها شيئا الا كان ذلك معدا لحرصه عليها ولهجه
بها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف
ابن آدم الا التراب الثالث كونها لا يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم
الثاني فان حصول بعضها اذا كان معدا للفقر اليها لم يستغن طالبها ابدا منها ثم اردف ذلك بذكر
امور تنفير عنها ايضا احدها استعقابها الفراق لما جمع منها الثاني نقض ما احكم من امورها ثم نبه على وجوب
الاعتبار بما مضى من العمر ومن احوال الدنيا والقرون الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر ان يضيع في
الباطل او حفظ ما بقي من السعادة الاخروية بالسعي في تحصيلها وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم
الى امراء الجيوش من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح اما بعد فان حقا على الوالي ان
لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على
اخوانه الا وان لكم عندي ان لا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر
لكم حقا عن محله ولا اقف به دون مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم
النعمة ولي عليكم الطاعة وان لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق
فان انتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة ولا يجد عندي
فيها رخصة فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم والسلم اقول اجرأ الشيء والنكوص
الرجوع على الاعقاب والغمرة الشدة واعلم انه قدم هنا ما يجب على الوالي المطلق لرعيته بوجه كلي كما هو

عادة

عادة الخطيب ثم ثنى ببيان ما يجب عليه لهم تفصيلا لذلك الكلي ثم ما يجب عليهم له ثم امرهم بلزوم ما اوجبه عليهم اما
الاول فقوله اما بعد الى قوله اخوانه واشار فيه الى امرين احدهما ان لا يغيره عنهم ما اختص به من الفضل والطول
لان تغيره عنهم خروج عن شرائط الولاية الثاني ان يزيده تلك النعمة من الله دنوا من عباده وعطفا على
اخوانه لان ذلك من تمام شكر النعمة واما الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة امور احدها ان لا يحتجز دونهم سرا
في الامور المصلحية الا في الحرب ويحتمل ترك مشورتهم هناك لامرين احدهما ان اكثرهم رعاع لا يعرفون الحرب
فلو توقف على المشورة فيه لما استقام امره بها ولذلك كان عليه السلم كثيرا ما يكلمهم على الجهاد ويتعجب من تخلفهم
عنه وهم له كارهون كما سبق الثاني ان يكتم ذلك خوف انتشاره الى العدو فيكون سبب استعداده وتاهبه
للحرب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد سفرا الى الحرب ورى بغيره كما روي انه لما نوى
غزاة بدر كتب لسرية كتابا وامرهم ان يخرجوا من المدينة الى صوب كذا يومين او ثلثة ثم ينظروا في الكتاب
ويعملوا بما فيه فلما ساروا المدة نظروا فيه فاذا هو يامرهم فيه بالخروج الى نخلة محمود وان يفعلوا كذا وكذا
ففعلوا وخرج النبي صلى الله عليه وآله خلفهم الى بدر وكان الظفر لهم ولو اعلمهم عليه السلم حين امرهم بالخروج
انه يسير الى قريش لانتشر ذلك الى قريش وكان استعدادهم لهم اقوى وجاز ان يكون ذلك ايضا
مانعا لبعض الصحابة عن النهوض خوفا من اهل مكة وشوكتهم الثاني ان لا يطوي دونهم امرا الا في حكم واستعار
لفظ الطي لكتمان الامر اي لا يخفي عنكم امرا الا ان يكون حكما من احكام الله فانه يقضيه دونكم من غير مراجعة
ومشاورة فيه كالحدود وغيرها الثالث ان لا يؤخر لهم حقا عن محله كالعطاء وسائر الحقوق اللازمة له ولا
يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلقة بالتخاصيم المحتاجة الى الفصل الرابع ان يسوي بينهم في الحق والاولان
مقتضى فضيلة الحكمة والثالث والرابع مقتضى فضيلة العدل واما الامر الثالث فما يستحقه عليهم فبدأ بوجوب
حق الله تعالى اولا اذ كان حكم قضائه بنصبه لهم اماما وفعله بهم ما ذكر من اتم نعمه تعالى عليهم ثم ثنى بما يجب له
وذكر امورا احدها بذل الطاعة اذ لا حجة لهم عليه يكون سببا لعصيانهم الثاني ان لا ينكصوا عن دعوة له
اذا دعاهم وهو من تمام الطاعة الثالث ان لا يفرطوا في جزء التفريط في مصلحة يراها او يبدو لهم الرابع
ان يخوضوا الغمرات ويركبوا الشدائد في نصرة الحق وطلبه ثم اردف ذلك بالوعيد لهم ان لم يستقيموا
له على ما وجب له عليهم مما عدده وتوعد بامرين احدهما هوان المعوج منهم عن طاعته عليه وسقوط منزلته
والثاني اعظام العقوبة له وعدم الرخصة فيها عنده ولما بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان ياخذوا ذلك
البيان والنصح منه ومن سائر امراء العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح الله به امورهم من الطاعة وفعل
ما امروا به وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم الى عماله على الخراج من عبد الله علي امير المؤمنين الى
اصحاب الخراج اما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها واعلموا ان ما كلفتم يسير
وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه
ما لا عذر في ترك طلبه فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء
الائمة ولا تحشموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف

يعتملونها

ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسّن مال احد من الناس مصلّ ولا
معاهد الا ان تجدوا فرسا او سلاحا يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي
اعداء الاسلام فيكون شوكة عليه ولا تدّخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا
دين الله قوة وابلوا في سبيله ما استوجب عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا
وان ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة الا بالله **اقول** السفير الرسول وحشمته واحشمته بمعنى اي اغضبته
واخجلته والشوكة القوة والبلية معروفا اي اعطيته وصدر الكتاب تقدمة كلية وهو ان من لم يحذر ما يصير
اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه استعدادا يحرزها منها فان الانسان انما يستعد للامر المرغوب او
المرهوب اذا رغب فيه او خافه وهي في معرض التوبيخ على ترك الحذر لغرض تقديم طاعة وما يستعد به
الانسان مما يحرز نفسه من عذاب الله ثم اعلمهم بكون التكليف لم يبدأ استثقالا وكون ثوابه كثيرا رغبة
فيه وهو في قوة صغرى ضمير رغبتهم في القيام بالامور المكلف بها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك
وجب القيام به والاجتهاد فيه ثم اردفه بالتنبيه على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعلهما من العقاب
الاليم وتركه من الثواب العظيم الذي لا عذر في ترك طلبه لو لم يكن في فعله عقاب والمعنى انه لو لم يكن
فيه عقاب يخاف فتركه لاجل كان في تركه ثواب يجب لاجله تكليف وفي فعله العقاب الاليم فاولى
ان يجب تركه وهو من افصح الكلام والغرض التحذير من الوقوع في رذيلة الظلم ثم اردف ذلك باوامر
ونواهي فمن الاوامر ان ادوا الانصاف الرعية من انفسهم ويصبروا لما انشأ ان يصبروا لحوائجهم
لينتظم امر مصلحتهم وعلل ذلك بكونهم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء ائمتهم اليهم وهو في
قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فعليه النصفة من نفسه والصبر على حوائجهم ومن النواهي
ستة احدها ان لا يغضبوا احدا ولا يحبوه فيحتجب عن حاجته الثاني ان لا يمنعوا احدا عن حاجته ويحبسوا
وفي الثالث ان يحوجوا احدا في طلب الخراج الى بيع ما يضطر اليه من كسوة او دابة يعتمل بها في عمل
ولا عبد الخامس ان لا يأخذوا من مال احد من اهل القبلة او المعاهدين من اهل الكتاب شيئا الا ان يكون
فرسا او سلاحا يعدى به على المسلمين والاسلام فانه يجب اخذه من ايدي اعدائهم لئلا يكون شوكة
عليهم وهو هنا السادس ان لا يدخروا انفسهم اي من انفسهم نصيحة بل ينفع بعضهم لبعض ولا من الجند
حسن سيرة ولا من الرعية معونة ولا عن دين الله قوة ثم امرهم ان يبلوا في سبيله ويعطوا ما استوجب
عليهم من شكر نعمه وطاعته ثم علل وجوب ذلك بقوله فان الله وهو في قوة صغرى ضمير والمعنى
انه تعالى جعل شكره بجهدنا ونصرته بما بلغت قوتنا صنيعة عندنا اذ كان شكره ونصرته من اعظم
نعمه علينا كما سبق وقيل اراد لان نشكره وتقدير الكبرى وكل من اصطنع عندنا وجب علينا شكره
وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** كتب الى امراء البلاد في معنى الصلوة اما بعد فصلّوا بالناس
الظهر حتى تفيء الشمس مثل مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حيّة في عضو من النهار
حين يسار فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشاء حين

يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا بهم صلوة اضعفهم
ولا تكونوا فتّانين **اقول** جمع في هذا الكتاب اوقات الصلوات المفروضة فالاول وقت الظهر وحدّه
بوقت فيء الشمس اي رجوعها وميلها الى المغرب ثم نبه بتقديره بمربض العنز وهو اول وقت الظهر
وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثاني وقت العصر وقدره ببقاء الشمس بيضاء لم تصفرّ للمغيب وحيّة
واستعار لفظ الحيوة لظهورها على الارض لمكان المشابهة وفي عضو من النهار اي في جزء منه
منه ثم قدر ذلك العضو بمقدار ان يسار فيه فرسخان الثالث وقت المغرب وعرفه بامرين
احدهما حين يفطر الصائم وذلك عند سقوط القرص والثاني حين يدفع الحاج ويفيض من عرفات الى المزدلفة
وبين العلامتين وتقاربهما مع التي ظنين عرفه بها الرابع وقت العشاء الاخرة وعرفه بتواري الشفق
وذلك من ناحية المغرب وحد آخره بثلث الليل وانما حدّ آخر هذا الوقت دون اوقات سائر الفرائض
لان الفرائض يتبين آخر كل وقت منها باول وقت الاخرى ولا كذلك آخر وقت العشاء الاخرة
لاتصاله بالليل الخالي عن الفرائض واما آخر وقت الصبح فيه بطلوع الشمس ايضا ظاهر الخامس وقت
صلوة الغداة وحده بحين يعرف الرجل وجه صاحبه وذلك حين طلوع الفجر الثاني وهو الحمرة
المعترضة من ناحية المشرق والعلامة التي ذكرها اوضح لسائر الناس ثم اوصاهم بفعل وترك اما الفعل
فان يصلوا بالناس صلوة اضعفهم وهو ان لا يطيلوا في القراءة في الفرائض كقراءة البقرة والسور
الطوال فان ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدي ذلك الى المشقة وعجز بعضهم عن اداء الفريضة
في الجماعة وهو مناف ? في الدين واما الترك فان لا يكونوا فتانين باطالة الصلوة ووجه الفتنة بها
انهم يكونون صارفين الناس عن الاتفاق والاستعداد على صلوة الجماعة باطالتها المستلزمة تخلّف العاجز
والضعيف والله اعلم **ومن عهد له عليه السلم** كتبه للاشتر النخعي رحمه الله لما ولاه مصر واعمالها حين اضطرب امر امير
محمد بن ابي بكر وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن **اقول** هو مالك بن الحرث بن الاشتر النخعي من اليمن
وكان من اكابر اصحابه عليه السلم صحابته وذوي النجدة والشجاعة الذين عليهم عمدته في الحروب وروي ان
الطرماح لما دخل على معوية قال له قل لابن ابي طالب اني جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة
وها انا قاصده فقال له الطرماح ان لعلي عليه السلم ديكا اشتر يلتقط جميع ذلك فانكسر معوية من قوله
وفي العهد فصول **الفصل الاول** قوله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله امير المؤمنين
مالك بن الحرث الاشتر في عهده اليه حين ولّاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها
وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي
لا يسعد احد الا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه
فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر نفسه عند الشهوات ويزعها
عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله **اقول** يزعها يكفها وصدّر عليه السلم هذا العهد
بذكر امور هي غرض الولاية وبها يكون نظام الامر فيها ما يعود الى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج

ومنها ما يعود إلى الرعية وهي جهاد عدوهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعي ومنها ما يعود إليهما وهو
عمارة البلاد ولواحقها ثم أمره بأوامر خمسة يعود إلى إصلاح نفسه أولا أحدها تقوى الله وخشيته وقد سبق
بيان كونها أصلا لكل فضيلة الثاني اتباع أوامره في كتابه من فرائضه وسننه ورغب في ذلك بقوله لا يسعد
إلى قوله إضاعتها وكرر بيان ذلك الثالث أن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدو وإنكار
المنكرات ورغب في ذلك بقوله وقد تكفل إلى قوله أعزه كقوله تعالى إن تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم الرابع أن يكسر من نفسه عند الشهوات وهو أمر بفضيلة العفة الخامس أن يكفها ويزعها عند الجمحات
وهو أمر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة وحذر من النفس بقوله فإن النفس إلخ وهو من
قوله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء الآية وما يعني من ذي نصب على الاستثناء أي إلا النفس رحمها الله

الفصل الثاني في أوامره ووصاياه بالأعمال الصالحة المتعلقة بأحوال الولاية وتدبير الملك والرعية
وذلك قوله ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وأن الناس
ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم
وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل
الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت وكرهت
وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان
إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد
والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فإنك فوقهم ووالي
الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله
فإنه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن إلى
بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين
وتقرب من الغير وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك
وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ويكف عنك من غربك
ويفيء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فإن الله
يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه
هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض
حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله
سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل
وأجمعها لرضا الرعية فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس
أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف
وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة وإنما عمود الدين

سميع — المضطهدين

وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم
عندك أطلبهم لمعائب الناس فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك
تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك
أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تعجلن إلى تصديق
ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر
ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى
يجمعها سوء الظن بالله إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك
بطانة فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم
وأوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على إثمه أولئك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى
عليك عطفا وأقل لغيرك إلفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم
بمر الحق وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق
بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو
وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان
وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن وال برعيته
من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمر
يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك
عنده وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة
واجتمعت عليها الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها
والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة
ما استقام به الناس قبلك **أقول** الضاري المعتاد للصيد المجترئ عليه والصفح الإعراض عن الذنب والبجح
بسكون الجيم الفرح والسرور والبادرة الحدة والمندوحة السعة والإدغال إدخال الفساد في الأصل
والنهك الضعف والأبهة العظمة والمخيلة الكبر ويطامن يسكن وطماح النفس جماحها وطمح البصر ارتفع وغرب الفرس
حدته وأول جريه والمساماة مفاعلة من السمو والجبروت الكبر العظيم وأدحض حجته أبطلها وينزع يرجع
وأجحف به ذهب والإلحاف شدة السؤال وملمات الدهر ما يلم من خطوبه وجماع المسلمين جمعهم والصغو
الميل والشنآن البغض والوتر الحقد والتغابي التجاهل والتغافل وبطانة الرجل خاصته والآصار الآثام
وحفلاتك أي حفلك في المحافل والمجامع والإطراء المدح البالغ والزهو الكبر والتدريب التعويد
والمنافثة المحادثة واعلم أن مدار هذا الفصل لما كان على أوامره بالأعمال الصالحة في البلاد والعباد نبه أولا
على بيان العلل الغائية لذلك وهو الذكر الجميل في العقبى والكون من الصالحين ليعمل له وذلك بقوله اعلم
أني قد وجهتك إلى قوله تقول فيهم وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها أنك متوجه إلى بلدة حالها كذا وكذا وحال

وأنت واجد منهم ٤

الظن ٢

الناس في خلف ما كنا وتقدير الكبرى وكل من كان وجه الى بلدة كذلك وكان الناس ينظرون من امره في مثل
ما كان ينظر قبله من امر الولاة ويقولون فيه مثل ما كان يقول فيهم فيجب عليه ان يكون احب الامور اليه العمل
الصالح ليحصل له الذكر الجميل بين الناس الدال على كونه المذكور عندالله من الصالحين ونبه على تلك الدلالة
بقوله وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده وفي خلاصة اجزاء القول الى آخره
ترغيب عظيم في تحصيل الذكر الجميل ثم اعقب ذلك بامره ان يجعل العمل الصالح احب الذخائر اليه واستعار له
لفظ الذخيرة باعتبار ان تحصيله في الدنيا لغاية الانتفاع به في العقبى كالذخيرة ولما امره بالعمل الصالح
اجمالا شرع في تفصيله وذكر انواعا احدها ان يملك هواه في شهوته وغضبه فلا يتبعهما فيرتكب ما لا يحل
له من المحرمات وقوله فان الشح الى قوله كرهت تفسير لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف
على حد العدل في المحبوب فلا يقوده شهوته الى حد الافراط فيقع في رذيلة الفجور وفي المكروه
فلا يقوده غضبه الى طرف الافراط من فضيلة العدل فيقع في رذيلة الظلم والتهور وظاهر ان ذلك
شح بالنفس وبخل بها عن القائها في مهاوي الهلاك الثاني ان يشعر قلبه الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف
بهم وهي فضائل تحت ملكة العفة اي اجعل هذه الفضائل شعارا لقلبك ولفظ الشعار والسبع مستعاران
واشار الى وجه استعارة السبع بقوله تغتنم اكلهم الثالث ان يعفو ويصفح وهو فضيلة تحت الشجاعة
وقوله فانهم الى قوله في الخلق بيان لسببين من اسباب الرحمة لهم واللطف بهم وقوله يفرط منهم الزلل الى
قوله الخطأ تفسير لجملة وهي السبب الثالث والكلام في قوة صغرى ضمير في حسن العفو والصفح واراد بالعلل
التي تعرض لهم الامور الشاغلة الصارفة لهم عما ينبغي من اجزاء اوامر الولاة على وجهها وقوله ويؤتى
على ايديهم كناية عن كونهم غير معصومين بل هم ممن يؤتون من قبل العمد والخطأ وما يتأتى ايديهم اوامر الولاة
والمواخذات بما يقع منهم من عمد او خطأ وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي ان يرحم ويشمل بالمحبة
واللطف به ويقابل خطاه بالعفو والصفح وفي امره باعطاء العفو مثل الذي يحب ان يعطيه الله من عفوه
اتم ترغيب في العفو واقوى جاذب اليه وكذلك قوله فانك فوقهم الى قوله وابتلاك بهم تخويف من الله
في معرض الامر بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير اخر في ذلك الرابع نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله
وكنى بحربه عن الغلظة على عباده وظلمهم ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية وقوله فانه لا يدي لك الى قوله
ورحمته صغرى ضمير نبه به على انه لا يجوز ظلم عباد الله ومحاربته وكنى بعدم اليدين عن عدم القدرة
يقال مالي بهذا الامر يد اذا كان مما لا يطاق وحذف النون من يدين لمضارعته المضاف وقيل لكثرة
الاستعمال وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز ان ينصب لحرب الله بظلم عباده الخامس نهاه
عن الندم على العفو وعن التبجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد عنه مندوحة فان ذلك
كله من لوازم اعطاء القوة الغضبية قيادها وقد علمت انها شيطان تقود الى النار السادس نهاه ان
يأمر بما لا ينبغي الامر به ويخالف الدين وفي ذلك ما فيه تعرض في النفس من وجوب طاعة الخلق له
وان عليهم ان يسمعوا ويطيعوا امره فان ذلك فساد في القلب والدين واشار الى ذلك الفساد

بقوله

بقوله فانه ادغال الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة احدها انه ادغال في القلب وصرف له عن دين الله وهو
معنى افساده الثاني ان ذلك منهكة للدين وامتهان له الثالث انه تقرب من الغير لكون الظلم من اقوى
الاسباب المعدة بتجمع هم الخلق على زوال الدولة واليه الاشارة بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم والكلام في قوة ثلث صغريات ثلثة ضماير وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان كذلك
فلا يجوز ارتكابه السابع ارشده الى دواء داء الابهة والكبر الذي عساه يعرض له في سلطانه وولايته وهو
ان ينظر الى عظم ملك الله فوقه وقدرته على ما لا يقدر عليه من نفسه ولا يستطيع جلبا لها او دفعا عنها فان
ذلك يكسر داء الكبر الذي يحدث له فيطامنه ويكسر حدة غضبه ويرده اليه ما عزب عنه من عقله
فذهب عنه جاها وهذه ايضا صغريات ثلث ثلثة ضماير تنبيها على وجوب فعل ما ارشده اليه من الدواء
وتقدير الكبريات فيها وكلما كان كذلك فيجب عليك فعله الثامن حذره من التعظيم والتجبر ونفره من ذلك
بكونهما مساماة لله وتشبها به وبان الكبر يستلزم ان يذل الله صاحبه ويهينه وتقدير الاحتجاج
فانك ان تجبرت واختلت يذلك الله ويهنك وهو في قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل
من كان كذلك فيجب ان يحذر من الله بترك التجبر التاسع امره بانصاف الله وانصاف الناس من نفسه
واهل هواه من رعيته فانصاف الله العمل باوامره والانتهاء عن زواجره مقابلا بذلك نعمه وانصاف
الناس العدل فيهم والخروج اليهم من حقوقهم اللازمة له لنفسه واهل خاصته ومن احتج على وجوب ذلك الانصاف
بقياس مفصول صغرى الاول قوله فانك ان لا تفعل تظلم اي تظلم عباد الله وكبراه ومن ظلم عباد الله
كان الله خصمه دون عباده وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل كان الله خصمك دون عباده وهي صغرى
لقياس اخر كبراه قوله ومن خاصمه الله الى قوله ويتوب وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل ادحض الله
حجتك عند مخاصمته وكنت له حربا الى ان تنزع وتتوب من ظلمك وقوله وليس شيء الى قوله على ظلم تنبيه
على لازم اخر لعدم الانصاف والاقامة على الظلم وهي كونه ادعى الى تغيير نعم الله وتعجيل نقمته من
كل شيء وقوله فان الله الى قوله بالمرصاد بيان للزوم اللازم المذكور وذلك ان الله سبحانه اذا كان
يسمع دعوة المظلوم ويطلع على فعل الظالم فانه يسرع الى تغييره منه اذا استعد لذلك العاشر امره
ان يكون احب الامور اليه اقربها الى حاق الوسط من طرفي الافراط والتفريط وهو الحق
واعمها للعدل واجمعها لرضا الرعية فان العدل قد يوقع على وجه لا يعم العامة بل تقع فيه رضا
الخاصة فقط بل يجحف به وانه لا ينفع برضاهم عند سخط العامة وذلك يؤدي الى وهن الدين وضعفه
اما سخط الخاصة فانه مغتفر ومستور عند رضا العامة فكان رضاهم اولى ثم لانه وصف الخاصة
بصفات مذمومة تستلزم قلة الاهتمام بهم بالنسبة الى العامة بصفات محمودة توجب العناية بهم اما صفات
الخاصة فاحدها كونهم اثقل مؤنة على الوالي في الرخاء لتكلفهم ما لا يكلفه غيرهم الثاني كونهم اقل معونة
له في البلاء لمحبتهم الدنيا وغرة جانبهم الثالث وكونهم اكره للانصاف لزيادة اطماعهم في ذلك
الرابع وكونهم اسأل بالالحاف لانهم عند الحاجة الى السؤال اشد جراءة على الوالي واطمع في الاثابة

فالخامس كونهم اقل شكرا عند الاعطاء لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما يعطونه واعتقادهم حاجة
الوالي اليهم وتخوفه منهم السادس كونهم اضعف عذرا للوالي ان منعهم اي انهم اقل سامحا لان اعتذرا بهم نوادر اعتقادهم
فضل انفسهم وكونهم واجبي قضاء الحقوق السابع كونهم اضعف صبرا عند ملمات الدهر لتعودهم الترفه وجزعهم على
ما خرج من ايديهم من الدنيا واما صفات العامة فاحدها كونهم عمود الدين واستعار لهم لفظ العمود باعتبار قيام
الدين بهم كقيام البيت بعموده الثاني كونهم جماع المسلمين لكونهم الاغلب والاكثر والسواد الاعظم الثالث
كونهم العدة للاعداء لكثرتهم ايضا ولانهم كانوا اهل الحرب في ذلك الزمان وهذه الصفات للفريقين يستلزم
وجوب حفظ قلوب العامة وتقويمها على حفظ قلوب الخاصة ولذلك امره ان يكون صغوه وميله اليهم الحادي
عشر امره ان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم اليه اطلبهم لمعايب الناس ونبه على وجوب ذلك فان
في الناس الى قوله ستره واذا كان الوالي احق من ستر الزلة ان لا يكشف عما غاب عنه منها وذلك يجمع اهل
النميمة وابعادهم وان يلزم ما يجب عليه وهو تطهير الخلق عما ظهر له من ذنوبهم دون ما غاب عنه واكد ذلك
بالامر بستر العورة من الغير بقدر الاستطاعة فان كل عيب عورة ورغبه في ذلك بما يستلزم
من اعداده لستر الله منه ما يحب ان يستره هو على رعيته من الذنوب والعيوب الثاني عشر امره ان يحل
الحقد وعقد ما عقده في كله منه لكونه من الرذائل الموبقة وان يقطع اسبابه من قبول السعاية واهل
النميمة الثالث عشر ان يتغافل عن كل امر لم يتضح له ولا يقوم به برهان ونهاه ان يعجل الى تصديق من
سعى به ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فان الساعي الى قوله الناصحين ووجه غشه كونه مثيرا للاحقاد
والضغائن بين الناس ومشيع الفاحشة والفساد في الارض وتقدير كبراه وكل من كان غاشا
وجب ان لا يلتفت اليه الرابع عشر نهاه ان يدخل في مشورته البخيل والجبان والحريص ونبه على
وجه المفسدة في استشارة كل واحد من الثلثة بضمير صغرى الاول قوله يعدل بك الى قوله الفقر وذلك
ان البخيل لا يشير الا بما يراه مصلحة عنده وهو البخل وما يستلزمه من التخويف بالفقر وهو يعدل بالمستشير
عن الفضل وصغرى الثاني قوله يضعفك عن الامور لان الجبان لا يشير الا بوجوب حفظ النفس والتخويف
من العدو وهو المصلحة التي يراها وكل ذلك يضعف عن الحرب ومقاومة العدو وصغرى الثالث
قوله يزين لك الشره بالجور وذلك ان المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو يستلزم الجور من تحصيله العدل
والقصد وتقدير الكبرى في الثلثة وكل من كان كذلك فلا يجوز استشارته ثم نفر عن الثلثة بضمير آخر
نبه بصغراه على مبدأ رذائلهم الثلث وهي البخل والجبن والحرص لتعرف فتجتنب وتنفر من اتخاذ ذلك
انها غرائز اي اخلاق متفرقة يجمعها للنفس من اصل واحد فيجمع اليه وهو سوء الظن بالله وبيان ذلك
ان مبدأ سوء الظن بالله عدم معرفته تعالى فالجاهل به لا يعرفه من جهة ما هو جواد فياض بالخيرات على
المستعد لها فيسوء ظنه به وبانه لا يخلف عليه عوض ما يبذله فيمنعه ذلك مع ملاحظة الفقر من البذل
فتلزمه رذيلة البخل وكذا الجبان جاهل به تعالى من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم وغير عالم بقدره
فيسوء ظنه بانه لا يحفظه من التلف وورود الهلاك فيمنعه ذلك من الاقدام في الحرب ونحوها فيلزمه رذيلة الجبن

وكل

وكل الحريص يجهله تعالى من الوجهين المذكورين فيسوء ظنه به ويعتقد انه اذا لم يحرص الحرص المذموم لم يوصل
اليه تعالى ما يصلح حاله مما يسعى فيه ويحرص عليه فيبعثه ذلك على الحرص وكذا النفس فكانت هذه الاخلاق الثلثة
المذمومة راجعة الى ما ذكره عليه السلم الخامس عشر لما كان من الاعمال الصالحة اختيار الوزراء والاعوان نبهه على
من لا ينبغي استصلاحه لذلك ليجتنبه ومن ينبغي ان يرغب فيه فمن لا ينبغي هو من كان للاشرار من الولاة قبله وزيرا
وشريكا لهم في الآثام ونهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة له ونفر عنهم بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله الظلمة
وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا تتخذه بطانة وقوله ممن له مثل آرائهم تنبيه على من هو خير الخلف من الاشرار وهم
الذين ينبغي ان يستعان بهم وبيان لوجه خيريتهم بالنسبة الى الاشرار وهو ان يكون لهم مثل آرائهم ونفاذهم في
الامور وليس عليهم مثل آصارهم ولم يعاونوا ظالما على ظلمه ثم رغب في اتخاذ هؤلاء اعوانا بضمير صغراه قوله
اولئك اخف الى قوله الفا اما انهم اخف مؤنة فلان لهم وازعا من انفسهم عما لا ينبغي لهم من سالف اعمال فلا يحتاج
في ارضائهم ما ينبغي لهم وردعهم عما لا ينبغي الى مزيد كلفة بخلاف الاشرار والظالمين فيما لا ينبغي ولوجب
قربهم الى الحق ومجانبتهم للاشرار كانوا احسن معونة واثبت عنده قلوبا واشد حنوا عليه وعطفا واقل
لغيره الفا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يتخذ عونا ووزيرا ولذلك قال فاتخذ اولئك خاصة
لخلواتك وحفلاتك ثم ميز من ينبغي ان يكون اقرب هؤلاء اليه واقواهم في الاعتماد عليه باوصاف احدها
ان يكون اقولهم بمر الحق له الثاني ان يكون اقلهم مساعدة له فيما يكون منه ويقع من الامور التي يكرهها
الله لاوليائه واشار بقوله واقعا ذلك الى قوله حال اي في حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلة المساعدة
حيث وقع من هواك سوى كان في هوى عظيم او يسير او حيث وقع هواك اي سواء كان ما تهواه
عظيما او يسيرا ويحتمل ان يريد واقعا ذلك الشاق من هواك ومحبتك حيث وقع اي يجب ان يكون له من
هواك موقعا ثم امره في اختيارهم واختبارهم باوامر احدها ان يلازم اهل الورع منهم واهل الحلم
واهل الصدق وهما فضيلتان تحت العفة الثاني ان يروضهم ويؤدبهم بالنهي عن الاطراء له وان يبجحوه
له سرورا بقول باطل ينسبونه فيه الى فعل ما لم يفعله فيه فلو نفي ذلك قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا في
بما لم يفعلوا ونفره من كثرة الاطراء بضمير صغراه قوله فان كثرة الاطراء الى قوله العزة واستلزام الاطراء
العزة بين المذكور وتبين ظاهر وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب اجتنابه الثالث نهاه ان يكون المحسن
والمسيء عنده بمنزلة سواء ونفر عن ذلك ببيان وجه المفسدة في ضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله الاساءة
وسره ان اكثر فعل الاحسان انما يكون لطلب مجازاة بخصوصها من الولاة ولطلب زيادة الرتبة على الغير
وزيادة الذكر الجميل مع انواع من الكلفة في ذلك فاذا راى المحسن مساواة منزلته لمنزلة المسيء كان ذلك
صارفا له عن الاحسان وداعيا الى الراحة من الكلفة وذلك الترك تمادا لكون الاساءة انما تترك خوفا من الولاة
واشفاقا من نقصان الرتبة عند النظر فاذا راى المسيء مساواة مرتبته مع مرتبة المحسن كان التقصير به
اوسط وتقدير الكبرى وكلما كان فيه تزهيد للاحسان وتدريب على الاساءة فينبغي ان يجتنب ثم الزم ذلك
بامره ان يلزم كلا من اهل الاحسان واهل الاساءة بما الزم به نفسه من الاستعداد بالاحسان والاساءة لما فيلزم المحسن

من ترك الاحسان ويلزم المسيء من ترك الاساءة السادس عشر تنبيه على الاحسان الى رعيته وتخفيف المؤنات عنهم وترك
استكراههم على ما ليس له قبلهم بالسيرة وذلك يحسن ظنه بهم المستلزم لقطع التعب عنه من قبلهم والاستراحة
اليهم وذلك ان الوالي اذا احسن الى رعيته قويت رغبتهم فيه واقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته وذلك يستلزم
حسن ظنه بهم فلا يحتاج معهم الى كلفة في حفظ ابوابهم والاحتراز من شرورهم والى ذلك اشار بقوله وان احق من حسن
ظنك به الى قوله عنده السابع عشر نهاه ان ينقض سنة صالحة عمل بها السلف الصالح من صدور هذه الامة واجتمعت
بها الالفة وصلاح الرعية وذلك مفسدة ظاهرة ثم الثامن عشر نهاه ان يحدث سنة تضر بشيء من ماضي
السنن واشار الى وجه المفسدة فيها بقوله فيكون الى قوله منها والضمير في سنها يعود الى السنن التي دخل بها الاجر
فيكون الاجر لمن سن السنة الماضية التي احدثت ما ينقضها الحادثة والوزر عليك بما نقضت منها وتقديره
كمراه كلما كان كذلك فينبغي ان يجتنب ويتحرز منه التاسع عشر امره ان يكثر مدارسة العلماء اي بالاحكام
الشرعية وقوانين الدين ومنافثة الحكماء اي العارفين بالله واسراره في عباده وبلاده العالمين
بالقوانين الحكمية العملية التجربية والاعتبارية وتضييع انواع الاخبار في تثبيت القواعد والقوانين
التي يصلح عليها امر بلاده واقامة ما استقام به الناس قبله منها وبالله التوفيق

ثم الشبه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم امر المدينة ووضع كل على حده وطبقته التي يقتضي الحكمة وضعه
وصنفهم فيها واشار الى تعلق كل طبقة بالاخرى بحيث لا صلاح لبعضهم الا بالبعض وبذلك يكون
قوام المدينة ثم بالاشارة الى ما يستحق كل صنف وطبقة ويكون الحال لتلك المرتبة والوصية في كل
ما يليق به وذلك قوله واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها
جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها
اهل الجزية والخراج من الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي
الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه او سنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله
عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن
وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون
عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال
والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام
لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم
من الترفق بايديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم
ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه فول من جنودك انصحهم في نفسك لله
ولرسوله ولامامك وانقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف
بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي الاحساب
واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم

وشعب

وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن
لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا
على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك
عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون
همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة
امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم و
تعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف
لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه ولا يدعونك شرف
امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى الله
ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول فالراد الى الله الآخذ بمحكم كتابه والراد الى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر
للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا
يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه اوقفهم في الشبهات
وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه
اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته وتقل
معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال
الرجال له عندك وانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه
بالهوى ويطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهما
جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام
المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا ثم اسبغ
عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم وحجة عليهم ان
خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك
في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم
بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه
العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار
التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم
الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في
استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد

ولم تستقم أمورهم الا قليلا فإن شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف
بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به
عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا
فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث
من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب
الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم
بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك واسرارك
باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة
عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما ياخذ لك ويعطي منك
ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان
الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن
الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ليس وراء ذلك من النصيحة والامانة
شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان
ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لراس كل امر من امورك راسا منهم لا يقهره كبيرها
ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص بالتجار وذوي
الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب
المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها
ولا يجترئون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي
بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات
وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع
بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك
اياه فنكل به وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين
والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم
واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي
للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم
فلا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره
الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار
الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله
في تادية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسالة نفسه وذلك على

الولاة

الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم
اقول المعاقد جمع معقد مصدرا والمرافق المنافع وتفاقم الامر عظم والخلوف المختلفون جمع خلف والتحنن
والحيطة الشفقة [illegible] والمحك اللجاج والحصر العي والبرم التضجر والازدهاء افتعال من
الزهو وهو الكبر والاطراء كثرة المدح والاقتيال الاخذ مغالبة والمحاباة المعاطاة والمقاربة فيها
والاثرة الاستبداد والجلاع الجمع والتوخي القصد والحدوة الحث والشرب النصيب من الماء والبالة
القليل من الماء يبل به الارض واحالة الارض تغيرت عما كانت عليه من الاستواء فلم يحصل زرعها ولا
اثمر نخلها والاجمام الاراحة ومعتمدا قاصدا والاعواز الفقر واستنام الى كذا سكن اليه والمترفق
طالب الرفق من التجارة والمطارح جمع مطرح وهي الارض البعيدة والبائقة الداهية والغائلة الشر
والاحتكار حبس المنافع عن الناس عند الحاجة اليها والبؤسى الشدة والقانع السائل والمعتر الذي
يتعرض للعطاء من غير سؤال والصوافي جمع صافية وهي ارض الغنيمة والتافه الحقير وتصعير الخد
امالته كبرا وتقتحمه تزدريه والاعذار في الامر صار ذا عذر فيه واعلم ان في الفصل ابحاثا
البحث الاول انه قسم اهل المدينة الى سبع طبقات وحكم بانه لا يصلح بعضها الا بالبعض فمنها
وقوله من اهل الذمة ومسلمة الناس تفصيل لاهل الاول فاهل الذمة تفسير لاهل الجزية ومسلمة الناس
تفسير لاهل الخراج ويجوز ان يكون تفسيرا لاهل الجزية والخراج لان للامام ان يقبل ارض الخراج من ارباب
المسلمين واهل الذمة واراد بالسهم الذي سماه الله لكل منهم الاستحقاق لكل من ذوي الاستحقاق
في كتابه اجمالا من الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة وفصله في سنة نبيه صلى الله عليه وآله
وحده الذي وضع الله عليه عهدا منه عندنا اهل بيته هو مرتبته ومنزلته من اهل المدينة الذين
لا يقوم الا بهم فان للجندي منزلة وحدا محدودا لا يجوز له تعديه وفريضته وقوته عنده والعمل بما
يلزم تلك المرتبة وكذلك الكتاب والعمال والقضاة وغيرهم فان لكل منهم حدا يقف عنده وفريضة
يلزمها عليها عهد من الله محفوظ عندنا اهل بيته عليهم السلام اشتملت عليها الشريعة البحث الثاني
انه بين بقوله فالجنود باذن الله الى قوله معونتهم على ان لكل من الاصناف المذكورة تعلقا بالاخر
بحيث لا يقوم الا به والحاجة اليه ضرورية بمجموعهم تقوم صورة المدينة فبدأ بالجنود لانهم الاصل
وذكر وجه الحاجة اليهم في اربعة اوصاف احدها كونهم حصون الرعية واستعار لهم لفظ الحصون
باعتبار حفظهم للرعية وحياطتهم لهم كالحصون الثاني انهم زين الولاة فان الوالي بلا جند كالعادم لرعيته
لا يهابه ولا يطاع له امر والنكتة فيه ظاهرة الثالث كونهم عز الدين واطلق لفظ العز عليهم اطلاقا
لاسم اللازم على الملزوم اذ كان العز للدين لازما لوجودهم الرابع استعار لفظ الامن لهم باعتبار
لزوم الامن لوجود الجند في الطرق ونحوها والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان
كذلك فليس تقوم الرعية الا به وقوله وليس تقوم الرعية الا بهم نتيجة القياس المذكور وقوله باذن الله
تنبيه على انه اراد وجود الجند الذين هم مقتضى الحكمة لا مطلق الجنود الثالث ان اهل الخراج ومن يؤخذ منهم و

الى وجه استلزام الاحتياج الى الجند حاجة اليهم بقوله ثم لا قوام للجنود الى قوله حاجتهم فقوله لا قوام الى قوله الخراج
دعوى وقوله الذين يقوون الى قوله حاجتهم نتيجة قوة صغرى حذف منه بعلمها وتقدير كبراه وكلما كان كذلك
فلا قوام للجند الا به فينتج انه لا قوام للجند الا بما يخرج الله لهم من الخراج ولما كان الخراج انما يحصل من جانب الرعية
ولا يقوم الجند الا بهم الثالث القضاة والعمال والكتاب وجعل وجه الحاجة اليهم واحدا واشار اليه
بقوله لما يحكمون به الى قوله وعوامها فانهم امناء الولاة والرعية على ما يهم من الامور ويختص كلا منهم
وعلى ايديهم تكون احكام العقود وجمع المنافع وهو في قوة صغرى حذف تقدير كبراه وكل من كان كذلك
فحاجة الجند والرعية اليه ضرورية الرابع التجار وذوي الصناعات وادعى انه لا قوام للاصناف
السابقة الا بهم ونبه على ذلك بقوله فيما يجتمعون عليه من مرافقهم فان كل ما يفعله التجار من جلب الامتعة وبيعها
وشرائها ويقيمونه من الاسواق بذلك وما يفعله الصناع من الحرفة بايديهم مما لا يحصل من غيرهم الانتفاع
في مرافق ومنافع الرعية في مقام حاجتهم وضرورتهم وهو في قوة صغرى حذف كبراه مما سبق الخامس
الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة ونبه على وجه الحاجة اليهم بقوله الذين يحق رفدهم ومعونتهم
وبيان ذلك ان رفدهم ومعونتهم يستلزم ابتهاج همهم وتوجه دعائهم لرافدهم ومعينهم وبهم
تستنزل الرحمة وتستدر البركة من الله تعالى لاهل المدينة وبه يدرك الثواب الاخروي فكانت
الحاجة اليهم داعية لذلك ولما اشار الى وجه الحاجة الى جميعهم قال وفي الله لكل سعة اي في جود الله
وعنايته ليعطي الله نفسه تدبر امورهم اذ هو تعالى رب العناية الاولى وقال ولكل على الوالي
حق بقدر ما يصلحه ليعلم ان مراعاة كل منهم واجبة عليه فيشتغل بها وبالله التوفيق البحث الثالث
في امره باستصلاح كل صنف بالاوصاف يجب ان يكون عليها وتفضيله في مقامه فالصنف الاول
الجند واشار الى تعيين من يصلح لهذه المرتبة باوصاف واحدة وثناه بعض باوامر ونواهي اما
الاوصاف فاحدها من كان انصح في نفسه لله ولرسوله ولامامه جيبا اي اكثرهم امانة في العمل
بما امر الله ورسوله وامامه ونزاهة الجيب كناية عن الامين الثاني انقاهم حلما ووصف ذلك الافضل
فقال ممن يبطي عن الغضب ويسرع الى العذر يقبله اذا وجده ويرأف بالضعفاء فلا يغلظ عليهم وينبو
على الاقوياء اي يعلو عليهم ويتجنب الميل اليهم على من دونهم ممن لا يثيره العنف اي لا يكون العنف
يثيره كقوله ولا ارى الغضب بها فيهيج وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا فعل ولا يقعد به
الضعف عن اقامة حدود الله واخذ الحقوق من الظالمين اي لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك
الثالث من كان من اهل الاحساب والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة من الاحوال والافعال
والاقوال الخيرية الرابع من يكون من اهل النجدة والشجاعة الخامس من يكون من اهل السخاء والسماحة
واما الاوامر فاحدها ان يوصل من الجند من كان بهذه الصفات الثلث وان يلصق بين ذكر منهم
اي يلزمهم بهذه المرتبة ويرغبهم بقوله فانهم الى قوله العرف ووصفهم بكونهم جماع من الكرم
وشعب من المعروف اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان الجمع من الكرم وهو الفضايل المذكورة

لازمة

لازمة لهم والامانة والنسك والسماحة فضايل تحت العفة والحلم والنجدة فضيلتان تحت الشجاعة ويحتمل ان يكون
الضمير في قوله فانهم عايدا الى الفضايل المذكورة كقوله تعالى فانهن اضللن كثيرا الاصنام الثاني
ان يتفقد من امورهم ومصالحهم ما يتفقده الوالدان وهو كناية عن نهاية الشفقة عليهم الثالث نهاه ان يعظم
في نفسه شيء يقويهم به من مال او نفع حيث عده الى التفاخر في حقهم الخاص وان لا يحقر لطفا تعاهدهم به
فيهمل اختياره على تركه مراجع لاولوية فعله وان قل بقوله فانه داعية الى قوله الظن بك وتقدير كبرى
هذا الضمير وكلما كان كذلك فالاولى بك فعله الرابع نهاه ان يدع تفقد الصغير من امورهم اتكالا على
تفقد عظيمها واحتج لاولوية فعله بقوله فان لليسير الى قوله موقعا لا يستغنون عنه والمعنى ظاهر فان
موضع اليسير الذي ينتفع به يستغني فيه عن الجسيم وتقدير كبرى هذا الضمير وكلما كان له موضع ينتفع به
فالاولى فعله في موضعه لينتفع به الخامس امره ان يكون اثر رؤس جنده عنده من كان بالصفات
المذكورة وهو الذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم مما في يده بما
يسعهم ويسع من وراءهم من ضعفاء اهليهم وخلوفهم حتى يكون بذلك همهم واحدا فيكونوا بمنزلة رجل واحد
في جهاد العدو ثم رغب في العطف عليهم بانه يستلزم من عطف قلوبهم عليه وهو في قوة صغرى حذف تقدير
كبراه وكلما كان مستلزما لعطف قلوبهم فعله واجب ومصلحة والثاني لما كانت صحة محبتهم من اهم المطالب
بين انها لا تتم الا بامور ثلثة احدها حيطتهم ومحافظتهم على ولاة امورهم الثاني ترك استثقال دولهم
الثالث ان يتركوا استبطاء انقطاع مدة دولهم وذلك في قوة صغرى حذف تقدير كبراه وما لا يتم
اهم المطالب الا به كان من اهم المطالب الثاني امره ان يفسح لهم في امالهم اي يجعل لهم من نفسه
طمعا يفسح به امالهم فيه لان ذلك مما لا يتم الامور الثلثة المذكورة الا به ولذلك رتب هذا الامر
عليها بالفاء الثالث امره ان يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم ونبه لوجوب
ذلك بقوله فان كثرة الذكر الى قوله ان شاء الله وهو ظاهر والقضية في قوة صغرى حذف تقدير كبراه
وكلما كان كذلك كان واجبا العاشر امره ان يعرف لكل امرئ ما ابلى وينسب اليه لانه يهز الشجاع
ويشجع الجبان الحادي عشر نهاه ان يضم بلاء امرئ الى غيره الثاني عشر وان يقصر به دون غاية
بلائه فيذكر بعضه او يحقره الثالث عشر وان يدعوه شرف امرئ الى ان يعظم صغير بلائه او ضعة
امرئ ان يستصغر كبير بلائه فان كل ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد الرابع عشر امره ان
يرد الى الله ورسوله ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الامور محتجا بالاية ثم فسر الرد الى الله
بالاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول بالاخذ بسنته ووصف السنة بكونها جامعة لان مدارها على وجوب
الالفة واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك سبيله الصنف الثاني قضاة العدل ونبه لهم باوصاف
واوامر ونهي اما الاوصاف فاوجب ان يكون افضل رعيته في نفسه وميز ذلك الافضل
بصفات احدها ان يكون ممن لا تضيق به الامور فيما يرفع اليه حين يرد عليه الثاني ومن لا تمحكه
الخصوم اي يغلبه على الحق باللجاج وقيل ذلك كناية عن كونه ممن يرضيه الخصوم فلا لجاج وتقبل

قوله الثالث ان لا يتمادى في الزلة اذا زل فان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الضلال الرابع ان لا يحصر
من الرجوع الى الحق اذا عرفه كما يفعله قضاة السوء حفظا للجاه وخوفا من شناعة الغلط الخامس ان لا تشرف نفسه
على طمع فان الطمع في اموال الناس داعية الحاجة اليهم والميل عن الحق السادس ان لا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه
اى بعض الغلط السابع ان يكون اوقف الناس عند الشبهات لانها مظنة الوقوع في المآثم الثامن واخذهم بالحجج
التاسع واقلهم تبرما بمراجعة الخصم لاستلزام التبرم من تضييع الحقوق العاشر وكذلك واصبرهم على تكشف الامور
الحادي عشر واصرمهم عند اتضاح الحكم فان في ذلك الحيرة آفات الثاني عشر ومن لا يحدث له كثرة المدح كبرا ولا
ومن لا يستميله الى غير الحق اغراؤه ثم حكم بقلة من يجتمع فيه هذه الصفات بقوله وقليل ما هم واولا دون ان
يكون شرطا في القضاء واما الاوامر فاحدها ان يختار من كان بالصفات المذكورة الثاني ان يكثر تعاهد
قضائه لتقطع ظنه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله الثالث ان يفسح له في البذل ما يزيح علته وهو كناية عما
يكفيه ويقل معه حاجته الى الناس فلا يميل اليهم ولا يحتمل ان يكون بدلا من البذل وان يكون مفعولا لفعل
محذوف دل عليه البذل كانه قال فيبذل له ما يزيح علته وان يكون مفعولا ليفسح اى يوسع له ما يكفيه من المال
ويحتمل ان يكون في معنى مصدر يفسح اى يفسح له فسحا يزيح علته الرابع ان يعطيه من المنزلة عنده ما لا يطمع فيه
معها غيره من خاصته ليأمن بذلك اغتيال الاعداء وتقدير كبرى هذا الضمير وكلما كان كذلك فواجب
الخامس ان ينظر في اختيار من كان بهذه الصفات وفيما امره به نظرا بليغا يعمل باقتضائه وعلل ذلك بقوله
فان هذا الدين الى قوله الدنيا واستعار لفظ الاسير باعتبار تصرفهم فيه كالاسير والكلام صغرى ضمير
تقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب النظر في اختيار من يعمل بالحق ويخرجه من اسر الاشرار وبالله التوفيق
الصنف الثالث العمال وبين لهم ايضا اوصافا وامره فيهم باوامر فمن الاوصاف احدها
ان يكون العامل من اهل التجربة للاعمال والولايات ليعمل على مقتضى قواعدها وبدا بذلك لانه الاصل
الاكبر للعمل الثاني ان يكون من اهل الحياء فلا ينتهي حياؤه الى حد الاستخذاء وهو طرف التفريط من فضيلة
به الحقوق والمصالح ولا يتجاوزه الى حد الوقاحة فيقع في طرف الافراط وما يلزمه من المجاهرة ونزق القلوب
منه الثالث ان يكون من اهل البيوتات الصالحة والقدم السابقة في الاسلام وهي كناية عن البيوت
المتقدمة في الدين والخير ولهم في ذلك اصل عريق واشار الى وجه الحكمة في توليته من كان بهذه الصفات
الثلث بقوله فانهم الى قوله نظرا وذلك ان الحياء وصلاح البيوت والتقدم في الاسلام يفيدهم كرم
الاخلاق ومحافظة الاعراض من المطامع وقلة الاشراف والتطلع الى المطامع الدنية والتجربة تفيدهم
بلاغ النظر في عواقب الامور والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب
ان يقصد بالتولية والعمل واما الاوامر فاولها ان ينظر في امورهم فيستعملهم بعد التجربة والاختبار
ولا يوليهم محاباة واثرة كان يعطوه شيئا على الولاية فيوليهم ولكنه قد نهى بذلك دون مشاورة
فيه فانهما اى المحاباة والاثرة كما هو مصحح به في بعض النسخ عوض الضمير جماع من شعب الجور والخيانة
اما الجور فلخروج بهما عن واجب العدل المأمور به شرعا واما الخيانة فلان المتولي في اختيار من

وهو

وهو الامانة في نويد الناصب لهم فكان نفسهم من دون ذلك بمجرد المحاباة والاثرة خروجا من الامانة ودخولا
في الخيانة وثانيها ان يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكورة للعلل المذكورة الثالث ان يسبغ عليهم الارزاق
وبين المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم الذي
الثاني انه غنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم من اموال المسلمين الثالث انه يكون حجة عليهم ان خالفوا امره
او ثلموا امانته واستعار لفظ الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضمائر تقدير كبرياتها وكلما كان كذلك
كان فعله مصلحة واجبة الرابع ان يتفقد اعمالهم ويبعث العيون والجواسيس من اهل الصدق والوفاء عليهم
اشار الى وجه المصلحة في ذلك بقوله فان تعاهدك الى قوله بالرعية فان تعهده لامورهم مع علمهم بذلك
منه يبعثهم على اداء الامانة ويحثهم على استعمال الرفق بالرعية والمذكور صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان
كذلك فيجب فعله الخامس ان يتحفظ من خيانة الاعوان من العمال وارشده بقوله فان احد منهم بسط الى قوله
التهمة الى ما ينبغي من اذاهم واكتفى بشهادة العيون واستعار لفظ التقليد لتعليق نسبة التهمة اليه ملاحظة لشبهها
بما يقلد به من الشعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة ووجه العقوبة مقدرة بحسب العرف ورأي الامام
او من استقصاه الصنف الرابع اهل الخراج وامره فيهم باوامر احدها ان يتفقد امر خراجهم ويفعل فيه
ما يصلح اهله كما سيشرحه ثم اشار الى وجه المصلحة فيه بقوله فان في صلاحه الى قوله الا بهم وذلك
لتوقف صلاح من سواهم الا بهم على حصر صلاح الغير فيهم تأكيدا وتقدير الكبرى وكل من كان لا صلاح
للناس الا به فيجب ما فيه امره وتفقد احواله ثم بين الصغرى بقوله لان الناس كلهم عيال على
الخراج واهله وهو ظاهر في ذلك الوقت الثاني ان يكون نظره في عمارة الارض ابلغ من نظره في
جلب الخراج واستجلابه وبين وجه الحكمة فيه بقوله لان ذلك اى الخراج لا يدرك الا بالعمارة وهو في
قوة صغرى ضمير ثم نبه بقوله ومن طلب الى قوله قليلا وهو اشارة الى ما يلزم نقيض المدعى وهي مفاسد
احداها اخراب البلاد لعدم العمارة والثانية اهلاك العباد وتكليفهم ما ليس في وسعهم والثالثة عدم استقامة
امر الطالب للخراج والوالي على اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى وكلما لا يدرك الا بالعمارة
وجب ان يكون النظر فيها ابلغ من النظر فيه فينتج ان النظر في العمارة يجب ان يكون ابلغ من النظر في الخراج
الثالث امره ان يخفف عنهم من خراجهم ما يرجو ان يصلح به امرهم على تقدير ان يشكوا من حالهم ما ساء
بحالهم من قبل ارضهم من ثقل خراج او علة سماوية او انقطاع شرب كان لهم من الماء او تغير ارض وفساد لها
بسبب غرق او عطش ثم نهاه ان يستثقل ما يخفف عنهم به المؤونة واشار الى وجه الحكمة فيه بقوله
فانه ذخر الى قوله العدل فيهم ومعناه ظاهر ومعتمد النصب على الحال والعامل خففت وفضل نصب بالمفعول
من معتمد او قوله والثقة عطف على المفعول المذكور ونبه على وجه المصلحة في اعتماد فضل قوتهم باراحتهم
والثقة منهم بما عودتهم من عدلك بقوله فربما حدث الى قوله انفسهم به وتقدير الكلام خفف عنهم ليعتمد فضل
قوتهم فان ذلك يستلزم اعتمادهم عليه اذا يحدث من الامور فيحملونه اذا عولت عليهم فيه بطيب انفس
وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يخفف عنهم ويعتمد فضل قوتهم وقوله

فان العوان محتمل باحتمال ان الصغرى اى ان التحيف منهم يستلزم خراب ارضهم وهو يستلزم انقطاع ما يرد عليهم
من حوادث الامور ثم نبه بقوله وانما تؤتى خراب الارض الى قوله لجمعها على سبب الخراب ونبه لقوله انما يعوز اهلها
البدن على ذلك السبب وهو مركب من ثلثة اجزاء احدها تشرف نفوس الولاة على الجمع والثانى سوء ظنهم
انه يبقى فى العمل والثالث عدم انتفاعهم بالعبر فلذلك انتفاعهم ايضا وظاهر ان هذه الامور اذا اجتمعت
فى الوالى اذا استلزمت جمع المال واستقصاءه على الرعية واستلزم ذلك اعوازهم وفقرهم واستلزم
ذلك خراب ارضهم وتعطيل عمارتها الصنف الخامس الكتاب وامره فيهم بامرين احدها ان يولى
اموره خيرهم وتخيير اكثرهم من كان تنبها فيما يراد ونبه من صالح العمل الثانى ان يخص رسائله و
اسراره ومكايده باجمعهم لصالح الاخلاق وقد عد صاحبها بخبرة وهى العلم بوجوه الآراء المصلحة و
التهدى الى وضع كل شىء موضعه ثم العفة والشجاعة والعدالة مع ما تحت الاربعة من الفضايل فحكمتهم تحت
بعض الفضايل التى عساها ان يخفى وذكر منها احدها عدم البطر وهى فضيلة تحت الشكر وهو فضيلة تحت
العفة وتحرز صاحب البطر بقوله يجترى الى قوله خاصة وهو قوة صغرى ضمير تقديره وكل من يجترى عليك
فتتغير حاله وثانيها ادراك الثانية الفطنة والذكاء فيما هو بصدده من الامور المذكورة ولمّا عن ذلك بقوله
من لا يقصر به الغفلة الى قوله عنك والذكاء فضيلة تحت الحكمة الثالثة ان لا يكون ممن يضعف عقد اعتقده
لك من الامور بل يجعله محكما الرابعة ان لا يعجز عن اطلاق ما عقده عليك حين يلك من الامور بالمنفعة نبه
وهذان الامران مما يراه اى وهى فضيلة تحت الحكمة الخامسة ان لا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الامور من جهة
الى فوق محلها ومرتبتها وهى فضيلة تحت الحكمة العملية ايضا ونبه على اجتناب الجاهل بذلك بقوله فان
الجاهل الى قوله اجهل وهى صغرى قياس ضمير تقديره وكل من كان كذلك فيجب اجتنابه والثالث ان لا
ان يكون اختياره للعمال بفراسته وسكونه وحسن ظنه بامرهم وانشاء رالى وجه المفسدة فى ذلك
بقوله فان الرجال الى قوله شىء وانما الرجال قد يتنسمون بحسن الخدمة ويتعرضون لان يفرس
فيهم الولاة فينفق فيهم بذلك مع انه ليس وراء ذلك النصح من النصيحة والامانة شىء وهو صغرى ضمير
تقديره وكل من كان كذلك فلا ينبغى ان يعتمد على اختياره بحسب الفراسة الرابع انها ان يوضع
اختباره لك امره ان يختبرهم بما يليهم لمن كان قبله من الصالحين ارشادا الى وجه الاختبار وبعيده
الى من كان بالصفات المذكورة وجهات يكون احسن اثرا فى العامة واعرفهم بوجوه الامانة فى الذى
وربما نبه ذلك بقدر هذه فوز فان ذلك الى قوله امره وتقديره وكلما كان كذلك وجب فعله
الخامس امره ان يجعل لرأس كل امر من اموره رأسا من الكتاب الموصوفين بكونهم مناسبا لانه اكبر
عليه كثرته فيقهره ولا يكثر عليه كثرته فيتشتت عن ضبطه ويقصر دونه السادس نهاه ان يتغافل عما يكون
فى كتابه من عيب ونبه على ذلك بقوله ومهما الى قوله الزمته وهو صغرى ضمير تقديره فان كل ما يتغافل
عنه من ذلك تلزم به وتقديره كبراه وكل ما تلزم به فلا يجوز ان يتغافل عنه الصنف السادس
التجار وذوو الصناعات وامره فيهم بامرين احدها ان يستوصى بهم خيرا الثانى ان يوصى بهم لك

بالمقيم منهم

بالمقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه وهم اهل الصنائع واشار الى وجه الحكمة
فى الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين احدهما منفعتهم وذلك قوله فانهم الى قوله جلبها والعنبرة قوله مواضعها
وجلبها بعد الى المطارح وقوله وحيث لا ومن مكان لا يجتمع الناس لمواضعها تلك المطارح منه ولا يجترئون عليها
فيه وذلك كالبحار والجبال ونحوها الثانى انه لا مضرة فيهم وذلك قوله فانهم الى قوله غائلته وتقدير
الكبرى الضميرين وكل من كان كذلك يجب الاستيصاء به والوصية بالخير فى حقه الثالث امره ان يتفقد امورهم بحضرته
وفى حواشى بلاده وما عساه يعرض لهم من المظالم والموانع ليزيلها عنهم الرابع ان يعلم ان فيهم من المعايب
المعدودة وهى الضيق الفاحش والشح والضيق مثال البخل ثم الاحتكار للمنافع التى بهم نفعها وهى الحفظ والتمر
والتمر والزبيب والسمن ونحو ذلك ثم التحكم فى البياعات وهو عبارة عن البيع على حكمه بالهوى المطلق من غير
تقيد بشريعة او عرف فان ذلك عدول عن العدل الى رذيلة الجور ثم نبه على وجه المفسدة اللازمة من تلك
المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاة اما انه مضرة فظاهر واما انه عيب على الولاة فلان قانون العدل
بايديهم فاذا اهملوا ترك ذلك دليل على عدم تدبيره للرعية بحركهم والعيب عليهم وهو صغرى ضمير
تقديره كبراه وكلما كان كذلك فيجب انكاره ودفعه الخامس لما تبين له وجه المفسدة فى تلك المعايب امره
بمنع الاحتكار واسع بمنع الرسول صلى الله عليه وآله منه وامره ان يكون البيع سهلا وان يكون بموازين عدل
واسعار لا تجحف بالبايع فيذهب اصل متاعه ولا بالمشترى فيذهب راس ماله السابع امره بان يعاقب
المتكاسل على الاحتكار بعد نهيه عن ذلك وان يعاقبه من غير اسراف الصنف السابع الطبقة السفلى
وميزهم باوصاف وامره فيهم باوامر ونواهى اما تميزهم فانهم المحتاجون من الحيلة والمساكين والمحتاجين
والمحتاجون واهل البوسى والزمنى وهو كلهم وان دخل بعضهم فى بعض الا انه عددهم بحسب تعدد
صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا يتغافل عن احد منهم ولا يهمل واما الاوامر فاحدها انه حذره الله فيهم
واشار الى وجه الحكمة فى ذلك التحذير بقوله فان فيهم قانعا ومعترا وهو صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من كان
كذلك فيجب ان يحذر الله فيه ويحفظ له ما استحفظ من حقه فيه الثانى ان يجعل لهم قسما من بيت ماله ومن صوافى
الاسلام فى كل بلد واضاف بيت المال اليه واراد الذى يليه ونبه على ذلك بقوله فان للاقصى الى قوله
حقه وتقدير الكبرى بهذا الضمير وكل من كان كذلك وجب ان يحسن الرعاية فى حقه باداية اليه الثالث نهاه
ان يشغله عنهم بطر ونهى عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر الى قوله المهم واراد بالتافه القليل
من امورهم واحكامهم وهو صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من لا يعذر بذلك فلا يجوز له الشغل عنه
الرابع نهاه ان يشخص همه عنهم اى يرفعه حتى لا يتفقدهم الخامس نهاه ان يصعّر خده لهم وهو كناية
عن التكبر عليهم السادس امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم بعجزه وحقارته فى عيون الخلق
والجند وان يفرغ لهم ثقته من اهل الخشية والتواضع ومعتبرهم ليرفع اليه امورهم السابع ان يعمل فيهم
بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه اى يعمل فيهم بما امره الله به بحيث يعذر اليه اى يكون ذا عذر عنده
اذا سأله عن فعله بهم ونبه على وجه الحكمة فى مزيد العناية بهم بقوله فان هؤلاء الى قوله غيرهم الثامن الكد

الامر بالاعذار الى الله في تاديته حق كل واحد من المذكورين اليه انشاء امره ان يتعهد الايتام وذوي الرقة
في السن اي الذين بلغوا الشيخوخة الى ان رق جلدهم وضعف عظمهم عن النهوض فلا حيلة لهم ومع ان لا ينصب نفسه
للسؤال حاجة او فقره ثم اشار الى ثقل التكليف بجميع الاوامر السابقة بقوله وذلك على الولاة ثقيل
والحق كله ثقيل توطينا لنفسه على ذلك ثم رغبه فيه بقوله وقد يخففه الله الى قوله لهم فيرغب تحقيقا الا انه
يرغب اليه فيه وتحمله على فعله واستماله بذكر صفات الصالحين وهم الذين طلبوا العاقبة من ملاحظة
الآخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيوية بالقياس اليه ووثقوا بالصدق موعود الله لهم في دار
القرار وبالله التوفيق **المقصد الرابع** في اوامر ونواهي مصلحية وآداب خلقية وسياسة بعضها خاص
يتعلق بعماله وبحاشيته وبطانته وبنفسه واحوال عباده الى غير ذلك وهو قوله واجعل لذوي الحاجات
منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك
واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلعم يقول في
غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك
الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت
هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه
كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل
يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك
الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك
اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله
من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن
منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلعم حين وجهني الى
اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما بعد فلا تطولن احتجابك
عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب منهم يقطع
عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق
بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات
تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل
في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن
مسألتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك مما لا مؤنة فيه عليك من شكاة
مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف
فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا
يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم

فيكون

فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد
وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك
منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك
فان في ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا
فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه
فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك
عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما
اعطيت فانه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم
الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن
بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده
وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال
ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة
ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق ترجو انفراجه
وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك
اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع
مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة
فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك
عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطأ وافرط عليك سوطك
او يدك بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء
المقتول حقهم واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص
الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما
كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب
بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس قال الله سبحانه يقول كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون واياك والعجلة بالامور قبل اوانها والتساقط فيها عند امكانها او اللجاجة
فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك
والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك
وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك
وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك
فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر

ما تقتضي ان تعدك من ظلومة طاوان ادستة فاحفظوا او انزعن بنا محموصا او فرتعضي في كتاب انه فقيدي بكات
فما قلنا برهنا ومحمد ليعتك في ابتلاع ما هذت اليك في هذي هذا واستوثقت بيوم الجمعة ليعني عليك بركى
لا يمون لك نقلا عقد تشبع تسئل الى هوا ٤ **اقول** الشرط قوم جلوس انتم بعلامات الحدثة يعرفون
بها والحرق هذا الرفق والانف الانفة وهي حفظ عازم الكبر والاكناف الجوانب والاساءة الاعطا
والمانة القرابة والعقدة الضيعة والعقدة الجد المكان لكثرة الشجر والنخل واعتقد الضيعة اقتنا ٤
والمنة العاجزة واهواى الظهر والدعة الراحة واستوبلوا الامر استثقلوه والوبال الوخم يقال
استوبلت البلد استوخمته فلم يوافق ساكنا وخاص بالعهد نقضه والخل الخداع واقتضاه بسطه واستقضى
الاسال والادغال الافساد والدغل الفساد والمدالسة مفاعلة من التدليس في البيع وغيره كاخفاء
ولحن القول كالتورية والتعريض من الامر والوكزة الضربة والدفعة وقيل هي بجمع اليد على الذقن و
الوصمة النوبة والمكمن من الامر وسورة الرجل سطوته وحده باسه وغرب اللسان حدته والبادرة
سرعة السطوة والعقوبة اما الامور التي تم مصلحتها فاحدها ان يجعل لذوي الحاجات نصيبا من نفسه
يجمع لهم فيه بدنه من كل شاغل ويجلس لهم مجلسا عاما في الاسبوع او دونه او فوقه بحسب ما يليق الا انه
ان يتواضع فيه لله ورغبه في التواضع نسبته الى الله باعتبار انه خالقه الذي من شانه ان يكون له
التواضع الثاني ان يقعد عنهم جنده واعوانه وابان وجه المصلحة في ذلك بقوله حتى يكلمك مكلمهم
غير متتعتع واشار الى علة وجوبه بقوله فاني سمعت الى قوله القوي ووجه الدليل من هذا الخبر انه دل
بالمطابقة على وعيد الامة التي لا ينتصف ضعيفها من قويها بعده طهارتها المستلزم لعذابها الاخروي ودل
بالالتزام على وجوب ان يكون فيها ذلك ثم لما كانت الامور المامور بها ههنا تم ذلك الواجب الا بها
كانت باسرها واجبة الرابع امور تلزمه مباشرتها وان تمت مصلحتها وامور مبتدا حذف خبره
اي وهناك امور او نحوه منها اجابة عماله بما يرى المصلحة في الجواب به عند عجز الكتاب عن كثير من ذلك
ومنها اصدار حوائج الناس التي يضيق مناصحو اعوانه عنه ورودها عليه ولا ينبغي ان يكلها اليهم فان
غاية قضائهم لها اذا قضيت ان يكون على غير الوجه المرضي الخامس ان يمضي لكل يوم عمله ونبه على ذلك
بقوله فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه واذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يقضي فيه
ماله السادس ان يجعل لنفسه في معاملته لله افضل تلك المواقيت اي الاوقات المفروضة للاعمال
واجزل الاقسام الاعمال الموقتة فيصفها ابعد عن الشواغل الدنيوية واقربها الى الخلوة بالله سبحانه
ونبه بقوله وان كانت الى قوله الرعية على ان اصلح الاعمال اخلصها فينبغي ان يكون في خالصة الله
في دينه اي فرائضه فنصها يزيد عناية به ورعاية في اناء الليل والنهار بدنه بذلا ونهاره
اي طاعة وعبادة فحذف المفعول اشارة للعلم به والقرينة كون الليل والنهار ظرفين للافعال والقرينة
ذكر البدن السابع ان يوفي ما يتقرب به الى الله من ذلك كاملا وغير مثلوم وبالغا اخوال بدنه
في المصدر بقوله بالغا اي بالغا من بدنك بالغا من القوة في الطاعة العاشر من الاداب الراجعة الى حال
الامامة بالناس في الصلاة ان يكون متوسطا في صلاته بين المطول المنفر للناس بتطويله وبين المقصر المضيع
لاركان الصلاة وفضيلتها واراد بالتنفير التثقيل والتطويل بالمعقول والمنقول اما المعقول فضمير صغراه قوله
فان في الناس الى قوله الحاجة وتقدير كبراه وكل من كان فيه من ذكر فيجب ان يرفق به ويخفف عنه واما المنقول
فما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من الخبر ووجه التشبيه بصلاة الاضعف تخفيف الصلاة بعد حفظ اركانها وواجباتها..
الحادي عشر من الآداب المصلحية للتدبير المدينة النهي عن طول الاحتجاب عن الرعية ورغب في الانتهاء عنه من وجوه
احدها انه نوع من الضيق على الرعية اذ كانت حاجاتهم ربما تقع عنهم بالكلية من الامور المنهي
الثاني انه قلة علم بالامور اي يلزمه ذلك فاطلق اسم اللازم على ملزومه واكد ذلك بقوله والاحتجاب عنهم
يقطع عنهم الى علم ما احتجبوا دونه من امور الرعية ثم اشار الى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد وهو ان
يصغر الكبير الامور عندهم كان يعظم بعض حاشيته الامير فيصغر الامر الحرى بالصغير ويعظم
الصغير او يقبح من حسن الشيء ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل
ويلبس به وذلك قوله فيصغر الى قوله بالباطل ثم نبه على وجه لزوم قطع العلم بالامور بطول الاحتجاب
بقوله وانما الوالي بشر الى قوله الصدق والكذب والتقدير انه بشرط البشرية من خاصيته انه لا يعرف ذلك
الا بعلامة وليس على الحق علامات يعرف بها ضروب صدق القول من كذبه الثالث انه رغب في
الانتهاء عنه بقياس صغراه شرطية منفصلة هي قوله وانما انت الى قوله بالبذل وتلخيصها انك اما ان تكون مطبوعا
على السخاء بالبذل في الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان الكبرى
اما ان كان سخيا يبذل الحق فانه عند الطلب منه اما ان يعطي حقا يجب عليه او يفعل فعل الكرام وذلك لا يجوز
الاحتجاب منه واما ان كان مبتلى بالمنع فان يسرعون الكف عن مسألته اذا يئسوا من بذله فيرح لا يحتاج
الاحتجاب عنهم الرابع قوله مع ان اكثر الى قوله معاملة وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكثر حاجات
الناس اليه ما لا مؤونة عليه من الامور المذكورة فلا معنى لاحتجابه عنهم الثاني عشر من الامور المصلحية المتعلقة
بخاصته ان يحسم مؤونتهم عن الرعية بقوله بقطع اسباب المؤونة ارشادا الى سبب قطعها واشار الى وجه
ذلك بذكر ما فيهم من الاستيثار على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالاذى وقلة الانصاف وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب قطع مؤونته عنهم والاحوال التي امر بقطع اسبابها هي وجوه المؤونة
المذكورة من الاستيثار والتطاول وقلة الانصاف وقوله ولا تقطعن الى قوله مشترك تفصيل لوجوه قطع
الاسباب المذكورة فان الاقطاع احد تم فطيعه وطمعهم في افتنائهم تضر بمن يليها من الناس في ما او عمل
مشترك يحمل مؤونته على الناس كعمارة ونحوها هي اسباب الاحوال المذكورة من وجوه المؤونة وقطع تلك
الاحوال بقطع اسبابها ثم نفره عن اسباب المؤونة على الناس بما يلزم تلك الاسباب من المنفعة في حق
دونكم ومنافع ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والآخرة وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان
مهناه لغيره وعيبه عليك فلا يجوز فعله الثالث عشر ان يلزم الحق من يلزمه الحق من القريب والبعيد ويكون
في ذلك لازما صابرا محتسبا بحق اي ربه من ذلك الحق محتسبا لما يدخله من حساب ما يتقرب به الى الله تعالى

وبعده خالصا لوجهه واخفاء ذلك الالزام من قرابته وخواصه حيث انفق وتوهم تحقيق الشريعة والواو في قوله
ولكن الى ان يلحق واقعا ايضا حال والعامل قوله والزم الرابع عشر ان ينبغي عاقبة ذلك الالزام باشتغال عليهم من خلطه
بالحسنة كانه يستفيض فعلها بما يرده في العاقبة من العاقبة من حب الدنيا وعذاب الآخرة ورغب في ذلك
بقوله فان مغبة ذلك محمودة وهي تلك العاقبة وما يلزمها من السعادة الباقية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكلما كانت مغبته محمودة وجب الرغبة في فعله الخامس عشر امره على تقدير ان تظن الرعية فيه حيفا ان يظهر
لهم عذره فيما ظنوا فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم باظهاره ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان
الى قوله الحق اي فان في اظهار عذرك لهم ان تصير ذا عذر تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق لمعرفتهم
ان فعلك حق لا حيف فيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي فعله السادس عشر نهاه ان يدفع صلحا
دعاه اليه عدوه اذا كان صلحا يرضي الله ونبه على وجوه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان في الصلح الى
قوله لبلادك وهي ثلث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو وتقدير كبراه وكلما كان فيه هذه المصالح
فواجب قبوله السابع عشر بالغ في تحذيره من العدو بعد صلحه وامره ان يأخذ بالحزم ويتهم في الصلح
حسن ظنه الذي عساه ينشأ من صلحه ونبه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه قوله فان العدو ربما قارب
ليتغفل اي قارب عدوه بصلحه ليطلب غفلته فيظفر به ودل عليه السلام في ذلك شواهد التجربة وعرف
المغرورين لعلم بها وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فواجب ان يحذر منه الثامن عشر امره على تقدير
ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفاء ويرعى ذمته بالامانة ويجعل نفسه جنة دون ما اعطى
اي يحفظ ذلك بنفسه ولو ادى الى ضرر او استعار لفظ اللبس لحفظ الذمة ملاحظة لشبهها
بالقميص ونحوه ولفظ الجنة لنفسه ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس ونحوه ورغب في ذلك بوجهين
اشتمل عليهما قوله فانه الى قوله الغدر احدهما ان الناس اشد اجتماعا على ذلك من غيره من فرائض الله
الواجبة عليهم مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم واستثقلوا
الغدر لما فيه من سوء العاقبة والمذكوران صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكلما كان كذلك فيجب لزومه
والمحافظة عليه ثم اكد ذلك بالنهي عن الغدر في العهد ونقض الذمة ومخادعة العدو بمعاهدته ثم نفر عن الغدر
ونفر عن ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله الا شقي وهو صغرى ضمير تلخيصها فان المجترئ على الله
شقي وتقدير كبراه وناقض العهد والمدغل فيه مجترئ على الله لينتج من الرابع فالشقي هو ناقض والمدغل فيه
ويجوز ان يكون تقدير الصغرى فان ذلك جرأة على الله يستلزم الشقاوة وتقدير الكبرى وكلما كان
كذلك وجب اجتنابه لينتج من الاول المطلوب الثاني قوله وقد جعل الى قوله جواره واشار الى ما
واستعار لفظ الحريم للعهد ورشح بذكر السكون الى منعته والاستفاضة الى جواره ونبه بذلك على
وجه الاستعارة وهو الاطمينان اليه والامن من الفتنة بسببه فاشبه الحريم المانع والكلام صغرى ضمير
تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز نقضه والادغال التاسع عشر نهاه ان يعقد عقدا يجوز فيه العلل
اي الاحداث المفسدة له وهو كناية عن امره باحكام ما يعقد من الامور العشرون نهاه ان يعتمد على لحن

القول

القول في الايمان والعهود بعد ان يؤكده ويتوثق من غيره فيها او يتوثق غيره منه فيها ومثال لحن القول
ما اوما به طلحة والزبير من الوليجة والتورية في بيعتهما لعلي عليه السلام اي لا يعتمد على ذلك من نفسك ولا تمكنن اليه
من غيرك لو ادعاه الحادي والعشرون نهاه ان يدعوه ضيق امر لزمه فيه عهد الله الى ان يطلب انفساخه
بغير حق ورغب في الصبر عليه بقوله فان صبرك الى قوله اخرتك وهو صغرى ضمير واراد بتبعته ما يتبعه
من العقوبة وبالطلبة ما يطالب به يوم القيمة من لزوم العهد واحاطتها به كناية عن لزومها له ووصف الطلبة
بقوله لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك واراد انه لا يكون لك منها في الدنيا ما تستقيلها وتنظر فيها لعدم الدنيا
هناك ولا آخرة تستقيلها اذ لا تستقيل في الآخرة الا الامور الخيرية ومن احاطت به طلبته من الله فلا خير له
في الآخرة يستقبله وروي تستقيل بالياء اي لا يكون لك من تلك الطلبة والتبعة اقالة في الدنيا ولا في الآخرة
الثاني والعشرون حذره من الدخول في الدماء وسفكها بغير حق وهو كناية عن القتل ونفر عنه بوجوه احدها
قوله فانه الى قوله حقها وهي صغرى ضمير تقديرها فان سفك الدماء بغير حق ادعى الاشياء لحلول نقم الله و
اعظمها في لحوق التبعة منه واولاها بزوال النعمة وانقطاع مدة الدولة والعمر وظاهر انها اقوى المعدات
للامور الثلثة لما يستلزمه من تطابق هم الخلق ودواعيهم على زوال القاتل واستنزال غضب الله عليه لكون
القتل اعظم المصائب المنفور عنها وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب ان يحذر فعله الثاني قوله والله
سبحانه الى قوله القيمة ونبه بابتدائه تعالى بالحكم بين العباد في القتل على انه اعظم عنده تعالى من سائر
الكبائر وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما ابتدأ الله بالحكم فيه فيجب التحري فيه واجتناب ما يكره
منه الثالث والعشرون نهاه ان يقوي سلطانه ودولته بسفك الدم الحرام ونفر عنه بقوله فان
ذلك الى قوله نقله وهي صغرى ضمير بيانها ما سبق من ان سفك الدم الحرام لما استلزم الامور الثلثة
المذكورة كان ذلك مضعفا للسلطان ومزيلا له وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك وجب اجتنابه
الرابع والعشرون نهاه عن قتل العمد حراما ونفر عنه بامرين احدهما انه لا عذر فيه عند الله ولا عنده
والثاني ان فيه قود البدن وهما صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكلما كان كذلك وجب اجتنابه
الخامس والعشرون نهاه ان يرتكب رذيلة الكبر عند ان يبتلى بقتل خطأ وافراط سوط او يده عليه
في عقوبة فيأخذه عزة الملك والكبر عن ان يؤدي الى اولياء المقتول فلا يؤدي اليهم حقهم ونبه بقوله فان الى قوله
متمكنا ان الضرب باليد والسوط وكذا قد يكون فيه القتل وهو مظنة له السادس والعشرون حذره
الاعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحب الاطراء واعلم ان سبب ذلك دوام الاعجاب وزيادة له
ونفر عن الثلثة بقوله فان ذلك الى قوله المحسن ووجه نفسه يتعلق بالوثوق وقوله ليمحق احسان المحسن
يحتمل وجهين احدهما انه لما كان الاعجاب من اوثق فرصه لم ينتفع معه احسان المحسن فاذا تمكن الشيطان
من الفرصة وزين الاعجاب للانسان وادخله محق بذلك ما يكون له من احسان الثاني ان المعجب
بنفسه لا يرى لاحد عنده احسانا فيكون الاعجاب ماحقا لاحسان من احسن اليه ولما كان مبدأ الاعجاب
هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن اليه هو الشيطان فلذلك نسبه اليه والكلام في قوة صغرى ضمير

تقدير كبراه وكلما كان اولى فرص الشيطان في نفسه وجب الاحتراز منه التاسع والعشرون حذره من ثلاث
احديها المن على الرعية باحسانه اليهم الثانية التزيد فيما فعل في حقهم وهو ان ينسب الى نفسه من الاحسان
اليهم ازيد مما فعل الثالثة ان يخلف موعوده لهم ثم نفر عن المن بقوله فان المن يبطل الاحسان وذلك اشارة
الى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن التزيد بقوله فان التزيد
يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا احسانه اليهم او الصدق في ذكره في موضع يحتاج اليه فان لذلك
نورا عقليا تبتهج له النفوس وتلتذ به ولما كان التزيد نوعا من الكذب وهو رذيلة عظيمة لا جرم كان
مما يذهب بنور ذلك الحق ويطفيه فلا يكون له وقع في نفوس الخلق وعن الخلف بقوله يوجب المقت
عند الله والناس اما عند الناس فظاهر واما عند الله فلقوله تعالى كبر مقتا عند الله الآية والمقت اشد البغض.
فمدار تقدير كبراها وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثلاثون والعشرون حذره من ان يتعجل الامور قبل اوانها
وطرفي التفريط والافراط فطرف الافراط العجلة بها قبل اوانها واللجاجة فيها عند تنكرها وتغير
مأخذها وعدم اتضاحها وتسهلها وطرف التفريط التساقط فيها والقعود عنها اذا امكنت وهو يقابل العجلة
فيها والضعف عنها اذا استوضحت وهو يقابل اللجاجة فيها عند تنكرها واستلزم النهي عن هذين الطرفين
الامر باتباع نقطة العدل وهي الحد الاوسط من الطرفين وموضعها الحق ولذلك قال فضع كل امر
موضعه واوقع كل عمل موقعه الثاني والثلاثون حذره من الاستئثار بما يجب تساوي الناس فيه كالذي
يستحق من مال المسلمين ونحوه الثالث والثلاثون عن التغافل عما يجب الحكم والعناية به من حقوق الناس
المأخوذة ظلما مما قد وضح للعيون اهماله ونفر عن ذلك بقوله الى قوله للمظلوم واراد بما تعنى به
من حقوق الناس ويتغافل عنها وما في قوله عما زائدة واراد بانكشاف اغطية الحيوة الدنيا واشار
بأغطية الامور الى الهيئات البدنية الحاجبة لحقائق الامور عن ان يدركها بعين بصيرته وقد علمت
ان انكشاف تلك الاغطية عنه بقطع بدنه وحينئذ يرى ما اعد له من خير او شر كما قال تعالى يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية الحادي والثلاثون امره ان يملك حمية انفه اي انفته مما يقع من الامور
المكروهة وسورة حده وحدة لسانه وملكه لهذه الامور انما يكون بالاحتراس عن تعدي قوته الغضبية
ووقوفه في فعلها على الوسط بحيث لا يعبر فيها الى حد الافراط فيقع في رذيلة التهور ويلزم من
تلك الرذيلة الظلم الثاني والثلاثون امره بالاحتراس من تلك الامور وارشده الى اسبابه وهو
كف البادرة وتأخير السطوة الى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك
الذي هو مصلحة واشار الى وجه احكام تلك الاسباب بقوله ولن تحكم ذلك الى قوله ربك وذلك
ان كثرة الهم عن ذكر المعاد والفكر في امور الآخرة واهمها يرغبه في الامور الدنيوية التي هي المثيرات
ونوران الغضب الثالث والثلاثون اوجب عليه امرين فيهما صلاح ما اوصاه به في هذا العهد احدهما
احدهما ان يتذكر ما مضى لمن تقدمه من الحكومات العادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبيهم
او فريضة في كتاب الله فيقتدي بما شاهد من عمله عليه السلم فيها الثاني ان يجتهد لنفسه في اتباع ما عهد اليه في عهده

واستوفى

واستوفى به من الحجة لنفسه عليه وهي الموعظة والتذكير باوامره لئلا يكون له عذر يحتج بها عند تسرع نفسه الى
هواها كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ومن هذا العهد وهو آخره وانا
اسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة
على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة
وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه راجعون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما
كثيرا اقول ختم هذا العهد بسؤال الله ان يوفقهما لما فيه رضاه واختم عليه في اجابة سؤاله برحمته التي وسعت
كل شيء وبقدرته العظيمة على اعطاء كل رغبة وظاهر كونهما مبدأين لاجابة السائلين ثم فصل ما سأله مما فيه
رضا الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله والى خلقه فان قلت العذر انما يكون من
ذنب فمن اقام على عذر الله كيف يكون فعله عذرا قلت يحتمل ان يكون العذر اسما من الاعذار الى الله
وهو المبالغة في الاتيان باوامره فكأنه قال من الاقامة على المبالغة في اوامره الثاني حسن الثناء
في العباد وجميل الاثر وهو ما يؤثر من الافعال الحميدة في البلاد وذلك مما سأله الانبياء كابراهيم عليه السلم
واجعل لي لسان صدق في الآخرين قيل هو الذكر الجميل في الناس الثالث تمام نعمته عليهما الرابع
تضعيف كرامته لهما الخامس الخاتمة الحسنة بالسعادة وما يوصل اليها من الشهادة وقوله انا اليه
راجعون على صدق نيته في سؤاله ثم ختم بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله والصلوة عليه وآله

ومن كتاب له عليه السلم الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي ذكر هذا الكتاب ابو جعفر
الاسكافي في كتاب المقامات أما بعد فقد علمتما وان كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم
حتى بايعوني وانكما ممن ارادني وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر فان
كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما
السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية والكتمان وان
دفعكما هذا الامر من قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت
عثمان فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان
عن رأيكما فان الآن اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار والسلام اقول خزاعة من الازد وقيل
الاسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير كان بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي صنفه
الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين عليه السلم وقد احتج عليهما في هذا الفصل بحجتين احديهما قوله اما بعد
الى قوله حاضر وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من علمتما من حاله ذلك فليس لكما ان تنكثا بيعته
وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما اشارة الى انهما بعد نكث بيعته كتما ارادتهما لبيعته وارادة كثير من
الناس وزعما انه انما حملهما عليها كرها الحجة الثانية قوله فان كنتما الى قوله اقراركما به وهي شرطية منفصلة
تقديرها انه لا يخلو ان تكونا بايعتماني طائعين او كارهين والاول هو المطلوب وبه يلزمكما ترك
المعصية والرجوع الى الله بالتوبة الى الله من قريب قبل استحكام المعصية في نفسيكما والثاني باطل

الفعل

آمدا انه بزنكما النفاق حيث اظهرتما الطاعة واضمرتما المعصية فجعلتما ما بذلك السبيل عليكما منه القول و
الثانية انكما ما كنتما بالبيعة مني والكتمان لعصيانكما احق من المهاجرين وذلك لانهما كانا اقوى احادهم وخلفهم شأن
لكان بغيرهما من المهاجرين اولى منهما بالبيعة عند السبق وكتمها بعد ذلك الثالث ان دفعهما بيعته قبل الدخول
فيها اوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد اقرارهما وهذه الاقوال الثلاثة صغريات ضمير تقدير الكبرى في
الاول وكل ما جعلتما عليكما به السبيل فجرم عليكما مقرر وليس لكما ان ترجياه وفي الثاني منه وكل من لا يكون احق
من المهاجرين بدعواه فليس له ان يدعيه اذ لم يدعوه وفي الثالث وكلما كان اوسع لعذرهما فليس لهما
العدول عنه الى ما هو اضيق وقوله وقد زعمتما اني قتلت عثمان اشارة الى شبهتهما المشهورة في خروجهما
عليه وقوله فبيني الى قوله احتمل جوابها اي فيكما بيننا من تخلف عني بعد ضيق وبعض من اهل المدينة ثم يلزم
كل منا من الاثم والعقوبة بقدر ما احتمل من الاثم والبغي ثم بعد ان اقام الحجة عليهما امرهما بالرجوع عن
رأيهما الفاسد في اختيارهما لبيعته ورغبتهما في الرجوع عن ذلك بقوله فان الآن اه وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه والعار اسهل من اجتماع العار والنار في الآخرة واراد والعار بالعذر والآن ظرف
انتصب بأعظم الذي هو اسم ان ويجوز ان يكون هو اسمها واعظم مبتدأ خبره العار والجملة خبر ان
والعايد الى اسمها محذوف تقديره فان الآن اعظم امركما فيه العار **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية
أما بعد فان الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا ولا
بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فعدوت
على طلب الدنيا بتأويل القرآن وطلبتني بما لم تجن يدي ولا لساني وعصبته انت واهل الشام بي
والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك واصرف الى
الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع
الدابر فاني اولي لك بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك
حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين **أقول** عصبه عليه به والتأليب التحريض والقارعة الداهية والدابر
المتأخر من النسل والالية اليمين فقوله اما بعد الى قوله لنبتلى بها اشارة الى غرض الدنيا وغايتها
ليتنبه لذلك ويعمل له واراد بالسعي فيها الذي لم يؤمر به الاكتساب لها دون غيره ما يكون الضرورة
فان ذلك مأمور به في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله وقد ابتلاني الى قوله
الاخر تنبيه لبعض اغراضها وقد علمت كيفية ابتلائه بكلفته فيما قبل ووجه ابتلاء معوية به عليه السلم
دعوته له الى الحق وتحذيره اياه من عواقب المعصية حتى اذا لم يجب داعي الله لحقه الذم والعقاب
وكان عليه السلم هو حجة الله عليه وذلك معنى قوله فجعل احدنا حجة على الآخر وقوله فعدوت الى قوله
كما اشارة الى بعض وجوه ابتلائه عليه السلم به ومعنى ذلك انه انما طلب بخروجه عليه الدنيا
وجعل السبيل الى ذلك تأويل القرآن كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى وغيره من الآيات الدالة على وجوب القصاص فتأولها بادخال نفسه فيها وطلب القصاص

لعثمن

لعثمن وانما كان دخوله في ذلك بالتأويل لان المخاطب خاص بمن قتل وقتل منه ومعوية بمعزل عن ذلك
اذ لم يكن من اولياء دم عثمن فخص الآية بالعموم ليدخل فيها والذي لم يجنه يده ولسانه عليه السلم هو [illegible]
اليه عليه السلم والب بعضهم بعضا عليه فيه وهو قتل عثمن واراد والب عالمكم بجاهلكم به وقائمكم في حرب
قاعدكم عنه ثم لما نبهه على غاية الدنيا وجعل الله سبحانه كلا منهما حجة على الآخر ليعلم ايهم احسن عملا رجع الى
موعظته وتحذيره فامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها بعصيانه ونهاه ان يأمره وان ينازع الشيطان
قياده واستعار لفظ القياد للميول الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان الى المعصية
اذا سلمها بيد الشيطان وانهمك بها في اللذات الموبقة ومنازعته الشيطان مقاومته لنفسه الامارة
عن طرفي الافراط الى حاق الوسط في الشهوة والغضب وان يصرف الى الآخرة وجهه اي يولي
وجهه شطر الآخرة مطالعا لما اعد فيها من خير وشر وسعادة وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها وقوله
فهي طريقنا وطريقك صغرى ضمير نبه به على وجوب صرف وجهه الى الآخرة وتقدير كبراه
وكلما طريق الانسان فواجب ان يصرف اليها وجهه وجعلها طريقا مجازا عن غاية الطريق اطلاقا
لاسم ذي الغاية عليها ثم حذره من الله ان يصيبه بداهية من يصيب اصله ويقطع نسله واراد بها
ما نواه له من نوحشه اليه وحربه اياه ولذلك اقسم على تقدير ان يجمعها جوامع الاقدار ان لا يزال
بباحته مقيما حتى يحكم الله بينهما وفي ذلك غليظ الوعد بعذاب شديد **ومن كلام له عليه السلم** وصى به
شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا
الغرور ولا تأمنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت
بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا
أقول قد ذكرنا طرفا من حال انفاذه لشريح بن هانئ مع زياد بن النضر على مقدمته بالشام في
اثني عشر الفا والنزوة والوثبة والحفيظة الغضب والواقم الذي يرد الشيء اقبح الرد يقال
وقمه اي رده بعنف وقهر والوقم القهر والاذلال وكذلك القمع وقد امره بتقوى الله دائما ولما
كانت تستلزم الاعمال الجملة اردف ذلك بتفصيلها وهي ان يحذر على نفسه الدنيا وسبب الغرور لها
لانها سبب الاذى له وان لا يأمنها على حال لما يستلزم ذلك من الغفلة عن الآخرة ثم اعلمه انه ان لم
يردع نفسه الامارة بالسوء عن الانهماك في كثير من مشتهياتها التي يخاف مكروهها في العاقبة
ويقف بها عند حدود الله ويسلك بها صراط المستقيم لم يزل يسمو بهواه ويميل بها في ترده
موارد الهلكة ثم اكد وصيته بمنعها وقهرها عند نزواتها وثوبانها في الغضب وقد عرفت ان اهمالها
مبدأ كل شر يلحق في الدنيا والآخرة **ومن كتاب له عليه السلم** الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة
الى البصرة اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا عليه
واني اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني **أقول**
غرض الكتاب اعلام اهل الكوفة بخروجه من المدينة لقتال اهل البصرة واستنفارهم اليه وقد مثل ذلك

وجه قبلته وقوله امانهم اي قوله عليه السلام من باب ... اهل المعارف ولان الخضيه لم تكن بعد ظهرت لاهل الكوفة
وغيرهم ليعرفوا اهل هو مظلوم او غيره ولذلك ذكرهم انه لينفروا اليه فيحكموا بينه وبين خصومه فيعينوه
او يطلبوا منه العتبى وهي الرجوع واذكر يتعدى الى مفعول اول هو المذكر وثان هو المذكر به ولهذا
وقدمه لكونه هو المقصود من التذكير وقاسم شده تاه بين الاء ومخففه هي ما زايدة دخل عليها لام الابتداء اي
تنفرن الى دياره لتوخي. **ومن كتاب له عليه السلام** الى اهل الامصار يقص فيه ما جرى بينه وبين اهل صفين
وكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا
في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق لرسوله صلى الله عليه وآله ولا يستزيدوننا
والامر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم باطفاء
النائرة وتسكين العامة حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق مواضعه فقالوا بل نداويه
بالمكابرة فابوا حتى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمشت فلما ضرستنا واياهم ووضعت
مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم فاجبناهم الى ما دعوا وسارعناهم الى ما طلبوا
حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن
لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على راسه. **اقول** وبدء الامر
اوله ويروى بدي فعيل بمعنى مبتدأ والنائرة العداوة وجنحت مالت وركدت ثبتت وحمشت اشتدت
وروي بالشين المعجمة اي التهبت غضبا واستنقذه خلصه والتمادي في الشيء الالحاح عليه وطلب الغاية
فيه والركس رد الشيء مقلوبا والله اركسهم اي ردهم الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدائرة الهزيمة
يقال عليهم الدائرة وبوركت شنعتها بالاضافة الى السوء والفصل من حكاية حاله مع اهل الشام وحالهم
والقوم عطف على الضمير في التقينا وفي قوله والظاهر ... بعد ذلك كالحجة به ... وحال
في صفين فانه كان يقول والله ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا
اظهروه والواو للحال وقوله لا نستزيدهم اي لا نطلب منهم زيادة في الايمان لتمامه منهم في الظاهر
وقد بين في حكاية الحال الاتي والذي منهم في الامور المذكورة التي لا يجوز الاختلاف معها لتظهر الحجة
واستثنى من ذلك ما وقع الاختلاف فيه وهي الشبهة في دم عثمان والجواب عنها اجمالا ثم حكى وجه الراي
الاصلح في نظام امر الاسلام وسلامة اهله وشوره عليهم واباءهم عن قبوله الى الغاية المذكورة والباء
في قوله باطفاء النائرة متعلق بقوله نداو وما لا يدرك اي ما لا يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب وسيدرك
من القتل وهلاك المسلمين وقوله فقالوا بل نداويه بالمكابرة حكاية قولهم بلسان حالهم حين دعاهم
الى نظام امر الدين بالرجوع عما هم عليه فكابروه واصروا على الحرب وتجوز باسم الجنوح اطلاقا لاسم
المضاف على المضاف اليه واستعار لفظ النيران لمحركات في الحرب ... في استلزام الاذى
والهلاك ورشح بذكر الوقود وكذلك لفظ الحمش والتضريس ووضع المخالب ثم حكى اجابتهم ورجوعهم
الى رايه الذي رآه لهم وذلك انهم صبيحة ليلة الهرير حين حملوا المصاحف على الارماح كانوا يقولون يا

معاشر

معاشر المسلمين نحن اخوانكم في الدين الله الله في البنات والنساء كما حكيناه اولا وذلك عين ما كان بدأهم
به عليه السلام من حفظ دماء المسلمين وذريتهم ولما اجابهم الى ما دعوا فاجابته الى تحكيم كتاب الله حين دعوا
اليه وظهور الحجة عليهم برجوعهم الى عين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء وفي ذلك انقطاع عذرهم في المطالبة
بدم عثمان اذ كان سكوتهم عن دم عثمان يدل على انهم فيه اسهل من سفك دماء سبعين الفا من المهاجرين والانصار
والتابعين باحسان وقوله فمن تم على ذلك اي على الرضا بالصلح وتحكيم كتاب الله وهم اكثر اهل الشام
واكثر اصحابه عليه السلام والذين لجوا في التمادي هم الخوارج الذين لجوا في الحرب وانكروا عليه السلام سبب
التحكيم كانت قلوبهم في غشية من الشبهات الباطلة حتى صارت دائرة السوء على رؤوسهم فقتلوا الا اقلهم
ومن كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان اما بعد فان الوالي اذا اختلف
هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق سواء فانه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب
ما تنكر امثاله وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية
لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة الا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيمة وانه لن يغنيك عن الحق شيء ابدا ومن الحق
عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك فان الذي يصل اليك من ذلك افضل من الذي يصل
بك والسلام. **اقول** في الفصل لطائف احدها انه نبهه على وجوب ترك متابعة الاهوية والاغراض فنبه
اتباع مختلفاتها بما يستلزمه من المفسدة وهي الامتناع من كثير من العدل ووجه الاستلزام ظاهر لان اتباع
الاهوية المختلفة يوجب الانحراف عن حاق الوسط في المطالب ولما نبه على مفسدة الجور امره بلزوم
العدل والتسوية بين الخلق في الحق ثم نبه على فضيلته بضمير صغراه قوله فانه الى قوله العدل وتقدير
فان العدل ليس في الجور عوض عنه وتقدير الكبرى وكل ما لم يكن في الجور عوض عنه فيجب لزومه الثانية
انه لما كان اتباع مختلف الاهوية مما ينكر مثله عنه وتوعد في حقه او حق من يلزمه امره كالاذى اللاحق له
امره باجتنابه وان لا يقع منه في حق غيره ما يكره وقوع مثله في حقه والعبارة وافية بهذا المعنى مع زيادة
التنفير عنه الثالثة امره بعد ذلك ببذل نفسه فيما افترض الله عليه حالتي رجائه لثوابه وخوفه من
عقابه لكونهما داعيين العمل الرابعة نبهه على ان الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذي خلق الموت
والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا ولما كان العمل الصالح فيها هو سبب الاستعداد للسعادة الباقية لاجرم
كان الفارغ من العمل فيها تاركا لسبب سعادته لا يحصل يوم القيمة الا به فكان من لوازم فرغته منه في الدنيا
الحسرة على ثمرته يوم القيمة الخامسة نبهه على ضرورته اي عمل الحق بانه لا يغنيه عنه شيء غيره لان كل ما عدا الحق
باطل والباطل سبب للعقوبة في الآخرة فلا يغني شيئا السادسة نبهه على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه
اي حراستها من العدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم ثم الاحتساب على رعيته بجهده وطاقته والاخذ
على ايديهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقدم حفظ النفس لانه الاهم ونبه على وجوب الامرين
المذكورين افضل ما يحصل بعدك واحسانك الى الخلق من النفع ودفع الضرر وبالله التوفيق. **ومن كتاب له عليه السلام**
الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش من عبد الله علي امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد

أما بعد فإنه قد سيّرت جنوداً هي مارّة بكم إن شاء الله وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كفّ الأذى وصرف
الشذى وأنا أبرأ إليكم وإلى ذمّتكم من معرّة الجيش إلا من جوعة المضطرّ لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه فنكّلوا من
تناول منهم ظلماً عن ظلمهم وكفّوا أيدي سفهائكم عن مضادّتهم والتعرّض لهم فيما استثنيناه منهم وأنا بين أظهر
الجيش فارفعوا إليّ مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمرهم ولا تطيقون دفعه إلا بالله وبي أغيّره بمعونة الله
إن شاء الله **أقول** الشذى الأذى ومعرّة الجيش المضرّة والإساءة وعرّه معرّة أي ساءه ونكّل بكل
بالضم جبن ونكلوا خوّفوا وجنّبوا وعراه الأمر غشيه وحاصل الكتاب إعلام من في طريق الجيش من البلاد
عمال البلاد بمسيره عليهم ليتنبّهوا ويحترزوا منه ثم وصية الجيش بما ينبغي لهم وبما يجب عليهم من كفّ الأذى
عمن يمرّون به ليعرفوا عموم عدله ويتأدّبوا بآدابه ثم إعلامهم أنه بريء إليهم [illegible] التي أخذها منهم من إساءة
الجيش فإنه ليس بآمر من ذلك إلا معرّة جوعة المضطرّ التي لا يجد عنها إلى شبعه مذهباً وتقدير الكلام
فإنه أبرأ إليكم من معرّة الجيش إلا من معرّة جوعة المضطرّ منهم فأقام المضاف إليه مقام المضاف أو أطلقه
مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبب ثم أمرهم أن يخوّفوا ويجنّبوا من تناول من الجيش شيئاً عن ظلمه و
بدعوه إلى غير الحكم لهم لئلا يكون لسطوتهم خراباً على عمال ثم أن يكفّوا أيدي سفهائهم عن مضادّتهم
والتعرّض لهم فيما استثناه من المعرّة الضرورية لئلا يثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش ثم أعلمهم
أنه بين أظهر الجيش كناية عن كونه مرجع أمرهم ليرفعوا إليه مظالمهم وما غشيهم من أمر يغلب عليهم من الجيش
ولا يطيقون دفعه إلا بالله وبه فيغيّره بمعونة الله وخشيته **ومن كتاب له عليه السلام** إلى كميل بن زياد النخعي
وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً للغارة أما بعد فإنّ تضييع المرء ما وُلّي
وتكلّفه ما كُفي لعجزٌ حاضر ورأيٌ متبَّر وإنّ تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي
وليناك ليس لها من يمنعها ولا يردّ الجيش عنها لرأيٌ شَعاع فقد صرت جسراً لمن أراد الغارة من أعدائك
على أوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا سادّ ثغرة ولا كاسر لعدوّ شوكة ولا مغنٍ عن أهل
مصره ولا مجزٍ عن أميره والسلام **أقول** المتبّر الهالك والفاسد والشعاع المتفرّق وقوله أما بعد إلى قوله
متبّر صدر الكتاب إعلام أن فيه أحكاماً كما جرت عادة الخطيب ما يريد أن يوبّخه عليه من تعاطيه الغارة مع
إهمال ما هو أهمّ منه ثم ذكر غرضه من الكتاب مفصّلاً بقوله وإن تعاطيك إلى قوله شعاع ثم نفّره عن
ذلك الرأي بما فيه من المفاسد وأرداها كونه جسراً واستعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدو
عليه إلى غرضه وروي حسراً وهو أيضاً مجاز باعتبار خلوّ مسالحه من العسكر الذي يحمى به العدو وكذلك
عدمه الآلة الثاني كونه غير شديد المنكب وكنى بذلك عن ضعفه وكذلك كونه غير مهيب الجانب الثالث
كونه غير سادّ ثغرة الرابع ولا كاسر شوكة عدو الخامس ولا مغنٍ عن أهل مصره بدفع عدوّهم السادس
ولا مجزٍ عن أميره فيما يريده منه **ومن كتاب له عليه السلام** إلى أهل مصر مع مالك الأشتر رحمه الله لمّا ولّاه إمارتها
أمّا بعد فإنّ الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين ومهيمناً على المرسلين فلمّا مضى عليه السلام
تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده

عن أهل بيته

عن أهل بيته ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت
راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام
وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول
منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشّع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق و
اطمأنّ الدين وتنهنه **ومن هذا الكتاب** إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها ما باليت
ولا استوحشت وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي
وإني إلى لقاء الله لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راجٍ ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها
فيتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم
الحرام وجُلد حدّاً في الإسلام وإنّ منهم من لم يسلم حتى رُضخت له على الإسلام الرضائخ فلولا ذلك ما أكثرت
تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم إذ أبيتم ووَنيتم ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت وإلى
أمصاركم قد افتُتحت وإلى ممالككم تُزوى وإلى بلادكم تُغزى انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوّكم ولا تثاقلوا إلى
الأرض فتقرّوا بالخسف وتبوؤوا بالذلّ ويكون نصيبكم الأخسّ إنّ أخا الحرب الأرِق ومن نام لم يُنَم عنه
والسلام **أقول** [illegible] والروع القلب والانثيال الانصباب وزاح ذهب وزهق زال
وتنهنه [illegible] وطلاع الأرض ملؤها وآسى أحزن والدول [illegible] بالضم أن يكون مرّة لهذا ومرّة لذاك
والخول العبيد والرضخ الرشوة والتأليب التحريض والتأنيب اللوم والونى [illegible] والتزوي القبض
وتبوؤوا ترجعوا والخسف النقيصة وصدّره باقتصاص حال النبي صلى الله عليه وآله باعتبار كونه نذيراً
للعالمين بعقاب أليم وشاهداً على المرسلين بكونهم مبعوثين ومصدّقاً لهم ونحو ذلك ثم اقتصاص حال المسلمين
بعده في تنازع أمر الخلافة منذراً من ذلك إلى شرح حاله معهم في معرض الشكاية من إزاحة أمر الخلافة
عنه مع كونه أحقّ بها وانصبابهم على بيعة فلان وهو كناية عن أبي بكر وإمساك يده عن القيام في ذلك
والطلب له إلى غاية ارتداد الناس في زمن أبي بكر عن الإسلام وطمعهم في محق الدين ثم شرح حاله من
الخوف على الإسلام وأهله أن يثلم أو يهدم فيكون المصيبة عليه في هدم أصل الدين أعظم من فوت
الولاية القصيرة الأمد التي غايتها إصلاح فرع الدين وتمامه وشبّه زوالها بزوال السراب وتقشّع
السحاب ووجه الشبه سرعة الزوال وكونها لا أصل ثابت لها كما لا ثبات لحقيقة السراب ووجود السحاب
وقدّم ذكر الارتداد ليعرض بيان فضيلته في الإسلام ولذلك عقّبه باقتصاص حاله في نهضته في تلك الأحداث
التي وقعت من العرب إلى غاية زهوق الباطل واستقرار الدين وانتشاره ثم أقسم أنه لو لقيهم وحده وهم
ملء الأرض لم يكترث بهم ولم يستوحش منهم [illegible] أحدهما علمه اليقيني بأنهم في الضلال وأنه على الهدى
الثاني اشتياقه إلى لقاء ربه وانتظاره ورجاؤه لثوابه وهما يجريان مجرى صغريين تقدير كبراهما
وكل من كان كذلك فلا يبالي بهم ولا يستوحش منهم وقوله ولكني [illegible] يجري مجرى جواب سؤال مقدّر كأنه قيل فإذا كنت
تعلم أنك وإياهم على الحالين المذكورين فلم تحزن من فعلهم فكأنه قال إنما أحزن من توليهم وحربهم ولكن

احزن ان يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها الى قوله حربا وعنى بالسفهاء بني امية واشباههم ثم نبه على انهم مظنة
ان يفعلوا ذلك لو ولوا هذا الامر بقوله فان منهم الى قوله الرضائخ والذي شرب منهم في الحرام
اشارة الى المغيرة بن شعبة لما شرب الخمر في عهد عمر حين كان واليا من قبله على الكوفة فصلى
بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهدوا وجلد الحد وقيل عتبة بن ابي سفيان جلد
في الخمر خالد بن عبد الله بالطائف والذي لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ قيل هو ابو سفيان وابنه معاوية
وذلك انهما كانا من المؤلفة قلوبهم الذين يستمالون الى الدين وجهاد عدوه بالعطاء وقيل هو عمرو
بن العاص ولم يشتهر عنه مثل ذلك الا ما حكاه عليه السلام عنه من اشتراطه على معوية طعمة مصر في مساعدته
بصفين كما مر ذكره ثم نبههم على ان ما ذكره من الاسى هو السبب التام في توبيخهم وتحريضهم على الجهاد ولولا
ذلك لتركهم اذا ابوا وضعفوا ثم نبههم على فعل عدوهم بهم وافتتاحه لامصارهم وغزوهم يستثير
بذلك حمية طباعهم ولذلك امرهم بعده بالنفور الى قتال عدوهم ونهاهم عن التثاقل في ذلك
ونبههم على ما يلزم من الاقرار بالخسف والرجوع الى الذل وخسة النصيب ثم نبههم على ان يكون
اهل الحرب وهو الارق وكنى به عن كبر الهمة اذ كان من لوازمه قلة النوم ونفرهم عن ضعف الهمة والتواكل
في الجهاد وما يلزم ذلك من طمع العدو فيهم بسكوتهم عنه والرقدة عن مقاومته ومن كتاب له عليه السلام
الى ابي موسى الاشعري وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لحرب اصحاب الجمل
من عبد الله امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك فاذا
قدم رسولي عليك فارفع ذيلك واشدد مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فان حققت
فانفذ وان تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين حيث انت ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك
وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هي بالهوينى التي
ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك امرك
وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب ولا في نجاة فبالحري لتكفين وانت نائم حتى لا يقال
اين فلان والله انه لحق مع محق وما ابالي ما صنع الملحدون اقول روي عن ابي موسى انه كان
حين مسيره عليه السلام الى البصرة واستنفاره لاهل الكوفة الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول
انها فتنة فلا يجوز القيام فيها ويروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اخبارا تتضمن وجوب القعود عن الفتنة والاعتزال
فيها فكتب اليه مع ابنه الحسن عليه السلام هذا الكتاب والقول الذي بلغه عنه هو نهي الناس وتثبيطهم عن النهوض
اليه وذلك قول هو له باعتبار ظاهر الدين ونهيه عن الخوض في الفتنة وهو عليه من وجوه الاول انه كان
يوهم بانه لم يقصد بذلك الا دعوة الناس عنه ومنعهم من ذلك وهو خذلان للدين في الحقيقة وهو عائد
عليه بمضرة العقوبة منه عليه السلام ومن الله في الآخرة الثاني انه لما كان عليه السلام على الحق كان
تثبيط ابي موسى عنه جهلا بحاله وما يجب من نصرته والقول بالجهل عائد عليه بالمضرة الثالث
انه في ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهى عن الدخول مع الناس في تركهم في زمن الفتنة وروى

هذا يقتضي انه يحب القعود عنهم مع انه كان اميرا نائبا في الولاية وذلك متناقض فكان عليه السلام
ثم امره عند قدوم رسوله عليه باوامر على سبيل الوعيد والتهديد احدها ان يرفع ذيله ويشد مئزره
وهما كنايتان عن الاستعداد والقيام بواجب امره والمسارعة الى ذلك الثاني ان يخرج من جحره واراد
خروجه من الكوفة واستعار له لفظ الجحر ملاحظة لشبهه بالثعلب ونحوه الثالث ان يندب اي يحث
من معه من العسكر ويدعوهم الى الخروج وقوله فان حققت اي عرفت حقيقة امري واني على الحق فانفذ اي
فامض فيما آمرك به وان تفشلت اي جبنت وضعفت عن هذا الامر ومعرفته فابعد عنه ثم توعده على
تقدير قعوده واقسم ليأتينه بالمكان الذي هو به من لا يتركه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده
وهما مثلان كني بهما عن خلط احواله الصافية بالكدر كخلط عزته بذلته وسروره بغمه وسهولة امره
بصعوبته وحتى تعجل عن قعدته وهي هيئة قعوده واراد غاية الاعجال وحتى يكون حذره من امامه
كحذره من خلفه وهو كناية عن غاية الخوف وانما جعل الحذر من الخلف اصلا في التشبيه لكون الانسان
من ورائه اشد خوفا وقيل اراد حتى تخاف من الدنيا كما تخاف من الآخرة وما هي بالهوينى اي وما
المعهود لك بالهينة السهلة التي ترجو ان يكون فيها على اختيارك ولكنها الداهية الكبرى من دواهي
الدهر ومصائبه وقوله يركب جملها اي يركب فيها ويذل صعبها اي يسهل الامور الصعاب فيها
وهو كناية عن شدتها وصعوبتها ثم اردف وعيده وتحذيره بنصيحته وامره باوامر احدها ان يعقل
عقله وعقله يحتمل النصب على المصدر وهو امره ان يراجع عقله ويعتبر هذه الحال العظيمة دون هواه
وقيل هو مفعول به اي اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا ينبغي الثاني
ان يملك امره اي شأنه وطريقته ويصرفها في قانون العدل والحق دون الباطل الثالث ان يأخذ
نصيبه وحظه من طاعته والقيام بامره في نصرته والذب عن دين الله وقيل اراد خذ ما قسم لك
من الحظ ولا تتجاوزه الى ما ليس لك ثم اردف ذلك بامره بالتنحي عن الولاية على تقدير كراهته ما ذكر
وعدم امتثاله الامر وقوله فبالحري لتكفين اي فما احذر ان تكفى هذه المؤنة وانت نائم عن طاعة الله
حتى لا تفقد ولا يسأل عنك لعدم المبالاة بك ثم اقسم انه لحق اي الامر المعهود الذي خالفه فيه بالبصرة
مع محق اي صاحب محق لا يدفعه عالم به لا يكترث بما صنع الملحدون في دين الله من مخالفته ومعرفته
انه على الحق دونهم ومن كتاب له عليه السلام الى معوية جوابا عن كتاب منه أما بعد فانا كنا نحن وانتم
على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا آمنا وكفرتم واليوم انا استقمنا وفتنتم
وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حزبا وذكرت
اني قتلت طلحة والزبير وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك
ولا العذر فيه اليك وذكرت انك زائري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر
اخوك فان كان فيك عجل فاسترفه فاني ان ازرك فذلك جدير ان يكون الله انما بعثني للنقمة
منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد: مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار وجلمود

وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد فإنك والله ما علمت الأغلف
القلب المقارب العقل والأولى أن يقال لك إنك رقيت سلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك
لأنك نشدت غير ضالتك ورعيت غير سائمتك وطلبت أمراً لست من أهله ولا في معدنه فما أبعد قولك من فعلك
وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله فصرعوا
مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيماً ولم يمنعوا حريماً بوقع سيوف ما خلا منها الوغى ولم تماشها
الهوينا وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله
وأما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال والسلام أقول أنف الإسلام أوله وأشرفه
الأبعاد والشرف أي نفس منك من ازاحته وهي السنة والأغوار المنخفضة من الأرض وأعضضت
السيف فلاناً أي جعلته يعض به وهو من المقلوب لأن المضروب هو الذي يعض بالسيف أي
لا يكاد يلبسه ويردي بالضاد المعجمة أي جعلته عاضاً لهم والزمته بهم والمقارب بالكسر الذي ليس
بالتمام وقد كان معاوية كتب إليه عليه السلام يذكره ما كانوا عليه قديماً من الألفة والجماعة وينسب إليه
بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد بعائشة وتوعده بالحرب ويطلب منه قتلة عثمان فأجابه عليه السلام
عن كل من ذلك بجواب أما الأول فسلم له دعواه من القدر المشترك بينهم وهو الألفة والجماعة قبل الإسلام
ولكنه ذكر الفارق وهو من وجوه أحدها أنه عليه السلام في أول الإسلام آمن في جملة من أهل بيته ومعوية
وأهل بيته كانوا كفاراً الثاني أنه عليه السلام وأهل بيته في آخر الأمر لم يزالوا مستقيمين على الدين
ومعوية وأهل بيته مفترقين عليهم الفتنة الثالث أن من أسلم من أهل بيته عليه السلام أسلم طوعاً
ومن أسلم من أهل معوية لم يسلم إلا كرهاً بعد أن اشتد الإسلام وصار مع رسول الله صلى الله عليه وآله حزب قوي
من أشراف العرب واستعار لفظ أنف الإسلام لهم باعتبار كونهم أعزاء أهله وممن أسلم كرهاً
أبو سفيان وذلك أنه لما انتهى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة في غزوة الفتح أتى ليلاً فنزل
بالبطحاء وما حولها فخرج العباس بن عبد المطلب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ورجاء أن يجد طالب حاجة
إلى قريش ليخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويعتذروا إليه فلقي أبا سفيان فقال له اركب ردفي لأمضي بك إلى رسول
الله فإن ظفر بك إلا أن يؤمنك فلما دخل على رسول الله عرض عليه الإسلام فأبى فقال عمر ائذن لي يا رسول الله
لأضرب عنقه وكان العباس يحامي عنه لقرابته فقال يا رسول الله إنه يسلم غداً فلما جاء الغد دخل به
رسول الله فعرض عليه الإسلام فأبى فقال له العباس في السر يا أبا سفيان اشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمداً رسول الله وإن لم يكن ذلك في قلبك فإنه يأمر الآن بقتلك إن لم تقل فشهد الشهادتين
على كره لخوف القتل وقد رأى أكثر من عشرة آلاف رجل حول رسول الله قد تحزبوا معه واجتمعوا
إليه فذلك معنى قوله إلا كرهاً وأما الثاني وهو ما ادعاه عليه من قتل طلحة والزبير وتشريد عائشة
والنزول بين المصرين البصرة والكوفة فأجاب عنه بقوله وذلك إلى قوله إليك وهو في قوة صغرى ضمير
تقديره كبراه وكل من غاب عن أمر ولم يكن فيه مدخل فليس يكلفه عليه ولا العذر من التقصير والتفريط فيه

اليه الثالث ما توعده به من زيارته في المهاجرين والأنصار فأجابه بوجهين أحدهما أنه أوهم في كلامه
أنه من المهاجرين فأكذبه بقوله وقد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك أي حين الفتح وذلك أن معوية وأباه
وجماعة من أهله إنما أظهروا الإسلام بعد الفتح وقد قال صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح فلا يصدق عليهم
إذن اسم المهاجرين وسمى عليه السلام أخذ العباس لأبي سفيان إلى رسول الله غير مختار وعرضه على القتل
أسراً وروي يوم أسر أخوك وقد كان أسر أخوه عمرو بن أبي سفيان يوم بدر فعلى هذه الرواية يكون
الكلام في معرض التذكرة له بأن من شأنه وشأن أهله أن يؤسروا ولا يسلموا فكيف يحمل مع ذلك الهجرة
فإن الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ولا يكون يوم أسر ظرفاً لانقطاع الهجرة لأن الهجرة انقطعت بعد
الفتح الثاني مقابلة وعيده بوعيد مثله وهو قوله فإن كان إلى قوله مقام واحد وأراد إن كنت مستعجلاً
في سيرك إليّ فاطلب الرفاهية على نفسك في ذلك فإنك إنما تستعجل إلى ما يضرك ومنه على ذلك القول
فإنه إلى قوله واحد وهو في قوة صغرى ضمير ووجه التمثيل بالبيت أنه شبه استقبال معوية في مجيئه
باستقباله برياح الصيف وشبه نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة كونه عليه السلام يضرب وجوههم
في الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصباء وقد نبه أنه عليه السلام
قتل جد معوية وهو عتبة وخاله الوليد بن عتبة وأخاه حنظلة بن أبي سفيان في تقدير الكبرى وكل من
كان كذلك فمن الواجب أن يحذر منه ولا يتوعد بحرب وقتال وقوله وإنك والله إلى قوله الهوينا تخويف
مشوب بتهديد وما في قوله ما علمت موصولة واستعار لفظ الأغلف لقلبه ووجه الاستعارة أنه
محجوب بالهيئات البدنية والخشية الباطل عن قبول الحق وفهمه كالأغلف في غلافه ووصف المقارب
في عقله لاختياره الباطل ثم أخذ في سبيل التوبيخ بما لا ومن أن يقال في حاله واستعار لفظ السلم
للأحوال التي ركبها والمنزلة التي طلبها ورشح بذكر الارتقاء والاطلاع والمطلع مصدر ويجوز أن يكون
اسم الموضع وأرجح لعنه قوله بقوله لأنك إلى قوله معدنه واستعار الضالة والسائمة لمرتبته التي
ينبغي له أن يطلبها ويقف عندها وما هو غيرها هو أمر الخلافة إذ ليس من أهلها ورشح بذكر النشيد والرعي
ثم تعجب منه بعد ما بين قوله وفعله ومدركان مدار قوله في الظاهر على طلب قتلة عثمان وإنكار المنكر
كادعاه ومدار فعله وحركاته على التغلب في الملك والبغي على الإمام العادل وشتان ما بينهما
ثم حكم بقرب شبهه بأعمامه وأخواله وما مصدرية والمصدر مبتدأ خبره قريب فمن أهل الشقاوة
من جهة عمومته حماد الحطب ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة وإنما أنكر الأعمام والأخوال لأنه لم يكن له
أعمام وأخوال كثيرون والجمع المنكر جاز أن يعبر به عن الواحد والاثنين مبالغة مجازاً في معرض
الشناعة ولا كذلك الجمع المعرف وأشار إلى وجه الشبه بقوله حملتهم إلى قوله الهوينا وموضع قوله حملتهم
الجر صفة للأخوال وأراد الشقاوة المكتوبة عليهم في الدنيا والآخرة التي استعدوا لها بجحود محمد
وتمني الباطل هو ما كانوا يتمنونه ويبذلون أنفسهم وأموالهم فيه من قهر الرسول صلى الله عليه وآله وإطفاء نور
النبوة وإقامة أمر الشرك وقوله بوقع متعلق بقوله فصرعوا وما خلا صفة لسيوف ولفظ المماشاة

مستنكرو والمراد ان تلك السيوف لم تخن ضربها ولم تقطعها بعد ولا تسوّر ولم تجر معها ودري لم ما بها باس العفو

من المحاسة اي لم يأت الطاعن من ذلك الراي طلبه تقدم علو واجابه بقوله فادخل الآية واراد فيما دخل فيه الناس

من الطاعة والبيعة وصدق الجواب ظاهر لانه لا بد من التحاكم من حاكم وهو عليه السلم يومئذ الامام الحق فليس ينبغي

ان يطلب منه اذن قوما منهم المهاجرون والانصار تسليمهم اليه حتى يتسلم من غير محاكمة بل يجب ان يدخل فيما دخلوا

ويجري عليه الاحكام ليحاكم القوم اليه فاما له واما عليه وقوله واما تلك التي تريد اي الخدعة عن الشام عن الحفظ قرار

على امارتها وجهت بها بتحذع الصبي صغيرا وظهور كونها خدعة للطفل اعدوا بماقال ولسلام اجل ان يموت

لم يكن ذو نكوه من اهله وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** اليه ايضا اما بعد فقد آن لك ان تنتفع باللمح الباصر

من عيان الامور ولقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقحامك غرور المين والاكاذيب

وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما قد اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو الزم لك من لحمك

ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به صدرك فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر

الشبهة واشتمالها على لبستها فان الفتنة طالما اغدفت جلابيبها واغشت الابصار ظلمتها وقد اتاني منك

كتاب ذو افانين من القول ضعفت قواها عن السلم واساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها كالخائض

في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة المرام نازحة الاعلام تقصر دونها الانوق

ويحاذى بها العيوق وحاش لله ان تلي للمسلمين بعدي صدرا او وردا او اجري لك على احد منهم

عقدا او عهدا فمن الآن فتدارك نفسك وانظر لها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت

عليك الامور ومنعت امرا هو منك اليوم مقبول **اقول** المدارج المسالك والمذاهب جمع مدرجة

والاقحام الدخول في الشيء بسرعة من غير روية وانتحال الكلام ادعاؤه لنفسه وليس له والابتزاز الاستلاب

واغدفت المرأة جلبابها ارسلته على وجهها والتفنن التخليط والتنويع والسلم الصلح والاساطير الاباطيل

جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر والدهاس المكان السهل اللين دون الرمل والديماس المكان

شديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يرتفع عليها الراصد والانوق الرخمة والعيوق

نجم معروف وتنهد تنهض وارتجت اغلقت والكتاب جواب ايضا فقوله اما بعد الى قوله الامور تنبيه له

على وجوب الاتعاظ والانزجار عن دعوى ما ليس له والمراد انه قد حضر وقت انتفاعك من عيان

الامور وشاهدتها بلمحك الباصر ولفظ اللمح مستعار لادراك الامور الى فتة لحظة وسرعة وردي بعين

الامور اي اشخاصها وحقائقها التي هي موارد اللمح والاعتبار ووصفه بالباصر مبالغة في الابصار

كقولهم ليل اليل وقوله فقد سلكت الى قوله اللبس اشارة عامة الى الشبه المذكورة وهو سلوكه طرائق

اسلافه بالامور الاربعة المذكورة فادعاؤه الاباطيل ادعاؤه ما ليس له بحق حادم دم عثمن وطلحة

والزبير وغير ذلك واقحامه غرور المين والاكاذيب دخوله في الغلط عن سوء عاقبتها والاكاذيب ذو دعاويه

ظاهرة وما قد علا عنه هو امر الخلافة وما اختزن دونه فابتزه هو مال المسلمين وبلادهم التي تغلب عليها

واراد انه اختزن بالاستحقاق من اهله وفرارا وجحودا مصدران سدا مسد الحال وما هو الزم له من لحمه

ودمه ما قد وعاه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وامتلأ به صدره على في مواطن كغدير خم وغيره وهو

وجوب طاعته وانما كان الزم من لحمه ودمه لانهما دائما في التغير والتبدل ووجوب طاعته امر لازم

لنفسه لا يجوز تغيره وتبدله وتجوز بلفظ المصدر في القلب اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق واشار بالآية الى

ان الحق الذي عليه من البس وراه لم يتعداه الا الضلال والهلاك لان الحق حد من تجاوزه وقع في احد طرفي

الافراط والتفريط وكذلك بعد البيان الذي بين لك فما امري الا اللبس ثم حذره الشبهة واشتمالها على

لبستها والشبيه كشبهة دم عثمن ولفظ اللبسة مستعار للداخلين فيها ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه وعلل تحذيره

اياه ووجوب توقفه وهنا بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمتها وهو صغرى ضمير واستعار لفظ الجلابيب

للامور المغطية لبصائر اهلها عن الحق كما يغطي المرأة عند ارسال جلبابها على وجهها وكذلك استعار لفظ

الظلمة باعتبار التباس الامور فيها وعدم الاهتداء الى الحق كالظلمة التي لا يهتدى فيها ورشح بذكر الاغداف

والاغشاء ثم شرع في احوال كتابه فبدأ بذمه وكان مدار ذلك اللفظ والمعنى فاشار الى ذم اللفظ بانه

ذو افانين من القول اي انه اقوال ملفقة لا يناسب بعضها بعضا وقوله ضعفت قواها عن السلم اي ليس

لها قوة ان يوجب صلحا واشار الى ذم المعنى بانه اباطيل غير محكمة النسج لا من جهة العلم اذ لا علم له ولا من جهة الحلم

لان الكتاب كان فيه خشونة وتهور وذلك ينافي الحلم وينافي غرضه من الصلح ولفظ الحوك مستعار لسبك

الكلام وقوله اصبحت منها فيما صنعه الاساطير ووجه شبهه بالخائض والخابط ضلاله وعدم هدايته الى وجه الحق

كالاشد في خائض الدهاس وخابط الديماس فيهما ثم شرع في جوابه وكان مقصوده في كتابه ان يخص عليه

بالخلافة بعده لما يعلم في نفسه او لا على طلبه امرا ليس من اهله بقوله وترقيت الى قوله العيوق ولفظ المرقبة

مستعار لامر الخلافة ورشح بلفظ الترقية والاوصاف الاربعة بعدها لانها من شأن المرقبة التامة وانما

خص الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة من رؤوس الجبال فتبني اوكارها هناك ثم صرفه عن

المطلوب بتنزيه الله سبحانه ان يلي من بعده للمسلمين خروجا او دخولا في امر من امورهم او ان يجري على

احد منهم له عقدا او عهدا والعقد كالنكاح والبيوع والاجارة والعهد كالبيعة والامان واليمين والذمة

اي لا يمكنه من ذلك ولما ايسه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو مصلحتها من طاعته وتوعده

على تقصيره في ذلك بالجزم تقصيره من نهوض عباد الله اليه وانغلاق الامور عليه ومنعه العذر الذي

هو منه الآن مقبول وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى عبد الله بن عباس رض وقد مضى هذا

الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اما بعد فان العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على

الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن افضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن اطفاء

باطل واحياء حق وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت **اقول** قد سبق

شرح الكلمات يسيرة فيه منها انه نبهه على لزوم فضيلتي العفة والحلم بالنهي عن ان يجعل بلوغ لذة من دنياه

او شفاء غيظ الذين هما طرفا الافراط والتفريط من الفضيلتين المذكورتين افضل ما نال منها في نفسه ثم

نبهه على ما ينبغي ان يكون افضل في نفسه من دنياه وهو اطفاء الباطل واحياء الحق باطل تنبيه على

استعمال قوتها الشهوة وهو أن يكون الغرض من فعلها دفع الضرورة وبقدر الحاجة ومنها أنه أمره بـ
الرواية إلا وسلامة أن يكون فرحه بما نال من آخرته وأمره هنا أن يكون سروره بما قدم لنفسه من زاد التقوى
وهو أمر يعقد به الآخرة وأمره بترك الرواية إلا وسلامة أن يكون أسفه على ما فات من آخرته وأمره هنا أن يكون
أسفه على ما خلف أي ترك من العمل لها وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس وهو عامله
على مكة أما بعد فأقم للناس الحج وذكرهم بأيام الله واجلس لهم العصرين فأفت المستفتي وعلم الجاهل و
ذاكر العالم ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها
فإنها إن ذيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله
فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع المفاقر والخلات وما فضل عن ذلك فاحمله
إلينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجرا فإن الله سبحانه يقول سواء العاكف فيه
والباد فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج إليه من غير أهله وفقنا الله وإياكم لمحابه والسلام اقول
ذيدت ردت والخلة الحاجة وفيه مقاصد أحدها أمره بإقامة الحج للناس وإقامته القيام بأعماله وتعليم
الجاهلين كيفيته وحثهم عليه الثاني أن يذكرهم بأيام الله أي عقوباته التي وقعت بمن سلف من المستحقين
لها كي يحذروا والطاعة من أشباهها وعبر عنها بالأيام مجازا إطلاقا لاسم المتعلق الثالث أن يجلس لهم العصرين
أي الغداة والعشي لكونهما أطيب الأوقات بالجلوس وأشار إلى أعظم فوائد جلوسه فيهما للمستفتين وهي
فائدة العلم وحصره وجوه حاجة أهلها إليها وأمره بسد تلك الوجوه بيان الحصر أن الناس إما غير عالم
أو عالم وغير عالم إما مقلد أو متعلم طالب والعالم إما هو أو غيره فهذه أقسام أربعة فوجه حاجة القسم
الأول وهو الجاهل المقلد أن يستفتي فأمره أن يفتيه ووجه حاجة الثاني وهو المتعلم الجاهل أن يتعلم
فأمره أن يعلمه ووجه حاجة الرابع وهو العالم أن يتذاكر فأمره بالمذاكرة الرابع نهاه أن يجعل
إلى الناس سفيرا يعبر عنه إلا لسانه ولا حاجبا إلا وجهه لأن ذلك مظنة الكبر والجهل بأحوال الناس
التي يجب عليه الاطلاع عليها بقدر الإمكان ولا الحصر وما بعده خبر كان الخامس نهاه أن يحجب
أحدا عن لقائه بحاجته مؤكدا لما سبق ورغبه في ملاقاة ذي الحاجة بضمير صغراه قوله فإنها إلى قوله
قضائها أي لم تحمد فيما بعد وإن قضيتها وتقدير الكبرى وكل أمر كان كذلك فلا ينبغي أن يحجب صاحبه
عن لقائك به وبهذا ذيدت عن أبوابك في أول وردها السادس أمره أن يعتبر مال الله المسلمين ويصرفه
في مصارفه وشرحها بذلك الأهم فالأهم ويحمل الباقي إليه ومصيبا حال وأضاف مواضع المفاقر
تجابر التعظيم السابع أمره بنهي أهل مكة عن أخذ الأجرة ممن يسكن بيوتهم واحتج لذلك بالآية منزلا لها
في صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما قال الله فيه ذلك لم يجز مخالفته ثم ختم بالدعاء لنفسه وله أن يوفقهما
لمحابه وبه التوفيق لذلك ومن كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رضه قبل أيام خلافته أما بعد
فإنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها
لما أيقنت به من فراقها وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته

عنه إلى محذور اقول الخصه الأذية ومدار الفصل على الموعظة وذم الدنيا وضرب لها مثلا وذكر
وجوه الشبه من جانب المثل به أمرين أحدهما لين المس وثانيهما من جانب الدنيا رفاهية العيش ولذاته وثانيها
قتل سمها ويماثله من الدنيا هلاك المنهمكين في لذاتها يوم القيامة ثم أمره في مقابلها بأوامر أحدها أن يعرض عما
يعجبه منها وعلل وجوب إعراضه بقوله لقلة ما يصحبك منها وهي صغرى ضمير تقديرها ما يصحبك منها قليل وتقدير
كبراه وكلما كان كذلك فينبغي أن يعرض عنه الثاني أن يضع عنه هموم طلبها وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه
قوله لما أيقنت من فراقها أي لأنك متيقن لفراقها وتقدير كبراه وكلما تيقنت فراقه فواجب أن تضع هم
طلبه الثالث أن يكون آنس ما يكون بها أحذر ما يكون منها وما مصدرية وآنس نصب على الحال وأحذر
خبر كان أي في حال كونك آنس بها كن أحذر ما تكون منها والغرض أن يحذر منها بقدر وجده والأنس بها.
وعلل وجوب الحذر منها بقوله فإن صاحبها إلى آخره وهو صغرى ضمير تقديرها فإنها كلما اطمأن صاحبها فيها إلى
وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب أن يحذر صاحبه منه ولا يأنس إليه ينتج فالدنيا يجب أن يحذر صاحبها منها
ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني وتمسك بحبل القرآن واستنصحه وأحل حلاله وحرم حرامه وصدق
بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها فإن بعضها يشبه بعضا وآخرها لاحق بأولها وكلها
حائل مفارق وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت إلا
بشرط وثيق واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحى منه في العلانية واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره
أو اعتذر منه ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت به فكفى بذلك كذبا ولا ترد
على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة واصفح
مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير
عليك أثر ما أنعم الله به عليك واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله فإنك ما تقدم
من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل رأيه وينكر عمله فإن الصاحب
معتبر بصاحبه واسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الأعوان
على طاعة الله واقصر رأيك على ما يعنيك وإياك ومقاعد الأسواق فإنها محاضر الشيطان ومعاريض
الفتن وأكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه فإن ذلك من أبواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة
إلا فاصلا في سبيل الله أو في أمر تعذر به وأطع الله في جميع أمورك فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها
وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة
فإنه لا بد من قضائها وتعاهدها عند محلها وإياك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدنيا
وإياك ومصاحبة الفساق فإن الشر بالشر ملحق ووقر الله وأحبب أحباءه واحذر الغضب فإنه جند
عظيم من جنود إبليس اقول هذا الفصل من كتاب طويل إليه وقد أمره فيه بأوامر وزجره بزواجر
مدارها على تعليم مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب أحدها أن يتمسك بحبل القرآن ولفظ الحبل مستعار
كما سبق مرارا ولزوم العمل به الثاني أن ينتصحه أي يتخذه ناصحا لحبك بقبل أمره ومشورته لأنه يهدي للتي

٣ يرضاه صاحبه لنفسه ويكره لعامة المسلمين واحذر كل عمل ٤

والى صراط مستقيم الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان يعتقد ما فيه من الحلال والحرام حلالا وحراما
ويقف عند اعتقاده ويعمل بمقتضاه الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما حكاه القرآن الكريم من احوال
القرون الماضية واحوال الانبياء مع اممهم ويعتبر منه الاعتبار الخامس ان يعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها
فيجعل ما مضى اصلا وما بقي فرعا ونحو العذر المشترك بينهما من العلة هو كونها مظنة التغير والزوال فحكم في
الفرع بحكم الاصل من وجوب الزوال وقد نبه على المشترك بقوله فان بعضها يشبه بعضا وعلى ما يلزم
ذلك في الفرع بقوله وآخرها لاحق باولها وكلها حائل اي زائل مفارق السادس ان يعظم اسم الله ويكره
ان يذكره الا على الحق السابع ان يكثر ذكر الموت وما بعده فان في ذكرهما اعظم واعظ واشد زاجر
عن الدنيا الثامن نهاه ان يتمنى الموت الا بشرط وثيق من نفسه بطاعة الله وولايته فان في تمنيه
بدون ذلك سفه وحمق التاسع امره ان يحذر كل عمل يرضاه لنفسه ويكره للمسلمين وهو في المعنى نهي عن
الاستئثار عليهم بالخيرات وهو كقوله احبب للناس ما تريد لنفسك واكره لهم ما تكره لها العاشر ان يحذر
ما يعمل في السر ويستحي منه في العلانية والاشارة الى معاصي الله ومفارقة ادنى بالذات المباحات وكذلك
كل عمل في شأن ان ينكره او اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادي عشر ان يحفظ عرضه ونهاه ان يجعل غرضا
واستعار لفظ الغرض ونبال لا يرمى بها من القول وقد سبق وجه الاستعارة الثاني عشر ان يحدث
الناس بكل ما سمع على وجه ان يقول كان كذا وكذا دون ان يقول سمعت فلانا يقول كذا فان فيهما
فرقا ولذلك قال وكفى بذلك كذبا لانه جاز ان يكون ما سمعه في نفس الامر كذبا فيكون قد كذب
في قوله كان كذا وقوله سمعت كذا لا يكون كذبا الا على وجه آخر الثالث عشر ان يرد كل ما تحدث به
الناس ومقابله بالتكذيب والانكار لانه جاز ان يكون حقا فيحصل من الانكار جهل بحق وقوله فكفى في
الموضعين صغرى تقدير كبرى الاول وكلما كفى به كذبا فينبغي ان لا تحدث به وتقدير كبرى الثاني
وكلما كفى برده جهلا وجب ان لا يرده الرابع عشر امره بكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهي فضائل
تحت ملكة الشجاعة وشرطها بوجود الغضب والقدرة والدولة فسمي حلما وتجاوزا وصفحا والا لم يصدق
عليها الاسم وقوله تكن لك العاقبة اي العاقبة الحسنة من ذلك وهي صغرى ضمير تقديرها فان فاعل
هذه الخصال يكون له العاقبة منها وتقدير الكبرى وكلما كانت له العاقبة الحسنة منها فيجب ان يفعلها الخامس عشر
ان يستصلح كل نعمة انعم الله بها عليه اي بمداومة الشكر السادس عشر ان لا يضيع من نعم الله تعالى عنده اي بالقصور
عن الشكر والغفلة عنه السابع عشر ان يظهر اثر نعم الله تعالى عليه بحيث يراها الناس وظهور اثرها عليه بانفاقها
على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى اهل الاستحقاق والعلم بدليل وجوب ذلك من وجهين احدهما قوله
ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة اي صدقة تقدمها من نفسه باقواله وافعاله واموالها ومن اهل الخير وهو
جذب له ان يجعل نفسه من افضل المؤمنين بالصدقة الثاني قوله وانك ما تقدمه [illegible] اي ما تقدمه
من المال وتخلفه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما اذا قدمته كان لك ذخرا واذا اخرته كان لغيرك
خيره فواجب عليك تقديمه الثامن عشر ان يحذر صحابة من يفيل رايه اي يضعف وينكر عمله السوء وعلى

ذلك

ذلك الحد بقوله فان الصاحب معتبر بصاحبه اي فان ذلك تقاس به وتعرف حاله اي فعله ويرى ان الطبع مع الصحبة لموضع
للفعل منه المقبول فيجب ان [illegible] به حق فعله التاسع عشر ان يسكن الامصار العظام والغرض الجماعة على الدين اشد
لقوله صلى الله عليه وآله عليكم بالسواد الاعظم ولذلك علل بكونها جامع المسلمين اي مجمعهم واطلق اسم المصدر على
المكان مجازا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يخص بالسكنى العشرون ان يحذر منازل
الغفلة والجفاء واهلها قلة اعوانه على طاعة الله الحادي والعشرون ان يقصر رأيه على ما يعنيه فان فيه شغلا عما لا يعنيه وفي تركه الى
سفه الثاني والعشرون ان يحذر مقاعد الاسواق واشار الى وجه المفسدة بقوله فانها الى قوله الفتن ووجه
كونها محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات ومحل الخصومات التي هي اولياء الشيطان ومعاريض جميع معارض
وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا يجوز القعود فيه الثالث والعشرون
ان يكثر نظره الى من هو دونه ممن فضل عليه في النعمة وعلل ذلك بقوله فان الى قوله الشكر ووجه كونها
لشكره انه يكون سببا للدخول اليه منه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان من ابواب الشكر فواجب ملازمته
الرابع والعشرون ان لا يسافر في يوم الجمعة الا ان يكون في سبيل الله او عذر واضح وسره ان صلوة الجمعة معظم
في الدين وهو محل الثواب لها والعبادة وضع السفر وضع للشيء في غير موضعه الخامس والعشرون ان يطيع الله
في جميع اموره ورغب فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير كبراه وكلما فضل ما سواه فاولى
لزومه وايثاره على ما سواه السادس والعشرون ان يخادع نفسه في العبادة فانه لما كان شأن النفس
اتباع الهوى وموافقة الطبيعة فاولى ان تخادع عنها وتنقاد الى غيره تارة بان يذكر الوعد وتارة الوعيد
وتارة بالاستشهاد ومن هو دونها من شرف عبادة الله وتارة باللوم لها على التفريط فيجب امر فاذا
سلك بها فينبغي ان يكون بالرفق من غير قهر لها على العبادة لئلا يكون ذلك داعية الملال والانقطاع كما اشار اليه
سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله
فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى بل تأخذ منها عفوها ونشاطها في العبادة الا الفريضة فانه
لا يجوز المسامحة فيها السابع والعشرون حذره ان ينزل به الموت على ما هو آبق من ربه واستعار لفظ
الآبق باعتبار خروجه عن امره ونهيه عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان يحذر صحبة الفساق ونفر عن
ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر بالشر ملحق اي فانه يصير شرا كشرهم لان القرين بالمقارن يقتدي
وتقدير كبراه وكلما صيرك شرا كذلك فلا يجوز فعله التاسع والعشرون ان يجمع بين توقير الله وتعظيمه وبين
محبة احبائه واوليائه وهما اصلان [illegible] الثلاثون ان يحذر الغضب ونفر عنه بقوله فانه [illegible] ووجه
كونه جندا له انه من اعظم ما يدخل به على الانسان فيملكه ويصير في تصريفه كالملك الداخل بالجند العظيم
على المدينة وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يحذر منه وبالله التوفيق ومن كتاب له
عليه السلام الى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعاوية اما بعد
فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون الى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك
من مددهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى والجهل وانما هم اهل دنيا

يقبلون عليها ومهطعون إليها قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه وعلموا أن الناس عندنا في الحق
أسوة فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسحقاً إنهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وإنا لنطمع
في هذا الأمر أن يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه إن شاء الله والسلام **أقول** الانسلال الذهاب واحداً
بعد واحد والإهطاع الإسراع وكذلك الإهطاع والأثرة الاستبداد فقوله أما بعد إلى قوله معاوية إعلام
له بعلمه بحالهم وقوله فلا تأسف إلى قوله مدداً تسلية له عما فاته من عددهم ومددهم وقوله فكفى إلى قوله
بعدل استدراج له عن الأسف على فراقهم بذكر معايبهم وهي ضربان الأول منهما قوله فكفى إلى قوله
الجهل وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا يجوز الأسف عليه وفرارهم فاعل كفى وغياً وشافياً تمييز وصفه
إياهما قوله وإنما هم أهل الدنيا أي لما كان شأنهم ذلك وعرفوا العدل عندنا وعلموا أن الناس
عندنا في الحق أسوة هربوا إلى الاستئثار والاستبداد عند معاوية وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
فلا يجوز الأسف عليه ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ثم أقسم أنهم
لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل من معاوية لتأكيد حصر أحوالهم التي هربوا لأجلها ثم وعده
بما يطمع فيه من الله تعالى من تذليل ما صعب من أمر الخلافة لهم وتسهيل الحزن منه بمشيئته سبحانه **ومن كتاب له عليه السلام**
إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانة أما بعد فإن صلاح
أبيك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك
انقياداً ولا تبقي لآخرتك عتاداً تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن
كان ما بلغني عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد
به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على خيانة فأقبل إلي حين يصل إليك
كتابي هذا إن شاء الله والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام إنه لنظار في
عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه أي أنه ينفض التراب من شراكيه إذا أصابهما الغبار **أقول**
العتاد العدة والشسع سير بين الإصبعين في النعل العربي ومدار الفصل على توبيخه بسبب خيانته
فذكر سبب غروره وهو قياسه في الصلاح على أبيه الجارود العبدي في أنه يتبع ما كان عليه من الهدى
ثم ذكر ما رقي إليه عنه من الفارق من أمور أحدها انقياده لهواه في كل ما يقوده إليه الثاني
إعراضه عما يعتد به لآخرته من صالح الأعمال الثالث كونه يعمر دنياه بالسلام خراب آخرته من
تناول الحرام الرابع كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك ورأى الصحيح في قطيعته ثم أخذ في
توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته إلى حيث ما نسب إليه وذلك بتفضيل جمل أهله وشسع نعله عليه وجعل
الأهل مما يتمثل به في الهوان واصله فيما قيل إن الجمل يكون لأهل القبيلة فيصير ميراثاً لهم يسوقه كل
منهم ويصرفه في حاجته فهو ذليل حقير منهم ثم حكم في معرض توبيخه أن من كان بصفته أنه لا يصلح
لولاية عمل به أولى الولاة وراعى في القرائن الأربع السجع المتوازي في لفظ سد وأمر والأمانة والخيانة
بإزاء الأمانة وأما قال أو يشرك في أمانته لأن الخلفاء أمناء الله في بلاده فمن ولوه من قبلهم فقد شركوه

في أمانته

في أمانته وقوله أو يؤمن على خيانة أي على حال خيانته لأن كل من عرفت خيانته لا يؤمن ثم بعد توبيخه استقدمه عليه للأداء
والذي حكاه السيد رضي الله عنه من وصف أمير المؤمنين عليه السلام له كناية عن تكبره والنفل في الشراكين نفي الغبار
عنه والكناية مناسبة للكتاب لاشتمالها على الذم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** إلى عبد الله بن العباس
رحمه الله أما بعد فإنك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بأن الدهر يومان يوم لك
ويوم عليك وأن الدنيا دار دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك
أقول الفصل موعظة نبهه فيها على دقائق أحدها أنه لا يسبق أجله ولما كان الأجل هو الوقت الذي علم الله
أن زيداً يموت فيه لم يمكن أن يموت زيد دونه لأن ذلك يستلزم انقلاب علم الله جهلاً والثانية أنه
لا مرزوق ما ليس له أي ما علم الله أنه ليس رزقاً له فمحال أن يرزق إياه لما بيناه الثالثة إعلامه أن الدهر
يومان يوم له وهو اليوم الذي له فيه المنافع كاللذة ولوازمها ويوم عليه وهو ما يكون عليه فيه المضرة
كالألم وما يستلزمه وذلك متفرع على أن الدنيا دار دول كما قال تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس
الرابعة إعلامه بأن ما كان له من خير الدنيا أتاه على ضعفه فإن كان الأمر كما علم الله سبحانه بأن يصل إليه
وكذلك ما كان عليه من شر لم يتمكن من دفعه وإن كان قوياً وذكر الضعف والقوة ليعلم استناد الأمور
والأرزاق إلى مدبر حكيم هو مفيضها ومبدأ أسبابها وناظم وجودها وعطاؤه تابع لمقتضى كل منها
ما استعد له من خير أو شر فقد يحصل الضعف للحيوان ويرزق رزقاً واسعاً ويكون ضعفه من الأسباب
المعدة لسعة رزقه وبالعكس قد تحصل له القوة فتكون من أسباب الحرمان والله من ورائهم محيط وهو
الرزاق ذو القوة المتين **ومن كتاب له عليه السلام** إلى معاوية أما بعد فإني على التردد في جوابك والاستماع
إلى كتابك لموهن رأيي ومخطئ فراستي وإنك إذ تحاولني الأمور وتراجعني السطور كالمستثقل
النائم تكذبه أحلامه والمتحير القائم يبهظه مقامه لا يدري أله ما يأتي أم عليه ولست به غير أنك
شبيه به وأقسم بالله إنه لولا بعض الاستبقاء لوصلت إليك مني قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم واعلم أن
الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك وتأذن لمقال نصيحتك **أقول** موهن مضعف و
يبهظه يثقله والقوارع الشدائد وتهلس اللحم تذهب به وتمحقه وتقرب منه النهس وثبطه عن كذا شغله
ومدار الفصل على منافرته وتوبيخه فقوله أما بعد إلى قوله فراستي أي مضعف رأيي وفراستي
في ذلك لغلبة ظني أن مكاتبتك وجوابك لا فائدة فيه ثم شبهه في مجادلته إياه وما يجده عنه
من جدل أمر الخلافة فيه بعده ومراجعته السطور أي الكتب في ذلك بالمستثقل في النوم الغرق فيه
وانتصب السطور بحذف الجار إما في أو الباء وأشار إلى وجه الشبه بقوله تكذبه أحلامه وأراد أن
تخيلاته وأمانيه في وصول هذا الأمر إليه تخيلات كاذبة صادرة عن جهل غالب كالأحلام الكاذبة
لمستغرق في نومه إذا استيقظ لم يجد لها شيئاً وكذلك شبهه بالمتحير القائم وأشار إلى وجه الشبه بقوله يبهظه
إلى قوله عليه وبيانه أن معاوية متحير في هذا الأمر متحير في تحصيله متردد في طلبه مع جهله بعاقبته
هل هي خير أو شر كالقائم المتحير في الأمر يتعب لطول مقامه ولا يعرف غايته من قيامه ثم لم يرض له

التشبيه بل زاد ما لغوه في غفلته ونومه عن رقدة طبيعته وحيرته وقال لست به اي ولست بهذا الشبهاء فيكون
هو اصلا لك في الشبه غير انه يك شبه اي الك اصل في ذلك الشبه ثم امره ببعض الاستعدادات للامور
المصلحة لو حلت اليه منه قوارع واراد شدائد الحرب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم وتلهس اللحم
ثم اعلمه في معرض تهديده ان الشيطان قد ثبطه عن مراجعة احسن اموره وهو الدخول في طاعته وترك
الفتنة وان يأذن اي يصغي اذنه لمقال نصيحته وهو جذب له بما يشبه تركه لها الى تثبيط الشيطان
وبالله التوفيق ومن حلف له عليه السلام بين اليمن وربيعة نقل من خط هشام بن الكلبي هذا ما اجتمع عليه اهل
اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على كتاب الله يدعون اليه ويأمرون به ويجيبون
من دعا اليه وامر به لا يشترون به ثمنا ولا يرضون به بدلا وانهم يد واحدة على من خالف ذلك و
تركه انصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال
قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وسفيههم وعالمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه
ان عهد الله كان مسؤولا وكتب علي بن ابي طالب اقول الحلف العهد وفيه نكت الاولى قوله هذا مبتدأ
وما موصولة وهي صفة المبتدأ وخبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتدأ وخبره ما اجتمع عليه ويكون قوله
انهم تفسيرا للمبتدأ كأنه قال ما الذي اجتمعوا عليه فقيل على انهم على كتاب الله اي اجتمعوا على ذلك وخبر
انهم هو على كتاب الله ويدعون حال والعامل متعلق الجار وحاضرها وباديها بدل من اهل اليمن وكذلك
من ربيعة الثانية كونهم لا يشترون به ثمنا كناية عن لزومهم له والعمل به الثالثة قوله وانهم يد واحدة اي
يتعاضدون على من خالفه فاطلق اسم اليد على التعاون مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وانصار
خبر ثان لان وبعضهم فاعل ويجوز ان يكون بعضهم مبتدأ خبره انصار الرابعة قوله ولا لاستذلال قوم
قوما اي لا ينقضون عهدهم لكون القبيلة الاخرى استذلت قومهم او سبتهم وروي لمسبة قوم قوما
اي لا زاد بهم لهم وفي روايته وكتب علي بن ابي طالب وفي المشهورة عنه عليه السلام وجها انه جعل فيه (؟)
الكتب على منزلة لفظ واحدة لا يتغير اعرابها ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية من المدينة في اول ما بويع
له بالخلافة وذكره الواقدي في كتاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى معاوية بن ابي سفيان اما بعد
فقد علمت اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث طويل والكلام كثير
وقد ادبر ما ادبر واقبل ما اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك اقول الوفد الزوار او
على الملك واعلم اولا اعذاره فيهم الى الله اي اظهار عذره وذلك باجتهاده في نصيحتهم عثمان اولا
ونصرة بني امية بالذب عنه ثانيا واعراضه عنهم بعد اياسه من قبول عثمان لنصيحته وعجزه عن نصرته الى ان
منه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله ثم قال والحديث طويل والكلام كثير اي في امره ومن قتله وقوله
وقد ادبر الى قوله اقبل يحتمل ان يكون اشارة الى ان بعض الناس ادبر عنه كطلحة والزبير ومن تابعهما
وبعضهم اقبل عليه ويحتمل ان يكون اشارة اي قد دخل في الادبار من ادبر عني ودخل في الاقبال من اقبل
علي ثم امره ان يبايع له من قبله من الجماعة ويقبل اليه ويحتمل ان يكون الضمير في قوله قبلك وقومك خطابا لمعاوية

وسائر

وسائر المسلمين على سبيل التعب والشكاية اي قد علمت اني اعذرت فيكم حيث لم اعاجل مسيئكم بالعقوبة
واعرضت عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحة والزبير ومن تابعهم مما لا بد من وقوعه منهم ولا دفع له والحديث
في شأنهم طويل والكلام في شبهتهم كثير وقد ادبر من ادبر اي هو من الخارجون واقبل من اقبل وتمام الكلام
بحاله والله اعلم ومن كتاب له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصرة سع الناس
بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك
من النار وما باعدك من الله يقربك من النار اقول الطيرة خفة من الطيران ويستعمل في الخفة (؟)
وروي طيرة من الطير وهو الشؤم وقد امره بفضائل من الاخلاق احدها ان يسع الناس بوجهه وكنى
بذلك عن البشر والطلاقة ومجلسه وهو كناية عن التواضع وبحكمه وكنى به عن العدل بين كل احد والجور (؟)
لا يحمله الكل الثانية حذره من الغضب وهو امر بفضيلة الثبات والحلم ونفره بقوله فانه طيرة من الشيطان
اي خفة من الشيطان او انه مما يستلم الناس بصاحبه ويكرهه ونسبه الى الشيطان لينفر عنه واراد
الغضب المذموم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب ان يحذر ثم رغبه فيما يقرب من الله
بما يستلزمه من كونه مباعدا من النار ونفره عما يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مقربا الى النار وهما
صغرا ضميرين تقدير كبرى الاول منهما وكل ما باعدك من النار فواجب اخذه وتقدير كبرى الثاني
وكل ما يقربك من النار فواجب ان يحذر وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلام لعبد الله بن العباس
لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم
بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا اقول المحيص المعدل وقد نهاه ان يحاجهم بالقرآن ونبه على ذلك
بضمير صغراه قوله فان القرآن الى قوله ويقولون اي ان الآيات التي يمكنه الاحتجاج بها غير نص في المطلوب
بل لها ظاهر وتأويلات محتملة يمكنهم ان يتعلقوا بها عند المجادلة وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا يتم
الغرض به في مخاصمتهم ثم امره ان يحاجهم بالسنة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم لا يجدون عنها
معدلا لكونها نصا في المطلوب كقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي ونحوه وتقدير الكبرى وكل ما
لم يجدوا عنه معدلا فلا وسط لمحاجتهم به وقد اشرنا من قبل الى محاورة ابن عباس لهم ومن كتاب له عليه السلام
اجاب به ابا موسى الاشعري عن كتاب كتبه اليه من المكان الذي اقعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب
سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا
بالهوى واني نزلت من هذا الامر منزلا معجبا اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم فانا اداوي منهم قرحا اخاف
ان يعود علقا وليس رجل فاعلم احرص على جماعة امة محمد صلى الله عليه وآله والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب
وكرم المآب وسأفي بالذي وأيت على نفسي وان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم
نفع ما اوتي من العقل والتجربة واني لاعبد ان يقول قائل بباطل وان افسد امرا قد اصلحه الله فدع
ما لا تعرف فان شرار الناس طائرون اليك باقاويل السوء اقول العلق الدم الغليظ ووأيت
وعدت واعبد استنكف واغضب وقوله فان الناس الى قوله حظهم اي الحظ الذي ينبغي لهم من الدين

والدين وقوله فاولوا الى قوله الهوى بيان لانواع تغيرهم وقوله وانما زنت من هذا الامر اى امر الخلافة منزلا
بمجاوهو الحال التى اشى ابدع مع الصحابة وصارت محل التعجب منها وكيف صار حكمها لم في قبول الحكومة
والرضى بالصلح وغيره وقوله اجمع به اقوام منزل اى ان هذا المنزل الذى انا فيه من هذا الامر قد اجمع
معى وشاركنى فيه اقوام اعجبتهم انفسهم وآراؤهم فافسدوا على الامر فانا اداوى منهم قرحا
واستعار لفظ القرح لما فسد من حاله باجتماعهم على التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده في اصلاحهم وروى
اداري وكنى باستعارة لفظ العلق لما يخاف من تفاقم امرهم ثم اعلم من حاله انه ليس رجل احرص
منه على الفة جماعة محمد صلعم الغرض المذكور وقوله فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها ورجل يفيد العموم وان
كان مفردا لكونه نكرة في سياق النفي على ما بين في اصول الفقه ثم اخبر انه سيفى بالدعوى ...
شرط الصلح على ما وقع عليه وتوعده بلزوم الشقاوة ان تغير عن حاله ما فارقه عليه من وجوب الحكم
بكتاب الله وعدم اتباع الهوى والاغترار بمقارنة الاشرار وفسر الشقى بمن حرم نفع ما اوتى من
العقل والتجربة مشيرا الى كماله انه ان ضيع او تغير بامر آخر فقد حرم نفع عقله وسابقة تجربته
فلزمته الشقاوة ثم نبهه على انه يانف من قول الباطل وان يفسد امرا اصلحه الله به وهو امر الدين
ليحترز من غضبه بلزوم الحق والصدق وحفظ جانب الله في ذلك واكد ذلك بقوله فدع ما لا تعرف
اى من الحكم في هذه القضية بالشبهة وقوله فان شرار الناس آه اراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان
يسرع بالقائه اليه من الوساوس والشبه الكاذبة التى هى اقاويل السوء ومن كتاب له عليه السلام
الى امراء الاجناد اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم بالباطل
فاقتدوه اقول نفرهم عن منع الحق اهله ومعاملتهم الناس بالباطل بذكر ان ذلك هو سبب هلاك
من كان قبلهم من امثالهم وقوله فاشتروه اى جاحدوه وتعوضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى
وشروه بثمن بخس وكذلك قوله واخذوهم بالباطل اى حملوا الخلق عليهم معهم بالباطل فاقتدوه
اى اقتدوا بالباطل وسلكوا فيه مسالك من اخذهم به كقوله تعالى فبهداهم اقتده وبالله التوفيق تم
باب الكتب والوصايا والعهود والحمد لله حق حمده

باب المختار من حكم امير المؤمنين عليه السلام ومواعظه ويدخل في ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر اغراضه

قال عليه السلام كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب   ابن اللبون ولد الناقة
اذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة لان امه لا تلبث ان تضع غيره فتصير ذات لبن وقد
امر ... به في زمن الفتنة ان يتشبه بابن اللبون واشار الى وجه الشبه بقوله لا ظهر له واراد انه
يكون في زمانها خامل الذكر ضعيفا غير مستكثر من المال كيلا يطمع لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله
ولا ينتفع به في الفتنة كابن اللبون لا ينتفع بظهره ولا لبنه وظهر مبتدأ خبره محذوف تقديره له
ويركب عطف على الجملة وروى منصوبا باضمار ان في جواب النفي وكذا قوله فيحلب وقال عليه السلام
احدى وعشرين كلمة من الآداب والحث على مكارم الاخلاق احداها قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع

وهو تنفير من الطمع المضاد لفضيلة القناعة بذكر ما يستلزمه من الهوان بالنفس والازراء بها وذلك
ان الطمع بما في ايدى الناس يستلزم الحاجة اليهم والخضوع لهم وهو يستلزم الهوان عليهم وسقوط المنزلة واستعار
وصف الاستشعار لملازمة الطمع ومباشرته للقلب كالشعار للجسد الثانية قوله ورضى بالذل من كشف
عن ضره وهو ايضا تنفير للانسان عن شكاية فقره وضره للناس بذكر ما يلزم ذلك من المذلة والرضى به الثالثة
وهانت عليه نفسه من امر عليها لسانه وهو تنفير للانسان عن الاكثار في القول من غير تدبر ومراجعة
لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه عليه اما في الدنيا فلان زيادة القول قد يكون سببا للهلاك واليه
اشار القائل احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان كم في المقابر من قتيل لسانه كانت
تهاب لقاءه الاقران واما في الآخرة فلقوله صلعم وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم
ولا هوان لنفس الانسان عليه اعظم من هلاكها واستعار لفظ التامير لتسليط اللسان على ما يؤذى
النفس من غير مراجعتها لكونها صارت محكومة له الرابعة قوله والبخل عار وذلك لانه رذيلة التفريط
من فضيلة الكرم ... الانسان على الكرم يكون ذمه وتعييره برذيلة البخل الخامسة والجبن منقصة
لانه رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة التى هى اصل من الكمالات النفسانية كان الجبن رذيلة ومنقصة
السادسة والفقر يخرس الفطن عن حجته وذلك لكونه ... النفس فصل حجته بالنقص والقصور
والانفعال عن الغير ومبدأ كل ذلك تصور العجز وتوهم القصور بسبب عدم المال عن مقاومة الخصوم
فيحصل التخوف من الكلام والعى عنه وان كان صاحبه فطنا واستعار لذلك وصف الخرس ملاحظة
لشبهه به السابعة والمقل غريب في بلدته اى الفقير واستعار له لفظ الغريب باعتبار عدم التفات
الناس اليه وقلة الاعوان والاخوان له لقلة ماله فهو كالغريب الذى لا يعرف الثامنة والعجز آفة
العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدنى وهو عدم القدرة على التصرفات البدنية مما من شانه ان يقدر ويحتمل
العجز النفسانى وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى ودفعه والاول آفة بدنية ونقصان فيه والثانى
آفة في العقل وعاهة فيه التاسعة والصبر شجاعة الصبر فضيلة تحت العفة ترسم بانها مقاومة الهوى
لئلا تنقاد النفس الى قبائح اللذات وهو جهاد مع النفس الامارة يستلزم فضيلة الشجاعة فلذلك
حمل اللازم على ملزومه العاشرة والزهد ثروة وهو فضيلة تحت العفة ويرسم بانه اعراض النفس
عن متاع الدنيا وطيباتها ولما كانت الثروة في العرف عبارة عن الغنى بالمال وكثرته استعار لفظها
للزهد لمشابهته اياها في استلزامها الغنى وعدم الحاجة الحادية عشرة والورع جنة وحقيقة الورع
لزوم الاعمال الجميلة فلذلك استعار له لفظ الجنة لمشابهتها في الوقاية من عذاب الله في الآخرة ومن
اكثر المصائب الدنيوية كالجنة بالترس وغيره من السلاح الثانية عشرة ونعم القرين الرضا وقد علمت
ان الرضا بقضاء الله وما نزل به القدر باب عظيم من ابواب الجنة وغاية من الملكات الفاضلة وظاهر
انه نعم القرين في الدنيا والآخرة الثالثة عشرة والعلم وراثة كريمة وهو لما كان فضيلة النفس العاقلة وهو
اشرف الكمالات التى تقتنى وجب ذلك كان وراثة كريمة من العلماء بل كان اكرم موروث ومكتسب واراد

الوراثة العلمية كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب اي العلم والحكمة الرابع عشر
والآداب حلل مجددة واراد الآداب الشرعية ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجددة باعتبار
دوام زينة الانسان بها وتجدد بهائه وحسنه وتهذيب نفسه على استمرار الزمان بتزودها واستخراج محاسنها
كالحلل التي لا يزال تجدد على لابسها الثانية عشر والفكر مرآة صافية الفكر قد يراد به القوة المفكرة وقد يراد به
حركة هذه القوة مطلقا اية حركة كانت وقد يراد به معنى آخر وهي هنا القوة نفسها واستعار لها لفظ المرآة
باعتبار انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب التصورية والتصديقية ادركتها وتمثلت بها كما تمثل في المرآة
صور ما يحاذي بها الثالثة عشر وصدر العاقل صندوق سره واستعار الصدر لفظ صندوق السر
باعتبار حفظه له كما يحفظ الصندوق ما فيه وينبغي الامر للانسان كتمان سره ورغبة في ذلك بعض العاقل
كانه قال العاقل من جعل صدره صندوق سره وحفظ الرابع عشر والبشاشة حبالة المودة واستعار
لها لفظ الحبالة باعتبار اقتناص الانسان بها الناس واستمالتهم الى صداقته ومحبته كحبالة الصائد التي
يقتنص بها الصيد الخامس عشر والاحتمال قبر العيوب اراد احتمال المكروه والاذى من الاخوان وسائر
الناس وهو فضيلة عظيمة تحت الشجاعة واستعار له لفظ قبر العيوب باعتبار ستره لمعايب صاحبه عند
الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة الميت قال السيد رضه وروي انه عليه السلم قال في العبارة عن هذا المعنى ايضا
المسالمة خباء العيوب قال الجوهري الخباء واحد الاخبية من صوف او وبر ولا يكون من شعر ويكون
على عمودين او ثلثة وما فوق ذلك فهو بيت والمسالمة فضيلة تحت العفة استعار لها لفظ الخباء باعتبار انها
فضيلة تستجلب المحبة وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخباء وتبين استلزامها ستر العيوب
باستلزام نقيضها وهو المخاصمة وعدم المسالمة لثوران الطباع على ذكر المعايب وابرازها الغرض الاهانة
واثبات انه السادس عشر ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه وذلك لوجهين احدهما ان الراضي عن نفسه
معتقد لكمالها غافل عنها او ناظر الى غيره بعين النقصان فيترفع على الناس حقوقهم فيكثر بذلك الساخط
عليه منهم الثاني انه لاعتقاده كمال نفسه يرفعها فوق قدرها والناس يرونه بقدره فيكثر المستنقص له
والساخط عليه العشرون والصدقة دواء منجح استعار لفظ الدواء النافع للصدقة لشبهها بالدواء
اما في الدنيا فلقوله صلى الله عليه وآله داووا مرضاكم بالصدقة وسر ذلك انها تستجلب الهمم وتطابق
القلوب على محبة المتصدق والرغبة الى الله في رفع المكاره عنه لتجابه فهي بذلك سبب الشفا
كالدواء واما في الآخرة فلانها سبب لرفع المكاره الاخروية كما سبق بيانه الحادية والعشرون و
اعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم في آجلهم اي ظاهرة قائمة في اعينهم وسر ذلك ما علمت من كون النفوس
ما دامت في الدنيا في منقش بملكات الخير والشر لكنها في غشية من الهيئات البدنية وحجب عن
ادراك الامور كما هي فاذا زالت تلك الاغشية بالمفارقة انكشفت لها الامور فادركت ما عملت
من خير وما استعدت له من شر كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وكما قال
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال عليه السلم اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم

ويسمع

ويسمع بعظم ويتنفس من خرم نبه على لطف صنع الله في الانسان ببعض اسرار حكمة الصنع وغاية ذلك الاستدلال
على حكمة صانعه ومبدعه وذكر اربعة من محال النظر والاعتبار وهي آلة البصر والكلام والسمع والتنفس وخصها
بالذكر لكونها مع ضعفها من درجة وجود الانسان على شرفه وعلو رتبته في المخلوقات ولا لا بها لا يكون
ذلك محل التعجب واعتبار لطف الصنع الحكيم واراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف الاطباء
بالبيضية او الرطوبة الجليدية فان العين مركبة من سبع طبقات وثلث رطوبات كل منها مختص في عرفهم
باسم وعني باللحم اللسان فانه لحم ابيض رخو ملتف به عروق صغار كثيرة حمراء ولذلك يتبين احمر وفيه
عروق وشريانات واعصاب كثيرة وتحته فوهتان يسيل منهما اللعاب ينتهيان الى لحم غددي رخو
موضوع في اصله يسمى مولد اللعاب وهما تنقيان الغذائين يعني اللسان وما حوله الندواة الطبيعية واراد
بالعظم الذي يسمع به العظم المسمى الحجري وهو عظم صلب خلفه مجرى الاذن كثير التعاريج والعطفات
الى ان يلقى العصبة النابتة من الدماغ التي هي مجرى الروح الحامل للقوة السامعة واراد بالخرم ثقب الانف
وفي هذه وامثالها من بدن الانسان وساير الحيوان عبرة لمن اعتبر وكمال شهادة بوجود الصانع
الحكيم لها ومن نظر في تشريح بدن الانسان حضرته شواهد من الحكمة الالهية بحار حيثما اليه ويدهش منها عقله
وقرا الصادق عليه السلم قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا ثم قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو ينظر بشحم
ويسمع بعظم وينطق بلحم وقد راعى في القراين الاربع السجع المتوازي وقال عليه السلم اذا اقبلت الدنيا
على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان الدنيا اذا اقبلت
بجاهها وما لها على قوم بحسب توافق اسباب السعادة الدنيوية لهم استلزم ذلك اقبال الناس
عليهم وتقربهم اليهم بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها وحسنوا اعيانهم فاستعاروا لهم الاوصاف
الجميلة التي كانت في غيرهم وان لم يكونوا في نفس الامر كذلك حتى يصفوا الجاهل بالعلم والبخيل بالكرم والمبذر بالسخاء
والمتهور بالشجاعة والشرف لطف الاخلاق الماجن وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سببا لاستعدادهم لتحصيل
الكمالات النفسانية والملكات الفاضلة التي كانت محاسن لغيرهم قبلهم وان كانوا قبل ذلك غير اهل
لشيء منها ويحتمل ان يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب وملبوس ودابة وحسن اياه وتصرف
وذلك ظاهر وكونه عارية باعتبار عدم دوامه وكذا اذا ادبرت عنهم بحسب توافق اسباب
الشقاوة فيها فيجوا فيها اعين الناس حتى يكون احدهم ذا فضيلة في نفسه فيجحدها الناس ويصفونه بضدها
فان زهد في الدنيا نسبوه الى الريا والسمعة وان حسنت اخلاقه نسبوه الى الملاعبة والمجون وان
تشجع نسبوه الى التهور والجنون وهو معنى سلبها لمحاسن انفسهم وربما استعد ذو الفضيلة منهم بذلك لتركها
واهمالها والتخلق بضدها حتى تسلب عنه الفضيلة بالكلية وقال عليه السلم خالطوا الناس مخالطة ان متم معها
بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم نبه بذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق
وكنى عن ذلك بغايته من البكاء عليه بعد الموت والحنين اليه وهو من لوازم حسن المخالطة اليه في حيوته واعتقاده والبكاء عليه
بعد وفاته والجملة الشرطية في موضع نصب صفة المخالطة وقال عليه السلم اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو

فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وهو تنبيه على فضيلة العفو وجذب اليه بكونه شكرا للقدرة اي ملازم الشكر عليها وذلك ان
القدرة على العدو نعمة من الله تعالى يجب شكرها والاعتراف بها والخضوع له ويلزمه الرقة وفتور الغضب
ويتبع ذلك العفو فاقام مقام الشكر للملازمة بينهما ولما كان الشكر واجبا كان العفو لازما وقال عليه السلام
اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم الاخوان جمع اخ كحرب وحربان
واراد الاصدقاء الصادقين وفي الكلمة حث على مكارم الاخلاق لان الاخوان لا يكتسبون الا بها
وانما جعل العاجز عن تحصيلهم اعجز الناس لان ذلك لا يحتاج الى اتعاب قوة بدنية ولا اعمال فكرة
عقلية وانما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والملاقاة بالبشر والطلاقة وهي امور سهلة
في اكثر الناس ومن اهون الاشياء عليهم فكان العاجز عنها اعجز الناس عما هو مقدور لهم وانما جعل
من ظفر به منهم ثم ضيعه اعجز لان المكتسب لا بد له من كلفة ما في اكتسابهم واما الظافر فهو غير محتاج الى
ذلك القدر من الكلفة فكان سبب حفظ الاخوان اسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيع لحفظهم اعجز
من العاجز عن اكتسابهم لعجزه عن حفظ الامر الاسهل فان قلت فقد قال ان المضيع لهم اعجز من اعجز
الناس فلا يكون اعجز الناس قلت لفظ الناس لفظ مطلق وانما يلزم التكلف
ان لو كان للعموم وقال عليه السلام اذا وصلت اليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر
نبه على وجوب الشكر على النعم لغرض دوامها ونفر عن قلته بما يستلزمه من كونه منفرا لما يستقبل منها
واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها بالطير المتصل اذا سقط اوله اتصل به آخره ان لم ينفر
وفيه ايماء الى ان دوام الشكر يستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
وقال عليه السلام من ضيعه الاقرب اتيح له الابعد اي قدر واراد ان الله سبحانه جعل لكل
شيء سببا يجب معه وجوده ولما كانت مصالح الانسان وضروراته في الاغلب يقوم بها من كان
اقرب اليه من اهله وعشيرته ولم يجب في الحكمة ان لا يكون له نفع الا من جهتهم لا جرم انهم اذا ضيعوه
واهملوه لا بد ان يقدر الله له من يقوم بمصالحه ومعاونته ممن هو ابعد عنه وقال عليه السلام
ما كل مفتون يعاتب الفتنة قد تكون في الدين وقد تكون في الدنيا وقد تكون فيهما وقد
تلحق الانسان بسبب منه من جهل بسيط او مركب وقد تلحقه باسباب قدرية خارجة عن مقدوره
وغير معلومة والذي يعاتب على فتنته من هو في حركات اسباب فتنته منه او بعضها كوقوع الفتنة
لصاحبه العشاق ونحوه هذا اذا حملنا اللفظ على ظاهره ويحتمل ان يريد ليس كل مفتون ينفع معه
العتاب وقال عليه السلام تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير استعار ذل الامور
لمطاوعتها للقدر وجريانها على وفق القضاء ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر جاز ان
يكون من غايات مطاوعة الامور للقدر كون ما يعتقده الانسان الجاهل مصلحة ويفعله تدبيرا
لمنفعته سببا لحتفه وهلاكه وفيه ايماء الى وجوب اسناد الامور الى الله وعدم التوكل على التدبير
والانقطاع اليه وسئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود

قال

فقال انما قال عليه السلام ذلك والدين قل فاما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار
النطاق شقة طويلة عريضة تجر على الارض اذا لبست وجران البعير صدره وكان رسول الله صلى الله عليه وآله
في اول الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم ويندبهم اليه وكان ينفرهم عن تركه بكونه
تشبها باليهود لان اليهود لم يكونوا يفعلون ذلك فكانوا يخضبون بالسواد وقيل بالحناء والغرض
ان ينظر اليهم الكفار بعين القوة والشبيبة فيفعلون منهم ولا يطمعون فيهم فسئل عليه السلام عن ذلك
في زمن خلافته فجعله من المباح دون المندوب واشار الى ان تلك السنة انما كانت حيث كان المسلمون
قليلين فاما الآن وقد كثروا وضعف الكفار فهو مباح وكنى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختار واستعار
لفظ النطاق لمعظم ما انتشر منه ولفظ الضرب بالجران لثباته واستقراره ملاحظة لشبهه بالبعير
البارك وقوله فامرؤ مبتدأ وما اختار عطف عليه وما مصدرية وخبر المبتدأ محذوف تقديره
مقرونان كقولهم كل امرئ وضيعته وبالله التوفيق وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه
خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل منهم عبد الله بن عمر وجماعة من القراء وغيرهم كابي موسى الاشعري
والاحنف بن قيس في حرب صفين ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسطهم في الضلال
وجريهم مجرى المعذور فكانه قال انهم وان خذلوا الحق فانهم لم ينصروا الباطل مع خذلانه وقال عليه السلام
من جرى في عنان امله عثر باجله وهو تنفير عن تطويل الامل بذكر قطعه بالاجل واستعار لفظ العنان
ملاحظة لشبهه بالفرس ولفظ الجري للانبعاث فيه مال من العمل بحسب تطويله ولفظ العثار لانقطاع
عن ذلك الجري بعارض الاجل ووقوعه كعثار العادي بما يعرض له من حجر ونحوه وقال عليه السلام
اقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه رغب في اقالة
ذوي المروات عثراتهم التي يتفق وقوعها منهم لكونهم لا يلحقهم الندم عليه ونحوه بذكر كون
يد الله بيدهم يرفعهم واستعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطأ ومن غير تثبت ولفظ اليد
لعناية الله وقدرته وكنى عن تعلقاته وتدارك حاله بكون يده بيده يرفعه وذلك ان المروة
فضيلة عظيمة تستجلب همم الخلق وقلوبهم ومساعداتهم بحسب ذلك يكون استعداد العاثر من ذوي
المروات لعناية الله وخلاصه من عثرته وقال عليه السلام قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان
والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير اراد بالهيبة الخوف من الماثل وظاهر ان ذلك
يستلزم عدم قضاء الحاجة منه والظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها
بالخيبة وكذلك الحياء بالحرمان لاستلزام الحياء ترك الطلب والتعرض له وهو تنفير عن الهيبة والحياء
المذمومين ثم امر بانتهاز فرص الخير اي المبادرة الى فعله عند حضور وقت امكانه ورغب في
ذلك بتشبيه سرعة فوات الفرصة بمر السحاب اي انها سريعة الزوال وتقدير الكبرى وكلما كان
كذلك فواجب ان يبادر اليه ويغتنم وقت امكانه وقال عليه السلام لنا حق فان اعطيناه والا
ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال السيد وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه انا ان لم نعط

كناية وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما وقال الازهري في تهذيب
اللغة قال القتيبي اعجاز الابل مآخيرها جمع عجز وهو مركب شاق قال ومعناه ان منعنا حقنا ركبنا مركب المشقة وصبرنا
عليه وان طال ولم نضجر منه مخلين بحقنا ثم قال الازهري لم يرد عليه السلم ركوب المشقة ولكنه ضرب
اعجاز الابل مثلا لتأخره عن غيره في حقه من الامامة وتقدم غيره عليه فاراد ان منعنا حقنا صبرنا واخرنا
عن حقنا حتى نكون على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى سير الليل واقول الذي ذكره الشيخان احتمالات
حسنة وهي متقاربة لان ركوب الاعجاز مظنة الذلة والمشقة وتأخر المنزلة ويحتمل ان يكون كلها
مرادة له ولم يفرق الازهري بين المثل والكناية فان ركوب الاعجاز كناية عن الامور المذكورة
وكذلك طول السرى كناية عن طول المشقة لانه مظنتها ومن لوازمها ويحتمل ان يكون كناية بالمثل وقال عم
من ابطأ به عمله لم يسرع به حسبه اي من لم يكن له عمل صالح حسن فتأخر بسبب ذلك عن منازل الرتب الدنيوية
والاخروية لم يسرع به حسبه وشرف نسبه اليها ان كان ذا حسب وكنى ببطوء عمله عن عدم وصوله اليها
لعدم ما يوصله اليه من زكاء العمل وجعل الاسراع في مقابلة البطوء وقال عليه السلم من كفارات
الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب الملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس
التفريج عنه من الغم الذي يأخذ بنفسه وجعلهما من كفارات الذنوب العظام لكونهما فضيلتين عظيمتين
تستلزم فضائل كالرحمة والعدل والسخاء والمروة وغيرها وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس
مما يستلزم ستر الذنوب ومحوها ومنافاة ملكات السوء التي يعبر عنها بالسيئات والذنوب كما
سبقت الاشارة اليه وقال عليه السلم يا ابن آدم اذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه
وانت تعصيه فاحذره نفر الانسان عن معصية الله حال تتابع نعمه عليه بتحذيره منه وذلك انه
لما كان دوام شكرها يعد للمزيد منها كان كفرانها ومقابلتها بالمعصية المستلزم لعدم الشكر مستلزم
لعدم الاستعداد للمزيد ومعد الانتقاص وزوال النعم كما قال تعالى ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد بل وهو محل الحذر منه والواو في قوله وانت للحال وقال عليه السلم ما اضمر احد شيئا الا ظهر
في فلتات لسانه وصفحات وجهه الفلتة الامر يقع من غير تردد وصفحة الوجه بشرته ولما كان الانسان
انما يضمر في نفسه امرا مهما عنده من عداوة او بغض او محبة الى غير ذلك وكان الوجود السانح
عبارة عن الوجود والشأن وقت ما لم يتمكن المرء ان يحفظ ما اضمره بالكلية لان مراعاة ذلك
الحفظ انما يكون بالعقل بحسب ما يراه من المصلحة والعقل قد تشتغل بالتصرف في مهم اخر فتغفل
عن ضبط ما اضمره فتنفلت الخيال به من امر العقل فيقع في فلتات القول عن غير تردد وكذلك
لما كانت التصورات والامور النفسانية مبادي للآثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل
لم تنفك بعض الامور المضمرة عن ظهور ما يعرف به من الآثار في صفحات الوجه والعين وشاهد
ذلك التجربة وقال عليه السلم امش بدائك ما مشى بك وفي رواية ما مشى بك اي ما دام المرض
لا يقعدك ويعجزك فلا تغفل عنه ولا تتعاجز به بل كن في صورة الاصحا وقيل فيها اي ما امر به

من كتمان

من كتمان المرض كما قال الرسول صلى الله عليه وآله من كنوز البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة وربما كانت فائدة
ذلك كونه نوع تجلد والتجلد معاونة للطبيعة وتقوية لها على المرض ومن المرض ما يحلل بالحركات البدنية
واستعار لفظ المشي باعتبار انه لا يلزمه الارض والفراش فهو كالحامل له والماشي به
وقال عليه السلم افضل الزهد اخفاء الزهد الزهد منه ظاهر ومنه خفي وهو الزهد الحقيقي المشفوع
كما قال صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فلذلك كان
افضل والمراد الزهد المخفي فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها لانها اهم ولان الزهد الظاهر
يكاد لا ينفك عن رياء وسمعة فكان مفضولا وقال عليه السلم اذا كنت في ادبار والموت في اقبال
فما اسرع الملتقى وهو جذب باقبال الموت وتقاربه الى الاستعداد له ولما بعده بالاعمال الصالحة
والادبار والاقبال امران اعتباريان لان الانسان باعتبار اجزاء مدته وقتا فوقتا في ادبار
وبحسب ذلك يكون اعتبار ثناياه في اقباله اليه وبحسبهما يكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر وقال
عليه السلم الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر حذر من سخط الله بسبب معصيته لطول امهاله
وستره الى الغاية المذكورة وقوله فوالله آه صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من ستر على عبده الى
الغاية المذكورة فواجب ان يحذر غضبه ويجتنب معصيته ويرجع الى طاعته التي هي الغاية من
ستره وسئل عم عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم على الصبر وعلى اليقين والعدل والجهاد
والصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن
الشهوات ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب
الموت سارع في الخيرات واليقين منها على اربع شعب على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة
وسنة الاولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة فكأنما كان في
الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن
فهم علم غور العلم ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في الامور وعاش في الناس
حميدا والجهاد منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن
الفاسقين فمن امر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق
في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وارضاه يوم القيامة والكفر
على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب الى الحق ومن كثر نزاعه
بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة
ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق مخرجه والشك على اربع شعب على التماري
والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء دينا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه
ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما
قال الشيخ وبعد هذا الكلام طويل تركنا ذكره خوف الاطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب

ومن عرف العبرة

الناس

الفاسقين

الفاسقين

اقول الدعائم الاعمدة الثابتة والشعبة الغصن والبصر التعرف والتاول التفسير والزهرة النور والشنآن
البغض والتعمق التعسف في معنى الكلام والعضل الشدة والتماري المماراة والهول الفزع والديدن العادة
والسنابك جمع سنبك وهو طرف حافر الفرس واعلم ان هذا الفصل من لطايف الحكم وهو مشتمل على شرح
قواعد الايمان والاشارة الى فروع تلك القواعد ثم الى ثمرات تلك الفروع ولما كان الكفر مضادا
للايمان والشك مقابلا له مقابلة العدم للملكة اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك لتتبين بها الايمان
اذ بضدها تتبين الاشياء اما الايمان فاعلم انه عليه السلم اراد الايمان الكامل وذلك له اصل وله كمالات
بها يتم اصله فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال وبما نزلت به
كتبه وبلغته رسله وكماله المتمم هو الاقوال المطابقة ومكارم الاخلاق والعبادات ثم ان هذا الاصل وتمامه
هو كمال النفس الانسانية لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين القوتين فاصل الايمان
هو كمال القوة العلمية منها وتمامه وهي مكارم الاخلاق والعبادات هي كمال القوة العملية اذا عرفت
هذا فنقول لما كانت اصول الفضايل الخلقية التي هي كمال الايمان اربعا هي الحكمة والعفة والشجاعة
والعدل اشار اليها واستعار لها لفظ الدعائم باعتبار ان الايمان الكامل لا يقوم في الوجود الا بها
كما عليه البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها علمية وهي استكمال القوة النظرية بتصور الامور والتصديق
بالحقايق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ولا تسمى حكمة حتى يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين البرهاني
ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضايل النفسانية الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه
الرذايل النفسانية وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها وظاهر ان العلم الذي صار ملكة هو اليقين وعبر
عن العفة بالصبر والعفة هي الامساك عن الشره في تناول الشهوات المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة
وقهرها وتصريفها بحسب الراي الصحيح ومقتضى الحكمة المذكورة وانما عبر عنها بالصبر لانه لازم من لوازمها
اذ الصبر انما ضبط النفس وقهرها عن الانقياد لقبايح اللذات وقيل هو ضبط النفس عن ان تقهرها المكروه
تنزل بها ويلزم في العقل احتماله او يغلبها حب شيء تتوق النفس اليه ويلزم في حكم العقل اجتنابه
حتى لا يتناوله لا على وجهه وظاهر ان ذلك يلازم العفة وكذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه
اياها اطلاقا لاسم اللزوم على اللازم والشجاعة هي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي يحتاج الانسان
ان يعرض نفسه لاحتمال المكروه والالام الواصلة اليه منها واما العدل فهو ملكة فاضلة تحدث عن الفضايل
الثلث المشهورة وتمزجها وقد علمت فيما سلف ان كل واحدة من هذه الفضايل محتوشة برذيلتين
هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابلة برذيلة هي ضدها واما شعب هذه الدعائم فاعلم انه جعل لكل
دعامة منها اربع شعب من الفضايل تتشعب منها وتتفرع عليها فهي كالفروع لها والاغصان اما شعب
الصبر الذي هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها الشوق الى الجنة ومحبة الخيرات الباقية الثاني الشفق
وهو الخوف من النار وما يودي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض بالقلب عن متاعها
وطيباتها الرابع ترقب الموت وهذه الاربع فضايل منبعثة عن ملكة العفة لان كلا منها يستلزمها

شعب

شعب اليقين فاحدها تبصرة الفطنة واعمالها والفطنة هي سرعة هجوم النفس على حقايق ما تورده الحواس عليها
الثاني تاول الحكمة وهو تفسيرها واكتساب الحقايق ببراهينها واستخراج وجوه الفضايل ومكارم الاخلاق
من مظانها كالكلام يوثر او عبرة يعتبر الثالث موعظة العبرة وهو ان يحصل من اعتبار العبر على الاتعاظ والانزجار
الرابع ان يحفظ سنة الاولين حتى يصير كانه فيهم وهذه الاربع هي فضايل تحت الحكمة كالفروع لها وبعضها كالشرط
لبعض واما شعب العدل فاحدها غوص الفهم اي الفهم الغايص فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها للاهتمام
بها ورسم هذه الفضيلة انها قوة ادراك الغامض رأيه بلفظ او كناية او اشارة وذكرها الثاني غور العلم
واقصاه وهو العلم بالشيء كما هو بحقيقته وكنهه الثالث زهرة الحكم اي لكون الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة
لا لبس فيها ولا شبهة الرابع ملكة الحلم وعبر عنها بالرسوخ لان شان الملكة ذلك والحلم هو الامساك عن المبادرة
الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها اليه واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم والاوليين
داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم داخلة تحت ملكة الشجاعة الا ان العدل لما كان فضيلة موجودة في الاصول
الثلثة كانت هذه الحقيقة هي فروعها شعبا للعدل بيانه ان الفضايل كلها ملكات متوسطة بين طرفي افراط
وتفريط وتوسطها ذلك هو كونها عدلا في بابها شبيه جزئيات تحته واما شعب الشجاعة المعبر عنها
بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر والثالث الصدق في المواطن المكروهة ووجود
الشجاعة في هذه الشعب الثلث ظاهر والرابع شنآن الفاسقين وظاهر ان بغضهم يستلزم عداوتهم في الله
وذلك ان الحق الغضبية في سبيل الجهاد وهو يستلزم الشجاعة واما ثمرات هذه الفضايل فاشار اليها
للترغيب فيها اما ثمرات شعب العفة الاربع فاحدها ثمرة الشوق الى الجنة وهو السلو عن الشهوات
وظاهر كونه ثمرة له اذ السالك الى الله ما لم يشتق الى ما وعد المتقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة
مع توفر الدواعي اليها فلم يسل عنها الثانية ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب المحرمات الثالثة ثمرة الزهد
وهي الاستهانة بالمصيبات لان غايتها وغاية ما يلحق بسبب فقد محبوب من الامور الدنيوية في الغرض
فيها فلذلك كانت المصيبة بها خفيفة عنده الرابعة ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل الصالح
لما بعده واما ثمرات اليقين فان بعض شعبه ثمرة لبعض فان تبين الحكمة وتاولها ثمرات لاعمال الفطنة
والفكرة ومعرفة العبر ومواقع الاعتبار بالماضين والاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبين
وجوه الحكمة وكيفية الاعتبار واما ثمرات العدل فبعضها كذلك ايضا وذلك ان جودة الفهم وغوصه يستلزم
للوقوف على غور العلم وغامضه والوقوف على غامض العلم يستلزم للوقوف على شرايع الحكم العادل
والصدور عنها على الحق عن القضاء الحق واما ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط والتقصير عن هذه
الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان يعيش في الناس محمودا بفضيلته واما ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة الامر بالمعروف
وهو شد ظهور المؤمنين ومعاونتهم على اقامة الفضيلة الثانية ثمرة النهي عن المنكر وهي ارغام انوف
المنافقين واذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات واظهارها الثالثة ثمرة الصدق في المواطن
المكروهة وهي قضاء الواجب من امر الله تعالى في دفع اعدائه والذب عن الحريم والرابعة ثمرة بغض الفاسقين

والغضب منه وهي غضب الله لمن اغضبهم وارضاه يوم القيمة في دار كرامته واما الكفر فرسمه انه جحد الصانع
او انكار ما جاءت رسله عليهم او ما علم مجيئهم به بالضرورة ولما اصل هو ما ذكرناه وكانت هذه الشعب ثمرات هي الرذائل
الاربع التي جعلها دعائم له وهي الرذائل من الاصول الاربعة للفضائل الخلقية فالاول التعمق وهو الغلو
في طلب الحق والتعسف فيه بالجهل والخروج الى حد الافراط وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل ويقصد الجهل
بقاء طلب الحق ونفر عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق والرجوع اليه لكون تلك الرذيلة
صارت ملكة والثاني التنازع وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى جربزة ويقصد الجهل المركب
ولذلك نفر عنه بما يلزمه عند كثرته وصيرورته ملكة من دوام العمى عن الحق الثالثة الزيغ وشبهه ان يكون
رذيلة الافراط من فضيلة العفة وهو الميل عن حاق الوسط منها الى رذيلة الفجور ويقصد الجهل ولذلك يلزمه
تزيين السيئة وحسن السيئة وسكر الضلالة مستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرف
وعدم وضع الاشياء مواضعها ويحتمل ان يكون اشارة الى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة
الرابعة الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة المسمى تهورا او يستلزمه ويلزمها توعر المسالك
على صاحبها وضيق مخرجه من الامور لان مبدأ سهولة المسالك واتساع المداخل والمخارج في الامور هو
مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم واحتمال مكروههم واما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد
احد طرفي النقيض ويقابل اليقين كما سبق وذكر له اربع شعب احدها التماري وظاهر ان مبدأ المراء
الشك ونفر من اتخاذه ملكة وعادة بكونه لا يصبح له وذلك كناية عن عدم وضوح الحق له من ظلمة ليل الشك
والجهل الثاني الهول لان الشك في الامور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم
الفزع منها والخوف من الاقدام عليها وثمرتها النكوص والرجوع على الاعقاب الثالث التردد في الشك
اي الانتقال من حال الى حال ومن شك في امر الى شك في امر اخر من غير ثقة بشيء وذلك دأب من تعود
الشك في الامور ونفر عن ذلك بما يلزمه مما كنى عنه بوطي سنابك الشياطين وهو ملك الوهم والخيال
لارض نفسه حتى يكون سلطان العقل بمعزل عن الجزم بما من شانه الجزم به الرابعة الاستسلام لهلكة الدنيا
والاخرة ولزومه عن الشك لان الشاك في الامور الدنيوية والاخروية المتردد في ذلك غير عالم بالحق
منها وهو متهم باسبابها وذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه ولزوم هلاكه فيهما كاستسلامه
ظاهر وبالله التوفيق وقال عليه السلام فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وانما كان ذلك لان العلة اقوى
من معلولها فكان اقوى في خيريته وشريته وتأثيرها عما صدر عنه من خير او شر وقال عليه السلام كن سمحا
ولا تكن مبذرا وكن مقدرا ولا تكن مقترا وهو امر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط
والتفريط منها فطرف الافراط هو التبذير وطرف التفريط هو التقتير وقال عليه السلام اشرف الغنى
ترك المنى جمع منية [illegible] وكان ذلك رذيلة تلزم عن رذائل كالشره والحرص وتكرهها واقلها انها
اشتغال بما يعني بالافائدة فيه رغب في تركها بان فسر به اشرف الغنى حتى جعله هو وظاهر ان
ترك المنى يستلزم القناعة واستغناء النفس [illegible] وعدم الحاجة ظاهر وقال عليه السلام من اسرع الى

الناس

الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون لما كان من شان الطبع النفرة من الاذى وبغض المؤذي وعداوته
كان من شانه في غالب الخلق تتبع ذكره بما يمكن من قول صادق او كاذب او محمل الغرض ان يوافقهم السامعون
على دفعه وازالته وقال عليه السلام من اطال الامل اساء العمل لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما للاقبال
عليها والانهماك في العمل لها والغفلة عن الاخرة كان ذلك عملا سيئا بالنسبة الى الاخرة وقال عليه السلام
وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه ما هذا الذي صنعتموه فقالوا
خلق منا نعظم به امراءنا فقال عليه السلام والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون به على انفسكم وتشقون
به في اخرتكم وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها الامان من النار اشتدوا اعدوا بين
يديه وحاصله تنفيرهم عما اعتمدوه لتعظيمه صغراه قوله والله الى قوله اخرتكم وبينها الكبرى بقوله
وما اخسر المشقة وراءها العقاب وتقديرها وكلما كان مشقة على النفس وتبعها العقاب في الاخرة فهو
اشد الخسارة وجذبهم الى ترك ذلك بما يلزم من الدعة والراحة في الدنيا مع الامان من النار وكانه قال
فينبغي ان تتركوا ذلك التكلف فانه دعة وراحة مع الامان من النار وكلما كان كذلك فهو اعظم الارباح
وانما يلزم الشقاق بذلك في الاخرة لكونه تعظيما لغير الله بما لا ينبغي الا لله وقال عليه السلام لابنه الحسن ع
يا بني احفظ عني اربعا واربعا لا يضرك ما عملت معهن ان اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق واوحش
الوحشة العجب واكرم الحسب حسن الخلق يا بني اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك
واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك
بالتافه واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب اليك البعيد ويبعد منك القريب انما قال
اربعا واربعا لان الاربع الاولى من باب واحد وهو اكتساب الفضائل الخلقية النفسانية والاربع الثانية
من باب المعاشرة مع الخلق وقيل لان الاولى من باب الاثبات والثانية من باب النفي اما الاربع الاولى
فالعقل والمراد المرتبة الثانية من مراتب العقل النظري المسمى عقلا بالملكة وهو ان يحصل للنفس من العلوم
البديهية والحسية والتجربية قوة ان يتوصل بها الى العلوم النظرية وغاية ذلك ان يحصل لها ما بعد هذه
المرتبة من مراتب العقل ورغب فيه بكونه اغنى الغنى وذلك لان به يحصل الدنيا والاخرة فهو اعظم اسباب
الغنى وضده الغنى الثانية الحمق وهو رذيلة الغباوة وطرف التفريط من العقل المذكور ونفر عنه بكونه
اكبر الفقر لانه سبب للفقر من الكمالات خصوصا النفسانية التي بها الغنى التام وكان اكبر فقر الثالثة
العجب وهو رذيلة الكبر وتضاد التواضع ونفر عنها بكونها اوحش الوحشة وظاهر كونها اقوى اسباب
الوحشة ونفرة الانيس لان تواضع المتواضع لما استلزم انس الخلق به وشدة ميلهم اليه كان ضده
مستلزما لنفرتهم وتوحشهم التام منه الرابعة حسن الخلق ورغب فيه بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات
الباقية وهذه المنفرات والمرغبات صغريات ضمائر واما الاربع الثانية فالاول التحذير من مصادقة
الاحمق ونفر عنه بما يلزم حمقه من وضع المضرة موضع المنفعة عند ارادته لعدم الفرق بينهما الثانية
التحذير من مصادقة البخيل ونفر عنه بما يستلزم بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجة واحوج ما [illegible]

الثالث التحذير من مصادقة الفاجر والفجور رذيلة الافراط من فضيلة العفة ونفّر عنه بانه يزين فجوره من فعله
ويود انك مثله وهو القبيح من الامال الرابعة التحذير من مصادقة الكذاب ونفر عنه بتشبيهه بالسراب واشار
الى وجه الشبه بقوله يقرب اه وبيانه ان الكذاب يوهم صحة ما يقول فيميل الامور العسرة البعيدة
ويجعلها قريبة التناول ويبعد الامور السهلة القريبة ويجعلها بعيدة التناول بحسب اغراضه وكذبه مع
انه ليس لكل ذلك حقيقة كالسراب الذي يطمع ما وليس به والتنفيرات الاربع المقرونة بقوله فانه
صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكل ما كان كذلك فيجب ان يحذر صحبته ويجتنب مصادقته وبالله التوفيق

وقال عليه السلام لا قربة بالنوافل اذا اضرت بالفرائض واضرار النوافل بالفرائض يحتمل ان يكون بنقصها
او شرايطها وقد يفعل الانسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنافلة او لما يريد ان يستقبله منها وله
زمنه فيما يستلزم ترك الواجب المستلزم للمعصية والعقاب وينافي تمام القربة وقال عليه السلام
لسان العاقل وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه قال السيد ره وهذا من المعاني العجيبة الشريفة
والمراد به ان العاقل لا يطلق لسانه الا بعد مشورة الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق
حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة رايه فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكان
قلب الاحمق تابع لسانه وروي عنه عليه السلام هذا الكلام بلفظ آخر وهو قلب الاحمق في فيه ولسان
العاقل في قلبه واقول انه استعار لفظ الوراء في الموضعين لما يفعل من تأخر لفظ العاقل عن
رويته ومن تأخر روية الاحمق وذكره فيما يقول عن بوادر مقاله عن مراجعة لعقله والحفظ او ادب
الى السيد ره وعلى الرواية الاخرى فالمراد ان ما يتصوره الاحمق يخرج فيه اي يبرز على لسانه
من غير فكر واما نطق العاقل فمخزون في عقله لا يخرج الا عن روية صادقة ولفظ القلب في الاول مجاز
فيما يبرز من تصوراته في الالفاظ ولفظ اللسان مجاز في الالفاظ الذهنية وقال عليه السلام لبعض اصحابه
في علة اعتلها جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه يحط السيئات
ويحتها حت الاوراق وانما الاجر في القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام وان الله سبحانه يدخل
بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة قال السيد ره واقول صدق عليه السلام
ان المرض لا اجر فيه لانه من قبيل ما يستحق عليه العوض لان العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله
بالعبد من الالم والامراض وما يجري مجرى ذلك والاجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة
فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه السلام كما يقتضيه علمه الثاقب ورايه الصائب واقول انه عليه السلام
لصاحبه بما هو ممكن وهو حط السيئات بسبب المرض ولم يجعل له الاجر عليه محللا ذلك بقوله فان
المرض لا اجر فيه والسر فيه ان الاجر والثواب انما يستحق بالافعال المعدة لكمالات النفس بقوله
وانما الاجر في القول الى قوله الاقدام وكنى بالاقدام عن القيام بالعبادة وذلك انما يكون بالفعل
من عدمات الملكات كالصوم ونحوه على ما بيناه قبل فاما المرض فليس هو بفعل العبد ولا عدم فعل
حيث انه انما يفعله فاما حط السيئات فباعتبار امرين احدهما ان المريض ينكسر شهوته وغضبه الذي

هو مبدأ للذنوب والمعاصي وما دونها والثاني ان من شان المرض ان يرجع الانسان فيه الى ربه
بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها كما قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا
لجنبه او قاعدا او قائما الآية فكان من السيئات حالات غير متمكنة من جوهر النفس فانه يرجع
زوالها منها وما صار ملكة فربما يزول على طول المرض ودوام الانابة الى الله تعالى واستعار لفظ الحت
لزوالها وشبهه في قوة الزوال والمفارقة بحت الاوراق ثم نبه عليه السلام بقوله وان الله اه على ان
العبد اذا احب المشقة في مرضه لعبده في نيته مع صلاح سريرته فقد يكون ذلك معدا لاستحقاق
الاجر والثواب عليه ودخوله الجنة ويدخل ذلك في اعدام الملكات المقرونة بنية القربة الى الله
وكلام السيد ره منقض مذهب المعتزلة وقال عليه السلام في ذكر خباب بن الارت يرحم الله خبابا
فلقد اسلم راغبا وهاجر طايعا وعاش مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف
ورضي عن الله خباب بالخاء المعجمة والباء المشددة كان من المهاجرين ومن اصحابه عليه السلام ومات بعد انصرافه
من صفين بالكوفة وهو اول من قبره عليه السلام بها وقد مدحه باوصاف ثلثة من اوصاف الصالحين
احدها اسلامه عن رغبة وهو الاسلام المشفع به الثاني مهاجرته الى رسول الله صلى الله عليه وآله طايعا
وهي الهجرة التامة عن رغبة في الله ورسوله الثالث كونه عاش مجاهدا امام رسول الله صلى الله عليه وآله
فلذلك رواها في وقته عليه السلام بصفين والخوارج والناكثين وقوله طوبى اه في معرض مدح خباب
يشعر بان خبابا كان كذلك وطوبى فعلى من الطيب قيل هي في التفسير شجرة في الجنة رغب بها في ذكر المعاد
والحساب المستلزم للعمل لهما ولفضيلة القناعة والرضا عن الله في قضائه وقدره والقناعة فضيلة تحت
العفة والرضا فضيلة تحت العدل وقال عليه السلام لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني
ما ابغضني ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فانقضى على لسان
النبي الامي صلى الله عليه وآله انه قال يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق الخيشوم اصل الانف
والجمات جمع جمة وهو مجتمع الماء من الارض ولما كان الايمان الحق يوجب الاتحاد وصدق المحبة في الله
بين المؤمنين لا جرم لم يجتمع معها البغض ولما كان النفاق منافيا للايمان كان منافيا لما يلزمه من المحبة
في الله فلا يجتمع معه ولو بذل اجزل مال للمنافق واستعار لفظ الجمات لمجامع اموال الدنيا ملاحظة
لشبهها بالمعقولة نعم قد يحصل بسبب ذلك محبة عرضية فانية تنقضي ما دام من بذل المال ونحوه
وليس الكلام في ذلك النوع من المحبة وذلك سر قوله صلى الله عليه وآله لا يبغضك اه واما قوله عليه السلام
وذلك ما قضي فانقضى اي قدر على لسان النبي صلى الله عليه وآله وقال عليه السلام سيئة تسوؤك خير عند الله من
حسنة تعجبك اراد بالسيئة التي تسوؤه كذنب يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنة التي
تعجبه كصلوة او صدقة يحصل بها اعجاب فاما ان تلك السيئة خير عند الله من هذه الحسنة فلان الندم
العاقب للسيئة ماح لها والحسنة المستعقبة للعجب مع احباطها بكون لها اثر هو سيئة ورذيلة تسود لوح
النفس فكانت السيئة اهون فكانت خيرا عند الله وقال عليه السلام قدر الرجل على قدر همته وصدقه

لا يبغضك مؤمن
ولا يحبك منافق
ح ل

على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته اشار الى امور اربعة وجعلها مبادي امور
اربعة احدها الهمة وجعلها مبدأ لقدر الرجل وقدره هو مقداره في اعتبار الناس من رفعة رتبة
وتبجيل او خسة واحتقار وهو من لوازم علو همته او دناءتها فعلو الهمة ان لا يقتصر على بلوغ غاية من
الامور التي يزداد بها فضيلة وشرفا حتى يسمو الى ما ورائها مما هو اعظم قدرا واجل خطرا ويلزم
ذلك بذو تعظيمه ومدحه وصغرها ان يقتصر على محقرات الامور وخسائسها ويقصر عن علياتها ويلزم
ذلك يكون صغر خطره وقلة قدره الثانية جعل مبدأ الصدق المروة والمروة فضيلة يتعاطى معها
الانسان الافعال الجميلة واجتناب ما يعود اليه بالنقص وان كان مباحا فلذلك يلزم الصدق
في مقاله وبقدر رقة هذه الفضيلة وضعفها يكون قوة لازمها وضعفها الثالثة جعل الانفة مبدأ
الشجاعة والانفة حمية الانف وثوران الغضب لا يتحمل من المكروه بعرض استنكاره واستنكافه
من وقوعه وظاهر كونه مبدأ الشجاعة والاقدام على الامور وبحسبها يكون قوة الاقدام وضعفه
الرابعة جعل الغيرة مبدأ للعفة والغيرة قوة طبيعية يكون من الانسان عن تخيل مشاركة الغير
في امر محبوب له او معتقد لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد والتخيل وضعفهما وتصور
وقوع مثل ذلك الفعل في نفسه او حريمه مثلا يكون امتناعه عن مشاركة الغير وتوقفه عن اتباع
الشهوة في مشاركة الناس في الامور المحبوبة لهم كزوجة ونحوها وهو في العفة وقال عليه السلام
الظفر بالحزم والحزم باجالة الراي والراي بتحصين الاسرار الحزم ان يقدم العمل في الحوادث
الواقعة في باب الامكان قبل وقوعها بما هو اقرب الى السلامة وابعد من الغرور واجالة الراي
اجالته وتحصين الاسرار كتمانها وحفظها واشار الى المبدأ الاقرب للظفر وهو الحزم والى البعيد منها
وهو كتمان السر والى الوسط بينهما وهو اجالة الراي فاما سببية كتمان السر للراي الصحيح فلان اظهار
السر فيما يرى من الراي في الحرب وغيرها يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل فيما يعارضه ويفسده
وذلك من فساد الراي واما سببية اجالة الراي في اختيار المصلحة للحزم فلانه لولاه لجاز ان يكون
العمل المقدم في الحوادث المستقبلة غير موافق فلا يحصل الحزم واما ان الحزم سبب الظفر فظاهر
وقال عليه السلام احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع اراد بالكريم شريف النفس
ذا الهمة العلية وجوعه كناية عن شدة حاجته وذلك يستلزم ثوران حميته وغضبه عند عدم التفات
الناس اليه وحمل نفسه على المبالغة في طلب امر يصول عليهم به ويتسلط بواسطته على قهرهم
وملكهم كالولاية عليهم ونحوها فلذلك اوجب الحذر منه والاحتراز من صولته بالالتفات
اليه في حاجته واوقات ضرورته بما يدفعها وشبع اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته وذلك
يستلزم استمراره على مقتضى طباعه من اللوم وشبعه مؤكد لذلك فاما جوعه فربما كان سببا لتغير
اخلاقه وتجديد الغرض واستمرار ذي الشبع من اللئام على مقتضى طباعه من اللوم يستلزم الاذى من
كان تحت يده ومن يحتاج اليه من الناس فمن الواجب اذن ان يحذر صولته ويحسم اسباب شبعه عند التمكن

من ذلك

من ذلك وقال عليه السلام قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت عليه جعل عليه السلام الوحشة هنا اصلية
وذلك باعتبار كون الالفة كسبية والوحشة عدم الالفة عما من شأنه ان يألف والمعنى ظاهر
وقال عليه السلام عيبك مستور ما اسعدك جدك سعادة الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق اسباب
المصلحة في حق الانسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذائل ويجب دوام ذلك بدوام سترها
وقال عليه السلام اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة لما كانت فضيلة العفو انما تطلق في حق
من قدر على العقوبة ولم يعاقب وكان العفو والقدرة مقولين بالاشد والاضعف لاجرم
كانت اولوية العفو تابعة لاولوية القدرة واشدهما اي من كان اشد قدرة على العقوبة
وعدمها كان اولى بان يسمى عفوا وقال عليه السلام السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسألة
فحياء وتذمم التذمم الاستنكاف والسخاء عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقه بقدر ما ينبغي ابتداء
عن طيب نفس وحسن المواساة لذوي الحاجة منه وبهذا الرسم يتبين ان ما كان من البذل عن مسألة
فخارج عن رسم السخاء وذكر له سببين احدهما الحياء من السائل او من الناس فيتكلف البذل لذلك
الثاني التذمم اي الاستنكاف مما يصدر من السائل من لجاج او نسبة بالبخل ونحوه وقال عليه السلام اربع
كلمات احدها لا غنى كالعقل وقد سبق انه اغنى الغنى وانه يكون لا غنى مثله الثانية ولا فقر كالجهل
وذلك لما ان الجهل الفقر الحق والمراد بالجهل هنا ما يقابل العقل بالملكة وهو الحمق او ما يلازمه
الثالثة ولا ميراث كالادب الادب هو التحلي بمكارم الاخلاق وهو افضل من كل موروث
من مال وقنية واراد العرفية ولا ظهير كالمشاورة لما كانت المشاورة تنتج في غالب الاحوال
الراي الصحيح فيما يراد من الامور والراي الصحيح انفع في الانتصار من القوة وكثرة العدد كما قال
ابو الطيب الراي قبل شجاعة الشجعان البيت لاجرم لم يكن مثلها وهي التي هي مظنته وبها
في المعونة على المطلوب من الامور التي يستظهر بها ويستعان وقال عليه السلام الصبر صبران صبر
على ما تكره وصبر عما تحب الصبر هنا مقدو وصفي ان حقيقته في الموضعين واحدة
على ما عرفت حقيقته وقال الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة استعار لفظ الوطن
للغنى في الغربة باعتبار انه يسكن اليه ويونس فلا يرى اثر الغربة على الانسان معه واستعار
لفظ الغربة للفقر في الوطن باعتبار وحشة الخلق معهما وتعسر الامور فيهما وقال عليه السلام القناعة
مال لا ينفد القناعة هي ضبط قوة النفس عن الاشتغال بالجمع عن مقدار الكفاية وبلغة
الحاجة من المعاش والاقوات وعدم ما بيد من ذلك عند الغير واستعار لها لفظ المال بوصف
عدم النفاد باعتبار دوام الغنى معها كالمال الموصوف وقال عليه السلام المال مادة الشهوات
اي منه يكون استمدادها ونيلها والمادة هي الزيادة وفي الكلام تنفير عن الاستكثار من المال
لما يلزم من امداد الشهوة وتقويتها على معصية العقل وقال عليه السلام من حذرك كمن بشرك
اراد من حذرك من الامر كمن بشرك بالنجاة منه ووجه الشبه ظاهر وهو ترغيب في الاقبال على المحذر

واستيعاب تحذيره لغرض النجاة تشبيه بالمبشر. وقال عليه السلام: اللسان سبع ان خلي عنه عقر. استعار لفظ
السبع للسان باعتبار انه ان ترك عن ضبط العقل لم يؤمن بما فيه هلاك صاحبه كالسبع اذا لم يحفظ. وقال عليه السلام:
المرأة عقرب حلوة اللبسة. استعار لفظ العقرب لها واستعار للمرأة لفظ العقرب بالوصف المذكور
باعتبار ان من شانها الاذى لكن اذا استوعب جانبها من اللذة بها فلا يحس به وهو كالذي يجرب الشرب
بلذته في زيادة حكه. وقال عليه السلام: الشفيع جناح الطالب. استعار لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة
الى مطلوبه كجناح الطائر. وقال عليه السلام: اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام. ووجه الشبه قوله
وهم نيام وذلك ان الدنيا لاهلها طريق هم فيها سائرون الى الآخرة حال ما هم في غفلة عن غاياتهم والعمل لها
حتى يوافوها فاشبهوا الركب الذين يسيرون وهم نيام حتى توافوا منزلهم. وقال عليه السلام: فقد الاحبة غربة.
استعار لفظ الغربة لفقد الاحبة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة وعدم الانس. وقال عليه السلام: فوت الحاجة
اهون من طلبها الى غير اهلها. خير اهلها هم الكرام ومحدثوا النعم وساقطوا الاصول وانما كانت اهون
لان فوتها يستلزم غما واحدا واما طلبها الى غير اهلها فانها لا تحصل غالبا فيستلزم غم فوتها ثم ثقل الاستنكاف
والندم من رجوعها اليهم ثم غم ذل الحاجة الى اللئام وله الم عظيم كما قال الموت احلى من سؤال اللئام ثم غم
ردهم لها وهي غموم اربعة وذلك ان [illegible] كان فيها غم ثقل الاستنكاف ثم ذل الحاجة اليهم لكان
فوتها اهون على كل حال وهذه الكلمة تجذب الى فضيلتي القناعة وعلو الهمة. وقال عليه السلام: لا تستحي من اعطاء
القليل فان الحرمان اقل منه. اراد بقوله اقل منه اي احقر في الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء
عمن شانه ان يعطي وليس ذلك العدم من باب الكم ليلحقه القلة والكثرة ونفر عن الحياء من اعطاء القليل
بتصغيره [illegible] فان الحرمان اقل منه وتقدير كبراه وكلما كان الحرمان اقل فينبغي ان يستحي منه بل
من الحرمان الذي هو اقل منه. وقال عليه السلام: العفاف زينة الفقر. العفاف العفة وقد علمت انها
فضيلة القوة الشهوية والفقير اذا ضبط شهوته بزمام عقله عن هواها الطبيعية كملت نفسه بفضيلة
العفة وزان فقره بفضيلة في اعين المعتبرين واذا اهملها واسلس قيادها [illegible] به في موارد الفتح
وقادته الى الطمع والحرص والحسد والتمني والكدية وحصل بسببها في اقبح صورة. وقال عليه السلام:
اذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف كنت. اي اذا فاتك مرادك من الامر فلا تبل باي حال كنت
عليه في ذلك الامر. ومفهوم هذه الكلمة النهي عن الاهتمام والاسف على ما لم يقع من الامور المطلوبة
وذلك ان الاسف على فوات المراد يستلزم غما والما وهو مضرة عاجلة لا ثمرة فائدة فاركها به
سفه. وقال عليه السلام: لا ترى الجاهل الا مفرطا او مفرطا. الجهل اما بسيط وهو طرف التفريط من فضيلة
ويسمى غباوة واما مركب وهو طرف الافراط منها وذلك ان الجاهل جهلا مركبا قد بالغ في طلب
الحق ووصل من اجتهاده الى شبهة غطت عين بصيرته عن ادراكه مع جزمه بانها برهان اصاب
به الحق وقد يسمى هذا الطرف جربزة فكان لا يراه على احد الوجهين وبحسب جهله يكون حاله في افعاله
واقواله على احد طرفي الافراط والتفريط. وقال عليه السلام: اذا تم العقل نقص الكلام. تمام العقل

يستلزم

يستلزم كمال قوته على ضبط القوى البدنية وتصريفها بمقتضى الآراء المحمودة الصالحة ووزن ما يبرز
الى الوجود الخارجي عنها من الاقوال والافعال بميزان الاعتبار ونحو ذلك من الكلفة والشرائط ما يستلزم
نقصان الكلام بخلاف ما لا يوزن ولا يعتبر من الاقوال. وقال عليه السلام: الدهر يخلق الابدان ويجدد
الآمال ويقرب المنية ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب. اخلاقه للابدان اعداده
لضعفها وفنائها بمروره وما يلحق اجزاءه وفصوله من الحر والبرد والمتاعب المنسوبة اليه وتجديده
للآمال بحسب الغرور اي الامل بالبقاء والصحة فيه واكثر ما يعرض ذلك للمشايخ فان طول اعمارهم وتجاربهم
لما يعرض فيه من الحاجة والفقر يغريهم بالحرص على الجمع ومد الامل فيه لتحصيل الدنيا وتقريبه للمنية بحسب
اخلاقه للابدان وتبعيده للامنية بحسب تقريبه للمنية ومن ظفر به اي بموافاته واعداده لما يراد فيه من
متاع الدنيا نصب بها وشقي بضبطها وحفظها ومن فاته ذلك منه تعب في تحصيلها وشقي بعد بها وراعى
في القرينتين الاولتين السجع المتوازن وفي المتوسطتين السجع المطرف وفي الاخيرتين السجع المتوازي.
وقال عليه السلام: من نصب نفسه للناس اماما فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تاديبه
بسيرته قبل تاديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم. اشار الى
آداب تتم العلم ومكارم الاخلاق فالاول اوجب على الامام البداءة بتعليم نفسه اي برياضتها بما يعلم
من الآداب خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها بالافعال فان ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد
في الاقوال المتقدمة فعل واجراءه على مخالفة ما اشتهر منها وان كان ظاهر الصدق والى مثل ذلك
اشار القائل: لا تنه عن خلق وتأتي مثله ٭ عار عليك اذا فعلت عظيم. الثاني ارشده الى البداءة
في التعليم بالسيرة وحميدة الافعال على ان الطباع لمشاهدة الافعال اطوع واسرع انفعالا منها
للاقوال ثم ليطابقها بعد ذلك بالاقوال ثم رغب في تاديب النفس بكون مؤدب نفسه احق بالتعظيم
والاجلال من مؤدب غيره وذلك لكمال مؤدب نفسه بالفضيلة وكون تاديب الغير فرعا على تاديب
النفس والاصل اشرف واحق بالتعظيم من الفرع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من
كان بالاجلال وجب عليه ان يبدأ بما لاجله كان احق بالتعظيم من غيره. وقال عليه السلام: نفس المرء خطاه
الى اجله. استعار لفظ الخطى باعتبار انه على التعاقب والتقضي فهو مقرب من الغاية التي
هي الاجل كالخطى المتعاقبة الموصلة على شأن الى غاية من طريقه. وقال عليه السلام: كل معدود منقض
وكل متوقع آت. والكليتان من المشهورات الخطابية في معرض الموعظة والاولى اشارة الى
انفاس العباد وحركاتهم والثانية تخويف بما يتوقع من الموت وتوابعه. وقال عليه السلام: ان الامور
اذا اشتبهت اعتبر آخرها باولها. اي اذا التبست في مباديها معرفة وجه تحصيلها وتيسر الدخول فيها
قيس على ذلك آخرها واستدل على انه كذلك في العرض للتوقف فيها وعدم التعسف فيها ومن
خبر ضرار بن حمزة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن امير المؤمنين عليه السلام قال فاشهد لقد
رايته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي

بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا إليك عني أبي تعرضت أم إليّ تشوقت لا حان حينك هيهات غري غيري
لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير آه من قلة الزاد وطول
الطريق وبعد السفر وعظيم المورد **اقول** كان هذا الرجل من اصحابه عليه السلم فدخل على معوية بعد موته
فقال صفه لي فقال او تعفيني عن ذلك فقال والله لتفعلن فكلم بهذا الفصل فبكى معوية حتى اخضلت
لحيته والصباب بطن من ضرب مالك بن النضر بن كنانة والسدول جمع سدل وهو ما اسبل على الهودج
والتململ التقلقل من الالم والهم والسليم اللديغ والوله اشد الحزن وقد نظر عليه السلم الى الدنيا بصورة
امرأة تزينت وتعرضت لوصوله اليها مع كونها مكروهة اليه فخاطبها بهذا الخطاب والبك من اسماء
الافعال اي تنحي وخلني متعلق بما فيه من معنى الفعل واستفهامه عن تعرضها به وتشوقها اليه استفهام انكار
لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته اياها على ما تريده لا حان حينك اي لا قرب وقتك
اي وقت انخداعي لك وغرورك لي وقوله هيهات اي بعد ما تطلبين مني ثم امرها بغرور غيره وهو
كناية عن انه لا طمع لها في ذلك منه لانه اراد منها غرور غيره وهذا كما يقول لمن يخدعه وقد اطلع على
ذلك منه اخدع غيري اي ان خداعك لا يدخل علي ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة منافرا لها
فاخبرها بعدم حاجته اليها ثم اشار الى طلاقها ثلثا لتحصل البينونة بها مؤكدا لذلك بقوله لا رجعة فيها وهو كناية
عن غاية كراهيتها والزهد فيها ثم نبه عليه السلم الى ضرتها التي هي مظنة الحسن وانها ثم اشار الى المعايب
التي لاجلها كرهها وطلقها وهي قصر العيش اي مدة الحيوة فيها ويسير الخطر اي قلة قدرها ومحلها ونزره
ثم حقارة ما يؤمل منها ثم تأوه من امور احدها قلة الزاد في السفر الى الله تعالى وقد علمت انه التقوى و
الاعمال الصالحة وهكذا شان العارفين في استحقار اعمالهم الثانية طول الطريق الى الله ولا شيء اطول
اطول مما لا يتناهى الثالث بعد السفر وذلك لبعد غايته وعدم تناهيها الرابع عظم المورد واول
منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيمة الكبرى والله المستعان ورودي وخشونة المضجع وهو القبر
ومن كلام له عليه السلم للشامي لما سأله كان مسيرنا الى الشام بقضاء من الله وقدر بعد كلام طويل هذا
مختاره ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط
الوعد والوعيد ان الله سبحانه امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا واعطى
على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الانبياء لعبا ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ولا
خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار
اقول روي ان السائل لما قال له عليه السلم اخبرنا عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله وقدره قال عليه السلم
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا واديا الا بقضاء وقدر فقال السائل عند الله
احتسب اي ما ارى لي من الاجر شيئا فقال مه ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم في مسيركم وانتم سائرون
وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين فقال الشيخ وكيف
والقضاء والقدر ساقانا فقال ويحك الفصل الا ان بعد قوله والوعيد قوله والامر والنهي ولم تات

لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشيطان وشهود الزور واهل العمى عن
الصواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى امر تخييرا الى آخره فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان
ما سرنا الا بهما فقال هو الامر من الله تعالى والحكم ثم قرأ قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فنهض
الشيخ مسرورا وهو يقول انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا اوضحت
من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه احسانا والوجه تكلم ترحم واتمام الواجب وتقرير سؤال
السائل ان كان مسيرنا بقضاء من الله وقدر لم يكن لنا في تعبنا ثواب وذلك ان القضاء قد يراد به الخلق
فيكون ما خلقه الله تعالى في العبد فلا اختيار له فيه وما لا اختيار له فلا ثواب له فيما فعل وقوله ويحك الى
قوله الوعيد بيان لمنشأ وهمه وهو ما لعله ظنه من تفسير القضاء والقدر بمعنى العلم الملزم والايجاد الواجب
على وفقه وقوله ان الله سبحانه امر تخييرا اشارة الى تفسير القضاء بالامر كما صرح به في جواب السائل
عن معناه مستشهدا في تفسيره بالامر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الآية ومعلوم ان امر الله ونهيه
لا ينافي اختيار العبد في فعله وهذا الجواب اقناعي بحسب فهم السائل وربما فسر القضاء بانه عبارة عن
ابداع الاول تعالى لجميع الصور الموجودات الكلية والجزئية التي لا نهاية لها من حيث هي معقولة في العالم
العقلي ثم لما كان ايجاد ما يتعلق منها بالمادة في مادته واخراج ما فيها من قبول تلك الصور من القوة
الى الفعل لا يمكن الا على سبيل التعاقب لامتناع قبول المادة لصور الكثيرة دفعة قدر تعالى بلطيف
حكمته وجوده زمانا لا يكون المدبر تخرج فيه تلك الصورة من القوة الى الفعل واحدا بعد واحد كان القدر
عبارة عن ذلك الايجاد لتلك الامور وتفصيلها واحدا بعد واحد كما قال تعالى وان من شيء الا عندنا
خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم واعلم انه على هذا التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال المذكور ايضا
وذلك ان القضاء بالمعنى المذكور لا ينافي اختيار العبد وحسن تكليفه وثوابه وعقابه لان معنى الاختيار
هو علم العبد بان له قوة صالحة للفعل والترك الممكنين منسبة لهما اذا انضم اليها الميل الى الفعل المسمى ارادة
فعل او النفرة المسماة كراهية ترك وذلك امر لا ينافي علم الله تعالى بما يقع او لا يقع من الطرفين وان
حصل عنه وجوب فهو خارج عرضي ثم ان التكليف لم يرد على صاحب ما في علم الله تعالى بل لسبب ان
الله هو الفاعل وهو حكمة تعالى اعني ايجاده الموجودات على احكم وجه واتقنه وشوق ما هو ناقص منها
من عبيده الى كماله شوق لما بها واثباته قابلي وهو كون العبد بالصفة المذكورة من الاختيار وذلك
ذكر من لوازم الاختيار والتكليف المقصود من الحكمة الالهية امور عشرة احدها امره لعباده تخييرا وتخييرا
مصدر سد مسد الحال الثانية نهيهم تحذيرا وتحذيرا مفعول له الثالث تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل
فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم العسير لغرض ان يكونوا بحال الاختيار فلا يخرجون بالعسير الى التكليف
بما لا يطاق كما اشار اليه تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الخامس اعطاؤه على القليل كثيرا
من العمل وذلك من لوازم اختيارهم ايضا السادس انه تعالى لم يعص حال كونه مغلوبا عنهم اذ هو القاهر
فوق عباده بل لانه خلى بينهم وبين افعالهم وهيأهم لها وذلك من لوازم اختيارهم السابع انه لم يطع كره

أي لم يكن طاعة مطيعهم لهم عن إكراه منه تعالى لهم عليها وذلك من لوازم اختبارهم الثامن ولم يرسل الأنبياء لعبا
بل ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن أطاع بالجنة ولمن عصى بالنار وذلك من لوازم الاختبار التاسع ولم ينزل
الكتب للعباد عبثا بل ليعرفوا منه وجوه تكليفهم وأحكام أفعالهم التي أمروا أن يكونوا عليها وبيان حدود أمره
التي أمرهم بالوقوف عندها وكل ذلك من لوازم اختبارهم العاشر ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما
باطلا بل لوجوه من الحكمة منها أن يحصل لعباده بما وهب لهم من الفكر فيها آيات اعتبار يعتبرون بها من
ذلك لطيف حكمته وليستدلوا بها على كمال عظمته كما قال تعالى إن في خلق السماوات والأرض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الآيات ونفى عن اعتقاد غير ذلك بأنه ظن الذين كفروا الآية.
اقتباس وقال عليه السلام خذ الحكمة أنى كانت فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى
تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن أمر بتعلم الحكمة أين وجدت ولو من المنافقين ورغب من
عساه يأنف من أخذها من بعض المواضع أن يأخذها من كل موضع وجدها بتصغير صغراه قوله فإن الحكمة إلى آخره
وكنى بتلجلجها واختلاجها على الروايتين عن اضطرابها وعدم ثباتها في صدر المنافق وكونه ليس مظنة
لها فهي غير مستقرة فيه إلى أن تخرج إلى مظنتها وهي صدر المؤمن فتسكن إلى صواحبها من الحكم فيه وتقدير
كبراه وكلما كان كذلك فينبغي للمؤمن أخذه إلى مظنته وإخراجه من غير مظنته وقال عليه السلام في مثل
ذلك الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق استعار لفظ الضالة للحكمة بالنسبة إلى المؤمن
باعتبار أنها مطلوبه الذي يبحث عنه وينشده كما ينشد الضالة صاحبها وقال عليه السلام قيمة كل امرئ ما
يحسنه غرض هذه الكلمة الترغيب في اقتناء الكمالات النفسانية والصناعات وكونها وجه
المرء ومقداره في اعتبار المعتبرين وتخليص نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل أو احتقار واستصغار
وظاهر أن ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة فأعلاهم قيمة وأرفعهم منزلة في
نفوس الناس أعظمهم كمالا وأنقصهم درجة أخسهم فيما هو عليه من حرفة أو صناعة وذلك بحسب اعتبار
عقول الناس للكمالات ولوازمها وقال عليه السلام أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت
لذلك أهلا لا يرجون أحد منكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحيين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن
يقول لا أعلم ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس
من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه كنى بضرب آباط الإبل عن الرحلة في
طلبها وذلك أن الراكب يحمل بضرب إبطيه بكعبيه فأحد الخمس الرجاء لله دون غيره ومن لوازم ذلك
إخلاص العمل له ودوام طاعته الثانية أن يخاف ذنبه دون غيره وذلك أن أعظم مخوف هو
عقاب الله ولما كان إنما يلحق العبد بواسطة ذنبه فبالأولى أن يجعل الخوف من الذنب دون غيره
وهو جذب إلى التوبة منه بذكر الخوف منه الثالثة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من قول لا أعلم فإن
الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم إضلال الغير وتجهيله وفيه
هلاك الآخرة قال صلى الله عليه وآله من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض وقد يكون سببا للهلاك

الدنيوي أيضا الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشيء من تعلمه فلذلك استحيا الجاهل من التعلم من بقائه على جهله
ونقصانه وهلاك آخرته الخامسة فضيلة الصبر وأمر باقتنائها لأن كل الفضائل لا تخلو عنها وأصل ذلك
الصبر على الكف بها ثم على الثبات عليها وعن الخروج عنها ولذلك شبهها من الإيمان بالرأس من الجسد ووجه
الشبه أن الصبر لما كان موجودا في كل الفضائل التي مجموعها هو الإيمان فلا يقوم إلا به أشبه الرأس
من الجسد في عدم قيامه بدونه ثم أكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير في جسد إلى آخره وقوله فإن الصبر
صغرى ضمير رغب به عنه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فواجب اقتناؤه واتخاذه وقال عليه السلام
لرجل أفرط في الثناء عليه وكان له متهما أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك فقوله أنا دون ما تقول
جواب إفراطه في المدح وقوله وفوق ما في نفسك جواب لما في نفسه مما يتهمه به من عدم اعتقاد جميل به
وقال عليه السلام بقية السيف أبقى عددا وأكثر ولدا لا أرى ذلك إلا لعناية إلهية ببقاء النوع
وحفظه واتخاذه ما خلف من قتل ممن بقي والله أعلم وقال عليه السلام من ترك قول لا أدري أصيبت
مقاتله ترك هذا القول كناية عن القول بغير علم وإصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول
بالجهل لما فيه من الضلال والإضلال وربما يكون بسببه هلاك الدنيا والآخرة وقال عليه السلام
رأي الشيخ أحب إلي من جلد الغلام وروي من مشهد الغلام جلده قوته وقدم رأي الرأي مقدم على القوة
والشجاعة لأصالة منفعته وإنما خص الرأي بالشيخ والجلد بالغلام لأن كلا منهما مظنة ما خصه به فإن
الشيخوخة مظنة الرأي الصحيح لكثرة تجارب الشيخ وممارسته للأمور والغلام مظنة القوة والجلد وعلى
الرواية الأخرى فمشهده حضوره والمعنى ظاهر وقال عليه السلام عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار
القنوط اليأس من الرحمة ولما كان الاستغفار بإخلاص مبدأ الرحمة بشهادة القرآن الكريم
كما سيأتي كان القنوط معه محل التعجب وحكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه عليه السلام
قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله تعالى فرفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به أما الأمان
الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وأما الأمان الباقي فالاستغفار قال الله تعالى جل من قائل وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال السيد وهذا من محاسن
الاستخراج ولطائف الاستنباط كون وجود الرسول صلى الله عليه وآله بين الأمة ورجوعا إلى
ذر رحمة الله وكون الاستغفار بإخلاص معدين لنزول رحمة الله ورفع عذابه مما يشهد به
العقل وقد أكد ذلك بصادق الشاهد السمعي كما استخرجه عليه السلام وقال عليه السلام في كلمات أخرى
من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له
أمر دنياه ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ فإصلاح ما بينه وبين الله
بتقواه المستلزم لرضاه ولما كان من تقواه إصلاح قوتي الشهوة والغضب اللذين هما مبدأ الفساد
بين الناس ولزوم العدل فيهما كان من لوازم ذلك الإصلاح إصلاح ما بينه وبين الناس وكذلك
من لوازم إصلاح أمر الآخرة عدم مجاذبة الناس دنياهم والكف عن الشره فيما بأيديهم منها وذلك مع

مسالمتهم ومعاملتهم بمكارم الاخلاق التي هي من اصلاح امر الآخرة مستلزم لانفعالهم وميلهم الى من كان كذلك
واجابتهم عليه بالنفع والمعونة وكف الاذى وبحسب ذلك يكون صلاح دنياه ولان الدنيا المطلوبة
لمن اصلح امر آخرته سهلة وهي مقدار حاجته على الاقتصاد وذلك امر قد تكفلت العناية الالهية به
واصلاحه بهذه الحيوة الدنيا واما ان الله فلان واعظ النفس باعث على تقوى الله ولزوم العدل
في قوتي الشهوة والغضب اللذين هما مبدأ الشر المستلزم للهلاك في الدارين وذلك مستلزم لحفظ ما
فيها وقال عليه السلم الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم
يؤمنهم من مكر الله كنى بقوله كل الفقيه عن تمامه اي الفقيه الكامل في فقهه وذلك ان من فقه وضع الكتاب
العزيز علم ان غرضه الاول جذب الناس الى الله في سبل مخصوصة بوجوه من الترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والبشارة والنذارة وغيرها فمن ضرورته اذن ان لا يقنط الناس من رحمة الله
بآيات وعيده ونذارته ولا يؤيسهم بذلك من روحه فلا يلزم اياس من انزجر العصاة بالمعصية
واتباع الهوى الحاضر الذي لا يرجى من نهي النفس عنه ثمرة في الآخرة ولذلك قال تعالى يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان لا يؤمنهم من مكر الله بالجزم بآيات
وعده وبشارته لما يستلزم السكون الى ذلك والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي واتباع
الهوى ولذلك قال تعالى افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بل يكون تابعا
في وعظه وجذبه الى الله مقاصد سنته ووضع شريعته وقال عليه السلم اوضع العلم ما وقف على
اللسان وارفعه ما ظهر في الجوارح والاركان كنى بالاول عن العلم الذي لا عمل معه وظهوره
ووقفه على اللسان فقط وهو انقص درجات العلم واراد بالثاني العلم المقرون بالعمل فان الاعمال
الصالحة لما كانت من ثمرات العلم بالله وما هو اهله كان العلم فيها ظاهرا على جوارح العبد واركانه
ظهور العلة في معلولها وذلك هو العلم المنتفع في الآخرة وقال عليه السلم ان هذه القلوب تمل كما
تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكم النفوس قد يعرض لها الانصراف عن العلم الواحد وملال النظر فيه
بسبب تبعية بعض اجزائه لبعض فاذا ملت النفس على بعضه فاتت ما لم تعلم منه على انها علمت
ولم يكن الالتذاذ عنده من الغريب لتلتذ به وتدوم على النظر فيه ولما كان ذلك الملال والانصراف
غير محمود لها امر بطلب طرائف الحكم لها واراد لطائفها وغرائبها المعجبة للنفس الملتذة بها لتكون
ابدا في اكتساب الحكمة نشاطا والتذاذ في انتقالها من بعض غرائبها الى بعض واراد بالحكمة
العلمية والتي فيها اوامر فيها وقال عليه السلم لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد
الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين
الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق

الثواب

الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال
قال السيد رضي الله عنه وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلم من التفسير حاصل الكلام ان الفتنة اعم من الفتنة المستعاذ
منها لصدقها على المال والبنين باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختباره لهم بهما وهما غير مستعاذ منهما اذا
راعى العبد فيهما امر الله ولزم طاعته واما الفتنة المستعاذ منها فهي التي يستلزم الوقوع فيها الضلال
عن سبيل الله كالخروج في المال عن واجب العدل وصرفه في امداد الشهوات واتباع الهوى وسئل
عليه السلم عن الخير ما هو فقال عليه السلم ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك
وان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت
الله ولا خير في الدنيا الا لرجلين رجل اذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل
عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل اقول الخير في العرف العامي هو كثرة المال والقينات الدنيوية
وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخروية وما يكون وسيلة اليها من الكمالات النفسانية
وربما فسره قوم بما هو اعم من ذلك وقد نفى عليه السلم ان يكون الاول خيرا وذلك لفنائه ومفارقته
ولا عساه ان يكون سببه من الشر في الآخرة وفسره بالثاني وعدد منه كمال القوى الانسانية فكثرة العلم
كمال القوى النظرية للنفس العاقلة وعظم الحلم من كمال القوة العملية وهو فضيلة القوة الغضبية و
مباهاة الناس بعبادة ربه اي المفاخرة بها بالكثرة والاخلاص وحمد الله على توفيقه للحسنة والاستغفار
للسيئة وذلك من فضائل القوة الشهوية وكمال القوة العملية ثم حصر خير الدنيا في امرين وذلك ان
الانسان اما ان يشتغل بمحو السيئات واعدامها ويتدارك ما فرط من ذنوبه فيعد نفسه بذلك لاكتساب
الحسنات او يشتغل بايجاد الحسنات فيها ولا واسطة من الخير المكتسب بين هذين الامرين ثم حكم بعدم
قلة العمل المقرون بتقوى الله فيها بذلك على ان تدارك الذنوب بمحوها والمسارعة في الخيرات
مستلزم للتقوى وانما كان غير قليل لانه مقبول عند الله والمقبول عنده مستلزم للثواب العظيم وذلك
ترغيب في الامرين المذكورين وقال عليه السلم ان اولى الناس بالانبياء عليهم السلم اعلمهم بما جاؤوا به
ثم تلا عليه السلم قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله
ولي المؤمنين ثم قال عليه السلم ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله
وان قربت قرابته ولما كان الغرض من الانبياء عليهم السلم جذب الخلق الى الله بطاعته فكل من كان
ابلغ في الطاعة كان اشد موافقة لهم واقرب الى قلوبهم واقوى نسبة اليهم ولما لم يكن طاعتهم
الا بالعلم بما جاؤوا به كان اعلم الناس بذلك اقربهم اليهم واولاهم بهم وبرهان ذلك الآية المذكورة
وذكر عامة الانبياء ليعلم مراده الاجمالي ثم خصص الذكر بمحمد صلى الله عليه وآله كما هو عادة الخطيب والمراد
بالولي هنا الاولى واشار الى ان طاعة الله علة لولاية محمد صلى الله عليه وآله ومعصيته علة لعداوته
وان بعدت قرابة المطيع او قربت قرابة العاصي ليعلم ان الطاعة والمعصية هما مستقلان
للولاية لمحمد صلى الله عليه وآله والعداوة له فيحصل الرغبة في الطاعة والنفرة من المعصية وقال عليه السلم

العلماء غد

وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال نوم على يقين خير من صلوة في شك والحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى حروراء بالمد والقصر قرية بالنهروان وان كان اول اجتماعهم بها والتهجد السهر في العبادة وانما كان كذلك لان نوم العالم على يقين منه بما ينبغي يقينه وعلمائه بما ينبغي له وعبادة الجاهل على شك فيما ينبغي يقينه من اصول العبادة مما لا ينبغي له فيه من اتعاب البدن من غير فايدة فكان الاول اولى وخيرا من الثاني واراد بما هم عليه من الشك في امامة امام الوقت الذي هو مبدأ تعليم العبادات وكيفيتها والعلم به ركن من اركان الدين فان الشك فيه يستلزم عدم الاستفادة منه والشك في كثير مما يحتاج اليه في علم التوحيد واسرار العبادات وكيفية السلوك الى الله تعالى لطاعته **وقال عليه السلم** اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل عقل الرعاية ضبط بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط الفاظها وسماعها دون تفهم المعنى ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان رواة العلم آه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان يعقل عقل رعاية لكثرة رعاته وسمع رجلا يقول انا لله وانا اليه راجعون فقال ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك والكلام تفسير ظاهر ومدحه قوم في وجهه فقال عليه السلم اللهم انك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه عليه السلم في مقابلة المدح الموجب للعجب ثم سأل الله تعالى ان يجعله في درجة في الخير فوق ما يظنونه فيه وان يغفر له ما لا يعلمون من عيبه فان قلت انه معصوم فكيف يصدر عنه عيب يطلب مغفرته قلت قد بينا فيما سلف ان عيب مثله عليه السلم وما يسمى ذنبا في حقه انما هو من باب ترك الاولى وليس هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها **وقال عليه السلم** لا يستقيم قضاء الحوائج الا بثلث باستصغارها لتعظم وباستكتامها لتظهر وبتعجيلها لتهنأ اشترط في استقامة قضاء الحوائج اي كون قضائها على ما ينبغي من الاعتدال ثلث شرايط احدها استصغارها في الحاجة لما يعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطاؤه ويشتهر الثانية ان يكتمها فان طباع الناس ادعى الى اظهار ما استكتم واكثر عناية به من غيره الثالث ان يعجلها لتهنأ اي لتكون هنيئة تعالى هني الطعام هنأ وذلك ان الابطاء بقضاء الحاجة ينغصها على طالبها فتكون لذتها مشوبة بكدر مطلها **وقال عليه السلم** يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان **اقول** الماحل الساعي بالنميمة الى السلطان واصل المحل الكيد والمكر وردي الماحل وهو المتكلم بما يشتهي من الباطل والهزل والاستهزاء والغرض الذي يريده ان ذلك الزمان لسوء اهله وبعدهم عن الدين وقوانين الشريعة يجعل فيه الرذايل مكان الفضايل ويستعمل ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فيقرب الملوك السعاة اليهم بالباطل مكان اصحاب الفضايل ومن ينبغي تقريبه ويعد الفاجر

صاحب رذيلة الافراط في قوة الشهوة صاحب فضيلة الظرف في حركاته ضعيفا عاجزا ويحتمل ان يريد بقوله يضعف اي يستصغر عقله لتركه الظلم كأنه تارك حق ينبغي له اخذه وتعد فيه الصدقة التي ينبغي اداؤها برغبة طلب الثواب غرما كاداء الدين في الثقل وكذلك تعد صلة الرحم منا وفيه ابطال لفضيلة المذكورة لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ويستطال بالعبادة على الناس ويترفع بها رتبا كما كان عليهم بذلك ثم جعل من علامات ذلك الزمان كون السلطان والملك يدبر بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان وهي علامات زماننا وقبله بمدة ورئي عليه السلم وعليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له القلب وتذل به النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في لبس ذلك الخلق ثلثة مقاصد وخشوع القلب خضوع النفس العاقلة وانكسارها عن الغرور وذل النفس انكسار النفس الامارة بالسوء عنه واقتداء المؤمنين بذلك القصد بالاولين **وقال عليه السلم** ان الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها ابغض الآخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد من الآخر وهما بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من البعد لطالبهما وظاهر كونهما سبيلين مختلفين ومن لوازم ما بينهما من العداوة والاختلاف كون المحب لاحدهما مبغضا للاخرى ثم شبههما بالمشرق والمغرب ووجه الشبه تباينهما واختلاف جهتيهما وشبه الطالب لهما بالماشي بينهما ووجه الشبه قوله كلما قرب آه فان الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها يكون غفلته عن الآخرة وانقطاعه عنها وكلما امعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعدا عن الآخرة وبالعكس كالماشي الى احد جهتي المشرق والمغرب ثم شبههما بعد ذلك بالضرتين ووجه الشبه ايضا ان القرب من احدهما يستلزم البعد عن الاخرى كالزوج ذي الضرتين وعن نوف البكالي قال رأيت امير المؤمنين عليه السلم ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر الى النجوم فقال يا نوف اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير المؤمنين قال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود عليه السلم قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له الا ان يكون عشارا او شرطيا او عريفا او صاحب عرطبة وهي الطنبور او صاحب كوبة وهي الطبل وقد قيل ان العرطبة الطبل والكوبة الطنبور **اقول** البكالي بكسر الباء منسوب الى بكالة قرية من اليمن والرامق الناظر والعريف نقيب الشرطة وكان خروجه عليه السلم في ذلك الوقت لما نقله عن داود عليه السلم وانه محل الفراغ للاعتبار والفكر في خلق السموات وزينتها ثم عرف الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف للغرض الاقتداء بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثانية وترابها فراشا الثالث وماءها طيبا وذلك من لوازم زهدهم في متاعها وتركهم لها عن طيب نفس بذلك الرابع اتخاذهم للقرآن شعارا الخامس والدعاء دثارا السادس

لتلاوة القرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه وتفهم مقاصده كالشعار اللازم للجسد ولفظ الدثار بعدها
باعتبار احتراسهم به من عذاب الله وشدائد النازلة بهم كالاحتراس بالدثار عن البرد ونحوه السادس
قرضهم للدنيا اي قطعها عنهم بالسير باجمع ضرورتهم منها كما فعل المسيح عليه السلم من هذه الاوصاف وكان قيامه
بعد السلم في النصف الاخير من الليل وانما كان مظنة الاجابة لخلو النفس فيه عن الاشتغال بشواغل
النهار المحسوسة وتوفرها بعد النوم على الالتفات الى حضرة الملأ الاعلى واستعدادها لقبول السوانح
الالهية وانما استثنى المذكورين لما زكتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن قبول رحمة الله **وقال عليه السلم**
انّ الله افترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها وحدّ لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها
وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها فرائض الله واجبات دينه وحدوده نهايات
ما اباحه من نعمه ورخص فيه والاشياء المنهي عنها ما جاوز حدوده من المحرمات والرذائل وما سكت عنه
هو تكليف دقائق علم لا نفع له في الآخرة فانه لم يسكت عنه نسيانا لتقدسه عن ذلك بل لعدم فائدته
الاخروية واستلزام الاشتغال به ترك الاشتغال بعلم نافع فيلزم المضرة **وقال عليه السلم**
لا يترك الناس شيئا من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضرّ منه لما كانت مطالب
الناس في الدنيا اذا فتح باب الطلب لها غير متناهية لكون كل مطلوب يحصل معدا لطلب الزيادة
فيه والاستكثار منه وتحصيل شرائطه ولوازمه وكان بعد الانسان عن الله بقدر قربه من
الدنيا وبعد الله عنها كان كل امر استصلحت به الدنيا لانها دنيا معدا لفتح باب من ابواب طلبها
واصلاحها وهو اضرّ من الاول لكونه اشد ايغالا فيها واشد ابعادا عن الله تعالى **وقال عليه السلم**
ربّ عالم قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه اراد العلماء بما لا نفع فيه من العلوم كعلم السحر والنيرنجات
بل كعلم النحو وغيره من العلوم العقلية مثلا من جهل شرايع الاسلام فافتى بغير علم او تعدى
حدا وارتكب منهيا فكان ذلك سبب هلاكه في الدنيا والآخرة او كعلم ما لا نفع فيه في الآخرة
استلزم ترك عمل مهم فيها فكان سبب هلاكه هناك مع عدم انتفاعه وخلاصه بما علم **وقال عليه السلم**
لقد علّق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب ما فيه وهو القلب وله موادّ من الحكمة واضداد من
خلافها فان سنح له الرجاء اذلّه الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف
وان عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ وان اسعده الرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله
الحذر وان اتّسع له الامن استلبته الغرّة وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه
الغنى وان عضّته الفاقة شغله البلاء وان جهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به الشبع كظّته
البطنة فكل تقصير به مضرّ وكل افراط له مفسد **اقول** النياط عرق علق به القلب وغالا احده
على غيره واراد بالمواد من الحكمة الفضائل الخلقية فانها باسرها من الحكمة وهي العلم بما ينبغي ان يفعل
وهو الاصح في كل باب وهي مواد كمال القلب واشار باضدادها التي لا يخالفها الى الرذائل المقابلة
للفضائل وهي التي اطراف التفريط والافراط منها فالاول وسط الطمع وهي رذيلة الافراط من قوة

ونفرعنها

ونفرعنها بما يلزمها من الذلة لمطمع فيه وبما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين الثانية
اليأس وهو رذيلة التفريط من الرجاء ونفرعنها بما يلزمها من شدة الاسف القاتل الثالثة رذيلة الافراط
من الغضب وهي اشتداد الغيظ المسمى طيشا والوسط من الغضب فضيلة الشجاعة وكظم الغيظ
الرابعة ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيلة الافراط من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنيا
الخامسة رذيلة الافراط من عروض الخوف وهي الاشتغال بالحذر عما ينبغي عند عروضه والذي
ينبغي فيه الاخذ بالحزم وترك الافراط في الخوف والعمل لما من المخوف السادسة رذيلة التفريط
في عروض ضده وهو الامن وهي استلاب الغرة لعقل الآمن حتى لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو
عليه من الامن السابعة رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على المصيبة وهي الجزع ونفرعنه بما يلزمه
من الافتضاح به الثامنة رذيلة الافراط من حصول المال وهو الطغيان بكثرته والغنى منه والطغيان
تجاوز الحد التاسعة رذيلة التفريط من الصبر على الجوع وذكر لازمها وهو قعود الضعف به عما ينبغي
ونفرعنها العاشرة رذيلة افراط الشبع من فضيلة القصد فيه وما يلزم تلك الرذيلة من جهد البطنة
ونفرعنها بما يلازمها ثم ختم ذلك بالتنفير عن طرفي الافراط والتفريط فيها اجمالا بما يلزم التفريط
من مضرة القلب بعدم الفضيلة ويلزم الافراط فيها من افساده بخروجه عنها وبانه الصمم **وقال عليه السلم**
نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي واليها يرجع الغالي النمرقة الوسادة الصغيرة واستعار
لفظها له ولاهل بيته بصفة الوسطى باعتبار كونهم ائمة الحق ويستند الخلق في تدبير معاشهم ومعادهم
على وجه العدل المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط ومن حق الامام الحق المتوسط في الامور
ان يلحق به التالي اي المفرط المقصر وان يرجع اليه الغالي اي المفرط المتجاوز لحد العدل **وقال عليه السلم**
لا يقيم امر الله سبحانه الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعة المصالحة برشوة ونحوها
والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو الذلة كان كلا منهما يضرع للآخر وظاهر ان مصانعة الغير
يستلزم طلب رضاه وذلك يمنع من اقامة حدود الله واوامره في حقه وكذلك المضارعة واتباع
المطامع من الغير فانها تستلزم ان ترك مواجهته بما يشق عليه من اوامر الله وحدوده
وقال عليه السلم وقد توفي سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة عند مرجعه معه من صفين وكان
من احب الناس اليه لو احبّني جبل لتهافت قال السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع
المصائب اليه ولا يفعل ذلك الا بالاتقياء الابرار والمصطفين الاخيار وهذا مثل قوله عليه السلم
من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا وقد يؤول ذلك على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره
اقول تهافت سقط قطعة قطعة وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ويجيئه من المصائب والابتلاء وقوله
من احبنا فليستعد للفقر جلبابا اي يهيئ له ذلك والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر
والصبر عليه ووجه الاستعارة كونهما ساترين للمستعد بهما من عوارض الفقر وظهوره في سوء
الخلق وضيق الصدر والتحير الذي ربما يؤدي الى الكفر كما يستر بالملحفة ولما كانت محبتهم عليهم السلم

بصدق تستلزم متابعتهم والاقتداء بهم والاستشعار بشعارهم ومن شعارهم الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك
وجب ان يكون كل محب لهم مستشعراً للفقر ومستعداً له جلباباً من توطين النفس عليه والصبر وقد ذكر ابن قتيبة
هذا المعنى بعبارة اخرى فقال من احبنا فليقتصر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها قال وشبه الصبر على الفقر
بالجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلم
راى قوماً على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال ما لي لا ارى فيهم سيماء
الشيعة قال وما سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون من البكاء
وقال ابو عبيد انه لم يرد الفقر في الدنيا الا ترى ان فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغنى وانما اراد
الفقر يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الوعظ والنصيحة في الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره
يوم القيمة ما يجبره من الثواب والتقرب الى الله تعالى والزلفة عنده قال السيد المرتضى ره والوجهان
جميعاً حسنان وان كان قول ابن قتيبة احسن فذلك معنى قول السيد الرضي رض وقد يؤول ذلك على
معنى آخر وذكر القطب الراوندي احتمالات ركيكة لا يصلح محملاً لهذا الكلام فلم نطول بذكره وقال عليه السلم
سبع عشرة كلمة احديها لا مال اعود من العقل اي اعود بالنفع على صاحبه واستعار لفظ المال للعقل
باعتبار انه غنى النفس وهو رأس مالها الذي به يكتسب الارباح الباقية والكمالات المسعدة
كالمال الذي به الكمال الظاهر ولما كان بين المالين من التفاوت في الشرف ما علمت لاجرم لم يكن
مال اعود منه بالنفع الثانية ولا وحدة اوحش من العجب وجعل الوحدة من جنس العجب باعتبار ما
يستلزمانه من الوحشة وقد سبق بيان استلزام العجب لها الثالثة ولا عقل كالتدبير
اراد بالعقل تصرف العقل العملي فاطلق عليه اسمه مجازاً اطلاقاً لاسم السبب على المسبب وهو ظاهر
ان جملة تصرفاته التدبير واستخراج الآراء المصلحية في الامور ولما كان المقصود منه التدبير لاجرم
لم يكن له تصرف يشبهه فلا عقل مثله الرابعة ولا كرم كالتقوى والمفهوم من الكرم بذل ما ينبغي بذله
ولما كان التقوى لله عبارة عن خشيته وكان من لوازمها الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها
كان ذلك في الحقيقة بذلاً لجميعها واذا كان بذل بعض قنياتها يسمى كرماً فبذلها باسرها لمن ينبغي له
ذلك اولى ان يكون كرماً لا يشبهه كرم كما قال عليه السلم فيما سبق في وصفها وراقبها في حرب
جلتها الخامسة ولا قرين كحسن الخلق قد عرفت الاخلاق الحسنة وظاهر انه ليس شيء بعد قربنا
اشرف منها لان غاية سائر القرناء ان يستفاد من صحبتهم ومجيئهم حسن الخلق فلكون الخلق الحسن نفسه
الذي هو الغاية قريناً اشرف من ذي الغاية الذي غاياه لا يحصل منه فلا قرين اذن يشبهه
السادسة ولا ميراث كالادب وقد مر بيانه في قرب السابعة ولا قائد كالتوفيق اي الى
المطالب ولما كان التوفيق عبارة عن توافق الاسباب في شيء وشرائطه حتى يكون المجموع علة مستلزمة
لحصوله لاجرم لم يكن للمرء قائد الى مطالبه كالتوفيق في سرعة وصوله اليه الثامنة ولا تجارة كالعمل الصالح
استعار لفظ التجارة له باعتبار كونه مستلزماً للعمل كالتجارة المستلزمة للربح ولما كان شرف التجارة

بشرف ثمرتها وربحها فلما كان الربح اشرف كانت التجارة اشرف ولما كان ربح هذه التجارة الثواب
الدائم الاخروي الذي لا ربح اعظم منه لم يكن لتجارة العمل الصالح ما يشبهها من التجارات التاسعة ولا ربح
كالثواب وهو ظاهر العاشرة ولا ورع كالوقوف عند الشبهة قد عرفت الورع بانه الوقوف عن المناهي
والمحرمات ولما كان الوقوف على الشبهة من الامور في حلها وحرمتها ابلغ اصناف الورع والكف تحرزاً به
لم يكن فيها ما يشبهه الحادية عشرة ولا زهد كالزهد في الحرام ولما كان الزهد في الحرام هو المامور به والواجب
دون غيره من اصناف الزهد كان افضل افضلية الواجب على المندوب الثانية عشرة ولا علم كالتفكر
اي كالعلم الحاصل عن التفكر وذلك بالقياس الى ما يحصل عن حفظ المنقولات كالاحاديث ونحوها
ونحوها والى العلوم الحاصلة عن الحواس لان العلم الفكري كلي وهو اشرف وعلم الشارع وجعلت الكرى
واراد التفكر فيما ينبغي من خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء وتحصيل العبرة منه واطلق اسم
التفكر على العلم الحاصل عنه اطلاقاً لاسم السبب على المسبب ويحتمل ان يريد العلم بكيفية التفكر والقوانين
التي تعصم مراعاتها الفكر من الضلال الثالثة عشرة ولا عبادة كاداء الفرائض لكونها واجبة والواجب
اشرف من غيره الرابعة عشرة ولا ايمان كالحياء والصبر اي لا ايمان كايمان الكامل بالحياء والصبر وذلك
لشرف هذين الفضيلتين كما سبق واطلقهما على الايمان مجازاً اطلاقاً لاسم اللازم على ملزومه الخامسة عشرة
ولا حسب كالتواضع لما كان الحسب ما يعد من المآثر والفضائل كان التواضع اشرف ما يعد باعتبار
الى كثير منها لما يستلزم من الحوادث كما سبق بيانه السادسة عشرة ولا شرف كالعلم اي كشرف العلم
فاطلق اسم الملزوم على لازمه مجازاً وظاهر ان العلم اشرف الكمالات ولا شرف كشرفه السابعة عشرة
ولا مظاهرة اوثق من المشاورة اي اقوى وقد مر بيانه في قوله لا ظهير كالمشاورة واعلم ان الحكم
في كثير من هذه الكلمات الكثرى والغرض منه الترغيب في العقل والتدبير والتقوى وحسن الخلق والادب
والتوفيق بالرغبة الى الله فيه والعمل الصالح والثواب والوقوف عند الشبهة والزهد في الحرام والفكر
والمحافظة على الفرائض واقتناء الحياء والصبر والتواضع والعلم والمشورة في الامور وقال عليه السلم
اذا استولى الصلاح على الزمان واهله ثم اساء رجل الظن برجل لم تظهر منه خزية فقد ظلم واذا استولى
الفساد على الزمان واهله ثم احسن رجل الظن برجل فقد غرر قد ثبت ان الزمان من جملة الاسباب المعدة
لتوافق اسباب صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم فيسمى زمان الصلاح والخير وذلك هو من جملة الاسباب
المعدة لعدم ذلك فيقال فيه انه زمان فاسد والاول هو الزمان الذي استولى الصلاح
عليه وعلى اهله ويجب ذلك يكون مظنة فعل الخير وان يحسن الظن باهله فمن اساء الظن في احد منهم
لم يظهر منه ما يجري به عند الناس من فعل رذيلة فقد وضع اساءة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل
وظلم وردي حوبة اي اثم والثاني هو الزمان الذي استولى الفساد عليه وعلى اهله ويجب ذلك
يكون مظنة فعل الشر وسوء الظن باهله فمن احسن الظن في احد منهم فقد غرر اي اوقع نفسه في
الغرور به والغفلة عن حاله وقيل له يا امير المؤمنين كيف تجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم

وبحبسه ويؤتى من مأمنه اجاب بصورة حالها طريق الموعظة والتشكي ولما كان البقاء عبارة عن استمرار
زمان الوجود وكان استمرار الزمان وتعاقب اجزائه مقربا للاجل كان البقاء سببية للفناء وكذلك
لما كان من غايات صحة السقم كان الصحة سببية للسقم واما كونه يؤتى من مأمنه فحيث ان يكون الانسان
بها مصدرا والمراد ان الداخل على المرء ونزول ما يكره به من الموت واهوال الآخرة هو من جهة الدنيا
وسكونه اليها وغفلته عما وراءها مما لا بد منه ويحتمل ان يكون الامن محل الامن وهو الدنيا ومعنى كونه
يؤتى من مأمنه اي ان ما يدخل عليه من الادواء التي فيها هلاكه والمصائب التي تلحقه هو من احوال الدنيا التي
هي مأمنه وعوارضها التي يعرض له من مأمنه حال امنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه وقال عليه السلم
كم من مستدرج بالاحسان اليه ومغرور بالستر عليه ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلى الله احدا
بمثل الاملاء له المستدرج المأخوذ على غرة والاملاء الامهال وتأخير المدة وقد ذكر عليه السلم من الامور
التي ابتلاه الله بها عباده اربعة احدها الاحسان الى العبد بضروب النعم الثاني ستر المعصية عليه الثالث
حسن القول فيه والثناء الحسن عليه الرابع تأخير مدته واجله ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الامور التي
كلها نعم في الحقيقة اما شكرها او كفرها كما قال تعالى ليبلوني أأشكر ام اكفر الآية وكان الشكر هو الغاية
المطلوبة بالذات ففي المبتلى بالنعم الاول وجوب شكرها بانه كثيرا ما يستدرج بها فينبغي ان لا يغفل عنها
وفي المبتلى بالثانية انها كثيرا ما يكون لغرة بالله والامن من مكره فينهمك في المعاصي وفي الثالث
يكون نعمة قد يكون سببا للفتنة وصرفه عن شكر الله وارتكابه رذيلة العجب بنفسه وفي الرابع يكون
نعمة اعظم ما ابتلى به من النعم وقال عليه السلم هلك في رجلان محب غال ومبغض قال لما كانت محبة
اولياء الله فضيلة نفسانية كان طرف التفريط والتقصير فيها الى غاية تقابلها بالبغض وطرف الافراط
الى غاية الغلو ومجاوزها منبغي مهما رذيلتين يستلزمان هلاك صاحبهما في الآخرة اما رذيلة التفريط
فلان بغض اولياء الله يستلزم لعداوتهم ومن عادى وليا من اولياء الله فقد عادى الله وكان من
الهالكين واما رذيلة الغلو والافراط فلان الغلاة اخرجوه عن حد البشرية الى مقام الالهية وهو صريح
الكفر المستلزم للهلاك وقال عليه السلم اضاعة الفرصة غصة اي ان تضييع الامر وقت امكانه
من نفسه يستلزم الاسف والحزن على تفويته وهو تنفير عن تضييع الفرصة بما يلزمه وقال عليه السلم
مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها يهوي اليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل
مثل الدنيا بالحية ووجه التمثيل قوله لين مسها الخ وذلك ان الدنيا لذيذة المتناول سهلة
التناول لينها مع ان في طلبها وتناولها الشقاوة الاخروية والعذاب الاليم فيهوي اليها الجاهل
بما فيها من سوء العاقبة ويحذرها العاقل العارف بها كما ان الحية لين مسها حسن منظرها يحبها الجاهل
بما فيها من سم او نفثه يهوي اليها الغرة بما فيها من سم ويحذرها من يعرفه وسئل عن قريش
فقال عليه السلم اما بنو مخزوم فريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم واما بنو عبد شمس
فابعدها رأيا وامنعها لما وراء ظهورها واما نحن فابذل لما في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا

وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح بنو مخزوم بطن من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن
كعب بن لوي بن غالب ومنهم ابو جهل بن هشام بن المغيرة وآل المغيرة وكان المخزوم بن ريحانة كالمراي
ولونا كلونه والولد يشبه الوالد غالبا ولذلك كانت هذه البطن تسمى بريحانة قريش وكان المغيرة
بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يسمى بذلك وقيل انه كان في رجالهم كيس لذلك يحب الحديث اليهم وفي
نسائهم لطف وتصنع ويحب الى الرجال ولذلك يحب نكاحهم واما بنو عبد شمس بن عبد مناف فمنهم
ربيعة وابناه شيبة وعتبة واولاد عباس وحرب بن امية وابنه ابو سفيان واسيد بن عتاب ومروان
الحكم ووصف هذا البطن ببعد الرأي وهو كناية عن جودته يقال فلان بعيد الرأي اذا كان يرى المصلحة
من بعيد لقوة رأيه ثم لكونها امنع لما وراء ظهورها وهو كناية عن الحمية ثم وصف نفسه وهم بنو هاشم بكونهم
ابذل لما في ايديهم اي اسخى ثم لكونهم اسمح عند الموت بنفوسهم اي اشجع ثم وصفهم بفضيلة خارجية
ووصف بني هاشم بثلاث فضائل بدنية ونفسانية والفضيلة فيهم هي كثرة العدد والرذيلتان كونهم
امكر اي اكثر حيلة وخداعا وكونهم انكر اي اكثر نكرا وانكروا فضائل بني هاشم ثم كونهم افصح
او كونهم اصبح اي احسن وجوها واجمل وهما فضيلتان تتعلق بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم
الملقين الناس بالطلاقة والبشر ومبدأ ذلك فضيلة نفسانية ثم كونهم انصح والنصح لمن ينبغي نصحه فضيلة
نفسانية تحت العفة وقال عليه السلم شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب
مؤونته ويبقى اجره شتان اي افترق بينهما والاول العمل للدنيا وتبعته هو ما يتبعه من الشقاوة
الاخروية والثاني العمل للآخرة وظاهر ان بينهما فرقا عظيما وتبع جنازة فسمع رجلا يضحك
فقال عليه السلم كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن الذي نرى من الاموات
سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظ
ورمينا بكل جائحة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق الفضل
من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم ينسب الى البدعة قال السيد ومن الناس من
ينسب هذا الكلام الى النبي صلى الله عليه وآله الاجداث القبور والجائحة الداهية المستاصلة وغرض
الفصل التنفير عن وضع الضحك في غير موضعه والتذكير بامر الآخرة وذكر تشبيهات ثلثة
احدها تشبيه الموت بالمكتوب على غيرنا من الناس والثاني تشبيه الحق الواجب علينا بالواجب على غيرنا
دوننا والثالث تشبيه ما نشاهده من الاموات بالمسافرين الذين يقدمون عن قريب ووجه الشبه
في الثلثة قلة اهتمام الناس بالموت والتفاتهم الى اداء واجب حق الله عليهم وعدم اعتبارهم بمن
يموت وقوله نبوئهم الى قوله جائحة من تمام وجه الشبه فان الفاعل مثل هذا الفعل بالاموات كأنه
لقساوة قلبه وعدم اتعاظه لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت وقوله طوبى الخ ترغيب في اقتناء
الفضائل المذكورة بان له طوبى وهي الحقيقة الحالة الشريفة التي لاولياء الله في الآخرة من طيب الحال
واللذة الباقية وذكر ثمان فضائل احديها ذلة النفس وهي عن ملاحظة عجبها وفقرها اليه ونظرها الى

معاد والثانية يفيد طيب الكسب باخذه من وجوهه التي ينبغي الثالث انه صلاح السريرة قصد واخلاص الباطن من خساسة
الثانيات في المعاملات مع الخلق الرابعة حسن الخلق واكتساب فضائله الخامسة انفاق الفاضل عن الحاجة من المال
فيما ينبغي من وجوه القربات الى الله وهي فضيلة السخاء السادسة امساك الفضل من الكلام ما زاد منه على ما
ينبغي وهو السكوت في موضعه السابعة عزل الشر عن الناس وهو العدل او لازمه الثامنة لزوم سنة الله
ورسوله وعدم الخروج عنها الى ما يبتدع في الدين مما لا ينبغي وقال عليه السلام غيرة الرجل ايمان وغيرة
المرأة كفر اما الاول فلان غيرة الرجل يستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجلين في امرأة وسخط
ما سخط الله موافق لرضاه ومؤيد لسنته وذلك ايمان واما الثاني فلان المرأة تقوم بغيرتها في تحريم
ما احل الله وهو اشتراك مرأتين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والانكار وتحريم ما احل الله
وسخط ما رضيه رد عليه وهو لا محالة كفر وقال عليه السلام لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي
الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء
والاداء هو العمل الصالح هذا قياس مفصول مركب من قياسات طويت نتايجها ونتيجة القياس الاول
ان الاسلام هو اليقين والثاني انه التصديق والثالث انه الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه
العمل اما المقدمة الاولى فلان الاسلام هو الدخول في الطاعة ويلزمه التسليم لله وعدم النزاع في ذلك
وصدق اللازم على ملزومه ظاهر واما الثانية فلان التسليم الحق انما يكون عن تيقن استحقاق المطاع التسليم
فكان اليقين بذلك من لوازم التسليم فيصدق عليه صدق اللازم على ملزومه واما الثالثة فلان اليقين
باستحقاقه للطاعة والتسليم يستلزم التصديق بما جاء على لسان رسوله من وجوب طاعته فصدق على
اليقين بانه تصديق له واما الرابعة فلان التصديق بما في وجوب طاعته اقرار بصدق رسوله
خاصة فلان الاقرار وهو اعتراف بوجوب امر يستلزم اداء المقر المعترف لما اقر به فكان اقراره
اداء لازما واما السادسة وهو ان الاداء هو العمل فلان الاداء لما اعترف به من الطاعة الواجبة
لا يكون الا عملا ويؤول حاصل هذا الترتيب الى نتيجة ان الاسلام هو العمل بمقتضى اوامر الله وهو
تفسير له بخاصة من خواصه كما سبق بيانه وقال عليه السلام عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب
ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء
وعجبت للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله
وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى من يموت وعجبت لمن انكر النشاة الاخرى وهو يرى النشاة الاولى
وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء تعجب عليه السلام من اربعة هم محل العجب والغرض التنفير
عن رذائلهم الاول البخيل وجعل محل التعجب منه ثلاثة امور احدها انه انما يبخل خوف الفقر في العاقبة
لو انفق المال وتفنيه وعدم انتفاعه به في الحال صورة فقر حاضر فكان بذلك يستعجل الفقر الذي
هرب منه الى البخل الثاني انه طالب الغنى ببخله وبخله اسباب لفقره الحاضر المانع لغناه والمفوت
له فما يعتقده سبب الغنى هو المفوت للغنى الثالث انه يعيش في الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله

ويحاسب

ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء لمشاركته اياهم في جمع المال ومحبته الذين هما مبدأ الحساب فكان
منهم بهذا الاعتبار الثاني المتكبر ووجه التعجب منه تذكره مبدأ كونه وهو كونه نطفة في غاية الحقارة
والسخف الثالث في الكبر وغايته وهو كونه جيفة في نهاية القذارة فجمعه بين هذين الامرين وبين الكبر
من العجب العجب الثالث الشاك في الله وهو يرى خلقه وهو جمع بين الشك في وجوده وبين رؤيته
ظاهر انه وجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وهو محل العجب الرابع الناسي للموت مع رؤيته لمن يموت
وظاهر ان نسيان الموت مع رؤيته دائما محل التعجب الخامس منكر النشاة الاخرى واعادة الابدان
بعد عدمها وظاهر ان انكاره لذلك مع اعترافه بالنشاة الاولى وهي الوجود الاول بعد العدم
الصرف محل العجب لان الاخرى اهون كما قال تعالى وهو اهون عليه السادس عامر الدنيا مع كونها
فانية زايلة مع تركه لعمارة الآخرة الباقية الباقي دائما محل التعجب وغرض التعجب من هؤلاء والاشارة
الى وجوهه تنفير الخلق عن الامور المذكورة وقال عليه السلام من قصر في العمل ابتلي بالهم ولا حاجة لله
فيمن ليس لله في نفسه وماله نصيب المقصر في العمل مظنة لكون غالب احواله مستغرقا في الدنيا مفرطا
في طلبها وجمعها وبقدر التوفر عليها يكون شدة الهم في جمعها وتحصيلها اولا ثم في ضبطها والخوف
على فواتها ثانيا وفي المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهم ضعفه فنفر عن التقصير في الاعمال البدنية
والمالية بقوله ولا حاجة لله وكنى بعدم حاجته فيه عن اعراضه عنه وعدم النظر اليه بعين الرحمة
لعدم استعداده لذلك وقال عليه السلام توقوا البرد في اوله وتلقوه في آخره فانه يفعل في الابدان
كفعله في الاشجار اوله يحرق وآخره يورق انما وجب اتقاؤه في اوله وهو اول الخريف لان
الصيف والخريف يشتركان في اليبس فاذا ورد البرد ورد على ابدان استعدت بحرارة
الصيف ويبسه للتحلل وتفتح المسام والجفاف فيشتد انفعال البدن عنه واسرع تأثيره في
الحرارة الغريزية فيقوى بذلك في البدن قوتا البرد واليبس اللتان هما طبيعة الموت فيكون
بذلك يبس الاشجار واحراق الاوراق والثمار وضمور الابدان وضعفها واما امره بتلقيه
في آخره وهو اخر الشتاء واول زمان الربيع فلان الشتاء والربيع يشتركان في الرطوبة ويفترقان
بان الشتاء بارد والربيع حار فالبرد المتاخر اذا امتزج بحرارة الربيع وانكسرت سورته بها لم يكن
بعد ذلك نكاية في الابدان فقويت لذلك الحرارة الغريزية فيها وانتعشت فكان من اعتدالها
بالبرد مع الرطوبة استعداد المزاج هو طبيعة الحيوة وكان منه النمو وقوة الابدان وبروز الاوراق
والثمار وقوله فانه الى صغرى ضمير نبه بها على توقيه وتلقيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فانه يجب
توقي اوله وتلقي آخره وقوله اوله يحرق وآخره يورق هو وجه التشبيه وقال عليه السلام عظم
الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك هذا امر يجده العارفون بالله فان من عرف عظمة الله وجلاله
ولحظ جميع المخلوقات بالقياس اليه حتى علم ما لها من ذواتها وهو الامكان والحاجة وعدم استحقاق
الوجود الا منه تعالى علم انها في جنب عظمته عدم والاخرى من العدم وشدة صغر المخلوق في اعتبار العارف

يجب درجة نوع خاصة وقيل لبعض العارفين فلان زاهد فقال فيما ذا فقيل في الدنيا فقال الدنيا لا تزن
عند الله جناح بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما يكون في شيء والدنيا عندي لا شيء وقال عليه السلم
وقد رجع من صفين فاشرف على القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة
يا اهل التربة يا اهل الغربة يا اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور
فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت عم
الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم ان خير الزاد التقوى الفرط الذي يتقدم الواردة
فيهيئ لهم الارشاء والدلاء وخاطبهم عليه السلم خطاب من يسمع اقامة لهم المعهودة مقام اشخاصهم الموجودة
والديار الموحشة والمحال المقفرة القبور وغرض الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس
الغافلة عن غاية الدنيا ومشاهدها لغاية العمل فيها كما ينبغي ولما كان الحق هو ان خير الزاد التقوى كما نطق
به القرآن الكريم وكان ذلك امرا مشاهدا للمتقين في جزائهم بتقواهم وللفجار في حرمانهم بعدمها لا جرم لو اذن
لهم في الجواب واعطوا آلته لكان جوابهم ما عرفوا من الحق وقال عليه السلم وقد سمع رجلا يذم الدنيا
ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المخدوع باباطيلها متى غرتك ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع
امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء غداة
لا يغني عنهم دواؤك ولا ينفع بكاؤك لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه
بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية
لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط
وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها و
نادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت
بعافية وابتكرت بفجيعة ترهيبا وترغيبا وتخويفا وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها
آخرون يوم القيامة ذكرتهم الدنيا فتذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا اقول المتجرم
المدعي جريمة واستهوتك طلبت هواك اياها وهواك فيها ومثلت صورت وقوله ايها الذام الى
قوله غرتك توبيخ له على الاغترار بها وذمها مع ذلك وكذب دعواه انها هي ذات الجريمة عليه باستفهام
عن وقت استهوائها له استفهام منكر لذلك وموبخ عليه واكد ذلك باستفهام ان ذلك الغرور له
منها باي شيء كان امن مصارع الآباء ام من مضاجع الامهات وذلك على وجه الاستهزاء منه والتنبيه
له على ما يوجب النفرة منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كانها قاصدة لذلك التنبيه
والتنفير عنها وقوله كم عللت الى قوله مصرعك صغرى ضمير دل بها على ما ادعاه لها من كونها منبهة
من الغفلة وليس حصة الغرور وتقديرها ان صورت لك الدنيا نفسك بمن اكثرت تعليله وتمريضه
من اهلك طالبا له الشفاء وتستوصف له الاطباء فلم ينفعه ذلك منك ومثلت مصرعه مصرعك وتقدير
الكبرى وكل من مثل لك ذلك وصوره لك فليس من اهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نصحك

ثم تذمها انت المتجرم عليها ام هي المتجرمة عليك متى استهوتك ام ح

وتنبيهك

وتنبيهك من غفلتك ثم لما نفى عنها الذم اخذ في مدحها وذكر لها اوصافا ثمانية احدها انها دار صدق
لمن صدقها اي فيما اخبرت بلسان حالها من فنائها وزوالها وتصديقها اعترافه بذلك منها والعمل به
الثاني ودار عافية لمن فهم عنها ما اخبرت به من عظاتها حتى احترز من آفاتها وعوفي من عذاب الله بها
الثالث ودار غنى لمن اتخذ فيها التقوى زاد السفر الى الله وظاهر ان التقوى وثمرتها في الآخرة
اعظم غنى للمتقين الرابع ودار موعظة لمن اعتبر بها فعلم وضعها وغايتها الخامس كونها مسجد احباء الله
من رسله واوليائه السادس كونها مصلى ملائكة الله الارضية الذين سجدوا لآدم عليه السلم السابع كونها
مهبط وحي الله الثامن كونها متجر اولياء الله الذين اكتسبوا ابعادهم فيها رحمته وربحوا جنته ثم استفهم
بعد هذه المدائح عمن يذمها منكرا عليه ونبه لاحوال اخرى لها ياخذ ذمها اي فمن ذا يذمها ولها الصفات
المذكورة وهي مع هذه الاحوال وذكر منها ستة احدها كونها آذنت اهلها واعلمتهم بفراقها والواو في
قوله وقد للحال الثاني ونادت بفراقها الثالث ونعت نفسها كل ذلك بلسان حالها من التغير والانتقال
المؤذن بالزوال الرابع كونها مثلت لهم ببلائها البلاء في الآخرة الخامس وشوقتهم بسرورها الى السرور
في الجنة وانما كان كذلك لان كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال لما في عالم الغيب ونسخة منه يعتبر به
ويقاس اليه ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى الحضرة الالهية وتعذر الوقوف على شيء من اسرار
ذلك الكون الى الله لما شاهدوا بلاء الآخرة من بلاء الدنيا علموا التخلص منه وشاهدوا سرورها من
سرور الدنيا وعلموا ان منها افضلها وان الاشرف لا يحصل الا برفض الاخس فاقتنت اذواقهم
الصالحة مع سرور الفانية باللذة السادس رواحها بعافية وابتكارها بفجيعة وهو كناية عن سرعة
انتقال احوالها وتبدل اطوارها من رخاء الى شدة ومن صحة الى سقم ونسب هذه الافعال اليها لان
لها سببية ما في ذلك ولانسب اليها الافعال الاختيارية جعل لها منها غايات وهي ترغيب الناس
الى الله وترهيبهم منها ثم اشار الى سبب ذمها ممن ذمها وهو ندامة المفرطين في اتخاذ زاد التقوى
الى الآخرة منها فنسبوا ذلك التفريط الى غرورها لهم وهو باطل كما بيناه ثم الى سبب حمدها ممن حمدها
وهو ثلاثة احدها تذكيرها لهم بهذه الالوان ورائها غاية باقية يجب العمل لها فتذكروا ما ذكرتهم وعملوا
الثاني تحديثها لهم بذلك حتى صدقوا الثالث وعظها لهم بعبرها حتى اتعظوا وقال عليه السلم ان لله
ملكا ينادي في كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب واجمعوا للفناء ذلك النداء على دفع ما علم
من القضاء الالهي في طبيعة الدنيا وغايتها والامور الثلاثة وهي الموت والفناء والخراب غايات طبيعية
واللام فيها هي المسماة بلام العاقبة وقال عليه السلم الدنيا دار ممر الى دار مقر والناس فيها رجلان
رجل باع نفسه فاوبقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها اوبقها اهلكها وكون الدنيا دار ممر باعتبار انها
طريق الى الآخرة التي هي دار المقر واستعار لفظ البيع لبائع نفسه باعتبار تسليمه لها الى الهلاك
الاخروي واعتياضه عنها ما اصابه من اللذة الدنيوية وكذلك لفظ الابتياع لمشتري نفسه باعتبار انقاذه
من ذلك الهلاك ببذل ما قدر عليه من حاضر اللذات والاعراض عنه وحصر المكلفين في الرجلين المذكورين ظاهر

وقال عليه السلم لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته جعل الصدق
الصدق خاصة يعرف بها وهو ان يحفظ صديقه في الامور الثلث وحفظه بالقيام مقامه فيما ينبغي فعله
من صلاح حاله بقدر الامكان **وقال عليه السلم** من اعطى اربعا لم يحرم اربعا من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة
ومن اعطى التوبة لم يحرم القبول ومن اعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ومن اعطى الشكر لم يحرم الزيادة
وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه قال في الدعاء ادعوني استجب لكم وفي الاستغفار ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال في الشكر لئن شكرتم
لازيدنكم وقال في التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من
قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما اقول الامور الاربعة الاول وسايل اذا كانت
باخلاص كان كل منها سببا في اعداد النفس لقبول صورة الرحمة الالهية من ثوابها فالدعاء للاجابة
والتوبة لقبولها واسقاط ثمرة المعصية والاستغفار للمغفرة والشكر للزيادة والشواهد الالهية
ناطقة بذلك وفي مقتضى العقل **وقال عليه السلم** الصلوة قربان كل تقي والحج جهاد كل ضعيف
ولكل شيء زكوة وزكوة البدن الصيام وجهاد المرأة حسن التبعل التبعل معاشرة البعل وصحبته
والكلام اشارة الى بعض اسرار هذه العبادات فمن اسرار الصلوة كونها قربانا الى الله تعالى وقد
علمت انها اعظم ما يتقرب اليه المتقون به من العبادات ومن اسرار الحج كونه جهادا في سبيل الله
لما فيه من مشقة السفر ومجاهدة الطبيعة ومقاومة النفس الامارة بالسوء مع قوتها بشبهة عدم الاطلاع
على اسرار الحج وغايته مع ما في كيفيته من الافعال التي يعجب منها الجاهلون وانما خص الضعيف بذلك
جهادا له لان للقوي جهادا آخر هو المشهور ومن اسرار الصوم كونه زكوة للبدن لما فيه من تنقيص
قوته وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الاخروي كما ان الزكوة تنقيص في المال مستلزم لزيادة
الثواب في الآخرة ومن اسرار التبعل حسن معاشرة البعل وطاعته في طاعة الله وفي ذلك
كسر النفس الامارة للمرأة وانقيادها في صراط الله **وقال عليه السلم** استنزلوا الرزق بالصدقة
وفي الكلمة فايدتان احدهما الترغيب في الصدقة بذكر كونها سببا لاستنزال الرزق وقد مر ان
الصدقة باب عظيم لذلك معد لحصوله ومن وجوه اعداده كونها نفعا متعديا يستلزم تألف
قلوب اهل الله والصالحين من عباده واجتماع هممهم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق الثانية
التنبيه على اقوى الاسباب الباعثة عليها وعلى البذل وهو الخلق لنعمة فيسهل معه البذل
وهو الثقة بالله واليقين بالخلف منه كما نطق به وعده تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعفه لكم الاية **وقال عليه السلم** تنزل المعونة على قدر المؤونة المؤونة التعب والشدة وهي
مفعلة من الاين والمراد ان الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معد لاستنزال معونة الله ورزقه
وقوته على القيام باحوالهم ورفع المؤونة من جهتهم **وقال عليه السلم** ما عال امرؤ اقتصد العيلة
الفقر والاقتصاد الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معد لعدم الحاجة لان مقدار الحاجة من المال

امر قد

امر قد تكفل الله باوراره مدة البقاء وهو ما لا بد منه **وقال عليه السلم** قلة العيال احد اليسارين
والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم اما الاولى فلان الغنى المتعارف يكون بحصول المال وحالي
اعتبارات احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه فحصوله يسار وعدم انفاقه على العيال لقلتهم يسار ثان
واطلق اليسار على قلة العيال مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب واما الثانية فلان العقل العملي
واللفظ مجاز في تصرفاته اطلاقا لاسم السبب على المسبب ومن جملة تصرفاته في التدبير التودد الى الخلق
ولما كان الانسان محتاجا في اصلاح معاشه الى غيره وكانت معاملته لهم في ذلك اما على وجه التودد
وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة والترغيب واما على وجه القهر والغلبة والترهيب لاجرم
كان التودد وما يلزمه نصف العقل اي نصف تصرفه في تدبير امر معاشه واما الثالثة فلان الهرم
اما طبيعي واما بسبب من خارج وهو الهم والحزن والخوف المستلزم له فهو اذن قسيم للسبب الطبيعي
وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له لفظ النصف واراد والهم نصف سبب الهرم
وقال عليه السلم ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط اجره ان الله
سبحانه جعل للانسان قوة استعداد لان يصبر بمقدار مصيبته حتى تم استعداده افيض عليه ذلك
المقدار من الصبر ومن قصر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع حبط اجره
وهو ثوابه على الصبر وكنى عن الجزع بما يلزمه في العادة من ضرب اليدين على الفخذين وقيل بل حبط
ثوابه السابق لان شدة الجزع يستلزم كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات الى ما وعد به
من ثواب الصابرين وهو معد لمحو الحسنات من لوح النفس وسقوط ما يلزمها من ثواب الآخرة
وقال عليه السلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر
والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد بذلك من اخل بشرط من شرايط صيامه وقيامه
ولم يات على وجه الاجزاء واعظم شرطهما توجههما الى المعبود الحق عز سلطانه وكثرة خلل العباد
وفسادها من كثير من الخلق انما يكون للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام عن الصلوة وانما مدح نوم الاكياس
لان الكيس هو الذي يستعمل ذكاه وفطنته في طرق الخير وعلى الوجه المرضي الشرعي ويضع كل شيء
موضعه ومن كان كذلك كان نومه وافطاره وجميع تصرفاته في عبادة لانه موضوع موضعها من مرضاة الله
ومحبته **وقال عليه السلم** سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكوة وادفعوا امواج البلاء
بالدعاء سوسوا اي املكوا وذلك ان الصدقة من الايمان التام ملكه وحفظه لكون بدونها واما
تحصين المال بالزكوة فلان منعها انما يكون عن البخل وشدة الحرص وذلك باعث لمستحقها على ذمه
ودافع للخلق الى التسبب في اذاه فكان مانعها متعرضا بذلك لتلف ماله ووبالا يتها محصلة واستعار
لفظ الامواج للحوادث المتواترة وقد مر ان الدعاء باخلاص مما يعد النفس للاجابة بالمطلوب
وغرضه الحث على الصدقة والزكوة والدعاء **وقال عليه السلم** لكميل بن زياد النخعي ره قال كميل اخذ
بيدي امير المؤمنين عليه السلم فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب

او غيره فحزنه او عاه احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع
اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من
المال والعلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وصنيع المال
يزول بزواله يا كميل معرفة العلم دين يدان به يكسب الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة
بعد وفاته فالعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد هلك خزان الاموال وهم احياء والعلماء
باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ها ان ههنا لعلما جما واشار
الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصبت لقنا غير مأمون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا ومستظهرا بنعم الله
على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض
من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار ليسا
من رعاة الدين في شيء اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه
اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته
وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته
حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا
روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه
آه آه شوقا الى رؤيتهم انصرف اذا شئت اقول الجبان الصوت والصعداء نفخ من النفس
لصعده المتلهف والحزين والهمج ذباب صغيره كالبعوض والرعاع الاحداث من العوام واللقن
سريع الفهم واللاقن الحاذق بالجواب والمنهوم باللذة الشره فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد المحبة له
وهو دخل لغته وفي الفصل نكت احدها انه اعاد عليه السلام وبه الفهم عنه لقوله ان هذه القلوب
الى قوله الثانية قسم الناس الى ثلثة اصناف ووجه الحصر ان الناس اما عالم او ليس والثاني
اما طالب للعلم او ليس ثم قيد كلا من الاقسام الثلثة بصفة او صفات فالاول العالم ووصفه بالرباني
نسبة الى الرب تعالى على غير قياس اي العالم علم ربوبية وهو العارف بالله تعالى وزيدت الالف
والنون فيها للمبالغة في النسبة قال الله تعالى كونوا ربانيين وقيل هو ابن ذلك لانهم يربون المتعلمين
بصغار العلوم قبل كبارها وقيل لانهم يربون العلم اي يقومون باصلاحه الثاني المتعلم ووصفه
بكونه على سبيل النجاة ولما كان العلم سببا للنجاة في الآخرة وكان المتعلم في طريق تحصيله كان
على سبيل النجاة ليصل اليها بالعلم الذي هو غايته المطلوبة والثالث العوام ووصفهم باوصاف
احدها استعار لهم لفظ الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالرعاع والحداثة لكونها مظنة الجهل
الثالث كونهم اتباع كل ناعق ملاحظة لشبههم بالغنم في الغفلة والغباوة الرابع كونهم يميلون
مع كل ريح عن ضعفهم عن التماسك في مذهب واحد والثبات عليه الخامس كونهم لم يستضيئوا بنور العلم

اسوا

وهو

وهو كونهم في ظلمة الجهل السادس ولم يلجؤوا الى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات البرهانية
التي يعتمد عليها في دفع مكاره الآخرة الثالثة في مدح العلم وتفضيله على المال من وجوه احدها ان العلم
يحرس صاحبه من مكاره الدنيا والآخرة والمال يحرسه صاحبه والفرق بين ما يكون حارسا لصاحبه
وبين ما يحتاج صاحبه الى حراسته في الفضيلة والنفع ظاهر الثاني ان العلم يزكو ويزيد بالاخراج
والانفاق لطالبيه لتذكر العالم بتعليمه ومذاكرته ما غفل منه واستنباطه ما لم يكن عنده والمال تنقصه
النفقة والاخراج منه الثالث ان صنيع المال وهو الاحسان به يزول بزوال المال والاحسان بالعلم
باق ببقائه ومنع فصل بين معقول الرابع كون معرفة العلم اي تحصيله دينا يدان به وقد علمت كونه
الاصل في الدين الخامس كونه يكسب الانسان طاعة الخلق له في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته
وهما من فضائله الخارجية السادس كونه حاكما على المال محكوما عليه اي ان تصريفه في جمعه وانفاقه
انما يكون على وفق العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع من افضليته على المال كون خزان المال
هالكين في الآخرة محكوما عليهم بذلك في الدنيا وان صدق عليهم انهم احياء كما قال تعالى الذين يكنزون
الذهب والفضة الآية واما العلماء فباقون ابدا وان فقدت اعيانهم من الدنيا صورهم في القلوب
مشاهدة موجودة الرابعة اشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة والى ان في صدره منها شيئا
كثيرا وانما يمنعه عن اظهاره عدم وجدان من يحمله عنه واهله وجواب لو محذوف تقديره لاظهرته
الخامسة استثنى من بعده وجه عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم واشار الى اربعة اصناف
منهم ووجه الحصر ان غير اهل العلم من الناس اما طالبون له او غير طالبين والطالبون اما قادرون
على القيام بالحجة وغيرها في الدين وغير الطالبين له هم المشغولون بغيره عنه فاشتغالهم اما بالانهماك
في لذاتهم وشهواتهم والانقياد لشهواتهم واما بجمع المال وادخاره فالاول هو الخبيث الموصوف
برذيلة الجربزة واشار اليه بقوله بلى اصيب لقنا الى قوله على اوليائه واشار الى وجوه عدم صلاحيته
لحمله احدها كونه غير مأمون عليه اي هو مظنة ان يذيعه الى غير اهله ويضعه في غير موضعه والغير في
قوله عليه السلام الثاني كونه مستعملا آلة الدين وهو العلم في الدنيا واستعماله فيها كالتكسب والاستظهار
بنعم الله وهي العلم على عباده كالفخر عليهم ومغالبتهم واستعمال حجج الله وما علمه منها في مغالبة اوليائه
وتلبيس الحق بالباطل والثاني منهم من لا يصلح لحمله وهو المقلد واشار اليه بقوله او منقادا الى قوله شبهة
ومنقادا عطف على لقنا واراد بالانقياد معنى الايمان به وتسليمه على سبيل الجملة واشار الى كونه
غير صالح لحمله من وجهين احدهما كونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله الثاني كونه ينقدح الشك في
قلبه لاول عارض من شبهة وذلك لعدم العلم وثباته في نفسه بالبرهان والحجة الواضحة وقوله الا لا ذا
ولا ذاك اي من حملة العلم والثالث هو المشار اليه بقوله او منهوما الى قوله للشهوة والرابع هو المشار
اليه بقوله او مغرما بالادخار وابتهاجه في معرض الذم لهما بوصفين احدهما كونهما ليسا من رعاة الدين
في شيء اي لا تعلق لهما بالدين واهله الثاني كونهما اقرب شبها بهما الانعام السائمة باعتبار غفلتها

من الدين وثمرته في الآخرة وقوله كذلك اي تقارب تلك الاحوال من عدم من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له
موت العلم بموت حامليه لان الشبهة حينئذ تقاربه الاحوال وعني بحامليه نفسه ومن شابهه يكون من اهله يومئذ
ثم استدرك بقوله اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا او مستترا مغمورا في الناس واراد
بالظاهر من شاهه يتمكن من اظهار العلم والعمل به من اوليائه وخلفائه في موضع من الارض وبالغائب
المغمور الذي لم يتمكن من ذلك قالت الشيعة هذا تصريح منه عليه السلم بوجوب الامامة في كل زمان ودوام التكليف
باقيا وان الامام قائم بحجة الله على خلقه ويجب وجوده بمقتضى حكمته وهو اما ان يكون ظاهرا معروفا بين
الناس كالذين سبقوا الى الاحسان ووصلوا الى المحل الاعلى من ولده الاحد عشر واما ان يكون خائفا
مستترا لكثرة اعدائه وقلة المخلصين من اوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله
وكم ذا استبطاء منه لصاحب الامر وتبرم من امتداد دولة اعدائه وقوله اين هم استفهام لعدد ائمة
الدين ولذلك جيبه بقوله اولئك والله الاقلون عددا وذكر في معرض مدحهم اوصافا احدها الاقلون
عددا الاعظمون قدرا عند الله الثاني ان بهم يحفظ حججه وبيناته المشتمل عليها دينه حتى يودعوها نظراءهم
ويزرعوها في قلوب اشباههم بعدهم الثالث كونهم يهجم بهم العلم على حقيقة البصيرة اي فاجاهم ودخل
على عقولهم دفعة لان علومهم لدنية حدسية وقيل ذلك على القلب اي هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم
الرابع وباشروا روح اليقين اي وجدوا لذة الانس واستلانوا ما استوعره المترفون من
الامور الشاقة كخشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة الصيام والسهر وذلك لما
وجدوه من لذة اليقين وحلاوة العرفان حتى لان عندهم السادس وانسوا بما استوحش منه
الجاهلون وهو الاحوال التي الفوها مما ذكرنا فان الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها ويستوحش من اهلها
السابع وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى عاشقة لما شاهدته من جمال حضرة الربوبية
وصحبة الملأ الاعلى من الملائكة وخاتمتهم بالاوصاف المذكورة اشار في معرض مدحهم اليه الى انهم اولا
لما استكملوا عليه من هذه الاوصاف هم خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه ثم تأوه شوقا الى رؤيتهم
وآه كلمة ترجع اصلها آوه والفصل من آوه ما نقل عنه عليه السلم وقال عليه السلم المرء مخبوء تحت لسانه
اي حاله مستورة في عدم نطقه فحذف المضاف للعلم به وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك ان مقداره
مقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لدلالته عليه كما اذا تكلم بكلام الحكماء عرف كونه حكيما او بكلام
السفهاء عرف كونه منهم وما بين المرتبتين بالنسبة وقال عليه السلم هلك امرؤ لم يعرف قدره وقد علمت
ان قدره هو مقداره في نفس الامر ومنزلته من الفضيلة وعدمها ومن لم يعرف منزلته اوشك
ان يتجاوزها فيهلك ومن لم يعرف محله من العلم اوشك ان يرتفع به فوق محله او يدعي ما لا يعرف فيقع
كالرفيع في المهالك الاخروي وربما تبعه هلاك دنياه ولزم من تجاوزه [illegible] السنة الناس وايديهم
وعاقر بذلك وقال عليه السلم لرجل سأله ان يعظه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويرجو التوبة بطول
الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها

لم يقنع

لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل عملهم
ويبغض المذنبين وهو احدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح
امن لاهيا يعجب بنفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله رخاء اعرض مغترا
تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى
بطر وفتن وان افتقر قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سأل ان عرضت له شهوة اسلف المعصية
وسوف التوبة وان عرته محنة انفرج عن شرائط الملة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ
فهو بالقول مدل ومن العمل مقل ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما يخشى الموت
ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة
غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره
لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق
في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه قال السيد ره ولو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة
وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر اقول نهاه بوجوه احدى وعشرين عن رذائل [illegible]
اي [illegible] والقنوط اليأس وعرته عرضت له وانفرج اي زال وخرج واصل الفضل [illegible] طالب الموعظة عن [illegible]
ويتضمن رذائل احدها رجاء الآخرة وثوابها بغير عمل فان ذلك تمن على الله وقد علمت ان التمني من بضائع النوكى
الثانية رجاء التوبة وارجاؤها لطول الامل فان ذلك يستلزم الانهماك في المعصية والعذاب بها في
الآخرة الثالثة ان يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو ضرب من النفاق وعمله فيها عمل
الراغبين يستلزم ان يصيبه ما اصابهم من عذاب الآخرة بها الرابعة ان لا يشبع مما يعطى منها وذلك
رذيلة الشره والحرص الخامسة ان لا يقنع ان منع وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة السادسة
ان يجمع بين العجز عن شكر ما اوتي من نعم الله وبين طلب الزيادة منها فيما بقي فيجمع بين رذيلة التفريط
من فضيلة الشكر وبين رذيلة الحرص السابعة ان يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تناهيه عنها وهو نفاق
وخداع [illegible] الثامنة ان يأمر بما يقصر عن فعله وهو كالذي قبله التاسعة ان يحب الصالحين ويقصر عن عملهم
وتقصيره كالنقض على محبته لهم العاشرة ان يبغض المذنبين وهو احدهم فيكون فعله كالنقض على بغضه
لهم الحادية عشر ان يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له من كثرة الذنوب فاقامته على
ذنوبه كالنقض على كراهيته لموته لاجل ما يلزمها من العذاب الاخروي الثانية عشر ان يجمع بين
ندمه حال سقمه على تفريطه في جنب الله وبين لهوه في لذته حال امنه وهو ايضا كالمتناقض الثالثة عشر ان
يعجب بنفسه حين عافيته فان العجب من المهلكات الرابعة عشر ان يقنط اذا ابتلاه ربه وييأس من رحمته
وذلك كما قال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الخامسة عشر ان يجمع بين دعائه
باضطرار اليه عند نزول البلاء به وبين الاعراض عنه والاغترار بالدنيا عند اصابته لرخاء فالاول
رذيلة افراط والثاني رذيلة تفريط السادسة عشر ان يجمع بين الانتصار لنفسه والانقياد لها في الظن

فايدة من الامور الدنيوية وبين عدم قدرها وقيمتها الى ما يستيقنه من ثواب الآخرة وعذابها فلا يرضى بالعمل
لذلك فان ذلك عند العقل سفه وجنون الثالثة عشر ان يجمع بين الخوف على غيره من ذنوب هي اقل
من ذنوبه وبين الرجاء لنفسه ثوابا اكثر مما يستحق على عمله فان الحق من ذلك ان يخاف على نفسه اكثر من الخوف
على غيره لاكثرية ذنوبه ويعمل لذلك الخوف الرابعة عشر ان يبطر ويفتتن ان اصاب غنى فان ذلك يجر
الى [illegible] عشر ان يقنط ويضعف ان افتقر وهو رذيلة تفريط [illegible] العشرون ان يقصر في العمل الحادية
والعشرون ان يبالغ اذا سأل وهو رذيلة الالحاف في السؤال الثانية والعشرون ان يقدم المعصية
ان عرضت شهوته ويؤخر التوبة منها الثالثة والعشرون ان يجمع بين وصف العبرة وبين عدم الاعتبار
الخامسة والعشرون ان يبالغ في الموعظة ولا يتعظ فان ذلك يدخل في مقت استحقاق لقوله كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون السادسة والعشرون ان يجمع بين المنافسة فيما يفنى وهو الدنيا
والمسامحة فيما يبقى وهو ثواب الآخرة وهو جهل وسفه السابعة والعشرون ان يرى الغنم مغرما
كالانفاق في سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق في معصيته وهو عكس مقتضى العقل الثامنة والعشرون
ان يجمع بين خشية الموت وعدم مبادرته بالاعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من اهوال ما بعده
التاسعة والعشرون ان يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه وكذلك يستكثر من طاعته ما يحقره
من طاعة غيره ويلزم من ذلك ان يكون طاعنا على الناس في اعمالهم ومداهنا لنفسه في عملها الثلثون ان
يكون اللهو مع الاغنياء احب اليه من الذكر مع الفقراء وذلك لغلبة محبة الدنيا الحادية والثلثون ان
يحكم لنفسه على غيره فيما يشتهيه وان كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانية والثلثون ان يجمع
بين ارشاد غيره بالهداية من القول وبين اغواء نفسه بفعلها اي يعمل عمل الغاوين ويلزم ذلك ان يطيع
غيره وهو يعصي الله الثالثة والثلثون ان يستوفي ماله على غيره ولا يوفي ما عليه من حق الله اي في خلقه
الرابعة والثلثون ان يجمع بين خشية الخلق في غير الله اي في امر ليس لله وبين عدم خشية الله في خلقه
ويلزم الاول ان يرضيهم بما يسخط الله ويلزم الثاني ان يسخط الله بما يسخط خلقه والكلام مشتمل على علم
المطابقة في التقابل والتضاد ورد العجز على الصدر وقال عليه السلام لكل امرئ عاقبة حلوة او مرة واشار
الى غاية من حركاته الخيرية والشرية فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة الحلوة وغاية الشرية النار
وعذابها وهي العاقبة المرة واستعار لفظي الحلوة والمرة للذيذ والمكروه وقال عليه السلام لكل مقبل
ادبار وما ادبر كأن لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض التزهيد والمقبل من شدائدها
في معرض تهوينها وتسهيلها وكأن من اخوات ان مخففة واسمها محذوف وقال عليه السلام لا يعدم الصبور
الظفر وان طال به الزمان الصبور كثير الصبر ورغب فيه بما يلزم من الظفر وان تأخر وذلك
عند كمال استعداد الصبور بالصبر وقوته وقال عليه السلام الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى
كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضا به ووجه التشبيه اشتراكهم في الرضا به المستلزم لميل
اليه ومناسبته للطبع ونوع من الدخول في ابطاله بما يلزم من الاثمين اما اثم العمل فظاهر واما اثم الرضا

فان

فان الرضا بالباطل يستلزم محبته وهي رذيلة واثم وقال عليه السلام اعتصموا بالذمم في اوتادها فالزموا العهود
والعقود والايمان واستعار لفظ الاوتاد لشرائط العهود واسباب احكامها كالاوتاد [illegible] وحافظ
لها واراد استعيذوا من سخط الله وعذابه بحفظ الذمم في اوتادها فان العصمة منه يكون في اسباب
حفظها وفي متعلق باعتصموا وروي استعصموا وقال عليه السلام عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته يريد
وقيل هو ائمة الحق [illegible] من تجب طاعته من ائمة الحق الذين يجب العلم بحقية امامتهم ولا تعذرون في الجهل بهم
لعلم قوانين الدين واحكامه منهم وقال عليه السلام قد بصرتم ان ابصرتم وقد هديتم ان اهتديتم واسمعتم
ان استمعتم اي قد بصرتم سبل الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلالة عليها ان كان لكم استعداد ان تبصروا
وتسمعوا وتهتدوا اليها وقد مر مثله وقال عليه السلام عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام
عليه اي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام في حقه فانهما انفع في عطف جانبه
اليك ودفع شره عنك والعتاب مستعار للاحسان لاستلزامها رجوع المعاتب وقال عليه السلام
من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه هو السبب في اساءة الظن به فلا لوم على من
اساء به الظن فان ظنه ذلك مستند الى امارة من شانها توليد الظن وقال عليه السلام من ملك استأثر
ملك استأثر اي استبد واراد ان الملوك من شانهم الاستبداد بالامور المرغب فيها والانفراد
وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لقواهم الامارة بالسوء حينئذ وهي كالمثل يضرب لمن غلب على امر فاختص
به ومنعه غيره الثانية ومن استبد برأيه هلك لان انفراد الانسان برأيه وعدم قبول النصيحة والمشاورة
في الحرب ونحوها مظنة الخطأ المستلزم للهلاك كما قال من استبد برأيه فهو في مظنة الهلاك
في قيام الملك مقام مظنته مجازا اطلاق [illegible] بالفعل على ما بالقوة الثالثة ومن شاور الرجال شاركها
في عقولها وذلك انه يستنتج منها الرأي الاصلح فيعمل به فكان عقول الرجال بأسرها حاصلة له لانتفاعه
بثمرتها وهو ترغيب في الاستشارة وقال عليه السلام من كتم سره كانت الخيرة بيده وهو ترغيب
في كتمان السر اي كان مختارا في اذاعته وكتمانه بخلاف من اذاع سره فانه لا يمكن بعد ذلك من كتمانه
وقال عليه السلام الفقر الموت الاكبر استعار لفظ الموت بوصف الاكبر اما كونه موتا فلانقطاع الفقير
من شهواته ومطلوباته التي هي مادة الحيوة وتمامها لفقدها واما انه اكبر فلتعاقب آلامه على الفقير وتجددها
واما الم الموت ففي وقت واحد وهو مبالغة في شدته وقال عليه السلام من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده
عبده اراد قضاء الحق من الاخوان وانما كان كذلك لان قضاء الحق عنه لمن لا يقضي حقه لا يكون لوصول
نفع منه ولا لدفع مضرة منه بل يكون حالا له هو اذ خوفا منه او طمعا فيه وذلك صورة عبادة
وقال عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وذلك كالوضوء بالماء المغصوب والصلوة في الدار
المغصوبة ويحمل النفي هنا على نفي جواز الطاعة كما هو المنقول عنه وعن اهل بيته عليهم السلام وعند الشافعي
قد يصح الطاعة والنفي لفضيلتها وقال عليه السلام لا يعاب المرء بتأخير حقه انما يعاب من اخذ ما ليس له
اخذ حق قد يكون واجبا [illegible] وقد يكون مندوبا واجلاله يكون مباحا ولا حرج في امر المباح واما اخذ

ما ليس له خطر وهو من قبيح الرذائل التي يعاب بها المرء وقال عليه السلام الاعجاب يمنع من الازدياد اعجاب
المرء بفضائله الداخلة كعلم او الخارجة كغناه وقنيته انما يكون من تصوره كمالها فيها واعتقاده انه قد بلغ منها الغاية
والاعتقاد ويمنعه من طلب الزيادة منها وقال عليه السلام الامر قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله
وهو الموت والاصطحاب في الدنيا وقال عليه السلام قد اضاء الصبح لذي عينين هو تمثيل واستعار لفظ
الصبح لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها وظهورها بوضع الشرائع ودلالته عليها ويحتمل ان يكون
ذلك تمام وصف سبق منه للحق كان سائلا سأله عن امر فشرحه له مرة او مرارا وهو يستزيده فقال له
هذا القول اي قد وضحت لك الحق ان كنت تبصر وقال عليه السلام ترك الذنب اهون من طلب التوبة
اذ الترك لا كلفة فيه لكونه عدما وطلب التوبة من الله يحتاج الى استعداد شديد يصلح معه العبد لقبولها
منه والافاضة العفو عليه وقال عليه السلام كم من اكلة منعت اكلات وهو يجري مجرى المثل يضرب لمن يفعل
فعلا يكون سببا لحرمانه ما كان ينال من خير سابق واصله ان الرجل يمتلي من الطعام فيتخم ويمرض فيحتاج
الى الحمية والامتناع من الاكل ونحو معناه من نال شر ملكه وليبعد بالانبساط معه فخفظ في انبساطه عليه
فيكون ذلك سببا لبعده عنه وزوال سعادته منه وقال عليه السلام الناس اعداء ما جهلوا الجهل
بالشيء مستلزم لعدم تصور منفعة العلم به فيحصل الجاهل من ذلك على اعتقاد انه لا فائدة في تعلمه
فيستلزم ذلك مجانبته له ثم يتأكد ذلك التجنب والبعد بكون العلم اشرف فضيلة يفخر بها اهله على الجهال
ويكون لهم بها الحكم عليهم وانتقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار مع احتقار الجهال لكمال اهل الفضيلة فيشتد
لذلك تجانبهم للعلم واهله وعداوتهم لهذه الفضيلة وقال عليه السلام من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع
الخطأ لا شك ان المتصفح لوجوه الآراء والمفكر في ايها اصوب لا بد ان يعرف مواقع الخطأ في
الامور ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر في استصلاح الاعمال قبل الشروع فيها
وقال عليه السلام من احد سنان الغضب لله قوي على قتل اشداء الباطل لما كان الله تعالى هو العزيز
المطلق كان استناد قوة الغضب لدينه والحمية له الى عزته وصولة الغاضب لتعززه ابدا اشد
بكثير من صولته بدون ذلك الاستناد ووجب لذلك القوة بعزة الله يكون ضعفها بالاستناد
الى الباطل المضاد لدينه ولذلك ما قهر اولياء الله على قلتهم في مبدأ الاسلام اعداءه على كثرتهم واتفاق
هو عليه السلام قلع باب خيبر على شدته وقتل جبابرة العرب واستعار لفظ السنان لحدة الغضب
باعتبار استلزامها لنكاية في العدو ورشح بذكر الحد وقال عليه السلام اذا هبت امرا فقع فيه فان
شدة توقيه اعظم مما تخاف منه ان النفوس فيما تتوقع مكروهه [illegible] فكرا عظيما في كيفية
دفعه والخلاص منه وذلك اصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتأكده بتوقع
الامر المخوف ورغبة في الوقوع فيه لتصغير صغراه قوله فان الخ وتقدير كبراه وكلما كان اعظم
مما يخاف من الشيء فينبغي ان يعدل عنه الى الوقوع فيه فينتج ان شدة توقيه ينبغي ان يعدل عنها
الى الوقوع فيه وقال عليه السلام آلة الرياسة سعة الصدر سعة الصدر فضيلة تحت الشجاعة وهي ان لا [illegible]

الا ان قوة التجلد عند ورود الاحداث المهمة عليه واعتلاجها او لا يكاد يدهش فيها بل يحتملها ويستعمل الرأي
في معناها وقد يسمى ذلك رحب الذراع وهي من اعظم لوازم الرياسة الحقة التي ينبغي لها اذ الرياسة
مظنة ورود الاحداث المهمة والخطوب العظيمة واحوال الخلق المختلفة فمن لم يكن متحملا لهذه الامور وسيع
الصدر بها فلا بد ان يكاد يرجها ويدهش فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها ويلزم ذلك فسادها وذهاب دولته
وزوال رياسته وقال عليه السلام ازجر المسيء بثواب المحسن لعلم المسيء جزاء المحسن باحسانه يدعوه الى
الاحسان والرجوع عن الاساءة فكانت المجازاة بالاحسان كالزجر للمسيء في استلزامها تداعيه الى تركها
فاستعير لفظ الزجر لها وقال عليه السلام احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك اطلب ما ثبت الشر
في صدر العدو بسبب ما تجده في صدرك من اضمار الشر له وظن ذلك فيه وذلك ان التخيل والظن لا بد
ان يكون عن امارة كحركات عدوه وفلتات لسانه بالقول في حقه ما دامت عداوته واضمار الشر له
قائما في صدره فاذا محا ما اضمر له من العداوة والشر زالت امارات ذلك من لسانه ووجهه ووجب
ذلك نقص تخيل العداوة وضعف سوء ظن العدو به ولا يزال يتأكد بعدم تلك الامارات وظهور
حاله او مقابلته تظهر منه الى ان يمحي ذلك الظن في حقه واستعار لفظ الحصد لازالته ملاحظة
لشبهه بالزرع في زيادته ببقاء تلك الامارات من عدوه وتواترها ونقصانه وعدمه بعدمها
وقال عليه السلام اللجاجة تسل الرأي اي تأخذه وتذهب به وذلك ان الانسان قد يطلب شيئا
والرأي الحق هو اتيانه في طلبه وانتشبت فيه فحمله طبعه على اللجاجة فيه حتى يكون ذلك سببا لفواته
واستعار لفظ السل له ونسبه الى اللجاجة مجازا باعتبار انها هي المعونة له فكأنها اخذته وذهبت به
وقال عليه السلام الطمع رق مؤبد استعار لفظ الرق للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبد للمطموع فيه
والخضوع له كالرق وقيامه بعده باعتبار دوام التعبد بسببه فان الطامع دائم العبودية لمن يطمع
فيه ما دام طامعا وهو في ذلك كالدائم من الرق وقال عليه السلام ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط
الندامة التفريط اضاعة الحزم في الامور ولما عرفت ان الحزم عبارة عن تقديم العمل للحوادث الممكنة
المستقبلة بما هو اقرب الى السلامة وابعد من الخوف لا جرم كان ذلك مظنة السلامة ومنها كانت
اضاعته والتفريط في العمل لما يستقبل من الحوادث مظنة الوقوع فيها وعدم السلامة من بلائها وهو
مستلزم للندامة على التفريط فيها فكانت الندامة من ثمراته وقال عليه السلام لا خير في الصمت عن الحكم
كما انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن النطق بالحكمة طرف تفريط من فضيلة القول والنطق عن الجهل
رذيلة مضادة لها والحق العدل وهو النطق بالحكمة وهو الفضيلة النطقية وقال عليه السلام ما اختلفت دعوتان
الا كانت احداهما ضلالة لان الاختلاف الحقيقي انما يكون بين النقيضين ولما كانت الدعوة اما الى الحق وهو سلوك
سبيل الله او الى غيره وكان كل ما عدا الحق مما يدعى اليه فهو ضلال عن الحق وعدول عن سبيل الله لا جرم
لم تختلف دعوتان الا كانت احداهما حقا والاخرى ضلالة ومستلزمة للضلال وهذا يستلزم بطلان
كون كل مجتهد مصيبا ومذهبه المنقول عنه عليه السلام ان الحق واحد وفي جهة والمصيب له واحد وقال عليه السلام

ما شككت في الحق مذ أُريته من كان له استعداد ودرك الحق كمثله عليه السلام ورسّاه رسول الله صلى الله عليه وآله
في اعداده وتربيته وطول صحبته لمثل ذلك الاستاد وكصحبته فمحال ان يعرض له شك في امر يرى انه
ويجزم من الحق وقال عليه السلام ما كَذبتُ ولا كُذِّبتُ ولا ضَلَلتُ ولا ضُلَّ بي اما عدم كذبه وضلاله فلمرتبته
من حين الطفولية بالصدق ومكارم الاخلاق حتى صار ذلك ملكة له تنافي الكذب والضلال وتعصم
منها واما كونه لم يكذب فيما اخبر به من الحوادث المستقبلة والعلوم الغيبية ولم يضل به فلكون المخبر بها
هو الرسول صلى الله عليه وآله والعصمة منافية لهما وتستلزم لهداية المدلول وعدم زيغه وقال
عليه السلام للظالم البادي غداً بكفّه عضّةٌ اخبر بان البادي من المجازي بالظلم مثله وكنى بعض ندمه يوم القيمة
وبعض كفه عن ذلك ندمه على تفريطه في جنب الله كقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه والغرض
التنفير عن الظلم وقال عليه السلام الرحيل وشيك اي قريب واراد الرحيل الى الآخرة في معرض الوعظ
والتخويف بالموت وقال عليه السلام من ابدى صفحته للحق هلك اي من تجرد لنصرة الحق في مقاتلة كل
احد هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم وغلبة حب الباطل على نفوسهم وكنى بابداء صفحته عن اظهار
نفسه ونصب لذلك وقد مر بيانه وقال عليه السلام من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع قد تكون المصيبة عظيمة
تستلزم الهلاك لصاحبها بحيث ان يقابل الجزع فيها بصبر ينجي من الهلاك والتقدير من لم يصبر على المصيبة
لينجو فجزع هلك ويحتمل ان يريد الهلاك الاخروي اي من لم ينجه فضيلة الصبر هلك برذيلة الجزع
وهو تنفير عن الجزع وحث على الصبر وقال عليه السلام واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة
والقرابة ويروى عنه عليه السلام شعر في هذا المعنى: فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف
بهذا والمشيرون غيّب وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب وروي
هذا القول عنه بعد بيعة عثمن وهو صورة جواب ما كان يحتج به من تعليل استحقاق عثمن الخلافة تارة
بالشورى وتارة بانه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وتقريره ان استحقاقه للخلافة اما
ان يكون معللا بالشورى او بصحبة رسول الله ص فان كان الاول فكيف يملك عثمن امر الناس بالشورى
والاكثر ممن يستحق الاستشارة منهم لم يكونوا حاضرين وذلك هو اشارته بقوله فان كنت بالشورى
تمام البيت وان كان الثاني فكيف يملك امورهم بالصحبة بوجود من له الصحبة التامة والقرابة معا
بل يكون هذا اولى وان كان الاثات غيره اولى منه بالنبي واقرب اليه وعنى نفسه في الوصي
وقوله فكيف ملكها بهذا اي وقال عليه السلام انما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا
ونهب تبادره المصائب ومع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص ولا ينال العبد نعمة الا بفراق
اخرى ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله فنحن اعوان المنون وانفسنا نصب الحتوف
فمن اين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا اسرعا الكرة في هدم ما بنيا
وتفريق ما جمعا الانتضال الرمي وهذا اصل لطيف من الموعظة وقد اشتمل على ثمان كلمات ونظر
الاولى انه استعار لفظ الغرض للانسان باعتبار رميه عقد مات المنايا وهي اسبابها من الامراض والاعراض

المهلكة

المهلكة ووصف الانتضال لذلك الرمي كان المنايا هي الرامية الثانية استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب
باعتبار سرعة المصائب الى اخذه الثالثة كنى عن تنغيص لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الاعراض
والامراض بقوله مع كل جرعة الى قوله غصص الرابعة كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى وذلك لان النعمة
الحقة هي اللذة وما يكون وسيلة اليها نعم بواسطتها وظاهر ان النفس في الدنيا لا يمكن ان يحصل لها
اللذتين دفعة بل ما لم ينفصل عن لذة اولا ويتوجه نحو اللذة الحادثة لم يحصل لها الالتذاذ بها الخامسة ولا
يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله لان طبيعة الزمان الانقضاء والسيلان السادسة كوننا
اعوان المنون باعتبار ان كل نفس وحركة من الانسان في تقريبه الى اجله فكانه ساع نحو اجله ومعين
عليه السابعة كون نفوسنا نصب الحتوف ونصب بمعنى منصوبة كالغرض الثامنة الاستفهام عن جهة رجاء
البقاء استفهام انكار لوجوده مع وجود الزمان الذي من شانه انه لم يرفع لشيء شرفا ويجمع له امرا شملا
الا اسرع العود في هدم ما رفع وتفريق ما جمع اي اعد لفنائه كما اعد لا وله وقال عليه السلام يا ابن آدم
ما كسبت فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك اذ اكتساب الزيادة على القوت والمؤنة بقدر الحاجة.
والادخار لغير نافع بل مضر لما فيه من ضرورة مفارقته ما ادخره ووصوله الى الوارث وغيره
فهو اذن يشبه الخازن فاستعار لفظه له وهو تنفير عن البخل بالفضل من المال عن قدر الحاجة
وقال عليه السلام ان للقلوب شهوة واقبالا وادبارا فأتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب
اذا اكره عمي اراد باقبالها اقبال الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه وامر باعمال النفوس فيما ينبغي
اعمالها فيه من ذكر ونظر وحملها على ذلك حين ميلها اليه واقبالها عليه لان ذلك باعث لها في القوى النفسانية
ومعاونته ومواتاته للنفس ونفر عن حملها عليه مع النفرة منه والكراهية له بضمير صغراه قوله فان
القلب اذا اكره عمي اي ان اكراه النفس على الفكر في الشيء حين نفرتها عنه عن ملال او ضعف قوة
ونحوه يزيده كراهية له ونفرة ويقوم لها بذلك مانع من الوهم والخيال عن ادراك ما تفكر فيه
فلا يدركه وان كان واضحا حتى يكون كالاعمى ولذلك استعار له وصف الاعمى وتقدير كبراه وكلما
كان حاله في الكراهية على الشيء فلا يجوز اكراهه وقال عليه السلام متى اشفي غيظي اذا غضبت احين اعجز
عن الانتقام فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه فيقال لي لو غفرت استفهم عن وقت جواز شفاء
الغيظ استفهام انكار لوجوده في معرض التنفير عن هذه الرذيلة ونفر عنها بقوله احين الخ وذلك انه
اما حين العجز عن الانتقام او حين القدرة عليه وشفاء الغيظ في الوقت الاول لا يجوز لانه يكون
بالسب والشناعة وتقطيع العرض ونحوه وذلك يستلزم ملامة الخلق وتعنيفهم وقولهم في الحث على فضيلة
الصبر لو صبرت لكان اولى وفي الثاني ايضا لا يجوز لاستلزام الشروع في العقوبة لوم الخلق
والعدول عن فضيلة العفو التي هي اولى وقول الناس عيبا لو عفوت وان العفو لك اولى وقال عليه السلام
وقد مر بقذر على مزبلة هذا ما بخل به الباخلون وفي خبر آخر انه قال هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالامس
اشار اليه بذلك لانه غاية ما بخل به الباخلون وتنافس الناس فيه من المال والطعام اقامة لغايته مقام ذي الغاية

وقال عليه السلم لم يذهب من مالك ما وعظك اى القدر الذى يذهب من مالك على طريق امتحان الله وابتلائه
لك بامر فيه فيحصل لك بذهابه موعظة لا يعد ما ذاهبا بل كانه باق لبقاء منفعته وشرف ثمرته وهى
الموعظة وقال عليه السلم ان كلام الحكماء اذا كان صوابا كان دواء واذا كان خطا كان داء وقد مر تفسيره وقال عليه السلم
فى صفة الغوغاء وهم العوام هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا وقيل بل قال عليه السلم هم الذين
اذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال يرجع اصحاب المهن
الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه المهنة الحرفة
والفصل ظاهر وقال وقد اتى بجان ومعه غوغاء فقال لا مرحبا بوجوه لا ترى الا عند كل سوأة اى لا ترى
مجتمعة الا فى العوام لا تجتمع غالبا الا فى مثل ذلك كما قال الخطيب فى اغلب الاحوال والسوءة الفعلة من السوء
وقال عليه السلم ان مع كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة
اى اذا جاء القدر بموته وفى القضاء الالهى وهو كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم
الموت الاية واستعار لفظ الجنة بوصف الحصينة للاجل قد بنا ذلك فى قوله وان على من الله جنة حصينة
وقال له طلحة والزبير نبايعك على انا شركاؤك فى هذا الامر فقال لا ولكنكما شريكان فى القوة والاستعانة
وعونان على العجز والاود الاود الاعوجاج وقوله عونان على العجز والاود اى دفع ما يعرض منهما
او حال وجودهما لان كلمة على ينبه لكل وقال عليه السلم ايها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان
اضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم رغب فى
تقوى الله والخشية منه باعتبار سمعه لما يقول العبد وعلمه بضميره فحذف المفعولين للعلم بهما اى لكل مقالكم
وعلم ضميركم ورغب فى مبادرة الموت ومسابقته بالاعمال الصالحة الى حفظ النفوس بها من عذاب
الآخرة وهول الموت ونبه على مبادرته بكونه لا ينجو منه احد واستعار لوروده
على الانسان لفظ الذكر فى مقابلة النسيان ملاحظة لشبهه بالقاصد لمن علم به وقال عليه السلم
لا يزهدنك فى المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشىء منه وقد تدرك من شكر
الشاكر اكثر مما اضاع الكافر والله يحب المحسنين نهى عن الزهد فى المعروف بسبب عدم شكر المحسن اليه
ورغب فيه بضمائر ثلثة صغرى الاول قوله فقد يشكرك عليه الى قوله منه وذلك لمحبة الناس للمحسنين
والمحسنين وتقدير كبراه وكلما يشكرك عليه من لم يستمتع بشىء منه فواجب ان تفعله وصغرى الثانى قوله
وقد تدرك الى قوله الكافر اى قد يحصل لك من شكر من لم تحسن اليه اكثر مما اضاعه كافر نعمتك ومن
شكر احسانك اليه وتقدير كبراه وكلما ادركت من شكرك بسببه اكثر مما اضاع الكافر فواجب
ان تفعله وصغرى الثالث قوله والله يحب المحسنين اى لاحسانهم وتقدير كبراه وكلما يحبه الله
لفعل فواجب ان يدخل العاقل فى زمرته ويتقرب الى الله بمثل فعله وقال عليه السلم كل وعاء يضيق
بما جعل فيه الا وعاء العلم فانه يتسع به الاوعية المحسوسة لما كانت متناهية الاتساع فمن شانها ان
يضيق بما يجعل فيها واوعية العلم معقولة وهى النفوس وقوة ادراك العلوم فيها غير متناهية

وكل

وكل مرتبة من ادراكها تعدها لما بعدها الى غير النهاية فلا جرم ان يتسع بالعلم ويزيد بزيادته وقال
عليه السلم اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل ويحتمل ان يريد من عدم حلمه اذ العوض
يكون عن شىء فات كالطيش ونحوه فحذف المضاف وحسن ترغيبه فى هذه الفضيلة بما يلزمها من نصرة
الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه وقال عليه السلم ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم
الا واوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيلة فان مبادى الملكات الخلقية حالات تكتسب بالتعلم
ورغب فيه بضمير صغراه قوله فانه قل الى والضمير فى انه ضمير الشان وتقدير الكبرى وكل من
اوشك ان يكون من اهل الحلم بتعلمه فواجب ان يتعلم وقال عليه السلم كلمات احدها من حاسب نفسه
ربح لان المحاسب لنفسه على اعمالها يعلم خسرانه من ربحه فيعمل الربح ويحترز من الترك المستلزم للخسران
الثانية ومن غفل عنها خسر وذلك ان قربها من اللذات الحاضرة يستلزم ميلها اليها ما لم تجذب عنها
بالجواذب الالهية من الزواجر والمواعظ المذكرة فالغفلة عن جذبها وتنبيهها من مراقد الطبيعة
بتذكير وعد الله ووعيده يستلزم اهمالها للاعمال الصالحة التى يلزمها ربح السعادة الاخروية
والحصول على تركها ذلك هو الخسران الثالثة ومن خاف امن من عذاب على المخلص منه ليامن الخوف
الرابعة ومن اعتبر ابصر اى من نظر مواقع العبرة بعين الفكر والاعتبار ابصر الطريق الى الحق
ومن ابصر فهم الامور منها اليه ومن فهم ذلك حصل له العلم النافع بالحق وقال عليه السلم لتعطفن
الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الضروس الناقة سيئة الخلق تعض حالبها
ليبقى لبنها لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار اعدادها المنع
منا ملاحظة لشبهها بالفرس الذى يمنع ظهره ان يركب وشبه عطفها بعد ذلك عليهم واعدادها
تمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة العطف والاستشهاد بالآية ظاهر
وقال عليه السلم اتقوا الله تقية من شمر تجريدا وجد تشميرا واكمش فى مهل وبادر عن وجل ونظر
فى كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع الكمش اسرع والمهل الامهال والكرة الرجعة والموئل
الملجأ والمغبة العاقبة واراد اتقوا الله كتقية من شمر عن ساق الجد فى طاعة الله وجرد نفسه لمرضاته
تشميرا او سارع بالاعمال الصالحة ما دام فى مهلة الحيوة الدنيا وبادر مغفرته فى وجل من ثمرات
سيئاته وفكر فى عوده الى الملجأ الاول الذى منه بدا وهو حضرة الربوبية وكذلك عاقبة المصدر
الذى عنه صدر فى ابتداء كونه واليه يعود ومغبة المرجع من خير محصول عليه او شر يعمل للخلاص
منه وقال عليه السلم ثلث عشر كلم احدها الجود حارس الاعراض واستعار لفظ الحارس باعتبار
ان الجود يقى عرض صاحبه من السب كالحارس الثانية والحلم فدام السفيه والفدام ما يسد به
فمه واستعار لفظ الفدام للحلم باعتبار ان الحليم اذا قابل السفيه بحلمه عن عقوبته سكت عنه واقلع عن سفهه
فى حقه فاشبه الفدام له الثالثة والعفو زكوة الظفر استعار لفظ الزكوة للعفو باعتبار انه فضيلة

ومن ابصر فهم ومن فهم علم ع

يستلزم زيادة الثواب في الآخرة ولحظ في ذلك شبه الفقر بالمال الواجب زكوته وهو ترغيب في العفو الرابع
والعفو عن ذنب من قدر وهو امر للانسان بالسلو عن الم سبب غضب من يطلب وفاء درغ فيه بكونه عوضا عن
دنو العوض اللامتة والاستشارة عين الهداية الامرية فلايزوى مستلزمة للهداية اليها وجعلها عينها تأكيدا
لقوة استلزامها لها السادسة وقد خاطر من استغنى برأيه اي اشرف على الهلاك من استبد برأيه لان
ذلك مظنة الخطأ المستلزم للهلاك وهذه في مثل السابعة والصبر يناضل الحدثان استعار لفظ المناضلة
للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في المصائب الثامنة والجزع من اعوان الزمان معد للهدم والفنا
والجزع يعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس بكمالات
النفسانية من الحكم ومكارم الاخلاق وهو يستلزم ترك المنى والامال اذ اجتماعها مع المنى المستلزم لحمق
اذ هو اشتغال النفس بما لا ينبغي عما ينبغي وللافراط في محبة الدنيا مع كثير من الرذائل كالحرص والحسد
والشره ونحوها فيلزم من ذلك اجتماع الضدين الفضيلة والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير عند هوى
امير العقل اما ان يقوى على قهر النفس الامارة بالسوء ويصير صاحب ما يراه او يقاوما
لما فيه له ومرة عليه او يكون مقهورا ومغلوبا لها والاول هو العقل المطيع في القوى بأمره
والمجتمع الثاني من وجه واما الثالث فهو العاصي بانقياده لهواه فهو كالاسير له وهو القسم في عالم
الانسان لحضور اللذات الحسية دون العقلية فلذلك اخبر عنه بكم الخبرية الحادية عشر ومن التوفيق حفظ
التجربة اي ازدهاها وما ... لغاية الانتفاع بها وظاهر ان ذلك من توفيق الله اي تسهيله اسبابها
وتقديره لتوافقها ذوق العبد الثانية عشر والمودة قرابة مستفادة لان القرابة اسم القرب
وهو اما ان يكون اصليا كقرب النسب او مستفادا مكتسبا كقرب الصداقة والمودة الثالثة عشر
ولا تأمنن ملولا لان الملول يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السر ونحوها فمن
الحزم اذن ان لا يؤمن على شيء من ذلك وقال عليه السلم عجب المرء بنفسه احد حساد عقله استعار له
لفظ الحاسد باعتبار انه يؤثر في منع العقل عن ازدياد الفضيلة والاستكثار منها كما يؤثر الحاسد
لحسده في حال المحسود وتنقيصه وقال عليه السلم اغض على القذى والالم ترض ابدا الاغضاء على القذى
كناية عن كظم الغيظ واحتمال المكروه وهو فضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة الدنيا ممزوجة بالمكاره
لم يخل الانسان في اكثر احواله من ورودها عليه فلم يقابلها بالاحتمال بل بالسخط والغضب والتبرم
بها لم يزل ساخطا ناحيا بغضبه لدوام ورود المكاره عليه وقال عليه السلم من لان عوده كثفت
اغصانه استعار لفظ العود لطبيعته وكنى بلينه عن التواضع وكذلك استعار لفظ الاغصان للاعوان
والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرته وقوته بهم والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع
ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه وقوي باجتماعهم عليه وقال عليه السلم الخلاف يهدم الرأي واصله
ان رأي الجماعة يجتمع على امر لكون المصلحة فيه فيقع من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجمعوا عليه ورأوه
من المصلحة كما رأى عليه السلم هو وجماعة من اصحابه عند رفع اهل الشام المصاحف في ليلة الهرير من

اتمام

اتمام القتال وهو المصلحة فهدم ذلك الرأي من خالف فيه من اصحابه حتى وقع بذلك ما وقع وقال عليه السلم من نال
استطال اي من نال ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان او مال استطال بسبب ذلك اي كان في مظنة
ان يستطيل على غيره بما ناله فاقام ما بالقوة مقام ما بالفعل وصدق بالفعل لان كلام الخطيب مطلق
يصدق ولو بمرة والكلمة تجري مجرى المثل وقال عليه السلم في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب
احوال الدنيا على المرء كرفعته بعد اتضاعه وبالعكس وكتزلزل الشدائد به يفيد العلم التجربي باحواله الباطنة
من خير وشر وجلادة وضعف وخسة ورذالة ونحوه ما قيل الولايات مضامير الرجال وقال عليه السلم
حسد الصديق من سقم المودة المودة الخالصة تستلزم ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد لنفسه
ويكره له ما يكرهها والحسد ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال الخير عن المحسود فمودة الحاسد اذن مدخولة
غير صحيحة وهو المراد بسقمها وقال عليه السلم اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع العقل من شأنه
الذي ينبغي له ان يقاوم النفس الامارة ويكسرها ويصير صاحب ارائه الصالحة ومن شأن النفس
مخادعة العقل وغروره بزينة الحيوة الدنيا وقنياتها واطماعه بها فالعقول الضعيفة غير المؤيدة اكثر
ما تنخدع وتنصرع في حروبها لنفوس الامارة اذا لاح لها مطمع وهمي من الدنيا فاستعار لفظ المصارع
للعقول ملاحظة لقهرها عن النفوس وانفعالها فاشبهت في الذلة والانقياد لها وترك مقاومتها المقهور
المصروع من حرب وكذلك استعار لفظ البروق لما لاح من تصور المطموع فيه وكثيرا ما تشبه العلوم والخواطر
الذهنية بالبروق للطفه وضيائه وسرعة حركته واما قال تحت لان المصارع من شأنها ان تكون تحت
وقال عليه السلم ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن اي من كان عندك ثقة معروفا بالامانة فحكمك
عليه بالخيانة عن ظن خروج عن العدل وهو رذيلة الجور وقال عليه السلم بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد
لان الظلم رذيلة عظيمة متعدية الاذى مستلزمة للشقاء الاشقى فهي بئس الزاد اذن ولفظ الزاد
مستعار باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس الى الآخرة كالزاد وقال عليه السلم من اشرف افعال
الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله واغضاؤه عما يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم لاستلزام ذلك فضائل
كاحتمال المكروه والحلم والعفو والصفح وكلها فضائل يلزم الكرم لانه قد يراد به امساك الانسان عن المبادرة
الى قضاء وطر الغضب فيمن يغضبه وما استلزم هذه الفضائل فهو من اشرف الافعال وقال عليه السلم
من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه استعار لفظ الثوب لما يشمل الانسان من الحياء ورشح بذكر الكسوة
والمراد ان فضيلة الحياء تستلزم ترك المعايب فلا يرى في صاحبه ان ارتكب ما يعاب به من الرذائل
على غاية من التستر به والاخفاء وهو مظنة ان لا تراه الناس وقال عليه السلم بكثرة الصمت
تكون الهيبة وبالنصفة يكثر المواصلون وبالافضال تعظم الاقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال المؤن
يجب السودد وبالسيرة العادلة يقهر المناوي وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه اشار عليه السلم الى ثماني
فضائل ورغب في كل منها بما يستلزمه من الخير احدها كثرة الصمت ونبه على كون الصامت مهابا في اعين
الناس لان الصمت من توابع العقل غالبا ومهابة اهل العقل ظاهرة فان عرف ان كثرة صمت الصامت

من مثل كانت مهابته اوكد وان لم تعرف الا كانت تجويز ان تكون من كمال عقله وقد يعرف انه نقصان
في غريزته وعيبه في الكلام ويحترم مع ذلك لعدم اختلاطه في القول الثانية النصفة وهي فضيلة العدل
ورغب فيها بما يلزمها من كثرة الواصلين لان فقراء الانصاف مستلزمة للمودة وقطعها لانفة كما قال ابو الطيب
ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوي رحم الثالثة الافضال على الخلق بما يحتاجون
اليه ويلزمه علو الاقدار وعظمها لتشييع الحاجة الى المتفضل ومحبته الرابعة التواضع ويلزمه تمام النعمة بكثرة
الاخوان واهل المودة لان فضيلة التواضع نعمة يلزمها كثرة تمام لها الخامسة احتمال المؤن ويلزمها السودد
لان احتمال مؤن الخلق يستلزم فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه ويجب ذلك تحصيل مطالب الخلق
من المحتمل غير مشوبة بشيء من كدر المقابلة بردة ومنة ونحوهما فيكثر تعبدهم له ويقوى امره وسودده فيهم السادسة
السيرة الى ذلك وتذهبها قهر المنادي والمساواة المعاداة وذلك ان العدو لا يجد لصاحب السيرة العادلة
عيبا يستظهر به عليه ويسعى به في فساد امره فيبقى مقهورا مامورا السابعة الحلم عن السفيه ويلزمه كثرة
الانصار عليه وقد مر بيانه وقال عليه السلام العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد اى ان الغالب ان
الحسد انما يكون بالغنى والجاه وساير قنيات الدنيا فترك الحساد الحسد بصحة الجسد مع كونها اجل نعم
الدنيا محل التعجب والفرق ان تلك نعم مشتركة بينهم فيقل الغفلة عنها ويغفل الحسود بها والكثير
يكون بها فاما نعم الصحة فمعروفة بكثرة الغفلة عنها ومشتركة وقال عليه السلام الطامع في وثاق الذل استعار
لفظ الوثاق [illegible] على المطمع فيه وقد مر [illegible] وقال عليه السلام
الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان الاركان وهي المساجد والمراد الايمان
الكامل وقال عليه السلام من اصبح على الدنيا حزينا فقد اصبح لقضاء الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به
فانما اصبح يشكو ربه ومن اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار
فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلاث هم لا يغبه وحرص لا يتركه
وامل لا يدركه اشار الى خمس خصال تنفر عن كل منها بما يلزم من الشر اولها الحزن على فائت الدنيا ويلزمه
سخط العبد لقضاء الله لان فوت ذلك كان بقضائه وسخط قضائه كفر الثانية شكوى المصيبة يلزمها
الشكوى من الله لان المبتلي هو الله الثالثة التواضع للغني باعتبار غناه يلزمه ذهاب ثلثي
دين المتواضع لوجوه احدها ان مدار الدين على كمال النفس الانسانية بالحكمة وكمال القوة الشهوية
بالعفة وقوة الغضب بالشجاعة ولما كان التواضع للغني من جهة غناه يستلزم زيادة محبة الدنيا والخروج
عن فضيلة الشهوة الى طرف الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج عن الحكمة التي مقتضاها وضع كل شيء
موضعه وهي فضيلة النفس الناطقة كان خارجا عن فضيلتي القوتين وهما ثلثا الدين الثاني ان
مدار الدين على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان ومن شأن المتواضع للغني لغناه
اشتغال لسانه بمدحه وشكره واشتغال جوارحه بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره فهو مهمل
لثلثي دينه الثالث قيل ان التواضع للغني لغناه يستلزم حب الدنيا وحبها رأس كل خطيئة فاستعمل

لفظ

لفظ الثلثين مبالغة لكثرة مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابعة كون قراءة القرآن مع دخول النار
مستلزمة لكون القارى ممن كان يتخذ آيات الله هزوا وذلك ان قراءة القرآن ندبا للاخلاص والعمل بمقتضاه
يستلزم دخول الجنة فعدم دخولها ودخول النار يستلزم عدم الاخلاص في قراءة القرآن وعدم العمل بها فيكون
في قراءته اذن كالمستهزئ بآيات الله اذ شأن المستهزئ ان يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعار
لفظ المستهزئ له الخامسة ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط اي لصق واختلط منها بثلثة ووجه لزوم الثلثة لمحب
الدنيا ان محبها يستلزم الجد في طلبها وجمعها ولما كان حصولها مشروطا باسباب مقدورة للعبد وباسباب
غير مقدورة والمقدورة منافية لا يكون مقدورة للطالب وان كانت لكنها تكون متعسرة منها في جمعها
على اسباب كثيرة او عسرة لا جرم يلزمه الحزن غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اي لا يتبعها يوما ويدعه
يوما بل هو دائم في حفظها وخوف فوتها والحرص على استقرارها من وجوهها وطول الامل في وجوه مكاسبها
وارباحها وتجاراتها وعماراتها ويلزمها طول الامل لا يدركه وقد مر ذلك وقال عليه السلام كفى بالقناعة
ملكا وبحسن الخلق نعيما استعار لفظ الملك للقناعة لان غاية الملك الغنى عن الخلق والترفع عليهم بذلك
والالتذاذ به والقناعة مستلزمة لهذه الغايات وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلذاذها
والالتذاذ بها وسئل عن قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة فسرها بها لانها هي الحيوة الطيبة
وقال عليه السلام شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ عليه واجدر
اي اولى ولما كان اقبال الرزق بتوافق اسبابه في حق من اقبل عليه كانت مشاركته مظنة اقبال
حظ الشريك واقبال الرزق عليه بمشاركته ورغب فيها بالضمير صغراه قوله فانه الى آخره والضمير في قوله
فانه يعود الى ما دل عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه وكلما كان كذلك ففعله مصلحة وقال عليه السلام
في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان العدل الانصاف والاحسان التفضل وهو تعريف لفظ
بلفظ اوضح منه عند السائل وقال عليه السلام من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وذلك اشارة
الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم واستعار
لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء وكنى بالطول والقصر عن الكثرة والقلة وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام
لا تدعون احدا الى مبارزة وان دعيت اليها فاجب فان الداعي اليها باغ والباغي مصروع نهى عن الدعوة
الى المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول وهو قوله فان الداعي الى قوله مصروع وبيانه ان الدعاء
الى المبارزة خروج عن فضيلة الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو بغي وعدوان لانه خروج
عن فضيلة العدل في القوة الغضبية واما ان الباغي مصروع ففي غالب الاحوال لاستعداده ببغيه
لذلك ولان المجازاة واجبة في الطبع وقال عليه السلام خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو
والجبن والبخل فاذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المرأة بخيلة حفظت مالها ومال بعلها
واذا كانت المرأة جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها الاخلاق الثلثة المذكورة رذائل للرجال وهي فضائل
لهن وبيان كونها فضائل لهن ما ذكره عليه السلام والمزهوة المتكبرة وهي مبني الفعل من الزهو لا مفعول به

يقال زهي الرجل وزهيت المرأة فهي مزهوة والفرق الخوف وقيل له عليه السلام صف لنا العاقل فقال
هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل فصف لنا الجاهل قال قد فعلت يعني عليه السلام ان الجاهل هو الذي لا يضع
الشيء مواضعه فكان ترك صفته صفة له اذ كان بخلاف وصف العاقل عرف العاقل بخاصة من خواصه
ولما كان الجاهل عديم ملكة العاقل كان تعريفه بما يقابل خاصة العاقل تعريفا بالمناسب وهو خاصة
له من خواص الجاهل وقال عليه السلام والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم
العراق جمع عرق وهو جمع غريب كتوام وتوم وهو العظم الذي عليه اللحم وذلك مبالغة في هوان الدنيا
وحقارتها في عينه ونفرته عنها لان العرق لا خير فيه فاذا كان لكونه من خنزير ثم لكونه في يد مجذوم
بلغت النفرة منه الغاية وقال عليه السلام إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وإن قوما
عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار قسم
عبادة العابدين بحسب اغراضها الى ثلثة وهي عبادة الرغبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة
التجار باعتبار انهم يستعيضون ثواب الآخرة ويطلبونه بها فهم في حكم التجار المكتسبين للارباح
والثانية عبادة العبيد في الدنيا لان خدمتهم لساداتهم اكثرها يكون رهبة والثالثة عبادة الاحرار
وهم الذين يعبدون الله لا لرغبة ولا لرهبة بل لانه هو مستحق العبادة وهي عبادة العارفين
واليها اشار عليه السلام في موضع آخر فقال الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في ثوابك بل
وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وقال عليه السلام المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها واراد ان
احوالها كلها شر على الرجل اما من جهة مؤنتها فظاهر واما من جهة لذتها واستمتاعه بها فلاستلزام ذلك
البعد عن الله والاشتغال عن طاعته واسباب الشرور وان كانت عرضية ولما كان كونها
لا بد منها اعني وجوب الحاجة اليها في بقية الوجود الدنيوي هو السبب في تحمل الرجل للمرأة ووقوعه
في شرورها وجب ان يكون ذلك الاعتبار اقوى الشرور المتعلقة بها لان السبب اقوى من المسبب
وقال عليه السلام من أطاع التواني ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق التواني سبب التقصير
عن الحقوق المطلوبة بخروج وقت الفرصة لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها وكذلك الواشي
مظنة السعي بالفساد بين المتصادقين فطاعته فيما يقول مظنة وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما لصاحبه
وقال عليه السلام الحجر الغصيب في الدار رهن على خرابها استعار لفظ الرهن للحجر المغصوب
في دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما ان الرهن سبب لما هو عليه من المال وهو كناية عن ملاحظة
استلزام الظلم لهلاك الظالم وخراب ما يبنيه بظلم وان تأخر امده وقد عرفت كون الظلم معدا
لذلك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اتقوا الحرام في البنيان فانه اساس الخراب وقال عليه السلام
يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم واراد بيوم المظلوم يوم القيمة وخصصه به لانه
يوم انصافه واخذ حقه وكذلك تخصيص يوم الظالم بوقت ظلمه له في الدنيا وقال عليه السلام اتق الله
بعض التقى وإن قل واجعل بينك وبينه سترا وإن رق امر بالتقوى لانها الزاد الى الله ولما كان

الاستئثار بها متعذرا فقرب منه ومرقاة الوصول اليه كان الاولى الاكثر منها والا فالبعض منها وان قل
لانها تقية للانقية والاكثرية والاشدية والاضعفية ولا يجوز ترك الزاد بالكلية في الطريق الصعبة
الطويلة واستعار لفظ الستر لحدود الله الساترة من عذابه وامر ان يجعل بينه وبين الله اي يحفظ
حدوده ولا يتجاوزها فيقع في مهاوي الهلاك فحفظ الستر شدة المحافظة على حدوده وعدم استيفاء
المباحات لخوف الوقوع في الحرام ورقته باستيفاء الامور الجائزة من المباحات والمكروهات
وقال عليه السلام إذا ازدحم الجواب خفي الصواب اي اذا سئل عن مسألة فاجاب جماعة كل بخاطره
في المسئلة او شخص بعدة من الاجوبة خفي الصواب فيها لالتباس الحق من تلك الاجوبة والكثرة يكون
ذلك في السائل الاجابة وازدحامه كثرته وقال عليه السلام إن لله في كل نعمة حقا فمن أداه زاده
منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله في النعمة شكرها الواجب واما استلزام ادائه للمزيد منها
وكون التقصير مظنة زوالها فلقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الآية ورغب في الشكر ونفر عن الكفران
بذكر كون ذلك مخاطرة وقد مر بيانه مرارا وقال عليه السلام إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة لان
قليل القدرة على ما يشتهيه لا يزال مستشعر الخوف فوته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقبا له
فلا يزال في قلبه وقد غلبت نفسانيته مكملة على مشتهاه وتبعث شهوته عليه اما اذا تمت قدرته عليه فانه يأمن
فوته ويجب ذلك بضعف انبعاث الشهوة فيقل لجاجه عليه وشهوته له وقال عليه السلام احذروا نفار
النعم فما كل شارد بمردود استعار لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها بالنعم
وحذر منه حثا على تقييدها بالشكر ونبه على وجوب ذلك الحذر بقوله فما كل الخ وهو صغرى ضمير تقديرها
انك رد جاز ان لا يرد وتقدير كبراه وكلما جاز ان لا يرد لم يجز تنفيره وقال عليه السلام الكرم
أعطف من الرحم اي اشد عطفا ونبه على اصدقية الاول ان الكريم قد يعطف على المنعم عليه
من ذي الرحم على ذي رحمه لان عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد يكون تكلفا وقد لا يكون اصلا
واكثر ذا ان الكرم يستلزم عاطفة الخلق على الكريم ومحبتهم له اشد من عاطفة ذي الرحم على رحمه وقال ع
من ظن بك خيرا فصدق ظنه اي افعل ما ظنه فيك من خير وصدق الظن مطابقة الواقع الذي ظن
وقوعه لوقوعه وذلك حث على فعل الخير وقال عليه السلام أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه
اراد من الاعمال الصالحة وافضلها انفعها واكثرها استلزاما للثواب وانما كان كذلك لان فائدة الاعمال
الصالحة تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة للعقل واكراه النفس
على الامر يكون لشدته فكلما كان اشد كان اقوى في رياضتها وانفع في تطويعها واكراهها وجب
ذلك يكون اكثر منفعة فكان افضل ونحوه من الحديث قوله صلى الله عليه وآله افضل الاعمال احمزها
اي اشقها وقال عليه السلام عرفت الله بحل العزائم ونقض العقود اراد معرفة وجوده
تعالى ووجه الاستدلال ان الانسان قد يعزم على امر ويعقد ضميره على فعله بحسب ما يتصوره من
المنفعة الداعية اليه ثم عقيب ذلك يحل ذلك العزم وينفسخ ذلك العقد لزوال ذلك الداعي او خاطر

معارض له اذا عرفت ذلك فتقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الامر المعزوم عليه
امور ممكنة محتاجة في طرفي وجودها وعدمها الى المرجح والمؤثر فرجحها ان كان من العبد كان الكلام فيه كالكلام
في الاول ولزم الدور او التسلسل وهما محالان فلا بد من انتهائها الى الله تعالى مقلب القلوب والابصار
وذلك هو المطلوب وقال عليه السلم مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وحلاوة الدنيا مرارة الاخرة
اي مستلزمة لها واستعار لفظي الحلاوة والمرارة للذة والالم وظاهر ان آلام الدنيا اللازمة
عن ترك لذاتها وعدم الالتذاذ بها طلبا للاخرة وشوقا الى ثوابها مستلزمة لحلاوة الاخرة
ولذاتها وكذلك الابتهاج بلذات الدنيا مستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها وذلك مستلزم
لعذابها وشقاوتها وقال عليه السلم فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك والصلوة
تنزيها عن الكبر والزكوة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد
عزا للاسلام والامر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد
والقصاص حقنا للدماء واقامة الحدود اعظاما للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ومجانبة
السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا للنسب وترك اللواط تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا
على المجاحدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام امانا من المخاوف والامانة نظاما للامة
والطاعة تعظيما للامامة اقول اشار عليه السلم الى فرائض الله ونبه على عللها الغائية في الحكمة
ليكون امرها اوقع لذكرها في النفوس وذكر منها تسع عشرة فريضة الاولى بدأ بالايمان لانه الاصل
لجميع الفرائض والسنن وجعل من اغراضه التطهير عن الشرك ولما كان التطهير من الشرك غاية
مطلوبة للشارع وهي كمال النفس بمعرفة الله تعالى كان التطهير غاية عرضية من الايمان الثانية
الصلوة ولما كان وضعها لتطويع النفس الامارة التي هي مبدأ الكبر للنفس المطمئنة ورياضتها
وقهرها لاجرم كان من غاياتها تنزيهها عن الكبر الثالثة الزكوة وذكر من غايات فرضها كونها تسبيبا
للرزق اذ كان منها رزق الفقراء والمساكين ومن عنايات الشريعة [illegible] الرابعة الصيام ولما كان
من اشد العبادات [illegible] بدا ان خصه بان غايته كونه ابتلاء من الله لاخلاص خلقه وان كانت
هذه غاية من كل العبادات الخامسة الحج وانما جعل غايته كونه تقوية للدين لانه عبادة تستلزم
اجتماع اكثر اهل الملة في مجمع واحد على غاية من الذلة والخضوع والانقياد [illegible] كل من
الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك وغيرهم فيبالغ في قلبه قوة الدين وعظمته دون
سائر العبادات السادسة الجهاد وكون غايته عزا للاسلام وقوته ظاهر السابعة الامر بالمعروف
وغايته اصلاح احوال العوام في معاشهم ومعادهم وخص العوام لانهم اغلب الخلق ولان من عداهم
هم العلماء والولاة الامرون بالمعروف الفاعلون له الثامنة النهي عن المنكر وكون غايته ردع
السفهاء ظاهر لان السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين كثر فعله للفساد التاسعة صلة الرحم
الثامنة صلة الارحام ومن غاياتها كونها منماة للعدد اي عدد اوساط الرحم اذ زيادة عددهم باستعمام

ام

امر معاشهم ومتى الرحم سبب لذلك التاسعة القصاص وغايته حقن الدماء والكف عن سفكها لخوف
المكافاة كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقولهم القتل انفى للقتل العاشرة اقامة حدود الله
وغايتها اعظام حرمات محارم الله ان تنتهك وتخوف الخلق ايها عن قصد تسهيل فيضيع غرض الشارع
من وضع الدين الحادية عشر ترك شرب الخمر وغايته تحصين العقل من مكامن زواله واشتغاله عما خلق له
من طلب الاستكمال بكمال الحكمة الثانية عشر مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة اذ السرقة تنشأ
عن كمال طاعة الشهوة والعبور بها الى حد الافراط والفجور فكان من غايات تحريمها وقوف النفس
طاعة ذلك على حد العفة الثالثة عشر ترك الزنا ومن غاياته حفظ الانساب وما يتبعها من الموارث
فان الزنا يوجب اختلاط الانساب وضياع الاموال التي هي قوام الخلق في الدنيا وقد سبق سره
الرابعة عشر ترك اللواط وغايته تكثير النسل وتوفير مادته على حال الغاية كثرة النوع وبقاؤه الخامسة
عشر الشهادات وغايتها استظهار المستشهد على مجاحدة خصمه كي لا يضيع حقه لو لم يكن بينهما شاهد السادسة عشر
ترك الكذب ومن غاياته تشريف الصدق وتعظيم بتحريم ضده لما مصلحة العالم عليه ونظام امور الخلق به
وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة لتحريمه السابعة عشر السلام ومن غاياته الامن من مخاوف
الدنيا لصورة الاسلام على سائر الاديان ومن مخاوف الاخرة وهو ظاهر ورد في السلم وما كان
سببا للتودد الى الخلق كان امانا من مخاوفهم الثامنة عشر الامانة وغاية فرضها كونها نظاما للامر
الامة اذ الخلق متى كان لهم رئيس منبسط اليد قوي الشوكة يردع الظالم عن ظلمه ويأخذ للمظلوم
بحقه كان بذلك صلاح احوالهم ونظام امورهم في معاشهم ومعادهم ولا يكمل ذلك الا بمن [illegible] ذلك
الرئيس التاسعة عشر طاعة الامام وغاية فرضها تعظيم امامة الامام لغاية امتثال الخلق لقوله
والاقتداء به وقد سبقت الاشارة الى اسرار كثيرة من هذه الفرائض مفصلة وقال عليه السلم
احلفوا الظالم اذا اردتم يمينه بانه برئ من حول الله وقوته فانه اذا حلف بها كاذبا عوجل
واذا حلف بالله الذي لا اله الا هو لم يعاجل لانه قد وحد الله سبحانه قد يرى المجتهد تأكيد اليمين
مثل ما ذكر عليه السلم لغاية تعجيل الكاذب عقابا والداعي وذلك ان نفس الكاذب تنفعل عن
مثل هذا اللفظ لعظمه وتوهم تصديق الله تعالى ومطابقته لقوله فيفعل المدعو به بخلاف اليمين
المعتادة فيستعد بذلك لمعاجلته بالعقوبة وروي ان واشيا سعى بالصادق عليه السلم
الى المنصور فاستحضره وقال له ان فلانا ذكر عنك كذا وكذا فقال عليه السلم لم يكن ذلك مني فاحلف
الساعي الا كونه منه فحلف الصادق بالبراءة من حول الله وقوته ان كان كاذبا فحلف فما انقطع
كلامه حتى اصيب بالفالج فصار كقطعة لحم تجر رجله ونجا الصادق منه وقال عليه السلم يا ابن آدم كن
وصي نفسك واعمل في مالك ما تؤثر ان يعمل فيه من بعدك اي كما توصي من بعدك ان يضع مالك
موضع القربات واشتغل اهلك به فكن انت ذلك الوصي وضعه تلك المواضع في حياتك [illegible]
على بذل المال في وجهه وقال عليه السلم الحدة ضرب من الجنون لان الحدة لكون الجنون حالة مخصوصة تعرض

[illegible]

لان بسبب خروج القوى النفسانية عن قبول تصرف العقل الى طرف الافراط والتفريط وكانت الحدة
خروج قوة الغضب عن ضبط العقل لها الا قانون العدل الى طرف الافراط كانت قسما من الجنون
وتحصل الحدة بان يرجع نحو الغضب الى طاعة العقل **وقال عليه السلم** صحة الجسد من قلة الحسد اي ان الحسد
قد يكون الغم بالحسد كما يكون بغيره فيفعل فيها وذلك هو الحسد البالغ فكانت صحة الجسد ولا ملازمة
الحسد اذ لم يتعلق بها **وقال عليه السلم** لكميل بن زياد النخعي يا كميل مر اهلك ان يروحوا في كسب المكارم
ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا وخلق الله
من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد
غريبة الابل الادلاج السير بالليل والنائبة المصيبة وارادان ادخال السرور على قلب ذي الحاجة
بقضائها مما يجعله الله سببا للطف به تقاضي الحاجة وبينه بيان مصيبة تعرض له وشبه ان يكون ذلك
اللطف هو اخلاص ذي الحاجة ومتعلقيه في امداده ومعونته بدعاء الله له وشكره وثنائه واستجلاب
قلوب الخلق بذلك له وكل ذلك لطف يعده الله لوقايته له وطرد المصاب عنه وشبه جري
ذلك اللطف الى دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره ووجه الشبه سرعة الانحدار والنفوذ والحفظ
لانه من امر الله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وكشف في ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الابل
ووجه الشبه شدة الطرد والابعاد وباقي الفصل ظاهر **وقال عليه السلم** اذا املقتم فتاجروا الله
بالصدقة واملاق الفقر وقد مر ان الصدقة تعد لمزيد من فضل الله فامر الفقراء ان يجعلوا تجارة
يقع فيها بهم ولو بشق تمرة ليستعدوا بذلك لافاضة فضل الله ورزقهم في ذلك وتجارة
وهي استعارة لاستفاضة ما يحصل عما يبذل والفقراء اولى باستجلاب الرزق بالصدقة
من الاغنياء لانفعال القلوب لهم ورقتها عليهم وما يسبق الى اذهان الخلق ان ذلك منهم عن اخلاص
دون الاغنياء **وقال عليه السلم** الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله تعالى والغدر باهل الغدر وفاء عند الله
تعالى وذلك ان من عهد الله نبذ العهد باهل الغدر وعدم الوفاء لهم اذا غدروا لقوله تعالى
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين قيل نزلت في يهود
بني قينقاع وكان بينهم وبين الرسول صلعم عهد فنقضوا عهده فامره الله تعالى بذلك وامره
بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا بعهد الله والغدر بهم اذا غدروا وفاء
بعهد الله **وقال السيد رضي الله عنه** **فصل** نذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه عليه السلم المحتاج
الى التفسير في حديثه عليه السلم فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون اليه كما يجتمع
قزع الخريف قال السيد يعسوب الدين السيد العظيم المالك لامور الناس يومئذ والقزع
قطع الغيم التي لا ماء فيها **اقول** اومى بقوله ذلك الى علامات ذكرها في اخر الزمان من ظهور صاحب
الامر واستعار له لفظ اليعسوب وهو في الاصل امير النحل ملاحظا لشبهه به فاما ضربه بذنبه
فقيل فيه اقوال احدها ان الضرب هو السير في الارض وذنبه استعارة في اعوانه واتباعه

وانما لاستصحاب اتباعه كما كان ضرب النحل بذنبه تسعه لكني بذلك عن نصب سيوفه وسهامه
في اعدائه لقتلهم واذاهم الثالث انه كناية عن ثورانه وغضبه لدين الله ملاحظا لشبهه بالسبع حال
صولته وغضبه وهذا الوجه اشبه الثلثة وشبه اجتماع المؤمنين واهل طاعة الله باجتماع قطع الغيم المتفرقة
ووجه الشبه سرعة الاجتماع ان قزع الخريف سريع التاليف وفي حديثه عليه السلم هذا الخطيب الشحشح
قال السيد يريد الماهر بالخطبة الماضي فيها وكل ماض في كلام وسير فهو شحشح والشحشح في غير هذا الموضع
البخيل الممسك يروى انه راى خطيبا يخطب فقال هذا الخطيب الشحشح اي الماهر في خطبته وفي حديثه عليه السلم
ان للخصومة قحما قال السيد يريد بالقحم المهالك لانها تقحم باصحابها في المهالك والمتالف في الاكثر
ومن ذلك قحمة الاعراب وهو ان تصيبهم السنة فتتعرق اموالهم فذلك تقحمها فيهم وقد قيل فيه وجه اخر
وهو انها تقحمهم بلاد الريف اي تحوجهم الى دخول بلاد الحضر عند محول البدو **واقول** يروى انه
وكل اخاه في خصومته وقال ان لها قحما وان الشيطان يحضرها والقحم المهالك وذلك انما تظنه
ثوران الفتنة الغضبية والخروج عن حد العدل فيها الى رذيلة الافراط التي هي مظنة الهلاك وفي
حديثه عليه السلم اذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة اولى ويروى نص الحقائق وقال السيد والنص
منتهى الاشياء ومبلغ اقصاها كالنص في السير لانه اقصى ما يقدر عليه الدابة وتقول نصصت الرجل
عن الامر اذا استقصيت مسالته عنه لتستخرج ما عنده فيه فنص الحقاق يريد به الادراك لانه
منتهى الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير الى حد الكبير وهو من افصح الكنايات عن هذا الامر
واغربها يقول فاذا بلغ النساء ذلك فالعصبة اولى بالمراة من امها اذا كانوا محرما مثل الاخوة والاعمام
وبتزويجها ان ارادوا ذلك والحقاق محاقة الام للعصبة في المراة وهو الجدال والخصومة
وقول كل واحد للاخر انا احق منك بهذا ويقال منه حاققته حقاقا مثل جادلته جدالا وقد قيل ان نص
الحقاق بلوغ العقل وهو الادراك لانه عليه السلم انما اراد منتهى الامر الذي يجب به الحقوق والاحكام
ومن رواه نص الحقائق فانما اراد جمع حقيقة هذا معنى ما ذكره ابو عبيد القسم بن سلام والذي
عندي ان المراد بنص الحقاق هنا بلوغ المراة الى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في نفسها
حقوقا تشبيها بالحقاق من الابل وهي جمع حقة وحق وهو الذي استكمل ثلث سنين ودخل في
الرابعة وعند ذلك يبلغ الى الحد الذي يتمكن فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره والحقائق ايضا جمع حقة
والروايتان جميعا ترجعان الى معنى واحد وهذا اشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور اولا
واقول الذي ذكره السيد انسب الى كلام العرب كما قال فيه ان نص الحقاق استعارة لا تشبيه
وان كانت الاستعارة تعتمد التشبيه والعصبة بنو الرجل وقرابته لابيه سموا بذلك لانهم عصبوا به
وعلقوا عليه وقيل يحتمل ان يراد بالنص الارتفاع يقال نصت الظبية راسها اذا رفعته ومنه
منصة العروس لارتفاعها عليها ويكون قد استعار لفظ الحقاق لثدي الصغيرة اذا نهدت
وارتفعت لشبهها بالحقة صورة اي اذا بلغن حد ارتفاع اثدائهن كانت العصبة اولى بهن من الام

لانه وقت ادراكهن وعلامة صلاحيتهن للتزويج ومنه حديثه إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ كُلَّمَا ازْدَادَ
الْإِيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ قال السيد اللمظة مثل النكتة او نحوها من البياض ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته
شيء من البياض واقول اراد ان الايمان وهو التصديق بوجود الصانع تعالى اول ما يكون في النفس يكون
حالة ثم لا يزال يتاكد بالبراهين والاعمال الصالحة الى ان يصير ملكة تامة ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو
من نور الايمان في النفس اول كونه ملاحظة لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من نور الشمس في لمظة الفرس
والجحفلة وقال ومنه حديثه عليه السلم إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى
إِذَا قَبَضَهُ قال السيد والظنون هو الذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الذي هو عليه ام لا فكانه الذي يظن به
تارة يرجوه وتارة لا يرجوه وهذا من افصح الكلام وكذلك كل امر تطلبه ولا تدري على اي شيء انت منه
فهو ظنون وعلى ذلك قول الاعشى ما يجعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتي
اذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر فالجد البئر والظنون التي لا يعلم أفيها ماء ام لا قيل يقول
اذا كان لك مثلا عشرون دينارا دينا على رجل وقد اخذها منك ووضعها كالهي من غير تصرف فيها
وانت تظن ان استردادها منه ردها اليك فاذا مضى عليها احد عشر شهرا واستهل هلال الثاني
عشر وجبت زكوتها عليك والعجب في قول الاعشى هو السحاب المصوت ذو الرعد واراد بالفراتي
الفرات والياء للتاكيد كقولهم والدهر بالانسان دواري اي دوار ويحتمل ان يريد النهر الفراتي
والبوصي ضرب من صغار السفن والماهر السابح ومراده انه لا يقاس البئر الذي يشك هل فيه
ماء ام لا بجده بالفرات اذا ما طما وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل الكريم ومنه حديثه عليه السلم
انه شيّع جيشا يغزيه فقال اعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ قال السيد رضه ومعناه اصدفوا عن ذكر
النساء وشغل القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد الحمية ويقدح في معاقد
العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الابعاد في الغزو وكل من امتنع عن شيء فقد اعذب عنه والعاذب
والعذوب الممتنع من الاكل والشرب قوله يفت في عضد الحمية كناية عن كسرها ومنه حديثه عليه السلم
كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ قال السيد الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح
على الجزور والفالج القاهر الغالب يقال فلج عليهم وفلجهم قال الراجز لما رايت فالجا قد فلجا
اقول قد مر شرحه في قوله اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر ومنه حديثه
كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ص فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ قال السيد ومعنى
ذلك انه اذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب فزع المسلمون الى قتال رسول الله صلعم
بنفسه فينزل الله تعالى النصر عليهم به ويامنون ما كانوا يخافونه بمكانه وقوله عليه السلم اذا احمر
البأس كناية عن اشتداد الامر وقد قيل في ذلك اقوال احسنها انه شبه حمى الحرب بالنار التي
تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وقد راى مجتلد
الناس يوم حنين وهي حرب هوازن الآن حمي الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه صلى الله عليه واله

ما استحر

ما استحر من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها واقول استعار وصف احمرار الباس لشدته ملاحظة
لشبهه بالنار الموقدة وقد مر مثل ذلك في بعض كتبه عليه السلم وقال عليه السلم لما بلغه اغارة اصحاب معوية
على الانبار فخرج بنفسه ماشيا حتى اتى النخيلة فادركه الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال ما
تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا فَإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو
حَيْفَ رَعِيَّتِي كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ فلما قال هذا القول في كلام
طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما اني لا املك الا نفسي واخي
فمرنا بامرك يا امير المؤمنين ننفذه فقال وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ اقول هذا الفصل قد مر شرحه في
الخطب وقيل ان الحرث بن حوط اتاه عليه السلم فقال اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال عليه السلم
يَا حَارِ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ أَهْلَهُ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ
أَتَاهُ وفي نسخة فتعرف من اتاه فقال الحرث فاني اعتزل مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر فقال عليه السلم
إِنَّ سَعْداً وَعَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ قوله اتراني استفهام انكار وروي كذلك وروي
حارث وقيل في قوله انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين من اصحاب الجمل
المتمسكين بظاهر الاسلام الذين هم دونك في المرتبة بغيهم على امام الحق فاغتررت بشبهتهم واقتديت
بهم ولم تنظر الى من هو فوقك وهو امامك الواجب الطاعة ومن معه من المهاجرين والانصار ورد ما حكمت
حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك ويحتمل ان يكون نظره تحته كناية عن نظره الى
باطل هواه وشبهتهم المكتسبة من محبة الدنيا التي هي المحبة الساقطة ونظره فوقه كناية عن نظره الى الحق
وتلقيه من الله وقوله انك الخ تفصيل لسبب حيرته وهو عدم معرفته الحق والباطل المستلزم لجهله باهلهما
ولو عرفهما لجزم باتباع الحق واجتناب الباطل وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان
كذلك وقع في الحيرة والضلال وسعد بن مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمان اشترى اغناما
واعتزل الى البادية وكان يعيش بتلك الاغنام حتى مات ولم يشهد بيعة علي عليه السلم واما عبد الله بن
عمر فالتجأ الى اخته حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وآله بعدما بايع لامير المؤمنين عليه السلم ولكنه لم يشهد
معه حرب الجمل وقال قد اخترت العبادة عن الفروسية والمحاربة فلست مع علي ولا مع اعدائه فاما
قوله في جوابه ان سعدا الخ فهو صغرى ضمير بيّنه على انه لا يجوز متابعتهما في الاعتزال وهي من
المخيلات المنفرة التي في صورة الذم وان كانت صادقة وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز
متابعته وقال عليه السلم صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ اي يغبط
موقعه وهو يعلم انه في غاية من المخاطرة بالنفس والتغرير بها وذلك هو وجه الشبه براكب الاسد
وقال عليه السلم أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ العقب من يخلف الانسان من الولد وولد الولد
وانما كان كذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة ولان الذكر بذلك يعطف الناس على عقب المحسن
من بعده وقال عليه السلم إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً وذلك

نحوه انقياد الخلق اليهم وشدة تجوابهم لما يقولونه فان كان حقا كان ذلك من الجهل وان كان باطلا اوجب
للخلق الجهل ولذلك قيل زلة العالم زلة العالم وسأله رجل ان يعرفه الايمان فقال اذا كان غدا فأتني حتى اخبرك
على اسماع الناس فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة ينقفها هذا ويخطئها هذا
وقد ذكرنا ما اجابه عليه السلام فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله الايمان على اربع شعب وشبه الكلام
بالشاردة من الابل وقوله ينقفها اي يجدها [illegible] الى آخره والفصل ظاهر وقال عليه السلام يا ابن آدم
لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد اتاك فانه ان يك من عمرك يأت الله فيه برزقك اي
ينبغي ان يكون الاهتمام لحاجة كل يوم مخصوصا بذلك اليوم والكلام صغرى ضمير نبه بها على ترك الاهتمام
بما لم يأت من الايام وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا ينبغي الاهتمام له وقال عليه السلام احبب حبيبك هونا
ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فاية هذه الكلمة
الامر بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم الافراط فيهما لما في الافراط من المفسدة والهون السكينة والوقار
وهو صفة مصدر محذوف اي حبا هينا مقتصدا وما في الموضعين [illegible] شيئا ما في الهون واليوم [illegible]
به مقدار دون الافراط ووقت من الاوقات وان لم يكن معينا ونبه على ترك ذلك بقوله عسى في
الموضعين وهما ضميران اما مفسدة افراط المحبة فلاستلزامه اطلاع المحبوب على اسراره
وتوجيه على احواله فربما ينقلب بعد ذلك عدوا له فيكون اقدر على هلاكه من غيره من الاعداء ولك مفسدة
افراط البغض وهو عدم الابقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام المعاداة فالاعتدال في ذلك اولى
لانه ربما عاد العدو الى الصداقة فكان المبغض قد ابقى للصداقة موضعا وتقدير الكبرى الاول وكل
حبيب جاز ان يكون عدوا في وقت ما فينبغي ان لا يفرط في محبته وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز
ان يكون صديقا يوما ما فينبغي ان لا يفرط في بغضه وقال عليه السلام الناس في الدنيا عاملان عامل في
الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلف الفقر ويأمنه على نفسه فيفني عمره وعامل عمل
في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل فاحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا فاصبح وجيها
عند الله لا يسأل الله حاجة فيمنعه لما كان العمل في هذه الحيوة لا بد منه فجعل العامل اما عاملا للدنيا او لغيرها وغيرها
هو الآخرة فالاول من الناس عاملان والمشار الى الاول في معرض ذمه بقوله قد شغلته دنياه الى قوله
غيره ومعنى ذلك انه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعة يحصلها
لغيره ولا يخشى الفقر الاكبر في الآخرة من الحسنات الباقية على نفسه وذلك ضلال مبين واشار الى
الثاني في معرض مدحه بقوله وعامل الى قوله فجاءه الذي له من الدنيا اي المكتوب له في اللوح المحفوظ
من رزق ونحوه وقوله بغير عمل اي للدنيا لان العمل بقدر الضرورة من الدنيا ليس من العمل لها
بل للآخرة وهو مقصود من الدنيا بالعرض وبذلك يحرز حظيه من الدنيا والآخرة ويكون في الدنيا
مالكا لما قنع به وفي الآخرة ثمرة اعماله ووجاهته عند الله وعلو منزلته في استعداده لطاعته يستلزم
قبول دعوته واجابته فيما سأل وروي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في ايامه حلي الكعبة وكثرته فقال

في منفعة غيره ٤

فقوم

قوم لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي فهم عمر بذلك وسأل عنه امير المؤمنين
فقال ان القرآن انزل على النبي ص والاموال اربعة اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض والفيء
فقسمه على مستحقيه والخمس فوضعه الله حيث وضعه والصدقات فجعلها الله حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذ
فتركه الله على حاله ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر لولاك لافتضحنا
وترك الحلي بحاله القصة مشهورة وخلاصة حجته عليه السلام ضمير استثنائي صغراه وتقديره ان حلي الكعبة قد
اقره الله على حاله ورسوله من غير نسيان له ولا جهل بمكانه مع تعرضه لجميع الاموال وتقدير الكبرى وكلما
اقره الله ورسوله على حاله وجب الاقتداء بهما في اقراره ولذلك امره بصورة النتيجة وهو قوله فاقره حيث
اقره الله ورسوله ونسيانا نصب على الحال ومكانا على التمييز وروي انه عليه السلام رفع اليه رجلان سرقا
من مال الله احدهما عبد من مال الله والآخر من عروض الناس فقال عليه السلام اما هذا فهو من مال الله فلا حد عليه مال الله
اكل بعضه بعضا فعليه الحد فقطع يده عروض الناس سائرهم وعامتهم والمراد العبد بصغرى قوله مال الله
اكل بعضه بعضا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا قطع عليه واما المقطوع فانه قد كان سرق نصابا من
مال الغنيمة من حرز ولم يكن له نصيب منها واما ان كان له نصيب فان كان المسروق فوق نصيبه نصابا
قطع والا فلا وقال عليه السلام لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت اشياء المداحض المزالق
واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها في المسائل الاجتهادية
المشكلة التي يخفى حكم الشرع فيها على غيره وذلك انه في خلافته لم يتمكن من تغيير شيء من احكام الخلفاء قبله وكان
له في بعضها رأي غير ما رأوه واستعار لتلك المسائل لفظ المداحض باعتبار انها مزال اقدام العقول
ومزال الآراء وروي في قوله لغيرت اشياء الى ما كان يرى فساده من احكام غيره في تلك المسائل وان
اقدام عقولهم قد زلت فيها عن سواء الصراط وقال عليه السلام اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل
للعبد وان عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته اكثر مما سمي له في الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد
في ضعفه وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم والعارف لهذا العامل به اعظم الناس راحة
في منفعة والتارك له الشاك فيه اعظم الناس شغلا في مضرة ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ورب
مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد ايها المستنفع في شكرك وقصر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك وفي
هذا الفصل لطائف الاول ان [illegible] اعلم انه قد علم وجوده فهو واجب الوقوع وما علم عدمه
فهو ممتنع الوقوع [illegible] لم يكن للكل من القوي والضعيف من الرزق ونحوه الا ما علم انه يصل
اليه بقلم القضاء الالهي في الذكر الحكيم واللوح المحفوظ ولم يبلغ عظم الحيلة قوة المكيدة بحيلة اكثر مما سمي له
ولا قصر الضعيف لضعفه عن بلوغ ما سمي له ولاجل ثبوت ذلك بالبرهان امرهم بتيقنه ورغبهم في
علمه والعمل به بقوله والعارف الى قوله في منفعة اما راحته فلعلمه ان ما كتب له لا بد ان
يصل اليه فيترك لذلك شدة الاهتمام به والكدح له ولما كانت راحة قلبه وبدنه كانت اعظم
الراحات ولما كانت مع منفعة ما يصل اليه مما كتب له [illegible] وترك العمل به

واما الآخر ٤

والتارك لهذا الشك فيه الى جوده هو خير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا ينبغي له الشك فيه وتركه
وانما كان اعظم الناس شغلا لانه شغل قلبه وبدنه بما لا فائدة فيه بل فيه مضرة خالصة فان قلت فهذا ينافي
الامر بالدعاء والسعي في طلب الرزق كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحوه قلت
قد بينا انه لا ينافيه وذكرنا سر الدعاء وفائدته وحاصله انه قد يكون الدعاء سببا لوجود الرزق فيعلم الله
تعالى وجوده بواسطة سببه وقائدة منها الثانية من اهل النعم والغنى واهل الابتلاء وجوب الشكر
لله عليهما اما اهل النعم فنبههم بان نعمتهم قد يكون استدراجا لم يشكروا الله عليها كما يشير رحمه
واما اهل البلوى فنبههم بان البلاء قد يكون صنعا من الله في حقهم ليعدهم بها لثواب الجزيل فيجب عليهم شكر
ذلك الصنع والمقدمتان صغريا ضميرين تقديرا ولى منهما بعض المنعم عليه مستدرج بالنعمى وتقدير الكبرى
وكل مستدرج بالنعمى يجب عليه ان يحترز بشكر نعم الله عليه من الاستدراج بها وكذلك تقدير الثانية و
بعض المبتلى مصنوع له بالبلوى وتقدير الكبرى وكل مصنوع اليه فيجب عليه شكر صنع الله في حقه ولذلك
امر المستمعين مطلقا بزيادة الشكر مع ان فيهم المنعم عليهم والمبتلى ثم امرهم بالتقصير من الاملاء في طلب
الرزق والوقوف دون هذه الافراط فيه على حد العدل وقال لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم شكا اذا
علمتم فاعملوا واذا تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا علمهم بما اتهم علمهم من احوال الآخرة جهلا في قوة
الجهل ويقينهم شكا في قوة الشك ومنزلته لتركهم العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل
على وفق علمهم والاقدام عليه على وفق يقينهم وقال عليه السلام ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي
وربما شرق شارب الماء قبل ريه وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده والاماني
تعمي اعين البصائر والحظ يأتي من لا يأتيه نفر من الطمع في الدنيا والحرص في طلبها وتمنيها واقتنائها بوجوه
الاول بضمير صغراه قوله ان الطمع الى قوله وفي اي يورد الطامع موارد الهلكة ولا يصدره عنها و
استعار لفظ الضامن غير الوفي باعتبار انه يرغب في الطلب ويدعو اليه مع انه قد يكون
كاذبا كمن يضمن شيئا ويخلف فيه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا ينبغي ان يتبع ويوثق به ثانيها
قوله وربما الى قوله ريه وهو تنبيه على انه لا يجوز الاسترسال في طلب الدنيا بضمير كنى عن صغراه بذلك
وتقديرها ان المسترسل في طلبها قد يحرم وينقطع دون بلوغ امله فيها وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فلا ينبغي له الاسترسال في طلبها الثالث نفر عن المنافسة فيما عظم قدره منها بضمير صغراه قوله
وكلما الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى وكلما عظمت الرزية لفقده فلا ينبغي اقتناؤه
اذ كان من ضرورته فقده وفقدانه الرابع نفر عن الاماني بضمير صغراه قوله والاماني تعمي اعين البصائر
وذلك انها تشغل الفكر بها يعني عن طلب ما ينبغي من الكمالات العقلية واستعار لفظ الاعين للافكار
باعتبار ادراكها وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الخامس نبه على ترك طلب الحظ من
الدنيا بقوله والحظ يأتي من لا يأتيه اي الحظ لمن كان له حظ يصل اليه وان لم يسع في طلبه وهو في قوة
صغرى ضمير وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك

ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما ابطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما انت مطلع
عليه مني فابدي للناس حسن ظاهري وافضي اليك بسوء عملي تقربا الى عبادك وتباعدا من مرضاتك
افضى اوصل واستعاذ بالله ان يجمع له حسن الظاهر في عيون الناس مع قبح باطنه عند الله بالرياء
والتصنع بالزهادة والعبادة الظاهرة لغاية طلب الدنيا ولامعة العيون اضافة الصفة الى الموصوف
اي العيون اللامعة ومحافظا حال وتقربا وتباعدا مصدران سدا مسد الحال ويحتمل نصبهما على المفعول
وقال عليه السلام لا والذي امسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم اغر ما كان كذا وكذا غبر الليل بقاياه
والدهماء السوداء والتكشر التبسم بحيث تبدو الاسنان والاغر الواضح ولفظ التكشر مستعار لبلوج الصبح
اسفارا عن ضوء يومها في كالمتبسم والبيت في غاية الفصاحة وهو مما يستعمل في الحلف وقال عليه السلام
قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول منه واراده من الاعمال فان القليل الدائم اكثر من الكثير المملول المنقطع
واقوى اعدادا للنفس لكمال النفع في الآخرة وقال عليه السلام اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها
اي اذا اخلت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها وقد مر ذلك شروحا وقال عليه السلام من تذكر
بعد السفر استعد واراد ان المتذكر بعد طريق الآخرة يلزمه الاستعداد لها بالتقوى وقال عليه السلام
ليست الروية كالمعاينة مع الابصار وقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من استنصحه هذا شروع في
وجوب اعمال الفكر فيما ينبغي وان العقل هو مستند الحواس وهو الشاهد البصير والناصح الشفيق الذي
لا يغش من استنصحه واستعار لفظ الاستنصاح لمراجعته واعماله بصدق وتوجه الى استخراج الآراء الصالحة
ولفظ الغش لكذبه اي لا يكذب من انتصحه وجعل رايه الرائد واما الحواس فقد تكذب اهلها واعلم ان البصر و
غيره من الحواس الظاهرة لا حكم له واما الحكم ببعض المحسوسات على بعض فحكم العقل بواسطة الوهم
وكلما عرض في تلك الاحكام من الغلط فهو من اغلاط الوهم على ما تبين في موضعه فيحق ان يكون قوله قد
تكذب العيون اهلها اي قد تكذب الاحكام الوهمية على مدركات العيون كالحكم بكون القطرة النازلة
خطا مستقيما والشعلة التي تدار بسرعة كالدائرة ونحوه وقال عليه السلام بينكم وبين الموعظة حجاب من
الغرة استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيئات البدنية المغفلة عن النظر في العبر وقبول
الموعظة والانتفاع بها وقال عليه السلام جاهلكم مزداد اي من الاثم ومسوف اي بالتوبة وقال عليه السلام
قطع العلم عذر المتعللين اي العلم بالدين وما بلغه الرسول صلى الله عليه واله من البشارة والنذارة
فان ذلك قاطع لعذر من عساه يقول انا كنا عن هذا غافلين كما قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
الآية وقال عليه السلام كل معاجل يسأل الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك
العمل الصالح للعاجل والموجل وقال عليه السلام ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء
اي ما استحسن الناس من الدنيا شيئا الا وفي قوة الدهر اعداد لفساده واهلاكه بما له وله
من خروج ما فيه بالقوة الى الفعل وقال عليه السلام وقد سئل عن القدر طريق مظلم فلا تسلكوه وبحر
عميق فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه اقول السؤال عن سر القدر وكيفية وقوع الافعال بحسبه وهذا السؤال

من مسائل العلم التي وفيها خبط عظيم بين الحكماء والمتكلمين وقد بيّناها، وهو الحق فيما سبق ولصعوبتها
كان الخوض فيها مظنة الضلال والتيه في بحر لا ساحل له فلذلك نهى عليه السلام عن الخوض فيها بعبارات ثلثة أحدها
أنها طريق مظلم وتقدير الكبرى وكل طريق مظلم فلا يجوز سلوكه ونحوه قوله لا تسلكوه واستعار لفظ المظلم
باعتبار كونه كثير الشبهات لا يهتدى فيه للحق الثاني أنه بحر عميق واستعار لفظ البحر بوصف العمق له باعتبار
غرق الأفكار فيه وتقدير الكبرى وكل بحر عميق فلا يجوز ولوجه ونحوه قوله فلا تلجوه الثالث أنه سر الله أي سر
قد احتجبه ومنع من الخوض فيه وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فلا يجوز تكلف الخوض فيه وشكله ونحو معناه
كل غامض من غوامض العلم لا يجوز كشفه إلا لأوليائه وأفراد العلماء فهو من أسرار الله **وقال عليه السلام**
إذا أرذل الله عبدا حظر عليه العلم وحظر العلم بإعداده لغيره وتوفيق أسبابه بحيث ينصرف عنه
فلا يكون له استعداده وظاهر أن الجهل من أشد الرذائل وأصعبها إذ هو طرف التفريط من فضيلة
العلم والأدب كما سبقت الإشارة إليه غير مرة **وقال عليه السلام** كان لي فيما مضى أخ في الله وكان
يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد
وكان أكثر دهره صامتا فإن قال بذّ القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفا مستضعفا
فإن جاء الجد فهو ليث غاد وصل واد لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضيا وكان لا يلوم أحدا على ما يجد العذر
في مثله حتى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعا إلا عند برئه وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل
وكان إن غلب على الكلام لم يغلب على السكوت وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم وكان إذا
بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها فإن
لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير **أقول** ذكر هذا الفصل ابن المقفع في أدبه
ونسبه إلى الحسن بن علي عليه السلام وبذّ غلب ونقع الغليل سكن العطش وأدلى بحجته أرسلها واحتج بها
وبدهه الأمر أتاه من غير تأهب له والمشار إليه قيل هو أبو ذر الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون
وقد وصفه باثنتي عشرة فضيلة أحدها أنه كان يستصغر الدنيا وينظر إليها بعين الاحتقار وظاهر
أن ذلك يستلزم عظمه في عيون أهل الله الثانية أنه كان خارجا عن سلطان بطنه وهو كناية
عن خروجه من أسر شهوته وخلاصه من رذيلة الفجور إلى فضيلة العفة فكف شهوته عما لا يجد يستلزم
عدم رذيلة الحرص والحسد ونحوهما وعدم الإكثار مما يجد يستلزم نزاهته عن رذيلة الشره والنهم
ونحوهما الثالثة فضيلة العدل في الكلام والسكوت أي أنه ينطق بالحكمة في موضعها وأما غلبة السكوت
عليه فلقوة عقله كما قال عليه السلام فيما قبل إذا تم العقل نقص الكلام الرابعة أنه كان ضعيفا مستضعفا
أي فقيرا منظورا إليه بعين الذلة والفقر وذلك من لوازم فضيلة التواضع الخامسة فضيلة الشجاعة
عند الجد في الحرب والغضب لله وكنى عن ذلك بقوله فإذا جاء الجد إلى قوله واد واستعار لفظ
الليث باعتبار سطوته وعدوانه ولفظ الصل باعتبار بأسه وكناية في العدو والمثل المضروب
بحية الوادي في الشجاعة وكناية السم النافذ السادسة أنه لا يدلي بحجة حتى يجد قاضيا وهو من فضيلة العدل

في وضع

في وضع الأشياء مواضعها السابعة كونه لا يلوم أحدا على ما يحتمل العذر إلا بعد سماع الاعتذار فإن كان
هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل والإنصاف وفضيلة الثبات واحتمال المكروه الثامنة
كونه لا يشكو ما ينزل به من الأمراض تسليما لحكم الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد زوالها على سبيل
الإخبار دون الشكاية أو أنه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك التاسعة
كان يطابق بفعله قوله ويحترز عن الكذب والخلف العاشرة كان يترك المماراة والمجادلة والمغالبة
في الأقوال ويعدل إلى السكوت إذا غولب في القول وذلك من فضيلة الحكمة لعلمه بمواقع السكوت
والكلام ومن فضيلة قهر قوة الغضب في المغالبة الحادية عشر وكان أحرص على الاستماع منه على الكلام
ترجيحا لجانب الاستفادة على الإفادة والأول أهم من الثانية وذلك من فضيلة الحكمة الثانية عشر وكان
إذا خطر بباله أمران دفعة من غير سابقة فكر في أيهما أصلح مثلا كالتزويج وعدمه فكر في أيهما أقرب
إلى الهوى وميل الشهوة كالتزويج فخالفه إلى تركه ولما كان غرض الفصل أن تقتدي السامعون
بالفضائل المذكورة أمرهم عليه السلام بلزومها والتنافس فيها وفي بعضها إن لم يمكن الكل ورغب
في ذلك بقوله فاعلموا الآية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان خيرا فينبغي لزومه والتنافس فيه
وقال عليه السلام لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب أن لا يعصى شكرا لنعمه لما كان شكر النعم بأقوال
وأفعال المطابقة لها واجبا عقلا وجب ترك المعصية الذي هو لازم للطاعة الواجبة لأن لازم
الواجب واجب ومقتضى الكلام أنه لو لم يتوعد على معصيته لكان يجب تركها شكرا أي قبل شكره
تكليف وقد توعد مع ذلك عليها فبالأولى أن يجب تركها **وقال عليه السلام** وقد عزى الأشعث بن
قيس عن ابن له يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم وإن تصبر ففي الله
من كل مصيبة خلف يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور وإن جزعت جرى
عليك القدر وأنت مأزور ابنك سرّك وهو بلاء وفتنة وحزنك وهو ثواب ورحمة استدرجه
أولا بتجويز الحزن وأنه في موضعه باعتبار أن الرحم يستحق من ذي رحمه ذلك ثم عقبه بأن الأولى خلاف
الجزع والحزن وأن الصبر به أولى وذلك من وجوه أحدها قوله وإن تصبر إلى قوله خلف وهي متصلة
صغرى ضمير تقدير كبراه كلما كان في الله خلف عنه فالصبر عنه أولى والنتيجة إن تصبر على مصيبتك
فالصبر عليه أولى الثاني قوله إن صبرت إلى قوله وأنت مأجور أي على صبرك وهي صغرى ضمير أيضا
تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مأجور على صبره فالصبر به أولى الثالث تنزه عن الجزع
بقوله وإن جزعت إلى قوله مأزور أي على جزعه وأصله موزور ورجح لمناسبة القرينة الأولى وهي
ضمير أيضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مأزور على جزعه فخلافه أولى الرابع قوله ترك
وهو بلاء وفتنة وهو تنفير عن إفراط السرور به ووجه كونه بلاء أن الإفراط في محبته يستلزم رذائل
خلقية كالجبن عما ينبغي من الجهاد وخوف مفارقته وكالبخل خوف فقره والنظر له في عاقبته وكالحزن
في أمراضه وأعراضه كما قال صلى الله عليه وآله الولد محزنة مجبنة مبخلة وكذلك بغضه يستلزم رذيلة العقوق

وقطع الرحم وصرف المال عنه في غير وجهه فالحرى ان يبتلى الله الوالد بولده ويطلب منه الوقوف على حد
العدل في حقه فالواو في قوله وهو للحال وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان كذلك فينبغي ان لا يأسف على
ما فات من السرور الى آخره قوله وحزنك الخ تنفير عن الحزن عليه بما يلزم تركه من الصبر على المصيبة به من ثواب الله
ورحمته وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما حزن وهو ثواب ورحمة فينبغي ان يصبر على الحزن عليه
وقال عليه السلام على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ساعة دفن ان الصبر لجميل الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك
وان المصاب بك لجليل وانه قبلك وبعدك لجلل الجلل الامر اليسير والامر العظيم وهو من الاضداد
وانما كان الصبر غير جميل في المصيبة به عليه السلام والجزع عليه غير قبيح لانه صلى الله عليه وآله اصل الدين
والقدوة فيه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر اخلاقه وسنته وسيرته
فكان غير قبيح من هذا الوجه او ان المصيبة به مصيبة عظيمة وهو اعظم فائت فيحسن الجزع عليه واما ان الصبر
فانه يؤول الى سلوانه والغفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوجه وقد تعرض الفضلاء البلغاء لبعض الاعتبارات
وهذه بما احسن من وجه وظاهر ان المصاب به اعظم مصاب باحد من الناس وان كل مصاب باحد
من قبله او بعده فهو سهل هين بالنسبة اليه وقيل اراد ان المصاب به قبله عظيم على المسلمين لمكان انهم
وبعده لك لاختلال امرهم وامر الدين بفقده والاول اظهر وقال عليه السلام لا تصحب المائق فانه
يزين لك فعله ويود ان تكون مثله المائق الاحمق ونفر عنه بضمير صغراه قوله فانه الخ وذلك لانه لحمقه
يعتقد كمال نفسه وحسن افعاله ووجوب الاقتداء بها فهو يزينها ويحب لمن ان يكون مثلها و
يدعوه الى ذلك وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا يجوز صحبته وقال عليه السلام وقد سئل عن مسافة
ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو جواب واقع مقنع وغرض الخطابة الاقناع
فاما تحقيق ما بينهما باعتبار تعيين مساحة الارض او الفلك فامر يرجع الى علم الهيئة ولعله عليه السلام انما
عدل عن الجواب بشيء من ذلك استبعادا لبعض العوام له ولا نقول انه عليه السلام ما كان يعلم ذلك
وقال عليه السلام اصدقاؤك ثلثة واعداؤك ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو
عدوك واعداؤك ثلثة عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك الحكم بان صديق الصديق
وعدو العدو صديق من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق غير عالم بان الصديق صديقا
وكون العدو غير عالم بان العدو عدوا فضلا ان يعاديه او يواليه وكذلك الحكم بان عدو الصديق
وصديق العدو عدو للاحتمال المذكور وقال عليه السلام لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه اضرار بنفسه
انما انت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه ووجه الشبه قصده لاذى غيره بما يستلزم اذى نفسه
وقال عليه السلام ما اكثر العبر واقل الاعتبار اراد بالعبر محال الاعتبار وهو في معرض التوبيخ للناس
على ترك الاعتبار وقال عليه السلام من بالغ في الخصومة اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع ان يتقي الله
من خاصم نفر عن طرفي الافراط والتفريط في المجادلة والمخاصمة بما يلزم رذيلة الافراط فيها وهو الظلم
من الاثم وطرف التفريط فيها من رذيلة الانظلام واشار الى صعوبة الوقوف فيها على حد العدل بقوله

ولا يستطيع

ولا يستطيع الخ وهو كالتنفير عن اصل المخاصمة لانها مظنة الرذائل وقال عليه السلام ما اهمني ذنب امهلت
بعده حتى اصلي ركعتين اي لم احزن من ذنب امهلني الله بعده الى ان اصلي ركعتين وذلك لان الصلوة
تكفر الذنب فاذا امهل الى ان يصليهما لم يحزن لسببه وسئل عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق على
كثرتهم فقال كما يرزقهم على كثرتهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه شبه كيفية محاسبته
تعالى الخلق على كثرتهم بكيفية رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا اصلا في التشبيه لظهوره وعلم السائل به وكذلك
شبه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم من غير رؤية ووجه الشبه في الموضعين امكان
ذلك منه تعالى لشمول قدرته وعدم حاجته في شيء الى شيء وقال عليه السلام رسولك ترجمان عقلك و
كتابك ابلغ من ينطق عنك استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار انه يعبر عنه واما ان الكتاب
ابلغ من ينطق عن صاحبه فلضبط مراده فيه دون ما في لسان الرسول لانه ربما يزيد في الرسالة على صاحبها او ينقص
سهوا او لغرض فيقع الخلل بسبب ذلك حتى ربما كان فيها هلاك المرسل وقال عليه السلام ما المبتلى الذي
قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء اي انهما سواء في الحاجة الى دعاء الله
فذاك لحاجته الى الخلاص من بلائه وهذا الى بقاء عافيته وامنه من لحوق البلاء وهو حث لاهل العافية على
دعاء الله لغرض الالتفات اليه ودوام قصده وقال عليه السلام الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على
حب امه وهو توبيخ للناس على حب الدنيا ولفظ الابناء مستعار لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها
بالطبع وقوله ولا يلام الخ لوم لهم وهذا كما تقول لمن توبخه مثلا على اللوم ان طبيعتك اللوم ولا لوم عليك
فيما جبلت عليه وقال عليه السلام ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد اعطى الله
رغب في اعطاء المسكين بضمير صغراه ما ذكر واستعار له لفظ رسول الله باعتبار طالب منه وبامره (?)
وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب اعطاؤه وارضاؤه وقال عليه السلام ما زنى غيور قط اي انه
وذلك ان الغيور الحق اذا هم بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه من الغير فيغار ويرفض خياله داعيه فيحجم عنه
وقال عليه السلام كفى بالاجل حارسا استعار له لفظ الحارس باعتبار ان الانسان لا يهلك ما دام
اجله كالحارس وقال عليه السلام ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب قال السيد ومعنى ذلك
انه يصبر على قتل الاولاد ولا يصبر على سلب الاموال واقول الحرب سلب الاموال وانما كان كذلك
لان كان المال والولد محبوبين للطبع في استخلاص بالنهوض لهم والحرب عنه دون الثكل وقال عليه السلام
مودة الآباء قرابة بين الابناء والقرابة احوج الى المودة من المودة الى القرابة استعار لفظ القرابة
للمودة المتأكدة بين الابناء فهي كالقرابة واخبر بها عن مودة الآباء اخبارا باللازم عن ملزومه اذ كانت
صداقة الآباء والمودة بينهم يستلزم تأكدها بين الابناء وشدة اتصالهم ثم اشار الى تفضيل المودة على
القرابة لكون القرابة اكثر حاجة الى المودة في الانتفاع بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة
في الانتفاع بها وقال عليه السلام اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على السنتهم ظن المؤمن الكامل (?)
يحكي لصفاء نفسه وكمال استعداده للفكر الصحيح القريب من الحدس ولانتقاشه بنور الحق كما قال صلى الله عليه وآله

اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله فيفيض الله سبحانه صورة ذلك الى على لسانه فينطق به وقوله فانه آه
صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يتقى ظنه وهو شبيه لمن عساه ينوي شرا الرجوع عنه
خوف ظنون المؤمنين وقال عليه السلام لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده
صدق الايمان بالشيء يقينه وكماله من كمال حسن الرجاء له والتوكل عليه حتى يكون اوثق بما في يد الله منه
بما في يده وذلك يستلزم وصول رزقه من الله وجزمه بذلك الاقوى من جزمه وثوقه بما في يده لجواز تلفه
وعدم ثباته وهي مرتبة عالية من مراتب التوكل وقال عليه السلام لانس بن مالك وقد كان بعثه الى طلحة
والزبير لما جاءا الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما فلوى عن ذلك
فرجع اليه عليه السلام فقال اني انسيت ذلك الامر فقال له ان كنت كاذبا فضربك الله بها بيضاء لامعة
لا تواريها العمامة يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الا مبرقعا
اقول ما كان بعثه اليهما ليذكرهما به هو ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لطلحة والزبير انكما
ستقاتلان عليا وانتما له ظالمان فلما بعثه لقي من صرفه ولوى رأيه عن ذلك فرجع فدعا عليه واستجيب
دعوته وحضانه محل الجرح الا من الخير فيها وقال عليه السلام ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا
اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض وقد مر معنى اقبالها وادبارها
وخص اقبالها بالنوافل لانها حاضرة لها والفرائض دون الادبار وقال عليه السلام في القرآن نبأ
ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبأ ما قبلهم اخبار القرون الماضية وخبر ما بعدهم ذكر احوال الموت
والقيامة والوعد والوعيد وحكم ما بينهم بيان الاحكام الخمسة المتعلقة بافعالهم وهو في معرض مدح القرآن
والحث على قراءته وتدبره وقال عليه السلام ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر لا يدفعه الا الشر فالحجر
كناية عن الشر ورده من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر بمثله ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان
الشر آه وتقدير الكبرى وكل ما لا يقطع الا بالشر فواجب ان يقطع به وليس هذا امرا عاما بل مراد
بالحلم في مواضع كثيرة وقال عليه السلام لكاتبه عبيد الله بن ابي رافع ألق دواتك واطل جلفة
قلمك وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط كان ابو رافع مولى
لرسول الله صلى الله عليه وآله والق الدواة ولقها اصلحها بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة
بين الحروف تقريب بعضها من بعض والصباحة الحسن وفائدة الجيد الاول ظاهرة وفائدة الثاني
ان الجلفة الطويلة تقبل مدادا اكثر فيستمر القلم في كتابة كلمات كثيرة على نهج واحد من غير تقطيع بين المدات
بخلاف الجلفة القصيرة فان مدادها اقل والتقاطيع بين مداتها اكثر فيكثر التفاوت بين الكلمات
في اواخر كل مدة واول الاخرى بعدها وفائدة الثالث ظهور الفصل بين السطور وتميز بعضها
عن بعض وفائدة الرابع كون الكلام حسن الهيئة والحسن لما اقرب حفظا ولعل بعض هذه القيود
او كلها شرط في حسن ليس بشرط في حسن بعض اجناس الخط المحدثة بعده ورغب في ذلك بقوله فان
ذلك اي فان هذه الشرائط وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان اولى بصباحة الخط فعلا اولى

وقال

وقال عليه السلام انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار قال السيد ومعنى ذلك ان المؤمنين يتبعونه
والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها واقول استعار لنفسه لفظ اليعسوب ووجه
الشبه ما ذكره السيد ره وقال له بعض اليهود ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه
ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقال انكم قوم تجهلون اراد انا لم نختلف
في نبوته وشك فيه في ذلك وانما وقع خلافنا عنه اي بسبب اشتباه بعض ما جاء عنه من كتاب وسنته
وبعد ذلك واما انتم فقد اختلفتم في ان لكم صانعا ام لا حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها وذلك يستلزم
الشك منكم في نبوة نبيكم بالله وحده وقيل له عليه السلام باي شيء غلبت الاقران فقال ما لقيت احدا الا اعانني
على نفسه قال السيد ره يومي عليه السلام الى تمكن هيبته في القلوب اراد ان سابق هيبته وتخيل الاقران
ما جرت به عادته من الظفر بالاقران وقتلهم يوجب لنفوسهم الانفعال وضعفا عن مقاومته وذلك
مما يعينه عليهم وقال عليه السلام لابنه محمد رحمه الله يا بني اني اخاف عليك من الفقر فاستعذ بالله منه
فانه منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت امره بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلثة
اما كونه منقصة للدين فللاشتغال به وتحصيل قوام البدن عن العبادة وكونه مدهشة للعقل اي محل
دهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به ظاهر وكذا كونه داعية مقت الخلق لصاحبه ورغب في
الاستعاذة منه بضمير صغراه قوله فان الفقر آه وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فيجب الاستعاذة بالله
منه وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة سل تفقها ولا تسأل تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم
وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المعضلة المسألة المشكلة والتعنت طلب الامر الشاق على من يطلب منه
والتعسف الاخذ على غير الطريق وقد كان عليه السلام فهم من السائل ان غرضه الامتحان فارشده
الى تأدبه وارشده الى ما ينبغي من وضع السؤال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الاول
بالسؤال الاول وتفقها وتعنتا مفعولان له او مصدران سدا مسد الحال ورغب في السؤال على وجه
التعلم بضمير صغراه قوله فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ووجه الشبه اشتراكهما في طلب العلم وقصده
وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالعالم فينبغي ان يسلك مسلكه ثم نفر عن سلوك غير الطريق الحق
في السؤال والعدول به الى غير المقصود الاصلي بضمير ثان صغراه قوله فان العالم الى قوله بالجاهل
ووجه الشبه كون ذلك العالم يضع سؤاله في غير موضعه ويطلب ما لا ينبغي كالجاهل بمواضع الاسولة
ومواقعها وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالجاهل فينبغي ان يجتنب طريقه ليخلص من هذا الشبه
وقال عليه السلام لعبد الله بن العباس ره وقد اشار عليه في شيء لم يوافق رأيه لك ان تشير علي وارى
فاذا عصيتك فاطعني روي انه اشار عليه عند انصرافه من تحكيم حاج وقد بايعه الناس وقال
يا امير المؤمنين ان هذا امر عظيم يخاف غوائل الناس فيه فاكتب لطلحة بولاية البصرة والزبير بولاية
الكوفة واكتب الى معوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام حتى اذا استقام لك الامر بعثك
وجرى على سنتك وطاعتك فانه ان تركته على حاله وان خالفك فادعه الى المدينة وابدل غيره و[illegible]

بكار الفتنة فقال عليه السلام معاذ الله ان اسند ديني بدنيا غيري ولك يا ابن عباس ان تشير وخذف معقول اري للعلم به اي انظر في وجه المصلحة واوجب طاعته نفسه لانه الامام ولانه افضل رايا فاذا راى المصلحة في شي فرايه ارجح وروي انه عليه السلام لما ورد الكوفة قادما من صفين مر بالشاميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال له اتغلبكم نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشي معه وهو عليه السلام راكب فقال له ارجع فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن شبام بكسر الشين حي من العرب وقاد ماضي حال والاستفهام للانكار دخل على النفي وقد علمت ما في الجزع من الرذيلة فلذلك نهى عنه ولانه يجبن الرجال ويسلبهم عن الحرب وهو في محل الحاجة ونهاه عن المشي معه لتضمنه مفسدتين فقوله فان مشي مثلك آه وتقدير الكبرى وكلما كان فتنة ومذلة وجب تركه **وقال عليه السلام** وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهر بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالاماني وفسحت لهم بالمعاصي ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار البؤس الشدة ونهاهم عن تقييدهم لمن غرهم وغرهم بالشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد به النفس الامارة وان العطف انما يقتضي التغاير في العبارة والاماني التي غرتهم بها هي امانيهم الغلبة والقهر وفسحها لهم في المعاصي ترخيصها لهم وتوسيعها بتزيينها وذلك ما وعدتهم به من اظهارهم على غالبهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ الاقتحام مستعار لسرعة دخولهم النار **وقال عليه السلام** اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصي الله ونفر عنها بضمير صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم وتقدير كبراه وكل من كان الشاهد عليه هو حاكمه وجب عليه ان يتقيه **وقال عليه السلام** لما بلغه قتل محمد بن ابي بكر رضه ان حزننا عليه على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا بغيضا ونقصنا حبيبا قد بينا فيما سلف مكانه منه عليه السلام وقوله ان حزننا عليه على قدر سرورهم به اي بفقده اراد انه يناسبه في الشدة واشار الى الفرق بين اعتبار نقصانه منهم ونقصانه منه وذلك في موضع التالم لفقده **وقال عليه السلام** العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة اعذر اليه اتاه بالعذر واعذار الله اليه امهاله اياه المدة المذكورة التي هي مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد فان ما بعد الستين يضعف فيه القوى النفسانية والبدنية ويكل عن العمل فمن قصر الى تلك الغاية فقد توجه اللوم عليه وانقطعت حجته بالاعذار اليه **وقال عليه السلام** ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب وهو تنفير من الظلم والبغي وذلك ان الظافر الحق هو من قد خصمه على وجه العدل فمن لا يكون كذلك يلزمه الظلم ويقهره عند الله الاثم فيكون مغلوبا بالظلم وهو في صورة غالب واستعار وصف الظفر والغلبة له باعتبار قهره واحاطته به **وقال عليه السلام** ان الله سبحانه فرض في اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير الا بما متع به غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك اراد بذلك الفرض الزكوة ونبه على ان جوع الفقير انما يكون بما منعه الغني من القوت او ما هو وسيلة اليه ورتب الاغنياء بقوله

والله سائلهم عن ذلك وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من سائله الله فينبغي ان يحذر سؤاله **وقال عليه السلام** الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اي ارادان ترك ما يحتاج فيه الى العذر فيستغني بتركه عن العذر اعز وذلك وانفع لك من ان تاتيه ويكون لك فيه عذر صادق ويحتمل ان يريد بقوله اعز اي اكثر عزة لك اذا اتيت بالعذر تحتاج الى ذل وحاجة **وقال عليه السلام** اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه وذلك ان العدل ان تستعينوا بنعمته على طاعته فان لم تفعل ذلك فلا اقل من ان تستعمل في الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته فان ذلك مما يوجب السخط **وقال عليه السلام** ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة طاعته تعالى غنيمة الاكياس باعتبار استلزامها منفعتهم الجسيمة في الآخرة ووجه الغنيمة فيهم والاكياس هم الذين استعملوا فطنهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه الغنيمة عند تفريط العجزة وهم المقصرون عما ينبغي لهم وهو في موضع ذمهم على التقصير البالغ الشبيه بالعجز **وقال عليه السلام** السلطان وزعة الله في ارضه الوزعة الوازع وهو الرادع الحاكم اي انه تعالى وضعه في ارضه ليمنع به ما يريد منعه واراد السلطان العادل **وقال عليه السلام** في صفة المؤمن المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنا السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول وقته شكور صبور مغمور بفكرته ضنين بخلته سهل الخليقة لين العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من العبد اشار الى بعض ما ذكر انه من فضائل التوبة والمح ست عشر وصفا احدها ان بشره في وجهه وذلك من تمام فضيلة التواضع وبين الاصحاب الثانية وحزنه في قلبه وذلك من خشية الله ونظره الى ما عساه فرط فيه من جنب الله الثالث اوسع شيء صدرا وقد علمت ان سعة الصدر فضيلة للقوة الغضبية وقد يعبر عنها برحب الذراع وانه مستلزم لهذه الفضيلة الرابع واذل شيء نفسا اي تواضعه لله ونظر نفسه الى محلها ومقدارها من الحاجة الى الله وصدرا ونفسا تميز ان الخامس كراهية الرفعة لانها مبدا الرذائل كالعجب والكبر وكذلك بغضه السمعة احتراز من تلك الرذائل السادس طول غمه لنظره دائما الى ما بين يديه من الموت وما بعده السابع وبعد همه وذلك لان بعد همته وعلوها عن دنايا الدنيا ونظره الى المطلوب الاكمل من السعادة الاخروية الباقية الثامن كثرة صمته وذلك لكمال عقله فهو لا ينطق الا بما يحتاج اليه مما فيه حكمة وصلاح التاسع شغل وقته اي بالعبادة ربه العاشر كونه شكورا اي كثير الشكر لنعم الله الحادي عشر صبورا اي على بلاء الله الثاني عشر مغمور بفكرته في ملكوت السموات والارض واستنباط آيات الله وعبره منها الثالث عشر ضنين بخلته اي صداقته ومخالفته واهلها الذين هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون فلا يبذلها كيف اتفق ومع كل من طلب مودته وخلته ويحتمل ان يريد انه اذا خال احدا ظن بخلته ان يضيعها او يميل عنها وروي تميع اي والخلة اي حاجة اي اذا عرضت له حاجة ضن بها ان يسال احدا فيها الرابع عشر سهل الخليقة اي لا جافي في طباعه ولا خشونة الخامس هين العريكة وهو كناية عن سهولة تناول ما يراد منه واصلها الجلد الاديم يكون لينا عند الدلك في الدباغ سهلا الخامس عشر نفسه اصلب من الصلد لشجاعته

ونبّه بنو طاعاته وهو اذل من العبد لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة باريه والواو للحال
وقال عليه السلام لو رأى العبد الأجل ومسيره لأبغض الأمل وغروره استعار لفظ المسير للاجل
وهو زمان الحيوة باعتبار تقضّي اجزائه وانتهائه بفنائها كما يقطع السائر اجزاء المسافة وينتهي الى
غايته بفنائها ويحتمل ان يريد بالاجل غاية الحيوة واستعار لفظ المسير لنزول المعقول منه واراد
انه لو كان الاجل بصورة سائر محسوس شاهد العبد مسيره الى الموت وعلم غايته لقطع آماله
الدنيوية ولم يغترّ بها وقال عليه السلام لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث نفرغ
اوفارا قال بذكر الشريكين المكروهين وقال عليه السلام الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر وشبّه
من يدعو الله ولا عمل له بالرامي بغير وتر ووجه الشبه عدم امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول
احمق الناس من ترك العمل وتمنّى على الله وقال عليه السلام العلم علمان مطبوع ومسموع ولا ينفع
المسموع اذا لم يكن المطبوع اراد بالمطبوع العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضرورية
للانتقال منها الى العلوم المكتسبة والمسموعة من العلماء فان من لا يكون له ذلك الاستعداد لا ينتفع
بما يسمعه من العلوم ولا يتمكن من اكتسابه وقيل اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل
كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم الشرعية التي هي فروع العقلية اذ لا ينتفع بالفرع من دون
اصله وقال عليه السلام صواب الرأي بالدول يقبل باقبالها ويذهب بذهابها اي ان الدولة مستلزمة لصواب
الرأي اذ كان من تمام السعادة المقتضية للدولة ان يكون لها رأي صواب يكون به تدبيرها وذلك
السعادة والدولة معدّة لاختيار اصلح الآراء وقائدة اليه فهو يقبل باقبالها لاعدادها له وعند
ذهابها يذهب الرأي الصواب وان عُدّ في الظاهر صوابا وقال عليه السلام العفاف زينة
الفقر والشكر زينة الغنى العفة فضيلة القوة الشهوية وظاهر كونها للانسان وهي مع الفقر
اجمل فانها تفيد الفقير بها ومحبة في قلوب الخلق وكسب المدح والثناء منهم ويظهر اثرها عليه بخلاف
دون هذا الفقير خسر الدنيا والآخرة والشكر من فضائل قوة الشهوة ايضا ومع الغني
مقابلة نعم الله بالكفران تزينه غناه وتمامه اذ شكره له وقال عليه السلام يوم العدل على الظالم
اشد من يوم الجور على المظلوم فيوم العدل يوم القيمة ويوم الجور وقت الظلم وقد مرّ بيانه وقال عليه السلام
الأقاويل محفوظة والسرائر مبلوّة وكل نفس بما كسبت رهينة والناس منقوصون مدخولون
الا من عصم الله سائلهم متعنّت ومجيبهم متكلّف يكاد افضلهم رأيا يردّه عن فضل رأيه الرضا والسخط
ويكاد اصلبهم عودا تنكؤه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس اتقوا الله فكم من
مؤمّل ما لا يبلغه وبانٍ ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه
اصابه حراما واحتمل به آثاما فباء بوزره وقدم على ربه آسفا لاهفا قد خسر الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين مبلوّة مختبرة ودخل فلان فهو مدخول ومدخل اي في عقله دخل وعلّة
وتنكؤه اي تؤثر فيه وتستحيله تغيّره وبالجملة يرجع به وحصل عليه والا لهف المتحسّر والفعل

في معرض

في معرض الوعظ فتنبّه السامعين اذ علموا ان اقوالهم محفوظة وسرائرهم مختبرة بما كلفوا به من طاعة
والسرائر ما اضمر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وعن معاذ بن جبل قال سألت النبي صلى
عن قوله تعالى يوم تبلى السرائر ما هذه السرائر التي تبلى يوم القيمة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلوة
والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة وكل مفروض لان الاعمال كلها سرائر خفية فان شاء
قال صليت ولم يصلّ وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ واستعار لفظ الرهينة للنفس باعتبار
وثوقها في الآخرة بما كسبت من الشر كما يوثق الرهن بما عليه من مال واللفظ من القرآن المجيد وغرض
ذلك التنبيه على العدل في القول والاعتبار بالخير واكتساب الاعمال الصالحة ثم نبّه على ما فيهم من النقصان
الطبيعي المحتاج الى التكميل المكتسب ووصف سائلهم بان سؤاله خارج عما ينبغي لان غرضه به الامتحان
دون العلم ومجيبهم بالتكلف في جوابه لقلة علمه وافضلهم رأيا بانه يكاد ان يردّه عن فضل رأيه ما
يعرض له من امر يرضى به او يسخطه ويرجع عنه وان كان ذلك هو جهة المصلحة واصلبهم عودا اي
اشدهم في امر الله واقواهم في طاعته تؤثر فيه اللحظة اي ممن ينظر اليه نظرا ابه وتستحيله الكلمة
الواحدة منه فتغيّره عن الحق ويجوز ان يريد اللحظة والكلمة ممن يستهويه للدنيا ولذاتها ثم امرهم
بتقوى الله ونفّرهم عن تتبّع الامل جذبا الى التقوى بذكر كثرة من يؤمّل ما لا يبلغه ويبني ما لا يسكنه ويجمع
ما هو من تركه مع احتمال ان يكون من باطل جمعه ومن حق منعه اي ما اصابه حراما وحمل ثقل وزره
وقدم به على ربه حزينا متحسرا على ما فرّط في جنبه فقد خسر الدنيا بموته والآخرة بتفريطه في اكتساب
خيرها وذلك هو الخسران المبين وقال عليه السلام من العصمة تعذّر المعاصي اي من اسباب العصمة
وذلك ان الانسان يتعوّد تركها حين لا يجدها حتى يصير ذلك ملكة له وهي المراد بالعصمة وقال عليه السلام
ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه للحياء ونوره على الوجه
الذي يذهب من وجه السائل بسؤاله ورشّح بذكر الجمود والتقطير ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض
من العرق عند خجل السائل بسؤاله واستحيائه وغرض الكلمة منع السؤال من غير اهل المروّة
والبيوتات ودوي وجهك ما جامد فيكون استعارة لماء الوجه باعتبار رشحه فكأنه ذات قطر
كالماء الجامد وقال عليه السلام الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عيّ او حسد
الملق هو التلطف الشديد بالقول والافراط في المدح ونفّر عن طرفي الافراط والتفريط في الثناء
فالافراط بما يلزمه من رذيلة الملق والتفريط بما يلزمه من العيّ عن المدح او الحسد بالفضيلة الممدوح عليها
وقال عليه السلام اشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه وذلك ان استهانته به يستلزم انهماكه فيه و
استكثاره منه وعدم اقلاعه عنه حتى يصير ملكة بخلاف المستصعب من الذنوب وقال عليه السلام [illegible]
[illegible] من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره انما خص ذكر عيب الغير غالبا في معرض الاحتجاج
عليه بالبراءة من ذلك العيب فاذا نظر الى مثله من نفسه شغله اعتبار ذلك النقصان فيها عن الاشتغال
بنقصان غيره والنظر فيه الثانية ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته وذلك ان الحزن على ما فات

يقبل باقبالها

مستلزم لعدم القناعة والرضى بالحاصل من الرزق فعدم ذلك اللازم مستلزم لعدم ملزومه وهو الحزن على الفائت
الثالثة ومن سل سيف البغي قتل به وهو كناية عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب لهلاك الظالم وقد سبق بيانه
مرارا الرابعة ومن كابد الامور عطب اي من قاساها بنفسه استعد بها للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق
استعار لفظ اللجج للامور العظام كالحروب وتدبير الدول ولفظ الغرق للهلاك السادسة ومن دخل
مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة ودخولها من الامارات الموجبة للظن كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة
ومن كثر كلامه كثر خطؤه لانه قد مر ان كمال العقل مستلزم لقلة الكلام فيكون كثرة الكلام مستلزما لنقصان
العقل المستلزم لكثرة الخطأ والقول من غير تروّ وتثبّت الثامنة ومن كثر خطؤه قل حياؤه لانك علمت
ان الحياء هو انحصار النفس عن الامور التي يقبح تعاطيها والاقدام عليها لملاحظة ما يلحق من ارتكابها
من قبح الاحدوثة والاقدام على الخطأ لكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك الامور ويخرج عنها التاسعة
ومن قل حياؤه قل ورعه لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله دون الرذائل
والحياء منها فقلة الحياء مستلزم لقلة الورع وربما فسر الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر ان قلة الحياء
مظنة للاقدام على المحارم فكانت مظنة لقلة الورع فاقام الشيء مقام مظنة الشيء وحكم به العاشرة
ومن قل ورعه مات قلبه اي لما كانت الفضيلة هي حياة القلب استعار لعدمها وقلتها فيه لفظ الموت
باعتبار عدم انتفاعه بها كعدم انتفاع الميت عن الانتفاع بالحياة الحادية عشر ومن مات قلبه دخل النار لان
المخرج لها الى الجنة هو استكمالها بالفضيلة فاذا فقدها فالنار موعده والكلام في صورة قياس
مفصول نتيجته ان من كثر كلامه دخل النار وهو تنفير عن كثرة الكلام الثانية عشر ومن نظر في عيوب الناس
فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ووجه الحمق ان كونه منكرا لها من غيره يستلزم كونه رأى
الحق ان لا يفعلها ورضاه بها لنفسه مخالفة لما رأى الحق له وخروج عن المصلحة لنفسه وذلك حمق
ونقصان ظاهر في العقل والالف واللام في الحمق في حصره في المشار اليه ولذلك اكده بعينه
الثالثة عشر ومن اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير لان الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع
والالتذاذ به وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومبغض له الرابعة عشر ومن علم ان كلامه من عمله
قل كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بذلك يرتب قياسا لهذا الكلام عمل والاعمال مؤاخذ
عليها الا فيما يعني منها فينتج ان الكلام مؤاخذ عليه الا فيما يعني منه وذلك موجب للاقتصار على ما يعني منه
وقال عليه السلم للظالم من الرجال ثلث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر
القوم الظلمة فظلمه لمن فوقه عصيان الله وتعديه لحدوده والعلو والثانية مستلزمة للاولى والثالثة
مستلزمة للاولين وقال عليه السلم عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء
يكون الرخاء تناهي الشدة مستلزم للخلاص منها وهو المراد بالفرج وكذلك تضايق الحلق هو وقت
الفزع الخالص الى الله والرجاء الكامل وذلك معد للفرج منه واستعار لفظ الحلق للامور الشديدة
المحيطة بالانسان لا يجد عنها محيصا ملاحظة لشبهها بالحلقة في البطان والحزام وقال عليه السلم لبعض

اصحابه

اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع اولياءه
وان يكونوا اعداء الله فما همك وشغلك باعداء الله نهى عن كثرة الاشتغال بالاهل والولد لصرف ذلك
عن طاعة الله ونبه على عدم جوازه بما هو في قوة قياس شرطي منفصل تقديره ان اهلك وولدك اما ان يكونوا
من اولياء الله او اعدائه وعلى التقديرين لا يجوز الاشتغال بهم اما الاولياء فلان الله تعالى لا يضيعهم
فلا حاجة بهم الى اهتمام غيره واما اعداؤه فلا يجوز الاهتمام بحالهم وما في قوله فما همك استفهام على سبيل
التقريع والتوبيخ وقال عليه السلم اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله قد مر ان ذلك حمق وهو اكبر
العيوب وهنأ بحضرته عليه السلم رجل رجلا بغلام ولد له فقال له ليهنئك الفارس فقال عليه السلم
لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ اشده ورزقت بره وهذا
ارشاد منه للتهنئة بالولد وفيها اربع فوائد احدها تذكير الوالد شكر الله والتفاته اليه الثانية
استنزال البركة منه بالدعاء فيما وهبه الثالثة الدعاء للموهوب بالبقاء وبلوغ الاشد وهو
كمال القوة لغاية الانتفاع به الرابعة الدعاء بثمرته والانتفاع به وهي ان يرزق بره ونفعه
وبنى رجل من عماله بناء فخما فقال اطلعت الورق رؤوسها ان البناء ليصف لك الغنى الغنم العظيم
وكنى بطلوع الورق رؤوسها عن ظهور اثرها في ذلك البناء ملاحظة لشبهها بالحيوان في ظهوره وكذلك استعار
لفظ الوصف ونسبه الى البناء باعتبار انه ينبي عن الغنى كانباء الوصف عن موصوفه وقيل له عليه السلم
لو سد على رجل باب بيت وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال من حيث يأتيه اجله قاس
الرزق على الاجل لاشتراكهما في مبدأ واحد وهو قدرة الصانع تعالى واشار الى ذلك بقوله
من حيث وعزى عليه السلم قوما عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدأ ولا اليكم انتهى
وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم عليه فعدوه اي
افرضوا انه كذلك والتعزية في هذه العبارة جزيلة الحظ مفيدة للانقطاع والسلو وقال عليه السلم
ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين انه من وسع عليه في ذات يده فلم ير ذلك
استدراجا فقد امن مخوفا ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختبارا فقد ضيع مأمولا
الا فقد علا غره وامر بالوجل من نعم الله حال افاضتها خوف الاستدراج بها كما يخاف من النقمة
وذلك ان النعم يجب مقابلتها بالشكر كما ان النقم يجب مقابلتها بالصبر والغرض الحث على
فضيلتي الشكر والصبر والحذر من الركون الى النعم والغفلة بها عن الله بقوله انه الى قوله امن مخوفا
وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من امن مخوفا فهو مغرور وكذلك حذر الفقراء ان يغفل عن كون
فقره بلاء واختبارا ويعده لذلك بما يلزم ذلك من تضييع الامال وذلك انه يستعد باعتقاده اختبارا
من الله للصبر عليه وبذل منه تعالى الاجر الجزيل في الآخرة واذا لم يعتقد ذلك بطل استعداده
به فضيع مأموله وقال عليه السلم يا اسرى الرغبة اقصروا فان المعرج على الدنيا لا يروعه منها
الا صريف انياب الحدثان ايها الناس تولوا من انفسكم تأديبها واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها

الغزارة بجرأة على الصيد والولوع به والغزارة بالفتح الفرخ والغرارة بالكسر مصدر مغري به والثلث ونح
وردت بها الرواية واستعار لفظ الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وجهلها وامرهم بالاقصار عن الافراط
في طلبها وتفرغ التعريج والانعطاف عليها بقوله فان المعرج الى قوله الحدثان واستعار لفظ العريب والانياب
ملاحظة لشبه الموت عند قدومه بالبعير الهائج ثم امرهم بالناس وامرهم ان يتولوا من انفسهم تأديبها وردعها
والوقوف بها على حد العدل من الحركات والافعال وان يعدلوا بها عن جراءتها واقدامها على الانهماك
في المشتبهات وقد عرفت معنى الرياضة وقال عليه السلام لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت
تجد لها في الخير محتملا اي ما دمت تجد الكلام الخير محملا وتاويلا فلا تظنن به سوءا فان النفوس السليمة اقرب
الى الله من غيرها واوجه الحال وقال عليه السلام اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على
النبي صلى الله عليه وآله ثم سل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى
امر بتقديم سؤال الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله في طلب الحاجة لاستعداد به ورغب فيه بقوله
فان الله سبحانه اه اي ان المسألة الاوسط اجابة من الله بالاتفاق فيجب من كرمه اجابة الثانية وهو
صغرى ضمير تقديره كبراه وكل من كان اكرم من ذلك فينبغي ان يسأل المسلمين لقضي الحاجة وقال ع
من ضن بعرضه اي بخل به فليدع المراء وذلك انه داعيه ثوران القوة الغضبية من التمارين ومبدأ
المشاتمة والمسابة وقال عليه السلام من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة الخرق الحمق
ومعاجلة طلب الحاجة والاسراع اليها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها اذا امكنت
تفريط فيه وهما مذمومان وصاحبها واضع للطلب في غير موضعه وهو حمق ظاهر ونقصان في عقل
وجوه التدبير والحق العدل وهو وضع الطلب في وقت الامكان والفرصة وقال عليه السلام لا تسأل
عما لا يكون ففي الذي قد كان لك شغل ارباب السلوك عما لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب
الدنيوية بما قد كان ووجد من المطالب التي اعطيها الانسان ورغب فيها امر به من السلوك بقوله
ففي الذي اه اي ففي ذلك شغل لك عما تتوقع من غيره واراد الشغل بضبط ما في يده من النعم
وما ينبغي من الاشتغال بشكرها واستعمالها في طاعة الله وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان
لك فينبغي ان تشتغل به عما وراءه ولا تطلب الزيادة عليه وقال عليه السلام الفكر مرآة صافية
مرآة صافية واستعار لفظ المرآة باعتبار انه يرى به المعقولات كما يرى الاشباح في المرآة
وقد سبق بيانه الثانية استعار لفظ المنذر الناصح لاعتبار وذلك انه يذكر الآخرة ويحذر الاغترار
والالتفاظ عن المناهي الناصح الثالثة اشار الى ان تجنب المرء ما يكره لغيره من الرذائل المهلكة
ادب كاف له وتنزهه بكونه مكروها للغير ورغب في تجنبه بكونه ادبا كافيا للنفس وقال عليه السلام
العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل اراد انه مقرون به
في الوضع الذي ينبغي بمقتضى الحكمة الالهية وذلك انه قد جعل مقتضى العلم قرين عليته وعلته
وجعل كمالها باستكمالها بين القوتين بالعلم والعمل ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله

ومن ولحقها حديد غير ... كتب ... البعث ... لغير ... ح

فمن علم عمل اي من علم ما ينبغي له في الحكمة ان يعمل بمقتضى العلم وكان ذلك ابتداله الى العمل يستلزم الوجود منه
ويحتمل ان يكون قوله عمل خبرا في معنى الامر اي فمن علم فليعمل وقوله والعلم يهتف بالعمل اه فالهتف النداء وان
لم ير المنادي واستعار لفظه للمعقول من طلب العلم لمقارنته العمل الذي ينبغي له وجذبه الطبيعي لذلك له
ليصيح به ويدعوه الى مقارنته ليكون منهما كمال الانسان ورشح قوله فان اجابه والا ارتحل اي ان العلم
الذي ينبغي اذا قارنه العلم تاكد به حتى يصير العلم كانه برز الى عالم الحس في صورة العقل مثلا اذا علم
الانسان وجود الصانع وما ينبغي من طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت تلك العبادة منه دوام
ملاحظته تعالى واخطار ذكره بالبال حتى لا يصير نسيا له في وقت فاما اذا ترك العمل تعالى فلابد ان يشتغل
بغيره عن ذكره وينقطع ملاحظته له حتى يكون ذلك سببا لنسيانه والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال
لزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها كالراحل من وطن ما يصلح لاستيطانه
وقيل اراد بالارتحال عدم المنفعة مجازا اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت الغاية من الارتحال
عدم المنفعة بالمرتحل وقال عليه السلام ايها الناس متاع الدنيا حطام موبئ فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمأنينتها
وبلغتها ازكى من ثروتها حكم على مكثر بها بالفاقة واعين من غني عنها بالراحة من راقه زبرجها اعقبت
ناظريه كمها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره اشجانا لهن رقص على سويداء قلبه هم يشغله وهم
يحزنه حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان القاؤه وانما ينظر المؤمن
الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل
اثرى قيل اكدى وان فرح له بالبقاء حزن له بالفناء هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون اقول القلعة
الرحلة والحظوة المنفعة وراقه اعجبه والكمه العمى خلقة والاشجان العوارض الهم والرقص الغليان
والاضطراب والابهران عرقان معلقان بالقلب والكدى قل خيره والابلاس الياس من الرحمة
وفي الفصل فائدتان احديهما تنفير عن الدنيا بامور احدها ان حطامها موبئ اي مهلك واستعار لفظ
الحطام لمتاعها باعتبار سرعة زواله وقلة الانتفاع به كما قال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء الآية وكونه موبئا استلزم اجتنابه والاعتناء بجمعه للهلاك في الآخرة ولذلك امر بتجنب مرعاه
اي رعيه او محل رعيه وهو الدنيا الثاني ان قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمأنينة اليها لما يستلزم
من الشقاوة في الآخرة بمحبتها والسكون اليها في الآخرة الثالث ان الاقتصار على البلغة من العيش فيها
ازكى من الثروة بها لما تستلزمه من الثروة بها من الشقاء الاخروي فالاقتصار على القدر الضروري منها
اطهر واسلم من غوائلها الرابع حكم بالفاقة على مكثرها اما فيها فلان كل زيادة منها موجبة لحاجة اخرى
فلذلك كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم على اختلاف درجاتهم فيها واما في الآخرة
فلفقر المكثر فيها المشتغل بها من ملكات الخير والفضائل الخامس ان من غني عنها بزهده فيها اعين من الله
بالراحة فيها السادس ان من اعجبه زينتها فانصب اليها عمي عما فيها من العبر وعما وراءها من احوال الآخرة
واستعار لفظ الكمه للمعقول من عمى البصيرة عن الاعتبار وذلك اشد من العمى كما قال تعالى فانها لا تعمى الابصار

ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، التاسع أن من اتخذ محبتها شعارا ملأت قلبه هموما وغموما وأحزانا
على ما لم يحصل منها بطلبه وعلى ما فات منها بالأسف عليه واستعار لفظ الرقص لتعاقب تلك الأحزان والهموم
واضطرابها في قلبه إلى غاية الأخذ بكظمه وكنى به عن الموت وبالغاية بانقطاع نفسه وتقطع أبهريه
والفائدة الثانية أنه أرشد إلى صفات المؤمن في صحبة الدنيا أحدها أنه إنما ينظر إليها بعين الاعتبار
ليحصل منها عبرة وذلك هو الذي خلق لأجله الثانية ويقتات منها ببطن الاضطرار وكنى به عن كونه لا ينال
منها إلا بلغته ومقدار ضرورته الثالثة ويسمع فيها بأذن المقت والإبغاض وكنى به عن بغضه لما فيه
لا يسمع ما يتمتع به بل معايبها وقوله إن قيل أثرى إلى قوله أنفد إشارة إلى أن الإنسان فيها ينغص اللذة
لكدر العيش فيها هو شر إذ لحقه الإكدار والفقر أو فرح بفقد أحب إذ لحقه الحزن عليه وهذا الكلام لاحق
بالفائدة الأولى في وصف حال الإنسان في الدنيا ومن تمامه وصف المؤمن فيها أعراض وقوله
هذا ولم يأتهم أي هذا البلاء ولم يأت الناس يوم القيمة الذي لشدة هوله يأسون فيه من الرحمة

وقال عليه السلام إن الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادة لعباده
عن نقمته وحياشة لهم إلى جنته، الذودة الدفع والمنع وأشار إلى غايتي الحكمة الإلهية من وضع الثواب
والعقاب وهما ردع عباد الله عن نقمته وجمعهم إلى جنته

وقال عليه السلام يأتي على الناس زمان لا يبقى
فيهم من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البنى خراب من الهدى
سكانها وعمارها شر أهل الأرض منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوي الخطيئة يردون من شذ عنها فيها
ويسوقون من تأخر عنها إليها يقول الله عز وجل فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة أترك
الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة، رسم القرآن أثره وهو تلاوته ولا يبقى
إلا اسم الإسلام دون العمل وسكان المساجد وعمارها شرار السوء وأئمة الضلال الذين وصفهم
في صدر الكتاب بقوله إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان وبقوله في فصل اختلاف
الناس في الفتيا ترد على أحدهم القضية الخ وظاهر أن أولئك وأمثالهم شر أهل الأرض لكونهم
مبدأ الفتنة في الدين وإليهم ترجع خطايا الخلق إذ بهم يقتدون ومنهم يأخذون ومن كان كذلك
فقد استعد للفتنة التي يحار فيها الحليم من ذي العقل وذوي الحكم واستقال عليه السلام من الله تعالى
عثرة الغفلة فيجب الاقتداء به في ذلك السؤال اللهم أقلنا من عثرة الغفلة وروي أنه
قل ما اعتدل به المنبر إلا قال أمام خطبته أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو
ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده
وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته أقول
السدى المهمل والسهمة النصيب ولما كان تقوى الله والتزود بها إليه هو المطلوب من خلق
الإنسان لا جرم صدر بالأمر بها عامة خطبه عليه السلام ونبه على ذلك المطلوب وأن الغاية منه
هو الآخرة وأنه ليست الدنيا وإن تحسنت له بخلف من غايته وإن قبحها سوء نظره لما فيها

وعلى أنه لا مناسبة بين من ظفر من الدنيا بأعلى مطالبه منها وبين من ظفر من الآخرة بأدنى نصيب لشرف
نعيم الآخرة فكيف من يظفر منها بأعلى قسط وفي طالب الدنيا والمدعي الظفر بها بكونه مغرورا و
الفضل ظاهر

وقال عليه السلام عشر كلمات أحدها لا شرف أعلى من الإسلام لاستلزامه شرف الدنيا
والآخرة الثانية لا عز أعز من التقى لأن التقوى يستلزم جميع مكارم الأخلاق الجامعة لعز الدنيا
والآخرة فكان عزها أكبر من غيره الثالثة ولا معقل أحسن من الورع واستعار له لفظ المعقل
باعتبار تحصن الإنسان به من عذاب الله ولما كان عبارة لزوم الأعمال الجميلة فلا معقل أحسن منه
الرابعة ولا شفيع أنجح من التوبة وذلك لاستلزامها العفو عن جريمة التائب قطعا دون سائر
الشفعاء لشفاعتهم ولفظ الشفيع مستعار لها الخامسة ولا كنز أغنى من القناعة وذلك لكونها
فضيلة مستلزمة لسكون نفس الإنسان ورضاه بما حضر له وغناه عما وراءه ولا شيء من سائر الكنوز
لأبناء الدنيا كذلك ولفظ الكنز مستعار لها السادسة ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت
وهو قريب مما قبله السابعة ومن اقتصر على بلغة الكفاف أي البلغة التي تكف عن الناس فقد انتظم
الراحة أي في سلك الراحة من الهم بطلب الدنيا وجاذبية أهلها وتبوأ خفض الدعة أي الخفض اللين
السكون بها ومرجعها الثامنة والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب استعار للرغبة
في الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحها لباب التعب على الراغب وكذا لفظ المطية باعتبار استلزامها
كالمطية المتعب ركوبها التاسعة والحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحم في الذنوب التقحم
الدخول بسرعة فالحرص على الدنيا داع إلى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل ونحوها من
الرذائل والكبر داع إلى ظلم الأضعاف وعدم التواضع والعجب والتهور وعدم الاحتمال ونحوه
والحسد داع إلى الظلم والكذب والفساد في الأرض وغيرها من الآثام العاشرة والشر جامع
لمساوي العيوب الشر كلي كالجنس لمساوي العيوب ونعوتها إذ كل منها يصدق عليه أنه
شر مخصوص وهو المعنى بكون الشر جامعا لها

وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الأنصاري
يا جابر قوام الدين والدنيا بأربعة عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف أن يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير
لا يبيع آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه فمن قام لله
فيها بما يجب فيها عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء، الدنيا إنما تقوم بالعالم
ثم بالعلم لوضوح مواضعه ومعرفة وجوه الكتابة التي ينبغي أو لا ينبغي من حلال وحرام ومن
علم الفقه وأصوله وتفسير كتاب الله وسنة رسوله الذين منهما تعلم الأحكام ثم ما يلزم ذلك
من علم العربية ونحوه ولما كان العلم لا بد له من حامل والمال لا بد له من قابل وجب أن يكون
من شرط الأول أن يعمل بعلمه ومن شرط الثاني أن يستعمل ماله في مصارفه التي ينبغي وإلا لم يكن
لهما فائدة ولا قامت بهما أحوال الخلق التي هي الدنيا ولما كان الموت ضروريا للعلماء وغيرهم
وجب في قيام الدنيا وبقاء نظامها أن يدوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب أن يكون

وإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه صح

هناك جبال لا يشكون عن نعمه ولما كانت حاجة البعض الى البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم يكن في نظامها
ان يستغني كل عن كل لاسباب معلومة وغير معلومة وجب ان يكون هناك من لا مال له يحصل الا بشغله به فيما
هو بصدده ومن يحصل له من الاعمال الضرورية بالجود عليه فاذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الاربعة وانما شرط
في الفقراء ان لا يبيع اخرته بدنياه لان بايع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا يقوم به الدنيا ولا يصلح
لعمارتها ثم لما بين ما به قوام الدنيا اشار الى ما يلزم ضد ذلك من الفساد منفرا عنه بقوله فاذا ضيع الى قوله بدنياه
فان تضييع العالم يستلزم عدم الانتفاع به واستنكاف الجاهل عن تعلمه لسوء اعتقاده في العلم واهله لما يراه
من تضييعهم له وعدم عملهم به وقد يبقى الجاهل بنعمته وبخل الغني بموجوده مستلزم لعدم المنفعة بالمال ويلزم
ذلك من شدة حاجة الفقير من بيع آخرته بدنياه فيلزم الفساد والمنافاة لمصلحتي المعاش والمعاد ثم اشار الى
ما يلزم كثرة نعم الله على العبد من كثرة حوائج الخلق اليه ليوضح له وجوب الشكر عليها والقيام بما يجب فيها
من الاحسان الى المحتاجين اليه ورغب في ذلك بما يلزمه من تعريض العبد بذلك نعم الله عنده للدوام والمزيد
ونفر عن تضييع ذلك بما يلزمه من تعريضها للزوال وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن
ابي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه قال فيما كان يحضض به الناس على
الجهاد اني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم يقول يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من
رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل
من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل
الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين لما كان انكار المنكر واجبا على كل مكلف بحسب تمكنه كان
تمكنه من ذلك طرف ادنى وهو الانكار بالقلب لامكانه من كل احد وطرف اعلى وهو الانكار باليد
وهو الغاية ووسط وهو الانكار باللسان كانت درجاته في استحقاق الاجر مترتبة على درجات
الكاره وانما خص المنكر بقلبه بالسلامة والبراءة اي من عذاب الله لانه لم يفعل الا ما وجب عليه ولم يذكر له
اجرا وان كان كل واجب يثاب عليه لان غاية الانكار بالقلب وهو الانكار بالقلب ليس له في الظاهر
تاثير في رفع المنكر فانه لم يفعل ما يستحق به اجرا وانما قال لتكون كلمة الله هي العليا لانه ان لم يكن ذلك
مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلا الريا او الغلبة الدنيوية لا يكون قد اصاب سبيل الهدى واستعار
لفظ التنوير لوضوح الحق في ذهنه وجلائه من شبه الباطل وفي كلام له عليه السلم يجري هذا المجرى فمنهم المنكر
للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك
المتمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي
ضيع اشرف الخصلتين من الثلث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده
فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
الا كنفثة في بحر لجي وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق
وافضل من ذلك كله كلمة عدل عند امام جائر اقول انه عليه السلم جرى في هذه الفقرة على الوجه الطبيعي المعتاد

وذلك

وذلك ان العادة جارية بان ينكر الانسان اولا بقلبه ثم بلسانه ثم بيده اذا تمكن وقد رتب الفقرة على
هذا الوجه فيكون الناس على اقسام ستة وهي المنكر بقلبه فقط او بلسانه فقط او بيده فقط او بقلبه ولسانه
او بقلبه ويده او بلسانه ويده واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان لان المعروف والمنكر
قد يكونان نقيضين او في قوتهما فيكون النهي عن المنكر مستلزما للامر بالمعروف والامر بالمعروف مستلزما
للنهي عن المنكر واستجماعها لخصال الخير ظاهر لان كل خصلة منه معروف فالامر بالمعروف مطلقا امر بها وترك
كل واحدة من خصال الخير منكر فانكاره يستلزم الامر بها ولما كانت هذه الانواع الثلثة من انكار المنكر
فضايل تحت فضيلة العدل وجب عدادها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لساير الفضايل كما اشرنا
اليه وجب ان يكون المنكر للمنكر مطلقا مستكملا لجميع خصال الخير وان يكون التارك له بيده المتمسك
بخصلتين والتارك بيده ولسانه مضيعا لاشرف الخصلتين من الثلث وانما كانت اشرف لكونهما يستلزمان
رفع المنكر او بعضه غالبا بخلاف الثالثة ووجب ان يسمى تارك الثلث ميتا في جونه لخلوه عن جميع
الفضايل ولفظ الميت استعارة وقوله وما اعمال البر الى قوله لجي تعظيم لهاتين الفضيلتين وتشبيه اعمال
البر كلها بالنسبة اليها بالنفثة في البحر اللجي ووجه الشبه ان كل خصلة من اعمال البر جزئي بالنسبة اليها كالنفثة
بالنسبة الى البحر وعموم الخير فيهما وقوله وان الامر الى قوله رزق صغرى ضمير رغب به فيهما وتقدير الكبرى
وكلما لا يقرب من اجل ولا ينقص من رزق فلا ينبغي ان يحذر منه ثم اشار الى افضل اقسامها وهو كلمة
العدل عند الامام الجاير لغرض رده عن جوره وعن ابي جحيفة قال سمعت امير المؤمنين عليه السلم يقول
ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا
ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله المراد بالجهاد باليد واللسان والقلب هو انكار المنكر بها وانما كان
باليد اول مغلوب عليه لان الغرض الاول عند ازالة سلطان اليد وبقاء منه فاذا تمكن من
ذلك كان زوال سلطان اللسان سهلا فان قلت لم قال ثم بقلوبكم ومعلوم ان القلب لا يطلع عليه احد
ولا يتمكن من ازالة الجهاد قلت اراد انهم اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدة عليهم الفوا المنكر
وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم يبق لها الكراهة وهو معنى غلبهم عليه وقوله فمن لم يعرف بقلبه الى اخره
تنفير عن ترك الخصلتين بما يلزمه من قلب اعلاه وترك اسفله واستعار لفظ القلب لانتكاسه في مهاوي الرذايل
ودركات الجحيم وانما خص انكار القلب بذلك لامكانه في كل وقت وخلوه عن المضار والمخوفات التي
في الانكار باليد واللسان وقال عليه السلم ان الحق ثقيل مريء وان الباطل خفيف وبيء استعار
لفظ الحق وصفي الثقل والمري باعتبار صعوبته على من يكون عليه وحمد عاقبته وللباطل وصف الخفة باعتبار
سهولته على اهله ولفظ الوباء باعتبار استلزامه للهلاك في الاخرة وقال عليه السلم لا تامنن على خير هذه
الامة عذاب الله لقوله سبحانه فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا تياسن لشر هذه الامة من روح الله
لقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ادب السامع بهذين الادبين محتجا بهاتين
الايتين ولفظ المكر مستعار لامهال الله ثم اخذه في معرض الماكر والمخادع والمراد ظاهر وقال عليه السلم

البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاوة وهي مستلزمة للبخيل
لان البخيل غير عالم بوضع المال مواضعه ولقصوره لعبوره عن شهوته ومحبته للدنيا الى طرف الافراط منها والجبن
من يبخل بماله فهو بنفسه ابخل والظلم لقصوره عن فضيلة العدل ثم ما لزم من الحرص والحسد والشره ودناءة
الهمة والكذب والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة وكل طرف وتفريط لفضيلة من الفضائل فانه
من توابع البخل ولواحقه وهي مساوي العيوب التي اخبر عن استجماعه لها وانه زمام الى كل منها واستعار له
لفظ الزمام باعتبار انه يدعو الى هذه المساوي ويقود اليها كالزمام **وقال عليه السلم** الرزق رزقان
رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه فان
تكن السنة من عمرك فان الله تعالى سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما
تصنع بالهم فيما ليس لك ولن يسبقك الى رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد
قدر لك قال السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الا انه ههنا اوضح واشرح فلذلك كررناه
على القاعدة المقررة في اول الكتاب واقول قد مضى تفسير اكثر هذا الكلام وغرضه التنفير عن الاهتمام
بالدنيا والاشتغال بما يرجى منها عن ذكر الله وطاعته ونهاه ان يحمل هم السنة على هم اليوم لئلا يجتمع عليه
احزان متضاعفة يكفي واحد منها شغلا واشار لذلك بضمير من صغرى الاول قوله فان تكن السنة وتقديرها ان
سنتك التي تهتم لها اما ان تكون من عمرك اوليس وتقدير الكبرى وكلما كان على احد التقديرين فلا ينبغي
الاهتمام به اما على التقدير الاول فان الله يؤتيك في كل يوم منها ما قسم لك فلا فخر ... فلا يجوز
الاهتمام به واما على التقدير الثاني فلانه ليس من العقل ان يهتم المرء بما ليس له وصغرى الثاني قوله ولن
يسبقك الى قوله قدر لك وتقديرها ان رزقك لن يسبقك اليه طالب وتقدير الكبرى وكلما كان
كذلك فلا ينبغي ان يهتم به **وقال عليه السلم** رب مستقبل يوما ليس بمستدبره ومغبوط في اول ليله قامت بواكيه
في آخره وغرض الكلام التنبيه من رقدة الغفلة على الموت لغاية العمل له ولما بعده والمعنى ظاهر **وقال ع**
الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك
فرب كلمة سلبت نعمة واستعار لفظ الوثاق للحبل وامر بخزن اللسان عما لا ينبغي من القول ووضعه في موضعه وشبه خزنه
بخزن الذهب ووجه الشبه شدة الحرص ونفر عن قول ما لا ينبغي بضمير من صغرى احدها قوله الكلام في
وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام كان كذلك فلا ينبغي ان يتكلم منه الا بما ينبغي ولفظ الوثاق مستعار وصغرى
الثاني قوله فرب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكلما كان كذلك فيجب الاحتراز منها تفيد القول وتشبيه **وقال ع**
لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيمة
نهى عن قول ما لا يعلم لانه كذب او محتمل للكذب لانه قول بالجهل فيجب الاحتراز منه واما النهي عن قول كل ما يعلم
فهو اذا ان يكون فيه مضرة لنفسه او لغيره كما اذا لم يستلزم اذاه او اذى من اسره اليه ونفر عن ذلك
بقوله فان الله الخ وهو صغرى ضمير والفرائض التي افترضها الله على كل جارحة هو ما اوجبها الله
مثلا من قول ما ينبغي في موضعه وكذلك تتعلق بالعين من النظر الذي ينبغي ونحو ذلك في ساير الجوارح وتقدير

او جلبت نقمة ح

الكبرى

الكبرى وكل من فرض الله على جوارحه فرائض يحتج بها عليه يوم القيمة في تركها والعمل بها فيجب عليه ان يحفظ
عليها **وقال عليه السلم** احذر ان يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين حذر من
الامرين بما يلزم من دخوله في زمرة الخاسرين لثواب الله يوم القيمة ثم امر بالقوة على طاعة الله بتمام الاستعداد
بها لرحمته وبالضعف عن معصيته لضعف الاستعداد بها عن قبول سخط الله ونقمته **وقال عليه السلم** لمن كان
اعديها الركون الى الدنيا مع ما تعاين منها جهل اي بما ينبغي ان يركن اليه مما لا ينبغي الى نية والتقصير في
حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن اي مستلزم للغبن وهو ترك ما يوثق به من الثواب الجزيل وتعاطي
العمل اليسير له ووجه ذلك ان مبدأ التقصير في حسن العمل عدم الوثوق بالثواب الموعود في الآخرة والطمأنينة
والطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز اي عن البحث عمن ينبغي السكون اليه وعن وضعه موضعه ونفر عن الركون
الى الدنيا بما يلزمه من الجهل وعن التقصير في حسن العمل بما يلزمه من الغبن وعن الطمأنينة الى كل احد بما يلزمها
من العجز **وقال عليه السلم** من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها نفر عن
الدنيا بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين **وقال عليه السلم** من طلب شيئا ناله او بعضه هو كقولهم
من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج وظاهر ان الطلب عند حصول المطلوب فان تم الاستعداد له
نال الكل والا فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب **وقال عليه السلم** ما خير بخير بعده النار
وما شر بشر بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية نفى عما يقود الى النار وان
عد في الدنيا خيرا ولذة استحقاق اسم الخير تحقيرا له وتنفيرا عنه بما يلزمه من غايته التي هي النهاية في الشر
وهي النار وكذلك نفى عما يقود الى الجنة من الطاعات الشاقة وان عد في الدنيا شرا والما استحقاق اسم
الشر ترغيبا فيه بما يلزمه من غايته التي هي دخول الجنة والتقدير ما خير بعده النار بخير وما شر بعده الجنة
بشر وقوله وكل نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وقوله وكل بلاء دون النار عافية تفسير للثاني
واراد عافية نسبية **وقال عليه السلم** الا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن واشد
من مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة البدن وافضل
من صحة البدن تقوى القلب اشار الى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف والى ما يقابلها
من درجات النعم وتفاوتها كذلك وانما كان مرض القلب بالرذائل اشد من مرض البدن لاستلزامه
في الآخرة فوات اكمل السعادات وهو الموت الذي لا حيوة معه ويجب ان يكون تقوى القلب
واستكماله بالفضائل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة الباقية والحيوة الابدية **وقال عليه السلم**
للمؤمن ثلث ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرم فيها معاشه وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها
فيما يحل ويجمل وليس للعاقل ان يكون شاخصا الا في ثلث مرمة لمعاش او خطوة في معاد او لذة في غير محرم
اقول رم المعاش اصلاحه والشاخص الذاهب من بلد الى بلد وقسم زمان المؤمن العاقل الى ثلثة اقسام
بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العملية والراي الحق فقسم يتوفر فيه على عبادة الله ومناجاته وهذا القسم
هو المطلوب الاول وقسم يصلح فيه ما لا بد منه في تحصيل القسم الاول من معاشه وقسم يخلي فيه بين نفسه

٢ فاذا قويت فاقو على طاعة الله واذا ضعفت فاضعف عن معصية الله ح

ولذا انها المباحة التي تجمل وتحسن دون المحرمة والمباحة المستهجنة وبهذا التقسيم مراد ان لا تقول اذ لا يمكن
به دونها وقوله وليس للعاقل الخ اي ليس له بحسب مقتضى العقل العملي ان يشغل نفسه الا في احد الامور الثلثة وقال عليه السلام
إنّ هذه الدنيا تبصّرك اشدّ عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك لما كانت محبة الدنيا مستلزمة لاستتار
عيوبها عن ادراك محبها كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم كان بغضها والزهد فيها رافعا لذلك الستر كاشفا لما كمن
من عيوبها وعوراتها فامر بالزهد فيها لهذه الغاية المنفرة عنها ثم نفر عن الغفلة فيها عما وراءها بضمير صغراه
قوله لست بمغفول عنك وتقدير الكبرى وكل من ليس بمغفول عنه فلا ينبغي ان يغفل عما يراد به وقال عليه السلام
تكلّموا تُعرفوا فانّ المرء مخبوء تحت لسانه وقد مر تفسير هذه الكلمة لكنه جعلها هنا صغرى ضمير رغب به في الكلام
عند الحاجة لغاية ان يعرف المتكلم وتقدير الكبرى وكل من كان مخبوا تحت لسانه فينبغي ان يظهر نفسه في
كلام يعرف وقال عليه السلام خذ من الدنيا ما اتاك وتولّ عمّا تولّى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب
امر بالقناعة اولا بما تيسر من الدنيا لمن يمكن منها وقوي عليها وبالاجمال في الطلب لمن لم يتمكن منها والاجمال
في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وقال عليه السلام ربّ قولٍ انفذ
من صَوْلٍ اي قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة فيكون القول انفذ في غرضه وبلوغ
مثله الضرب بالرفق واللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف وروي عوض انفذ اشد والمراد رب
قول يقوله الانسان فيكون ضرره عليه اشد من صولة عدوه او رب قول يسمعه من غيره كقذف او هجر
يكون اشد عليه من صولة العدو والمعنيان منقولان عن ابن آدم الهروي وقال عليه السلام كلّ مقتصرٍ عليه
كافٍ انه لا يقتصر الانسان الا على مقدار تمكنه دفع الضرورة والحاجة به وذلك كاف ومغن عما
سواه وفيه ايماء الى الامر بالاقتصار على اليسير من الدنيا وقال عليه السلام كلمات اربعا احدها المنيّة
ولا الدنيّة فالمنية مبتدأ دل على خبره بقوله ولا الدنية اي اسهل من الدنية ويحتمل ان يكون التقدير
تحمّل المنية ولا تحمّل الدنية وهي الخسة من الامر تركب في طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت
على ذلك والثانية التقلّل ولا التوسّل اي القناعة بالقليل من العيش والتبلغ به خير من التوسل الى
اهل الدنيا في طلبها الثالثة ومن لم يُعط قاعدا لم يُعط قائما كنى بالقعود عن الطلب السهل وبالقيام عن الطلب
الصعب بعنف اي من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التشديد في الطلب وهذا الحكم اكثري كما هو
حكم الطلب حث به على الاجمال في الطلب الرابعة والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك
فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر فاليوم الذي هو زمان الضيق والبلاء يجب فيه الصبر لاستعداده
لقبول رحمة الله كما قال وبشر الصابرين الآية وقال عليه السلام مقاربة الناس في اخلاقهم امن
من غوائلهم الغائلة الحقد وذلك ان مباينة الناس في اخلاقهم تستلزم منافرتهم وعداوتهم وانتقامهم
فالعدول عنها الى المقاربة والمشاكلة لاخلاقهم يستلزم الامن من ذلك منهم وقال عليه السلام لبعض مخاطبيه
وقد تكلم بحضرته بكلام يستصغر عن مثله لقد طرت شكيرا وهدرت سقبا فالشكير هو الفرخ قبل الريش
واستعار لفظ الشكير والسقب باعتبار صغر قدره عن الكلام بحضرته ووصف الطيران والهدر

باعتبار

باعتبار نهوضه الى ذلك الكلام الذي هو فوق محله وليس اهلا له كما ان الطيران ليس من شان الشكير والهدير
من شان السقب وقال عليه السلام ومن اومأ الى متفاوتٍ خذلته الحيل التفاوت الامور المتضادة او التي
يتعذر الجمع بينها في العرف والعادة واستعار وصف الخذلان للحيل باعتبار انها لا تواتيه ولا يمكنه في الجمع
بين ما يريد من تلك الامور وقال عليه السلام وقد سئل عن معنى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
إنّا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملّكنا فمتى ملّكنا ما هو املك به منّا كلّفنا ومتى اخذه منّا وضع تكليفه عنّا
بيان قوله انا لا نملك مع الله شيئا كقوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم
نفعا الآية وظاهر ان التكليف تابع لما ملكنا اياه من الجوارح والقوى والعقل وسائر متعلقات التكليف
وعند اخذه لشيء منها يضع التكليف المتعلق به عنا وسئل الصادق عليه السلام عن هذه الكلمة فقال لا حول لنا عن ترك
المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات الا بالله وقال عليه السلام لعمار بن ياسر رحمه الله وقد سمع مراجعة المغيرة
ابن شعبة كلاما دعه يا عمار فانه لم يأخذ من الدين الا ما قاربه الدنيا وعلى عمد لبّس على نفسه ليجعل الشبهات
عاذرا لسقطاته اراد انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم دنياه ويقرب به منها كعدل او صدق يستلزم
منفعة دنيوية دون ما ليس كذلك وهو صغرى ضمير نفّر به عن مخاطبته وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان
يعرض عن مراجعته ومكالمته وقال عليه السلام ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه
تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله تيه الفقراء على الاغنياء اصعب عليهم واشق من تواضع الاغنياء لهم اذ كان
منهم يستدعي كمال التوكل على الله وهو درجة عالية في الطريق اليه فلذلك كان افضل واحسن لقوله
افضل الاعمال احمزها وقال عليه السلام ما استودع الله امرأ عقلا الا استنقذه به يوما ما من بلاء الدنيا
بالحيلة او من بلاء الآخرة بالطاعة وقال عليه السلام من صارع الحق صرعه استعار لفظ المصارعة لملاحقه
وذلك ان الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله والصالحين من عباده اعوان الحق ولا مقاوم لهم وقال عليه السلام
القلب مصحف البصر اراد بالقلب النفس او الذهن واستعار لفظ المصحف باعتبار ان كل تصور في
الذهن اريد التعبير عنه فلا بد ان يتصور حروف العبارة عنه في لوح الخيال او الحس البصري يثبت هناك
هناك ويقرؤه فالقلب اذن كالمصحف الذي يثبت فيه الحروف والالفاظ ويقرأ منه بالبصر فلذلك
اضافه الى البصر وقال عليه السلام التقى رئيس الاخلاق استعار لفظ الرئيس للتقوى باعتبار فضيلته
في استلزامه رضوان الله وحصول السعادة الباقية ولا شيء من الاخلاق بانفراده يستلزم ذلك وقال عليه السلام
لا تجعلنّ ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة قولك على من سدّدك ذرب اللسان حدته وهو ادب
يجري مجرى المثل تعرب لمن يحصل من انسان علما او فائدة فيستعين بها عليه كان يتفاخر على معلمه
المفاضلة وقال عليه السلام كفاك ادبا لنفسك اجتنابك ما تكرهه من غيرك واراد بما يكره من غيره
الرذائل فانها مكروهة الى كل احد من غيره ومن نفسه ايضا اذا عقل انها رذيلة ولذلك اذا عيّر بها انف
منها الا ان بعض الرذائل قد يخفى على من هي فيه فلا يتصور قبحها من نفسه او انه قد يتصور ذلك لكن يحمله
عليها حامل اقوى من شهوة او غضب ولما كان اجتناب الرذائل يستلزم الوقوف على فضيلة العدل الكافي

وجرم كان اجتنابها ادبا كافيا لمن يجتنبها وقال عليه السلام ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو الاغمار وفي خبر
اخر انه قال عليه السلام للاشعث بن قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم والاغمار
الجهال جمع غمر وجذب الى فضيلة الصبر على المصائب باضافته الى الاحرار والاكارم وبما يلزم عدمه من الفاجعة
وهي السلو المشبه لسلو الغافلين او البهائم واصل الاقاني والان وقال عليه السلام في صفة الدنيا تغر
وتضر وتمر ان الله لم يرضها ثوابا لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا كركب بيناهم حلوا اذ صاح
بهم سائقهم فارتحلوا نفر عنها بثلثة ضمائر احدها الدنيا تضر اي بحبها وتغر اي بزينتها وتمر اي بفراقها
اذ من طبعها ذلك واستعار لها وصف الامرار باعتبار ما يستلزمه فراقها من الم الجزع والحزن كالمرارة
وروي وتمر بفتح التاء اي تذهب الثاني قوله ان الله الى قوله عدائه اذ لو رضيها لذلك لاعطاها اولياءه
وحرمها اعداءه الثالث قوله وان اهل الدنيا الى قوله حلوا اه فتقدير صغراه كركب اي كركب من شانه
كذا ووجه الشبه بالركب الذي شانه ذلك سرعة ارتحالهم الى الاخرة كسرعة ارتحال الركب وتقدير الكبرى
من الضمير الاول دين وكلما كان كذلك فينبغي ان يجتنب ولا يحرص على طلبه وتقديرها من الثالث وكلما كان كذلك
فينبغي ان يستعد فيه للرحيل والسفر وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام يا بني لا تخلفن وراءك شيئا
من الدنيا فانك تخلفه لاحد رجلين اما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به واما رجل عمل فيه
بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته وليس احد هذين حقيقا ان تؤثره على نفسك ادبه عليه السلام بالنهي عن ابقاء
المال ونفره عن ذلك بضمير صغراه قوله فانك اه وقوله بما شقيت به اي شقاء الدنيا بجمعه وشقاء الاخرة
بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله الاية وتقدير
الكبرى وكل من يخلف ماله لاحد هذين وليس احدهما حقيقا بان يؤثره على نفسه فلا يجوز ان يخلفه وروي
هذا الكلام على وجه اخر وهو اما بعد فان الذي في يديك من الدنيا قد كان له اهل قبلك وهو صائر الى اهل
بعدك وانما انت جامع لاحد رجلين رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به او رجل
عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس احد هذين اهلا ان تؤثره على نفسك ولا تحمل له على ظهرك
فارج لمن قد مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله اقول نفر في هذه الرواية عن الدنيا بضميرين
احدهما قوله فان الذي في يديك الى قوله بعدك وتقدير كبراه وكلما كان كذلك فليس لك ان تجمعه
وتتعب عليه الثاني قوله وانما انت الى قوله ظهرك وكبراه ما مر في الرواية الاولى واستعار
لفظ الحمل على الظهر باعتبار جمع المال ورشح بذكر الظهر ثم ارشده الى ما هو خير من المال لمن مضى
وهو رجاء رحمة الله ولمن بقي وهو رجاء رزق الله الموعود لكل حي وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته
استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم
واقع على ستة معان اولها الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث
ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل
فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالاحزان

حتى

حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية
فعند ذلك تقول استغفر الله اقول ظاهر كلامه عليه السلام يقتضي ان اسم الاستغفار الحق الذي هو درجة العليين
ويستحقه صاحبه واقع على مجموع المعاني الستة التي اشار اليها وذكرها لتعرف حقيقته منها ويكون ارادة هذا
المعنى من لفظ الاستغفار بعرف جديد شرعي اذ مفهومه اللغوي انه طلب المغفرة الا انه لما كان طلبها مشروطا
بحصول المعاني المذكورة اطلق لفظ المشروط على الشرط واستعمله فيه ويحتمل ان لا يكون غرضه تفسير
الاستغفار بل الاشارة الى شرائطه التي لا ينبغي ايقاعه من دونها وهي المعاني الستة ويكون معنى قوله
اتدري ما الاستغفار اي الاستغفار التام بشرائطه واعرض عن ماهيته لعلمهم بها واشار الى تمامه من الشرائط
وقصد بالاشارة الى صدق لفظه على شرائطه تاكيد انه لا يتم بدونها حتى كان مجموعها نفس حقيقة الاستغفار
واستعار لفظ الاملس لنقاء الصحيفة من الاثام وقال عليه السلام الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة للحلم
باعتبار انه يحمي صاحبه ممن يناوئه ويعاديه كما تحميه عشيرته وقال عليه السلام مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون
العلل محفوظ العمل تولمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة ذكر كونه مسكينا وبين ذلك بضمير عد فيه
وجوه المسكنة والضعف صغراه قوله مكتوم الاجل اه وهي ظاهرة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
فهو مسكين ومسكين خبر المبتدا قدمه عليه لان ذكره اهم وحذف تنوينه تخفيفا وغرض الكلام كسر
النفوس عن سورة الكبر والعجب والفخر واشباهها من الرذائل وروي انه عليه السلام كان جالسا في
اصحابه اذ مرت بهم امراة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال عليه السلام ان ابصار هذه الفحول طوامح
وان ذلك سبب هبابها فاذا نظر احدكم الى امراة تعجبه فليلامس اهله فانما هي امراة كامراة فقال له
رجل من الخوارج قاتله الله كافرا ما افقهه فوثب اليه القوم ليقتلوه فقال عليه السلام رويدا انما هو سب
بسب او عفو عن ذنب الرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه والهباب صوت التيس عند
هياجه وطلبه السفاد واستعار لهم الفحول ولفظ الهباب لطلبهم النكاح وارشدهم الى الخلاص من
فتنة النظر بملامسة الاهل ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فانما هي امراة كامراة اي فانما اهل الرجل
امراة تشبه المراة المرئية وتقدير الكبرى وكل من تشبهها ففيه عوض منها وانما اطلق الخارجي لفظ
الكافر عليه لانه عليه السلام عند الخوارج مخطئ وكل خطيئة عندهم كفر وقوله انما هو سب اه منع قتله لانه
وقال عليه السلام كفاك من عقلك ما اوضح لك سبيل غيك من رشدك الغرض من العقل العملي هو ما
ذكره عليه السلام وكفى به وقال عليه السلام افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير
ولا يقولن احدكم ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك ان للخير والشر اهلا فمهما تركتموه
منهما كفاكموه اهله امر بفعل الخير ونهى عن احتقار شيء منه وان قل ورغب فيه بضمير صغراه قوله فان
صغيره كبير وقليله كثير اي في الاعتبار وبالنسبة الى ما يرجع اليه ثم نهى ان يقول احد ان غيره اولى
بفعل الخير منه وهو كناية عن ترك المرء الخير اعتمادا على ان غيره يفعله وقوله فيكون والله كذلك
لان ذلك القول من القائل التارك للخير يكون باعثا لمن توهم فيه فعل ذلك الخير ونسبته اليه فيصدق

تراه فقيرا فيه فيكون اولى به منه وان الحجر والشراء [illegible] تعريض بفضل الحجر وتنفير عن الشره كما ان كل منهما

يكفي فيه ان نذكر من ليس اهله يكون السعوان من اهل الحجر بفعله وبتركوا الشراء باهله وقال عليه السلم من اصلح

سريرته اصلح الله له علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه

وبين الناس صلاح باطن الانسان وسره باخلاق الفاضلة مستعد لافاضة الله عليه صلاح اقواله وافعاله

الظاهرة لانها كالثمرات للباطن وكذلك عمل الانسان لدينه واقامته لحدود الله مستعد لصلاح حاله في معاشه ودنياه

لعواطف الحق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم للدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة فان اخلاص العبودية لله

واصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذي هو سبب الفساد بين الناس فكان مستعدا لرفع الفساد

ودفعه وقال عليه السلم الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل خلقك بحلمك وقاتل هواك

بعقلك استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار انه يستر سورة الغضب ويقبح ما يعده رعيه من الافعال بسببها

ورشح بذكر الساتر وكذلك استعار لفظ الحسام للعقل باعتبار قمعه لبوادر النفس الامارة واغراضها

ورشح بذكر القاطع ولذلك امر بقتاله هواه به وقال عليه السلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع

العباد فيقرها في ايديهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم اي من عبادة الذين يكون

مقصود الغاية الالهية بافاضة النعم عليه واقرارها في يديه وصول النفع الى الغير ويكون ذلك

شرطا فيها فاذا لم يوجد ذلك الشرط ارتفعت تلك النعمة بارتفاع شرطها الى غيرهم وغرض الكلمة

الحث على النفع المتعدي بتحريك كل عامل انعم الله عليه بنعمة كذلك وقال عليه السلم لا ينبغي للعبد ان يثق

بخصلتين العافية والغنى بينا تراه معافى اذ سقم وبينا تراه غنيا اذ افتقر نهى عن الوثوق بالخصلتين

المذكورتين لكونهما مع ما يقابلهما من السقم والفقر امورا غير مقدورة للعبد ولا معلومة الاسباب

وهي في معرض التعاقب فالوثوق بما كان كذلك فلا ينبغي ان يثق بالخصلتين المذكورتين وقال عليه السلم

من شكا الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكا الله شكاية المؤمن الى

المؤمن شكاية في موضعها اذ كانت ثمرة الشكاية المعاونة على رفع الامر المشكو منه والمؤمن شانه

ذلك بخلاف الشكاية الى الكافر ورغب فيها ولذلك شبهها بالشكاية الى الله ووجه الشبه ان المؤمن

كالصديق لله فاذا شكى المؤمن اليه امرا من الله فكانه جعله وسيلة الى الله في شكواه فاشبه الشكوى

اليه ونفر عن الثانية بتشبيهها بشكوى الله ووجه الشبه ان الكافر عدو الله فمن شكى اليه امرا فكانما

شكى من الله الى عدوه وقال عليه السلم في بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه

وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد غرض الكلمة الجذب الى عبادة الله وطاعته وكسر النفوس عن الفرح

بما ليس فيه نصيب سواء كان زمانا او مكانا او غيرهما ولما كان العيد عبارة عن يوم تفرح فيه

الناس وتفرغ فيه فكل يوم لم يعص الله فيه فهو اولى بالفرح به والسرور فيه وان يسمى عيدا عند عرف

اولياء الله والطالبين لما عنده وقال عليه السلم ان اعظم الحسرات يوم القيمة حسرة رجل كسب مالا

في غير طاعة الله فورثه رجلا فانفقه في طاعة الله فدخل به الجنة ودخل الاول به النار غرض الكلمة

الجذب

الجذب عن الكسب الحرام وادخار المال والتنفير عنه بما ذكره وانما اعظم الحسرات لا ينبغي ان يكون كل ما هو اعظمها

وانما كان ذلك حسرة عظيمة لعدم منفعته بالمال في الدنيا وعذابه في الآخرة ومشاهدته لانتفاع الغير به هناك

وقال عليه السلم ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل اخلق بدنه في طلب ماله ولم تساعده المقادير

على ارادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته استعار وصف الاخسر صفقة لمن ذكر باعتبار استبداله

للدنيا عن الآخرة ومع عدم موافقة القدر له في حصول الامال الدنيوية وظاهر انه اخسر من التجر وبتبعته ما لحقه

من عقوبات الآثام المكتسبة من سعيه وقال عليه السلم الرزق رزقان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا

طلبه الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها استعار للرزق وصف

الطالب باعتبار انه لا بد من وصوله فهو كالطالب لصاحبه ونفر عن طلب الدنيا بما يلزمها من الغاية المقدرة

وهي الموت فكانه طالب لها لغاية اخراجه من الدنيا بسبب طلبه لها ورغب في طلب الآخرة بما يلزمه

من طلب الدنيا واهمالها لمن انقطع عنها حتى يصل اليه رزقه منها وهو محمود وقد بينا فيما سلف وجه قبال

الناس على من ينقطع عنهم وقال عليه السلم ان اولياء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا اذا نظر

الناس الى ظاهرها واشتغلوا بآجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم

وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وراوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء ما

سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا

يرون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول ميز اولياء الله بصفات عشر احدها

انهم نظروا الى باطن الدنيا اي حقيقتها وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعلموا فيها حب علمهم اذ نظر

الناس الى ظاهرها من زينتها وقبائها الثانية واشتغلوا بآجلها وهو ما جعله الله لنفس احدهم غرضا

معتبرا وانما غرة للاستعداد بها وهو ثواب الله ورضوانه اذا اشتغل الناس بعاجلها وحاضر

لذاتها الثالثة فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم الامارة بالسوء التي يخشى من غلبتها واستيلائها

على العقل موته وهلاكه في الآخرة ويحتمل ان يريد بما اماتوه منها قنياتها استعارة فكانهم كما قصروا

ولم يلتفتوا اليها فقد اماتوها ولم يبق لها حياة عندهم الرابعة وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وهو

زينتها وقنياتها التاركة لهم بالموت عنها ومن هو الموصفين لبان الحسنى الخامسة وراوا استكثار

غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اي استقلالا من الخير الباقي وفوتا له اذ كان الادراك لها

بها سببا لذلك السادسة اعداء ما سالم الناس وهي الدنيا وسلم ما عادى الناس وهي الآخرة

الثامنة بهم علم الكتاب ولحفظهم اياه وتفقههم له وانه بهم وبه علموا لاشتهارهم به عند الناس

التاسعة وبهم قام الكتاب اي صارت احكامه قائمة في الخلق معمولا بها وبه قاموا اي باوامره و

نواهيه وما ينبغي له ويحتمل ان يريد انه قيامهم في معاشهم ومعادهم ببركته العاشرة لا يرجون

مرجوا فوق ما يرجون من ثواب الله ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب الله لعلمهم

وذلك لعلمهم بالمرجو والمخوف هناك وقال عليه السلم اذكروا انقطاع اللذات اي بالموت وبقاء

الشبهات بجرايم ما الغرض التنفير عن الدنيا وقال عليه السلام اخبر تقله ومن الناس من يروي هذا الكلام عن النبي
صلى الله عليه وآله ومما يقوي انه من كلام امير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الاعرابي قال قال المأمون لولا ان
عليا عليه السلام قال اخبر تقله لقلت اقله تخبر قلاه يقليه قلا وقلاء ابغضه والهاء في تقله
للسكت وهو امر بمعنى الخبر يجري مجرى المثل والمعنى من جربت باطنه قليته والحكم اكثري لكثرة ما على الناس
من خبث السريرة ورذائل الاخلاق وما نقل عن المأمون من العكس يريد به ان اظهار البغض للشخص يكشف
عن باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك او يترك فيعرف خيره من شره ونقل مثله عن ابي بكر الاصفهاني انه
قال لولا ان الاعتراض على السلف محرم لجاز والسرف لعكست القضية ثم يجر حتى لا يكون الا ان بعيدا
واضعافه غير موضع معنته وقال عليه السلام ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة
ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة ولا ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة
اشار الى استلزام امور ثلثة وهي الشكر للمزيد والدعاء للاجابة والتوبة للمغفرة فمن فتح الله له باب احد
هذه الملزومات فاعداده وهيأه وجب من جوده ان يفتح له باب لازمه ويفيضه عليه اذ لا بخل من جوده
ولا منع من ساحته ولفظ الفتح والباب مستعار لتيسير الله تعالى العبد لذلك واعداده له وسئل عليه السلام
ايهما افضل العدل او الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها من جهتها والعدل سائس عام
والجود عارض خاص فالعدل اشرفهما وافضلهما اشار الى افضلية العدل بضمير من صغرى الدليل قوله
العدل الى قوله جهتها يريد ان طبيعة الجود يقتضي من صاحبها اخراج كل ما يملكه من مواضعه ومواقع حاجته التي
هي اولى به بمقتضى العدل والثاني قوله والعدل الى قوله خاص واستعار له لفظ السائس باعتبار انه
نظام العالم والجود عارض خاص بمن يصل اليه من بعض الناس وتقدير الكبرى فيهما وكل امرين كان كذلك
فالعدل اشرفهما وافضلهما وقوله فالعدل اه هو النتيجة وقال عليه السلام الناس اعداء ما جهلوا وقد مر بيانه
وقال عليه السلام الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما
آتيكم ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه الامران المذكوران في الآية
غايتان من الزهد والاعراض عن الدنيا وقوة فاشية مركبة تلزم الزهد ونبه عليهما لتعريفه بهما وكنى بقوله
فقد اخذ الزهد بطرفيه عن استكمال حقيقة الزهد وكلا النوعين ظاهران وجود الخاصة المذكورة يستلزم
للاعراض عن الدنيا وطيباتها بالقلب وهو الزهد الحقيقي وقال عليه السلام الولايات مضامير الرجال
واراد بالمضامير مكان معرفة جودة الفرس وهي الامكنة التي يجري فيها الخيل للسباق واستعار لفظها
للولايات باعتبار انها مكان ظهور جودة الولاة وسائر خسته ورداءته كما ان المضامير للخيل كذلك
وقال عليه السلام ما انقض النوم لعزائم اليوم اقول ما هنا للتعجب وهذه الكلمة تجري مجرى المثل
لمن يعزم على امر فيتثاقل عنه ويتهاون فيه ويتراخى عن فعله حتى ينتقض عزمه عنه واصل ان
الانسان قد يعزم في السفر مثلا او الحركة في طلب حاجة من الليل وسهو فيه ثم ينام على سيره فيغلبه النوم الى الصباح
فيفوت وقت عزمه فينتقض ما كان عزم عليه ونحوه وقال عليه السلام ليس بلد باحق بك من بلد خير البلاد

ما حمله

ما حملك اقول اي ما وجدت فيه قيام حالك وصلاح معاشك فالحكم الالية به واستعار وصف
الحمل له باعتبار حمل مؤنته ملاحظة لشبهه بالحمل ونحوه والى ذلك او قريب منه اشار ابو الطيب وذو جلال
من انتهاء ل وكل مكان ينبت العز طيب ... بلاد الاذى والهون ... ما بين جرد الدار
وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الاشتر رحمه الله مالك وما مالك لو كان جبلا لكان فندا لا يرتقيه الحافر ولا يوفي
عليه الطائر قال السيد رحمه الله والفند المنفرد من الجبال وما مالك مبتدأ وخبر اي ما مالك وما شأنه
ومعرض التعجب من مالك رحمه الله وقوته في الدين وقال عليه السلام قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه
وذلك من الامور التي ينبغي ان يفعل وانما كان كذلك لان المداومة على القليل منها يفيد النفس ملكة الطاعة
والخير ويبقى ثمرتها فيها بخلاف الكثير المملول منه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين
فادخل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقد مر هذا الكلام بعينه وقال عليه السلام
اذا كان في رجل خلة رائعة فانتظروا اخواتها والرائعة المعجبة اي اذا كان في الانسان خلق فاضل
كان طبعه مظنة ان يكون فيه جملة من الاخلاق الفاضلة المناسبة لذلك الخلق تتوقع وينتظر منه كمن يكون
من شأنه الصدق فانه ينتظر منه الوفاء وحسن الصحبة وبالعكس وكمن يكون من شأنه العفة فانه يتوقع منه
الكرم والسماحة والبذل والصداقة والمحبة ونحوها وكمن يكون شجاعا فانه يتوقع منه عظم الهمة والحلم و
الثبات وكذا من كان فيه ضد ذلك من الرذائل وقال عليه السلام لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في
كلام دار بينهما ما فعلت ابلك الكثيرة فقال ذعذعتها الحقوق يا امير المؤمنين فقال عليه السلام ذلك
احمد سبلها الكلام الذي دار بينهما ان غالبا دخل على علي عليه السلام وهو شيخ كبير ومعه ابنه همام الفرزدق
وهو غلام يومئذ فقال له عليه السلام من الشيخ فقال انا غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال
ما فعلت ابلك قال ذعذعتها الحقوق واذهبتها الحمالات والنوائب فقال ذلك احمد سبلها من هذا الغلام
قال هذا ابني همام وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين وكلام العرب ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا
فقال اقرأه القرآن فهو خير فكان الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد
نفسه بقيد وآلى ان لا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه وذعذعتها بالذال المعجمة مكررة فرقتها
وقال عليه السلام من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا ارتطم في الوحل ونحوه وقع فيه فلم يكد يتخلص
وهو وصف مستعار لغير الفقيه باعتبار انه لا يتمكن من الخلاص من الربا وذلك لكثرة اشتباه مسائل الربا
بمسائل البيع حتى لا يفرق بينها الا الاكابر الفقهاء ووقوع الخلاف الشديد بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم
متفاضلا جوزه ابو حنيفة قائلا انهما جنسان مختلفان ومنع منه الشافعي الى غير ذلك من المسائل وقال عليه السلام
من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها وانما لزمه ذلك لاستعداده بتضجره وتسخطه من قضاء الله
لزيادة البلاء ولو قد حمد الله على بلائه لاستعد بذلك لدفعه وقال عليه السلام من كرمت عليه نفسه
هانت عليه شهوته وذلك لكونهما عدوان فاكرام احدهما يستلزم اهانة الاخرى فمن كرمت عليه نفسه
لزم حفظها وحمايتها من عذاب الله وذلك يستلزم اهانة شهوته عليه وعدم مراعاتها لما يقتضي ضد ذلك

وقال عليه السلام ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة وذلك لان العقل يقتضي صيانة العرض والارتفاع عن حد الوقار
مع صاحبه ولا يستخف به والمزاح الذي لا ينبغي يقتضي اضداد ذلك فهو يستلزم مخالفة العقل وترك ما يستدعيه
لنظرائه فلا يطرح الانسان من عقله شيئا او مزاحا فكانه قد مج من عقله مجة الا من فيه وبليغه وقال عليه السلام
زهدك في راغب فيك نقصان حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس اما الاول فلان من تمام الحظ كثرة
الاخوان للاعانة في صلاح امر المعاش والمعاد فالزهد فيهم يستلزم نقصان الحظ ولان مجازاة الرغبة بمثلها
فضيلة من تمام الحظ الذي فقدها يستلزم نقصانه واما الثاني فلاستلزام الرغبة في الزاهد فيك الذل
والخضوع له ظاهر والكلام صغرى ضمير تقديره الزهد في الراغب فيك والرغبة في زاهدك وقال ع
ما لابن آدم والفخر اوله نطفة وآخره جيفة استفهام منكر من وجه الجمع بين الانسان والفخر وينبه على عدم التناسب
بينهما بضميره وذكر اوله واخره وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا مناسبة بينه وبين الفخر ورد
الفخر مضروبا على المنقول معه وقال عليه السلام الغنى والفقر بعد العرض على الله نطق واراد الغنى الحقيقي
بالثواب والفقر بعدمه في الآخرة وسئل عليه السلام عن اشعر الشعراء فقال ان القوم لم يجروا في حلبة
تعرف الغاية عند قصبتها فان كان ولا بد فالملك الضليل يريد امرأ القيس اراد انهم لم يقولوا الشعر
على منهاج واحد حتى يتفاضل بينهم بل كان لكل منهم فن خاص به يجد فيه وينبعث فيه قريحته فواحد يجيد في
والاخر في الرهبة واخر في النسيب والطرب ولذلك قيل اشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب والاعشى
اذا رغب والنابغة اذا رهب واستعار لفظ الحلبة وهي القطعة من الخيل تقرن لمسابقة الطريقة
الواحدة ورشح بذكر الاجراء والغاية وقصبتها وذلك ان عادة العرب ان يضعوا قصبة في اخر الميدان
فمن سبق اليها واخذها كان هو السابق والغالب وقوله فان كان ولا بد اي من الحكم وانما حكم بذلك
باعتبار جودة شعره في اكثر حالاته دون غيره كما روي عنه برواية اخرى ان ابا الاسود سأله
عن اشعر العرب فقال لو رفعت للقوم غاية علمنا من السابق منهم ولكن ان يكن فالذي لم يقل عن
رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمي ضليلا لكثرة ضلاله وقوته قيل لانه نفر في اخر عمره وقيل
لانه كان كثير التهتك واعلان الفسق في شعره وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال امرؤ القيس
اشعر العرب وقائدهم الى النار وقال الفرزدق كان الشعر جزورا فخر فاخذ امرؤ القيس راسها
واخذ طرفة ما طاب من لحمها واخذ لبيد باعجازها واكارعها وبقيت عظامها وارواثها فاقتسمها الحكمي
قيل للبيد بن ربيعة من اشعر الناس فقال الملك الضليل قيل ثم من فقال الغلام القتيل يعني طرفة قيل
ثم من فقال الشيخ ابو عقيل يعني نفسه وقال عليه السلام الا حر يدع هذه اللماظة لاهلها انه ليس لانفسكم
ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها اللماظة بقية الطعام ما يبقى في الفم من الطعام ولفظها مستعار للدنيا باعتبار
قلتها وحقارتها ودعا الى تركها ثم جذب عنها بضمير صغراه قوله فانه الى قوله الجنة وهو كقوله تعالى
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وتقدير الكبرى وكلما كان
ليس لانفسكم ثمن الا هو فينبغي ان لا تبيعوها الا به وقال عليه السلام علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث

يضرك

يضرك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون في حديثك فضل عن علمك وان تتقي الله في حديث غيرك
اشار الى علامات الايمان الكامل احدها ان يؤثر الصدق الضار على الكذب النافع فانه محبة الفضيلة وكراهة
الرذيلة الثانية ان لا يكون في حديثه فضل وزيادة عن علمه وهو العدل في القول والاحتراز من رذيلة
الكذب الثالثة ان يتقي الله في حديث غيره فلا يخوض في عرضه بغيبة او سماعها وقيل اراد ان لا يخلط في
الرواية فيروي عنه حديثه كما هو وقال عليه السلام يغلب المقدار على التقدير حتى تكون الآفة في التدبير
المقدار القدر ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر كان ما قدره وتدبره لنفسه صلاحا وهو لا يعلم
فربما دبره لنفسه واعتقده سببا لمصلحته ان يكون من اسباب مفسدته وهلاكه وقد مر بيان ذلك
وقال عليه السلام الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة استعار لهما لفظ التوأمين باعتبار
استلزام علو الهمة لهما وصدورهما بواسطتها وذلك ان عالي الهمة يستحقر كل ذنب وذنب في حقه
فيحلم عنه ويتانى عن المبادرة الى مقابلته وقال عليه السلام الغيبة جهد العاجز اكثر ما يقصد العاجز من اعدائهم
والحساد الذين يعجزون عن بلوغ اغراضهم وشفاء صدورهم فيعدلون الى الغيبة لتحاب اعدائهم
لا يجدون فيه من اللذة ونقرنها بنسبة عيبها الى الغير وانما غاية جهد لما نقص من ذلك النقصان
وقال عليه السلام رب مفتون بحسن القول فيه واصل الفتنة الانصراف اي رب مصروف
ولا يرضى به من تحصيل الفضيلة والطاعة واكتفائها بالمدح والاطراء لمن يمدح بكثرة العبادة مثلا فيقوده ذلك الى
الاقتصار على ذلك القدر منها قال السيد رضي الله عنه وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المختار من كلام
امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام حامدين لله سبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من اطرافه وتقريب
ما بعد من اقطاره وتقرير العزم كما شرطنا اولا على تفضيل اوراق من البياض في آخر كل باب من
الابواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عسى ان يظهر لنا بعد الغموض ويقع
الينا بعد الشذوذ وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل واقول انه رضي الله عنه بلغ في
الحكاية اختيار كلامه عليه السلام الى هذه الغاية وقطع عليها ثم كتب بعد ذلك زيادة من محاسن الكلام
اما باختياره هو او بعض من كان بحضرة من اهل العلم وتلك الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن وتارة
موضوعة فيه لجهة تبنيط اختياره ونحن نورد الان ما ترتب عليه وارد بالحاقها بالمتن والحاقها وقال عليه السلام
الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها واراد بها خلقت لاستعداد بها وبها لادراك ثواب الله في الاخرة
وقال عليه السلام ان لبني امية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم
الضباع لغلبتهم والمرود هنا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار وهذا من افصح الكلام واغربه
فكانه شبه عليه السلام المدة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه وقد اختلفوا انتقض نظامهم بعده
اقول استعار لفظ المرود لمدة دولتهم ووجه المشابهة ما ذكره السيد والكلام ظاهر الصدق
فان دولتهم لم تزل على الاستقامة الى حين اختلافهم وذلك حين وثب الوليد بن يزيد فخرج عليه ابن عمه
يزيد بن الوليد فقتله وقام شرع دعاة بني العباس بخراسان واقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب

فلاذ فلق ابراهيم بن الوليد وقتل قوما من بني امية واضطرب امر دولتهم وكان زوالها على يد ابا مسلم
وكان ذلك بيد وامره اضعف خلق امر دولتهم فقرا ونحو ذلك تصديق قوله عليه السلام ثم وكا ذبهم الغيا
لعلتهم ولفظ الضبع قد استعار للاذلال والضعفاء وهذا من كراماته عليه السلام وقال عليه السلام في وصف الانصار
هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم السباط والسنتهم السلاط والفلو المهر يستعار
السباط ويقال للحاذق في الطعن انه لسبط اليدين يريد انه ثبت فيه والسلاط الحديد
ترتيبهم للاسلام وحمايتهم لرتبة الفلو ووجه الشبه شدة عنايتهم به وحسن مراعاته الى حين كماله وقال عليه السلام
العين وكاء السه قال السيد وهذا من الاستعارات العجيبة كانه شبه السه بالوعاء والعين بالوكاء فاذا
اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء قال وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي صلى الله عليه واله وقد رواه
قوم لامير المؤمنين عليه السلام وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا
على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية واقول انه استعار لفظ الوكاء هو
رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان في يقظته لنفسه من الحدث منسوخ وكونها كالحافظ الوكاء
لما يوكي به ونحو ذلك يلاحظ تشبيه السه بالوعاء كالقربة ومن تمام الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا نامت
العينان استطلق الوكاء وقال عليه السلام في كلام له ووليهم وال فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه
المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب والكلام من خطبة طويلة له عليه السلام في ايام الله ذكر فيها فضله
من رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاصه وافضائه باسراره اليه الى ان قال فيها فاختار المسلمون بعده بارائهم
رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحد كانا فيه ثم وليهم بعده وال فاقام واستقام
حتى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجز كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يملك من امر نفسه شيئا غلب عليه
اهله فقادوه الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم فلم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد تارة
ويقرب اخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاؤوا بي مدب الدبا يريدون بيعتي في كلام طويل والجران
مقدم عنق البعير وضربه بجرانه كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن البعير اذا برك
من الارض وقال عليه السلام يا ايها الناس زمان عضوض يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك
قال الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل فيه الاخيار ويبايع المضطرون
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين قيل معناه تشرف وتعلو وذكر لذلك الزمان ذم احدها
استعاره لفظ العضوض باعتبار شدته وأذاه كالعضوض من الحيوان وقوله عليه السلام فيه انه
يعض الموسر فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما يملك ونبه على صدق قوله ولم يؤمر بذلك بقوله تعالى
ولا تنسوا الفضل بينكم فانه ندبه الى بذل الفضل من المال وذلك ينافي الامر بالبخل الثاني
انه يعلو فيه درجة الاشرار ويستذل الاخيار الرابع ويبايع فيه المضطرون اي كراهة الجور
ونبه على قبح ذلك بنهي الرسول صلى الله عليه وآله وقال عليه السلام يهلك فيّ رجلان محب مفرط وباهت مفتر وهذا
مثل قوله يهلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال والمحب المفرط يكثرة المدح كالغلاة من طرف

وحيشه بود
وعجز فيه بود
لم يكن يملك من امر نفسه شيئا
ع ر

الافراط

الافراط والذي يسوء ويفتري عليه بانه كافر ومحق كالخوارج هم في طرف التفريط وكلاهما رذيلتان خارجتان
عن فضيلة العدل فيه وقد علمت ان الرذائل مهاوي الهلاك الاخروي وقد سبق مثله وسئل عليه السلام
عن التوحيد والعدل فقال التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه واعلم ان الكلمتين لما جازتا
غاية الشرف وجليهما مدار العلم الالهي والكلمة الاولى اجل كلمة دلت على التوحيد والتنزيه وقد نبهنا
في اول الخطبة الاولى من الكتاب وجه القول فيها هنا انه لما كان الوهم انما يدرك المعاني الجزئية
المتعلقة بالمحسوس وجب ان يستعين في ادراكه وضبطه بالقوة المتخيلة حتى تصوره ويلحقه بالامور المحسوسة
وكان الباري تعالى منزها بمقتضى العقل الصرف عن المحسوسات وما يتعلق بها لاجرم لم يجز ان يتوجه الوهم
في تصوره تعالى ويحكم على ذاته المقدسة باحكامه اذ لا يكون في حكمه الا كاذبا لا قضائها كونه محسوسا او
متعلقا بالمحسوس الذي من شانه الكثرة والتركب المنافيان للوحدة المطلقة فيكون قد عرف التوحيد بخاصة
من خواصه وهي لازم سلبي واما الكلمة الثانية فالمراد من العدل اعتقاد جريان العدل في جميع افعاله تعالى
واقواله ومن لوازم ذلك مخاصمته بان لا يتهم العبد انه يجبره على القبيح ثم يعاقبه عليه او انه يكلفه ما لا يطيقه
ونحو ذلك من مسائل اصول الدين التي اعتقدها المعتزلة على ظواهر كلامه عليه السلام وقال عليه السلام لا خير
في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن الحكمة رذيلة تفريط من فضيلة القول والقول
بالجهل رذيلة افراط ولا خير فيهما بل فيما يتوسطهما من القول بالحكمة وقال عليه السلام في دعاء استسقى به
اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها قال السيد وهذا من الكلام العجيب وذلك انه عليه السلام شبه
السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي تقمص برحالها
وتتوقص بركبانها وشبه السحاب الخالية من تلك الروائع بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة
واقول ان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب لمكان المشابهة التي ذكرها السيد وتتوقص
بركبانها اي تنزو بهم نزوا تقارب الخطو والزوابع الامور المخوفة وقيل له عليه السلام يا امير المؤمنين
لو غيرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول الله صلى الله عليه وآله وهو ظاهر وقال عليه السلام
منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا النهم بالتحريك افراط الشهوة في الطعام ولفظه مستعار لشدة
طلب المتعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا لها وكذلك وصف عدم الشبع لهما والكلمة مروية عن
رسول الله صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وقال عليه السلام القناعة مال لا ينفد وقد
روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله واستعار لفظ المال للقناعة بوصف عدم النفاد باعتبار انها
الغنى الدائم كالمال الباقي ابدا وقال عليه السلام لزياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس
على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج استعمل العدل واحذر العسف والحيف
فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف امره باستعمال العدل وحذره من حيف الناس
وعسفهم وهو حملهم على المكاره ونفرهم عن ذلك بضميرين صغراه قوله فان العسف الى قوله يدعو الى السيف
بهم عن اوطانهم وظاهر ان الظلم معد لذلك او لقيام السيف على الظالم من غيره وتقدير الكبرى وكلما

كان لك حب اجتنابه وقال عليه السلم أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ وذلك انه يدوم عليه لاستهانته اياه حتى يصير ملكة وخفاه ينفك عنه بخلاف ما يستعظمه فانه يوشك ان يقلع عنه قبل استحكامه وعدم تيسره وقال عليه السلم مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا لما كان التعلم على الجاهل فريضة ولا يمكن الا بعلم عالم كان وجوب التعلم على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم وفي الخبر المرفوع من تعلم علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وروى معاذ بن جبل عن الرسول صلعم انه قال تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قربة معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والموانس في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وقال عليه السلم شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ أي من احوج الى الكلفة وذلك ان الاخوة الصادقة تستلزم الانبساط بين الاخوان وترك الكلف من بعضهم لبعض فكان عدم هذا اللازم ووجود التكلف مستلزما لعدم ملزومه وهو صدق الاخاء ومن لا يكون اخا صدق فهو شر الاخوان والكلمة في قوة صغرى ضمير على اجتنابه الاخ لك وتقدير الكبرى من احوج الى التكلف له فهو شر الاخوان وتقدير الكبرى ومن كان شر الاخوان تجب مجانبته وقال عليه السلم إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ حشمه واحتشمه بمعنى اغضبه وقيل اخجله والكلام صغرى ضمير تقريره من احتشم اخاه ذلك ان احتشامه له على كل المعنيين يوجب نفرته عنه وعدم انسه به وهو من دواعي مفارقته وموجباتها وتقدير الكبرى ومفارقة الاخ لا يجوز فاحتشامه لا يجوز وبالله التوفيق والعصمة وقال الشارح رحمه الله وهذا آخر ما وجدناه من اختيار السيد الرضي رضه من كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلم واذا وفقني الله تعالى لاتمام شرح هذا الكتاب على ما اعد لي من منته الجزيلة وان ضعف عن نعمه الجليلة ومنه اطلب واليه ارغب ان يجعل ما كتبته خالصا لوجهه انه المنان ذو الفضل والاحسان وكتب عبد الله المفتقر الى رحمة المستعيذ من ذنوبه بعفوه وكرمه ميثم بن علي بن ميثم البحراني في منتصف ليلة السبت سادس شهر الله المبارك رمضان عمت بركته من سنة سبع وسبعين وستمائة والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله الطاهرين واصحابه الاكرمين وسلم تسليما

وقد وقع الفراغ من تسويده يوم الاثنين شهر
ذي قعدة الحرام سنة تسع وخمسين بعد الالف
من الهجرة على هاجرها الف الف التحية
على يد اقل خلق الله واحوجهم الى رحمته
علي بن عبد الغالب [illegible]
غفر الله له ولوالديه ولجميع
المؤمنين والمؤمنات